شرح ديوان المتنبي

عبد الرحمن البرقوقي

شرح ديوان المتنبي

شرح ديوان المتنبي

تأليف
عبد الرحمن البرقوقي

هنداوي

شرح ديوان المتنبي

عبد الرحمن البرقوقي

رقم إيداع ١٤٨٢٨ / ٢٠١٤
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧٦٨ ٠٢٨ ٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

المحتويات

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد: فهذا شرح ديوان المتنبي[1] أُخرِجُه بعد شرحي ديوان حَسَّانِ الذي أخرجته في العام الماضي، ورآه القراء وعرَفوا من مقدمته ما كابدت فيه، وفي الحق: إني لم أعانِ في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما — وذلك أنَّ المتنبي رب المعاني الدقاق — كما قال — فللذهن في شِعره جولان، وما دام هناك ذهنٌ يَلْفف، وذوق يستدقُّ، وملكة بيانية، وبصر بمذاهب الشعر: أمكن إدراكُ ما يترامى إليه مثلُ المتنبي، ولو بشيء من الجهد اللذِّ، والتعب المريح، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم، وشروحه متوافرة، ومادته زاخرة، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينًا لينًا، لا إرهاق فيه لخاطر، ولا إعنات لروية.

وهنا قد يبدو لك أن تقول: وإذا كان المتنبي مخدومًا وشروحه متوافرة — كما تزعم — فعلام هذا الشرح، وما حاجتنا إليه؟ فعلى رِسلك يا هذا. فالمتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثرة قلة؛ ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حظه أن شَرَحَه وعَلَّقَ عليه، ونقدَه وتعصب له وعليه، نيِّفٌ وخمسون أديبًا، بيدَ أن المتداوَل من شروحه إنما هو العُكبري والواحدي واليازجي حسْبُ. أما الواحدي: فلأنه لم يُطبع إلا في أورُبَّة وفي الهند فقط، كانت لذلك نسخة قليلة التداول في أيدي الناطقين بالضاد لِنَدْرَته وغلاء ثمنه، ومن ثَمَّ كان في حكم غير المتداول. ثم هو — الواحدي — ومثله العكبري كلاهما موضوعٌ ذلكَ الوضعَ الخلق الباليَ العقيم — بعثرَة الأبيات وإثباتَ البيت ثم شرحه، وهكذا دواليك — وضعٌ لا يتفق ومزاج هذا الجيل، ولا سيما من يبتغي حفظ الديوان واستظهاره، هذا إلى التحريف الكثير الذي ألمَّ بالواحدي والعُكبري معًا، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسفَ كل

الأسف وتتقطع نفسه حسَرَاتٍ جرَّاء ذلك الداء الخبيث العُياء الذي ألمَّ — ولا يزال يُلم — بالمطبوعات العربية — داء التصحيف والتحريف — حتى لا يكاد يسلم مِنه كتاب عربي، فذهب بجمال التواليف وشوَّه خلقَها، وصارَ بها إلى حيثُ تنبو عنها الأحداق، وتتجافى عن قراءتها الأذواق، ويتخاذل الذهن، ويتراجع الفكر، ولست أدري: ما مصدر هذا الداء، ولا من تقع عليه تبعةُ هذا الجرم: هل هو الناسخُ؟ — بل الماسخ — [ولقد حاولت — أخيرًا — أن أنسخ رسالة في سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية، وكلفت أحد الناسخين في تلك الدار بنسخها، ولما أتمَّ نقلَ الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل ما نسخ على الأصل، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح، ووجدت ما نسخ منه ضِغثًا على إبَّالةٍ … فما كان إلا أن انصرفتْ نفسي عن المسألة برُمتِها] … أم هو الطابعُ وجهله وتهاونه؟!

ولقد لقيت الألاقي في تصحيح «بروفات» — أو تجارب — المتنبي، ومن قبله حسان، حتى لا أكون مغاليًا إذا قلت: إن الجهد الذي يُبذل في سبيل التأليف أهونُ على المرء من الجهد الذي يقاسَى في سبيل التصحيح.

وتصوَّرْ مقدار ما يَعْرو الإنسان من المضض والامتعاض حين يرى الكتاب — بعد هذا العناء الذي يبذل في التصحيح — لم يسلم من الأغاليط، ولا تنس أن المؤلف قد لا يفطن إلى الخطإ المطبعي أثناء التصحيح ويمر به مرًّا، وعذره في ذلك واضح: وهو أنه إنما يقرأ ما في ذهنه، لا ما هو بين عينيه، ومن هنا كان له — للمؤلف — هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره في ذلك قائمًا …

أقول: إنَّ عيب الواحدي والعُكبري هو ما ذكرت: وضْع لا يتفق وروح العصر، وتحريف كثير شائع في الكتابين، ذلك إلى هفوات تلحق كلًّا على حِدَتِه، وقصورٍ أو تقصير أو إقصار يلِمُّ بساحته؛ فإذا أردت أن تجتزئ بالعكبري — مثلًا — وتستغنيَ به عن غيره فإنه لا يغني كل الغناء، وكذلك الواحدي، ويَزِيد الواحدي على العكبري أنه لا يَحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب، وبأنه لا يفسر كثيرًا من الأبيات، فكأنه موضوع للمنتهين، ولذلك لا يؤاتي الشادين. أما اليازجي أو اليازجيان — الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم — فهما — على فضلهما الذي لا ينكر، وعلى ما طنطن به الثاني في ذيل الشرح، مما قد يخرج منه القارئ وهو مفعم يقينًا بأن هذا الشرح هو سيد الشروح، وهو وحده الشرح الذي طبَّق المفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية، أقول: إنهما — على الرغم من ذلك — يَصْدُق عليهما قول الواحدي في ابن جِنِّيٍّ: وأما ابن جني فإنه من الكبار في صنعة الإعراب والتصريف، والمحسنين في كل واحد منهما بالتصنيف، غير أنه إذا تكلم في المعاني

تبلد حماره، ولجَّ به عثاره … نعم، وحسبك أن ترجع إلى ما قالاه — أي اليازجيان — في شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته:

لَحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ   فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ

قالا: يذم الدنيا. يعني أنها دار شقاء حتى إن من لا همَّ له لا يخلو فيها من العذاب، فما الظن بصاحب الهموم؟! ولست أدري: كيف لم يفطنا إلى معنى هذا البيت وهو من الوضوح والجلاء، كما ترى؟ … على أنهما — في شرحهما عامة، لا في شرح هذا البيت — لم يحيدا عن الواحدي والعكبري قيدَ أُنملة؛ فهما عمدتاهما، وعليهما معولهما، فإذا هما حاولا أن يتفصَّيَا منهما، ويستقلَّا بالشرح دونهما، ويأتيا بشيء من عندهما: زلت قدماهما، وكبا جواداهما، أو تبلد حماراهما، ووقعا في مثل ما وقعا في هذا البيت …

ذلك: إلى أن القسم الذي تولى شرحه الشيخ ناصيف قصَّر فيه ومَرَّض ولم يتعرض لشرح المعاني، وإنما اقتصر على شرح المفردات، وإلى أنهما — اليازجيين — تركا كثيرًا من شعر المتنبي الذي يريان فيه خمشًا لوجه الأدب، وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلًا، وهذه مزية من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح …

على أنَّا لا نبخس الناس أشياءهم، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعروها الخَطْرَةَ بعدَ الخَطْرَةَ: من الفتور والانتكاس، وانغلاق الذهن، وتبلد الحس، وإظلام البصيرة، وغئُور الروح، وخمود الذكاء، حتى لقد يخفى أحيانًا على العليم الألمعي وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف الثمام — كما يقولون — فيعتسف الطريق، ويتخبط تخبط العشواء …

وهذا ابن جني — الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة، بل فيلسوف اللغة العربية، العليم بخصائصها، الطَّبُّ البصير بدقائقها — تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من ذلك، ومن أنه كان معاصرًا للمتنبي — متعصبًا له محاميًا عنه، وكان إذا سأل المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول: اسألوا الشارح — يعني ابن جني — وكان ابن جني يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذي يغزوه، وبرغم ذلك تراه في كثير من المواضع — كما قال الواحدي — وقد تبلد حماره، ولجَّ به عثاره.

وهكذا تتبعت جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد — كابن فورجَه، والعروضي، والتبريزي، وابن وكيع، وابن القطاع، وابن الأفليلى — فوجدت لهم جميعًا بجانب حسناتهم سيئات، وإلى سدَادهم زلات وهفوات.

وهذا حقًّا من غريب طبائع البشر؛ فسبحان من تفرد بالكمال!

ولقد وجدت ذلك من نفسي؛ مع أن الطريق معبد، والمادة متوافرة؛ فقد أكون — في بعض الأوقات — مستجمًّا، نشيطًا، مهزوزًا، مرهفَ الطبعِ، مصقُولَ الذهن، صافي الحس، منبسط النفس؛ فأشرح ما أشرح — من قوافي المتنبي — فآتي بما أرضى به عن نفسي، ويعروني له من الطرب ما يستخفني، وأكون في أوقات أخرى منقبض النفس، مظلم الحس، مغلق الذهن، فَدما، بليدًا، لا أكاد أذهَنُ شيئًا، وأكون مضطرًا إلى العمل؛ فأشرح — وأنا على هذه الحال — بعض الأبيات، ثم أعود في وقت أكون فيه على جمامٍ من نفسي إلى ما شرحت، وأنظر ماذا قلتُ، فأدهش: كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم؟ وأتهم نفسي، حتى لا أكاد أصدق أن شيئًا من هذا ندَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية، وذاك نزعة نحوية، وذلك نزعة فلسفية منطقية، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخيل، وأن هذا أصح تمييزًا من ذاك، وأنفذ بصيرة، وأبعد مدارك، وأصفى نفسًا، وألطف حسًّا، وأكثر ألمعية، إذا أَذِنَتْ أذناه شيئًا شاءهما ذهنه. فإذا هم أراغوا تأويل بيت من أبيات المعاني الدقاق: تشعبت آراؤهم، وذهب كلٌّ في تأويله مذهبًا قد يباين مذهب الآخر، تبعًا لتباين قرائحهم ومحصولاتهم، كما قال المتنبي:

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وإليك شيئًا يحور إليه سر هذا التباين الذي نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبي الطيب. ذلك أن المتنبي كان رجلاً ماكرا باقعة داهية، فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعاني التي سُبق إليها، فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويُعميها على الناظر فيها ويريغها ويديرها عن ذلك حتى لا يفطن إلى أن غيره أبو عذر هذا المعنى، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام؛ لأن تلك طريقته — كما سنبينه — فيجيء البيت متنافر اللحمة متناثر التعبير، لا يشف ظاهره عن باطنه، ولا يتجاوب أوله وآخره، حتى لكأنه ضرب من الرقى، فيظن بعض الشراح أن هناك معنًى دقيقًا عميقًا فيكد ذهنه، ويجهد فكره، ويسافر في طلب المعنى أميالا، وهو لا يفوت أطراف بنانه، وينضي إليه

رواحل ذهنه وهو على حبل ذراعه، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب، كما قال المتنبي:

أبلغ ما يُطلب النجاحُ به الطـ ـــبعُ وعند التعمُّق الزللُ

وهاك شيئًا يرجع إليه ذلك التعقيد الذي نراه في بعض شعر المتنبي. هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حلب، وتقع عينه عليهم أنى ذهب — في الشام وفي مصر وفي بغداد وفي فارس — وكانوا له بالمرصاد يتلمسون له الهفوة والمأخذ. وكان كثير ممن يمدحهم كذلك شعراء أدباء — وناهيك بسيف الدولة وابن العميد — فكان لذلك كله — يحتشد لكثير من قصائده ويتعمل لها، ويتنطس في ألفاظه ومعانيه، ويحتفل، ويمعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه؛ فيجيء بعض نظمه كزًّا جافًّا معقدًا حُرم طلاوة الطبع ورونقه، وفقدَ نصف الجمال الشعري.

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفطن إليه أحد، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق، ذلك أن المتنبي — للأسباب التي أسلفناها، ولسبب آخر سنبينه — تراه في أكثر شعره ينقصه التعبير الشعري، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه في الصنعة والاحتفال بالمعنى — وهو أبو تمام.

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهي: «إنما حبيب أبو تمام كالقاضي العدل: يضع اللفظ موضعها، ويعطي المعنى حقَّه، بعد طول النظر، والبحث عن البينة، أو كالفقيه الورع: يتحرى في كلامه، ويتحرج خوفًا على دينه، وأبو الطيب كالملك الجبار: يأخذ ما حوله قهرًا وعَنوة، كالشجاع الجريء: يهجم ما يريده، ولا يبالي ما لقي ولا حيث وقع.» ا.هـ.

فأنت إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة، وترى المعاني الدقاق وترى الصنعة — من الجناس والمطابقة وما إليهما — وترى — مع ذلك كله — التعبير الشعري؛ أي ترى النصاعة والإشراق، ووضوح المعالم، واطراد النظام، وتساوق الأغراض، وإحكام الأداء، والروعة، والجمال، والروح القوي الذي يطالعك من بين فِقَره، ومن هنا يفضل أبو تمام أبا الطيب.

قال ابن الأثير: «وهؤلاء الثلاثة — أبو تمام، والبحتري، والمتنبي — هم لات الشعر، وعُزَّاه، ومناتُه، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء.

أما أبو تمام: فإنه رب معانٍ، وصيقل ألباب وأذهان، وقد شُهد له بكل معنى مبتكر، لم يمشِ فيه على أثر، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب، الذي برز فيه على الأضراب، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقير، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه، وراض فكره برائضه، أطاعته أعنَّةُ الكلام، وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام، فخذ مني في ذلك قول حكيم، وتعلَّم، ففوق كل ذي علم عليم.

وأما أبو عبادة البحتري: فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى، وأراد أن يشعر فغنَّى، ولقد حاز طرفَي الرقة والجزالة على الإطلاق، فبينا يكون في شظف نجد إذ تشبث بريف العراق، وسُئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال: «أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري.» ولعمري إنه أنصف في حكمه، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه، فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء، في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء، فأدرك بذلك بعد المرام، مع قربه إلى الأفهام، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاط الغالية، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية.

وأما أبو الطيب المتنبي: فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه، لكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال، وأنا أقول قولًا لست فيه متأثمًا، ولا منه متلثمًا: وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه، ما أدى إليه عِيانه، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء، ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة:

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ... إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ ... قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

ولما تأملتُ شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى، وعين المعرفة التي ما ضل صاحبها وما غوى، وجدته أقسامًا خمسة: خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره، وخمس من متوسط الشعر، وخمس دون ذلك، وخمس في الغاية المتقهقرة التي لا يُعبأ بها، وعدمها خير من وجودها، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها؛ فإنها هي التي ألبسته لباس الملام، وجعلت عرضَه غرضًا لسهام الأقوام.» ا.هـ. كلام ابن الأثير.

وقد آن لنا أن نقول: إن هذا الذي يعاب على أبي الطيب ويُظن أنه يَتَخَوَّنه ويَشِينُه: هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته؛ لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق، فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر؛ فمن ثم يختلف الشعراء، ويمتاز واحد من واحد، وتَبِين طريقة من طريقة وإن تواردوا جميعًا على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول.

ولقد يأتي مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم، فيديرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة، وصناعتهم في أخذه مختلفة، وتراهم قد تناولوه بوجوه كثيرة تُحقق فيه عمل أمزجتهم، وتلقي عليه اختلاف أزمانهم، وتجري به في طرق حوادثهم، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ[٢] فهو مع هذا قوي، ومع الآخر جبار، ومع الثالث ضعيف، ومع رابع متهالك، وتارة بدين، وأخرى هزيل، وثالثة بينهما، وهكذا، ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكرارًا، وبطل فيه عمل العقل، وأصبح رثًّا باليًا، وذهب مع الذاهبين الأولين، ولم يبقَ فيه لشاعر إلا إقامة الوزن، ولو كان هذا لنسخ لقب الشاعر من الأرض، ولم تعد للبيان صناعة، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام.

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا: فالشاعر النابغة لا يمهر بإرادته، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها، وإنما هو يولد مُهيئًا بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ — كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد، أو الذهب على النحاس — ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ؛ فتتنوع وتتباين، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية، ويستقل منها بطريقة ومذهب؛ فإذا تناول معنًى من المعاني تناوله على طريقته: فإما حذف منه، وإما زاد فيه، وإما غَيَّره وقلبَه، وإما صبَّ على حذوه معنى جديدًا يلم به

أو يشبهه، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقه حسب. فكثيرًا ما يقرأ النابغة كلامًا لغيره، أو يتأمل خاطرًا، أو يشهد أمرًا؛ فإذا كل ذلك قد أوحي إليه وانعكس على مرآة ذهنه بمعان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان بسبيله وجهًا من الشبه — لا قريبًا ولا بعيدًا — وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئًا، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة — وليس كل الناس أنبياء، ولا كلهم نوابغ — ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة، وهي تكون فيه هو وحده بمقام المَلك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين: أحدهما هو، والآخر بصيرته، وهو بذلك أقوى من غيره، ولكن النابغة — وبصيرته أشبه بإنسان وملك، أو إنسان وشيطان — فهو دائمًا أقوى من القوة، وهو دائمًا متصل بشيء فوق الإنسانية.

وإذا تقرر هذا: فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتهيأ له على طريقته، ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحيانًا بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف، وتراه يتعسف ويتخبط ويُسِفُّ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذفه، وهو قادر على أن يَغْنَى عنه وليس في حاجة إليه، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها، فلا يستطيع حين يجيئه الرديء أن يجعله جيدًا، وليس إلا أن يأخذه كما هو؛ لأنه هو الذي انبثق له عن الجيد، كما تضرم النار من مادة، فإذا هي شُعَل ودخان، ثم تضرمها من مادة أخرى فإذا هي لهب صاف يتألق؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معًا.

وهذا سرٌّ لم يتنبَّه إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي، فاشدُدْ يدك عليه، وادرس المتنبي على هذه الطريقة، فستجده نابغة في جيده ورديئه، وستجده لا يستطيع غير المستطاع، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضًا؛ لأنه كذلك ألهم، وعلى ذلك ركب طبعه، وكان ظلامه ظلامًا؛ لتسطع فيه النجوم.

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك، فلا يأتي أحد بجديد … وقد أصبح المتنبي — دون غيره من شعراء العربية — كأنه في غير حاجة إلى الترجمة؛ إذ هو كالقطعة من تاريخ الأدب، فالكلام عنه متداول مشهور، وهذا بعض ما اختص به؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره،

وترى شعره ترجمة روحه، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة بيان سره الشعريِّ، ثم أنت — بعد ذلك — في حقيقة الرجل؛ أي شعره وشرح شعره الذي نقدمه إليك …

وبعد؛ فأما هذا الشرح فلا يلقينَّ في رُوعك أنه بدْع في الشروح، وأنه شيء مبتكر جديد، وهل غادر الشُّرَّاحُ من متردَّمِ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير، أو بعد أن خلصت من عَكَرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدَام — كما يقول أبو الطيب — وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأي شرح من شروح المتنبي على حدته، فليس يغني عنه شرح، ولكنه هو — بحمد الله — يغني عن سائر الشروح؛ فهو كما يقول أبو الطيب:

يُدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البرقوقي

١٢ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠م

هوامش

(١) أبو الطيب المتنبي: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة، فنسب إليها، وليس هو من كندة التي هي قبيلة؛ بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال: إن أباه كان سقاء بالكوفة، ثم انتقل إلى الشام بولده، ونشأ ولده بالشام، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال:

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيَّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَا ءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحَيَّا

قدم الشام في صباه، وجال في أقطاره، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية السماوة، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب الأخشيدية — فأسره، وتفرق أصحابه، وحبسه طويلًا؛ ثم استتابه وأطلقه، ومن ثَمَّ سُمِّيَ المتنبي؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة — وما زال منقطعًا له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في مجلس من مجالس سيف الدولة، فوثب ابن خالويه على المتنبي، فضرب وجهه بمفتاح كان معه، فشجه، وخرج ودمه يسيل على ثيابه، فغضب، وفارق سيف الدولة، وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومدح كافور الأخشيدي، وكان يقف بين يدي كافور، وفي رجليه خفان، وفي وسطه سيف ومنطقة، ويركب بحاجبين من مماليكه، وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم يرضه كافور هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهاتٍ شتى، فلم يلحق، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تغاليه في شعره وسموه بنفسه، خافه، وعوتب فيه، فقال: يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدعى المملكة مع كافور؟ فحسبكم، ولما كان بمصر مرض، وكان له صديق يغشاه في علته، فلما أبل انقطع عنه، فكتب إليه: وصلتني — وصلك الله — معتلًّا وقطعتني مبلا، فإن رأيت أن لا تحبب العلة إليَّ، ولا تكدر الصحة عليَّ، فعلت إن شاء الله، ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي، فأجزل جائزته — وكذلك مدح ابن العميد — ولما رجع من عند عضد الدولة قاصدًا بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه، عرض له فاتك بن الجهل الأسدي في عدة من أصحابه، وكان مع المتنبي أيضًا جماعة من أصحابه، فقاتلوهم، فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له: الصافية، وقيل: جبال الصافية — من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول — وذلك يوم الأربعاء لست بقين — وقيل لثلاث بقين، وقيل لليلتين بقيتا — من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، ولما قتل: رثاه أبو القاسم مظفر بن علي الطبسي بقوله:

لَا رَعَى اللهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذَا دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسَانِ
مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يَرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ

كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْـ ـشٍ وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
هُوَ فِـي شِـعْـرِهِ نَـبِـيٌّ وَلَـكِـنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

«ا.هـ ملخصًا من ابن خلكان.»

شيء من أخلاقه وشمائله

حدث علي بن حمزة قال: بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن … أما هذه الأخيرة — وهي أنه ما قرأ القرآن — فإني أظن الراوي يريد أنه ما قرأ القرآن تهجدًا وتعبدًا، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره! وأي قيمة لأديب لم يقرأ القرآن؟! وقال ابن فورجه: كان المتنبي رجلًا داهية مر اللسان، شجاعًا، حافظًا للآداب، عارفًا بأخلاق الملوك، ولم يكن فيه ما يشينه إلا بخله وشرهه على المال …

أقول: وهذا بخل المتنبي هو على الحقيقة مما استتبعه طماحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء، وقد سئل في ذلك فقال: إن للبخل سببًا، وذلك أني أذكر — وقد وردت في صباي من الكوفة إلى بغداد — فاتخذت خمسة دراهم في جانب منديل، وخرجت أمشي في أسواق بغداد، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة، فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي، فتقدمت إليه، وقلت: بكم هذه الخمس بطاطيخ؟ فقال — بغير اكتراث — اذهب، فليس هذا من أكلك؛ فتماسكت معه، وقلت: أيها الرجل: دع ما يغيظ واقصد الثمن، فقال: ثمنها عشرة دراهم؛ فلشدة ما جبهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة، فوقفت حائرًا، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهبًا إلى داره، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال: يا مولاي، ها بطيخ باكورة بإجازتك أحمله إلى منزلك، فقال الشيخ: ويحك! بكم هذا؟ فقال: بخمسة دراهم، فقال: بل بدرهمين، فباعه الخمسة بدرهمين، وحملها إلى داره ودعا له، وعاد إلى دكانه مسرورًا بما فعل؛ فقلت: يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك! استمت علي في هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولًا! فقال اسكت: هذا يملك مائة ألف دينار … وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون: إن أبا

الطيب قد ملك مائة ألف دينار ...

وقد كان أبو الطيب مغرورًا إلى أقصى حدود الغرور، وكان ذا طماح وزهو وكبرياء؛ بل كان لا يطاق غطرسة وشموخًا وخيلاء، ولا تنس قصته مع الحاتمي وما جره عليه هذا الكبر، وكان أبو الطيب مصابًا بذلك الداء: داء جنون العظمة — وكثيرًا ما يصيب هذا الداء النوابغ والعبقريين — ولك أن تجعله علة، ولك أن تجعله معلولًا ... وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطَّبيه النساء، وكان لا يشرب الخمر. وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة، وكان عظيمًا، وكان عبقريًّا، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين: شأن كل عبقري عظيم، والله أعلم.

(٢) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا — بعد شرح بعض الأبيات: إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه: أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ: وإنما ذكرنا هذه الأشباه والنظائر؛ هو لترى كيف يكون التوليد، ولتختار ما يحلو.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

«أما بعد» فلما أمضَيْتُ النيةَ — سنة ١٣٤٩هـ/سنة ١٩٣٠م — على أن أضع شرحًا على ديوان أبي الطيب المتنبي، وأخذتُ في معالجة هذا العمل، وكان الناشرُ إذ ذاك يَحفِزُني حفزًا، ولا يكاد يُبلعني ريقي، وكان يتناول مني «أصول» هذا الشرح دِراكًا «أولًا بأول» ويقدمه إلى المطبعة نيئًا لم تنضجْه نار التثبت والروية، وأخيرًا تمثل بالطبع ولم يمض على وضعه وطبعه أكثرُ من عشرة أشهر، لمَّا حدث هذا طفقت أقلِّب النظر في هذا الكتاب وأُعيد الكرة، الخطرة بعد الخطرة، وكلما أنعمت النظر في الشرح بدا لي ما يسوء ويُكمِد، ويَحُزُّ في الكبد، من أخطاء مطبعية، وتقصير في شرح بعض الأبيات، وهُنيَّات من هذا القبيل، شأن كل عمل لم يُتريَّث فيه، ولم يوفَّ حقه من الأناة والتحقيق … فلم يكُ مني إلا أن صححت النسخة التي بين يديَّ، وتناولتها بالتنقيح والتهذيب، والحذف والزيادة، وتداركت جميع المآخذ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه، طبع على هذه النسخة.

وما زلت على هذه الحال مستعصمًا بالصبر حتى نفِدَت نسخ هذه «الطبعة»، ولم يك بدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أحيت ميتَ الأمل، وحفزَتني إلى استئناف العمل، فكان أن وجَّهتُ عزيمتي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحًا وافيًا من كل نواحيه، شرحًا أورد فيه جميع تفاسير الشراح، وأقوال النقاد، وأستوعب مزايا كل الشروح، وليس ذلك أثرة مني واستبدادًا بالمتنبي، ولكنه حب الكمال، وما يسمونه المثل الأعلى … فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية، وبعضهم قد جعل وكْدَه الإعراب وما يتعلق بالأبيات من جهة النحو

والتصريف، وآخرين قصروا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر. بيد أن هذه الأشباه — ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العكبري، ومن قبله الإمامان: أبو الفتح بن جني، والواحدي — تحتاج هي الأخرى إلى الشرح والتفسير ... ورأيت في بعض عبارات القدامى من الشراح غموضًا يجمل أن يوضح أو يستبدل به غيره، مما يوائم أذهان هذا الجيل ... فكان كلُّ أولئك مما حفزني إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح ... فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح — من متقدمين ومتأخرين — وأقوال نقدة المتنبي — من متعصبين له ومتعصبين عليه — وأكثرت من إيراد الشواهد، والأشباه والنظائر، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه، ومن عبارات الشراح، فضلًا عن تصحيح الأخطاء التي ألمت بالشرح الأول، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة، وحتى صار هذا الشرح شرحًا للمتنبي، وشرحًا لشروح المتنبي ...

على أنني لا أدَّعي أن الكمال الذي نشدتُ قد تحقق، وحسبي أني لم آلُ جهدًا، ولم أدخر وسعًا، وإن كان جُهدَ المقلِّ، وغاية المستطيع، ورحم الله العماد الأصفهاني حين يقول: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيدَ لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل ... وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

«وأما بعد» فلمناسبة هذا الشرح الجديد، والاحتشاد فيه، والعمل على جعله مغنيًا عما عداه: رأيت أن أتبسط شيئًا في سيرة المتنبي — ولا سيما ما كان منها عونًا على معرفة المناسبات والظروف التي قيلت فيها قوافيه — وكذلك رأيت أن أترجم شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح، وإتمامًا للفائدة جمعت أمثال المتنبي وحكَمَه وألحقتها بهذه الكلمة.

وإنما نترامى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب — ديوان المتنبي وشرحه ومقدماته — كفيلًا بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي.

وإني أسأله — سبحانه — أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين، ويُضفي عليه من القبول ما يَعمُّ به انتفاع المتأدبين، إنه سبحانه بذلك كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧هـ/سنة ١٩٣٨م

سيرة المتنبي

نسبه

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي ... إلخ، كما روى الخطيب وابن خلكان، وروى بعض المؤرخين: أحمد بن محمد ... إلخ.

وجُعفي جد المتنبي:[1] هو جعفي بن سعد العشيرة من مَذحِج من كهلان من قحطان، وكندة التي ينسب إليها، محلة بالكوفة، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ.

وكان والد المتنبي يعرف بعبدان السقاء، يسقي الماء لأهل المحلة، أما جدته لأمه فهي هَمْدانية صحيحة النسب، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات، وكان جيرانهم بالكوفة من أشراف العلويين، وكان لأبي الطيب منهم خلصاء وأصدقاء.

ولم يذكر المتنبي في شعره نسبه أو قبيلته، ولا أشار إلى والده أو جده، وإنما ذكر جدته لأمه، وكان يدعوها والدته، في أشعار منها:

أَمُنْسِيَّ الْكَوْن وَحَضْرَمَوْتَا وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيعَا

وقد روى الخطيب عن علي بن المحسن عن أبيه قال: «وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به، وقال: أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين القبيلة التي أنتسب إليها، وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني.»

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا، في القصيدة التي مطلعها:

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ   أَوَّلَ حَيٍّ فِراقُكُمْ قَتَلَهْ

وإن يكن لم يذكره، وإنما أشاد بآباء له عظام، في قصيدته هذه، وفي مواضع أخرى من شعره، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته.

ولم يكن المتنبي يُعنَى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي، لا يفخر بقبيلة، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها، قال في إحدى قصائد الصبا:

لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي   وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي

وقال في رثاء جدته لأمه:

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ   لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنكِ لِي أُمَّا

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي: إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية، مدح شجاع بن محمد الأزدي، وعلى بن أحمد الطائي، وغيرهم، ومدح التنوخيين في اللاذقية، وقال للحسين بن إسحاق التنوخي يمدحه — بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي:

أَبَتْ لَكِ ذَمِّي نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ   وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَأْزِقٍ أَبَدًا تَرْمِي

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه، ليس ذا نسب نابه على كل حال، ثم إن خلط كندة التي ولد بها المتنبي، بكندة القبيلة، شيء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير وتفاهته، وهو — على الرغم من كل أولئك — عربي قح، عريق في عروبته، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير.

أسرته

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المتنبي كان سَقَّاء، وقد هجاه ابن لنكك البصري لما سمع بقدومه بغداد راجعًا من مصر فقال:

لَكِنَّ بَغْدَادَ جَاءَ الْغَيْثُ سَاكِنَهَا نِعَالُهُمْ فِي قَفَا السَّقَّاءِ تَزْدَحِمُ

وقال شاعر آخر:

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَا ءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحَيَّا

وروي أن والد المتنبي سافر به إلى الشام، وتنقل به بين حضرها وباديتها ومدرها ووبرها، وردده في القبائل.

على أن الثابت الذي ينطق بأن والد المتنبي لم يكن رجلًا نابه الشأن — كما يرجح الرواة — أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة.

أما والدة المتنبي، فلم يذكر الرواة عنها شيئًا، ويرجح أنها ماتت في حداثته قبل سفره إلى الشام، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها، وهي التي تفردت من بين أسرته جميعًا برثائه لها واحترامه الفخم. قال إبَّان اعتقاله:

بِيَدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبُ
وَلِأُمٍّ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْنِي دَمُ قَلْبٍ فِي دَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ

وتلك هي جدته التي أخبرنا في شعره — كما أخبرنا الرواة — أنها ماتت فرحًا بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤيسة، وإنك لواجد أثرها البليغ في حياته وسيرته، ولامس ثورة نفسه وحزنه عليها في قصيدته التي مطلعها:

أَلَا لَا أُرِي الْأَحْدَاثَ مَدْحًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا

وأجمع رواة أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة، إحدى محلات الكوفة، سنة ثلاث وثلاثمائة من الهجرة، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا

النزر الذي لا ينقع غلة، جاء في الإيضاح أنه «اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف العلويين، فكان يتعلم دروس العربية شعرًا ولغة وإعرابًا» وكان — إلى جانب ذلك — يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ، واشتهر بحبه للعلم والأدب، وقد لزم الأدباء والعلماء، وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم.

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي، وهي أن أحد الورَّاقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يومًا، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته، فلما ملَّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلًا: يا هذا لقد عطلتني عن بيعه، فإن كنت تبغي حفظه في هذه الفترة القصيرة، فذلك بعيد عليك. قال المتنبي: فإن كنت حفظته فما لي عليك؟ قال الرجل: أعطيكه. قال الورَّاق: فأمسكت الكتاب أراجع صفحاته والغلام يتلو ما به حتى انتهى إلى آخره، ثم استلبه فجعله في كمه ومضى لشأنه.

وروي أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة عربيًّا صرفًا، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين، قال العلوي: إنه أقام في البادية سنين، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين، ويُرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، حينما أغار القرامطة على الكوفة، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلاثمائة عندما عاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة، وقد كان لذلك أثر بيِّنٌ في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره.

وقد رحل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد. جاء في «الصبح المنبي»: أن أبا الطيب قال: «وردت في صباي من الكوفة إلى بغداد.» وإنه وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلاثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة: أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد. فليس بعيدًا أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة، ومن المحتمل أيضًا أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات.

ويبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي، ومن روايات المؤرخين، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كتَّاب الكوفة، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية، وما تعلمه في بغداد فحسب؛ بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم، فدرس على السكري ونفطويه وابن دستويه، ولقي كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه، ولقي بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي، وأبا عمران موسى،

وأنه «طلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس، وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره، وطاول شعراء وقته.»

رحلته إلى الشام

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، كما يقول المعري في رسالة الغفران، وفي دائرة المعارف الإسلامية: أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلاثمائة، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام، ويقول بعض شراح الديوان: إن القصيدة التي مطلعها:

ذِكَرُ الصِّبَا وَمَرَاتِعُ الْآرَامِ   جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة بإنطاكية، ولا ريب أن مرور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة؛ فإن صح هذا، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثماني عشرة سنة.

وقد وضع الواحدي في شرحه القصيدة التي أولها:

أَحْيَا وَأَيْسَرَ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا   وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا

في القصائد الشامية؛ أي إنها وما بعدها إلى الكافوريات، قيلت في الشام، أما ما قبلها، فقيل في العراق، وليس ما قبلها بكثير.

ولم يُبدِ شاعرنا الكبير حنانًا إلى وطنه العراق، الذي سلخ فيه ثماني عشرة سنة من عمره، وإنما ذكره في بعض قصائده، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التي حل فيها فلقي خيرًا وصحابًا، ويبدو أن وطنه ذلك قد نَبَا به، وضاق بآماله وأحلامه وطموحه.

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر، إلا في طلب المجد والسؤدد ورفعة الشأن، ولا ندري أسافر إليها وحده، أم سافر في صحبة والده؟

وجدير بنا، قبل أن نمضي في ترجمة شاعرنا إبان إقامته في الشام، أنْ نلمع إلى الحالة السياسية بها في هذه الفترة؛ لما لها من أثر كبير في حياة الشاعر وسيرته.

فلقد كانت الشام — على عهد المتنبي — مقسمة بين الأخشيد وابن رائق، ثم بين الأخشيد وسيف الدولة، وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر بالله العباسي، وقد ولي محمد بن طغج على الرملة، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثماني عشرة وثلاثمائة، وكانت حلب في أيدي ولاة يرسلون من بغداد، ثم وُلي محمد بن طغج مصر أيضًا ثم عُزل عنها، وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في عهد الراضي بالله العباسي عظم أمر ابن طغج، فأعيدت ولايته على مصر، وامتد سلطانه على الشام كلها، وخلع طاعة الخليفة؛ فأرسل إليه ابن رائق، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب، ثم دمشق، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة، فسير جيشًا يقوده كافور إلى الشام، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة استولى سيف الدولة على حلب، وبقي الأخشيديون في دمشق.

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي، والحسين بن عبد الله بن طغج، وهو ابن أخي الأخشيد، وطاهر العلوي، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلعاهما:

جَللا كما بي فَليكُ التبريح أَغِذاءُ ذا الرشإِ الأَغَنْ الشِّيحُ

(و)

أَمُسَاوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقدُمُ الأسْتَاذا

ويعني الشاعر بلفظة «الأستاذ»: كافورًا.

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة، فمر برأس عين وانتهى إلى مَنْبج، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في مَنْبِج وطَرابلس وغيرهما من بلاد الشام الشمالية.

ولا نحب أن نمضي قُدُمًا في سيرة الشاعر، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب؛ لنعلم أحقًّا كان ذلك أم كذبًا؟ فإن كان كذبًا فلماذا لقب بالمتنبي؟

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه، فقد أجمع على ذلك رواة سيرته جميعهم — كما أنبأ به في شعره — أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بعضهم

مع بعض، وما اختلف فيه أبو الطيب، مع رواة سيرته، ويقول الخطيب البغدادي: إن أبا الطيب «لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادَّعى أنه علوي حسني، ثم ادعى بعد ذلك النبوة، ثم عاد يدعي أنه علوي، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين، وحبس دهرًا طويلًا، وأشرف على القتل، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق.» ويقول أيضًا رواية عن خَلق يتحدثون: «إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية، فقاتله وأسره، وشرد من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب، وحبسه في السجن حبسًا طويلًا فاعتل وكاد أن يتلف، حتى سئل في أمره؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام.»

ويروي المعري في رسالة الغفران: أنه لما حصل في بني عدي، وحاول أن يخرج فيهم، قالوا له — وقد تبينوا دعواه: ها هنا ناقة صعبة، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الإبل فتحيل، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة، وتنكرت برهة، ثم سكن نفارها، ومشت مشى الممسحة، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها، فعجبوا له كل العجب، وصار ذلك من دلائله عندهم.

وروى كذلك: أنه كان في ديوان اللاذقية، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام، فجرحته جرحًا مفرطًا، فتفل عليها أبو الطيب من ريقه وشد عليها، وقال للمجروح: لا تحلها في يومك، وعدَّ له أيامًا وليالي، فقبل الكاتب ذلك وبرئ الجرح، فصاروا يعتقدون فيه النبوة، ويقولون: إنه كمحيي الأموات.

وفي الصبح المنبي: أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة فأكرمه معاذ، ثم قال له: والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير. فقال: ويحك! أتدري ما تقول؟ أنا نبي مرسل؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه — وهو مائة وأربع عشرة عبرة — ثم أراه معجزة، فمنع المطر عن بقعة وقف فيها، فأصاب المطر ما حولها ولم تصبها قطرة، فبايعه معاذ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام، ثم إنه لما شاع ذكره، وخرج بأرض سلمية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي، وأمر النجار بأن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف، وقد كتب أبو الطيب من حبسه إلى الوالي:

بِيَدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ … … … إلـــــخ

تلك بعض الروايات التي ألصقتْ بأبي الطيب دعوى النبوة، وهي روايات واضحة الكذب واهية الأسانيد؛ فأما أولاها: فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحامًا تسبقها وتعقبها

دعوى العلوية، فكأنما صح في ذهن جمهرة الرواة أنه تنبأ فجعلوا في رواياتهم مصداق ما سمعوه وصح في أذهانهم، وأما الثانية: فهي رواية عن خَلق يتحدثون، وهذه مقطوع ببطلانها مقضيٌّ بكذبها، فأحاديث الخلق دائمًا مزوقة الجوانب موشاة الحواشي، بالكذب القصصي الشيق، واما رواية المعري: فهي حديث خرافة أيضًا، لا تقرر شيئًا، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به، وذلك شيء بعيد الحدوث، بل مستحيله أيضًا؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلًا فمن المقطوع به أن أحدًا من الناس لم يؤمن بنبوته، وأما رواية معاذ فناطقة بالكذب الصريح والتلفيق البيِّن؛ لأن فيه قرآنًا ومعجزات وتصديقًا بدعوته، وحديثًا مفككًا يناقض أوله آخره.

والذي يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن أبا الطيب لقب بالمتنبي؛ لبعض أبيات من شعره، ولتعاليه وتعاظمه، ففي الديوان قطعة جاء قبلها «وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد من تهوره فقال:

أَيَـا عَـبْـدَ الْإِلَـهِ مَـعَـاذَ إِنِّـي خَفِيٌّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مقامِي»

وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصاولة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه من المجد والسؤدد، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات التي حفلت بها الرواية السابقة.

ويقول الثعالبي: إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قومًا من رائشي نبله، على الحداثة في سنه، والغضاضة من عوده، وحين كاد يتم أمر دعوته، تأدَّى خبره إلى والي البلدة، ورفع إليه ما همَّ به من الخروج، فأمر بحبسه وتقييده.

وهذه رواية معقولة مقنعة مسايرة للمنطق والصدق، وقد روى الثعالبي بعد ذلك أنه «يُحكى أنه تنبأ في صباه، وفتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه.» وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ، وما لاكته الألسن من خرافة قصصية مشوقة.

وروى الخطيب عن التنوخي: «فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤هـ عند اجتيازه بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى المتنبي؛ لأني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا؟ فأجابني بجواب مغالط لي، وهو أن قال: هذا شيء كان في الحداثة.»

ويقول ابن جني في شرحه: «وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه وتكذبوا عليه، وقالوا له: قد انقاد له خلق كثير من العرب، وقد عزم على أخذ بلدك، حتى أوحشوه منه فاعتقله، وضيق عليه، فكتب إليه يمدحه.»

أما رأي ابن جني في تلقيبه بالمتنبي فهو قوله:

أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

وذلك رأيٌ نميل إلى الأخذ به. فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلعها:

أَيَا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الْخُدُودِ وقدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ

إن التهمة التي ألصقت بالمتنبي لم تكن ادعاءه النبوة، وإنما كانت دعوى أخرى تكشف عنها العقيدة، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها، وهي اتهامه «بالعدوان على العالمين» أي بالخروج على السلطان.

ويصح كذلك أن يكون سبب تسمية بالمتنبي ذلك البيت:

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبي، وفي أيامنا هذه من أمثال ذلك كثير في الصحف والمجلات، فإذا أطلق عليه هذا اللقب وذاع وسرى في الناس، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب، ويسندون فيها إليه ادعاء النبوَّة.

ونعود إلى سيرة المتنبي فنقول:

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، أو في السنة التي بعدها، ويؤخذ ذلك من أنه قال في قصيدته التي أرسلها من سجنه إلى الوالي يمدحه:

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخَرْشَنِيُّ كَشَاءٍ أَحَسَّ زَئِيرَ الْأُسُودِ

والخرشني هو: بدر الخرشني والي حلب من قبل الخليفة العباسي، وثابت في كتب التاريخ أن الأخشيد استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بعد أن تركها الخرشني إلى بغداد، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح الخرشني إلى بغداد، قبل استيلاء الأخشيد على حلب؛ فيكون سجنه في هذه السنة أو في التي تليها.

ولقد لبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة، وهو دائم الترحال غير مستقر على حال، يقصد الممدوحين، فيخيبون أمله، فتثور نفسه، وتتحكم كبرياؤه، ثم يعود فيكبت النفس الأبية، ويمسك كبرياءه بيده، وتلجئه الحاجة الملحة إلى معاودة المدح، وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلًا بأربع وأربعين قصيدة، ومنهم التنوخيون باللاذقية، وبدر بن عمار الأسدي نائب ابن رائق في طبرية، ومساور بن محمد الرومي والي حلب، وقد لزم التنوخيين وابن عمار زمنًا، وأكثر البلاد نصيبًا من مدائحه: منبج، وإنطاكية، واللاذقية، وطبرية، ومدح كذلك في طرابلس، وطرسوس، وجبل جرش ودمشق، والرملة.

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه، يُعرب فيها عن مطامعه ويفخر ويثور، وهي القصائد التي أبانت عن آماله وأوضحت عن أحلام نفسه الكبيرة.

ولم يُفِدْ أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر، على كثرة ما بالغ واحتفل. روى ياقوت في معجم الأدباء: أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق الطرسوسي بقصيدته:

هَذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسًا ثُمَّ انْثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا

وصله عليها بعشرة دراهم. فقيل له: إن شعره حسن. فقال: ما أدري أحسن هو أم قبيح، ولكن أزيده لقولك هذا عشرة دراهم، فكانت صلته عليها عشرين درهمًا، وروى الثعالبي: أن عليًّا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب دينارًا حينما مدحه بقصيدته:

بِأَبِي الشُّمُوس الْجَانِحَات غَوَارِبًا اللَّابِسَات مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبَا

فسميت القصيدة الدينارية، وروي كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة والخمسة من الدراهم، ولكن الذي لا ريب فيه، أن كبار الممدوحين أعطوه عطاء ضخمًا، يلائم شعره ومكانته.

ولقد كان المتنبي في عهده هذا، يبغي المجد والسؤدد، ويلهج بالملك، ويبني صروح الآمال الجسام. قال في صباه:

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى تَسَاوَى الْمُحَايِي عِنْدَهُ وَالْمُقَاتِلُ

وعند ما لامه معاذ اللاذقي على توعده قال:

أَيَا عَبْدَ الْإِلَـهِ مـعـاذَ إِنِّـي   خَفِيٌّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي

وكثير جدًّا من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل، وكان يرى الوسيلة إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب، وقد جاء ذلك في شعره في غير موضع، فإذا عاقته الأيام عن ذلك، وتوانى عن إدراك أحلامه العريضة، لام نفسه وأنَّبها تأنيبًا.

والذي يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر الآمال، وطلب المجد والسؤدد، في أول قصائده التي يمدح بها كما كان الشعراء يستفتحون قصائدهم بالنسيب، وقد جرى على ذلك في قصيدته التي مدح بها عليَّ بن إبراهيم التنوخي، والتي مطلعها:

أُحَادٍ أَمْ سُدَاسٍ فِي أُحَادٍ   لِلَيْلَتِنَا الْمَنُوطَةِ بِالتَّنَادِ

وكذلك في قصيدته التي مدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي، والتي مطلعها:

فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ   وَعُمْرٌ مِثْلَ مَا تَهَبُ اللِّئَامُ

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام، وقلة مبالاته بالناس أنه توعد بقتل الممدوحين أيضًا، وذلك في قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله الخصيبي.

وفي شعر المتنبي: أنه حارب في سبيل غايته، وعارك وقتل، ولا ندري متى حارب ومن قتل، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح.

ومن عجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والسلطان، الذي وسع صدره هذه الآمال الكبار، كان فقيرًا معسرًا لم ينل من حياته عيشًا رغدًا، يقول في إحدى قصائد صباه:

أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْـ   ـرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ
ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ   قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي

ويقول بعض القصيدة الدينارية:

أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا

ويقول الثعالبي: إن أبا الطيب كان يجشم نفسه أسفارًا أبعد من آماله، لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد، وكان من وفرة ما لاقى في سبيل غايته من مشقة، وشح ما لقي من مكافأة، وطول ما عانى ونصب، يكره الدنيا ومن فيها، ويخالها بناسها حربًا عليه، وليس يغيب عن الذِّهن ما قاله في تحقير الناس، من شعر ممعن في الذم، قال:

أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أُهَيْلَهُ فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ

إلى آخر الأبيات.

وليس يخفى أنه كان متعاليًا على الناس، شديد الاعتداد بنفسه، والإيمان بحقه على أهل زمانه، ونحسبه كان محقًّا في ذلك، وإلا لما حفل الناس به إلى يومنا هذا، ولما سعى إليه الممدوحون بدل أن يسعى إليهم. يقول في إحدى قصائد صباه:

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْب عَجِيب لَمْ يَجِدِ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ

إلى آخر ما هو من هذا القبيل.

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والمجد عبثًا، ولا كان عاجزًا يُمَنِّي نفسه بالقول دون الفعل، وإنما كان يسعى لآماله سعي المشيح المجدِّ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا، وأوغل في سني الرجولة الحكيمة، فتركزت آماله في عقله الباطن، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح، وقد استمر يُمنِّي النفس، ويبسط أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله؛ فآب صامتًا محتملًا يشكو لنفسه مطل الزمان، ولا يشكو لبني الإنسان، فهو يراهم دونه بكثير.

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام، منذ ألقى بها عصا التسيار، حتى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان، قد سار ذكره ونبه شأنه، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد، حتى رغب في مدائحه الأمراء والحاكمون،

فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طغج إلى الرملة ليمحدحه — وهو أخو الأخشيد كما قدمنا — ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان، فمهد له الوصول إلى سيف الدولة علي بن حمدان، الذي هيأ له السعادة والمجد، وأعانه على الدخول في زمرة الخالدين، وكان له على خطوب الأيام خير معين.

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طغج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة؛ إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها، فامتنع الشاعر عليه، فأقسم ألا يبرحه، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يجف، ثم ركب مع الرسول، فدخلا على ابن طغج فأنشده إياها، وهي:

أَنَا لَائِمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

وكان هذا أول شعر للمتنبي أجيز عليه إجازة كبيرة. جاء في الإيضاح: «أن المتنبي حدَّث بأنه أُعطي من أجلها ألف دينار، وقد أقام الشاعر مدةً عند ابن طغج، وفي الديوان غير هذه القصيدة: أرجوزة قصيرة، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة أكثرها بيتان، وقد قيلت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ، حين مر الشاعر بالرملة قاصدًا مصر وهما قوله:

تَرْكُ مَدْحِكَ كَالْهِجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ الْمَدِيحُ الْكَثِيرُ

و

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ»

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضًا أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي، وفي شرح المعري وشروح أخرى: أن ابن طغج سأل الشاعر مدح أبي القاسم مرات عدة، وألح عليه في ذلك كثيرًا فكان يمتنع، ثم سأله الأمير قصيدة في أبي القاسم بدل قصيدة كان يريدها لنفسه فرضي أبو الطيب، ولما ذهب الشاعر إلى أبي القاسم ومعه حاشية، وجده في فريق من أشراف قومه يجلس على سريره، وقد نزل لأبي الطيب عن سريره ولقيه بعيدًا، وأقبل عليه يحدثه ويؤنسه ويجلسه على سريره، ثم يجلس هو بين يديه، وقد كان

ذلك بدعًا في المديح حقًّا، فلم يسمع أحد قبل أبي الطيب أن شاعرًا جلس الممدوح بين يديد، وهذه القصيدة هي:

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهْوُ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرُدُّوا رُقَادِي فَهْوُ لَحْظُ الْحَبَائِبِ

ويجمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غُلِبَ العباسيون على أمرهم، وأصبح الخلفاء في أيدي القواد والأمراء، نشأت في قبائل العرب أربع دول: هي بنو حمدان بالموصل وحلب (٣١٧–٣٩٤هـ) وبنو مرداس، وبنو المسيب، وبنو مريد، وإنما يعنينا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني، وتنسب هذه العشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب، وهو ابن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد، يقول المتنبي:

وَحَمْدَانُ حَمْدُونٍ، وَحَمْدُونُ حَارِثٍ وَحَـارِثُ لُـقْمَـانٍ، وَلُـقْمَـانُ رَاشِـدِ

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠، وولي أمراؤهم ولايات كثيرة، وكان علي سيف الدولة الحمداني يملك واسطًا وما حولها، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام، واستولى على حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة كما تقدم، وكانت له وقائع مع الأخشيديين، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد، ثم غُلب عليهما، فاصطلح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق، وتزوج بنت الأخشيد، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون.

وفي تاريخه: أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب، فلما استقرَّ له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحمي ذمار ملكه، وأن يناضل عن بني دينه ولغته، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقة، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عامًا شوكة وخازة في جسم الروم، وسيفًا مشهرًا يذود عن العروبة والإسلام. لم تمضِ منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال، فقدر له النصر مرات عدَّة، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية، وقُدِّر له كذلك أن يلقى الهزائم المرَّة، وكان شر هزائمه واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلا، ونهبوا دار الأمير وخربوها.

على أن سيف الدولة — الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة — لم يقعده ذلك عن حرب الروم، فثأر منهم، وانتصر عليهم في السنة التالية.

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعًا في انتصاره وهزيمته معًا، ماضي العزيمة، عظيم البلاء، وقد توفي في حلب سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ودفن في ميافارقين.

وأضاف فتى الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرمًا وسماحة بالغة، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء، وقبلة آمالهم ومحط رحالهم، فيروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر وفحول الأدب والعلم.

وممن قصده من الشعراء — غير أبي الطيب — أبو فراس، وأبو العباس النامي، وعلي بن عبد الله الناشئ، والسري الرفَّاء، وكثيرون غيرهم، وبلغت مدائحه عشرات الألوف من الأبيات، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها في كتاب، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضًا منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه، وكان سخاؤه يشمل من بَعُد عنه، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع، ونقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد.

وبارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصدًا إنطاكية، مارًّا ببعلبك، وكان فيها عليُّ بن عسكر، فخلع عليه، وسأله أن يقيم عنده، فمدحه بأربعة أبيات، ورحل إلى إنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها:

أَتُـرَاهَـا لِـكَـثْـرَةِ الْـعُـشَّـاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى، وأنشأ في إنطاكية كذلك أرجوزة أولها:

مَا لِلْمُرُوجِ الْخُضْرِ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةُ الْعَوَائِقِ

وذلك عندما شهد الثلج يكسو أديم الأرض، ويغشى الربا والوهاد.

وأثناء إقامته في إنطاكية، أغار عليها بانس المؤنسى — قائد الأخشيديين — وفوجئ أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب، فقال المتنبي قصيدته:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ   فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

ثم رجع أبو العشائر إلى إنطاكية، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة، فلما سمع بقدومه خرج يقصده، فلما غدا بطرابلس أراده إسحاق بن كيغلغ على مدحه — وكان جاهلًا — وكان بعض الناس قد أغروه به، وقالوا: إنما يترك مدحك استصغارًا لك، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح أحدًا إلى مدة، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضي المدَّة، فهجاه أبو الطيب بقصيدة أملاها على من يثق به، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق، وأتبعه ابن كيغلغ خيلًا ورجلًا فأعجزهم، ثم ظهرت القصيدة، وقد أقذع فيها المتنبي وأفحش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة.

ولما بلغ الشاعر إنطاكية، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثماني قطع.

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى ممدوحه الكبير، وأن يمتزج تاريخهما على مر العصور والأيام، فقد كان أبو العشائر بن حمدان واليًا على إنطاكية من قبل سيف الدولة، فلما قدم الأمير إنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب، وأثنى عليه، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف، وألا يقبل الأرض بين يديه، فقبل سيف الدولة شروطه، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء جميعًا، ومما أوحت به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان، فقد تعوَّد أن يتخذ من ممدوحيه أصدقاء له وصحابًا، وكان سيف الدولة سمح النفس كريم الخلق، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقًا صدوقًا، وأن يكون هو له نعم الصاحب أيضًا، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بمآثره، ويخلد بطولته، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يجدر بدرره الغوالي وآياته الخالدات؛ بل إنه لشاعر المجد الذي يبغي مصاحبته شاعر اللفظ والبيان، قال المتنبي:

شَاعِرُ اللَّفْظِ خِدْنُهُ شَاعِرُ الْمَجْدِ   كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدِّقَاقِ

وقال:

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَـإِنَّـك مُـعْـطِـيـهِ وَإِنِّـيَ نَـاظِـمُ

وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثماني سنوات، نظم فيها اثني عشر وخمسمائة وألف بيت، في ثمانٍ وثلاثين قصيدة، وإحدى وثلاثين قطعة: منها أربع عشرة قصيدة في وصف وقائعه مع الروم، وأربع في وقائعه مع العرب، وخمس عشرة في المدح المجرد عن وصف الوقائع، وخمس في الرثاء، ومن القطع اثنتان في حوادث الروم، والباقي في مقاصد مختلفة، يضاف إلى كل هذا قصيدة:

ذِكْرُ الـصِّـبَـا وَمَـرَاتِـعِ الْآرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في ثلاثة وثلاثين بيتًا، وألحقها بمدائح سيف الدولة، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها في ذلك التاريخ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك مرتكنًا على أسباب وجيهة، يراها القارئ في كتابه عن المتنبي الذي اعتمدنا عليه في تلخيص هذه السيرة.

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين، وعزَّاه عن أخته بأخرى، وذلك بعد أن رجع إلى العراق.

وكان سيف الدولة يغدق على شاعره أيَّما إغداق، ويكرمه ويبالغ في العطف عليه وإكبار شأنه، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار، وكان يمنحه غير ذلك عطايا أخرى ومكافآت. قال المتنبي قطعته:

مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ وَلَوْ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه، وقال قطعته:

اخْتَرْتَ دَهْمَاءَتَيْنِ يَا مَطَرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخِيَرُ

حين خيَّره في فرسين، إحداهما دهماء والأخرى كميت، وقال قطعته:

فَعَلْتَ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ   خِلَعُ الْأَمِيرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ

في خلع أنفذها إليه، وقال قطعته:

أَيَا رَامِيًا يُصْمِي فُؤَادَ مَرَامِهِ   تُرَبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ

وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان، وجاء في الشروح ذكر لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما.

وينطق شعر المتنبي في سيف الدولة، بالغبطة والرضا، ويفيض بالشكر الأوفر، يقول:

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ   عَلَى طَرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ

وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكريم، وطاب له زمانه، فسكت عن حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلًا، وكان يصحبه في أغلب حروبه، فتمكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان.

ثم ... ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين، وأن يتم ما خطه في أم الكتاب ... وذلك بعد ثماني سنوات لبثها الشاعر في كنف الأمير كانت أولى قصائد مدحه فيها:

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ   بِأَنْ تَسْعَدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وهي:

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ   مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ

وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسد أكل قلوب شعراء سيف الدولة والمحيطين به غير أبي الطيب، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعًا بالشاعر المتعالي الذي لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهرًا طوالًا.

أجل: فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة، وكانت شمس المتنبي غالبة على شموسهم؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه، سيما وهو المتكبر المتعالي، الضارب في ذرى الأنفة والكبرياء، الفخور بشعره، والمتفرد وحده برضى الأمير وإيثاره، وذلك الشاعر الذي يقول:

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حبًّا أو وفاء أو إخلاصًا.

على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك، ويحسدون مكانته عند الأمير، وعظمته بين الناس. قال المتنبي:

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّدَا

ولا مراء في أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبي الطيب فبيتوا له المكائد وناصبوه العداء، يقول الشاعر العملاق:

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْت ضبْنِي شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ

ويقول غير ذلك كثيرًا بين يديك في صفحات الديوان.

هذا، وكان سيف الدولة مغرمًا بشعر أبي الطيب، يود أن يسمع كل يوم قصيدة له في مدحه، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد في كل سنة أو خمسًا غير القطع، فكان الأمير يغضب عليه. فنحن نرى في الديوان قصيدة قيلت في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة، وبين التاريخين زهاء خمسة أشهر، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر في اثنتين عن تأخير مدحه.

وجاء في الصبح المنبي: أن أبا فراس قال للأمير: «إن هذا المتشدق كثير الإدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد، ويمكن أن تغدق مائتي دينار على عشرين شاعرًا يأتون بما هو خير من شعره.»

وفي شرح ابن جني: «وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه، وأكثر أذاه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، فلا يجيب أبو الطيب أحدًا عن شيء، فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ... إلخ.»

وقويت النفرة بين الرجلين، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة:

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ　　وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ أَلَمُ

وقد اضطرب المجلس عند إنشاد هذه القصيدة، وثارت حاشية الأمير مطالبة بدمه، فرخص الأمير في ذلك، حتى كاد الشاعر يهلك. يقول الشاعر في السامري — وهو أحد كتاب الأمير، وكان قد طالب بدمه:

أَسَامِرِيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءِ　　فَطَنْتَ وَكُنْتَ أَغْبَى الْأَغْبِيَاءِ

إلى آخر الأبيات.

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيرًا من رجال سيف الدولة: وقد أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئًا، وأرسل أبو العشائر جماعة من غلمانه وقفت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى، وفي ذلك يقول:

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِي إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ　　وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَنِيفُ

ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفيًا فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير، فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء، وكتب الشاعر الأبيات:

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا　　فداهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا

ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يومًا، ودخل على الأمير؛ فخلع عليه، ورحب به، وسأله عن حاله، فقال: رأيت الموت عندك أحب من الحياة عند غيرك؛ فقال: بل يطيل الله بقاءك؛ ثم ركب الشاعر، وأتبعه الأمير هدايا؛ فقال القصيدة:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ　　دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك، فقد أشار إليه في القصيدة:

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذِي الرَّسَائِلُ　　　يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

وتبرم في قصيدته:

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ　　　وَأَعْجَبُ مِن ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور، وفي قصائده التي مدحه بها تعريض بسيف الدولة والحمدانيين، يراه القارئ واضحًا في الديوان؛ من ذلك قوله لكافور:

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى　　　وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا

على أنه لم يشأ أن يخفي ذلك عن سيف الدولة نفسه، فقد صارحه به في القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته، وذلك بعد أن مدحه بقصيدتين، وهي:

فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ　　　فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبْ

من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة، ولو أنه من المعقول أيضًا أن تكون آماله الواسعة في السلطان هي التي حملته إلى مصر، يبغي ما عز عليه في رحاب بني حمدان، ويقول ابن جني: إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته:

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ　　　مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ

كانت وداعًا … ويا له من وداع.

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبي بعد مبارحته إياه ستكون مصر، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له، وكان أبو الطيب يبيِّتُ في نفسه أمرًا: أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة، وأن ينشد بابًا آخر غير بابه. جاء في شرح المعرِّي: «فأجمع رأيه على الرحيل من حلب، فلم يجد بلدًا يأوي إليه أولى من دمشق؛ لأن حمص من عمل سيف الدولة.» وقال في الصبح المنبي ما يقارب ذلك، وواضح من

هذا أن المتنبي لم يرضَ أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له، وقد يكون المتنبي أوجس خيفة من بطش الأمير، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بغدره — بعد — في إحدى الكافوريات.

وسار المتنبي من حلب إلى دمشق، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي، وقد لبث الشاعر في دمشق مدة، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متلكئًا لا يريد الذهاب إلى كافور، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب، وهم بذلك يضعون مقدمة للهجاء المر الذي هجا به الشاعر كافورًا بعد أن مدحه خير مديح … ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصدًا أبا المسك كافورًا دون غيره، ولذلك يروى أن والي كافور على دمشق أراده على مدحه — لما كان نازلًا ببلده — فلم يرض ذلك، وثابت أن أبا الطيب — لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر، ولقي فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طغج — لم يقل فيه مدحًا، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما، وهما:

تَرْكُ مَدْحِكَ كَالْهِجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ الْمَدِيحُ الْكَثِيرُ

(و)

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ

وكان قد مدحه من قبل، ويغلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحدًا قبل كافور وهو في طريقه إليه، وأنه كان سائرًا إلى هناك عن عمد، ونية مبيتة وأمر محزوم.

فأما كافور الأخشيدي هذا، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لمحة خاطفة، وهو تاريخ لا نخال القارئ إلا عالمًا به.

هو مولى أسود كان لمحمد بن طغج الأخشيد، ومحمد بن طغج كان واليًا من قبل المقتدر بالله العباسي على دمشق سنة ثماني عشرة وثلاثمائة، ثم ضم إليه الراضي بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ولقبه بعد ذلك «الأخشيد» واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين.

ويقول صاحب النجوم الزهراء: إن الأخشيد اشترى كافورًا بثمانية عشر دينارًا من بعض رؤساء مصر، وأعتقه، ثم رقَّاه حتى جعله من كبار القواد؛ لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير، ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدية حارب ابن رائق، ثم سيف الدولة في الشام، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد.

وعندما توفي الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر، وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة، ولكنَّ كافورًا — وكان الحاكم الفعلي — سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب، ثم اصطلحا، فأخذ سيف الدولة حلب، وأخذ أنوجور دمشق، وتوفي أنوجور سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد، ونجح في ذلك؛ إذ نال من الخليفة المطيع لله تولية لعلي بن الأخشيد مكان أخيه، على أن علي بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وبقيت مصر أيامًا بغير أمير — وكان أمرها في يد كافور — فاتفق أعيانها على تأميره، فأصبح بذلك هو السلطان — اسمًا وفعلًا — حتى توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسمًا من الشام اثنتين وعشرين سنة.

وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة، شجاعًا حكيمًا، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معًا، ويقال: إنه هو الذي أخر غزو جيوش المعز لمصر حتى مات، فخلَّى لها السبيل، وإن حزمَه وكياسته جعلت منه سياسيًّا قديرًا، وداهية خطيرًا، وكان له — إلى هذا — بصر بالعربية والأدب، وكان محبًّا للعلماء والأدباء، يقرب الشعراء ويجزيهم، وكان دينًا متواضعًا، سخيًّا كثير الهبات والخلع والعطايا والصدقات.

ولا بأس من أن نقول: إن كافورًا الذي عرفه التاريخ السياسي، غير كافور الذي عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب؛ فمن هؤلاء من صوره في أقبح الصور، متأثرًا بما لطخه به أبو الطيب من صفات أودعها كل نقمة وبغضاء؛ فمن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته، ولا ننكر عليه مكانته وفطنته وكفايته؛ لنسير في سيرة شاعرنا — بعد ذلك — سير المحايد غير المحابي أو المتجني.

وقدم أبو الطيب مصر في جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلاثمائة، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة، حتى بارحها في ذي الحجة سنة خمسين وثلاثمائة، وقد مدح كافورًا حين قدم عليه بقصيدته:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا   وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وختم مدائحه بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئًا، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلاث سنين مدح

فيها المتنبي كافورًا بتسع قصائد وقطعتين، فيها كلها سبعون وثلاثمائة بيت، وهو ربع ما مدح به سيف الدولة.

وكانت بغية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك، أن يقطعه ضيعة أو إمارة، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء، ولكن رجاءه خاب، وأمله تبخر وطواه الهواء — وسيبين كل ذلك بعد — وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور، أنه لم يكن كارهًا لمدحه، ولا مسوقًا إليه عن رهبة أو مثلها، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به، وهو سيف الدولة، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور، وقد رضي الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وابتغاء معونته، ولن ننسى أن نقول إن كافورًا عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له دارًا، وكفله، وأضافه، وخلع عليه، وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بني حمدان في مواضع مختلفة، وأطنب في مدح أبي المسك، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها، يقول:

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا
وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعُ مَلِكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا

وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنئ بها كافورًا بدار بناها، وهي التي أولها:

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يُدْنَى مِنَ الْبُعَدَاءِ
وَأَنَا مِنْكَ لَا يُهَنِّئُ عُضْوٌ بِالْمَسَرَّاتِ سائِرَ الْأَعْضَاءِ

وتلك كانت طريقة المتنبي في المدح، لا يغفل نفسه والإشادة بها، وإشراكها مع الممدوح فيما يغدق عليه من صفات طيبات.

وفي هذه القصيدة يقول الشاعر:

وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

ويقول المعري: «ولما أَنشده أبو الطيب حلف ليبلغه جميع ما في نفسه، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف.»

ثم بعد شهرين، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته:

مِنَ الْجَآذِرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِيبِ حُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ

وفيها يقول أيضًا:

إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدَّوْلَاتِ رَاحَتُهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ

ثم أنشد الشاعر كافورًا في عيد الأضحى قصيدته الرابعة:

أَوَدُّ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْيِ جُنْدُهُ

وفيها بيَّن الشاعر عن آلام نفسه؛ لأنه قصر عما يبتغيه، وبدأ بالشكوى الخفية والبيِّنة من مطل أبي المسك، ولا ريب أن كافورًا كان قد وعد الشاعر فعلًا بولاية، فهو هنا يستنجزه وعده، ويسأله أن يجربه فيقول:

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ نَظِيرُ فِعَالِ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة، وكان فرس المتنبي قد جرح فحزن عليه، فتبين كافور ذلك وأرسل له فرسًا أدهم، وأول القصيدة:

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ

وفي هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة، وذكر الحمدانيين بالخير، كأنما ضاق بكافور ووعده، وفي آخرها يقول:

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتَظَارَكَ فَاعْلَمِ

ثم قال الشاعر بعد ذلك قصيدة حكمية مدح فيها كافورًا، وذلك إثر شقاق كان بين أبي المسك وبين الأمير أنوجور انتهى بالصلح.

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير في طريق واحدة أو تستقر على وتيرة، فها هو يمل انتظار بغيته، ويطفح الكيل فلا يستطيع اصطبارًا، وها هو يقول — بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستمائة دينار ذهبًا عسى أن تلهيه عن رجائه — قصيدته:

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة؛ أي بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين، وفي هذه القصيدة — كما يبين من الديوان — يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافورًا، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بني حمدان، ثم يختمها بمدح كافور؛ لعلمه بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها.

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرًا واضحًا، فقد سكت الشاعر عن المديح، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وانٍ ولا متمهلٍ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده، وذلك أن كافورًا كان قد ولَّى شبيبًا العقيلي الخارجي عمان والبلقاء وما يليها، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة، وفي غمرة من الهرج والمرج ألفى شبيب ميتًا، فارتاع جيشه، وهرب جنده وتفرقوا، ولم يعرف الناس كيف مات، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره؛ فقال قصيدته التي مطلعها:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة، وإنك لواجد — من قراءة القصيدة — أن الشاعر الذي سكت عن مدح أبي المسك ثمانية أشهر، ثم لقيه في هذه القصيدة، لم يكن مادحًا، وإنما كان كمن يقصد الهجاء، وكأنما أراد أن يؤبِّن القتيل ويرثيه بدل أن يغتبط لمقتله.

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبي المسك سنة وأربعة أشهر، وأصابته في أثناء ذلك حُمَّى فقال قصيدته:

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ

وقد عرض فيها بكافور، وبخله، ومنعه عن الرحيل عن مصر، وأعجب بها أهل مصر برغم أنها ساءت كافورًا لما بلغته.

وفي أثناء ذلك أيضًا اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالمجنون، وقد كان روميًّا، وأسر وربِّي في فلسطين، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه صاحبه، فكان معه في عدة المماليك، كريم النفس، حر الطبع، بعيد الهمة، ويقول المعري: إنه كان في أيام كافور مقيمًا بالفيوم، أنفة من الأسود، وحياء من الناس أن يركب معه، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها، وأن أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكًا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام، وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهبًا، ثم أتبعها هدايا بعدها، ويقول ابن خلكان: إن الفيوم كان إقطاعًا لفاتك، وإن أبا الطيب كان يسمع بكرمه وشجاعته، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور، ثم استأذن كافورًا في مدحه فأذن له، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك والأستاذ كافور.

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتك — مع ما بينه وبين كافور من المنافسة — إلا ليأسه من أبي المسك، وقد مدح أبو الطيب فاتكًا في جمادى الثانية سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة بقصيدته:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

وفي هذه القصيدة تعريض بكافور.

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهرًا كاملة، وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها، وبعد أن تعرض لكافور في مدح فاتك، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة عن إرادته، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحيا في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب، وأما القصيدة فهي:

مُنًى كُنْ لِي إِنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله، وعن وعد كافور له في غالب أبياتها، ويمدحه فيها باثني عشر بيتًا.

ثم بقي أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنةً وشهرين دون أن يمدح كافورًا فما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق؛ لئلا يوحشه، وكان الشاعر ضيف

كافور مدة مقامه في مصر، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه.

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور، أنه لم يكن يبغي منه مالًا فحسب، بالغًا ما بلغت قيمة ذلك المال، وإنما كان يبغي ضيعة أو ولاية كما تقدم، يقول:

إِذَا لَمْ تَنُطْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلِبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه، ألوفًا مؤلفة، ونحسب أن كافورًا لم يدر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد، وإن كان يعده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة، وقال بعض الشراح: إنه قال لأبي الطيب: «أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمتْ نفسُك إلى النبوة، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقك؟» ولا نخاله قال ذلك، وإن كان من السهل أن يفكر فيه، ويقول بعض الشراح أيضًا: إن كافورًا كان ينوي إقطاعه ما يريد، وقد حلف له بذلك، ولكن أمورًا بدرت من الشاعر لم تلقَ رضاه، منها: أنه ذكر سواده في قصائده، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة، ولا نظن ذلك سببًا معقولًا، فقد ذكر الشاعر سواد الممدوح في مواضع طرب لها كافور واهتز لها، وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه، فلو أدرك منه امتعاضًا من هذا؛ لما كرره في قصائده بعد ذلك.

وليس بعيدًا أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه، ومداومته على التذكير بالوعد في لغة يصح أن تسمى توبيخًا وتأنيبًا، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته، ثم إن تمادي الشاعر في أشباه ذلك، ورثائه لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها، وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى، ومدحه لفاتك، كل أولئك كان سببًا في أن يخيب أمل الشاعر في بغيته، وأن يجعل بينه وبينها سدًّا، وكانت صراحة المتنبي وعلو نفسه، يأبيان له إلا أن يقول ما يجول بخاطره، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال، داخلًا في نطاق التوبيخ، لا الاستعطاف والطلب الذليل.

ومما كان له أثر بين في خيبة الشاعر في أمله في كافور، أنه لم يشأ أن يمدح الوزير ابن الفرات، كما مدحه شعراء آخرون؛ ليكون له عونًا يساعده على بلوغ غايته ومبتغاه، وكان الوزير ابن الفرات هذا، وزيرًا خطيرًا من أسرة وزراء، ومحدثًا أديبًا ميالًا لأهل العلم والأدب.

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر، يود الرحيل ويبغي الفكاك من ذلك النطاق المضروب، فلقد طالما ردد ذلك في قصائده، ولقد طالما تبرم بمطل كافور وضاق به ذرعًا ... ولكن كافورًا كان يمسكه عن الرحيل، ويضع حوله العيون.

وليس خافيًا أن كافورًا — لما نزل الشاعر بمصر — أنزله دارًا، وأغدق عليه من ماله وأغرقه في عطائه، وقد حسب أن ذلك يكفيه، فلما طالبه الشاعر بولاية أو ضيعة، وعده إجابة طلبه، ثم خاف كافور الشاعر، حين أدرك علو نفسه، ولمس بُعد أمانيه، وعلم ما حفل به ماضيه من حبس وادِّعاء النبوة ... وما إلى ذلك، وقد أدرك القارئ أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد، ويندد بالمماطلة، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور — بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة — سنة وشهرين، وأنه ذكر الرحيل في شعره مرات عِدَّة، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفلته، ابتغاء مدحه من ناحية، واتقاء هجوه من أخرى ... بل إنه لمن الثابت أن كافورًا منعه عن الرحيل منعًا، ففي هجاء الشاعر له من بَعْد ما ينطق بذلك في صراحة وبيان، وجاء في شرح المعري وشروح أخرى: أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه في المسير إلى الرملة؛ ليتنجز مالًا بها، وأراد أن يعرف رأيه في مسيره؛ فأجابه: لا، والله، أطال الله بقاءك، لا نكلفك المسير، ولكن ننفذ رسولًا يأتيك به، فلما قرأ الجواب قال أبياته التي أولها:

أَتَحْلِفُ لَا تُكَلِّفُنِي مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالَا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذي لقيه بمصر، ولم يطق بعده اصطبارًا، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبي شجاع فاتك، الذي اتخذه صديقًا مؤنسًا طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور، وكانت وفاة فاتك في شوال سنة خمسين وثلاثمائة، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبِّر لرحيله، جاء في شرح المعري وشروح أخرى: «وقد أعد كل ما يحتاج إليه على مر الأيام في لطف ورفق، ولا يعلم به أحد من غلمانه، وهو يظهر الرغبة في المقام، وطال عليهم التحفظ، فخرج ودفن الرماح في الرمل، وحمل الماء على الإبل في الليل من النيل لعشر ليال، وتزود لعشرين.»

وفي ليلة عيد الأضحى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التي مطلعها:

عِيدُ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ   بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ

وقد هجا فيها كافورًا هجاء مرًّا، وعرض بإمساكه إياه عن الرحيل.

وقد انتهز أبو الطيب غفلة كافور، وانشغاله بالعيد، وبما يصحب العيد من سنن، وهمَّ بأخذ طريقه التي بَيَّت سلوكها، ولما اجتاز أبو الطيب بلبيس نزل على عبد العزيز بن يوسف القيسي فأضافه وأكرمه وسيره، وقد كتب إليه الشاعر أبياته التي أولها:

جَزَى عَرَبًا أَمْسَتْ بِبُلْبَيْسَ رَبُّهَا   بِمَسْعَاتِهَا تَقْرِرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا

وكان الشاعر يعرف عبد العزيز من قبل، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها:

لَئِنْ مَرَّ بِالْفسْطَاطِ عَيْشِي فَقَدْ حَلَا   بِعَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَاجِدِ الطَّرْفَيْنِ

ولا ريب في أن كافورًا ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد، ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله، وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف يلاحق بعضه بعضًا، ويقول بعض الرواة: إن كافورًا أتبع الشاعر بالخيل والرجل، وكتب إلى عماله؛ ليسدوا عليه الطرق.

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجة الطير حتى خرج إلى مساء يعرف بنحل بعد أيام، فلقي عنده في الليل ركبًا وخيلًا صادرة عن كافور فأخذهم وتركهم، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبني سيلم على قلوصين، فركب الخيل وطردهما حتى أخذهما، فذكرا له أن أهلهما أرسلوهما رائدين، فلما أمنهما استبقاهما ورد عليهما متاعهما، وسار معهما حتى توسط بيوت بني سليم آخر الليل، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له، ثم غدا فسار إلى النقع فنزل ببادية من معن وسُنْبُس، وهناك أكرمه عَفيف المعنَّى وذبح له. ثم غدا من عنده فسار يومه وبعض ليلته، وعند الصباح دخل حِسْمى، وهي أرض طيبة خصبة، وبها جبال شاهقة.

وكان بنو فزارة شاتين بها، فنزل الشاعر بقوم من عدي فزارة، وطاب له المقام فلبث شهرًا. ثم ظهر له فساد عبيده — وكان كافور قد كتب لمن حوله من العرب ووعدهم — فأنفذ رسولًا إلى فتى بني فزارة ثم من بني مازن، وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار. ثم سار إليه في الليل، والقوم لا يعلمون رحيله، ولا يشكون أنه يريد البياض فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس الصوان فتوقف، وأنفذ رسولًا إلى عرب بين يديه، وأراد أحد عبيده أن يخونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف، وأمر الغلمان فقطعوه، وفي ذلك العبد قال أبو الطيب:

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافًا ... ... إلــــخ

ويقول ارتجالًا في هجاء وردان:

إِنْ تَكُ طَيِّءٌ كَانَتْ لِئَامًا فَأَلْأَمُهُمْ رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ

إلى آخر الأبيات.

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها، فسار على بركة الله إلى دومة الجندل، وذلك لإشفاقه من أن تكون عليه عيون بحَسْمَى تعلم أنه يريد البياض، وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث ليال، ولما توسط الشاعر بسيطة — وهي أرض بقرب الكوفة — رأى بعض عبيده ثورًا، فقال: هذه منارة الجامع، ونظر آخر إلى نعامة، فقال: هذه نخلة، فضحك أبو الطيب وقال:

بَسِيطَةُ مَهْلًا سَقَيْتِ الْقِطَارَا تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى

إلى آخر الأبيات.

وورد العقدة بعد ليال، واجتاز ببني جعفر بن كلاب وهو بالبرية فبات فيهم، ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة، فقد سار «على الحلل والأحياء والمفاوز المجاهيل والمناهل الأواجن» كما يقول صاحب الإيضاح، وهو بذلك يؤيد ما ادَّعى في شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار.

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها:

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبى

وقد عدد فيها المواضع التي مر بها في سيره، وفخر، وهجا كافورًا ... وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر، وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومسقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة.

ولم يستطع الشاعر — وقد بارح الديار المصرية — أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك، ولا أن يحرر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نقمة على كافور وكراهة وبغضاء، وقد رثى فاتكًا في ثلاث قصائد. أنشأ أُولاها بعد خروجه من مصر، وأولها:

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

وأنشأ ثانيتها في الكوفة، وقد أخرج تفاحة من الند عليها اسم فاتك، وأولها:

يُذَكِّرُنِي فَاتِكًا حِلْمُهُ وَشَيْءٌ مِنَ النِّدِّ فِيهِ اسْمُهُ

وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، بعد خروجه من بغداد، وأولها:

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَاري النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمِ

وشاء الشاعر أن يهجو كافورًا أقذع الهجاء، وأن يطلق من صدره جذوة مشتعلة من النقمة البالغة، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغي، ولأنه وعده فأخلفه، ولأنه حبسه عن الرحيل، ولأنه — في كل ذلك — أهَّله لشماتة الأعداء والحاسدين.

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد — تضمنت أغراضًا أخرى — هجاء كافور وهي قصيدة العيد التي تقدم ذكرها، والقصيدة التي وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة، والقصيدة العينية التي رثى بها فاتكًا، وقد تقدم ذكرهما أيضًا. ثم ضمن هجاءه كذلك، القطعة التي رثى بها فاتكًا حين أذكرته به تفاحة الند.

وخصص الشاعر غير ذلك — لهجاء كافور — ست قطع فيها أربع وأربعون بيتًا. منها القطعة التي أولها:

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا

ومنها القطعة التي أولها:

أَنوكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ مَنْ سَلَّطَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ

ومنها القطعة التي أولها:

وَأَسْوَدَ أَمَّا الْقَلْبُ مِنْهُ فَضَيِّق نَخِيبٌ وَأَمَّا بَطْنُهُ فَرَحِيبُ

وقد نظمت في شوال سنة خمسين وثلاثمائة.
ومنها القطعة التي أولها:

لَوْ كَانَ ذَا الآكِلُ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا

وقد نظمت حينما همَّ بالرحيل عن مصر.

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب في أيدي بني بويه، وقد نشأت دولة بني بويه هذه في أوائل القرن الرابع الهجري، فتعاون الإخوة الثلاثة: علي والحسن وأحمد على التسلط في فارس والعراق، واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ فمنحهم الخليفة المستكفي بالله الولاية على ما بأيديهم، ولقب عليًّا عماد الدولة، والحسن ركن الدولة، وأحمد معز الدولة. وبقي ملك بني بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة.

ولم يكد معز الدولة يمكث في العراق أسابيع، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه، وولى مكانه الخليفة المطيع، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين، وكان ذلك إيذانًا بالخراب والدمار، وانتشار الظلم والطغيان، والفوضى الآخذة بالعنان.

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عامًا من استيلاء معز الدولة عليها، وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مرارًا فرارًا من القرامطة والأعراب، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها، وشارك هو في الحرب والدفاع عنها.

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلبي، وكان أديبًا شاعرًا اجتمع حوله أدباء، منهم القاضي التنوخي، وأبو الفرج الأصفهاني، وشعراء منهم السري الرفَّاء، وكان جوادًا مسرفًا كَلِفًا باللهو والمجون.

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين — وكانت إقامته بالكوفة — وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد. ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس، ولا ندري ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر، ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجا ضبة بن يزيد العيني، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح، يغدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب، وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له، وسارت خيلهم إلى هذا العبد، واستركبوه فلزمه السير معهم، فدخل العبد الحصن، وأخذ يشتمهم أيامًا من وراء الحصن أقبح شتم، ويسمي أبا الطيب ويشتمه، وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة، وعلم أنه لو سبه لهم معرضًا لم يفهم، ولم يعمل فيه عمل التصريح؛ فخاطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال … إلخ.

وفي هذه القصيدة أقذع المتنبي غاية الإقذاع، وفاض حقده فغمر القصيدة وأفعمها.

وجاء في شرح ابن جني: أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة، وقال الواحدي مثل ذلك.

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل، ومدح قائد الجيش الذي قدم من بغداد؛ لصد غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة، وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة، فنزل القائد وأنفذ إلى أبي الطيب ثيابًا نفيسة من ديباج وخزٍّ، فأنشده هذه القصيدة في الميدان وهما على فرسيهما، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين، وأول القصيدة:

كَدَعْوَاكَ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ

وخرج أبو الطيب من الكوفة — قبل أن يبرحها إلى فارس — في شعبان سنة اثنتين وخمسين، قاصدًا بغداد، وفيها لقي الوزير المهلبي، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان، أو قبل ذلك بقليل، وقد نزل فيها بدار علي بن حمزة البصري اللغوي الذي روى ديوانه، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها، ولم يطل فيها مقامه.

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبي.

وقد زار أبو الطيب المهلبي، وجلس معه مرتين، ولكنه لم يمدحه، ولا هو مدح معز الدولة، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبي، وأن يتخذه سبيلًا إلى معز الدولة، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه في السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه، وقد أغرى المهلبي بالمتنبي شاعرًا ماجنًا هو ابن حجاج فعلق بلجام دابته وقد تكأكأ الناس عليه، وأخذ ينشده:

يَا شَيْخَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِينَا وَمَنْ يَلْزَمُ أَهْلَ الْعِلْمِ تَوْقِيرُهُ

فلم يحفل به المتنبي، وانصرف إلى منزله.

وقد كان الوزير المهلبي راغبًا في مدح أبي الطيب، مغيظًا مُحْنَقًا من إغفاله إياه، وقد روي أنه أحضر علي بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي، فقال المتنبي: «ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال.»

ولما كان الوزير المهلبي وسيلة الشاعر إلى معز الدولة، فإن الشاعر لم يجد إلى معز الدولة من سبيل، ولم يمدحه تبعًا لذلك.

ولم يشأ المهلبي أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه، فأغرى به جماعة من شعراء بغداد، حتى نالوا من عرضه، وتباروا في هجائه، ومنهم ابن الحجاج، وابن سكرة الهاشمي، والحاتمي. فلم يجبهم المتنبي ولا حفل بهم، وقيل له في ذلك، فقال: إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء:

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غُرُّوا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالَا

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

وقولي:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ

إلى آخر الأبيات.

وقولي:

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبي ما حكاه الحاتمي من مناظرته لأبي الطيب ببغداد، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه، وبالغ في دعواه إرضاء للمهلبي، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا: إنه كان مبغضًا لأهل العلم، وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد، قرئ عليه ديوانه وسمعه جماعة، منهم علي بن حمزة البصري، وابن جني، والقاضي أبو الحسن المحاملي.

وشاء الله أن يعاود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي الجليل سيف الدولة بن حمدان، فإنه لما سمع سيف الدولة بخروج أبي الطيب من مصر مراغمًا كافورًا، وبلوغه الكوفة، كاتبه معرضًا برجوعه إلى حلب، ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة. فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخمسين بقصيدته التي مطلعها:

مَا لَنَا كُلِّنَا جَوٌّ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتْبُولُ

وفيها يبين حزن الشاعر، ومعاودته مدح الأمير الهمام، وقد قالها لما بلغه خروج سيف الدولة — وهو مريض — للقاء الروم، ورجوعهم عن غزو طرسوس.

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين، وورد العراق خبرها، فقال الشاعر في شعبان قصيدته:

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة، فأرسل إلى الشاعر هدية ومالًا وأمانًا بخطه وكتابًا يستدعيه، فكتب أبو الطيب في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين قصيدته التي مطلعها:

فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ　　　فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبْ

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بغداد، في طريقه إلى فارس قاصدًا ابن العميد، وقد بارح بغداد للمرة الثانية في صفر سنة أربع وخمسين، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى بسنة وخمسة أشهر، وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي، وبلغ أَرَّجان في الشهر نفسه. فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن؛ فضرب بيده على صدره، وقال: تركت ملوك الأرض يتعبدون بي، وقصدت ربَّ هذه المدَرَة فما يكون منه؟ ثم وقف بظاهر المدينة، وأرسل غلامًا على راحلته إلى ابن العميد، ودخل عليه، وقال: مولاي أبو الطيب خارج البلد، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله. فركب واستركب من لقيه في الطريق، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد، فدخل على أبي الفضل بن العميد فقام له، وطُرح له كرسيٌّ عليه وسادة ديباج، وقال أبو الفضل: كنت مشتاقًا إليك يا أبا الطيب.

وقد أفرد أبو الفضل له دارًا نزلها، وكان يغشى أبا الفضل كل يوم ويؤاكله، وابن العميد هذا — كما لا يخفى — هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد، وزير عضد الدولة، وقد كان أبو الفضل ناقمًا على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه، وكان يريد أن يخمل ذكره، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يومًا قبل دخول المتنبي فوجده واجمًا — وكانت أخته قد ماتت — فظنه واجدًا لأجلها، فسأله الخبر، فقال: إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمل ذكره، وقد ورد عليَّ نيف وستون كتابًا في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله:

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ　　　فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا　　　شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يُشْرَقُ بِي

ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه، ولكن الذي لا ريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه، فذلك كان أملًا من آماله، وأمنية من أمنياته المعسولات.

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه، ويتعجب من حفظه، وغزارة علمه، ومدحه الشاعر بثلاث قصائد، كانت أولاها القصيدة التي مطلعها:

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاكَ مَا لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

وكانت ثانيتها القصيدة التي مدحه بها في النوروز، وهي التي أولها:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ وَوَرَتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهُ

وفيها يتواضع الشاعر ويتحذر، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديبًا كبيرًا متميزًا على غيره من الممدوحين:

وبعد هذه القصيدة — وقبل القصيدة الثالثة — قطعتان قال الشاعر إحداهما حين ورد، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد، وأولها:

بِكُتُبِ الْأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدْ

وثانيتهما قالها يصف مجمرة رآها عند ابن العميد، وأولها:

أَحَبُّ امْرِئٍ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَعْطِسُ

ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد، وهي التي مطلعها:

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ

وما كاد المتنبي — بعد قصيدة الوداع — يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبي، فأنبأه ابن العميد به فقال: ما لي وللديلم؟ فقال أبو الفضل: عضد الدولة أفضل مني، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به، فأجاب: بأني ملقى من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد، وأملكهم شيئًا يبقى ببقاء النيرين، ويعطونني عرضًا فانيًا، ولي ضجرات واختيارات فيعوقونني عن مرادي

فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه. فكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام والظعن.

وكان عضد الدولة بصيرًا بالأدب، له شعر جيد، وكانت دولة بني بويه عامة دولة للأدب العربي، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبي.

وسار المتنبي من أرَّجان، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخي صاحب كتاب حدائق الآداب، ثم دخل البلد فأنزل دارًا مفروشة، ولما نفض غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فتوسط الدار وانتهى إلى قرب السرير فقبل الأرض واستولى قائمًا، وقال: شكرت مطية حملتني إليك، وأملًا وقف بي عليك.

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة، وأولى هذه القصائد هي:

أَوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا

وهي التي يعزي بها عضد الدولة في وفاة عمته، وكانت قد توفيت ببغداد، وثانية القصائد هي التي أولها:

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

وفيها يحن الشاعر إلى العربية التي افتقدها في فارس فما وجد لها أثرًا.

ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة، قدرت بأكثر من مائتي ألف درهم، ولما استأذنه في المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير، وقد ظهر أثر ذلك في شعر المتنبي.

وأقام أبو الطيب في شيراز زهاء ثلاثة أشهر، وقرئ عليه ديوانه، ثم أنشد قصيدة الوداع في شعبان سنة أربع وخمسين، وفيها يطنب في شكر الأمير، ويرغب في الرجوع إليه، ويحن إلى أهله، ثم يتوقع أن شرًّا سيصيبه في طريقه، وهي القصيدة التي أولها:

فِدًى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا فَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فَدَاكَا

وكان خروج أبي الطيب من شيراز، في الثامن من شعبان، قاصدًا بغداد فالكوفة، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلمانه حتى بلغ الأهواز، فقطع بذلك واحدًا وخمسين

فرسخًا، ثم سار خمسين فرسخًا أخرى حتى بلغ واسط ونزل بها، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخًا، كان على الشاعر أن يجتازها قبل أن يصل مدينة السلام، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب: النعمانية، ودير العاقول، والصافية؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة، وإلى الجنوب الشرقي من «دير العاقول» وعلى مقربة منه دير قُنَّى أو «قنة» وهو يبعد عن الشاطئ قليلًا، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخًا، وأمام دير العاقول «الصافية» وهي على فرسخين جنوب شرقي دير العاقول.

وسار أبو الطيب من واسط قاصدًا بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان، وفي ذلك اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصري — على روايته — القصيدتين الأخيرتين في شعره.

وبلغ جبَّل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخًا، فنزل عند أبي نصر الجبَّلي، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية، ثم سار فمر بجرجرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقي من دير العاقول، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخًا، وهنالك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدي خال ضبة بن يزيد الذي هجاه أبو الطيب، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارسًا رامحين وناشبين، ولا ريب أنه كان يتربص لأبي الطيب؛ لينتقم لابن أخته ضبة، وليستولي على ما يحمله معه من ثروة، فقد روي أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج.

وكان مع أبي الطيب ابنه محسد وغلمانه، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمية، وفي قصيدة توديع ابن العميد، ولا شك أن غلمانه هؤلاء كانوا أقل عددًا من عدوهم.

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل، وقتل ابنه، ويقول صاحب الإيضاح: إنهم «قتلوا كل من معه» وإن كان ذلك يبدو بعيدًا، ويروى أن أبا النصر قال: «ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه، وذهبت دماؤهم هدرًا.»

ومن المرجح أن اليوم الذي أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة هجرية.

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه، أبو الفتح عثمان بن جني بقصيدة أولها:

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتْ نُضْرَةُ الْأَدَبِ وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رِيٍّ دَوْحَةُ الْكُتُبِ[٢]

ورثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بأربعة أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة، وأولها:

لَا رَعَى اللهُ سرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسَانِ

ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني، وحرض عضد الدولة على عقاب من قتلوه بقصيدة أولها:

الدَّهْرُ أَخْبَثُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِهَا يَا أَحْمَدُ

وقبل أن نختم سيرة المتنبي، نقول: إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، ولكنا لا ندري متى تزوج، وكان له عيال حنَّ إليهم في شعره وتشوق للقائهم، وقد ورد في أخبار المتنبي ذكر لابنه محسد، ولم يرد ذكر لغيره، ويرجح أن زوجه كانت من الشام.

ذلكم كان أبو الطيب المتنبي، الشاعر الذي خُلِّد مع فنه الخالد وشعره الشاعر، ولا ريب أن القارئ أدرك من مجمل سيرته ما كان يدين به من خلق واضح الحدود، بيِّن المعالم، فقد كان الشاعر — كما يبين في شعره — متكبرًا أبيًّا معجبًا بعيد الهمة، وكان شجاعًا عظيم الإقدام، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته، فجعلته متعاليًا عن شعراء وقته عزوفًا عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر، وكان كذلك صادق القول صريحه، قال علي بن حمزة: إنه لم يكذب قط، ومن آثار هذا أنه كان ينفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر.

وكان أبو الطيب عدا ذلك، حاقدًا على الناس، يحقرهم، ويطوي كَشْحَه لهم على الموجدة والضغينة، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد، ثم قصوره عن بلوغ أمله، على أنه — برغم هذا — كان وفيًّا لأصدقائه محبًّا لهم متأسيًا لفراقهم،

جازعًا لموتهم، ثم كان في كل هذا حزين الطبع، ثائرًا، يتنزَّى قلبه ألمًا وحسرة على ما أمل وفشل.

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلًا، حريصًا على المال؛ ليبلغ به غايته، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام، وأحلامه الواسعة.

ولا نحسب الشاعر — ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده — إلا بالغًا المبالغ في مماته، وواجدًا فوق ما أمل وأراد، وكفاه خلودًا أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم، الباقي بقاء الضاد.

هوامش

(١) قام بتلخيص هذا الفصل: هلال شتا، وعمدته في هذا التلخيص: كتاب «ذكرى المتنبي» للدكتور عبد الوهاب عزام.

(٢) انظر ترجمة ابن جني.

ترجمة المتنبي

بقلم أحد معاصريه

وقد استحسنا — لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني — أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي. قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب: وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب «إيضاح المشْكِل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني» وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جني لديوان المتنبي، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه، وهو ممن عاصر ابن جني، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال: «وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومُغْتَرَبه، وما دل عليه شعره من معتقده إلى مختَتم أمره، ومَقْدَمِه على الملك — نضر الله وجهه — بشيراز وانصرافه عنه، إلى أن وقعت مقتلته بين دير قنة، والنعمانية، واقتسام عقائله وصفاياه … حدثني ابن النجار ببغداد: أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكِنْدَة بها ثلاثة آلاف بيت، من بين رَوَّاء ونسَّاج.

واختلف إلى كتَّاب فيه أولاد أشراف الكوفة، فكان يتعلم دروس العلوية[1] شعرًا ولغة وإعرابًا؛ فنشأ في خير حاضرة، وقال الشعر صبيًّا، ثم وقع إلى خير بادية — بادية اللاذقية، وحصل في بيوت العرب، فادعى الفضول الذي نُبز به، فنمى خبره إلى أمير بعض أطرافها — فأشخص إليه من قَيَّدَه وسار به إلى محبسه، فبقي يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به، في كلمته التي يقول فيها:

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُود
وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جُدْتَ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُود

وقد هجاه شعراء وقته، فقال الضبي:

الْزَمْ مَقَالَ الشِّعْرِ تَحْظَ بِقُرْبَةٍ وَعَنِ النُّبُوَّةِ، لَا أَبَا لَكَ، فَانْتَزِحْ
تَرْبَحْ دَمًا قَدْ كُنْتَ تُوجِبُ سَفْكَهُ إِنَّ التَّمَتُّعَ بِالْحَيَاةِ لِمَنْ رَبِحْ

فأجابه المتنبي:

أَمْرِي إِلَيَّ فَإِنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَةٍ كَرُمَتْ عَلَيَّ فَإِنَّ مِثْلِي مَنْ سَمَحْ

وهجاه غيره فقال:

أَطْلَلْتَ يَا أَيُّهَا الشَّقِيُّ دَمَكْ بِالْهَذَيَانِ الَّذِي مَلَأْتَ فَمَكْ
أَقْسَمْتُ لَوْ أَقْسَمَ الْأَمِيرُ عَلَى قَتْلِكَ قَبْلَ الْعِشَاءِ مَا ظَلَمَكْ

فأجابه المتنبي:

هَمُّكَ فِي أَمْرَدٍ تُقَلِّبُ فِي عَيْنِ دَوَاةٍ مِنْ صُلْبِهِ قَلَمَكْ
وَهِمَّتِي فِي انْتِضَاءِ ذِي شُطَبٍ أَقُدُّ يَوْمًا بِحَدِّهِ أَدَمَكْ
فَاخْسَ كُلَيْبًا وَاقْعُدْ عَلَى ذَنَبٍ وَأَطْلِ بِمَا بَيْنَ أَلْيَتَيْكَ فَمَكْ

وهو في الجملة خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحد يكني أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل، وأما ما يدل عليه شعره فمتلوِّن، وقوله:

هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ

مذهب السوفسطائية، وقوله:

تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ
فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنًى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ

مذهب التناسخ، وقوله:

نَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِه
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِه

مذهب الفضائية، وقوله في أبي الفضل بن العميد:

فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فَهَذَا، وَإِلَّا فَالْهُدَى ذَا، فَمَا الْمَهْدِي

مذهب الشيعة، وقوله:

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ: تَخْلُدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ: تَشْرَكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ

فهذا من يقول بالنفس الناطقة، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية، والإنسان إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه، وأسلمه الله — عز وجل — إلى حوله وقوته، وجد في الضلالات مجالًا واسعًا، وفي البدع والجهالات منادِيحَ وفُسَحًا. ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه، ومفارقته الكوفة أصلًا، وتطوافه في أطراف الشام، واستقرائه بلاد العرب، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال، ونزارة كسبه، وحقارة ما يوصل به، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبي دفعات في حال عسره ويسره — أن المتنبي قد مدح بدون العشرة والخمسة من الدراهم، وأنشد في قوله مصداقًا لحكايته:

انْصُرْ بِجُودِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحِلٌ وَذَا الْوَدَاعُ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا

وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال: سمعت المتنبي يقول: أوَّلُ شعر قلته وابيضت أيامي بعده، قولي:

أَنَا لَائِمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ　　　عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فإني أعطيتُ بها بدمشق مائة دينار ... ثم اتصلَ بأبي العشائر، فأقام ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة، فاشترط أنه لا ينشد إلَّا قاعدًا وعلى الوحدة، فاستحملوه وأجابوه إليه. فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل، وعدَّ ما طَلَبَه استحقاقًا.

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني: أن المتنبي أسقط من شعره الكثير، وبقي ما تداوله الناس ... وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي: معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي. فأجاب المتنبي: الشعر جادَّة، وربما وقع حافر على حافر، وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيَّيْنِ، ويستصحبهما في أسفاره ويجحدهما، فلما قُتل توزعت دفاتره، فوقع ديوان البحتري إلى بعض من درس عليَّ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه، وسمعت من قال: إن كافورًا لما سمع قوله:

إِذَا لَمْ تَنُطْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً　　　فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ

يلتمس ولاية صَيدَاء. فأجابه: لستُ أجسُر على توليتك صيداء؛ لأنك على ما أنت عليه، تحدِّث نفسك بما تحدث؛ فإن ولَّيتك صيداء، فمن يطيقك؟!

وسمعت أنه قيل للمتنبي: قولك لكافور:

فَارْمِ بِي حَيْثُمَا أَرَدْتَ فَإِنِّي　　　أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرَّوَاءِ
وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا　　　نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

ليس قول ممتدح ولا منتجع، إنما هو قول مضاد! فأجاب المتنبي إلى أن قال: هذه القلوب، كما سمعت أحدها يقول:

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى قِصَدَ الْقَنَا　　　وَصَرْعَى رِجَالٍ فِي وَغًى أَنَا حَاضِرُه

وأحدها يقول:

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذُرَا عَقدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَقَاوِدِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة: في إسناء الجائزة، ورفع المنزلة، ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم، وتأثَّل حالًا في جنبته بعد أن كان حويلة، وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله، وكان مُلَقى من هذه الحال، يشكوها أبدًا، وبها فارقه حيث أنشده:

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ

وآخرها:

بِأَيِّ لَفْظٍ يَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمُ

وقال في أخرى:

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ!

فلما انتهت مدته عند سيف الدولة استأذنه في المسير إلى أقطاعه؛ فأذن له وامتد باسطًا عنانه إلى دمشق، إلى أن قصد مصر فألمَّ بكافور، فأنزله وأقام ما أقام، إلا أن أول شعره فيه دليلٌ على ندمه لفراق سيف الدولة، وهو:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

حتى انتهى إلى قوله:

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

وأخبرني بعض المولدين ببغداد، وخاله أبو الفتح يتوزَّرُ لسيف الدولة، أن سيف الدولة رسم لي التوقيع إلى ديوان البر بإخراج الحال فيما وصل به المتنبي، فخرجَتْ بخمسةٍ وثلاثين ألف دينار في مدة أربع سنين.

ثم لما أنشد الثانية كافورًا خرجت موجهة يشتاق سيف الدولة، وأوَّلها:

فِرَاقٌ، وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ وَأَمٌّ، وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ

وأقام على كره بمصر إلى أن ورد فاتك غلام الأخشيدي من الفيوم — وهي وبيئةٌ، فنبتْ به واجتواها — وقادوا بين يديه في مدخله إلى مصر أربعة آلاف جَنِيبة مُنَعَّلةٍ بالذهب؛ فسماه أهل مصر بفاتك المجنون. فلقيه المتنبي في الميدان على رِقْبَةٍ من كافور فقال:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار، ثم مضى فاتك لسبيله، فرثاه المتنبي وذم كافورًا:

أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكٍ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الْأَوْكَعُ!

فاحتال بعده في الخلاص من كافور، فانتهز الفرصة في العيد — وكان رسم السلطان أن يستقبل العيد بيوم، وتعدُّ فيه الخلع والحملانات وأنواعُ المبارِّ، لرابطة جنده وراتبة جيشه، وصبيحة العيد تفرَّق، وثاني اليوم يذكر له مَنْ قبِل ومن ردَّ واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور، ودفن رماحه برًّا، وسار ليلته، وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيرًا وسُرًى هذه الليلة مسافة أيام؛ حتى وقع في تِيه بني إسرائيل؛ إلى أن جازه على الحلل والأحياء والمفاوز المجاهيل، والمناهل الأواجن، ونزل الكوفة، وقال يقص حاله:

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى فِدَا كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْذَبَى

وفيها يقول:

ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ الْقِمَا ... رِ: إِمَّـا لِـهَـذَا، وَإِمَّـا لِـذَا

ثم مدح بالكوفة دلِّير بن لشْكَرَوَّز، وأنشده في الميدان؛ فحمله على فرس بمركب ذهب.

وكان السبب في قَصْدِه، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليٍّ بن شبيب القاشاني — وكان أحد تلامذتي، ودرس عليَّ بقاشان سنة ثلاثمائة وسبعين وتوزَّر للأصبهبد بالجبل وأبوه أبو القاسم توزر لوشمكير بجرجان — عن العلوي العباسي نديم أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه:

أَبْلِغْ رِسَالَاتِي الشَّرِيفَ، وَقُلْ لَهُ: ... قَدَّكَ اتَّئِدْ أَرْبَيْتَ فِـي الْغُلَـوَاءِ

إن المعروفَ المطوَّق الشاشِي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور:

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة، أعني قصيدة المتنبي إلى أبي الفضل، وزعم أنه رسوله، فوصله أبو الفضل بألفي درهم، واتصل هذا الخبر بالمتنبي ببغداد، فقال: رجل يعطي لحامل شعري هذا، فما تكون صلته لي؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الريِّ خرجتين إلى أرَّجان، يَجْبِي بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم. فنما حديثه إلى المتنبي بحصوله بأرَّجان، فلما حصل المتنبي ببغداد نزل رَبَضَ حُميد، فركب إلى المهلَّبي، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه، وصاعد خليفته دونه، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، فأنشدوا هذا البيت:

سَقَى اللهُ أَمْوَاهًا عَرَفْتُ مَكَانَهَا ... جُرَامًا وَمَلْكُومًا وَبَذَّرَ فَالْغَمْرَا

وقال المتنبي: هو جُرابًا، وهذه أمكنة قتلتها علمًا، وإنما الخطأ وقع من النقلة! فأنكره أبو الفرج، قال الشيخ: هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جرامًا، بالميم، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة، وتفرق المجلس عن هذه الجملة، ثم عاوده اليوم الثاني وانتظر المهلبي إنشاده فلم يفعلْ، وإنما صدَّه ما سمعه من تماديه

في السخف، واستهتاره بالهزل، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه، وكان المتنبي مُرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًّا مجدًا فخرج، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجَّاج حتى علَّق لجامَ دابته في صينبة الكرخ وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب، وابتدأ ينشد:

يَا شَيْخَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِينَا وَمَنْ يَلْزَمُ أَهْلَ الْعِلْمِ تَوْقِيرُهُ

فصبر عليه المتنبي ساكنًا ساكتًا، إلى أن نجَّزها، ثم خلَّى عنان دابته، وانصرف المتنبي إلى منزله، وقد تيقن استقرارَ أبي الفضل ابن العميد بأرَّجان وانتظاره له فاستعدَّ للمسير.

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جني عن عليٍّ بن حمزة البصري قال: كنت مع المتنبي لما ورد أرَّجان، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن، فضرب بيده على صدره وقال: تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بي، وقصدتُ ربَّ هذه المدَرَة، فما يكون منه! ثم وقف بظاهر المدينة، وأرسل غلامًا على راحلته إلى ابن العميد، فدخل عليه وقال: مولاي أبو الطيِّب المتنبي خارجَ البلد — وكان وقت القيلولة، وهو مضطجع في دَسته — فثار من مضجعه واستثبته، ثم أمر حاجبه باستقباله، فركب واستركبَ من لقيه في الطريق، ففصل عن البلد بجمعٍ كثير، فتلقوه وقضوا حقَّه وأدخلوه البلد. فدخل على أبي الفضل، فقام له من الدست قيامًا مستويًا، وطُرِح له كرسي عليه مَخِدةُ ديباج، وقال أبو الفضل: كنت مشتاقًا إليك يا أبا الطيب، ثم أفاض المتنبي في حديث سفره، وأن غلامًا له احتمل سيفًا وشذَّ عنه، وأخرج من كمه عقيب هذه المفاوضة دَرْجًا فيه قصيدته:

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَوْ لَمْ تَصْبِرَا

فوحَى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاسٍ فيه مائتا دينار، وسيف غشاؤه فضة، وقال: هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ، وأفرد له دارًا نزلها، فلما استراح من تعب السفر كان يَغشى أبا الفضل كل يوم، ويقول: ما أزورك إكبابًا إلا لشهوة النظر إليك! ويؤاكله، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه، فأظلَّهم

النيروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي: كان يبلُغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه، فلم يُجِرْ جوابًا، إلى أن حضره النيروز وأنشده مهنئًا ومعتذرًا فقال:

هَلْ لِعُذْرِي إِلَى الْهُمَامِ أَبِي الْفَضْـ ـلِ قَبُولٌ، سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهُ

فأخبرني البديهي، سنة ثلاثمائة وسبعين: أن المتنبي قال بأرجان: الملوك قرود يشبه بعضهم بعضًا، على الجودة يعطون، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار، سوى توابعها، وهو من أجاود زمان الديلم، وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمَّله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده، فكتب إليه أبياتًا أولها:

أَأَقْلَامٌ بِكَفِّكَ أَمْ رِمَاحُ وَعَزْمٌ ذَاكَ، أَمْ أَجَلٌ مُتَاحُ

فقال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار، وكذلك أبو الفضل البلعَمِيُّ وزير بُخارى أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها:

لَا شُرْبَ إِلَّا بِسَيْرِ النَّايِ وَالْعُودِ

خمسة عشر ألف دينار، وكذلك خلف صاحب سجستان، أعطى أبا بكر الحنبليَّ خمسة آلاف دينار على كلمة فيه، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه، وكان يأتيه علوي من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسمًا له جاريًا على التأبيد، فأتاه وهو في بعض الثغور، فقال للخازن: أطلق له ما في الخزانة، فبلغ أربعين ألف دينار، فشاطر الخازنَ وقبض عشرين ألف دينار، إشفاقًا من خلل يقع على عسكره في الحرب، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائلٌ لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده في طريقه:

أَنْتَ عَلِيٌّ وَهَذِهِ حَلَبُ قَدْ فَنَى الزَّادُ وَانْتَهَى الطَّلَبُ

فأطلق له ألف دينار، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بخمسمائة دينار، فجاءه الخازن بالدواة والبياض، فوقع بألفي دينار؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي: الكلام ريح، والخط شهادة، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا …

ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودَّع أبا الفضل بن العميد، ورد كتابُ عضدِ الدولة يستدعيه، فعرَّفه ابن العميد فقال المتنبي: مَا لِي وللديلم؟ فقال أبو الفضل عَضُدُ الدولة أفضل مني، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به، فأجاب بأني مُلقى من هؤلاء الملوك: أقصد الواحد بعد الواحد، وأُمَلكهم شيئًا يبقى ببقاء النيرين، ويعطونني عَرَضًا فانيًا، ولي ضجَرات واختيارات، فيعوقونني عن مرادي، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجود! فكاتب ابنُ العميد عضد الدولة بهذا الحديث. فورد الجواب بأنه مملك مُرادَه في المقام والظعن. فسار المتنبي من أرَّجان، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصبَّاغ أخي أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حدائق الآداب. فلما تلاقيا وتسايرا، استنشده فقال المتنبي: الناس يتناشدون فاسمعه. فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالي. فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها:

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى فِدَا كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى

ثم دخل البلد فأنزل دارًا مفروشة، ورجع أبو عمر الصبَّاغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى، وأنشده أبياتًا من كلمته، وهي:

فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا حَ حَوْلَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَا
وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

فقال عضد الدولة: هونًا، يتهددنا المتنبي! ...

ثم لما نفض غبارَ السفر واستراح، ركب إلى عضد الدولة؛ فلما توسط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة، فقبَّل الأرض، واستوى قائمًا وقال: شكرتُ مطية حملتني إليك، وأملًا وقف بي عليك. ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر، وعن علي بن حمدان، فذكره وانصرف وما أنشده. فبعد أيام حضر السماط وقام بيده دَرْج، فأجلسه عضد الدولة وأنشد:

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيبًا فِي الْمَغَانِي

فلما أنشدها وفرغوا من السماط، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب في الأردية الأمنان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود، وقاد فرسه الملقَّب بالمجروح — وكان اشتُرِي له بخمسين ألف شاة — وبَدْرة دراهمُها عدلية، ورداءً حشوه ديباجٌ روميٌّ مفصَّل، وعمامة قوِّمت بخمسمائة دينار، ونصلًا هِنْدِيًّا مرصَّع النجاد والجفن بالذهب، وبعد ذلك كان ينشده في كل حدَث يحدث قصيدة، إلى أن حدث يوم نثرِ الورد. فدخل عليه والملك على السرير في قبة يَحسِر البصر في ملاحظتها، والأتراك ينثرون الورد، فمثل المتنبي بين يديه، وقال: ما خدمت عيني قلبي كاليوم؟ وأنشأ يقول:

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنَّـكَ صَـيَّـرْتَ نَـثْـرَهُ دِيَـمَـا
كَـأَنَّـمَـا مَـائِـحُ الْـهَـوَاءِ بِـهِ بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمَا

فحُمل على فرس بمركب، وأُلبِس خِلعة ملكية، وبدرةٌ بين يديه محمولة، وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأمورًا بالاختلاف إليه، وحَفِظَ المنازلَ والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرَّفها منه، فقال: كنت حاضرَه، وقام ابنهُ يلتمس أجرةَ الغسَّال، فأحدَّ المتنبي إليه النظر بتحديق فقال: ما للصُّعلوك والغسَّال! يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء: يطبخ قِدْرَه، ويُنْعِل فرسه، ويغسل ثيابه؟ ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة.

وورد كتابُ أبي الفتح ذي الكفايتين بن أبي الفضل — وكان من أجاود زمان الديلم، فرَّق في يوم واحد بِشبْدِيز قرميسِينَ، ألفين وخمسمائة قطعة إبْرَيْسَم — ومضمونُه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوُّفه إلى نظرته فأجابه المتنبي:

يَكْتُبُ الْأَنَامُ كِتَابٌ وَرَدْ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدْ

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح، جعل الأبيات سورة يدرسها، ويحكم للمتنبي بالفضل على أهل زمانه … فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي:

لَوَارِدُ شِـعْـرٍ كَذوب الْبَرَد أَتَانَا بِهِ خَاطِرٌ قَدْ جَمَدْ
فَـأَقْبَلَ يَمْـضُـغُـهُ بَعْـضُـنَـا وَهَمُّ السَّنَانِيرِ أَكْلُ الْغُدَدْ
وَقَالُوا: جَوَادٌ يَفُوقُ الْجِيَادَ وَيَسْبِقُ مِنْ عَفْوِهِ الْمُقْتَصِدْ

وَلَوْ وَلِيَ النَّقْدُ أَمْثَالهُ   لَظَلَّتْ خَفَافِيشُنَا تَنْتَقِدْ

فاستخف أبو الفتح به وجرَّه برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان، والأميرُ أبو سالم ديسم بن شادكويه على الإمْرة، فاتصل به وحظي عنده على غاية الإكرام.

وقال عضد الدولة: إن المتنبي كان جيد شعره بالغَرْب، فأخبر المتنبي به فقال: الشعر على قدر البقاع ...

وكان عضد الدولة جالسًا في البستان الزاهر يوم زينته، وأكابرُ حواشيه وُقوف. فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاريُّ: ما يُعوِز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين. فقال عضد الدولة: لو حضر المتنبي لناب عنهما، فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره. ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز، وأخبرنا أبو الحسن السوسيُّ في دار الوقف بين السورَين، قال: كنت أتولى الأهوازَ من قبل المهلَّبيِّ، وورد علينا المتنبي، ونزل عن فرسه ومِقوده بيده، وفتح عِيابَه وصناديقَه لبللٍ مسَّها في الطريق، وصارت الأرضُ كأنها مطارفُ منشورة فحضرته أنا وقلت: قد أقمت للشيخ نُزُلًا. فقال المتنبي: إن كان تمَّ فآتيه. ثم جاءه فاتك الأسد بجَمْع وقال: قدم الشيخ في هذه الديار وشرَّفها بشعره، والطريق بينه وبين دير قُنَّة خشِنٌ قد احتوشتْه الصعالكة، وبنو أسدٍ يسيرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة ويبر كل واحد منهم بثوب بياض. فقال المتنبي: ما أبقى الله بيدي هذا الأدهم وذبابَ الجراز الذي أنا متقلده فإني لا أفكر في مخلوق! فقام فاتك ونفض ثوبه وجمع من رُتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حَسْوًا، سبعين رجلًا ورصد له، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته، وَحمل فاتك على المتنبي وطعنه في يساره ونكَّسه عن فرسه، وكان ابنه أفلت إلا أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنع خلفه الفرسَ أحدُهم وجزَّ رأسه، وصبوا أمواله يتقاسمونها بطُرْطورة:

وقال بعض من شاهده: إنه لم تكن فيه فروسيَّة، وإنما كان سيف الدولة سلمه إلى النخَّاسين والروَّاضِ بحلب، فاستجرأ على الركض والحُضر فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله.

وجملة القول فيه: أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر، وكل ما في كلامه من «الغريب المصنف» سوى حرف واحد هو في «كتاب الجمهرة» وهو قوله:

يَطْوِي الْمُجَلِّحَةُ الْعُقْدُ[٢]

وأما الحكم عليه وعلى شعره: فهو سريع الهجوم على المعاني، ونعتُ الخيل والحرب من خصائصه؛ وما كان يراد طبعَه في شيء مما يسمح به، يقبل الساقط الرديء كما يقبل النادر البدع، وفي متن شعره وَهْي، وفي ألفاظه تعقيد وتعويصٌ.» ا.هـ كلامه مع بعض اختصار.

هوامش

(١) كذا في الأصل ويحتمل أن تكون «العربية».

(٢) من بيت هذا نصه:

وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السِّنَانُ لِطِيَّتِي   وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمُجَلِّحَةُ الْعُقْدُ

شراح المتنبي

وإليك تراجم بعض شراح المتنبي، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح … وقولنا هنا: «شراح المتنبي» إنما هو ضرب من التسامح؛ لأن منهم من لم يضع شرحًا بالمعنى المتعارف؛ أي إنهم لم يضعوا شروحًا تامَّة كاملة، وإنما تَصَدَّوا لشرح بعض مشكلات الأبيات، أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي، مثل أبي السعادات بن الشجري، وابن فورجه، وأبي الفضل العروضي، وابن وكيع، والصاحب ابن عباد، وأبي بكر الخوارزمي، ولم نتبسط في هذه التراجم، ولم ننهج فيها منهجًا تحليليًّا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتعثر بأسمائهم في هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المحظوظ، ومن ثم لم نَعْدُ أن نسرد لك في هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له، وتاريخ وفاته، وطرفًا من أخباره وسيرته وتواليفه ومكانته العلمية وآراء الناس فيه.

ابن جني

أظنني في غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جني هو أول من شرح المتنبي، فله بذلك فضل السبق، ومن ثَمَّ كان حقيقًا بأن نبدأ بترجمته …

جاء في معجم الأدباء لياقوت وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه:

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي: كان أبوه جني مملوكًا روميًّا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي — أقول: فهو إذن من أبناء يونان، لا من أبناء عدنان، وبعبارة أخرى: هو من أبناء الموالي، شأنه شأن أكثر حملة العلم، ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله:

فَـإِنْ أُصْبِـحْ بِـلَا نَـسَـبٍ فَعِلْمِي فِي الْوَرَى نَسَبِي
عَـلَـى أَنِّـي أَئُـولُ إِلَـى قُـرُومٍ سَـادَةٍ نُـجُـبِ
قَـيَـاصِـرَةٌ إِذَا نَـطَـقُـوا أَرَمَّ الدَّهْرُ ذُو الْخُطَبِ[1]
أَوْلَاكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ كَفَى شَرَفًا دُعَاءُ نَبِي

ولد ابن جني بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة، وتوفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة ٣٩٢هـ ببغداد، وكان أبو الفتح مُمتَّعًا بإحدى عينيه، وما أظرفه حين يقول لأحد أصدقائه:

صُدُودُكَ عَنِّي وَلَا ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ عَلَى نِيَّةٍ فَاسِدَهْ
فَقَدْ وَحَيَاتِكَ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنِيَ الْوَاحِدَهْ
وَلَـوْلَا مَـخَـافَـةُ أَلَّا أَرَاكَ لَمَا كَانَ فِي تَرْكِهَا فَائِدَهْ

وحدَّثوا أنه صحب أبا علي الفارسي[2] أربعين سنة، وكان السبب في صحبته له: أن أبا علي اجتاز بالموصل، فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرِئ النحو وهو شاب، فسأله أبو عليٍّ عن مسألة في التصريف فقصَّر فيها، فقال له أبو علي: تزبَّبْتَ وأنت حِصرِم … فسأل عنه، فقيل له: هذا أبو عليٍّ الفارسي، فلزمه من يومئذ، واعتنى بالتصريف، فما أحد أعلم منه به، ولا أقوم بأصوله، وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه؛ فلما مات أبو عليٍّ تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء … وحدَّث أبو الحسن الطرائفي قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيرًا، ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئًا من شعره، أنفةً واستكبارًا لنفسه، وكان المتنبي يقول في أبي الفتح: هذا رجل لا يعرف قدرَه كثير من الناس … وسئل المتنبي بشيراز عن قوله:

وَكَـانَ ابْـنَـا عَـدُوٍّ كَـاثَـرَاهُ لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيْسِيَانِ[3]

فقال: لو كان صديقنا أبو الفتح حاضرًا لفسره ... وكان لابن جني من الولد عليٌّ وعالٍ وعلاء، وكلهم أدباء فضلاء قد خَرَّجَهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسني الخط ... ولابن جني شعر — ولكنه كسائر شعر العلماء — فمنه:

غَزَالٌ غَيْرُ وَحْشِيٍّ حَكَى الْوَحْشِيُّ مُقْلَتَهُ
رَآهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرْ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتَهُ
وَشَمَّ بِأَنْفِهِ الرَّيْحَا نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ
وَذَاقَتْ رِيحُهُ الصَّهْبَا ءَ فَاخْتَلَسَتْهُ نَكْهَتَهُ[٤]

وقال الباخَرْزي في دمية القصر: ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات، ما له، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض، أو يسيغ ذلك الجريض[٥] حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها:

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتْ نُضْرَةُ الْأَدَبِ وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رِيٍّ دَوْحَةُ الْكُتُبِ[٦]
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجُلَّى إِذَا انْشَعَبَتْ قَلْبًا جَمِيعًا وَعَزْمًا غَيْرَ مُنْشَعِبِ[٧]
وَقَدْ حَلَبْتَ لَعَمْرِي الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ تَمْطُو بِهِمَّةِ لَا وَانٍ وَلَا نَصِبِ[٨]
مَنْ لِلْهَوَاجِلِ يُحْيِي مَيْتَ أَرْسُمِهَا بِكُلِّ جَائِلَةِ التَّصْدِيرِ وَالْحِقَبِ[٩]
قَبَّاءَ خَوْصَاءَ مَحْمُودٌ عُلَالَتُهَا تَنْبُو عَرِيكَتُهَا بِالْحِلْسِ وَالْقَتَبِ[١٠]
أَمْ مَنْ لِبِيضِ الظُّبَا تَوْكَافُهُنَّ دَمٌ أَمْ مَنْ لِسُمْرِ الْقَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلَبِ[١١]
أَمْ لِلْجَحَافِلِ يُذْكِي جَمْرَ جَاحِمِهَا حَتَّى يُقَرِّبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهَبِ[١٢]
أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لِتَعْمُرَهَا بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَبِ
أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحْمَرًّا سَرَابِلُهَا مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهُبِ[١٣]
أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءُ عَاطِفَةٌ يُوَاصِلُ الْكَرَّ بَيْنَ الْوِرْدِ وَالْقَرَبِ[١٤]
أَمْ لِلْقَسَاطِلِ تَعْتَمُّ الْحُزُونُ بِهَا أَمْ مَنْ لِضَغْمِ الْهِزَبْرِ الضَّيْغَمِ الْحَرِبِ[١٥]
أَمْ لِلْمُلُوكِ يُحَلِّيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَايَسُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشُبِ[١٦]
بَاتَتْ وِسَادِي أَطْرَابٌ تُورِّقُنِي لَمَّا غَدَوْتَ لَقًى فِي قَبْضَةِ النُّوَبِ[١٧]
عُمِّرْتَ خِدْنَ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدَّنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِ
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقَتْ خُوصُ الرَّكَائِبِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعُبِ

ومن شعر ابن جني:

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضِحْكِ الرَّبِيعِ ... أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابْ
وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِمَّتِي ... فَلِمْ لَا أُبَكِّي رَبِيعَ الشَّبَابْ
أَأَشْرَبُ فِي الْكَأْسِ، كَلَّا وَحَاشَا ... لِأُبْصِرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابْ

ومنه:

تَحَبَّبْ أَوْ تَذَرَّعْ أَوْ تَأَبَّى ... فَلَا وَاللهِ لَا أَزْدَادُ حُبَّا
أَخَذْتَ بِبَعْضِ حُبِّكَ كُلَّ قَلْبِي ... فَإِنْ رُمْتَ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبَا

قال ياقوت: وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي: قال لنا أبو زكريا: رأيت بخط ابن جني: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفَرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: قرأ علي أعرابي «طِيبَى لهم وَحُسنُ مآب» فقلت: «طُوبى» فقال: «طِيبى» فقلت ثانيًا: «طُوبى» فقال: «طِيبَى» فلما طال علي قلت: «طُوطُو» فقال الأعرابي: «طِي طِي» أما ترى إلى هذه النحيزَة ما أبقاها وأشد محافظة هذا البدوي عليها حتى أنه استُكره على تركها فأبى إلا إخلادًا إليها! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب:

بَانَتْ نَعِيمَةُ وَالدُّنْيَا مُفَرِّقَةٌ ... وَحَالُ مَنْ دُونِهَا غَيْرَانُ مَزْعُوجُ

فقيل له: لا يقال مزعوج، إنما يقال مُزْعَجٌ، فجفا ذلك عليه، وقال يهجو النحويين:

مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ ... قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْرًا يَكُونُ بِهَا ... بَيْتَ خِلَافِ الَّذِي قَاسَوْهُ أَوْ ذَرَعُوا
قَالُوا لَحَنْتَ وَهَذَا لَيْسَ مُنْتَصِبًا ... وَذَاكَ خَفْضٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ مِنْ حُمُقٍ ... وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى إِعْرَابِهِمْ طُبِعُوا
مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحًا لَكُمْ فَخُذُوا ... مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا

لِأَنَّ أَرْضِـيَ أَرْضٌ لَا تُـشَـبُّ بِـهَـا نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبِيَعُ

قال ابن جني: وعلى نحو ذلك فحضرني قديمًا بالموصل أعرابي عقيلي جوثِيٌّ تميميٌّ، يقال له محمد بن العَسَّاف الشَّجري، وقلما رأيت بدويًّا أفصح منه، فقلت له يومًا — شَغفًا بفصاحته والتذاذًا بمطاولته، وجريًا على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدِ فِطنته: كيف تقول: «أكرم أخوك أباك» فقال كذاك، فقلت له: أفتقول: «أكرم أخوك أبوك» فقال: لا أقول «أبوك» أبدًا فقلت: فكيف تقول: «أكرمني أبوك» فقال كذاك، قلت: ألست تزعمُ أنك لا تقول «أبوك» أبدًا؟ فقال «إيش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام» فهل قوله اختلفت جهتا الكلام. إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان في الأول مفعولًا! فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم.

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ: «ولا الليلُ سابقٌ النهارَ» فقلت له: ما أردت؟ قال: أردت سابقَ النهار، فقلت له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأفصح، ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء؛ أحدها: أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم، والثاني: أنهم قد ينطقون بالشيء وفي أنفسهم غيره، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال: «أردت كذا» وهو خلاف ما لفظ به، والثالث: أنهم قد ينطقون بالشيء وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفًا، ألا تراه كيف قال: لو قلته لكان أوزنَ؛ أي أقوى وأعربَ.

قال ابن جنِّي: وسألت الشجري صاحبنا، هذا الذي قد مضى ذكره، قلت له: كيف يا أبا عبد الله تقول: «اليوم كان زيد قائمًا؟» فقال: كذلك، فقلت: فكيف نقول: «اليوم إن زيدًا قائم؟» فأباها البتة، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها؛ لأنها إنما تأتي أبدًا مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها، قلت له يومًا ولابن عمٍّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنًّا وألين لسانًا: كيف تحقران «حمراء» فقالا: حُميراء، قلت: فصفراء قالا: «صفيراء» قلت: «فسوداء» قالا: «سويداء» واستمررت بهما في نحو هذا، فلما استويا عليه دسست بين ذلك «عِلْباء» فقلت: «فعلباء» فأسرع ابن عمه على طريقته فقال: «عُليباء» وكان الشجري يقولها معه، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكرًا فقال إهْ «عُلَيْبَى» وأشم الفتحة دائمًا للحركة في الوقف، وتلك عادة …

قال ابن جني: فسألته يومًا: يا أبا عبد الله، كيف تجمع مُحرَنْجَمًا — وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله: يكسِّر فيقول: حَراجم، أم يصححُ فيقول: محرنجماتٌ، فذهب

هو مذهبًا غير ذين فقال: «وإيش فرقه حتى أجمعه؟» وَصَدَق، وذلك أن المحرنجم هو المجتمع: يقولها مارًّا على شكيمته غير مُحِسٍّ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته، قلت له: فدع هذا: إذا أنت مررت بإبل محرنجمةٍ وأخرى محرنجمةً، وأخرى محرنجمة. تقول: مررت بإبل ماذا؟ فقال — وقد أحس الموضع — «يا هذا هكذا أقول: مررت بإبل محرنجمات» وأقام على التصحيح البتة استيحاشًا من تكسير ذوات الأربعة لِمُصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها لا سيما إذا كان فيها زيادة، والزيادة قد تُعتَدُّ في كثيرٍ من المواضيع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو: كوكب، وحوشب،[18] وضَيْوَنَ،[19] وهَزَنَبَرَانَ،[20] ودودرى،[21] وقرنفُل، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته، وسألته يومًا كيف تجمع سرحانًا؟ فقال: سراحين، قلت: فدكانًا، قال: دكاكين قلت: فقُرطانًا، قال: قراطين، قلت: فعثمان، قال عثمانون، قلت: هلَّا قلت عثامين كما قلت سراحين وقراطين؟ فأباها البتة وقال: «إيش ذا؟ أرأيت إنسانًا يتكلم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبدًا.» استوحش من تكسير العلم إكثارًا له لا سيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو: سكران وغضبان …

ونكتفي بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جني شارح المتنبي، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج١٢ طبعة فريد الرفاعي.

الواحدي

وهذا الإمام أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن محمد بن عليٍّ الواحدي النيسابوري أحد شراح المتنبي هو — كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما — الإمام المصنف المفسر النحوي أستاذ عصره، وواحد دهره، أنفق صباه، وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة، وتتلمذ لأبي الفضل العروضي،[22] وقرأ النحو على أبي الحسن الضرير القَهَندَزي، ولازم مجالس الثعلبي[23] في تحصيل التفسير … ثم أخذ في التصنيف، وقعد للإفادة والتدريس سنين، وتخرَّج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرءوا عليه، وبلغوا محل الإفادة، وكان حقيقًا بكل احترام وإعظام، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرَائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم. قال

الحسن بن المظفر النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري هو الذي قيل فيه:

قَدْ جَمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ ... عَالِمُنَا الْمَعْرُوفُ بِالْوَاحِدِي

قال ومن غرر شعره:

أَيَا قَادِمًا مِنْ طُوسَ أَهْلًا وَمَرْحبًا ... بَقِيتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
لَعَمْرِي لَئِنْ أَحْيَا قُدُومُكَ مُدْنَفًا ... بِحُبِّكَ صَبًّا فِي هَوَاكَ مُعَذَّبَا
يَظَلُّ أَسِيرَ الْوَجْدِ نَهْبَ صَبَابَةٍ ... وَيُمْسِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا مُتَقَلِّبَا
فَكَمْ زَفْرَةٍ قَدْ هِجْتَهَا لَوْ زَفَرْتُهَا ... عَلَى سَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَمْسَى مُذَوَّبَا
وَكَمْ لَوْعَةٍ قَاسَيْتُ يَوْمَ تَرَكْتَنِي ... أُلَاحِظُ مِنْكَ الْبَدْرَ حِينَ تَغَيَّبَا
وَعَادَ النَّهَارُ الطَّلْقُ أَسْوَدَ مُظْلِمًا ... وَعَادَ سَنَا الْإِصْبَاحِ بَعْدَكَ غَيْهَبَا
وَأَصْبَحَ حُسْنُ الصَّبْرِ عَنِّيَ ظَاعِنًا ... وَحَدَّدَ نَحْوِي الْبَيْنُ نَابًا وَمِخْلَبَا
فَأُقْسِم لَوْ أَبْصَرْتَ طَرْفِيَ بَاكِيًا ... لَشَاهَدْتُ دَمْعًا بِالدِّمَاءِ مُخَضَّبَا
مَسَالِكُ لَهْوٍ سَدَّهَا الْوَجْدُ وَالْجَوَى ... وَرَوْضُ سُرُورٍ عَادَ بَعْدَكَ مُجْدِبَا
فِدَاؤُكَ رُوحِي يَا ابْنَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... وَيَا مَنْ فُؤَادِي غَيْرَ حُبِّهِ قَدْ أَبَى

وأنشد له:

تَشَوَّهَتِ الدُّنْيَا وَأَبْدَتْ عَوَارَهَا ... وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِالرَّحْبِ وَالسَّعَهْ
وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي ضِيَاءُ نَهَارِهَا ... لِتَوْدِيعِ مَنْ قَدْ بَانَ عَنِّي بِأَرْبَعَهْ
فُؤَادِي وَعَيْشِي وَالْمَسَرَّةُ وَالْكَرَى ... فَإِنْ عَادَ عَادَ الْكُلُّ وَالْأُنْسُ وَالدَّعَهْ

وقال أبو الحسن الواحدي في مقدمة البسيط: وأظنني لم آل جهدًا في أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمننا هذا وتسَعُه سِنُو عُمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله — وله الحمد — حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مَظَانِّه، وأخذته من معادِنِه، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله،[٢٤] وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب، وأدرك المشايخ الكبار، وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهري، روى عنه كتاب التهذيب وغيره

من الكتب، وأدرك أبا العباس العامري، وأبا القاسم الأسدي، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيري، وأبا الحسن الرُّخجي، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمي على درسه عند غيبته، وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو، وكنت قد لازمته سنين أدخُل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابني شيخي — رحمه الله — يومًا وقال: إنك لم تُبقِ ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذي تأتيه البعداء من أقصى البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي — فقلت: يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب، لم أرم في غرض التفسير من كثب، ثم لم أُغِبَّ زيارته في يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام.

وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وأعلمهم بمضايق طرق العربية وحقائقها، ولعله تفرس فيَّ، وتوسم الخير لديَّ، فتجرد لتخريجي، وصرف وكدَه إلى تأديبي، ولم يدخر عني شيئًا من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأَفْلاذِه، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبًا من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مِهران، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي، وكان واحد دهره، وباقعة عصره، في علم النحو، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة في مقامه عندنا حتى استنْزَفْت غرر ما عنده، وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي — رحمه الله — وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها، فقرأت عليهما،

وأخذت من كل واحد منهما حظًّا وافرًا بعون الله وحسن توفيقه، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروى لنا كتب أبي علي السفوي عنه[٢٥] وقرأت عليه بلفظي كتاب الزَّجَّاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي — رحمه الله — وكان خير العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء، بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في الأقطار.

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وأصفَقَت عليه كافة الأمة على اختلاف نِحَلِهم، وأقرُّوا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله، فمن أدركه وَصَحِبَه عَلِم أنه منقطع القرين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته؛ ليستدلَّ بها على أنه كان بحرًا لا يُنزَف، وغمرًا لا يُسْبَر، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، منها: تفسيره الكبير وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن وغيرهما، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطأتها طال الخطب ومَلَّ الناظرُ، وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب — أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه — مشتمل على ما نقمتُ على غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، لا يدع لمن تأمله حارَّةً في صدره حتى يخرجه من ظلمة الرَّيب والتخمين، إلى نور العلم واليقين، هذا بعد أن يكون المتأمِّلُ مُرتاضًا في صنعة الأدب والنحو، مهتديًا بطرق الحِجَاج، مارحًا في سلوك المنهاج، فأما الجَذَع المُرخَى من المقتبسين، والرَّيِّض الكزُّ من المبتدئين، فإنَّه مع هذا الكتاب كمزاولٍ غلقًا ضاع عنه المفتاح، ومتخبط في ظلماء ليل خانَه المصباح:

يُحَاوِلُ فَتْقَ غَيْمٍ وَهْوَ يَأْبَى كَعِنِّينٍ يُرِيدُ نِكَاحَ بِكْرِ

ثُمَّ قال بعد كلام: إن هذا الكتاب عُجالة الوقت، وقبسَةُ العجلان، وتذكرة يستصحبها الرجل حيث حل وارتحل وإن أُنسِئَ الأجل، وأُرخِيَ الطوَلُ، وأنظرَني الليلُ والنهارُ، حتى يتلفع بالمشيب العِذارُ أردفته بكتاب أنضجه بنار الرَّوية، وأردده على رُواق الفكرة،

وأضمنه عجائب ما كتبته، ولطائف ما جمعته، وعلى الله المعول في تيسير ما رمتُ، وله الحمدُ كلما قعدت أو قمت.

ابن فورجه

قال ياقوت — ونقله السيوطي في بغية الوعاة: هو محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجه — بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم — البروجرديُّ، أديب فاضل مصنف، له كتاب الفتح على أبي الفتح، والتجني على ابن جني، يرد فيه على أبي الفتح بن جني في شرح شعر المتنبي، ومولده في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة، كان موجودًا سنة خمس وخمسين وأربعمائة، ومن شعره:

أَيُّهَا الْقَاتِلِي بِعَيْنَيْهِ رِفْقًا   إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ ذَا مَنْ قَلَاكَا
أَكْثَرَ اللَّائِمُونَ فِيكَ عِتَابِي   أَنَا وَاللَّائِمُونَ فِيكَ فِدَاكَا
إِنَّ لِي غَيْرَةً عَلَيكَ مِنِ اسْمِي   إِنَّهُ دَائِمًا يُقَبِّلُ فَاكَا

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات. هكذا: ابن فُورَجَّه فقال: بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاي وتشديد الجيم.

ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان: هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال: كان أحد أئمة الأدب خصوصًا اللغة، وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال، أحسن فيه كل إحسان، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية، وإن كان ذلك قد سبقه إليه، وله كتاب أبنية الأسماء، جمع فيه فأوعى، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد، وكتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة، وكتاب لمح الملح، جمع فيه خَلقًا من شعراء الأندلس، وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله، وأجاد في النحو غاية الإجادة، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسمائة، وبالغ أهل مصر في إكرامه، وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ومن شعره في ألْثغ:

وَشَادِنٍ فِي لِسَانِهِ عُقَدٌ   حَلَّتْ عُقُودِي وَأَوْهَنَتْ جَلَدِي
عَابُوهُ جَهْلًا بِهَا فَقُلْتُ لَهُمْ   أَمَا سَمِعْتُمُ بِالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ

وله من قصيدة:

فَلَا تُنْفِدَنَّ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الصِّبَا   وَلَا تَشْقَيَنْ يَوْمًا بِسُعْدَى وَلَا نُعْمِ
وَلَا تَنْدُبَنْ أَطْلَالَ مَيَّةَ بِاللِّوَى   وَلَا تَسْفَحَنْ مَاءَ الشُّئُونِ عَلَى رَسْمِ
فَإِنَّ قُصَارَى الْمَرْءِ إِدْرَاكُ حَاجَةٍ   وَتَبْقَى مَذَمَّاتُ الْأَحَادِيثِ وَالْإِثْمِ

ومن شعره في غلام اسمه حمزة:

يَا مَنْ رَمَى النَّارَ فِي فُؤَادِي   وَأَنْبَطَ الْعَيْنَ بِالْبُكَاءِ
اسْمُكَ تَصْحِيفُهُ بِقَلْبِي   وَفِي ثَنَايَاكَ بُرْءُ دَائِي
ارْدُدْ سَلَامِي فَإِنَّ نَفْسِي   لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الذِّمَاءِ
وَارْفُقْ بِصَبٍّ أَتَى ذَلِيلًا   قَدْ مَزَجَ الْيَأْسَ بِالرَّجَاءِ
أَنْهَكَهُ فِي الْهَوَى التَّجَنِّي   فَصَارَ فِي رِقَّةِ الْهَوَاءِ

وله شعر كثير، وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى.

ابن الإفليلي

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفليلي[٢٦] إمامًا من أئمة النحو واللغة، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر، وذكره ابن بسام عرضًا كذلك، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع والزوابع إذ قال ابن شهيد: وأما أبو القاسم الإفليلي فإنه من نفسي مكين، وحبه بفؤادي دخيل، على أنه متحامل علي، ومنتسب إليَّ … فقال ابن بسام نقلًا عن ابن حيان المؤرخ: كان ابن الإفليلي الذي به عرض قد بذَّ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة في بعض معانيها، وكان غيورًا على ما يحمل من ذلك الفنِّ كثير الحسد فيه، راكبًا رأسه في الخطأ البيِّن إذا أنشب فيه، يجادل عليه ولا

يصرفه صارف عنه، وعَدِمَ علم العروض ومعرفته مع احتياجه إليه وكمال صناعته به، فلم يكن له رسوخ فيه، وكان لحق الفتنة البربرية وَمَضَى الناس من حائر وظاعن، فازدلف إلى الأمراء الكائنين بقرطبة من آل حمود إلى أن نال الجاه، واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بعد ابن بُرْد، فوقع كلامه نائيًا عن البلاغة؛ لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين، فلم يَجْرِ في أساليب الكتاب المطبوعين، فزَهد فيه، وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شَرْحه ديوان المتنبي لا غير، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام المرواني في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والساسي والحمار وغيرهم، وطلب ابن الإفليلي وسجن بالمُطبِق، ثم أطلق ... وقال ابن خلكان: كان متصدرًا بالأندلس لإقراء الأدب، وكان حافظًا للأشعار ذاكرًا للأخبار وأيام الناس، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة، وكان أشد الناس انتقادًا للكلام، صادق اللهجة، حسن المغيب، صافي الضمير، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢، وتوفي يوم السبت ١٣ ذي القعدة سنة ٤٤١، ودُفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة.

الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني. قال ابن خلكان: كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة، وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرهما، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرده بالغايات في المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر؛ لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجَهْدُ وَصْفى يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ... ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله.

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه: الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودب ودرج من وكرها، ورضع أفاويق درِّها، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه:

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ مَوْصَولَةَ الْإِسْنَادِ بِالْإِسْنَادِ

يَرْوِي عَنِ الْعَبَّاسِ عَبَّادُ وِزَا　　رَتِهِ وَإِسْمَاعِيل عَنْ عَبَّادِ

وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء؛ لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له: صاحب ابن العميد، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي عَلَمًا عليه.

وذكر أبو إسحاق الصابي في كتاب التاجي: أنه إنما قيل له الصاحب؛ لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا، وسماه الصاحب، فاستمر عليه هذا اللقب، واشتهر به، ثم سُمي به كل من ولي الوزارة بعده، وكان أولًا وزير مؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل بن العميد، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه فخر الدولة أبو الحسن علي فأقر الصاحب على وزارته، وكان مبجلًا عنده ومعظمًا نافذ الأمر، وأنشده أبو القاسم الزعفراني يومًا أبياتًا نونية من جملتها:

أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تُهْدِي الْغِنَى　　إِلَى رَاحَتَيْ مَنْ نَأَى أَوْ دَنَا
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ　　كِسًى لَمْ نَخَلْ مِثْلَهَا مُمْكِنَا
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي　　صُنُوفٍ مِنَ الْخَزِّ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب: قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلًا قال له: احملني أيها الأمير، فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية، ثم قال: لو علمت أن الله — سبحانه وتعالى — خلق مركوبًا غير هذا لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخَزِّ بجبَّةٍ وقميص، وعمامة، ودُراعة، وسراويل، ومنديل، ومطرف، ورداء، وكساء، وجورب، وكيس، ولو علمنا لباسًا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكم، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِغُررِ المدائح، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين، فوقَّع تحتها: في حديد بارد. وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله، وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها: هذه بضاعتنا ردت إلينا. وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره، ثم صعد السطح يومًا فاطلع عليه فرآه، فناداه المحبوس بأعلى صوته: فاطلع فرآه في سواء الجحيم، فقال الصاحب: اخْسَئُوا فيها ولا تكلمون، ونوادره كثيرة.

وصنف في اللغة كتابًا سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبه على حروف المعجم كثَّر فيه الألفاظ وقلَّل الشواهد، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر، وكتاب الكافي في

الرسائل، وكتاب الأعياد، وفضائل النيروز، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ويثبت إمامة من تقدمه، وكتاب الوزراء، وكتاب الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته، وله رسائل بديعة ونظم جيد فمنه قوله:

وَشَـادِنٍ جَـمَـالُـهُ تَقْصُرُ عَنْهُ صِفَتِي
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي فَقُلْتُ قَبِّلْ شَفَتِي

وله في رقة الخمر:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي: أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه؛ ليفوضَ إليه وزارته، وتدبير أمر مملكته، فكان من جملة أعذاره إليه: أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جمل، فما الظن بما يليق بها من التحمل؟ وأخباره كثيرة.

قال ابن خلكان: وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري، ثم نقل إلى أصبهان — رحمه الله تعالى — ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزيه، وهي عامرة إلى الآن، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض.

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني: رأيت في المنام قائلًا يقول لي: لمَ لمْ تَرْثِ الصاحب مع فضلك وشعرك؟ فقلت: ألجَمَتْني كثرة محاسنه فلم أدرِ بما أبدأ منها؟ وقد خفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقوله، فقلت: قل، فقال:

ثَوَى الْجُودُ وَالْكَافِي مَعًا في حُفَيْرَةٍ

فقلت:

لِيَأْنَسَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِأَخِيهِ

فقال:

هُمَا اصْطَحَبَا حَيَّيْنِ ثُمَّ تَعَانَقَا

فقلت:

ضَجِيعَيْنِ فِي لَحْدٍ بِبَابِ دَزِيهِ

فقال:

إِذَا ارْتَحَلَ الثَّاوُونَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِمْ

فقلت:

أَقَامَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ

ذكر هذا البيَّاسي في حماسته، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الري، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أيامًا، ورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله:

أَبَعْدَ ابْنِ عَبَّادٍ يَهَشُّ إِلَى السُّرَى ... أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَمَاحُ جَوَادُ
أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمَوْتِهِ ... فَمَا لَهُمَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفي والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلاثمائة — رحمه الله تعالى — وكان وزير ركن الدولة بن بويه، وهو والد فخر الدولة ووالد

عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبي، وتوفي فخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، والطَّالقاني — بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف — وبعد الألف الثانية نون: هذه النسبة إلى الطالقان، وهو اسم لمدينتين؛ إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوين، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين، لا طالقان خراسان.

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي — وهو كما قال ابن خلكان — ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ — قال ابن خلكان: كان أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير، وكان إمامًا في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب، وكان يشار إليه في عصره، ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرَّجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه: قل للصاحب على البابِ أحد الأدباء، وهو يستأذن في الدخول، فدخل الحاجب وأعلمه، فقال الصاحب: قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك، فقال له أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول، فدخل عليه فعرفه وانبسط له، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فمن ذلك قوله:

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا مُقِيمًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْءُهُ أَغَبَّ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

ومن شعره أيضًا:

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صِرْفَ الرَّاحِ يَشْرَبُهَا وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسَا
الْكَاسُ وَالْكِيسُ لَمْ يَقْضِ امْتِلَاؤُهُمَا فَفَرِّغِ الْكِيسَ حَتَّى تَمْلَأَ الْكَاسَا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شهيب الخوارزمي:

أَبُـو بَـكْـرٍ لَـهُ أَدَبٌ وَفَـضْـلُ ... وَلَـكِنْ لَا يَدُومُ عَلَـى الْـوَفَـاءِ
مَـوَدَّتُـهُ إِذَا دَامَـتْ لِـخِـلٍّ ... فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ

وملحه ونوادره كثيرة.

ولما رجع من الشام سكن نيسابور، ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه: أنه توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راضٍ فعمل فيه:

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَّادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ ... يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أَخْجَلَ الدِّيَمَا
فَـإِنَّـهُ خَـطَـرَاتٌ مِـنْ وَسَـاوِسِـهِ ... يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمَا

فبلغ ابن عباد ذلك، فلما بلغه خبر موته أنشده:

أَقُولُ لِـرَكْبٍ مِـنْ خُـرَاسَـانَ قَـافِلٍ ... أَمَاتَ خُوَارِزْمِيُّكُمْ قِيلَ لِـي نَـعَـمْ
فَقُلْتُ اكْتُبُوا بِالْجَصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ ... أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمْ

العميدي «صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي»

قال ياقوت: أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العَمِيدي: أديب نحوي لغوي مصنف، سكن مصر.

قال أبو إسحاق الحبال: أبو سعيد العميدي: له أدبيات … مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، قال: وكان العميدي يتولى ديوان الترتيب، وعزل عنه — كما ذكر الروذباري — في سنة ثلاث عشرة في أيام الظاهر، ووليه ابن معشر، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر في أيام المستنصر، استخدم فيه عوضًا من ولي الدولة بن خبران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلي في جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة. قال: وله تصانيف في الأدب، منها: كتاب تنقيح البلاغة في عشرة مجلدات، رأيته بدمشق في خزانة الملك المعظم

وعليه خطه، وقد قرئ عليه في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائةٍ، وكتاب الإرشاد إلى حَلِّ المنظوم والهداية إلى نظم المنثور، وكتاب انتزاعات القرآن، وكتاب العروض، كتاب القوافي كبير.

قال علي بن مشرف: أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال: أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي لنفسه:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرِي لَمْ أَجِدْ لِي مَـقَـرَّ عِـبَـادَةٍ إِلَّا الْـقَـرَافَـهْ
لَئِنْ لَمْ يَرْحَمِ الْمَوْلَى اجْتِهَادِي وَقِلَّـةَ نَـاصِـرِي لَـمْ أَلْـقَ رَافَـهْ

ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو — كما قال ابن خلكان والثعلبي — أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي، المعروف بابن وكيع التنيسي … شاعر بارع، وعالم جامع، قد برع أهل زمانه، فلم يتقدمه أحد في أوانه، وله كل بديعة تسحر الأوهام، وتستعبد الأفهام، وله ديوان شعر جيد، وله كتاب بَيَّنَ فيه سرقات أبي الطيب، سماه المنصف، وكان في لسانه عجمة، ومن شعره:

سَلَا عَنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ الْمَشُوق فَمَا يَصْبُو إِلَيْكَ وَلَا يَتُوق
جَفَاؤُكَ كَانَ عَنْكَ لَنَا عَزَاءً وَقَدْ يُسْلِي عَنِ الْوَلَدِ الْعُقُوق

وله أيضًا:

إِنْ كَانَ قَدْ بَعُدَ اللِّقَاءُ فَودُّنَا بَاقٍ وَنَحْنُ عَلَى النَّوَى أَحْبَابُ
كَمْ قَاطِعٍ لِلْوَصْلِ يُؤْمَنُ ودُّهُ وَمُـوَاصِـلٍ بِـوِدَادِهِ يُـرْتَـابُ

وله أيضًا:

لَقَدْ شَمَتُّ بِقَلْبِي لَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ
كَمْ لُمْتُهُ فِي هَوَاهُ فَقَالَ لَا بُدَّ مِنْهُ

وقد ألمَّ بهذا المعنى بعضهم فقال:

لَا رَعَى اللهُ عَزْمَةً ضَمِنَتْ لِي سَلْوَةَ الْقَلْبِ وَالتَّصَبُّرَ عَنْهُ
مَا وَفَتْ غَيْرَ سَاعَةٍ ثُمَّ عَادَتْ مِثْلَ قَلْبِي تَقُولُ لَا بُدَّ مِنْهُ

ومثله قول أسامة بن منقذ:

لَا تَسْتَعِرْ جَلَدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِم طَوْعًا وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةَ رَاغِمِ

وقال بعض الفقهاء: أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد بن مقلد القضاعي الشيزري المدرس كان بتربة الإمام الشافعي — رضي الله عنه — بالقرافة لابن وكيع المذكور:

لَقَدْ قَنعَتْ هِمَّتِي بِالْخُمُولِ وَصَدَّتْهُ عَنِ الرُّتَبِ الْعَالِيَهْ
وَمَا جَهِلَتْ طَعْمَ طِيبِ الْعُلَا وَلَكِنَّهَا تُؤْثِرُ الْعَافِيَهْ

فأنشدني لنفسه على البديهة:

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْهُبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَهْ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ فِي الْعَافِيَهْ

ولابن وكيع أيضًا:

أَبْصَرَهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَآهُ
فَقَالَ لِي: لَوْ هَوِيتَ هَذَا مَا لَامَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ
قُلْ لِي إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ أَهْلُ الْهَوَى سِوَاهُ
فَظَلَّ مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَدْرِي يَأْمُرُ بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاهُ

قال ابن خلكان: وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي، فأنشدني لنفسه في المعنى:

لَوْ رَأَى وَجْهَ حَبِيبِي عَاذِلِي　　لَتَفَاصَلْنَا عَلَى وَجْهٍ جَمِيلِ

وهذا البيت من جملة أبيات، ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية، ولابن وكيع كل معنى حسن، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بمدينة تِنِّيس، ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها رحمه الله تعالى.

ووكيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة، وهو لقب جده أبي بكر محمد بن خلف، وكان نائبًا في الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقي، وكان فاضلًا نبيلًا فصيحًا من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم، وله مصنفات كثيرة، فمنها: كتاب الطريق، وكتاب الشريف، وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه، وكتاب الرمي والنضال، وكتاب المكاييل والموازين ... وغير ذلك، وله شعر كشعر العلماء، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ستٍّ وثلاثمائة ببغداد.

وقال ابن قانع: توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلاثمائة بعسكر مكرم رحمه الله تعالى؛ والتنيسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط.

الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب، قال ابن خلكان: كانت له معرفة تامة بالأدب، من النحو واللغة وغيرهما، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري، وأبي القاسم عبد الله بن علي الرقي، وأبي محمد الدهان اللغوي ... وغيرهم من أهل الأدب، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي، ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادي، وأبي القاسم عبد الله بن علي ... وغيرهم، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد، والحافظ أبو الفضل محمد

بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسي ... وغيرهم من الأعيان، وتخرَّج عليه خلق كثير وتتلمذوا له، وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله، ثم قال: سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرئ يقول: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمَرْضِيِّ الطريقة، وذكر عنه أشياء. ثم قال: وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله.

وصنف في الأدب كتبًا كثيرة مفيدة: منها شرح الحماسة، وكتاب شرح ديوان المتنبي، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري، وشرح المعلقات السبع، وشرح المفضليات، وله تهذيب غريب الحديث، وتهذيب إصلاح المنطق، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي، وكتاب في إعراب القرآن، سماه الملخص، رأيته في أربعة مجلدات، وشروحه لكتاب الحماسة ثلاث أكبر وأوسط وأصغر، وله غير ذلك من التآليف، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري: أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهري في عدة مجلدات لطاف، وأراد تحقيق ما فيها، وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة، وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوبًا فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل، وهي ببعض الوقوف ببغداد، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور، وكان الخطيب قد دخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي من اللغة، ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى الممات.

وكان يَرْوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محريز البغدادي جملة من شعره، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب، وهي من أشهر أشعاره:

خَلِيلَيَّ مَا أَحْلَى صَبُوحِي بِدَجْلَة ... وَأَطْيَبُ مِنْهُ بِالصراةِ غَبُوقِي
شَرِبْتُ عَلَى الْمَاءَيْنِ مِنْ مَاءِ كَرْمَةٍ ... فَكَانَا كَدُرٍّ ذَائِبٍ وَعَقِيقِ
عَلَى قَمَرَيْ أُفْقٍ وَأَرْضٍ تَقَابَلَا ... فَمِنْ شَائِقٍ حُلْوِ الْهَوَى وَمَشُوقِ

فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ رِيقَهُ　　　وَمَا زَالَ يَسْقِينِي وَيَشْرَبُ رِيقِي
وَقُلْتُ لِبَدْرِ التَّمِّ تَعْرِفُ ذَا الْفَتَى　　　فَقَالَ نَعَمْ هَذَا أَخِي وَشَقِيقِي

وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه، والبيت الأخير منها يستمد من معنى قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة الأندلسي في مدح المعتمد بن عباد صاحب إشبيليه من جملة قصيدة طويلة:

سَأَلْتُ أَخَاهُ الْبَحْرَ عَنْهُ فَقَالَ لِي　　　شَقِيقِي إِلَّا أَنَّهُ السَّاكِنُ الْعَذْبُ

ما كفاه أنه جعله شقيق البحر حتى رجحهُ عليه فقال: الساكن العذب والبحر مضطرب مالح، وهذا من خالص المدح وأبدعه، وأول هذه القصيدة:

بَكَتْ عِنْدَ تَوْدِيعِي فَمَا عَلِمَ الرَّكْبُ　　　أَذَاكَ سَقِيطُ الطَّلِّ أَمْ لُؤْلُؤٌ رَطْبُ
وَتَابَعَهَا سَرْبٌ وَإِنِّي لِمُخْطِئٌ　　　نُجُومَ الدَّيَاجِي لَا يُقَالُ لَهَا سَرْبُ

وهي قصيدة طويلة، وللخطيب أيضًا:

فَمَنْ يَسْأَمْ مِنَ الْأَسْفَارِ يَوْمًا　　　فَإِنِّي قَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْمُقَامِ
أَقَمْنَا بِالْعِرَاقِ عَلَى رِجَالٍ　　　لِئَامٍ يَنْتَمُونَ إِلَى لِئَامِ

وقال الخطيب: كتب إليَّ العميد الفياض:

قُلْ لِيَحْيَى بْنِ عَلِي　　　وَالْأَقَاوِيلُ فُنُونْ
غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ مَنْ يَكْـ　　　ـذِبُ فِيهَا وَيَخُونْ
أَنْتَ عَيْنُ الْفَضْلِ إِنْ　　　مَدَّ إِلَى الْفَضْلِ عُيُونْ
أَنْتَ مَنْ عَزَّ بِهِ الْفَضْـ　　　ـلُ وَقَدْ كَادَ يَهُونْ
فُقْتَ مَنْ كَانَ وَأَتْعَبْـ　　　ـتَ لَعَمْرِي مَنْ يَكُونْ
قَدْ مَضَى فِيكَ قِرَانٌ　　　وَمَضَى قَبْلَ قُرُونْ
وَإِذَا قِيسَ بِكَ الْكُلُّ　　　فَصَحْوٌ وَدُجُونْ

وَإِذَا فَـتَّـشَ عَـنْـهُـمُ   فَـالْأَحَـادِيـثُ شُـجُـونْ
قَـدْ سَـمْـعِـنَـا وَرَأَيْـنَـا   فَـسُـهُـولٌ وَحُـزُونْ
وَوَزَنَّـا بِـكَ مَـنْ كَـا   نَ فَـقِـيـلٌ وَقُـيُـونْ
أَيْـنَ شَـيْـبَـان وَأَزْدٌ   كُـلُّ مَـا زَالَ ظُـنُـونْ
إِنَّـكَ الْأَصْـلُ وَمَـنْ دُو   نَكَ فِي الْعِلْمِ غُصُونْ
إِنَّـكَ الْـبَـحْـرُ وَأَعْـيَـا   نُ ذَوِي الْفَضْلِ عُيُونْ
لَيْسَ كَالسَّيْفِ وَإِنْ حَلَّ   فِـي الْـحُـكْـمِ جُـفُـونْ
لَيْسَ كَالْقَدَحِ الْمُعَلَّى   لَيْسَ كَالْبَيْتِ الْحَجُونْ
لَـيْـسَ كَـالْـجِـدِّ وَإِنْ آ   نَـسَ هَـزْلٌ وَمُـجُـونْ
لَيْسَ فِي الْحُسْنِ سَوَاء   أَبَـدًا بِـيـضٌ وَجُـونْ
لَيْسَ كَالْأَبْكَارِ فِي اللُّطـ   ـفِ وَإِنْ رَاقَتْكَ عُونْ
قُلْتُ لِلْحُسَّادِ كُونُوا   كَيْفَ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونُوا
سَبَقَ الزَّائِدُ بِالْفَضْلِ   فَـعَـزُّوا أَوْ فَـهُـونُـوا
دُمْتَ مَا خَالَفَ فِـي   الْـحَدِّ حَرَاكٌ وَسُكُونْ
وَتَـلَـقَّـاكَ الْـمُـنَـى مَـا   قَرَّ بِالطَّيْرِ الْوُكُونْ
إِنَّ وُدِّي لَـكَ عَـمَّـا   يَـصِـمُ الْـوُدَّ مَـصُـونْ
لَـيْسَ لِـي فِـيهِ ظُـهُورٌ   تَـتَـنَـافَـى أَوْ بُـطُـونْ
بَلْ لِقَلْبِي فِيكَ صَبٌّ   بَـالْـمُـصَـافَـاةِ يَـكُـونْ
غَلقَ الرَّهْنُ وَقَدْ تغـْ   ـلَقُ فِي الْحُبِّ رُهُونْ
وَمِـنَ الـنَّـاسِ أَمِـيـنٌ   فِــي هَـوَاهُ وَخَـئُـونْ

وقال ابن الجواليقي: قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا: فكتبت أنا إلى العميد الفياض المذكور هذه الأبيات:

قُلْ لِلْعَمِيدِ أَخِي الْعُلَا الْفَيَّاضِ   أَنَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِكَ الْفَيَّاضِ
شَرَّفْتَنِي وَرَفَعْتَ ذِكْرِي بِالَّذِي   أَلْبَسْتَنِيهِ مِنَ الثَّنَا الْفَضْفَاضِ
أَلْبَسْتَنِي حُلَلَ الْقَرِيضِ تَفَضُّلًا   فَرَفَلْتُ مِنْهَا فِي عُلًا وَرِيَاضِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ بِالْحَصَى عَنْ لُؤْلُؤٍ   أَبْـرَزْتُـهُ مِـنْ خَـاطِـرٍ مُـرْتَـاضِ

وَبِخَاطِرِي عَنْ مِثْلِ ذَاكَ تَوَقُّفٌ مَا إِنْ يَكَادُ يَجُودُ بِالْأَبْعَاضِ
الْعَارِضُ الْبَحْرُ الْغُطَامِطُ جَدْوَلٌ أَمْ دُرَّةٌ تَنْقَاسُ بِالرضْرَاضِ
يَا فَارِسَ النَّظْمِ الْمُرَصَّعِ جَوْهَرًا وَالنَّثْرِ يَكْشِفُ غُمَّةَ الْأَمْرَاضِ
يَرْمِي بِهِ الْغَرَضَ الْبَعِيدَ وَقَدْ غَدَا فِكْرِي يُقَصِّرُ عَنْ مَدَى الْأَغْرَاضِ
لَا تُلْزِمَنِّي مِنْ ثَنَائِكَ مُوجِبًا حَقًّا فَلَسْت لِحَقِّهِ بِالْقَاضِي
فَلَقَدْ عَجَزْتُ عَنِ الْقَرِيضِ وَرُبَّمَا أَعْرَضْتُ عَنْهُ أَيَّمَا إِعْرَاضِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِبَسْطِ عُذْرِيَ إِنَّنِي أَقْرَرْتُ عِنْدَ نَدَاكَ بِالْإِنْفَاضِ

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد، ودفن في مقبرة باب أبرز — رحمه الله تعالى — وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم.

العكبري

أما الإمام العُكبَرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولد والدار الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب محب الدين، أخذ النحو عن أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد، وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرهما، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه، وكان الغالب عليه علم النحو، وصنف فيه مصنفات مفيدة، وشرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وديوان المتنبي، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين، وكتاب إغراب الحديث لطيف، وكتاب شرح اللُّمع لابن جِنِّي، وكتاب اللباب في علل النحو، وكتاب إعراب شعر الحماسة، وشرح المفصَّل للزمخشري شرحًا مستوفى، وشرح الخطب النُّباتِية والمقامات الحريرية، وصنف في النحو والحساب، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حي وبعُدَ صيته، وكانت ولادته سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة، وتوفي ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ببغداد، ودفن بباب حرب، رحمه الله تعالى.

والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء، هذه النسبة إلى عُكْبَرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم.

ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي. قال ابن خلكان: كان إمامًا في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعًا من الأدب صنَّف فيه عدة تصانيف، فمن ذلك كتاب الأمالي، وهو أكبر تآليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسًا، وهو يشتمل على فؤاد جمة من فنون الأدب، وختمه بمجلس قَصَرَه على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها، وذكر ما قاله الشراح فيها، وزاد من عنده ما سنَحَ له، وهو من الكتب الممتعة، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب والتمس فيه سماعه عليه، فلم يجبه إلى ذلك، فعاداه وردَّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردِّ فردَّ عليه في رده وبين وجوه غلطه وجمعه كتابًا وسماه الانتصار، وهو على صغر حجمه مفيد جدًّا وسمعه عليه الناس، وجمع أيضًا كتابًا سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه، وله في النحو عدة تصانيف: ما اتفق لفظه واختلف معناه، وشرح اللمع لابن جني، وشرح التصريف الملوكي، وكان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحًا جيد البيان والتفهيم، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي، وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما، وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال: اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث، وعلقت عنه شيئًا من الشعر في المدرسة، ثم مضيت إليه، وقرأت عليه جزءًا من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي.

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء: أن العلامة أبا القاسم محمودًا الزمخشري لما قدم بغداد قاصدًا الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري فمضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي:

وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ   فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ

ثم أنشده بعد ذلك:

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا   عَنْ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ أَحْسَنَ الْخَبَرِ
ثُمَّ الْتَقَيْنَا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ   أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي، وينسبان إلى غيره أيضًا؛ قال ابن الأنباري: فقال العلامة الزمخشري: روي عن النبي ﷺ أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له: «يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي، غيرك.» قال ابن الأنباري: فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمي؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير وأولها:

هَذِي السديرَةُ وَالْغَدِيرُ الطَّافِحُ   فَاحْفَظْ فُؤَادَكَ إِنَّنِي لَكَ نَاصِحُ
يَا سِدْرَةَ الْوَادِي الَّذِي إِنْ ضَلَّهُ الـ   ـسَّارِي هَدَاهُ نَشْرُهُ الْمُتَفَاوِحُ
هَلْ عَائِدٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ لِمُغْرَمٍ   عَيْشٌ تَقَضَّى فِي ظِلَالِكَ صَالِحُ
مَا أَنْصَفَ الرَّشَأُ الضَّنِينُ بِنَظْرَةٍ   لَمَّا دَعَا مُضْنَى الصَّبَابَةِ طَامِحُ
شَطَّ الْمَزَارُ بِهِ وَبُوِّئَ مَنْزِلًا   بِصَمِيمِ قَلْبِكَ فَهْوَ دَانٍ نَازِحُ
غُصْنٌ يُعَطِّفُهُ النَّسِيمُ وَفَوْقَهُ   قَمَرٌ يَحُفُّ بِهِ ظَلَامٌ جَانِحُ
وَإِذَا الْعُيُونُ تَسَاهَمَتْهُ لِحَاظُهَا   لَمْ يَرْوِ مِنْهُ النَّاظِرُ الْمُتَرَاوِحُ
وَلَقَدْ مَرَرْنَا بِالْعَقِيقِ فَشَاقَنَا   فِيهِ مَرَاتِعُ لِلْمَهَا وَمَسَارِحُ
ظَلِلْنَا بِهِ نَبْكِي فَكَمْ مِنْ مُضْمَرٍ   وَجْدًا أَذَاعَ هَوَاهُ دَمْعٌ سَافِحُ
بَرَتِ السُّنُونُ رُسُومَهَا فَكَأَنَّمَا   تِلْكَ الْعِرَاصُ الْمُقْفِرَاتُ نَوَاضِحُ
يَا صَاحِبَيَّ تَأَمَّلَا حُيِّيتُمَا   وَسَقَى دِيَارَكُمَا الْمُلِثُّ الرَّائِحُ
أَدُمًى بَدَتْ لِعُيُونِنَا أَمْ رَبْرَبٌ   أَمْ خُرَّدٌ أَكْفَالُهُنَّ رَوَاجِحُ
أَمْ هَذِهِ مُقَلُ الصَّوَارِ رَنَتْ لَنَا   خِلَلَ الْبَرَاقِعِ أَمْ قَنًا وَصَفَائِحُ

لَمْ يَبْقَ جَارِحَةٌ وَقَدْ وَاجَهْنَنَا ... إِلَّا وَهُنَّ لَهَا بِهِنَّ جَوَارِحُ
كَيْفَ ارْتِجَاعُ الْقَلْبِ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى ... وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ يُرَاضَ الْقَارِحُ
لَوْ بَلَّهُ مِنْ مَاءِ ضَارِجٍ شَرْبَةٍ ... مَا أَثَّرَتْ لِلْوَجْدِ فِيهِ لَوَاقِحُ

ومن ها هنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه؛ لتستدل به على طريقته فيه، ومن شعره أيضًا:

هَلِ الْوَجْدُ خَافٍ وَالدُّمُوعُ شُهُودُ ... وَهَلْ مُكَذِّبٌ قَوْلَ الْوُشَاةِ جُحُودُ
وَحَتَّى مَتَى تُفْنِي شُئُونَكَ بِالْبُكَا ... وَقَدْ حَدَّ حَدًّا لِلْبُكَاءِ لَبِيدُ
وَإِنِّي وَإِنْ خَفَّتْ قَنَاتِيَ كبْرَةً ... لَذُو مِرَّةٍ فِي النَّائِبَاتِ جَلِيدُ

وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري، وهي:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشُ أَبُوهُمَا ... وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ
فَقُومَا فَنُوحَا بِالَّذِي تَعْلَمَانِهِ ... وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعَرْ
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ ... أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْعُهُودَ وَلَا غَدَرْ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ

وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله:

ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَاءُ حَوْلٍ بَعْدَهُمْ ... ثُمَّ ارْعَوَيْتُ وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدِ

وقال الشريف أبو السعادات المذكور، أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي لنفسه:

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ مَلِكًا مُطَاعًا ... فَكُنْ عَبْدًا لِمَالِكِهِ مُطِيعَا
وَإِنْ لَمْ تَمْلِكِ الدُّنْيَا جَمِيعًا ... كَمَا تَهْوَاهُ فَاتْرُكْهَا جَمِيعَا
هُمَا سَبَبَانِ مِنْ مُلْكٍ وَتَرْكٍ ... يُنِيلَانِ الْفَتَى الشَّرَفَ الرَّفِيعَا
فَمَنْ يَقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... سِوَى هَذَيْنِ عَاشَ بِهَا وَضِيعَا

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا البغدادي الحريمي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل، فلما وقف على شعره عمل فيه قوله:

يَا سَيِّدِي وَالَّذِي يُعِيذُكَ مِنْ   نَظْمِ قَرِيضٍ يَصْدَا بِهِ الْفِكْرُ
مَا لَكَ مِنْ جَدِّكَ النَّبِيِّ سِوَى   أَنَّكَ مَا يَنْبَغِي لَكَ الشِّعْرُ

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ودفن من الغد في داره بالكرخ من بغداد، رحمه الله تعالى.

والشجري بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء: هذه النسبة إلى شجرة، وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وشجرة أيضًا اسم رجل قد سمَّت به العرب ومن بعدها، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة؟ والله أعلم.

القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، قال ياقوت: كان أريبًا أديبًا كاملًا، مات بالرَّيِّ يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالري حينئذ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال: ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر، وأخوه إذ ذاك فقيهٌ مناظر، وأبو الحسن قد ناهز الحُلُم، فسمعا معًا الحديث الكبير، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكِرَ في الدنيا،[٢٧] وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض، راجِلين، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمي، فاستدعي من قزوين وولي قضاء القضاة بالري، وله يقول الصاحب بن عباد، وقد أنشأ عهدًا للقاضي عبد الجبار على قاضي الري:

إذَا نَـحْنُ سَلَّمْنَـا لَكَ الْعِلْـمَ كُلَّـهُ   فَدَعْنَا وَهَذِي الْكُتْبَ نُحْسِنْ صُدُورَهَا
فَـإِنَّـهُـمُ لَا يَـرْتَـضُـونَ مَـجِـيـئَـنَـا   بِجَزْعٍ إِذَا نَظَّمْتَ أَنْتَ شُذُورَهَا[٢٨]

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به[٢٩] وشمخ بأنفه بالانتماء إليه، وطوف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره، وله رسائل مدونة، وأشعار مُفنَّنَة، وكان جيد الخط مليحًا يشبه بخط ابن مقلة، ومن شعره:

أَفْدِي الَّذِي قَالَ وَفِي كَفِّهِ   مِثْلُ الَّذِي أَشْرَبُ مِنْ فِيهِ
الْوَرْدُ قَدْ أَيْنَعَ فِي وَجْنَتِي   قُلْتُ: فَمِي بِاللَّثْمِ يَجْنِيهِ

ومنه:

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٍ وَإِنَّمَا   رَأَوْا رَجُلًا فِي مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ   وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمَا
وَمَا زِلْتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِيَ جَانِبًا   مِنَ الذَّمِّ أَعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا
إِذَا قِيلَ هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى   وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي   وَلَا كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا   بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي   لِأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً؟   إِذَنْ فَابْتِيَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ   وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ تَعَظَّمَا
وَلَكِنْ أَذَلُوهُ جِهَارًا وَدَنَّسُوا   مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

ومنه:

وَقَالُوا: اضْطَرِبْ فِي الْأَرْضِ فَالرِّزْقُ وَاسِعُ   فَقُلْتُ: وَلَكِنْ مَطْلَبُ الرِّزْقِ ضَيِّقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حُرٌّ يُعِينُنِي   وَلَمْ يَكُ لِي كَسْبٌ فَمِنْ أَيْنَ أُرْزَقُ؟

ومنه:

أُحِبُّ اسْمَهُ مِنْ أَجْلِهِ وَسَمِيَّهُ   وَيَتْبَعُهُ فِي كُلِّ أَخْلَاقِهِ قَلْبِي
وَيَجْتَازُ بِالْقَوْمِ الْعِدَا فَأُحِبُّهُمْ   وَكُلُّهُمْ طَاوِي الضِّمِيرِ عَلَى حَرْبِي

ومنه:

قَدْ بَرَّحَ الشَّوقُ بِمُشْتَاقِكْ   فَأَوْلِهِ أَحْسَنَ أَخْلَاقِكْ
لَا تَجْفُهُ وَارْعَ لَهُ حَقَّهُ   فَإِنَّهُ خَاتَمُ عُشَّاقِكْ

وللقاضي عدة تصانيف منها: كتاب تفسير القرآن المجيد، كتاب تهذيب التاريخ، كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل نيسابور:

أَيَا قَاضِيًا قَدْ دَنَتْ كُتْبُه   وَإِنْ أَصْبَحَتْ دَارُهُ شَاحِطَهْ
كِتَابُ الْوَسَاطَةِ فِي حُسْنِهِ   لِعِقْدِ مَعَالِيكَ كَالْوَاسِطَهْ

ومن شعره:

وَمَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى   صِرْتُ لِلْبَيْتِ وَالْكِتَابِ جَلِيسَا
لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزُّ عِنْدِي مِنَ الْعِلْـ   ـمِ فَلَمْ أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنِيسَا!
إِنَّمَا الذُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النَّا   سِ فَدَعْهُمْ وَعِشْ عَزِيزًا رَئِيسَا

ومن سائر شعره قوله:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقًا   عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا   عَلَيْكَ وَإِنْظَارًا إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيَّ وَإِنْ أَبَتْ   فَكُلُّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفت يومًا من دار الصاحب وذلك قبيل العيد، فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ　　مَعَ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَهْ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ　　فَكَأَنَّمَا أُهْدِي لَهُ أَخْلَاقَهْ

قال وسمعته يقول: إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيته يومًا من فرط تحفيه بي وتواضعه لي؛ فأنشدني:

أَكْرِمْ أَخَاكَ بِأَرْضِ مَوْلِدِهِ　　وَأَمِدَّهُ مِنْ فِعْلِكَ الْحَسَنِ
فَالْعِزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَسٌ　　وَأَعَزُّهُ مَا نِيلَ فِي الْوَطَنِ

ثم قال: قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت: لعل مولانا يريد قولي:

وَشَيَّدْتُ مَجْدِي بَيْنَ قَوْمِي فَلَمْ أَقُلْ　　أَلَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ صَنِيعِي

فقال: ما أردت غيره، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ قال الثعالبي: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز، حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ، ونظم البحتري: وينظم عقد الإتقان، والإحسان في كل ما يتعاطاه، «وأنشد بيت الصاحب المقدم ذكره» وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع عرض الأرض، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء عَلَمًا، وفي الكمال عالمًا، ثم عرج على حضرة الصاحب فألقى بها عصا المسافر، فاشتد اختصاصه به، وحل منه محلًّا بعيدًا في رفعته، قريبًا في أسرته، وسير فيه قصائد أخلصت على قَصْد، وفرائد أتت من فردٍ، وما منها إلا صوب العقل، وذوب الفضل، وتقلد قضاء جرجان من يده، ثم تصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته، من الولاية والعُطْلة، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالري، فلم يعزله إلا موته، رحمه الله تعالى.

وعرض عليَّ أبو نصر المصعبي كتابًا للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب، في معنى القاضي أبي الحسن نسخته بعد التصيد والتشبيب: قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتبي ما أعلم أني لم أؤَدِّ فيه بعض الحق، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل، وتكشف عن أنَّه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم، فأما موقعه مني: فالموقع الذي تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب، وعادته معي ألا يفارقني مقيمًا وظاعنًا ومسافرًا وقاطنًا، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإلمام. فطالبني مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده؛ فإن عنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله؛ ليتعجل انكفاؤه إليَّ بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بَذْرَقةٍ[٣٠] إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده فإني ما غاب كالمضلِّ الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد، فعل إن شاء الله.

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي، عمل القاضي أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره، فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمد في فصل الخطاب، وأعرب عن تبحره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح.

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما، ومن شعره:

أُنْثُرْ عَلَى خَدِّيَ مِنْ وَرْدِكْ ... أَوْدَعْ فَمَنْ يَقْطِفْهُ مِنْ خَدِّكْ
اِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ ... قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَّ مِنْ قَدِّكْ
وَقُلْ لِعَيْنَيْكَ، بِنَفْسِي هُمَا ... يُخَفِّفَانِ السُّقْمَ عَنْ عَبْدِكْ

وله:

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُسرُّ بِمَنْ دَنَا ... مَخَافَةَ نَأْيٍ أَوْ حِذَارَ صُدُودِ

فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَقُولُ لِمُقْلَتِي وَقَدْ قَربوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي
فَلَيْسَ قَرِيبًا مَنْ يُخَافُ بِعَادُهُ وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ

وله يستطرد:

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنٍ ظَالِمٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمِ؟
يَفْعَلُ بِالْإِخْوَانِ أَحْدَاثُهُ فِعْلَ الْهَوَى بِالدَّنِفِ الْهَائِمِ
كَأَنَّمَا أَصْبَحَ يَرْمِيهِمُ عَنْ جَفْنِ مَوْلَايَ أَبِي الْقَاسِمِ

وقال يذكر بغداد ويتشوقها:

يَا نَسِيمَ الْجَنُوبِ بِاللهِ بَلِّغْ مَا يَقُولُ الْمُتَيَّمُ الْمُسْتَهَامُ
قُلْ لِأَحْبَابِهِ فِدَاكُمْ فُؤَادٌ لَيْسَ يَسْلُو وَمُقْلَةٌ لَا تَنَامُ
بِنْتُمْ فَالرُّقَادُ عِنْدِي سُهَادٌ مُذْ نَأَيْتُمْ وَالْعَيْشُ عِنْدِي لِمَامُ
فَعَلَى الْكَرْخِ فَالْقَطِيعَةِ فَالشَّطِّ فَبَابِ الشَّعِيرِ مِنِّي السَّلَامُ
يَا دِيَارَ السُّرُورِ لَا زَالَ يَبْكِي بِكَ فِي مَضْحَكِ الرِّيَاضِ غَمَامُ
رُبَّ عَيْشٍ صَحِبْتُهُ فِيكَ غَضٍّ وَجُفُونِ الْخُطُوبِ عَنِّي نِيَامُ
فِي لَيَالٍ كَأَنَّهُنَّ أَمَانٌ مِنَ زَمَانٍ كَأَنَّهُ أَحْلَامُ
وَكَأَنَّ الْأَوْقَاتَ فِيهَا كُئُوسٌ دَائِرَاتٌ وَأُنْسُهُنَّ مُدَامُ
زَمَنٌ مُسْعِدٌ وَإِلْفٌ وَصُولُ وَمُنًى يَسْتَلِذُّهَا الْأَوْهَامُ
كُلُّ أُنْسٍ وَلَذَّةٍ وَسُرُورٍ بَعْدَمَا بِنْتُمْ عَلَيَّ حَرَامُ

وله في ذلك:

سَقَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ أَخْلَافُ مُزْنَةٍ تُحَاكِي دُمُوعِي صَوْبَهَا وَانْحِدَارَهَا
فَلِي مِنْهُمَا قَلْبٌ شَجَانِي اشْتِيَاقُهُ وَمُهْجَةُ نَفْسٍ مَا أَمَلُّ ادِّكَارَهَا
سَأَغْفِرُ لِلْأَيَّامِ كُلَّ عَظِيمَةٍ لَئِنْ قَربتْ بَعْدَ الْبعَادِ مَزارها

وله في ذلك:

أَرَاجِعَةٌ تِلْكَ اللَّيَالِي كَعَهْدِهَا ... إِلَى الْوَصْلِ أَمْ لَا يُرْتَجَى لِي رُجُوعُهَا؟
وَصُحْبَةُ أَحْبَابٍ لَبِسْتُ لِفَقْدِهِمْ ... ثِيَابَ حِدَادٍ يُسْتَجَدُّ خَلِيعُهَا
إِذَا لَاحَ لِي مِنْ نَحْوِ بَغْدَادَ بَارِقٌ ... تَجَافَتْ جُفُونِي وَاسْتُطِيرَ هُجُوعُهَا!
وَإِنْ أَخْلَفَتْهَا الْغَادِيَاتُ رُعُودَهَا ... تَكَلَّفَ تَصْدِيقَ الْغَمَامِ دُمُوعُهَا
سَقَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ كُلُّ غَمَامَةٍ ... يُحَاكِي دُمُوعَ الْمُسْتَهَامِ هُمُوعُهَا
مَعَاهِدَ مِنْ غِزْلَانِ أُنْسٍ تَحَالَفَتْ ... لَوَاحِظُهَا أَلَّا يُدَاوَى صَرِيعُهَا
بِهَا تَسْكُنُ النَّفْسُ النَّفُورُ وَيَغْتَدِي ... بِآنَسَ مِنْ قَلْبِ الْمُقِيمِ نَزِيعُهَا
يَحِنُّ إِلَيْهَا كُلُّ قَلْبٍ كَأَنَّمَا ... يُشَادُ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ رُبُوعُهَا
فَكُلُّ لَيَالِي عَيْشِهَا زَمَنُ الصِّبَا ... وَكُلُّ فُصُولِ الدَّهْرِ فِيهَا رَبِيعُهَا

وله في ذلك:

بِجَانِبِ الْكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ لِي سَكَنٌ ... لَوْلَا التَّحَمُّلُ لَمْ أَنْفَكَّ أَنْدُبُهُ
وَصَاحِبٌ مَا صَحِبْتُ الصَّبْرَ مُذْ بَعُدَتْ ... دِيَارُهُ وَأَرَانِي لَسْتُ أَصْحَبُهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِعَيْنِي مَا يُؤَرِّقُهَا ... مِنْ ذِكْرِهِ وَلِقَلْبِي مَا يُعَذِّبُهُ
مَا زَالَ يُبْعِدُنِي عَنْهُ وَأَتْبَعُهُ ... وَيَسْتَمِرُّ عَلَى ظُلْمِي وَأَعْتِبُهُ
حَتَّى أَوَتْ لِيَ النَّوَى مِنْ طُولِ جَفْوَتِهِ ... وَسَهَّلَتْ لِي سَبِيلًا كُنْتُ أَرْهَبُهُ
وَمَا الْبِعَادُ دَهَانِي بَلْ خَلَائِقُهُ ... وَلَا الْفِرَاقُ شَجَانِي بَلْ تَجَنُّبُهُ

وله في التخلص:

أَوَمَا انْثَنَيْتَ عَنِ الْوَدَاعِ بِلَوْعَةٍ ... مَلَأَتْ حَشَاكَ صَبَابَةً وَغَلِيلَا؟
وَمَدَامِعٍ تَجْرِي فَتَحْسَبُ أَنَّ فِي ... آمَاقِهِنَّ بَنَانَ إِسْمَاعِيلَا

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير:

وَلَمَّا تَدَاعَتْ لِلْغُرُوبِ شُمُوسُهُمْ ... وَقُمْنَا لِتَوْدِيعِ الْفَرِيقِ الْمُغَرِّبِ
تَلَقَّيْنَ أَطْرَافَ السُّجُوفِ بِمُشْرِقٍ ... لَهُنَّ وَأَعْطَافَ الْخُدُورِ بِمُغْرِبِ
فَمَا سِرْنَ إِلَّا بَيْنَ دَمْعٍ مُضَيَّعٍ ... وَلَا قُمْنَ إِلَّا بَيْنَ قَلْبٍ مُعَذَّبِ
كَأَنَّ فُؤَادِي قِرْنُ قَابُوسَ رَاعَهُ ... تُلَاعِبُهُ بِالْفَيْلَقِ الْمُتَنَاشِبِ

وله في الصاحب من قصيدة:

وَمَا بَالُ هَذَا الدَّهْرِ يَطْوِي جَوَانِحِي ... عَلَى نَفْسِ مَحْزُونٍ وَقَلْبِ كَئِيبِ
تَقَسَّمُنِي الْأَيَّامُ قِسْمَةَ جَائِرٍ ... عَلَى نَضْرَةٍ مِنْ حَالِهَا وَشُحُوبِ
كَأَنِّيَ فِي كَفِّ الْوَزِيرِ رَغِيبَةٌ ... تُقَسَّمُ فِي جَدْوَى أَغَرَّ وَهُوبِ

وله من قصيدة في الصاحب:

وَلَا ذَنْبَ لِلْأَفْكَارِ أَنْتَ تَرَكْتَهَا ... إِذَا احْتَشَدَتْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِاحْتِشَادِهَا
سَبَقْتَ بِأَفْرَادِ الْمَعَانِي وَأَلَّفَتْ ... خَوَاطِرُكَ الْأَلْفَاظَ بَعْدَ شِرَادِهَا
وَإِنْ نَحْنُ حَاوَلْنَا اخْتِرَاعَ بَدِيعَةٍ ... حَصَلْنَا عَلَى مَسْرُوقِهَا وَمُعَادِهَا

وله في الصاحب من قصيدة يهنئه بالبرء من المرض:

بِكَ الدَّهْرُ يُبْدِي ظِلَّهُ وَيَطِيبُ ... وَيُقْلِعُ عَمَّا سَاءَنَا وَيَتُوبُ
وَنَحْمَدُ آثَارَ الزَّمَانِ وَرُبَّمَا ... ظَلَلْنَا وَأَوْقَاتِ الزَّمَانِ ذُنُوبُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَكَارِمِ رَوْعَةٌ ... لَهَا فِي قُلُوبِ الْمَكْرُمَاتِ وَجِيبُ؟
تَقَسَّمَتِ الْعَلْيَاءُ جِسْمَكَ كُلَّهُ ... فَمِنْ أَيْنَ فِيهِ لِلسِّقَامِ نَصِيبُ؟
إِذَا أَلِمَتْ نَفْسُ الْوَزِيرِ تَأَلَّمَتْ ... لَهَا أَنْفُسٌ تَحْيَا بِهَا وَقُلُوبُ
وَوَاللهِ لَا لَاحَظْتُ وَجْهًا أحبه ... حَيَاتِي وَفِي وَجْهِ الْوَزِيرِ شُحُوبُ
وَلَيْسَ شُحُوبًا مَا أَرَاهُ بِوَجْهِهِ ... وَلَكِنَّهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ نُدُوبُ
فَلَا تَجْزَعَنْ تِلْكَ السَّمَاءُ تَغَيَّمَتْ ... وَعَمَّا قَلِيلٍ تَبْتَدِي فَتَصُوبُ

تَهَلَّلَ وَجْهُ الْمَجْدِ وَابْتَسَمَ النَّدَى وَأَصْبَحَ غُصْنُ الْفَضْلِ وَهْوَ رَطِيبُ
فَلَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِكَ طَلْقَةً وَلَا زَالَ فِيهَا مِنْ ظِلَالِكَ طِيبُ

وله:

عَلَى مُهْجَتِي تَجْنِي الْحَوَادِثُ وَالدَّهْرُ فَأَمَّا اصْطِبَارِي فَهْوُ مُمْتَنِعٌ وَعْرُ
كَأَنِّي أُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ يَنُوبُنِي بِذَنْبٍ وَمَا ذَنْبِي سِوَى أَنَّنِي حُرُّ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الزَّمَانِ سِوَى الَّذِي أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا فَعِنْدِي لَهُ الصَّبْرُ
وَقَالُوا: تَوَصَّلْ بِالْخُضُوعِ إِلَى الْغِنَى وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْخُضُوعَ هُوَ الْفَقْرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَالِ بَابَانِ حَرَّمَا عَلَيَّ الْغِنَى: نَفْسِي الْأَبِيَّةُ وَالدَّهْرُ
إِذَا قِيلَ: هَذَا الْيُسْرُ عَايَنْتُ دُونَهُ مَوَاقِفَ خَيْرٍ مِنْ وُقُوفِي بِهَا الْعُسْرُ
إِذَا قَدَّمُوا بِالْوَفْرِ قَدَّمْتُ قَبْلَهُمْ بِنَفْسٍ فَقِيرٍ كُلُّ أَخْلَاقِهِ وَفْرُ
وَمَاذَا عَلَى مِثْلِي إِذَا خَضَعَتْ لَهُ مَطَامِعُهُ فِي كَفِّ مَنْ حَصلَ التِّبْرُ

وله:

سَقَى الْغَيْثُ أَوْ دَمْعِي — وَقَلَّ كِلَاهُمَا — لَهَا أَرْبُعًا، جُورُ الْهَوَى بَيْنَهَا عَدْلُ
بِحَيْثُ اسْتَرَقَّ الدِّعْصُ وَانْبَسَطَ النَّقَى وَحَيْثُ تَنَاهَى الْحِقْفُ وَانْقَطَعَ الرَّمْلُ
أُكَثِّرُ مِنْ أَوْصَافِهَا وَهْيَ وَاحِدٌ وَلَكِنْ أَرَى أَسْمَاءَهَا فِي فَمِي تَحْلُو
وَفِي ذَلِكَ الْخِدْرِ الْمُكَلَّلِ ظَبْيَةٌ لِكُلِّ فُؤَادٍ عِنْدَ أَجْفَانِهَا ذَحْلُ
إِذَا خَطَرَاتُ الرِّيحِ بَيْنَ سُجُوفِهَا أَبَاحَتْ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مَا حَظَرَ الْبُخْلُ
تَلَقَّتْ بِأَثْنَاءِ النَّصِيفِ لِحَاظَنَا وَقَالَتْ لِأُخْرَى: مَا لِمُسْتَهْتَرٍ عَقْلُ؟
أَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَمْرَحُ طَرْفُهُ وَأَعْدَاؤُنَا حُوَلٌ وَحُسَّادُنَا قُبْلُ؟
وَمَدَّتْ لِإِسْبَالِ السُّجُوفِ بَنَانَهَا فَغَازَلَنَا عَنْهَا الشَّمَائِلُ وَالشَّكْلُ

أبو العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارئ هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء أبا العلاء المعري، وهو أعرف من أن يعرف، وقد أحاط المتأدبون بسيرته وعبقريته علمًا؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩، وأنه وضع شرحًا لشعر المتنبي وسمَّاه اللامع العزيزي، واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب، وديوان البحتري، وسماه «عبث الوليد» وديوان المتنبي، وسماه معجز أحمد، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم، وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم.

قال ابن خلكان: وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، وأبو زكريا التبريزي — أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له — وغيرهما، والله أعلم.

هوامش

(١) أرم الرجل إرمامًا: سكت، ويقال كلمه فما ترمرم؛ أي ما ردَّ جوابًا، وما ترمرم فلان بحرف؛ أي ما نطق، وفي حديث عائشة — رضي الله عنها: كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج — أي رسول الله — لعب — أي الوحش — وجاء وذهب، فإذا جاء ربض ولم يترمرم ما دام في البيت؛ أي سكن ولم يتحرك.

(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو، ولد سنة ٢٨٨، وتوفي سنة ٣٧٧ ببغداد: وأقام بحلب عند سيف الدولة، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة بن بويه، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي في النحو، وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو … يحكى أنه كان يومًا في ميدان شيراز يساير عضد الدولة فقال له: لمَ انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدًا؟ فقال أبو علي: بفعل مقدر، فقال له: كيف تقديره؟ فقال: أستثني زيدًا، فقال له عضد الدولة: هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد؟ فانقطع أبو علي وقال له: هذا الجواب ميداني … ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلامًا حسنًا وحمله إليه فاستحسنه … وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا …

(٣) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف، ويذكر طريقه بشعب بوان. انظر القصيدة التي مطلعها:

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

(٤) الصهباء من أسماء الخمر، والنكهة رائحة الفم.

(٥) الريق الذي يغص به.

(٦) صوح النبات: يبس وتشقق، والدوحة: الشجرة العظيمة.

(٧) الجلى: الأمر العظيم، وجمعها جلل مثل كبرى وكبر، وقلب جميع ورأي جميع ومجتمع: شديد غير منتشر، ومنشعب متفرق.

(٨) يقال حلب الدهر أشطره، مارس الأيام وخبرها، والمطو: الجد والنجاء في السير، ووان: متمهل، ونصب: تعب.

(٩) الهواجل: الصحراوات، وجائلة التصدير والحقب؛ أي ناقة هذه صفتها، ويقال: صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته، والحقب: حبل يشد به الرحل في بطنه.

(١٠) القباء من الخيل: الخميصة البطن، والأقب: الضامر البطن، والخوصاء: الغائرة العينين، والحلس: كساء تجلل به الدابة يوضع تحت البرذعة.

(١١) الظبا: أطراف السيوف، والتوكاف: مصدر وكف يستعمل في الدمع والمطر إذا نزلا، وسمر القنا: الرماح، والزغف: الدروع، واليلب: الدروع اليمانية.

(١٢) الجحفل الجيش العظيم.

(١٣) محمرًّا سرابلها: فالسرابيل: الثياب. يقول: مضرجة بالدماء.

(١٤) المناهل: موارد الماء، والقرب: طلب الماء ليلًا.

(١٥) القساطل: جمع قسطل: الغبار المنعقد فوق الرءوس في حومة الوغى، والضغم العض أو النهش، والهزبر الضيغم الحرب: الأسد.

(١٦) تمايس: بحذف إحدى التاءين؛ أي تتمايس وتتخايل.

(١٧) اللقى: الشيء الملقى في الطريق ونحوه.

(١٨) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر.

(١٩) السنور الذكر أو دويبة تشبهه.

(٢٠) يقال: رجل هزنبر وهنزبران؛ أي حديد وثاب.

(٢١) الذي يذهب ويجيء من غير حاجة.

(٢٢) سيمر بك في هذه الترجمة.

(٢٣) قال ابن خلكان: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور: كان أوحد زمانه في علم التفسير، وكان يقال له الثعلبي والثعالبي وهو

لقب له وليس بنسب، توفي سنة ٤٢٧ وهو — طبعًا — غير الثعالبي صاحب يتيمة الدهر.

(٢٤) جاء في بغية الوعاة: أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النهشلي الأديب أبو الفضل العروضي الصفار الشافعي: هو شيخ أهل الأدب في عصره، حدث عن الأصم وأبي منصور الأزهري والطبقة، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدي ... إلى أن قال: جاز السبعين في خدمة الكتب وأنفق عمره في مطالعة العلوم وتدريس مؤدبي نيسابور، ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦.

(٢٥) هو أبو علي الفارسي.

(٢٦) الإفليلي — بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ثانية — هذه النسبة إلى الإفليل، وهي قرية بالشام كان أصله منها.

(٢٧) يريد إلى أن مات.

(٢٨) الجزع: الخرز اليماني.

(٢٩) أي قال: بخ بخ.

(٣٠) الخفارة في الطريق.

قافية الهمزة

قال — وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب:[1]

الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ[2]
فَوَمَنْ أُحِبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ[3]
أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ[4]
عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللُّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعْ مَا بَرَاكَ ضَعُفْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ[5]
مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ[6]
إِنَّ الْمُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ[7]
مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ[8]
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ[9]
لَا تَعْذُلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ[10]
إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ[11]
وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ[12]
لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ[13]
وُقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ[14]
يَسْتَاسِرُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ[15]
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ[16]
فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَصَلْصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ[17]
مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سَمِيَّهَا فِي أَصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ[18]

وَعَلِيٌّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ[١٩]

واستزاده سيف الدولة فقال أيضًا:

عَذْلُ الْعَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحِبَّةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ[٢٠]
يَشْكُو الْمَلَامُ إِلَى اللَّوَائِمِ حَرَّهُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحَائِهِ[٢١]
وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَائِهِ[٢٢]
إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ[٢٣]
الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ[٢٤]
أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ[٢٥]
مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ[٢٦]

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي، وكان قوم قد هَجَوْه، وعزوا الهجاء إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه، فكتب أبو الطيب إليه:

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقٍ إِخَائِي وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إِنَائِي[٢٧]
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عِلْمِي بِأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ[٢٨]
وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ[٢٩]
وَمَا أَرْبَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِّي فَكَيْفَ مَلِلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ[٣٠]
وَمَا اسْتَغْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدِيحِي فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهِجَاءِ[٣١]
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيَعْمَى الْعَالِمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ[٣٢]
تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرْءٌ جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمُ فِدَائِي[٣٣]
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمِ الْهُرَاءِ[٣٤]
وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَتَعْدِلَ بِي أَقَلَّ مِنَ الْهَبَاءِ[٣٥]
وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمُ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزِّنَاءِ[٣٦]

وقال يمدح أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب، وكان يذهب إلى التصوف[٣٧].

أَمِنَ ازْدِيَارِكِ فِي الدُّجَى الرُّقَبَاءُ   إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ[٣٨]
قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهْيِ مِسْكٌ هَتْكُهَا   وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ[٣٩]
أَسَفِي عَلَى أَسَفِي الَّذِي دَلَّهْتِنِي   عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَيَّ خَفَاءُ[٤٠]
وَشَكِيَّتِي فَقْدُ السَّقَامِ لِأَنَّهُ   قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ[٤١]
مَثَّلْتِ عَيْنَكِ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً   فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ[٤٢]
نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا   تَنْدَقُّ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ[٤٣]
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ   وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ[٤٤]
وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ فَعَاذِرٌ   أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ[٤٥]
شِيَمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي   صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ[٤٦]
فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا فِي نَيِّهَا   إِسْآدَهَا فِي الْمَهْمَهِ الْإِنْضَاءُ[٤٧]
أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا   مَنْكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ[٤٨]
يَتَلَوَّنُ الْخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى   فِيهَا كَمَا يَتَلَوَّنُ الْحِرْبَاءُ[٤٩]
بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مِثْلُهُ   شُمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ[٥٠]
وَعِقَابُ لُبْنَانٍ وَكَيْفَ بِقَطْعِهَا   وَهْوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ[٥١]
لَبَسَ الثُّلُوجُ بِهَا عَلَيَّ مَسَالِكِي   فَكَأَنَّهَا بِبَيَاضِهَا سَوْدَاءُ[٥٢]
وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ   سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ[٥٣]
جَمَدَ الْقِطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى   بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الْأَنْوَاءُ[٥٤]
فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ   حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ[٥٥]
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ   حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الْأَقْذَاءُ[٥٦]
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا تَهْتَدِي   فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَرَاءُ[٥٧]
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَافِي جَوْلَةٌ   فِي قَلْبِهِ وَلِأُذْنِهِ إِصْغَاءُ[٥٨]
وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا   فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ[٥٩]
مَنْ يَظْلِمِ اللُّؤَمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ   أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أَكْفَاءُ[٦٠]
وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ   وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ[٦١]
مَنْ نَفْعُهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرُّهُ   فِي تَرْكِهِ لَوْ تَفْطَنُ الْأَعْدَاءُ[٦٢]

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ[٦٣]
يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهَى يَدِهِ اللُّهَى وَتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الآرَاءُ[٦٤]
مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ[٦٥]
وَكَأَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عِدَاتُهُ مُتَمَثِّلًا لِوُفُودِهِ مَا شَاءُوا[٦٦]
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ[٦٧]
احْمَدْ عُفَاتَكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ فَلَتَرْكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ[٦٨]
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةٍ إِلَّا إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الْأَحْيَاءُ[٦٩]
وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ[٧٠]
لَمْ تُسْمَ يَا هَارُونُ إِلَّا بَعْدَمَا اقْـ ـتَرَعَتْ وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ[٧١]
فَغَدَوْتَ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارَكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءُ[٧٢]
لَعَمَمْتَ حَتَّى الْمُدْنُ مِنْكَ مِلَاءُ وَلَفُتَّ حَتَّى ذَا الثَّنَاءُ لَفَاءُ[٧٣]
وَلَجُدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبْخَلُ حَائِلًا لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السُّرُورِ بُكَاءُ[٧٤]
أَبَدَأْتَ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرَفُ بَدْؤُهُ وَأَعَدْتَ حَتَّى أُنْكِرَ الْإِبْدَاءُ[٧٥]
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادُ بَرَاءُ[٧٦]
فَإِذَا سُئِلْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُحْوَجٌ وَإِذَا كُتِمْتَ وَشَتْ بِكَ الْآلَاءُ[٧٧]
وَإِذَا مُدِحْتَ فَلَا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءُ[٧٨]
وَإِذَا مُطِرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ[٧٩]
لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ[٨٠]
لَمْ تَلْقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ[٨١]
فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعُلَا أُدُمُ الْهِلَالِ لِأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ[٨٢]
وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ[٨٣]
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُو عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ[٨٤]

وغنى المغني في دار الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُغَنِّي يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتَ ذِي السَّمَاءِ[٨٥]
شَغَلْتَ قَلْبِي بِلَحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ[٨٦]

وبنى كافور دارًا بإزاء الجامع الأعلى على البركة، وطالب أبا الطيب بذكرها فقال:

إِنَّـمَـا الـتَّـهْـنِـئَـاتُ لِـلْأَكْـفَـاءِ ... وَلِـمَـنْ يَـدَّنِـي مِـنَ الْـبُـعَـدَاءِ[٨٧]
وَأَنـا مِـنْـكَ لَا يُـهَـنِّـئُ عُـضْـوٌ ... بِـالْـمَـسَـرَّاتِ سَـائِـرَ الْأَعْـضَـاءِ[٨٨]
مُـسْـتَـقِـلٌّ لَـكَ الـدِّيَـارُ وَلَـوْ كَـا ... نَ نُـجُـومًـا آجُـرُّ هَـذَا الْـبِـنَـاءِ[٨٩]
وَلَـوَ انَّ الَّـذِي يَـخِـرُّ مِـنَ الْأَمْـ ... ـوَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّـةٍ بَيْضَـاءِ[٩٠]
أَنْـتَ أَعْـلَـى مَـحَـلَّـةً أَنْ تُـهَـنَّـى ... بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ[٩١]
وَلَـكَ الـنَّـاسُ وَالْـبِـلَادُ وَمَـا يَـسْـ ... ـرَحُ بَيْنَ الْغَبْرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ[٩٢]
وَبَسَـاتِـينُكَ الْـجِـيَادُ وَمَـا تَـحْـ ... ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْرَاءِ[٩٣]
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْـ ... ـكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعَلْيَاءِ[٩٤]
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْـ ... ـهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ[٩٥]
وَبِـمَـا أَثَّـرَتْ صَـوَارِمُـهُ الْـبِيـ ... ـضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ[٩٦]
وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْـ ... ـكِ وَلَـكِـنَّـهُ أَرِيـجُ الـثَّـنَـاءِ[٩٧]
لَا بِمَا يَبْتَنِي الْحَوَاضِرُ فِي الرِّيـ ... ـفِ وَمَا يَطَّبِي قُلُوبَ النِّسَاءِ[٩٨]
نَزَلَتْ إِذْ نَزَلْتَهَا الدَّارُ فِي أَحْـ ... ـسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ[٩٩]
حَلَّ فِي مَنْبِتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا ... مَـنْـبِـتُ الْـمَـكْـرُمَـاتِ وَالْآلَاءِ[١٠٠]
تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْـ ... ـسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ[١٠١]
إِنَّ فِي ثَوبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ ... لَضِـيَـاءً يُـزْرِي بِـكُـلِّ ضِـيَـاءِ[١٠٢]
إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ النـْ ... ـنَفْسِ خَيْرٌ مِنَ ابْيِضَاضِ الْقَبَاءِ[١٠٣]
كَـرَمٌ فِـي شَـجَـاعَـةٍ وَذَكَـاءٌ ... فِـي بَـهَـاءٍ وَقُـدْرَةٌ فِـي وَفَـاءِ[١٠٤]
مَنْ لِبِيضِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ ... نَ بِلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ[١٠٥]
فَـتَـرَاهَـا بَـنُـو الْـحُـرُوبِ بِـأَعْـيَـا ... نٍ تَـرَاهُ بِـهَـا غَـدَاةَ الـلِّـقَـاءِ[١٠٦]
يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ ... لَـمْ يَـكُـنْ غَـيْـرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَـائِـي
وَلَـقَـدْ أَفْـنَـتِ الْـمَـفَـاوِزُ خَـيْـلِـي ... قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي وَزَادِي وَمَائِي[١٠٧]
فَـارْمِ بِـي مَـا أَرَدْتَ مِـنِّـي فَـإِنِّـي ... أَسَـدُ الْـقَـلْـبِ آدَمِـيُّ الـرُّوَاءِ[١٠٨]
وَفُـؤَادِي مِـنَ الْـمُـلُـوكِ وَإِنْ كَـا ... نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ[١٠٩]

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه، ويهجو كافورًا:

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى ... فِدَا كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْذَبَى ١١٠
وَكُلُّ نَجَاةٍ بِجَاوِيَّةٍ ... خَنُوفٍ وَمَا بِي حُسْنُ الْمِشَى ١١١
وَلَكِنَّهُنَّ حِبَالُ الْحَيَاةِ ... وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى ١١٢
ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ الْقِمَا ... رِ إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا ١١٣
إِذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْهَا الْجِيَادُ ... وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا ١١٤
فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا ... عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى ١١٥
وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنِّقَا ... بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى ١١٦
وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ ... فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ هَا ١١٧
وَهَبَّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو ... رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا ١١٨
رَوَامِي الْكِفَافِ وَكِبْدِ الْوِهَادِ ... وَجَارِ الْبُوَيْرَةِ وَادِي الْغَضَى ١١٩
وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ... ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا ١٢٠
إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ ... بِمَاءِ الْجَرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى ١٢١
وَلَاحَ لَهَا صَوَرٌ وَالصَّبَاحَ ... وَلَاحَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى ١٢٢
وَمَسَّى الْجُمَيْعِيَّ دِئْدَاؤُهَا ... وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا ١٢٣
فَيَا لَكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكُشٍ ... أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَّ الصُّوَى ١٢٤
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ ... وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى ١٢٥
فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا ... حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَا ١٢٦
وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ... وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا ١٢٧
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ... وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى ١٢٨
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ ... وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا ١٢٩
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى ... وَلَا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفًا أَبَى ١٣٠
وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ ... وَرَأْيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا ١٣١
وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ ... يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى ١٣٢
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى ... عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا ١٣٣
وَنَامَ الْخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا ... وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمًى لَا كَرَى ١٣٤
وَكَان عَلَى قُرْبِنَا بَيْنَنَا ... مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى ١٣٥

لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيـْ ـــي أَنَّ الرُّءُوسَ مَقَرُّ النُّهَى[١٣٦]
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهَى كُلَّهَا فِي الْخُصَى[١٣٧]
وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا[١٣٨]
بِهَا نَبَطِيٌّ مِنَ اهْلِ السَّوَادِ يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا[١٣٩]
وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى[١٤٠]
وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنَّ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى[١٤١]
فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى[١٤٢]
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَامِهِمْ فَأَمَّا بِزِقِّ رِيَاحٍ فَلَا[١٤٣]
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَّكُوهُ فَسَا أَوْ هَذَى[١٤٤]
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى[١٤٥]

وعاب قوم عليه علوَّ الخيام، فقال[١٤٦]:

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ[١٤٧]
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَك لِلثُّرَيَّا وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ[١٤٨]
وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ[١٤٩]
تَنَفَّسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ[١٥٠]

وقال يهجو السامري[١٥١]:

أَسَامِرِيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءِ فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الْأَغْبِيَاءِ[١٥٢]
صَغُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتَ أُهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهِجَاءِ[١٥٣]
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءِ[١٥٤]

هوامش

(١) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور، وكان شيخ سيف الدولة:

يَا لَائِمِي كُفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي أَضْنَاهُ طُولُ سِقَامِهِ وَشَقَائِهِ
إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ وَأَعِنْهُ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِفَائِهِ
حَتَّى يُقَالَ بِأَنَّكَ الْخِلُّ الَّذِي يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ
أَوْ لَا، فَدَعْهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نُصَحَائِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَاذِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقَبَائِهِ
الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَسِرَّةِ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(٢) الضمير في مائه يعود على الجفن، وضمير جفنه يعود إلى القلب، وإضافة الجفن إلى القلب؛ لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعًا، والمراد بمائه دموعه يقول: القلب أدرى منك أيها اللائم بدائه، وما أدركه من برح الهوى، فهو يلتمس شفاءه في البكاء، ويأمر الجفن به. وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ. والقلب حقيق بأن يطاع؛ لأن له السلطان الأكبر، وأنت أيها العذول خليق بأن تعصى، ولا اكتراث لنهيك.

(٣) الفاء للعطف والواو للقسم، يقول: بحق من أحبه، وبحق حسنه، ونور وجهه لا أطعتك أيها اللائم فيه.

(٤) الاستفهام في أأحبه إنكاري. يقول: لا أجمع بين حبه وبين النهي عن حبه؛ لأن الملامة معناها النهي عن حبه، وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وقال الواحدي: معنى قوله: إن الملامة فيه من أعدائه، أن صاحب الملامة أي اللائم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه، ومن أحب حبيبًا عادى عدوه، وهذا تكلف لا موجب له. فالمتنبي يقول: إن اللوم من أعداء حبيه، فلا يجمع بينه وبين حبه إياه؛ أي إنه لا يصغي للوم اللوام ولا يقبله.

(٥) وقولهم عطف على اللحاة، والوشاة جمع واشٍ، وهو النمام؛ لأنه يشي الكذب أي يزخرفه وينمقه من وشي الثوب، واللحاة جمع لاحٍ وهو العاذل أي اللائم. يقول: ليس هناك إلا واشٍ أو لاحٍ، فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذي لا تطيق كتمانه، والوشاة

يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانه كان عن تركه أعجز. يعني: إنني وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أنني لا أتركه.

(٦) الخل والخليل: الصديق، والطرف: العين، وسوى إذا قصرته كسرته وإذا مددته فتحته. يقول: ليس الصديق إلا من لا فرق بيني وبينه فإذا وددت فكأني أود بقلبه، وإذا نظرت فكأني أنظر بعينه، والمعنى صديقك من وافقك في كل شيء فيود ما وددت ويرى ما ترى، أو تقول: ما خليلي إلا الذي يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود بقلبي، وقال بعضهم: المعنى: ليس لك خليل إلا نفسك، وهو كقوله:

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٧) الصبابة رقة الشوق، والأسى الحزن، والإخاء الأخوة، وربها أي صاحبها والضمير للصبابة. يقول: إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة، ويخلصه منها مستعينًا على ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذكر ما يسوءه وكان أجدر في إعانته بأن يرحمه ويرثي لحاله ويؤاخيه في بلواه، أو تقول: إن الذي يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه، ويحتال في طلب الخلاص له من ورطة الهوى، وهذا في عراض قول أبي ذر المتقدم.

إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ

وجعل إيراده الحزن عليه عونًا على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم: عتابك السيف، وحديثك الضرب، وقال الواحدي: يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى يمدح رجلًا:

تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمانَةِ قَائِدَا

(الزمانة: العاهة.) أي أعطاني مع ما كنت أقاسيه من الزمانة قائدًا يقودني.

(٨) يقول: دع اللوم أيها اللائم فإني سقيم، واللوم يزيدني سقمًا على سقم، وترفق في لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائي فلا تسمعها ما يزيدها سقمًا.

(٩) هب أي احسب، والكرى النعاس، والسهاد الأرق. قال ابن جني. المعنى اجعل ملامتك إياه في التذاذكها كالنوم في لذاذته فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أي

لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أي فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلتزل ملامتك إياه، وقال الواحدي تعقيبًا على ما ذهب إليه ابن جني: هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق، وليس على ما ظن، ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فإنه ليس بألذ من النوم؛ أي فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل «وأما بعد» ففي الحق أن البيت من مشكلات الأبيات، ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح. قال بعض المحققين: وذلك أن تفسير ابن جني قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم، وشتان بين الأمر والوصف، ولا يقال: إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة؛ لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبقَ له دخل فيما يليه، وبقى قوله مطرودة حالًا عن الملامة، وإن شئت جعلته خبرًا عن ضميرها محذوفًا أي وهي مطرودة، وعلى كليهما يكون في معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا في معنى جملة طلبية، وقول الواحدي وهو مطرود أي النوم مقتضاه جعل مطرودة حالًا عن الكرى، والكرى مذكر لأنه مصدر كرى، ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالًا عنه. على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جني أو نومه في قول الواحدي مطرودًا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه، وما أرى المتنبي إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤنث على حد الهدى مثلًا، أو أراد أن يقول مطرودًا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن؛ لأن المقام يقتضي أن يكون قوله مطرودة جاريًا على الكرى كما هو تفسير الواحدي، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جني أي احسب ملامتك لذيذة عند العاشق كمنامه، والمنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء؛ أي فلتكن ملامتك كذلك.

(١٠) لا: ناهية، ويروى لا تعذر فتكون نافية. يقول: لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب، وهذا من قول البحتري:

إِذَا شِئْتَ أَنْ لَا تَعْذُلَ الدَّهْرَ عَاشِقًا   عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَاعْشَقِ

(١١) مضرجًا في الموضعين نصب على الحال، والمضرج الملطخ بالدم من ضرجت الثوب إذا صبغته بالحمرة. جعل دموع العاشق كالدماء، والعاشق كالمقتول تهويلًا لأمر الهوى يقول: إن القتل إنما هو باستنزاف الدم، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات.

(١٢) المبتلى العاشق الذي امتحن بالحب، والحوباء النفس، والواو في قوله وينال واو الحال. يقول: إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أي يتلفها؛ أي إن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب.

(١٣) الدنف ذو الدنف أي المرض الملازم، وأغرته أي بعثته على الغيرة، وقوله بفدائه أي بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول. يقول: لو قلت للدنف ليت ما بك من برح الهوى بي؛ لغار من ذلك ضنًّا بمحبوبه، وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه.

(١٤) وقى أي وقاه الله، والبأس الشجاعة، والسخاء البذل. يدعو له بالسلامة من الهوى؛ لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل، والأمير وإن كان من الشجاعة والجود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى ألطف من ذلك.

(١٥) يستأسر أي الهوى يجعله في الأسر، والبطل: الشجاع، والكمي لابس السلاح، والعزاء التجلد، يقول: إن الهوى يأسر البطل الشجاع المستلئم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره، ويعصف بصبره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلًا، وهذا ينظر إلى قول جرير.

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا

(١٦) النوائب الشدائد، وسامعها سيف الدولة، والأكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير. يقول: إني دعوتك لدفع الشدائد عني، ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها؛ لأنك فوق الشدائد وأشد بطشًا منها.

(١٧) المتصلصل الذي له صلصلة وحفيف من وقع الحديد، وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول: دعوتك لدفع نوب الزمان عني فأحطت به دوني، وحلت بينه وبين الوصول إلي وحميتني بذلك منه، وهذا قريب من قول أبي نواس:

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

(١٨) ضمير تكون للسيوف أي بأن تكون السيوف سميها؛ أي مثل سميها، وتقول: من له بكذا أي من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك، وفرند السيف جوهره ووشيه، وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار، استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة، والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف. يقول:

من يكفل للسيوف التي شاركت سيف الدولة في التسمية بأن تكون مثله في أصله ومناقبه وفعاله وفي وفائه، وهذا كقوله:

تَظُنُّ سُيُوف الْهِنْدِ أَصْلكَ أَصْلهَا

(١٩) طبع الحديد فعل ونائب فاعل، واسم كان ضمير يعود إلى الحديد، ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان، وعليٌّ مبتدأ والمطبوع صفة له، ومن آبائه في موضع رفع خبر، والمطبوع المصنوع، وعلي اسم سيف الدولة وهو علي بن أبي الهيجاء بن حمدان التغلبي. يقول: إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه، أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المعرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال، فهي وإن شاركته في الاسم تخالفه في الأصل، وشتان ما بينهما.

(٢٠) يعني بالتائه نفسه، وعذل العواذل مبتدأ، وحول قلب التائه خبر، والعذل اللوم، والعواذل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عذال وعذل، والتائه المتحير، وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد، يقول: إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه، وإذن لا يصل اللوم إلى قلبي، وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم:

تَغَلْغَل حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

وقد روي بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي، وليس هناك؛ لأنه لا يقال تاه قله، وقال قوم: المعنى أن قلبي يتيه على عذلهم، من التيه بمعنى الكبر، قال الواحدي: ليس بمستحسن، هذا وقد قال العكبري: عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها، واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريع (التصريع تقفية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب. قال العلماء: المصراعان بابا القصدية بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا: وإنما وقع التصريع في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة) لأن الهاء في القافية أصلية، وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء؛ لجهلهم القوافي، وقد جعلها ابن جني والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاقتدينا بفعلهما، والقوافي خمس يجمعهما سكبرف كل

حرف لقافية، وهي متكاوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر ومترادف، فالمتكاوس — مأخوذ من تكاوس النبت والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت — أربع حركات بين ساكنين كقوله:

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهُ فَجَبَرْ

(هو للعجاج، والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظيم بنفسه، وقد جمع العجاج في هذا بين المتعدي واللازم) والمتدارك (قال ابن سيده: والمتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين، وهي متفاعلن ومستفعلن ومتفاعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل، فاللام في فعل ساكنة، وفل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة، والواو من فعول ساكنة، سمي بذلك؛ لتوالي حركتين فيها، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكأن بعض الحركات أدرك بعضها، ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين) حركتان بين ساكنْيِن كما في هذه القصيدة، والمتراكب (المتراكب كل قافية توالت فيها ثلاث أحرف متحركة بين ساكنين، وهي مفاعلتن ومفتعلن وفعلن؛ لأن في فعلن نونًا ساكنة، وآخر الحرف الذي قبل فعلن نون ساكنة، وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة، والواو في فعول ساكنة) ثلاث حركات بين ساكنين كقول المتنبي:

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ

والمتواتر (المتواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفعلن وفل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله:

وَقَافِيَةٍ حَذَّاءَ سَهْلٌ رَوِيُّهَا كَسَرْدِ الصَّنَاعِ لَيْسَ فِيهَا تَوَاتُرُ

أي ليس فيها توقف ولا فتور) حركة واحدة بين ساكنين كقوله — أي المتنبي: صِلَةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ

والمترادف (المترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان، وهي متفاعلان ومستفعلان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل

وفعول، سمي بذلك لأن غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًّا مقيدًا كان أو وصلًا أو خروجًا، فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولاحقًا به) اجتماع ساكنين كقوله — أي المتنبي:

لَا تحْسُن الْوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَال

أقول: وهذا كله من العكبري؛ لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظنًّا منه أنها هي التي قالها المتنبي بادئ ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر، ولكن الذي تحقق لدينا هو أن المتنبي قال الأبيات السابقة أولًا، ثم أردفها بهذه الأبيات التالية، وإذن ينهار هذا المأخذ الذي توركه بعضهم على المتنبي، وانهار معه الدفاع عنه.

(٢١) البرحاء: الشدة، وتباريح الشوق: توهجه، وتقول: لقيت منه برحًا بارحًا أي شدة وأذى، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرحاء. يقول: إن اللوم يشكو حرارة قلبي إلى اللوائم كأنه يقول لهن: لا تبعثنني إليه؛ لأني أخشى برحاء قلبه، وإذا لمنني أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلفحه ناره، يعني بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم، واللوم لا يطيق أن يصل إلى قلبه؛ لما يضطرم فيه من حرارة الحب. فالضمير في حره وبرحائه للقلب في البيت السابق، وليس يخفى ما في هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل.

(٢٢) الباء في بمهجتي للتفدية، والملك يجوز فيه الرفع والنصب؛ إذ لك أن تجعل بمهجتي خبرًا مقدمًا والملك مبتدأ، ولك أن تجعل الملك مفعولًا لفعل محذوف تقديره أفدي، ويريد بالملك سيف الدولة، والمهجة الروح، وأراد بقوله: يا عاذلي يا من يعذلني فليس لك أن تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلتي؛ لأنه قال العواذل في الأول؛ إذ المراد كما قلنا يا من يعذلني، ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وهذا اقتضاب عدل به عن النسيب إلى المديح. يقول: إني يا لائمي أفدي بنفسي الملك الذي لم أسمع فيه لوم من هو أشد لومًا منك فلم أتركه وآت غيره، وأسخطت لوامي جميعًا في سبيل مرضاته.

(٢٣) الباء في بأرضه بمعنى مع يقول: غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب، ويستولي حبه عليها ما دام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته، وقال بعضهم: أراد بالسماء الأفلاك التي تنسب إليها السعود والنحوس؛ أي إن ذلك يجري على مقادير مشيئته؛ لأنه يجعل أصحابه في السعود، وأعداءه في النحوس.

(٢٤) والنصر من قرنائه؛ أي إنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه؛ لأنه يعرف بسيف الدولة.

(٢٥) الخلال جمع خلة وهي الخصلة، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه، والثلاثة الشمس والنصر والسيف، يقول: أين حسن الشمس من حسنه؟ وأين النصر من إبائه؟ أي إنه أشد إباء للذل من النصر؛ لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل، وأين مضاء السيف من مضائه؟

(٢٦) يقول: لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتي له بنظير، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فإن الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا الغلو، والمتنبي كثيرًا ما يلجأ في شعره إلى الإفراط، شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء.

(٢٧) الاستفهام للتعجب، وإسحاق مصروف للضرورة، والإخاء المصادقة، وتحسب تفتح عينه وتكسر؛ أي تظن، والماء والإناء استعارة للقول، والقائل يقول متعجبًا: أتنكر مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني؟

(٢٨) الهجر: القبيح من الكلام، ويقال: هجر الرجل إذا هذى، وأصله ما يقوله المحموم إذا نالت منه الحمى؛ يقول: لا أنطق فيك القبيح بعد علمي أنك خير الناس، وهذا مبالغة.

(٢٩) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق، وطعمًا تمييز، وذباب السيف حده. يقول: وأنت أكره طعمًا على العدو من طرف السيف، وأنفذ فيما تريد من الأمور من القضاء، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة.

(٣٠) ما حرف نفي، وأربت زادت، والسن العمر، ومللت سئمت. يقول: وما زادت سني على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك؛ إذ إنني بتعرضي لهجائك ألقي بنفسي إلى التهلكة.

(٣١) وما عطف على ما قبله، واستغرقت استوفيت، يقول: ولم أستوفِ إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستتمامها أولى مني بالأخذ في الهجاء.

(٣٢) يقول: وقدر أنني هجوتك، وكأنني بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس، وهل يعمى العالمون عن الضياء.

(٣٣) مرء لغة في امرؤ. يقول: تصغى إلى الحساد، وتنزل على تهمتهم إياي بهجائك، وأنت أسمى من أن يهجوه مثلي؛ لأني فداء له لما له من الأيادي، أما هؤلاء الحساد فهم

فداء لي؛ لأني أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم، وقد ذهب الشراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفًا لمرء وهو نكرة على تقدير محذوف؛ أي مستحق لأن أسأل الله أن يجعلني فداءه على حد قول الراجز:

مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ
جَاءُوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله، وقيل: هو للعجاج، وقد رواه المبرد في «الكامل» على هذا الوجه:

بِتْنَا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَئِطْ مَا زِلتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ
حَتَّى إذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِئْبَ قَطْ

وروى بعضهم بعد قوله: بتنا بحسان ومعزاه تئط هذا البيت:

تَلحَسُ أُذْنَيْهِ وِحينًا تَمتخطْ في سَمَنٍ مِنْهُ كَثِيرٍ وَأَقِطْ

وحسان: اسم رجل. والمعزى من الغنم: خلاف الضأن، والضمير فيه لحسان. وتئط: مضارع أط أي صوت جوفه من الجوع، ويقال: امتخط وتمخط أي استنثر. وفي سمن: متعلق بقوله: تتمخط، والسمن بسكون الميم وفتحها هنا للضرورة، والأقط: اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته، وأسعى بينهم: أي أتردد إليهم، وأختبط: أي أسأل معروفهم من غير وسيلة، وهذا يدل على كمال شحهم حيث كان ضيفًا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم. أما ألتبط في الرواية الأخرى فمعناه أعدو، يقال: التبط البعير؛ إذا ضرب بقوائمه الأرض. وقوله: حتى إذا جن الظلام واختلط، غاية لقوله: أسعى وألتبط. يريد ستر الظلام كل شيء. وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف، وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعد سعي، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء.

أي جاءوا بضيح يقول من رآه: هل رأيت الذئب قط؟

(الضيح: اللبن المخلوط شبه لون الضيح بلون الذئب، والذئب يقال له أبو مذقة؛ لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيح.)

(٣٤) من لم يميز مبتدأ مؤخر، وهاجي نفسه خبر مقدم، والهراء الكلام الساقط الذي لا خير فيه. قال ذو الرمة:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا نَزْرُ

يقول: إن من لم يفرق بين كلامي وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه، وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك.

(٣٥) أن تراني مُؤَوَّل بمصدر اسم أن، ومن العجائب جار ومجرور خبرها، وتعدل عطف على تراني، وأقل صفة لموصوف محذوف أي شيئًا أقل من الهباء، وعدله به ساواه، وأقل أخس، والهباء ما يرى في شعاع الشمس من دق الغبار، قال الشاعر:

بَرَانِي الْهَوَى بَرْيَ الْمُدَى وَأَذَابَنِي صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أَمْسِ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فِي أَلَقِ الشَّمْسِ

يقول: من العجب أن تراني وتعرفني، ثم تسوي بيني وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء.

(٣٦) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر الموت، والزنا يمد ويقصر، يقول: ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل، ومن ثم يموت أولاد الزنا حسدًا لي.

(٣٧) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ما ملخصه: «هذه القصيدة تنبئنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان ... وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلًا بعمل من أعمال ابن رائق قريبًا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيدًا عنه بعض الشيء في دمشق. فأقبل المتنبئ من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فمدحه بقصيدتين؛ إحداهما: هذه الهمزية، والأخرى: أرجوزة طردية» انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها:

وَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلِ　　وَلَا لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهطل

وللهمزية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي؛ ليرضي ممدوحه الذي كان يذهب مذهب التصوف، وهي من هذه الجهة قيمة؛ لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب المتصوفة في الكلام، ومنهجهم في الرمز والإيماء، ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتى وقد ملك ناصية الفن حقًّا، إلى أن قال: ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريبًا أم بعيدًا من بدر بن عمار، ولكن المتنبي أقام معه حينًا على كل حال كما تدل على ذلك طرديته، ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسل عن فرحته وابتهاج نفسه بالغبطة والرضى. ا.هـ ملخصًا.

(٣٨) أَمِنَ فعل، والرقباء فاعل، وازديارك مفعول مقدم، وإذ تعليلية، وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما، ومن في من الظلام للبدل، ويروى: إذ حيث كنت ... قال الواحدي: فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر؛ أي ضياء هناك، وكان تامة في معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر، وقال آخرون ضياء مبتدأ، وحيث كنت من الظلام خبره، وإذ مضافة إلى هذه الجملة، ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام، ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية ... والازديار افتعال من الزيارة، والدجى الظلمة، يقول: إن الرقباء قد أمنوا أن تزوروني ليلًا؛ لأنك إذا زرتني في الظلام أضاء بك وأنار؛ لأنك ضياء يهتك الظلام، وإذ ذاك تفتضحين، وهذا ينظر إلى قول علي بن جبلة العكوك:

بِأَبِي مَنْ زَارَنِي مُكْتَتِمًا　　حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَزِعَا
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ　　كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعَا
رَصَدَ الْخَلْوَةَ حَتَّى أَمْكَنَتْ　　وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَعَا
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ　　ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

(٣٩) قلق مبتدأ، وهتكها خبره، ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به، والواو في وهي مسك وهي ذكاء للحال، والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها، والمسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك، وهتكها أي انتهاكها، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف. يقول: إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وافتضح بتضوع رائحتها،

وهي شمس فإذا سارت ليلًا رآها الناس، ومثل هذا المعنى كثير في شعر المحدثين قال البحتري:

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَّرَحُّلِ فِي الدُّجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا

وقال:

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيًا وَجَرْسُ الْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبَا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة:

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا يَفُوحُ مِنْ عَرَقٍ كَالْعَنْبَرِ الْعَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ وَالْحَلْيَ تَنْزِعُهُ مَا الشَّأْنُ فِي الْعَرَقِ

هذا، وقد قال ابن فوزجه: الهتك مصدر متعد، ولو أتى بمصدر لازم بأن قال انهتاكها؛ لكان أقرب إلى الفهم، ولكنه راعى الوزن. قال: وقوله وهي مسك زيادة على كثير من الشعراء؛ إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي استعملته، بل جعل المسك نفسها فكأنه من قول امرئ القيس:

وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

وقول الآخر:

دُرَّةٌ كَيْفَمَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِشَمٌّ مِنْ حَيْثُمَا شُمَّ فَاحَا

ومثله قول بشار:

وَتَوَقَّ الطِّيبَ لَيْلَتَنَا إِنَّهُ وَاشٍ إِذَا سَطَعَا

(٤٠) أسفي على أسفي مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ، وبه من فيه جار ومجرور خبره والأسف الحزن، والمدله الذي أذهب العشق عقله وأذهله. يقول: إنني آسف على أن شغلتني عن معرفة الأسف حتى خفي عليَّ ما هو إذ عصفت بلبي يعني: إنني أحزن لذهاب عقلي لما لقيت في هواك من البرح والشدة حتى لقد خفي على حزني الذي إنما يدرك باللب وليس لي الآن لب، أو تقول: إنه كان يتأسف على زمان وصالها فلما أمعنت في الهجر ذهب لبه حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف؛ لأنه كان إذ ذاك عاقلًا، أما الآن فلا عقل له.

(٤١) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد. يقول: إنما أشكو عدم السقم؛ لأن السقم إنما كان حين كانت لي أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائي فإذا طاحت الأعضاء من جراء الجهد الذي أدركني في هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم، وهذا المعنى أوضحه البستي بقوله:

وَلَوْ أَبْقَى فِرَاقُكَ لِي فُؤَادًا ... وَجَفْنًا كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ سُهَادِي
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِغَيْرِ جَفْنٍ ... كَمَا لَا وَجْدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ

«وأما بعد» فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب المتصوفة، ومن ثم تراه ينهج منهجهم في العبارة والتفكير وبالحري ما يشبه أن يكون رمزًا وغموضًا.

(٤٢) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تمييز، وقوله: فتشابها أي العين والجراحة، ولم يقل تشابهتا حملًا على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمِّنَا ... قَبْرًا بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

ومثلت صورت، والجراحة الجرح، والنجلاء الواسعة، يقول: لما نظرت إلي صورت في قلبي مثال عينك جرحًا واسعًا فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع.

(٤٣) نفذت أي العين، والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور، ويقال للثياب الرقيقة سابرية، قال ذو الرمة:

فَجَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ ... عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشَبْرَقُ

(مشبرق: ممزق.)

والصعدة القناة التي تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابري الدرع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح، وإذا كان المراد بالسابري الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته، وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلي لمكاني من الشجاعة والشجاع موقى والأول أظهر.

(٤٤) صخرة الوادي في العادة صلبة بما يتعاورها من السيول، ومن ثم جعلت مثلًا في الثبات؛ لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها، والجوزاء من أبراج الفلك، يقول: إذا زوحمت لم يقدر على إزالتي عن موضعي كصخرة الوادي، وإذا نطقت كنت في علو المنطق كالجوزاء، وقال الواحدي: ويقال إن الجوزاء بيت عطارد فيكون المعنى: مني تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطي من يولد فيها البراعة والنطق.

(٤٥) الغبي: الغافل القليل الفطنة، وقوله فعاذر؛ أي فأنا عاذر فهو خبر عن محذوف، والمقلة: العين، يقول: إذا خفي مكاني على الغبي فلم يعرف قدري، ولم يقر بفضلي، فأنا عاذر له؛ لأنه كالأعمى الذي لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك الغبي الجاهل، وهذا المعنى ينظر إلى قول ذي الرمة يمدح عمر بن هبيرة:

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   إِلَّا عَلَى أَكْمَهٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا

(قبله:

مَا زِلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا   تَنْمَى وَتَسْمُو بِكَ الْفَرْعَانِ مِنْ مُضَرَا

قال ابن بري: الذي أورده الجوهري وقد بهرت، وصوابه حتى بهرت أي علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه، وقوله على أحد: أحد ها هنا بمعنى واحد؛ لأن أحدًا المستعمل بعد النفي في قولك: ما أحد في الدار لا يصح استعماله في الواحد.)

(٤٦) صدري يريد أصدري، فحذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها، والبيداء الفلاة سميت كذلك؛ لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد، والشيمة العادة، وشككه حمله على الشك، وأفضى من الفضاء وهو الاتساع، يقول: عادة الليالي أن تبعد علي طلبتي فترميني بطول الأسفار حتى تحمل ناقتي على الشك في، أصدري بها لو جعل مكان البيداء

أم البيداء أفضى؟ لما ترى من سعة صدري، وأناتي، وتجلدي، وصبري على المشقات والأسفار، وهذا المعنى هو الظاهر، وهو ما ذهب إليه ابن جني، ولكن الواحدي كما قال العكبري نقلًا عنه لم يرتضه، قال: هذا إنما يصح لو لم يكن في البيت بها، وإذا رددت الكناية «أي الضمير في بها» إلى الليالي بطل ما قال؛ لأن المعنى: صدري بالليالي وحوادثها وما تورده علي من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء، وناقتي تشاهد ما أقاسي من السفر وصبري عليه فيقع لها الشك في أن صدري أوسع أم البيداء، وعلى هذا أفضى أفعل كما يقال أوسع، وقال قوم: إن الكناية تعود على الناقة، ومعنى أفضى بها أي أدى بها إلى الهزال صدري أم البيداء؟ فمرة تقول؛ أي الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد المطلب، لما أتعبني بالسفر، ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي، وتودي بي إلى الهزال، وعلى هذا أفضى فعل، ويجوز أن يكون اسمًا وإن عادت الكناية إلى الناقة، والمعنى: أن ناقتي قوية نجيبة يضن بمثلها، وهي ترى إتعابي إياها، واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدري أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاكي أم البيداء؟ أي لولا أن له صدرًا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكي. قال الواحدي: والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى الليالي «هذا» وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء. قال أبو تمام:

وَرَحْبُ صَدْرٍ لَوَ انَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ ... كَوسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

وقال البحتري:

كَـرِيـمٌ إِذَا ضَـاقَ الـزَّمَـانُ فَـإِنَّـهُ ... يَضِلُّ الْفَضَاءُ الرَّحْبُ فِي صَدْرِهِ الرَّحْبِ

(٤٧) الإسآد إدمان السير أو سير الليل خاصة والنيي الشحم والسمن، والإنضاء مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله، والمهمه الصحراء، ومسئدًا حال من ضمير تسئد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء، وأسآدها مفعول مطلق عامله مسئدًا، وتقدير البيت: تبيت هذه الناقة تسئد مسئدًا الإنضاء في نيها إسآدًا مثل إسآدها في المهمه، يقول: تبيت ناقتي تسير سائرًا في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام:

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً   رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ ينَهَلُّ سَاكِبُهْ

(٤٨) الأنساع جمع نسع، وهو سير كهيئة العنان يشد به الرحل، والمغط المد، وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت، وخفافها منكوحة أي مثقوبة بالحصى، وكنى بهذا عن وعورة الطريق، ومنكوحة أي مدمية من الحصى، واستعار النكاح؛ لوطئها الأرض وإدماء الحصى إياها، وطريقها عذراء أي لم تسلك قبلها، وأصل العذراء التي لم تفتض، ومن طريف ما ذكره الشراح هنا ما أورده العكبري قال: قال الشيخ أبو محمد عبد المنعم بن صالح النحوي عند قراءتي عليه هذا الديوان ومذ وصلت إلى هذا البيت: سألني الملك الكامل أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء فقلت له: يريد أنها صعبة لم تسلك، فقال لي: هذا يدل على أن الممدوح لا يعرف، ولا له ذكر ولا نائل؛ لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق، والممدوح إذا كان له عطاء وذكر ويعرفه القصاد، كانت الطريق إليه لا تنقطع ... ولقد أحسن في هذا النقد.

(٤٩) الخريت الدليل، سمى خريتًا لاهتدائه في الطرق الخفية كخرت الإبرة كأنه يعرف كل ثقب في الصحراء، والتوى الهلاك، والحرباء دويبة على شكل سام أبرص ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف دارت وتتلون ألوانًا بحر الشمس. يقول: إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء، ويتغير لونه، فهو يدور يمينًا وشمالًا لطلب الطريق، وفي هذا المعنى يقول هدبة:

يَظَلُّ بِهَا الْهَادِي يُقَلِّبُ طَرْفَهُ   مِنَ الْهَوْلِ يَدْعُو وَيْلَهُ وَهْوَ لَاهِفُ

ويقول الطرماح:

إِذَا اجْتَابَهَا الْخِرِّيتُ قَالَ لِنَفْسِهِ   أَتَاكَ بِرَحْلِي حَائِنٌ بَعْدَ حَائِنِ

(٥٠) شم الجبال: بدل من «قوله مثله»، ونصب مثلهن على الحال؛ لأنه نعت للنكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك: فيها قائمًا رجل، وكقول ذي الرمة:

وَتَحْتَ الْعَوَالِي وَالْقَنَا مُسْتَظِلَّةً ظِبَاءٌ أَعَارَتْهَا الْعُيُونُ الْجَآذِرُ

يقول: بيني وبين هذا الممدوح جبال مرتفعة مثله، ورجاء عظيم كهذه الجبال.

(٥١) وعقاب عطف على شم الجبال، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من الجبل، والباء في بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره: وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن مثلًا، وكيف استفهام في المعنى الإنكاري، وواو «وهو الشتاء» للحال والضمير ضمير الشأن، يقول: وكذلك بيني وبينه عقاب جبل لبنان، وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها؟!

(٥٢) لبس الشيء ولبسه عماه، قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ والضمير في بها للعقاب، والضمير في كأنها للثلوج أو للمسالك وباء ببياضها متعلقة بمعنى كأن أي التشبيه، يقول: إن الثلوج في هذه الجبال أخفت على طرقي فلم أهتد؛ لكثرتها وبياضها، فكأنها اسودت اسوداد الليل إذا ضللت فيها؛ لأن الأسود لا يهتدي فيه، وهذا معنى حسن كما ترى.

(٥٣) النضار الذهب، والنضار أيضًا الخالص من كل شيء، وقام الماء جمد، ومعنى هذا البيت متصل بالذي قبله؛ لأنه يقول بياض الثلوج يعمي فقام مقام السواد، والبياض إذا عمل عمل السواد فقد نقض العادة كذلك الكريم إذا أقام ببلدة نقضت العادة، فيكون الذهب سائلًا والماء جامدًا، وإنما قال هذا؛ لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء. يقول: إن الكريم إذا أقام ببلدة أعطى المال وتخرق في الكرم حتى لكأن المال ماء سائل، فلما رأى الماء هذا الكرم وقف متبلدًا متلددًا جامدًا، وهو تخيل بديع.

(٥٤) الأنواء فاعل رأته، ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهتت، وتتبجس على التنازع، وفاعل ترى يعود على القطار، ويروى بدل ترى رأى؛ أي القطار، ولكن ترى أحسن؛ لأن القطار مؤنثة، والقطار جمع قطر، وقطر جمع قطرة وهي المطر، وبهتت دهشت وتحيرت، وتتبجس تتفجر، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع رقيبه من الشرق، وهي منازل القمر، والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون: سقينا بنوء كذا، ويريد بجمود القطار الثلوج، يقول: إن المطر جمد لما رأى كرم هذا الممدوح ولو رأته الأنواء كما رآه المطر؛ لتحيرت ودهشت ولم تتفجر فلم تأت بمطر استعظامًا لما يأتيه وخجلًا من جوده.

(٥٥) المداد الحبر، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط، يقول: كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفًا به

وافتتانًا بحسنه، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجود، يقول: لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أي إن كتبه تقوم مقام الجيوش؛ لأن الناس ينقادون إليه غريزة وطبعًا، ولعلَّ الأقرب أن الناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يتهافتون على كل ما يكتبه؛ لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم: المكاتبة نصف المشاهدة.

(٥٦) قرة العين كناية عن السرور، قرت عينه بردت، ودمع الفرح بارد، والأقذاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه، والمغيب الغيبة، يقول: كل عين تسر بقربه ورؤيته وتتأذى بغيبته فكأن غيبته قذى للعيون.

(٥٧) من بمعنى الذي خبر ضمير محذوف يرجع إلى الممدوح، وتقدير البيت: هو الذي يهتدي في الفعل إلى ما لا يهتدي الشعراء إليه في القول حتى يفعل هو، فضمير يفعل يعود إلى من، والشعراء فاعل تهتدي، يقول: إنما يقتدي الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفعاله من المكارم والمساعي العظام، فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحكوا ما فعله.

(٥٨) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضًا أي يتبعه أو تسمية للكل باسم البعض، يقول: إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالي فهو لا ينفك عن الإصغاء حبًّا للشعر وارتياحًا إلى إعطاء الشعراء.

(٥٩) إغارة عطف على جولة، وما احتواه أي جمعه واقتناه من مال، والفيلق الكتيبة من الجيش أنثه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث، والشهباء التي غلب بياضها على سوادها، يعني صافية الحديد، يقول: وللقوافي كل يوم إغارة على ماله حتى لكأن كل بيت كتيبة تنهب ما احتواه.

(٦٠) من بمعنى الذي خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الذي يظلم … إلخ، واللئيم الخسيس الأصل والنفس ضد الكريم، ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال، والأكفاء النظراء والأمثال، يقول: إن اللئام يحاولون التشبه به حسدًا له وهم لا يقدرون على ذلك فكأنه ظلمهم، إذ كلفهم أن يماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا، قال الواحدي ما معناه: ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في المدح أن يقول: الكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرون أن يكونوا، مثله مما لا يليق بمذهبه في إيثاره المبالغة، وروى الخوارزمي نظلم بالنون، وقال: إذا كلفنا اللئام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون.

(٦١) ذامه كذمه، وقوله ونذيمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته البيت السابق من نظلم بالنون، يقول المتنبي: ونحن نذم اللئام ولولاهم ما عرفنا فضله؛ لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كرامًا لم يعرف فضله، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار:

وَكُنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دُمْت فِيهِمُ   قِبَاحًا فَلَمَّا غِبْتِ صِرْنَ مِلَاحَا

وقال أبو تمام:

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طِيبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ   حَتَّى يُصَابَ بِنَأْيٍ أَوْ بِهِجْرَانِ

وقال:

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا   فَهْوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

وقال:

سَمُجَتْ وَنَبَّهَنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا   مَا حَوْلَهَا مِنْ نَضْرَةٍ وَجَمَالِ
وَكَذَاكَ لَمْ تُفْرِطْ كَآبَةُ عَاطِلٍ   حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِي

وقال البحتري:

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنٍ جِوَارُهَا   خَلَائِقُ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيَّبِ
وَحُسْنُ دَرَارِيِّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تُرَى   طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ

بيد أن المتنبي صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه.

(٦٢) من بمعنى الذي بدل من الأول، يقول: وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستثاروه للحرب استباح أموالهم وحريمهم فانتفع بذلك، وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك، فلو فطن أعداؤه لهذا منه لسالموه فتسببوا إلى مضرته.

(٦٣) السَّلم بفتح السين وكسرها ضد الحرب، والجناح بمعنى اليد، والعضد استعاره للمال؛ لأنه موطن القوة، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر، والهيجاء من أسماء الحرب، وهذا البيت مفرع على البيت السابق، يقول: إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم، وبذلك يكون السلم سببًا في نقص أمواله والحرب سببًا في توافرها، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

(٦٤) اللهى العطايا الجزيلة جمع لُهوة بضم اللام، وهي في الأصل القبضة من الحبوب يلقيها الطاحن في فم الرحى فشبهت العطية بها، يقول: إنه يعطي عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولًا، وهو من جودة الرأي وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء.

(٦٥) يقول: فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء، ولكنه مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفعاله تصدر عن عزم جميع ورأي مستحصد، والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدة مترتب على المعنى الأول، وأصل هذا المعنى للبيد:

مُمْقِرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَدْنَيْنِ حُلْوٌ كَالْعَسَلْ

ممقر؛ أي مر. وقال النابغة الجعدي:

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

وأخذه المسيب بن علس فقال:

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلَهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مِنَّا كيدٌ مَشَائِيمُ

وقال علاثة:

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا فِي الْحُرُوبِ وَغَيْرِهَا مَيَامِينَ لِلْأَدْنَى لِأَعْدَائِكُمْ نُكْدُ

(٦٦) ما: في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كأن، ومتمثلًا منصوب على الحال، يقول: وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم وحملهم على الحسد حال تمثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه.

(٦٧) المجدى عليه المعطى، وروحه نائب فاعل المجدى، والاستجداء الاستعطاء، يقول: يا من روحه معطى له من العفاة؛ إذ ليس يطلبها منه أحد منهم، فكأنهم قد جادوا بها عليه، يعني: أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه، وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ

(٦٨) هذا البيت إتمام لمعنى البيت قبله وتأكيد له، والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف، وقوله لا فجعت بفقدهم دعاء له، واللام في قوله فلترك لام الابتداء، يقول: اشكر هذا لعفاتك لا أفجعك الله بفقدهم؛ لأنك تحب العطاء والسؤال، ويروى لا فجعت بحمدهم أي لا قع الله شكرهم عنك.

(٦٩) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت، فذهب المعري والواحدي إلى أن المعنى: لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شقى الأحياء بغضبك وقتلك إياهم فإذا غضبت عليهم وقاتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة، ونقص الأحياء نقصًا بينًا، وإليك نص عبارة أبي العلاء: شقوا به أي بقتله إياهم، وأن الأحياء إذا شقيت بك كثرت الأموات، وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة، إما لأن الأحياء يقلون بمن يموت منهم، وإما لأن الميت يقل في نفسه، وقال ابن جني: شقيت بك أي شقيت بفقدك أي لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات الممدوح، يقول: إنك نعمة على الأحياء وفقدك شقاء لهم، وهذا على حد قول القائل:

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا شَاةٌ تَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ومنه قول الآخر:

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

ويكون قوله: كثرة قلة، معناه أنك وإن كنت قليلًا في العدد فأنت كثير في القدر والشرف.

(٧٠) الشحناء العدواة، قال ابن جني: يريد، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك فيضمر لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشق قلبه فمات خوفًا وجزعًا، وقال الواحدي تعليقًا على ابن جني، ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من الغل والحسد أي إنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشق قلبه، فإذا أضمر لك العداوة انشق قلبه وبان أنه عدو لك، والمعنى بعبارة أخرى: لا يضمر القلب أمرًا يتصدع به وينشق حتى تحل عداوتك فيه. فإذا حلت ضاق بها وانشق عنها لشدة ما ناله من الخوف والجزع.

(٧١) اقترعت تساهمت، يقول: تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به افتخارًا بك وتشرفًا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء، وقال المعري: أراد بالاسم الصيت.

(٧٢) الواو في قوله واسمك واو الحال، وفيك صلة مشارك؛ أي لم يشارك اسمك فيك اسمًا آخر إذ لا يكون للإنسان أكثر من اسم، والناس كلهم في مالك سواء قد تساووا في الأخذ منك لا تخص أحدًا دون غيره بالعطاء. هذا قول الواحدي وغيره، وقال المعري: يريد بالاسم الصيت أي لم يشركك في صيتك أحد، يقال: فلان قد ظهر اسمه في الناس أي صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد، وإنما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم.

(٧٣) اللام في لعممت واقعة في جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها، والمدن جمع مدينة، وملاء جمع ملأى، ومنك متعلق بملاء، وفت تجاوزت، وذا الثناء أي هذا الثناء، واللفاء الحقير الخسيس، يقول: لقد عم برُّك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد، وسبقت ثناء المثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء يعد حقيرًا في جانب ما تستحقه، وهذا البيت يسمى مصرعًا؛ لأنه قفي فيه المصراع الأول كما يفعل في أول القصائد.

(٧٤) حائلًا متحولًا، وللمنتهى أي لأجل الانتهاء، ومن السرور خبر، وبكاء مبتدأ، والجملة استئنافية، يقول: ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تناهيت إليه وتعود إلى البخل؛ إذ ليس من شأنك أن تقف في الكرم عند غاية، وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء.

(٧٥) أبدأت أحدثت وجددت، وأعدت كررت، ومنك متعلق بيعرف أو ببدؤه، يقول: أحدثت من الكرم ما لا يعرف ابتداؤه إلا منك؛ لعظم ما أتيت به، ثم أتبعت ذلك من

الزيادة فيه بما عفي على الأول وأنساه؛ لأنك في كل وقت تخلق فنًّا من الكرم يُنسى به الأول.

(٧٦) ناكب: عادل، يقال: نكب عن الطريق إذا عدل عنه، وبك متعلقة بناكب أو بتقصير، وبراء بريء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث، يقول: إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد بريء من أن يستزيدك؛ لأنك في الغاية منه.

(٧٧) الوشي في الأصل النميمة والمراد هنا دلت، والآلاء النعم والعطايا، وكتمت حجبت، يقول: إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال، ولكن ذلك لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك، كما قال أبو تمام:

مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا أُعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالًا يَجْتَنِي شَرَفًا

وإذا كتمت أي حجبت عن أنظار الناس دلت عليك نعمك وصنائعك فصمد إليك العفاة كما قال:

مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوالُهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ

(٧٨) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان، وإن شئت قلت مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته، ويعتقد أنه موليها، وللشاكرين خبر مقدم، وثناء مبتدأ مؤخر، وعلى الإله متعلق بثناء، يقول: ولقد بلغت من الرفعة غاية لا يزيدها مدح مادح، ولكن تمدح لتجيز العفاة وليعد الشاعر في جملة مداحك كالشاكر لله تعالى يثني عليه؛ ليستحق أجرًا ومثوبة لا أنه سبحانه محتاج إلى ثنائه.

(٧٩) الجدب المحل ضد الخصب، والدأماء البحر على فعلاء قال الأفوه الأودي:

وَاللَّيْلُ كَالدَّأْمَاءِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ دُونِهِ لَوْنًا كَلَوْنِ السُّدُوسِ

(السدوس: الطيلسان.) يقول: إذا مطرت فليس ذلك لإجداب محلك ولكن كما يمطر المكان الخصيب والبحر، وهما غير محتاجين إلى المطر، ومن هذا المعنى قول المعري:

وَالْبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَا لَهُ   فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

(٨٠) النائل العطاء، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب جمع الجمع، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ والرحضاء العرق أثر الحمى يقول: ليست تحكي السحاب بمائها عطاءك المتتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت حسدًا لك، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

(٨١)

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرَتْ   إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا

قال البديعيون، وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح، ومن هذا الباب قول بعضهم:

رَأَى الْمُزْنُ مَا تُعْطِي فَضَمَّ عَلَى الْأَسَى   فُؤَادًا كَأَنَّ الْبَرْقَ فِيهِ لَهِيبُ

يقول: لا حاجة إلى الشمس من ضيائك ونورك، ومن ثم كان طلوعها وقاحة وقلة حياء منها، واستعار للشمس وجهًا للمشاكلة.

(٨٢) الأدم: جمع أديم وهو ظاهر كل شيء، والأخمص باطن القدم وما رق من أسفلها وتجافى عن الأرض، وقيل خصر القدم وقد يراد بها القدم كلها، وقوله فبأيما قدم. استفهام معناه التعجب وما زائدة. يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ أحد، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نعلًا لقدميه يعني أن قدمًا بلغ سعيها هذا المبلغ تستحق أن يكون الهلال نعلًا لها.

(٨٣) الحمام. الموت يدعو له، يقول: ليكن الزمان وقاية لك من عواديه أي ليهلك الزمان بها دونك، وليمت الموت فداء لك من نفسه، وكل هذا كما ترى مبالغة في الدعاء.

(٨٤) اللذ: لغة في الذي، وتسكن الواو من هو ضرورة، أو على لغة، والعقم عدم الولد يقول: لو لم تكن من هذا الورى الذي كأنه منك؛ لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله لكانت حواء في حكم العقيم التي لم تلد، ولكنها بك صارت ذات ولد، والشطر الأول رديء، ولكن الثاني جميل على أنه يلاحظ أن المتنبي يخاطب — كما أسلفنا — رجلًا يذهب مذهب الصوفية.

(٨٥) الاستفهام للتعجب، وذي السماء أي هذه السماء، يقول: لا أدري ما يقول هذا المغني؛ لأن قلبي وجوارحي مشتغلة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن غناء هذا المغني.

(٨٦) الاستفهام للتعجب، وذي السماء أي هذه السماء، يقول: لا أدري ما يقول هذا المغني؛ لأن قلبي وجوارحي مشتغلة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن غناء هذا المغني.

(٨٧) يدني من الدنو أي يقترب، وأنا منك مبتدأ وخبر، ولا يهنئ عضو كلام مستأنف، يقول: إنما يهنئ الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا منك؛ أي أَنا وأنت كإنسان واحد، وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتركت في ذلك جميع أعضائه فلم يهنئ بعضها بعضًا. قال الواحدي: وهذا طريق المتنبي يدَّعي لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدري لم احتمل ذلك منه؟

(٨٨) يدني من الدنو أي يقترب، وأنا منك مبتدأ وخبر، ولا يهنئ عضو كلام مستأنف، يقول: إنما يهنئ الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا منك؛ أي أَنا وأنت كإنسان واحد، وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتركت في ذلك جميع أعضائه فلم يهنئ بعضها بعضًا. قال الواحدي: وهذا طريق المتنبي يدَّعي لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدري لم احتمل ذلك منه؟

(٨٩) مستقل خبر مبتدأ محذوف؛ أي أَنا مستقل، ويروى أستقل، والآجر: الطوب المشوي، ويخر: من خرير الماء، يقول: أنا أستقل لك الديار وإن بنيت بالنجوم بدل الآجر، ولو أن الماء من فضة، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك.

(٩٠) مستقل خبر مبتدأ محذوف؛ أي أَنا مستقل، ويروى أستقل، والآجر: الطوب المشوي، ويخر: من خرير الماء، يقول: أنا أستقل لك الديار وإن بنيت بالنجوم بدل الآجر، ولو أن الماء من فضة، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك.

(٩١) محلة أي منزلة تمييز، وأن تهنَّى، في موضع نصب بإسقاط حرف الجر أي من أن تهنى.

(٩٢) الغبراء: الأرض، والخضراء: السماء، وفي الحديث: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر.» والسمهرية: الرماح، يقول: أنت أعلى منزلة من أن تهنأ بمكان والبلاد كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزهتك إنما هي الخيل، وما تحمله من الرماح فهي بساتينك. جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر.

(٩٣) الغبراء: الأرض، والخضراء: السماء، وفي الحديث: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر.» والسمهرية: الرماح، يقول: أنت أعلى منزلة من أن تهنأ بمكان والبلاد كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزهتك إنما هي الخيل، وما تحمله من الرماح فهي بساتينك. جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر.

(٩٤) يقول: إنما فخره بما يبتني من العلياء، لا بما يبتني من الدور كما قال:

بَنَى الْبُنَاةُ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْآجُرِّ وَالطِّينِ

قالوا: والعلياء إذا فتحت عينها مدت، وإذا ضمت قصرت.

(٩٥) وبأيامه، عطف على قوله بما يبتني، وكذلك قوله وبما أثرت، وانسلخت مضت، والهيجاء الحرب، والصوارم السيوف، يقول: إنما فخر أبي المسك بما يبتني من العلياء، وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب، وبها شاد عزه وعلياءه.

(٩٦) وبأيامه، عطف على قوله بما يبتني، وكذلك قوله وبما أثرت، وانسلخت مضت؛ والهيجاء الحرب، والصوارم السيوف، يقول: إنما فخر أبي المسك بما يبتني من العلياء، وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب، وبها شاد عزه وعلياءه.

(٩٧) وبمسك، عطف كذلك على بما يبتني، ويكنى به صفة لمسك، وليس بالمسك صفة أخرى، والأريج فوحان الطيب، يقول: وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف، وإنما هو كناية عن طيب الثناء والذكر الجميل والصيت الحسن. «هذا» وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك.

(٩٨) يبتني الحواضر؛ أي أهل الحواضر، جمع حاضرة، خلاف البادية، والريف، المكان الخصب الكثير الزرع والخضرة، ويطبي: يستميل، قال كثير:

لَهُ نَعَلٌ لَا يَطَّبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسْطَ الْمَجَالِسِ شُمَّتِ

يعني كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح، والنعل بسكون العين مؤنثة؛ ولكن كثيرًا فتحها لانفتاح ما قبلها؛ أي إن حركتها حركة إتباع.

يقول المتنبي: إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الأعداء وطيب الثناء، لا بما يبتني المتحضرون من المنازل، ولا بالمسك الذي يستميل قلوب النساء.

(٩٩) السنا المقصور: الضوء والنور، والممدود الشرف والرفعة؛ يقول: إن هذه الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونورًا، فكأنك أنزلت الدار في دار أجمل منها وأجل؛ أي تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك.

(١٠٠) الرياحين: جمع ريحان جمع ريحانة، والريحان كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم، والآلاء: النعم، والمعنى ظاهر.

(١٠١) ذرت الشمس: بدت أول طلوعها. قال الواحدي: يريد أنه في سواده مشرق فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس، ويجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس ذكرًا. أو يريد، نقاءه من العيوب، ويقال للمشهور: منير وللنقي من العيوب منير، ويدل على صحة ما ذكر البيت التالي.

(١٠٢) أخبر أنه أراد بإنارته ضياء المجد، وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يعاب به، وأن ذلك الضياء أتم من كل ضياء، فهو يزري؛ أي يستهين بكل ضياء.

(١٠٣) القباء: الثوب، يقول: إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه، وإنما المعول عليه بياض النفس ونقاؤها من العيوب، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بني الحسحاس:

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا   أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ

(١٠٤) أي لك كرم في شجاعة ... إلخ. يقول: إنك كريم شجاع، ذكي الطبع، بهي المنظر، ذو قدرة على ما تريد، وافٍ بالعهد والوعد فيما تقول.

(١٠٥) السحناء: السحنة أي المنظر والهيئة، والأعيان: من جموع العين كطير وأطيار، وفي أكثر الكلام عيون وأعين، يقول: إن الملوك البيض الألوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحنتك؛ ليراهم أهل الحرب بالعيون التي يرونك بها، وذلك أن الأسود مهيب في الحرب، ولا يظهر عليه أثر الخوف، ولكن من يكفل لهم بهذه الأمنية؟

(١٠٦) السحناء: السحنة أي المنظر والهيئة، والأعيان: من جموع العين كطير وأطيار، وفي أكثر الكلام عيون وأعين، يقول: إن الملوك البيض الألوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحنتك؛ ليراهم أهل الحرب بالعيون التي يرونك بها، وذلك أن الأسود مهيب في الحرب، ولا يظهر عليه أثر الخوف، ولكن من يكفل لهم بهذه الأمنية؟

(١٠٧) المفاوز: الصحراوات المهلكة، وسميت مفازة على سبيل الفأل بالسلامة كما قيل للديغ سليم. يقول: لقد أفنت المفاوز — التي جبتها إليك — خيلي وزادي ومائي. يذكر طول الطريق إليه، وأنه صمد إليه من شقة بعيدة.

(١٠٨) الرواء: المنظر والشارة. يقول: استكفني ما شئت من أي أمر عظيم تقذف بي إليه فإن قلبي قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمي الصورة، وفؤادي فؤاد الملوك عزمًا ورأيًا ودهاء وإن كان لساني لسان شاعر. قيل: إن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض إلى طلب ولاية من كافور، وقالوا: إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يبلغه ما في نفسه.

(١٠٩) الرواء: المنظر والشارة. يقول: استكفني ما شئت من أي أمر عظيم تقذف بي إليه فإن قلبي قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمي الصورة، وفؤادي فؤاد الملوك عزمًا ورأيًا ودهاء وإن كان لساني لسان شاعر. قيل: إن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض إلى طلب ولاية من كافور، وقالوا: إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يبلغه ما في نفسه.

(١١٠) الخيزلى: مشية للنساء فيها استرخاء وتثاقل وتفكك، قال الفرزدق:

حَوَارِيَّةٌ تَمْشِي الضُّحَى مُرْجَحِنَّةً وَتَمْشِي الْعَشِيَّ الْخَيْزَلَى رِخْوَةَ الْيَدِ

(حوارية؛ يريد الشديدة البياض النقية، ومرجحنة؛ يريد سمينة ثقيلة فإذا مشت تفيأت في مشيتها، ورخوة اليد؛ أي مرسلتها، ومن أمثال العرب: أرخ يديك واسترخ إن الزناد من مرخ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام.)

والهيذبى: ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة، من قولهم أهذب الظليم إذا أسرع. يقول: فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيذبى: يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبب بالنساء وإنما هو من أهل السفر، ومن ثم كان مولعًا بالخيل، وهذا من قول أبي تمام:

يَرَى بِالْكَعَابِ الرُّودِ طَلْعَةَ ثَائِرٍ وَبِالعِرْمِسِ الْوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ

(الكعاب: الجارية الناهد، والرود: الشابة الحسنة الشباب، والعرمس: الناقة الصلبة، والوجناء: الناقة العظيمة الوجنتين أو العظيمة.)

(١١١) وكل: عطف على كل ماشية الهيذبى، والنجاة: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها، قالوا: ولا يوصف بذلك البعير، وبجاوية: منسوبة إلى بجاوة وهي أرض بالنوبة تعرف نوقها بالسرعة، وقيل: قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرماح:

بجَاوِيَّةٌ لَمْ تُسْتَدَرْ حَوْلَ مَثْبِرٍ وَلَمْ يَتَخَوَّنْ دَرَّهَا ضَبُّ آفِنِ

(المثبر: مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة، وأكثر ما يقال في الإبل، ومثبر الناقة أيضًا حيث تنحر، والتخون: التنقص، والآفن: الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها، والدر اللبن، وضب الناقة: حلبها بالكف.)

قالوا: وكان أهل بجاوة هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها، وكانت النوق تنعطف معهم كيفما أرادوا، فإذا وقعت الحربة في رمية عطف الناقة إليها فأخذها، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تنعطف معهم حيث أرادوا.

حكى ابن جني عن المتنبي قال: يرمي الرجل من أهل بجاوة بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها.

ويقال: خنف البعير في مشيه إذا سار فقلب خف يده إلى وحشيه وناقة خنوف، قال الأعشى:

وَأَذْرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّفِيَّ وَرَاجَعَتْ يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا

(يقال: بعير أحرد وناقة حرداء، وذلك أن يسترخي عصب إحدى يديه من عقال أو يكون خلقة حتى كأنه ينفضها إذا مشى.)

وقال في الصحاح: خنف البعير يخنف خنفًا وخنافًا. لوى أنفه من الزمام، والخانف الذي يميل رأسه إلى الزمام، ويفعل ذلك من نشاطه، ومنه قول أبي وجزة:

قَدْ قُلْتُ وَالْعِيسُ النَّجَائِبُ تَغْتَلِي بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَانِفَ فِي الْبُرَى

(البرى: جمع برة، وهي الحلقة في أنف البعير، واغتلت الدابة في سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير.)

والخنوف من الإبل اللينة اليدين في السير والمشي جمع مشية كسدرة وسدر، يقول: لا أنظر إلى حسن مشي النساء وما بي شهوة إلى ذلك، وإنما نزاعي وميلي إلى كل ناقة خفيفة المشي، أو تقول: إن قوله وما بي حسن المشي كالاستدراك على قوله خنوف أي لست أصفها بالخنف استحسانًا لمشيها؛ لأني لست أنظر إلى حسن المشي، ولكني أستعين بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالي.

(١١٢) العداة: الأعداء، والميط: الدفع، يقول: لست آبه للمشي سواء أكان مشي نساء أم مشي إبل، ولكن ولوعي بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك، وبها تُكاد الأعداء ويدفع الأذى.

(١١٣) التيه: هنا تيه بني إسرائيل، وهو الذي بين القلزم وأيلة، وهو الذي سلكه حين هرب من مصر إلى العراق، والإشارة إلى الفوز والهلاك. يقول: ضربت بها الفلاة مخاطرًا كما يضرب المقامر بالسهام وهو لا يدري ما يقسم له من غنم أو غرم، كذلك أنا سلكت بناقتي القفار ملقيًا بنفسي بين الفوز وبين الهلاك. فالعاقبة إما هذا وإما هذا.

(١١٤) قدمتها؛ أي تقدمتها، وقوله بيض السيوف وسمر القنا، من المقابلة الجميلة، يقول: إذا فزعت هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يجنبون الخيل ويركبون الإبل، فإذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيوف والرماح للذود عنها.

(١١٥) نخل: ماء معروف، يقول: فمرت ناقتي بهذا الموضع وفي ركبانها — يعني نفسه وأصحابه — غنى عن العالم؛ أي عن خفارة أحد؛ لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظمأ.

(١١٦) النقاب: موضع يتشعب منه طريقان؛ طريق إلى وادي المياه، وطريق إلى وادي القرى، ونا من تخيرنا مفعول أول، ووادي المياه: مفعول ثان، وأسكن الياء ضرورة، يقول: لما بلغنا النقاب قدرنا السير، إما إلى وادي المياه، وإما إلى وادي القرى، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم، فقالت: إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر، وهذا على المجاز والاتساع، قال العكبري: وقيل في التخير تأويلان: أحدهما أن الهوادي من الخيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما؛ لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما، وهذا كأنه تخيير، والثاني: أنه على سبيل المجاز، كما قيل:

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُول السُّرَى

لم يرد حقيقة الشكوى، وإنما أراد صار إلى حال يشتكي من مثلها.

(١١٧) تربان هنا: موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ، وها: حرف تنبيه، يقول: وقلنا للإبل أين أرض العراق؟ — لأنا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هي ذه؛ أي دانية، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة المترامية ليست في نظرها شيئًا مذكورًا، وقال ابن جني: تربان من أرض العراق.

(١١٨) هبت؛ أي الإبل، يريد نشطت في سيرها، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة؛ لأنها أقبلت من المغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا، لأن الدبور تهب من الغرب، والصبا تقابلها من مطلع الشمس، وحسمى: موضع بالبادية، يقول: وهبت في هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق.

(١١٩) روامي؛ أي قواصد، حال من ضمير النوق، وأسكن الياء ضرورة، وهذه كلها أسماء مواضع، ووادي الغضى: بدل من جار البويرة، يقول: إن وادي الغضى جار للبويرة قريب منها.

(١٢٠) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد، وجابت: قطعت، والمها: بقر الوحش، يقول: وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء، سائرة بين النعام والمها؛ لأنها مواضع خالية من الأناسي، ومن ثم تألفها الوحوش.

(١٢١) عقدة الجوف: مكان معروف، والجراوي: منهل، قال الشاعر:

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا   صَدَايَ وَإِنْ رَوَّى غَلِيلَ الرَّكَائِبِ

والصدى: العطش. يقول: جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجَوف حتى شفت عطشها بماء الجراوي.

(١٢٢) قال الواحدي: صور اسم ماء، والصحيح أنه صوري، ذكر ذلك أبو عمرو الجرمي، والشغور: موضع بالسماوة. قال العكبري: هو موضع بالعراق، تقول العرب: إذا وردت شغورًا فقد أعرقت؛ ثم قال: وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة، إذا لم يكن لها من يحميها، والصباح والضحى: إما منصوبان على معنى المعية، وإما مرفوعان على أنهما معطوفان على ما قبلهما، يقول: وظهر لها صور مع وقت الصباح، وظهر لها الشغور مع وقت الضحى.

(١٢٣) الجميعي والأضارع والدنا: مواضع، والدئداء: سير سريع أرفع من الخبب، يقول: لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميعي، وفي الغداة بلغ الأضارع والدنا.

(١٢٤) أعكش: موضع قرب الكوفة، وأحم وخفي: صفتان لليلا، وليلا تمييز، ويا لك تعجب، والأحم: الشديد السواد، والصوى: أعلام من حجارة تنصب في الطريق ليهتدى بها؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد وخفيت أعلام الطريق.

(١٢٥) الرهيمة: موضع قرب الكوفة، والجوز في الأصل: الوسط، والمراد به هنا صدر الليل لقوله: وباقيه أكثر، والضمير في الموضعين لليل، يقول: وردنا هذا المكان صدر الليل وباقيه أكثر مما مضى منه، وقال بعضهم: ضمير جوزه لأعكش، والرهيمة ماء وسط أعكش؛ أي وردنا هذا الماء «رهيمة» وسط هذا المكان «أعكش» وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه، وقال الخطيب التبريزي: بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل؛ لأنه يوهم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة في النصفين، وليس الأمر كذلك، ولكنه جعل ثلث الليل الثاني كالوسط وهو الجوز، ثم قال: وباقيه أكثر، كأنه ورد، والثلث الثاني الذي كالوسط، وهو الجوز قد مضى ربعه وبقي ثلاثة أرباعه، وهذا أبين وأوضح، ويجوز أن يكون الضمير في باقيه لليل أو للجوز.

(١٢٦) يقول: لما ألقينا عصا التسيار، واستقر بنا النوى في الكوفة، وأنخنا ركابنا بها، وركزنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود «كافور» وقتال من قاتلنا في الطريق وظفرنا بمن عادانا، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا، فظفرت مكارمنا بما فعلنا، فكأنا نزلنا عليها.

(١٢٧) يقول: بتنا نقبل أسيافنا؛ لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرءوس، ويروى بدل بتنا ثبنا؛ أي رجعنا نقبل … إلخ.

(١٢٨) لتعلم مصر؛ أي أهل مصر، والعواصم: بلاد قصبتها إنطاكية، وهي من حلب إلى حماه، وأل في الفتى للاستغراق؛ أي الكامل الفتوة.

(١٢٩) وفيت؛ أي لسيف الدولة إذ رجع إليه، أو تقول: وفيت أي بما قلته من أني سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر، وأبيت أي ضيم كافور، وعتوت، أي تجبرت على من تجبر علي.

(١٣٠) سامه الأمر: كلفه إياه أو أكرهه عليه، والخسف: الضيم والذل، وسامه خسفًا: أذله.

(١٣١) يصدع صم الصفا: يشق الحجارة القويه وينفذ فيها، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة. يقول: لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأي ماضٍ يصدع به الأحداث والكروب، ولو تضامت تضام الصخر.

(١٣٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال: توى ماله إذا هلك، واستعار للتوى قلبًا؛ ليقابل بين قلبه وقلب التوى، يقول: ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك، ويخوض شدائده حتى يصل إلى العز.

(١٣٣) يقول: وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه، وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا. جمع الخطوة — بضم الخاء — وهي ما بين القدمين.

(١٣٤) الخويدم: تصغير خادم، يريد كافورًا، والكرى: النوم والنعاس. يقول: نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده، وكان قبل ذلك نائمًا غفلة وعمى ولم يك نائمًا النوم المعروف، وهذا كقول الآخر:

وَخَـبَّـرَنِـي الْـبَـوَّابُ أَنَّـكَ نَـائِـمٌ　　　وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمُ

(١٣٥) مهامه: اسم كان، وبيننا خبرها؛ يقول: ولما كنت قريبًا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه، وبذلك كنت كأنني بعيد عنه؛ لأن الجاهل لا يزداد علمًا بالشيء وإن قرب منه.

(١٣٦) النهى: العقول، جمع نهية، سميت العقول كذلك؛ لأنها تنهى عن كل ما هو قبيح، يقول: كنت أظن قبل أن أرى كافورًا أن الرءوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الخصى، فإنه لما خصي ذهب عقله وحمق.

(١٣٧) النهى: العقول، جمع نهية، سميت العقول كذلك؛ لأنها تنهى عن كل ما هو قبيح، يقول: كنت أظن قبل أن أرى كافورًا أن الرءوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الخصى، فإنه لما خصي ذهب عقله وحمق.

(١٣٨) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك، ثم قال: لكن ذلك الضحك كالبكاء، كما قالوا: وشر البلية ما يضحك.

(١٣٩) يبين ما بمصر من المضحكات، والنبطي واحد النبط، وهم جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين، قال المعري:

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى　　　إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَبِيطُ
اسْتَنْبَطَ الْعُرْبُ فِي الْمَوَامِي　　　بَعْدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق، والفلا: جمع فلاة، والمراد بها البادية، وأهل البادية هم العرب. قال الواحدي: يريد بالنبطي السوادي أبا الفضل بن حنزابه وزير كافور، وقيل: أبا بكر المادراني النسابة، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب.

(١٤٠) المشفر في الأصل شفة البعير، يقول: وبمصر أسود — يريد كافورًا — عظيم الشفة حتى لكأنها قدر نصفه، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر، والبدر هو ما هو جمالًا وإشراقًا، والأسود هو ما هو قبحًا وإظلامًا، ومع ذلك يصدقهم ويغتبط بتكذابهم.

(١٤١) الكركدن بتشديد الدال والعامة — كما في القاموس — تشدد النون: هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة، قصير القوائم، كثيف الجلد، على أنفه قرن واحد، ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر، ويسمى المرميس، يقول: ورُبَّ شعر مدحت به هذا الأسود الذي يشبه الكركدن في عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقيه به وأحتال لأجتلب ماله من وجه آخر.

(١٤٢) قال ابن جني: إذا كانت طباعه تنافي طباع الناس كلهم سفالًا، ثم مدح فذلك هجو لهم؛ لأن فيه إرغامًا لهم ومدحًا لمن ينافي طباعهم، وقال غيره: يعني لم يكن ذلك الشعر مدحًا له ولكنه في الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله.

(١٤٣) يقول: قد ضل ناس بعبادة الأصنام لاعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريح — يعني كافورًا — وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا في مصر وأهلها، والزق أسود، وإذا كان مملوءًا ريحًا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه.

(١٤٤) تلك؛ أي الأصنام، وذا؛ أي زق الريح؛ أي كافور.

(١٤٥) هذا هو بيت القصيد، يقول: من لم يعرف قدر نفسه غرورًا وإعجابًا وذهابًا بها خفيت عليه عيوبه، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستقبحوا منه ما استحسن، وإنه لبلاء عظيم …

(١٤٦) كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له: إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة:

لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الخيـْ ـلُ وأنا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالًا.

(١٤٧) يقول: إن الذين عابوا علي هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت، وإني آبى ذلك كل الإباء؛ لأني لا أسلم بأن تكون الثريا والسماء فوقك وهما ما هما علوًّا وارتفاعًا؛ فكيف أسلم بأن تكون الخيام فوقك؟ يريد أن رتبتك فوق كل شيء؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا.

(١٤٨) يقول: إن الذين عابوا علي هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت، وإني آبى ذلك كل الإباء؛ لأني لا أسلم بأن تكون الثريا والسماء فوقك وهما ما هما علوًّا وارتفاعًا؛ فكيف أسلم بأن تكون الخيام فوقك؟ يريد أن رتبتك فوق كل شيء؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا.

(١٤٩) يقول: لما زايلت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجمال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها؛ فلما غادرتها غادرها جمالها وأنسها.

(١٥٠) يقول: إذا تنفست والعواصم على عشر ليالٍ منك عرف أهلوها والمقيمون بها طيب نفسك في الهواء، وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عيينة:

تَطَيَّبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسَتْ   كَأَنَّ فَتِيتَ الْمِسْكِ فِي دُورِنَا هَبَّا

وتنفس — بحذف إحدى التاءين — أي تتنفس، والعواصم بلاد منها حلب وقنسرين وإنطاكية، وهي عاصمتها سميت كذلك؛ لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار، وقوله منك عشر؛ أي على مسيرة عشر ليال.

(١٥١) أنشد المتنبي سيف الدولة يومًا قوله:

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ

وانصرف؛ فاضطرب المجلس، وكان فيه نبطي من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة: ألحقه فآخذ لك رأسه؟ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجوه بها.

(١٥٢) يقول: يا سامري يا من يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغبى الأغبياء، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناه المعتصم قرب بغداد، وكان لما أخذ في بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى، فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها، فقيل سر من رأى، ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسرمرى، والضحكة: الذي يضحك منه، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك.

(١٥٣) يقول: حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى؛ لأن مثلك لا يأبه له الشعراء، ولا يرونه أهلًا حتى للهجاء.

(١٥٤) المحال: ما عدل به عن وجهه يقول: وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكترث له؛ أي ما هجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك، وهل يليق بمثلي أن يجرب سيفه في قطع الهباء؟! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل:

أَمَّا الْهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... وَالْمَدْحُ فِيكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ ... عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وقول الآخر:

قُلْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّى تَشَا ... وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالَا
نَجَا بِكَ لُؤْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ ... حَمَتْهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا

وقول بعضهم:

إِنِّي لَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا ... هِجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُوهُمُ أَحَدُ
مَاذَا يَقُولُ لَهُمْ مَنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ ... لَا يَبْلُغُ النَّاسَ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين:

لِـعَـيْـنِـي كُـلَّ يَـوْمٍ مِـنْـكَ حَـظٌّ   تَـحَـيَّـرُ مِـنْـهُ فِـي أَمْـرٍ عُـجَـابِ[1]
حِمَالَةُ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ   وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ[2]

وزاد المطر فقال:

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ   وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ[3]
وَمَا يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا   وَلَا يَنْفَكُّ غَيْثُكَ فِي انْسِكَابِ[4]
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي   مُسَايَرَةَ الْأَحِبَّاءِ الطِّرَابِ[5]
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ   وَتَعْجِزُ عَنْ خَلَائِقِكَ الْعِذَابِ[6]

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت:

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ أَعْتَرِضُ الدُّمَى   فَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ[7]

فقال:

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي
وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبِ[8]

تَـفَـرَّدَ بِـالْأَحْـكَـامِ فِـي أَهْـلِـهِ الْـهَـوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ[٩]
وَإِنِّـي لَـمَـمْـنُـوعُ الْـمَـقَـاتِـلِ فِـي الْـوَغَـى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فِـي الْـحُـبِّ[١٠]
وَمَـنْ خُـلِـقَـتْ عَـيْـنَـاكَ بَـيْـنَ جُـفُـونِـهِ
أَصَابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ[١١]

«وقال يعزيه عن عبده يماك التركي، وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة»:

لَا يُـحْـزِنُ الـلـهُ الْأَمِـيـرَ فَـإِنَّـنِـي ... سَـآخُـذُ مِـنْ حَـالَاتِـهِ بِـنَـصِـيـبِ[١٢]
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى ... بَـكَـى بِـعُـيُـونٍ سَـرَّهَـا وَقُـلُـوبِ[١٣]
وَإِنِّـي وَإِنْ كَـانَ الـدَّفِـيـنُ حَـبِـيـبَـهُ ... حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي[١٤]
وَقَـدْ فَـارَقَ الـنَّـاسُ الْأَحِـبَّـةَ قَـبْـلَـنَـا ... وَأَعْـيَـا دَوَاءُ الْـمَـوْتِ كُلَّ طَـبِـيـبِ
سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا ... مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جِيئَةٍ وَذُهُوبِ[١٥]
تَـمَـلَّـكَـهَـا الْآتِـي تَـمَـلُّـكَ سَـالِـبٍ ... وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبِ[١٦]
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى ... وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبِ[١٧]
وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبٍ ... حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ[١٨]
لَأَبْقَى يَمَاكٌ فِي حَشَايَ صَبَابَةً ... إِلَى كُلِّ تُرْكِيِّ النِّجَارِ جَلِيبِ[١٩]
وَمَـا كُـلُّ وَجْـهٍ أَبْـيَـضٍ بِـمُـبَـارَكٍ ... وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ[٢٠]
لَـئِـنْ ظَـهَـرَتْ فِـيـنَـا عَـلَـيْـهِ كَـآبَـةٌ ... لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ[٢١]
وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلَّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ ... وَفِي كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمِ رُكُوبِ[٢٢]
يَـعِـزُّ عَـلَـيْـهِ أَنْ يُـخِـلَّ بِـعَـادَةٍ ... وَتَدْعُو لِأَمْرٍ وَهْوَ غَيْرُ مُجِيبِ[٢٣]
وَكُـنْـتُ إِذَا أَبْـصَـرْتُـه لَـكَ قَـائِـمًـا ... نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبِ[٢٤]
فَإِنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ ... فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَغَرَّ وَهُوبِ[٢٥]
كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَاجِدٍ ... إِذَا لَـمْ يُـعَـوِّذْ مَـجْـدَهُ بِـعُـيُـوبِ[٢٦]
وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا ... غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ[٢٧]
وَلَلتَّرْكُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ ... إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ[٢٨]
وَإِنَّ الَّـذِي أَمْـسَـتْ نِـزَارٌ عَـبِـيـدَهُ ... غَنِيٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ[٢٩]

كَفَى بِصَفَاءِ الْوَدِّ رِقًّا لِمْثْلِهِ … وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلَبِيبِ[٣٠]
فَعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْأَجْرُ إِنَّهُ … أَجَلُّ مَثَابٍ مِنْ أَجَلِّ مُثِيبِ[٣١]
فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَّ النَّجِيعُ نُحُورَهَا … يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمُقَامِ عَصِيبِ[٣٢]
يَعَافُ خِيَامَ الرَّيْطِ فِي غَزَوَاتِهِ … فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ[٣٣]
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا … بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ[٣٤]
فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ … وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَئِيبِ[٣٥]
تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَبِيكَ فَإِنَّمَا … بَكَيْتَ فَكَانَ الضِّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ[٣٦]
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا … بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ[٣٧]
وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ … سُكُونُ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ[٣٨]
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ … فَلَمْ تَجْرِ فِي آثَارِهِ بِغُرُوبِ[٣٩]
فَدَتْكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا … مُعَذَّبَةٌ فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا … وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ[٤٠]

وقال يمدحه، ويذكر بناء مَرْعَش سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا … فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا[٤١]
وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا … فُؤَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَّا[٤٢]
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً … لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا[٤٣]
نَذُمُّ السَّحَابَ الْغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ … وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا[٤٤]
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ … عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا[٤٥]
وَكَيْفَ الْتِذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى … إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّا[٤٦]
ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلًا كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ … وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا[٤٧]
وَفَتَّانَةَ الْعَيْنَيْنِ قَتَّالَةَ الْهَوَى … إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَائِحُهَا شَبَّا[٤٨]
لَهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ … وَلَمْ أَرَ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّهْبَا[٤٩]
فَيَا شَوْقِ مَا أَبْقَى وَيَا لِي مِنَ النَّوَى … وَيَا دَمْعِ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبِ مَا أَصْبَى[٥٠]
لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمُشِتُّ بِهَا وَبِي … وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضِّبَّا[٥١]
وَمَنْ تَكُنِ الْأُسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ … يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَصْبَا[٥٢]
وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِيَ الْعُلَا … أَكَانَ تُرَاثًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبَا[٥٣]

فَـرُبَّ غُـلَامٍ عَـلَّـمَ الْـمَـجْـدَ نَـفْـسَـهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا٥٤
إِذَا الدَّوْلَـةُ اسْـتَـكْفَتْ بِـهِ فِـي مُـلِـمَّـةٍ كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا٥٥
تُـهَـابُ سُـيُـوفُ الْـهِـنْـدِ وَهْـيَ حَـدَائِـدٌ فَـكَـيْـفَ إِذَا كَـانَـتْ نِـزَارِيَّـةً عُـرْبَـا٥٦
وَيُـرْهَـبُ نَـابُ اللَّـيْـثِ وَاللَّـيْـثُ وَحْـدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا٥٧
وَيُـخْـشَـى عُـبَابُ الْـبَـحْـرِ وَهْـوَ مَـكَـانَـهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَّا٥٨
عَـلِـيـمٌ بِـأَسْـرَارِ الـدِّيَـانَـاتِ وَالـلـغَـى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكُتْبَا٥٩
فَـبُـورِكْـتَ مِـنْ غَـيْـثٍ كَـأَنَّ جُـلُـودَنَـا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصْبَا٦٠
وَمِـنْ وَاهِـبٍ جَـزْلًا وَمِـنْ زَاجِـرٍ هَـلًا وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعًا وَمِنْ نَاثِرٍ قُصْبَا٦١
هَـنِـيـئًـا لِأَهْـلِ الـثَّـغْـرِ رَأْيُـكَ فِـيـهِـمِ وَأَنَّكَ حِزْبَ اللهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا٦٢
وَأَنَّـكَ رُعْـتَ الـدَّهْـرَ فِـيـهَـا وَرَيْـبَـهُ فَإِنْ شَكَّ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا٦٣
فَـيَـوْمًـا بِـخَـيْـلٍ تَـطْـرُدُ الـرُّومَ عَـنْـهُـمُ وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا٦٤
سَـرَايَـاكَ تَـتْـرَى وَالـدُّمُـسْـتُـقُ هَـارِبٌ وَأَصْـحَـابُـهُ قَـتْـلَـى وَأَمْـوَالُـهُ نُـهْـبَـى٦٥
أَتَـى مَرْعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلًا وَأَدْبَـرَ إِذْ أَقْـبَـلْـتَ يَـسْـتَـبْـعِـدُ الْـقُـرْبَـا٦٦
كَـذَا يَـتْـرُكُ الْأَعْـدَاءَ مَـنْ يَـكْـرَهُ الْـقَـنَـا وَيَـقْـفُـلُ مَـنْ كَـانَـتْ غَـنِـيـمَـتُـهُ رُعْـبَـا٦٧
وَهَـلْ رَدَّ عَـنْـهُ بِـالـلُّـقَـانِ وُقُـوفُـهُ صُدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةَ الْقُبَّا٦٨
مَضَى بَعْدَمَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا٦٩
وَلَـكِـنَّـهُ وَلَّـى وَلِـلـطَّـعْـنِ سَـوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَا٧٠
وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا٧١
أَرَى كُـلَّـنَـا يَـبْـغِـي الْـحَـيَـاةَ لِـنَـفْـسِـهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبَّا٧٢
فَـحُـبُّ الْـجَـبَـانِ الـنَّـفْـسَ أَوْرَدَهُ الـتُّـقَـى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا٧٣
وَيَـخْـتَـلِـفُ الـرِّزْقَـانِ وَالْـفِـعْـلُ وَاحِـدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبَا٧٤
فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْئِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرْبَا٧٥
تَـصُـدُّ الـرِّيَـاحُ الْـهُـوجُ عَـنْـهَـا مَـخَـافَـةً وَتَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا٧٦
وَتَرْدِي الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فِي طُرْقِهَا الْعُطْبَا٧٧
كَـفَـى عَـجَـبًـا أَنْ يَـعْـجَـبَ الـنَّـاسُ أَنَّـهُ بَـنَـى مَـرْعَـشًـا تَـبًّـا لِآرَائِـهِـمْ تَـبًّـا٧٨
وَمَـا الْـفَـرْقُ مَـا بَـيْـنَ الْأَنَـامِ وَبَـيْـنَـهُ إِذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا٧٩
لِأَمْـرٍ أَعَـدَّتْـهُ الْـخِـلَافَـةُ لِـلْـعِـدَا وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا٨٠

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً   وَلَمْ يَتْرُكِ الشَّامَ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا[٨١]
وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ   كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبَّا[٨٢]
وَجَيْشٌ يُثَنِّي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ   خَرِيقُ رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصُنًا رَطْبَا[٨٣]
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ   فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا[٨٤]
فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكُفْرَ مُلْكُهُ   فَهَذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّا[٨٥]

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعتبًا:[٨٦]
من القصيدة الميمية:

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا   فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا[٨٧]
وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ   تَنَائِفَ لَا أَشْتَاقُهَا وَسَبَاسِبَا[٨٨]
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ   أُحَادِثُ فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَا[٨٩]
حَنَانَيْكَ مَسْئُولًا وَلَبَّيْكَ دَاعِيًا   وَحَسْبِيَ مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبَا[٩٠]
أَهَذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا   أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا[٩١]
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ   مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبَا[٩٢]

وقال، وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة، وفيها سيف غير مذهب فأمر بإذهابه:

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيد بِهِ   وَخَاضِبَيْهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ[٩٣]
فَلَا تَشِينَنْهُ بِالنُّضَارِ فَمَا   يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ[٩٤]

وتشكَّى سيف الدولة من دمل فقال فيه:

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ   وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْخُطُوبُ[٩٥]
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ   فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ[٩٦]
يُجَمِّشُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا   وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ الْمِقَةِ الْحَبِيبُ[٩٧]
وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ   وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ[٩٨]
وَكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ   وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ[٩٩]

مَلِلْتُ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ　　طِعَانٌ صَادِقٌ وَدٌّ صَبِيبُ[١٠٠]
وَأَنْتَ الْمَلْكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا　　لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ[١٠١]
وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا　　وَعِثْيَرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ[١٠٢]
مُجَلِّحَةً لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي　　وَلِلسُّمْرِ الْمَنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ[١٠٣]
فَقَرِّطْهَا الْأَعِنَّةَ رَاجِعَاتٍ　　فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبَتْ قَرِيبُ[١٠٤]
أَذَا دَاءٌ هَفَا بُقْرَاطُ عَنْهُ　　فَلَمْ يُعْرَفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبُ[١٠٥]
بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْوُضَّاءِ تُمْسِي　　جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ[١٠٦]
فَأَغْزُو مَنْ غَزَا وَبِهِ اقْتِدَارِي　　وَأَرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ
وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا　　عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا[١٠٧]
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ　　عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ[١٠٨]

وأحدث بنو كلاب حدثًا بنواحي بالس، وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه، فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك الحريم فأبقى عليه، فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة — وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة:

بِغَيْرِكَ رَاعِيًا عَبِثَ الذِّئَابُ　　وَغَيْرَكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضِّرَابُ[١٠٩]
وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا　　فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ[١١٠]
وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ　　يُعَافُ الْوِرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ[١١١]
طَلَبْتَهُمُ عَلَى الْأَمْوَاهِ حَتَّى　　تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ[١١٢]
فَبِتَّ لَيَالِيًا لَا نَوْمَ فِيهَا　　تَخُبُّ بِكَ الْمُسَوَّمَةُ الْعِرَابُ[١١٣]
يَهُزُّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ　　كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ[١١٤]
وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الْفَلَوَاتِ حَتَّى　　أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمُ الْجَوَابِ[١١٥]
فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمِ وَفَرُّوا　　نَدَى كَفَّيْكَ وَالنَّسَبُ الْقُرَابُ[١١٦]
وَحِفْظُكَ فِيهِمِ سَلَفَيْ مَعَدٍّ　　وَأَنَّهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصِّحَابُ[١١٧]
تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ الْعَوَالِي　　وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمِ الشِّعَابُ[١١٨]
وَأُسْقِطَتِ الْأَجِنَّةُ فِي الْوَلَايَا　　وَأُجْهِضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسِّقَابُ[١١٩]
وَعَمْرٌو فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ　　وَكَعْبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ[١٢٠]

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَنِيهَا   وَخَاذَلَهَا قُرَيْظٌ وَالضِّبَابُ ١٢١
إِذَا مَا سِرْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ   تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ ١٢٢
فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ   عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ وَالْمَلَابُ ١٢٣
يُثِبْنَكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَ شُكْرًا   وَأَيْنَ مِنَ الَّذِي تُولِي الثَّوَابُ ١٢٤
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْنًا   وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ ١٢٥
وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ   إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابُ ١٢٦
وَكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ فِي أُنَاسٍ   تُصِيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ الْمُصَابُ ١٢٧
تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ   فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ ١٢٨
وَإِنَّهُمُ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا   إِذَا تَدْعُو لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا ١٢٩
وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا   بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا ١٣٠
وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِمْ   وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقَابُ ١٣١
وَمَا جَهِلَتْ أَيَادِيَكَ الْبَوَادِي   وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ ١٣٢
وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلَالٌ   وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ ١٣٣
وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ   وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ ١٣٤
فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمِ عَلِيًّا   فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ ١٣٥
وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ   فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ ١٣٦
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا   وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا ١٣٧
وَتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي   وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصِّعَابُ ١٣٨
وَلَوْ غَيْرُ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا   ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمِ ضَبَابُ ١٣٩
وَلَاقَى دُونَ ثَايِهِمْ طِعَانًا   يُلَاقِي عِنْدَهُ الذِّئْبَ الْغُرَابُ ١٤٠
وَخَيْلًا تَغْتَذِي رِيحَ الْمَوَامِي   وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ ١٤١
وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ   فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ ١٤٢
وَلَا لَيْلٌ أَجَنَّ وَلَا نَهَارٌ   وَلَا خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلَا رِكَابُ ١٤٣
رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ   لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ ١٤٤
فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ   وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ ١٤٥
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ   كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ ١٤٦
بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ   وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ ١٤٧

عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا   وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ[١٤٨]
وَكُلُّكُمُ أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ   فَكُلُّ فَعَالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ[١٤٩]
كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الْأَعَادِي   وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ[١٥٠]

وقال يرثي أخت سيف الدولة، وقد توفيت بميَّافارقين، وورد خبرها إلى الكوفة، فكتب أبو الطيب بهذه المرثية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة:

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِ   كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ[١٥١]
أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمَيْ مُؤَبَّنَةً   وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ[١٥٢]
لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْمَحْزُونُ مَنْطِقَهُ   وَدَمْعَهُ وَهُمَا فِي قَبْضَةِ الطَّرَبِ[١٥٣]
غَدَرْتَ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ   بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ[١٥٤]
وَكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ   وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ تَخِبِ[١٥٥]
طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ   فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَى الْكَذِبِ[١٥٦]
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا   شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرَقُ بِي[١٥٧]
تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا   وَالْبُرْدُ فِي الطُّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ[١٥٨]
كَأَنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمْلَأْ مَوَاكِبُهَا   دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ[١٥٩]
وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ   وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ[١٦٠]
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ   فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي حَلَبِ[١٦١]
يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهِبِ   وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ[١٦٢]
بَلَى وَحُرْمَةِ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً   لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَّادِ وَالْأَدَبِ[١٦٣]
وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَائِقُهَا   وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةَ النَّشَبِ[١٦٤]
وَهَمُّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً   وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ[١٦٥]
يَعْلَمْنَ حِينَ تُحَيَّا حُسْنَ مَبْسِمِهَا   وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللهُ بِالشَّنَبِ[١٦٦]
مَسَرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُهَا   وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبِيضِ وَالْيَلَبِ[١٦٧]
إِذَا رَأَى وَرَآهَا رَأْسَ لَابِسِهِ   رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ[١٦٨]
وَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثَى لَقَدْ خُلِقَتْ   كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ[١٦٩]
وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا   فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ[١٧٠]
فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ   وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ[١٧١]

وَلَـيْتَ عَـيْنَ الَّـتِـي آبَ الـنَّـهَـارُ بِـهَـا ... فِـدَاءُ عَـيْـنِ الَّـتِـي زَالَـتْ وَلَـمْ تَـؤُبِ[١٧٢]
فَـمَـا تَـقَـلَّـدَ بِـالْـيَـاقُـوتِ مُـشْـبِـهُـهَـا ... وَلَا تَـقَـلَّـدَ بِـالْـهِـنْـدِيَّـةِ الْـقُـضُـبِ[١٧٣]
وَلَا ذَكَرْتُ جَـمِـيـلًا مِـنْ صَـنَـائِـعِـهَـا ... إِلَّا بَـكَـيْـتُ وَلَا وُدٌّ بِـلَا سَـبَـبِ[١٧٤]
قَـدْ كَـانَ كُـلُّ حِـجَـابٍ دُونَ رُؤْيَـتِـهَـا ... فَمَا قَنِعْتِ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ[١٧٥]
وَلَا رَأَيْـتِ عُـيُـونَ الْإِنْـسِ تُـدْرِكُـهَـا ... فَهَلْ حَسَدْتِ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ[١٧٦]
وَهَـلْ سَـمِـعْـتِ سَـلَامًـا لِـي أَلَـمَّ بِـهَـا ... فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ[١٧٧]
وَكَـيْـفَ يَـبْـلُـغُ مَـوْتَـانَـا الَّـتِـي دُفِـنَـتْ ... وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيَبِ[١٧٨]
يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا ... وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ[١٧٩]
وَأَكْرَمَ الـنَّـاسِ لَا مُـسْـتَـثْـنِـيًـا أَحَـدًا ... مِنَ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النُّجُبِ[١٨٠]
قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا ... وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ[١٨١]
وَعَـادَ فِـي طَـلَـبِ الْـمَـتْـرُوكِ تَـارِكُـهُ ... إِنَّـا لَـنَـغْـفُـلُ وَالْأَيَّـامُ فِـي الطَّـلَـبِ[١٨٢]
مَـا كَـانَ أَقْـصَـرَ وَقْـتًـا كَـانَ بَـيْـنَـهُـمَـا ... كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوِرْدِ وَالْقَرَبِ[١٨٣]
جَـزَاكَ رَبُّـكَ بِـالْأَحْـزَانِ مَـغْـفِـرَةً ... فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ[١٨٤]
وَأَنْـتُـمُ نَـفَـرٌ تَـسْـخُـو نُـفُـوسُـكُـمُ ... بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ[١٨٥]
حَـلَـلْـتُـمُ مِـنْ مُـلُـوكِ الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمِ ... مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ[١٨٦]
فَـلَا تَـنَـلْـكَ الـلَّـيَـالِـي إِنَّ أَيْـدِيَـهَـا ... إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ[١٨٧]
وَلَا يُـعِـنَّ عَـدُوًّا أَنْـتَ قَـاهِـرُهُ ... فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ[١٨٨]
وَإِنْ سَـرَرْنَ بِـمَـحْـبُـوبٍ فَـجَـعْـنَ بِـهِ ... وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ[١٨٩]
وَرُبَّـمَـا احْـتَـسَـبَ الْإِنْـسَـانُ غَـايَـتَـهَـا ... وَفَـاجَـأَتْـهُ بِـأَمْـرٍ غَـيْـرِ مُـحْـتَـسَـبِ[١٩٠]
وَمَـا قَـضَـى أَحَـدٌ مِـنْـهَـا لُـبَـانَـتَـهُ ... وَلَا انْـتَـهَـى أَرَبٌ إِلَّا إِلَـى أَرَبِ[١٩١]
تَـخَـالَـفَ الـنَّـاسُ حَـتَّـى لَا اتِّـفَـاقَ لَـهُـمْ ... إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ[١٩٢]
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً[١٩٣] ... وَقِيلَ تَشْرَكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
وَمَـنْ تَـفَـكَّـرَ فِـي الـدُّنْـيَـا وَمُـهْـجَـتِـهِ ... أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ[١٩٤]

وأنفذ إليه سيف الدولة كتابًا بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه، فأجابه بهذه الأبيات، وأنفذها إليه ميَّافارِقِين، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة:[١٩٥]

فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ   فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبْ[١٩٦]
وَطَوْعًا لَهُ وَابْتِهَاجًا بِهِ   وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبْ[١٩٧]
وَمَا عَاقَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ   وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرْقُ الْكَذِبْ[١٩٨]
وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ   وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَنَا وَالْخَبَبْ[١٩٩]
وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ   وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبْ[٢٠٠]
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْـ   ـنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبْ[٢٠١]
فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاةِ   وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطِيءُ الْغَضَبْ[٢٠٢]
وَمَا لَاقَنِي بَلَدٌ بَعْدَكُمْ   وَلَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبْ[٢٠٣]
وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا   دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَبَبْ[٢٠٤]
وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ   فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ بِمَنْ فِي حَلَبْ[٢٠٥]
وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِاسْمِهِ   لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشَبْ[٢٠٦]
أَفِي الرَّأْيِ يُشْبَهُ أَمْ فِي السَّخَا   ءِ أَمْ فِي الشَّجَاعَةِ أَمْ فِي الْأَدَبْ[٢٠٧]
مُبَارَكُ الِاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ   كَرِيمُ الْجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ[٢٠٨]
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى   قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ[٢٠٩]
إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ   فَتًى لَا يُسَرُّ بِمَا لَا يَهَبْ[٢١٠]
وَإِنِّي لَأُتْبِعُ تَذْكَارَهُ   صَلَاةَ الْإِلَهِ وَسَقْيَ السُّحُبْ[٢١١]
وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِآلَائِهِ   وَأَقْرُبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبْ[٢١٢]
وَإِنْ فَارَقَتْنِي أَمْطَارُهُ   فَأَكْثَرُ غُدْرَانِهَا مَا نَضَبْ[٢١٣]
أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لَا خَلْقِهِ   وَيَا ذَا الْمَكَارِمِ لَا ذَا الشُّطَبْ[٢١٤]
وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً   وَأَعْرَفَ ذِي رُتْبَةٍ بِالرُّتَبْ[٢١٥]
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً   وَأَضْرَبَ مِنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ[٢١٦]
بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ   فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضُبْ[٢١٧]
وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ   فَعَيْنٌ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ[٢١٨]
وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْعُدَا   ةِ أَنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ[٢١٩]
وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُهُ أَنَّهُ   إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ[٢٢٠]
أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ   طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ[٢٢١]
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ   وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِبْ[٢٢٢]

وَلَا تَـعْـبُـرُ الـرِّيـحُ فِـي جَـوِّهِ إِذَا لَـمْ تَـخَـطَّ الْـقَـنَـا أَوْ تَـثِـبْ[٢٢٣]
فَـغَـرَّقَ مُـدْنَـهُـمُ بِـالْـجُـيُـوشِ وَأَخْـفَـتَ أَصْـوَاتَـهُـمْ بِـاللَّـجَـبْ[٢٢٤]
فَـأَخْـبِـثْ بِـهِ طَـالِـبًـا قَـهْـرَهُـمْ وَأَخْـبِـثْ بِـهِ تَـارِكًـا مَـا طَـلَـبْ[٢٢٥]
نَـأَيْـتَ فَـقَـاتَـلَـهُـمْ بِـالـلِّـقَـاءِ وَجِـئْـتَ فَـقَـاتَـلَـهُـمْ بِـالْـهَـرَبْ[٢٢٦]
وَكَـانُـوا لَـهُ الْـفَـخْـرَ لَـمَّـا أَتَـى وَكُـنْـتَ لَـهُ الْـعُـذْرَ لَـمَّـا ذَهَـبْ[٢٢٧]
سَـبَـقْـتَ إِلَـيْـهِـمْ مَـنَـايَـاهُـمُ وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ[٢٢٨]
فَـخَـرُّوا لِـخَـالِـقِـهِـمْ سُـجَّـدًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ[٢٢٩]
وَكَـمْ ذُدْتَ عَـنْـهُـمْ رَدًى بِـالـرَّدَى وَكَـشَّـفْـتَ مِـنْ كُـرَبٍ بِـالْـكُـرَبْ[٢٣٠]
وَقَـدْ زَعَـمُـوا أَنَّـهُ إِنْ يَـعُـدْ يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبْ[٢٣١]
وَيَـسْـتَـنْـصِـرَانِ الَّـذِي يَـعْـبُـدَانِ وَعِـنْـدَهُـمَـا أَنَّـهُ قَـدْ صُـلِـبْ[٢٣٢]
لِـيَـدْفَـعَ مَـا نَـالَـهُ عَـنْـهُـمَـا فَـيَـا لَـلـرِّجَـالِ لِـهَـذَا الْـعَـجَـبْ[٢٣٣]
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِيـ ـنَ إِمَّـا لِـعَـجْـزٍ وَإِمَّـا رَهَـبْ[٢٣٤]
وَأَنْـتَ مَـعَ الـلـهِ فِـي جَـانِـبٍ قَلِيلُ الـرُّقَـادِ كَثِيرُ الـتَّـعَـبْ[٢٣٥]
كَـأَنَّـكَ وَحْـدَكَ وَحَّـدْتَـهُ وَدَانَ الْـبَـرِيَّـةُ بِـابْـنٍ وَأَبْ[٢٣٦]
فَـلَـيْـتَ سُـيُـوفَـكَ فِـي حَـاسِـدٍ إِذَا مَـا ظَـهَـرْتَ عَـلَـيْـهِـمْ كَـئِـبْ[٢٣٧]
وَلَـيْـتَ شَـكَـاتَـكَ فِـي جِـسْـمِـهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبْ[٢٣٨]
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْـ ـكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبْ[٢٣٩]

وقال في صباه ارتجالًا، وقد عذله أبو سعيد المجَيْمري[٢٤٠] على تركه لقاء الملوك:

أَبَا سَعِيدٍ جَنِّبِ الْعِتَابَا فَرُبَّ رَائِي خَطَأٍ صَوَابَا[٢٤١]
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحُجَّابَا وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنَا الْبَوَّابَا[٢٤٢]
وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ السُّمْرَ وَالْعَرَابَا
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحِجَابَا[٢٤٣]

وقال في صباه ارتجالًا لبعض الكلابيين وهم على شراب:

لِأَحِـبَّـتِـي أَنْ يَـمْـلَـئُـوا بِـالـصَّـافِـيَـاتِ الْأَكْـوُبَـا[٢٤٤]

وَعَلَيْهِم أَنْ يَبْذُلُوا[٢٤٥] وَعَلَيَّ أَنْ لَا أَشْرَبَا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تُ الْمُسْمِعَاتُ فَأَطْرَبَا[٢٤٦]

وقال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي، وينفي الشماتة عن بني عمه:[٢٤٧]

لِأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ بِوِتْرٍ نُطَالِبُ[٢٤٨]
مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ[٢٤٩]
يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ[٢٥٠]
فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ[٢٥١]
طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْغُمُودُ مَشَارِقٌ لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ[٢٥٢]
مَصَائِبُ شَتَّى جُمِّعَتْ فِي مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكْفِهَا حَتَّى قَفَتْهَا مَصَائِبُ[٢٥٣]
رَثَى ابْنَ أَبِينَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ[٢٥٤]
وَعَرَّضَ أَنَّا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضَيْهِ الْقَوَاضِبُ[٢٥٥]
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبٍ لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدِبُّ الْعَقَارِبُ[٢٥٦]
أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلهِ غَالِبُ[٢٥٧]

وقال يمدح المغيث بن عليٍّ بن بشر العجلي:

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنَّى وَلَا كَرَبَا[٢٥٨]
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا[٢٥٩]
سَقَيْتُهُ عَبَرَاتٍ ظَنَّهَا مَطَرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونٍ ظَنَّهَا سُحُبَا[٢٦٠]
دَارُ الْمُلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذَبَا[٢٦١]
نَاءَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى جَمَّشْتُهُ فَنَبَا قَبَّلْتُهُ فَأَبَى[٢٦٢]
هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ بَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا[٢٦٣]
مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُنًا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا[٢٦٤]
بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا[٢٦٥]
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا[٢٦٦]
مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تِرْبَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا[٢٦٧]

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُغِيثِ يُرَى   لَيْثَ الشَّرَى وَهْوَ مِنْ عِجْلٍ إِذَا انْتَسَبَا ٢٦٨
جَاءَتْ بِأَشْجَعَ مَنْ يُسْمَى وَأَسْمَحَ مَنْ   أَعْطَى وَأَبْلَغَ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا ٢٦٩
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمَشَى   أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا ٢٧٠
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ   وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَا ٢٧١
بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً   وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا ٢٧٢
وَسَيْفُ عَزْمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هِبَّتُهُ   رَطْبَ الْغِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبَا ٢٧٣
عُمْرُ الْعَدُوِّ إِذَا لاَقَاهُ فِي رَهَجٍ   أَقَلُّ مِنْ عُمْرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا ٢٧٤
تَوَقَّهُ فَمَتَى مَا شِئْتَ تَبْلُوَهُ   فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبَا ٢٧٥
تَحْلُو مَذَاقَتُهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا   حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شُرِبَا ٢٧٦
وَتَغْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ   وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيَّهَا رَكِبَا ٢٧٧
وَلَا يَرُدُّ بِفِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ   عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبَا ٢٧٨
وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ   فِي مُلْكِهِ افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا ٢٧٩
مَالٌ كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ   فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعَبَا ٢٨٠
بَحْرٌ عَجَائِبُهُ لَمْ تُبْقِ فِي سَمَرٍ   وَلَا عَجَائِبِ بَحْرٍ بَعْدَهَا عَجَبَا ٢٨١
لَا يُقْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَيْلُ مَنْزِلَةٍ   يَشْكُو مُحَاوِلُهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعَبَا ٢٨٢
هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلٍ بِهِ فَغَدَا   رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلٌّ لَهُمْ ذَنَبَا ٢٨٣
التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا   وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صَعُبَا ٢٨٤
مُبَرْقِعِي خَيْلِهِمْ بِالْبِيضِ مُتَّخِذِي   هَامِ الْكُمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَبَا ٢٨٥
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ لاَقَتْهُمُ وَقَفَتْ   خَرْقَاءَ تَتَّهِمُ الْإِقْدَامَ وَالْهَرَبَا ٢٨٦
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتْبَعُهَا   فَجَازَ وَهْوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهُبَا ٢٨٧
مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا   فَآلَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا ٢٨٨
مَكَارِمٌ لَكَ فُتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا   مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرٍ فَائِتٍ طَلَبَا ٢٨٩
لَمَّا أَقَمْتَ بِإِنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفَتْ   إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا ٢٩٠
فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ   أَحُثُّ رَاحِلَتَيَّ الْفَقْرَ وَالْأَدَبَا ٢٩١
أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا   لَو ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا ٢٩٢
وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً   وَالسَّمْهَرِيَّ أَخًا وَالْمَشْرَفِيَّ أَبَا ٢٩٣
بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا   حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَا ٢٩٤

قُحٍّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْغَزْوِ أَوْ طَرَبَا[295]
فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا[296]

وقال يمدح علي بن منصور الحاجب:[297]

بِأَبِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبَا[298]
الْمُنْهِبَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولَنَا وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا[299]
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيِيَا تُ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا[300]
حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِي وَخِفْنَ مُرَاقِبًا فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا[301]
وَبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشِيتُ أُذِيبَهُ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا[302]
يَا حَبَّذَا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبَّذَا وَادٍ لَثَمْتُ بِهِ الْغَزَالَةَ كَاعِبَا[303]
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخَلُّصًا مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبْنَ فِيَّ مَخَالِبَا[304]
أَوْحَدْنَنِي وَوَجَدْنَ حُزْنًا وَاحِدًا مُتَنَاهِيًا فَجَعَلْنَهُ لِيَ صَاحِبَا[305]
وَنَصَبْنَنِي غَرَضَ الرُّمَاةِ تُصِيبُنِي مِحَنٌ أَحَدُّ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبَا[306]
أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا[307]
وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا[308]
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا[309]
مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبَا[310]
يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لِوَفْدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِي شَارِبَا[311]
كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمِ مَا صَنَعَتْ لَظَنَّكَ كَاذِبَا[312]
سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبَا[313]
فَالْمَوْتُ تُعْرَفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ لَمْ تَلْقَ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبَا[314]
إِنْ تَلْقَهُ لَا تَلْقَ إِلَّا قَسْطَلًا أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبَا[315]
أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبَا[316]
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِبَا[317]
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبَا[318]
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا زِنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالًا شَائِبَا[319]
فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا[320]

قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرَّزَايَا عَسْكَرًا وَتَكَتَّبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كَتَائِبَا[٣٢١]
أُسُدٌ فَرَائِسُهَا الْأُسُودُ يَقُودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأُسُودُ ثَعَالِبَا
فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الْحَاجِبَا[٣٢٢]
وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذِّرًا وَدَعَوْهُ مِنْ غَصْبِ النُّفُوسِ الْغَاصِبَا
هَذَا الَّذِي أَفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِبًا وَعِدَاهُ قَتْلًا وَالزَّمَانَ تَجَارِبَا[٣٢٣]
وَمُخَيِّبُ الْعُذَّالِ فِيمَا أَمَّلُوا مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبَا[٣٢٤]
هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبَا[٣٢٥]
كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبَا[٣٢٦]
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا
كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْءُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا
أَمُهَجِّنَ الْكُرَمَاءِ وَالْمُزْرِي بِهِمْ وَتَرُوكَ كُلِّ كَرِيمِ قَوْمٍ عَاتِبَا[٣٢٧]
شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدْتَ مَنَاقِبًا وُجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبَا[٣٢٨]
لَبَّيْكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّاتِبَا إِنَّا لَنَخْبُرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبَا[٣٢٩]
تَدْبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ وَهُجُومُ غِرٍّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا[٣٣٠]
وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبَا[٣٣١]
خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمَنِّي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا[٣٣٢]
فَلَقَدْ دَهِشْتُ لِمَا فَعَلْتُ وَدُونَهُ مَا يُدْهِشُ الْمَلَكَ الْحَفِيظَ الْكَاتِبَا[٣٣٣]

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالًا، وهو على الشراب والفاكهة والنرجس حوله:

إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابُ هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابُ[٣٣٤]
إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابُ[٣٣٥]
مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حَمِدَتْهُ جُهْدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ[٣٣٦]
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ[٣٣٧]
فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لَا يُتَرَجَّى وَلَهُ جُودُ مُرَجًّى لَا يُهَابُ[٣٣٨]
طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَحْدَاقِ شَزْرًا وَعَجَاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ[٣٣٩]
بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْـ ـسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ[٣٤٠]
بِأَبِي رِيحُكَ لَا نَرْجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ[٣٤١]

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَّزْتَ سَبْقًا　　غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابُ[٣٤٢]

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج، وقد كثر المطر، فقال أبو الطيب:

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرَجَّى　　عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ
تَشَكَّى الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ　　وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟[٣٤٣]
وَأُوهِمُ أَنَّ فِي الشِّطْرَنْجِ هَمِّي　　وَفِيكَ تَأَمُّلِي وَلَكَ انْتِصَابِي[٣٤٤]
سَأَمْضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي　　مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَدًا إِيَابِي[٣٤٥]

وقال في لعبةٍ أُحضرت مجلس بدر على صورة جارية، وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها، وكانت ترقص بحركات:

يَا ذَا الْمَعَالِي وَمَعْدِنَ الْأَدَبِ　　سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ　　وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ[٣٤٦]
أَهَذِه قَابَلَتْكَ رَاقِصَةً　　أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنَ التَّعَبِ؟

وقال يمدح علي بن محمد بن سيار بن مُكرَم التميمي، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه، وكان له وكيل يتعرض للشعر، فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده، فتلقاه وأجلسه في مجلسه، ثم كتب إلى عليٍّ يقول:

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا　　فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمُ حَبِيبَا[٣٤٧]
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي　　فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟[٣٤٨]
تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ　　تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَا[٣٤٩]
وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمُ عَلَيْهِمْ　　حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبَا[٣٥٠]
أَدَمْنَا طَعْنَهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى　　خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمِ الْكُعُوبَا[٣٥١]
كَأَنَّ خُيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا　　تُسَقَّى فِي قُحُوفِهِمِ الْحَلِيبَا[٣٥٢]
فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ　　تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيبَا[٣٥٣]
يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا　　فَتًى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا[٣٥٤]
شَدِيدُ الْخُنْزُوَانَةِ لَا يُبَالِي　　أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أُصِيبَا[٣٥٥]

أَعَزْمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ … أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَئُوبَا؟[٣٥٦]
كَأَنَّ الْفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزَارٌ … يُرَاعِي مِنْ دُجُنَّتِهِ رَقِيبَا[٣٥٧]
كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلْيٌ عَلَيْهِ … وَقَدْ حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجَبُوبَا[٣٥٨]
كَأَنَّ الْجَوَّ قَاسَى مَا أُقَاسِي … فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبَا[٣٥٩]
كَأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي … فَلَيْسَ تَغِيبُ إِلَّا أَنْ يَغِيبَا[٣٦٠]
أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي … أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا[٣٦١]
وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ … يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِي مَشُوبَا[٣٦٢]
وَمَا مَوْتٌ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ … أَرَى لَهُمُ مَعِي فِيهَا نَصِيبَا[٣٦٣]
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى … لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبَا[٣٦٤]
وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ امْتَطَيْنَا … إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا[٣٦٥]
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا … وَلَا يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبَا[٣٦٦]
وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الْأَرْضِ فِينَا … فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيبَا[٣٦٧]
إِلَى ذِي شِيمَةٍ شَعَفَتْ فُؤَادِي … فَلَوْلَاهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبَا[٣٦٨]
تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ … وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَأَ الرَّبِيبَا[٣٦٩]
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ … أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا[٣٧٠]
وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا … يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيبَا[٣٧١]
قَسَا فَالْأُسْدُ تَفْزَعُ مِنْ قُوَاهُ … وَرَقَّ فَنَحْنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا[٣٧٢]
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَاحِ الْهُوجِ بَطْشًا … وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا[٣٧٣]
وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا … فَقُلْتُ رَأَيْتُمُ الْغَرَضَ الْقَرِيبَا[٣٧٤]
وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا … وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا[٣٧٥]
إِذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبَنَّا … بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نُدُوبَا[٣٧٦]
يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ … فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَاتَّصَلَتْ قَضِيبَا[٣٧٧]
بِكُلِّ مُقَوَّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْرًا … لَهُ حَتَّى ظَنَنَّاهُ لَبِيبَا[٣٧٨]
يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ … وَبَيْنَ رَمِيِّهِ الْهَدَفَ الْمَهِيبَا[٣٧٩]
أَلَسْتَ ابْنَ الْأُلَى سَعِدُوا وَسَادُوا … وَلَمْ يَلِدُوا امْرَأً إِلَّا نَجِيبَا[٣٨٠]
وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا … وَصَادَ الْوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبَا[٣٨١]
وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ … كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيبَا[٣٨٢]

أَيَا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ — وَعَادَ زَمَانُهُ التَّالِي قَشِيبَا[٣٨٣]
تَيَمَّمَنِي وَكِلُكَ مَادِحًا لِي — وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشِّعْرِ الْغَرِيبَا[٣٨٤]
فَآجَرَكَ الْإِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ — بَعَثْتَ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَبِيبَا[٣٨٥]
وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا — وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيبَا
فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ — وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا[٣٨٦]
لِأُصْبِحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا — كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا[٣٨٧]

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طُغْج، قد انزوى أحدهما عن الآخر ليُرَى من كل واحد منهما ما لا يُرى من صاحبه:

الْمَجْلِسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا — مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الْأَدَبَا[٣٨٨]
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَال ذَا رَهَبًا — وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالَ ذَا رَهَبَا[٣٨٩]
فَلِمْ يَهَابُكَ مَا لَا حِسَّ يَرْدَعُهُ — إِنِّي لَأُبْصِرُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا عَجَبَا[٣٩٠]

وقال، وقد استقل في القبة، ونظر إلى السحاب:

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا — فَقُلْتُ إِلَيْكَ إِنَّ مَعِي السَّحَابَا[٣٩١]
فَشِمْ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكَ الْمُرَجَّى — فَأَمْسَكَ بَعْدَمَا عَزَمَ انْسِكَابَا[٣٩٢]

وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر فقال:

الطِّيبُ مِمَّا غَنِيتُ عَنْهُ — كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طِيبَا
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا الْمَعَالِي — كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَا[٣٩٣]

وقال، وقد استحسن عين باز في مجلسه:

أَيَا مَا أُحَيْسِنَهَا مُقْلَةً — وَلَوْلَا الْمِلَاحَةُ لَمْ أَعْجَبِ[٣٩٤]
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيِّهَا — سُوَيْدَاءُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ[٣٩٥]
إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِطْفِهِ — كَسَتْهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنْكِبِ[٣٩٦]

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي:[397]

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهْوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهْوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ[398]
فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ
عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غَيَاهِبِ[399]
بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا
عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ[400]
وَأَحْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوِيتُ فِرَاقَكُمْ
لَفَارَقْتُهُ وَالدَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ[401]
فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي
مِنَ الْبُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ[402]
أَرَاكِ ظَنَنْتِ السِّلْكَ جِسْمِي فَعُقْتِهِ
عَلَيْكِ بِدُرٍّ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ[403]
وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ
مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ[404]
تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرَتْ بِهِ
وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ[405]
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ
يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ[406]
يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً
وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ[407]
كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا
يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ[408]
إِلَيْكِ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ[409]

أَتَــانِــي وَعِــيــدُ الْأَدْعِــيَــاءِ وَأَنَّــهُــمْ
أَعَدُّوا لِيَ السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ[٤١٠]
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ
فَهَلْ فِيَّ وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ[٤١١]
إِلَيَّ لَعَمْرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ
كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ[٤١٢]
بِــأَيِّ بِــلَادٍ لَــمْ أَجُــرَّ ذُؤَابَــتِــي
وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رَكَائِبِي[٤١٣]
كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ
فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ[٤١٤]
فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فِنَاءَهُ
وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وُرُودَ الْمَشَارِبِ[٤١٥]
فَتًى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُودُهُ
قِرَاعَ الْأَعَادِي وَابْتِذَالَ الرَّغَائِبِ[٤١٦]
فَقَدْ غَيَّبَ الشُّهَّادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَــى أَوْطَــانِــهِ كُــلَّ غَــائِــبِ[٤١٧]
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ
أَعَزُّ امِّحَاءً مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ[٤١٨]
أُنَــاس إِذَا لَاقَــوْا عِــدًى فَــكَــأَنَّــمَــا
سِلَاحُ الَّذِي لَاقَوْا غُبَارُ السَّلَاهِبِ[٤١٩]
رَمَوْا بِنَواصِيهَا الْقِسِيَّ فَجِئْنَهَا
دَوَامِي الْهَوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ[٤٢٠]
أُولَئِكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ
وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ[٤٢١]
نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ
مِنَ الْفِعْلِ لَا فَلٌّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ[٤٢٢]

وَأَبْــهَــرُ آيَــاتِ الــتِّــهَــامِــيِّ أَنَّــهُ
أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ[٤٢٣]
إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ[٤٢٤]
وَمَــا قَــرُبَــتْ أَشْــبَــاهُ قَــوْمٍ أَبَــاعِــدٍ
وَلَا بَــعُــدَتْ أَشْــبَــاهُ قَــوْمٍ أَقَــارِبِ[٤٢٥]
إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ[٤٢٦]
يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى
فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ[٤٢٧]
عَلَا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ[٤٢٨]
وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا
وَيُدْرِكَ مَا لَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ[٤٢٩]
وَيُحْذَى عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّهَا
لَمِنْ قَدَمَيْهِ فِي أَجَلِّ الْمَرَاتِبِ[٤٣٠]
يَدٌ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ[٤٣١]
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ
وَشِبْهُهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ[٤٣٢]
يَرَى أَنَّ مَا مَا بَانَ مِنْك لِضَارِبٍ
بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ[٤٣٣]
أَلَا أَيُّــهَــا الْــمَــالُ الَّــذِي قَــدْ أَبَــادَهُ
تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ[٤٣٤]
لَعَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤَادَهُ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَارِبِ[٤٣٥]

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً
سَقَاهَا الْحِجَى سَقْيَ الرِّيَاضَ السَّحَائِبِ[٤٣٦]
فَحُيِّيتَ خَيْرَ ابْنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِهَا
لِأَشْرَفِ بَيْتٍ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ[٤٣٧]

وقال يمدح كافورًا سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة — وهي من محاسن شعره:

مَنِ الْجآذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِيبِ ... حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ[٤٣٨]
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا ... فَمَنْ بَلَاكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ[٤٣٩]
لَا تَجْزِنِي بِضَنًى بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ ... تَجْزِي دُمُوعِيَ مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ[٤٤٠]
سَوَائِرٌ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا ... مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ[٤٤١]
وَرُبَّمَا وَخَدَتْ أَيْدِي الْمَطِيِّ بِهَا ... عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ[٤٤٢]
كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ ... أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ[٤٤٣]
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي[٤٤٤]
قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا ... وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ[٤٤٥]
جِيرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجِوَارِ لَهَا ... وَصَحْبُهَا وَهُمُ شَرُّ الْأَصَاحِيبِ[٤٤٦]
فُؤَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فِي بُيُوتِهِمِ ... وَمَالُ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ[٤٤٧]
مَا أَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ ... كَأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ[٤٤٨]
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ ... وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ[٤٤٩]
أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْآرَامِ نَاظِرَةً ... وَغَيْرَ نَاظِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطِّيبِ[٤٥٠]
أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا ... مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِيبِ[٤٥١]
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَاثِلَةً ... أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِيبِ[٤٥٢]
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوِّهَةً ... تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ[٤٥٣]
وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ ... رَغِبْتُ عَنْ شَعَرٍ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبِ[٤٥٤]
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ ... مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبِي[٤٥٥]
فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ ... قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ[٤٥٦]
تَرَعْرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْتَهِلًا ... قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيبًا قَبْلَ تَأْدِيبِ[٤٥٧]
مُجَرَّبًا فَهَمًا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ ... مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبِ[٤٥٨]

حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَايَتَهَا   وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاءَاتٍ وَتَشْبِيبِ ٤٥٩
يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ   إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ ٤٦٠
إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ   فَمَا تَهُبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبِ ٤٦١
وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ   إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ ٤٦٢
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ   وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ ٤٦٣
يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ   مِنْ سَرْجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ ٤٦٤
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ   قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ ٤٦٥
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ   فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ ٤٦٦
أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ   مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبِ ٤٦٧
أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ   عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ ٤٦٨
قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ   إِلَى غُيُوثِ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ ٤٦٩
إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدولَاتِ رَاحَتُهُ   وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ ٤٧٠
وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا   وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبِ ٤٧١
بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ   ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ ٤٧٢
وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ   مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ ٤٧٣
لَمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي   وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الْأَنَابِيبِ ٤٧٤
فُتْنَ الْمَهَالِكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا   مَاذَا لَقِينَا مِنْ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ ٤٧٥
تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ   لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ ٤٧٦
يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُهَا   كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبِ ٤٧٧
حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ   تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ ٤٧٨
فِي جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ   خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِيبِ ٤٧٩
فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا   وَلِلْقَنَا وَلِإِدْلَاجِي وَتَأْوِيبِي ٤٨٠
وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا   وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبِي
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ   فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ ٤٨١
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ   مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ ٤٨٢

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:[٤٨٣]

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ   وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ[٤٨٤]
أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى   بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ[٤٨٥]
وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً   عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالَى وَغُرَّبُ[٤٨٦]
عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاس بِي مَنْ جَفَوْتُهُ   وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أَتَجَنَّبُ[٤٨٧]
وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ   تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ[٤٨٨]
وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِم   وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبُ[٤٨٩]
وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ   أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ[٤٩٠]
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنَيْ أَغَرَّ كَأَنَّهُ   مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ[٤٩١]
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ   تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ[٤٩٢]
شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِي عِنَانَهُ   فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ[٤٩٣]
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ   وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ[٤٩٤]
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ   وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّبُ[٤٩٥]
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا   وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ[٤٩٦]
لَحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ   فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ[٤٩٧]
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً   فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعَتَّبُ[٤٩٨]
وَبِي مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّي أَقَلُّهُ   وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ قُلَّبُ[٤٩٩]
وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ   وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ[٥٠٠]
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ   وَيَمَّمَ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ[٥٠١]
فَتًى يَمْلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً   وَنَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ[٥٠٢]
إِذَا ضَرَبَتْ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفُّهُ   تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ[٥٠٣]
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً   وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ[٥٠٤]
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ   فَإِنِّي أُغَنِّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ[٥٠٥]
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا   وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ[٥٠٦]
إِذَا لَمْ تَنُطْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً   فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ[٥٠٧]
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلٌّ حَبِيبَهُ   حِذَائِي وَأَبْكِي مَنْ أُحِبُّ وَأَنْدُبُ[٥٠٨]
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ   وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ[٥٠٩]

فَـإِنْ لَـمْ يَـكُـنْ إِلَّا أَبُـو الْـمِـسْـكِ أَوْ هُـمُ ... فَـإِنَّـكَ أَحْـلَـى فِـي فُـؤَادِي وَأَعْـذَبُ ٥١٠
وَكُـلُّ امْـرِئٍ يُـولِـي الْـجَـمِـيـلَ مُـحَـبَّـبٌ ... وَكُـلُّ مَـكَـانٍ يُـنْـبِـتُ الْـعِـزَّ طَـيِّـبُ ٥١١
يُـرِيـدُ بِـكَ الْـحُـسَّـادُ مَـا الـلَّـهُ دَافِـعٌ ... وَسُـمْـرُ الْـعَـوَالِـي وَالْـحَـدِيـدُ الْـمُـذَرَّبُ ٥١٢
وَدُونَ الَّـذِي يَـبْـغُـونَ مَـا لَـوْ تَـخَـلَّـصُـوا ... إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطِّفْلُ أَشْيَبُ ٥١٣
إِذَا طَـلَـبُـوا جَـدْوَاكَ أُعْـطُـوا وَحُـكِّـمُـوا ... وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيِّبُوا ٥١٤
وَلَـوْ جَـازَ أَنْ يَـحْـوُوا عُـلَاكَ وَهَـبْـتَـهَـا ... وَلَـكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ ٥١٥
وَأَظْـلَـمُ أَهْـلِ الـظُّـلْـمِ مَـنْ بَـاتَ حَـاسِـدًا ... لِـمَـنْ بَـاتَ فِـي نَـعْـمَـائِـهِ يَـتَـقَـلَّـبُ ٥١٦
وَأَنْـتَ الَّـذِي رَبَّـيْـتَ ذَا الْـمُـلْـكِ مُـرْضَـعًـا ... وَلَــيْــسَ لَــهُ أُمٌّ سِــوَاكَ وَلَا أَبُ ٥١٧
وَكُـنْـتَ لَـهُ لَـيْـثَ الْـعَـرِيـنِ لِـشِـبْـلِـهِ ... وَمَـا لَـكَ إِلَّا الْـهِـنْـدُوَانِـيَّ مِـخْـلَـبُ ٥١٨
لَـقِـيـتَ الْـقَـنَـا عَـنْـهُ بِـنَـفْـسٍ كَـرِيـمَـةٍ ... إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ ٥١٩
وَقَـدْ يَـتْـرُكُ الـنَّـفْـسَ الَّـتِـي لَا تَـهَـابُـهُ ... وَيَـخْـتَـرِمُ الـنَّـفْـسَ الَّـتِـي تَـتَـهَـيَّـبُ ٥٢٠
وَمَـا عَـدِمَ الـلَّاقُـوكَ بَـأْسًـا وَشِـدَّةً ... وَلَـكِـنَّ مَـنْ لَاقَـوْا أَشَـدُّ وَأَنْـجَـبُ ٥٢١
ثَنَاهُمْ وَبَرْقُ الْبِيضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ ... عَلَيْهِمْ وَبَرْقُ الْبَيْضِ فِي الْبِيضِ خُلَّبُ ٥٢٢
سَـلَـلْـتَ سُـيُـوفًـا عَـلَّـمَـتْ كُـلَّ خَـاطِـبٍ ... عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ ٥٢٣
وَيُـغْـنِـيـكَ عَـمَّـا يَـنْـسُـبُ الـنَّـاسُ أَنَّـهُ ... إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ ٥٢٤
وَأَيُّ قَـبِـيـلٍ يَـسْـتَـحِـقُّـكَ قَـدْرُهُ ... مَـعَـدُّ بْـنُ عَـدْنَـانَ فِـدَاكَ وَيَـعْـرُبُ ٥٢٥
وَمَـا طَـرَبِـي لَـمَّـا رَأَيْـتُـكَ بِـدْعَـةً ... لَـقَـدْ كُـنْـتُ أَرْجُـو أَنْ أَرَاكَ فَـأَطْـرَبُ ٥٢٦
وَتَـعْـذِلُـنِـي فِـيـكَ الْـقَـوَافِـي وَهِـمَّـتِـي ... كَـأَنِّـي بِـمَـدْحٍ قَـبْـلَ مَـدْحِـكَ مُـذْنِـبُ ٥٢٧
وَلَـكِـنَّـهُ طَـالَ الـطَّـرِيـقُ وَلَـمْ أَزَلْ ... أُفَـتِّـشُ عَـنْ هَـذَا الْـكَـلَامِ وَيُـنْـهَـبُ ٥٢٨
فَـشَـرَّقَ حَـتَّـى لَـيْـسَ لِـلـشَّـرْقِ مَـشْـرِقٌ ... وَغَـرَّبَ حَـتَّـى لَـيْـسَ لِـلْـغَـرْبِ مَـغْـرِبُ ٥٢٩
إِذَا قُـلْـتُـهُ لَـمْ يَـمْـتَـنِـعْ مِـنْ وُصُـولِـهِ ... جِـدَارٌ مُـعَـلًّـى أَوْ خِـبَـاءٌ مُـطَـنَّـبُ ٥٣٠

وقال يمدحه، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وهي آخر ما أنشده، ولم يلقه بعدها:

مُـنًـى كُـنَّ لِـي أَنَّ الْـبَـيَـاضَ خِـضَـابُ ... فَـيَـخْـفَـى بِـتَـبْـيِـيـضِ الْـقُـرُونِ شَـبَـابُ ٥٣١
لَـيَـالِـيَ عِـنْـدَ الْـبِـيـضِ فَـوْدَايَ فِـتْـنَـةٌ ... وَفَـخْـرٌ وَذَاكَ الْـفَـخْـرُ عِـنْـدِيَ عَـابُ ٥٣٢
فَـكَـيْـفَ أَذُمُّ الْـيَـوْمَ مَـا كُـنْـتُ أَشْـتَـهِـي ... وَأَدْعُـو بِـمَـا أَشْـكُـوهُ حِـيـنَ أُجَـابُ ٥٣٣

جَلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ … كَمَا انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ [٥٣٤]
وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيبِهِ … وَلَوَ انَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ [٥٣٥]
لَـهَـا ظُـفْـرٌ إِنْ كَـلَّ ظُـفْـرٌ أُعِـدُّهُ … وَنَـابٌ إِذَا لَـمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَـابُ [٥٣٦]
يُغَيِّرُ مِنِّي الدِّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا … وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهْيَ كَعَابُ [٥٣٧]
وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي … إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ [٥٣٨]
غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي … إِلَـى بَـلَـدٍ سَـافَرْتُ عَـنْـهُ إِيَـابُ [٥٣٩]
وَعَنْ ذَمَلَانِ الْعِيسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ … وَإِلَّا فَـفِـي أَكْـوَارِهِـنَّ عُـقَـابُ [٥٤٠]
وَأَصْدَى فَلَا أُبْدِي إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً … وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمُلَاتِ لُعَابُ [٥٤١]
وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ … نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ [٥٤٢]
وَلِلْخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا … فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ [٥٤٣]
وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ … يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ [٥٤٤]
وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ … وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ [٥٤٥]
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ … فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ [٥٤٦]
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ … قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ [٥٤٧]
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ … وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ [٥٤٨]
وَبَحْرٌ أَبُو الْمِسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ … عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبَابُ [٥٤٩]
تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ … بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ [٥٥٠]
وَغَالَبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ … كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ [٥٥١]
وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا الْمِسْكِ بِذْلَةً … إِذَا لَمْ تَصُنْ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ [٥٥٢]
وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ … رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابُ [٥٥٣]
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى … قَضَاءً مُلُوكُ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابُ [٥٥٤]
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ … وَلَوْ لَمْ يَقُدْهَا نَائِلٌ وَعِقَابُ [٥٥٥]
أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ … وَكَمْ أُسُدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ [٥٥٦]
وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ … وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ [٥٥٧]
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ … وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابٌ وَطَالَ عِتَابُ [٥٥٨]
وَقَدْ تُحْدِثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً … وَتَنْعَمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهْيَ يَبَابُ [٥٥٩]
وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ … كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهْوَ قِرَابُ [٥٦٠]

أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ[٥٦١]
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ[٥٦٢]
أُقِلُّ سَلَامِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمُ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونَ جَوَابُ[٥٦٣]
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ[٥٦٤]
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ[٥٦٥]
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي عَلَى أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابُ[٥٦٦]
وَأُعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا[٥٦٧]
جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْثٌ وَالْمُلُوكُ ذِئَابُ[٥٦٨]
وَأَنَّكَ إِنْ قُويِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ ذِئَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ ذُبَابُ[٥٦٩]
وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ[٥٧٠]
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابُ[٥٧١]
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةً فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ[٥٧٢]

ومرَّ في صِباه برجلين قد قتلا جرذًا وأبرزاه يُعجبان الناس من كِبَره فقال:

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَغِيرُ أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبْ[٥٧٣]
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبْ[٥٧٤]
كِلَا الرَّجُلَيْنِ اتَّلَا قَتْلَهُ فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ[٥٧٥]
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنَبْ

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتبي:[٥٧٦]

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّهْ وَأُمُّهُ الطُّرْطُبَّهْ[٥٧٧]
رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاكُوا الْأَمَّ غُلُبَّهْ[٥٧٨]
فَلَا بِمَنْ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا بِمَنْ نِيكَ رَغْبَهْ[٥٧٩]
وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْـ ـتُ رَحْمَةً لَا مَحَبَّهْ[٥٨٠]
وَحِيلَةً لَكَ حَتَّى عُذِرْتَ لَوْ كُنْتَ تِيبَهْ[٥٨١]

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْـ ـلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَهْ[٥٨٢]
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْغَدْ رِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّهْ[٥٨٣]
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِ إِنَّ أُمَّكَ قَحْبَهْ[٥٨٤]
وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْـ ـبِ أَنْ يَكُونَ ابْنَ كَلْبَهْ
مَا ضَرَّهَا مَنْ أَتَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُلْبَهْ
وَلَمْ يَنِكْهَا وَلَكِنْ عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّهْ[٥٨٥]
يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٌ وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهْ
وَقَلْبُهُ يَتَشَهَّى وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهْ
لَوْ أَبْصَرَ الْجِذْعَ شَيْئًا أَحَبَّ فِي الْجِذْعِ صَلْبَهْ[٥٨٦]
يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْسًا وَأَلْيَنَ النَّاسِ رُكْبَهْ[٥٨٧]
وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلًا فِي أَخْبَثِ الْأَرْضِ تُرْبَهْ
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمًّا تَبِيعُ أَلْفًا بِحَبَّهْ
كُلُّ الْفُعُولِ سِهَامٌ لِمَرْيَمٍ وَهْيَ جَعْبَهْ[٥٨٨]
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّا ءُ مِنْ لِقَاءِ الْأَطِبَّهْ[٥٨٩]
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَهْ[٥٩٠]
يَا قَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَهْ[٥٩١]
وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَهْ[٥٩٢]
كَذَا خُلِقْتَ وَمَنْ ذَا الـ ـذِي يُغَالِبُ رَبَّهْ[٥٩٣]
وَمَنْ يُبَالِي بِذَمٍّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهْ
أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِي النَّخْـ ـلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَهْ[٥٩٤]
عَلَى نِسَائِكَ تَجْلُو فُعُولَهَا مُنْذُ سَنْبَهْ[٥٩٥]
وَهُنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرْ نَ وَالْأُحَيْرَاحُ رَطْبَهْ[٥٩٦]
وَكُلُّ غُرْمُولِ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدْنَ قُنْبَهْ[٥٩٧]
فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَّفَ عُجْبَهْ[٥٩٨]
وَإِنْ يَخُنْكَ لَعَمْرِي لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهْ[٥٩٩]
وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنْتَ رُعْبَهْ[٦٠٠]
مَا كُنْتَ إِلَّا ذُبَابًا نَفَتْكَ عَنَّا مِذَبَّهْ[٦٠١]

وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهًا   فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ
وَإِنْ بَعُدْنَا قَلِيلًا   حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرْبَهْ[٦٠٢]
وَقُلْتَ لَيْتَ بِكَفِّي   عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ[٦٠٣]
إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي   فَإِنَّهَا دَارُ غُرْبَهْ[٦٠٤]
أَوْ آنَسَتْكَ الْمَخَازِي   فَإِنَّهَا لَكَ نِسْبَهْ[٦٠٥]
وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي   تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَهْ[٦٠٦]
وَإِنْ جَهِلْتَ مُرَادِي   فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهْ[٦٠٧]

وقال يعزي أبا شجاع عضد الدولة بِعَمَّتِه، وقد توفيت ببغداد:

آخِرُ مَا الْمَلْكُ مُعَزًّى بِهِ   هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ[٦٠٨]
لَا جَزَعًا بَلْ أَنَفًا شَابَهُ   أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَصْبِهِ[٦٠٩]
لَوْ دَرَتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ   لَاسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ[٦١٠]
لَعَلَّهَا تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي   لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ[٦١١]
وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارٌ لَهُ   لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ[٦١٢]
وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ   مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ[٦١٣]
أَخَافُ أَنْ تَفْطُنَ أَعْدَاؤُهُ   فَيُجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ[٦١٤]
لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ   لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ[٦١٥]
يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ   وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتُ مِنْ كَرْبِهِ[٦١٦]
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا   نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ[٦١٧]
تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا   عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ[٦١٨]
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ   وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ[٦١٩]
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى   حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ[٦٢٠]
لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ   فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ[٦٢١]
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ   مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ[٦٢٢]
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ   وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ[٦٢٣]
وَغَايَةُ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ   كَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ[٦٢٤]
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ   فُؤَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ[٦٢٥]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِشَخْصٍ مَضَى   كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِه[٦٢٦]
وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ   كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّه[٦٢٧]
يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعُلَى عَيْشَهُ   وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّه[٦٢٨]
يَحْسَبُهُ دَافِنُهُ وَحْدَهُ   وَمَجْدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِه[٦٢٩]
وَيُظْهَرُ التَّذْكِيرُ فِي ذِكْرِهِ   وَيُسْتَرُ التَّأْنِيثُ فِي حُجْبِهِ[٦٣٠]
أُخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا   فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبِّه[٦٣١]
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا   أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لُبِّهِ[٦٣٢]
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ   كَأَنَّهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ[٦٣٣]
فَخْرًا لِدَهْرٍ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ   وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ[٦٣٤]
إِنَّ الْأَسَى الْقِرْنُ فَلَا تُحْيِهِ   وَسَيْفُكَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْبِهِ[٦٣٥]
مَا كَانَ عِنْدِي أَنَّ بَدْرَ الدُّجَى   يُوحِشُهُ الْمَفْقُودُ مِنْ شُهْبِهِ[٦٣٦]
حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا   تَحَمَّلَ السَّائِرُ فِي كُتْبِهِ[٦٣٧]
وَقَدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ   فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَنْ سَحْبِهِ[٦٣٨]
يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ   وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ[٦٣٩]
مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ   وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ[٦٤٠]
إِيمَا لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ   إِيمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ[٦٤١]
وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ   سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ[٦٤٢]

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي:

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ابْنًا لِغَيْرِ أَبٍ   ثُمَّ امْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً   مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ[٦٤٣]
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ   يَا أَيُّهَا اللَّقَبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ[٦٤٤]

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض حِسْمَى منصرفه من مصر؛ فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب، فجعلوا يسرقون له من أمتعته؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه، وأمر الغلمان فأجهزوا عليه:

لَحَا اللهُ وَرْدَانًا وَأُمًّا أَتَتْ بِهِ ... لَهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثَعْلَبِ[٦٤٥]
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً ... عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ[٦٤٦]
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ ... فَيَا لُؤْمَ إِنْسَانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ[٦٤٧]
أَهَذَا اللَّذَيَّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ ... هُمَا الطَّالِبَانِ الرِّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ[٦٤٨]
لَقَدْ كُنْتُ أَنْفِي الْغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّئٍ ... فَلَا تَعْذِلَانِي رُبَّ صِدْقٍ مُكَذَّبِ[٦٤٩]

هوامش

(١) يقول: ترى عيناي منك كل يوم شيئًا عجيبًا تتحير منه، وذلك أني أرى سيفًا يحمل سيفًا وسحابًا يمطره سحاب، والحمالة التي يحمل بها السيف، والحسام الأول هو السيف، والثاني هو سيف الدولة.

(٢) يقول: ترى عيناي منك كل يوم شيئًا عجيبًا تتحير منه، وذلك أني أرى سيفًا يحمل سيفًا وسحابًا يمطره سحاب، والحمالة التي يحمل بها السيف، والحسام الأول هو السيف، والثاني هو سيف الدولة.

(٣) الرباب: السحاب الأبيض ويخلق: يرث ويبلى. يقول: أنت أفضل من السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التي كساها بها الغيث وهي نبات الأرض تبلى — وذلك عند هيجه — ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبًا به فأنت خالد وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع. وقال الواحدي: يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته، والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين لهم كما قال البحتري:

أَشْرَقْنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى ... وَرَطُبْنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ

فجعل الصخر يكاد يجري للينه برطوبة الزمان.

(٤) الرباب: السحاب الأبيض ويخلق: يرث ويبلى. يقول: أنت أفضل من السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التي كساها بها الغيث وهي نبات الأرض تبلى — وذلك عند هيجه — ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبًا به فأنت خالد وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع. وقال الواحدي: يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته، والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين لهم كما قال البحتري:

أَشْرَقْنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطُبْنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ

فجعل الصخر يكاد يجري للينه برطوبة الزمان.

(٥) السواري: السحب السارية ليلًا، والغوادي: السحب المنتشرة نهارًا، والطراب: جمع طروب، وهو الذي يطرب ويحركه الشوق، وتفيد: تستفيد، واحتذاه: اقتدى به وفعل مثله، والخلائق: الأخلاق. يقول: إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتي بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة.

(٦) السواري: السحب السارية ليلًا، والغوادي: السحب المنتشرة نهارًا، والطراب: جمع طروب، وهو الذي يطرب ويحركه الشوق، وتفيد: تستفيد، واحتذاه: اقتدى به وفعل مثله، والخلائق: الأخلاق. يقول: إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتي بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة.

(٧) غداة النفر: يريد غداة تفرق الحجيج من منى، ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذي ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم:

أَمَا وَالَّذِي حَجَّ الْمُلبُّونَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْغَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامَتْهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْغَمْرِ
وَهَلْ يَأْثَمَنِّي اللهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّلْتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَسَكَّنْتُ مَا بِي مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ كَرًى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ

وأعترض: أستقبل، والدمى: جمع دمية وهي التماثيل تشبه بها الحسان.

(٨) فديناك: دعاء، والخطاب للحبيب، وأهدى: منادى بإسقاط حرف النداء. قال الواحدي: أهدى من قولهم هديت هدي فلان أي قصدت قصده ومنه الحديث: واهدوا هدي عمار؛ أي اقصدوا قصده وسيروا سيرته. يقول: يا أقصد الناس سهمًا إلى قلبي، يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تخطئه، ويا أقتل الناس للابسي الدروع من غير حرب؛ أي إنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى النزال، ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية، وإليك ما قال العلامة العكبري النحوي الكوفي في تعليقاته على هذا البيت قال: أفعل إذا كان للتفضيل فبينه

وبين أفعل التعجب مناسبة، وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله، ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أي أشد حمرة، كما يمتنع أن يقال: ما أحمره أي أشد حمرته، وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية: فعل بفتح العين، وفعِل بكسرها، وفعُل بضمها، ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله، ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال: ما أضرب أخاك؛ لأنه مأخوذ من ضرب أخوك، ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك، وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش (يقال هدت الإبل والوحش والخيل تهدي إذا تقدمت، وهاديات الوحش أوائلها وهي هواديها) إذا تقدمت فيكون اسمًا منصوبًا على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل، ويكون الفعل للسهم، ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهمًا منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى؛ لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولًا وكذلك أفعل الذي للتفضيل، وعلى ذلك حمل قوله:

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

(القوانس: جمع قونس مقدم البيضة من السلاح.)

وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي، قالها في الجاهلية قبل إسلامه، ومطلعها:

لِأَسْمَاءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا

(رحرحان: موضع أو جبل قريب من عكاظ، وراكس: واد.) واختار منها أبو تمام في «الحماسة» أربعة أبيات وهي:

فلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا فَوَارِسَا
أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا حَمْلَنَا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحَ الْمَدَاعِسَا
إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نُكِرُّهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة في كتابه «أيام العرب»: غزت بنو سليم — ورئيسهم عباس بن مرادس — مرادًا، فجمع لهم عمرو بن معديكرب، فالتقوا بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقتل من كبار مراد ستة، وقتل من بني سليم رجلان، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه. فقال عباس بن مرادس قصيدته التي على السين، وهي إحدى المنصفات ... وقوله: فلم أر مثل الحي ... إلخ، أراد بالحي المصبح بني زبيد بن مراد، قال المرزوقي: أي لم أرَ مغارًا عليه كالذين صبحناهم ولا مغيرًا مثلنا يوم لقيناهم فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه وأصحابهم، وتناول بالمدح كل فرقة منهم، وانتصب حيًّا مصبحًا على التمييز، وكذلك فوارسًا، ويجوز أن يكون في موضع الحال، وقوله: أكر وأحمي ... إلخ، فالمصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زبيد والثاني إلى عشيرته وأصحابه، والمراد: لم أرَ أحسن كرًّا وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا، والقونس أعلى البيضة، وأكر: من كر عليه إذا صال عليه، وأحمى: من الحماية، وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار. قال ابن الحاجب: قوله أكر وأحمى ... إلخ: تبيين لما ادعاه فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم؛ لئلا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تمييزًا، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة، وإذا جعلا غير تمييز كأنه قال: جاءني زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز، فأكر وأحمى صفة لحيًّا مصبحًا، وأضرب منا صفة لفوارسًا، وقوله: إذا ما حملنا ... إلخ، يقول: إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح المعدة للطعن، فالمراد بالمداعس الرماح الطاعنة، وفرس مذكٍ: تم سنه وكملت قوته، وقوله: إذا الخيل جالت ... إلخ، أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كررنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع منهم، لا يقنعنا ذلك منهم بل نكرها عليهم لمثله وإن كرهت الكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالح.

فنصب القوانس بفعل مضمر، تم الكلام عند قوله: وأضرب منا، ثم أضمر فعلًا نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس، فيكون من جنس الكلام.

(٩) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول: إن للهوى أحكامًا تخالف سائر الأحكام؛ لأن الخلف في الوعد غير جميل، والكذب غير مستحسن، وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب:

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

(١٠) يقول: إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلي في الحرب، ولكني مع ذلك يصاب مقتلي في الحب فلست أستطيع الدفاع عن نفسي في ميدان الهوى، وهذا من قول أبي تمام:

كَمْ مِنْ دَمٍ يُعْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهَامَ إِذَا   بَانُوا تَحَكَّمُ فِيهِ الْعِرْمِسُ الْأُجُدُ

جيش لهام: كثير يلتهم كل شيء، والعرمس: الناقة الصلبة الشديدة، والأجد: بضم الهمزة والجيم الناقة القوية الموثقة الخلق، يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب، والمراد الحبيب نفسه.

(١١) يقول: ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرًا ملك قلوب الناس بأهون سعي، فقوله: أصاب … إلخ؛ أي وجد المرتقى الصعب حدورًا سهلًا، وهذا تمثيل معناه: سهل عليه ما يشق على غيره.

(١٢) قوله: لا يحزن؛ دعاء له. يقول: لا أحزن الله الأمير فإن حزنه يستتبع حزني؛ لمشاركتي إياه في أحواله، فلا أصابه الله بحزن لئلا أحزن، والمعنى واضح وجميل، ومن ثم كان نقد الصاحب هذا البيت — بقوله: لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق — في غير موضعه، ويجوز في يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء، ورواية سآخذ هي رواية ابن جني وعليها مضينا، وفي رواية: لآخذ.

(١٣) يقول: لا أبكاك الله؛ لأنك إذا بكيت حزنًا بكى جميع الناس لبكائك، وحزنوا لحزنك؛ لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزنٍ أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكي بعيونهم ويحزن بقلوبهم، وفي البيت حذف لا يخفى، فهو من قبيل: علفتها تبنًا وماء باردًا. قال الواحدي: ولك أن تجعل الباء في بعيون للتعدية أي أبكاها، والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم، كما قال يزيد المهلبي:

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمُ   فَلَهْوُنَا إِذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ إِنْصَافِ

(١٤) الدفين: المدفون، وحبيب حبيبي: مبتدأ مؤخر، وحبيب إلى قلبي: خبر مقدم، والجملة خبر إني، يقول: إني أحب كل من يحبه، ومن ثَمَّ كان المدفون الذي يحبه حبيبًا إلى قلبي وإن كان غريبًا مني.

(١٥) يقول: لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا، فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا؛ لغصت بنا الدنيا، وضاقت علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والمجيء لشدة الزحام، وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر، وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئًا وجيئة وكذلك الذهوب.

(١٦) يقول: تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحي تملك السالب، ويتخلى عنها الميت تخلي المسلوب، وعبارة الواحدي: يريد بالآتي الوارث بعد الموت وبالماضي الموروث؛ أي إن الذي تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله، والميت كأنه مسلوب سلب ما كان في يده، وهذا المعنى — كما قال العكبري — مأخوذ من قولهم إن ما في أيديكم أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما تركها الأولون.

(١٧) شَعُوب من أسماء المنية، وهي معرفة لا تنصرف، ولا تدخلها الألف واللام، سميت كذلك لأنها تشعب أي تفرق. يقول: لولا الموت لم يكن لهذه المعاني فضل، وذلك أن الناس لو أمنوا الموت؛ لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف عليه من إقدامه في الحرب، وإذن لا يُحمد على شجاعته، وكذلك لا فضل للجواد على البخيل، والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع؛ لأن في الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ويهون البؤس.

(١٨) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبمعنى الباقي، والمراد هنا الأول. يقول: إن الحياة لا بد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقته، ولكن أوفاها له تلك التي تصحبه إلى وقت المشيب فلا تزايله حتى يطول استمتاعه، ويستوفي لذة العيش، ولكنها مع ذلك إلى انقضاء، وقال الخطيب التبريزي: يريد أن الدنيا تخترم الشباب؛ لقلة الوفاء فإذا أبقتهم كان قصاراها أن تفنيهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها؛ وهو تفسير حسن.

(١٩) لأبقى، جواب قسم محذوف؛ أي والله لقد أبقى، ويماك اسم مملوك سيف الدولة وهو تركي، والنجار الأصل، وجليب مجلوب من بلد إلى آخر. يقول: لقد أبقى يماك بموته في قلبي صبابة وميلًا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه.

(٢٠) النجيب: الكريم «ضد اللئيم» والفاضل النفيس في نوعه. يقول: إن يماك ترك في قلبي هذا الميل إلى جنسه؛ لذلك الشبه الذي بينه وبينهم، وإن لم يكن كل من أشبهه في

الصورة يشبهه في اليمن والنجابة، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق، فهو يقول في الأول: إنه يحب لأجله الترك؛ لأنه منهم، والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون، ثم قال: إنه ليس كل تركي مباركًا، ولا كل تركي نجيبًا كالمرثي، وإذن فهو يحبهم؛ لأنهم يشبهونه في الصورة وإن لم يشبهوه في اليمن والنجابة.

(٢١) القضيب: السيف القاطع، وقيل: اللطيف الدقيق، والتناضل: الترامي بالسهام. قال العكبري: في الحرب وغيرها، وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب بسهامهم يرمي بعضهم بعضًا، وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم؛ لينظروا أيهم أحسن رميًا، والطرف الفرس الكريم. يقول: إنه كان شجاعًا من أهل القتال، وكان حسن الرمي وقت النزال، وكان فارسًا يحسن الركوب للغارة والطعان، ومن ثم حزنت عليه السيوف والقسى والخيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه، واللام في قوله: لئن ظهرت؛ لام القسم دخلت على حرف الشرط، وأتى بجواب القسم، ولم يأتِ بجواب الشرط، ومثله كثير في القرآن الكريم، وفي الشعر.

(٢٢) القضيب: السيف القاطع، وقيل: اللطيف الدقيق، والتناضل: الترامي بالسهام. قال العكبري: في الحرب وغيرها، وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب بسهامهم يرمي بعضهم بعضًا، وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم؛ لينظروا أيهم أحسن رميًا، والطرف الفرس الكريم. يقول: إنه كان شجاعًا من أهل القتال، وكان حسن الرمي وقت النزال، وكان فارسًا يحسن الركوب للغارة والطعان، ومن ثم حزنت عليه السيوف والقسى والخيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه، واللام في قوله: لئن ظهرت؛ لام القسم دخلت على حرف الشرط، وأتى بجواب القسم، ولم يأتِ بجواب الشرط، ومثله كثير في القرآن الكريم، وفي الشعر.

(٢٣) وتدعو: عطف على يخل، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة. يقول: إنه يشق على يماك أن يغير عادته في خدمتك، وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك.

(٢٤) ذي لبدتين؛ أي أسد، واللبدة الشعر المتراكب على كتف الأسد، يقول: وكنت إذا رأيته قائمًا بين يديك رأيت منه أسدًا وفتى أديبًا؛ أي إنه كان جامعًا بين الأدب في الخدمة وقوة الأسد لدى البأس، والتاء في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمتكلم وعلى الفتح للمخاطب.

(٢٥) العاق: هو النفيس من كل شيء، وهو خبر يكن، وجملة فقدته حال، والمتلاف: الذي يتلف أمواله سخاء وجودًا، والأغر: الشريف، يقول: فإن يكن يماك العلق النفيس

قد فقدته فإنما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطاب لسيف الدولة، ويكون العلق منصوبًا على الاشتغال أو بفعل مضمر دل عليه قوله فقدته، والتقدير: فإن تكن فقدت العلق النفيس.

(٢٦) الردى: الموت، وعاد: ظالم معتد، والمراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة، وعوذه: علق عليه العوذة وهي الرقية يُتقى بها السوء. يقول: إن الشريف لا يسلم من حدثان الدهر ونوائبه حتى يجعل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب، وهذا كقول الشاعر:

شَخَصَ الْأَنَامُ إِلَى كَمَالِكَ فَاسْتَعِذْ ... مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدِ

وقول الآخر:

قَدْ قُلْتُ حِينَ تَكَامَلَتْ وَغَدَتْ ... أَفْعَالُهُ زَيْنًا مِنَ الزَّيْنِ
مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى ... عَيْبٍ يُوَقِّيهِ مِنَ الْعَيْنِ

كان: زائدة، وذا الكمال؛ أي هذا الكمال.

(٢٧) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءاته بالتنبيه إلى سابق إحسانه؛ أي إن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسيء أخرى. يقول: ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفريقه بيننا، فبإحسانه عرفنا إساءته، والأيادي: النعم.

(٢٨) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمِّه يقول: وإذ إن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتربيته وتعهده وإتمامه فترك المحسن إحسانه أجمل به من ذلك وأفضل؛ أي إن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل، وهذا كقوله:

أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْـ ... ـيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا

واللام في قوله: وللترك؛ لام الابتداء، وربيب: تام من رب عمله أصلحه ونمَّاه وأتمه.

(٢٩) يقول: إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركي، وخص نزارًا؛ لأنه أبو القبائل الأشراف كقريش وغير قريش؛ فالمراد بنزار سائر العرب.

(٣٠) الباء في قوله بصفاء وبالقرب زائدة، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى، والرق: العبودية، واللبيب: العاقل، يقول: إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود، ومثله إذا صافى إنسانًا استرقَّه بكثرة الإحسان إليه، وإن لم يبتعه كما يبتاع العبد، وهذا هو الرق والاستعباد.

(٣١) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من يماك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله — سبحانه وتعالى — أو تقول: فإن سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله، فضمير إنه إما عائد على الأجر، ومثاب: مصدر بمثابة الثواب، أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولًا من الإثابة.

(٣٢) فتى الخيل؛ أي هو «سيف الدولة» فتى الخيل، وجملة قد بل النجيع نحورها؛ حال من الخيل، والنجيع: الدم، وضنك: صفة موصوف محذوف أي في يوم ضيق المقام، فالضنك الضيق، وعصيب أي شديد، واعصوصب اليوم والشر اشتد، ويوم عصيب وعصبصب شديد وليلة عصبصب كذلك ولم يقولوا عصبصبة، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم، ويقال لأمعاء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جعلت في حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب، والعصيب أيضًا الرئة تعصب بالأمعاء فتشوى، قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية:

أُولَئِكَ لَمْ يَدْرِينَ مَا سَمَكُ الْقُرَى وَلَا عُصُبٌ فِيهَا رِئَاتُ الْعَمَارِسِ

(العمارس جمع عمروس، والعمروس والطمروس الخروف، والعصب جمع عصيب وهو ما عرفت.)

(يقول: إن سيف الدولة أجل مثاب؛ لأنه إذا بلت الدماء نحور الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان في مثل ذلك اليوم.)

(٣٣) الريط: جمع ريطة وهي المُلاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفتين، وقيل كل ثوب لين رقيق، ويعاف: يكره، والخيم: جمع خيمة يقول: إنه يكره الاستظلال بالخيام المتخذة من النسيج، وإنما يستظل بغبار الحروب.

(٣٤) الإسعاد: الإعانة. يقول: إن كانت إعانتنا إياك على هذه الرزية نافعة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب، وهذا من قول حبيب:

شَقَّ جُيُوبًا مِنْ رِجَالٍ لَوِ اسْطَا عُوا لَشَقُّوا مَا وَرَاءَ الْجُيُوبِ

وجيب القميص ما انفتح منه على النحر.

(٣٥) يقول: ليس بالبكاء يعلم الحزن، فرب محزون عصي الدمع فلا يبكي، ورب باكٍ تنسكب دموعه وليس بمحزون. قال العكبري: وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو علي في آخر تكملة إيضاحه:

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ

(٣٦) في أبيك: بفتح الباء كما رواها ابن جني، يريد في أبويك، وهي لغة للعرب صحيحة، فإن بعض العرب يقول في تثنية أب أبان كما قالوا أبوان، وفي الإضافة أبيك، وإذا جمعت بالواو والنون قالوا: أبون، قال الشاعر:

فَلَمَّا تَبَيَّنَّ أَصْوَاتَنَا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَنَا بِالْأَبِينَا

(يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن؛ فبكين إليهم، وفدينهم بآبائهن سرورًا بوفودهم عليهن.)

وعلى هذا قرأ بعضهم: «إله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق» يريد جمع أب أي أبينك فحذف النون للإضافة، يقول: تسل عن هذا المفقود بالتفكر في مصابك بأبويك، فقد بكيت لفقدهما ثم ضحكت بعد ذلك بمديدة، وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيذهب عن قريب، وعبارة بعض الشراح: تفكر في آبائك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب كذهابهم فلا يجب الحزن، وفي معناه:

فَفُضِّي اللَّوْمَ عَاذِلَتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي

يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود. ومثله قول لبيد:

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

(٣٧) المصاب ها هنا مصدر كالإصابة، والمراد هنا بالخبث الجزع، وبالطيب الصبر، ويقال بات فلان خبيث النفس؛ أي ثقليها كريه الحال، وفي حديث هرقل: «فأصبح يومًا

وهو خبيث النفس.» أي ثقيلها كريه الحال، ومنه الحديث: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي.» أي ثقلت وغثت كأنه كره اسم الخبث، وفاعل ثنت يعود على النفس أي صرفت الخبث، أو تقول ثنت أي انثنت. يقول: إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر؛ لعلمه أن الجزع لا يفيد. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع؛ لعلمه أنه من كونها، فهان عليه ذلك لعجز الكل عن دفع ذلك.

(٣٨) الواجد: المحزون، والزفرة: تصعيد النفس بعد مده، واللغوب: الإعياء، يقول: لا بد للمحزون من سكون فإما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء، فالعاقل من يتعزى، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجَرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَّ الْبَهَائِمِ

ويقول محمود الوراق:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبَارًا وَحِسْبَةً سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

(٣٩) كم ها هنا خبرية بمعنى كثير، والواجب خفض تميزها، ولكنه نصب جدًّا هنا؛ لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر، وغروب جمع غرب وهو الدمع، يقول: كم لك من جد لم تره عينك فلم تبكِ عليه فهب هذا مثلهم؛ لأنه قد غاب عنك، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد، قال الخطيب: وهذا المعنى مدخول؛ لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم، ويماك قد رآه وعرفه ورثاه. أقول: ونقد الخطيب واضح وفي محله كما ترى.

(٤٠) من يحسد: مبتدأ مؤخر، وفي تعب: خبر مقدم، ونورها: بدل من الشمس أو مفعول ثانٍ ليحسد، وأسكن الياء من يأتي ضرورة، وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو، والضريب النظير يقول: مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير، وهذا في تعب لازب؛ لأنه يعالج المحال، وكذلك حسادك؛ لأنه لا نظير لك كالشمس.

(٤١) يخاطب ربع الحبيب ويدعو له، وقوله من ربع تمييز، ومن زائدة، والربع المنزل متى كان وبأي مكان كان، أما المربع ومثله المرتبع والمتربع فهو الموضع الذي ينزل فيه أيام الربيع، يقول: فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدًا

بما هجت من ذكرى الحبيب الذي كان فيك كالشمس يخرج منك ويعود إليك، وكنت له كالمشرق حين يظهر، وكالمغرب حين يحتجب.

(٤٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله، ولم يدع له سبيلًا إلى إدراك الأشياء، ويدع رُوي بالياء وبالتاء، فمن روى بالياء فهو على لفظ من، ومن روى بالتاء حمله على المعنى؛ لأن المقصود بمن، امرأة.

(٤٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير، وأن نلم مُؤَوَّل بمصدر مجرور بعن محذوفة صلة كرامة أي كرامة عن أن نلم به ركبانًا، ونلم ننزل يقول: لما أتينا هذا الربع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذي كان فيه ثم زايله — وتقديسًا له أن ننزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السري الرفاء بقوله:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُثُورُهُ يَوْمَ الْعَقِيقِ سُؤَالَ دَمْعٍ سَائِلِ
نَحْفَى وَنَنْزِلُ وَهْوَ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْ أَنْ يُذَالَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤٤) السحاب جمع، ومن ثم جاز وصفه بالغر؛ أي البيض: وإنما قال الغر لأنها كثيرة الماء، يقول: نذم السحاب لأنها عفت الربع وغيرت معالمه بما ينهل منها من المطر، وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبًا عليها؛ لتعفيتها الرسوم، وفعلها بها ما فعلت.

(٤٥) هذا البيت متصل بالذي قبله، يقول: نحن نذم السحاب؛ لما تفعل بالربع، ولا حق لنا في هذا الذم؛ لأن من صحب الدنيا، وطال امتراسه بها تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفائها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأنْ لم يَغْنَ بالأمس، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها.

(٤٦) يقول: كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستنشق ذلك النسيم الذي كنت أجده من قبل: يعني نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب. والضحى؛ قال الجوهري: مقصور تؤنث

وتذكر، فمن أنث ذهب إلى أنه جمع ضحوة، ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد ونغر، وهو ظرف غير متمكن مثل سحر، تقول لقيته ضحى وضحى إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه، وقال ابن بري: ضحى مصروف على كل حال، قال الجوهري: وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، وقيل: الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدًّا، ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار.

(٤٧) يقول: تذكرت بهذا الربع وصلًا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه، وعيشًا وشيك الانقطاع كأني قطعته بالوثوب، ووثب: قفز وطفر، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبًا؛ أي وصل إليه دفعة واحدة، قال ابن جني: يريد قصر أوقات السرور، ومن بديع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد:

لَا أَسْأَلُ اللهَ تَغْيِيرًا لِمَا صَنَعَتْ ... نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرَتْ عَيْنيَّ عَيْنَاهَا
فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَفْقِدَهُا ... وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَلْقَاهَا

والشعراء أبدًا يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب:

لَيْلِي وَلَيْلَى نَفَى نَوْمِي اخْتِلَافُهُمَا ... حَتَّى لَقَدْ تَرَكَانِي فِي الْهَوَى مَثَلَا
يَجُودُ بِالطُّولِ لَيْلِي كُلَّمَا نَحلَتْ ... بِالطول لَيْلَى وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بَخَلَا

وفي هذا البيت من الجناس الذي ترى ما يعجز عنه، وقال البحتري:

فَلَا تَذْكُرَا عَهْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ ... تَقَضَّى وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْعَصْرُ

وما أبدع ما يقول الرضي:

يَا لَيْلَةً كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا ... أَنْ يَعْثُرَ فِيهَا الْعَشِيُّ بِالسَّحَرِ

وقال بعضهم:

ظَلِلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نُعَيْمٍ   بِيَوْمٍ مِثْلَ سَالِفَةِ الذُّبَابِ

شبهه في القصر بعنق الذباب، ومثله لجرير:

وَيَوْمٍ كَأَبْهَامِ الْقَطَاةِ مُزَيَّنٍ   إِلَى صِبَاهُ غَالِبٍ لِيَ بَاطِلُه

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس:

لَيَلَةٌ كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهَا   قَصْرًا وَهْيَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ

ويقول متمم بن نويرة:

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا   لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

(٤٨) النفح: تضوع رائحة الطيب، يقال: نفح الطيب ونفحت رائحة الطيب، وعدى النفح على المعنى كأنه قال: إذا أصابت روائحها شيخًا شب، وفتانة عطف على وصلًا في البيت قبله؛ أي وذكرت به فتانة، يقول: وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا فغمت روائحها شيخًا تصابى وعاد شابًا، وهذا مثل قول الصنوبري:

بِلَفْظٍ لَوْ بَدَا لِحَلِيفِ شَيْبٍ   لَفَارَقَهُ وَعَادَ إِلَى شَبَابِه

(٤٩) البشر: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد، والدر: اللآلئ العظام، والشهب: الدراري من النجوم؛ يقول: إن لونها مثل لون الدر الذي تقلدته، وهي كالبدر حسنًا وجمالًا، وقلائدها كدراري النجوم ولم أرَ قبلها بدرًا قلد النجوم.

(٥٠) ويا لي: يروى وبالي بالموحدة، والنوى: البعد. يقول: فيا شوقي ما أبقاك فلست تنفد، ويا من لي يمنعني من ظلم الفراق، ويا دمعي ما أجراك، ويا قلبي ما أصباك وأشوقك، وقد حذف كما ترى ياءات الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفًا؛ لأن الكسرة تدل عليها، ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبنية على الضم على أنها مفردة أي غير مضافة إلى ياء المتكلم، وحذف الكاف المنصوبة من أبقى وأجرى وأصبى للمخاطبة التي قبلها بالنداء، وقوله: ويا لي، استغاثة، قال العكبري: قوله ويا لي يحتمل أن يكون

أراد اللام المفتوحة التي للاستغاثة كأنه استغاث بنفسه من النوى، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التي للمستغاث من أجله كأنه قال: يا قوم اعجبوا لي من النوى.

(٥١) البين: البعد، والمشت: المفرق، والضب: حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل في الحيرة، يقال: أحير من ضب؛ لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدي إليه عند أوبته، يقول: لعب الفراق بشملنا وزودني الضلال والحيرة فلا أهتدي إلى وجه، وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل، وقيل: إن المراد كما أن الضب لا يتزود في المفازة؛ لأنه لا يحتاج إلى الماء أبدًا فكذا لم يزودني الفراق شيئًا؛ أي إنه لم يودع حبيبته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زادًا كما قال بعضهم:

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْـ ـبَابِ ضَمًّا وَالْتِزَامَا
وَسُلَيْمَى زَوَّدَتْنِي يَوْمَ تَوْدِيعِي السِّقَامَا

وقال ابن فوزجه: يريد زودني الضلال عن وطني الذي خرجت منه فما أوفق إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب، والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء، وعبارة الواحدي يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها، يقول: أنا في البين مقيم إقامة الضب في المفازة، وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لإلفي إياهما.

(٥٢) الضواري المضراة والمولعة بالصيد. يقول: من كان من نسل الشجعان وكان آباؤه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود، وإذن يكون الليل له نهارًا فلا تعوقه الظلمة عن بلوغه مآربه، وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهرًا، قال ابن جني: قوله يكن ليله صبحًا من قول الآخر:

فَبَادِرِ اللَّيْلَ وَلَذَّاتِهِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(٥٣) كأنه يعتذر من الغضب الذي ذكر في البيت السابق، يقول: إذا أدركت معالي الأمور فلست أبالي بعد إدراكها أكان ما يحصل في يدي إرثًا أم كسبًا فالتراث المال الموروث: قال بعض الشراح: وكان الوجه أن يقول أتراثًا كان؛ لأن الهمزة لا يليها إلا المسئول عنه فأخره لإقامة الوزن.

(٥٤) فرب غلام؛ يعني نفسه، يقول: إن المرء يمكنه أن يعلِّم نفسه المجد وإن لم يكن له من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدة الأبطال

بشجاعته وحذقه، ويروى: «كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الدَّوْلَةَ الضَّرْبَا» أي: كما علم أهل دولته الطعان والنزال، والرواية الأولى أظهر، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي، وقيل: لا يكون إلا بالآباء، والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبعت وامتلأت بطونها علفا وأمجدها راعيها، ويقال من هذا أمجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره، ولما كان من أساس المجد كثرة المآثر والمساعي كان مأخوذًا من ذاك.

(٥٥) يقال: كفيته الأمر أعنته عليه وقمت به دونه، وقد استكفاني أمره فكفيته، وعداه هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به، يقول: إن الدولة إذا استعانت به في أية مهمة أو نازلة كفاها، وبلغت به وحده ما تريد؛ فكان سيفًا لها على أعدائها، وكفًّا تضرب بها، وقلبًا تقتحم به الأهوال؛ قال العكبري: يريد بهذا أن يفضله على سيف الحديد فإنه لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب، وسيف الدولة يعمل بنفسه.

(٥٦) يقول: إن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية؟! أي تقطع بنفسها دون استعانة بغيرها، وسيف الدولة عربي نزاري، فيكون أحق بالخوف منه.

(٥٧) يقول: إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليوث آخرون؟ يريد سيف الدولة وأصحابه.

(٥٨) عباب البحر: تراكم أمواجه وشدتها، ويغشى: يغطي، وعب: زخر وتدفق، وقد سُمي الفرس الشديد الجري والنهر الشديد الجريان يعبوبًا من ذلك، يقول: والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد.

(٥٩) اللغى: جمع لغة، يقول: هو عليم بخفيات الديانات واللغات، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم؛ لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجري على خاطره.

(٦٠) يقال: بوركت وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك، يدعو له بالبركة والنماء، ومن غيث: تمييز، والديباج: فارسي معرب وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير، والوشي: الثوب فيه ألوان شتى، والعصب: ضرب من برود اليمن، يقول: إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتنبت جلودنا هذه الثياب، فبارك الله عليك غيثًا.

(٦١) الجزل: الكثير، وهلًا: اسم صوت تزجر به الخيل، والقصب: المعى والجمع أقصاب، وفي الحديث: «الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه في النار.» قيل اسم للأمعاء كلها، وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء، يقول: وبوركت من

رجل يهب العطاء جزلًا، ويزجر الخيل يستحثها، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه، ويشق الأمعاء فينثرها.

(٦٢) رأيك: مرفوع بفعله وفعله هنيئًا، وأصله ثبت رأيك هنيئًا لهم فحذف الفعل وأقيم الحال «هنيئًا» مقامه فصارت تعمل عمله، وحزب الله: منادى أو منصوب على الاختصاص، يقول: ليهنهم حسن رأيك فيهم، وأنك صرت لهم حزبًا — أي أعوانًا وأنصارًا — في حال أنك حزب الله.

(٦٣) وأنك: عطف على وأنك حزب الله في البيت السابق، والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض، وأرجعه إلى غير مذكور على حد قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ورعت: أفزعت، وريب الدهر: صروفه وحوادثه. يقول: هنيئًا لأهل الثغر أنك صرت لهم حزبًا، وأنك فعلت في الأرض أفعالًا أفزعت الدهر وصروفه، فإن شك الدهر في قولي فليحدث في الأرض خطبًا، يعني أن الناس آمنون من تصاريف الدهر فليس في استطاعته أن يمسهم بسوء هيبةً لك.

(٦٤) عنهم؛ أي عن أهل الثغر، والجدب: القحط.

(٦٥) السرايا: جمع سرية وهي الجماعة من الجيش، سُميت كذلك قيل: لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم، من الشيء السري أي النفيس، وقيل: لأنهم ينفذون سرًّا وخفية، وتترى: متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾ وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة، قال الجوهري: تترى فيها لغتان تنون ولا تنون، فمن ترك صرْفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود، وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد، ومن نونها جعلها ملحقةً والمراد هنا التي يخلف بعضها بعضًا، ونهبى؛ أي منهوبة، والدمستق: اسم لقائد الروم.

(٦٦) مرعش حصن من أعمال ملطية؛ يقول: أتى الدمستق هذا الثغر مهزوزًا نشيطًا مبتهجًا يجد البعيد قريبًا، فلما أقبلت عليه ولى مدبرًا وهو يرى القريب بعيدًا خوفًا وذعرًا أن تدركه، قال العكبري: ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى:

وَاللـهِ مَـا جِـئْـتُـكُـمْ زَائِـرًا … إِلَّا رَأَيْتُ الْأَرْضَ تُطْوَى لِي
وَلَا انْثَنَى عَزْمِيَ عَنْ بَابِكُمْ … إِلَّا تَـعَـثَّـرْتُ بِـأَذْيَـالِـي

(٦٧) يقول: كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاد جبنًا يترك أعداءه، ويخيم عن اللقاء، وينكص على عقبيه، وكذا يرجع عن الحرب من لم يغنم سوى الرعب؛ أي إن الدمستق عاد مرعوبًا فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره.

(٦٨) اللقان: ثغر ببلاد الروم «الأناضول» والعوالي من الرماح: ما دخل في السنان إلى ثلثه، والخيل المطهمة: التامة الخلق، والقب: جمع أقب وهو الضامر البطن، ووقوفه: فاعل رد؛ قال الواحدي: كان الدمستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم. يقول: فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والخيل الحسان الضامرة.

(٦٩) يريد بالرماحين رماح الفريقين فثنى الجمع كما قال أبو النجم:

بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

الهدب: أشفار العين، يقول: انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الأهداب الأعالي والأسافل عند الرقاد، وهذا مثل قول بعضهم:

مَا الْتَقَيْنَا بِحَمْدِ رَبِّيَ إِلَّا مِثْلَ مَا تَلْتَقِي جُفُونُ السَّلِيمِ

(٧٠) السورة: الحدة، يقول: ولكنه انهزم، وللطعن في أصحابه حدة إذا تذكرها لمس جنبه قائلًا: هل أصابه شيء منه؟ أي إنه انهزم مدهوشًا مرعوبًا لا يدري ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة؟ قال بعض الشراح: إنه هرب وبقي من دهشه لا يدري ما يصنع فكان يلمس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الذهول والفزع، وهذا من قول أبي نواس:

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِي هَوَايَ لَهُ مَسَسْتُ رَأْسِيَ هَلْ طَارَ عَنْ بَدَنِي

(٧١) العذارى: جمع عذارء وهي البكر من النساء، والبطاريق: جمع بطريق وهم قواد الروم، والشعث: جمع أشعث وهو المغبر الرأس، والمراد بهم هنا الرهبان، والقرابين: جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك، والصلب: جمع صليب وسكن اللام على لغة تميم. يقول: إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى.

(٧٢) المستهام: الذي ملك عليه العشق أمره فهام على وجهه، والصبابة: رقة الشوق، يقول: كل منا يطلب الحياة عاشقًا لها محبًّا حريصًا عليها.

(٧٣) يقول: كل من الجبان والشجاع سواء في حب النفس وإن اختلف فعلهما، فالجبان حبًّا لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال، والشجاع إنما أقدم على الحرب دفاعًا عن نفسه، وذودا عن مهجته؛ لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه، فكان في ذلك بقاؤه كما قال الحماسي — الحصين بن الحمام:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وتقول الخنساء:

نُهِينُ النُّفُوسَ وَهَوْنُ النُّفُوسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَبْقَى لَهَا

وروي أن الصديق — رضي الله عنه — قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل الردة: احرص على الموت توهب لك الحياة، ومعناه: إما أن الشجاع مهب مرهوب لا يحام حوله، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حي كما قال حبيب:

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عُقْبًا صَالِحًا وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا

وإما أنه إذا استشهد صار حيًّا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال العكبري: وهذا البيت من الحكمة، قال الحكيم: النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذل كل الإباء، وترى فناءها في طلب العز حياتها، والنفس الدنيئة على الضد من ذلك، وروي بدل النفس الحرب.

(٧٤) قال الواحدي: يقول: إن الرجلين ليفعلان فعلًا واحدًا فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثاني حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم، ومثال ذلك أن يحضر الحرب اثنان يغنم أحدهما ويحرم الآخر، فحضور الحرب إحسان من الغانم ذنب للمحروم، وكلاهما فعل فعلًا واحدًا، وكذلك مسافران مثلًا سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر، فيعد السفر من الرابح إحسانًا يحمد عليه ومن الخاسر ذنبًا يلام عليه، وهذا كما أنشده ابن الأعرابي:

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْمُنَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهْ

وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء، وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ وأثره في تصرفات الناس ما لا سبيل إلى إنكاره، ونورد هنا بعضًا مما قاله الشعراء مما يتصل بهذا الباب، وهو باب واسع جدًّا. قال رهين المحبسين:

لَا تَطْلُبَنَّ بِآلَةٍ لَكَ رُتْبَةً قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السِّمَاكَانِ السَّمَاءَ كِلَاهُمَا هَذَا لَهُ رُمْحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ

وقال:

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَا زَادَ وَالدُّنْيَا حُظُوظٌ وَإِقْبَالُ
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لَا تُكْرِي وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ

الجد هنا الحظ، والعم: الجماعة، وتكري: من أكرى الزاد إذا نقص، وافترى: كذب، والخال: المخيلة. ويقول أبو تمام:

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهْوَ جَاهِلُ وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ
وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَا إِذَنْ هَلَكَتْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ

(أكدى الرجل: خاب ولم يظفر بشيء، وأصله من حافر البئر ينتهي إلى كدية أي صخرة صلبة، فلم يمكنه الحفر فيتركه.) ويقول أبو إسحاق الصابي:

إِذَا جَمَّعَتْ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَفَقَّدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ
فَحَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقُ

وقال الإمام الشافعي:

لَوْ أَنْ بِالْحِيَلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي بِنُجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعَلُّقِي

لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَا حُرِمَ الْغِنَى ضِـدَّانِ مُـفْـتَـرِقَـانِ أَيَّ تَـفَـرُّقِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أَتَى مَـاءً لِـيَشْـرَبَـهُ فَـغَـاضَ فَـصَـدِّقِ
أَوْ أَنَّ مَـحْظُـوظًا غَدَا فِـي كَفِّهِ عُـودٌ فَـأَوْرَقَ فِـي يَـدَيْـهِ فَـحَـقِّقِ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بُؤْسُ اللَّبِيبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ

والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرزوق والمحروم المفهومين من قوله ويختلف الرزقان.

(٧٥) فأضحت أي قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتابعه جماعة من الشراح: إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدى بها من الجو فأسست هناك فشقت الكواكب والترب؛ يعني الذي ارتفع منها إلى الجو حواليها فكأنها مقلوبة أسها في السماء وأعلى حائطها إلى الأرض، وروى ابن جني من فوق؛ برفع القاف، وبدؤه؛ بالرفع أيضًا جعل فوق معرفة وبناه كقبل وبعد، وأراد فوقه فلما حذف الهاء بناه كقبل وبعد، ورفع بدؤه على الابتداء، قال الواحدي: على رواية ابن جني لا يستقيم لفظ البيت ولا معناه؛ لأنه — أي المتنبي — يقول: أضحت هذه القلعة — يعني مرعشًا — كأن سورها من فوق بدئه أي من أعلى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء، وشق التراب برسوخه في الأرض، وهو كقول السموأل:

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ

(٧٦) تصد: تعرض، والهوج: جمع هوجاء وهي الرياح الحمقاء التي تارة تأتي من هنا وتارة تأتي من هنا، وعنها: متعلق بتصد، ومخافة: مفعول من أجله، وأن تلقط: في موضع نصب على حذف حرف الجر؛ أي من أن تلقط، يقول: إن الرياح الهوج تعرض عنها مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها، وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن الارتقاء إليها والتقاط الحب من ذراها، وقال القاضي أبو الحسن الجرجاني: يريد أن الرياح لا تدنو منها خوفًا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجري عليها إذا هي التقطت الحب ما توجبه حال المتناول من دون إذن، وهذا المعنى منقول من قول حبيب:

فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارِبُهْ

وهو كقول الآخر:

وَكَانَتْ لَا تَطِيرُ الطَّيْرُ فِيهَا وَلَا يَسْرِي بِهَا لِلْجِنِّ سَارِي

(٧٧) تردى: من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بحوافرها، والجرد: القصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم، والصِّنَّبْر: السحاب البارد الريح في غيم وأيضًا اسم اليوم الثاني من أيام العجوز، قالوا وهي سبعة أيام، وأنشدوا لابن أحمر وقيل لابن شبل الأعرابي:

كُسِعَ الشِّتَاءُ بِسَبْعَةٍ غُبْر أَيَّام شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَمَضَتْ صِنٌّ وَصِنَّبْرٌ مَعَ الْوَبْرِ
وَبِآمِرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمُعَلِّلٍ وَبِمُطْفِئِ الْجَمْرِ
ذَهَبَ الشِّتَاءُ مُوَلِّيًا هَرَبًا وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النجْرِ

(الكسع: شدة المر، يقال: كسعه بكذا وكذا، إذا جعله تابعًا له ومذهبًا به، والشهلة: العجوز، والنجر: الحر، وكل شهر في صميم الحر ناجر للعطش الذي يسببه.)
يقال: إن عجوزًا كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم في يوم من هذه الأيام فقتله البرد، والعطب: القطن، والعطب مثله كعسر وعسر. قال الشاعر:

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِمِهِمْ مُوَضَّعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْعُطْبِ

يقول: خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة، وقد امتلأت طرقها بالثلج الذي كأنه قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه.
(٧٨) أن يعجب: فاعل كفى، وعجبًا: تمييز، وتبًا؛ أي خسرا وهلاكا. يقول: من العجب أن يعجب الناس ممن بنى هذه القلعة، وتبًا لآرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد إليه، فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد؟

(٧٩) يقول: وأي فرق بينه وبين غيره، وأية مزية يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره، أو كان ممن يستصعب الصعب؟ إنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم؛ لأنه لا يخشى شيئًا، ولا يتصعب عليه أمر مهما كان.

(٨٠) الصارم العضب: السيف القاطع، يقول: إن الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغًا لم يبلغه أحد.

(٨١) يقول: إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وينهزموا أمامه رحمة له وإشفاقًا، ولم يجلوا عن الشام محبة له ورغبًا، ولكنهم فعلوا ذلك فرقًا وفزعًا، وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة:

وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعَا

(٨٢) قوله: غير كريمة؛ حال؛ أي نفى هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة، كريم الثناء ... إلخ، والمراد نفي أصحابها، يقول: لم تتفرق عنه أعداؤه، ولا تركوا الشام حبًّا له، وإنما نفاهم عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم الثناء ما سبَّه أحد؛ لأنه لا يفعل ما يسب عليه ولا سب أحدًا لأدبه وكرمه، والثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في المدح، ويروى النثا وهو قريب من الثنا، وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أي نفاها منه رجل كريم الثنا ... إلخ.

(٨٣) قوله: وجيش؛ عطف على كريم الثنا، والطود: الجبل العظيم، والخريق: الريح الشديدة كأنها الإعصار، يقول: ونفاها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرته كأنه جبل آخر فصار به الجبل جبلين، وهذا معنى قوله: يثني كل طود، ثم قال: وهو مع هذه الكثرة والكثافة إذا لاقى عدوًا كان لشدته كأنه عاصف من الريح لقي غصنًا رطبًا فخسف به وحطمه، وعبارة الشراح أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين؛ لكثرته، له صلصلة تسمع كالريح الخريق إذا مرت بغصن رطب، قال الشاعر:

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طِوَالِ

وهذه العبارة من الغموض بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح ...

(٨٤) مغاره؛ أي إغارته، والعجاجة: الغبار، يقول: إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبدُ النجوم، فكأن النجوم خافت إغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى لا يراها، وقد أخذ هذا المعنى الجميل الحيص بيص فقال:

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ أَرْضِ رَبْعِهِ   دُخَـانُ قُـدُورٍ أَوْ عَـجَـاجَـةُ مِـصْـدَمِ

(رجل مصدم: محرب. من التصادم.)

(٨٥) يقول: إذا كان هناك من الملوك من يرضي اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمهما، ويعمل ما يقتضيانه فهذا يرضي المكارم بجوده وسخائه، ويرضي الله بجهاده في سبيله، وقال الشريف بن الشجري في أماليه: الإشارة في قوله: فهذا إلى الملك لا إلى الممدوح لأمرين؛ أحدهما: أنه لو أراد الممدوح لقال فأنت الذي ترضى؛ لأن الخطاب في مثل هذا أمدح، والآخر: أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له؛ لأن الإرضاء الأول مسند إلى الملك، فوجب أن يكون الإرضاء الثاني كذلك؛ لأن وجه الإشارة إليه أن قوله: ملكه؛ قد دل عليه كما توجهت الإشارة في الضمير إلى الصبر من قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ لدلالة صبر عليه، وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامي:

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ هُمُ   وَالْآخِذُونَ بِهِ والسَّاسَةُ الْأُوَلُ

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضي المكارم والإيمان؛ ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم، ولكن لما اضطرته القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن؛ لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله، وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(٨٦) مستعتبًا: مسترضيًا. قال الواحدي: لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجالة في طريقه؛ ليغتالوه، فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه، وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه، ونُمي ذلك إلى أبي العشائر؛ فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بباب سيف الدولة، وجاء رسوله إلى أبي الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه، فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه، وتقدمت فرسه الخيل، وعبرت قنطرة كانت بين يديه، واجترهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به، واستقلت الفرس،

وتباعد بهم؛ ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم، ثم كرَّ عليهم بعد أن فني النشاب فضرب أحدهم فقطع الوتر وبعض القوس، وأسرع السيف إلى ذراعه؛ فوقفوا عنه، واشتغلوا بالمضروب، فسار وتركهم، فلما يئسوا منه قال له أحدهم في آخر الليلة: نحن غلمان أبي العشائر، ولذلك قال: ومنتسبٍ عندي إلى من أحبُّه ... ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفيًا فأقام عند صديق له، والمراسلة بينه وبين سيف الدولة، وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به، وعند ذلك قال هذه الأبيات، وجاء في الصبح المنبي ما يأتي: قال أبو فراس الحمداني يومًا لسيف الدولة: إن هذا المتشدق — يعني المتنبي — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد، ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرًا يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه، وكان المتنبي غائبًا، وبلغته القصة، ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده:

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا

الأبيات. قال: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته، فخرج المتنبي من عنده متغيرًا، وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي، وانقطع أبو الطيب بعد ذلك، ونظم القصيدة التي أولها:

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ

ثم جاء وأنشدها، وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله:

مَا لِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ

إلى أن قال:

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة؛ لشدة إدلاله، وإعراض سيف الدولة عنه، فلما وصل في إنشاده إلى قوله:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي   فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ

قال أبو فراس: قد مسخت قول دعبل وادعيته، وهو:

وَلَسْتُ أَرْجُو انْتِصَافًا مِنْكَ مَا ذَرفَتْ   عَيْنِي دُمُوعًا وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ

فقال المتنبي:

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً   أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

فعلم أبو فراس أنه يعنيه، فقال: ومن أنت يا دعي كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير في مجلسه؟ فاستمر المتنبي في إنشاده، ولم يرد عليه إلى أن قال:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا   بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي   وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

فزاد ذلك أبا فراس غيظًا، وقال: قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول:

أَوْضَحْت مِنْ طُرُقِ الآدَابِ مَا اشْتَكَلَتْ   دَهْرًا وَأَظْهَرْت إِغْرَابًا وَإِبْدَاعَا
حَتَّى فَتَحْت بِإِعْجَازٍ خصصت بِهِ   لِلْعُمْي وَالصُّمِّ أَبْصَارًا وَأَسْمَاعَا

ولما انتهى إلى قوله:

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي   وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

قال أبو فراس: وماذا أبقيت للأمير إذا وصفت نفسك بكل هذا؟ تمدح الأمير بما سرقته من كلام غيرك، وتأخذ جوائز الأمير؟ أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العربان العثماني:

أَعَـاذِلَـتِـي كَـمْ مَـهْـمَـهٍ قَـدْ قَـطَـعْـتُـهُ   أَلَـيـفَ وُحُـوشٍ سَـاكِـنًـا غَـيْـرَ هَـائِـبِ
أَنَا ابْنُ الْفَلَا وَالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَالسُّرَى   وَجَـرْدِ الْـمَـذَاكِـي وَالْـقَـنَـا وَالْـقَـوَاضِـبِ
حَـلِـيـمٌ وَقُـورٌ فِـي الْـبِـلَادِ وَهَـيْـبَـتِـي   لَهَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَطْشُ الْكَتَائِبِ

فقال المتنبي:

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ   إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ

فقال أبو فراس: وهذا سرقته من قول معقل العجلي:

إِذَا لَمْ أُمَيِّزْ بَيْنَ نُورٍ وَظُلْمَةٍ   بِعَيْنَيَّ فَالْعَيْنَانِ زُورٌ وَبَاطِلُ

ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة المكي:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْرِكْ بِعَيْنَيْهِ مَا يَرَى   فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْعُمْيِ وَالْبُصَرَاءِ

وضجر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة، وكثرة دعاويه فيها؛ فضربه بالدواة التي بين يديه، فقال المتنبي في الحال:

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا   فَمَـا لِـجُـرْحٍ إِذَا أَرْضَـاكُـمُ أَلَـمُ

قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار:

إِذَا رَضِـيـتُـمْ بِـأَنْ نَـجْـفَـى وَسَـرَّكُـمُ   قَوْلُ الْوُشَاةِ فَلَا شَكْوَى وَلَا ضَجَرُ

ومثله قول ابن الرومي:

إِذَا مَا الْفَجَائِعُ أَكْسَبْنَنِي   رِضَاكَ فَمَا الدَّهْرُ بِالْفَاجِعِ

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس، وأعجبه بيت المتنبي، ورضي عنه في الحال، وأدناه إليه، وقبل رأسه، وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى، فقال المتنبي:

جَاءَتْ دَنَانِيرُكَ مَخْتُومَةً　　عَاجِلَةً أَلْفًا عَلَى أَلْفِ
أشبهها فِعْلكَ فِي فَيْلَقٍ　　قَلَبْتَهُ صَفًّا عَلَى صَفِّ

(٨٧) فداه الورى: دعاء، وعاتبًا: حال، وأمضى السيوف: خبر مبتدإ محذوف؛ أي هو أمضى السيوف مضاربًا، أو تقول: إنه منصوب على المدح، ومضاربًا: تمييز، ومضارب السيوف: حدودها. يقول: ما لسيف الدولة غضبان؟ أي لم غضب؟ وما سبب غضبه؟ فلست أعرف لي ذنبًا يوجب ذلك، ثم دعا له، ثم قال: لا سيف أمضى منه مضربًا.

(٨٨) التنائف: جمع تنوفة وهي المفازة، والسباسب جمع سبسب وهي الفلاة القفر. يقول: ما لي إذا اشتقت إليه أبصرت بيني وبينه فلوات بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه؟

(٨٩) أراد بالسماء مجلسه، جعله كالسماء رفعة له، وجعله كالبدر، ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكواكب. وعبارة الخطيب التبريزي: شبه مجلسه بالسماء، وجعله بدرًا وحوله كواكب، فهو كقوله أيضًا:

أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ　　وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالَا

(٩٠) حنانيك: كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان، أي تحننا بعد تحنن، ومثلها لبيك من لب به إذا لزمه، وحسبي وحسبك: خبران مبتدآهما محذوفان؛ أي وأنت حسبي وأنا حسبك، والمنصوبات كلها على الحال، وقيل: على التمييز. يقول: تحنن علي تحننا بعد تحنن إذا كنت مسئولًا، ولك الإجابة إذا كنت داعيًا، وكفى بي موهوبًا؛ أي إنني أشكر من يهبني، وأشيد بذكره، وكفى بك واهبًا؛ أي إنك أشرف الواهبين، ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك.

(٩١) قال الواحدي؛ أي إن كنت صادقًا في مديحك فليس ما تعاملني به جزاء لصدقي، وإن كنت كاذبًا فليس هذا جزاء الكاذبين؛ لأني إن كذبت فقد تجملت لك في القول، فتجمل لي أنت أيضًا في المعاملة.

(٩٢) يقول: إن كان ذنبي ذنبًا ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو، وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له.»

(٩٣) الذي صح عن المتنبي: وخاضبيه — على التثنية — وهو عطف على ما؛ أي وأحسن خاضبيه، والنجيع: الدم. يقول: إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما

الدم، وهناك خاضبان الصناعة والغضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا بصناعة الصيقل، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب، وروي: وخاضِبِيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب، قال ابن جني: وخاضبيه عطف على ما، وجمع الخاضبين جمع تصحيح؛ لأنه أراد من يعقل وما لا يعقل كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ الآية. كأنه خلط الجميع، وكنى عنهم بما يكنى به عمن يعقل، وذكر الغضب مجازًا وأراد صاحبه، وقال ابن فورجه: خفض خاضبيه على القسم أي وحق خاضبيه، وجعل الغضب خضابًا للحديد؛ لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع، وحسن ذلك؛ لأن الغضب يحمر منه الإنسان، وهذا كقولك أحسن ما يخضب الخدود الحمرة والخجل؛ لأن الخجل يصبغ الخد أحمر، فلما كانت الحمرة تابعة للخجل جمعهما تأكيدًا، كذلك لما كان النجيع تابعًا للغضب جمعهما وهو يريد للدم وحده، ويكون الغضب تأكيدًا للنجيع؛ أتى به للقافية.

(٩٤) شانه: عابه، والنضار: الذهب، يقول: لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إحمائه — ذهبت سقايته أي ماؤه.

(٩٥) أرابه: أفزعه وأوقع به شيئًا يشك في عاقبته؛ أخيرًا يكون أم شرًا؟ يقول: هل يدري هذا الدمل أي الناس قد أقلق؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام، ثم قال متعجبًا: وهل ترقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك؟ جعله كالفلك لعلو قدره ورفعة شأنه.

(٩٦) الضمير في أقلها يعود إلى كل داء: كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أو تقول: إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى؛ أي أقل الأدواء يقول: إن جسمك لا ينبغي أن تنال منه الأدواء، فمن العجب أن يقربك أقل الأدواء، وجعل للأدواء همة مجازًا.

(٩٧) التجميش: شبه المغازلة والملاعبة بين الحبيبين؛ قال أبو العباس ثعلب: قيل للمغازلة تجميش من الجمش وهو الكلام الخفي، وقيل من الجمش الذي هو ضرب من الحلب؛ لجمشها بأطراف الأصابع، والمقة: المحبة، وأصلها ومق. يقول: إن الذي ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لحبه إياك وتعلقه بك؛ لأنك جماله وأمثل أهله، وقد يكون الحب سببًا لإيذاء المحبوب.

(٩٨) يقول: أنت طبيب الدنيا الذي تشفي أدواءها؛ فتقوم المعوج، وتطرد الظلم والعيث والفساد، فكيف تعلك وأنت طبيبها؟

(٩٩) يقول: وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى؟

(١٠٠) مقام: مصدر ميمي بمعنى الإقامة، يفتح ويضم، وصبيب: مصبوب، ويقال: ماء صبيب وصب كما تقول: ماء سكب وماء غور، قال دكين بن رجاء:

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءٍ صَبِّ　　　مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرِّبِّ

(الذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان، والكحيل: النفط الذي تطلى به الإبل الجرباء، ورب السمن والزيت: ثفله الأسود، وعقيده: ما غلظ منه.)

والحشايا: جمع حشية معدولة عن المحشوة وهي الفرش المحشوة. يقول: لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء، ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا في ممارسة الحروب، ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها، ومن أجل ذلك تمل الإقامة يومًا واحدًا لا تخرج فيه للغزو، ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب.

(١٠١) مقام: مصدر ميمي بمعنى الإقامة، يفتح ويضم، وصبيب: مصبوب، ويقال: ماء صبيب وصب كما تقول: ماء سكب وماء غور، قال دكين بن رجاء:

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءٍ صَبِّ　　　مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرِّبِّ

(الذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان، والكحيل: النفط الذي تطلى به الإبل الجرباء، ورب السمن والزيت: ثفله الأسود، وعقيده: ما غلظ منه.)

والحشايا: جمع حشية معدولة عن المحشوة وهي الفرش المحشوة. يقول: لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء، ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا في ممارسة الحروب، ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها، ومن أجل ذلك تمل الإقامة يومًا واحدًا لا تخرج فيه للغزو، ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب.

(١٠٢) الضمير في تراها للخيل وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها؛ والعثير: مثال درهم الغبار، والجنيب: الذي تقوده إلى جنبك، يقول: ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقاة العدو بخيل يتبع الغبار قوائمها كأنه جنيب تقوده؛ أي إنك انقطعت عن ذلك فنال منك حبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه.

(١٠٣) مجلحة: حال ثانية للخيل، والحال الأولى جملة وعثيرها لأرجلها جنيب، ومجلحة مصممة ماضية شديدة الأقدام، ويُروى محجلة، وعلى هاتين الروايتين يكون

لها خبرًا مقدمًا عما بعده. وروى الخوارزمي: محللة؛ أي قد أحلت لها أرض العدو فهي تطؤها. والسمر: الرماح، والمناحر: جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق، والجنوب: جمع جنب وهو ما يلي الإبط إلى الكشح. يقول: وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال، وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعادي تطؤها وتجتاحها وأحلت للرماح حناجرهم وجنوبهم تنفذ فيها.

(١٠٤) الأعنة: جمع عنان سير اللجام، وقرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله في قذاله للحضر (القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس، والحضر: الجري) فيصير لأذنه بمنزلة القرط، يقول: أرخ لها الأعنة؛ لترجع إلى بلاد الأعادي، فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها.

(١٠٥) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير، وذا: اسم إشارة، وهفا: زل، والضريب: النظير، وبقراط: الطبيب اليوناني المشهور. يقول: أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاءه، وأنه لو قعد عنها يومًا ضجر ومرض — أهذا داء معضل لم يهتدِ إليه بقراط، وليس لصاحبه نظير؛ لأنه لا يُعرف أحد يمرض لترك الحرب، ويروى: إذا داء، على أن إذا أداة شرط وداء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده؛ أي إذا خفي داء أو إذا أعضل داء ونحو ذلك. وقوله: فلم يعرف؛ جواب إذا، والفاء زائدة على مذهب البصريين، فيكون الفعل بعدها مستقبلًا. يقول: الداء الذي لم يذكره بقراط لا نظير لصاحبه بين الناس؛ لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء، ويروى: أَذَا داءٍ — بجر داء — على أن الهمزة للنداء وذا بمعنى صاحب؛ أي يا صاحب الداء الذي هذه صفته.

(١٠٦) الوُضاء بضم الواو وتشديد الضاد: الشديد الوضاءة؛ أي الحسن من صيغ المبالغة كحسان وكبار، يقول: إنه ينظر منه إلى شمس لا تغيب؛ لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس.

(١٠٧) أن يشحوا أي في أن يشحوا؛ أي إني أعذر الحساد في شحهم؛ أي بخلهم بالنظر إليه.

(١٠٨) يقول: إن القلوب تحسد العيون على نظر الممدوح، فإذا حسده على ذلك أحد فهو معذور.

(١٠٩) راعيًا وصارمًا: منصوبان على التمييز، وأصل العبث اللعب، ويقال: عبث به إذا ابتذله واستباح حرمته، والصارم: السيف القاطع، والضراب: بمعنى المضاربة؛

شبهه بالراعي وشبه هؤلاء الثائرين بالذئاب. يقول: إن الذئاب تعبث بغيرك في حال رعيه وسياسته، وبثلم الضراب غيرك في حال قطعه: أي إذا كنت أنت الراعي لم تعبث الذئاب بسوامك، وإذا كنت أنت الصارم لم يثلمك الضرب، والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيتك لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفًا منك.

(١١٠) طرًّا أي جميعًا نصب على الحال. يقول: أنت تملك أنفس الإنس والجن جميعًا فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بني كلاب — أن تملك أنفسها؟

(١١١) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله، ويعاف: يمقت ويتحاشى، والورد: ورود الماء، والواو في قوله والموت الشراب: للحال، يعتذر لهم يقول: إنما تركوك وانهزموا حين طلبتهم خوفًا منك لا عصيانًا، وتمردوا عليك؛ لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك.

(١١٢) يقول: تتبعت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء.

(١١٣) خب الفرس: أسرع، وقيل: الخبب أن ينقل الفرس أيامنه جميعًا وأياسره جميعًا، وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير، والمسومة: الخيل المعلمة بعلامات تعرف بها. وقال أبو زيد في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: الخيل المسومة، المرسلة وعليها ركبانها وهو من قولك سومت فلانًا إذا خليته وسومه، أي وما يريد، والعراب: العربية. يقول: تعدو بك الخيل العربية المعلمة في طلبهم لا تعرف النوم.

(١١٤) العقاب: طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوي المخالب له منقار أعقف. شبهه — وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير — بعقاب تهز جناحيها وتحركهما لدى طيرانها.

(١١٥) الفلوات: الصحاري، جعل طلبه إياهم في الفلوات كالسؤال عنهم، وجعل الظفر بهم كالجواب، وليس ثم سؤال ولا جواب، وإنها لاستعارة رائعة، يقول: ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها.

(١١٦) ندى كفيك: فاعل قاتل، والواو من وفَرُّوا للحال؛ أي والحال أنهم قد فروا، وأصل الحريم ما يحميه الرجل ويذود عنه، والمراد هنا النساء، والقراب: القريب، يقول: إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم، فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحريم، وحلت دون سبيه وصنته فكأن جود كفيك والنسب القريب الذي بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم.

(١١٧) يقول: وقاتل عنهم حفظك فيهم سلفي معد — يريد ربيعة ومضر؛ لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تغلب، وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قيس، وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرك وأنهم أصحابك.

(١١٨) تكفكف: تكف، والصم: الصلاب، والعوالي: صدور الرماح، وشرقت: غصت، والظعن: جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج، ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وإن لم تكن في هودج، والشعاب: جمع شعب وهو الطريق في الجبل، يقول: إنك تكف عنهم الرماح إشفاقًا عليهم، وقد فروا وغصت بظعائنهم شعاب الجبال.

(١١٩) الأجنة: جمع جنين وهو الولد في بطن أمه، والولايا: جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سِنام البعير، أو كساء يجعل تحت البرذعة، وقيل: كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية، وأجهضت: أسقطت، والحوائل: جمع حائل؛ الأنثى من أولاد الإبل، والسقاب: جمع سقب الذكر منها. يقول: لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع؛ أي على ظهور الإبل، وأسقطت نوقهم أولادها ذكورًا وإناثًا.

(١٢٠) عمرو قبيلة منهم ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورًا، وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابًا. يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمرو عمورًا وكذلك كعبًا، وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك:

رَأَيْتُ الشِّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنَ الشَّنَآنِ قَدْ صَارُوا كِعَابَا

(يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأي منهم قبيلًا على حدته، فلذلك قال: صاروا كعابا.)

(١٢١) هؤلاء بطون بني كلاب، وأنث أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة. يقول: إنهم لما انهزموا خذل بعضهم بعضًا؛ لتشاغلهم بأرواحهم.

(١٢٢) قال ابن جني: التخاذل التأخر، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان؛ أي لما سرت وراءهم تأخرت رءوسهم؛ لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرعت، واستبعد العروضي هذا المعنى قال: تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف فيقطعها ويفصل بينهما فتتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه، وقال الواحدي: الذي أراه غير هذا، يقول: إن الرءوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفًا منك فلا يبقى بينهما تعاون، وهذا المعنى أراده الخوارزمي، فقال:

وَكُنْتُ إِذَا نَهَدْتُ لِغَزْوِ قَوْمٍ وَأَوْجَبَتِ السِّيَاسَةُ أَنْ يَبِيدُوا
تَبَرَّأَتِ الْحَيَاةُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ وَجَاءَ إِلَيْكَ يَعْتَذِرُ الْحَدِيدُ
وَطَلَّقَتِ الْجَمَاجِمُ كَلَّ فَخْذٍ وَأَنْكَرَ صُحْبَةَ الْعُنُقِ الْوَرِيدُ

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر؛ لشدة خوفها من سيفك، وكذلك عند العكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبغ الفرار بنفسه ويترك الآخر.

(١٢٣) الملاب: ضرب من الطيب، فارسي معرب، قال الجوهري: كالخلوق، قال جرير يهجو نساء بني تميم:

وَلَوْ وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى تِبْرَاكَ أَخْبَثْنَ التُّرَابَا
تَطَلَّى وَهْيَ سَيِّئَةُ الْمُعَرَّى بِضَنِّ الْوَبْرِ تَحْسَبُهُ مَلَابَا

(تبراك: ماء لبني العنبر، والصن بالكسر: بول الوبر يخثر للأدوية وهو منتن جدًّا.)

يقول: لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أماكنهن مكرمات مصونات من الابتذال، عليهن قلائدهن وطيبهن لم يضع منهن شيء، فالضمير في عدن وما بعده يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادًا على ما ذكر في البيت: فقاتل عن حريمهم وفروا ... البيت.

(١٢٤) أثابه: كافأه، وأوليت: أنعمت، يقول: إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان، ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ.

(١٢٥) يقول: ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أي عيب؛ لأنهن بإكرامك إياهن كأنهن عند أهليهن وأزواجهن.

(١٢٦) الغرة: الوجه، يقول: لا غربة عليهن إذا رأينك؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن.

(١٢٧) البأس: الشدة، والمصاب: مصدر ميمي بمعنى الإصابة. يقول: لا يتم فيهم بأسك وشدتك؛ لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك، فبإصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك، وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرًا: قال قيس بن زهير العبسي:

فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

وقال الحماسي — الحارث بن وعلة الجرمي:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
وَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي

(أميم: مرخم أميمة، وهو منادى، وأخي: مفعول قتلوا.)
وقال العديل:

وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ أَوْ جَفَوْتُهُمْ لَتَأْلَمُ مِمَّا عَلَّ أَكْبَادَهُمْ كَبِدِي

وقال النميري:

فَإِنَّكَ — حِينَ تَبْلُغُهُمْ أَذَاةً وَإِنْ ظَلَمُوا — لَمُحْتَرِقُ الضَّمِيرِ

(١٢٨) يقول: ارفق بهم وإن جنوا، فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتابًا؛ لأن الصفح عن الجاني يجعله عبدًا لك:

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ

(١٢٩) الخطأ والخطاء ضد الصواب، تقول: أخطأ يخطئ إذا سلك سبيل الخطأ، أما الخطأ بكسر الخاء فهو الذنب؛ تقول خطأ يخطأ خطأ وخطأة كفعلة، والاسم الخطيئة كفعيلة، ولك أن تشدد الياء؛ لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق، ولا هما من نفس الكلمة؛ فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوًا وبعد الياء ياء وتدغم، وتقول في مقروء مقروٌّ، وفي خبيء خبيٌّ بتشديد الواو والياء، وجمع الخطيئة خطايا، وكأن الأصل خطائئ بهمزتين على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء؛ لأن قبلها كسرة واستثقلت، والجمع ثقيل، وهو مع ذلك معتل، فقلبت الياء ألفًا، ثم قلبت الهمزة الأولى ياء؛ لخفائها بين الألفين، وقال أبو عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنى واحد، وهما لغتان؛ قال امرؤ القيس:

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلَاحِلَا

(خطئن أي أخطأن، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حجر شيئًا، فخلف عليها امرأ القيس، وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل، وكاهل بطن من بني أسد، والحُلاحِل السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة.)

وقال غيره: المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمد لما لا ينبغي، وتخاطأه وتخطأه أي أخطأه؛ قال أوفى بن مطر المازني:

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي جَابِرًا بِأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلِ
تَخَطَّأَتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ

(الخلة: الصديق، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء.)

يقول: إن كانوا مخطئين فليسوا أول من أذنب، وقد تابوا والتوبة تجب «تقطع» ما قبلها، وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك؛ يعتذر عنهم إلى سيف الدولة.

(١٣٠) الخطأ والخطاء ضد الصواب، تقول: أخطأ يخطئ إذا سلك سبيل الخطأ، أما الخطأ بكسر الخاء فهو الذنب؛ تقول خطأ يخطأ خطأ وخطأة كفعلة، والاسم الخطيئة كفعيلة، ولك أن تشدد الياء؛ لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق، ولا هما من نفس الكلمة؛ فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوًا وبعد الياء ياء وتدغم، وتقول في مقروء مقروٌّ، وفي خبيء خبيٌّ بتشديد الواو والياء، وجمع الخطيئة خطايا، وكأن الأصل خطائئ بهمزتين على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء؛ لأن قبلها كسرة واستثقلت، والجمع ثقيل، وهو مع ذلك معتل، فقلبت الياء ألفًا، ثم قلبت الهمزة الأولى ياء؛ لخفائها بين الألفين، وقال أبو عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنى واحد، وهما لغتان؛ قال امرؤ القيس:

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلَاحِلَا

(خطئن أي أخطأن، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حجر شيئًا، فخلف عليها امرأ

القيس، وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل، وكاهل بطن من بني أسد، والحُلاحِل السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة.)

وقال غيره: المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمد لما لا ينبغي، وتخاطأه وتخطأه أي أخطأه؛ قال أوفى بن مطر المازني:

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي جَابِرًا   بِأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلِ

تَخَطَّأَتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ   وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ

(الخلة: الصديق، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء.)

يقول: إن كانوا مخطئين فليسوا أول من أذنب، وقد تابوا والتوبة تجب «تقطع» ما قبلها، وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك؛ يعتذر عنهم إلى سيف الدولة.

(١٣١) يقول: أنت الذي بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة، ولا عقاب أكثر من هجر الحياة.

(١٣٢) أياديك: نعمك، والبوادي: خلاف المدن؛ يريد أهل البوادي، والبوادي: فاعل جهلت، وأياديك مفعوله، وقال العكبري: سألت شيخنا أبا محمد عبد المنعم النحوي عند قراءتي عليه عن هذا البيت، وقلت له: يجوز أن يكون البوادي نعتًا للأيادي والبوادي في نصف البيت، فكأنه عنى الوقف وهو موضع وقف، كقولك أجبت الداعي، وقد يوقف على قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ بالسكون، ويكون فاعل جهلت مضمرًا فيها. فقال لي: أنت مقرئ وقد قست، ومع هذا أنت حفي (لعله يريد الحفي بمعنى المستقصي في السؤال) فصوب ما قلت، ويكون البوادي على هذا: السابقات التي بدت إليهم. يقول: إنهم لم يجهلوا بعصيانك سوابق نعمك، ولكن قد يخفى الصواب على المرء فيأتي غيره.

(١٣٣) يقول: قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالًا، وقد يكون البعد سببه القرب. يعتذر عنهم؛ أي إنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنبًا وجناية منهم.

(١٣٤) الجرم: الذنب، والسفه: خفة الحلم أو نقيضه، يقول: وكم جرم جناه سفيه فنزل العذاب بغيره؟ وهذا المعنى قد طرقه الشعراء كثيرًا قال:

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا رِجَالٌ   وَيَصْلَى حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ

وقال:

جَنَى ابْنُ عَمِّكَ ذَنْبًا فَابْتُلِيتَ بِهِ   إِنَّ الْفَتَى بِابْنِ عَمِّ السُّوءِ مَأْخُوذُ

وقال النابغة:

وَحَمَّلْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ   كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

(العر: قروح مثل القوباء، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر، فتكوى الصحاح؛ لئلا تعديها المراض.) وقال البحتري:

نَصُدُّ حَيَاءً أَنْ نَرَاكَ بِأَعْيُنٍ   جَنَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلِيمَ مُطِيعُهَا

وأروع الجميع — ولله المثل الأعلى — قوله — جل شأنه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾.

(١٣٥) علي: اسم سيف الدولة. يقول: إن خافره بسبب جربهم فإنه يرجى العفو عنده كما يهاب؛ لأنه جواد مهيب.

(١٣٦) يقول: إن يك سيف الدولة من تغلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم؛ لأن جلودهم نبتت بإحسانهم إليهم، واكتست بما خلع عليهم من ثياب.

(١٣٧) الرباب: غيم يضرب إلى السواد؛ يرى كأنه دون السحاب. قال عبد الرحمن بن حسان:

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ   نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ

وأثوا: تقووا وكثروا، من أث النبات: كثر والتف، وهو أثيث، ويقال كذلك شعر أثيث، وامرأة أثيثة: كثيرة اللحم، ونسوة أثائث، قال رؤبة:

وَمِنْ هَوَايَ الرُّجُحُ الْأَثَائِثُ   تُمِيلُهَا أَعْجَازُهَا الْأَوَاعِثُ

الرجح: جمع رجاح، وهي الثقيلة العجيزة، والأواعث: اللينات؛ فكأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها.

يقول: إنهم نشئُوا في نعمته وقووا وعزوا بإحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب، فاستعار السحاب للإحسان، والنبات للمحسن إليه.

(١٣٨) يقول: بانتسابهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم، وانقاد لهم من العرب من لا ينقاد لأحد.

(١٣٩) قال الواحدي: يذكر قوتهم وشوكتهم، وأن غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم، وكنى بالشموس عن النساء، وبالضباب عن المحاماة دونهم؛ لأن الضباب يستر الشمس، ويحول دون النظر إليها. قال: ويجوز أن يكون هذا مثلًا معناه لو غزاهم غيره؛ لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم؛ أي إنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم؛ فجعل الضباب مثلًا للرعاع، والشموس مثلًا للسادة، وقال ابن الإفليلي: يريد شموس كل يوم يقاتلهم فيه.

(١٤٠) ولاقى: عطف على ثناه، والثاي: جمع ثاية؛ كآي وآية، وهي حجارة تجعل حول البيت يأوي إليها الراعي ليلًا، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم. يقول: لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شموسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حربًا يكثر فيها القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلبًا للحوم القتلى، فكيف له بالوصول إلى استباحة حريمهم؟ وقد تورك بعضهم على المتنبي أن الذئب لا يأكل إلا ما افترسه، بخلاف الضبع والكلب، وأنشد في ذلك:

وَلِكُلِّ سَيِّدِ مَعْشَرٍ فِي قَوْمِهِ دُعَرٌ يُدَنِّسُ عِرْضَهُ وَيَعِيبُ
لَوْلَا سِوَاهُ تَجَزَّرَتْ أَوْصَالُهُ عُرجُ الضِّبَاعِ وَصُدَّ عَنْهُ الذِّيبُ

«الدعر: الخائن الذي يعيب أصحابه.»

(١٤١) وخيلًا: عطف على طعانًا، والموامي: جمع موماة، وهي المفازة، يقول: وكان يلاقي خيلًا تعودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب؛ لأنها عراب مضمرة معودة قلة العلف والماء.

(١٤٢) رب كل شيء: مالكه، ويقال أسرى إذا سار ليلًا، وسرى إذا سار نهارًا، وقيل: هما لغتان تستعملان بمعنى واحد. يقول: إنك سرت إليهم فما نفعهم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع، ولا الذهاب للهرب؛ لأنهم إن وقفوا قتلوا، وإن هربوا أدركوا.

(١٤٣) الركاب: الإبل. يقول: ولم ينفعهم ليل يستترون تحته، ولا نهار يكاشفونك فيه، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب، فهم لهيبتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينجُ بهم شيء من ذلك.

(١٤٤) العباب: معظم الماء وكثرته، جعل جيشه بحرًا من حديد؛ لكثرة لابسي الحديد فيه. ثم جعلهم يموجون خلفهم في سيرهم، فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم.

(١٤٥) يقول: طرقهم ليلًا وهم يفترشون الحرير آمنون فبيتهم وقتلهم حتى جدلوا على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير، وقال المعري: يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئًا يقعدون عليه سوى التراب.

(١٤٦) يقول: وصار الرجال كالنساء، ذلًا واستخذاء وانقيادا.

(١٤٧) بنو: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هم بنو قتلى أبيك، ومن أبقى: عطف عليه، وفاعل أبقى: ضمير يعود على أبيك؛ يشير إلى ما كان من أبي الهيجاء والد سيف الدولة مع بني كلاب، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وفتك بهم، فهؤلاء هم أبناء أولئك وبقيتهم.

(١٤٨) السخاب: قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان، وجمعها سخب، يقول: إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فعاشوا عتقاء سيفه.

(١٤٩) يقول: كلاكما فعل فعل أبيه، فهم تقيلوا آباءهم في التمرد والعصيان، وأنت أخذت أخذ أبيك في العفو والغفران؛ ففعلهم حين عصوك عجيب، إذ لم يعتبروا بآبائهم، وفعلك أيضًا عجيب إذ صفحت عنهم وأبقيت على باقيهم، وأتى مأتى فلان أي فعل فعله وأخذ أخذه، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر، يُقال: فلان كريم الفعال، وفلان لئيم الفعال، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل.

(١٥٠) يقول: مثل هذا الفعل فليفعل من يطلب الأعادي، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذي سرت حتى بلغت مرادك، فقوله كذا في موضع نصب بقوله فليسر، والفاء إنما تعطف أو تكون جوابًا، فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليعلموا أن الخبر وضع في غير موضعه، وبعض الكوفيين تأول أخاك فاضرب؛ أنه منصوب بفعل مضمر تقديره اقصد أخاك فاضرب، وهذا يحسن في المفعول، وأما في الخبر فيبعد، وقوله: مثل سراك؛ نصب لأنه خبر فليكن.

(١٥١) نصب كناية على المصدر، كأنه قال كنيت كناية، يقول: يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبي الهيجاء، وهو المراد بأشرف النسب، فكنى عن ذلك، يريد أن نسبها من

أشرف الأنساب، فإذا كنيت بهما عرفت لأنهما خير الناس، فإذا قلت يا أخت خير أخ ويا بنت خير أب عرفت.

(١٥٢) مؤبنة: حال من الياء في تسمي؛ أي حال كونك مؤبنة؛ أي مرثية من التأبين، وهو الثناء على الميت، يقول: أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك يعرفك بما فيك من المحاسن والمحامد التي ليست في غيرك، وهذا يغني عن تسميتك، كما قال أبو نواس:

فَهْيَ إِذَا سُمِّيَتْ لَقَدْ وُصِفَتْ فَيَجْمَعُ الِاسْمَ مَعْنَيَيْنِ مَعَا

(١٥٣) الطرب: صفة من الطرب، وهو خفة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن والهم، قال النابغة الجعدي في الهم:

سَأَلَتْنِي أَمَتِي عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا عَيي ذُو اللُّبِّ سَأَلْ
سَأَلَتْنِي عَنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ
وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِثْرِهِمْ طَرَبَ الْوَالِهِ أَوْ كَالْمُخْتَبَلْ

الواله: الثاكل، والمختبل: الذي اختبل عقله؛ أي جن.

يقول المتنبي: من استخفه الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما؛ لأنهما إذ ذاك يكونان في قبضة الطرب أي الحزن، يصرفهما كما يشاء.

(١٥٤) اللجب: الضجيج واختلاط الأصوات، وجيش لجب عرمرم؛ أي ذو جلبة وكثرة، وبحر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه، وأصله كل صوت عال، يقول: غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تفني به العدد الكثير، وتهلك الجيوش، وتسكت ضجيجهم، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حقك أن ترعى ذمته ولا تفجعه بأخته، وقيل معنى البيت: أنه مات بموتها خلق كثير، وسكت لجبهم وترددهم في خدمتها، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها، فكأنهم ماتوا. قال الواحدي: وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأضمر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلكوا بهلاكه. هذا معنى: كم أفنيت من عدد، وهذا كقول القائل:

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وكقول ابن المقفع:

وَأَنْتَ تَمُوتُ وَحْدَكَ لَيْسَ يَدْرِي بِمَوْتِكَ لَا الصَّغِيرُ وَلَا الْكَبِيرُ
وَتَقْتُلُنِي فَتَقْتُلُ بِي كَرِيمًا يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ

(١٥٥) يقول: وكم صحبت أخاها يا موت في غزواته، وطلبت إليه أن يمكنك من إهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك، ومكنك بسيفه ممن أردت؟ وهذا كقوله الآتي في قافية اللام:

شَرِيكُ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يَمُتْهُ غُلُولُ

(١٥٦) الجزيرة: ما بين دجلة والفرات، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءني، يقول: لما جاءني هذا النعي، وطوى الجزيرة حتى ورد علي في الكوفة رجوت أن يكون كذبًا، وتعللت بهذا الرجاء.

(١٥٧) يقول: حتى إذا صح الخبر ولم يبقَ رجاء في أن يكون كذبًا غصصت بالدمع؛ لغلبة البكاء، وكثرة الدموع، حتى كاد الدمع يشرق بي؛ أي حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذي يغص به في القلة، والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه، ومحصل المعنى: كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي.

(١٥٨) لم يلحق الباء في به بالهاء، واكتفى بالكسرة ضرورة، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لغة تميم — والبريد: كلمة فارسية أصلها بريده دم؛ أي محذوف الذنب؛ لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، ثم سمي الرسول الذي يركب دواب البريد بريدًا، يقول: لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة في الأفواه، وتعثرت الرسل الحاملة له في الطرق، ورجفت أيدي الكتاب في كتابته.

(١٥٩) فعلة: كناية عن اسم المرثية، وهو خولة، يقول: مضت فكأنها لم تكن تلك التي ملأت جيوشها ديار بكر، والتي كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها.

(١٦٠) بالويل: متعلق بداعيًا، وتولية؛ أي ذهاب وإدبار؛ مصدر ولي، والويل: الهلاك، والحرب: ذهاب المال، حرب الرجل: سلب ماله، والداعي بالويل والحرب الذي يصيح: وا ويلاه، وا حرباه. يقول: ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالإغاثة والإجارة والبذل، وتغيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب.

(١٦١) يقول: طال ليل أهل العراق مذ أتاهم نعيها حزنًا عليها، فكيف ليل أخيها سيف الدولة في حلب؟ قال العكبري: ليس لهذا البيت معنى طائل، وفيه سماجة …

(١٦٢) أراد: أيظن، فحذف حرف الاستفهام، والضمير لسيف الدولة، ويروى بالتاء على الخطاب. يقول: أتظن أني غير حزين.

(١٦٣) بلى: حرف جواب تختص بالنفي، وتفيد إبطاله سواء كان مجردًا أم مقرونًا بالاستفهام. يقول: بلى فؤادي ملتهب ودمعي منسكب بحق حرمة من كانت تراعي حرمة هذه الأمور، فقوله: وحرمة ... إلخ: قسم.

(١٦٤) ومن مضت: عطف على من كانت — في البيت السابق — والخلائق: جمع خليقة بمعنى الخلق، والنشب: المال. يقول: وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها؛ لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثًا.

(١٦٥) أترابها: لداتها ونظيراتها في العمر: جمع ترب — بكسر التاء — للمذكر والمؤنث. يقول: همها منذ صباها منصب في العلا وتدبير الملك بينما أقرانها همهن في اللهو واللعب، وهذا من قول حمزة بن بيض:

فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ وَهَمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا

(١٦٦) الشنب: قيل هو تحزيز أطراف الأسنان، وقيل صفاؤها ونقاؤها، وقيل تفليجها، وقيل طيب نكهتها، وقال الجرمي: سمعت الأصمعي يقول: الشنب برد الفم والأسنان، فقلت: إن أصحابنا يقولون هو حدتها حين تطلع، فيراد بذلك حداثتها وطراوتها؛ لأنها إذا أتت عليها السنون احتكت، فقال: ما هو إلا بردها، وقول ذي الرمة:

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللِّثَاثِ وفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ

يؤيد قول الأصمعي؛ لأن اللثة لا تكون فيها حدة. يقول: إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها، ولا يعلم ما وراء شفتها من الشنب إلا الله؛ لأنه لم يذقه أحد، قال الواحدي: وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك، وليس من العادة ذكر جمال النساء في مراثيهن. قال ابن جني: كان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جدًّا، وفي معنى بيت المتنبي:

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا ضَمَّ ثَوْبُهَا خَبَرُ
وَلَا بِفِيهَا وَلَا هَمَمْتُ بِهَا مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

(١٦٧) مفرقها: موضع افتراق الشعر من الرأس، وهو مبتدأ خبره مسرة، قال ابن جني: وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره: الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب، إلى أن قال: والأجود أن يجعل مفرقها خبر المسرة، أو مسرة خبره، والجملة خبر مبتدأ محذوف؛ أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب، واليلب: الدروع اليمانية تتخذ من الجلود، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة تحت البيض، واحدتها يلبة، قال عمرو بن كلثوم:

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلَبُ الْيَمَانِي وَأَسْيَاف يقمْنَ وَيَنْحَنِينَا

قال الجوهري: ويقال اليلب ما كان من جُنَن الجلود، ولم يكن من الحديد، ومنه قيل للدرق يلب. قال الشاعر:

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصُ وَفِي أَيْدِيهِمُ اليَلَبُ الْمُدَارُ

قال: واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهبل الجمحي:

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكُّهَا شَكٌّ عَجَبْ وَجَوْبُهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلَبْ

جوبها؛ أي ترسها، وجوب قاتر؛ أي ترس حسن التقدير، والبيض: جمع بيضة، وهي الخوذة من حديد، يقول: إن الطيب يسر باستعمالها إياه، والبيض واليلب يتحسران بتركها لبسهما؛ لأنهما من ملابس الرجال، واستعار لهما قلوبًا مجازًا لوصفه لهما بالمسرة والحسرة.

(١٦٨) المقانع: جمع مقنع ومقنعة، وهو ما تقنع به المرأة رأسها، وتقدير الشطر الأول: إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسه ورآها، فضمير رأى للبيض واليلب، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان، فكأنهما شيء واحد. يقول: إذا رأى البيض رأس لابسه، ورأى هذه المرأة وهي تلبس المقانع رأى المقانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك.

(١٦٩) الحسب: شرف الآباء أو الفعال الصالح؛ أي شرف الفعل، وأنشد ثعلب:

وَرُبَّ حَسِيبِ الْأَصْلِ غَيْرُ حَسِيبِ

أي: له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو، يقول: إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنثى.

(١٧٠) تغلب: قبيلة سيف الدولة، والغلباء: في الأصل الغليظة الرقبة، والمراد العزيزة الأبية الممتنعة، وعبارة الواحدي: الغلباء: الغلاظ القلوب، نعتهم بغلظ الرقبة؛ لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينقادون له، يقول: هي وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالعز والمنعة — بيد أن لها مع ذلك من الفضائل مما تنماز به عنهم وتفضلهم، كالخمر أصلها العنب، ولكن في الخمر من المزايا ما ليس في العنب، ومن ثم تفضله، وهذا مثل قوله: فإن المسك بعض دم الغزال.

(١٧١) جعلها وشمس النهار شمسين، ثم قال: ليت طالعتهما — وهي شمس النهار — غائبة وليت غائبتهما — وهي المرثية — لم تغب. يقول: إن في حياتها منافع جمة، فليتها بقيت وفقدنا الشمس.

(١٧٢) آب: رجع، يقول: وليت عين الشمس فداء عين المرثية التي غابت ولم ترجع.

(١٧٣) الهندية: السيوف، والقضب: جمع قضيب، وهو اللطيف الدقيق من السيوف يقول: ليس لها شبيه، لا من النساء ولا من الرجال.

(١٧٤) الصنائع: جمع صنيعة، وهي الإحسان واليد. يقول: إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتي إياها، وسبب محبتي هو صنائعها لدي وإحسانها إلي، وروى ابن جني: بلا ود ولا سبب؛ أي ليس بكائي لود أو سبب سوى صنائعها التي أولت، فهي تذكرني فأبكي.

(١٧٥) يقول: كانت محجوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها، فكأنَّ الأرض لم تقنع بما حولها من الحجاب حتى حجبتها بنفسها.

(١٧٦) يقول: لم تكن عيون الناس تصل إليها، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن؟

(١٧٧) قال الواحدي: يقول للأرض: هل سمعت سلامًا لي أتاها؟ يريد أنه يجهز إليها السلام والدعاء، وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها، ثم قال: وقد أطلت التأبين والمرثية، وتجهيز السلام عليها، ولم أسلم عليها من قرب؛ لأنها ماتت على بعد منه، ولك أن تقول: إن المعنى بعبارة أخرى: هل سمعتني يا أرض أسلم عليها؟ أي هل رأيتني

قريبًا منها فحسدتني على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب؟ قال الواحدي: ولم يعرف ابن جني معنى هذا البيت، فجعل الاستفهام فيه إنكارًا وقال. يقول: قد أطلت السلام عليها وأنا بعيد عنها، فهل سمعت يا أرض سلامي قريبًا منها؟

(١٧٨) الغيب: جمع غائب، مثل خدم وخادم. يقول: كيف يبلغ السلام أمواتنا المدفونين، وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين؟ وكأن هذا مبني على معنى البيت السابق؛ أي إن سلامه لم يكن يبلغها في حياتها للبعد الذي بينهما، فكيف يبلغها بعد موتها؟ والظاهر أن الكلام على عمومه، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعريض بسيف الدولة، وأن يقصر سلامه دونه.

(١٧٩) أولى القلوب بها: هو قلب أخيها — أي سيف الدولة — والضمير في لصاحبه يعود على أولى القلوب، وصاحبه هو سيف الدولة. يقول: يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذي هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب؛ أي إن عطاءه أهنأ؛ لأنه بغير أذى، والسحاب قد يؤذي سيله وتهلك صواعقه.

(١٨٠) وأكرم الناس: عطف على أنفع السحب، والنجب: جمع نجيب، وهو الكريم من كل شيء ورجل نجيب؛ أي كريم فاضل بين النجابة، والنجبة مثال الهمزة النجيب، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم، وأنجب الرجل؛ أي ولد ولدًا نجيبًا. قال الأعشى:

أَنْجَبَ أَزْمَانَ وَالِدَاهُ بِهِ   إِذْ نَجْلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجلَا

وسيمر بك شرح هذا البيت في موضع آخر.

وامرأة منجبة ومنجاب؛ أي تلد النجباء يقول: وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدًا سوى آبائك الكرام، قال العكبري: وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم. أقول: وهي إحدى مبالغات المتنبي القبيحة.

(١٨١) يريد بالشخصين: أختيه. ماتت إحداهما — وهي الصغرى — وبقيت الكبرى، فكانت كدر فدي بذهب، جعل الكبرى كالدر، والصغرى كالذهب.

(١٨٢) المتروك: هو الدر، والتارك: الدهر، يقول: وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها؛ لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته، وهذا البيت والذي قبله كأنهما من قول الأعرابي:

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ مُشَاطِرًا　　فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

(١٨٣) الورد: إتيان الإبل الماء، والقرب: سير الليل لورد الغد، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه، فتلك الليلة ليلة القرب، يقول: إن أجليهما كانا متقاربين جدًّا حتى إن المدة التي بينهما كانت لقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب، وهي ليلة.

(١٨٤) يقول: غفر الله لك أحزانك؛ لأن الحزن للمصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يجر بمراد الإنسان، والغضب على القدر مما يستغفر منه.

(١٨٥) يسخون؛ أي النفوس، ووزنه يفعلن، فالواو لام الفعل، والنون علامة الإضمار وجمع التأنيث، وهو مثل ﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ﴾ أي النساء، ويروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب: ما يؤخذ من القتيل من ثياب وسلاح، وفي الحديث الصحيح: «من قتل قتيلًا فله سلبه.» يقول: إنما تحزن؛ لأن الدهر سلبك المرثية، وأنتم قوم أهل عزة وأنفة، تجودون بالذي تعطونه عن طيب نفس، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهرًا، وهذا المعنى كقول القائل:

لَا جَزَعًا بَلْ أَنَفًا شَابَهُ　　أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَصْبِهِ

(١٨٦) القنا: عيدان الرماح، يقول: أنتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب، وكذلك أنتم تفضلون سائر الملوك.

(١٨٧) النبع: شجر صلب ينبت في رءوس الجبال تتخذ منه القسي، والغرب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار، يدعو له يقول: لا أصابتك الليالي بسوء، فإنها تغلب القوي بالضعيف.

(١٨٨) الخرب ذكر الحبارى (الحبارى: طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقًا، وهو أنواع كثيرة، ويضرب به المثل في البلاهة فيقال: أبله من الحبارى؛ قيل: لأنه إذا غير عشه ذهل وحضن بيض غيره) وجمعه خربان، يدعو له أن لا تعين الليالي من عاداه فإنهن يصدن القوي بالضعيف، وهو بسبب من معنى البيت السابق.

(١٨٩) يقول: إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجعتك بفقده إذا استردته، وقد أرينك العجب حيث سررنك بها، ثم فجعنك بفقدها، فكانت سببًا للسرور والفجيعة، وهذا عجب أن يكون شيء واحد سببًا للمسرة والمساءة.

(١٩٠) يقول: قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فيلم به شيء لم يكن في حسبانه، وإذن لا تؤمن فجعات الدهر.

(١٩١) اللبانة: الحاجة، والأرب: الغرض، فهما متقاربان، يقول: لم يقضِ أحد حاجته من الدنيا؛ لأن حاجات الإنسان لا تنقضي، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب آخر، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت:

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ   وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي

(١٩٢) الشجب: الهلاك، والخلف: الاختلاف، والمراد بالنفس: الروح. يقول: جرى خلف الناس في كل شيء، ولم يتفقوا إلا على الهلاك؛ أي إن منتهى كل حيوان أن يموت فيهلك، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك؛ ففريق يقول: إن الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم.

(١٩٣) الشجب: الهلاك، والخلف: الاختلاف، والمراد بالنفس: الروح. يقول: جرى خلف الناس في كل شيء، ولم يتفقوا إلا على الهلاك؛ أي إن منتهى كل حيوان أن يموت فيهلك، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك؛ ففريق يقول: إن الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم.

(١٩٤) المهجة: الروح، يقول: من فكر في الدنيا، وأنه مفارقها البتة أتعبه هذا الفكر؛ لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا، والخوف على روحه؛ ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز.

(١٩٥) هذه القصيدة من المتقارب، وتقطيعها فعولن أربع مرات، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناد التوجيه، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروي المقيد، ومن الناس من لا يعده سنادًا اكتفاء باتفاق الروي.

(١٩٦) سمعًا وطوعًا وابتهاجًا: ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها؛ أي سمعت أمرك سمعًا، وطعت طاعة، وابتهجت بكتابك ابتهاجًا، والابتهاج: الفرح، يقال: بهِج بالشيء وله — بالكسر — بهاجة وابتهج: سر به وفرح. قال الشاعر:

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهِجْتُ بِهِ   فَقَدْ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبِلَى خِرَقُ

يقول: إني سامع لأمرك، مطيع له، مبتهج بكتابك بيد أن فعلي في طاعتك لا يبلغ ما يجب، إذ إنني قصرت بتخلفي عن المجيء إليك.

(١٩٧) سمعًا وطوعًا وابتهاجًا: ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها؛ أي سمعت أمرك سمعًا، وطعت طاعة، وابتهجت بكتابك ابتهاجًا، والابتهاج: الفرح، يقال: بهِج بالشيء وله — بالكسر — بهاجة وابتهج: سر به وفرح. قال الشاعر:

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهِجْتُ بِهِ   فَقَدْ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبِلَى خِرَقُ

يقول: إني سامع لأمرك، مطيع له، مبتهج بكتابك بيد أن فعلي في طاعتك لا يبلغ ما يجب، إذ إنني قصرت بتخلفي عن المجيء إليك.

(١٩٨) الوشاة، جمع واشٍ، وهو النمام. يقول: لم يمنعني من النهوض إليك غير خوفي الوشاة، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء.

(١٩٩) وتكثير قوم وتقليلهم؛ أي تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا، والتقريب ضرب من العدو، يقال قرب الفرس: إذا رفع يديه معًا ووضعهما معًا في العدو، والخبب: السرعة، وقيل: هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه في العدو، يقول: وعاقني أيضًا خوف تكثير قوم معائبي، وتقليلهم مناقبي، وسعيهم بيننا بالفساد.

(٢٠٠) يقول: إنه كان يصغي إليهم ويسمع منهم، بيد أن قلبه كان على أية حال معي يعضده في ذلك شرفه، فعد إصغاءه إليهم نصرًا لهم، ونزاعه إليه نصرًا له.

(٢٠١) اللجين: الفضة، والأناة: الحلم والرفق والتثبت، وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة، وقوله فيقلق: جواب النفي في البيت الأول، والضمير في منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت؛ أي فيقلق من قولي هذا، يقول إنني لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئًا كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب؛ أي لم أهجك فتنكر علي ولم آتِ في حقك ما يوجب أن ينزعج له مثلك في بعد أناته وبطء غضبه.

(٢٠٢) اللجين: الفضة، والأناة: الحلم والرفق والتثبت، وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة، وقوله فيقلق: جواب النفي في البيت الأول، والضمير في منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت؛ أي فيقلق من قولي هذا، يقول إنني لم أنقصك مما

تستحق من المدح شيئًا كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب؛ أي لم أهجك فتنكر علي ولم آتِ في حقك ما يوجب أن ينزعج له مثلك في بعد أناته وبطء غضبه.

(٢٠٣) لاقني: أمسكني وحبسني، يقال منه: فلان لا يليق ببلد؛ أي ما يمتسك، ولا يليقه بلد؛ أي لا يمسكه، قال الأصمعي للرشيد: ما ألاقتني أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين؛ أي ما ثبت بها، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم: أي ما يحتبس، وما يليق هو درهمًا؛ أي ما يحبسه ولا يلصق به. قال الشاعر:

كَفَـاكَ كَفٌّ مَـا تَـلِـيـقُ دِرْهَـمَـا   جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا

ورب نعماي: صاحب نعمتي، ووقف على الباء من قوله رب — وهي موضع نصب — ضرورة للقافية، وخففها — وحكمها التشديد — لوقوعها رويا. يقول: ما أخذت عوضًا منكم، ولا أمسكني بلد بعدكم، ولا أعجبني، ولا لي مستقر إلا عندكم، إذ لا أصيب مثلكم، وكيف آخذ عوضًا ممن أنعم عليَّ؟ وهذا مثل قوله:

وَمَنِ اعْتَاضَ مِنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا   وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا

(٢٠٤) الأظلاف: جمع ظلف، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للإنسان والخف للبعير، والحافر للفرس والبغل والحمار، والغبب والغبغب: للبقر والديك ما تدلى تحت حنكيهما. جعل الجواد مثلًا لسيف الدولة، والثور مثلًا لمن لقي بعده من الملوك، وهذا كقول خداش بن زهير:

وَلَا أَكُونُ كَمَنْ أَلْقَـى رِحَـالَـتَـهُ   عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى صَهْوَةَ الْفَرَسِ

قال الخطيب: ذكر الركوب هنا فيه جفاء، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا.

(٢٠٥) بمن في حلب، متعلق بقست، وقوله فدع ذكر بعض: معترضة بينهما يقول: لم أقس كل الملوك به فضلًا أن أقيس به بعضهم، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفًا — كما يسمى هو سيف الدولة — لكانوا سيوفًا من خشب، وكان هو سيفًا من حديد: يعني أن مدحه إياه حقيقة، ومدحه إياهم مجازًا، إذا لا شبه بينهم وبينه.

(٢٠٦) بمن في حلب، متعلق بقست، وقوله فدع ذكر بعض: معترضة بينهما يقول: لم أقس كل الملوك به فضلًا أن أقيس به بعضهم، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفًا — كما يسمى هو سيف الدولة — لكانوا سيوفًا من خشب، وكان هو سيفًا من حديد: يعني أن مدحه إياه حقيقة، ومدحه إياهم مجازًا، إذا لا شبه بينهم وبينه.

(٢٠٧) هذا استفهام إنكار يقول: ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك.

(٢٠٨) مبارك الاسم؛ لأن اسمه علي، وهو مشتق من العلو، محبوب مطلوب، ولأنه سمي علي بن أبي طالب، وهو من هو؟ وأغر اللقب، لأنه سيف الدولة، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر؛ أي متعالم مشهور أبلج، وكريم الجرشى: أي النفس، وشريف النسب، لأنه من ربيعة، وهم كرام أشراف، وكلمة الجرشى: من قبيح ألفاظ المتنبي.

(٢٠٩) أخو الحرب؛ أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخًا، وقناة: فاعل سبى: أي رماحه. يقول: هو أخو الحرب وصاحبها، فإذا أعطى أحدًا خادمًا فهو مما سباه بنفسه، لا مما اشتراه؛ لأن مماليكه جميعًا من سباياه، وإذا خلع على إنسان ثوبًا فهو مما سلبه من أعدائه، يريد كثرة نكايته في الأعداء.

(٢١٠) فتى: فاعل حازه من باب التجريد. يقول: إذا جمع مالًا لا يسر منه بما يدخر، ولكن بما يهب، وهذا كقول البحتري:

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا　　يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ

(٢١١) يقول: كلما ذكرته دعوت له بهذين، فقلت له صلى الله عليه وسقى أرضه السحاب، والصلاة من الله الرحمة، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء، ولكن الشعراء ديدنهم المبالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وقد قال ابن الرقاع:

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ　　وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي:

صَلَّى عَلَى عَزَّةَ الرَّحْمَنُ وَابْنَتِهَا　　لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْأُخَرِ

(٢١٢) يقول: أثنى عليه بما وصل إليَّ وإلى غيري من نعمه، وأقرب منه بالموالاة والمحبة: أقربت محلته أم بعدت.

(٢١٣) الغدران: جمع غدير، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل؛ من غادره تركه، قال الخطيب التبريزي: سمى الغدير غديرًا لمعنيين؛ أحدهما: لأن الغيث تركه، والثاني: لأنه يغدر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة، ونضب الماء، غار في الأرض وبعد، وما: من قوله ما نضب: نافية، يقول: إذا كان بره قد انقطع عني فإن ما سبق إليَّ منه باقٍ كالغدران تبقى بعد المطر.

(٢١٤) الشطب — بضم الشين والطاء، وبفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق التي في متن السيف، وسيف مشطب ومشطوب: فيه طرائق، وكذلك ثوب مشطب. يقول: لست سيفًا كسائر السيوف، فأنت سيف الله لا سيف الناس، وأنت صاحب المكارم لا سيف فيه طرائق من سيوف الحديد.

(٢١٥) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب: منصوبة على النداء المضاف، والخطية: الرماح، يقول: يا أبعد الناس همة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم فتعطي كلًّا منهم المنزلة التي يستحقها، ويا أطعن من مس رمحًا، وأضرب من ضرب بسيف.

(٢١٦) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب: منصوبة على النداء المضاف، والخطية: الرماح، يقول: يا أبعد الناس همة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم فتعطي كلًّا منهم المنزلة التي يستحقها، ويا أطعن من مس رمحًا، وأضرب من ضرب بسيف.

(٢١٧) قوله بذا؛ أي بأطعن وأضرب، والثغور: مواضع المخافة من فروج البلدان؛ والهمام: الرءوس، والقضب: السيوف القواطع، يقول: إن أهل الثغور نادوك بقولهم يا أطعن من طعن بخطية، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورءوسهم تحت سيوف الروم تكاد تطيرها.

(٢١٨) غارت العين: دخلت في الرأس؛ أي من شدة العرب، والوجيب خفقان القلب. يقول: إنك أجبتهم حين نادوك وقد يئسوا من الحياة، فهم في خوف ورعب واضطراب حتى أنقذتهم.

(٢١٩) الدمستق: قائد الروم، والعداة: جمع عاد بمعنى عدو، والثقيل: الشديد المرض، والوصب: المريض، يقول: إنما اجترأ الدمستق على أهل الثغور؛ لأنه اغتر بما أرجف به الأعداء من أنك مريض لا تستطيع إغاثتهم.

(٢٢٠) يقول: وما كان ينبغي للدمستق أن يغتر؛ لأن سيف الدولة إذا هم بالغارة وهو عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته.

(٢٢١) أتاهم؛ أي الدمستق، وبأوسع؛ أي بخيل أوسع، وطوال وقصار منصوبان على الحال، والسبيب: شعر الناصية والعرف والذنب: والعسب جمع عسيب، وهو منبت

الذنب. يقول: أتاهم الدمستق بخيل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم؛ يصف عسكر الروم بالكثرة. ثم وصف خليهم بأنها من جياد الخيل؛ لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه، مما يستحب في الخيل.

(٢٢٢) يقول: إذا علا جيشه الشواهق — أي الجبال العالية — غطاها لكثرته فغابت فيه، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صغارًا بالإضافة إليه وإلى سعته وانتشاره حولها.

(٢٢٣) تخط — بحذف إحدى التاءين — أي تتخطى، والقنا: الرماح، يقول: لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غص الهواء بها فلا تجد الريح منفذًا إلا أن تتخطى الرماح؛ أي تكون أعلى طريقًا منها أو تثب من فوقها.

(٢٢٤) اللجب: كثرة الأصوات واختلاطها. يقول: أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكأنها أغرقتها، وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه؛ لكثرتها وارتفاعها.

(٢٢٥) أخبث به: صيغة تعجب؛ أي ما أخبثه في الحالين، ويروى الثاني، وأخيب به تاركًا، من الخيبة، وطالبًا وتاركًا: حالان، يقول: ما أخبثه حين يحاول قتلهم؛ لأنه استدبر في ذلك سيف الدولة خسة منه وجبنًا، وما أخيبه إذ ترك هذه المحاولة وولَّى هاربًا يطلب النجاة.

(٢٢٦) يقول: لما كنت بعيدًا عن أهل الثغور أتاهم فقاتلهم بالمبارزة، فلما جئت جعل الهرب موضع القتال؛ أي حمى نفسه بالهرب، فكأنما قاتلهم به كي ينجو.

(٢٢٧) يقول: إنه كان يفتخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم، فلما ارتد عنهم هاربًا كنت عذرًا له في ارتداده؛ لأنه لا يقوم لك، ومثلك من يفر منه يعذر.

(٢٢٨) يقول: إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا، وإنما ينفع الغوث إذا كان قبل العطب والهلاك، أما بعد ذلك فلا قيمة للغوث؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام:

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَامِئًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهِمَارُهَا

وقول البحتري:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَّانِهِ

(٢٢٩) الصلب: جمع صليب، وهو ذلك الذي يتخذه المسيحيون في بيوتهم وبيعهم على شكل المصلوب. يقول: لما أنقذتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكرًا، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفًا منهم.

(٢٣٠) يقول: كم دفعت عنهم الهلاك بإهلاكك من بغى هلاكهم؟ وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التي أنزلتها بأعدائهم؟

(٢٣١) المعتصب؛ أي المتوج الذي يعتصب التاج برأسه. يقول: وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم؛ للمشاكلة بين الفعلين، على أن عاد قد يراد بها الإتيان لأول مرة كما قال:

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً   إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

أي أتتني.

(٢٣٢) يقول: إن الدمستق والملك يستنصران السيد المسيح، ويسألانه النصرة على المسلمين، وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته.

(٢٣٣) عنهما: صلة يدفع. يقول: ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم، ثم تعجب من هذا، وقال: وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه؟ ولام فيا للرجال: مفتوحة، لأنها للمستغاث به، ولام لهذا: لام التعجب، وهي مكسورة، أنشد سيبويه لقيس بن ذريح:

تَكَنَّفَنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي   فَيَا للنَّاسِ لِلْوَاشِي الْمُطَاعِ

(٢٣٤) يقول: أرى المسلمين قد هادنوا المشركين، واجتمعوا معهم، وتركوا قتالهم، وذلك: إما عجزًا عنهم، أو خوفًا منهم.

(٢٣٥) يقول: وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه، وقد جانبت غيرك من المهادنين والموادعين.

(٢٣٦) يقول: كأنك وحدك الموحد لله تعالى، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب.

(٢٣٧) ظهرت عليهم: ظفرت بهم وغلبتهم، وكئب كآبة: حزن وظهر فيه الانكسار، يقول: ليت الحاسد الذي يكتئب لظفرك بالروم يقتل بسيوفك.

(٢٣٨) أراد بالشكاة: المرض الذي يشكوه، وقوله تجزي به؛ أي بالحب أو البغض، على أن الواو في قوله وحب: بمعنى أو، ولك أن ترجع الضمير إلى البغض والحب جميعًا؛ لأن كليهما من أفعال القلب، فكأنهما شيء واحد، والسبب: الوسيلة، يقول: ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد، وليتك تجزي من أبغضك ببغضه، ومن أحبك بحبه كي أنال نصيبًا من الحب، إذ لو جزيتني على حبي لك — وهو أقوى سبب، لأن حبي إياك أكثر من حب غيري — لنلت منك أقل حظ، يشكو إعراضه عنه، وأنه أقل الناس حظًا منه مع أنه أشد حبًّا له، وعبارة ابن جني: لو تناهيت في جزائك إياي على حبِّي إياك؛ لكان ضعيفًا بالإضافة إلى قوة حبي لك، قال أبو الفضل العروضي: وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه، ولمن هو دونه، فكيف ينسب المتنبي سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه؟ وهذا الذي لاحظه العروضي لم يوفق فيه.

(٢٣٩) أراد بالشكاة: المرض الذي يشكوه، وقوله تجزي به؛ أي بالحب أو البغض، على أن الواو في قوله وحب: بمعنى أو، ولك أن ترجع الضمير إلى البغض والحب جميعًا؛ لأن كليهما من أفعال القلب، فكأنهما شيء واحد، والسبب: الوسيلة، يقول: ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد، وليتك تجزي من أبغضك ببغضه، ومن أحبك بحبه كي أنال نصيبًا من الحب، إذ لو جزيتني على حبي لك — وهو أقوى سبب، لأن حبي إياك أكثر من حب غيري — لنلت منك أقل حظ، يشكو إعراضه عنه، وأنه أقل الناس حظًا منه مع أنه أشد حبًّا له، وعبارة ابن جني: لو تناهيت في جزائك إياي على حبِّي إياك؛ لكان ضعيفًا بالإضافة إلى قوة حبي لك، قال أبو الفضل العروضي: وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه، ولمن هو دونه، فكيف ينسب المتنبي سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه؟ وهذا الذي لاحظه العروضي لم يوفق فيه.

(٢٤٠) هو أبو سعيد المنبجي من بني المجيمر، قبيلة بمنبج من طيئ.

(٢٤١) رائي خطأ: يروى راء خطأ، وذلك على حد قولهم: ضارب عمرو وضارب عمرًا ويروى بدل هذين:

فرب رأي أخطأ الصوابا

يقول: أبعد عني يا أبا سعيد عتابك فلا تعاتبني؛ لأنك ترى الخطأ في زيارة الملوك صوابًا، ولست على رأيك.

(٢٤٢) فإنهم؛ أي الملوك.

(٢٤٣) القرضاب: السيف القاطع، والذابلات: الرماح اللينة، والعراب: الخيل العربية. يقول: إنما يتوصل إلى الملوك، ويهتك الحجاب الذي أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك، وهذا بعض ما يشفُّ عن طموح المتنبي وآماله الكبار.

(٢٤٤) الصافيات: جمع صافية، وهي الخمر، والأكوب جمع كوب، وهو القدح لا عروة له.

(٢٤٥) أي يجودوا بالشراب.

(٢٤٦) الباترات: السيوف القواطع؛ يريد: أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف؛ وهذا أيضًا إحدى هنواته التي تدل على بعد همته، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قاله في صباه، مثل الأبيات التي قبلها.

(٢٤٧) لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبياتٍ مطلعها:

إِنِّي لَأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرُ

وستأتي، ثم استزاده بنو عم الميت فقال هذه الأبيات:

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهُنَّ بُحُورُ

وستمر بك، ثم سألوه أن ينفي الثلاثة عنهم، فقال:

الْآلُ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ

وتراها في قافية الراء، ثم سألوه زيادة في نفي الشماتة عنهم، فقال هذه الأبيات التي نحن بصددها.

(٢٤٨) اللام في قوله لأي: حشو ورفر لتقوية العامل، على حد قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أيْ أيَّ صروف الدهر نعاتب، والوتر: الثأر. يشكو الدهر يقول: إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة، فلا يمكن معاتبتها ولا طلب الثأر منها.

(٢٤٩) العازب: البعيد، يقول: إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد يعينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه، وقد روي يعطَى — بفتح الطاء — فيكون معناه: أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر.

(٢٥٠) العجاجة: الغبار، والأسنة: أطراف الرماح. جعل الغبار المرتفع في الهواء سماء، وجعل الأسنة لامعة فيها كالكواكب، وهذا من قول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا   وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

وقال أيضًا:

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا   سُيُوفًا وَنَقْعًا يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا

وقال آخر:

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءً فَوْقَهَا   جَعَلَتْ أَسِنَّتَنَا نُجُومَ سَمَائِهَا

(٢٥١) تسفر: تنجلي، ومضارب: جمع مضرب، وهو حد السيف وظبته، وانفللن: انثلمن، والضرائب: جمع ضريبة، وهي الشيء المضروب بالسيف، يقول: إن هذه العجاجة تنجلي عنه، وقد تثلمت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة لا ضاربة، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وفي هذا البيت — بيت النابغة — من البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٢٥٢) الهامات: الرءوس. يقول: إن سيوفه طلعت من أغمادها كالشمس في بريقها ثم غربت في رءوس المضروبين، فصارت رءوسهم مغارب لها، وهذا من قول أبي نواس في الخمر:

طَالِعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا   فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

(٢٥٣) شتى: متفرقة، وقفتها: تبعتها. يقول: إن مصيبتنا به ليست واحدة، وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى، ولم يكفنا ذلك حتى تبعتها مصائب أخرى، وهي اتهام المفسدين إيانا بأنا شامتون بموته.

(٢٥٤) قوله: غير ذي رحم له؛ يروى: غير ذي رحم لنا، يقول: إن هناك أجنبيًّا لا يمت إليه أو إلينا بآصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهمامه إيانا بالشماتة ونحن أقرباؤه، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا.

(٢٥٥) عرض أنا شامتون؛ أي عرض في مرثيته بأنا شامتون، والتعريض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح، والعارضان: جانبا اللحية، والقواضب السيوف القاطعة، وقال الواحدي: قوله والإ فزارت يجوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال: هم شامتون بموته، وإلا فزارتني السيوف: أي قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول فيكون هذا تأكيدًا لما ذكر من شماتتهم، ويجوز أن يكون من كلام الذين ينفون الشماتة عن أنفسهم. يقول: إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف، فيكون هذا تأكيدًا لنفي الشماتة، وأن الأمر ليس على ما ذكر.

(٢٥٦) أن بين بني أب؛ أي إنه بين بني أب، فاسم إن هو ضمير الشأن، والنجل: الولد، ودبيب العقارب: كناية عن النميمة. يقول: أليس عجيبًا أن تدب عقارب يهودي بين بني أب أي إخوة فيوقع بينهم العداوة؟ يريد هذا الذي كان يمشي بينهم بالنميمة، وجعله ابن رجل يهودي مبالغة في أجنبيته عنهم، ويريد بوصفه بيهودي أنه خبيث دساس.

(٢٥٧) يقول: برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب، وهذا من قول أبي تمام:

كُفِّي فَقَتْلُ مُحَمَّدٍ لِيَ شَاهِد　　　أَنَّ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلُ

هذا، وقال العكبري — تعليقًا على قوله: أن ليس: أن هي المخففة من الثقيلة، ولا تدخل إلا على الاسم، ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز؛ لدخولها على الأسماء، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ تقديره: أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، وكقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ تقديره: أنه سيكون؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل، وقد دخلت ها هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال، ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

(٢٥٨) أنى؛ أي كيف، وأنى بمعنى كيف كثير. قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وكرب: من أفعال المقاربة، تقول: كرب أن يفعل كذا؛ أي كاد وقارب، يقول:

إنه بكى في أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه مما ألم به من وجد، ثم رجع عن ذلك، وقال: وكيف أظن أن بكائي قضى ما يجب وشفى ما في نفسي من لوعة وهو لم يقضِ الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضي، يريد أنه قاصر عن ذلك، وفي هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال، وهو كثير في كلام الشعراء، ومنه قول زهير:

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يُعْفِهَا الْقِدَمُ بَلَـى وَغَـيَّـرَهَـا الْأَرْوَاحُ وَالـدِّيَـمُ

(٢٥٩) عاج بالمكان: وقف به، يقول: عطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقي من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكر الأحبة فضلًا عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق.

(٢٦٠) يقول: سقيت هذا الربع دموعًا سوائل ظنها مطرًا من جفون ظنها سحبًا.

(٢٦١) دار الملم لها طيف؛ أي هذا الربع هو دار التي ألم طيف لها، فدار: خبر مبتدأ محذوف، والألف واللام — في الملم — بمعنى التي، وطيف: فاعل ملم ولها حال مقدمة من قوله طيف. يقول: إن هذا الربع هو دار المرأة التي زارني لها طيف، أوعدني ليلًا؛ أي هددني بالهجر فما صدقت عيني؛ لأنها رأت خيالًا لأن ذلك كان رؤيا، ولا كذب الطيف في تهديده؛ لأنه هجرني بعد ذلك، إذ لم أنم بعدها.

(٢٦٢) ناءيته: باعدته: ويروى أنأيته؛ أي أبعدته، ودنا: قرب، وجمشته: غازلته وداعبته، ونبا: تجافى وتباعد، وأنبيته أنا: دفعته عن نفسي، وفي المثل: الصِّدْقُ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدُ؛ أي إن الصدق يدفع عنك الغائلة في الحرب دون التهديد، ونبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة، ونبا بصري عن الشيء ونبا به منزله: إذا لم يوافقه، وأبى: امتنع، يقول: كلما أردت من هذا الطيف شيئًا قابلني بضده، وهذا قريب من قوله:

صَدَّتْ وَعَلَّمَتِ الصُّدُودَ خَيَالَهَا

(٢٦٣) الهيام: أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه، والطنب: حبل الخباء والسرادق ونحوهما، قال ابن جني، يقول: ملكت قلبي بلا كلفة ومشقة، فكانت كمن سكن بيتًا لم يتعب في إقامته ولا مد أطنابه، وقال الواحدي: وأحسن من هذا أن يُقال: اتخذت بيتًا من قلبي فنزلته، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد.

(٢٦٤) يقول: هي مظلومة القد — إذا شبه بالغصن، لأنه أحسن منه — وهي مظلومة الريق — إذا شبه بالعسل لأنه أحلى منه، والضرب — وهو العسل الأبيض الغليظ — يذكَّر ويؤنث؛ قال أبو ذؤيب الهذلي في تأنيثه:

وَمَا ضَرَبٌ بَيْضَاءُ يَأْوِي مَلِيكُهَا إِلَى طُنُفٍ أَعْيَا بِرَاقٍ وَنَازِلِ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتَ طَارِقًا وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كِلَابُ الْأَسَافِلِ

(يأوي مليكها؛ أي يعسوبها، ويعسوب النحل: أميره، والطنف: حيد يندر من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل، وقوله كلاب الأسافل: يريد أسافل الحي؛ لأن مواشيهم لا تبيت معهم؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها.)

(٢٦٥) الحلة: الثوب، ومطلوبًا: منصوب على الحال أو التمييز، يقول؛ إنها لأنسها ولين حديثها تطمع العاشق في نفسها، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطلبه لعفتها وصيانتها، ومثل هذا قول بعضهم:

يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَبِهِنَّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ

(٢٦٦) يعيي: يعجز، والضمير في قابضه للشعاع، وشعاعها: فاعل يعيي، والطرف: النظر، ومقتربًا: حال، شبهها بشعاع الشمس في قربه من الطرف وبعده عن القبض عليه، وهذا كما يقول ابن عيينة:

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْءُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

ويقول الطرماح:

هِيَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغَيَّبَ لَيْلُهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لِعَيْنٍ نُجُومُهَا
تَرَاهَا عُيُونُ النَّاظِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا

وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزِّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ   وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيكَ النُّزُولَا

(٢٦٧) الترب: المساوي لغيره في العمر، ويقال اللدة، والشادن: من الظباء الذي قوي وترعرع واستغنى عن أمه؛ يريد به المحبوبة، واستضحك: بمعنى ضحك، والمغيث: اسم الممدوح، وكالمغيث؛ أي أَنا كالمغيث، والليث: الأسد، والشرى: موضع تكثر في الأسود، وعجل: قبيلة الممدوح. يقول: مرت بنا بين تربيها فقلت لها: أنت من الظباء وترباك من العرب، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما؟ فضحكت ثم قالت: لا تعجب من ذلك فإني كالمغيث: تراه من الأسود، وهو مع ذلك من عجل، وكذلك أنا: تراني من الظباء وأنا عربية، وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن التخلص، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما.

(٢٦٨) الترب: المساوي لغيره في العمر، ويقال اللدة، والشادن: من الظباء الذي قوي وترعرع واستغنى عن أمه؛ يريد به المحبوبة، واستضحك: بمعنى ضحك، والمغيث: اسم الممدوح، وكالمغيث؛ أي أَنا كالمغيث، والليث: الأسد، والشرى: موضع تكثر في الأسود، وعجل: قبيلة الممدوح. يقول: مرت بنا بين تربيها فقلت لها: أنت من الظباء وترباك من العرب، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما؟ فضحكت ثم قالت: لا تعجب من ذلك فإني كالمغيث: تراه من الأسود، وهو مع ذلك من عجل، وكذلك أنا: تراني من الظباء وأنا عربية، وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن التخلص، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما.

(٢٦٩) أي جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه، وقيل جاءت هذه القبيلة التي هي عجل بمن هذه أوصافه.

(٢٧٠) يقول: إن خاطره لتوقده لو كان في زمن (الزمن ذو الزمانة؛ أي العاهة، وهو هنا في معنى المقعد) لمشى، أو في جاهل لصحا من جهله وصار عالمًا، أو في أخرس لقدر على النطق.

(٢٧١) يقول في الشطر الأول: إذا ظهر للناس حجبت هيبته عيونهم عن النظر إليه لشدة هيبته، وهذا كقول الفرزدق:

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ   فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقوله أيضًا:

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

(خضع: جمع خضوع أي خاضع، ونواكس جمع شاذ ويروى منكسي: نواكسي أي مطأطئي رءوسهم منكسي أبصارهم إجلالًا له وهيبة وللنحويين في نواكس كلام طريف فانظره.) ويقول أبو نواس:

إِنَّ الْعُيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكِّسَ نَاظِرُ

ويقول في الشطر الثاني: إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورائها فلم تستطع حجبه، وهذا كقول القائل:

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ

وقال ابن جني: هذا يحتمل تأويلين؛ أحدهما: أن حجابه قريب لما فيه من التواضع فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبًا، والآخر: أنه وإن احتجب فهو كلا محتجب؛ لشدة يقظته ومراعاته الأمور، وعبارة الخطيب: الذي أراده المتنبي أن حسنه وبهاءه لا يحجبه شيء، والبيت الذي يليه يشهد له.

(٢٧٢) الحالك: الشديد السواد، والمخشلب: خرز أبيض يشبه الدار، والعرب تسميه الخضض؛ أما المخشلب فهي كلمة نبطية. يقول: إن نور وجهه يغلب نور الشمس حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق كأنه خرز.

(٢٧٣) هبته: مضاؤه، والغرار: الحد، والتأمور: دم القلب. قال أوس بن حجر:

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَوْلَجُوا أَبْيَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسَ الْمُنْذِرِ

«أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه.»

يقول المتنبي: إن مضاء عزمه يصير السيف رطب الحد من دم الأعداء.

(٢٧٤) الرهج: الغبار، وأرهج الغبار: أثاره، يقول: إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء.

وقال ابن القطاع: يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب، كما أن عمر المال عنده

قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهبه، وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يبقيان، وقوله إذ وهبا؛ أي إذا أراد أن يهب.

(٢٧٥) تبلوه: أراد أن تبلوه، فحذف أن وبقي عملها. قال العكبري: تبلوه: انتصب بإضمار أن، وهو على مذهبنا، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة، وأبى ذلك البصريون، وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود: «وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله» فأعمل أن مقدرة، وحجتنا أيضًا قول عامر بن الطفيل:

وَنَهْنَهت نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلَهُ

فنصب أفعله بأن المقدرة، والنشب: المال، يقول: احذره ولا تحم حوله بالعداء، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالًا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإبادة والإفناء، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد:

تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ　　　لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظَلَّامَا

وما أحلى قول أبي نواس:

لَيْتَ مَنْ كَانَ عَدُوِّي　　　كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالَا

(٢٧٦) حالت: تغيرت، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعًا، يقول: هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فآضت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه؛ يعني أن فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه، وفي الماء يروى في البحر قال العكبري: وأراد بالبحر ها هنا العذب، قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ يريد الملح والعذب، وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل: البحر، هذا وفي البيت تصريع، وهو مما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا.

(٢٧٧) الغبطة والحسد: كلاهما بمعنى التمني، بيد أن الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه، والحسد أن تتمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه؛ فالغبطة أخف، تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطًا وغبطة فاغتبط هو كقولك منعته فامتنع، وحبسته فاحتبس، قال حريث بن جبلة العذري:

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ   إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ

وغبطت الكبش أغبطه غبطًا: إذا جسست أليته لتنظر أبه طرق أم لا (الطرق: الشحم أو السمن) وغبط الشاة والناقة: جسهما لينظر سمنهما من هزالهما. قال رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قومًا من سليم:

إِذَا تَجَلَّيْتَ غَلَّاقًا لِتَعْرِفَهَا   لَاحَتْ مِنَ اللُّؤْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبُ
إِنِّي وَأَتْيِي ابْنَ غَلَّاقٍ لِيَقْرِيَنِي   كَغَابِطِ الْكَلْبِ يَبْغِي الطِّرْقَ فِي الذَّنَبِ

(غلاق: كشداد رجل أبو حي.)

وقد سئل سيدنا رسول الله ﷺ: هل يضر الغبط؟ قال: «لا، إلا كما يضر العضاة الخبط» أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاه من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها، ولأنه يعود بعد الخبط ورقها، فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم، وأصل الحسد: القشر، وأصل الغبط الجس، والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست، وإذا خبط ورقها استخلف دون يبس الأصل، وضمير منها: للأرض، وضمير به: لحيث حل الذي يقع مفعولًا به لتغبط، وضمير منها الثانية: للخيل، وأيها: مفعول تحسد، يقول: إن الأرض يغبط بعضها البعض الذي يحل فيه، والخيل يحسد بعضها البعض الذي يركبه. قال ابن جني: وجعل الغبطة للأرض؛ لأنها وإن كثرت بقاعها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض، والخيل ليست كذلك؛ لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد، والبيت مأخوذ من قول أبي تمام:

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَة   غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّها قَبْرُ

(٢٧٨) الجحفل: الجيش العظيم، واللجب: المختلط الأصوات، يقول: إنه جواد شجاع لا يستطيع أن يرد سائله، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم.

(٢٧٩) قوله من قبل يصطحبا: أراد من قبل أن يصطحبا، فحذف أن وأبقى عملها، يقول: إذا التقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابهما، فهما يلتقيان مجتازين لا مصطحبين، وقال الواحدي: يجوز نصب الدينار وصاحبه، ويكون معناه كلما لقي الممدوح الدينار مصاحبًا له، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر في هذا المعنى:

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تُبْقِي دَرَاهِمُنَا　　وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرُقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا　　ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لا يألفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتَنَا　　لكِن يمُرُّ عَليها وَهْوَ مُنطلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ　　يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ

(٢٨٠) المجتدي: السائل، ونعيب الغراب: صياحه، والبين: الفراق. يقول: هذا المال كأن غراب البين يرقبه، فكلما جاء مجتد صاح فيه فتفرق شمله، وعبارة الواحدي: إن ماله يرقبه غراب البين، فإذا جاء السائل فرق الممدوح ماله، فكأن غراب البين نعب في مال الممدوح بالتفريق، وما ذكر من رقبة الغراب ونعيبه بيان ومثال لتفريقه المال عند مجيء السائل، والأصل في هذا أن العرب تقول: غراب البين إذا صاح في ديار قوم تفرقوا، أما ما قاله ابن جني من أن المعنى: كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح، كذلك هذا لا يفتر عن العطاء: فهو بعيد، ومن الذي قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح؟ هذا، وقالوا: إنما حسنت الإضافة في غراب البين؛ لأنه اسم مشترك يقع على أشياء، فمنها غراب الفأس؛ أي حدها، قال الشماخ يصف رجلًا قطع نبعة:

فَأَنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ غُرَابُهَا　　عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

أي أمال على النبعة فأسًا ذات حد، غرابها؛ أي حدها، مشارز؛ أي معاد أو سيئ الخلق، والمشارزة هي المشارسة. ومنها الغراب: قذال الرأس، يقال شاب غرابه؛ أي شعر قذاله، والغرابان من الفرس والبعير حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى، قال الراجز:

يَا عَجَبًا لِلْعَجَبِ الْعُجَابِ　　خَمْسَةُ غِرْبَانٍ عَلَى غُرَابِ

(٢٨١) السمر: المسامرة، وهو حديث الليل، وأصله أنهم كانوا يسمرون في ظل القمر، وأصل السمر: ظل القمر، والسمرة مأخوذة من هذا، وسمر يسمر سمرًا وسمورًا لم ينم: وهو سامر، وهم السمار، والسامر أيضًا السمار، وهم القوم يسمرون. قال الأزهري: وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع، فمنها الحامل والسامر والباقر والحاضر، والحامل للإبل ويكون فيها الذكور والإناث، والسامر: الجماعة من الحي

يسمرون ليلًا، والحاضر: الحي النزول على الماء، والباقر: البقر فيها الفحول والإناث، قالوا: والسامر أيضًا: الموضع الذي يجتمعون للسمر فيه، وأنشدوا:

وَسَامِرٌ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَّمَرُ

ابنا سمير الليل والنهار؛ لأنه يسمر فيهما. يقول: هو بحر له عجائب في باب الفضل والشجاعة لا تحاكيها عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار، إذ هي بالقياس إليها كالشيء المألوف؛ لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه، وعبارة ابني جني: تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسمار والبحار.

(٢٨٢) محاولها؛ أي طالبها، وأصله طلب الشيء بالحيلة، يقول: لا يقنع الممدوح أن ينال المنزلة العظيمة التي يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه في تحصيلها، إذ هو دائمًا يطمح إلى ما يعجز عنه الطالبون.

(٢٨٣) اللواء: الراية، وبنو عجل: قبيلة الممدوح، يقول: حركوا اللواء باسمه — أي جعلوه سيدهم وقائدهم — فإذا حركوا رايتهم حركوها باسمه، فصار سيدهم، وصاروا هم به سادة الناس، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس، وصار الناس أذنابًا لهم وتبعًا.

(٢٨٤) نصب التاركين على المدح بإضمار أعني أو أمدح. يقول: إنهم — لبعد همتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده، ويرومون الصعب الشاق منها، وفي هذا يقول الطهوي:

وَلَا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنَى إِذَا حَلُّوا وَلَا رَوْضَ الْهُدُونِ

(الهدون: الدعة والسكون.)

(٢٨٥) البيض: السيوف، والهام: الرءوس، والكماة: الأبطال المدججون في السلاح، والعذب: جمع عذبة وهي الريش المعلق في طرف الرمح. يقول: إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطعن أو ضرب؛ إما لمنازلتهم دونها، أو لحذقهم بالضرب، فتكون لها بمنزلة البراقع، والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف، وعبارة أبي الفضل العروضي: أن سيوفهم مكان البراقع لخيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم، وقوله متخذي هام الكماة: معناه أنهم يأخذون رءوس الأبطال بأطراف رماحهم، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التي تعلق بالرماح، وقال جرير في هذا المعنى:

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا   غَدَاةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

وقال مسلم بن الوليد:

يَكْسُو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ   وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ

وقال أبو تمام:

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ مِنْ   قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخطِّيِّ مُدَّعِمَا
مِنْ كُلِّ ذِي لِمَّةٍ غَطَّتْ ضَفَائِرُهَا   صَدْرَ الْقَنَاةِ فَقَدْ كَادَتْ تُرَى عَلَمَا

(٢٨٦) الخرقاء: الحمقاء، مؤنث الأخرق، يقول: لو لاقتهم المنية يوم الوغى للبطت بالأرض خوفًا وفزعًا لا يتجه لها رأي في السلامة فهي تتهم الإقدام وتتهم الهرب خشية الإدراك؛ أي تقدر أنها إن هربت أدركت. قال أبو تمام:

مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ تَرْتَاعُ الْمنُونُ لَهُ   إِذَا تَجَرَّدَ لَا نِكْسٌ وَلَا حَذِرُ

وقال أيضًا:

شُوسٌ إِذَا خَفَقَتْ عُقَابُ لِوَائِهِمُ   ظَلَّتْ قُلُوبُ الْمَوْتِ مِنْهَا تَخْفِقُ

(٢٨٧) الشهب: الكواكب. يقول: إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارت أعلى من الكواكب؛ لأن الفكر الذي يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها.

(٢٨٨) نزفت: استنفدت، وآل: عاد ورجع، ونضب: جف. قال الواحدي: جعل اقتضاء المحامد أن تنتظم بالشعر نزفًا، وجعل الشعر — لكونه مقتضى — منزوفًا. يقول: لم تمتلئ هذه المحامد من شعري؛ أي لم تبلغ الغاية التي تستحقها من شعري، ولا شعري فَنِيَ، فأنا أبدًا أمدحهم، وبيان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري؛ لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر، ولم يَفْنَ الشعر، يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائحه لهم يعني أنه سيعود إلى استيفاء مديحهم، وجعل الشعر كالماء ينزف، واستغراق محامدهم في الشعر كملئها بالماء، ولما جعل الشعر كالماء جعل فناءه نضوبًا.

(٢٨٩) يقول: لك مكارم سبقت بها العالمين فليس في مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع إدراك أمر فائت؟

(٢٩٠) اختلفت: ترددت وجاءت مرة بعد أخرى، والمراد بالركبان: القصاد الذين صمدوا إلى الممدوح فآبوا بالهبات والعطايا، ولا ألوي: لا أعرج، يقول: لما أقمت بإنطاكية جاءتني ركبان العفاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عتمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيري ولا أقف، حتى وصلت إليك محمولًا على راحلتين من فقري الذي يحفزني إلى بابك طلبًا لجدواك وأدبي الذي تسببت به إليك.

(٢٩١) اختلفت: ترددت وجاءت مرة بعد أخرى، والمراد بالركبان: القصاد الذين صمدوا إلى الممدوح فآبوا بالهبات والعطايا، ولا ألوي: لا أعرج، يقول: لما أقمت بإنطاكية جاءتني ركبان العفاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عتمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيري ولا أقف، حتى وصلت إليك محمولًا على راحلتين من فقري الذي يحفزني إلى بابك طلبًا لجدواك وأدبي الذي تسببت به إليك.

(٢٩٢) شرقت: غصصت، وضمير ذاقها: للزمن، وقوله ما عاش؛ أي ما بقي وامتد، والانتحاب: رفع الصوت وترديده بالبكاء. يقول: أذاقني الدهر من الفقر والغربة شيئًا لو ذاقه هو لبكى وانتحب مدة حياته، ولم يستطع عليه صبرًا؛ لأنه الغاية في الشدة، فكيف أصبر أنا عليه؟

(٢٩٣) عمرت: عشت، والسمهري: الرمح، والمشرفي: السيف، كنى بهذه القرابات عن ملازمة هذه المذكورات. يقول: إن عشت وتنفس بي العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبتي. هذا، ويقال عمِر الرجل بكسر الميم يعمر عمرًا وعمارة وعمرًا، وعمَر — بالفتح — يعمر، ويعمر؛ أي عاش وبقي زمانًا طويلًا، ومنه قولهم: أطال الله عمرك وعمرك، وهما وإن كانا مصدرين بمعنى، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما وهو المفتوح.

(٢٩٤) الأشعث: المغبر من طول السفر ولقاء الحروب، والقح: الخالص؛ أي العربي الخالص النسب، وقح: نعت لأشعث، والمرح: النشاط، يقول: للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمي بنفسه في التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهالك عليها، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب، وروى ابن جني بدل صهيل الخيل صهيل الجرد — جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر — وذلك مما يحمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو: مرحا بالعز، ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام:

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا   بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

وقول البحتري:

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّهَا   وَفْرٌ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(٢٩٥) الأشعث: المغبر من طول السفر ولقاء الحروب، والقح: الخالص؛ أي العربي الخالص النسب، وقح: نعت لأشعث، والمرح: النشاط، يقول: للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمي بنفسه في التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهالك عليها، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب، وروى ابن جني بدل صهيل الخيل صهيل الجرد — جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر — وذلك مما يحمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو: مرحا بالعز، ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام:

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا   بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

وقول البحتري:

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّهَا   وَفْرٌ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(٢٩٦) يقول: الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلًا، فإذا قتلت في طلب المعالي قام الموت بعذري، والصبر أجمل؛ لأن الجزع عادة اللئام، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض، والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقر داره، قال العكبري: وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه؛ لأنه يمدح رجلًا، ويذكر أنه قد قصده، وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد … وأين أبو الطيب والملوك؟ رحم الله امرأ عرف قدره … ولقد أحسن ابن دريد فيما قال:

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ   تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخُطَى

وقد غاب عن العكبري — رحمه الله — خلائق المتنبي، وأنه لا يمدح الناس إلا ليمدح نفسه، وينوه بما تنطوي عليه من المطامع والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال.

(٢٩٧) قيل: إنه لم يجزه على هذه القصيدة إلا دينارًا واحدًا، ولذلك سميت بالدينارية.

(٢٩٨) الباء للتفدية، والشموس: إمَّا مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: الشموس مفديات بأبي، وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير: أفدي الشموس بأبي، والجانحات: المائلات، والجلابب: جمع جلباب، وهو ما يلتحف به من الثياب، وأصله جلابيب: قال تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ فحذف الياء ضرورة، كنى بالشموس عن النساء، وبغروبهن عن بعدهن، وعبارة الواحدي: لما سماهن شموسًا كنى عن بعدهن بالغروب؛ لأن بعد الشموس عن العيون لا يكون إلا بالغروب، وقد بيَّن في آخر البيت أن الشموس: النِّساء الحسان؛ إذ قال: اللابسات ... إلخ. وقال ابن جني: غبن عنك في الخدور.

(٢٩٩) المنهبات: اسم فاعل، ووجناتهن: مفعول أول، وقلوبنا: مفعول ثانٍ، وعقولنا: عطف عليه، والناهبات: صفة لوجناتهن، ولك أن ترفع وجناتهن على أنها فاعل المنهبات؛ أي اللاتي أنهبت وجناتهن قلوبنا، فيكون قد اقتصر على مفعول واحد، ويقال: أنهبته الشيء إذا جعلته نهبًا له. يقول: اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهبًا لوجناتهن يسبينها بحسنهن، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب؛ أي الرجل الشجاع المغوار الذي ينهب الناس بعد أن أبلى البلاء الحسن في الحرب، وهذا من قول أبي تمام:

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرِّ أَوْجُهٍ تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالِبِيهَا سَوَالِبَا

(٣٠٠) الناعمات؛ أي اللينات المفاصل، والقاتلات؛ أي بهجرهن، والمحييات: بوصلهن، والمبديات؛ أي المظهرات من الدلال عجائب، والدلال: جرأة المرأة على الرجل في تكسر وتغنج.

(٣٠١) الترائب: موضع القلادة من الصدر. يقول: حاولن أن يقلن لي نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب، وقال ابن جني: أشرن إلي من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة، جعل ابن جني هذه الإشارة تحية وتسليمًا، وقال الواحدي: طلبن أن يقلن نفديك بأنفسنا وخفن الرقيب، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة؛ أي أنفسنا تفديك، وهذا أولى من قول ابن جني

لذكر التفدية في البيت، ولم يقل حاولن تسليمي؛ لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر، وقال ابن فورجه: وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام، وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائبهن تسكينا للقلوب من الوجيب. قال الواحدي: وليس كما قال — ابن فورجه — وصدر البيت ينقض ما قاله. هذا، وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى:

أَضْحَى يُجَانِبُنِي مُجَانَبَةَ الْعِدَا وَيَبِيتُ وَهْوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمُ
وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظِهِ شَتْمٌ وَحَشْوُ لِحَاظِهِ تَسْلِيمُ

(٣٠٢) أراد بالبرد: أسنانهن التي تشبه البرد في نقائها، وقوله خشيت أذيبه: أي أَنْ أذيبه، يقول: إني كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسي، فلما رحلن ذبت أنا من شوقي إليهن، ومن هذا الباب قول الصنوبري:

وَضَاحِكٍ عَنْ بَرَدٍ مُشْرِقٍ أَبَاحَنِيهِ دُونَ جُلَّاسِي
فَكُلَّمَا قَبَّلْتُهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي

وقول بعضهم:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفَسِي عَلَيْهِ لَذَابَا

(٣٠٣) المتحملون: المرتحلون، والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف، والكاعب: التي بدا ثديها للنهود. يقول: قبلت غزالة في صورة كاعب من النساء.

(٣٠٤) الخطوب: الأمور الثقال، وتخلصًا: مفعول الرجاء، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف، أنشد سيبويه:

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الْأَجَلْ

(يهجو رجلًا يقول: هو ضعيف عن أن ينكي أعداءه، وجبان عن أن يثبت لقرنه، ولكنه يلجأ إلى الفرار، ويخاله مؤخرًا لأجله.) وأنشبن: علقن، والمخالب: جمع المخلب — بكسر الميم — وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان، يقول: كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت مني ونفد فيَّ حكمها؟

(٣٠٥) أوحدنني؛ أي الخطوب — أي صيرنني واحدًا. يقول: تركتني الخطوب وحيدًا بعد أن فرقت بيني وبين الأحبة، وجعلت صاحبي بعدهم ما أجده من الحزن المتناهي الذي هو واحد الأحزان، وهو حزن الفراق.

(٣٠٦) الغرض: الهدف يرمى بالسهام، ومضاربًا: تمييز جمع مضرب — بفتح الراء وكسرها — حدُّ السيف. يقول: إن الخطوب نصبته هدفًا للمحن.

(٣٠٧) أظمتني من الظمأ: العطش، فأصلها أظمأتني، فأبدل الهمزة ألفًا ثم حذفها. يقول: كان حظي من الدنيا الحرمان. فلما التمست عطاءها أفرغت علي المصائب.

(٣٠٨) قوله من خوص الركاب؛ أي بدلًا من خوص الركاب، والخوص جمع الخوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والركاب: الإبل، والدارش: ضرب من السختيان، وهو جلد أسود. يقول أعطيت عوضًا من الإبل خفًّا أسود، فأنا راكب ماشٍ.

(٣٠٩) حال: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هذه حال، ويروى حالًا — بالنصب — على إضمار عاملٍ محذوف؛ أي أشكو أو أذم. يقول: إن حالي هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلي، ومثل هذا لأبي تمام قال:

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِنَدَاكَ وَهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

وقال أيضًا:

عَضْبٌ إِذَا هَزَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ

(٣١٠) السنان: نصل الرمح، والبنان في الأصل: أطراف الأصابع، والمراد بها هنا الكف، ويتباريان: يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه، ودمًا: تمييز أو منصوب على نزع الخافض؛ أي في دم، والعرف: المعروف والمراد به الجود، والساكب: المنسكب. يقول: إن سنان رمحه يقطر دمًا من الأعداء، وكفه تسكب جودًا على الأولياء، وهذا من قول البحتري:

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيعَا

(٣١١) الخطر: الأمر الخطير؛ أي العظيم. يقول: إنه يستصغر الشيء العظيم لمن يقصده وينتجع إليه لكرمه، ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكفي شاربًا، ومثل هذا قول أبي تمام وزاد الشكر:

فَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَا حَبَوْتَ مِنَ اللُّهَا نَزْرًا وَأَصْغَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلَا

(٣١٢) كرمًا: مفعول مطلق؛ أي كرم كرما، أو مفعول له عامله يظن في البيت قبله، يقول: لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبًا؛ لخروج تلك الأفعال عن طوق المقدرة، قال الواحدي — ناقدًا: وقد أساء في هذا؛ لأنه جعله يستعظم فعله وبضده يمدح، وإنما يحسن أن يستعظم غيره ما فعل كما قال أبو تمام:

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبٌ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكَذِّبُ

وقال البحتري:

وَحَدِيث مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعُ

(٣١٣) حذار: اسم فعل بمعنى احذر، ومسالمًا ومحاربًا: حالان. يقول: سل عن شجاعته؛ لتعرفها بالخبر، ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت؛ أي لا تحاول أن تعرفها بالقتال، فإنك إن قاتلته قتلت، وقد ضرب البيت التالي مثلًا لذلك.

(٣١٤) يقول: فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة؛ إذ لم نجد مخلوقًا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت، وإذن فالموت إن عرف بالمشاهدة أهلك البتة، وكذلك شجاعة الممدوح، وقوله خلقًا؛ أي مخلوقًا، مفعول أول لتلق، وآيبًا: مفعول ثانٍ.

(٣١٥) القسطل هنا: غبار الحرب، وهو القسطل، والقسطال والقسطول والقسطلان والقصطل — بالصاد — كله؛ الغبار الساطع، وقال الجوهري: القسطال لغة فيه كأنه ممدود منه مع قلة فعلال في غير المضاعف، وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثي رجلًا:

وَلَنِعْمَ رِفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ

وَلَنِعْمَ مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ الْقِسْطَالِ

وقال آخر:

كَأَنَّهُ قِسْطَالُ رِيحٍ ذِي رَهَجْ

الجحفل: الجيش العظيم. يقول: إنه لا ينفك عن هذه الأشياء.

(٣١٦) تبيين لأحوال الناس معه. يقول: فلا ترى إلا هاربًا من جيشه، أو طالبًا رفده، أو راغبًا في إحسانه، أو راهبًا من بأسه، أو هالكًا بسيفه، أو نادبًا على قتيل له من الأسرى الذين أسرهم، وقال الواحدي: ويجوز أن تكون هذه أحوال الممدوح؛ أي تلقاه هاربًا من الدنايا، وطالبًا للعلى، وراغبًا في المكارم، وراهبًا من الله تعالى، وهالكًا؛ أي مهلكًا، كما قال العجاج:

وَمَهْمَهٍ هَالِكِ مَنْ تَعَرَّجَا

(تمامه: هائلة أهواله من أدلجا. قال في اللسان: هالك بمعنى مهلك لغة تميم كما يقال: ليل غاض أي مغض، وقال الأصمعي في قوله: هالك من تعرجا؛ أي هالك المتعرجين إن لم يهذبوا في السير؛ أي من تعرض فيه هلك.)

ونادبًا: من يبارزه من الندب، وهذا تعسف من الواحدي كما ترى.

(٣١٧) العواسل: الرماح، والقواضب: السيوف، والجنائب: جمع الجنيبة، وهي التي تقاد إلى جنب الفارس. يقول: عمت جنوده السهل والجبل، فإذا نظرت إلى الجبال رأيتها رماحًا وسيوفًا، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنائب؛ أي غصت بهما.

(٣١٨) العواسل: الرماح، والقواضب: السيوف، والجنائب: جمع الجنيبة، وهي التي تقاد إلى جنب الفارس. يقول: عمت جنوده السهل والجبل، فإذا نظرت إلى الجبال رأيتها رماحًا وسيوفًا، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنائب؛ أي غصت بهما.

(٣١٩) وعجاجة بالنصب عطف على ما تقدم؛ أي ورأيت عجاجة، أو بالجر على إضمار رب، والعجاجة: الغبار، وتبسم — بحذف إحدى التاءين — أي تتبسم، والقذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا، وقال ابن الأعرابي: القذال: ما دون القمحدوة إلى قصاص الشعر، قال الأزهري: القمحدوة ما أشرف على القفا من عظم

الرأس، والهامة فوقها، والقذال دونها مما يلي المقذ، ويقال: القذالان ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال، والزنج — بفتح الزاي وكسرها — جيل من السودان، وهم الزنوج، يقول: إن بريق الأسلحة في سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب القذال، ولمحمود الوراق:

حَتَى تَبَدَّى الصُّبْحُ يَتْلُو الدُّجَى كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ لِلضَّحِك

ولأبي نواس:

لَمَا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ

وهذا التشبيه متداول كثير في الشعر.

(٣٢٠) شبه بياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في ليل. يقول: كأن النهار ألبس بتلك العجاجة ظملة ليل، وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب، أو أطلعت هي كواكب في تلك الظلمة، فقوله: أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح، وإما بصيغة المجهول لمشاكلة قوله كُسي، وهذا المعنى من قول صريع الغواني:

فِي عَسْكَرٍ شَرِقَ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسَلُ

وقول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُه

(٣٢١) عسكرت: تجمعت، وتكتبت: تجمعت كتائب، والكتائب: جمع كتيبة — الفرقة من الجيش — وعسكرًا وكتائب: حالان. يقول: إن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالعدو، وتكاثرت فيها رجال الممدوح حتى صارت كتائب.

(٣٢٢) هذا مثل قول ابن الرومي:

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا دَرَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَعَالِي وَيَصْعَدُ

وقوله علي: أراد عليًّا، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب: ومثله كثير، وذلك كقراءة من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ بغير تنوين، حذفه لالتقاء الساكنين.

(٣٢٣) النضار: الذهب، ومواهبًا وما بعده: تمييز. يقول: إنه أفنى الذهب بالعطاء، والأعداء بالقتل، والزمان بالتجارب؛ أي إنه حصل له من التجارِب ما يعرف به ما يأتي فيما يستقبل من الزمان، فكأنه أفنى الزمان؛ لأنه لا يحدث عليه شيئًا لا يعرفه.

(٣٢٤) ومخيب: عطف على «هذا الذي أفنى» في البيت قبله، وذكر الكف — وإن كان الأفصح تأنيثها — على معنى العضو، أو على إرادة السائل؛ أي لا يرد سائلًا، أو المراد خائبًا صاحبها، وبعد: فإن أكثر ما استعمل العرب الكف مؤنثة على أنها بمعنى اليد، فهم يقولون هذه كف واحدة، وقال بشر بن أبي خازم:

لَهُ كَفَّانِ كَفٌّ كَفُّ ضُرٍّ … وَكَفٌّ فَوَاضِلٍ خَضِلٌ نَدَاهَا

وقال الأعشى:

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٍ … وَأُخْرَى إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ

وقالت الخنساء:

فَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلٍ … بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَك مِدْحَةً … وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ

أما قول الأعشى:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا … يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

فإنه أراد العضو، وقيل هو حال من ضمير يضم، أو من هاء كشحيه.

(٣٢٥) أبصرت — بتاء المتكلم — يعني المتنبي نفسه، ويروى على الخطاب، وحاضرًا وغائبًا على الروايتين: حال من فاعل أبصرت، ومثل: يجوز فيه الرفع والنصب، فالرفع قال ابن جني: هذا مبتدأ أول، والذي: مبتدأ ثانٍ، ومثل: خبر الذي، والجملة خبر

هذا، والعائد على هذا من الجملة التي هي خبر عنه الهاء في منه، والنصب بجعل هذا ابتداء، والذي: خبره، ونصب مثل بأبصرت. يقول: إنه يرى عطاءه حيثما كان حضره أو غاب عنه، ومثله لأبي تمام:

شَهِدْتُ جَسيماتِ الْعُلَا وَهْوَ غَائِبُ   وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبَا

(٣٢٦) الثاقب: المضيء. يقول: حيثما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس — قريبهم وبعيدهم — كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت: يريد أنه عام النفع، ومثل هذا لأبي تمام:

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ   هِلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهْ

وللبحتري:

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْءُهُ   لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

وله أيضًا:

عَطَاءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ   يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ

وقال العباس بن الأحنف:

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ   ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَد

(٣٢٧) أمهجن؛ أي يا مهجن، فالهمزة للنداء، وهجنه: قبحه، قال صاحب اللسان: الهجنة من الكلام ما يعيبك، والهجين: العربي ابن الأمة لأنه معيب، ولهذه المناسبة نقول: إن الهجنة في الناس والخيل إنما تكون من قبل الأم، فإذا كان الأب عتيقًا والأم ليست كذلك؛ كان الولد هجينًا. قال الراجز:

الْعَبْدُ وَالْهَجِينُ وَالْفَلَنْقَسُ   ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَمَّسُ

والأقراف: من قبل الأب، أو الذي أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك. روى الرواة أن روح بن زنباع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت — وكانت شاعرة:

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ
فَإِنْ نُتِجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ

وأزرى به: عابه، قال في اللسان: الإزراء: التهاون بالشيء، يقال أزريت به: إذا قصرت به، وحقرته، وهونته، وزريت عليه، وزرى عليه زريًا، وزراية، ومزرية، ومزراة، وزريانًا: عابه وعاتبه. قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عُمَرٍ قَدْ قُلْتَ فِيهِ غَيْرَ مَا تَعْلَمْ

وقال الآخر:

وَإِنِّي عَلَى لَيْلَى لَزَارٍ وَإِنَّنِي عَلَى ذَاكَ فِيمَا بَيْنَنَا مُسْتَدِيمُهَا

أي عاتب ساخط غير راضٍ، وزرى عليه عمله: إذا عابه وعنفه، وتروك مبالغة في تارك، وهو مضاف لكل — الذي هو مفعوله الأول — وعاتبًا مفعول ثانٍ، ويروى عائبًا. يقول: إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتهم عاتبين عليك؛ لما يظهر من كرمك المزري بهم أو عاتبين بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت، أو تركتهم عائبين لك حسدًا.

(٣٢٨) شادوا: بنوا ورفعوا، وتشييد البناء: إحكامه ورفعه، والبناء المشيَّد — بالتشديد — المطول، أما المشيد فهو المبني بالشيد، والشيد كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط. قال عدي بن زيد:

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـ ـسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة، ومنهم من يجعل المشيد والمشيَّد بمعنى، ومما يتفرع عن هذه المادة قولهم: أشاد بذكره؛ أي نوه به ورفع قدره، وقال أبو عمرو: أشدت بالشيء: عرفته، والمناقب: المفاخر، والمثالب: المخازي والمعايب. يقول: لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب، وهذا كقول أبي تمام:

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرِنُوا بِهَا مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(٣٢٩) لبيك؛ أي إجابة لك بعد إجابة، ونصبه على المصدر، وغيظ الحاسدين: منادى، والراتب: الثابت المقيم، ونخبر: نشاهد ونعلم. قال الواحدي: أظهر الإجابة إشارة إلى أنه بنداء مناد؛ أي كأن الممدوح يناديه بلسان كرمه للتنويه به، وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يُعرف بذلك. قال الخطيب: وصرع البيت لانتقاله من المدح إلى الإجابة.

(٣٣٠) تدبير: مبتدأ محذوف الخبر؛ أي لك تدبير، وروي تدبير وهجوم: منصوبين، على أن تدبير بدل من عجائب — في البيت السابق — وهجوم: عطف عليه، وحنك: جمع حنكة، وهي الخبرة والتجربة، وضده الغر؛ أي الذي لم يجرب الأمور ولا يفكر في العواقب. يقول: إنك تدبر ملكك تدبير مجرب مختبر مفكر في العواقب، وإذا هجمت في الوغى هجمت هجوم الغر؛ أي إنك تفعل كلا في موضعه، فتدبر الملك تدبير مجرب بصير بأعقاب الأمور، وتقدم في الحرب إقدام الغر، وهذا من قول أبي تمام:

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ

وقوله:

كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشِّدَّاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْغِطْرِيفَا

وقال البحتري:

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

(٣٣١) وعطاء: عطف على تدبير، وعداه: تجاوزه. يقول: إذا لم يأتك طالب أنفقت مالك في البحث عن طالب تعطيه.

(٣٣٢) أسطيعه: هو أستطيعه، وبهما جاء التنزيل الحكيم. يقول: إني إنما أثني عليك بقدر ما أستطيع، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه؛ لأنه فوق طاقتي، فاعذرني في ذلك، ثم بين عذره في البيت التالي، وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثناي — وهو ممدود — ضرورة. قال العكبري: حكى ابن سعد عن أبي الطيب — وهو علي بن سعد،

وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات؛ لأن ذلك قديم الوفاة. توفي بعد المائتين، وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلاثمائة — قال: سمعت أبا الطيب يقول: ما قصرت ممدودًا في شعري إلا هذا الموضع: خذ من ثناي، وذلك أنه رأى بخط أبي الفتح — ابن جني:

وَقَدْ فَارَقْتَ دَارَكَ وَاصْطِفَاكَ

بكسر الطاء، هذا، وقد قال أهل اللغة: إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم أي إنه يستعمل في الخير والشر، وأنشدوا:

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي أُثْنِي عَلَيْكِ بِمِثْلِ رِيحِ الْجَوْرَبِ

وخص بعضهم به المدح.

(٣٣٣) دهش: تحير، ومثله شده. قال صاحب اللسان: دهش دهشًا، فهو دهش ودهش فهو مدهوش، وكرهها بعضهم، وأدهشه الله وأدهشه الأمر، ودهش الرجل — بالكسر — دهشًا: تحير، ويقال: دهش وشده، واللغة العالية: دهش، على فعل، والملك الحفيظ: هو الموكل بالإنسان يكتب حسناته وسيئاته. يقول: لقد تحيرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحصيها وأثني بها، وأقل من ذلك ما يحير الملك الموكل بك؛ لأنه لم ير مثله من غيرك، ولأنه لكثرته يعجز عن كتابته.

(٣٣٤) يقول: هو نفاع ضرار، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنقض منه الصواعق، ففيه حياة لقوم، وهلاك لآخرين. قال الواحدي: هذه الأبيات مضطربة الوزن، وهي من الرمل، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن، وهو في الأصل في الدائرة، ولكن لم يستعمل العروض ها هنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد:

مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بَعْدَكِ الـْ ـقَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

(السحق: الثوب الخلق الذي انسحق وبلي؛ كأنه بعد من الانتفاع به.)

غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن؛ لأنه مصرع، فتبعت عروضه ضربه.

(٣٣٥) جعله هذه الأشياء مبالغة؛ لكثرة وقوعها منه حتى صار وإياها كالشيء الواحد، على حد قول الخنساء:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ

تصف الخنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة، فجعلها إقبالًا وإدبارًا لكثرتهما منها.

(٣٣٦) الطرف — بفتح الطاء — العين، والجهد — بالضم — الطاقة، أما بالفتح فهو المشقة، وقيل هما لغتان: كالشهد والشهد، والأيدي: فاعل حمدته. يقول: إنه لا يجيل طرفه إلا على إحسان وإساءة، فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدي جهدها؛ لأنه يملؤها بالعطاء، وذهب اليازجي إلى أن الطرف — بكسر الطاء — أي الفرس الكريم. قال: يقول المتنبي: إنه ما أجال فرسه في الحرب إلا ملأ أيدي أوليائه من الغنائم فحمدته جهدها، وضرب رقاب أعدائه فذمته …

(٣٣٧) يقول: لا يقتل أعاديه ليستريح منهم؛ لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهمه بقاؤهم، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية أن يخلف رجاء الذئاب، وهو لم يتعود أن يخيب راجيًا، وهذا كقول مسلم:

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

(٣٣٨) يقول: إنه مهيب كل الهيبة، وجواد غاية في الجود، فإنه يهاب هيبة من لا يرجى العفو عنده، ويجود جود سمح كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهابته.

(٣٣٩) الطعن الشزر: ما كان عن يمين وشمال، والعجاج: الغبار، والنقاب: ما تستر به المرأة وجهها. يصفه بالحذق في الطعن. يقول: إنه يصيب أحداق الفرسان والجو مظلم بغبار الحرب الذي كأنه نقاب للشمس يسترها، وهذا كقوله:

يَضَعُ السِّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُحَاوِلا

(٣٤٠) يقول: إن يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذي لا خلاص لمن وقع فيه.

(٣٤١) بأبي: تفدية. قال الواحدي: يريد أن ريحه أطيب من ريح النرجس «الذي بين يديه» وحديثه ألذ من الشراب، وليس هذا مما يمدح به الرجال؛ أي وإنما يخاطب بمثله المحبوب.

(٣٤٢) برز: بذ وسبق، وسبقًا: مفعول مطلق، كأنه قال إن سبقت سبقًا، والعراب: الخيل العربية. يقول: ليس بمستنكر أن تسبق الناس وتبذهم؛ لأنك أهل ذلك، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق. هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العراب، كما تقول هند غير مصروفة، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العراب جنس غير مدفوع. قال ابن جني: كان يجوز له أن يقول غير هذا، ويقول: لا تدفع عن السبق العراب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة، وقد يتزن البيت بأن يقول:

أقول: وأين قط لا يدفع عن سبق عراب من غير مدفوع عن السبق العراب؟ ولكنه النحو والنحويون.

هذا، وقد قال أبو حيان في تذكرته: إن هذا البيت في الإعراب نظير بيت أبي نواس:

غَيْر مَأَسُوفٍ على زَمَنٍ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالحَزَنِ

قال ابن حيان: ف «العراب» مرفوع بمدفوع، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ؛ لأنه يصير التقدير، العراب غير مدفوع عن السبق، والعراب جمع فلا أقل من أن يقول: غير مدفوعة؛ لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره. وإليك آراء النحاة في إعراب غير، قال ابن هشام في «المغني»: فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه (لما: بكسر اللام وتخفيف الميم، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن؛ لأنه نائب فاعل مأسوف، والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد.) مرفوع يغني عن الخبر؛ وذلك لأنه في معنى النفي، والوصف بعده مخفوض لفظًا وهو في قوة المرفوع بالابتداء، فكأنه قيل: ما مأسوف على زمن ينقضي مصاحب للهم والحزن، فهو نظير: ما مضروب الزيدان، والنائب عن الفاعل الظرف، قاله ابن الشجري وتبعه ابن مالك. والثاني: أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضي بالهم والحزن غير مأسوف عليه، ثم قدمت غير وما بعدها، ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور فأتى بالاسم الظاهر مكانه، قاله ابن جني وتبعه ابن الحاجب. فإن قيل: فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا ممتنع. قلنا: في النثر، وهذا شعر فيجوز فيه، كقوله:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

أي أنا ابن رجل جلا الأمور. وقوله:

تَرْمِي بِكَفَّيْ كانَ مِنْ أرْمِي البَشَرْ

أي بكفي رجل كان، والثالث: أنه خبر لمحذوف، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالمعسور والميسور والمراد به اسم الفاعل، والمعنى: أنا غير آسفٍ على زمن هذه صفته، قاله ابن الخشاب، وهو ظاهر التعسف.

(٣٤٣) تشكَّى — بحذف إحدى التاءين — أي تتشكى، وإليه: متعلق بتشكَّى، والضمير في غيبته وفي إليه: للسحاب، والرشف: المص، وأصله أن تستقصي ما في الإناء حتى لا تدع فيه شيئًا، والرضاب: الريق. يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب. يقول: إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها، وعند لقائه ترشف ماءه كما يرشف العاشق ريق المعشوق.

(٣٤٤) يقول: إني إنما أتأمل في محاسنك لا في الشطرنج، وأنتصب جالسًا لأراك لا لأراه، والشطرنج فارسي معرب من شدرنج، ومعناه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلًا، وكسر الشين فيه أجود؛ ليكون من باب جردحل: وهو الضخم من الإبل: هذا وقد قال ابن جني: إن هذه الأبيات لم أقرأها عليه، وشعره عندي أجود منها، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبغداد.

(٣٤٥) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة، ثم أعود إليك.

(٣٤٦) بكل معجزة؛ أي بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والإجابة عليها، فلو سئل عنها غيره أجبل «انقطع» قال العكبري: هذه أبيات رديئة عملها ارتجالًا في معانٍ ليست هناك.

(٣٤٧) الضروب: الشكول والأصناف، وأشفهم: أفضلهم. يقول: شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل، وهذا كالتمهيد للبيت التالي. هذا، وقد ذهب بعض الشراح إلى أن ضروبًا؛ حال، كأنه قال: الناس عشاق مختلفين في عشقهم، ولكن الأجود أن يكون منصوبًا بوقوع الفعل عليه وهو العشق: أي ضروب الناس يعشقون ضروبًا.

(٣٤٨) السكن: ما تسكن نفسك إليه وتهواه. يقول: فالذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسي هو قتل أعدائي، فهل من زيارة لهذا الحبيب؟ أي هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب؟

(٣٤٩) ترد؛ أي تردد: والصراصر: جمع صرصرة، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما، والنعيب: صوت الغراب. يقول: هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتلى فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينعب الغراب؟ جعل صياح الطيور المجتمعة على القتلى كأنه حديث يتحدثن به.

(٣٥٠) وقد لبست؛ أي الطير، وعليهم: متعلق بحدادًا، والحداد: الثياب السود تلبس عند المصيبة، والجيوب: جمع جيب، وهو طوق القميص، وعند العامة: كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج. يقول: إن هذه الطير تغوص في دماء القتلى فتتلطخ بها، وتجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتلى. بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبًا كما تفعل ربات الحداد. هذا، وقد روي: دماؤهم — بالرفع — فيكون المعنى أن الدماء اسودت على القتلى، فكأنما لبست ثوبًا غير ما كانت تلبس من الحمرة.

(٣٥١) الكعوب: جمع كعب، وهو ما بين الأنبوبتين من القناة. يقول: لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت في أبدانهم بعظامهم.

(٣٥٢) القحوف: جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذي فوق الدماغ؛ والجمجمة: العظم الذي فيه الدماغ، والتريب: عظم الصدر، والجمع: الترائب: موضع القلادة من الصدر. يقول: كأن خيلنا كانت في صغرها تسقى اللبن في أقحاف رءوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لا تنفر منهم ... وقد جرت عادة العرب أن تسقي اللبن كرام خيولها.

(٣٥٣) القحوف: جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذي فوق الدماغ؛ والجمجمة: العظم الذي فيه الدماغ، والتريب: عظم الصدر، والجمع: الترائب: موضع القلادة من الصدر. يقول: كأن خيلنا كانت في صغرها تسقى اللبن في أقحاف رءوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لا تنفر منهم ... وقد جرت عادة العرب أن تسقي اللبن كرام خيولها.

(٣٥٤) الشوى من الخيل: قوائمها. يقال: فرس عبل الشوى، والشوى من الآدميين: اليدان والرجلان، وقيل: اليدان والرجلان والرأس، وكل ما ليس مقتلًا، ومن هذا قولهم: رماه فأشواه؛ أي أصاب شواه، ولم يصب مقتله، قال الهذلي:

فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاتُهَا

أي إن من القول كلمة لا تشوي ولكن تقتل.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس، ويقال لجلدة الرأس شواة، وقد توسعوا في الشوى فاستعملوه في كل من أخطأ غرضًا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل، وقد رويت خُضبت — بالبناء للمعلوم، والضمير للخيل — يقول: إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعني نفسه — فكلما فرغ من حرب، خاض حربًا أخرى.

(٣٥٥) الخنزوانة في الأصل: ذبابة تطير في أنف البعير فيشمخ لها بأنفه، واستعيرت للكبر، وتنمر: صار كالنمر غضبًا، وقوله أصاب؛ أي أأصاب — بهمزة التسوية — يقول: إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لا يبالي أقتلهم أم قتلوه.

(٣٥٦) الهمزة في أعزمي: للنداء، ويفرق: يخاف، ويئوب: يرجع. يقول — مخاطبًا عزمه: انظر يا عزمي هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب في جملة أعدائي؟ وعبارة ابن فورجه: أراد: لعظم ما عزمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذي قمت به، كأن الصبح يفرق من عزمي، ويخشى أن يصيبه بمكروه، فهو يتأخر ولا يئوب.

(٣٥٧) الحب: المحبوب، ويراعي: يراقب وينتظر، والدجنة الظلمة، والدجنة من الغيم المطبق تطبيقًا والريان المظلم الذي ليس فيه مطر، يقال: يوم دجن ويوم دجنة — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة — والدجنة: الظلمة جمعها دجن ودجنات، والداجنة: المطرة المطبقة نحو: الديمة، والضمير في دجنته: لليل. شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعي من ظلمة الليل رقيبًا فتتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل، وأن الفجر ليس يطلع، فكأنه حبيب يخاف رقيبًا.

(٣٥٨) الجبوب: وجه الأرض ومتنها، من سهل أو حزن أو جبل، وقيل: الأرض الغليظة، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين، ولا يجمع، والحلي: ما تزين به من الذهب والفضة وغيرهما، وجمعها حلي: مثل ثدي وثدي، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى. قال الفارسي: وقد يجوز أن يكون الحلي جمعًا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدي، وحذيت قوائمه الجبوب؛ أي جعل الجبوب حذاء لقوائمه. يقول: كأن النجوم حلي

على الليل فليست تفارقه، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشي؛ لثقل الأرض على قوائمه.

(٣٥٩) الشحوب: تغير اللون من هزال ونحوه، والضمير من سواده لليل، ومن فيه: للجو. يقول: كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبًا؛ أي كأن الليل اسود؛ لأنه دفع إلى ما دفعت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب.

(٣٦٠) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والسهاد: السهر. يقول: إن سهاده يطول والليل يطول معه، فكأن سهاده يجذب ظلمة الليل، فهي لا تنقضي إلا بانقضائه، وسهاده لا ينقضي، وكذلك ظلمة الليل.

(٣٦١) يقول: إني أقلب أجفاني في ذلك الليل، ولكثرة تقليبي إياها كأني أعد على الدهر ذنوبه، فكما أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لا تكاد تفنى. كذلك تقليبي أجفاني كثير لا يفنى، فلا نوم هناك، ولك أن تقول: أقلب أجفاني في ذلك الليل وأنا أرعى نجومه كأني أعد بها ذنوب الدهر التي هي مثلها في العدد، وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن:

أَنَا أُحْصِي فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنْ لِذُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِ

(٣٦٢) بلحظ حسادي؛ أي بلحظي حسادي، يقول: ليس ليلي وإن طال بأطول من نهار يشوبه — أي يخالطه — أن أنظر فيه إلى حسادي وأعدائي.

(٣٦٣) يقول: إذا كان لحسادي نصيب معي في الحياة وشاركوني فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إليَّ من تلك الحياة؛ أي إنه لا تحلو له الحياة حتى يقتل حساده.

(٣٦٤) الحدثان: حوادث الدهر ونوبه، ويقال: انتسب الرجل إلى فلان: إذا نسب نفسه إليه، والنقيب: الخبير بأحوال القوم وأنسابهم. يقول: لكثرة ما أصابني من نوائب الدهر صرت عارفًا بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها.

(٣٦٥) يقول: لما أعوزتنا الإبل وفقدناها لقلة ذات اليد أدتني المحن والشدائد إلى الممدوح، فكأنها كانت مطايا ركبناها إليه.

(٣٦٦) رتعت الإبل: رعت في بحبوحة وخصب، والجدب: ضد الخصب، ومكان جديب: لا نبات فيه. يقول: إن الخطوب مطايا لا يبغي أحد ركوبها، وهي لا ترعى نبات

الأرض، إنما ترعانا وتنال منا. فما فارقتها عند وصولي إليك إلا جديبا؛ لأنها رعتني وأتت عليَّ فلم تترك مني شيئًا.

(٣٦٧) رتعت الإبل: رعت في بحبوحة وخصب، والجدب: ضد الخصب، ومكان جديب: لا نبات فيه. يقول: إن الخطوب مطايا لا يبغي أحد ركوبها، وهي لا ترعى نبات الأرض، إنما ترعانا وتنال منا. فما فارقتها عند وصولي إليك إلا جديبا؛ لأنها رعتني وأتت عليَّ فلم تترك مني شيئًا.

(٣٦٨) الشيمة: الخلق، وتقول: شعفتني حبًّا وشغفتني، والمعنى تيمتني وبلغت مني، وشغفتني: من شغاف القلب، وهو غلافه، أو سويداؤه، والنسيب: التشبيب بالنساء في الشعر. يقول: إن أخلاق الممدوح شغفتني بحسنها. فلولا مهابته واحتشامه لتغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه.

(٣٦٩) الضمير في هواها: للشيمة، والرشأ: ولد الظبية إذا تحرك ومشى، والربيب: المربى. يقول: إن كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقها أنا. فهي محبوبة إلى كل إنسان، وإن لم يكن بينها وبين الرشأ شبه؛ لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان.

(٣٧٠) عجيب: خبر مبتدأ محذوف يعود إلى الممدوح، وعجيبًا: خبر ما العاملة عمل ليس. يقول: هو عجيب في الزمان، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبًا؛ لأنهم الغاية في المجد والكرم.

(٣٧١) وليس شيخًا ... إلخ؛ أي ليس كل من بلغ المشيب يسمى شيخًا؛ فشيخًا: مفعول ثانٍ مقدم ليسمى، وكل: يجوز أن يكون اسم ليس، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع. يقول: هو مع أنه شاب؛ في حنكة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم، ورب إنسان غيره بلغ المشيب، ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخًا؛ لتخلفه ونقصه.

(٣٧٢) قوله من قواه: يروى من يديه. يقول: قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته، وهو مع ذلك في مجلسه قد رق طبعًا وكرمًا حتى لنخاف أن يذوب، ويقال فلان يذوب ظرفًا: إذا لان جانبه، واحلولت شيمته.

(٣٧٣) الهوج: جمع هوجاء: وهي الشديدة العصف في حمق وطيش، والبطش: الأخذ بقوة، والندى: الجود: بطشًا وهبوبًا: نصبا على التمييز، وقال آخرون: هما مصدران وقعا موقع الحال. يقول: هو لدى الوغى أشد بطشًا من هوج الرياح، ولدى الجود أسرع منها في العطاء.

(٣٧٤) الغرض: الهدف يرمى بالسهام. يقول: إن الناس يقولون: إنه أرمى من رأيناه يرمي السهام، فقلت: إنكم رأيتموه وهو يرمي الغرض القريب منه. فكيف لو رأيتموه يرمي الغرض البعيد؟

(٣٧٥) الرمايا: جمع رمية، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد. يقول: إنه صائب الفكرة فهو يرمي المغيبات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره، فكيف لا يصيب المحسات بسهامه؟

(٣٧٦) الكنانة: الجعبة التي توضع فيها السهام، ونكبت: قلبت على رأسها لينثر ما فيها، واستبنا: تبينا ورأينا: والندوب في الأصل: آثار الجروح؛ والمراد هنا مطلق الأثر، والأفواق؛ جمع فوق، وهو موضع الوتر من السهم، يقول: إذا نثرت كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثارًا في نصوله لسرعة رميه، ورميه إياها على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضًا من غير أن يميل عنه، ويصيب اللاحق منها فوق السابق، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق؛ لاتصل بعضها ببعض، وصارت مستوية كالقضيب، وكان الوجه أن يقول: بأفوقها لأنصلها ندوبًا بدليل البيت الثاني، ولأن النصال إذ ذاك لا تتقابل، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل: السهام، لا الحديد بخصوصه.

(٣٧٧) الكنانة: الجعبة التي توضع فيها السهام، ونكبت: قلبت على رأسها لينثر ما فيها، واستبنا: تبينا ورأينا: والندوب في الأصل: آثار الجروح؛ والمراد هنا مطلق الأثر، والأفواق؛ جمع فوق، وهو موضع الوتر من السهم، يقول: إذا نثرت كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثارًا في نصوله لسرعة رميه، ورميه إياها على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضًا من غير أن يميل عنه، ويصيب اللاحق منها فوق السابق، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق؛ لاتصل بعضها ببعض، وصارت مستوية كالقضيب، وكان الوجه أن يقول: بأفوقها لأنصلها ندوبًا بدليل البيت الثاني، ولأن النصال إذ ذاك لا تتقابل، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل: السهام، لا الحديد بخصوصه.

(٣٧٨) بكل مقوم: بدل من قوله ببعضها؛ أي يصيب بكل سهم هذه صفته. يقول: إن سهمه يتجه كيف شاء، فكأنه عاقل يأمره فيطيع.

(٣٧٩) النزع: جذب الوتر للرمي، وضمير منه: للسهم، والرمي المرمى، فهو فعيل بمعنى مفعول، والهدف: بدل من رميه. يقول: إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه نارًا بين القوس والهدف، وذلك أن حفيف السهم في سرعة مروره يشبه حفيف النار في التهابها، والعرب إذا وصفت شيئًا بالسرعة شبهته بالنار، ومنه قول العجاج يصف سرعة مشي الحمار والأتان:

كَأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرْفَجَا

(العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار، ولهبه شديد الحمرة، ويبالغ بحمرته فيقال: كأن لحيته ضرام عرفجة.)

(٣٨٠) الأولى بمعنى الذين: والاستفهام للتقرير أي أَنت ابن أولئك، وسعدوا؛ من السعادة، والنجيب: الكريم.

(٣٨١) يقول: وأنت ابن الذين أدركوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة، فأدركوا الصعب البعيد بأهون سبب، ودُون جهد ونصب، وجعل الوحش مثلًا للمطلوب البعيد، ودبيب النمل مثلًا لرفقهم ولطف تأنيهم.

(٣٨٢) يقول: إن الطيب الذي يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة، ولكنه شيء أفادته من دفن آبائه في التراب، وهذا من قول أبي تمام:

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

(٣٨٣) الضمير في زمانه: للمجد، والقشيب: الجديد، قال ابن جني: معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة، وقال غيره: إن روح مجد آبائه انبعثت فيه فعاد إلى عالم الظهور، وتجدد زمانه بعد انقضائه، وقال آخرون: معناه يا من عاد به روح المجد في المجد؛ أي إن المجد كان ميتًا فعاد به حيًّا، وعاد الزمان الذي كان باليًا جديدًا به، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال:

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْمَجْدَ حَيَّانِ أَنْتُمَا وَهَلْ عِشْتُمَا مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدِ
فَقَالَا نَعَمْ مِتْنَا جَمِيعًا وَضَمَّنَا ضَرِيحٌ وَأَحْيَانَا دَبِيسُ بْنُ مِزْيَدِ

(٣٨٤) تيممني: قصدني، قال الواحدي: سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل — رحمه الله — قال: سمعت والدي أبا بشر قاضي القضاة يقول: أخبرني أبو الحسين الشامي الملقب بالمشوق قال: كنت عند المتنبي فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات:

فُؤَادِي قَدِ انْصَدَعْ وَضَرْسِي قَدِ انْقَلَعْ
وَلِلَّيَالِي عَقْلِي قَدِ انْهَوَى وَمَا رَجَعْ

يَا حُبَّ ظَبْيٍ غَنجٍ   كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ طَلَعْ
رَأَيْتُهُ فِي بَيْتِهِ   مِنْ كُوَّةٍ قَدِ اطَّلَعْ
فَقُلْتُ ته ته ته وته   فَقَالَ لِي مُرْ يَا لُكَعْ
هَاتِ قِطَعْ ثُمَّ قِطَعْ   ثُمَّ قِطَعْ ثُمَّ قِطَعْ
وَضَعْ بِكَفَّيَّ وَفِي   جَيْبِي أَدَعْكَ أَنْ تَضَعْ

فهذا الذي عناه المتنبي بقوله: وأنشدني من الشعر الغريبا.

(٣٨٥) آجره الله: أثابه؛ جعل نفسه كالمسيح، وهذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوي المسيح الذي يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، وإذن فلا حاجة به إلى طبيب، ولا سيما إذا كان الطبيب عليلا.

(٣٨٦) جعله شمسًا لشرفه وعموم منفعته، يدعو له بأن لا تزال دياره مشرقات بنوره، وبأن لا يشرف على الغروب؛ أي لا يموت.

(٣٨٧) لأصبح: تعليل للدعاء السابق. يقول: أنا آمن عليك من العيوب فإنها لا تقربك، ولكن الذي أخشاه أن نرزأ فيك، فأنا أدعو الله أن يقيك الرزايا لأصبح آمنًا فيك المحذورين معًا.

(٣٨٨) يقول: إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا، فإنك إذا صعدت إلى أحدهما فجلست عليه مال الآخر عنه هيبة لك.

(٣٨٩) يقول: إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا، فإنك إذا صعدت إلى أحدهما فجلست عليه مال الآخر عنه هيبة لك.

(٣٩٠) يقول: إذا كان ما لا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره؟

(٣٩١) قفلنا: رجعنا، وإليك: بمعنى اكفف، وشم: أمر من شام البرق إذا نظر إليه يرجو المطر، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به، وقوله فشم … البيت؛ يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقرًا إلى سقياه، ثم قال: إنه لما قال ذلك للسحاب أمسك عن الانسكاب بعد أن همَّ به حياء من جوده.

(٣٩٢) قفلنا: رجعنا، وإليك: بمعنى اكفف، وشم: أمر من شام البرق إذا نظر إليه يرجو المطر، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به، وقوله فشم … البيت؛ يأمر

السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقرًا إلى سقياه، ثم قال: إنه لما قال ذلك للسحاب أمسك عن الانسكاب بعد أن همَّ به حياء من جوده.

(٣٩٣) ضمير به للأمير، والخطاب في بكم لطاهر العلوي، وهو من نسل الزهراء كريمة سيدنا رسول الله ﷺ ومن ثم قال: كما بكم يغفر الذنوبا.

(٣٩٤) التصغير في ما أحيسنها: مبالغة في الاستحسان، وقوله لم أعجب؛ أي لم أقل ما أحسينها؛ أي لولا حسنها لم أقل ذلك.

(٣٩٥) خلوقية: نسبة إلى الخلوق ضرب من الطيب أصفر اللون، وفي خلوقيها: خبر مقدم، وسويداء: مبتدأ مؤخر. يقول: هذه المقلة صفراء مثل لون الخلوق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب.

(٣٩٦) يقول: إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعًا.

(٣٩٧) قالوا: إن الأمير أبا محمد بن طغج لم يزل يسأل المتنبي أن يخص أبا القاسم طاهرًا العلوي بقصيدة من شعره، وأنه قد اشتهى ذلك، وأبو الطيب يقول: ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه؛ فقال أبو محمد: عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها فيَّ فاجعلها فيه، وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب. قال محمد بن القاسم الصوفي: فسرت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف، فلما أقبل أبو الطيب، نزل طاهر عن سريره والتقاه مسلمًا عليه؛ ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلًا. ثم أنشده أبو الطيب فخلع عليه — للوقت — خلعًا نفيسة. قال علي بن القاسم الكاتب: كنت حاضرًا هذا المجلس، فما رأيت ولا سمعت أن شاعرًا جلس الممدوح بين يديه مستمعًا لمدحه غير أبي الطيب؛ فإني رأيت هذا الشريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة.

(٣٩٨) الكواعب: جمع كاعب، وهي التي بدا ثدياها للنهود، والحبائب: جمع حبيبة ولحظ الحبائب أي رؤيتهن، يقول: أصبح دهري ليلًا كله بعد ظعن الأحبة فليس هناك صباح إلا بردهن، وقد نفي عني الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن، والمعنى ردوهن عليَّ حتى يرتد صباحي ورقادي.

(٣٩٩) مدلهمة: شديدة السواد، والغياهب: الظلمات، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق. يقول: لما رحلتم لم أبصر بعدكم شيئًا؛ أي بكيت حتى عميت، فآض

نهاري ليلًا حالك السواد، وعبارة الواحدي: يريد أن جفونه مختومة بعدهن لم تفتح، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل، وقال التبريزي: هذا معنى البيت الأول؛ أي غاب عني الكواعب فغاب صباحي بعدهن؛ لأن الدنيا تظلم في عين المحزون، فردوا رقادي فقد كنت أراهم في نومي، وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد، والعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر.

(٤٠٠) بعيدة: بدل من مقلة — في البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهي خبر ابتداء محذوف أي هي بعيدة، والهدب: الشعر النابت على أشفار العين، ولكن المراد بأعالي كل هدب: ما نبت على الجفون الأعلى فهو عام قد خصص، ونص عبارة الواحدي: إذا حمل قوله كل هدب على العموم، فالحاجب ها هنا بمعنى المانع؛ لأنا إذا حملنا الحاجب على المعهود كان مغمضًا لأن هدب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض، وإذا جعلنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام: وإن جعلنا الحاجب المعهود حملنا قوله كل هدب على التخصيص، وإن كان اللفظ عامًّا، وهذا مثل قول الآخر:

وَرَأْسِيَ مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مُخَيَّطُ

يقول: إن عينيه لا تنطبقان، وتباعدت أجفانه حتى لكأن أعالي أهدابها قد عقدت بالحاجبين، ومثل قول بشار بن برد:

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

(٤٠١) يقول: إن الدهر مولع بمخالفتي حتى لو هويت فراقكم لواصلتموني؛ يعني أن من أهواه يبعد عني، ومن أجتويه يقرب مني لسوء صحبة الدهر إياي، فقوله لفارقته؛ أي لفارقت الفراق مضطرًا بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم:

أَرَى مَا أَشْتَهِيهِ يَفِرُّ مِنِّي وَمَا لَا أَشْتَهِيهِ إِلَيَّ يَأْتِي
وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْغِضُنِي عِنَادًا وَمَنْ أَشْنَاهُ يَشْبَثُ فِي لَهَاتِي
كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَأْرٍ فَلَيْسَ يَسُرُّهُ إِلَّا وَفَاتِي

وقال العكبري: قوله لفارقته: كان الوجه أن يقول لفارقني، لكنه قلبه لأن من فارقك فقد فارقته، وهذا من باب القلب. ثم قال: وكان حقه أن يقول أخبث الأصحاب؛

لأنه أراد خبث من يصحبه، وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه الإفراد والجمع كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي أول من يكفر: وأنشد الفراء:

وَإِذَا هُمُ طَعِمُوا فَأَلْأَمُ طَاعِمٍ   وَإِذَا هُمُ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعِ

فأتى ألأمرين جميعا.

(٤٠٢) يقول: ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب، وليت المصائب بعدت عني بعدهم. يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتمنى أن تكون أحبته كذلك، وهذا كما قال أيضًا:

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِي هَجْرَ الْكَرَى   مِنْ غَيْرَ جُرْمٍ وَاصِلِي صِلَةَ الضَّنَا

(٤٠٣) أراك: أظنك، والسلك: الخيط ينظم فيه الدر وغيره، وقوله: عليك بدر، يريد بدر عليك فقدم الجار والمجرور، والترائب: موضع القلادة من الصدر، يقول: أظنك حسبت السلك الذي في قلادتك جسمي لمشابهته إياه في الدقة، فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه؛ لئلا يلامس صدرك؛ أي إن ولوعك بمشاقتي حملك على منافرة كل ما يشاكلني، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معاني المتنبي البديعة.

(٤٠٤) يقول: لشدة سقمي نحلت حتى لم يبقَ لي جثمان يحس به، فلو ألقيت في شق قلم، لم يتغير به خط كاتب، وهذا من مبالغات الشعراء، وقد افتنوا في هذه المعنى كل الافتنان، فمن ذلك قول بعضهم:

ذُبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَوْ زُجَّ بِي   فِي مُقْلَةِ الْوَسْنَانِ لَمْ يَنْتَبِهِ

وقول الآخر:

فَاسْتَبْقِ مَا أَبْقَيْتَ لِي فَلَعَلَّنِي   يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
مِنْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسًى فَلَوَ انَّهَا   فِي الْعَيْنِ لَمْ تَمْنَعْ مِنَ الْإِغْفَاءِ

(٤٠٥) قال الواحدي: الذي أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر، والذي خوفته به هو الهلاك، وتقدير اللفظ: تخوفني بشيء دون الذي أمرت به؛ أي تخوفني بالهلاك

وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت؛ لأن فيها عارًا، والعار شر من البوار، والضمير في تخوفني: للحبيبة، أو العاذلة، وعبارة ابن جني: تخوفني الهلاك وهو عندي دون العار الذي أمرتني بارتكابه.

(٤٠٦) يقول: لا بد لي من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادي فأسمع بعده صياح النوادب عليهم، والأغر في الأصل: الذي في وجهه بياض، والمحجل: قال أبو عبيدة: المحجل من الخيل أن تكون قوائمه الأربع بيضًا يبلغ البياض منها ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين، العرقوبين — وأغر محجل كما ترى من صفات الخيل — استعارهما لليوم؛ يريد يومًا مشهورًا ينماز عن الأيام كما ينماز الفرس بالغرة والتحجيل.

(٤٠٧) العوالي: صدور الرماح؛ أي الأسنة، والقواضب: السيوف القواطع يقول: مثلي إذا رام أمرًا لم يبالِ أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف: يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال.

(٤٠٨) كثير: مبتدأ، ومثل: خبر أول، ويزول: خبر ثانٍ: يحث على الشجاعة والإقدم وينهى عن الجبن. يقول: إن طول العمر وقصره سيان؛ لأن نهاية كل منهما الزوال، وما بقي من العيش لاحق بما ذهب فهو في حكمه، وإذن لا وجه للحرص على الحياة، وقال ابن الرومي:

رَأَيْتُ طَوِيلَ الْعُمْرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُفْضَاهُ إِلَى غَايَةٍ تُرَى

وقال العكبري: وهذا من كلام الحكماء، قال الحكيم: أواخر حركات الفلك كأوائلها، وناشئ العالم كلاشيه في الحقيقة لا في الحس.

(٤٠٩) إليك: اسم فعل بمعنى كفى. يقول: كفى عني فإني لست ممن إذا خشي الهلاك صبر على الذل والهوان. جعل الأفاعي مثلًا للهلاك؛ لأنها تقتل بسمها دفعة واحدة، والعقارب مثلًا للذل والهوان؛ لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر، فيكون أطول عذابًا، وأمر آلامًا، وإليك كلمات الشراح؛ قال ابن جني: لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان، فشبه الأفاعي بالعظيمة والعقارب بالذل، وقال الواحدي: جعل عض الأفاعي لكونه قاتلًا مثلًا للهلاك، وجعل لسع العقارب مثلًا للعار؛ لأنه لا يقتل، قال ابن فورجه تعليقًا على هذا: من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى، إنما يريد أن العار أيضًا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك؛ لتعيير

الناس إياه، بل هو أشد؛ لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة، فجعل الأفاعي مثلًا للهلاك والعقارب مثلًا للعار.

(٤١٠) الأدعياء: جمع دعي وهو المنتسب إلى غير أب، يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب علي — رضى الله عنه — أرادوا به سوءًا، وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه، وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب.

(٤١١) يقول: لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى ﷺ لجاز صدقهم في الوعيد أيضًا فحذرتهم، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون، فهل يكون قولهم فيَّ وحدي صادقًا؟

(٤١٢) يعرض بالذين توعدوه. يقول: لا عجب من قصدهم إليَّ بهذا الوعيد، فإني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأناتي وعلو همتي، فهي تيممني وتنسل إليَّ من كل حدب.

(٤١٣) ذؤابة النعل: ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه، ويروى بدل ذؤابتي ذوائبي، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول: إنني لم أدع موضعًا من الأرض إلا جولت فيه.

(٤١٤) الكور: الرحل، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة، وهذا البيت من أبدع ما قيل في حسن التخلص. يقول: كما أن مواهب الممدوح لم تدع مكانًا إلا أتته كذلك أنا لم أدع مكانًا إلا أتيته، فكأني امتطيت ظهور مواهبه.

(٤١٥) يقول: لم يبقَ أحد لم ترد مواهب الممدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي العادة — أن يردها الشاربون، ولكنها هي ترد الشاربين، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء، والفناء: الساحة والمنزل، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء، وورود: مفعول مطلق ليردن مضاف إليه مفعوله، وعبارة الخطيب التبريزي: كأنهن قد وردن عليه ورود الناس المشارب؛ لينتفعوا بها، يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده، وقريب من معنى البيت قول القائل:

إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتُهُمُ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتُهُمُ السُّؤَالَا

(٤١٦) الابتذال: مثل البذل، والرغائب: جمع رغيبة، وهي الشيء المرغوب فيه. يقول: إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان، والأعادي: يروى العوالي، وهي صدور الرماح.

(٤١٧) الشهاد: جمع شاهد، بمعنى حاضر. يقول: إنه غيب عن وطنه كل من ليس من ديدنه السفر؛ لأن سخاءه يدعوهم إليه، وردهم إلى الأوطان بعد أن غمرهم بنعمه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره.

(٤١٨) الندى: مبتدأ، وأعز: خبر، وأصل البنان: أطراف الأصابع، والمراد بها هنا: الأكف، وقد روي بدل في بنانهم: في أكفهم، والممدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وزوج علي بن أبي طالب، ومن ثم قال: كذا الفاطميون. يقول: إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها، والجود لا يمحى من أكفهم، هذا وثمة فرق بين الفاطميين وبين العلويين؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولدها الحسن والحسين، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين، وأما العلويون فهم من ولد علي يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية، والرواجب: واحدتها راجبة، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل، وقيل: هي بواطن مفاصل أصول الأصابع، وقيل: هي ظهور السلاميات، وقيل: هي ما بين البراجم من السلاميات، وقيل: هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلى الكف، وقال ابن الأعرابي: الراجبة البقعة الملساء بين البراجم، والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجمات إلا الإبهام.

(٤١٩) السلاهب: جمع سلهب، وهو الفرس الطويل. يقول: إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يعبئُون به ولا يكترثون، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم. وخص السلاهب؛ لأنها أسرع، وغبارها أرق وألطف، وقال الواحدي: يجوز أن يكون السلاهب خيل الممدوحين، ويقال: فرس مسلهب أي ماضٍ، ولذا قال الجوهري: السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس: وإذا عدا اسلهب، وإذا قيد اجلعب، وإذا انتصب اتلأب... اسلهب: امتد، واجلعب: انبسط ولم ينقبض، واتلأب: أقام صدره ورأسه.

(٤٢٠) الضمير في نواصيها: للسلاهب، وهي جمع ناصية، مقدم شعر الرأس، ومنه نواصي الناس أي أشرافهم. قالت أم قبيس الضبية:

وَمَشْـهَـدٍ قَـدْ كَـفَـيْـت الْـغَـائِـبِـينَ بِـهِ   فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ

وجئنها؛ أي جئن القسي؛ أي بلغت السلاهب القسي، والهوادي: الأعناق. ودوامي: حال، وأسكن الياء ضرورة. يقول: إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تنثن حتى وصلت إليهم، وقد رميت أعناقها دون أعطافها وأعجازها؛ لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يمنة ولا يسرة، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها، وسلمت سائر أعضائها، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم:

شَكَرَتْ جِيَادُكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا فِـي الْـحَـرِّ بَـيْـنَ بَـرَاقِـعٍ وَجِـلَالِ
فَجَزَتْكَ صَبْرًا فِي الْوَغَى حَتَّى انْثَنَتْ جَرْحَـى الـصُّـدُورِ سَـوَالِـمَ الْأَكْفَـالِ

(٤٢١) الشبائب: جمع شبيبة، وهو أيضًا جمع شبة: مثل ضرة وضرائر، أما الشابة فجمعها شواب. تقول: نسوة شبائب وشواب، قال الراجز:

عَجَائِزًا يَطْلُبْنَ شَيْئًا ذَاهِبَا يَخْضِبْنَ بِالْحِنَّاءِ شَيْبًا شَائِبَا
يَـقُـلْـنَ كُـنَّـا مَـرَّةً شَـبَـائِـبَـا

يقول: هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب.

(٤٢٢) يريد بعلي: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ لأن الممدوح علوي؛ والبواتر: السيوف القواطع: والفل: الثلم، والمضارب: جمع مضرب، حد السيف. يقول: أتيت من الفعال ما عززت به فعال أبيك، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له، وقد سلمت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها.

(٤٢٣) التهامي: يريد به سيدنا رسول الله. قال ابن جني: قد أكثر الناس القول في هذا البيت، وهو في الجملة شنيع الظاهر، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعًا، ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر ورداءته. يقول المتنبي: إن أبهر آيات النبي أنه أبوك، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين. أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة — على رواية إحدى بدل أجدى — وروى بعضهم البيت هكذا:

وَأَكْبَرُ آيَاتِ التِّهَامِيِّ آيَةٌ

أبوك: يعني أن علي بن أبي طالب أبا الممدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله، وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة، وقال العروضي: هذا بيت حسن المعنى، مستقيم اللفظ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعد عن الصواب، ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم، ومعنى البيت: إن كفار قريش كانوا يقولون إن محمدًا صنبور — أي منفرد أبتر لا عقب له — فإذا مات استرحنا منه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي الكثير، ولست بأبتر كما قالوا، أمَّا شانئك: فهو الأبتر، فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي، وآية لتصديقه، وتحقيق قوله تعالى، وذلك أجدى ما لكم من مناقب، ثم قال: فإن قيل: الأنساب إنما تنعقد بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر:

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا — وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ

(قيل إنه للفرزدق، وبنونا: خبر مقدم، وبنو أبنائنا: مبتدأ مؤخر؛ أي إن بني أبنائنا مثل بنينا.)

قلنا: هذا خلاف حكم القرآن العزيز، قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فجعل عيسى من ذرية إبراهيم، ولا خلاف أن عيسى من غير أب، وأما قوله التهامي؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى: إني باعث نبيًّا من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان، وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات آخر، فأنكر اليهود نبوته. فقال ﷺ: أنا النبي التهامي الأمي الأبطحي، فلا أدري كيف نقموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها.

(٤٢٤) النسيب: ذو النسب الشريف، والمناصب: الأصول. يقول: إذا لم تكن نفس النسيب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كريم. يعني: إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس، وكثيرًا ما تعاور الشعراء هذا المعنى، قال:

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَهْ

وقال أبو يعقوب الخريمي:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِحَادِثٍ مِنَ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعْكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ

وقال البحتري:

وَلَسْتُ أَعْتَدُّ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَى يُرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبُهْ

(٤٢٥) الأشباه: جمع شبه بمعنى شبيه، والبيت كالتتمة لما ذكره في البيت السابق. يقول: إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول؛ فإذا ادعى قوم نسبًا وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب، وكذلك القول في الأقارب، وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأدعياء، وإليك عبارة الواحدي: لم أجد في هذا البيت بيانًا شافيًا ولا تفسيرًا مقنعًا، وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيرًا للبيت، والذي يصح في تفسيره أنه يقول: الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض؛ لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب، والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض؛ لأن الشبه يؤكد قرب النسب. هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضًا كقوله:

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاه

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه؛ فمعنى البيت: لم يقرب شبه قوم أباعد أي لا يتقاربون في الشبه، ولا يشبه بعضهم بعضًا، ولا يبعد شبه قوم أقارب؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه. أقول: وهذا لعمري من الواحدي غريب، وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب، وتحرير لفظ البيت: إن الذين يشبهون قومًا أباعد لا يكونون أقارب، والذين يشبهون قومًا أقارب لا يكونون أباعد.

(٤٢٦) النواصب: الخوارج الذين نصبوا العداء علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — يقول: إذا لم يكن العلوي تقيًّا ورعًا كطاهر — وهو الممدوح — كان حجة لأعداء أبي تراب؛ لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه، وهذا من قوله — عليه السلام: الولد سر أبيه، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، وقال بعضهم:

شَرِيفٌ أَصْلُهُ أَصْلٌ شَرِيفُ وَلَكِنْ فِعْلُهُ غَيْرُ الْحَمِيدِ
كَأَنَّ اللـهَ لَمْ يَخْلُقْه إِلَّا لَتَنْعَطِفَ الْقُلُوبُ عَلَى يَزِيدِ

(٤٢٧) يقول: إن الناس تقول: إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب إليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن الممدوح يؤثر في الكواكب، إذ يجعل المنحوس بحكم النجوم سعيدًا بما يفيض عليه من نعمته، وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم

منحوسًا بما ينزله به من نقمته، فلا تستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد، وقال ابن فورجه: تأثيره في الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر، وحتى يزول ضوء الشمس، وتظهر الكواكب بالنهار. هذا، ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن، ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أي قوله في الورى.

(٤٢٨) الكتد: مجتمع الكتفين من الإنسان، والذلول: المنقادة التي تذل لراكبها. يقول: إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل غاية قصدها. هذا، ومن روى علا فعلًا ماضيًا نصب به كتد، ومن خفض كتد بعلى الجارة فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد.

(٤٢٩) يقول: خليق به أن يسبق الناس في سبيل المعالي، وهو لا يتكلف لذلك جهدًا، ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعي؛ يعني أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه، وما طبعه الله عليه من الفضل وعلو الهمة، وهذا ما لا يكتسب ويدرك بالسعي والاجتهاد. هذا، وقد قال الفراء: حق لك أن تفعل ذلك، وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا، فإذا قلت حق قلت لك، وإذا قلت حق قلت عليك، ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك.

(٤٣٠) العرانين: الأنوف، وعرانين: مفعول ثانٍ ليحذى، والمفعول الأول: نائب فاعل يحذى؛ الذي يعود على الممدوح. يقول: وجدير به أن تجعل عرانين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه، ولو هو فعل ذلك لكانت في أجل المراتب؛ لأنها تتشرف بوطأته.

(٤٣١) يد: خبر مقدم، والجمع: مبتدأ مؤخر، واليد: النعمة، ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي تمام:

إِذَا الْعِيسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلَفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

(٤٣٢) هو ابن رسول الله؛ لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله، وابن وصيه؛ لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله، وقوله: وشبههما؛ أي وهو شبههما، وقوله: شبهت بعد التجارب: كلام مستأنف. يقول: شبهته بهما بعد تجربتي واختباري إياه، فليس تشبيهي عبثًا.

(٤٣٣) اسم أن محذوف هو ضمير الشأن، وما الأولى: نافية بمعنى ليس، والثانية: بمعنى الذي، والتقدير: يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالعنق

ونحوه بأقتل له مما ظهر لطعن عائب. يقول: إنه يرى العيب أشد من القتل، وهذا من قول أبي تمام:

فَتًى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمَقَاتِلُ

(الفريصة: لحمة عند نغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع.)

وقال ابن جني: ما الأولى زائدة، والثانية بمعنى الذي، واسم أن مضمر فيها.

(٤٣٤) تعز: يروى تسل، والكتائب: جمع كتيبة، وهي الفرقة من الجيش. يقول: تأسَّ أيها المال الذي أباده الممدوح، فلست وحدك المباد على يده، ولك الأسوة بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلًا وأسرًا.

(٤٣٥) يقول: لعلك أيهذا المال المباد شغلت فؤاد الممدوح يومًا ما عن السخاء بفتنتك، أو أطمعت الأعداء في محاربته رغبة فيك، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك. كأنه يلتمس للمال ذنبًا عند الممدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو.

(٤٣٦) الحديقة: الروضة قد أحدق بها حاجز، والمراد بها هنا: القصيدة، والحجى: العقل؛ جعل العقل ساقيًا لها؛ لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل، فجعل العقل ساقيها كما تسقى السحائب، وقوله: سقي الرياض السحائب: أراد سقي السحائبِ الرياضَ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، وهو من شواذ الاستعمال، وقد جاء كثيرًا في الشعر، كقول أبي حية النميري:

كَمَا خَطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ

(يقول: إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر حاذق في الكتابة، وخص اليهودي؛ لأنه من أهل الكتاب، وقيل: المراد التشبيه في عدم الانتظام، وقوله: يقارب؛ أي يدني الكتابة بعضها من بعض، ويزل: أي يباعد ما بينها، وكف: مضاف إلى يهودي، وفصل بينهما بيومًا، وهو الشاهد.)

وقول عمرةَ الخثعَميَّة ترثي ابنيها:

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا

(من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام. فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: في الحرب، يعنى أنهما كانا غوثًا لمن لا غوث له، ونبوة السيف: كلاله، والمراد هنا: الشدة.)

(٤٣٧) وقول جرير:

تَسْقِي امْتِيَاحًا نَدَى الْمِسْوَاكَ رِيقَتِهَا كَمَا تَضَمَّنَ مَاءَ الْمُزْنَةِ الرَّصَفُ

(وقبله:

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمُ إِلَا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَّاءُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدَفُ

والامتياح: الاستياك، والندى: البلل، والمزنة: السحابة البيضاء، والرصف: جمع رصفة؛ حجارة مرصوف بعضها إلى بعض، وماؤها أرق وأصفى من غيره، وامتياحًا: ظرف؛ أي وقت امتياح، أو حال أي ممتاحة، والمسواك: مفعول أول لتسقي، وندى: مفعول ثانٍ مضاف إلى ريقتها، وقد فصل بينهما بالمسواك.)

وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش:

أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

(أنجب الرجل: ولد ولدًا نجيبًا، ونجلاه: ولداه، ووالده: فاعل أنجب، وأيام: ظرف لأنجب، وبه: متعلق بأنجب، وأيام: مضاف إلى إذ، وقد فصل بينهما بقوله: أيام، وبه.)

خير أبٍ: منادى، أو حال، وبها؛ أي بالحديقة المعني بها القصيدة، وكان من عاداتهم أن يحيوا بالزهور والرياحين؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها: للأرض، وإن لم تذكر، قال الخطيب التبريزي: إذا كان الضمير للأرض كان أمدح، ويعني بخير ابن: الممدوح، وبخير أب: سيدنا رسول الله، وباشرف بيت: هاشم بن عبد مناف؛ إذ إن بيته أشرف ولد لؤي بن غالب.

(٤٣٨) من: استفهام، والجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، تشبه بها النساء في حسن العيون، والأعاريب: جمع أعراب، وهم سكان الخيام والوبر، وقوله في زي: حال من الجآذر، والعامل فيها معنى الاستفهام، وحمر الحلى: حال بعد حال،

والجلابيب: جمع جلباب — الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها — قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه، وكان قد قتل:

تَمْشِي النُّسُورُ إِلَيْهِ وَهْيَ لَاهِيَةٌ   مَشْيَ الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ

(قوله وهي لاهية: يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه؛ لكونه ميتًا، فهي تمشي إليه مشي العذارى.)

يقول: من هؤلاء النسوة، الشبيهات بالجآذر، وهنَّ في زي الأعاريب، ومتحليات بالذهب الأحمر، وممتطيات النياق الحمر، ومشتملات في الثياب الحمراء؛ يعني أنهن من نساء الملوك؛ لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب.

(٤٣٩) شكًّا: مفعول لأجله: يقول — مخاطبًا نفسه: إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن، فمن الذي امتحنك بالسهر والعذاب؟ يعني أنهن دلهنك بحبهن حتى صرت مسهدًا معذبًا، فكيف لا تعرفهن؟ وإنما استفهم عنهن؛ لقوة شبههن بالجآذر حتى كأنهن جآذر لا نساء، وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة:

أَيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ   وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ

(جلاجل: روي حلاحل — بالحاء المضمومة — وقال ابن بري: روت الرواة هذا البيت في كتاب سيبويه: جُلاجل — بضم الجيم لا غير.)

(٤٤٠) المراد بالبقر: النساء التي وصفها، يدعو لهن يقول: لا جزينني مقابل الضنا الذي حلَّ بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دموعًا مثلها؛ يعني لا أورثهن الله السقام بعدي كما أورثني بعدهن، وإن كن قد بكين لفراقي كما بكيت لفراقهن. فقوله لا تجزني: دعاء مجزوم بالدعاء؛ لأنه بلفظ النهي، فحكمه في الجزم حكم النهي كقول مالك بن الريب من كلمة يرثي بها نفسه:

يَقُولُونَ لَا تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي   وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟

(الاستفهام: في قوله: وأين ... إلخ، بمعنى النفي، ولذا وقعت «إلا» بعده.) والباء في قوله: بضنى: للمقابلة، وبي: صفة لضنى؛ أي ضنى حال بي أو واقع بي، وبقر: فاعل

تجزني؛ أي لا تجزني بقر بضنى حل بي ضنى يحل بهن، وبعدها؛ أي بعد فراقها، والهاء: راجعة إلى قوله بقر، وإن كانت متأخرة، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه؛ لأن النية به التقديم، وقوله: تجزي دموعي ... إلخ صفة لبقر، وقوله مسكوبًا: بدل من دموعي؛ أي تجزي دموعي مسكوبًا منها بمسكوب من دموعها، وتعبيره ببقر ها هنا: غير لائق.

(٤٤١) سوائر؛ أي هن سوائر، والهوادج: مراكب النساء على الإبل. يقول: إنهن من قومهن في عز ومنعة، فمن تصدى لهن طعن أو ضرب، فسارت هوادجهن ما بين مطعون ومضروب.

(٤٤٢) الوخد: ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو في المشي، والنجيع: الدم. يقول: ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان. يريد أنهن في منعة، دونهن طعان وضراب وقتال، فالبيت في معنى البيت السابق.

(٤٤٣) يصف جرأته في زيارة الحبائب بعد أن ذكر مَنَعَتهن يقول — مخاطبًا نفسه: كم قد زرتهن زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعي، وقوله: وقد رقدوا، جملة معترضة بين أدهى ومن زورة الذيب.

(٤٤٤) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات: الزيارة والانثناء، والسواد والبياض، والليل والصبح، والشفاعة والإغراء، ولي وبي، وأنثني؛ أي أعود، وأغراه به: ضراه به وحضه عليه. يقول: أزورهم والليل لي شفيع؛ لأنه يسترني عنهم، وأنصرف وكأن الصبح يغري بي، إذ يشهرني ويدلهم على مكاني، وهذا البيت — كما ترى — من معجزات المتنبي.

(٤٤٥) يقول: إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البراري وخالفوها في أن لهم خيامًا، يهدمونها لدى الرحيل، وينصبونها لدى الإقامة، أما الوحش فلا خيام لها، يريد أنهم ممن يكسنون البادية، والمراتع: المسارح التي ترتع فيها الوحوش وتسرح، والتقويض: الهدم، والتطنيب: شد الخيام بالأطناب.

(٤٤٦) يقول: هم جيران الوحوش، بيد أنهم يسيئون جوارها؛ لأنهم يصيدونها ويذبحونها، وقوله وهم شر الجوار؛ أي وجوارهم شر الجوار، على حد قوله تعالى: ﴿وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ والأصاحيب: جمع أصحاب؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب.

(٤٤٧) أخيذ؛ أي مأخوذ، والمحروب: الذي ذهب كل ماله. يقول: إن فيهم الجمال والشجاعة: فنساؤهم ينهبن القلوب، ورجالهم ينبهون الأموال. وقال التبريزي: يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال — أي بالسخاء — وأموال الأعداء.

(٤٤٨) الرعابيب: جمع رعبوبة، وهي المرأة التارَّة السمينة، والضمير في به: للحضر، يقول: ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو، يفضل نساء البدو على نساء الحضر، وبين السبب في البيت التالي.

(٤٤٩) الحضارة — بكسر الحاء، أو فتحها — الإقامة بالحضر، والبداوة: الإقامة في البدو، والتطرية: المعالجة. تقول: طرى الطبيب: خلطه بالأفاويه، وطرى الطعام: خلطه التوابل. يذكر السبب في تفضيل البدويات على الحضريات. يقول: إن حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقة، لا يعرفن التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال.

(٤٥٠) المعيز: اسم لجماعة المعز — كالكليب والعبيد — قال العكبري: المعيز: اسم للمعزى، وهو خلان الضأن، وهو اسم جنس، تقول: المعز والمعيز والأمعوز، وواحد المعز: ماعز: مثل صحب وصاحب، والأنثى ماعزة وهي العنز والجمع مواعز، والمعز بالفتح والمعز بسكون العين لغتان فصيحتان؛ قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين، وقرأ الباقون بفتحها، وقال سيبويه: معزى منون مصروف؛ لأن الألف للإلحاق — لا للتأنيث — وهو ملحق بدرهم على فعلل؛ لأن الألف الملحقة تجري مجرى ما هو من نفس الكلمة، يدل على ذلك قولهم: مُعيز وأُريط — في تصغير معزى وأرطى — في قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا الألف ياء، كما لم يقلبوها في تصغير حبلى وأخرى، وقال الفراء: المعزى مؤنثة، وقال بعضهم: مذكرة، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون المعزى في النكرة، والآرام: الظباء الخالصة البياض، وقوله ناظرة: حال؛ أي في حال نظرهن وامتداد أعناقهن، أو في حال إقبالهن، وقال بعض الشراح: ناظرة: تمييز، وليست اسم فاعل، والتقدير من حسن الآرام عيونًا. شبه نساء الحضر بالمعيز، ونساء البدو بالآرام. يقول: أين تقع المعيز من الظباء في الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة؟ فالظباء تفضلها عيونًا وغير عيون.

(٤٥١) يريد بظباء الفلاة: البدويات نساء الأعاريب، ومضغ الكلام: ترك إبانته، كأن المتكلم يمضغ شيئًا، يقول: هن فصيحات مبينات، لا يمضغن كلامهن غنجًا وتخنثًا كنساء الحضر، ولا يصبغن حواجبهن طلبًا للزينة مثلهن، والحواجيب: جمع حاجبٍ أشبع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق:

نَفْيَ الدَّنَانِيرِ تَنْقَادَ الصَّيَارِيفِ

(صدره:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول: إن يديها لشدة رفعهما الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضًا، ويسمع له صليل كصليل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفي رديئها عن جيدها، وخص الهاجرة؛ لتعذر السير فيها، والشاهد في الصياريف، وروي بدل الدنانير الدراهيم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهيم.)

(٤٥٢) ماثلة: شاخصة، ويروى مائلة، والأولى أظهر، والعراقيب: جمع عرقوب، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل. يقول: وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكهن من تحتها، وصقلن عراقيبهن.

(٤٥٣) أصل التمويه: الطلي بماء الذهب أو الفضة، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير، وقوله: من هوى، متعلق بقوله تركت. يقول: ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت بياض شيبي دون خضاب؛ أي لم أموه شيبي كما لم يموهن حسنهن.

(٤٥٤) رغب عن الشيء: زهد فيه، والضمير في قوله: وعادته، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى. يقول: ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجعل شعر رأسي مكذوبًا؛ أي مسودًا بالخضاب، إذ هو غير لونه. فقوله: ومن هوى، متعلق برغبت، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس: عن شعر في الوجه.

(٤٥٥) يقول: إن حدثان الدهر ونوائبه أخذت مني الشباب، وأعطتني الحلم والتجاريب، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت؛ أي ردت علي الشباب واستردت الحلم. والحلم: العقل والأناة، وهذا من قول علي بن جبلة:

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوَتْ مِنْ قُوَّتِي ... زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي

وقول ابن المعتز:

وَمَا يُنْتَقَصْ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يُـزَدْ فِـي نُـهَـاهَـا وَأَلْـبَـابِـهَـا

(٤٥٦) الحداثة: حداثة السن والشباب. يريد أنه كان حليمًا قبل تحليم الحوادث إياه. يقول: إن حداثة السن لا تحول دون الحلم، فالمرء قد يكون حليمًا في الشباب كما يكون حليمًا في المشيب، كما قال أبو تمام:

حَلَّمَتْنِي زَعَمْتُمُ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمَا

(٤٥٧) ترعرع الصبي: نشأ وشب، والأستاذ: لقب كافور، وهي كلمة فارسية، من معانيها: المعلم، والمدبر، والعالم. يريد المتنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق، وفيه من البديع حسن التخلص. يقول: إن كافورًا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكتهل سنا، وعلى الأدب قبل أن يؤدب؛ أي إنه ترعرع على ذلك طبعًا دون أن يفيده من كر الغداة ومر العشي، وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمانعة من حلم.

(٤٥٨) قال صاحب اللسان: رجل مجرب كمضرس — بالفتح — جرب في الأمور وعرف ما عنده، كأن الأمور جربته وأحكمته، ومجرب — بالكسر — عرف الأمور وجربها. ثم قال: إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. يقول المتنبي: نشأ كافور مجربًا قبل أن يجرب — لما جبل عليه من الفهم — مهذبًا قبل أن يهذب — بما طبع عليه من الكرم — ففهمًا وكرمًا: مفعول لهما.

(٤٥٩) التشبيب في الأصل: ذكر أيام الشباب: وهو يكون في ابتداء القصائد، ثم سمي ابتداء كل أمر تشبيبًا، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب، ويريد بنهاية الدنيا: الملك؛ لأنه لا شيء إلا والملك فوقه، يقول: إن كافورًا أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها؛ أي إنه بعيد مرتقى الهمة.

(٤٦٠) يريد فسحة رقعة ملكه وترامي حدودها إلى هذه الأطراف، لا أنها داخلة في مملكته؛ لأن كافورًا لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول — ولا النوب، إنما مملكته تحد بهذه البلاد؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام فحسب.

(٤٦١) يقول: إنه لهيبته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الهوج في بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة إعظامًا له وإجلالًا، والرياح مثل أراد به المبالغة في إعظام الناس إياه وتنكبهم التمرد عليه، حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له، وعبارة الخطيب التبريزي: يعظم أمره وسياسته، ولم يرد الرياح بعينها، بل يريد أن

الناس له هائبون، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هيبة له. فالضمير في أتتها: يعود على الملك بمعنى المملكة، والنكب: جمع نكباء، وهي الريح تهب في غير استواء.

(٤٦٢) هذا البيت في معنى الذي سبقه. يقول: ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه، وكل هذا مبالغة.

(٤٦٣) طلس الكتاب: طمسه ومحاه، كطرسه. يقول: إن أمره ممتثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوبًا بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم انمحى كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امتثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظامًا وإجلالًا، وخاتم: يقال بفتح التاء وكسرها، وفيه خاتام وخيتام.

(٤٦٤) يحط: ينزل ويضع، وحامله: فاعل يحط، والضمير في حامله: يعود إلى الخاتم، واليعبوب: الفرس السريع الجري. يقول: إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجري؛ أي إن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظامًا فنزل عن فرسه، والمعنى أنه نافذ الأمر مطاع، وعبارة الواحدي: لم يعرف ابن جني هذا. فقال مرة: يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه، ومرة: يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء، والمعنى: يريد نفاذ أمره واتساع قدرته، وقال ابن القطاع: الهاء يعود على كافور؛ أي إذا رآه الأبطال انحطوا.

(٤٦٥) يقول: إنه يسر ويبتهج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف، وذلك لكرمه وجوده.

(٤٦٦) يقول: إنه لا يرد السائل أيًّا كان، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها، فكأنها غزته بجيش لا يغلب.

(٤٦٧) التقدمة: التقدم، والتجبيب: الهرب. قال صاحب اللسان: التجبيب: النفار، وجبب الرجل تجبيبًا إذا فر وعرد، وفي الحديث: المتمسك بطاعة الله إذا جبب الناس عنها كالكار بعد الفار؛ أي إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها. يقال جبب الرجل؛ إذا مضى مسرعًا فارًّا من الشيء. يقول: إذا قصده أعداؤه محاربين، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يفيدهم الإقدام؛ لأنهم لا يقدرون عليه، ولا الهرب؛ لأنه يدركهم لا محالة.

(٤٦٨) أضرت: من الضراوة، وهي الدربة والعادة، تقول: ضري فلان بكذا: لزمه واعتاده، وضراه، بكذا: ألهجه به، وفي الأثر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر؛ أي إن له عادة طلابة لأكله كعادة الخمر مع شاربها، ويريد بأقصى كتائبه الجبناء الذين لا

يشهدون القتال، والحمام: الموت. يقول: إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء الموت وجرأتهم عليه فليس الموت مرهوبًا عندهم.

(٤٦٩) الشؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر، و«أل» في الشآبيب تقوم مقام الضمير؛ أي إلى غيوث يديه وشآبيبهما. يعرض المتنبي — فيما يظهر — بسيف الدولة، يقول: يلومني الناس على هجري الغيث — يعني سيف الدولة — وهم واهمون في هذا اللوم؛ لأني تركت غيثًا إلى غيوث؛ أي إنني فارقت كريمًا إلى من هو أكرم … وقال ابن فورجه: أراد أن مصر لا تمطر فيقول: لامني الناس في هجري بلاد الغيث، فقلت: تعوضت عنها غيوث يديه، وهذا تعسف من ابن فورجه، بدليل البيت التالي.

(٤٧٠) يقول: إني هجرت إلى من يعطي العطاء الجزيل، ويهب الهبات الخطيرة، ولا يتبع هبته بالمن، وهذا تعريض بيِّن بسيف الدولة، والدولات: جمع دولة وهو ما يتداول، فيكون مرة لهذا ومرة لذلك، فتطلق على المال والغلبة، والمراد هنا: المال الجزل أو الولايات والممالك.

(٤٧١) راعه: خوفه وأفزعه، وبه: صلة مغدور، والموفور: الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء، والمنكوب: ضده. يقول: إنه لا يغدر بأحد كي يروع به غيره، ولا ينكب أحدًا فيتحيفه أو يسلب ماله؛ ليفزع به الموفور الذي لم ينكب. يعني أنه حسن السيرة في رعيته، عادل لا يظلم أحدًا بحال.

(٤٧٢) يقول: لا يغدر بأحد «إلى آخر البيت السابق» وإنما يروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الأرض؛ أي ينكل بصاحب جيش؛ ليعتبر به صاحب جيش آخر، وهو — أي كافور — في جيش أسود الغبار قد علاه سواد الحديد، وبلى: حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله، ويجدله أي يصرعته على الجدالة وهي الأرض، وجملة يجدله: صفة لذي جيش، وذا مثله: مفعول يروع ذا جيش، مثل جيشه، وقوله في أحم؛ أي في جيش أحم النقع؛ أي أسود الغبار؛ والغربيب: الشديد السواد، ومعنى جيش غربيب: أسود الحديد، وقال ابن جني: إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره.

(٤٧٣) يقول: إني وجدت ما في الخيل من عدو وجري أنفع الأشياء التي ادخرتها؛ لأنها حملتني إلى كافور، وأخرجتني من بين الغادرين بي كما بين ذلك في البيت التالي. فالسوابق الخيل، والتقريب ضرب من العدو.

(٤٧٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدر بي — يريد الناس — وفت لي بحملها إياي عن موطن الغدر إلى كافور، وكذلك وفت لي الرماح؛ لأني استظهرت بها

على الوصول إلى مصر. فصم الأنابيب: الرماح، والصم: الصلاب، والأنابيب: جمع أنبوب، وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكله.

(٤٧٥) يقول: إن خيلنا قطعت المفاوز وفاتتها حتى لو كان لها — أي للمفاوز — قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل؛ إذ جابتنا بسرعة، وذللت الصعب منا، ونجت من غوائلنا، فالمراد بالمهالك: المفاوز، والجرد: القصيرة الشعر، وذلك يحمد في الخيل، والسراحيب: جمع سرحوب، وهو الفرس الطويل، وعبارة ابن جني: ضجت المفاوز من سرعة خيلي وقوتها، وقال ابن فورجه: إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها المفاوز، وإنما تفهم الأمور المهلكة: يعني أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تعجبت المهالك من نجاتها بسلامتها منها.

(٤٧٦) تهوي؛ أي تسرع، وقوله بمنجرد: يعني نفسه، والمنجرد: الجاد في الأمور الماضي فيها لا يرده شيء، وقوله ليست مذاهبه؛ أي ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا. يقول: إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلابًا لمثل كسوة أو طعام، وإنما طلبته المعالي. وهذا كقوله:

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ... وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ

وقديمًا تعاور الشعراء هذا المعنى، قال امرؤ القيس:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ... كَفَانِي — وَلَمْ أَطْلُبْ — قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

(ما — في قوله ما أسعى — مصدرية، ومجد مؤثل: قديم له أصل، والثائل اتخاذ أصل مال، وقيل المؤثل: المجموع، وقيل: المستمر المثبت.)

وقال حاتم الطائي:

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا مُنَاهُ وَهَمُّهُ ... مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمَا

(لحاه الله: قبحه وأهلكه. من لحوت العود، إذا قشرته، والصعلوك: الفقير الذي لا مال له، وصعاليك العرب: ذؤبانها.)

وقال آخر:

وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى لِشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشُرْبِ غَبُوقِ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

(٤٧٧) السلب: الشيء المسلوب. يريد أنه بعيد مرتقى الهمة. يقول: إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه.

(٤٧٨) يقول: حتى وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يبتذلون أنفسهم للناس — بيد أنه وإن كان محجبًا فإن نواله دانٍ قريب لمن طلبه غير محجوب عنه، ويجوز أن يريد بالنفس همته، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد، بدليل قوله في البيت التالي: في جسم أروع، وما أبدع قول أبي تمام:

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقبله يقول مسلم:

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٤٧٩) في جسم: صفة لنفس — في البيت السابق — أو حال منها، والأروع هنا: الشهم الذكي الفؤاد، وفي غير هذا الموضع الذي يروعك حسنه، والخلائق: الأخلاق. يقول: إذا نظر إلى أخلاق الناس، وما هي عليه من الخسة والدناءة، ضحك منها هزؤًا واستصغارًا؛ لأنه أسمى منهم نفسًا وعقلًا.

(٤٨٠) له؛ أي لكافور، ولها أي للخيل، والإدلاج: سير أول الليل، والتأويب: سير عامة النهار. يقول: إني أحمدك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلغتني إليك، كما ذكر في البيت التالي.

(٤٨١) الغاني: المستغني. يقول: أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به، فلم يحتج معه إلى وصف أو ذكر لقب، وهذا كما يروى، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال: من أنت؟ قال: أنا رؤبة بن العجاج، فقال: قصرت وعرفت، فقال رؤبة يفتخر بذلك:

وَقَدْ رفعَ الْعجَّاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي　　بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِنِي

(٤٨٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن، وهذا أبلغ. يقول: إني أحبك وأنت حبيب إليَّ، وإني أعوذ بك من أن لا تحبني؛ لأن من نكد الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل:

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبْـ　　ـبَ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهْ

(٤٨٣) قالوا: إن كافورًا كان تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد، وينفذ إليه قومًا يعرفونه بذلك، فلما كثر ذلك وعلم أن المتنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهبًا، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها.

(٤٨٤) يقول: إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك، والغلبة للشوق؛ إذ هو يغلب صبري، وإني أعجب من هذا الهجر لتراخيه وطوله، على أن الوصل لو وافقنا كان أعجب منه؛ لأن من شيم الأيام التفريق، وقال الواحدي: الأغلب: الغليظ الرقبة الذي لا يطاق ولا يغالب، فكأنه قال: إن الشوق صعب شديد ممتنع.

(٤٨٥) تنائي تفاعل، من النأي، وهو البعد، يقال نأى وأنأيته على أفعل، ولكنه نقله إلى فاعل، كما يقال أبعدته وباعدته، وروى الواحدي تنأى بالتشديد، يقول: إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه، أفلا يغلط مرة فيبعد البغيض ويدني الحبيب؟ وجعل ذلك غلطًا من الدهر؛ لأنه خلاف ما يأتي به الدهر، وأصل هذا المعنى من قول مضرس:

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ　　عَلَـيَّ دَلَالٌ وَاجِـبٌ لَـمُـفَـجَّـعُ
وَإِنِّيَ بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي　　وَلَا ضَـائِرِي فُقْدَانُهُ لَمُمَتَّـعُ

ويقول الطرماح:

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ　　وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر:

عَجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ أُحِبُّهُ   وَإِدْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث:

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْغِضُنِي عِنَادًا   وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصٌّ فِي لَهَاتِي

(٤٨٦) التئية: التلبث والتمكث، قال الشاعر:

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ زَائِرْ   وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرْ

وتئية: منصوبة على التمييز، وأراد ما أقله تئية، فحذف لضيق المقام، والحدالى: موضع بالشام، وغرب: جبل هناك معروف، والحدالى: مبتدأ، وشرقي: ظرف خبره، وأصله شرقيي — بثلاث ياءات — فحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف. يتعجب من سرعة سيره، ويقول: ما كان أسرع سيري وأقل لبثه عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرقي؛ يعني عند رحيله من حلب.

(٤٨٧) يريد بأحفى الناس به: سيف الدولة، وعشية: بدل من عشية في البيت السابق، وأحفى: أفعل تفضيل، من حفيَ به حفاوة: إذا بالغ في إكرامه وإلطافه. يقول: إن سيف الدولة كان أحفى الناس بي فجفوته وغادرته، وكانت أهدى طريقي هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر. قال ابن جني: كان يترك القصد ويتعسف خوفًا على نفسه.

(٤٨٨) المانوية: أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة، وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول: كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون، وليس الأمر على ما زعموا، وقد بين تلك النعمة في البيت التالي.

(٤٨٩) الردى: الهلاك، والسرى: السير ليلًا، يقول: إن ظلام الليل وقاك غائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلًا فلا يبصرونك، وزارك فيه المحبوب آمنًا لم يخشَ الرقيب إذ حجبه عن عيونه، وقال ابن فورجه: الطيف قد يزور نهارًا، فيكون كقول ابن المعتز:

لَا تَلْقَ إِلَّا بِلَيْلٍ مَنْ تُوَاصِلُهُ   فَالشَّمْسُ نَمَّامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَّادُ

هذا، وقد ذكر شر النور في البيت التالي.

(٤٩٠) يقول: ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفًا من الأعداء أراقب غروب الشمس؛ لأخرج من الكمين، وآمن على نفسي. فالواو واو رب؛ وكمنته؛ أي كمنت فيه، وأيان بمعنى متى.

(٤٩١) يقول: إنه كان في مسيره يراعي أذني فرسه يحفظ نفسه بهما، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئًا من بعيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئًا. ثم وصف فرسه فقال: كأنه في سواده قطعة من الليل، وكأن الغرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقي بين عينيه، وهذا من قول أبي داود:

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأْلَأُ كَالشِّعْـ ـرَى أَضَاءَتْ وَغُمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والغرة: البياض في جبهة الفرس، وباقٍ: حال من الليل، وسكن الياء ضرورة، ثم حذفها لالتقاء الساكنين، وقوله كوكب؛ أي كوكب — من كواكبه — أي كواكب الليل.

(٤٩٢) الإهاب: الجلد، والرحيب: الواسع. يقول: إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجري؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيرًا، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مد يديه، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مد يديه، وإذن ففي إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب.

(٤٩٣) يقول: شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إليَّ بجذبه وثب وطغى مرحًا ونشاطًا، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه. فالمراد بطغيان الفرس: شدة النشاط والمرح، والعنان: سير اللجام.

(٤٩٤) قفيته: أتبعته، ومثله حال من الضمير في عنه، وحين أركب: حال من الضمير في مثله. يقول: إذا طردت به وحشًا لحقه فصرعته — قتلته — وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لغب، ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء، مثل ما كان حين الركوب، كما قال ابن المعتز:

تَخَالُ آخِرَهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلَهُ وَفِيهِ عَدْوٌ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورُ

(٤٩٥) يقول: إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب، فبالتجربة تعرف الكوادن من السوابق، كما أن الصديق يعرف بالتجربة

ما عنده من صدق الود أو مذقه، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة، كما أن الصديق الذي يستحق الصداقة قليل.

(٤٩٦) الشيات: الألوان — جمع شية — يقول: إن مزايا الخيل فيما وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها، فإذا لم تر منها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها.

(٤٩٧) لحاه الله: دعاء عليه؛ أي قبحه ولعنه، وأصله من لحوت العود إذا قشرته، ومناخًا: نصب على التمييز. يذم الدنيا ويدعو عليها. يقول: بئس المنزل الدنيا، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبًا فيها.

(٤٩٨) يقول: ليتني أعلم هل تخلو لي قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغني المراد، وأنال منه ما أطلب، فأترك الشكاية؟

(٤٩٩) يذود: يدفع ويطرد، وأقله: فاعل يذود، وفلان قلب حول: بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور. رووا أن معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنه — قال في مرضه الذي مات فيه لابنيه: إنكما لتبكيان حولا قلبا إن سلم من هول المطلع. يقول المتنبي: إن بي من هموم الدهر وما انصب عليَّ من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهي الخاطر عنه، ولكن قلبي حسن التقليب للأمور؛ فلا يضيق بنوازل الدهر، ولا تخمد معها خطراته، وقوله يا ابنة القوم فإن العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهم، وإنما قال يا ابنة القوم إشارة إلى كثرة أهلها، وقال ابن جني: هو كناية عن قولهم يا ابنة الكرام.

(٥٠٠) يقول: إن خلائق كافور من الظهور والنباهة بحيث تنبئ عنه فما هو إلا أن تُملى علي فأكتب، ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت؛ إذ لم آتِ بشيء من عندي، وإنما هي أخلاقه تملى علي، وقد أخذ الصاحب بن عباد هذا المعنى فقال:

وَمَـا هَـذِهِ إِلَّا وَلِـيـدَةُ لَـيْـلَـةٍ ... يَغُورُ لَهَا شِعْرُ الْوَلِيدِ وَيَنْضبُ
عَلَى أَنَّهَا إِمْلَاءُ مَجْدِكَ لَيْسَ لِي ... سِوَى أَنَّهُ يُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

(٥٠١) يمم: قصد، يقول: إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه بعطاياه، وتفقده إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم، وفي هذا المعنى يقول الأول:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحْلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

ويقول أبو تمام:

هُمُ رَهْطُ مَنْ أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ وَبَنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِ

(٥٠٢) يقول: إن أفعاله مفعمة عقلًا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له في حالَيْ رضاه وغضبه لا يخلو منها في حال، وكل من نظر إلى أفعاله استشف منها العقل والسداد وأصالة الرأي، والنادرة: الشيء النادر الغريب، ورواها ابن جني بادرة؛ أي بديهة.

(٥٠٣) يقول: إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فإذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره في الوغى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع، لا أن كفه يستظهر بالسيف؛ لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضي في يد الضعيف لا يؤثر شيئًا، كما قال البحتري:

فَلَا تُغْلِيَنْ بِالسَّيْفِ كُلَّ غَلَائِهِ لِيَمْضِي فَإِنَّ الْكَفَّ — لَا السَّيْفَ — يَقْطَعُ

(قوله فلا تغلين بالسيف: يقال غالى بالشيء وأغلى به إذا اشتراه بثمن غالٍ، وغالى به وغلاه: سامَ فأبْعَط وجاوز الحد.)

(٥٠٤) يقول: إن جوده أفضل من جود السحاب؛ لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب؛ لأنه يعطي الجزيل الذي لا ينفد، أو لأنه يوالي هباته ويمدها بغيرها. أم ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حينًا نضب وذهب في الأرض وجف مكانه، وقوله على اللبث؛ أي مع اللبث: حال من عطاياه؛ واللبث: المكث، ونضب الماء: ذهب في الأرض.

(٥٠٥) يعرض المتنبي بتقاضي ما يؤمل. يقول: إني أغني منذ حين؛ أي أطربك بمديحي، وأنت تشرب على غنائي؛ أي تلتذ سماع مديحي، ومع ذلك تحرمني الشراب، فهل في الكأس فضلة أشربها؟ أي هلا أعطيتني ما يتوقعه مثلي من مثلك؟ يعرض بطلب ولاية، كما صرح بذلك بعد.

(٥٠٦) يقول: إنك إذ تعطيني تعطيني على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه، وأنا إنما أطلب ما توجبه همتك ويقتضيه كرمك.

(٥٠٧) ناط به كذا: أسنده إليه، والضيعة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تفوض إليَّ ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أي ما يحدثه جودك من الآمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٥٠٨) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاحكون من يحبون أمامي؛ أما أنا فعلى العكس منهم، أبكي من أحب وأندبه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد المتنبي أن يغري الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألاقي التي يلاقيها من جراء اغترابه.

(٥٠٩) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخم ليس بالعقاب، وقيل: كلمة لا أصل لها: كالغول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له دمخ، مصعده في السماء ميل فكان ينتابه طائرة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغربًا؛ لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» ترعرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلًا في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء المغرب، وطارت به العنقاء؛ يريدون هلاكه أو ذهوبه إلى حيث لا يرجع. قال:

وَلَوْلَا سُلَيْمَانُ الْخَلِيفَةُ حَلَّقَتْ بِهِ مِنْ يَدِ الْحَجَّاجِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ

ومغرب: من أغرب في البلاد؛ ذهب وأبعد. يذكر المتنبي تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٥١٠) يقول: إني أوثر لقاءك على لقائهم حين لا يتيسر لقاؤكما معًا؛ لأنك أحب إلي منهم.

(٥١١) أولاه جميلًا: صنعه إليه. يقول: إنما أحببتك وآثرتك على أهلي؛ لما أسديت إليَّ من الجميل، وطابت لي الإقامة بساحتك؛ لما ألقيت فيها من العز كما قال البحتري:

وَأَحَبُّ أَوْطَانِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضٌ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ

ومعنى بيت المتنبي مبني على ما ذكره في عجز البيت السابق.

(٥١٢) والحديد المذرب؛ أي المحدد، ومنه لسان ذرب؛ أي حاد — يريد السيوف — يقول: إن الحساد يريدون بك السوء، فلا ينالون ما يبتغون؛ لأن الله يدفعه عنك، ثم الرماح والسيوف.

(٥١٣) يقول: ودون وصول الحساد إلى الذي يبتغون — من التياث الأمر عليك — أهوال أي أهوال من جراء بأسك وبطشك هي أمر عليهم من الموت، ولو هم تخلصوا منها إلى الموت؛ لبقيت أنت وشابت أطفالهم لشدة ما يقاسون، وقد روى الجماعة بدل إلى الموت: إلى الشيب. قال الواحدي؛ أي دون الذي يطلب الحساد — من زوال ملكك وفساد أمرك — الموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه — أي الموت — أي إنهم يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم؛ لشدة ما يرون، وصعوبة ما يلحقهم، وما يقاسون منك، وقال ابن جني: دون ما يريدون من السوء الموت الذي لو تخلصوا منه إلى الشيب؛ لشاب طفلهم، ولكنهم لا يتخلصون من الموت إلى الشيب بل يقتلهم.

(٥١٤) يقول: إذا طلبوا عطاياك أعطيتهم، وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل ما يقترحون، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذي آتاكه الله فإنهم لا يدركونه؛ لأنه لا يُنال بالاكتساب، وإنما ذلك شيء آثرك الله به، وعبارة ابن جني: إن راموا فضلك منعتهم منه. قال ابن فورجه — معقبًا على عبارة ابن الفتح: كيف يقدر الإنسان أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله؟ وإنما الله القادر على ذلك، وقد أتى به المتنبي على ما لم يُسَمَّ فاعله فأحسن.

(٥١٥) يقول: لست تؤتي من بخل وشح، فلو كانت العلى توهب لوهبتها، ولكنها لا توهب، والأصل في هذا المعنى قول الأول:

وَإِنْ يَقْتَسِمْ مَالِي بَنِيَّ وَنِسْوَتِي فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلْقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي

ولله قول أبي تمام:

فَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خيمِكَ نَفْحَةً إِنْ كَانَتِ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ

(الخيم: الخلق، وقيل: سعة الخلق، والخيم الأصل.)

(٥١٦) يقول: إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك؛ لأن أشد الظالمين ظلمًا من تقلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة.

(٥١٧) ذو الملك: هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه. يقول: أنت الذي ربيته، وقمت عنه بحفظ ملكه، وهو طفل مرضع، فكنت له أبًا وكنت له أمًّا، فقوله: ربيت ذا الملك؛ أي صاحب هذا الملك، قالوا: ولو قال المتنبي وأنت الذي ربى لكن أحسن، ولكنه قال ربيت كما قال كثير:

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَيَّ وَمَا تَدْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرُ

(٥١٨) يقول: وكنت لذي الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة المخلب للأسد يحمي أشباله به، والعرين: الأجمة، والشبل: ولد الأسد، والهندواني: السيف الهندي، والمخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان.

(٥١٩) يقول: ذدت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه، حمية له وحفاظًا وكرمًا؛ لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت: أي تلقي بنفسك إلى التهلكة، وتعتام «تختار» ذلك على الهزيمة. فالقنا: الرماح، والهيجا: الحرب، تُمد وتقصر.

(٥٢٠) يقول: إن الموت قد يترك الشجاع المقدام الذي لا يهابه ولا يباليه، ويلقي بنفسه إلى التهلكة، وقد يدرك الجبان الهيابة الذي يهاب الموت ويخشاه. فالضمير في يترك: للموت، ويخترم؛ أي يهلك.

(٥٢١) يقول: وإن الذين يلاقونك في الحرب لم يعدموا بأسًا وشدة؛ أي هم شجعان أشداء، بيد أنك أشد منهم وأنجب، ومن ثم تبطش بهم، ومثل هذا لزفر بن الحارث:

سَقَيْنَاهُمُ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

(٥٢٢) البيض — بالكسر — السيوف، وبالفتح: جمع بيضة، وهي الخوذة من حديد، والبرق الخلب: الكاذب الذي لا مطر فيه، يقول: لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تقرع خوذهم، فكان لكل من السيوف والخوذ برق في الآخر، غير أن برق السيوف في الخوذ صادق؛ لأنها تقطع الجماجم فتَسيل دماؤهم بعده، أما برق الخوذ في

السيوف، فهو خلب كاذب؛ لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر، وعبارة ابن جني: يريد أن لمع السيوف صادق؛ لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض، وبرق البيض — الخوذ — لا يصدق على السيوف؛ لأنه لا أثر للمع البيض في السيوف، فشبه بالبرق الخلب الذي لا مطر فيه، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذي فيه المطر.

(٥٢٣) العود هنا: المنبر. قال ابن جني: يقول: لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم رغبة ورهبة، وقال بعض الشراح: يريد أن سيوفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء: يعني أنك أخذت البلاد بسيفك، فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك؛ أي يدعو لك.

(٥٢٤) تناهى — بحذف إحدى التاءين — أي تتناهى. يقول: إنك في غنى عن الأنساب التي يذكرها النسابون لغيرك؛ لأن المكرمات تتناهى إليك وتعزى — إذ كنت أصلًا لها — إليك، وحسبك هذا شرفًا يغنيك محموده عن النسب، وليلحظ أن هذا شبه غمز في كافور قد يكون مقصودًا للمتنبي الداهية، وقد يكون غير مقصود، ومن هنا قال التبريزي: ليس هذا مما يمدح به، ولا سيما الملوك؛ لأنه أشبه بنفي النسب عنه. على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر:

خَلَائِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبُ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ

وقوله عما ينسب الناس، فالناس: فاعل ينسب، والتقدير عما ينسبه الناس: أي عن النسب الذي ينسبه الناس.

(٥٢٥) يقول: ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه؛ لأنك فوق كل أحد. قال التبريزي: هذا سخرية منه، وقد كان المتنبي يقول: لو قلبت مدحي فيه كان هجاء.

(٥٢٦) فأطرب: عطف على أرجو. يقول: ليس طربي عند رؤيتك بدعًا؛ لأني كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء. قال الواحدي: هذا البيت يشبه الاستهزاء به؛ لأنه يقول: طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على رؤية القرد وكل ما يستملح ويضحك منه! قال ابن جني: لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على أن جعلت الرجل أبا زنة — وهي كنية القرد — فضحك!

(٥٢٧) يقول: إن شعري وهمتي يلومانني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحي عليك، فكأنني أذنبت بمدحي غيرك، فكنت أهلًا لأن ألام، وهذا المعنى من قول أبي تمام:

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَحِي سِوَاكَ بِآمَالِي فَجِئْتُكَ تَائِبَا

وقال الواحدي: المصراع الأول هجاء صريح لولا الثاني. قال الخطيب التبريزي: ليس في البيت هجاء، ومعناه: أن همته عذلته كيف قنع بغيره؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره؟ وشهد له بذلك بقية البيت. أقول: إن الخطيب لم يقل شيئًا، وما لاحظه الواحدي صحيح.

(٥٢٨) يقول: ولكنه طال طريقي إليك، فجبت كثيرًا من البلدان حتى وصلت إليك، وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس، فكان شعري لذلك كأنه ينهب نهبًا. يعتذر المتنبي إلى كافور عن مدح غيره.

(٥٢٩) يقول: فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب، وهذا من قول أبي تمام:

فَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا

(٥٣٠) مطنب؛ أي مشدود الأطناب. يقول: إذا قلت شعرًا لم يمتنع من وصوله إلى ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب. يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضر سكان المدر، والبدو سكان الوبر، وهذا كقوله:

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارَا

(٥٣١) لك أن تقول أن البياض خضاب مُؤَوَّلة بمصدر مبتدأ مؤخر، ومنى: خبر مقدم، وكن لي: وصف لمنى، والمنى: جمع منية، والقرون: ضفائر الشعر، قال قيس:

وَهَلْ مَالَتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى كَمَيلِ الْأُقْحُوَانَةِ فِي نَدَاهَا

يقول: إن مشيبي هذا وكون البياض خضابًا لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديمًا؛ يعني أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفي شبابه بابيضاض شعره؛ لأنه أوقر وأجل في العين، وجمع المنى نظرًا إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى، فصارت كل مرة منية، وسمى البياض بالشيب خضابًا؛ لإخفاء السواد به، كما أن السواد الذي

يخفي البياض يسمى خضابًا.

«هذا»، ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقًا نحويًّا للعلامة العكبري لمناسبة إعراب:

مُنًى كُنَّ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ

قال العكبري: منى نكرة وهي مبتدأ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسمًا معرفة، كقولك: امرأة خاطبتني، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك: رجل خلفك، وإنما منع الابتداء بالنكرة؛ لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة، وإذا كان المخبر عنه مجهولًا كان الخبر حقيقًا باطراح الإصغاء إلى خبره؛ لأنه لا يعرف من أخبر عنه، وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسمًا معرفًا أو أن يتقدم الخبر، كقولك: لزيد مال؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها، وهذا موجود ها هنا؛ لأنك وضعت زيدًا مجرورًا لتخبر عنه بأن له مالًا قد استقر، فقولك: لزيد مال في تقدير زيد ذو مال، فالمبتدأ الذي هو مال هو الخبر في الحقيقة، ولزيد هو المبتدأ في المعنى، وقوله كن لي مفيد؛ لأن في ضمن الخبر ضمير المتكلم، وهو أعرف المعارف، ولو قال منى كن لرجل لم يحصل بذلك فائدة؛ لخلوه من اسم معروف، وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب؛ فالرفع على إضمار ابتداء كأنه قال إحداهن أن البياض؛ لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شبيبته بقوله ليالي عند البيض، وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة مُنًى عليه كما أضمر تتبع في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وإذا قيل: إن التمني مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقيلة؛ لأنها للتحقيق، فهي أشبه باليقين، وإنما يقع التمني وما شاكله على أن الخفيفة؛ لأنها تخلص الفعل للاستقبال، فهي أشبه بالطمع والرجاء والتمني من حيث تعلقت هذه المعاني بما يتوقع، ومنه قول لبيد:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ

(من أبيات للبيد قالها قرب وفاته وبعده:

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي تَعْلَمَانِهِ وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعَرْ

وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ عَهْدًا وَلَا غَدَرْ

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ)

قيل: لا يمتنع وقوع التمني على أن الثقيلة، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت وتمنيت بمعنى واحد، وفي التنزيل: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ الآية، ويجوز أن يكون مُنى: منصوبة نصب الظروف، والجملة التي هي كن وأن واسمها وخبرها نعت لها، فتتعلق أن بما قبلها كأنه قال في منى كن لي أي في جملة منى، كما قالوا: أحقًّا أنك ذاهب وأكبر ظني أنك مقيم، يريدون في حق وفي أكبر، وإذا أردت معنى الظرفية في منى فلك في أن مذهبان؛ فمذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفع أن بالظرف، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاع الفاعل، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحقًّا أنك ذاهب، قال: حملوه على أفي حق أنك ذاهب، وإذا كان هذا مذهب سيبويه ومن معه فالمنية تقارب الظن، فيحسن أن تقول أكبر مناي أنك ذاهب، فتنصب أكبر بتقدير في، وأنشد:

أَحَقًّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ تَهَدُّدُكُمْ إِيَّايَ وَسْطَ الْمَجَالِسِ

(هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلي، وهو من أبيات راجِعها وراجع سببها في الأغاني وفي خزانة الأدب في شواهد المبتدأ والخبر، وبني: منادي مضاف لما بعده، وتجد في الخزانة تحقيقًا وافيًا لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام العكبري فراجعه إن شئت.)

والمذهب الآخر مذهب الخليل، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء، ويخبر عنه بالظرف المتقدم حكاه عند سيبويه قال: وزعم الخليل أن التهدد هنا بمنزلة الرحيل في غدٍ، وأن أن بمنزلته وموضعها كموضعه.

(٥٣٢) البيض: النساء، والفودان: جانبا الرأس، والعاب: هو العيب. يقول: إن تمني المشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة؛ لحسن شعره وسواده، وكن يفخرن بوصلي؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي، لأني ممن يعف عن النساء، ويرغب عن وصالهن.

وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ

وقوله ليالي: منصوب بفعل مضمر دل عليه منى كأنه قال تمنيت ذلك ليالي فوادي عند النساء فتنة، وليالي: مضاف إلى الجملة بعده، وقد فصل بالظرف وهو قبيح.

(٥٣٣) يقول: فكيف أذم المشيب اليوم، وقد كنت أتمناه وأشتهيه؟ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته؛ يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء، وقد سمت في هذا سمت ابن الرومي في قوله:

هِيَ الْأَعْيُنُ النُّجْلُ الَّتِي كُنْتَ تَشْتَكِي ... مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسُ أَسْوَدُ
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا ... وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمًى سِوَاكَ تَعَمَّدُ

(٥٣٤) جلا: زال وانكشف، من قولهم جلا القوم عن منازلهم: إذا ارتحلوا، وانجاب: انكشف، والضباب: ما يصعد من الأرض إلى السماء، مثل الدخان، الواحد ضبابة، ويقال أضب يومنا؛ أي صعد فيه الضباب. يقول: إن بياض الشيب كان كأنه كامن في السواد، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير، كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوئه.

(٥٣٥) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب، ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه، ولو أن الشعرات البيض في وجهه كانت حرابًا، والهاء في قوله منه: للجسم.

(٥٣٦) يقول: إن كل ظفري ولم يبقَ في فمي ناب من الكبر، فهمتي لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها، قال العكبري: قوله أعده في موضع جزم، جواب الشرط، واختار سيبويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم.

(٥٣٧) غيرها: استثناء، والكعاب: الجارية يبدو ثديها للنهود. يقول: إن نفسي شابة أبدًا لا يغيرها الدهر، وإن تغير جسمي.

(٥٣٨) يقول: إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتدِ للطريق اهتدى بي أصحابي، وكنت لهم كالنجم الذي يهتدى به، يريد أنه خريت خبير بالفلوات، والصحبة: اسم جمع بمعنى الأصحاب، ويروى تهتدي صحبتي به.

(٥٣٩) يستفزني: يستخفني ويحركني. يقول: إني غير مولع بالأوطان، وجميع البلاد عندي سواء، فإذا غادرت وطنًا لم يستخفني حب الرجوع إليه.

(٥٤٠) الذملان: ضرب من السير، والعيس: الإبل، وقوله: إن سامحت به، كلام مستأنف، وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره: سرت عليها، والأكوار: جمع كور، وهو الرحل، والعقاب: الطائر المعروف. يقول: وأنا غني كذلك عن سير الإبل، فإن سمحت به سرت عليها، وإلا فإنني كالعقاب؛ أجوب الفيافي دون أن أحتاج إلى ما يحملني.

(٥٤١) اليعملات: النياق النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل، ولعاب الشمس: ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه. يقول: وأعطش في الفيافي الحارة التي يشتد فيها حر الشمس، ويسيل لعابها فوق الإبل، فلا أبدي حاجتي إلى الماء تصبرًا وتجلدًا وحزمًا، وهذا من قول أبي تمام:

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَزْرًا إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهْوَ صَادِي

(٥٤٢) النديم: الذي ينادمك ويجالسك على الشراب. يقول: إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم، ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن كما قال مسكين الدارمي:

يَظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيُنُ الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

وقد نظر المتنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي وَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

(٥٤٣) الخود من النساء: الشابة الناعمة، وتجاب: تقطع. يقول: إنما أصحب المرأة قدرًا يسيرًا، ثم أسافر عنها، فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقائها. أو تقول: ثم أبتعد عنها، وأمعن في الابتعاد.

(٥٤٤) الغرة: الغرور. يقول: إن عشق النساء غرور بهن، وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به، ويروى فتصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى: إن دواعي العشق تقع أولًا في القلب، ثم تنقاد النفس لهوى القلب؛ لأنه يستهويها ويغلبها على رشدها.

(٥٤٥) الغواني: الحسان، والرمية: الطريدة التي ترمى. يقول: إن قلبي لا تصيبه النساء بسهام ألحاظهن إذ لا أصبو إليهن، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج؛ أي لا أحمل كأس الخمر بيدي، ويروى للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى: ولست ممن يلعب الشطرنج. قال ابن فورجه: يرد على هذه الرواية: البنان ركاب القدح، وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال

حمله، وأيضًا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء، والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الغزل من اللعب بالشطرنج.

(٥٤٦) اللعاب: الملاعبة ومنه حديث جابر: «ما لك وللعذارى ولعابها؟» والتلعاب — بالفتح — اللعب، صيغة تدل على تكثير المصدر، ويقال رجل تلعابة — بكسر التاء — وتلعاب وتلعابة: كثير اللعب. يقول: تركنا شهواتنا للرماح؛ أي لا لذة لنا إلا فيها، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي، وقصرها على الجد في طعان الأعداء.

(٥٤٧) نصرفه؛ أي القنا، والحوادر: الخيل الغلاظ السمان، وتروى خوادر — بالخاء المعجمة — أي كأنها أصابها الخدر؛ لما لحقها من التعب والجراحات، ورويت حواذر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعني: خليلًا تحذر الطعن؛ لأنها معودة، ومن ثم تميل عنه، والكعاب: العقد بين أنابيب الرمح. يقول — على رواية حوادر: نصرف الرماح، وننقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن، وانكسرت فيها كعاب من القنا؛ وهذا من قول الجاهلي:

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا

هذا، ورواية حواذر هي رواية ابن جني، وقد نقدها بعض الشراح بقوله: كيف يصفها بالحذر وقد وصفها بانكسار الرماح فيها؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية بقوله: يجوز على رواية ابن جني هذه أن يكون حواذر أي تميل عن الطعن وتحذره بكثرة ما قد طوعن عليها، فقد عرفت كيف تحيد عن الطعن، وقوله انقصفت فيهن من الطعن كعاب، يجوز أن يكون في أول ما طوعن عليها وهي في غرة من الطعن، فلما كثر الطعان عليها وألفته صارت تحذره وتبطله بميلها عنه، ويجوز أن يكون المراد تحذر الطعن وتحيد عنه، ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطعن قليل وتسلم لحذرها من طعن كثير.

(٥٤٨) الدنى: جمع دنيا، والسابح: الفرس السريع الجري، يقول: إن سرج الفرس هو أعز مكان؛ لأنه يمتطى لطلب المعالي أو محاربة الأعداء لدفع شرهم، أو للهرب من الضيم واحتمال الذل، وأن الكتاب هو خير جليس؛ لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر، ولا يحتاج في مجالسته إلى مؤنة فضلًا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه، ولله قول القائل:

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسَا

(٥٤٩) بحر: خبر مقدم، وأبو المسك: مبتدأ مؤخر، والخضم: صفة له، والخضم: الكثير الماء، وزخر البحر: طمى وامتد، والعباب: كثرة الموج وارتفاعه، يقول: وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جودًا وعطاء، وهذا كقول الشاعر:

دَعَانِي إِلَى عُمَرٍ جُودُهُ وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بَحْرٌ خِضَمْ

وروي: وبحر أبي المسك، على أن بحر: مبتدأ مضاف إلى أبي المسك، والخضم خبره؛ أي إن بحر المسك هو البحر الخضم، وروى ابن جني وبحر — بالجر — عطفًا على جليس؛ أي وخير بحر أبو المسك.

(٥٥٠) يقول: هو فوق كل مدح يثنى عليه به، فإذا بالغت في حسن الثناء عليه استحق قدره فوق ذلك، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب؛ لقصوره عن استحقاقه، وهذا كقول البحتري:

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ فَقَدْ كَا دَ يَكُونُ الْمَدِيحُ فِيهِ هِجَاءَ

وقال ابن جني: هذا من المدح الذي كاد أن ينقلب — لإفراطه — هجوًا، وهذا ضد قول أبي نواس:

وَكُلُّهُمُ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

(٥٥١) عنوا: خضعوا وذلوا، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ من العنوة وهي القهر. يقول: وحاول الأعداء غلابه، ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا كالرقاب إذا غالبت السيوف آضت مغلوبة.

(٥٥٢) بذلة: تمييز؛ اسم من الابتذال، وهو أن يترك المرء صيانة نفسه، يقول: وأكثر ما تلقاه مبتذلًا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا الحديد؛ أي إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه، يعني أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى الحرب بالدرع والحديد. فالحديد مستثنى مقدم من الثياب، وهذا كما قال الأعشى:

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْبَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا
كُنْتَ الْمُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا

(كتيبة ملمومة: مجتمعة، وشهباء لما فيها من بياض السلاح والحديد، ونهالها: عطاشها، والجُنَّة: ما واراك من السلاح، وأبطالها مفعول تضرب، ومعلمًا: حال، ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها، وسيأتي شرح البيتين.)

هذا، وقد ذهب ابن جني إلى غير ما أوردناه قال: إذا لبست الأبطال الثياب فوق الحديد خشية واستظهارًا، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلًا للطعن فجعل الثياب كما ترى تصون الحديد. قال العروضي يرد عليه: أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر، وإنما المتنبي جعل الصون للحديد لا للثياب. يريد إذا لم يصن الثياب إلا الحديد يعني الدروع، وإنما يريد النفي؛ لأنه المستثنى، وأنشد بيت الكميت:

وَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً ... وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

ومعنى البيت: أكثر ما يلقى هذا الممدوح في الحرب باذلًا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال، وذلك لشجاعته وإقدامه، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع … وهذا الذي قاله العروضي هو الذي قلناه.

(٥٥٣) يقول: وأوسع ما يكون صدرًا إذا حمي الوطيس، وأحاط به العدو من كل جانب، وكان خلفه الرماء والطعن، وأمامه الضراب. فقوله وأوسع: مبتدأ؛ وقوله وخلفه رماء: جملة حالية قامت مقام خبر أوسع، والرماء: الرمي، والضراب: الضرب، ولكنهما تدلان على المفاعلة، والأمام: منصوب على الظرفية، وقال ابن جني: المعنى: أوسع ما يكون صدرًا إذا تقدم في أول الكتيبة يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورامٍ. فجعل ابن جني الرماة من أصحاب الممدوح، وليس في هذا مدح؛ لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمي ويطعن من أصحابه فصدره واسع وقلبه مطمئن، وإنما أراد — كما قلنا — خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه. يعني: إذا كان في مأزق متضايق في الحرب، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضق صدره، وإنما تراه أوسع ما يكون صدرًا.

(٥٥٤) يقول: إذا أراد أمرًا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه؛ لأنهم لا يقدرون على خلافه، وقد استقادوا له؛ أي أعطوه مقادتهم. فمهما أبرم أمرًا نفذ وإن غاضبهم فيه.

(٥٥٥) النائل: العطاء. يقول: لو لم يطعه الناس رغبة في عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالًا؛ لما اختصه الله به من الفضل.

(٥٥٦) يقول: أنت أسد قوة وبطشًا، وهمتك همة الأسود، والأسد موصوف بعلو الهمة، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر:

وَكَانُوا كَأَنْفِ اللَّيْثِ لَا شَمَّ مَرْغَمًا   وَلَا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى يُعَفِّرَا

(أي إنه لا يطعم إلا مما صاده بنفسه.)

وقد قال أبو تمام:

إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا   يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

ثم قال المتنبي — وأراد ما عداه من الملوك: وكم من أسد دنيء النفس ساقط الهمة؛ أي كم من ملك يشبه الأسد في قوة بطشه، ولكن روحه روح كلب. هذا، وللعلامة العكبري هنا كلمة في المنادى أوردها لمناسبة إعرابه «أيا أسدًا» رأينا أن نوردها؛ لنفاستها، ولأنا أخذنا على أنفسنا أن لا نغفل شيئًا مما أورده جميع الشراح. قال العكبري: أيا أسدًا: هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر، ولو رفع ونون لكان أجود؛ لأنه خصصه، والنكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم، قال الله تعالى ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد، والطير من رفعه جعله عطفًا على الجبال، ومن نصبه — وهو المشهور — فله ثلاثة أوجه؛ الأول: أن يكون عطفًا على موضع الجبال لأنها في موضع نصب. الثاني: أن تكون الواو بمعنى مع. الثالث: أن يكون مفعولًا عطفًا على ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾، واختلف البصريون وأصحابنا الكوفيون في المنادى؛ فقال البصريون: هو مبني على الضم وموضعه النصب، لأنه مفعول، وقال أصحابنا: بل هو معرب مرفوع بغير تنوين، وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض، ووجدناه مفعولًا في المعنى، ولم نخفضه لئلا يشتبه بالمضاف إلى ياء المتكلم، ولم ننصبه لئلا يشبه ما لا ينصرف فرفعناه بغير تنوين؛ ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برافع صحيح فرق، وأما المضاف فنصبناه؛ لأنا وجدنا أكثر الكلام منصوبًا، فحملناه على وجه من النصب؛ لأنه أكثر استعمالًا من غيره، وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبني — وإن كان

يجب في الأصل أن يكون معربًا — أنه أشبه كاف الخطاب، وهي مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه الأوجه، فوجب أن يكون مبنيًّا، ووجه آخر: وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب؛ لأن الأصل في قولك: يا زيد، يا إياك، ويا أنت؛ لأن المنادى لما كان مخاطبًا كان ينبغي أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب، فيقال: يا إياك، ويا أنت، فلما وقع الاسم المنادى موقع الخطاب، وجب أن يكون مبنيًّا؛ كما أن اسم الخطاب مبني. قالوا: وبنيناه على الضم لوجهين؛ أحدهما: أنه لا يخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم، بطل أن يبنى على الفتح؛ لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف، وبطل أن يبنى على الكسر؛ لأنه كان يلتبس بالمضاف إلى النفس، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم، والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقًا بينه وبين المضاف إليه؛ لأنه إن كان مضافًا إلى النفس كان مكسورًا، وإن كان مضافًا إلى غيرها كان منصوبًا، فبني على الضم؛ لئلا يلتبس بالمضاف، وقلنا إنه مفعول؛ لأنه في موضع نصب لأن تقدير يا زيد أدعو زيدًا، وأنادي زيدًا، فلما قامت «يا» مقام أدعو؛ عملت عمله، فدلت على أنها قامت مقامه من وجهين؛ أحدهما: أنها تدخلها الإمالة نحو يا زيده، والإمالة لا تدخل الحروف، وإنما تدخل الاسم والفعل، والثاني: أن لام الجر تعلق بها نحو يا لزيد ويا لعمرو، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر، فلو لم تكن قد قامت مقام الفعل: لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر؛ لأن الحرف لا يتعلق بالحرف.

(٥٥٧) يقول: إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترئ على أن ينقصك حقك، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك. يعني: لا تجحفك الأيام شيئًا لمنعتك.

(٥٥٨) يلطه: يجحده ويمطل به، ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية: أنشأت تلطها: أي تمنعها حقها من المهر، ويروى تطلها، وأصله لططت حقه إذا جودته، وربما قالوا تلطيت حقه؛ لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طاءات فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قالوا من اللعاع تلعيت (اللعاع: هو الهندباء؛ بقل معروف يؤكل، وتلعى اللعاع: أكله) ويقال: ألطَّه على أي أعانه أو حمله على أن يَلِطَّ حقِّي. يقال: ما لك تعينه على لطه، وأعتبه: أزال عتبه أي أرضاه. يقول: لنا عند الدهر حق يجحده ويماطل في قضائه، وقد طال عتابنا له، فلم يزل عتبنا؛ أي لم يرضنا بقضاء الحق.

(٥٥٩) الشيمة: العادة والخلق، وتنعمر: مطاوع عمرت المكان: إذا صيرته عامرًا آهلًا، واليباب: الخالي ليس به أحد. يقول: إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك؛ إذ إنها ترضي المعاتب وتسالم أهل الفضل، فلا يلحقهم منها سوء؛ لنزولهم في كفك وجوارك،

وهذا خلاف عادتها من اضطهاد ذوي الفضل، والأوقات تصير عامرة لهم؛ بأن يدركوا مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف؛ يعني إن أظفرتني الأيام بمطلوبي لديك فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالًا.

(٥٦٠) القراب: قراب السيف وهو غمده. يقول: إنما الملك في الحقيقة والواقع هو أنت، لا ذلك السؤدد الذي أنت فيه والذي نلته بعلو همتك وسداد رأيك، فهو بالقياس إليك نافلة وفضلة، وكأنه قراب وأنت فيه السيف، والمزية كلها للسيف لا للقراب، ويروى بدل قوله كأنك سيف: كأنك نصل.

(٥٦١) قرت عينه: بردت، وهو كناية عن السرور، وضمير كان: يعود إلى القرب، ويشاب: يمزج ويخلط، يقول: إن عيني قريرة بقربك، وأنا مبتهج بذلك؛ لأني بلغت ما كنت أود من لقائك، وإن كان هذا القرب مشوبًا بالبعاد؛ لأني لم أنل منك ما كنت أرجوه من الصنيعة إليَّ، وهل ينفعني أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محجوب عني؟ وهذا كلام بديع يغزو المتنبي به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور من الحصول على ولاية من الولايات.

(٥٦٢) قرت عينه: بردت، وهو كناية عن السرور، وضمير كان: يعود إلى القرب، ويشاب: يمزج ويخلط، يقول: إن عيني قريرة بقربك، وأنا مبتهج بذلك؛ لأني بلغت ما كنت أود من لقائك، وإن كان هذا القرب مشوبًا بالبعاد؛ لأني لم أنل منك ما كنت أرجوه من الصنيعة إليَّ، وهل ينفعني أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محجوب عني؟ وهذا كلام بديع يغزو المتنبي به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور من الحصول على ولاية من الولايات.

(٥٦٣) حب: مفعول له، كأنه قال: لحب ما خف عنكم. يقول: لإيثاري التخفيف عنكم أقلل التسليم عليكم، وأسكت عن الكلام كي لا أحوجكم إلى الإجابة. هذا، ولك أن تنصب يكون: على إعمال كي، وتكون ما: زائدة، وأن ترفعها على أنها لا تعمل، وتكون ما: مصدرية.

(٥٦٤) يقول: إن في نفسي حاجات لا ينبعث بها لساني وأنت من الفطانة بحيث تدركها دون أن أذكرها، فسكوتي عنها يقوم مقام الإفصاح عنها، وهذا كما يقول أمية بن أبي الصلت:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حِبَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحِبَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

(الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به، أو هو العطاء بلا منٍّ ولا جزاء، ويروى: حياؤك إن شيمتك الحياء.)

ويقول أبو تمام:

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ الْتَقَاضِي

ويقول أبو بكر الخوارزمي:

وَإِذَا طَلَبْت إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
فَإِذَا رَآكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَّلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلْزُومُ

(٥٦٥) يريد أن يستدرك على نفسه، يقول: أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي إياك؛ لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف. فقوله ضعيف: خبر مقدم، وهوى: مبتدأ مؤخر، ثم ذكر السبب في البيت التالي. هذا، والرشوة؛ بضم الراء، وفتحها، وكسرها، والجمع رُشًى، ورِشًى. قال سيبويه: من العرب من يقول: رُشوة ورُشًى ومنهم من يقول: رِشوة ورِشًى، والأصل: رُشًى، وأكثر العرب يقول: رِشى، ورَشاه يرشوه رَشوًا: أعطاه الرَّشوة، وارتشى منه رَشوة: إذا أخذها. قال المبرد: الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لتزقه، وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش»: الرَّشوة، والرُّشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء؛ فالراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي: الآخذ، والرائش: الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا.

(٥٦٦) يقول: وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائي يلمنني على قصدي إليك أني كنت مصيبًا في هواك، وأنك تفضل عليَّ وتبلغني ما أرجيه منك.

(٥٦٧) يقول: وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك، وهذا كقول البحتري:

وَأَشْهَدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِكَ دُونَهُمْ مُؤَدًّى إِلَى حَظِّي وَمُتَّبِعٌ رُشْدِي

والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة، ولعله أراد به الحقيقة.

(٥٦٨) يقول: إن الخلاف جارٍ في كل شيء إلا في أنك واحد منماز عن الأشكال؛ وفي أنك أسد، والملوك بالقياس إليك ذئاب، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُؤْدَدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الْأُمَّةِ اثْنَانِ

ويقول البحتري:

وَأَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى فَضْـ ـلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ

فالخلف: بمعنى الاختلاف، وأنك واحد: بدل اشتمال من الكاف في قوله فيك.

(٥٦٩) يقول: إذا صحَّف القارئ لدى هذه المقايسة لفظ الذئاب — المذكورة في البيت السابق — فقال: وإنك ليث والملوك ذباب؛ لم يخطئ ولم يَعْدُ الصواب في هذا التصحيف؛ لأن من عداك من الملوك كذلك.

(٥٧٠) الكذاب: الكذب، يقال: كذب يكذب كذبًا وكذبًا وكذابًا وكذابًا. قال الشاعر:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

وأنشدوا:

نَادَتْ حَلِيمَةُ بِالْوَدَاعِ وَآذَنَتْ أَهْلَ الصَّفَاءِ وَوَدَّعَتْ بِكِذَابِ

ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكُذَبة مثال هُمَزَة، وكذبان وكيذبان وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبذبان وكذبذب وكذبذب. قال الشاعر:

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّنِي قَدْ بِعْتُكُمْ بِوِصَالِ غَانِيَةٍ فَقُلْ كُذُّبْذُبِ

(الرواية قد بعته — يعني جمله — وقبله:

قَدْ طَالَ إِيضَاعِي الْمخدمِ لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَعَدٍّ يَخْطبُ

حَتَّى تَأَوَّبَتِ الْبُيُوتُ عَشِيَّةً فَحَطَطْتُ عَنْهُ كوره يَتَثَأَّبُ

فإذا سمعت بأنني قد بعته ... إلخ.)

والكذب: جمع كاذب، مثل راكع وركع. قال أبو داود الرؤاسي:

مَتَى يَقُلْ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلَتُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكُذَّبِ الْوَلَعَهْ
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْعَدَهُمْ شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مُنِعَهْ
لَا يَحْسُدِ النَّاسَ فَضْلَ اللهِ عِنْدَهُمُ إِذَا تَشُوهُ نُفُوسُ الْحُسَّدِ الْجَشِعَهْ

الولعة: جمع والع وهو الكاذب.» يقول: إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل؛» لأن بعضه يكون كذبًا، أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه، وهذا كقول أبي تمام:

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ فَلَمْ آثَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ
وَلَوِ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتَ مَتَى يَضِقْ عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ

(فلان يتحوب من كذا؛ أي يترك الحوب، وهو الإثم، كيتأثم؛ أي يترك الإثم.)

(٥٧١) يقول: لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي؛ أي لولاك لم أقم بمصر، وكنت لا أزال مهاجرًا في الأرض أنتقل من بلد إلى بلد، ومن ناس إلى ناس؛ لأن جميع البلاد وجميع الناس لديَّ سواء.

(٥٧٢) يقول: ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إليَّ والتي انصبت عليها آمالي، فإن حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهابًا إليك، وكذلك الدنيا: من أراد السفر عنها سافر إليها، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها. فقوله حبيبة: حال من الدنيا، وإليَّ: متعلق بحبيبة، وقوله فما عنك؛ أي فما لي ذهاب عنك إلا إليك، وأورد العكبري حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ، وإليَّ: خبر، وقال ابن جني: التقدير هي إليَّ حبيبة. يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف، وقال: إن المعنى يريد أنك السلطان، والسلطان هو الدنيا، يعني أنت جميع الدنيا، فإن ذهبت عنك عدت إليك، فإن الحي لا بد له من الدنيا، وهذا قريب مما قلناه.

(٥٧٣) الجرذ: ضرب من الفأر، والمستغير: الذي يطلب الغارة على ما في البيوت وغيرها.

(٥٧٤) تلاه صرعاه، يقال تله يتله تلا فهو متلول، وتليل: صرعه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي صرعه كما تقول كبه لوجهه. يقول: رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بني كنانة والآخر من بين عامر، وصرعاه لوجهه، كما تفعل العرب بالقتيل.

(٥٧٥) اتلا: تولى وباشر، وغل: خان من الغلول؛ الخيانة في المغانم، والسلب: ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما، وحره: جيده. يقول: لقد اشتركتما في قتله فأيكما انفرد بجيد سلبه وخانه في ذلك، وهذا كله من باب التهكم والسخرية، ولمناسبة كلا وكلتا نقول: ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل «كلا» كل، فخففت اللام وزيدت الألف للتثنية، وزيدت التاء في كلتا للتأنيث، والألف فيهما كالألف في قولك الزيدان، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة، وذهب البصريون إلى أن فيهما إفرادًا لفظيًّا وتثنية معنوية والألف فيهما كألف رحا وعصا، وحجة الكوفيين النقل والقياس؛ فالنقل قول الشاعر:

فِي كِلْتَ رِجْلَيْهَا سُلَامَى زَائِدَهْ   كِلْتَاهُمَا قَدْ قُرِنَتْ بِوَاحِدَهْ

(قيل: إن هذا البيت من رجز يصف به نعامة، فضمير رجليها يرجع إلى النعامة، والسلامى: عظم في فرسن البعير وعظامه صغار طول أصبع أو أقل في اليد والرجل، والجمع سلاميات، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس، والضمير في كلتاهما: للرجلين، والمصراع الثاني: تأكيد للأول، وقوله قرنت بواحدة؛ أي من السلاميات.)

فإفراده كلت يدل على أن كلتا تثنية. والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرًّا ونصبًا إذا أضيفت إلى المضمر، نحو: رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما، ومررت بكلتيهما، فلو كانت الألف في آخرها كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاهما نحو رأيت عصاهما ومررت برحاهما. فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية، وحجة البصريين: أن الضمير يعود إليهما تارة مفردًا حملًا على اللفظ، وتارة مثنى حملًا على المعنى؛ فرد الضمير مفردًا كقوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ وكقول جرير:

كِلَا يَوْمَيْ أُمَامَةَ يَوْمُ صَدٍّ   وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَا لِمَامَا

فقال يوم بالإفراد، وأما رد الضمير مثنى حملًا على المعنى فكقول الفرزدق:

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجَرْيُ بَيْنَهُمَا   قَدْ أَقْلَعَا وَكِلَا أَنْفَيْهِمَا رابي

(من أبيات للفرزدق في جرير، وكان جرير زوج بنته أم غيلان من عصيدة ابن أخي امرأته وكان منقوص العضد، فخلعها منه أي طلقها، فقال الفرزدق:

مَا كَانَ ذَنْبُ الَّتِي أَقْبَلَتْ تَعْتَلَهَا   حَتَّى اقْتَحَمت بِهَا أسكفةَ الْبَابِ

كلاهما ...

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ جَهْلًا حِينَ تَجْعَلُهَا   دُونَ الْقَلُوصِ وَدُونَ الْبكْرِ وَالنَّابِ

تعتلها: تجذبها جذبًا عنيفًا، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية: ما بال لومكها أي لومك إياها، والأسكفة، عتبة الباب؛ أي حتى أدخلتها عتبة بابك، وكلاهما أي كل من ابنة جرير وزوجها، وجد الجري؛ أي اشتد، وأقلعا؛ أي أقلعا عن الجري، ورابي من الربو وهو النفس العالي المتتابع، وهذا تمثيل، يقول: إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا في الجري ووقفا قبل الوصول إلى الغاية.)

فقال: قد أقلعا حملًا على المعنى، وقال رابي حملًا على اللفظ. وقالوا: الدليل على أن فيهما إفرادًا لفظيًّا أنك تضيفهما إلى التثنية، فتقول: جاءني كلا أخويك، ورأيت كليهما، وكذلك حكم كلتا في المضمر والمظهر، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى التثنية؛ لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تُمال في قراءة حمزة والكسائي، وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب.

(٥٧٦) كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب، وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح بها دلير بن لشكروز بالكوفة، وسبب هذه الأبيات القبيحة: أن قومًا من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته — أم ضبة — وفسقوا بها، وكان ضبة غدارًا بكل من نزله به، واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشراف الكوفة، فامتنع منهم، وأقبل يجاهر بشتمهم، فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة، وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه. قال

الواحدي: كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها. أقول: ولولا أن يقال إننا تصرفنا في الديوان وأن هذا الديوان أدركه الخداج — إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن — لما أثبتنا هذه الأبيات التي ينبو بها السمع.

(٥٧٧) يقول: ما أنصف القوم هذا الرجل إذا فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا، والطرطبة: القصيرة الضخمة، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر:

لَيْسَتْ بِقَتَّاتَةٍ سَبَهْلَلَةٍ وَلَا بِطُرْطُبَّةٍ لَهَا هُلْبُ

(القتاتة: النموم من القت وهو النميمة والكذب المهيأ، ويقال للفارغ النشيط الفرح سبهللا، وروي عن عمر أنه قال: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللًا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة، وكل فارغ سبهلل، والهلب: ما غلظ من الشعر.)

(٥٧٨) يقال باك الحمار الأتان: نزا عليها، والغلبة: المغالبة جعلهم كالحمير في غشيانها بفحش.

(٥٧٩) يقول: فلا فخر له بأبيه، ولا يرغب بأمه أيضًا عما فعل بها.

(٥٨٠) يقول: وإنما قلت ما أنصفوك رحمة بك؛ لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيرة عليك. يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالشماتة، وليلحظ أن ضبة هذا من الغباء بحيث لم يرَ المتنبي بدًّا من أن يسلك معه هذا المسلك، فقد صرح باسمه ... وأيضًا كان يكفي أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة، ولا يقول بعد ذلك: وإنما قلت رحمة لا محبة.

(٥٨١) تيبه — بكسر التاء — مضارع، وبه: بمعنى أبه وبالى واكترث، وتُروى لو كنت تنبه؛ أي تفطن. يقول: وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما ألمَّ بك إذا سمعوا قولي هذا وعرفوا أنك مظلوم.

(٥٨٢) ما في الأبيات الثلاثة استفهام إنكاري، وهي في البيتين الأولين: ضمير الشأن، والسبة: العار يسب به، والقحبة: البغي، والفاسدة الفاجرة، وهذا من أبي الطيب استهزاء واستهجان لضبة. يقول: لا يعلق بك من قتل أبيك عار، إنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها، والغدر سبة تسب به، فما عليك منه؟ ولا عار عليك من فجور أمك.

(٥٨٣) ما في الأبيات الثلاثة استفهام إنكاري، وهي في البيتين الأولين: ضمير الشأن، والسبة: العار يسب به، والقحبة: البغي، والفاسدة الفاجرة، وهذا من أبي الطيب استهزاء

واستهجان لضبة. يقول: لا يعلق بك من قتل أبيك عار، إنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها، والغدر سبة تسب به، فما عليك منه؟ ولا عار عليك من فجور أمك.

(٥٨٤) ما في الأبيات الثلاثة استفهام إنكاري، وهي في البيتين الأولين: ضمير الشأن، والسبة: العار يسب به، والقحبة: البغي، والفاسدة الفاجرة، وهذا من أبي الطيب استهزاء واستهجان لضبة. يقول: لا يعلق بك من قتل أبيك عار، إنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها، والغدر سبة تسب به، فما عليك منه؟ ولا عار عليك من فجور أمك.

(٥٨٥) العجان: ما بين القبل والدبر. يقول: إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه.

(٥٨٦) هذا كناية عن الأير. يقول: لحبه ذلك يحب أن يكون مصلوبًا في ذلك الجذع.

(٥٨٧) يقول: إنه سمح القياد يلين لمن راوده، وقد أملست ركبته؛ لكثرة البروك عليها.

(٥٨٨) يريد بالفعول: الذين يفعلون بها، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام.

(٥٨٩) يقول: إن الذين يأتونه كالأطباء له، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يعب به. يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجهالًا له.

(٥٩٠) الهلوك: البغي الفاجرة. يقول: إن الفاجرة كالحرة المخطوبة إلى أهلها لا فرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة.

(٥٩١) غناه: هو غناؤه، فقصره؛ أي يكفيه ضيح وعلبة، والضيح: اللبن الممزوج بالماء، والعلبة: قدح من جلد يشرب فيه اللبن. يقول: إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراه، ولو كان هذا الضيف صعلوكًا؛ يكتفي بقليل من الضيح في علبة، ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به، ولو كان صعلوكًا لا مال معه يطمع فيه.

(٥٩٢) وخوف: عطف على قاتلًا — في البيت السابق — أي ويا خوف كل رفيق … إلخ. يقول: هو من الغدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام.

(٥٩٣) يقول: إن الله خلقه مجبولًا على الغدر والسفال، ومن ثم لا يزال على ما جبله الله عليه لا يستطيع الناس تهذيبه؛ لأن الله — جل شأنه — لا يغالب.

(٥٩٤) السربة: الجماعة من الخيل، وفعولها: كناية عن غرمولها، والسنبه: الحين والقطعة من الزمان.

(٥٩٥) السربة: الجماعة من الخيل، وفعولها: كناية عن غرمولها، والسنبه: الحين والقطعة من الزمان.

(٥٩٦) الأحيراح: تصغير أحراح — جمع حر، وأصله حرح — الفرج.

(٥٩٧) القنب: وعاء القضيب من ذوات الحافر.

(٥٩٨) ضب: ترخيم ضبة. يقول: اسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من العجب والكبر؟ يعني: حين اختبأ، وامتنع منهم بالحصن، وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم.

(٥٩٩) يقول: إن خانك فؤادك — أي خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك على الإقدام علينا خوفًا ورعبًا — فلست أول من خانه قلبه؛ لأنه تعود خيانة أصحابه.

(٦٠٠) يقول: إن خانك فؤادك — أي خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك على الإقدام علينا خوفًا ورعبًا — فلست أول من خانه قلبه؛ لأنه تعود خيانة أصحابه.

(٦٠١) يقول: إنك حين اختبأت وتحصنت منا جبنًا ما كنت إلا ذبابًا طردناه بمذبتنا فهرب، وروي «عنه» بدل عنا، والضمير في عنه وفي فيه: يرجع إلى العجب: يعني كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالذباب يقتل بالمذبة، وذهب ابن جني إلى أن الضمير يعود إلى القلب فقال: يريد بقيت بلا قلب.

(٦٠٢) يقول: وإذا بعدنا عنك فأمنت. عاودك العجب فحملت السلاح، وهذا مثل قوله:

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا

(٦٠٣) العنان: سير اللجام، والجرداء من الخيل: القصيرة الشعر، والشطبه: الطويلة.

(٦٠٤) يقول: إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك؛ لأنك غريب عنها، أما المخازي فإنك تستأنس بها؛ لما بينك وبينها من النسب والقرابة.

(٦٠٥) يقول: إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك؛ لأنك غريب عنها، أما المخازي فإنك تستأنس بها؛ لما بينك وبينها من النسب والقرابة.

(٦٠٦) يقول: إن مرادي أن أنبه إلى ما فيك من الغدر والشح، فإن عرفت مرادي هذا، سررت بما قلت؛ لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعت من خلالك، وقال ابن جني يقول: أنت مع ما أوضحته من هجائك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت

أنه هجاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه. وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما قال الواحدي.

(٦٠٧) فإن الجهل بك أشبه؛ لأنك لست ممن يفهم.

(٦٠٨) هذا خبر معناه الدعاء. يقول: جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده، والمَلْك تخفيف الملك، وهذا: مبتدأ مؤخر، وآخر: خبر مقدم.

(٦٠٩) جزعًا: مفعول له، عامله أثر، والأنف: الحمية والاستنكاف، وشابه: خالطه. يقول: لم يؤثر هذا الحادث في قلبه؛ لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع، ولكنه أخذته الحمية والأنفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه، ويستبيح حريمه، ويغتصبه من يعز عليه.

(٦١٠) يقول: لو كانت الدنيا تدري ما يحوزه من الفضل؛ لأخذها الحياء من عتبه عليها، ولكفت عنه أذاها، وقيل: إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته، ولو علمت؛ لما عرضت لشيء من أسبابه، وقد دل البيت التالي على ذلك.

(٦١١) يعتذر عن الأيام. يقول: لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسطت عليها.

(٦١٢) الذرى: الكنف، والعضب: السيف القاطع. يقول: ولعل الدنيا ظنت أن عمتك لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك، فلذلك عرضت لها وأخذتها.

(٦١٣) يقول: ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده: يعني أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته، ومن ثم اجترأت عليها ولم ترعَ حقه، ويروى: وأن حد المرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حريمه وطنه، فمن لم يكن مستوطنًا معه لم يكن من عشيرته.

(٦١٤) أجفل: أسرع في الهرب، يقول: إني أخاف — إذ قلت هذا — أن تفطن أعداؤه إلى أن الأيام لا ترزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفًا من الأيام وطلبًا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتمالهم بعزه.

(٦١٥) يقول: لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أي يبقى كذلك أبد الدهر، ولو قال لن — بدل لا — لكان أحسن؛ لأن لن تدل على التأبيد.

(٦١٦) يقول: ينسى الإنسان بتلك الضجعة تيهه وإعجابه بنفسه، وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره؛ أي ينسى بتلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته.

(٦١٧) يقول: نحن أبناء الموتى؛ لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللهِ مَا بَادُوا لِتَبْقَى

وأصله قول متمم بن نويرة:

فَعَدَدْتُ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فَدَعَوْتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أَنَّنِي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أَجْزَعُ؟

وروي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزيه عن أبيه: «أما بعد» فإنا أناس من أهل الآخرة، أسكنا في الدنيا أمواتًا آباء أموات، وأبناء أموات فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام.

(٦١٨) يقول: إننا نحرص على أرواحنا ضنًّا بها على الزمان مع أنها مما كسب الزمان لا من كسبنا نحن، وقد فسر ذلك في البيت التالي؛ قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: إذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها إلى أماكنها.

(٦١٩) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف — هو الروح — وجوهر كثيف — هو البدن — فجعل اللطيف من الهواء، والكثيف من التراب. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: اللطائف سماوية والكثائف أرضية، وكل عنصر عائد إلى عنصره، «هذا»، وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه؛ لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبي حسب.

(٦٢٠) يقول: لو فكر العاشق المستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء؛ لأقلع عن عشقه، ولم تملك تلك المحاسن قلبه، ولك أن تجعل هذا مطردًا في كل معنى من معاني الحياة فتقول: لو فكر الحريص المتهالك على جمع المال في منتهى ذلك، وأن مصير هذا المال إلى الزوال، أو أنه مائت عنه لا محالة؛ لما تهالك على جمعه، وهلم. قال العكبري: وهو من قول الحكيم: النظر في عواقب الأشياء يزيد في حقائقها، والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق.

(٦٢١) قرن الشمس: أول ما يبدو منها، وهذا مثل، معناه. أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال؛ كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها.

(٦٢٢) قوله: في جهله وفي طبه، حالان. يقول: إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان؛ أكان شريفًا أم وضيعًا، عاقلًا أم جاهلًا. فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق.

(٦٢٣) السرب: النفس. يقول: وربما زاد راعي الضأن عمرًا على عمر جالينوس، وكان آمن على نفسه منه؛ لأن الطبيب لعلمه وتقديره لضروب الأدواء وارتباط الأسباب بالمسببات يبقى دائمًا قلقًا خائفًا كثير الوسواس.

(٦٢٤) يقول: من بالغ في السلم والمودة كمن بالغ في الحرب والمعاداة والتحرش بالخطر كلاهما إلى الموت. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: آخر إفراط التوقي أول موارد الخوف، ويقال أفرط: إذا أسرف وجاوز الحد، وفرط بتشديد الراء: قصر، وفي الحديث: «لا يرى الجاهل إلا مفرِطًا أو مفرِّطًا.»

(٦٢٥) يقول: لا أدرك حاجته من يرهب الموت، يعني إذا كان لا مندوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان؟ يحث على الشجاعة والإقدام، ويدعو على الهيابة الجبان، والضمير في رعبه: للفؤاد.

(٦٢٦) هذا ضرب من المدح الذي يشبه الذم، يقول: أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه؛ أي لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده؛ يعني المرثية عمة عضد الدولة.

(٦٢٧) يقول: وكان يكره ذكر إحسانه تناسيًا للمعروف، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه.

(٦٢٨) يقول: إنه كان يحب أن يعيش لكسب المعالي لا لحب العيش، فالضمير في عيشه: للمرثي، والتقدير: يريد عيشه من حب العلى، ولا يريد العيش من حب العيش.

(٦٢٩) يقول: إن الذي يدفنه يظن أنه يدفنه وحده، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التي هي أصحابه لا تفارقه.

(٦٣٠) يقول: إنها في حجبها وخدرها أنثى على الحقيقة، وليس ثم إلا الصون والعفاف، وما إليهما مما هو شيمة المخدرات، أما إذا ذكرت أفعالها ومساعيها — من طلب المعالي وإيثار المعروف وإغاثة الملهوف — فهناك التذكير حقًّا، لأن مثل هذه الأفعال إنما هي من شيم الرجال.

(٦٣١) أخت: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هي أخت، ولبه: أجيبيه، يقول: هي أخت ركن الدولة الذي هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه، فقال الجيش للرماح

أجيبيه؛ أي يدعو الجيش فيجيبه بالسلاح، ويجوز أن يكون المعنى: أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا: لب الجيش. يعني أنه يجيب الصارخ، ويغيث المستغيث.

(٦٣٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة، وضرب لهما المثل بالقلب واللب — أي العقل — فجعل اللب مثلًا له، والقلب مثلًا لأبيه، والقلب، وإن كان أبا اللب — أي مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة، وإن كان ركن الدولة أباه. قال ابن جني: لولا حذق المتنبي ما جرأ على هذا.

(٦٣٣) النور: الزهر، والقضب: جمع قضيب. يقول: إن أبناء عضد الدولة زين لآبائه، وليسوا بزين له هو؛ لاستغنائه بمزية علائه عن أن يتزين بأبنائه؛ يعني أن أبناءك يزينون آباءك كما يزين النور القضب.

(٦٣٤) فجرًا: مفعول مطلق، نائب عن عامله، واللام في قوله لدهر: لبيان الفاعلية؛ كما في قولهم: تبًّا لزيد، والمنجب: الذي يلد النجباء، وعقب الرجل: أولاده. يقول: ليفتخر الدهر بكونك من أهله، وليفخر أبوك الذي صار منجبًا بكونك من عقبه.

(٦٣٥) الأسى هنا: الحزن، وهو مقصور مفتوح، والقرن: من قارنك وماثلك في السن أو القوة والشجاعة، ونبا السيف: إذا لم يقطع ويعمل في الضريبة، يقول: إن الحزن — أي حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإعانته على نفسك، وإن الصبر الذي تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نابيًا كليلًا؛ أي لا تضعه فيغلبك الحزن.

(٦٣٦) جعله كالبدر، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر، يقول: ما كان ينبغي أن تغتم لفقد أحدهم؛ لأن البدر يستغني بنوره عن الكواكب.

(٦٣٧) أراد بالسائر: الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها. يقول: حاشاك أن تضعف عن حمل ما أطاق حمله الرسول؛ أي إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد إطاقة له، قال الواحدي: وهذا في الحقيقة ضرب من المغالطة، وإنما أراد تسكينه فتوصل إلى ذلك من كل وجه.

(٦٣٨) يقول: إنك قد حملت الثقيل من الأمور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن جر ذلك الثقل، وذلك أن حامل الثقل إذا عجز عن حمله جره على الأرض، كما قال عتاب بن ورقاء:

وَجَـرَّهُ إِذْ كَلَّ عَنْ حَـمْـلِـهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَتْفِهِ عَلَى شَفَا

والمعنى: أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء.

(٦٣٩) الإشفاق: الخوف والجزع، والثلب: الذم. ثلبه: ذمه وعابه. يقول: إن الصبر مما يمدح به الإنسان، والجزع مما يعاب به. يريد: أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه، ويقبح الجزع ليجتنبه.

(٦٤٠) الصوب: القصد والناحية، والغرب: مجرى الدمع. يقول: مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك، ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره.

(٦٤١) إيما: لغة في إما. يقول: يفعل ذلك إما إبقاءً على فضله؛ لئلا يضيع فضله بالجزع، وإما لتسليم الأمر إلى الله، ورعًا وتقوى.

(٦٤٢) يقول: لم أعنِ بقولي: مثلك يثني الحزن عن صوبه، إنسانًا آخر غيرك؛ لأنك الفرد الذي لا مثل له، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يريد إنما أردت نفسك لا غيرك.

(٦٤٣) هذا البيت جواب لما في البيت الأول، يقول: لما لم يعرف لك أب، ولم يكن لك أدب تعرف به؛ سميت اليوم بالذهبي؛ أي إن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل، لا من الذهب؛ أي إنما قيل لك الذهبي لذهاب عقلك.

(٦٤٤) ويك: هي ويلك، حذفت اللام لكثرة الاستعمال. يقول: إن الذي لقبت به هو ملقب بك؛ أي أَنت شين وعار للقبك، فلقبك ملقى على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدي: ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوي الشرح، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به، وأكثر الناس لم يروِ هذه القطعة ولا القطعة التي أولها:

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَغِيرُ أَسِيرَ الْمَنَايَا سَرِيعَ الْعَطَبْ

(٦٤٥) الخنزير يأكل العذرة، وكذلك بنات وردان، وهي دويبة كريهة الريح، تألف الأماكن القذرة في البيوت؛ ولاتفاق الاسمين جعله كالخنزير في أكل العذرة، ويريد بقوله: له خرطوم ثعلب، أنه ناتئ الوجه، فوجهه كخرطوم الثعلب، وهو أنفه وفمه، ولحاه الله: قبحه ولعنه.

(٦٤٦) يقول: إن غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه؛ يعني أنهما كانا غادرين، والغدر موروث له، لا عن كلالة، وأحسن من هذا ما رواه ابن جني:

عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ بِالْأَبِ

أي إن غدره بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه، فجاءت به لغير رشده.

(٦٤٧) الهن: الفرج. قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته، ويجعل ذلك كسبًا له.

(٦٤٨) يقول — تجاهلًا واستهزاء: أهذا هو الذي تنسب إليه بنت وردان — هذه الحشرة الحقيرة القذرة — ثم قال: هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب؛ هي تطلبه من الحشوش — أماكن العذرة — وهو يطلبه من هن عرسه، واللذيا: تصغير الذي.

(٦٤٩) التوس والسوس: الأصل. يقول: لقد كنت أقول أن طيئًا لا تغدر، وأن آباءهم ليسوا بغدارين، فلا تلوماني إن قلت: إن هذا قد غدر؛ لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيئ، وقوله: رب صدق مكذب: يعني أنه كان صادقًا في نفي الغدر عن طيئ وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيئ. يريد أنه صادق، وأن وردان ليس من طيئ.

قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر:

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا   فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ[١]

وسأله إجازته، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالًا:

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هَمُّهُ   مَمَاتٌ لِحَيٍّ أَوَ حَيَاةٌ لِمَيِّتِ[٢]
وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْذَى بِشَيْءٍ جُفُونُهُ   إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتِ[٣]
جَزَى اللهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ   فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَيْفِي وَدَوْلَتِي[٤]

وقال في صباه عند وداعه بعض الأمراء:

أُنْصُرْ بِجُودِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا   فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا[٥]
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلِي   وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا[٦]

وقال مرتجلًا يَمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي:

فَدَتْكَ الْخَيْلُ وَهْيَ مُسَوَّمَاتُ   وَبِيضُ الْهِنْدِ وَهْيَ مُجَرَّدَاتُ[٧]
وَصَفْتُكَ فِي قَوافٍ سَائِرَاتٍ   وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتُ[٨]
أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهْمٌ   وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمِ شِيَاتُ[٩]

وقال يمدح أبا أيوبَ أحمدَ بن عمران:

سِـرْبٌ مَحَـاسِـنُـهُ حُـرِمْـتُ ذَوَاتِـهَـا ... دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا[10]
أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي ... بَشَرًا رَأَيْتُ أَرَقَّ مِنْ عَبَرَاتِـهَا[11]
يَسْتَاقُ عِيسَهُمُ أَنِينِي خَلْفَهَا ... تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِـهَا[12]
وَكَأَنَّـهَـا شَـجَـرٌ بَـدَتْ لَـكِـنَّـهَـا ... شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا[13]
لَا سِرْتِ مِنْ إِبِلٍ لَوْ انِّي فَوْقَهَا ... لَمَحَتْ حَرَارَةَ مَدْمَعَيَّ سِمَاتِهَا[14]
وَحَمَلْتُ مَا حُمِّلْتِ مِنْ هَذِي الْمَهَا ... وَحَمَلْتِ مَا حُمِّلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا[15]
إِنِّي عَلَى شَغَفِي بِمَا فِي خُمْرِهَا ... لَأَعَفُّ عَمَّـا فِـي سَرَاوِيلَاتِـهَـا[16]
وَتَـرَى الْـفُـتُـوَّةَ وَالْـمُـرُوَّةَ وَالْأُبُوَّ ... ةَ فِيَّ كُلُّ مَلِيحَـةٍ ضَرَّاتِـهَا[17]
هُـنَّ الـثَّـلَاثُ الْـمَـانِـعَـاتِ لَـذَّتِـي ... فِي خَلْوَتِي لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا[18]
وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا ... ثَبْتَ الْجَنَانِ كَأَنَّنِي لَمْ آتِـهَا[19]
وَمَـقَـانِـبٍ بِـمَـقَـانِـبٍ غَـادَرْتُـهَـا ... أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِـهَا[20]
أَقْـبَـلْـتُـهَـا غُـرَرَ الْـجِـيَـادِ كَـأَنَّـمَـا ... أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَهَاتِهَا[21]
الـثَّـابِـتِـيـنَ فُـرُوسَـةً كَـجُـلُـودِهَـا ... فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ فِي لَبَّاتِهَا[22]
الْـعَـارِفِـيـنَ بِـهَـا كَـمَـا عَـرَفْـتُـهُـمُ ... وَالـرَّاكِـبِـيـنَ جُـدُودُهُـمْ أُمَّـاتِـهَـا[23]
فَكَأَنَّمَا نُتِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ ... وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا[24]
إِنَّ الْـكِـرَامَ بِـلَا كِـرَامٍ مِـنْـهُـمُ ... مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُوَيْدَاوَاتِـهَا[25]
تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى ... وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا[26]
سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى ... بِيَدَيْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِـهَا[27]
لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ ... بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِـهَا[28]
عَجَبًا لَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَنْمُلٍ ... مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا[29]
لَو مَرَّ يَرْكُضُ فِي سُطُورِ كِتَابَةٍ ... أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيمَاتِهَا[30]
يَضَعُ السِّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلًا ... حَتَّى مِنَ الآذَانِ فِي أُخْرَاتِـهَا[31]
تَكْبُو وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ قُرَّحٌ ... لَـيْـسَـتْ قَـوَائِـمُـهُـنَّ مِـنْ آلَاتِـهَـا[32]
رِعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا ... أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا[33]
لَا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ ... بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِهَا[34]
غَلِتَ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ ... تَرْتِيلُكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِـهَا[35]

كَرَمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَاثِلًا   وَيَبِينُ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا[٣٦]
أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نِلْتَهُ   لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا[٣٧]
لَا نَعْذِلُ الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ   أَنْتَ الرِّجَالَ وَشَائِقٌ عِلَّاتِهَا[٣٨]
فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْنَهَا   فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا[٣٩]
وَمَنَازِلُ الْحُمَّى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا   مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا[٤٠]
وَمَنَازِلُ الْحُمَّى الْجَسُومُ فَقُلْ لَنَا   مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا[٤١]
أَعْجَبْتَهَا شَرَفًا فَطَالَ وُقُوفُهَا   لِتَأَمُّلِ الْأَعْضَاءِ لَا لِأَذَاتِهَا[٤٢]
وَبَذَلْتَ مَا عَشِقَتْهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ   حَتَّى بَذَلْتَ لِهَذِهِ صِحَّاتِهَا[٤٣]
حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ   وَتَعُودَكَ الْآسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا[٤٤]
وَالْجِنُّ مِنْ سُتُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ   فَلَوَاتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وُكُنَاتِهَا[٤٥]
ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً   كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا[٤٦]
فِي النَّاسِ أَمْثِلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا   كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا[٤٧]
هِبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْلٍ مِثْلِهَا   حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا[٤٨]
فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ   مَلَكَ الْبَرِيَّةَ لَاسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا[٤٩]
مُسْتَرْخَصٌ نَظَرٌ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ   نَظَرَتْ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا[٥٠]

هوامش

(١) الخلة: الحاجة والفقر، ويقال في الدعاء للميت: اللهم اسدد خلته: أي الثلمة التي ترك، وأصله من التخلل بين الشيئين. قال الأصمعي: يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله، واسدد خلته؛ يراد الفرجة التي ترك بعده من الخلل الذي أبقاه في أموره، وفي المثل: الخلة تدعو إلى السلة، والسلة: السرقة، ورجل مخل ومختل وأخل وخليل: معدم فقير؛ قال زهير:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ   يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ

يعني بالخليل المحتاج الفقير المختل الحال، والحرم: الممنوع، وقوله: من حيث يخفى مكانها: يريد من حيث لا يدركها لحاظ غيره، وقد أدمج في هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه، وقوله: فكانت قذى عينيه: أبرع كلمة في معنى الاهتمام بالحاجة،

وتجلت: انكشفت وزالت، والقذى: ما يقع في العين من غبار ونحوه، والبيت لعبد الله بن الزبير الأسدي، وقبله:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فتى غيرُ محجُوبِ الغنى عن صديقه ... ولا مُظهِرُ الشكوى إذا النَّعل زَلت

(قوله سأشكر: فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده ولا تريد التنفيس فيه، ولم تمنن: لم يتبعها من، وزلت نعله: يريد زلت قدمه في مزالق الدهر فلا يجد مركبًا يقيه مصرع السوء.)

قيل: إنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يومًا، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوبًا رثًّا، وهذا هو مغزى قوله:

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها

فدعا وكيله وقال: اقترض لنا مالًا، فقال: هيهات، ما يعطينا التجار شيئًا. قال: فأربحهم ما شاءوا، فاقترض له عشرة آلاف درهم. فوجه بها إليه مع تخت ثياب فقال هذه الأبيات.

(٢) همه: مبتدأ، ومممات: خبر، ويطعم: يذوق. يقول: لنا ملك لا يذوق النوم؛ إذ ليس بصاحب لهو، وإنما همه الحرب والجود؛ فيميت بقتاله الأعداء، ويحيي بنواله الأولياء.

(٣) هذا كالرد على قوله: فكانت قذى عينيه. يقول: هو أكبر من أن تقذه جفونه — أي يتأذى بشيء — فمتى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها؛ أي إن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئًا يتأذى به.

(٤) حذف مفعول جزى للتعميم؛ أي جزاه عني كل خير، ونداه؛ أي جوده، والغمر: الكثير، وماء غمر: كثير مغرق، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق: أي واسع الخلق كثير المعروف سخي، وإن كان رداؤه صغيرًا قال كثير:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

وكله على المثل.

(٥) مكبوتًا: ذليلًا. قال الجوهري: الكبت: الصرف والإذلال. يقال: كبت الله العدو؛ أي صرفه وأذله، وكبته؛ أي صرعه لوجهه، وفي القرآن الكريم: ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وفيه أيضًا: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ وقال الفراء: كبتوا أي غيظوا وأحزنوا يوم الخندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم. قال الأزهري: وقال من احتج للفراء: أصل الكبت: الكبد، فقلبت الدال تاء — أخذًا من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكأن الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها، ولهذا قيل للأعداء: هم سود الأكباد. يقول: انصر بعطاياك قصائدي التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء، ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود، ويعطيه حتى يزيده منها.

(٦) نظرتك؛ أي انتظرتك، والمرتحل: الارتحال. يقول: لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك، وهذا وقت وداعي إياك فاختر: إما أن تجود فتكون أهلًا للمدح، أو تمنع وتحرم فتكون أهلًا للذم، وهذا كقول أحمد بن أبي فنن:

حَانَ الرَّحِيلُ فَقَدْ أَوْلَيْتَنَا حَسَنًا ... وَالْآنَ أَحْوَج مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٧) مسومات: معلمات بعلامات تعرف بها. يقول: فدتك الخيل والسيوف في الحرب حتى تفنى هي وتبقى أنت؛ إذ يبقى الخير لنا ما بقيت.

(٨) فاعل كثرت: ضمير القوافي، وفاعل بقيت: صفات. يقول: لقد وصفتك بقصائد كثيرة، بيد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أُحِطْ بها.

(٩) أفاعيل: جمع أفعال، جمع فعل، والدهم: السود، والشيات: جمع شية، وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل. يقول: إن أفعال الناس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود: أو هي — أفعالهم — تتزين بفعلك تزين الأدهم بالغرة والتحجيل، كما يقول أبو تمام:

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا ... فِيهَ وَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضًا:

حَتَّى لَو أَنَّ اللَّيَالِي صُوِّرَتْ لَغَدَتْ أَفْعَالُهُ الْغُرُّ فِي آذَانِهَا شَنفَا

(الشنف: كفلس — وحركه ضرورة — ما يعلق في أعلى الأذن.)

(١٠) السرب: القطيع من الظباء والقطا وما إليهما، والمراد هنا: جماعة النساء، وسرب: خبر مبتدأ محذوف؛ أي الذي أشتاقه أو أصفه مثلًا، وذواتها: صواحباتها. يقول: إن هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حيل بيني وبينهن، وهو قريب الصفات؛ لأن صفاته — أي محاسنه — لا تزال نصب عيني وعلى ذكر مني، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أي أشخاص النساء — بعيدة عني.

(١١) أوفى؛ أي السرب؛ أي أشرف، والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد. يقول: إن هذا السرب أشرف علي — لما سار — من مكان عالٍ، أو علا هوادجه للمسير، فكان بصري إذا وقع على بشرته رأى شيئًا أرق وألطف من دموع المقلة، ولك أن تجعل الضمير في عبراتها: للبشر، ويراد بالعبرات: العرق الذي يسيل من البشرة، ويكون المراد أنهن عرقن من الجهد والإعياء، وروى الخوارزمي: نشزا، وهو ما ارتفع من الأرض. يقول: إذا نظرت إلى النشز الذي أوفى عليه السرب رأيته لطول البعد كأنه سراب، والسراب أرق من العبرات، ويكون الضمير للمقلة.

(١٢) يستاق: يسوق، والعيس: الإبل، والحداد: الذين يسوقون الإبل. يقول: إن الإبل كانت تسمع أنيني خلفها فتسرع في سيرها؛ لأنها تظن زفراتي أصوات الحداة تزجرها لتسرع، فسائقها — على الحقيقة — أنيني وزفراتي.

(١٣) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن.

(١٤) يقول: كأن هذه الإبل شجر، بيد أني جنيت الموت من ثمراتها؛ لأنها كانت سبب فراق أحبته، وروى ابن جني: بلوت المر من ثمراتها، وبلوت: اختبرت وذقت، وهذا من قول أبي نواس:

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

لا سرت: دعاء، ومن إبل. تمييز: وقوله لمحت: من المحو، واللام: جواب لو، والمدامع في الأصل: مجرى الدمع من العين، والمراد بها هنا: الدموع، والسمات: جمع سمة، وهي أثر الكي على الجلد. يدعو على الإبل أن لا تسير؛ لأنها فرقت بينه وبين من يحب، ثم قال:

ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكانت حرارة دمعي تمحو آثار وسمها، وقوله: لوَ انِّي: حرك الواو الساكنة من لو بحركة الهمزة وحذفها، وهو كثير مستعمل في كلامهم.

(١٥) المها: بقر الوحش، والمراد: النساء الشبيهات بالمها لحسن عيونهن، وهذا دعاء أيضًا. يدعو أن يكون حاملًا ما حملته هذه الإبل من الحبائب، وأن تحمل الإبل ما حمله هو من حسرات فراقهن.

(١٦) الخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والسراويلات: جمع سراويل، فارسي معرب، وهو ذلك اللباس الذي يستر النصف الأسفل من الجسم، وقال سيبويه: سراويل واحدة، وهي أعجمية عربت، فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، فهي مصروفة في النكرة، وإن سميت بها رجلًا لم تصرفها، وكذلك إن حقرتها اسم رجل؛ لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق، ومن النحويين من لا يصرفها في النكرة، ويزعم أنها جمع سروال وسروالة، وينشد:

عَلَيْهِ مِنَ اللُّؤْمِ سِرْوَالَةٌ فَلَيْسَ يَرِقُّ لِمُسْتَعْطِفِ

(قيل: إن هذا البيت مصنوع، وقيل قائله مجهول. قال السيرافي: سروالة: لغة في السراويل، وقوله من اللؤم: كان في الأصل صفة لسروالة. فلما قدم عليه صار حالًا منه، واللؤم: شح النفس ودناءة الآباء.)

(١٧) ويحتج في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف الثور الوحشي:

أَتَى دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتًى فَارِسِيٌّ فِي سَرَاوِيلَ رَامِحُ

(الضمير في دونها: لأنثاه، ودون: بمعنى قدام، وذب الرياد: الثور الوحشي، قال القالي: يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع، ومنه قيل للثور الوحشي: ذب الرياد. شبه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشي من الشعر بالسروايل — وهو من لباس الفرس — ولذا شبهه بفتى فارسي! وشبه قرنه بالرمح، ولذا قال رامح.)

قال الصاحب ابن عباد: كان الشعراء يصفون المآزر تنزيها لألفاظها عما يستشنع؛ حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع ... إلى التصريح ... وكثير من العهر عندي أحسن من هذا العفاف. قال بعضهم: هذا مما عابه الصاحب على المتنبي. وإنما قال المتنبي عما في سرابيلاتها؛ جمع سربال، وهو القميص، وكذا رواه الخوارزمي. يريد المتنبي: إني مع حبي لوجههن أعف عن أبدانهن، ومثله لنفطويه — أحد أئمة النحو وتلميذ ثعلب:

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أُجَالِسَهَا وَلَيْسَ لِي فِي خَنَا مَا بَيْنَنَا وَطَرُ

وما أروع قول العباس بن الأحنف:

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ

كل مليحة: فاعل ترى، والفتوة وما عطف عليها: مفعول أول لترى؛ وضراتها: مفعول ثانٍ، والفتوة: الكرم والسخاء، والمروة والمروءة الإنسانية، والأبوة هنا الأنفة وعزة النفس، والأبوة أيضًا: الآباء — مثل العمومة والخئولة — وكان الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب:

لَوْ كَانَ مِدْحَةُ حَيٍّ أَنْشَرَتْ أَحَدًا أَحْيَا أُبُوَّتَكَ الشُّمُّ الْأَمَادِيحُ

وغيره يرويه:

أَحْيَا أَبَاكُنَّ يا لَيْلَى الْأَمَادِيح

يقول: إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لهن، وقد زاد تبيانًا في البيت التالي.

(١٨) يقول: إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاذته في خلوته لا خوفه من عواقب هذه اللذة: يعني أنه لو لم يكن للذة عواقب آثمة يخشاها؛ لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والمروءة والأنفة. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعًا لا خوفًا، أقول: ولله شيخ المعرة إذ يقول — وإن كان أعم:

وَلْتَفْعَلِ النَّفْسُ الْجَمِيلَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ لَا لِأَجْلِ ثَوَابِهَا

(١٩) الواو: واو رُبَّ، والجَنان: القلب. يقول: رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتها ولم أرَ أهوالها. يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالي الأخطار.

(٢٠) المقانب: جمع مقنب؛ الطائفة من الخيل تجتمع للغارة، وغادرتها: تركتها، وأقوات: مفعول ثانٍ لغادرتها. يقول: ورُبَّ جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتًا للوحوش التي كانت قوتًا له، يصيدها ويذبحها ويأكلها، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلهم ما دب ودرج.

(٢١) أقبلتها؛ أي المقانب التي أهلكها، يقال أقبلته الشيء؛ أي وجهته إليه وجعلته قبالته مما يليه، والغرر: جمع غرة، وهي البياض يكون في وجه الفرس، والأيدي هنا النعم. شبه بياض غرر خيله بنعم الممدوحين، ويد النعمة توصف بالبياض مجازًا، وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيادي وفي يد العضو بالأيدي، ولكن المتنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين: أحدهما هذا البيت ... وقال ابن القطاع — في قوله أقبلتها غرر الجياد: جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم، وشفت صدورهم منهم كأنها أيدي بني عمران المعتادة التقبيل، ويقال: أقبلت الرجل يد فلان، أي: جعلته يقبلها، وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى.

(٢٢) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحذق بركوب الخيل، يقول: إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمعة الحرب والطعن متتابع في لباتها، وفروسة؛ أي حذقًا: تمييز، والثابتين: في موضع خفض على النعت أو البدل من بني عمران، ويجوز أن يكون في موضع نصب على المدح؛ ومن روى والطعن — بالرفع — فالواو واو الحال، ومن رواه بالخفض فمعناه يثبتون في ظهورها ثبوت الطعن، والتقدير: كجلودها وكالطعن، واللبات: جمع لبة، وهي المنحر.

(٢٣) كان الوجه أن يقول: والراكب جدودهم أماتها؛ أي والذين ركب جدودهم أماتها، إلا أن هذا على لغة من يقول: قاموا إخوتك وذهبا أخواك، والأمات: جمع أم لما لا يعقل، وتجمع للعاقل أمهات، هذا هو الغالب، ويجوز العكس. قال الواحدي: والذي يذكره الناس في معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها؛ لأنها من نتائجهم تناسلت عندهم، فجدود الممدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل، وسياق الأبيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين بني عمران — وهو قوله: أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى، إلا أن يدعي مدعٍ أنه قاتل على خيل الممدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء. قال ابن فورجه: والذي عندي أنه يصف معرفتهم بالخيل ولا يعرفها إلا من طال مراسه له، والخيل تعرفهم أيضًا لأنهم فرسان. هذا كلامه، ولم يوضح ما وقع به الإشكال، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد

اسم جنس، ففي قوله: غرر الجياد أراد جياد نفسه، وفيما بعده أراد جياد الممدوحين، والجياد تعم الخيلين جميعًا، وقوله: والراكبين جدودهم أماتها: يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل، يعني أنهم عريقون في الفروسية طالما ركبوا الخيل، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها، ويشبه هذا قول شيخ المعرة:

يَا ابْنَ الْأُلَى غَيْرَ زَجْرِ الْخَيْلِ مَا عَرَفُوا إِذْ تَعْرِفُ الْعُرْبُ زَجْرَ الشَّاءِ وَالْعَكَرِ

العكر: جمع عكرة؛ القطعة من الإبل؛ أي إنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل.

(٢٤) نُتجت — بالبناء للمجهول — ولدت، قال الأزهري: يقال نتجت الناقة إذا ولدت فهي منتوجة، وأنتجت إذا حملت، فهي نتوج، ولا يقال منتج، ونتجت الناقة: إذا ولدتها، والناتج للإبل كالقابلة للنساء، وعبارة الجوهري في الصحاح: نتجت الناقة على ما لم يسم فاعله تنتج، وقد نتجها أهلها نتجًا. قال الكميت:

وَقَالَ الْمُذَمِّرُ لِلنَّاتِجِينَ مَتَى ذُمِّرَتْ قَبْلِيَ الْأَرْجُلُ

(المذمر: الذي يدخل يده في حياء الناقة؛ لينظر أذكر جنينها أم أنثى؟ سمي بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو، والمذمر: هو الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفرى، وهو الذي يذمره المذمر. يقول الكميت: إن التذمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل.)

والنتوج من الخيل وجميع الحافر الحامل، وقد أنتجت، وبعضهم يقول: نتجت، وهو قليل؛ أما ابن الأعرابي فقد قال: نتجت الفرس والناقة: ولدت، وأنتجت: دنا ولادها، كلاهما فعل ما لم يسم فاعله، ولم أسمع نَتجت ولا أَنتجت على صيغة فعل الفاعل، والصهوة: مقعد الفارس. يقول: كأن الخيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجري، وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها، يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل.

(٢٥) السويداوات: جمع سويداء — حبة القلب — يقول: إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء الممدوحين كالقلب دون سوداء، وقال بعض الشراح: يعني أنهم زبدة الكرم ولبابه؛ فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب.

(٢٦) يقول: إنهم يغلبون الناس على العلى فيحرزونها دونهم، والمجد يغلبهم على شهواتهم؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين.

(٢٧) أراد بمنابت هذه النفوس: آباء الممدوحين، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك المنابت: يعني أن نفسه أشرف هذه النفوس، ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض، وجعل النبات يسقي المنابت على عكس العادة تفننا وإغرابًا في الصنعة. يقول: إن آباء الممدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيي مجدهم بجود هذا الممدوح الذي هو خير أبنائهم، ويروى بدل بيدي: بندى — بالنون — وعبارة ابن جني: لا أزال الله ظله عن أهله وذويه. قال ابن فورجه: ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعطائه.

(٢٨) يقول: لسنا نتعجب من كثرة عطاياه ومواهبه، وإنما نتعجب كيف سلمت أمواله من بذله وتفريقه إلى وقت بذلها؟ إذ ليس من عادته أن يمسك شيئًا.

(٢٩) العنان. سير اللجام، ويروى: حفظ العنان، بإضافة حفظ إلى العنان، والبيت في معنى البيت السابق؛ يتعجب منه كيف حفظ العنان بأنمل ما عادتها أن تحفظ الأشياء؟ يريد أنه شجاع يكثر ركوب الخيل في الحرب، وأنه جواد معطاء.

(٣٠) يصفه بالفروسية، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته، فلا يضع حافره إلا حيث أراد، وخص الميم؛ لأنها أشبه بالحافر من سائر حروف المعجم.

(٣١) مجاولًا: من الجولان، ويروى محاولًا: من المحاولة، وهي الطلب، والأخرات: جمع خرت، وهو الثقب. يقول: إنه من الحذق في الطعن بحيث يضع رمحه في ثقب الأذن متى أراد.

(٣٢) القرح: جمع القارح من الخيل، وهو ما أتى عليه خمس سنين، وهو إذ ذاك يكون في جن نشاطه وقوته، والضمير في آلاتها: يعود إلى القرح؛ أي إن قوائمها لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقك، وهذا مثل. يقول: إنك سبقت الناس في المكارم، فإذا أراد فحولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك، ولم تستطع اللحاق بك؛ لصعوبة مسالكك، ولك أن ترجع الضمير — من آلاتها — إلى وراء، وهي مؤنثة أي ليست قوائمهن من آلات الجري وراءك، وإليك عبارات الشراح، قال ابن جني: لو تبعتك هذه القرح لكبت وراءك ولم تحملها قوائمها؛ لصعوبة مسالكك، وقال الواحدي: يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرح؛ أي إنها إذا تبعتك لم تعنها قوائمها فليست من آلاتها، وهذا مثل، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقك في مدى الكرم، عثروا وكبوا ولم يلحقوك، والمعنى أن سبيلك في العلى يخفى على من تبعك فيعثر وإن كان قويًّا كالقارح من الخيل، وقال ابن القطاع: المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك؛ أي ليست مما يكون خلفك فتطردك.

(٣٣) الرعد: جمع رعدة، والعسلان: الاهتزاز والاضطراب، والقنوات — جمع قناة — الرمح. يقول: إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريًا من الاهتزاز في رماحهم.

(٣٤) راء: مقلوب رأى، كما قالوا: ناء ونأى. يقول: ليس أحد أسمح منك إلا من كان عارفًا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود، ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك؛ إذ لو سألك إياها لجدت بها، فكان تركها لك جودًا عليك بها، وهذا من قول أبي تمام:

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ   لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبري أوردها لمناسبة قول المتنبي: لا خلق، قال العكبري: ذهب البصريون إلى النكرة التي مع لا مبنية على الفتح كقولك: لا رجل في الدار، وتقديره: لا من رجل، فلما حذفت «من» من اللفظ وركبت مع «لا» تضمنت معنى الحرف، فوجب أن يبنى، وبنيت على حركة؛ لأن لها حالة تمكن قبل البناء، وبنيت على الفتح؛ لأنه أخف الحركات، وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا، وحجتنا أنه اكتفى بها عن الفعل؛ لأن التقدير في قولك: لا رجل في الدار؛ أي لا أجد رجلًا، فاكتفوا بِلا من الفعل العامل، كقولك: إن قمت قمت وإلا فلا؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل؛ نصبوا النكرة به، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة، ووجه آخر: أن «لا» تكون بمعنى غير، كقولك: زيد لا عاقل ولا جاهل؛ أي غير عاقل وغير جاهل، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس». ووجه آخر: إنما أعملوها النصب؛ لأنهم لما أولوها بالنكرة، ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها، نصبوا بها من غير تنوين؛ لما حدث فيها من التغيير، كما رفعوا المنادى بغير تنوين؛ لما حدث فيه من التغيير … ويقال: هات يا رجل، بكسر التاء أي أعطني، وللاثنين هاتيا: مثل آتيا، وللجمع هاتوا، وللمرأة هاتي بالياء، وللمرأتين هاتيا، وللنساء هاتين مثل عاطين، وتقول: هات لا هاتيت وهات، إن كانت بك مهاتاة، وما أهاتيك. كما تقول ما أعاطيك، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها، وقال الخليل: أصل هات من آتى يؤاتي، فقلبت الألف هاء.

(٣٥) غلت: هو غلط، يقال في الحساب خاصة، والعشور: جمع عَشر — بفتح العين — الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة، والترتيل: التبيين في القراءة، وبآية: متعلق بغلت، وترتيلك: مبتدأ، ومن آياتها: خبره؛ والجملة استئنافية. يقول: إن

الذي عدَّ أعشار القرآن قد غلط وفاتته آية لم يعدها، وهي ترتيلك للسور، فإن هذا الترتيل معجزة في الإتقان وحسن الأداء: فهو آية من الآيات ينبغي أن تلحق بآيات التنزيل فيزيد آية إلى آياته، ومعجزة إلى معجزاته.

(٣٦) ماثلًا: ظاهرًا: والعتق: الكرم، وعتقت الفرس تعتق وعتقت عتقًا: سبقت الخيل فنجت، وفرس عاتق: سابق، ورجل معتاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجاها، وفرس معتاق الوسيقة. قال الأصمعي: وهو الذي إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها. قال أبو المثلم يرثي صخرًا:

حَامِي الْحَقِيقَةِ نَسَّالُ الْوَدِيقَةِ مِعـْ ـتَاقُ الْوَسِيقَةِ لَا نِكْسٌ وَلَا وَانِي

الوسيقة: القطيع من الإبل يطردها الطارد. يقول: من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك، كما أن الفرس الكريم إذا صهل عرف عتقه بصهيله، وإنما يعرف كرمه من كلامه؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان، وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه.

(٣٧) أعيا الشيء: أعجز طالبه، والهالة، الدائرة حول القمر. يقول: لقد بلغت مكانًا عليًّا من المجد والشرف، فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة وهو لك كالهالة. فلست تزايله، كما أن القمر لا يزايل هالته. قال الشراح: وجمع القمر — وإن كان في المعنى واحدًا — باعتبار ظهوره في كل شهر، فحسن الجمع.

(٣٨) شاقه: حمله على الشوق، وشائق: خبر مقدم، وأنت: مبتدأ مؤخر، والرجال: مفعول شائق، والتقدير: أنت شائق الرجال وعلاتها. يقول: لا نلوم المرض الذي ألم بك؛ لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاتها، يعني: أن المرض الذي بك لا يلام على إلمامه بك. فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاتها أيضًا، فهي تزورك مثلهم، وتنتقل إليك عنهم شوقًا إليك. قال العكبري: وقد كان الممدوح مريضًا حين مدحه المتنبي بهذه القصيدة.

(٣٩) المضاف: مصدر بمعنى الإضافة. يقول: إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاتها فجاءت قبلها شوقًا فأضفت حالات الرجال — أي علاتها المذكورة — قبل أن تضيفهم؛ لأنها وصلت إليك قبلهم، ويروى بدل سبقنها — بالنون — سبقتها — بالتاء — يعني إذا أراد الرجال سفرًا إليك سبقتها بإضافة أحوالها قبل إضافتك إياها. يريد

إقامة العذر للمرض الذي نزل به. وقال ابن القطاع: معناه إذا نوت الرجال سفرًا إليك أعددت لها أمورًا، فكأنك ضيَّفت أحوالها قبل نزولها بك.

(٤٠) خيراتها: جمع خيرة مؤنث خير أي أفضل، والضمير للجسوم. يقول: إن الحمى إنما تنزل على الأجسام، فإذا تركت جسمك — الذي هو أفضل الأجسام — وألمت بغيره فما عذرها في ذلك؟ «هذا» ويقال حمى وحمة. قال الضباب بن سبيع:

لَعَمْرِي لَقَدْ بَرَّ الضِّبَابَ بَنُوهُ   وَبَعْضُ الْبَنِينَ حُمَّةٌ وَسُعَالُ

(٤١) خيراتها. جمع خيرة مؤنث خير أي أفضل، والضمير للجسوم. يقول: إن الحمى إنما تنزل على الأجسام، فإذا تركت جسمك — الذي هو أفضل الأجسام — وألمت بغيره فما عذرها في ذلك؟ «هذا» ويقال حمى وحمة. قال الضباب بن سبيع:

لَعَمْرِي لَقَدْ بَرَّ الضِّبَابَ بَنُوهُ   وَبَعْضُ الْبَنِينَ حُمَّةٌ وَسُعَالُ

(٤٢) يقول: لقد أعجبت الحمى بما رأت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك؛ لتتأمل أعضاءك المشتملة على تلك الخصال، لا لتؤذيك، والأذاة: مصدر أذى، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله؛ أي لتتأمل الأعضاء لا لتتأذى بها الأعضاء.

(٤٣) لهذه؛ أي للحمى، والضمير في صحتها للنفس. يقول: إنك بذلت كل ما أحبته نفسك، حتى بذلت لهذه الحمى صحتك. يريد أنه جواد يجود بكل شيء يحبه.

(٤٤) من علٍ: من فوق. يقول: حق الكواكب أن تزورك عائدة لك؛ لأنها شريكتك في العلو، وكذلك الآساد؛ لأنها تشبهك في الشجاعة.

(٤٥) والجن: عطف على الآساد. يقول: إن جميع هذه الأجناس تتألم لعلتك، لعموم نفعك، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة، والسترات: جمع سترة، والوكنات: جمع وكنة، عش الطائر. زاد الجوهري في جبل أو جدار، والوكر مثله، وقال الأصمعي: الوكنة والوكن: مأوى الطائر في عش، والوكر — بالراء — ما كان في غير عش، وقال أبو عمرو ابن العلاء: الوكنة والأكنة — بالضم — مواقع الطير حيثما وقعت على حائط أو عود أو شجر؛ وتوكن: تمكن، ووكن الطائر: دخل في الوكن، ووكن بيضه: حضنه.

(٤٦) يقول: قد استأثرت — دون سائر الناس — بالمناقب والمحامد، فكنت منهم بمنزلة البيت البديع المبتكر الفرد من القصيدة.

(٤٧) أمثله: جمع مثال — أي صور، وتدور: صفة لأمثلة، وحياتها: مبتدأ، وكمماتها: خبره. يقول: إنهم أشباه الناس وليسوا بناس في الحقيقة تدور بين الوجود والعدم، وحياتها كمماتها؛ في أنه لا غناء فيها ولا نفع، ومماتها كحياتها؛ في عدم المبالاة به.

(٤٨) يقول: خفت — إن تزوجت — أن يكون لي نسل مثل هذه الأمثلة، فتركت البنات موفورة على الأمهات، لم أتزوج واحدة منهن.

(٤٩) يقول: لو كانت الخليقة ملكًا له ثم وهبها لاستقل ذلك بالقياس إلى كرمه، ومن روى وهب البرية؛ كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لاستقلها، والبرية: الخلق، تقول: براه الله يبروه بروًا أي خلقه، ويجمع على البرايا والبريات: من البري، وهو التراب. هذا إذا لم يهمز، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز، أخذه من برأ الله الخلق يبرؤهم؛ أي خلقهم، ثم ترك فيها الهمز تخفيفًا. قال ابن الأثير: ولم تستعمل مهموزة.

(٥٠) نظر: مبتدأ مؤخر، ومسترخص: خبره مقدم، ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف، ونظر: فاعل مسترخص، وعثرة رجله: روى بدلها عثير رجله؛ أي غبار رجله، والديات: جمع دية ثمن دم القتيل. يقول: لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التي بها لكان رخيصًا، ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصًا أيضًا؛ أي إن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق.

قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة: وقد صف الجيش في منزل يعرَف بالسنَبُوس، وركب قاصدًا سمندو:

لِـهَـذَا الْـيَـوْمِ بَـعْـدَ غَـدٍ أَرِيـجُ   وَنَـارٌ فِـي الْـعَـدُوِّ لَـهَـا أَجِـيـجُ[١]
تَبِيتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ   وَتَسْلَمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ[٢]
فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ   فَرَائِسُ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ[٣]
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّآتٍ   وَأَنْتَ بِغَيْرِ سَيْفِكَ لَا تَعِيجُ[٤]
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ   إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ[٥]
بِأَرْضٍ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا   إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ[٦]
تُحَاوِلُ نَفْسَ مَلْكِ الرُّوْمِ فِيهَا   فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْعُلُوجُ[٧]
أَبِالْغَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى   وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهْيَ الْبُرُوجُ[٨]
وَفِينَا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ   إِذَا لَاقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ[٩]
نُعَوِّذُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا   وَيَكْثُرُ بِالدُّعَاءِ لَهُ الضَّجِيجُ[١٠]
رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيْرُ رَاضٍ   بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ[١١]
فَإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو   وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ[١٢]

هوامش

(١) الأريج: الرائحة الطيبة، والأجيج: اشتعال النار وتلهبها، أجت النار تؤج وتئج أجيجًا، وكذلك ائتجت؛ على افتعلت، وتأججت، وقد أججها تأججًا، وأجج بينهم الشر أوقده، والأجوج: المضيء. قاله ابن العلاء، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقًا:

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشِّفًا أَغَرَّ كَمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ

(يصف سحابًا متتابعًا، والهاء في سناه: تعود على السحاب، وذلك أن البرقة إذا برقت انكشف السحاب، وراتقًا: حال من الهاء في سناه، ورواه الأصمعي راتق متكشف، فجعل الراتق: البرق.)

(٢) يقول: سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أنباء طيبة تسر الأولياء، ونار حرب يضطرم لهيبها على الأعداء، وعبارة ابن جني: يأتي خبر طيب يسر المسلمين ويسوء المشركين.

الحواصن: العفيفات، وتروى الحواضن — أي النساء المربيات لأطفالهن — وتروى: الحواضر — أي نساء أهل الحضر — يقول: إن نار هذه الحرب تأمن بها النساء من السبي، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر عليهم، فالضمير في مسالكها: للحجيج، والحجيج: الحجاج، جمع حاج، ومثله غاز وغزي، وناج ونجي، وناد وندي — للقوم يتناجون ويجتمعون في مجلس — وللعادين على أقدامهم عدي، والضمير في بها: للنار، ومن روى به: فالضمير للأجيج.

(٣) المهيج: الذي هاجه غيره، وفرائس: خبر زالت. لما ذكر الأسد استعار له الفريسة فقال: لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت.

(٤) لا تعيج: لا تبالي، وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم. فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدمًا، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجًا من الصفوف يدير رمحًا، فعرفه وجاء إليه وسايره وأنشده. يقول: عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالي إلا بسيفك. يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبئته، وأنه شجاع لا يعبأ إلا بسيفه. هذا، ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تبعئة، وقد يترك الهمز فيقال عبيتهم تعبية؛ أي رتبتهم في مواضعهم وهيأتهم للحرب، وقد قلنا: لا تعيج بمعنى لا تبالي. قال صاحب اللسان: العيج شبه الاكتراث، وأنشد:

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئًا أَعِيجُ بِهِ إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ

قال ابن سيده: ما عاج بقوله عيجًا وعيجوجة: لم يكترث له أو لم يصدقه؛ وما عاج بالدواء عيجًا؛ أي ما انتفع، وما أعيج من كلامه بشيء؛ أي ما أعبأ به، وبنو أسد يقولون ما أعوج بكلامه؛ أي ما ألتفت إليه؛ أخذوه من عجت الناقة، ويقال: ما عجت بخبر فلان، ولا أعيج به؛ أي لم أشتف به ولم أستيقنه. قال ابن العلاء: العياج الرجوع إلى ما كنت عليه.

(٥) يسجو: يسكن تموجه، قال تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي سكن بالناس، ومنه البحر الساجي، قال الأعشى:

فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا

(الدعامص والدعاميص: جمع دعموص: دوبية صغيرة تغوص في الماء، وكثيرًا ما تكون في المستنقعات.)

وليلة ساجية: إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة.

(٦) قال الحارثي:

يَا حَبَّذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النساجْ

وامرأة ساجية: فاترة الطرف، وهو معنى حسن في النساء، وناقة سجواء: ساكنة عند الحلب، وسجى الميت: غطاه، والمتسجي: المتغطي، من الليل الساجي؛ لأنه يغطي بظلامه وسكونه. يقول: إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك؟ وضرب هذا مثلًا له لما رآه يدير رمحه بيده؛ فشبهه بالبحر المائج.

الشوط: الطلق من العدو، قال في اللسان: الشوط: الجري مرة إلى غاية؛ والجمع أشواط، وقد عدا شوطًا؛ أي طلقًا، والفروج: ما بين قوائم الفرس. يقول: عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدوًا لطولها.

(٧) تحاول: تطلب، والضمير للخطاب، والضمير من فيها للأرض، والعلج: الجافي الغليظ من كفار العجم. يقول: تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض فتفديه أصحاب العلوج إذ تفنيهم وتستأصلهم.

(٨) الغمرات: الشدائد. يقول: أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا نفارقها؟ كما لا تفارق النجوم منازلها.

(٩) لج في الأمر لججًا ولجاجًا ولجاجة: تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه. يقول: وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته، ما جبن وما خام عن اللقاء، وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت، فلا ينثني حتى يستأصلهم ويعصف بهم.

(١٠) الأعيان: العيون، جمع عين، قال يزيد بن عبد المدان:

وَلَكِنَّنِي أَغْدُو عَلَيَّ مُفَاضَةٌ دِلَاصٌ كَأَعْيَانِ الْجَرَادِ الْمُنَظَّمِ

(مفاضة دلاص: يريد درعا.)

وبأسًا؛ أي شدة وشجاعة، وهو مفعول له — أي لبأسه — كما تقول نعوذه بالله حسنًا؛ أي لحسنه، وقال ابن جني: بأسًا أي خوفًا — من قولهم لا بأس عليك — وهو أصح في التركيب، إلا أن الأول أليق بالمعنى. يقول: نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه العيون لدى رؤية بأسه؛ لأنا لا نخاف عليه غير ذلك.

(١١) الدمستق: قائد جيش الروم، والقواضب: السيوف القواطع، والوشيج: عيدان الرماح، ووشجت العروق والأغصان: اشتبكت، والواشجة: الرحم المشتبكة، وقد وشجت به قرابة فلان، والاسم الوشيج. يقول: رضينا بما حكمت به السيوف والرماح في الحرب، ولكن الدمستق لم يرض بذلك؛ لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر فرضينا، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرضَ. هذا، والأوجه أن يكون الدمستق مبتدأ، خبره: غير راضٍ، والجملة حال، وبما حكم: متعلق برضينا.

(١٢) سمندو: قلعة بالروم يقال هي المعروفة اليوم ببلغراد، والخليج: خليج القسطنطينية. يقول: فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلاده، وإن هرب وخام عن لقائنا لحقناه إلى الخليج.

قافية الحاء

وقال يعتذر إليه، وقد تأخر مدحه عنه، فظن أنه عاتب عليه:

أَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَائِحُ   وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ[1]
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا   وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ[2]
وَقَدْ تَقْبَلُ الْعُذْرَ الْخَفِيَّ تَكَرُّمًا   فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهْوَ وَاضِحُ[3]
وَإِنَّ مُحَالًا — إِذْ بِكَ الْعَيْشُ — أَنْ أُرَى   وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِيَ صَالِحُ[4]
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشِّعْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ   تُقَصِّرُ عَنْ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَائِحُ

وقال في صباه، وقد بُلِّغ عن قوم كلامًا:

أَنَا عَيْنُ الْمُسَوَّدِ الْجَحْجَاحِ   هَيَّجَتْنِي كِلَابُكُمْ بِالنُّبَاحِ[5]
أَيَكُونُ الْهِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ   أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحِ[6]
جَهِلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا   نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُءُوسُ الرِّمَاحِ[7]

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ   أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَإِ الْأَغَنِّ الشِّيحُ[8]
لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ   صَنَمًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ[9]
مَا بَالُهُ لَاحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ   وَجَنَاتُهُ وَفُؤَادِيَ الْمَجْرُوحُ[10]
وَرَمَى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِي   سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسِّهَامُ تُرِيحُ[11]

قَـرُبَ الْـمَـزَارُ وَلَا مَـزَارَ وَإِنَّـمَـا ... يَغْدُو الْجَنَانُ فَنَلْتَقِي وَيَرُوحُ [١٢]

وَفَـشَـتْ سَـرَائِـرُنَـا إِلَـيْكَ وَشَـفَّـنَـا ... تَعْرِيضُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ [١٣]

لَمَا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ ... نَفْسِي أَسًى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ [١٤]

وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا ... حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحُ [١٥]

فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ ... وَحَشًى يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحُ [١٦]

يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لَانْبَرَى ... شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنُوحُ [١٧]

وَأَمَقَّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ ... فِي عَرْضِهِ لَأَنَاخَ وَهْيَ طَلِيحُ [١٨]

نَازَعْتُهُ قُلُصَ الرِّكَابِ وَرَكْبُهَا ... خَوْفُ الْهَلَاكِ حُدَاهُمُ التَّسْبِيحُ [١٩]

لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ... مَا جُشِّمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ [٢٠]

وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ أَمُّهَا ... فَأَتَاحَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتِيحُ [٢١]

شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بُرُوقَهُ ... وَحَرًى يَجُودُ وَمَا مَرَتْهُ الرِّيحُ [٢٢]

مَرْجُوُّ مَنْفَعَةٍ مَخُوفُ أَذِيَّةٍ ... مَغْبُوقُ كَاسِ مَحَامِدٍ مَصْبُوحُ [٢٣]

حَنِقٌ عَلَى بَدْرِ اللُّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ ... بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسِيءِ صَفُوحُ [٢٤]

لَوْ فُرِّقَ الْكَرَمُ الْمُفَرِّقُ مَالَهُ ... فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ [٢٥]

أَلْغَتْ مَسَامِعُهُ الْمَلَامَ وَغَادَرَتْ ... سِمَةً عَلَى أَنْفِ اللِّئَامِ تَلُوحُ [٢٦]

هَذَا الَّذِي خَلَتِ الْقُرُونُ وَذِكْرُهُ ... وَحَدِيثُهُ فِي كُتْبِهَا مَشْرُوحُ [٢٧]

أَلْبَابُنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ ... وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحُ [٢٨]

يَغْشَى الطِّعَانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ ... مَكْسُورَةً وَمِنَ الْكُمَاةِ صَحِيحُ [٢٩]

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدِّمَاءِ مَجَاسِدٌ ... وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحُ [٣٠]

* * *

يَخْطُو الْقَتِيلُ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ ... رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْمَبْطُوحُ [٣١]

فَمَقِيلُ حُبِّ مُحِبِّهِ فَرِحٌ بِهِ ... وَمَقِيلُ غَيْظِ عَدُوِّهِ مَقْرُوحُ [٣٢]

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهْيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ ... نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ [٣٣]

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدٌ كَابْنِهِ ... شَرَفًا وَلَا كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحُ [٣٤]

نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى ... هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحُ [٣٥]

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ ... أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ [٣٦]

وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ... مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ [٣٧]

عَـــجْــزٌ بِـــحُـــرٍّ فَـــاقَـــةٌ وَوَرَاءَهُ   رِزْقُ الْإِلَـهِ وَبَـابُـكَ الْـمَـفْـتُـوحُ[٣٨]
إِنَّ الْـقَـرِيـضَ شَـجٍ بِـعِـطْـفِـي عَـائِـذٌ   مِـنْ أَنْ يَـكُـونَ سِـوَاءَكَ الْـمَـمْـدُوحُ[٣٩]
وَذَكِـيُّ رَائِـحَـةِ الـرِّيَـاضِ كَـلَامُـهَـا   تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ[٤٠]
جُـهْـدُ الْـمُـقِلِّ فَـكَيْـفَ بِـابْنِ كَـرِيـمَـةٍ   تُـولِـيهِ خَـيْـرًا وَالـلِّـسَـانُ فَـصِـيـحُ[٤١]

وقال يصف لعبة على صورة جارية:

جَـارِيَـةٌ مَـا لِـجِـسْـمِـهَـا رُوحُ   بِـالْـقَـلْـبِ مِـنْ حُـبِّـهَـا تَـبَـارِيـحُ[٤٢]
فِـي كَـفِّـهَـا طَـاقَـةٌ تُـشِـيـرُ بِـهَـا   لِـكُـلِّ طِـيـبٍ مِـنْ طِـيـبِـهَـا رِيـحُ[٤٣]
سَـأَشْـرَبُ الْـكَـأْسَ عَـنْ إِشَـارَتِـهَـا   وَدَمْـعُ عَـيْـنِـي فِـي الْـخَـدِّ مَـسْـفُـوحُ[٤٤]

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلًا فقال:

يُـقَـاتِـلُـنِـي عَـلَـيْـكَ الـلَّـيْـلُ جِـدًّا   وَمُـنْـصَـرَفِـي لَـهُ أَمْـضَـى الـسِّـلَاحِ[٤٥]
لِأَنِّـي كُـلَّـمَـا فَـارَقْـتُ طَـرْفِـي   بَـعِـيـدٌ بَـيْـنَ جَـفْـنِـي وَالـصَّـبَـاحِ[٤٦]

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل، فهال بعض الجلساء ذلك وجزع منه، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طغج ارتجالًا:

أَبَـاعِـثَ كُـلِّ مَـكْـرُمَـةٍ طَـمُـوحِ   وَفَـارِسَ كُـلِّ سَـلْـهَـبَـةٍ سَـبُـوحِ[٤٧]
وَطَـاعِـنَ كُـلِّ نَـجْـلَاءٍ غَـمُـوسٍ   وَعَـاصِـيَ كُـلِّ عَـذَّالٍ نَـصِـيـحِ[٤٨]
سَـقَـانِـي الـلـهُ قَـبْـلَ الْـمَـوْتِ يَـوْمًـا   دَمَ الْأَعْـدَاءِ مِـنْ جَـوْفِ الْـجُـرُوحِ[٤٩]

وأرسل أبو العشائر بازيًا على حَجَلة فأخذها فقال المتنبي:

وَطَـائِـرَةٍ تَـتَـبَّـعُـهَـا الْـمَـنَـايَـا   عَـلَـى آثَـارِهَـا زَجَـلُ الْـجَـنَـاحِ[٥٠]
كَـأَنَّ الـرِّيـشَ مِـنْـهُ فِـي سِـهَـامٍ   عَـلَـى جَـسَـدٍ تَـجَـسَّـمَ مِـنْ رِيَـاحِ[٥١]
كَـــأَنَّ رُءُوسَ أَقْـــلَامٍ غِـــلَاظٍ   مُـسِـحْـنَ بِـرِيـشِ جُـؤْجُـؤَةِ الـصِّـحَـاحِ[٥٢]

فَأَقْعَصَهَا بِحَجْنٍ تَحْتَ صُفْرٍ لَهَا فِعْلُ الْأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ[٥٣]
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَصَ النُّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ[٥٤]

هوامش

(١) القرائح: الطبائع، يقال فلان جيد الطبيعة: إذا كان ذكي الطبع، وجيد القريحة: إذا كان له نظر وفهم ومعرفة، وقيل القريحة: خالص الغريزة — من قولهم ماء قراح؛ أي خالص — وقريحة البئر: أول ما يخرج من مائها، ورجل قرحان: إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد، والجوارح: الأعضاء — اليدان والرجلان والعينان والفم والأذن — وسُميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي كسبتم، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي اكتسبوها. يقول: إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره، وحيي طبعه، وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم؛ لأنه يفرح، والفرح يقوي القلب والجسم. يشير بذلك إلى عذره في تأخر مدحه؛ لأنه كان معتلًا.

(٢) يقول: إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضائها، ومن ذا الذي يرضيك بقضاء حقوقك غير الذي تسامحه وتتساهل معه؟

(٣) تكرمًا: مفعول لأجله، وواقفًا: حال من عذري. يقول: إنك لكرمك تقبل العذر الخفي. فما بال عذري واقفًا لا يلتفت إليه وهو واضح؟

(٤) يقول: إذا كان عيشنا بك، فمن المحال أن تعتل، ولا أشاركك في علتك، وهذا من قول أبي تمام:

وَإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نُعَمُّ بِهَا حَتَّى تَرَانا نُعَادُ فِي مَرَضِهْ

قال العكبري: قوله إن محالًا: جعل اسم إن نكرة للضرورة؛ لأنها تدخل على المبتدأ والخبر، ولا يجوز أن يكون المبتدأ نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها.

(٥) المسود: الذي جعله قومه سيدًا، والسيد: الكريم، ولا توصف به المرأة؛ وجمع الجحجاح: جحاجح، قال الشاعر:

مَـاذَا بِـبَـدْرٍ فَـالْـعَـقَـنْــ ـقَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ

وإن شئت جحاجيح، وإن شئت جَحاجحة، والهاء عوض من الياء المحذوفة لا بد منها أو من الياء، ولا يجتمعان، ويظهر أن الجمع في الحقيقة: جحاجيح، لا الجَحاجح، وإنما حذفت الياء من البيت — ماذا ببدر ... إلخ — ضرورة، قاله ابن بري: يقول: أنا نفس الجحجاح — السيد الكريم — أثارتني وأغضبتني سفهاؤكم بسفهها، ولما سماهم كلابًا سمى كلامهم نباحًا، ويروى — بدل هيجتني — هجنتني؛ أي نسبتني إلى الهجنة. يدل على ذلك البيت التالي.

(٦) الهجان: الرجل الكريم الحسب النقيه، وامرأة هجان: كريمة من نسوة هجائن وهي الكريمة الحسب التي لم تعرق فيها الإماء تعريقًا، وقول علي — كرم الله وجهه:

هَذَا جَنَايَ وَهِجَانُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

معناه: خياره وخالصه، وأنشد أبو الهيثم:

وَإِذَا قِيلَ مَنْ هِجَانُ قُرَيْشٍ كُنْتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهِجَانُ

وكل ذلك مأخوذ من الإبل، والهجان من الإبل: البيض الكرام. قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

يصف امرأة يقول: تريك ذراعين ممتلئتين لحمًا كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد، بيضاء اللون، فقوله: لم تقرأ جنينًا؛ أي لم تضم في رحمها ولدًا.

قال أهل اللغة: يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع؛ يقال: بعير هجان وناقة هجان، وربما قالوا: هجائن. قال ابن أحمر:

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوَانَ خَفت هَجَائِنَ مِنْ نِعَاجٍ أَوَارِعِينَا

والصراح: الخالص النسب. يقول: إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم وغير خالص النسب. يعني أن هجو الهاجي لا يؤثر فيه؛ لأنه ذكر في البيت الأول شكواه من السفهاء واللئام، وذكر في هذا البيت أن سفههم لا يقدح في نسبه ولا يغيره.

(٧) يقول: إن أولئك العائبين قد جهلوا قدري ونسبي وأصلي، فإن عشت قليلًا عرفتهم الرماح نسبي؛ إذ يرون غنائي وحسن بلائي. يتوعدهم ويهددهم بالقتل، وعبارة الواحدي: يحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم، ورأوا حسن بلائي استدلوا بذلك على كرم نسبي.

(٨) الجلل: الأمر العظيم، وجللًا: خبر «فليك» مقدم، والتبريح: الجهد والشدة، والرشأ: ولد الظبية، والأغن: الذي في صوته غنة، وهو من أوصاف الظباء، والشيح: نبات طيب الرائحة. يقول: ليكن تبريح الهوى عظيمًا مثل ما حل بي وإلا فلا! ثم قال: أتظنون غذاء من فعل بي هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء؟ إنما غذاؤه قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم:

يَرْعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعِي الـْ ـغِزْلَانُ فِي الْبَيْدَاءِ شِيحَه

هذا، وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أوردناه. قال العكبري: يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا — تعظيمًا لما هو فيه من الشدة — وتم الكلام ها هنا، ثم استأنف قولًا آخر متعجبًا من حسن المشبه أي كأنه ظبي في حسنه، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس:

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ دَقِيقُ

وقوله أغذاء: هو استفهام معناه الإنكار، يريد أن الرشأ الذي يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيح، وقال ابن جني: المصراعان متباينان، فلذلك أفرد كل واحد بمعنى، وقال أصحاب المعاني: قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة؛ ليدل به على ولهه، وشغله عن تقويم خطابه؛ كقول جران العود:

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْذَعَتِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بِالْبَيْنِ مَشْغُولُ
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوِي لِأَبْعَثَهُ إِثْرَ الْحُمُولِ الْغَوَادِي وَهْوَ مَعْقُولُ

(جاء في اللسان والقاموس وشرحه: جران العود شاعر من نمير، قال الجوهري: واسمه المستورد، وقد غلطه الصاغاني، وقال: إنما اسمه عامر بن الحارث — وهو شاعر إسلامي — ولقب بذلك لقوله:

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالْتَحَيْتُ جِرَانَهُ   وَلَلْكَيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
خُذَا حَذَرًا يَا خُلَّتَيَّ فَإِنَّنِي   رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يُصْلِحُ

يخاطب امرأتيه، وأراد بجران العود — والعود البعير المسن — سوطًا قده من جلد عنق عود نحره، وهو أصلب ما يكون؛ ليضرب به امرأتيه، وكانتا قد نشزتا عليه، والجران. باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام، والتحيت: أخذت، والكيس: حسن التأني في الأمور، ويا خلتي يروى يا جارتي، وقوله فإنني ... إلخ، يقول: فإني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب، وقوله: يوم ارتحلت ... إلخ، فالبرذعة: الحلس الذي يلقى تحت الرحل، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة، ومستوهل: فازع، واغترزت: وضعت رجلي في الغرز، وهو الركاب، والنضو: البعير الذي أنضاه السفر، والحمول: الإبل، ومعقول؛ أي لم يحلل عقاله دهشًا.)

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل، ولم يدر أن بعيره معقول، وفي كلامه ما يدل على ولهه مما ذكر من حاله، وعلى هذا يحمل قول زهير:

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ

ثم قال:

بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ

وقال القاضي الجرجاني: بين المصراعين اتصال لطيف، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه بيَّن أن الذي أورثه ذلك هو الرشأ الذي شكله على شكل الغزلان في غذائه، وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبري قال: قوله: فليك؛ حذف النون لسكونها، وسكون التاء في التبريح، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ وقوله:

لَمْ يَكُ شَيْءٌ يَا إِلَهي قَبْلَكَا

لأنها قد ضارعت بالمخرج والسكون والغنة حروف المد فحذفت كما تحذف، وهي هنا في قول المتنبي قوية بالحركة؛ لأن سبيلها أن تحرك، فكان ينبغي أن لا يحذفها، لكنه لم يعتد بالحركة في النون لما كانت غير لازمة ضرورة، ومثله:

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ　　رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسرَر

(جاء في لسان العرب أنه لحسيل بن عرفطة، جاهلي، والسرر: لعله يريد الموضع الذي هو على أربعة أميال من مكة، قال أبو ذؤيب:

بـآيَـة مـا وقـفـت والـركـا　　بِ بين الحجون وبين السرر)

وبعده:

غَيَّرَ الـجِدَّةَ مِـنْ عِـرْفَـانِـهِ　　خُرُقُ الرِيحِ وَطُوفَانُ المَطَرْ

والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفطة، والمراد بالحق هنا الموجود بحسب مقتضى الحكمة، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر، وهاج هنا متعدٍّ بمعنى أثار، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين، وهو على حذف مضاف، أي هاج حزنه ووجده، ورسم فاعل هاج، وتعفى: مبالغة عفا أي دثر ودرس، والسرر: موضع، والجدة: مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم. والعرفان: المعرفة. وخرق: فاعل غير جمع خريق؛ وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان المطر: كثرته. يقول: غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم.)

وقد حذفت النون من لكن في الشعر ضرورة، أنشد سيبويه:

فَـلَـسْـتُ بِـآتِـيـهِ وَلَا أَسْـتَـطِـيـعُـهُ　　وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكِ ذَا فَضْلِ

(للنجاشي الشاعر وقبله:

وَمَاءٍ قَدِيمِ الْعَهْدِ بِالْورْدِ آجِنٍ   يُخَالُ رِضَابًا أَوْ سُلَافًا مِنَ الْعُسل
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذِّئْبَ يَعْوِي كَأَنَّهُ   ضَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ
فَقُلْتُ لَهُ يَا ذِئْبُ هَلْ لَكَ فِي أَخٍ   يُوَاسِي بِلَا مَنٍّ عَلَيْكَ وَلَا بُخْلِ
فَقَالَ هَدَاكَ اللهُ لِلرُّشْدِ إِنَّمَا   دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبُعٌ قَبْلِي
فَلَسْتَ بِآتِيهِ ... ... [البيت]

والعُسل: جمع عسل كأعسال، والضليع: القوي الشديد، والمعوج، والمضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريح، وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدًّا؛ لأن من قال في بني الحارث بلحارث، لم يقل في بني النجار بنجار ... والأغن: الذي في صوته غنة، وهو صوت من الخيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب؛ لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفي أصواته غنة، ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب، ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب، وأغن السقاء: إذا امتلأ ماء.

(٩) الشمول: الخمر، يقول: إن الخمر رنحته فتمايل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح، وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن:

ظَلِلْنَا بِأَيْدِينَا نُتَعْتِعُ رُوحَهَا   فَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الْخَمْرُ ثَارَهَا

وقد جرت عادتهم بأن يشبهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصوريها أبدعوا في تجميلها، وافتنوا في تزويقها حتى أصاروها كأنها الجمال ماثلًا، ويروى بدل — وغادرت — وجردت؛ أي صيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه. هذا، وإنما سميت الخمر شمولًا؛ قيل لأنها تشمل بريحها الناس، وقيل: شبهت بالشمال من الريح؛ لأنها تعصف باللب كما تعصف الشمال.

(١٠) يقول: إن فؤادي هو المجروح بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرَّت، وظهر الدم فيها، وفؤادي هو الأجدر بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

أَرَاهُ يُدْمَى خَدهُ وَهْوَ جَارِحِي   بِعَيْنَيْهِ وَالْمَجْرُوحُ أَوْلَى بِأَنْ يَدْمَى

وقوله تضرجت؛ أي تلطخت بالدم. يريد احمرت خجلًا، وأصله من انضرج: إذا انشق، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم، وفي الضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة يصف نساء:

ضَرَجْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبَ حُرَّةٍ

أي شققن، وتضرج الثوب الثوب: انشق، وتقول: تكاد تتضرج من الملء؛ أي تنشق، ومنه انضرجت له الطريق؛ أي اتسعت، وانضرجت ما بين القوم: تباعد ما بينهم، وتضرجت عن البقل لفائفه: إذا انفتحت.

(١١) كان الوجه أن يقول: وما رمت يداه ولكنه على لغة من يقول قاما أخواك، وصابه: لغة في أصابه، يقول: رماني بلحظه فأصابني منه سهم ليس كالسهام المعروفة تقتل فتريح، وإنما يعذب من أصابه.

(١٢) المزار الأول: مكان الزيارة، والثاني: مصدر بمعنى الزيارة، والجنان: القلب، يقول: إنَّ دارك أيها الحبيب قريبة مني، ولكن لا سبيل إلى الزيارة خشية الرقباء، وإنما نتلاقى بالقلوب، فيغدو قلبي إليك ويروح أي أتذكرك فأمثلك في قلبي؛ فكأنا قد التقينا، كما قال ابن المعتز:

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ   لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

ومثله لأبي الطيب:

لَنَا وِلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ   تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى

(١٣) السرائر: بمعنى الأسرار المكتتمة، وشفه: أنحله. يقول: إن كتمان الهوى اقتصارنا فيه على التعريض قد أسقمنا وهزلنا، فذلك هزالنا البادي على ما تجنه الضلوع من الوجد، فقام ذلك مقام التصريح.

(١٤) الحمول: الأحمال على الإبل، ويريد بها الإبل التي حملتها، والطلوح: جمع طلح، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة، تشبه به الإبل عليها الهوادج. يقول: لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجدًا وحزنًا.

(١٥) يقول: كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق، فصار الصبر الجميل عنها قبيحًا، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَابِسُ الصَّبْرِ حَازِمًا　　فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

ويقول العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابنًا له مات، ومنه أخذ أبو تمام:

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا　　إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

وقوله: حسن العزاء ... إلخ، تقديره حسن العزاء قبيح، وقد جلين: أي المحاسن، فأقحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية.

(١٦) المراد بالمدمع: الدمع. يصف حال الوداع. يقول: لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا، فهناك يد تشير بالسلام، وطرف شاخص إلى وجه المودع، وقلب يذوب حزنًا على الفراق، ودمع مصبوب.

(١٧) يجد: من الوجد، وقوله: ولو كوجدي؛ أي ولو كان وجده كوجدي لانبرى ... إلخ، والأراك: شجر معروف. يقول: إن الحمام يحزن عند فراق إلفه، ولو كان وجده كوجدي لرق له الشجر، وانبعث يبكي معه وينوح رحمة ورقة، وقوله: لانبرى؛ يريد لاندفع وأخذ، ويقال: برى له يبري بريًا، وانبرى: عرض له، وباراه: عارضه، وباريت فلانًا مباراة: إذا كنت تفعل مثل ما يفعل.

(١٨) وأمق: الواو واو رب، يصف مهمهًا طويلًا، والأمق: المكان الطويل، والوخد: ضرب من السير، وخدت هنا: أسرعت، والطليح: المعيي، يقال: طلح البعير؛ أعيا، فهو طليح، وأطلحته أنا وطلحته: حسرته، ويقال: ناقة طليح أسفار: إذا جهدها السير وهزلها، وإبل طلح وطلائح، والطلح — بالكسر — المعيي من الإبل، يستوي فيه الذكر والأنثى، والجمع أطلاح. قال الحطيئة يصف إبلًا وراعيها:

إِذَا نَامَ طِلْحٌ أَشْعَثُ الرَّأْسِ خَلْفَهَا　　هَدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا

يقول الحطيئة: إن هذه الإبل تتنفس من البطنة تنفسًا شديدًا فيقول: إذا نام راعيها عنها وندت تنفست، فوقع عليها وإن بعدت.

يقول: لو أسرعت ريح الشمال في ذلك المهمه وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب ونزل والشمال معيية، وإذا كانت الشمال تعيي فيه فكيف الإنسان أو الناقة؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة؛ لأن العرض أقل من الطول.

(١٩) القلص — جمع قلوص — الناقة الفتية، والركاب: الإبل. يقول: خاصمت هذا المهمه على الإبل، فهو يأبى إلا أن ينال منها ويعصف بها بطوله ومشقته، وأنا آبى إلا أن أستبقيها لمسيري. ثم قال: وكان ركاب هذه الإبل — لخوفهم الهلاك — يسبحون الله ويسألونه النجاة، فكان التسبيح حداء للإبل مكان الغناء الذي تحدى به، وقال ابن جني: نازعته: أخذت منه — من الأمق؛ أي المهمه — بقطعي إياه، وأعطيته ما نال من الركاب. قال الواحدي: ليس المعنى على ما قال ابن جني؛ لأن المتنازع فيها هي القلص، فالبلد يفنيها ويأخذ منها وهو يستبقها، والمعنى: إني أحب إبقاءها، والأمق يحب إفناءها بالمنازعة فيها كقول الأعشى:

نَازَعتُهُم قُضُبَ الرَّيحَانِ مُتَّكِئًا

أي أخذت منهم وأعطيتهم، وهم أخذوا مني وأعطوني.

(٢٠) جشمت: كلفت. يقول: لولا الممدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر، ولا رددنا الناصح الذي كان ينصح لنا، وينهانا عن ركوب هذه الأهوال، وإليك درة نحوية للعلامة العكبري، قال: لولا الأمير: الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين، وعندنا أن الاسم مرفوع بها؛ لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول: لولا زيد لجئت، تقديره لو لم يمنعني، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفًا وزادوا لا على لو فصارا بمنزلة حرف واحد. كقولهم: أما أنت منطلقًا انطلقت معك، تقديره: إن كنت منطلقًا انطلقت معك. قال الشاعر:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

(البيت لعباس بن مرداس السلمي الصحابي، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة، وندبة أمه، وهو صحابي جليل، وأحد فرسان قيس وشعرائها، وهو ابن عم الخنساء، وبعد البيت:

وَالسلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرُعُ

ونفر الرجل رهطه، ويقال لعدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، والمراد بالضبع السنة المجدية، وأصله أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم فعاثت فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم. يقول: يا أبا خراشة إن كنت عزيزًا بقوم كثيرًا لهم فإن قومي ليسوا بأذلاء، ثم قال: إن السلم أنت فيها وادع تنال من مطالبك ما تريد، أما الحرب فإنها على العكس من السلم، وأراد بأنفاسها: أوائلها، يحرضه على الصلح ويثبطه عن الحرب.)

أي إن كنت ذا نفر، فحذف الفعل وزاد «ما» عوضًا عنه، والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوض، وكقولهم أما لا فافعل هذا، تقديره: إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا، فحذف الفعل؛ لكثرة الاستعمال، وزيدت ما على أن عوضًا عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد، ويجوز إمالتها؛ لأنها صارت عوضًا عن الفعل، كما أمالوا بلى ويا في النداء، والشواهد كثيرة على أن الفعل بعدها محذوف، واكتفى الاسم بلولا، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك: لولا أن زيدًا منعني، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكسر، فلما فتحت دل على صحة قولنا، وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا: أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصًّا و«لولا» يختص بالاسم دون الفعل، وقد يختص بالفعل والاسم. قال الشاعر:

لَا دَرَّ دَرُّكَ إِنِّـي قَدْ حَـمِدْتُهُمُ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرِي بِمَحْدُودِ

(أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت في أبيات هذا نصها:

قَـالَتْ أُمَـامَـةُ لَـمَّـا جِـئْتُ زَائِرَهَـا هَلَّا رَمَيْتَ بِبَعْضِ الْأَسْهُمِ السُّودِ
لَا دَرَّ دَرُّكَ إِنِّـي قَـدْ رَمَـيْـتُـهُـمُ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرِي لِمَحْدُودِ
إِنْ هُمْ كَرِجْلِ الدُّبَى لَا دَرَّ دَرُّهُمُ يَغْزُونَ كُلَّ طُوَالِ الْمَشْيِ مَحْدُودِ
فَمَـا تَـرَكْـتُ أَبَـا بِـشْـرٍ وَصَـاحِـبَـهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالجِيدِ

قال: قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي، وقيل: للجموح — أحد بني ظفر من سليم بن منصور — وحددت؛ أي حرمت ومنعت، وقد حد الرجل عن الرزق: إذا منع

منه، وهو محدود. يقول: قد رميت واجتهدت في قتالهم، ولكني حرمت النصر عليهم، ولا يقبل عذر المحروم، والعذرى: اسم بمعنى المعذرة، والرجل: القطعة من الجراد، والدبى: أصغر الجراد، والطوال: الطويل.)

ونحن نقول: إن هذا البيت على معنى لولا أني حددت، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل.

(٢١) ضمير ونت: للإبل أي توانت وفترت، وأمها قصدها؛ أي مقصودها، وقوله فأتاح لي … إلخ، دعاء، وأتاح الله الشيء قدره. يقول: إذا توانت الإبل في سيرها وهذا الممدوح مقصودها فالموت خير لي ولها. يعني: الموت خير لنا إن تخلفنا عنه.

(٢٢) شمنا: فعل وفاعل، وبروقه: مفعوله، وما حجب السماء: جملة معترضة، وشام البرق: نظر إليه يرجو المطر، وقوله: وحرى؛ أي وشمنا سحابًا حرى أن يجود؛ أي جديرًا به أن يجود — أي يمطر — ومرته الريح: استدرته وأصله في الناقة يمسح ضرعها لتدر. يقول: شمنا بروق الممدوح؛ أي رجونا عطاءه، والسماء لم يحجبها الغيم، ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود؛ أي بالمطر وإن لم تمره الريح. يفضله على السحاب؛ لأن السحاب يحجب جمال السماء، ولا يجود إلا إذا استدرته الريح، أما الممدوح فليس كذلك.

(٢٣) المغبوق: الذي يسقى بالعشي، والمصبوح: الذي يسقى صبحًا. يقول: إنه يحمد في كل وقت، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقًا وصبوحًا.

(٢٤) البدر: جمع بدرة، وهي عشر آلاف درهم، واللجين: الفضة، والمعنى ظاهر.

(٢٥) يقول: لو فرق في الناس كرمه الذي يفرق ماله؛ لصار الناس كلهم أسخياء، وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه:

أَقُولُ إِذْ سَأَلُونِي عَنْ سَمَاحَتِهِ ... وَلَسْتُ مِمَّنْ يُطِيلُ الْقَوْلَ إِنْ مَدَحَا
لَوْ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمَهُ ... أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سُمَحَا

والأصل في هذا قول العباس بن الأحنف — وإن كان من باب آخر:

لَوْ قَسَّمَ اللهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهِ ... فِي النَّاسِ طُرًّا لَتَمَّ الْحُسْنُ فِي النَّاسِ

ويقول أبو تمام:

لَو اقْتُسِمَتْ أَخْلَاقُهُ الْغُرُّ لَمْ تَجِد مَعِيبًا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبَا

(٢٦) يقول: إن مسامعه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود، فلم يبالِ به، ومضى على سخائه، وروى ابن جني: ألفت — من الألفة — أي إن مسامعه — لكثرة ما سمعت اللوم — ألفته واعتادته فصار شيئًا مألوفًا لا قيمة له عنده، وغيره ممن أطاعوا اللائم، وأصغت مسامعهم إليه صاروا لئامًا، يرى عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الأنف.

(٢٧) المراد بخلت ها هنا: تخلو، وأتى بالماضي: للتحقيق — على حد قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ — يقول: هذا الذي تمضي القرون والأدهار، ويبقى ذكره، ويخلد في الكتب والأسفار. قال الواحدي: المعنى: أن الكتب مشحونة بذكر الكرم، ونعت الكرام وأخلاقهم، وهو المعني بذلك؛ إذ الحقيقة منها له، فذكره إذن في الكتب مشروح. «هذا»، وقوله: وذكره وحديثه ... إلخ. قال العكبري: قال ذكره وحديثه مشروح، ولم يقل مشروحان؛ لأن الذكر والحديث واحد، وقيل: هما جملتان: حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ وهذا مذهب سيبويه، وأنشد:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

(لقيس ابن الخطيم (راجع معاهد التنصيص ج١ ص٦٧).)

وذهب المبرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وتقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله، وقال قوم: بل الضمير عائد على المذكور، كقول رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقْ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوْلِيعُ الْبَهَقْ

(من أرجوزته التي مطلعها:

وَقَاتِم الْأَعْمَاق خَاوِي الْمُخْتَرَقْ

(راجع أراجيز العرب للبكري، وخزانة الأدب للبغدادي ج١ ص٩٠).)

أي: كأن المذكور.

(٢٨) الألباب: العقول، والنوال: العطاء، والمعنى ظاهر.

(٢٩) يقول: يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح. وهذا من قول الفرزدق:

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ

«أي لم يغمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى.»

(قال المبرد: «وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني، وتأويله: لم يشيموا؛ لم يغمدوا، ولم تكثر القتلى؛ أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلت.»)

قال الواحدي: وقوله مكسورة حشو، أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح؛ لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب مكسورة، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص، والكماة: جمع كمي: الشجاع المتكمي أي المتغطي بسلاحه؛ إذ إنه كمي نفسه؛ أي سترها بالدرع وخلافه.

(٣٠) المجاسد: جمع المجسد، وهو المصبوغ بالجساد؛ أي الزعفران، والمسوح: جمع مسح، وهو ما ينسج من الشعر الأسود. يقول: لكثرة ما يسفك من الدم صبغت الأرض به حتى كأن عليها مجاسد، واسودت السماء بالغبار فكأن عليها مسوحًا.

(٣١) رب الجواد: فاعل يخطو، يعني الفارس، يقول: قد اكتظت المعركة بالقتلى، فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل، ويخلف وراءه فارسًا مبطوحًا — أي قتيلًا أيضًا — ويجوز أن يكون المراد برب الجواد: الممدوح.

(٣٢) المقيل: المقام، المستقر؛ قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ وقال ابن رواحة:

الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

الهام: جمع هامة، وهي أعلى الرأس، ومقيله: موضعه، مستعار من موضع القائلة. ومقيل الحب، ومقيل الغيظ: القلب، يقول: إن قلب محبه فرح به مبتهج، وقلب عدوه مقروح مكتئب.

(٣٣) فاعل يخفي ضمير العدو، يقول: إن عدوه يخفي العداوة خوفًا منه. بيد أن العداوة لا تخفى؛ لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة. قال ابن الرومي:

تُخَبِّرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِم وَلَا جِنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّزْرِ

لا جن: لا خفاء. وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي:

تُكَاشِرُنِي كَرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنْ صَدْرَكَ لِي دَوِي

(مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه. (أمالي القالي ج١ ص٦٨، والخزانة ج٣ ص١١٨ سلفية). وفي الأغاني: ودوي صدره: مرض وضغن.)
وقال الآخر:

خَلِيلَيَّ لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ

(٣٤) البرد: شكل من الثياب، والكاف — من قوله كابنه — بمعنى مثل؛ صفة لموصوف محذوف، هو مفعول ضم؛ أي ما ضم برد أحدًا مثل ابنه، ولا ضم قبر مثل الجد، وشرفًا: تمييز، والضريح: القبر كله، وقيل: الشق في وسط القبر، واللحد في جانبه، وسمي كذلك لأنه يشق في الأرض شقًّا، وكل ما شق فقد ضرح. قال ذو الرمة:

ضَرَحْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبَ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَّلْنَنَا كُلَّ مَقْتَلِ

يقول: ليس في الأحياء مثلك شرفًا، ولا في الأموات مثل جد أبيك في الشرف.
(٣٥) المسيح: العرق؛ سُمي مسيحًا؛ لأنه يمسح إذا صب. قال الراجز:

يَا رَيَّهَا وَقَدْ بَدَا مَسِيحِي وَابْتَلَّ ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ

يا ريها: يروى ناديتها. وقوله: هول؛ أي وهول. فهو عطف على سيل، وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح، ولكنه قال اختلطا — على لغة من يقول: قاما أخواك — يقول: أنت سيل عند العطاء؛ أي مثل المطر، وهول عند القتال إذا سالت الدماء وامتزجت بالعرق.
(٣٦) الغيث: السحاب فيه مطر، واللوح: الهواء بين السماء والأرض، والمعنى ظاهر.

(٣٧) يقول: لو كنت غيثًا لخشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه، فقوله وخشيت: عطف على قوله ضاق، في البيت قبله.

(٣٨) يقول: من العجز أن يقاسي الحر الفاقة مع وجود رزق الإله، وبابك الذي لا يحجب عنه طالب؛ يعني أن الله قد وسع بك الرزق على الناس، فمن لم يصمد إليك ملتمسًا الرزق فذلك لعجزه، كما قال أبو تمام:

خَابَ امْرُؤٌ بَخَسَ الْحَوَادِثُ رِزْقَهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الْأَسْعُدِ

وما أجمل قول بعضهم:

وَعَجْزٌ بِذِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بِعِيشَتِهِ وُسْعُ هَذِي الْبِلَادِ

وعجز: خبر مقدم عن فاقة، وبحر: متعلق بفاقة، والضمير في وراءه: للحر؛ قال العكبري: عجز ابتداء، وقد تفيد النكرة، وخبره: فاقة، فالباء متعلقة بفاقة، ويجوز أن تكون فاقة ابتداء، والخبر عجز مقدم عليه، وتقديره فاقة بحر عجز؛ فعلى هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها، وقيل: بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه المعنى، تقديره: القعود عن قصدك عجز بحر، وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره: به فاقة. قال: ووراءه أي قدامه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ أي قدامهم — من الأضداد.

(٣٩) شج: حزين، والعطف: الجانب، وبعطفي: متعلق بعائذ، وعائذ: لاجئ، والقريض: الشعر، ويقال: قرضت الشعر أقرضه: إذا قلته، ومنه قول عبيد بن الأبرص: حال الجريض دون القريض؛ الجريض: الغصص، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد قتله، فقال له أنشدني من قولك.

وقوله سواءك: فسواك إذا فتحت مدت، وإن كسرت قصرت، يقول: إن الشعر لاجئ إليَّ مستجير بي من أن أمدح به غيرك؛ إذ لا يستحقه أحد سواك.

(٤٠) الحيا: المطر. يقول: إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها، تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر، وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة:

شَكَرَتْ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْـ ـمِيِّ ثُمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ

فَهْيَ تُثْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً   طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَيْـ   ـشُومِ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ

(الوسمي: مطر الربيع الأول؛ لأنه يسم الأرض بالنبات، والولي: المطر يأتي بعد الوسمي ويليه، والعهاد: جمع عهد، وهو مطر بعد مطر.)

وأخذه السري الرفاء فقال:

وَكُنْتَ كَرَوْضَةٍ سُقِيَتْ سَحَابًا   فَأَثْنَتْ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٤١) جهد المقل؛ أي ذلك جهد المقل، والجهد: الطاقة والوسع، والمقل: الذي قلت ذات يده، وتوليه: تعطيه. يقول: إن رائحة الرياض جهد المقل؛ لأنها لا تستطيع النطق، فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلي وأنا شاعر فصيح؛ أي إنني لا أغادر شكرك والثناء عليك، والجهد — بالفتح والضم — قال العكبري: وقال الفراء: بالضم، الطاقة، وحجته قراءة الجمهور: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، والجهد — بالفتح — من قولهم اجهَد جَهْدَك في الأمر؛ أي ابلُغ غايتك، ولا يقال: اجْهَد جُهْدَك — بالضم — والجهد بالفتح؛ المشقة، يقال: جهد دابته وأجهدها: إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وأجهد في كذا؛ أي جد فيه وبالغ.

(٤٢) التباريح: الشدائد. يقول: إن القلوب تحبها للطف صورتها، وجارية — كما قال العكبري — ابتداء، وروح: اسم ما المشبهة بليس، والجار والمجرور الخبر، وقوله تباريح: ابتداء خبره المقدم عليه، وهو الجار والمجرور، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار، ومن حبها: يتعلق بالابتداء.

(٤٣) يقول: إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة؛ لأنها أطيب الأشياء ريحًا.

(٤٤) يقول: إنني سأشرب الكأس امتثالًا لإشارتها، برغم أني أكره الخمر؛ ومن ثم سيسيل دمعي على خدي استبشاعًا للخمر.

(٤٥) منصرفي: مصدر ميمي بمعنى انصرافي. قال الواحدي: إن الليل يقول له انصرف، وهو يميل إلى مجلس الأمير، وإطالة اللبث فيه، ويعصي الليل، وبذلك حصل تنازع، وجعل ذلك قتالًا. ثم قال: وإذا انصرفت فقد أعنته على نفسي، ويجوز أن يكون المعنى: إن الليل برده ندماءه وتفريقه جلساءه يعمل على الخلو به، فانصرافي أمضى

سلاح له وأعون على مراده، وقال العكبري — في قوله منصرفي — يريد انصرافي، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان، وإذا كان متعديًا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول، فالمنصرف يقع على المصدر، والموضع الذي ينصرف عنه، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها — مما هو على أربعة أو أكثر — استوت فيه الأشياء الأربعة المصدر والزمان والمكان والمفعول، يقال: حبل مجتذب وعجيب من مجتذبي حبلك أي اجتذابي، وهذا مجتذب حبلك أي الموضع الذي يجتذب فيه والوقت الذي كان فيه الاجتذاب.

(٤٦) البيت تعليل لقوله: ومنصرفي له أمضى السلاح. يقول: لأني كلما فارقت عيني، ولم أرك، لم أنم من شوقي إلى لقائك، فطال ليلي وبعد ما بين جفني والصباح. هذا، ويجوز رفع بين على إخراجه عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد. قال العكبري: ويجوز أن يكون فاعلًا ببعيد؛ كقول الشاعر:

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ بَعِيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ

(الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل الطويل الشديد الفتل الذي يستقى به وتشد به الخيل، والجال: كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها؛ والجرور: البئر البعيدة القعر، وبين: قال ابن منظور: البين ها هنا الوصل، قال: لأن البين في كلام العرب من الأضداد؛ إذ يكون بمعنى الفرقة ويكون الوصل كما في هذا البيت.)

ويجوز نصبه على الظرفية، وتقدير المبتدأ محذوفًا؛ أي بعيد ما بين جفني؛ قال الواحدي: ولو قال بين عيني الصباح لكان أظهر؛ لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجفن.

(٤٧) الباعث: المحيي — من بعث الله الميت: إذا نشره — والطموح: الجموح، وهي العزيزة الممتنعة، والسهلبة: الطويلة من الخيل، والسبوح: التي تسبح في جريها. يقول: يا محيي كل مكرمة تستعصي على غيرك، ويا فارس الخيل الشديدات الجري.

(٤٨) النجلاء: الواسعة، والغموس: التي تغمس المطعون في الدم. يقول: إنه كان يطعن كل طعنة واسعة تغمس صاحبها المطعون في الدم، ويعصي كل من يعذله في الجود والإقدام.

(٤٩) يقول: أمكنني الله من الأعداء حتى أهريق دماءهم وآتى عليهم، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماءهم على الأرض كالماء. هذا، وسقى

وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ وقال جل شأنه: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

(٥٠) المراد بالطائرة: الحجلة، والحجلة: واحدة الحجل؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لحمه، والزجل ذو الصوت، وأراد بالزجل: جناح البازي، يعني حفيف جناحيه في الطيران. قال العكبري: من رفع زجل يكون الكلام تامًّا في النصف الأول، ويرتفع على الابتداء، والخبر، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار، وقال الواحدي: من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازي؛ لأنه سبب منايا الطير، وتَتَبَّعُهَا هي تَتْبعها، ورواها العكبري تتبعها وقال: يقال تبعته واتبعته وتتبعته. ثم قال: تبعت القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم، وكذلك اتبعتهم وهو افتلعت، وأتبعت القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم، وأتبعت غيري يقال: أتبعته الشيء فتبعه، وقال الأخفش: تبعته وأتبعته بمعنى، مثل: ردفته وأردفته.

(٥١) جعل قصب ريشه سهامًا؛ لاستوائها وسرعة مرها، وجعل جسده جسمًا من رياح؛ لسرعة انقضاضه على الصيد، فالضمير منه: يعود على زجل الجناح، وفي سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر في سهام، وعلى جسد: في موضع الصفة، ومن رياح: متعلق بتجسم.

(٥٢) الجؤجؤ: الصدر. شبه سواد صدره بآثار مسح رءوس أقلام حبر غلاظ في ثوب أبيض، وروى ابن جني: غلاظًا — نصبًا على النعت للرءوس — وهو أجود؛ لأن المراد غلظ الرءوس حتى يكون أثر الحبر عريضًا، والصحاح: جمع صحيح، وروي الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجؤجؤ أو للريش على اللفظ لا المعنى.

(٥٣) أقعصها: قتلها قتلًا وحيًا سريعًا، والحجن: جمع أحجن، وهو المعوج — يريد مخالبه — والصفر: أصابعه، والأسنة: نصال الرماح، والصفاح: السيوف، يريد أن البازي قتل هذه الحجلة قتلًا سريعًا. هذا، ويقال مات فلان قعصًا إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه، وضربه فأقعصه أي قتله مكانه، وأقعصه بالرمح وقعصه: طعنه طعنًا وحيًا، والقعاص داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت، وفي الحديث: من أشراط الساعة موتان يكون في الناس كقعاص الغنم، والحجن — بالتحريك — الاعوجاج، وصقر أحجن المخالب: معوجها، والمحجن: الصولجان لاعوجاجه.

(٥٤) لكي حي: خبر مقدم، ويوم موت، مبتدأ مؤخر، والفلاح: البقاء والفوز والنجاة، والفلاح: السحور، ومنه: حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أي السحور؛ لأنه به بقاء الصوم، وحي على الفلاح أي أقبل على النجاة.

قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة، ويرثي ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان، وقد توفي في حمص سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة:

مَا سَدِكَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودِ ... أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ[1]
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ ... حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ[2]
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى ... غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ[3]
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ ... وَضَرْبِهِ أَرْؤُسَ الصَّنَادِيدِ[4]
وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ ... لِلذِّمْرِ فِيهَا فُؤَادُ رِعْدِيدِ[5]
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّنَا صُبُرٌ ... وَإِنْ بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودِ[6]
وَإِنْ جَزِعْنَا لَهُ فَلَا عَجَبٌ ... ذَا الْجَزْرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَعْهُودِ[7]
أَيْنَ الْهِبَاتُ الَّتِي يُفَرِّقُهَا ... عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْمَوَاحِيدِ[8]
سَالِمُ أَهْلِ الْوِدَادِ بَعْدَهُمُ ... يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ[9]
فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ ... أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ[10]
إِنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي ... أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهَا عُودِي[11]
وَفِيَّ مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وَمَا ... آنَسَنِي بِالْمَصَائِبِ السُّودِ[12]
مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَغَاثَكَ يَا ... سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودِ[13]
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْـ ... ـلَاكِ طُرًّا يَا أَصْيَدَ الصِّيدِ[14]
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ ... وَقْعُ قَنَا الْخطِّ فِي اللَّغَادِيدِ[15]
وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ ... رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ[16]

فَصَبَّحْتُهُمْ رِعَالُهَا شُزَّبًا   بَيْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ[١٧]
تَحْمِلُ أَغْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ   فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ[١٨]
مَوْقِعُهُ فِي فِرَاشِ هَامِهِمْ   وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السِّيدِ[١٩]
أَفْنَى الْحَيَاةَ الَّتِي وَهَبْتَ لَهُ   فِي شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ[٢٠]
سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ   مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ[٢١]
ثُمَّ غَدَا قَيْدُهُ الْحِمَامُ وَمَا   تَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ[٢٢]
لَا يَنْقُصُ الْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ   مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَيَّقُ الْبِيدِ[٢٣]
تَهُبُّ فِي ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ   هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ[٢٤]
أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ   سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ[٢٥]
مَهْمَا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ   فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ[٢٦]
وَمِنْ مُنَانَا بَقَاؤُهُ أَبَدًا   حَتَّى يُعَزَّى بِكُلِّ مَوْلُودِ[٢٧]

وقال يمدحه، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة، ويذكر الواقعة:

عَوَاذِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ   وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ[٢٨]
يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَادِرٌ   وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ[٢٩]
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى   مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ[٣٠]
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ   فَلِمْ تَتَصَبَّاكَ الْحِسَانُ الْخَرَائِدُ[٣١]
أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلِفْتُهُ   وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ[٣٢]
مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ   جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ[٣٣]
وَمَا تُنْكِرُ الدَّهْمَاءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ   سَقَتْهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَائِدُ[٣٤]
أَهُمُّ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا   تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ[٣٥]
وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ[٣٦]
وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ   سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ[٣٧]
تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّمَا   مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ[٣٨]
مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي عَلَى الْقَنَا   مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلَائِدُ[٣٩]

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنَّدُ فِي يَدِي … مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ ٤٠
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ … عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ ٤١
خَلِيلَيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ … فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ ٤٢
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ … وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ ٤٣
لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضٍ … وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ ٤٤
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ … تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ ٤٥
أَحَقُّهُمُ بِالسَّيْفِ مِنْ ضَرَبَ الطُّلَى … وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ ٤٦
وَأَشْقَى بِلَادِ اللهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا … بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدُ ٤٧
شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتَهَا … وَجَفْنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدُ ٤٨
مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرْعَى كَأَنَّهَا … وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ ٤٩
تُنَكِّسُهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ … وَتَطْعُنُ فِيهِمْ وَالرِّمَاحُ الْمَكَايِدُ ٥٠
وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى … كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الْأَسَاوِدُ ٥١
وَتُضْحِي الْحُصُونُ الْمُشمَخراتُ فِي الذُّرَى … وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ ٥٢
عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ … بِهِنْرِيطَ حَتَّى ابْيَضَّ بَالسَّبْيِ آمِدُ ٥٣
وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفْصَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى … وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ ٥٤
وغَلَّسَ فِي الْوَادِي بِهِنَّ مُشَيَّعٌ … مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللِّثَامَيْنِ عَابِدُ ٥٥
فَتًى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتِهِ … تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ ٥٦
أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سُيُوفُهُ … رِقَابَهُمُ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدُ ٥٧
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا … لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثُّدِيُّ النَّوَاهِدُ ٥٨
تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى … وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ ٥٩
بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا … مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ ٦٠
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمِ … عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ ٦١
وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ … وَأَنَّ فُؤَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ ٦٢
وَكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى … وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ ٦٣
نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ … لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ ٦٤
فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ … وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ ٦٥
وَأَنْتَ أَبُو الْهَيْجَا ابْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَهُ … تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ ٦٦

وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ   وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ ٦٧
أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلُّهَا   وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ ٦٨
أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ   وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ السُّهَى وَالْفَرَاقِدُ ٦٩
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ   وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ ٧٠
فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ   وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ ٧١

وقال يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، أنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما:

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا   وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا ٧٢
وَأَنْ يُكْذِبَ الْإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ   وَيُمْسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا ٧٣
وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ   وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى ٧٤
وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً   رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا ٧٥
هُوَ الْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا   عَلَى الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا ٧٦
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى   وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدَا ٧٧
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ   تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا ٧٨
وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا   وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا ٧٩
ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ   يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا ٨٠
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ   فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأَوْرَدَا ٨١
لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتُقِ يَوْمَهُ   مَمَاتًا وَسَمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ مَوْلِدَا ٨٢
سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ   ثَلَاثًا لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا ٨٣
فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ   جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا ٨٤
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ   وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا ٨٥
وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ   وَلَكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا ٨٦
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً   وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلَاصَ الْمُسَرَّدَا ٨٧
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا   وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا ٨٨
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرُّ وَجْهَهُ   جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا ٨٩
فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ   تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاكُ مَثْنَى وَمَوْحَدَا ٩٠

وَكُلُّ امْرِئٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا   يُعِدُّ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدَا[٩١]

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ   وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعِيدَا[٩٢]

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ   تُسَلِّمُ مَخْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدَا[٩٣]

فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى   كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدَا[٩٤]

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا   وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا[٩٥]

فَيَا عَجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ   أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَيْ مَا تَقَلَّدَا[٩٦]

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ بَازًا لِصَيْدِهِ   تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا[٩٧]

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ   وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنَّدَا[٩٨]

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ   وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا[٩٩]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ   وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا[١٠٠]

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا   مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى[١٠١]

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً   كَمَا فُقْتَهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتِدَا[١٠٢]

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ   فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا[١٠٣]

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ   فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّدَا[١٠٤]

إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمُ   ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدَا[١٠٥]

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ   فَزَيَّنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدَا[١٠٦]

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَلَائِدِي   إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا[١٠٧]

فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشَمِّرًا   وَغَنَّى بِهِ مَنْ لَا يُغَنِّي مُغَرِّدَا[١٠٨]

أَجِزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا   بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا[١٠٩]

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنَّنِي   أَنَا الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخَرُ الصَّدَى[١١٠]

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ   وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا[١١١]

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً   وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا[١١٢]

إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغِنَى   وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا[١١٣]

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة:

فَارَقْتُكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمُ   قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذًى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ

إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ   أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ[١١٤]

وقال في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب:

أَهْلًا بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا　　أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا ١١٥
ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ　　نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا ١١٦
يَا حَادِيَيْ عِيرِهَا وَأَحْسَبُنِي　　أُوجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا ١١٧
قِفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا　　أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا ١١٨
فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوًى　　أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا ١١٩
شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ　　فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا ١٢٠
بَانُوا بِخُرْعُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ　　يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا ١٢١
رِبَحْلَةٍ أَسْمَرٍ مُقَبَّلُهَا　　سِبَحْلَةٍ أَبْيَضٍ مُجَرَّدُهَا ١٢٢
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً　　أَضَلَّهَا اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا؟! ١٢٣
لَيْسَ يُحِيكُ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ　　أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا ١٢٤
بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِرْتُ مِنْ طَرَبِي　　شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا ١٢٥
أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي　　شُئُونُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا ١٢٦
لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا　　بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا ١٢٧
شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا　　زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا ١٢٨
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُهُ　　تَحْتِيَ مِنْ خَطْوِهَا تَأَيُّدُهَا ١٢٩
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ　　بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدَدُهَا ١٣٠
مُرْتَمِيَاتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْـ　　ـدِ اللهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا ١٣١
إِلَى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ　　أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدُهَا ١٣٢
لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ　　أُعَدُّ مِنْهَا وَلَا أُعَدِّدُهَا ١٣٣
يُعْطِي فَلَا مَطْلَةٌ يُكَدِّرُهَا　　بِهَا وَلَا مَنَّةٌ يُنَكِّدُهَا ١٣٤
خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وَأَمْجَدُهَا　　أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا ١٣٥
أَطْعَنُهَا بِالْقَنَاةِ أَضْرَبُهَا　　بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا ١٣٦
أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا　　بَاعًا وَمِغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا ١٣٧
تَاجُ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ　　سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا ١٣٨
شَمْسُ ضُحَاهَا هِلَالُ لَيْلَتِهَا　　دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا ١٣٩
يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا　　كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا ١٤٠

أَثَّرَ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا ... أَثَّرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنَّدُهَا[١٤١]
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا ... بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا[١٤٢]
وَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا ... بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا[١٤٣]
أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ ... يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا[١٤٤]
تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغُمُودُ إِذَا ... أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا
لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا ... وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا[١٤٥]
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ ... يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا[١٤٦]
تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا ... وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا[١٤٧]
إِذَا أَضَلَّ الْهُمَامُ مُهْجَتَهُ ... يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا[١٤٨]
قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي ... أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا[١٤٩]
وَأَنَّكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا ... شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا[١٥٠]
فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ ... رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا![١٥١]
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا! ... أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا[١٥٢]
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْـ ... ـبِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تُرَدِّدُهَا[١٥٣]
أَقَرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا ... أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا[١٥٤]
فَعُدْ بِهَا لَا عَدِمْتُهَا أَبَدًا ... خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا[١٥٥]

وقال أيضًا في صباه:

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدِ ... بِبَيَاضِ الطُّلَا وَوَرْدِ الْخُدُودِ[١٥٦]
وَعُيُونِ الْمَهَا وَلَا كَعُيُونٍ ... فَتَكَتْ بِالْمُتَيَّمِ الْمَعْمُودِ[١٥٧]
دَرَّ دَرُّ الصِّبَا أَأَيَّامَ تَجْرِيـ ... ـرِ ذُيُولِي بِدَارِ أَثْلَةَ عُودِي[١٥٨]
عَمْرَكَ اللهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا ... طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ[١٥٩]
رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُهَا الْهُدْ ... بُ تَشُقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ[١٦٠]
يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ ... هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ[١٦١]
كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقَّ مِنَ الْخَمْـ ... ـرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجُلْمُودِ[١٦٢]
ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْـ ... ـبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ[١٦٣]
حَالِكٍ كَالْغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيٍّ ... أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلَا تَجْعِيدِ[١٦٤]

تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيـ ـحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودِ ١٦٥
جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسُّقْـ ـمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ ١٦٦
هَـذِهِ مُـهْـجَـتِـي لَـدَيْكِ لِـحَـيْـنِـي فَانْقُصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِي ١٦٧
أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيـ ـدَ بِتَصْفِيفِ طُرَّةٍ وَبِجِيدِ ١٦٨
كُـلُّ شَـيْءٍ مِـنَ الـدِّمَـاءِ حَـرَامٌ شُـرْبُهُ مَـا خَـلَا دَمَ الْـعُـنْـقُـودِ ١٦٩
فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكِ نَفْسِي مِنْ غَـزَالٍ وَطَـارِفِـي وَتَـلِـيدِي ١٧٠
شَـيْـبُ رَأْسِـي وَذِلَّـتِـي وَنُـحُـولِـي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكِ شُهُودِي ١٧١
أَيَّ يَـوْمٍ سَـرَرْتَـنِـي بِـوِصَـالٍ لَـمْ تَـرُعْـنِـي ثَـلَاثَـةً بِـصُـدُودِ ١٧٢
مَـا مُـقَـامِـي بِـأَرْضِ نَـخْـلَـةَ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ ١٧٣
مَفْرَشِي صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلَكِنْـ ـنَ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ ١٧٤
لَأْمَـةٌ فَـاضَـةٌ أَضَـاةٌ دِلَاصٌ أَحْـكَـمَـتْ نَـسْـجَـهَـا يَـدَا دَاوُدِ ١٧٥
أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْـ ـرِ بِـعَـيْـشٍ مُـعَـجَّـلِ الـتَّـنْـكِـيدِ
ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي ١٧٦
أَبَـدًا أَقْـطَـعُ الْـبِـلَادَ وَنَـجْـمِـي فِي نُحُوسٍ وَهِمَّتِي فِي سُعُودِ ١٧٧
وَلَـعَـلِّـي مُـؤَمِّـلٌ بَـعْـضَ مَـا أَبْـ ـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ ١٧٨
لِـسَـرِيٍّ لِـبَـاسُـهُ خَـشِـنُ الْـقُـطْـ ـنِ وَمَرْوِيُّ مَرْوَ لِبْسُ الْقُرُودِ ١٧٩
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ ١٨٠
فَـرُءُوسِ الـرِّمَـاحِ أَذْهَـبُ لِـلْـغَـيْـ ـظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الْحَقُودِ ١٨١
لَا كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُـتَّ مُـتَّ غَـيْـرَ فَـقِـيـدِ ١٨٢
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَظَى وَذَرِ الذُّلْـ ـلَ وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ ١٨٣
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَعْـ ـجِزُ عَنْ قَطْعِ بِخُنُقِ الْمَوْلُودِ ١٨٤
وَيُوَقَّى الْفَتَى الْمِخَشُّ وَقَدْ خَوَّ ضَ فِـي مَـاءِ لَبَّةِ الـصِّـنْـدِيدِ ١٨٥
لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي ١٨٦
وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا دَ وَعَوْذُ الْجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ ١٨٧
إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ ١٨٨
أَنَـا تِـرْبُ الـنَّـدَى وَرَبُّ الْـقَـوَافِـي وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحَسُودِ ١٨٩
أَنَـا فِـي أُمَّـةٍ تَـدَارَكَـهَـا الـلَّـهُ غَـرِيـبٌ كَـصَـالِـحٍ فِـي ثَـمُـودِ ١٩٠

وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان — من خراسان — هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران:

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدِي وُدًّا ... بَلَغَ الْمَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَّا[١٩١]
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا ... فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدَا[١٩٢]
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهْيَ فَارِغَةٌ ... مَثْنَى بِهِ وَتَظُنُّهَا فَرْدَا[١٩٣]
تَأْبَى خَلَائِقُكَ الَّتِي شَرُفَتْ ... أَنْ لَا تَحِنَّ وَتَذْكُرَ الْعَهْدَا[١٩٤]
لَوْ كُنْتَ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهَرًا ... كُنْتَ الرَّبِيعَ وَكَانَتِ الْوَرْدَا[١٩٥]

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المَنبِجي:

الْيَوْمَ عَهْدُكُمُ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ؟ ... هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمُ غَدُ![١٩٦]
الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ ... وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمُ لَا تَبْعُدُوا[١٩٧]
إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجُفُونِهَا ... لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ[١٩٨]
قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِي: مَنْ بِهِ ... وَتَنَهَّدَتْ، فَأَجَبْتُهَا: الْمُتَنَهِّدُ[١٩٩]
فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا ... لَوْنِي كَمَا صَبَغَ اللُّجَيْنَ الْعَسْجَدُ[٢٠٠]
فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمَرِ الدُّجَى ... مُتَأَوِّدًا غُصْنٌ بِهِ يَتَأَوَّدُ[٢٠١]
عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا ... سَلْبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ[٢٠٢]
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ ... وَذَوَابِلٌ وَتَوَعُّدٌ وَتَهَدُّدُ[٢٠٣]
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِي بَعْدَنَا ... وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهْوَ مُقَيَّدُ[٢٠٤]
بَرَّحْتَ يَا مَرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ ... مَرِضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيدَ الْعُوَّدُ[٢٠٥]
فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرِّضَا ... وَلِكُلِّ رَكْبٍ عِيسُهُمْ وَالْفَدْفَدُ[٢٠٦]
مَنْ فِي الْأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ: ... مَنْ فِيكَ شَأْمُ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ[٢٠٧]
أَعْطَى فَقُلْتُ لِجُودِهِ: مَا يُقْتَنَى ... وَسَطَا فَقُلْتُ لِسَيْفِهِ: مَا يُولَدُ[٢٠٨]
وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لِأَنَّهَا ... أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ[٢٠٩]
فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ ... يَذْمُمْنَ مِنْهُ مَا الْأَسِنَّةُ تَحْمَدُ[٢١٠]
نِقَمٌ عَلَى نِقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا ... نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ[٢١١]
فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ ... وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ[٢١٢]

أَسَـدٌ دَمُ الْأَسَـدِ الْـهِـزَبْـرِ خِـضَـابُـه مَوْتٌ فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ[٢١٣]
مَـا مَـنْـبِـجٌ مُـذْ غِـبْـتَ إِلَّا مُـقْـلَـةٌ سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نَوْمُهَا وَالْإِثْمِدُ[٢١٤]
فَـاللَّيْلُ حِـينَ قَدِمْتَ فِـيهَا أَبْيَضٌ وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ[٢١٥]
مَـا زِلْـتَ تَـدْنُـو وَهْـيَ تَـعْـلُـو عِـزَّةً حَتَّـى تَوَارَى فِـي ثَرَاهَـا الْفَرْقَدُ[٢١٦]
أَرْضٌ لَـهَـا شَـرَفٌ سِـوَاهَـا مِـثْـلُـهَـا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِـي سِوَاهَا يُوجَدُ[٢١٧]
أَبْدَى الْـعُـدَاةُ بِكَ الـسُّـرُورَ كَـأَنَّـهُـمْ فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ[٢١٨]
قَـطَّـعْـتَـهُـمْ حَـسَـدًا أَرَاهُـمْ مَـا بِـهِـمْ فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِمَنْ لَا يَحْسُدُ[٢١٩]
حَـتَّـى انْـثَـنَوْا وَلَـوَ انَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجَلْمَدُ[٢٢٠]
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لَـمَّـا رَأَوْكَ وَقِـيـلَ: هَـذَا الـسَّـيِّـدُ[٢٢١]
بَـقِـيَـتْ جُـمُـوعُـهُـمْ كَـأَنَّـكَ كُـلُّـهَـا وَبَـقِـيـتَ بَـيْـنَـهُـمُ كَـأَنَّـكَ مُـفْـرَدُ[٢٢٢]
لَهْفَانَ يَسْتَوْبِي بِكَ الْغَضَبَ الوَرَى لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْكَ الْحِجَا وَالسُّؤْدُدُ[٢٢٣]
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا فَـالْأَرْضُ وَاحِـدَةٌ وَأَنْـتَ الْأَوْحَـدُ[٢٢٤]
وَصُـنِ الْـحُـسَـامَ وَلَا تُـذِلْـهُ فَـإِنَّـهُ يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ[٢٢٥]
يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ[٢٢٦]
رَيَّـانَ لَـوْ قَـذَفَ الَّـذِي أَسْـقَـيْـتَـهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ[٢٢٧]
مَـا شَـارَكَـتْـهُ مَـنِـيَّـةٌ فِـي مُـهْـجَـةٍ إِلَّا وَشَـفْـرَتُـهُ عَـلَـى يَـدِهَـا يَـدُ[٢٢٨]
إِنَّ الـرَّزَايَـا والْـعَـطَـايَـا وَالْـقَـنَـا حُـلَـفَـاءُ طَـيٍّ غَـوَّرُوا أَوْ أَنْـجَـدُوا[٢٢٩]
صِحْ يَا لَجُلْهُمَةٍ تُجِبْكَ وَإِنَّمَا أَشْـفَـارُ عَـيْـنِـكَ ذَابِـلٌ وَمُـهَـنَّـدٌ[٢٣٠]
مِنْ كُلِّ أَكْبَرَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجْوَدُ[٢٣١]
يَـلْـقَـاكَ مُـرْتَـدِيًـا بِـأَحْـمَـرَ مِـنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَا وَالْأَكْبُدُ[٢٣٢]
حَـتَّـى يُـشَـارَ إِلَـيْـكَ ذَا مَـوْلَاهُـمُ وَهُمُ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أَعْبُدُ[٢٣٣]
أَنَّـى يَـكُـونُ أَبَـا الْـبَـرِيَّـةِ آدَمٌ وَأَبُوكَ وَالـثَّـقَـلَانِ أَنْتَ مُـحَـمَّـدُ[٢٣٤]
يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَنْفَدُ[٢٣٥]

وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان فحبسه فكتب إليه من الحبس:

أَيَـا خَـدَّدَ الـلـهُ وَرْدَ الْـخُـدُودِ وَقَـدَّ قُـدُودَ الْـحِـسَـانِ الْـقُـدُودِ[٢٣٦]
فَـهُـنَّ أَسَـلْـنَ دَمًـا مُـقْـلَـتِـي وَعَذَّبْنَ قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ[٢٣٧]

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتًى مُدْنَفٍ   وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ[٢٣٨]
فَوَا حَسْرَتَا مَا أَمَرَّ الْفِرَاقَ   وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ![٢٣٩]
وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْعَاشِقِينَ   وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْعَمِيدِ![٢٤٠]
وَأَلْهَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ الْخَنَا   بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنُّهُودِ![٢٤١]
فَكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ   وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ[٢٤٢]
لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ   وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ[٢٤٣]
فَأَنْجُمُ أَمْوَالِهِ فِي النُّحُوسِ   وَأَنْجُمُ سُؤَّلِهِ فِي السُّعُودِ[٢٤٤]
وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ   عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ[٢٤٥]
رَمَى حَلَبًا بِنَوَاصِي الْخُيُولِ   وَسُمْرٍ يُرِقْنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ[٢٤٦]
وَبِيضٍ مُسَافِرَةٍ مَا يُقِمْـ   ـنَ لَا فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْغُمُودِ[٢٤٧]
يَقُدْنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللِّقَاءِ   إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ[٢٤٨]
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخَرْشَنِيُّ   كَشَاءٍ أَحَسَّ بِزَأْرِ الْأُسُودِ[٢٤٩]
يُرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ   صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفْقَ الْبُنُودِ[٢٥٠]
فَمَنْ كَالْأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَمِيـ   ـرِ أَوْ مَنْ كَآبَائِهِ وَالْجُدُودِ[٢٥١]
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صِبْيَةٌ   وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ[٢٥٢]
أَمَالِكَ رِقِّي وَمَنْ شَأْنُهُ   هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ[٢٥٣]
دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا   ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ[٢٥٤]
دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي الْبَلَاءُ   وَأَوْهَنَ رِجْلَيَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ[٢٥٥]
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النِّعَالِ   فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقُيُودِ
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلٍ   فَهَا أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ[٢٥٦]
تُعَجِّلُ فِيَّ وُجُوبَ الْحُدُودِ   وَحَدِّي قُبَيْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ[٢٥٧]
وَقِيلَ: عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِيـ   ـنَ بَيْنَ وِلَادِي وَبَيْنَ الْقُعُودِ[٢٥٨]
فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ   وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ[٢٥٩]
فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِيـ   ـنَ وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ الْيَهُودِ[٢٦٠]
وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْ   تُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ[٢٦١]
وَفِي جُودِ كَفَّيْكَ مَا جُدْتَ لِي   بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ[٢٦٢]

ونام أبو بكر الطائي وهو ينشد فقال:

إِنَّ الْقَوَافِيَ لَمْ تُنِمْكَ وَإِنَّمَا مَحَقَتْكَ حَتَّى صِرْتَ مَا لَا يُوجَدُ[٢٦٣]
فَكَأَنَّ أُذْنَكَ فُوكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وَكَأَنَّهَا مِمَّا سَكِرْتَ الْمُرْقِدُ[٢٦٤]

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي:

مُحَمَّدُ بْنَ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدَا إِذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وَقَدْ قَصَدْتُكَ وَالتَّرْحَالُ مُقْتَرِبٌ وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا[٢٦٥]
فَخَلِّ كَفَّكَ تَهْمِي وَاثْنِ وَابِلَهَا إِذَا اكْتَفَيْتُ وِإِلَّا أَغْرَقَ الْبَلَدَا[٢٦٦]

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحتري:

مَا الشَّوْقُ مُقْتَنِعًا مِنِّي بِذَا الْكَمَدِ حَتَّى أَكُونَ بِلَا قَلْبٍ وَلَا كَبِدِ[٢٦٧]
وَلَا الدِّيَارُ الَّتِي كَانَ الْحَبِيبُ بِهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَلَا أَشْكُو إِلَى أَحَدِ[٢٦٨]
مَا زَالَ كُلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ يُنْحِلُهَا وَالسُّقْمُ يُنْحِلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي[٢٦٩]
وَكُلَّمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَبَرِي كَأَنَّ مَا سَالَ مِنْ جَفْنَيَّ مِنْ جَلَدِي[٢٧٠]
فَأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنَ يَحْيَى صَوْلَةُ الْأَسَدِ![٢٧١]
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ[٢٧٢]
مَا دَارَ فِي خَلَدِ الْأَيَّامِ لِي فَرَحٌ أَبَا عُبَادَةَ حَتَّى دُرْتَ فِي خَلَدِي[٢٧٣]
مَلْكٌ إِذَا امْتَلَأَتْ مَالًا خَزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ ثُكْلِ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ[٢٧٤]
مَاضِي الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ[٢٧٥]
مَا ذَا الْبَهَاءُ وَلَا ذَا النُّورُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا السَّمَاحُ الَّذِي فِيهِ سَمَاحُ يَدِ[٢٧٦]
أَيُّ الْأَكُفِّ تُبَارِي الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدِ[٢٧٧]
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرٍ حَتَّى تَبَحْتَرَ فَهْوَ الْيَوْمَ مِنْ أُدَدِ[٢٧٨]
قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمُ حَسِبْتَهَا سُحُبًا جَادَتْ عَلَى بَلَدِ[٢٧٩]
لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ[٢٨٠]

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي:

أُحَـادٌ أَمْ سُـدَاسٌ فِـي أُحَـادِ ... لُيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ؟! ٢٨١
كَأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ فِي دُجَاهَا ... خَرَائِدُ سَافِرَاتٌ فِي حِدَادِ ٢٨٢
أُفَكِّرُ فِي مُعَاقَرَةِ الْمَنَايَا ... وَقَوْدِ الْخَيْلِ مُشْرِفَةَ الْهَوَادِي ٢٨٣
زَعِيمٌ لِلْقَنَا الْخَطِّيِّ عَزْمِي ... بِسَفْكِ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي ٢٨٤
إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ وَالتَّوَانِي ... وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي ٢٨٥
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي ... بِبَيْعِ الشِّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ ٢٨٦
وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ ... وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ ٢٨٧
مَتَى لَحَظَتْ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي ... فَقَدْ وَجَدَتْهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ ٢٨٨
مَتَى مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي ... فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي ازْدِيَادِي ٢٨٩
أَأَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلَا أُكَافِي ... عَلَى مَا لِلْأَمِيرِ مِنَ الْأَيَادِي ٢٩٠
جَزَى اللهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا ... وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ ٢٩١
فَلَمْ تَلْقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْسِي ... وَفِيهَا قُوتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ ٢٩٢
أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ ... فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجَادِ ٢٩٣
وَأَبْعَدَ بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي ... وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ ٢٩٤
فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي ... وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ ٢٩٥
تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ ... وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوِسَادِ ٢٩٦
نَلُومُكَ يَا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ ... لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ ٢٩٧
وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ ... هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ ٢٩٨
كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخْشَى ... إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ ٢٩٩
كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ ... وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ ٣٠٠
وَقَدْ صُغْتَ الْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ ... فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ ٣٠١
وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْثَ النَّوَاصِي ... مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ لِلطِّرَادِ ٣٠٢
وَحَامَ بِهَا الْهَلَاكُ عَلَى أُنَاسٍ ... لَهُمْ بِاللَّاذِقِيَّةِ بَغْيُ عَادِ ٣٠٣
فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهٍ ... وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ ٣٠٤
وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ ... فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبِيضِ الْحِدَادِ ٣٠٥
لَقَوْكَ بِأَكْبُدِ الْإِبِلِ الْأَبَايَا ... فَسُقْتَهُمُ وَحَدُّ السَّيْفِ حَادِ ٣٠٦

وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ الْغَـيِّ عَنْـهُـمْ   وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ[٣٠٧]
فَـمَـا تَـرَكُـوا الْإِمَـارَةَ لِاخْـتِـيَـارٍ   وَلَا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادِ[٣٠٨]
وَلَا اسْتَفَلُوا لِزُهْدٍ فِي التَّعَالِي   وَلَا انْقَادُوا سُرُورًا بِانْقِيَادِ[٣٠٩]
وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَاهُمْ   هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رِجْلِ الْجَرَادِ[٣١٠]
وَمَـاتُـوا قَـبْـلَ مَـوْتِـهِـمُ فَـلَـمَّـا   مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ[٣١١]
غَمَدْتَ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا   مَحَوْتَهُمُ بِهَا مَحْوَ الْمِدَادِ[٣١٢]
وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى   بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكَرَمِ التِّلَادِ[٣١٣]
فَـلَا تَـغْـرُرْكَ أَلْـسِـنَـةٌ مَـوَالٍ   تُقَلِّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِي[٣١٤]
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْثِي لِبَاكٍ   بَكَى مِنْهُ وَيَرْوَى وَهْوَ صَادِ[٣١٥]
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ   إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ[٣١٦]
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ   وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ[٣١٧]
وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ   فَرَشْتَ لِجَنْبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ[٣١٨]
يَرَى فِي النَّوْمِ رُمْحَكَ فِي كُلَاهُ   وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي السُّهَادِ[٣١٩]
أَشَرْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ   نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ
وَظَنُّونِي مَدَحْتُهُمُ قَدِيمًا   وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمُ مُرَادِي[٣٢٠]
وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ   وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادِ[٣٢١]
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ رِكَابِي   وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الْبِلَادِ[٣٢٢]

وقال يمدح بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني، وهو يومئذٍ يتولى حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨:

أَحُلْمًا نَرَى أَمْ زَمَانًا جَدِيدَا   أَمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصِ حَيٍّ أُعِيدَا[٣٢٣]
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَأْنَا بِهِ   كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُعُودَا[٣٢٤]
رَأَيْنَا بِبَدْرٍ وَآبَائِهِ   لِبَدْرٍ وَلُودًا وَبَدْرًا وَلِيدَا[٣٢٥]
طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي   رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَا[٣٢٦]
أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى   جَوَادٌ بَخِيلٌ بِأَنْ لَا يَجُودَا[٣٢٧]
يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهًا   كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودَا[٣٢٨]
وَيُقْدِمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ   وَيَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَزِيدَا[٣٢٩]

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ   فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَجِدْهُ جُدُودَا[٣٣٠]
وَرُبَّتَمَا حَمْلَةٍ فِي الْوَغَى   رَدَدْتَ بِهَا الذُّبَّلَ السُّمْرَ سُودَا[٣٣١]
وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَنَصْلٍ قَصَفْتَ   وَرُمْحٍ تَرَكْتَ مُبَادًا مُبِيدَا[٣٣٢]
وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ   وَقِرْنٍ سَبَقْتَ إِلَيْهِ الْوَعِيدَا[٣٣٣]
بِهَجْرِ سُيُوفِكَ أَغْمَادَهَا   تَمَنَّى الطُّلَا أَنْ تَكُونَ الْغُمُودَا[٣٣٤]
إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ   تَرَى صَدَرًا عَنْ وُرُودٍ وُرُودَا[٣٣٥]
قَتَلْتَ نُفُوسَ الْعِدَا بِالْحَدِيـ   ـدِ حَتَّى قَتَلْتَ بِهِنَّ الْحَدِيدَا[٣٣٦]
فَأَنْفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ   وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكْتَ النُّفُودَا[٣٣٧]
كَأَنَّكَ بِالْفَقْرِ تَبْغِي الْغِنَى   وَبِالْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ تَبْغِي الْخُلُودَا[٣٣٨]
خَلَائِقُ تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا   وَآيَةُ مَجْدٍ أَرَاهَا الْعَبِيدَا[٣٣٩]
مُهَذَّبَةٌ حُلْوَةٌ مُرَّةٌ   حَقَرْنَا الْبِحَارَ بِهَا وَالْأُسُودَا[٣٤٠]
بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَصْفُهَا   تَغُولُ الظُّنُونَ وَتُنْضِي الْقَصِيدَا[٣٤١]
فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِي آدَمٍ   وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدَا[٣٤٢]

وقال لما استعظم قوم ما قاله في آخر مرثية جدته:

يَسْتَعْظِمُونَ أُبَيَّاتًا نَأَمْتُ بِهَا   لَا تَحْسُدُنَّ عَلَى أَنْ يَنْأَمَ الْأَسَدَا[٣٤٣]
لَوْ أَنَّ ثَمَّ قُلُوبًا يَعْقِلُونَ بِهَا   أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدَا[٣٤٤]

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي:

أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ   وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جِدُّ[٣٤٥]
سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ   كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ[٣٤٦]
ثِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا   كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا[٣٤٧]
وَطَعْنٍ كَأَنَّ الطَّعْنَ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ   وَضَرْبٍ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدُ[٣٤٨]
إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحٍ   رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ[٣٤٩]
أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أُهَيْلَهُ   فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ[٣٥٠]
وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ   وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ[٣٥١]

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَـهُ مَـا مِـنْ صَـدَاقـتِـهِ بُـدُّ[٣٥٢]
بِـقَـلْـبِـي وَإِنْ لَـمْ أَرْوَ مِـنْـهَـا مَـلَالَـةٌ وَبِي عَنْ غَوَانِيهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ[٣٥٣]
خَـلِـيلَايَ دُونَ الـنَّـاسِ حُـزْنٌ وَعَـبْـرَةٌ عَلَى فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهُمَا فَقْدُ[٣٥٤]
تَـلَـجُّ دُمُـوعِـي بِـالْـجُـفُـونِ كَـأَنَّـمَـا جُفُونِي لِعَيْنَي كُلِّ بَاكِيَةٍ خَدُّ[٣٥٥]
وَإِنِّـي لَـتُـغْـنِـيـنِـي مِـنَ الْـمَـاءِ نُـغْـبَـةٌ وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرُّبْدُ
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السِّنَانُ لِطِيَّتِي وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمُجَلِّحَةُ الْعُقْدُ[٣٥٦]
وَأُكْـبِـرُ نَـفْـسِـي عَـنْ جَـزَاءٍ بِـغِـيـبَـةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَا لَهُ جُهْدُ[٣٥٧]
وَأَرْحَـمُ أَقْـوَامًـا مِـنَ الْـعَـيِّ وَالْـغَـبَـا وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي؛ لِأَنَّـهُـمُ ضِـدُّ[٣٥٨]
وَيَـمْـنَـعُـنِي مِـمَّـن سِـوَى ابْـنِ مُـحَـمَّـدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ[٣٥٩]
تَـوَالَـى بِـلَا وَعْـدٍ وَلَـكِـنَّ قَـبْـلَـهَـا شَمَائِلَهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدُ[٣٦٠]
سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللهُ لَا الْهِنْدُ[٣٦١]
فَـلَـمَّـا رَآنِـي مُـقْـبِـلًا هَـزَّ نَـفْـسَـهُ إِلَـيَّ حُـسَـامٌ كُلُّ صَـفْـحٍ لَـهُ حَـدُّ[٣٦٢]
فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُـلًا قَـامَـتْ تُـعَـانِـقُـهُ الْأُسْـدُ[٣٦٣]
كَـأَنَّ الْـقِـسِـيَّ الْـعَـاصِـيَـاتِ تُـطِـيـعُـهُ هَوًى أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أُنْمُلِهِ زُهْدُ[٣٦٤]
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمْيِهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ[٣٦٥]
وَيُـنْـفِـذُهُ فِـي الْـعَـقْـدِ وَهْـوَ مُـضَـيَّـقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ[٣٦٦]
بِـنَـفْـسِـي الَّـذِي لَا يُـزْدَهَـى بِـخَـدِيـعَـةٍ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ[٣٦٧]
وَمَـنْ بُـعْـدُهُ فَـقْـرٌ وَمَـنْ قُـرْبُـهُ غِـنًـى وَمَنْ عِرْضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدُ[٣٦٨]
وَيَـصْـطَـنِـعُ الْـمَـعْـرُوفَ مُـبْـتَـدِئًـا بِـهِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ[٣٦٩]
وَيَـحْـتَـقِـرُ الْـحُـسَّـادَ عَـنْ ذِكْـرِهِ لَـهُـمْ كَأَنَّهُمُ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ[٣٧٠]
وَتَـأْمَـنُـهُ الْأَعْـدَاءُ مِـنْ غَـيْـرِ ذِلَّـةٍ وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحِقْدُ[٣٧١]
فَـإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ انْقَضَى فَـإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ[٣٧٢]
مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ[٣٧٣]
لَـهُـمْ أَوْجُـهٌ غُـرٌّ وَأَيْـدٍ كَـرِيـمَـةٌ وَمَـعْـرِفَـةٌ عِـدٌّ وَأَلْـسِـنَـةٌ لُـدُّ[٣٧٤]
وَأَرْدِيَـةٌ خُـضْـرٌ وَمُـلْـكٌ مُـطَـاعَـةٌ وَمَـرْكُـوزَةٌ سُـمْـرٌ وَمَـقْـرَبَـةٌ جُـرْدُ[٣٧٥]
وَمَـا عِـشْـتَ مَـا مَـاتُـوا وَلَا أَبَـوَاهُـمُ تَـمِـيـمُ بْـنُ مُـرٍّ وَابْـنُ طَـابِـخَـةٍ أُدُّ[٣٧٦]
فَـبَـعْـضُ الَّـذِي يَـبْـدُو الَّـذِي أَنَـا ذَاكِـرٌ وَبَعْضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَيَّ الَّذِي يَبْدُو[٣٧٧]

أَلُومُ بِهِ مَنْ لَامَنِي فِي وِدَادِهِ ... وَحُقَّ لِخَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُّ[٣٧٨]
كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرْقِهِ ... بَنِي اللُّؤْمِ حَتَّى يَعْبُرَ الْمَلِكُ الْجَعْدُ[٣٧٩]
فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعُلَا ... وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ الْمِسْكُ وَالنَّدُّ[٣٨٠]

وودع صديقًا له يقال له: أبو البهي فقال ارتجالًا عند مسيره عنه:

أَمَّا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ ... هُوَ تَوْءَمِي لَوْ أَنَّ بَيْنًا يُولَدُ[٣٨١]
وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطِيعُهُ ... لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ[٣٨٢]
وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَهِيِّ نَقَلْنَنَا ... عَنْكُمْ فَأَرْدَأُ مَا رَكِبْتُ الْأَجْوَدُ[٣٨٣]
مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنَّنِي ... مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ[٣٨٤]

وقال يمدح الحسين بن علي الهمذاني:

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بُعْدُ ... فَيَا لَيْتَنِي بُعْدٌ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدُ[٣٨٥]
أُسَرُّ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرَ مَا مَضَى ... وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ[٣٨٦]
سُهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا ... رُقَادٌ وَقُلَّامٌ رَعَى سَرْبُكُمْ وَرْدُ[٣٨٧]
مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَأَنْ لَمْ تُفَارِقِي ... وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكِ الْوَعْدُ[٣٨٨]
وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِعِي ... وَيَعْبِقُ فِي ثَوْبَيَّ مِنْ رِيحِكِ النَّدُّ[٣٨٩]
إِذَا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا ... فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ[٣٩٠]
وَإِنْ عَشِقَتْ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ... وَإِنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ[٣٩١]
وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضًا ... وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا ... يَضِلُّ بِهَا الْهَادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ[٣٩٢]
وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصِّبَا ... يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ[٣٩٣]
سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مُزْنٍ سَقَتْكُمُ ... مُكَافَأَةً يَغْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَغْدُو[٣٩٤]
لِتَرْوَى كَمَا تُرْوِي بِلَادًا سَكَنْتَهَا ... وَيَنْبُتَ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ[٣٩٥]
بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ ... وَيَخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ[٣٩٦]
وَتُلْقِي وَمَا تَدْرِي الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ... لِكَثْرَةِ إِيمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو[٣٩٧]
ضَرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِي الْهَامِ فِي الْوَغَى ... خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللِّبْدُ[٣٩٨]

بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْأُسْدُ ٣٩٩
بِتَأْمِيلِهِ يَغْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنَّدِ يَنْقَدُّ ٤٠٠
وَسَيْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسُلُّهُ لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغِمْدُ ٤٠١
وَرُمْحِي لَأَنْتَ الرُّمْحُ لَا مَا تَبُلُّهُ نَجِيعًا وَلَوْلَا الْقَدْحُ لَمْ يُثْقِبِ الزَّنْدُ ٤٠٢
مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمُ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا ٤٠٣
فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ: شُكْرٌ عَلَى النَّدَى وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ ٤٠٤
صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو ٤٠٥
وَأَنْفُسُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارِ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفْدُ ٤٠٦
كَأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرٌ فَفِيهَا الْعِبِدَّى وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ ٤٠٧
أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَبِسَ الْعُلَا رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الْخَدُّ ٤٠٨
وَغَالَ فُضُولَ الدِّرْعِ مِنْ جَنَبَاتِهَا عَلَى بَدَنٍ قَدُّ الْقَنَاةِ لَهُ قَدُّ ٤٠٩
وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا وَكَانَ كَذَا آبَاؤُهُ وَهُمُ مُرْدُ ٤١٠
مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي مِنَ الْعُدْمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ ٤١١
حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا مَخَافَةَ سَيْرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ ٤١٢
وَشَهْوَةَ عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ ٤١٣
فَلَا زِلْتُ أَلْقَى الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِيَ الرِّفْدُ ٤١٤
وَعِنْدِي قِبَاطِيُّ الْهُمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمُ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ ٤١٥
يَرُومُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِي الْفَتَى فِيمَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ ٤١٦
فَهُمْ فِي جُمُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَأْيَةٍ وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ لَا يُحِسُّ بِهَا الْخُلْدُ ٤١٧
وَمِنِّي اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ ٤١٨
وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَاسْتَوَى الْحُرُّ وَالْعَبْدُ ٤١٩
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ وَفِي عُنُقِ الْحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ ٤٢٠

وساير أبا محمد بن طغج وهو لا يدري أين يريد؛ فلما دخل كفرديس قال:

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدْ كَالْغُمْضِ فِي الْجَفْنِ الْمُسَهَّدْ ٤٢١
مَعَجَتْ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُ مَعَ الْأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدْ ٤٢٢
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُخَلَّدْ

خَـضْـرَاءَ حَـمْـرَاءَ الـتُّـرَا ... بِ كَأَنَّـهَا فِـي خَـدِّ أَغْـيَدْ[٤٢٣]
أَحْـبَـبْـتُ تَـشْـبِـيـهًـا لَـهَـا ... فَوَجَدْتُـهُ مَا لَيْسَ يُوجَدْ[٤٢٤]
وَإِذَا رَجَـعْـتَ إِلَـى الْـحَـقَـا ... ئِـقِ فَـهْـيَ وَاحِـدَةٌ لِأَوْحَـدْ[٤٢٥]

وهمَّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال:

يَا مَنْ رَأَيْتَ الْحَلِيمَ وَغْدَا ... بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَا[٤٢٦]
مَالَ عَلَيَّ الشَّرَابُ جِدًّا ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى[٤٢٧]
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي ... عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَا[٤٢٨]

وأطلق أبو محمد الباشق على سماناة فأخذها فقال:

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَا ... وَفِي كُلِّ شَأْوٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَا؟[٤٢٩]
فَمَاذَا تَـرَكْتَ لِمَنْ لَـمْ يَسُدْ ... وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَا؟[٤٣٠]
كَأَنَّ السُّمَانَى إِذَا مَا رَأَتْكَ ... تَصَيَّدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَا[٤٣١]

واجتاز أبو محمد الجبال، فأثارت الغلمان خشفًا، فتلقفته الكلاب، فقال:

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدِ ... فَرْدٍ كَيَافُوخِ الْبَعِيرِ الْأَصْيَدِ[٤٣٢]
يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالْجَلْمَدِ ... فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعَقَّدِ[٤٣٣]
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ ... لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ[٤٣٤]
بِكُلِّ مَسْقِيِّ الدِّمَاءِ أَسْوَدِ ... مُعَاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ[٤٣٥]
بِكُلِّ نَابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ ... عَلَى حِفَافَيْ حَنَكٍ كَالْمِبْرَدِ[٤٣٦]
كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ ... يَقْتُلُ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي[٤٣٧]
يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْخِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ ... فَثَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِي[٤٣٨]
كَأَنَّهُ بَدْءُ عِذَارِ الْأَمْرَدِ ... فَلَمْ يَكَدْ إِلَّا لِحَتْفٍ يَهْتَدِي
وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنِ يَدِ ... وَلَمْ يَدَعْ لِلشَّاعِرِ الْمُجَوِّدِ[٤٣٩]
وَصْفًا لَهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَمْجَدِ ... الْمَلِكِ الْقَرْمِ أَبِي مُحَمَّدِ[٤٤٠]
الْقَانِصِ الْأَبْطَالَ بِالْمُهَنَّدِ ... ذِي النِّعَمِ الْغُرِّ الْبَوَادِي الْعُوَّدِ[٤٤١]

إِذَا أَرَدْتُ عَـدَّهَـا لَـمْ تُـعْـدَدِ   وَإِنْ ذَكَرْتُ فَضْلَهُ لَمْ يَنْفَدِ[٤٤٢]

وقال ارتجالًا يودعه:

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ   هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ[٤٤٣]
إِذَا السَّحَابُ زَفَتْهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعًا   فَلَا عَدَا الرَّمْلَةِ الْبَيْضَاءِ مِنْ بَلَدِ[٤٤٤]
وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنْزِلُهُ   إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تَعُدِ[٤٤٥]

ودخل على أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان يومًا فوجده على الشراب، وفي يده بطيخة من الند في غشاء من خيزران، عليها قلادة لؤلؤ، وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها، فحياه بها وقال: أي شيء تشبه هذه؟ فقال ارتجالًا:

وَبِنِيَّةٍ مِنْ خَيْزُرَانٍ ضُمِّنَتْ   بِطِّيخَةً نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدِ[٤٤٦]
نَظَمَ الْأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لُؤْلُؤٍ   كِفِعَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الْمَشْهَدِ[٤٤٧]
كَالْكَاسِ بَاشَرَهَا الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ   زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدِ[٤٤٨]

وقال فيها ارتجالًا أيضًا:

وَسَـوْدَاءَ مَـنْـظُـومٍ عَـلَـيْـهَـا لَآلِـئٌ   لَـهَـا صُـورَةُ الْـبِـطِّـيخِ وَهْـيَ مِـنَ الـنَّـدِّ
كَـأَنَّ بَـقَـايَـا عَـنْـبَـرٍ فَـوْقَ رَأْسِـهَـا   طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّعَرِ الْجَعْدِ[٤٤٩]

وعمل أبياتًا بديهًا، فتعجب أبو العشائر من سرعته، فقال:

أَتُنْكِرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بَدِيهًا   وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبْقَ الْجَوَادِ
أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْرًا   فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطِّرَادِ[٤٥٠]

وقال يمدح كافورًا سنة ست وأربعين وثلاثمائة:

أَوَدُّ مِـنَ الْأَيَّـامِ مَـا لَا تَـوَدُّهُ   وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ[٤٥١]
يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ   فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ[٤٥٢]

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ   فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ[٤٥٣]
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّرًا   تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ[٤٥٤]
رَعَى اللهُ عِيسًا فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا   مَهًا كُلُّهَا يُولِي بِجَفْنَيْهِ خَدَّهُ[٤٥٥]
بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ   وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ[٤٥٦]
إِذَا سَارَتِ الْأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ   تَفَاوَحَ مِسْكُ الْغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ[٤٥٧]
وَحَالٍ كَإِحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا   وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ[٤٥٨]
وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ   وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وُجْدُهُ[٤٥٩]
فَلَا يَنْحَلِلْ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ   فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عِقْدُهُ[٤٦٠]
وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ   إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ[٤٦١]
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ   وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ   وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ[٤٦٢]
وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيَّ مَا لَهُ   مَدًى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحُدُّهُ[٤٦٣]
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ   فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهُدُّهُ[٤٦٤]
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَهٍ   عَلِيقِي مَرَاعِيهِ وَزَادِيَ رُبْدُهُ[٤٦٥]
وَأَمْضَى سِلَاحٍ قَلَّدَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ   رَجَاءُ أَبِي الْمِسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ[٤٦٦]
هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ   وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ[٤٦٧]
أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ   لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ[٤٦٨]
فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ   وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ[٤٦٩]
نَجُرُّ الْقَنَا الْخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ   وَتَرْدِي بِنَا قُبُّ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ[٤٧٠]
وَنَمْتَحِنُ النُّشَّابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ   دَوِيُّ الْقِسِيِّ الْفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ[٤٧١]
فَإِلَّا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ   فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ النَّاسِ أُسْدُهُ[٤٧٢]
سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعِقْيَانُهُ الَّذِي   بِصُمِّ الْقَنَا لَا بِالْأَصَابِعِ نَقْدُهُ[٤٧٣]
بَلَاهَا حَوَالَيْهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ   وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطِّرَادِ وَجِدُّهُ[٤٧٤]
أَبُو الْمِسْكِ لَا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ   وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ[٤٧٥]
فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجِدِّ سَعْيُهُ   وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّعْيِ جَدُّهُ[٤٧٦]
تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتُ طِيبَهُ   وَمَا ضَرَّنِي لَمَّا رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ[٤٧٧]
لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ   لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ[٤٧٨]

أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ فَتَسْأَلَهُ وَاللَّيْلُ يُخْبِرُ بَرْدُهُ[٤٧٩]
وَلَيْتَكَ تَرْعَانِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أَنِّي مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ[٤٨٠]
وَأَنِّي إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشُدُّهُ[٤٨١]
وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لِي لَاحَ فَرْدُهُ[٤٨٢]
يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ: أَمَامَكَ رَبٌّ، رَبُّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ[٤٨٣]
وَأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ[٤٨٤]
فَزَارَكَ مِنِّي مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ وَفِي النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ[٤٨٥]
يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ[٤٨٦]
فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ[٤٨٧]
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ نَظِيرُ فِعَالِ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ[٤٨٨]
فَكُنْ فِي اصْطِنَاعِي مُحْسِنًا كَمُجَرِّبٍ يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ[٤٨٩]
إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَابْلُهُ فَإِمَّا تُنَفِّيهِ وَإِمَّا تَعُدُّهُ[٤٩٠]
وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ[٤٩١]
وَإِنَّكَ لَلْمَشْكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةُ رِفْدُهُ[٤٩٢]
فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُّهُ[٤٩٣]
وَإِنِّي لَفِي بَحْرٍ مِنَ الْخَيْرِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وَهْيَ مَدُّهُ[٤٩٤]
وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ[٤٩٥]
يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ[٤٩٦]
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ[٤٩٧]

واتصل قوم من الغلمان بابن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافور فطالبه بتسليمهم إليه، فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدَيدَةً مما سبب بينهما وحشة، وبعد أن تسلمهم كافور ألقاهم في النيل ثم اصطلحا، فقال:

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَّادِ[٤٩٨]
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيـ ـرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ[٤٩٩]
صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخِبُّونَ فِيهِ مِنْ عِتَابٍ زِيَادَةً فِي الْوِدَادِ[٥٠٠]
وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَحْـ ـبَابِ، سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ[٥٠١]

إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْ ... ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الْفُؤَادِ[٥٠٢]
وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُزِزْتَ بِمَا قِيـ ... ـلَ فَأُلْفِيْتَ أَوْثَقَ الْأَطْوَادِ[٥٠٣]
وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ ... كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ[٥٠٤]
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمُشِيرُ وَلَمْ يَجْـ ... ـهَدْ وَيُشْوِي الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ[٥٠٥]
نِلْتُ مَا لَا يُنَالُ بِالْبِيضِ وَالسُّمْـ ... ـرِ وَصُنْتُ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ[٥٠٦]
وَقَنَا الْخَطِّ فِي مَرَاكِزِهَا حَوْ ... لَكَ وَالْمُرْهِفَاتُ فِي الْأَغْمَادِ[٥٠٧]
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ ... سَاكِنًا أَنَّ رَأْيَهُ فِي الطِّرَادِ[٥٠٨]
فَفَدَى رَأْيَكَ الَّذِي لَمْ تُفَدْهُ ... كُلُّ رَأْيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ[٥٠٩]
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ ... لَمَ يُحَلِّمْ تَقَادُمُ الْمِيلَادِ[٥١٠]
فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يَا كَا ... فُورُ وَاقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ الْقِيَادِ[٥١١]
وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّا ... عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الْآسَادِ[٥١٢]
إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا ... طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ[٥١٣]
لَا عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرَّ ... وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ[٥١٤]
أَنْتُمَا — مَا اتَّفَقْتُمَا — الْجِسْمُ وَالرُّو ... حُ فَلَا احْتَجْتُمَا إِلَى الْعُوَّادِ[٥١٥]
وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنَابِيبِ خُلْفٌ ... وَقَعُ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصِّعَادِ[٥١٦]
أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا ... وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ[٥١٧]
وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيِّ بِالْبَصْـ ... ـرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ[٥١٨]
وَمُلُوكًا كَأَمْسِ فِي الْقُرْبِ مِنَّا ... وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِي الْبِعَادِ[٥١٩]
بِكُمَا بِتُّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْـ ... ـهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ[٥٢٠]
وَبِلُبَّيْكُمَا الْأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـ ... ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ[٥٢١]
أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشْقَى عَدُوٍّ ... بِالَّذِي تَذْخُرَانِهِ مِنْ عَتَادِ[٥٢٢]
هَلْ يَسُرَّنَّ بَاقِيًا بَعْدَ مَاضٍ ... مَا تَقُولُ الْعُدَاةُ فِي كُلِّ نَادِ[٥٢٣]
مَنَعَ الْوُدُّ وَالرَّعَايَةُ وَالسُّؤْ ... دُدُ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ[٥٢٤]
وَحُقُوقٌ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْـ ... ـبِ وَلَوْ ضُمِّنَتْ قُلُوبَ الْجَمَادِ[٥٢٥]
فَغَدَا الْمُلْكُ بَاهِرًا مَنْ رَآهُ ... شَاكِرًا مَا أَتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ[٥٢٦]
فِيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْحُلْـ ... ـوِ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ[٥٢٧]
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْ ... فَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي[٥٢٨]

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْـ ـسُ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي ازْدِيَادِ[٥٢٩]
يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنُهَا عَنْ أَذَاهَا بِفَتًى مَارِدٍ عَلَى الْمُرَّادِ[٥٣٠]
مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أَبِيٍّ عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ[٥٣١]
أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الْمِسْـ ـكِ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ[٥٣٢]
كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ ضَيِّقٍ عَنْ أَتِيِّهِ كُلُّ وَادِ[٥٣٣]

وقال يهجوه في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلاثمائة:[٥٣٤]

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ؟[٥٣٥]
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ فَلَيْتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَهَا بِيدُ[٥٣٦]
لَوْلَا الْعُلَا لَمْ تَجُبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ[٥٣٧]
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغِيدُ الْأَمَالِيدُ[٥٣٨]
لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبِدِي شَيْئًا تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ[٥٣٩]
يَا سَاقِيَيَّ أَخَمْرٌ فِي كُئُوسِكُمَا أَمْ فِي كُئُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ[٥٤٠]
أَصَخْرَةٌ أَنَا؟ مَا لِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ[٥٤١]
إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ[٥٤٢]
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ[٥٤٣]
أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ[٥٤٤]
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقِرَى وعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ[٥٤٥]
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمُ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ[٥٤٦]
مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمِ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ[٥٤٧]
مِنْ كُلِّ رَخْوٍ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ لَا فِي الرِّجَالِ وَلَا النِّسْوَانِ مَعْدُودُ[٥٤٨]
أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ[٥٤٩]
صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ[٥٥٠]
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ[٥٥١]
الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ[٥٥٢]
لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ[٥٥٣]

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ ... يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ[٥٥٤]
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا ... وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ[٥٥٥]
وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ ... تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ[٥٥٦]
جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي ... لِكَيْ يُقَالَ: عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ![٥٥٧]
إِنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ ... لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْئُودُ[٥٥٨]
وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيْلُمِّ قَابِلِهَا! ... لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ[٥٥٩]
وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ ... إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ[٥٦٠]
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ[٥٦١]
أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِي النَّخَّاسِ دَامِيَةً ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ[٥٦٢]
أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ ... فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ[٥٦٣]
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ ... عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ؟![٥٦٤]

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد، ويهنئه بعيد النيروز، ويصف سيفًا قلده إياه، وفرسًا حمله عليه، وجائزة وصله بها، وكان قد عاب قصيدته الرائية الآتية:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهْ ... وَوَرَتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهْ[٥٦٥]
هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْـ ... ـكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادُهْ[٥٦٦]
يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ ... نَاظِرٌ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرُقَادُهْ[٥٦٧]
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُرُورٍ ... ذَا الصَّبَاحُ الَّذِي نَرَى مِيلَادُهْ[٥٦٨]
عَظَّمَتْهُ مَمَالِكُ الْفُرْسِ حَتَّى ... كُلُّ أَيَّامِ عَامِهِ حُسَّادُهْ[٥٦٩]
مَا لَبِسْنَا فِيهِ الْأَكَالِيلَ حَتَّى ... لَبِسَتْهَا تِلَاعُهُ وَوِهَادُهْ[٥٧٠]
عِنْدَ مَنْ لَا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا ... سَانَ مُلْكًا بِهِ وَلَا أَوْلَادُهْ[٥٧١]
عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ، فَلْسَفِيٌّ ... رَأْيُهُ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهْ[٥٧٢]
كُلَّمَا قَالَ نَائِلٌ: أَنَا مِنْهُ ... سَرَفٌ، قَالَ آخَرٌ: ذَا اقْتِصَادُهْ[٥٧٣]
كَيْفَ يَرْتَدُّ مَنْكِبِي عَنْ سَمَاءٍ ... وَالنِّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نِجَادُهْ؟[٥٧٤]
قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ ... أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهْ[٥٧٥]
كُلَّمَا اسْتَلَّ ضَاحَكَتْهُ إِيَاةٌ ... تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرْآدُهْ[٥٧٦]

مَثَّلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـ ـدِ فَفِي مِثْلِ أَثْرِهِ إِغْمَادُهْ[٥٧٧]

مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَفَا ذَهَبًا يَحْـ ـمِلُ بَحْرًا فِرِنْدُهُ إِزْبَادُهْ[٥٧٨]

يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْـ ـلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادُهْ[٥٧٩]

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِي فَاسْتَجْمَعَتْ آحَادُهْ[٥٨٠]

وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِي نَدَاهُ جِلْدُهَا مُنْفِسَاتُهُ وَعَتَادُهْ[٥٨١]

فَرَّسَتْنَا سَوَابِقٌ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لِبْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهْ[٥٨٢]

وَرَجَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهْ[٥٨٣]

هَلْ لِعُذْرِي عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْفَضْـ ـلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهْ[٥٨٤]

أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتِ الْمُعِلِّهِ عُوَّادُهْ[٥٨٥]

مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عُلَاهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهْ[٥٨٦]

إِنَّنِي أَصْيَدُ الْبُزَاةِ وَلَكِنَّ أَجَلَّ النُّجُومِ لَا أَصْطَادُهْ[٥٨٧]

رُبَّ مَا لَا يُعَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْـ ـهُ وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفُؤَادُ اعْتِقَادُهْ[٥٨٨]

مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْـ ـلِ وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اعْتِيَادُهْ[٥٨٩]

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْرًا وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ[٥٩٠]

لِلنَّدَى الْغَلْبُ إِنَّهُ فَاضَ وَالشِّعْـ ـرُ عِمَادِي وَابْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهْ[٥٩١]

نَالَ ظَنِّي الْأُمُورَ إِلَّا كَرِيمًا لَيْسَ لِي نُطْقُهُ وَلَا فِي آدُهْ[٥٩٢]

ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادُهْ[٥٩٣]

غَمَرَتْنِي فَوَائِدٌ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أُفَادُهْ[٥٩٤]

مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهْ[٥٩٥]

خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طُرًّا فِي مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهْ[٥٩٦]

وَأَحَقَّ الْغُيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ فِي زَمَانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُهْ[٥٩٧]

مِثْلَمَا أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ فْي الْعَا لَمِ وَالْبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهْ[٥٩٨]

زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشِنْهُ سَوَادُهْ[٥٩٩]

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِي كَمَا أَهْـ ـدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهْ

وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْـ ـلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهْ[٦٠٠]

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَارًا كُلُّ مُهْرٍ مَيْدَانُهُ إِنْشَادُهْ[٦٠١]

عَدَدٌ عِشْتَهُ يَرَى الْجِسْمَ فِيهِ أَرَبًا لَا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهْ[٦٠٢]

فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرْبَطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهْ[٦٠٣]

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه، فقال ارتجالًا:

بِكُتْبِ الْأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ … فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدْ[٦٠٤]
يُعَبِّرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا … وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدْ[٦٠٥]
فَأَخْرَقَ رَائِيَهُ مَا رَأَى … وَأَبْرَقَ نَاقِدَهُ مَا انْتَقَدْ[٦٠٦]
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ … خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدْ[٦٠٧]
فَقُلْتُ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ: … كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدْ[٦٠٨]

وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره؛ فقال عند مسيره مودعًا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة:

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ … وَلَا خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ[٦٠٩]
وَلَا لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصُورَةٍ … أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعِقْدِ[٦١٠]
وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ … قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ[٦١١]
وَأَنْ لَا يَخُصَّ الْفَقْدُ شَيْئًا فَإِنَّنِي … فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي[٦١٢]
تَمَنٍّ يَلَذُّ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ … وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتِيلًا وَلَا يُجْدِي[٦١٣]
وَغَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا … وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ[٦١٤]
فَإِمَّا تَرَيْنِي لَا أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ … فَآفَةُ غِمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي[٦١٥]
يَحُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي … فَأَحْرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي[٦١٦]
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي … نَجَائِبُ لَا يُفْكِرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ[٦١٧]
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا … عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ[٦١٨]
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيمَةٌ … وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ[٦١٩]
إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ … أَجَازَ الْقَنَا، وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ[٦٢٠]
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي … تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنَ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ[٦٢١]
وَمَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ … يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأُسْدِ[٦٢٢]
يَمُرُّ مِنَ السُّمِّ الْوَحِيِّ بِعَاجِزٍ … وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ[٦٢٣]
كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ … فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى الرَّعْدِ[٦٢٤]
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ … كَرِعْنَ بِسِبْتٍ فِي إِنَاءٍ مِنَ الْوَرْدِ[٦٢٥]

كَـأَنَّـا أَرَادَتْ شُـكْـرَنَـا الْأَرْضُ عِـنْـدَهُ … فَلَمْ يُخْلِنَا جَوٌّ هَبَطْنَاهُ مِنْ رِفْدِ[٦٢٦]
لَنَا مَذْهَبُ الْعُبَّادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ … وَإِتْيَانِهِ نَبْغِي الرَّغَائِبَ بِالزُّهْدِ[٦٢٧]
رَجَوْنَا الَّذِي يَرْجُونَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ … بِأَرْجَانَ حَتَّى مَا يَئِسْنَا مِنَ الْخُلْدِ[٦٢٨]
تَـعَـرَّضُ لِـلـزُّوَّارِ أَعْـنَـاقُ خَـيْـلِـهِ … تَعَرُّضَ وَحْشٍ خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ[٦٢٩]
وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا الْمَنَايَا مُشِيحَةً … وُرُودَ قَطًا صُمٍّ تَشَايَحْنَ فِي وِرْدِ[٦٣٠]
وَتَنْسُبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نُفُوسَهَا … إِلَيْهِ وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ[٦٣١]
إِذَا الشُّرَفَاءُ الْبِيضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ … أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدِّ[٦٣٢]
فَتًى فَاتَتِ الْعَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ … فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ
وَخَالَفَهُمْ خَلْقًا وَخُلْقًا وَمَوْضِعًا … فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدِي[٦٣٣]
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى … بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ[٦٣٤]
إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ … كَتَائِبَ لَا يَرْدِي الصَّبَاحُ كَمَا تَرْدِي[٦٣٥]
وَمَبْثُوثَةً لَا تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ … وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغَوْرٍ وَلَا نَجْدِ[٦٣٦]
يَغُصْنَ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مُتَفَاقِدٍ … مِنَ الْكُثْرِ غَانٍ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ[٦٣٧]
حَثَتْ كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةً فِي غُبَارِهِ … فَهُنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبُرْدِ[٦٣٨]
فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ … فَهَذا، وَإِلَّا فَالْهُدَى ذَا فَمَا الْمَهْدِي؟[٦٣٩]
يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ … وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ[٦٤٠]
هَلِ الْخَيْرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالْخَيْرِ غَائِبٌ … أَمِ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ؟![٦٤١]
أَأَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ … وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كَبِدِ
وَأَحْسَنَ مُعْتَمٍّ جُلُوسًا وَرِكْبَةً … عَلَى الْمِنْبَرِ الْعَالِي أَوِ الْفَرَسِ النَّهْدِ[٦٤٢]
تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا … فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ[٦٤٣]
جَعَلْنَ وَدَاعِي وَاحِدًا لِثَلَاثَةٍ … جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبَرِّحِ وَالْمَجْدِ[٦٤٤]
وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي … يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِدْرَاكِهَا وَحْدِي[٦٤٥]
وَكُلُّ شَرِيكٍ فِي السُّرُورِ بِمُصْبَحِي … أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي[٦٤٦]
فَجُدْ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَإِنَّنِي … مُخَلِّفُ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِي[٦٤٧]
وَلَوْ فَارَقَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا … لَقُلْتُ: أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ[٦٤٨]

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وهشُوذان:

أَزَائِـرٌ يَـا خَـيَـالُ أَمْ عَـائِـدْ   أَمْ عِنْدَ مَوْلَاكَ أَنَّنِي رَاقِدْ ٦٤٩
لَيْسَ كَمَا ظَنَّ غَشْيَةٌ عَرَضَتْ   فَجِئْتَنِي فِي خِلَالِهَا قَاصِدْ ٦٥٠
عُدْ وَأَعِدْهَا فَحَبَّذَا تَلَفٌ   أَلْصَقَ ثَدْيِي بِثَدْيِكَ النَّاهِدْ ٦٥١
وَجُدْتَ فِيهِ بِمَا يَشِحُّ بِهِ   مِنَ الشَّتِيتِ الْمُؤَشَّرِ الْبَارِدْ ٦٥٢
إِذَا خَيَالَاتُهُ أَطَفْنَ بِنَا   أَضْحَكَهُ أَنَّنِي لَهَا حَامِدْ ٦٥٣
وَقَالَ: إِنْ كَانَ قَدْ قَضَى أَرَبًا   مِنَّا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدْ ٦٥٤
لَا أَجْحَدُ الْفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلَتْ   مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاعِدْ ٦٥٥
لَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا   كُلٌّ خَيَالٌ وِصَالُهُ نَافِدْ ٦٥٦
يَا طَفْلَةَ الْكَفِّ عَبْلَةَ السَّاعِدْ   عَلَى الْبَعِيرِ الْمُقَلَّدِ الْوَاخِدْ ٦٥٧
زِيدِي أَذَى مُهْجَتِي أَزِدْكِ هَوًى   فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدْ ٦٥٨
حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرْعَهَا الْوَارِدْ   فَاحْكِ نَوَاهَا لِجَفْنِيَ السَّاهِدْ ٦٥٩
طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا   وَطُلْتَ حَتَّى كِلَاكُمَا وَاحِدْ ٦٦٠
مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةً   كَأَنَّهَا الْعُمْيُ مَا لَهَا قَائِدْ ٦٦١
أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ   أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمِ وَاجِدْ ٦٦٢
إِنْ هَرَبُوا أُدْرِكُوا وَإِنْ وَقَفُوا   خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدْ ٦٦٣
فَهُمْ يُرَجُّونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ   مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدْ ٦٦٤
أَبْلَجَ لَوْ عَاذَتِ الْحَمَامُ بِهِ   مَا خَشِيَتْ رَامِيًا وَلَا صَائِدْ
أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَهْيَ تَذْكُرُهُ   مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلَا طَارِدْ ٦٦٥
تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبَرًا   عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدْ ٦٦٦
وَمُوضِعًا فِي فِتَانِ نَاجِيَةٍ   يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةَ الْعَاقِدْ ٦٦٧
يَا عَضُدًا رَبُّهُ بِهِ الْعَاضِدْ   وَسَارِيًا يَبْعَثُ الْقَطَا الْهَاجِدْ ٦٦٨
وَمُمْطِرَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مَعًا   وَأَنْتَ لَا بَارِقٌ وَلَا رَاعِدْ ٦٦٩
نِلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةِ وَهْشُو   ذَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدْ ٦٧٠
يَبْدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بِغَايَتِهِ   وَإِنَّمَا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدْ ٦٧١
مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ   فَذَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدْ
بِلَا سِلَاحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ   فَفَازَ بِالنَّصْرِ، وَانْثَنَى رَاشِدْ ٦٧٢

يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدْ[٦٧٣]
وَلَيْت يَوْمَيْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ وَلَمْ تَكُنْ دَانِيًا وَلَا شَاهِدْ[٦٧٤]
وَلَمْ يَغِبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدُّهُ الصَّاعِدْ[٦٧٥]
وَكُلُّ خَطِيَّةٍ مُثَقَّفَةٍ يَهُزُّهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدْ[٦٧٦]
سَوَافِكٌ مَا يَدَعْنَ فَاصِلَةً بَيْنَ طَرِيِّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدْ[٦٧٧]
إِذَا الْمَنَايَا بَدَتْ فَدَعْوَتُهَا أُبْدِلَ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدْ[٦٧٨]
إِذَا دَرَى الْحِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا خَرَّ لَهَا فِي أَسَاسِهِ سَاجِدْ[٦٧٩]
مَا كَانَتِ الطرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا إِلَّا بَعِيرًا أَضَلَّهُ نَاشِدْ[٦٨٠]
تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةً شَارِدْ[٦٨١]
تَسْتَوْحِشُ الْأَرْضُ أَنْ تَقِرَّ بِهِ فَكُلُّهَا مُنْكِرٌ لَهُ جَاحِدْ[٦٨٢]
فَلَا مُشَادٌ وَلَا مُشِيدٌ حَمَى وَلَا مَشِيدٌ أَغْنَى وَلَا شَائِدْ[٦٨٣]
فَاغْتَظْ بِقَوْمٍ وَهْشُوذَ مَا خُلِقُوا إِلَّا لِغَيْظِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدْ[٦٨٤]
رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوْكَ نَابِتَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدْ[٦٨٥]
وَخَلِّ زِيًّا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدْ[٦٨٦]
إِنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيُمْنُهُ عَامِدْ[٦٨٧]
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لَا يَرَى مَعَهُ بُشْرَى بِفَتْحٍ كَأَنَّهُ فَاقِدْ[٦٨٨]
وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدْ[٦٨٩]
وَمُتَّقٍ وَالسِّهَامُ مُرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدْ[٦٩٠]
فَلَا يُبَلْ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَائِمًا نَالَ ذَاكَ أَمْ قَاعِدْ[٦٩١]
لَيْتَ ثَنَائِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى مَنْ صِيغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدْ[٦٩٢]
لَوَيْتُهُ دُمْلُجًا عَلَى عَضُدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنُهَا لَهُ وَالِدْ[٦٩٣]

وقال في صباه:

وَشَادِنٍ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ سَيْفُ الصُّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ[٦٩٤]
مَا اهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ لِيَبْتُرَهُ إِلَّا اتَّقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلُّدِهِ[٦٩٥]
ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحِبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ[٦٩٦]
شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ[٦٩٧]

إِنْ يَقْبُحِ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ   فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ[٦٩٨]
قَالَتْ: عَنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْسًا، فَقُلْتُ لَهَا: لَا يَصْدُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ[٦٩٩]
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فَتًى   لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إِلَّا عِنْدَ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ   لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرَدِهِ[٧٠٠]

هوامش

(١) سدك الشيء بالشيء: لزمه، والعلة: المرض، والمورود: المحموم في لغة أهل اليمن، وقد وردته الحمى فهو مورود، قال ذو الرمة:

كَأَنَّنِي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودُ

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت، ويقال: أكل الرطب موردة؛ أي محمة، وقال أعرابي لآخر: ما أمار إفراق المورود؟ فقال: الرحضاء، ويروى بمولود. يقول: ما لزمت علة مورودًا أكرم من هذا الرجل.

(٢) أصدق المواعيد: الموت. يقول: إنه يأنف من موته على الفراش؛ لأنه شجاع أخو حروب، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ   لمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

(٣) القود: الطوال من الخيل. يقول: مثله في شجاعته وملابسته الحروب ينكر موته على غير السروج؛ أي في غير الحروب. يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو يحتضر: «ليس في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية، وها أنا ذا أموت موت الحمار، فلا نامت أعين الجبناء.»

(٤) يقول: مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدره في الحرب، وبعد ضربه رءوس الأبطال، وتعثر الرماح بصدره: إصابتها إياه، وجعله مطعونًا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح، وجعله ضاربًا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه، والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي، وكان الحسن يقول: نعوذ بالله من صناديد القدر؛ أي

من دواهيه ونوائبه العظام الغوالب، ومن جنون العمل؛ وهو الإعجاب، ومن ملخ الباطل، وهو التبختر فيه.

(٥) الغمر: الكثير، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب، والذمر: الشجاع، والرعديد: الجبان. يقول: وبعد خوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان.

(٦) صبر: جمع صبور. يقول: فإن صبرنا على فقده فإن الصبر عادة لنا، وإن بكينا لم يردده علينا البكاء، فلا نفع في البكاء ولا غناء، وإن شئت قلت: فغير مردود؛ أي لم يرد علينا البكاء؛ أي لا نعاب به؛ لاستحقاقه ذلك وشدة الفجيعة به.

(٧) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر، يقول: وإن جزعنا لموته فلا عجب؛ لأن مثل هذا الجزر لم يعهد في البحر؛ إذ المعهود في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب، ولكن لم يعهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويجف، والمعنى: قد تقع المصائب، ولكن لم تعهد مثل هذه المصيبة، وهذا كقول أعشى باهلة:

فَإِنْ جَزِعْنَا فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعَنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صُبرُ

أخذه أبو تمام فقال:

فَلَئِنْ صَبَرْتُ فَأَنْتَ كَوْكَبُ مَعْشَرٍ صَبَرُوا وَإِنْ تَجْزَعْ فَغَيْرُ مُفَنَّدِ

وأخذه الخريمي فقال:

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(٨) الزرافات: الجماعات، والمراد بالمواحيد: الأفراد، كأنه أخذها من مواحيد الجبال، وهي أكمات منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى، يقول: إن العطاء انقطع بموته، وانقطع ما كان يعطي الجماعات والأفراد من الهبات.

(٩) يقول: إن الذي يسلم من القوم المتحابين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم، لا ليخلد؛ لأنه يتبعهم، وإن تأخر أجله عن آجالهم.

(١٠) قال ابن جني: أحمد حاليه أن يبقى بعد صديقه، وذلك غير محمود لتعجل الحزن: فحالاه الموت والحياة؛ أي وإذا كانت الحياة — وهي أحمد حالي الزمان — غير

محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراحلين، فماذا ترجى من الزمان؟ وقال الواحدي؛ أي لا رجاء عند زمان أحمد حاليه البقاء وهو غير محمود؛ لأن معجله بلاء ومؤجله فناء، وإن شئت قلت: أحمد حاليه البقاء، ومن بقي شاب، والشيب مكروه مذموم. فيكون كما قال محمود الوراق:

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مُدَّ الْبَقَاءُ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسَهُ فِيهِ أَمَانِيهَا
أَبْقَى الْبَقَاءُ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغُلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَا فِيهَا

(١١) عجم العود: عضه ليعرف أصلب هو أم رخو؟ وعجمت عوده: بلوت أمره وخبرت حاله. قال:

أَبَى عُودُكَ الْمَعْجُومُ إِلَّا صَلَابَةً وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ

يقول: قد طالت صحبتي للزمان، وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوائبه.

(١٢) يقول: في من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهيني، ومن طول إلفتي للمحن ما نفى عني الجزع، وصيرني آنس بالمصائب، وعلى هذا يكون: وما آنسني عطفًا على ما قارع، ويجوز — كما قال العكبري — أن تكون ما — في وما آنسني — تعجبًا، وعبارة الواحدي: في ما يقارع الخطوب ويؤنسني بالمصائب العظام، وهو علمه بثواب المصابين كما قال ﷺ: «ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض ... لما يرون من ثواب أهل البلاء.» والذي آنسه بالمصائب رأيه الذي يريه المخرج منها ... والخطوب جمع خطب: الشدة تلقى الإنسان، والمصيبة إذا عظمت قيل: مصيبة سوداء.

(١٣) يقول: لما استغاثك وهو في أسر بني كلاب أغثته، واستنقذته من أيديهم، ولم تكن سيفًا مغمودًا عنه.

(١٤) يا أصيد الصيد، يا ملك الملوك، وأصل الصيد: داء يأخذ البعير في عنقه فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة، واستعمل في الملك والرجل العظيم صاحب النخوة، وأصيد أفعل وصف لا أفعل تفضيل والصيد جمعه، قال العكبري: وأصيد الصيد ها هنا بمعنى ملك الملوك، ولا يكون هنا أعظمهم صيدًا؛ لأن ذلك يفتح كما يفتح أعور العور أي أشدهم عورًا؛ لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفعل ولا ما أفعله.

(١٥) اللغاديد: لحمات بين الحنك وصفحة العنق، وأنشره: أحياه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ وقنا الخط: الرماح، والخط: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح، وجعل أسره قبل ذلك موتًا قبل هذه الموتة. يقول: لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجي إياه، فنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح في لغاديد الأعداء حتى استنقذته منهم.

(١٦) يقول: وأنشره سيرك ليلًا بجنودك لاستنقاذه، وقد سهروا خشية هجومك عليهم، فكأنك رميت عيونهم بالسهر، ورميت الليل بالجنود؛ إذ سرت فيه بجنودك، فقوله: ورميك، عطف على وقع القنا.

(١٧) الهاء — في رعالها — كناية عن الخيل، وإن لم تذكر، والرعال: جمع رعلة القطعة من الخيل، والضمير للجنود، والشزب: جمع شازب، وهو الضامر، والثبات: جمع ثبة، وهي الجماعة، والعباديد: الفرق، ولا واحد لها من لفظها. يقول: انصبت عليهم الخيل صباحًا زرافات ووحدانًا.

(١٨) انتقد الدراهم: قبضها، والأخاديد: جمع أخدود، وهو الشق في الأرض، كنى بما تحمل الأغماد عن السيوف؛ أي حملوا إليهم السيوف في الأغماد، وجعلوها فداءه؛ لأنهم استنقذوه بها، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضًا كما تقبض الدراهم والدنانير التي تدفع عادة في الفداء. يعني: إن فداء أبي وائل كان ضربًا أثر فيهم تأثير الأخدود في الأرض: أي نالتهم جراح واسعة كأنها الأخاديد.

(١٩) الفراش: عظام رقاق تلي قحف الرأس، والهام: الرءوس، والسيد: الذئب. يقول: إن هذا الضرب يقع في عظام رءوسهم، فتستنشق الذئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتي لأكل لحومهم.

(٢٠) يقول: إن الحياة التي وهبتها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها في بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التي أنعمت عليه بها، ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة، وشاكرًا: حال من ضمير أفنى، والتسويد: مصدر سوده أي جعله سيدًا.

(٢١) المنجود: المكروب، ويقال: استنجدني فأنجدته؛ أي استعان بي فأعنته، واستنجد الرجل أي قوي بعد ضعف أو مرض، ويقال للرجل إذا ضري بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته إياه: قد استنجد عليه، وكان المرثي قد أصابته جراحة في الحرب فبقي فيها إلى أن مات. يقول: أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة، مكروبًا لتلك الجراحة، وهو مع ذلك عون المكروب.

(٢٢) الحمام: الموت، والمصفود: المقيد. يقول: بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيرًا للموت، ومن قيد بالموت وصفد به لم يتخلص منه. هذا، وجملة قيده الحمام: مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو، وروي: قده الحمام، والقد: الغل والقيد، وروي: قده الحمام أي غدا الحمام قده.

(٢٣) يقول: من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عددك؛ لأن الفلوات تضيق بأتباعك، ومن معك من الجيوش، ومن — في قوله من عدد — زائدة، وعدد: مفعول ينقص، ومنه عليٌّ: مبتدأ وخبر صفة لعدد، وعلي هو سيف الدولة.

(٢٤) الضمير — في ظهرها — للبيد، وأرواحها: رياحها، والمراويد: الرياح تجيء وتذهب. قال ذو الرمة:

يَا دَارَ مَيَّةَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا عَلَمًا تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالْهُوجُ الْمَرَاوِيدُ

يقول: إن جيوشه تطلع على الفلوات، وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها. يريد أن جيوشه كثيرة فهي تعم البيد كما تعمها الرياح عند هبوبها، وهذا على حد قوله:

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَهٍ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٢٥) أراد بأول حرف من اسمه: العين؛ لأن اسمه علي، والسنبك: طرف الحافر، والجلاميد: الصخور. يقول: إن حوافر الخيل لشدة وقعها على الصخور كانت تطبع فيها أثرًا يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه.

(٢٦) يقول: مهما عزاه معز بهذا الميت، فلا عزاء بجوده وشجاعته؛ أي لا فقدهما، فالفتى: فاعل يعز، والأمير: منصوب بوقوع العزاء عليه، وتقديره: مهما يعز معز الأمير، والضمير في به: للميت، وروي — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى، والفتى: نائب فاعل يعز المبني لما لم يُسمَّ فاعله.

(٢٧) يقول: أمنيتنا أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم، قال ابن جني: وهذا دعاء حسن، كما يقال للمعزي: جعلك الله وارث الجماعة، وهو أجود في المعنى من قولهم: لا أعاد الله إليك مصيبة أبدًا.

(٢٨) الخود: المرأة الناعمة الحسنة الخلق. يقول: إن اللواتي يعذلن هذه المرأة — التي هي صاحبة الخال على خدها — في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها علي؛ لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد.

(٢٩) يرد؛ أي الضجيع، والطيف: الخيال في النوم. يقول: إنني أعف عنها مع كوني قادرًا على ترك العفاف، وقد صار ذلك سجية لي حتى صرت أعف عن طيفها أيضًا إذا زارني في نومي. يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء، كما قال هدبة:

وَإِنِّي لَأُخْلِي لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا ... وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ

قال ابن جني: لو قدر على أن يقول موضع قادر: يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة، ولكنه لم يقدر. قال أبو الفضل العروضي: هذا النقد — نقد ابن جني — غير جيد، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر: لم يزد على معنى واحد، وهو الكف في حالة النوم واليقظة، وإذا قال قادر: زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة، ولو أن رجلًا ترك المحارم من غير قدرة لم يأثم ولم يؤجر، وإذا تركها مع القدرة صار مأجورًا. قال: والعجب من أبي الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطئ، ثم يتكلف النقد، وقال في قوله وهو راقد: إن الراقد قادر أيضًا أن يتحرك في نومه ويصيح، وليس هذا بشيء، ولم يقله أحد، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء، فإن شاء فعل وإن شاء ترك، والنائم لا يوصف بهذا ولا المغشي عليه، ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مريد، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم، ولكنه يقول لشدة ما ثبت في طبعي وغريزتي صرت في النوم كالجاري على عادتي.

(٣٠) اللاعج: المحرق، يقال: هوى لاعج، لحرقة الفؤاد من الحب، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجًا: استحر في القلب، ولعجه الضرب: آلمه وأحرق جلده، قال عبد مناف بن ربع الهذلي:

مَاذَا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا ... لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا
إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ... ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلِدَا

يغير: ينفع؛ أي لا يغني بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئًا، والسبت: جلود البقر المدبوغة، واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره. والحشا: ما اضطمت عليه الضلوع، وقوله في قربه: حال من فاعل متباعد. يقول: متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بعفافه؟ وعبارة ابن جني: يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت؟

(٣١) تتصباك: تدعوك إلى الصبوة، والخرائد: الحييات. ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان ما دام يخشى العار في الخلوة بهن. يقول: إذا كنت في الخلوة بهن تنأى عنهن وتعف، فما لك ولعشق الحسان والنزاع إليهن؟

(٣٢) ألح عليه: لازمه، ويقال: ألح عليه بالمسألة، وألح الرجل على غريمه في التقاضي إذا واظب، وسحاب ملحاح: دائم، وألح السحاب بالمكان: أقام به مثل ألث، وألحت الناقة وألح الجمل: إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس، وكله من اللزوق، والعوائد: جمع عائدة، وهي التي تعود المريض. يقول: لازمني السقم فلا يفارقني حتى لقد ألفته، وقد ملني طبيبي وعوائدي لشدة ما بي من السقم.

(٣٣) يقال: فرس جواد للذكر والأنثى، والحمحمة: دون الصهيل، كالتنحنح، وشجاه يشجوه: إذا أحزنه، وأشجاه إذا غصه، والمعاهد جمع معهد، وهو الموضع الذي عهدت به شيئًا، وتسمى ديار الأحبة: معاهد. يقول: مررت على دار الحبيب فحمحمت جوادي حنينًا إليها لأنها عرفتها. ثم استفهم متعجبًا، فقال: وهل الديار تشجي العجماوات كما تشجي الإنسان؟! وقد أخذ أبو الحسن التهامي هذا وزاد عليه، فقال:

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

ثم زاد السري الرفاء على هذا فقال:

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامُهَا

(٣٤) ما: استفهام إنكاري، والفرس الدهماء: السوداء، والضريب: اللبن الخاثر يحلب من عدة لقاح، والشول: النياق التي بعد عهدها بالنتاج فجف لبنها، والوليدة: الجارية التي تخدم. نفى التعجب ورجع عنه. يقول: كيف تنكر الفرس الدهماء رسم منزل أقامت به تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفته؟ وقال الواحدي: «ما» ها هنا نفي.

(٣٥) عن كونه؛ أي عن حصوله. يقول: أريد الأمر الخطير، وأحاول فعله والليالي تدافعني عنه، وتحول بيني وبينه، فكأنها بذلك تطاردني عن الوصول إليه، وأنا أطاردها عن حيلولتها بيني وبينه.

(٣٦) وحيد: خبر مبتدأ محذوف؛ أي أَنا وحيد، ويروى وحيدًا — على أنه حال من ضمير أهم — يقول: إن مطلوبي عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدني على ما أطلب، لأن

المطلوب إذا كان عظيمًا قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كرغيف ورغفان.

(٣٧) الغمرة: الشدة، والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها، وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار — وهو قوله لها منها عليها — ما قد يعاب به، ولها: خبر مقدم عن شواهد، والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد، ومنها: حال.

(٣٨) المراود: جمع مرود، وهو حديدة تدور في اللجام، من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح — للين مفاصلها — تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها — إذا لوى عنانها لدى الطعان — بمسمار المرود يدور مع حلقته كيفما أديرت، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفْتَ بِهِ عَلَى مَوْرُودِهِ لِتُدِيرَهُ فَكَأَنَّهُ بِرْكَارُ

(البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر — البرجل.)

وهنا قال الواحدي: أخطأ القاضي — يريد القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني — في هذا البيت، وزعم أن هذا من المقلوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود، وعنده أن المرود مثل المكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالميل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الميل في العين، وهذا فاسد؛ لأنه يخص المفاصل، وليس كل الطعن في المفاصل؛ لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالميل في الجفن فلا حاجة إلى تثنيها.

(٣٩) اللبات: أعالي الصدور، ومحللة القلائد؛ أي مواضع القلائد من الأعناق. يقول: إنه يخوض الحرب فتنال الرماح من صدور خيله وأعناقها، ولا تنال من أعجازها؛ لأنه لا يهرب منها.

(٤٠) يقول: وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر واردها حيًّا ما لم يكن جلدًا شجاعًا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني: من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعًا جلدًا، هلك. هذا، والواو في والمهند: واو الحال، والمهند: السيف الهندي، أو السيف المشحوذ.

(٤١) يقول: إن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب: لم تقو بقوة الساعد، وقوله: على حالة، صلة يحمل.

(٤٢) يقول: إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر، والقصائد له؛ لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعرًا، ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم، وإذن: فهو الشاعر في الحقيقة، أما غيره فهو شاعر بانتحال شعره، وعبارة الواحدي: يريد كثرة من يرى من الشعراء المدعين، وأن له التحقيق باسم الشاعر؛ لأنه هو الذي يأتي بالقصائد لا هم. قال ابن جني: لو قال: فكم منهم الدعوى ومني القصائد؛ لكان أحسن وأشد مبالغة، لأنها تدل على كثرة فعلهم.

(٤٣) في هذا البيت من البديع حسن التخلص. يقول: إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف، فكل منهما منقطع النظير — وإن كان له أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق:

وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَسْمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى كَثِيرًا وَلَكِنْ فُرِّقُوا فِي الْخَلَائِقِ

(٤٤) انتضى السيف: سله وجرَّده. يقول. إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضى وتغمد، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه، وما آثره الله به من الشجاعة والأنفة، ويغمده ما تعوده من العفو والإحسان. هذا، وكما يقال: انتضى السيف. يقال: نضاه أيضًا، ونضا الخضاب: ذهب لونه ونصل، ونضوت البلاد: قطعتها. قال تأبط شرًّا:

وَلَكِنَّنِي أَرْوِي مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِي وَأَنْضُو الفَلا بِالشَّاحِبِ الْمُتشَلْشِلِ

(يعني بالمتشلشل: الرجل المتخدد القليل اللحم الخفيف، والشاحب — على هذا — يريد به الصاحب، وقيل: يريد به السيف. قال الأصمعي: هو سيف يقطر منه الدم، والشاحب: الذي أخلق جفنه.)

(٤٥) يقول: لما رأيت الناس دونه في المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لهم يعطي كلًّا على قدر ما يستحقه، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر؛ لأن الدهر يرفع من لا يستحق، ويحط من يستحق، فهو على العكس مما قال المتنبي.

(٤٦) الطلى: الأعناق، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق، يقول: إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة؛ من كان ضاربًا للأعناق — أي شجاعًا — وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب، وعبارة بعض الشراح: لا يستحق أن يحمل سيفًا إلا من يضرب به الأعناق: وقوله وبالأمن: يروى

وبالأمر؛ أي يتولى أمور الناس، أو بمنصب الإمارة. هذا، وقد أسلفنا أن الطلى: الأعناق، وقيل: أصول الأعناق. الواحدة طلية، ويقال: الطلاة أيضًا، وأطلى الرجل والبعير إطلاء فهو مطلٍ: مالت عنقه للموت أو لغيره قال:

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا   فَقُلْتُ لَهَا وَقَعْتِ عَلَى الْخَبِيرِ
تَرَكْتُ أَبَاكِ قَدْ أَطْلَى وَمَالَتْ   عَلَيْهِ الْقُشْعانُ مِنَ النُّسُورِ

وفي الحديث: «ما أطلى نبي قط.» أي ما مال إلى هواه، وأصله من ميل الطلا أي الأعناق إلى أحد الشقين، والطلاء: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب تسمي الخمر: الطلاء. يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بعينها، وفي الحديث: «سيشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها.» يريد أنهم يشربون النبيذ المسكر المطبوخ، ويسمونه طلاء تحرجًا من أن يسموه خمرًا، والطلاء: القطران، وكل ما طليت به، والطلا: الولد من ذوات الظلف والخف، والجمع أطلاء.

(٤٧) يقول: إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم، وشقاؤها إنما هو بهذا؛ أي بكونك تضرب الطلى ولا تكترث لغمرات الحروب، ومع هذا فهم كلهم معترفون بمجدك، ولا يجحدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام.

(٤٨) شن الغارة: صبها عليهم وفرقها من كل وجه، والفرنجة: قرية بأقصى بلاد الروم. يقول: صببت الغارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعًا حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفًا وإن كان بعيدًا عنك.

(٤٩) يقول: إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مخلقة — أي مطلية بالخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض، وإن لم يسجدوا حقيقة. فقوله: مخضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف، ومن نصبه جعله حالًا من الضمير في تركتها، والقوم صرعى: يروى والخيل صرعى، وصرعى: جمع صريع؛ أي طريح، ومساجد: خبر كأن، والجملة المعترضة: حال.

(٥٠) يقول: تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة، وتأتي عليهم بكيدك: يعني أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح، ولك أن تقول: والسابقات جبالهم؛ أي إنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأنها الجبال يستعصمون بها فتتنكسهم عنها، وعبارة الواحدي: تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين، ونكسه: قلبه، والسابقات: الخيول.

(٥١) الهبر: تقطيع اللحم، والكدى: جمع كدية، وهي الأرض الصلبة، وأصلها في البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها. فيقال: أكدى أي انقطع، قال تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ قيل أي وقطع القليل، وقيل: أمسك عن العطية وقطع، قالوا: وأصله من الحفر في البئر، يقال للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر: قد بلغ إلى الكدية، وعند ذلك يقطع الحفر، والأساود: الحيات العظيمة: يقول: وتمعن في تقطيعهم بالسيوف، وقد اكتمنوا تحت الصخور وفي المغاور والكهوف كما تكمن الحيات في التراب.

(٥٢) المشمخرات: المرتفعات، والذرى: أعالي الجبال. يقول: وتضحى الحصون العالية الشامخة في رءوس الجبال، وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق، وروى ابن جني: القلائد — بالتعريف.

(٥٣) اللقان وهنريط: من بلاد الروم، وآمد: بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر. يقول: عصفت بهم خيلك، وأتت عليهم هلاكًا يوم أغرت عليهم بهذا المكان، وساقتهم أسارى حتى ابيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجواري والغلمان، فالضمير في عصفن للخيل، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان.

(٥٤) الصفصات وسابور: حصنان منيعان للروم، وانهوى: هوى وسقط. يقول: وألحقن — أي الخيل — أحد الحصنين بالآخر في التخريب حتى سقط مثله، وهلك أهل الحصنين وحجارتهما؛ لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رمادًا، فجعل ذلك هلاكًا، وقوله: وانهوى. قال الواحدي: هو غريب في القياس؛ لأن انفعل إنما يبنى مما الثلاثي منه متعدٍّ، وهذا غير متعدٍّ، وفي الفصيح من الكلام: هوى، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

(٥٥) غلس: سار غلسًا؛ أي آخر الليل، وبهن؛ أي بالخيل، والمشيع: الجريء المقدام، وما تحت اللثامين: الوجه، واللثام: ما يكون على الوجه، والتلثم عادة العرب في أسفارها، وعنى باللثام الثاني: ما يرسله على الوجه من حلق المغفر، ومبارك الوجه عابد لله، هو سيف الدولة.

(٥٦) يقول: إنه يتمنى أن تكون البلاد أوسع مما هي والزمان أطول؛ لأن الأوقات تضيق بما يريد، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمته وجيوشه؛ وهذا كقوله الآتي:

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ ... مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا
فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ ... أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جني: يشتهي طول البلاد والزمان؛ ليظهر ما عنده من الفضل والكمال، وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده؛ أي تضيق عن همته.

(٥٧) أغب فلان القوم وغب عنهم: إذا جاءهم يومًا وغاب عنهم يومًا، وسيحان: نهير ببلاد الروم، وهو غير سيحون. يقول: هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجمدت أنهارهم؛ لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم.

(٥٨) الظبا — جمع ظبة — حد السيف، واللمى: سمرة في الشفة تستملح، ونهد الثدي: ارتفع. يقول: إنه عصف بالروم وأتى عليهم حتى لم يبقَ منهم إلا النساء، فقد حماها المعنى النسوي من حد السيف، وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال:

فَمَا أَبْقَيْت إِلَّا مُخْطَفَاتٍ حَمَى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهُودُ

(الإخطاف: الضمور.)

(٥٩) البطاريق: قواد الروم، يقول: إنه أسر بنات البطاريق فهم يبكون عليهن ليلًا، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن، وبكَّاه: بمعنى بكاه، والتشديد للمبالغة.

(٦٠) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لِشَيءٍ مُحييًا حَتَّى تُلَاقِيهِ لآخَرَ قَاتِلَا

وهو معنى قديم، ولكن المتنبي صاغه أبدع صياغة وأوجز.

(٦١) مومُوق: محبوب، والمقة: المحبة، وفيهم: صلة موموق، وعلى: بمعنى مع، والشاكد: المعطي، شكده يشكده ويشكده شكدًا: أعطاه أو منحه، والإقدام: الشجاعة. يقول: أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيهم شيئًا، وذلك من شرف الشجاعة؛ لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله.

(٦٢) يقول: ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك بيدك، وأن القلب الذي تخيفه يحمدك إعجابًا بشجاعتك، كما يقول القائل:

فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٦٣) يقول: إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم؛ لأنه لا خفاء بهما، بيد أنه إنما يسلك طريقهما من قادته نفسه إليهما، وكان مطبوعًا عليهما. يعني: أنك أنت مجبول عليهما، ومن ثم تقودك نفسك إليهما.

(٦٤) قال الواحدي: هذا من أحسن ما مُدح به ملك، وهو مديح موجه — أي ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال: نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لو عشته؛ لكانت الدنيا مهنأة ببقائك فيها خالدًا، وهذا هو الوجه الثاني في المدح؛ أنه جعله جمالًا للدنيا تهنأ الدنيا ببقائه فيها، ولو قال: ما لو عشته لبقيت خالدًا؛ لم يكن المدح موجهًا، وقال الربعي: المدح في هذا من وجوه؛ أحدهما: أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال. الثاني: أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم خلد في الدنيا. الثالث: أنه جعل خلوده صلاحًا لأهل الدنيا بقوله لهنئت الدنيا. الرابع: أن قتلاه لم يكن ظالمًا في قتلهم؛ لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه، فلذلك قال: لهنئت الدنيا؛ أي أهل الدنيا، وقال ابن جني: لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان.

(٦٥) يقول: أنت للملك بمنزلة السيف، ولكن الضارب بك هو الله، وأنت للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها.

(٦٦) أبو الهيجاء: كنية عبد الله بن حمدان، والد سيف الدولة، والهيجاء: الحرب تمد وتقصر. يقول: يا ابن أبي الهيجاء أنت أبوالهيجاء. يريد قوة الشبه بينهما، حتى كأنه هو، وذلك قوله:

تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ

(٦٧) هؤلاء آباء سيف الدولة. يقول: أنت تشبه أباك، وأبوك يشبه أباه، وأبوه أباه ... إلخ؛ أي إن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسائر محاسنه، وقد عاب الصاحب هذا البيت قال: لم نزل نستحسن جمع الأسامي في الشعر، كقول الشاعر:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ بِقُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

واحتذى هذا الفاضل حذوهم فقال: وأنت أبو الهيجا ... البيتين، وهذا من الحكمة التي ذخر أرسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح. قال ابن فورجه: أما سبك البيت

فأحسن سبك؛ يريد أنت تشبه أباك، وأبوك كان يشبه أباه، وأبوه أباه. فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه، وأبوك أبوه … إلى آخر الآباء، فليت شعري: ما الذي استقبحه؟ فإن استقبح قوله: وحمدان حمدون: فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ، بل والمعنى، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا، وهكذا آباؤه؟ وبعد، فللعلامة العكبري هنا كلمة لمناسبة ترك المتنبي صرف حمدون نثبتها هنا — حسبما شرطنا على أنفسنا في هذا الشرح — قال العكبري الكوفي: ترك صرف حمدون وحارث ضرورة، وهو جائز عندنا، غير جائز عند بعض البصريين، ووافقنا الأخفش وابن برهان والفارسي، وحجتنا: إجماعنا على جواز صرف ما لا ينصرف في الشعر ضرورة؛ فلذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر، وقد جاء كثيرًا في أشعارهم. قال الأخطل:

طَلَبَ الْأَزَارِقُ بِالْكَتَائِبِ إِذْ هَوَتْ … بِشَبِيبَ غَائِلَةُ النُّفُوسِ غَدُورُ

(من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج، وبين شبيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب: يعود على سفيان المذكور، والأزارق: مفعول، وغائلة: فاعل هوت، وغدور: بدل من غائلة.) فترك صرف شبيب، وهو منصرف، وقال حسان بن ثابت — رضي الله تعالى عنه:

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ وَشَدُّوا أَزْرَهُ … بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الْأَبْطَالِ

(تواكل الأبطال؛ أي تخاذلهم واتكالهم على غيرهم.) فلم يصرف حنينًا، وهو مصروف، وقال الفرزدق:

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخَ قَصِيدَةً … بِهَا جَرَبٌ عُدَّتْ عَلَيَّ بِزَوْبَرَا

(يروى هذا البيت لابن أحمر، هكذا:

وَإِنْ قَالَ عَاوٍ مِنْ مَعَدٍّ قَصِيدَةٍ

ويقال أخذ الشيء بزوبره؛ أي بجميعه فلم يدع منه شيئًا، فهو يقول: نسبت إلي بكمالها ولم أقلها، وقيل بزوبرا؛ أي كذبًا وزورًا.) فترك صرف زوبر وهو منصرف، وقال الآخر:

وَإلي ابْنِ أُمِّ أُنَاسَ أَرْحَلُ نَاقَتِي   عَمْرٍو فَتُبْلِغُ حَاجَتِي أَوْ تُزْحِفُ

(بعده:

مَلِكٍ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ   عَرَفُوا مَوَارِدَ مُزْبِدٍ لَا يُنْزَفُ

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيبويه، وشارح شواهده الإمام الشنتمري الأندلسي، وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبي خازم، وأخطأ النساخ فورد في اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة، وورد في سيبويه أناس — بالتنوين — وهو خطأ، وعمرو: بدل من ابن أم أناس، وملك: بدل من عمرو، وتزحف: يقال: أزحف البعير؛ أعيا فجر فرسنه — ما قابل الحافر — يمدح عمرو بن هند الملك، وأم أناس بعض جداته، والموارد: مناهل الماء الموردة. شبه بها عطاياه، وجعله كالبحر المزبد لكثرة جوده، ومعنى ينزف: يستنفد ماؤه.)

وعمرو هو ابن حجر الكندي، فترك صرف أناس، وهو منصرف، وأم أناس هي بنت ذهل بن شيبان، وقال الآخر:

أُؤَمِّلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يومِي   بِأَوَّلَ أَوْ بِأَهْوَنَ أَوْ جُبَارِ
أَوِ الثَّانِي دُبَارَ فَإِنْ يَفُتْنِي   فَمُؤْنِسَ أَوْ عَرُوبَةَ أَوِ شِيَارِ

فترك صرف مؤنس ودبار، وهما مصروفان، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية؛ أول: الأحد، وأهون: الإثنين، وجبار: الثلاثاء، ودبار: الأربعاء، ومؤنس: الخميس، وعروبة: الجمعة، وشيار: السبت، وقول الآخر:

قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِثَابِت شَاخِصًا   عَارِي الْأَشَاجِعِ نَاحِلًا كَالْمنْصُلِ

(الأشاجع: مفاصل الأصابع، واحدها أشجع، وعاري الأشاجع: أي خفيف اللحم، وقيل: الأشاجع رءوس الأصابع: وقيل: عصبها، والمنصل: السيف.)

فترك: صرف ثابت، وهو مصروف، وقول العباس بن مرداس السلمي:

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ   يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

(من أبيات لابن مرداس. يعاتب سيدنا رسول الله ﷺ إذ أعطى رجالًا من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطاه، ومنهم عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس: (راجع سيرة ابن هشام ج٤ ص١٤٠ التجارية، والخزانة ج١ ص١٤٥ ط السلفية).)

وبهذه الرواية جاء في الصحيحين، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه، وقول الآخر:

وَقَائِلَةٍ مَا بَالُ دَوْسَرَ بَعْدَنَا   صَحَا قَلْبُهُ عَنْ آلِ لَيْلَى وَعَنْ هِنْدِ

فترك صرف دوسر، وشواهدنا كثيرة، وأما القياس فإذا جاز حذف الواو المتحركة للضرورة كبيت الكتاب:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ   لِمَنْ جَمَلٌ رَخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبُ

(قال الإمام الشنتمري شارح شواهد سيبويه: يصف الشاعر بعيرًا ضل عن صاحبه فيئس منه وجعل يبيع رحله، فبينا هو كذلك سمع مناديًا يبشر به، إنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن، والملاط: ما ولي العضد من الجنب، ويقال للعضدين: ابنا ملاط، ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافي عضديه عن كركرته صدره أو زوره، وأبعد له من أن يصيبه ناكت أو ماسح أو ضبب، وهذه كلها آفات وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته. ومعنى يشري: يبيع، وهو من الأضداد.)

فجواز حذف التنوين للضرورة أولى، والواو من هو متحركة، والتنوين ساكن، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك، ولهذا الذي ذكرناه، وصحته، وافقنا أبو علي وأبو القاسم بن برهان، ولم ينكره أبو بكر بن السراج، وحجة البصريين أن الأصل في الأسماء: الصرف. فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف.

(٦٨) الزوائد من الأسنان: التي تنبت خلف الأضراس. يقول: إن هؤلاء الذين ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب، تمتنع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد، لا حاجة للخلافة بهم.

(٦٩) السهى: نجم خفي من بنات نعش الصغرى، ومنه المثل — أريها السهى وتريني القمر — والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما. جعله بين الملوك كالشمس والبدر، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية؛ يقول: إني أميل إليك بهواي وإن لامني في ذلك من لا يبلغ منزلتك، وعبارة ابن جني: جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السهى والفرقدين.

(٧٠) الباهر: البارع قال ذو الرمة:

وَقَدْ بَهَرْتَ فَلَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَهٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا

(تقدم أنه من أبيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هبيرة، وقبله:

مَا زِلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانُ مِنْ مُضَرَا

«وروي: حتى بهرت.»)

وعيش بارد: رغد هنيء، يقول: إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك لا لطيب العيش عندك؛ إذ إن العيش قد يطيب عند غيرك، ولكن لا يظهر فضله ظهور فضلك فلا يستحق الحب، وعبارة ابن جني: محبتي لك لفضلك لا للخير الذي أصيبه عندك.

(٧١) الجهل: الحمق. قال العكبري: يريد: أنا أحبك بعقل فينتفع بي، وغيري يحبك بجهل فلا ينتفع به … ثم قال: ولو قال المتنبي بالعلم صالح، لكان أمدح وأحسن في صناعة الشعر؛ لأن الجهل ضد العلم، والعقل ضد الحمق.

(٧٢) يقول: كل امرئ يعمل بعادته، وما تعوده وتربَّى عليه لا يتكلفه، وعادة هذا الممدوح أن يغزو أعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمحه، جعله سيفًا ووصفه بالطعن، فكأنه جعله سيفًا ورمحًا.

(٧٣) وأن يكذب: عطف على الطعن — في البيت السابق. ويمسي: عطف على يكذب وسكَّن الياء ضرورة. والإرجاف: توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس. يقول: وعادته أن يُكذب إرجافَ عِدَاته عنه بضد إرجافهم؛ فهم يرجفون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وفلَجه. وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك

سبب ظفره بهم؛ إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان. ويروى بدل «تنوي» تحوي: أي إنه أملك لما في أيديهم منهم؛ لأنه متى أراد احتواه.

(٧٤) ضره: مصدر، وهو مفعول مريد. يقول: ورب عدو أراد أن يضره فضر نفسه بتحرشه به، وقاد إليه الجيشَ بنية الإيقاع به، فكان الجيشُ غنيمةً له، فكأنه أهدى إليه هدية وضلَّ بذلك عن القصد. فقوله: أهدى: من الهدية. وما هدى: من الهداية. وعبارة العكبري: رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه، ورب هاد: أي قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأضله بقصده له، فصار مهديًّا إليه — من الهدية — لأنه يغنم الجيش فيكون غنيمة له، فيكون الهادي مضلًّا ومهديًّا إليه ليغنمه.

(٧٥) يقول: ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده فآمن وأتى بكلمة الشهادة؛ إما خوفًا منه، وإما ظنًّا بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه.

(٧٦) يقول: إنه نفَّاع ضرَّار، فمن جاءه مسالمًا ظفر بإحسانه، ومن جاء مغاضبًا عرض نفسه للتهلكة، مثله في ذلك مثل البحر؛ إذا سكن البحر أمكن ركوبه والغوص على ما فيه من الجواهر، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه. وعبارة الخطيب التبريزي: لا تأته وهو غضبان.

(٧٧) يقال: عثر الدهر بفلان: نكبه. يقول: إن البحر يعثر براكبه؛ أي: يهلكه، عن غير قصد وعمد، أما الممدوح فإنه يهلك أعداءه متعمدًا. وهذا المعنى قريب من قوله في إحدى قوافيه السابقة:

وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا؟

وقال ابن جني: المعنى: ليس إغناء البحر مَن يغنيه عن قصد، وهذا يغني من يغنيه عن تعمد. قال: و«يعثر»، قد يأتي في الخير والشر، فرد عليه الواحدي وقال: فيه خطأ من وجهين؛ لأن العرب لا تقول: عثر الدهر بفلان إلا إذا أصابه بنكبة. ومعنى يعثر بالفتى: يهلكه من غير قصد؛ لأن العثر بالشيء لا يكون عن قصد، فهو يقول: البحر يغرق عن غير قصد، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد. وليس يمكن أن تحمل عثرة البحر بالفتى على إغنائه.

(٧٨) يقول: من تمرد عليه وفارقه من الملوك هلك، ومن سالمه منهم خضع له وسجد؛ لأنه سيدهم.

(٧٩) الصوارم: السيوف. والقنا: الرماح. والجدا — مقصورًا: العطاء. يقول: إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مالَ الأعداء ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة. وهذا كما قال أبو تمام:

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

(٨٠) التظني: أصله التظنن، قبلت النون الثانية ياء، ومعناه: الظن. وطليعة الجيش: الربيئة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو؛ والضمير — في قوله: ما ترى غدًا — للعين. يقول: إنه من الذكاء والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنُّه الشيءَ قبل أن تراه عينه، كالطليعة تتقدم أمام الجيش؛ ثم أوضح فقال: يرى قلبه في يومه بظنه ما تراه عينه غدًا. وهذا من قول أوس بن حجر:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وعبارة ابن جني: هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئًا رآه بعينه لا محالة.

(٨١) يقول: إنه يصل بخيله إلى الغايات البعيدة التي يتعذر الوصول إليها حتى لو كان قرن الشمس — وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها — ماء لبلغه وأورده خيله، شجاعة وإقدامًا. وهذا مبالغة.

(٨٢) لذلك: أي لأجل ما قلته في البيت السابق، ويومه: أي اليوم الذي أسر فيه، والضمير في سماه: إلى اليوم. يقول: لكون سيف الدولة على ما وصفت من الشجاعة والإقدام، وما إليهما لم ينثنِ حتى أدرك الدمستق وابنه، ففر الدمستق جريحًا وأخذ ابنه أسيرًا، ومن ثم سمَّى الابنُ ذلك اليومَ مماتًا؛ لأنه وقد أُسر يئس فيه من الحياة، وسمَّى أبوه هذا اليومَ مولدًا؛ لأنه نجا فيه من أظفار المنية فصار كيوم ولدته أمه. والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتًا للابن حياة للأب.

(٨٣) جيحان: نهر ببلاد الروم. وآمد: بلد بالثغور. يقول: بلغت جيحان من آمد في ثلاث ليال — وهي مسافة بعيدة لا تقطع في مثل هذه المدة. وبذلك أدناك الركض من جيحان — على بعده من محل قيامك — وأبعدك عن آمد — على قرب عهدك بمغادرتها. وعبارة ابن جني: أدناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد، قال الواحدي ناقدًا: وهذا — أي: كلام ابن جني — لا يفيد معنًى؛ لأن كل من سار، هذا وصفه، ولكنه يريد: وصلت

إلى جيحان بسيرك ثلاثًا من أرض آمد، وهذه مسافة لا يقطعها أحد يسير في ثلاثة أيام، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد.

(٨٤) يقول: فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك؛ ولم يك ذلك إعطاءً منه يبتغي أن تحمده عليه؛ لأنه إنما تركهم قهرًا وعجزًا.

(٨٥) عرضت: ظهرت واعترضت. والطرْف: العين. وقوله: منك تجريد. يقول: لما رآك كنت قيد عينه لعظمك في نفسه فشغلتها بتوقيع بطشك فلم يرَ حوله سواك وحُلت بذلك بينه وبين الحياة، فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس؛ لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورًا مجردًا عليه.

(٨٦) الأسنة: نصال الرماح. وقسطنطين: هو ابن الدمستق. يقول: إن لم تكن لتطلب غير الدمستق، ولكن ابنه كان فداءً له؛ لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه، فانتهز الدمستق ذلك ونجا بنفسه.

(٨٧) المسوح: ثياب تنسج من الشَّعر. ويجتابها: يقطعها ويدخل فيها. والدلاص: الدرع البراقة الصافية. والمسرد: المنظوم المنسوج بعضه في بعض. يقول: إنه ترك الحرب خوفًا منك، وترهَّب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع.

(٨٨) العكاز: عصا في طرفها زج، يقول: وصار يمشي في دير الرهبان على العكاز تائبًا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الخيل السراع — لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الخيل — بعد أن يئس ونال منه الهم. والأجرد: القصير الشعر.

(٨٩) غادر: ترك. والكر: عطف القِرن على قِرنه في الحرب. والنقع: غبار الحوافر. يقول: إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كرُّ الفرسان — في الطعن والضرب — وجهَه جريحًا، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش، يعني أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء.

(٩٠) الأملاك: الملوك. يقول: إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحدًا واحدًا. «هذا» وقوله: وموحدًا — بفتح الحاء — هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين.

(٩١) بعدها: أي بعد فعلة الدمستق. ويروى بعده، فيكون الضمير له. يقول: لو كان ينجي من علي ترهبٌ لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحًا يترهب فيها فينجو منه.

(٩٢) سمى: أي ذكر اسم الله، يعني عند ذبح الضحايا. يقول: ليهنك العيد الذي أنت عيده؛ أي تحل فيه محل العيد في القلوب — إذ إن العيد مما يبتهج به الناس، فكذلك هذا العيد يبتهج بك، كما قال:

جَاءَ نَوْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ

ثم قال:

وَأَنْتَ عِيدُ لِمَن سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَ

أي أنت عيد لكل مسلم. هذا، وقد قال ابن جني: ارتفع العيد بفعل محذوف، وأصله: ثبت العيد هنيئًا لك، فحذف الفعل وأقام الحال مقامه، فرفعت العيد كما يرفعه الفعل. وهذا هو الصحيح، وانتصب هنيئًا عند قوم على مذهب قولهم: ثبت لك هنيئًا، وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر. كأنه قيل: هنأك هنيئًا، وربما وضعوا اسم الفاعل في هذا الموضع، كما روي عن بعض نساء العرب وهي ترقص ابنًا لها:

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمَا   لَقِيتَ عَبْدًا نَائِمَا
وَعُشَرَاءَ رَائِمَا   وَأَمَةً مُرَاغِمَا

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وعبد مراغم مضطرب على مواليه. تريد: قم قيامًا.]

(٩٣) اللبس: ما يلبس، استعارة للأعياد، فأجراها مجرى الملبوسات. يقول: لا زلت تلبس الأعياد المتكررة عليك في الدهر، فإذا مضى عيد أتاك عيد بعده جديد، فصار الماضي خلقًا والقادم جديدًا. هذا، والأعياد جمع عيد. قال الجوهري: إنما جمع أعياد بالياء للزومها في الواحد. وقيل: للفرق بين أعواد الخشب وبينه؛ وسمي العيد عيدًا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد، وعيَّد المسلمون: شهدوا عيدهم. والعيد: ما اعتادك من هم أو شوق أو فرح ونحوه. قال الشاعر:

وَالْقَلْبُ يَعْتَادُهُ مِنْ حُبِّهَا عِيدُ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك:

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودَا   إِذَا أَقُولُ: صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا
كَأَنَّنِي يَوْمَ أُمْسِي مَا تُكَلِّمُنِي   ذُو بُغْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانِ ذِي بَقَرٍ   أَهْدَى لَهَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا

(قوله: يعتاده عيدًا، فعيدًا في موضع الحال، تقديره: يعتاده السكر عائدًا، ففي قوله: يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله: صحا، وقوله: شبه العينين والجيدا، أراد: وشبه الجيد، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.)

(٩٤) وبديع قول أبي تمام في هذا المعنى:

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ   كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمَعُ

قال ابن جني في شرحه هذا البيت — بيت المتنبي: في البيت نظر، وهو أنه خص العيد وحده — دون الأيام — بما ذكر من الشرف وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها كذلك؛ لأن جميعها مشتمل عليه، ثم قال: والجواب أن العيد قد اجتمع فيه أمران: أحدهما — وهو الأظهر — اشتماله على سيف الدولة، والآخر كونه عيدًا؛ فصار له مزية على غيره مما ليس بعيد. قال العكبري بعد أن أورد كلام ابن جني هذا: ويجوز أن يقال: إنما جعله في الشرف كيوم النحر؛ لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ قيل: هو يوم النحر. ومنه الأثر أن يهوديًّا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو علينا معشر اليهود نزلت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لاتخذناه عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت وفي أي ساعة نزلت؛ يوم النحر، وهو عندنا من أشرف الأيام. فلهذا خص المتنبي هذا اليوم بالشرف في الأيام كشرفه — أي الممدوح — في الورى.

(٩٥) هو: ضمير الشأن. والجَد: الحظ والبخت. يقول: إن الجَد له فعله حتى في المتساويين، مثل العين والعين واليوم واليوم، فترى العينين تتفاضلان فتصح إحداهما وتسقم الأخرى، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة، وترى اليوم يسود اليوم، وكلاهما ضوء شمس. يعني: أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة، ولكن الجَد مازه من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور. وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

وَإِذَا تَـأَمَّـلْـتَ الْـبِـلَادَ رَأَيْـتَـهَـا   تَثْرِي كَمَا تَثْرِي الرِّجَالُ وَتُعْدِمُ
حَـظٌّ تَـعَـاوَرَهُ الْـبِقَـاعُ لِوَقْـتِـهِ   وَادٍ بِـهِ صِـفْـرٌ وَآخَـرُ مُـفْـعَـمُ

[ثرا الرجل يَثري فهو ثَرٍ، وأثرى يُثري فهو مُثْرٍ.]

(٩٦) الدائل: صاحب الدولة. أخرجه مخرج تامر ولَابِن، يريد به الخليفة وشفرتا السيف. حدَّاه، يقول: أما يخشى الخليفة — وقد تقلدك سيفًا له — أن تكون سيفًا عليه، فلا يأمن جانبك؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذي خفي سببه. وقال ابن القطاع: صحف هذا البيت فروي دائل — بالدال المهملة — من الدولة، ولا معنى للدولة فيه، والصحيح بالذال المعجمة؛ وهو: الرجل المتقلد سيفه المتبختر في مشيته. والذائل: السيف الطويل أيضًا، وكذلك الفرس الطويل الذنب؛ فإن كان قصيرًا وذنبه طويل قيل: ذيال الذنب. والذائل: الدرع الطويلة. قال النابغة:

وَكُلُّ صَموتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ   وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلِ

(الصموت: الدرع التي إذا صبت لم يسمع لها صوت. والنثلة: الدرع السابغة. أو الواسعة. وتبعية: نسبة إلى تبع — أحد ملوك اليمن. وقوله: ونسج سليم؛ يعنى: سليمان بن داود عليهما السلام. والقضاء من الدروع: التي فرغ من عملها وأحكمت.)

والذائل: الطويل من كل شيء

(٩٧) الضرغام: الأسد. يقول: من اتخذ الأسد بازًا يصيد به أتى عليه الأسد فصاده، وقد ضرب هذا مثلًا للمعنى السابق. يعني أنك فوق من تضاف إليه. وفي هذا المعنى يقول دعبل:

فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلِّبُهُ   لِصَيْدِهِ فَغَدَا يَصْطَادُ كَلَّابَهُ

ومن هذا الباب البيت المشهور:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ   فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

(استد: استقام. قال الأصمعي: اشتد — بالشين المعجمة — ليس بشيء؛ قال ابن بري: رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده:

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي　　　وَشُلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ)

هذا: وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جني: يصيره الضرغام. قال ابن جني: قلت له — أي للمتنبي: جعلت من شرطًا صريحًا، فهلا جعلتها بمنزلة الذي ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لا تركب الضرورة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الآية. فقال: هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط؛ لأنه أبلغ وأردت الفاء — في يصيره — ثم حذفتها … والذي قاله جائز، والوجه الذي قلت له أولى. وسيبويه يرى في هذا التقديم والتأخير، فتقديره على مذهبه: يصير الضرغام من يجعله بازًا فيما تصيده؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله:

يَا أَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ　　　إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

والتقدير: أنك تصرع إن يصرع أخوك. انتهى كلام ابن جني؛ وقال العكبري: وأما قول المتنبي: أردت الفاء ثم حذفتها، فجائز حسن قد جاء في الكلام الفصيح ومنه الحديث: قال سعد بن مالك: مرضت عام الفتح فعادني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: إن لي مالًا وليس لي من يرثني إلا ابنة لي فأتصدق بنصف مالي؟ قال: لا، فقلت: فالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس.

التقدير: فهو خير، فحذف الفاء.

(٩٨) المهند: السيف، يقول: رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز ولا تقصير، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم.

(٩٩) الحر: الكريم، ضد اللئيم. والكاف — من قوله: كالعفو — اسم بمنزلة مثل فاعل قتل. ومن لك بالحر؛ أي من تكفل لك به ونحوه. واليد: النعمة. ويحفظ: يروى يعرف؛ أي يقدر العفو عنه. يقول: إن العفو عن الكرام قتل لهم، فمن صفح عن حر استرقه الصفح. فيذل له وينقاد، كما قال بعضهم:

غَلَّ يَدًا مُطْلِقُهَا وَاسْتَرَقَّ رَقَبَةً مُعْتِقُهَا

ثم قال: ومن يتكفَّل لك بالكريم الذي يحفظ النعمة ويراعي حقها؟

(١٠٠) هذا البيت تأكيد لما سبقه. يقول: إن الكريم يقدِّر الإكرام حق قدره، فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوًّا وجرأة عليك.

(١٠١) بالعلا: متعلق بمضر. يقول: ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق، فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل هذا أضر بعلاه وهدم أركان دولته.

(١٠٢) المحتد: الأصل. والمنصوبات — في البيت — تمييز. يقول: أنت أعرف بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان؛ لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة، كما أنك فوقهم بالحال إذ كنت أميرًا، وبالنفس إذ كنت أعلاهم همة، وبالأصل إذ كنت من أصل شريف.

(١٠٣) بدا: ظهر. يقول: إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهي تتناول ما ظهر لها منه، فتجول فيه، وتترك ما خفي منه لرأيك؛ لأنه لا تصل إليه، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة. وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والأنسب بما تقدم هذا البيت من الأبيات؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا، وصرفوا النظر عن الأبيات التي تقدمت، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه. قال بعضهم: إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها، ويتركون ما خفي. وقال آخرون: إن المقتدين بسيف الدولة في المكارم، يأخذون ويتركون ما خفي. أقول: ولو أراد ذلك لما أتى بالأفكار، ولقال: يدق على الكرام. وقال ابن جني: هذا البيت مثل قول عمار الكلابي:

مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحًا لَكُمْ فُخُذُوا مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا

قال ابن فورجه: عمار الكلابي محدث لحنة، وقد أدرك زماننا، وهو رجل بدوي أميٌّ لحَّانة، وهذا البيت من أبيات أولها:

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا

إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْرًا يَكُونُ لَهَا مَعْنًى خِلَافَ الَّذِي قَاسُوهُ أَوْ ذَرَعُوا

قَالُوا: لَحَنْتَ وَهَذَا لَيْسَ مُنْتَصِبًا ... وَذَاكَ خَفْضٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ مِنْ حُمُقٍ ... وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمُ ... وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بِالْإِيجَازِ تَنْقَطِعُ:
مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحًا لَكُمْ فَخُذُوا ... مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غُذُوا ... بِمَا غُذِيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَجْتَمِعُ
فَيَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفُوهُ بِهِ ... حَتَّى كَأَنِّي وَهُمْ فِي لَفْظِهِ شَرَعُ
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى إِعْرَابِهِمْ طُبِعُوا
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايَنَةً ... وَبَيْنَ قَوْمٍ حَكَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا
إِنِّي غُذِيتُ بِأَرْضٍ لَا تُشَبُّ بِهَا ... نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبِيَعُ

فقد نقله أبو الطيب إلى المدح، وأقام دقة صنيعه في اقتناء المكارم مقام دقة معنى الشعر، وأقول: وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت.

(١٠٤) الكبت: الإذلال. يقول: أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسدًا ونجم لي حساد يحسدونني ويقصدونني بالسوء، فاكفني شرهم بإذلالهم ورد كيدهم في نحورهم، وإعراضك عنهم، ومعنى المصراع الثاني من قول أبي الجويرية العبدي:

فَمَا زِلْتَ تُعْطِينِي وَمَا لِيَ حَاسِدٌ ... مِنَ النَّاسِ حَتَّى صِرْتُ أُرْجَى وَأُحْسَدُ

وقال بعده أبو نواس:

دَعْنِي أُكَثِّرْ حَاسِدِيَّ بِرِحْلَةٍ ... إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ

وقال البحتري:

وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي ... عَلَيَّ فَأَضْحَى نَازِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا

(١٠٥) فيهم: متعلق برأيك. والهام: الرءوس. يقول: إذا قوَّى ساعدي حسن رأيك فيهم بأن آنست منك إعراضًا عنهم، كان ذلك خذلانًا أي خذلان لهم، فلو ضربتهم إذ ذاك بسيفي وهو في غمده لقطع وأصمى. وروي بدل فيهم: في يدي، وبدل بسيف: بنصل،

فيكون المعنى: أنك إذا كنت حسنَ الرأي فيَّ، فما أبالي بالحساد، والقليل من إنكارك عليهم يكفيني؛ وهذا من قول أبي تمام:

يَسُوءُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهْوَ مُغْمَدٌ وَيَفْضَحُ مَنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مُغْمَدِ

(١٠٦) السمهري: الرمح. ومعروضًا؛ أي محمولًا بالعرض، وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن. ومسددًا: موجهًا إلى المطعون. يقول: أنا زين لك في السلم. أمدحك وأشيد بذكرك، وشجًى لا ينتزع في حلوق أعدائك، أذود عنك وأنافح بلساني وأكيد أعداءك بقوارع لساني. فأنا لك كالرمح: إن حملته بالعرض كان زينًا لك، وإن حملته مسددًا راع أعداءك.

(١٠٧) جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يُتقلَّد بها، يقول: إن الدهر من رواة شعري؛ لأن الناس جميعًا يروونه ويتناشدونه في كل وقت، فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعري، ويروى بدل قلائدي: قصائدي.

(١٠٨) يقول: إن شعري يُنشِّط الكسلان إذا سمعه، فيسير على سماع شعري مجدًّا مشيحًا، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب وغنَّى به مغردًا، والمراد أن شعره سار في الآفاق حتى لم يبقَ من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر. والتغريد: رفع الصوت للتطريب. أو تقول: إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته، فسيره في الآفاق من لا يريم مكانه، وغنى به من لا عادة له بالغناء لشدة طربه به واهتزازه.

(١٠٩) يقول: إذا أنشدك شاعر شعرًا فاجعل جائزته لي؛ لأن الذي أُنشدتَ إنما هو شعري أتاك به المادحون يرددونه عليك. يعني أنهم يسلخون معاني أشعاري فيك، ويأخذون ألفاظي فيأتون بها إليك. كما قال بشار:

إِذَا أَنْشَدَ حَمَّادٌ فَقُلْ: أَحْسَنَ بَشَّارُ

وقال أبو هفان:

إِذَا أَنْشَدَكُمْ شِعْرًا فَقُولُوا: أَحْسَنَ النَّاسُ

وقال أبو تمام في غير هذا المعنى:

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

هذا، والجائزة العطية، ويقال: أصل الجوائز أن قطن بن عبد عوف من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر، فمر به الأحنف في جيشه غازيًا إلى خراسان فوقف لهم على قنطرة. فقال: أجيزوهم، فجعل ينسب الرجل، فيعطيه على قدر حسبه.

قال الشاعر:

فِدًى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هِلَالٍ عَلَى عِلَّاتِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
هُمُ سَنُّوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدٍّ فَصَارَتْ سُنَّةً أُخْرَى اللَّيَالِي

وقال بعض أهل اللغة: أصل ذلك أن أميرًا واقف عدوًا بينهما نهر، فقال: من جاز هذا النهر فله كذا، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة. وقيل: إنما سميت جائزة؛ لأنها تجوز لصاحبها، من قولك: هذا يجوز وهذا يمتنع.

(١١٠) الصدى: الصوت الذي يجيبك من الجبل وغيره، كأنه يحكي قولك وصياحك، وهذا مثل. يقول: لا تحفل بشعر غير شعري، فإن شعري هو الأصل، وغيري كالصدى له.

(١١١) السرى: سير الليل. والعسجد: الذهب. يقول: لقد أثريت بما توالى علي من نعمائك، حتى لو شئت لاتخذت لخيلي نعال الذهب، ومن ثَمَّ تركت السير إليك لغيري من المعوزين المقترين؛ ليسيروا إليك كما سرت، ويحظوا كما حظيت.

(١١٢) في ذراك: في كنفك. يقول: إنما أقمت عندك حبًّا لك؛ لأنك قيدتني بإحسانك. وهذا كما قال أبو تمام:

وَتَرْكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِبَاطًا يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ الوُرُودِ

وقال أيضًا:

هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَغْلُولَةٌ إِنَّ الْوَفَاءَ إِسَارُهَا

(١١٣) يقول: إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيدًا عنه، وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك، وعبارة الواحدي: الدهر يحيل عليك، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك، ومن هذا قول أبي تمام:

شَكَوْتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ حَالِي　　فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

(١١٤) ما — من قوله: فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذي، مبتدأ وخبره: يد — في آخر البيت — وأذى: خبر كان. يقول: غادرتكم فإذا جفاؤكم الذي كنت أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده. وعبارة ابن جني — ونقلها الواحدي: الأذى بعثني على مفارقتكم، فصار الأذى يدًا لأنه كان سببًا للفرقة. ثم قال المتنبي: إذا تذكرت الحال التي كانت بيننا فتشوقت إليكم ذكرت ذلك الجفاء فأعان قلبي على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم. هذا هو ما ذهب إليه ابن جني والواحدي، ولكن الإمام العروضي قال: إن هذا غلط، وإنما معنى البيت الأول: ما كنت أحسبه عندكم أذًى كان إحسانًا إلى جنب ما ألقاه من غيركم، وذلك كما قال الآخر:

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ　　وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلْمِ

ثم قال: إذا تذكرت ما بيني وبينكم من صفاء المودة أعانني ذلك على مقاومة الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة.

(١١٥) سباه: أسره بحبه. والأغيد: الناعم المتثني لينًا؛ والمراد: الحبيبة. وذَكَّر على معنى الشخص. والخرد: جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمسس، أو الحيية. لما دعا للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال: أبعد شيء فارقك جواري هذه الدار الناعمات الأبكار، فقوله: أهلًا، منصوب بمضمر، والتقدير: جعل الله أهلًا بتلك الدار؛ أي جعلها عامرة بالأهل، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا؛ لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل، كقول جرير:

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌّ رَبَابُهُ　　وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبُّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ

(الجون: السحاب الأسود. والرباب: ما كان دون السحاب. ومستهل: منهل.)

«أي من أجل حب من حل بالرمل.» وقوله أَبْعَد: روي أَبَعْدَ — على أنه استفهام —

ويكون المعنى: أَبَعْدَما بان عنك خردها ولم يزودك عند رحيلها زادًا تدعو لها؟ وروي أبعدَ — بالنصب — على أنه حال من الأغيد، والعامل في الحال: سباك. يريد سباك أَبْعَدَ ما بان عنك؛ أي إنه أسرك بحبه، وهو على البعد منك. قال الواحدي: والرواية الصحيحة أبعدُ ما بان. أقول: وهي التي أثبتناها في هذا الديوان.

(١١٦) ظلت: أصله ظللت، فحذفت إحدى اللامين تخفيفًا. وخلب الكبد: غشاؤها. ويدها: مبتدأ، والخبر: الظرف المقدم عليه، والجملة: نعت آخر لكبد. وقال العُكبري: يدها ارتفعت بنضيجة، إذ إنها تعمل عمل الفعل، كما تقول: مررت بامرأة كريمة جاريتها. ثم قال: وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الكبد؛ لأنها دام وضعها على الكبد، فأنضجتها بما فيها من الحرارة، فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد. والعرب تسمي الشيء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه، كما قالوا لِفناء الدار: العذرة (العذرة: الغائط، قال اللغويون: إنما سمي فِناء الدار عذرة؛ لأنها كانت تلقى بأفنية الدار.) وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون. يقول: ظللتَ بتلك الدار تنثني على كبدك التي أنضجتها حرارة الوجد واضعًا يدك فوقها، والمحزون يفعل ذلك كثيرًا لما يجد في كبده من حرارة الوجد، كأنه يخاف أن تنشق، كما قال الحماسي:

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

(للصمة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها:

حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشِعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا ... وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدِّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا
بِنَفْسِيَ تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا! ... وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا ... وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا
بَكَتْ عَيْنِيَ الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا ... عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
تَلَفَتُّ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لِيتًا وَأَخْدَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ... ... [البيت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ ... إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

الشعب: الحي. والبشر: جبل. وأعرض: أبدى عرضه وجانبه. وبنات الشوق: نوازعه. ونزعا: جمع نازع؛ أي مشتاق. والليت: صفحة العنق. والأخدع: عرق فيها.)
وقال الآخر:

لَمَاًّ رَأَوْهُمْ لَمْ يَحُسُّوا مُدْرِكًا وَضَعُوا أَنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ

(١١٧) العير: الإبل التي تحمل عليها الميرة، ويروى عيسها؛ وهي: كرام الإبل. وقوله: قبيل أفقدها، أراد: قبيل أن أفقدها، فلما حذف أن عاد الفعل إلى الرفع كبيت الكتاب؛ كتاب سيبويه:

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضُر الْوَغَى

(صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته، وعجزه:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

وبعده:

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

[يقول طرفة: يا من يلومني على حضور الحرب لئلا أقتل، وعلى أن أنفق مالي في اللذات، ما أنت مخلدي إن نزلت على حكمك، وإذن دعني أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالي ... يعني أن الموت لا بد منه، فلا معنى للبخل وترك اللذاتٍ].)
وقوله وأحسبني ... إلخ: جملة اعتراضية. دعا الحاديين ثم ترك ما دعاهما له فذكره في البيت التالي، وأتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة. قال العكبري: نادى الحاديين، وحذف ما ناداهما له وذكره فيما بعد البيت، وهذا مما يسمى الاعتراض: اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته، ولو كان كلامًا ليس من قصته وشأنه فسد، وإذا كان منه كان جائزًا. كقول الآخر:

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلِ

(من أبيات قال ابن الأعرابي في «أوراقه» إنها لرجل من بني دارم أسرته بنو عجل، فلما أنشدهم إياها أطلقوه وقبله:

وقـائـلـة مـا بـالـهُ لا يَـزُورُنـا وقد كُنتُ عن تِلكَ الزيارَةِ في شُغلِ

وبعده:

لـعـلـهـم أن يُـمْـطِـرُونـي بِـنـعْـمـةٍ كما صابَ ماءُ المزْنِ في البلدِ المَحلِ
فقد يُنْعِشُ اللهُ الفتى بعد عَثرَةٍ وَتَصْطَنعُ الْحُسْنَى سرَاةُ بني عِجلِ)

ففصل بين الفعل والفاعل بما هو من قصته؛ لأن إدراك الأسنة من جملة الحوادث.

(١١٨) يقول للحاديين اللذين يحدوان عيرها أو عيسها: احبساها عليَّ قليلًا لأنظر إليها وأتزوَّد منها نظرة فلا شيء أقل منها. وقريب من هذا المعنى قول ذي الرمة:

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجُ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

(قبله:

أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا

أَلِمَّا: انزلا. ووحشًا: موحشًا. والمقيل: النوم في الظهيرة. والمعرج: التعريج؛ وهو الإقامة. وقليلها: مبتدأ. ونافع: خبره. والمعنى ظاهر.)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن «لا» بمنزلة ليس، كبيت الكتاب:

مَنْ فَرَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحُ

(من أبيات لسعد بن مالك — شاعر جاهلي من شعراء الحماسة — وأول الأبيات:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاحُوا

وبعده:

وَالْــحَــرْبُ لَا يَــبْــقَــى لِــجَــا
حِــمِــهَــا الــتَّــخَــيُّــلُ وَالْــمْــزَاحُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَاحُ

يا بؤس للحرب — يقول: يا بؤس الحرب. ومعنى وضعت أراهط: حطتهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب، فاستراحوا من مكابدتها كالنساء. وقوله: فأنا ابن قيس؛ أي أنا المشهور في النجدة لما سمعت. والبراح: مصدر برح الشيء براحًا؛ إذا زال من مكانه. والجاحم: المكان الشديد الحر. والتخيل: التكبر، من الخيلاء. يقول: إنها تزيل نخوة المنخو؛ وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخيلاء ويختال المتشبع، فإذا جرب فلم يُحمَد افتضح وسقط. والمراح — بكسر الميم: النشاط.)

يريد: ليس عندي براح.

(١١٩) عنى بالمحب نفسه. والجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن. والجحيم: النار العظيمة الشديدة التوقد، وكل نار توقد على نار: جحيم، وجحمت النار: اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها، ومكان جاحم: شديد. قال الأعشى:

يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَأْسِ وَالْمَوْتُ جَاحِمُ

يقول: إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم.

(١٢٠) اللِّمة من الشعر: ما ألم بالمنكب وجاوز شحمة الأذن، ويسمى الشعر القليل في الرأس: وفرة، فإذا كثر عن ذلك قيل: جُمَّة، فإذا ألم بالمنكب قيل: لمة، والفرق: حيث يفرق الشعر من الرأس. والدمقس: الحرير الأبيض. وأسودها: مسودها. يقول: لعظم ما ألَمَّ به من هجر الحبيب ابيضَّ شعره حتى صار ما كان أسود من لمته أبيض.

(١٢١) الخرعوبة: الشابة اللينة الطرية. وقوله: يكاد، يريد: قرب من ذلك، وكاد: فعل وضع لمقاربة الفعل، وإثباته نفى في المعنى، فأراد: قرب من ذلك ولم يفعل. قال اللغويون: كدت أفعل معناه عند العرب: قاربت الفعل ولم أفعل، وما كدت أفعل معناه: فعلت بعد إبطاء. يقول: ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من اللحم. وهم يصفون المرأة بثقل العجيزة وكثرة لحمها. وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيرًا؛ قال ذو الرمة:

تَنُوءُ بِأُخْرَاهَا فَلَأْيًا قِيَامُهَا　　وَيَمْشِي الْهُوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبْهَرُ

(قوله: تنوء بأخراها، يقول: إن أخراها — وهي عجيزتها — تنيئها؛ أي تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها في أردافها، ومن ثم كان قيامها إذا هي قامت، بعد لأي؛ أي: بعد مشقة وجهد وإبطاء.)

ويقول أبو العتاهية:

بَدَتْ بَيْنَ حُوْرٍ قِصَارِ الْخُطَى　　تُجَاهِدُ بِالْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

وقال أبو دلامة:

وَقَدْ حَاوَلَتْ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ　　فَأَثْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَفْلُ النَّهْدُ

(١٢٢) الربحلة والسبحلة: من نعوت النساء، وهي الجسيمة الطويلة العظيمة. والمقبل: موضع التقبيل، وهو الشفة، وتحمد فيها السمرة. قال ذو الرمة:

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُمْرَةٌ لَعَسٌ　　وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ

والمجرد: ما تعرى من الثوب، وهو الأطراف. وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون؛ وخص المجرد لأنه إذا ابيضَّ المجرد — الذي تصيبه الريح والشمس، وهو الذي يظهر للرائين — كان سائر بدنها — الذي لا تصيبه الريح ولا الشمس — أشد بياضًا.

(١٢٣) الفئة: الجماعة، يريد العاشقين. يقول: يا من يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قومًا أضلهم الله في الهوى حتى تهالكوا فيه، واستولى عليهم حتى استبد بهم، فكيف ترشدهم بعد ذلك؟ أي إنهم لا يصغون إلى لومك، لما بهم من ضلال العشق.

(١٢٤) أحاك فيه الشيء وحاك: أثر. يقول: إن لومك لا يؤثر في همم أقربها منك في تقديرك أبعدها عنك في الواقع؛ أي إن الذي تظنه ينجع فيه لومك هو الأبعد مما تظن.

(١٢٥) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليًا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجده هو، وأين الخليُّ من الشجيِّ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

شَكَوْنَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا   فَقَالُوا لَنَا: مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا!

وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت، قال: المقصود بالذم محذوف، وهو نكرة موصوفة بسهرت، والعائد إليه من صفته محذوف أيضًا، والتقدير: ليالٍ سهرت فيها، ومثله في الكتاب العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ تقديره آية يريكم بها البرق خوفًا. وقد جاء في الشعر حذف النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة في قول الراجز:

مَا لَكَ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرْ   وَغَيْرُ كَبدَاءَ شَدِيدَةِ الْوَتَرْ
تَرْمِي بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ

(قوس كبداء: غليظة المقبض تملأ الكف. وقوله: ترمي، يُروى: جادت من الجودة، وقال ابن جني: روي أيضًا بفتح ميم «من» أي: بكفي مَن هو في الرمي مِن أرمى البشر، وكان على هذا زائدة. وعلى هذا لا شاهد فيه.)

يريد بكَفَّيْ رجل فحذفه وهو ينويه. وقوله: من طربي مفعول له، وهو بمعنى اللام، كما تقول: جئت من أجلك ولأجلك، وأكرمته؛ لمخافة شره ومن مخافة شره. وشوقًا: يحتمل أن يكون مفعولًا لأجله عمل فيه طربي فيكون الشوق علة للطرب، والطرب علة للسهر، ولا يعمل سهرت في قوله: شوقًا؛ لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا بعاطف، كقولك: أقمت سهرًا وخوفًا، وسرت طربًا وشوقًا. ويحتمل أن ينصب بمحذوف كأنه قال: شقت شوقًا، وشاقني التذكر شوقًا، وشقت فعل ما لم يسم فاعله، كما يقول المملوك: قد بعت، أي: باعني مالكي، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المطر: غثنا ما شئنا؛ أي أغاثنا الله. وقوله: إلى من، يتعلق بالشوق؛ لأنه أقرب المذكور إليها، وإن شئت علقته بالطرب إذا نصبت شوقًا بالطرب، وإن نصبته بالمحذوف لم تعلقه بالطرب؛ لأنك تفصل بشوق وهو أجنبي من الطرب وصلته، وكان الوجه أن يقول: يرقد فيها، كما تقول: يوم الجمعة خرجت فيه. ولا تقول: خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف فجعله مفعولًا به على السعة كقوله:

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرَا

(عجزه:

قَلِيلٌ سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نَوَافِلُهْ

شهدناه: أي شهدنا فيه. وسليم وعامر: قبيلتان من قيس غيلان. والنوافل هنا: الغنائم. يقول: يوم لم يغنم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن والنهال المرتوية بالدم. وأصل النهل: أول الشرب، والعَلَل: الشرب بعد الشرب، والطعن هنا: جمع طعنة.)

ففي البيت أربعة حذوف: حذف المقصود بالذم؛ وهو ليالٍ. وحذف من سهرت فيها. وحذف الضمير من سهرت، فكأنه يقول: سهرتها. والرابع حذف من يرقد فيها. وروي سهرت وسهدت — بالراء والدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا: السهر — بالراء — في كل شيء، وبالدال للديغ والعاشق. واستدلوا بقول النابغة:

يُسَهَّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا

(عجزه:

لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قَعَاقِعُ

يقال: فلان يسهد؛ أي لا يترك أن ينام.)

ويقول الأعشى:

وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا

(صدره:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله ﷺ، وبعده:

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا   تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا

إلى آخر الأبيات. وقوله: ليلة أرمدا: يريد ليلة أرمدتا — أي عيناه — أي أصابهما رمد؛ وهو وجع العين. والسليم: الملدوغ. والمسهد: الذي منع النوم. والخلة: الصداقة.

ومهدد: اسم امرأة.)

وقوله: بئس، اختلف أصحابنا والبصريون في نعم وبئس، فقال أصحابنا: هما اسمان، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان، ووافقهم من أصحابنا: علي بن حمزة المقرئ. حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول: ما زيد بنعم الرجل. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

أَلَسْتُ بِنِعْمَ الْجَارُ يُولِفُ بَيْتَهُ   لِذِي الْعُرْفِ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَمُعْدَمَا

(قوله: يولف بيته لذي العرف؛ أي يجعله مألفًا لذي العرف أكان غنيًّا أم فقيرًا.)

وحكي عن بعض فصحاء العرب أنه قال: نعم السير على بئس العير، وقال الفراء: إن أعرابيًّا بُشِّر بأنثى فقيل له: نعم المولود مولودتك! فقال: والله ما هي نعم الولد! نصرها بكاء وبرها سرقة؛ فدخول حرف الجر عليهما دل على أنهما اسمان. وحجة أخرى: أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل إلا على الأسماء في قولهم: يا نعم المولى ويا نعم النصير. ولا يجوز أن يقال: المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه: يا الله نعم المولى، فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه، كما يحذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه. فإن قيل ذلك، فجوابنا: المنادى إنما يقدر محذوفًا إذا ولي حرف النداء فعل أمر، وما جرى مجراه، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج «ألا يا اسجدوا» تقديره: يا هؤلاء اسجدوا. وكقول ذي الرمة:

أَلَا يَا اسْلَمِي [يَا] دَارَ ميٍّ عَلَى الْبِلَى   وَلَا زَالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

(مي: هي محبوبته. وعلى: بمعنى مع. ومنهلًا: منصبًّا. والجرعاء: مؤنث الأجرع؛ الموضع المختلط ترابه بالحصى. والقطر: المطر؛ يدعو لها بالخصب.)

وكقول الآخر:

أَمَسْلَمُ يَا اسْمَعْ يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ   وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبَلَ الْأَرْضِ

(هذا البيت لأبي نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك، وقد أورده القالي على الوجه الآتي:

أَمَسْلَمُ إِنِّي يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي
وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَلَيَّ لِحَافًا سَابِغَ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ
ونَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لا شاهد فيه.)

أراد يا هذا. وشواهده كثيرة، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر؛ لأن المنادى يخاطب، والمأمور أيضًا مخاطب، فحذفوا الأول من المخاطبين اكتفاءً بالثاني. ولا خلاف أن نعم المولى خبر؛ فيجب ألا يقدر المنادى محذوفًا، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي. ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهي؛ ولهذا لما جاء الخبر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملتي خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى، وليس كذلك يا نعم المولى؛ لأن نعم خبر، فلا يجوز أن يقدر المنادى محذوفًا. ودليل آخر على أنهما اسمان، أنهما لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال؛ لأنك لا تقول: نعم الرجل غدًا ولا أمس ولا بئس الرجل غدًا أو أمس. ودليل آخر: أنهما غير متصرفين، والتصرف من خصائص الأفعال. ودليل آخر: أنهما لم يكونا فعلين ماضيين؛ لأنه يجوز دخول اللام عليهما في خبر أن، تقول: إن زيدًا لنعم الرجل وعمرًا لبئس الغلام، وهذه اللام لا تدخل على الماضي، وهي تدخل على الاسم، وعلى الفعل المضارع، فدل على أنهما اسمان. ودليل آخر: أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس في أفعال العرب فعيل؛ فدل على أنهما اسمان. وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف. وحجة أخرى: اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التي لا يقلبها أحد في الوقف هاء كما قلبوها في رحمة وشجرة، وذلك قولهم: نعمت الجارية، وهذه التاء يختص بها الفعل الماضي.

(١٢٦) إحياء الليل: سهره. وأنجده: أعانه. والشئون: قبائل الرأس؛ وهي مجاري الدموع. والضمير في أحييتها وينجدها لليالي، والضمير في شئونها للدموع. يقول: كان للدموع من الشئون إمداد، ولليالي من الظلام إمداد؛ يعني أن تلك الليالي طالت وطال البكاء فيها. ويجوز أن يكون الضمير في ينجدها عائدًا إلى الشئون؛ وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق، وفي اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء، يبين هذا قول قيس المجنون:

يَضُـمُّ إِلَـيَّ اللَّيْلُ أَطْفَالَ حُبِّهَا   كَمَا ضَمَّ أَزْرَارُ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقَا

(أراد بالأطفال: الأحزان المتولدة عن الحب. والبنائق: جمع بنيقة؛ وهي طوق الثوب الذي يضم النحر وما حوله، وإذا أنشد البيت:

كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

كما هو في أصله، فالبنائق: العرى التي تدخل فيها الأزرار.)

(١٢٧) الرهان: السباق. وأجهد الدابة وجهدها: حمَّلها في السير فوق طاقتها. يقول: إن ناقتي — ويريد نعله — لا تقبل الرديف — وهو الذي يرتدف خلف الراكب — وإذا راهنت عليها لم أجهدها بالسوط؛ وهذا كما قال في قافية قد تقدمت:

وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ   مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِـي رَاكِبَا

وهذا المعنى من قول أبي نواس:

إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى   عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الْحَضْرَمِيَّ الْمُلَسَّنَا
قَلَائِصَ لَمْ تَعْرِفْ حَنِينًا إِلَى طَلًا   وَلَمْ تَدْرِ مَا قَرَعُ الْفَنِيقِ وَلَا الْهِنَا

(نعل حضرمي: إذا كان ملسنًا؛ وهو الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان. والطَلا: الولد من ذوات الظلف. والقرع: الجرب. والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته. والهِناء: القطران، تقول: هَنَأْتُ البعيرَ: إذا طليته بالهِناء؛ وهو القطران.)

ومثله قول الآخر:

رَوَاحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ   نُجَنِّبُهُنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنْهَلِ

(١٢٨) الشراك: سير النعل. والكور: رحل الناقة. والمشفر من الناقة: بمنزلة الشفة من الإنسان. وزمام النعل: ما تشد إليه شسوعها؛ وهي السيور التي تكون بين خلال

الأصابع. والمقود: الحبل الذي تقاد به الدابة. جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة، وزمامها بمنزلة المشفر لها، والشسوع بمنزلة المقود.

(١٢٩) عصف الرياح: شدة هبوبها، ومن روى بضم العين فهو جمع عصوف، يقال: ريح عاصف وعصوف بمعنًى، والجمع: عصف. ويريد بقوله تأيدها: تأنيها وتلبثها. يقول: أهون سير ناقتي — يعني نعله — يسبق أشد سير الرياح. يصف المتنبي نفسه بأنه شديد العدو منتعلًا. وقال الواحدي في قوله تأيدها: التأيد تَفعُّل من الأيد، وهو التقوِّي. وليس المعنى على هذا، وإنما أراد التفعُّل من الاتئاد؛ وهو الترفق واللين، ولم يحسن بناء التفعل منه، وحقه تأودها. وقال ابن القطاع: يقال: آد الشيء يئيد أيدًا: إذا قوي. ولو قال: تأودها لكان قد بالغ، وآد الشيء يئود أودًا: إذا أثقل. وفي كلام العرب: ما آدك فهو لي آئد؛ أي ما أثقلك فهو لي مثقل، فيكون المعنى: أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها، وهذا غاية المبالغة. وكذلك لو قال: تأودها لكان أيضًا قد بالغ، فالتؤد والوئيد: الترفق، يقال: وأد يئد وأدًا. والتاء — في التؤدة — مبدلة من واو، مثل تخمة، فيكون المعنى: أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها؛ وهذا هو المبالغة. وقيل: إن التأيد في بعض اللغات الرفق، وأنشد الخليل في ذلك:

تَأَيَّدْ عَلَيَّ هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا

أي ترفق.

(١٣٠) في مثل ظهر المجن: أي يسبقها تأيدها في مفازة مثل ظهر المجن. فمثل نعت لمحذوف؛ أي في مفازة أو فلاة، والمجن: الترس، ومتصل نعت سببي لمفازة المحذوفة. وقرددها: فاعل متصل، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر؛ وهو قرددها، والقردد: الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجاد ووهاد. قال ابن جني: شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات، وظهر المجن ناتئ، وبطنه لاطئ فهو كالصعود والحدور؛ أي إن هذه المفازة محدبة مثل ظهر المجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن، يعني أنها ذات جبال ووهاد.

(١٣١) مرتميات: خبر مقدم. وغيطانها: مبتدأ مؤخر، وتروى مرتميات — بالنصب — صفة لمفازة. وغيطانها، فاعل مرتميات، والغيطان: جمع غائط؛ وهو المطمئن من الأرض. والفدفد: الأرض الغليظة المرتفعة. يقول: إن هذه المفاوز غيطانها وفدفدها ترمينا إلى المدوح بقطعنا إياها بالسير، فكأنها تلقينا إليه.

(١٣٢) إلى فتى: بدل من ابن عبيد الله. ويصدر الرماح: ينزعها بعد الطعن من المطعون. وأنهلها: سقاها. موردها بضم الميم على أنه اسم فاعل — وهو الممدوح: فاعل أنهلها، ويروى بفتح الميم على معنى المصدر، فيكون المعنى: أنهلها في القلوب ورودها؛ يعني أنها وردت قلوب الأعداء، والأولى أجود. يقول: ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء. وعبارة الواحدي: يرجعها ويرددها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم.

(١٣٣) الأيادي: النعم. وإليَّ: صلة سابقة، أو صلة الأيادي مضمنة معنى الإحسان، كأنه قال: له إحسان إليَّ؛ لأنه يقال: لك عندي يد، ولا يقال: لك إلي يد، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ: قال تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ والمعنى لطف بي. وقوله: أعد منها يريد أني غذي نعمته، وربيب إحسانه، فنفسي من جملة نعمه؛ فأنا أعد منها. وقال ابن جني: أنا بعضها، كما قال الحماسي:

لَا تَنْتِفَنِّي بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِي   فَإِنَّنِي بَعْضُ أَيَادِيكَا

يريد أنه وهب له نفسه. وتروى: أعد منها؛ أي إنه يعد بعض أياديه، ولا يأتي على جميعها عدًّا لكثرتها، وهو قوله: ولا أعددها. كأن هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾؛ أي لا تعدوا جميعها. ومن قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

(١٣٤) الضمير في بها: للمطلة، وفي يكدرها وينكدها: للأيادي، ويروى مطله ومنه، وبه بدل بها. يقول: إنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بعده. وينكدها: أي ينغصها ويقلل خيرها. وكان يقال: المنة تهدم الصنيعة، وقد مدح المولى جل وعز قومًا فقال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾، وقال الشاعر:

أَفْسَدْتَ بِالْمَنِّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنٍ   لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَعْطَى بِمَنَّانِ

وعبارة العُكْبَري: يقول: له أياد لا يكدرها مطل ولا ينكدها منٌّ، ولم يرد أن له مطلًا لا يكدرها، ومنًّا ينكدها، وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه ألبتة. ومن هذا قول امرئ القيس:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

لم يرد أن فيه منارًا لا يهتدى به، ولكنه نفى أن يكون به منار. والمعنى: لا منار يهتدى به. ومثله قوله الآخر في وصف مفازة:

لَا تُفْزِعُ الْأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ

لم يرد أن بها أرنبًا لم يفزع ولا ضبًّا، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان. وعبارة الواحدي: يعطي فلا مطله بالأيادي يكدرها؛ أي إنه لا يمطل إذا وعد إحسانًا، ولا يمنُّ بما يعطى فينكده.

(١٣٥) يقول: إن أباه خير قريش؛ لأنه ابن رسول الله ﷺ فهو خيرهم أبًا؛ لأنه ليس فيهم أحد أبوه أفضل من أبي الممدوح. والنائل: العطاء، وأبًا ونائلًا: منصوبان على التمييز. والمراد بقريش: القبيلة، ومن ثم قال: أمجدها وأجودها. والمجد قيل: هو الأخذ من الشرف والسود ما يكفي، وقال ابن السكيت: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد؛ أي له آباء متقدمون في الشرف. قال: والحسب والكرم (المراد بالكرم هنا: ضد اللؤم) يكونان في الرجل، وإن لم يكن له آباء لهم شرف. وأجودها: أسخاها.

(١٣٦) الجحجاح: السيد الشريف، وقد تقدم الكلام عليه. والمسوَّد: الذي سوده قومه. قال الواحدي: ذكر القناة والسيف مع الطعن والضرب تأكيدًا للكلام، كما قال تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وكما يقال: مشيت برجلي، وكلمته بفمي.

(١٣٧) فارسًا: حال؛ أي هو أفرسها إذا ركب فرسه، وأكد الكلام بذكر الحال؛ لأن أفرس يكون من الفرس والفراسة. وطول الباع مما يمدح به الكرام، يقال: فلان طويل الباع؛ إذا امتدت يده بالكرم، ويقال للئيم: ضيق الباع. والمغوار: للكثير الغارة.

(١٣٨) لؤي: أبو قريش. يقول: هو لهم بمنزلة التاج، به يتشرفون ويتزينون، وبه علا فرعهم وأصولهم؛ أي الأبناء والآباء، والمحتد: الأصل. وقوله: لها: أتى بها ليقيم الوزن، أو ليؤكد الإضافة، وإلا فقوله: سما فرعها، كلام تام حسن.

(١٣٩) التقاصير: القلائد التي تعلق على القصرة؛ والقصرة: أصل العنق، مفردها: تقصار وتقصارة. يقول: هو فيما بينهم كالشمس في النهار، والهلال في الليل، والدر والزبرجد في القلادة؛ أي هو أفضلهم وأشهرهم، وبه زينتهم وفخرهم. قال العكبري: ويجوز أن يكون أراد أحسنهم؛ لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها، لأنهم يعتمدون عليه، ويتطلعون إليه، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل

فيها. يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه.

(١٤٠) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه في بعض الحروب. قال العكبري: كان محمد بن عبيد الله — هذا الممدوح — قد واقع قومًا من العرب بظاهر الكوفة، وهو شاب دون العشرين فقتل منهم جماعة وجرح في وجهه فكسته الضربة حسنًا، فقال: ليت الضربة التي قدر لها محمدها — يعني الممدوح — كما قُدرت الضربةُ له كانت بي؛ أي ليتني كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بي دونه. ويجوز — كما قال الواحدي — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح، فتمنى أبو الطيب رتبته في الشجاعة، وأضاف محمدًا إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحمد، فأكثرت حتى صار هو محمدًا بها.

(١٤١) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند. يقول: إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردهما عن قصدهما، فذلك تأثيره فيهما. فقوله: وما أثر في وجهه مهندها؛ أي لم يشنه ولم يعبه فلم يؤثر تأثيرًا قبيحًا، وإنما زاده حسنًا؛ لأن الضربة على الوجه شعار المغوار، والعرب يفتخرون بذلك. قال الحصين بن الحمام المري:

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا   وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

(الكلوم: الجروح، وقبيل البيت:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ   لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وبعده:

نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ   عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمَا)

والطعن والضرب في الظهر عندهم مسبة وفضيحة. قال الشاعر:

وَلَكِنَّمَا يَخْزَى امْرُؤٌ يَكْلِمُ اسْتَهُ   قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا

ولك أن تقول: إنه أثر في الضربة والسيف ضعفًا بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه، فلم يؤثر السيف في وجهه أثرًا يعتد به، أو لم يصرفه عن المضي في القتال.

(١٤٢) يقول: إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصولها في وجهه، وحسدتها بقية الجراحات؛ إذ لم تصب موضعًا كريمًا مثل هذا. وقوله: بمثله يريد به، والمثل: صلة، تقول: مثلي لا يفعل هذا؛ أي أنا لا أفعل. قال الشاعر:

يَا عَاذِلِي دَعْنِي مِنْ مِثْلِكَا　　　مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَا

معناه: أنا لا أقبل منك، ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. والغبطة حسن الحال، أو هي النعمة والسرور. تقول: غبطته بما نال أغبطه غبطًا وغبطة فاغتبط هو، كقولك: منعته فامتنع وحبسته فاحتبس؛ قال حريث بن جبلة العذري:

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ　　　إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ

(قبله:

فَاسْتَقْدِرِ اللهَ خَيْرًا وَارْضَيَنَّ بِهِ　　　فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ

وبعده:

يَبْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ　　　وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهُ　　　وَالدَّهْرُ أَيَّتَمَا حَالٍ دَهَارِيرُ

[قوله: استقدر الله خيرًا؛ أي اطلب منه أن يقدِّر لك خيرًا. وقوله: فبينما العسر، فالعسر مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره: فبينما العسر كائن أو حاضر. إذ دارت مياسير؛ أي حدثت وحلت، والمياسير: جمع ميسور. والرمس: القبر. والأعاصير: جمع إعصار وهي الريح تهب بشدة. وقوله: كأن لم يكن إلا تذكره، فيكن تامة، وتذكره فاعل بها، واسم كأن مضمر، تقديره: كأنه لم يكن إلا تذكره، والهاء — في تذكره — على الهاء المقدرة. والدهر: مبتدأ، ودهارير: خبره. وأيتما حال: ظرف، والعامل فيه ما في دهارير

من معنى الشدة. وقولهم: دهر دهارير؛ أي شديد كقولهم: ليلة ليلاء. وقيل: الدهارير جمع الدهور، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم. وقال الزمخشري: الدهارير؛ تصاريف الدهر ونوائبه، مشتق من لفظ الدهر، ليس له واحد من لفظه كعباببيد].)

قال الجوهري: أنشدته مغتبط بكسر الباء؛ أي مغبوط، قال: والاسم الغبطة؛ وهي حسن الحال.

(١٤٣) الضمير في قلبه يعود: إما إلى الزارع — أي الضارب — أي: زرعها بمكر في قلبه، وإما إلى الممدوح؛ أي إن الضارب قد زرع هذه العداوة في قلبه. يقول: إن هذه الضربة جاءته مماكرةً وغدرًا، لا مواجهة وكفاحًا، وأن ضاربها قد بذر بذرًا خبيثًا لا بد حاصده؛ أي ملاق جزاءه عليه من الممدوح.

(١٤٤) الواو — في وأنفسهم — واو الحال. يقول: إنه رمى حساده بالمقيم المقعد، فهم لا يستقرون على حال من القلق؛ خوفًا منه وذعرًا، وهذا كما قال:

أَبْدَى الْعدَاةُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ

(١٤٥) يقول: إذا أنذر الغمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت الغمود على السيوف؛ لعلمها أن السيوف المذكورة ستغمد في دماء الأعداء حتى تتلطخ بها وتصير كأنها دم، وأن الممدوح سيجعل الرقاب غمودًا لها بدلًا منها. وهذا المعنى تعاوره الشعراء من قديم. قال عنترة:

وَمَا تَدْرِي جُرَيَّةُ أَنَّ نَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ

(الجفير: الكنانة والجعبة التي تجعل فيها السهام.)

وقال حسان:

وَنَحْنُ إِذَا مَا عَصَتْنَا السُّيُوفُ جَعَلْنَا الْجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا

وقال الحماسي:

مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الْأَكُفِّ وَأَغْمَادُهُنَّ رُءُوسُ الْمُلُوكِ

(قبله:

وَإِنَّـا لِـتُـصْـبِـحُ أَسْـيَـافُـنَـا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَ بِيَوْمٍ سَفُوكِ

اصطبحن: شربن وقت الغداة، وجعل اليوم سفوكًا؛ لأن السفك يقع فيه. وقوله: منابرهن، أراد أنها إذ تنتضى فكأنها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم. يقول: إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة.)

ويقول ابن الرومي:

كَسَاهُمُ الْعِزَّ إِنْ عَرَوْا مَنَاصِلَهُم فَمَا لَهَا غَيْرَ هَامِ الصِّيدِ أَجْفَانُ

(١٤٦) يقول: أطلق الأنصل فذمها العدو؛ خوفًا وجزعًا منها، وحمدها الصديق لحسن بلائها في العدو.

(١٤٧) يقول: إنها من شدة الضرب تهوي إلى الأرض فتنقدح منها النار فيخمدها ما ينصب من الدماء عليها.

(١٤٨) الهمام هنا: الملك العظيم. والمهجة: الروح. ونشد الضالة: طلبها ليعرف مكانها. يقول: إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله، فإنما سيوفه هي التي تطلب مهجته منها؛ لأن سيوف الممدوح قواتل الملوك. أو يقول: إن سيوف الممدوح هي التي تثأر له. ويروى بدل تنشدها: منشدها اسم مكان؛ أي إن سيوفه هي المكان الذي تطلب مهجة المقتول منه، لأن سيوفه — كما قلنا — قواتل الملوك. ويروى: فأطرافهن ينشدها — بالياء المثناة التحتية — أي ينشدها في أطرافهن.

(١٤٩) الخليقة: الخلائق والخلق. يقول: إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لي أنك أوحدهم فضلًا ونسبًا وشجاعة وكرمًا. وقال الواحدي: يجوز أن يكون على التقديم والتأخير؛ أي أوحدها لي، أي أوحدها إلي إحسانًا وإفضالًا، ولا يكون في هذا كثير مدح. ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي، والقول يضمر كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾؛ أي ويقولان: ربنا تقبل.

(١٥٠) وأنك: مخففة من أنَّك ضرورة. والمحتلم: الغلام بلغ مبلغ الرجال، وهو حال من التاء في كنت. وشيخ معد: خبر كان. والضمير في أمردها: لمعد. وقوله: وأنت أمردها، عطف على الحال؛ أي محتلمًا أمرد. يقول: وأنك بالأمس حين كنت غلامًا أمرد كنت شيخ

معد يرجعون إلى رأيك، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل؟ هذا: وها هي ذه طرفة نحوية للعلامة العكبري، قال: قوله: وأنك، أراد أنَّك بالتشديد، فخفف ضرورة مع الضمير، كقول الآخر:

فَلَو أَنْكِ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتِنِي طَلَاقَكِ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيقُ

(بعده:

فَمَا رُدَّ تَزْوِيجٌ عَلَيهِ شَهَادَةٌ وَلَا رُدَّ مِنْ بَعْدِ الْحِرَارِ عَتِيقُ

ويروى: فراقك بدل طلاقك. وصديق: فعيل للواحد والجمع والمؤنث، والحرار مصدر حر يحر من باب تعب؛ أي صار حرًّا، والمراد بالرخاء، قيل: لزوم العقد، والرخاء السعة؛ أي وقت إمكانه، ولم أبخل؛ أي به، أي بل كنت أجيبك إليه. وقوله: فما رد ... إلخ؛ أي: لو سألتني ذلك في وقت يقبله، وهو ما قبل العقد لفعلت، لكنه في وقت لا يقبله، وهو بعد لزوم العقد؛ لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة، كما لا يرد بعد العتق عتيق إلى الرق.)

وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله:

وَصَدْرٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ كَأَنْ ثَدْيَاهُ حُقَّانِ

(مشرق: مضيء. والنحر: موضع القلادة من الصدر. وحُقَّان: تثنية حُقٍّ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره. يقول: إن هذا الصدر مضيء أعلاه، وكأن الثديين فيه حقان في الاستدارة والصغر.)

لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها. وإذا خففت مع المظهر فتعملها في مقدر، وهو ضمير الشأن، ويرفع بعدها الجملة خبرًا عنها، تقول: علمت أن زيد قائم، ومنه ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿أَنْ لَعْنَةُ﴾ في قراءة نافع وعاصم وأبي عمرو وقنبل، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها، أن يليها ما يجوز أن يليها وهي مثقلة، فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف: السين، وسوف، ولا، وقد؛ فتقول: علمت أن سيقوم، وسوف يقوم، وأن لا يقوم، وقد يقوم، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾، قال جرير:

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مِرْبَعُ

(مربع — بكسر الميم: لقب وعوعة أبي سعيد راوي جرير، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه، ومطلع القصيدة:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوَكُلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ

وآخرها:

وَرَأَيْتَ نَبْلَكَ يَا فَرَزْدَقُ قَصَّرَتْ وَرَأَيْتَ قَوْسَكَ لَيْسَ فِيهَا مِنْزَعُ)

وقال أمية بن أبي الصلت:

وَقَدْ عَلِمْنَا لَو أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ يُتْبَعُ أُولَانَا بِأُخْرَانَا

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، جاء بغير حرف من هذه الحروف الأربع؛ فذلك لأن ليس ضعيفة في الفعلية لعدم تصرفها، وقد جعلها أبو علي حرفًا زمانًا، ثم رجع عن ذلك. وقوله: محتلمًا؛ حال، والعامل في الحال: كان، قال أبو الفتح وجماعة من أهل الصناعة: من جعل كان لا تعمل في الأحوال فغير مأخوذ بكلامه؛ لأن الحال فضلة في الخبر منكورة، فرائحة الفعل تعمل فيها فما ظنك بكان، وهي فعل متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والمضمر، وليست كان في نصبها الأحوال بأسوأ حالًا من حروف التنبيه والإشارة! قال الشريف ابن الشجري: قال المعري: كان لا تعمل في الحال، ويجعل العامل في الحال وأنك بالأمس؛ أي الفعل المضمر الذي عمل في قوله: وأنك بالأمس. قال: وهذا سهو من قائله؛ لأنك إذا علقت قوله: بالأمس بمحذوف، فلا بد أن يكون بالأمس خبرًا لأن أو لكان؛ لأن الظرف لا يتعلق بمحذوف، إلا أن يكون خبرًا أو صفة أو حالًا أو صلة. ولا يجوز أن يكون خبرًا لأن ولا لكان؛ لأن ظروف الزمان لا تكون أخبارًا عن الجثث ولا صفات ولا صلات ولا أحوالًا لها، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقته بكان، وأعملت كان في محتلمًا. وقوله: شيخ معد، خبر كان.

(١٥١) مجللة: شاملة، من جَلَّلَ المطرُ الأرضَ؛ طبقها. وربيتها: تعهدتها بأن قرنتها بأمثالها. وكان منك مبدؤها: أي ابتداؤها؛ أي إنك ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها فلم تكن

واحدة تنسى على طول العهد، بل متعددة متوافرة. وقوله: نعمة، قال العكبري: رويت نصبًا وجرًّا، فمن نصب أراد الاستفهام، ومن جر أراد الخبر، وهذا الأجود؛ لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله.

(١٥٢) سمحت بها: أي قضيتها لي. وموعدها: أي موعد قضائها؛ أي إن موعد قضائها أقرب إلي من نفسي. يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز. وقال الخطيب التبريزي: هو من كلام الصوفية، وهذا يدل على أنه كان متصرفًا في أفانين الكلام.

(١٥٣) المكرمة: ما يكرم به الإنسان من بر وألطاف، يريد بها هنا ثيابًا أهداها إليه؛ ولذلك يقول في البيت التالي: أقر جلدي بها عليَّ. وقوله: على قدم البر، استعارة جميلة بارعة. وقال الواحدي: قوله: على قدم البر؛ أي إن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلامًا للممدوح. ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق. وترددها: أي تعيدها إليَّ وتكررها عليَّ. ويروى ترددها على المصدر.

(١٥٤) أي اعترف جلدي بها لظهورها عليَّ. فكأنه باكتسائه بها ناطق مقر، كما قال الناشيء الأكبر:

لَوْ لَمْ يُبِحْ بِالشُّكْرِ لَفْظِي لَخَيَّرَتْ ... يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا

(١٥٥) أعودها: أكثرها عودًا. يطلب منه إعادة العطية.

(١٥٦) الطلا: الأعناق. وشهيد: صفة لقتيل، وأصل الشهيد: من قتل مجاهدًا في سبيل الله، ثم تُوسِّعَ فيه فأطلق على من مات غرقًا أو حرقًا وما إليهما، وجعل المتنبي من قتله الحب شهيدًا، وقد رووا في ذلك قوله ﷺ: «من عشق فعف ثم مات مات شهيدًا.» هذا، وقد قال العكبري: كم، كلمة موضوعة للعدد، وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة، وذهب البصريون إلى أنها مفردة، حجتنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف؛ لأن العرب تصل الحرف في أوله وآخره، فمما وصلته من أوله نحو هذا، ومما وصلته في آخره نحو ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾، فكذلك كم؛ زادوا الكاف على ما، فصارتا كلمة واحدة، وكان الأصل أن يقال: في كم مالك؟ كما مالك؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال. ونظير «كم» لم؛ لأن الأصل في لم: ما، فزيدت عليها اللام، فصارتا كلمة واحدة، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال، وسكنت الميم، فقال: لم فعلت؟ وزيادة الكاف كثيرة. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ أي ليس مثله. وحكي عن بعض العرب أنه قيل له: كيف تصنعون الأقط؟ قال كهين، قال الراجز:

لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقْ

أي المقق وهو الطول. وحجة البصريين أن الأصل هو الإفراد، والتركيب فرع، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة.

(١٥٧) المها: جمع مهاة؛ وهي بقر الوحش، تشبه عيون النساء بعيونها في حسنها وسعتها. وفتكت: قتلت بغتة. والمتيم: الذي استعبده الحب. والمعمود: الذي أضناه الحب وأوجعه، وعنى بالمتيم المعمود نفسه. يقول: كم قتيل قتل بعيون أحبَّتِه التي هي كعيون المها، وليست تلك العيون التي قتلته كالعيون التي قتلتني وفتكت بي فإنها لا تشبه بغيرها؟!

(١٥٨) الدر: اللبن، ويقال لمن يدعى له: دَرَّ دَرُّه؛ أي كثر خيره، لأن الخير في ذلك عند العرب. ويقال لمن يدعى عليه: لا در دره. وأيام: منادى. وتجرير الذيول: كناية عن النشاط واللهو؛ لأن النشيط أو النشوان يجر ذيله ولا يرفعه. ودار أثلة: موضع بظهر الكوفة. يتمنى أن تعود هذه الأيام له.

(١٥٩) قوله: عمرك الله، قال العكبري — نقلًا عن الجوهري صاحب «الصحاح» وكثيرًا ما يعتمد عليه: هو مصدر، يقال: أطال الله عمرك وعمرك — بالفتح والضم — وهما وإن كانا مصدرين بمعنًى، إلا أنه استعمل أحدهما في القسم — وهو المفتوح — فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء، فقلت: لعمر الله، واللام لتوكيد الابتداء، والخبر محذوف، والتقدير لعمر الله قسمي، فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وقلت: عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا، ومعنى لعمر الله وعمر الله: أحلف ببقاء الله ودوامه، وإذا قلت: عمرك الله فكأنك قلت: بتعميرك الله: أي بإقرارك له بالبقاء. وقول عمر بن أبي ربيعة:

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟!

يريد: سألت الله أن يطيل عمرك؛ لأنه لم يرد القسم بذلك، وسهيل تورية، وكذلك الثريا، وهما رجل وامرأة، ولم يرد النجمين. وهو في قول المتنبي مصدر، معناه: سألت الله أن يعمرك تعميرًا! يخاطب المتنبي صاحبه وشبه النساء بالبدور.

(١٦٠) راميات: صفة لبدور — في البيت السابق — والمراد بالأسهم: العيون. والهدب: الشعر الذي على أشفار الأجفان، شبهه بريش السهم. يقول: إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود. بخلاف الأسهم المعروفة. قال كثير:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يُصِبْ ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهْوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحُ

وقال جميل:

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَمُمَرُّ الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ
بِأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْتِنِي نَوَافِذَ لَمْ تُعْلَم لَهُنَّ خُرُوقُ

(بين هذين البيتين بيتان هما:

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فَتِيقُ
عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أَيْمَا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ وَأَيْمَا عُودُهَا فَعَتِيقُ

صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر. والنابل: ذو النبل. وممر العقدتين؛ يريد وترًا أحكمت عقدتا طرفيه، وأصل الممر: الحبل الشديد الفتل. وقوله: من خوافي النسر؛ يريد ريش السهم، وريش النسر أجود للسهم من ريش كل طائر. والحم: جمع أحم، وهو الأسود، وجعلها نظائر في مقاديرها؛ لأن ذلك أقصد للسهم. وقوله: كنصل الزاعبي؛ أي كنصل الرمح الزاعبي. قال الأصمعي: الزاعبي هو الذي إذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعض للينه وتثنيه، من قولهم: مر يزعب بحمله إذا مر به مرًّا سهلًا. وقوله: فتيق؛ يريد حادًّا رقيقًا. وقوله: على نبعة؛ يريد قوسًا، وأكرم القسي ما كان من النبع — شجر معروف. وقوله: بأوشك قتلًا منك؛ أي بأسرع. وزوراء؛ أي معوجة، وكلما كانت القوس أشد انعطافًا كان سهمها أمضى. وأيما: يريد أمَّا. وخطام القوس: وترها. ومتن: أي ذو صلابة وقوة. وقوله: وأيما عودها فعتيق: يصف كرم هذه القوس وعتقها.)

(١٦١) رشف الريق وترشفه: مصه. وقوله: أحلى من التوحيد؛ أي كلمة التوحيد. ويروى حلاوة التوحيد: أي هن فيه كحلاوة التوحيد. قال ابن جني: يروى أن المتنبي أنشده هكذا: هن فيه حلاوة التوحيد. وقالوا — للتخلص من هذه المبالغة المفرطة: إن

التوحيد نوع من ثمر العراق! والوجه أن يقال: إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في مذهب الشعراء؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثاني في كل المواضع، وهنا مثلًا قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ في الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلمة التوحيد، وقد جاء مثل هذا كثيرًا في كلام العرب. وعبارة الواحدي: كن يمصصن ريقي لحبهن إياي، فكانت الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله، وهذا إفراط وتجاوز حد. وقال ابن القطاع: ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع، وذلك غلط، والصحيح أن أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه: أحدها أن يكون الأول من جنس الثاني، ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل، فهذا يكون حقيقة في الفضل لا مجازًا، وذلك كقولك: زيد أفضل من عمرو، وهذا السيف أصرم من هذا. والثاني: أن يكون الأول من جنس الثاني، ومحتملًا للحاق به، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل، نحو قولك: الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو. وبيت المتنبي من هذا القبيل؛ أي يترشفن من فمي رشفات هن قريب من التوحيد. والثالث: أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريبًا منه، والثاني دون الأول، فهذا يكون على الإخبار المحض، نحو قولك: الشمس أضوأ من القمر، والأسد أجرأ من النمر. والرابع: أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة، واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض، والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني، نحو قولك: زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف. والخامس: أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جدًّا، فيكون هذا على المبالغة المحضة، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس، وجاء في الحديث: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر.» ذهب من لا يعرف معاني الكلام إلى أن أبا ذر أصدق العالم أجمع، وليس الأمر كذلك، وإنما نفى — عليه الصلاة والسلام — أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق، ولم ينف أن يكون في الناس مثله في الصدق، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال: أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت. وروى الأكثر: أحلى من التوحيد، ومن روى حلاوة التوحيد أراد: هي عندي مثل حلاوة التوحيد، فحذف المضاف ورفع.

(١٦٢) الخمصانة — بفتح الخاء وضمها: الضامرة البطن. وعنى برقتها: نعومتها وصفاء لونها. وقوله: بقلب … إلخ؛ أي مع قلب أصلب من الحجر. يقول: أجسامهن

ناعمة وقلوبهن قاسية. وقوله: كل، قال العكبري: يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشفهن، وعلى هذا يرفع أرق: حملًا على كل. ويجوز نصبه، وهو في موضع خفض نعتًا لخمصانة، ويجوز نصب كل حملًا على النعت لبدور، فيكون بدل تبيين.

(١٦٣) ذات: صفة أخرى لخمصانة. والفرع: شعر الرأس. وضرب: خلط. وقوله: وعود — في آخر البيت — متعلق بمحذوف، أي ودخن بعود؛ لأن ماء العود لا طيب له، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق، وهذا مثل قولهم:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

قال الشريف ابن الشجري في «أماليه»: قوله: وعود، يريد ودخان عود؛ لأن العود لا ماء له. يقول المتنبي: إن شعرها طيب الرائحة، فكأنه خلط بهذه الأنواع من الطيب.

(١٦٤) حالك: نعت فرع، والحالك؛ الشديد السواد. والغداف: الغراب الأسود. والجثل: الكثير الملتف. والدجوجي: المظلم. والأثيث: الكثيف. وقوله: جعد بلا تجعيد: أي خلق جعدًا من غير أن يجعد.

(١٦٥) الغدائر: جمع غديرة، وهي الذؤابة. وتفتر: تبتسم. وعن شنيب: أي عن ثغر شنيب، والشنب: البياض والبريق وتحزيز أطراف الأسنان، وقيل: طيب نكهتها، وقيل: تفليجها. والبرود: البارد. ويروى: عن شتيت، وثغر شتيت: مفرق مفلج. يقول: إنها طيبة الريح فكأن الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غدائرها.

(١٦٦) أحمد: يعني نفسه. والتسهيد: السهر. يقول: جمعت بين جسمي والسقام وبين جفوني والسهاد.

(١٦٧) المهجة: دم القلب، وتوضع موضع الروح. والحَين: الهلاك. يقول: هذه روحي أسلمها إليك، ولكن لأجل هلاكي، فإن شئت فانقصي من عذابها بالوصل، وإن شئت زيديها عذابًا بالهجر. وقال العكبري: إن جعل هذه إشارة، فلديك يتعلق بمعنى الإشارة، وإن جعلها نداء — بحذف النداء — كان متعلقًا بالاستقرار.

(١٦٨) أهل: مبتدأ. وبطل: خبره؛ أي يستحق ما بي من الضنى بطل ... إلخ. والطرة: شعر الجبهة، وتصفيفها: تسويتها، وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق. يقول: افعلي ما شئت فإني أهل لذلك ومستحق له؛ لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصفيف طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به. ويحتمل أنه إنما قال هذا كالمتشفي من نفسه واللائم لها على هذا العشق. وقال ابن القطاع: قوله: أهل ما بي ... إلخ، معناه:

أنا أهل ما بي وحقيق به وأنا بطل صيد. وعبارة ابن جني: أنا أهل ذلك وحقيق بحسن ما رأيت وأنا بطل صيد ... إلخ.

(١٦٩) دم العنقود: الخمر، ويروى: ابنة العنقود. قال الواحدي: وليس الأمر على ما قال؛ لأن شرب الخمر لا يحل، إلا أن يريد بدم العنقود العصير، أو ما لا يسكر من المطبوخ. أقول: إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء، وكلام المتنبي سائغ في مذهب الشعراء، وهو من قبيل قول أبي نواس:

فِي مَجْلِسٍ ضَحِكَ السُّرُورُ بِهِ عَنْ نَاجِذَيْهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

أي حلت الخمر المحرمة. والمعنى: إن المجال بلغ من البهجة والمراح والانبساط الغاية التي لا بعدها. قال العكبري: وسميت الخمر دمًا؛ لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم المقتول. وقال: قوله ما خلا، إذا قلت: جاء القوم ما خلا زيدًا، فليس إلا النصب، وإذا قلت: جاء القوم خلا زيد: كان الجر لا غير. وقال ابن جني: إذا أسقط «ما» جررت، وكان أقوى من النصب، لاحتماله إياه.

(١٧٠) طارفي وتليدي: معطوفان على نفسي. وقوله: من غزال؛ تخصيص له بالفداء من جملة الغزلان، ومثله: أفديك من رجل. والطارف — ومثله الطريف: ما استحدث عندك من مال. والتالد — ومثله التليد: ما كان عن إرث الآباء. يقول: اسقني الخمرة فأنا أفديك بنفسي وما أملك. قال العكبري: أنث الضمير في اسقنيها؛ لأنه أراد بالدم الخمر. وذكر ضمير عينيك، والأفعال بعد، لقوله: من غزال على لفظه لا معناه؛ لأن المراد بالغزال المعشوقة وتقدير الكلام: فدًى لعينيك من غزال نفسي وطارفي وتليدي.

(١٧١) شيب رأسي: مبتدأ، وما بعده: عطف عليه، وشهودي خبره، وعلى هواك: متعلق بشهودي. وهذا من قول الآخر:

أَوَمَا كَفَاكَ تَغَيُّرِي؟ وَنُحُولُ جِسْمِي شَاهِدَا

(١٧٢) أي: منصوب على الظرفية؛ أي في أي يوم. وراعه: أفزعه. يقول: لم تسرني يومًا بالوصال إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والإعراض. وقال العكبري: أي نصب، وهو استفهام خرج مخرج النفي، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك: أيَّ يوم أكرمتني قط.

(١٧٣) المُقام بمعنى الإقامة. ونخلة: قرية لبني كلب قرب بعلبك. يقول: إن أهل هذه القرية أعداء لي، كما كانت اليهود أعداءً للسيد المسيح. قال الواحدي: وبهذا البيت

لقب بالمتنبي؛ لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت، وبصالح عليه السلام فيما بعده.

(١٧٤) المفرش: موضع الفراش. ومفرشي ... إلخ: في موضع الحال. والصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس. والحصان: الفرس الفحل. والمسرودة: الدرع المنسوجة من الحديد. يقول: إنني شجاع، مكاني ظهر الفرس، وثيابي الدروع؛ أي إنني أبدًا بهذه القرية على هذه الحالة تيقظًا وتأهبًا.

(١٧٥) لأمة: درع ملتئمة الصنعة، بدل من قوله مسرودة. وفاضة: سابغة، يقال: درع فاضة؛ أي تفيض على جسم لابسها فتعمُّه. والأضاة: الغدير؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها. والدلاص: البراقة اللينة الملساء. ودرع دلاص وأدرع دلاص، الواحد والجمع على لفظ واحد. وداود: هو سيدنا داود، أول من عمل الدرع، كما قال جل شأنه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾. يقول: قميصي لأمة محكمة النسج من صنع داود ... إلخ.

(١٧٦) يقول: إذا قنعت من الدهر بعيش قد عُجِّل لي نكده وأبطأ على خيره، فأين فضلي؟ يعني إذن لا فضل لي، فكأنه قد خفي فليس يرى. ثم قال في البيت الثاني: لقد تعبت في طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل، ومن ثم ضاق صدري لكثرة ما نصبت، وطال سفري وقل قعودي عن السفر.

(١٧٧) يقول: إنه طموح، بعيد الهمة دائب السعي وإن قل حظه من الرزق، كما قال أبو تمام:

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ   آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

وقال الآخر:

وَلِي هِمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ   وَلَكِنَّ حَالِيَ تَحْتَ الثَّرَى
فَلَوْ سَاعَدَتْ هِمَّتِي حَالَتِي   لَكُنْتَ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ تَرَى

(١٧٨) يقول: لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغني فوق ما أرجو، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه. أو تقول: إن الكلام على القلب: أي لعلي بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه. وعبارة الواحدي يقول: لعلي راجٍ بعض ما أؤمله بلطف الله. ثم قال: وفيه وجه آخر، وهو أن المرجو محبوب، والمكروه لا يكون مرجوًّا بل يكون

محذورًا، فهو يقول: لعلي راجٍ بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله؛ أي ليس جميع ما أبلغه مكروهًا، بل بعضه مرجو ومحبوب. وقال ابن القطاع: أوخذ في قوله: ولعلي مؤمل ... إلخ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ؟ وإنما وجه الكلام أن يقول: ولعلي أبلغ بعض ما أؤمل، وليس كذلك، بل المعنى: ولعلي أبلغ آمالي، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه. وقيل معناه: أنا أؤمل أكثر ما أطلب، فلعلي بالغ بعض ما أؤمله؛ لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو؛ لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد.

(١٧٩) السرى: الماجد الشريف. والمروي: ثياب رقاق تنسج بمرو؛ وهي بلد بفارس. يقول: لعلي بالغ بعض ما أؤمله بلطف الله لِسَرى — يعني نفسه — يتقشف في لبسه فلباسه القطن الخشن، والعرب تتمدح بخشونة الملبس والمطعم، وتعيب الترف والنعيم، أما الثياب الرقيقة فهي لبس اللئام. ويروى بسرى: أي أبلغه بإقدام هذا السرى وهمته.

(١٨٠) البنود: الأعلام الكبيرة، وخفق البنود: اضطرابها. يقول: إما أن تعيش عزيزًا ممتنعًا من الأعداء، أو تموت موت الكرام في الحرب؛ لأن القتل في الحرب يدل على شجاعة المقتول، والقتل خير من العيش في ذل.

(١٨١) الغل: الحقد. يقول: إذهاب الغيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم، وأشفى لغل صدر الحقود من أعدائه. وقال العكبري: تقول ذهبت بالغيظ ولا تقول: ذهبته بل أذهبته، والوجه أن يقول: أشد إذهابًا لغيظ؛ لأن أفعل لا يبنى من الإفعال إلا في ضرورة الشعر ولكنه جاء على حذف الزوائد، ولو قال: بالغيظ لاستغنى.

(١٨٢) يقول: عش عزيزًا أو مت في الحرب كريمًا، ولا تعش كما عشت إلى الآن ذميمًا لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك، فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيرًا فلا يفتقدونك ولا يكترثون لموتك؛ لأنهم إنما يبالون مَن له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكر بها. هذا، ويقال: حيى يحيا حياة وحيَّ — بالإدغام — وقوله تعالى: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾، قال الفراء: كتابتها على الإدغام بياء واحدة هي أكثر القراءات.

(١٨٣) لظى: من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف، والكلام كله مبالغة في طلب العز والبعد من الذل، وإلا فلا عز في جهنم ولا ذل في الجنة.

(١٨٤) البخنق: خرقة تقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك. يقول: قد يقتل العاجز الجبان، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء، فإياك والعجز والجبن حبًّا للبقاء.

(١٨٥) المخش: الجريء على الليل والدخال في الأمور والحروب. وخوَّض: بالغ في الخوض. واللبة: أعلى الصدر. وماؤها: دمها. والصنديد: السيد الشجاع. والبيت تكملة لما

ذكره في البيت السابق. يقول: كما أن العاجز الجبان قد يقتل يسلم الشجاع المغوار، وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد؛ يحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله.

(١٨٦) هذا كما قال القائل:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا حَتَّى عَدَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا

(عصام: هو حاجب النعمان بن المنذر، وهو عصام بن شهبر الجرمي، وفي المثل: كن عصاميًّا ولا تكن عظاميًّا، يريدون به قول عصام هذا. والعظامي: الذي يفتخر بآبائه ويتكل على مجدهم.)

وقال عامر بن الطفيل:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفَارِسَهَا الْمَشْهُورَ فِي كُلِّ مَوْكِبِ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ
وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وَأَتَّقِي أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ

(أسمو: من السمو؛ وهو: العلو والارتفاع. وقوله: بمنكب، يريد: أرمى من رماها بجماعة رؤساء من الفوارس، والمنكب: رأس العرفاء. وقيل: أعوان العرفاء من النكابة، وهي العرافة.)

قال الواحدي: لو اقتصر المتنبي على هذا البيت لكان ألأم الناس نسبًا. لكنه قال بعده البيت التالي.

(١٨٧) كل من نطق الضاد: العرب؛ لأن الضاد لا توجد في غير العربية. يقول: على أنه بقومي فخر العرب جميعًا، وبهم عوذ الجاني؛ أي إن من جنى جناية وخاف على نفسه لجأ إلى قومي ليأمن على نفسه، وبهم غوث الطريد — وهو الذي نفي وطرد — أي إنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه.

(١٨٨) المعجب: الذي يعجب بنفسه. والعجيب: الذي يعجب غيره. يقول: إن كنت معجبًا بنفسي فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد مزية يمتاز بها عليه، فليس عجبي إذن بمنكر.

(١٨٩) ترب الإنسان: من ولد معه في وقت، والندى: الجود، والسمام: جمع سم. يقول: أنا أخو الجود ولدنا معًا، وأنا رب القوافي ومبدعها، إذ لم أسبق إلى مثلها، وأنا قاتل أعدائي كما يقتل السم، وأنا غيظ حسادي؛ لأنهم يتمنون مكاني فلا يدركونه فيغتاظون.

(١٩٠) تداركها الله: جملة معترضة، وهي إما دعاء لها، أي: تداركهم الله بالإصلاح ونجاهم من لؤمهم، أو دعاء عليهم: أي أدركهم الله بالإهلاك لأنجو منهم. هذا، وثمود: قبيلة من العرب الأول واختلف القراء في إعرابه في كتاب الله: فمنهم من صرفه: ومنهم من لم يصرفه، فمن صرفه ذهب إلى الحي؛ لأنه اسم عربي مذكر سمي بمذكر، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة، وهي مؤنثة.

(١٩١) أقصر عن الشيء: إذا كف عنه وهو قادر عليه، وقصر عنه: إذا عجز عنه، وقصر فيه: إذا لم يبالغ، والضمير في بلغ: للرد، والجملة استئناف. يقول: إن ودي إياك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة، فكف عن البر فإنك لا تزيدني بذلك ودًّا. وهذا من قول ذي الرمة:

وَمَا زَالَ يَعْلُو حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا وَيَزْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا يَزِيدُهَا

(١٩٢) أرسلتها: أي الجامة، ومملوءة حمدًا: يريد ما كتبه إليه على جوانبها.

(١٩٣) طفح الإناء: امتلأ. وتطفح: حال؛ أي طافحة. ومثنى: حال أخرى. والضمير في به: للحمد؛ أي الأبيات التي عليها. يقول: جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كان فارغة مما كان فيها، وقد شفعتها بالحمد — لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها — فصارت بذلك شيئين لا شيئًا واحدًا كما تظنها.

(١٩٤) الخلائق: ما خلق عليه الإنسان. يقول: إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك ألا تشتاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم. قال العكبري: قوله: أن لا تحن، أن ها هنا هي المخففة من الثقيلة، ودخلت لا لتفصل بينها وبين الفعل؛ فلهذا رفع تحن وتذكر، ومثله قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي في قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ بالرفع، وروى جماعة هذا الحرف — أن لا تحن وتذكر — بالنصب، وجعلوا أن هي الناصبة، ولم يعتدوا بلا، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم.

(١٩٥) اسم كانت: ضمير الخلائق. يقول: لو كنت زمانًا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع، وكانت أخلاقك الورد؛ أي أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة، وأخلاقك بمنزلة

الورد من الأزهار. هذا، والعَصْر والعُصْر والعُصُر والعِصْر: الدهر.
قال امرؤ القيس في العُصُر:

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصُرِ الْخَالِي

والجمع: أَعْصُر وأعصار وعُصُر وعصور. قال العجاج:

وَالْعَصْرِ قَبْلَ هَذِهِ الْعُصُورِ

(أول هذا الرجز:

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي سَيْرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

العذير: الأمر الذي يحاوله الإنسان فيعذر فيه: أي لا تستنكري ما أحاوله معذورًا فيه. وسيري: عطف بيان له، أو بدل منه. وجاري: منادى مرخم؛ أي يا جارية.
راجع: «الرجز في أراجيز العرب للبكري».)
والعصران: الليل والنهار. قال حميد بن ثور:

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

(قبله:

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

أي إن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم، وهو الداء الذي لا دواء له.)
(١٩٦) يقول مخاطبًا أحبته: اليوم ألقاكم مودعًا، فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق؟ ثم استأنف فقال: هيهات؛ أي بَعُدَ ما أطلب، ليس لهذا اليوم — يوم لقائكم للوداع — غد؛ أي لا أطمع في أن أعيش بعد فراقكم، فلا غد لي بعد هذا اليوم. وأين، وإن كانت سؤالًا عن المكان إلا أن المراد بها هنا ما يراد بمتى؛ أي السؤال عن الزمان.
وهيهات: كلمة تبعيد، قال جرير:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ   وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُحَاوِلُهْ

(نحاوله: يروى نواصله. والعقيق: اسم وادٍ بالمدينة. والخل: الصديق. وهيهات: اسم فعل بمعنى بعد.)

والتاء مفتوحة مثل كيف، وأصلها هيهاه، وكذلك وقف عليها أحمد البزي عن ابن كثير والكسائي بالهاء رداها إلى الأصل. وقد كسرها جماعة من العرب؛ قال حميد الأرقط يصف إبلًا قطعت بلادًا حتى صارت في القفار:

يُصْبِحْنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَّاتِ   مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتِ
هَيْهَاتِ مِنْ مُصْبَحِهَا هَيْهَاتِ

(يقال: رجل أتاوي؛ إذا كان غريبًا في غير بلاده، فقوله: يصبحن أتاويات؛ أي غريبة من صواحبها لتقدمهن وسبقهن. ومعترضات: أي نشيطة لم يكسلهن السفر، غير عرضيات: أي من غير صعوبة، بل ذلك النشاط من شيمهن.)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منها همزة فقالوا: أيهات كهراق وأراق، قال الشاعر:

أَيْهَاتَ مِنْكَ الْحَيَاةُ أَيْهَاتَا

وقال الجوهري في «صحاحه»: قال الكسائي: من كسر التاء وقف عليها بالهاء، ومن فتحها وقف عليها بالتاء وإن شاء بالهاء، قال أبو محمد عبد الله بن بري النحوي في أخذه على الجوهري: قال أبو علي الفارسي: من فتح التاء وقف بالهاء؛ لأنه اسم مفرد، ومن كسر وقف عليها بالتاء؛ لأنه جمع لهيهات المفتوحة، وقال الأخفش: يجوز في هيهات أن تكون جماعة، فتكون التاء التي فيها تاء الجمع التي للتأنيث، ولا يجوز ذلك في اللات والعزى؛ لأن لات وكيت لا يكون مثلهما جماعة، لأن التاء لا تزاد في الجماعة إلا مع الألف، فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد.

(١٩٧) المخلب: للمفترس من السباع وجوارح الطير؛ واستعاره للموت لأنه بإهلاكه الحيوان كأنه يفترسه. يقول: إذ تزمعون الفراق فإن الموت سيدركني قبل أن تفارقوني فزعًا من البين، والحياة تكون عني أبعد منكم. وقوله: لا تبعدوا، دعاء لهم؛ أي لا بعدتم عني ولا فارقتموني أبدًا، ومن رواه بفتح العين فهو من البَعَد — بفتحتين — بمعنى

الهلاك؛ أي لا هلكتم ولا فجعت بكم، قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. أما بضم العين فهو من البعد؛ بمعنى البين والفراق. وقوله: مخلبًا، يروى مطلبًا، ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم؛ أي لو خيرت بينهما لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم.

(١٩٨) يقول: إن التي عصفت بي وأتت علي وقتلتني بعيونها لم تدرِ أن دمي في عنقها وأنها باءت بإثم قتلي، يقال: تقلد الإثم ونحوه؛ أي لزمته تبعته، وتقلد الأمر: أخذه في عنقه، وأصله من القلادة. ومنه تقليد القضاة القضاء؛ أي جعله في أعناقهم. وكذلك تقليد الولاة.

(١٩٩) يقول: لما رأت اصفرار وجهي — وجدًا بفراقها — قالت: من به؟ أي: من فعل به هذا الذي أراه؟ أو مَن المطالب به؟ وتنهدت: أي علا صدرها لشدة تنفسها، وزفرت استعظامًا لما رأت. فأجبتها وقلت: الذي فعل بي هذا — أو المطالب بي — هو المتنهِّد؛ أي أنت. وقال العكبري: يجوز أن يكون «قالت» جوابًا لظرف محذوف؛ أي لما رأت اصفراري قالت. ويجوز أن يكون خبر إن — في البيت قبله — ويكون عجز البيت: لم تدر ... إلخ، جملة في موضع نصب على الحال.

(٢٠٠) اللجين: الفضة. والعسجد: الذهب. وقوله: وقد صبغ الحياء بياضها لوني، عدى الصبغ إلى مفعولين؛ لأنه يضمن معنى الإحالة، كأنه قال: أحال الحياء بياضها لوني. يقول: إنها استحيت فاصفر لونها، كأنها فضة قد مسها ذهب. قال الواحدي: إن الحياء لا يصفر اللون بل يحمره، ولكن هذا الحياء كان مختلطًا بالخوف؛ لأنها خافت الفضيحة على نفسها، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام، أو خافت أن تطالب بدمه، فاستشعارها خوف ما جنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة.

(٢٠١) قرن الشمس: أول ما يبدو منها وهو أصفر، وقرن الشمس: مفعول أول لرأيت، والمفعول الثاني: الظرف بعده. ومتأودا: أي متمايلًا، حال من قمر. وغصن: مبتدأ. ويتأود: خبره. والضمير في به: للقمر. والجملة: بدل من متأودًا؛ أي حال كونه متأودًا يتأود به غصن. ويجوز أن يكون غصن فاعل متأودًا، ويتأود: نعت لغصن؛ أي حال كونه متأودًا به غصن يتأود. يقول: إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في بياضها كالشمس إذا حلَّت في القمر الذي يميل به غصن قامتها، يعني أن قامتها تتمايل بوجهها في حال مشيتها. وقال ابن جني: قد جمعت بين حسن الشمس والقمر، وجعل قامتها غصنًا متمايلًا شبيهًا بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه. يريد: كانت كالقمر في بياضها فلما اصفرت خجلًا صارت الصفرة في بياضها كقرن الشمس.

(٢٠٢) عدوية: أي من بني عدي، وبدوية: نسبة إلى البادية، أو البدو — على غير قياس — وعدوية، خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي عدوية، أو قاتلتي عدوية. ومن دونها: خبر مقدم، وسلب النفوس: مبتدأ مؤخر. يقول: إنها من قومها في منعة، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب، فمن حاول الوصول إليها صلي بنار الحرب.

(٢٠٣) وهواجل ... إلخ: عطف على سلب النفوس — في البيت السابق — والهواجل: جمع هوجل؛ وهو المفازة لا أعلام بها. والصواهل: الخيل. والمناصل: السيوف. والذوابل: الرماح. يقول: دون الوصول إليها هذه الأشياء. قال العكبري: والهواجل أيضًا: النوق، ويجوز أن يريد بها النوق ليكون أليق بالبيت؛ لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل.

(٢٠٤) أبلت: من البلى. ومشى عليها: أي على مودتها. يقول: أبلاها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا. وقوله: ومشى عليها الدهر وهو مقيد: مبالغة في الإبادة؛ أي وطئها وطأً ثقيلًا كوطء المقيد، وذلك أن المقيد لا يقدر على خفة المشي ورفع الرجلين، فهو يطأ وطأً ثقيلًا. وقال ابن جني: هذا مثل واستعارة؛ وذلك أن المقيد يتقارب خطوه، فهو يريد أن الدهر دب إليها فغيرها. قال الواحدي: وهذا فاسد بقوله عليها، ولو أراد ما قال لقال: ومشى إليها الدهر، كما قال أبو تمام:

فَيَا حُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُوَرِ الْبِعَادِ

(٢٠٥) برح به الأمر وأبرح به: جهده واشتد عليه. وأراد بالممرض: نفسه. والعوَّد: الذين يزورون المريض خاصة. يقول: لقد برحت به الجفون الذوابل، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طبيبه وزواره — حين هالهم مرضه — رحمة له ورثاءً لحاله. وقد ذهب ابن جني إلى أن المعنى: برحت: تجاوزت الحد، وعني بالممرض: جفنها، ومرض الطبيب وعيد العود مثل؛ أي تجاوزت يا مرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود، يبالغ في شدة مرض جفنها. قال ابن فورجة ينتقده: أبرح ابن جني في التعسف، ومن الذي جعل مرض الجفون متناهيًا، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح، كقول أبي نواس:

ضَعِيفَةُ كَرِّ اللَّحْظِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ

ولو أراد تناهيه لقال: تحسبها في برسام (البرسام: التهاب الصدر.) أو نزع روح ... إلى أن قال: والدليل على كون الممرض هو المتنبي: قوله بعد:

فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرِّضَا

وقوله: يا مرض الجفون: يروى يا مرض الجفون — بكسر الراء — وهو قليل في الاستعمال، إنما يقولون: فلان مريض، والقياس لا يمنع من قولك: رجل مرض كسقم قال الأعشى:

يَقْضِي بِهَا الْمَرْءُ حَاجَاتِهِ وَيُشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادُ السَّقِمْ

(٢٠٦) فله: أي للممرض المذكور — وهو المتنبي — والعيس: كرام الإبل. والفدفد: المفازة. يقول: إن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويبلغ بهم آماله، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء؛ أي لا يحصلون من سفرهم على شيء سوى التعب وجوب الطريق. وقال ابن جني: يريد أنه اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدها من الركبان. وقال ابن القطاع: يريد أنهم يجودون على كل أحد فكأنهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم.

(٢٠٧) من: استفهام، معناه الإنكار. وشأم: أي يا شأم. يقول: ليس في الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع، ولا تقل: من فيك يا شأم؟ أي: لا تخص الشأم وحدها بهذا الكلام؛ لأنه ليس أوحدها حسب، بل هو أوحد جميع الخلق وتقدير الكلام: من في الأنام من الكرام يقصد سوى شجاع، ولا تقل: يا شأم من فيك، فإنه أوحد الدنيا كلها، لا واحد الشأم. ووجه آخر: أن معناه الاستفهام، وقد حذف منه الفعل، كأنه قال: قل يا سامع من في الأنام من الكرام؟ ولا تقل ذلك للشأم؛ لأنه قد علم أنه ليس من يقصد إلا هذا الممدوح. هذا، والشأم تذكر وتؤنث؛ قال ابن بري: شاهد التأنيث قول جواس بن القعطل:

جِئْتُمْ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَالشَّأْمُ تُنْكَرُ كَهْلُهَا وَفَتَاهَا

(كهلها وفتاها: بدل من الشأم.) وشاهد التذكير قول الآخر:

يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ　　　فَمَنْ لِي إِنْ لَمْ آتِهِ بِخُلُودِ؟

وقال ابن جني: الشأم مذكر، وأجاز تأنيثه في الشعر، والنسبة إليها شأمي، وشآم على فعال، ولا تقل: شأم، وما جاء في ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد، وشاهد شآم في النسبة قول أبي الدرداء ميسرة:

فَهَاتِيكَ النُّجُومُ وَهُنَّ خُرْسٌ　　　يَنُحْنَ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّآمِ

وامرأة شامية، وشآمية مخففة.

(٢٠٨) لجوده: خبر مقدم، وما يقتنى: مبتدأ مؤخر، وكذا لسيفه ما يولد. ويقتنى: من القنية والادخار. وسطا: قهر، والسطو: القهر بالبطش. يقول: لما أخذ في العطاء أكثر حتى قلت في نفسي: إنه سيعطي جميع ما يقتنيه الناس، ولما سطا على الأعداء أكثر القتل حتى قلت: إنه سيقتل كل مولود، فتكون المقتنيات جميعًا لجوده، والنسل كله لسيفه. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى: أعطى فقلت لجوده مخاطبًا: لا يقتني أحد مالًا؛ لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار، وسطا فقلت لسيفه: انقطع النسل، فقد أفنيت العباد. ووجه آخر: أعطى فقلت: جميع ما يقتني الناس من جوده وهباته، وسطا فقلت: لسيفه ما يولد بعد هذا، يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفناء، فجعلهم طلقاءه وعنقاءه. قال ابن جني: ظاهره وباطنه هجاء — يعني: المصراع الثاني — وأحسن منه قول أبي تمام:

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ　　　إِنْ لَمْ تَتُبْ أَنَّهُ لِلسَّيْفِ مَا تَلِدُ

فجعله على المشركة وما ولدت، واحتاط بأن قال: إن لم تتب، وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك؛ فكأنه هجا الرجل وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل.

(٢٠٩) يقول: إن أوصاف المادحين له حارت، كيف تحصي فضائله؛ لأنها وجدت طرائق الممدوح ومسالكه التي تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف، لا تدركها.

(٢١٠) المعترك: ساحة القتال. والمفرية: المشقوقة. يقول: إنه يقطع كُلَى أعدائه، فالكُلَى تذم منه ما تحمده الأسنة، وهو الإصابة في الطعن وجودة الشق، والكلى تذم هذا؛ لأنه منافٍ للرحمة، والأسنة تحمده؛ لأنه بذلك أحسن استخدامها. وقال الواحدي: الناس يرون الكلى مشقوقة فيذمونه إذ لا رحمة له، ويرون الأسنة منكسرة فيحمدونه لشجاعته، فأضاف الحمد والذم إلى الكلى والأسنة؛ لأنهما السبب.

(٢١١) نقم: مبتدأ، خبره: نعم، وعلى — الأولى — متعلقة بيصبها: والجملة نعت نقم، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم. يقول: إن النقم التي يصبها الممدوح على الأعداء — مضافة إلى نقم الزمان — هي نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التي لا تجحد، يعني اعتزاز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الغنائم بنكبتهم.

(٢١٢) الشأن: الحال والأمر. والبنان: الأنامل. والجنان: القلب. يقول: في أحواله كلها إذا تفقدتها عجب؛ لأنها لم تكمل في أحد سواه، فأي خصاله رأيت حمدتها.

(٢١٣) أسد: خبر عن مبتدأ محذوف؛ أي هو أسد. ودم الأسد: مبتدأ، وخضابه: خبر، وموت — كذلك — خبر مبتدأ محذوف؛ أي هو موت، والجملة بعده نعت له. والهزبر: الشديد. والفريص: جمع فريصة؛ وهي لحمة عند الكتف تضطرب عند الخوف. يقول: هو شجاع يتلطخ بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له، وهو موت لأعدائه، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائصه.

(٢١٤) الإثمد: نوع من الكحل. يقول: ليست منبج — وهي بلد الممدوح، وعلى مرحلتين من حلب — مذ غبت عنها إلا كالمقلة الساهدة، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل — وهما اللذان تصلح بهما العين — يعني أن صلاح منبج بحضورك.

(٢١٥) هذا من قول أبي تمام:

وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا بِأَبْيَضٍ فَأَضْحَتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدِ

(٢١٦) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان. قال قائلهم:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

يقول: ما زلت تقرب من هذا البلد، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلوًّا.

(٢١٧) أرض: خبر عن محذوف؛ أي هي أرض. وسواها: مبتدأ، خبره: مثلها. وقال بعض الشراح: خبره: لها شرف، والضمير في لها: يرجع إلى سواها، ومثلها: نعت شرف، وهو على حذف مضاف؛ أي مثل شرفها. يقول: هي أرض لها شرف، وسواها لها شرف مثل شرفها، لو وجد فيها مثلك؛ أي إنما شرفها بك، فلو وجد مثلك في غيرها لساواها هذا الغير في الشرف.

(٢١٨) يقول: إن أعداءك أظهروا السرور بقدومك؛ خوفًا منك لا ابتهاجًا بك، وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم؛ أي يزعجهم ويقلقهم.

(٢١٩) قطعتهم حسدًا: أي إنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدهم إياك، فكأنك قطعتهم إربًا. وقوله: أراهم ما بهم؛ أي أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك، فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدًا، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده، ولأن الحسد ليس من أخلاقه. فقوله: حسدًا هو تمييز. وفاعل أراهم: ضمير الحسد.

(٢٢٠) انثنوا: رجعوا. والجلمد: الصخر. والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر وحمارَّة القيظ، وقيل: شدة الحر. يقول: حتى انصرفوا عنك وعن مباهاتك عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة ما لو كان في هاجرة لذاب الحجر. وقوله: ولو انَّ: حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش: ﴿وَمَنَ اظْلَمُ﴾ ونحوه.

(٢٢١) العلج — في الأصل — حمار الوحش السمين القوي، أطلقوه على الغليظ الضخم الجافي من كفار العجم؛ والمراد هنا: قواد الروم. يقول: لما نظروا إليك ورأوا هيبتك وأنك سيد القوم، لم يروا من حولهم من ساداتهم؛ أي لم يخطر لهم سيد من ساداتهم على بال، أو قد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك، فصاروا كأنهم لا يرون أحدًا سواك ممن حولهم، ورأوا منك ما دلهم على سيادتك، فقالوا: هذا هو السيد لا سواه من ساداتهم.

(٢٢٢) هذا البيت مترتب على ما قبله: إنك كنت وحدك مثلهم جميعًا؛ لأنك وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك، بحيث لو فقدوا كنت كلَّ مَن بذلك المكان، فأنت مفردًا مثلهم جميعًا. وهذا المعنى ينظر لقول أبي نواس:

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

وعبارة الواحدي: المعنى أنهم لصغرهم في جنبك كأنهم لا وجود لهم، وإذا فقدوا كنت أنت كل من بذلك المكان، ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثاني، وأتى بكاف التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة، ومعنًى لا وجودًا.

(٢٢٣) لهفان: حال من التاء في بقيت بينهم، وأصل اللهف: حرارة الجوف من شدة وكرب ونحو ذلك، والمراد باللهفان هنا: الممتلئ غضبًا. ويستوبي: يستفعل من الوباء، وأصله: يستوبئ، فخفف للضرورة. والورى: فاعل يستوبي، والحجا: العقل. والسؤدد: السيادة. ونهنهه: كفه ورده، من النهى. يقول: بقيت غضبان حتى استوبأ الناس الغضب الذي بك؛ أي ظنوه وباءً مهلكًا لهم، لو لم ينهك سؤددك وحلمك عن إهلاكهم.

(٢٢٤) يقول: كن في أي موضع شئت من البلاد، فإنا ننتجعك ونصمد إليك؛ فإن الأرض التي تغدو ونروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها، وأنت أوحدها لا نظير لك فيها، وإذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال؛ لعدم وجود غيرك ممن يستأهل أن يصمد إليه. وقال ابن جني: فالأرض واحدة؛ أي ليس علينا للسفر مشقة لإلفنا إياه. قال العروضي: ليت شعري أي مدح للممدوح في أن يألف المتنبي السفر!

(٢٢٥) الإذالة: الامتهان والابتذال. وصنه استره. والجماجم: جمع جمجمة؛ وهي قحف الرأس. يقول: لقد أكثرت من القتل، فأغمد سيفك وكفى ما حصل؛ فإن سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به، والجماجم التي حطمتها تشهد له. وقال ابن جني: صنه فإنه به يُدرك الثأر، وتُحمى به الذمار. قال ابن فورجه: كيف أمن أن يقول: ما أذلته إلا لإدراك الثأر، وإحماء الذمار؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبي الطيب، وإنما المعنى: أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك، فقال: صن سيفك، وإنما يريد أغمده.

(٢٢٦) النجيع: الدم. يقول: إن الدم جمد على سيفك حتى صار كالغمد له، فيرى وهو مجرد كأنه مغمد، وهذا من قول البحتري:

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ … مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

ومن قول الآخر:

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ … لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إِزَارَا

(عند العرق: سال فلم يكد يرقأ، وهو عرق عاند، ودم عاند: يسيل جانبًا.)

(٢٢٧) ريان — بالنصب — حال، العامل فيه يبس، وبالرفع: خبر مبتدأ محذوف. يقول: سيفك ريان فلو مج ما سقيته من دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزبد؛ يعني أنك أكثرت به القتل.

(٢٢٨) المنية: الموت. والمهجة: الروح. وشفرته: حده. يقول: لم يشترك سيفه والمنية في سفك دم إلا كان سيفه يدًا ليد المنية؛ أي إنها تستعين به كما يستعين العامل بيده في العمل. وعبارة ابن جني: يعني أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر في القتل.

(٢٢٩) الرزايا: جمع رزية؛ وهي المصيبة. والقنا: الرماح. والحلفاء: جمع الحليف وهو الصديق المحالف. وغوروا: نزلوا الغور، وهو المنخفض من الأرض، وأنجدوا: نزلوا النجد، وهو الأرض المرتفعة. يقول: إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما ثقفوا ويمموا؛ أي إنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم، وعطايا لأوليائهم، كما قال أبو تمام:

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا ... أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ

(٢٣٠) جلهمة: اسم طيء، وطيء لقب له. واللام: لام الاستغاثة. والواو — في وإنما — للحال، وأشفار العين: منابت الأهداب. يقول: إذا صحت يا لجلهمة! أسرعت إليك وأحدقت بك، فهابك كل أحد، حتى إذا نظرت إلى أي إنسان بعينيك فكأنك أشرعت إليه رماحًا وسللت عليه سيوفًا، فقامت أشفار عينيك مقام الذابل؛ الرمح، والمهند؛ السيف. وقال الواحدي: كان الأستاذ أبو بكر يقول: يريد أنهم يتسارعون إليك ويملئون الدنيا رماحًا وسيوفًا! هذا كلامه، وتحقيقه: حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتملأ من كثرتها عينيك، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم:

وَإِذَا دُعُوا لِنِـزَالِ يَوْمِ كَرِيـهَـةٍ ... سَتَرُوا شَعَاعَ الشَّمْسِ بِالْخُرْصَانِ

[الخرصان: الرماح، والخرصان: الدروع.] وقال سلامة بن جندل:

إِنَّـا إِذَا مَـا أَتَـانَـا صَـارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

«يقول سلامة: إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجد في نصرته، يقال: قرع لذلك الأمر ظنبوبه: إذا جد فيه. والظنبوب: هو طرف العظم اليابس من الساق؛ فالشاعر جعل قرع الصوت على ساق الخف في زجر الفرس قرعًا للظنبوب».

(٢٣١) الجود: المطر الغزير؛ والغوادي: السحائب المنتشرة صباحًا. يقول، يصف رجال جلهمة: من كل رجل أكبر قلبًا من الجبال — يريد قوة قلبه وشدته — وأجود من مطر السحاب. وقوله: أجود: خبر مبتدأ محذوف؛ أي وهو أجود من جود الغوادي. وقلبًا: تمييز هذا. وتهامة: اسم مكة. وقال الجوهري: تهامة: بلد، والنسبة إليها: تهامي وتهام، إذا فتحت التاء لم تشدد. كما قالوا: يمان وشآم، إلا أن الألف في تهام من لفظها والألف في يمان وشآم عوض من ياء النسبة، قال ابن أحمر:

وَكُنَّا كَابْنَيْ سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوًى ثمَّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا
وَأَلْقَى التَّهَامِي مِنْهُمَا بِلَطَاتِهِ وَأَحْلَطَ هَذَا: لَا أُرِيمُ مَكَانِيَا

(السبات: الدهر. ولطاته: ثقله، وأحلط هذا: أي أقام، أو حلف مجتهدًا. ولا أريم مكانيا: لا أبرحه.)

وقوم تهامون، كما قالوا: يمانون. وقال سيبويه: من الناس من يقول: تهامي ويماني وشآمي — بالفتح — مع التشديد. وقد قلنا: الجود: المطر الغزير، تقول: جاد المطر.

يجود جودًا فهو جائد، والجمع جود، مثل صاحب وصحب، وقد جيدت الأرض فهي مجودة؛ أي أصابها مطر جود. قال الراجز:

أَرْعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصِّلَّ وَالصِّفْصِلَّ وَاليعْضِيدَا
وَالخَازِبَازِ السَّنِمَ الْمَجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

الصل: نبت، وكذلك الخازباز. الصفصل، واليعضيد: شجر ونبت. سنم: مرتفع، وهو الذي خرجت سنمته، وهو ما يعلو رأسه كالسنبل. وعامر ومسعود: راعيان.

(٢٣٢) بأحمر: أي بسيف أحمر، والباء متعلقة بيلقاك، أو بمرتديًا. ومن دم: صفة أحمر. وخضرة السيف: لون فرنده. والطلا: الأعناق. يقول: يلقاك كل منهم متقلدًا سيفًا قد تلطخ بدم الأعناق والأكباد، فاحمر واستترت خضرته، وذهبت بها الطلا والأكبد. هذا، والأكبد: جمع كبد، وقيل: هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد وأعبد وجمع كبد — بكسر الباء: أكباد وكبود كوتد وأوتاد.

(٢٣٣) يقول: حتى يشير الناس إليك فيقولوا: هذا مولى طيء؛ أي رئيسهم وسيدهم، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم. ويروى بدل «حتى» حي، أي هم حي يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس.

(٢٣٤) وأبوك: مبتدأ، ومحمد خبره. والثقلان أنت: جملة معترضة. يقول: كيف يكون آدم أبا الورى وأبوك محمد الطائي وأنت الثقلان؛ أي إنك جميع الإنس والجن، جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والكمال. روي أن أبا تمام قال لابن أبي داود لما اعتذر إليه: أنت جميع الناس، ولا طاقة لي بغضب جميع الناس. فقال له: ما أحسن هذا المعنى! فمن أين أخذته؟ قال من قول أبي نواس:

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ　　　أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

(٢٣٥) ينفد: يفنى. قال ابن جني: لو اتفق له أن يقول: ما يفنى بما لا يفنى، أو ما ينفد بما لا ينفد لكان أحسن في صناعة الشعر، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ، وهو حسن جيد؛ لأن ينفد بمعنى يفنى.

(٢٣٦) التخديد: الشق. والقد: القطع طولًا، والحسان القدود، إضافة لفظية، مثل الحسن الوجه؛ يدعو على ورد الخدود أن يشققه الله فيزول حسنه، وأن يقطع قدود الحسان القدود، قال ابن جني: وهو دعاء على التعجب والاستحسان، كقول جميل:

رَمَى اللهُ فِي عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بِالْقَذَى　　　وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ

(يقال: قد أسرعت في أسنانه القوادح، جمع قادحة؛ وهي الجراثيم التي تأكل السن، أو سواد يظهر في الأسنان.)

قال الواحدي: وهذا المذهب بعيد من قول أبي الطيب؛ لأنه أخرجه في معرض المجازاة لما ذكر فيما بعد، يريد جازاهن الله جزاء بما صنعن بي بالتخديد والقد. قال: وهنا مذهب ثالث، وهو إنما دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته، فإذا زالت زال وجده بها، وحصلت له السلوة، كما قال أبو حفص الشهرزوري.

دَعَوْتُ عَلَى ثَغْرِهِ بِالْقَلَحْ　　　وَفِي شَعْرِ طُرَّتِهِ بِالْجَلَحْ
لَعَلَّ غَرَامِي بِهِ أَنْ يَقِلَّ　　　فَقَدْ بَرَحَتْ بِي تِلْكَ الْمُلَحْ

القلح: صفرة في الأسنان، ووسخ يركبها. والجلح: ذهاب الشعر من مقدم الرأس.

قال العكبري: والذي ذكره ابن جني أحسن؛ لأن المحب لا يدعو على محبوبه أبدًا، والذي أنشده الواحدي للشهرزوري ليس هو مما صدر عن محب؛ لأن المحب الصادق يقف عند المعاني لا عند المحاسن.

(٢٣٧) يقول: هن أبكين عيني حتى بضت دمًا، وعذبن قلبي بنار الصد وهو عذاب — لو علمت — أليم. هذا، ولك أن تجعل دمًا مفعولًا ثانيًا لأسلن ومقلتي مفعولًا أول، ولك أن تجعله تمييزًا مقدمًا، قال العكبري النحوي الكوفي: وهذا جائز عندنا، وعند المازني والمبرد من البصريين، ومنعه باقيهم كقولك: تصبب عرقًا زيد، حجتنا نقل وقياس، أما النقل فقول الشاعر:

أَتَهْجُرُ سَلْمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

(للمخبل السعدي، وسلمى جاءت ليلى في بعض الدواوين، والرواية الصحيحة في البيت وما كان نفس بالفراق تطيب.)

تقديره: وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفسًا، فدل على جوازه. وأما القياس فإن هذا العامل فعل متصرف، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة، ألا ترى أن الفعل إذا كان متصرفًا — نحو ضرب زيد عمرًا — يجوز تقديم معموله عليه، فتقول: عمرًا ضرب زيد؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه؛ وذلك أنه فاعل في المعنى، فإذا قلت: تصبب زيد عرقًا فالمتصبب هو العرق، وكذلك لو قلت: حسن زيد غلامًا لم يكن لزيد حظ في الفعل من جهة المعنى، بل الفاعل في المعنى هو الغلام فلما كان هو الفاعلَ في المعنى لم يجز تقديمه.

(٢٣٨) يقول: كم للهوى من شاب نال منه المرض كل النيل، وكم للفراق من قتيل شهيد! يعني أن الحب يسقم، والفراق يقتل. وقال بعض الشراح: كم للفراق من قتيل قد عف عن الخنا، فكان موته لذلك شهادة. هذا، والدنف: المرض الملازم المخامر، ورجل دَنَف ودَنِف ومدنَف ومدنِف: براه المرض حتى أشفى على الموت، فمن قال: دَنَف لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه، كأنه وصف بالمصدر، ومن كسر ثنى وجمع وأنث: فقال رجل دنِف — بالكسر — ورجلان دنِفان، ورجال أدناف، وامرأة دنِفة، ونسوة دنِفات. وقد دنف المريض — بالكسر — أي ثقل، وأدنف مثله، وأدنفه يتعدى ولا يتعدى. والشهيد

— في الأصل — من قُتل مجاهدًا في سبيل الله، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من يقتل مأجورًا.

(٢٣٩) الكبود: جمع كبد.

(٢٤٠) أغرى من غري بالشيء: إذا أولع به. والصبابة: رقة الشوق. والعميد: كالمعمود؛ الذي أضناه العشق وهده.

(٢٤١) لهج بالشيء يلهج لهجًا: أولع به. والخنا: الفحش، وكلام خنٍ، وكلمة خنية، وقد خني عليه — بالكسر — وأخنى عليه في منطقه: أفحش. قال أبو ذؤيب:

وَلَا تُخْنُوا عَلَيَّ وَلَا تَشِطُّوا   بِقَوْلِ الْفَخْرِ إِنَّ الْفَخْرَ حُوبُ

(لا تشطوا: لا تبعدوا ولا تجوروا، يقال: شط وأشط. والحوب: الهلاك والإثم والوحشة.) وقوله: بحب متعلق بألهج. واللمى: سمرة في الشفة. يقول: ما أولع نفسي بحب السمر الشفاه، الناهدات، لغير الفحش والفجور.

(٢٤٢) كانت: أي نفسي — المذكورة في البيت السابق — واسم كن: يعود على ذوات اللمى، وفي مزيد: خبر زال. يدعو للممدوح يقول: كانت نفسي وأحبائي اللائي وصفتهن، فداء له، ولا زال في مزيد من النعم.

(٢٤٣) يقول: لا وعيد عنده للأعداء؛ وإنما يناجزهم بالسيف. ولا وعد عنده للأولياء؛ وإنما يبادرهم بالسيب والعطاء، فهو يعجل ما ينوي فعله، علمًا منه بما تئول إليه الأمور، وإقدامًا منه على مطالبه، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيبه — بحصوله عاجلًا — بينه وبين الوعود. هذا، والوعيد التهدد، وهو يستعمل في الشر خاصة. والوعود: جمع وعد. وهو وإن كان يستعمل الخير والشر إلا أن المراد به هنا الخير.

(٢٤٤) تفريع على عجز البيت السابق. يقول: إن أمواله في نحوس؛ لأنه يفرقها ويسخو بها، وسؤَّاله في سعود؛ لأنه يبذل أمواله لهم فيتنعمون بها، وينالون منه ما يقترحون عليه، وهذا كما يقول أبو تمام:

طَلَعَتْ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعِ   وَغَدَتْ عَلَى الْآمَالِ وَهْيَ سُعُودُ

(٢٤٥) يقول: إني إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التي لا ينجو منها أحد، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء، فلو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود.

(٢٤٦) النواصي: جمع ناصية، وهي شعر مقدم الرأس. والسمر: الرماح. والصعيد: وجه الأرض. يعني: أنه وجه إليها الجيش ورماحًا تريق دماء أعدائه على الأرض. وفي رواية: بنواصي الجياد.

(٢٤٧) البيض: السيوف. يقول: إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجفان — الغمود — ومن الأجفان إلى الرقاب، فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك؛ ولهذا جعلها مسافرة.

(٢٤٨) يقدن: أي الرماح والجياد والسيوف.

(٢٤٩) ولى: أدبر. وأشياع الرجل: أتباعه ومشايعوه الذين يطيعونه. والشاء: جمع شاة، وإنما قال: أحس على لفظه، لا معناه، فلفظه الواحد. وزئير الأسد: صوته. والخرشني: هو بدر الخرشني، أحد قواد الدولة العباسية، وقد كان واليًا لحلب، وهو منسوب إلى خرشنة — بلد من بلاد الروم — يقول: أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغنم حين تسمع صوت الأسد.

(٢٥٠) يرون — بضم الياء — أي يظنون ويخيل إليهم، والضمير: للخرشني وأتباعه. والذعر: الخوف والفزع. وصوت الرياح: مفعول أول، وصهيل الجياد: مفعول ثان. والبنود: الرايات، وخفقها: اضطرابها. يقول: إنهم لشدة خوفهم — وهم هاربون — كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل الممدوح وراءهم وخفق راياته. وهذا من قول جرير:

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَـيْـلًا تَـكِـرُّ عَـلَـيْـكُـمُ وَرِجَـالَا

(٢٥١) من: استفهام معناه الإنكار. يقول: لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده. وقال ابن بنت الأمير؛ لأن جده لأمه كان أميرًا أيضًا، يعني أن الإمارة انحدرت إليه من أبويه.

(٢٥٢) يقول: إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود والسؤدد وهم صغار على ما عهد من أجدادهم وآبائهم. هذا، والمعالي: جمع معلاة؛ وهي كسب الشرف. قال ابن بري: ويقال في واحدة المعالي: معلوه. والصبية: جمع صبي. والمهود: جمع مهد؛ وهو مضجع الطفل.

(٢٥٣) الرق: العبودية. والهبات: العطايا. واللجين: الفضة. والعتق: الحرية، وهو اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق. يقول: يا من يملك نفسي عبودية ويا من شأنه أن

يهب الفضة ويعتق العبيد: دعوتك ... إلى آخر ما يلي. وقوله: ومَن شأنه — بفتح الميم — اسم بمعنى الذي، وشأنه: مبتدأ، خبره: هبات. ورواها ابن جني: ومِن شأنه، جعلها جارًّا ومجرورًا؛ فيكون خبرًا مقدمًا، وهبات: مبتدأ مؤخر.

(٢٥٤) الوريد: عرق في العنق يضرب مثلًا في شدة القرب، يقال: هو أقرب إليه من حبل الوريد.

(٢٥٥) البلاء: الامتحان، والغم يبلي الجسم. وبراه: هزله وأنحله. وأوهنه: أضعفه. والبلاء يروى: البلى؛ أي الفناء.

(٢٥٦) المحفِل: الجماعة يجتمعون في موضع، وعني بالقرود: المسجونين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات الشتى الشكول. يقول: كنت أجالس أهل الفضل فصرت أجالس أوباش الناس.

(٢٥٧) تعجل: أي أتعجل؟! فهو استفهام إنكاري — على تقدير الهمزة — ويحتمل أن يكون خبرًا. والحدود: جمع الحد؛ وهو العقوبة. وحدي: عطف على وجوب. يقول: إنما تجب الحدود على البالغ، وأنا صبي لم تجب علي الصلاة بعد، فكيف أُحَدُّ؟ قال ابن جني: وليس يريد أنه في الحقيقة صبي غير بالغ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالي، ألا ترى أن من كان صبيًّا لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف؟

(٢٥٨) عدوت: من العدوان؛ أي البغي. والولاد: الولادة. يقول: ادَّعى عليَّ الناس — وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدي بعد — أني جرت وخرجت على الناس! يعني أن الناس مفترون؛ يدفع بهذا عن نفسه الظنة.

(٢٥٩) يقول: إن الناس إنما شهدوا عليَّ زورًا فلمَ تقبل شهادتهم؟ وقدر الشهادة على قدر الشاهد: إن كان الشاهد عدلًا قبلت شهادته، وإن كان من السفلة السقاط ردت.

(٢٦٠) الكاشح: العدو الذي يضمر العداوة في كشحه. ويقال: ما عبأت به؛ أي ما باليت. وقوله: بمحك اليهود؛ أي لجاجهم، ويروى بمحل: وهو الكيد والسعاية. قال ابن جني: جعل خصومه يهودًا ولم يكونوا في الحقيقة يهودًا.

(٢٦١) دعوى — في الموضعين — مضافة إلى الجملة المحكية. والشأو: الشوط والمسافة والغاية، والباء متعلقة بفارقًا. يقول: إن بين دعوى من يقول: أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول: فعلت كذا، بونًا بعيدًا فافرق بينهما؛ لأنهم إنما ادعوا عليَّ أني أردت أن أفعل ولم يدعوا عليَّ أني فعلت، وبينهما فرق ظاهر، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد.

(٢٦٢) ما — من قوله: ما جدت لي — مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر، وفي جود كفيك: خبر مقدم. وأشقى ثمود: هو «قدار» عاقر ناقة صالح. يقول: إن جودك لي بنفسي هو في جملة عطايا كفيك.

(٢٦٣) يقول: إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا، ولكن السبب أنك حسدتني على شعري، فمحقك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم.

(٢٦٤) المرقد: ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم. يقول: حين سمعت شعري، نمت فكأن ما سمعت منه بأذنيك مرقد شربته بفيك. وقوله: مما سكرت؛ أي من أجل سكرك — أي خدرك وتفترك — فما مصدرية.

(٢٦٥) الترحال: الرحيل. والشسوع: البعد. ونفد: فرغ.

(٢٦٦) همى الماء: سال. وثناه: صرفه ورده. والوابل: المطر الغزير. يقول: أطلق يديك هامية بالعطاء، واصرف عني معظم مطرها إذا اكتفيت؛ يعني أن في قليل عطائها غناءً وكفاية، ولا حاجة إلى كثيرها الذي هو كالوابل يغرق البلد.

(٢٦٧) الكمد: الحزن مع الهم. يقول: إن شوقي إلى الأحبة لا يقنع مني بهذا الحزن الذي أنا فيه حتى يحرق كبدي، ويوله عقلي فأصير مجنونًا ذاهب العقل.

(٢٦٨) اضطربت كلمة الشراح في تأويل هذا البيت؛ فقال بعض الشراح: يعني أن دار الحبيب لا تشكو إلي إذ لا نطق لها، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبقَ بها ساكن، ومن شأن المحزون أن يتأسى بسماع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه؛ لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب. وقال ابن جني: المعنى: لم يبقَ فيَّ فضل للشكوى، ولا في الديار؛ لأن الزمان أبلاها. قال ابن فورجه: ذهب ابن جني إلى أن تقدير الكلام: ولا الديار تشكو إليَّ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثورًا وبلًى كانت أشكى، لما تلاقي من الوحشة بفراق الأحبة، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى؟ وشكواها ليست بحقيقة وإنما هي مجازية، وإنما تكون على ما ذكر لو أن شكواها حقيقية وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها، كما يصح ذلك في العاشق، كقول الببغاء:

لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو إِلَيْكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مَنْ بِهِ رَمَقُ

وأيضًا لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله: «ما الشوق مقتنعًا» معنًى، ولما عطفها عليها دل على أنها منها. وإنما يعني: لا الشوق يقنع مني بهذا الكمد، ولا الديار التي كان الحبيب بها تقنع مني به. وتم الكلام بقوله: الحبيب بها، ثم ابتدأ

فقال: هذه الديار تشكو إلي وحشتها بفراق أهلها، ولا أنا أشكو إلى أحد؛ إما لجلدي، أو لأني كتوم لأسراري، فيكون قد نظر إلى قول القائل:

فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجْدِي   وَلَـكِنِّـي أُسِـرُّ وَتُـعْـلِـنِـينَـا

قال الواحدي: يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام في المصراع الأول، وهو أن يكون: ولا تقنع الديار التي كان الحبيب بها يشكو إليَّ؛ أي يطلعني على أمره، وأنا لا أفشي سري، على رواية يشكو — بالياء. ومن روى بالتاء كانت الديار الشاكية، يريد بلسان الحال ما دفعت إليه من الوحشة والخلاء، فتشكو: يريد به الحال لا الاستقبال. ولا أشكو إلى أحد؛ لأنه ليس بها غيري.

(٢٦٩) الودق: المطر. وهزيم الودق: يريد سحابًا هزيم الودق؛ وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه، ويقال: غيث هزيم ومنهزم، وأكثر ما يستعملان في صفة السحاب، وهو الذي لرعده صوت، يقال: سمعت هزيمة الرعد، ولا يستعمل في صفة الودق. وفي معنى البيت يقول مخلد بن بكار الموصلي:

يَـا مَـنْـزِلًا ضَـنَّ بِـالـسَّـلَامِ   سُقِّيتَ صَوْبًا مِنَ الْغَمَامِ
مَـا تَـرَكَ الْـمُـزْنُ مِـنْـكَ إِلَّا   مَا تَرَكَ السُّقْمُ مِنْ عِظَامِي

ويقول ابن وهب:

لَبِسَا الْبِلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا   بَعْدَ الْأَحِبَّةِ مِثْلَ مَا أَجِدُ

وقال البحتري:

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ الْبِلَى   حَتَّى كَأَنَّ نُحُولَهُنَّ نُحُولِي

(٢٧٠) غاض: نقص. والمصطبر: الاصطبار. والجلد: القوة والصبر. يقول: كأن دموعي جارية من جَلَدي؛ لأني كلما بكيت نقص صبري، فكأن دموعي من صبري.

(٢٧١) الزفرات: الأنفاس الحادة. وكلف به: أولع. ومن زفراتي: متعلق بمعنى أين، تقديره: أبعيد حبيبي من زفراتي أم قريب؟ يقول: أين من عشقته وأولعت به من معرفة

ما بي من الشوق إليه والحسرة على فراقه؟! وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد؟! أنكر أن يعرف الحبيب حاله، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح. وفيه من البديع حسن التخلص.

(٢٧٢) يقول: لما رجحت كفتك — وقد وضعت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى — علمت أن الرزانة للفضل، لا للأشخاص؛ أي إذا رجح الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلًا بالقياس إلى ذلك الواحد الراجح. قال البحتري:

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

(٢٧٣) الخَلَد: البال والرُّوع. يقول: لم يقع في قلب الأيام أن تسرني حتى وقعت أنت في قلبي أن أصمد إليك. والمعنى: ما أقبلت على الدنيا حتى أمَّلتك وقصدتك. وهذا ينظر إلى قول الآخر:

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِي بِسَلْمَى لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

(٢٧٤) الثكل: فقد الأم ولدها؛ جعل الخزائن كالأم، والمال كالولد. يقول: إذا امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها، فكأنها أم فقدت ولدها، وهذا كقول أبي نواس:

إِلَى فَتًى أُمُّ مَالِهِ أَبَدًا تَسْعَى بِجَيْبٍ فِي النَّاسِ مَشْقُوقِ

(٢٧٥) الماضي: النافذ. والجنان: القلب. والحزم: ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة. يقول: إن حزمه في الأمور يريه في يومه ما يكون بعد الغد، فيرى بقلبه ما تراه عينه بعد غد: يعني أنه يفطن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنْـ ـنَ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

ويقول أبو تمام:

وَلِذَاكَ قِيلَ: مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ

(من مدحة له في الواثق. ولذاك: أي لأنا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه.)

ولقد كرر المتنبي هذا المعنى في شعره. والمراد بهذا كله: صحة الحدس وجودة الظن.

(٢٧٦) ما ذا: أي ليس هذا البهاء ولا هذا النور ... إلخ. فما ذا: مركبة من ما النافية وذا الإشارية. والبهاء: الحسن. وسماح: من رفعه فهو على جعل «ما» تميمية؛ ومن رواه بالنصب جعله خبرًا لما، وهي مشبهة بليس. يقول: أنت أجل من أن تكون بشرًا؛ لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون في بشر، وليس سماحك سماح يد، وإنما هو سماح غيث وبحر. وكل هذا مبالغة، وفي معناه:

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفُّ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مِخْذَمُ

(٢٧٧) باراه: عارضه وفعل مثل فعله. وقوله: ما اتفقا: ما مصدرية؛ أي مدة اتفاقهما؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال، وضمير المثنى: يرجع إلى أي الأكف والغيث، يقول: أي كف سوى كف هذا الممدوح تبارى الغيث في الجود ما اتفقا ماطرين، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عادتها ولم يعد الغيث؛ يريد أن الغيث يمطر ثم ينقطع، وكفه تجود ولا ينقطع جودها، فهي تزيد على الغيث. والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا، أما الغيث فلا يعود عوده؛ لأنه قد ينقطع زمانًا طويلًا.

(٢٧٨) مضر: هو ابن نزار بن معد بن عدنان. وتبحتر: انتسب إلى بني بحتر؛ وهم حي من طيء من عرب اليمن. وأدد: ابن قحطان أبو اليمن. يقول: كنت أظن المجد مضريًّا حتى نقله الممدوح إلى بني بحتر، فهو اليوم بحتري أددي.

(٢٧٩) يريد بالموت: الدم؛ لأن سفوح الدم يسبب الموت، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت. شبهها — وهي تمطر الدم — بالسحب تجود بالمطر.

(٢٨٠) يقول: لم أفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهي كغاية الدهر.

(٢٨١) أحاد: يريد أأحاد، فحذف همزة الاستفهام للضرورة — وإن لم يكن بالفصيح — وأحاد من الأبنية التي سمعت عن العرب، ومثلها ثناء، وثلاث، ورباع، وقاسه المولدون إلى العشرة، قال الكميت:

فَلَمْ يَسْتَرْيِثُوكَ حَتَّى رَمَيْـ ـتَ فَوْقَ الرِّجَاءِ خِصَالًا عُشَارَا

(فوق الرجاء: أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه.
من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله.

رَجَوْكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعُمْرُ سِنَّكَ وَلَا نَـبَـتَ فِـيـكَ اتِّـغَـارَا
لِأَدْنَى خَسًا أَو زَكًا مِنْ سِنِيكَ إِلَـى أَرْبَـعٍ فَبَقَوْنَ انْتِظَارَا

يقول: تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيدًا أميرًا مطاعًا رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين. وقوله: ولا نبت فيك اتغارًا؛ أي أثغرت ولم تنبت أسنانك بعد.

قال أهل اللغة: إذا سقطت رواضع الصبي قيل: ثغر فهو مثغور، فإذا نبتت قيل: اتغر، وأصله اثتغر، فقلبت الثاء تاء، ثم أدغمت.

وقوله: لأدنى خسا أو زكا، فالخسا بفتح الخاء: الفرد، والزكا بفتح الزاي: الزوج. و«خسا» و«زكا» ينونان ولا ينونان.

والمعنى: أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا، وهو سنة أو سنتان، إلى أن صار لك أربع سنين، فظهر للناس ما دلهم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك.

وقوله: فبقون؛ أي انتظروك، يقال: بقوت الشيء إذا انتظرته.

وانتظارًا منصوب بـ «بقون»؛ لأنه في معنى انتظروك انتظارًا، ومعنى يستريثوك يجدونك رائثًا أي: بطيئًا، من «الريث» وهو البطء.

ورميت: زدت، يقال: رمى على الخمسين وأرمى؛ أي زاد.

يقول: لما نشأت نشء الرجال، أسرعت في بلوغ الغاية التي يطلبها طلاب المعالي، ولم يقنعك ذلك، حتى زدت عليهم بعشر خصال، فقت السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين.)

ولا يستعمل أحاد في موضع الواحد، فلا يقال: هو أحاد؛ أي واحد. إنما يقولون: جاءوا أحاد؛ أي واحدًا واحدًا، وكذلك سداس. واللييلة: تصغير ليلة، والمراد بالتصغير ههنا: التعظيم، على حد قول لبيد:

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

(قبله:

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنَحْبٌ فَيُقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ؟
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدْرُ أَمْرِهِمْ أَلَا كُلُّ ذِي لُبٍّ إِلَى اللهِ وَاسِلُ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

وقوله: أنحب فيقضى، فالنحب: النذر. يقول: أشيء أوجبه على نفسه فهو يسعى في قضائه أم ضلال؟)

(يعني لبيد: الموت الذي هو أعظم الدواهي.) والتنادي: يوم القيامة، سمي كذلك؛ لأن النداء يكثر في ذلك اليوم. قال الواحدي: أراد واحدة أم ست في واحدة وست في واحدة — إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف، ولم ترد الضرب الحسابي — سبع، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالي الأسبوع، وجعلها اسمًا لليالي الدهر كلها؛ لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر. يقول: هذه الليلة واحدة أم ليالي الدهر كلها جمعت في هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة؟ وعبارة بعض الشراح: يقول: إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة، فهي لطولها بمنزلة ليالي الدهر كلها، إلا أن كل واحدة من تلك الليالي طويلة أيضًا حتى كأنها ست ليال في ليلة؛ أي سبع ليال. يعني أن ليلته دهر بلياليه، وكل ليلة منه أسبوع، وهي نهاية المبالغة في الطول. وقال ابن جني: يريد: ينادي أصحابه بما يهتم به، ألا ترى إلى قوله:

أُفَكِّرُ فِي مُعَاقَرَةِ الْمَنَايَا

وعلى هذا استطال الليلة التي عزم في صباحها على الحرب، شوقًا إلى ما عزم عليه، وإنما حقر الليلة لعظم طولها. ومنه قول الحباب بن المنذر الأنصاري:

أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ

(الجذل ههنا: الأصل من الشجرة، تحتك به الإبل فتشتفي به؛ أي قد جربتني الأمور، ولي رأي وعلم يُشتفى بهما، كما تشتفي هذه الإبل الجربى بهذا الجذل. والعذيق: تصغير عذق — بالفتح — وهو النخلة، والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من

السقوط؛ أي إن لي عشيرة تعضدني وتمنعني وترفدني.)

أقول: وهذا البيت — على غموضه وقبحه وأخطائه — لا يخرج عن معنى قوله:

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ ... كَـأَنَّ أَوَّلَ يَـوْمِ الْـحَـشْـرِ آخِـرُهُ

(٢٨٢) بنات نعش: كواكب معروفة. وقوله في دجاها: حال من بنات نعش، عاملها معنى التشبيه، والضمير في دجاها لقوله: ليلتنا. والخرائد: العذارى لم يمسسن، أو الحييات الطويلات السكوت. والسافرات: الكاشفات عن وجوههن. والحداد: ثياب سود تلبس عند الحزن. وقوله: في حداد متعلق بسافرات، أو حال من الضمير المستتر فيها. شبه بنات نعش — وهي مضيئة في سواد الليل — بالحسان السافرات في الثياب السود. قال ابن جني: لما شبههن ببياض النجوم في سواد الليل كان حقه أن يذكر جواري بيضًا. والخرد ليس من البياض في شيء، إلا أنه في الأمر الغالب إنما يكون للبيض دون السود، ألا ترى أن السود فيهن التبذل؟ وأراد شيئًا، فذكر ما يصحبه مستدلًّا عليه، فشبه بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوارٍ سافرات في ثياب سود. قال الواحدي: ولعله أراد أن الحياء يكون في البيض دون السود، والبيت من قول ابن المعتز:

وَأَرَى الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... خُرُدٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادِ

(٢٨٣) معاقرة المنايا: أي ملازمتها، وأن يكون معها في عقر دارها، وهو المعترك، يعني ملازمة الحروب. ومشرفة الهوادي: أي طوال الأعناق، حال وهي نكرة؛ لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال لم يتعرف بالإضافة إلى المعرفة؛ لأن الإضافة فيه ينوي بها الانفصال. يقول: طالت على هذه الليلة مما أفكر في الحرب، وقود الخيل إلى الأعداء.

(٢٨٤) زعيم: أي كفيل، خبر مقدم عن عزمي. والقنا: الرماح. والخطى: المنسوب إلى الخط؛ موضع باليمامة. وقوله: دم الحواضر والبوادي: أي دم سكانهما، وهما جمع حاضرة وبادية، والحاضرة: اسم يقع على المدن والقرى والريف، وما سواها البادية، وهي: الصحراء. يقول: عزمي كفيل بسفك دم الناس جميعًا: حاضرهم والباد.

(٢٨٥) التمادي في الأمر: بلوغ مداه، والتمادي في التمادي: أن يتتابع تماديه. يقول: إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالي وأقصر في ذلك؟ وإلى كم أتمادى في التقصير تماديًا متتابعًا.

(٢٨٦) كسد الشيء: لم ينفق لقلة الرغب فيه. يقول: وإلى كم أشغل نفسي عن طلب المعالي بنظم الشعر في مدح من لا قيمة عنده للشعر؟!

(٢٨٧) هذا كما قال:

وَلَكِنَّ مَا يَمْضِي مِنَ الْعَيْشِ فَائِتُ

يريد التحضيض على طلب المعالي؛ أي اطلب الأهم فالأهم، فإن أيامك لتنهب عمرك. وروى ابن جني: بمستفاد بدل: بمستعاد.

(٢٨٨) يقول: متى رأت عيني بياض الشيب في شعري، فكأني وجدته في سوادها كراهية له، وإذا ابيضَّ سواد العين عمي صاحبها، فكأنه يقول: الشيب كالعمى. وعبارة ابن جني: كأن ما في وجهه من الشيب نابت في عينيه. وعبارة الخطيب التبريزي: إذا لحظت بياض الشيب، فكأنما لحظت به بياضًا في العين، ولا يمكنه أن يلحظ سواد عينيه إلا في المرآة، ولولا أنه بين سواد العين لحمل على سواد القلب لاحتماله ذلك. وهذا من قول أبي دلف:

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاظِرِ الْبَصَرِ

ويقول أبو تمام:

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

(٢٨٩) يقول: إذا بلغ الشباب نهايته، فزيادة العمر بعد ذلك وفور النقصان لما هنالك من ضعف الشيخوخة؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء، قال عبد الله بن طاهر:

إِذَا مَا زَادَ عُمْرُكَ كَانَ نَقْصًا وَنُقْصَانُ الْحَيَاةِ مَعَ التَّمَامِ

وقال آخر:

إِذَا اتَّسَقَ الْهِلَالُ وَصَارَ بَدْرًا تَبَيَّنْتَ الْمَحَاقَ مِنَ الْهِلَالِ

(٢٩٠) الأيادي: النعم. يقول: كيف أرضى بحياتي ولا أجازي الممدوح على ما له عندي من سالف النعم التي أسداها إلي؟

(٢٩١) المزاد: جمع مزادة، وهي قربة الماء. يقول: إن إبلنا قد أضناها السير، وهزلها حتى تركها كالمزاد التي كانت معنا ونفد ماؤها، فجفَّت لطول السفر. وعبارة ابن جني: يريد: قد هزلها وأنضاها السير حتى صارت كالمزاد البالي، فحذف الصفة. قال ابن فورجه: لا دليل على حذف الصفة، وإنما أراد كالمزاد التي نحملها في مسيرنا إذ قد خلت من الماء والزاد لطول السفر. والألف واللام — في المزاد — للعهد، والمعنى: إن المسير إليه أذهب لحوم المطايا، وأفنى ما تزودنا من ماء وزاد، فلم يَبقَ من المطايا لحم، ولا في المزاد زاد.

(٢٩٢) العنس: الناقة الصلبة. والقراد: دويبة تلزق بالإبل ونحوها — كالقمل للإنسان — يقول: لم تصل ناقتي إلى هذا الممدوح إلا بعد أن أنضاها السير حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القراد.

(٢٩٣) الضمير في صير: للمسير. والنجاد: حمائل السيف. والمراد بالبلد هنا: المفازة، يقول: إن المسير أدناني إليه حتى لم يبقَ بيني وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف، وهو غاية القرب، والعرب تقدر في القرب بقاب القوس وحمائل السيف.

(٢٩٤) الضمير في الفعلين للمسير، والمصدر الأول — في كل من الشطرين — مفعول به، والمصدر الثاني: مفعول مطلق. يقول: إن المسير أبعد ما كان بيننا من البعد، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا، وقرب قربنا، فجعله مثل قرب البعاد الذي كان بيننا؛ أي قربني إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد، فجعل البعد بعيدًا عني وجعل القرب قريبًا مني. وحاصل المعنى أننا كنا في غاية البعد فصرنا في غاية القرب. قال العكبري: قال الحكيم: أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام، ثم قال العكبري: وأخذت المعنى فقلت:

وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ قَلْبُهُ عَنْكَ نَازِحٌ وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُغْرَمُ

(٢٩٥) يقول: رفع منزلتي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأني به فوق السموات السبع. والشداد: المتقنة المحكمة الصنعة.

(٢٩٦) تهلل: تلألأ وجهه واستبشر برؤيتي. والوساد: ما يتكأ عليه. ومثل هذا قول الآخر:

إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ ... عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ

والمصراع الثاني من قول علي بن جبلة:

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدِئًا ... عَطِيَّةً كَافَأَتْ مَدْحِي وَلَمْ تَرَنِي
مَا شِمْتُ بَرْقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيِّقَهُ ... كَأَنَّمَا كُنْتَ بِالْجَدْوَى تُبَادِرُنِي
فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا ... تَلْقِيحُ مَدْحٍ وَنَجْوَى شَاعِرٍ فَطِنِ
شُكْرٌ لِتَعْجِيلِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ مِنَنٍ ... عِنْدِي وَشُكْرٌ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٢٩٧) زريت على العباد: أي حقرت أفعالهم ومناقبهم بزيادتك عليهم.

(٢٩٨) هباتك. فاعل تجود، وأن يلقب: مؤول بمصدر في موضع نصب بإسقاط حرف الجر. يقول: إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد؛ لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك؛ لأن جودك فوق كل جود.

(٢٩٩) حلت: تحولت وتغيرت. يقول: إنك تدين بالسخاء وتعتقده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار. وهذا كقول أبي تمام:

مَضَوْا وَكَأَنَّمَا الْمَكْرُمَاتُ لَدَيْهِمِ ... لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ

ثم قلبه فقال:

كَرَمٌ تَدِينُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ ... فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ

(٣٠٠) الهام: الرءوس. والهيجا: من أسماء الحرب؛ تمد وتقصر. وطبع السيف: طرقه وعمله. جعل الرءوس في الحرب كالعيون، وجعل سيوفه كالرقاد، يقول: إن سيوفك لا تقع إلا على الهام ولا تحل إلا في الرءوس، كالنوم محلُّه في الجسد العينُ. أو تقول: إن سيوفك ألفت الرءوس ألفة الرقاد للعين، فلا تحل إلا فيها، وعبارة الخطيب التبريزي: سيوفك كالرقاد، فلا تمنع منه العيون، بل تطرأ عليها أحبت أم كرهت.

(٣٠١) الأسنة: نصال الرماح. ويخطرن: إما بضم الطاء على إرادة الهموم، وإما بكسرها على إرادة الرماح. يقول: إن أسنتك لا تقع إلا في قلوب أعدائك، كأنها الهموم لا محل لها غير القلوب، والبيت منقول من قول أبي تمام:

كَأَنَّهُ كَانَ تِرْبَ الْحُبِّ مُذْ زَمَنٍ فَلَيْسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلَا كَبِدُ

(الخلب: حجاب القلب، وقيل: حجاب ما بين القلب والكبد، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء: إنه لخلب نساء؛ أي يحبه النساء.)

وفي معنى البيت يقول دعبل في سيدنا علي:

كَأَنَّ سِنَانَهُ أَبَدًا ضَمِيرٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنِ الْقَلْبِ انْقِلَابُ
وَصَارِمَهُ كَبَيْعَتِهِ بِخُمٍّ فَمَوْضِعُهَا مِنَ النَّاسِ الرِّقَابُ

(خم — بضم الخاء، وقيل: بفتحها — موضع بالجحفة، بين مكة والمدينة، تصب فيه عين هناك.)

ويقول منصور النمري:

وَكَأَنَّ مَوْقِعَهُ بِجُمْجُمَةِ الْفَتَى سُكْرُ الْمُدَامَةِ أَوْ نُعَاسُ الْهَاجِعِ

ويقول مهلهل:

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ تَحْسَبُهَا نَوْمًا أَنَاخَ بِجَفْنِ الْعَيْنِ يُغْفِيهَا
بِلَهْذَمٍ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ صِيغَتُه فَلَيْسَ يَنْفَكُّ يَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

(٣٠٢) الضمير في جلبتها: للخيل، وإن لم يجر لها ذكر، لدلالة القرائن عليها. والأشعث: المغبر. والنواصي: جمع ناصية، وهي شعر مقدم الرأس وجعلها شعث النواصي لمواصلة السير عليها والحرب والغارة. والسبائب: شعر العرف والذنب. وهذا الشَّعر يعقد عند الحرب، كما قال:

عَقَدُوا النَّوَاصِيَ لِلطِّعَانِ فَلَا تَرَى فِي الْخَيْلِ — إِذْ يَعْدُونَ — إِلَّا أَنْزَعَا

وقوله: ويوم ... إلخ؛ أي أذكرك ذلك اليوم، قال العكبري: المعنى ويوم جلبت الخيل للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها، وقد عقدت نواصيها وأذنابها، يومئذٍ ظفرت بمطلوبك من الأعداء.

(٣٠٣) حام: دار، من قولهم: حام الطير حول الماء؛ أي دار حوله ليشرب منه. والباء في بها: متعلقة بحام، والضمير: للخيل. والبغي: الظلم. يقول: دار الهلاك بخيلك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم.

(٣٠٤) يقول: إن الأعداء وقعوا بين بحرين؛ أحدهما من الجانب الغربي، وهو بحر الماء — لأن اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقي، وهو جيش الممدوح، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة.

(٣٠٥) فيه: أي في بحر الجياد. والبيض: السيوف. والحداد: الرقاق. يقول: اضطربت الأعلام في هذا البحر؛ بحر الجياد، وتحركت لك لا عليك، فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف.

(٣٠٦) الأبايا: جمع الأبية؛ أي الآبية الممتنعة. يقول: لقوك عاصين غليظة أكبادهم كأكباد الإبل التي تأبى على أربابها ولا تنقاد إليهم، فذللتهم وسقتهم أمامك كما تساق الإبل، وحاديهم الذي يسوقهم هو حد سيفك. والإبل توصف بغلظ الكبد، كما قال:

لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(٣٠٧) يقول: أخرجتهم من ضلال المعصية إلى رشد الطاعة، وفيه من البديع المقابلة بين الغي والرشاد.

(٣٠٨) انتحل الشيء: ادعاه. يقول: إنك اضطررتهم إلى ترك الإمارة؛ فتركوها خوفًا، وادعوا حبك ادعاء لا لأنهم يودونك حقيقة.

(٣٠٩) استفلوا: من السفال؛ أي تسفلوا وانحطوا. وانقادوا: أطاعوا.

(٣١٠) هب: ثار واضطرب. والحشا: ما انضمت عليه الضلوع. والرِّجل من الجراد: القطعة منه. يقول: إنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك رغبة في فعله؛ ولكن لأن ريح الخوف عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رِجل الجراد.

(٣١١) يقول: ماتوا خوفًا منك قبل أوان موتهم، فلما مننت بالعفو عنهم كان ذلك إحياء لهم قبل يوم البعث، وهذا منقول من قول أبي تمام.

مَعَادُ الْبَعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ ... نَدَى كَفَّيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي

(٣١٢) الصوارم: السيوف القواطع. والمداد: الحبر. يقول: سللت عليهم سيوفًا، فلما عفوت عنهم أغمدتها، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لمحوتهم محو المداد.

(٣١٣) الطريف: المستحدث. وانتصف منه: استوفى حقه. والتلاد: القديم. يقول: إن الغضب الحادث وإن كان قويًّا نزاعًا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذي يقتضي العفو والصفح، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام.

(٣١٤) موالٍ: جمع مولى، وهو الولي والصديق. يقول: إن ألسنتهم تظهر لك المودة والمحبة وقلوبهم تضمر لك العداوة، يريد لا تغتر بذلك؛ لأن تلك الألسنة الموالية تقلبها أفئدة معادية.

(٣١٥) رثى له يرثي: إذا رحم. والصادي: العطشان. يقول: كن قاسيًا عليهم كالموت لا يرحم الباكي من خوفه؛ ويَروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان؛ لحرصه على الإهلاك. وقال ابن جني: كأنه لطلبه الشرب بعد الري صاد؛ أي لطلب النفوس. ومعنى يَروى: ينال ما لو أدركه لرَوِيَ. وفي معناه:

كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شِبَعُ

(٣١٦) نفر الجرح: هاج وورم بعد البرء. وقوله: إذا كان البناء على فساد؛ أي إذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد. يقول: إنهم يطوون العداوة في أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة. وهذا من قول البحتري:

إِذَا مَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ ... تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ

قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد أقرب إليه من الصلاح.

(٣١٧) الجماد: الصخر. والزناد: جمع زند، وهو العود الذي تقدح به النار. يقول: إن العداوة تكمن في الوداد كمون النار في الزناد والماء في الجماد. كما قال نصر بن سيار:

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تُورِي ... وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ

وكل هذا تحذير له من أعدائه أن لا يغفل عنهم، وإن لم يكونوا أكفاءً له. وعبارة ابن جني: الأشياء تكمن وتستتر، فإذا استترت ظهرت.

(٣١٨) يريد بالجبان: عدوه. والقتاد: شجر له شوك. يقول: إن خوفه إياك يحول دون نومه، كما لو فرشت له شوك القتاد. وعبارة بعض الشراح: كيف يبيت عدوك مضطجعًا، وكلما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القتاد، من خوفك؟! يعني أنه لا يزال متيقظًا لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه.

(٣١٩) يقول: لشدة ارتياعه وذعره يراك في نومه كأنك طعنت كليتيه برمحك، فهو يخشى أن يرى ذلك في اليقظة، كما قال أشجع السلمي:

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ: ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَـإِذَا تَـنَـبَّـهَ رُعْـتَـهُ وَإِذَا غَـفَـا سَـلَّـتْ عَـلَـيْـهِ سُـيُـوفَـكَ الْأَحْـلَامُ

ولقد قصر أبو الطيب في تعبيره عن اليقظة بالسهاد؛ لأن السهاد امتناع النوم ليلًا، ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدًا.

(٣٢٠) يقول: مدحت قومًا أشرت عليَّ — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم، فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودوني شيئًا، وظنوا أني كنت أمدحهم وأثني عليهم بذلك المديح، مع أني إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء. وفي هذا المعنى يقول أبو نواس:

وَإِنْ جَرَتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

ويقول كُثَيِّرٌ:

مَتَى مَا أَقُلْ فِي آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لِابْنِ لَيْلَى الْمُكَرَّمِ

وقد ذهب اليازجي — بعد أن اعترف بأن الرواية: أَشَرتَ، بفتح الشين والتاء — إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء، من الأشر؛ وهو الفرح بالشيء والاغترار به، كأنه يقول: إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئًا. وهو حسن في ذاته، إلا أنه يفتقر إلى ثبت.

(٣٢١) الغدو: الذهاب صباحًا، ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب أي وقت كان. والفناء: الساحة والمنزل. يقول: إني مرتحل عنك، وقلبي مقيم عندك. قال العكبري: وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك! وهذا كقول أبي تمام:

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

(٣٢٢) يقول: حيثما توجهت فأنا محبك، وحيثما كنت فأنا ضيفك؛ لأني إنما آكل مما أعطيتني وزودتني، وهذا من قول أبي تمام:

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

(٣٢٣) أم الأولى: متصلة معادلة للهمزة على معنى أي، كأنه قال: أي هذين نرى؟ فهو الآن مدَّعٍ وقوع أحدهما لا محالة، فجرى ذلك مجرى قولك: أزيدًا ضربته أم عمرًا: أي لست أشك في ضربك أحدهما، ولكن أيهما هو؟ وأم الثانية: منقطعة، وهي للإضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام. والخلق: مبتدأ، وجملة أعيدا: خبر؛ يتعجب من جمال زمان الممدوح. يقول: أهذا الذي نراه حلم أم صار الزمان جديدًا؟! فهو غير ما نعهده. وانقطع الاستفهام ثم قال: بل أعيد الخلق الذين ماتوا من قبل في شخص رجل حي؛ وهو الممدوح. أي جمع فيه ما كان لهم من الفضائل والمكارم وسائر المعاني المحمودة، فكأنهم أعيدوا في شخصه، كما قال أبو نواس:

وَلَيسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

(٣٢٤) أضاء: يكون لازمًا ومتعديًا. يقول: ظهر لنا هذا الممدوح فسرنا به في الضوء؛ يعني أعدتنا سعادته، كالنجوم التي تسعد ببروجها.

(٣٢٥) ولودًا: أي والدًا. ووليدًا: أي مولودًا. يقول: رأينا برؤية بدر بن عمار بدرًا مولودًا، وبرؤية آبائه والدًا لبدر. وعبارة الواحدي: رأينا برؤية بدر وآبائه والدًا لقمر وقمرًا مولودًا. جعله في الضياء والشهرة والعلو والحسن كالقمر، والقمر لا يكون مولودًا ولا والدًا، فجعله كالقمر المولود وأباه كالوالد للقمر، وعنى بالبدرين الآخرين: قمرين، ولو أراد بهما اسم الممدوح لم يكن فيه مدح ولا صفة. قال: ويقال: الإشارة في هذا إلى أن الممدوح فيه معاني البدور من الضوء والحسن والكمال لا معاني بدر واحد. وعبارة

ابن جني: رأينا هذا الممدوح وأباه قد ولد منه قمر في الحسن، فكأنه قد صار للقمر والدًا؛ ورأينا هذا الممدوح قمرًا وليدًا، والبدر لا يكون والدًا ولا مولودًا حقيقة، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال: أنت قمر وأبوك أبو القمر.

(٣٢٦) يقول: رضينا أن نسجد له لاستحقاقه غاية الخضوع منا له فلم يرض ذلك؛ فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلبًا لرضاه.

(٣٢٧) أمير: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هو أمير، وأمير الثاني: خبر مقدم، والندى: مبتدأ مؤخر، أي هو أمير، الندى أمير عليه، أي ملك عليه أمره فلا يعصيه، أي لا يكون بخيلًا ألبتة. ثم قال: وهو جواد بكل شيء إلا بأن يترك الجود، فإنه لا يجود بهذا الترك. والمصراع الأول من قول النمري:

وَقَفْتُ عَلَى حَالَيْكُمَا فَإِذَا النَّدَى عَلَيْكَ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَمِيرُ

وقول أبي تمام:

أَلَا إِنَّ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ

(٣٢٨) يقول: لا يحب أن يمدحه أحد بحضرته تنزهًا عن ذلك المدح، كأن له من نفسه قلبًا يحسده، فلا يحب إظهار فضله ومناقبه، كما قال:

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ

وقد قال أبو تمام:

وَكَأَنَّمَا نَافَسْتَ قَدْرَكَ حَظَّهُ وَحَسَدْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

اجتمع المتنبي وأبو تمام في حسد النفس والقلب؛ فأبو تمام يقول: كأنك نافست قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهي في الشرف، وتزيد على كل غاية تصل إليها، وإن كنت مفردًا فيها ليس لك فيها شريك. وأبو الطيب يقول: كأن قلبك يحسدك على فضائلك، فهو يكره أن تشتغل بذكرها، وهذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتمعا في حسد النفس والقلب.

(٣٢٩) يقول: يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب؛ فهو أهول عنده من كل هول، ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو عليه من علو الشأن وجلال القدر؛ فإنه لا غاية له وراءه. وهذا من قول أبي تمام:

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَك لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ

(٣٣٠) النوال: العطاء. والجدود: جمع جد، وهو البخت والسعد، يقول: كأن عطاءك مشتق من القضاء، فإذا وصلت أحدًا ببر سعد ببرك فصار برك حظًّا له. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى: إن القضاء سعد ونحس، ونوالك سعد كله، فهو أحد شقي القضاء.

(٣٣١) التاء — في ربتما — للتأنيث وما زائدة. والذبل: جمع ذابل، والذبل السمر: الرماح. يقول رب حملة لك على أعدائك في الحرب رددت بها رماحك السمر سودًا؛ أي لطختها بالدماء حتى جفت عليها فاسودَّت، والدم إذا جف اسودَّ.

(٣٣٢) وهول: عطف على حملة، يقول: ورب هول كشفته عن صحبك بنجدتك، ورب سيف كسرته بقوة ضربتك، ورب رمح أتلفته بالطعن في الأضلاع، وقد أتلف نفس المطعون. فقوله: مبادًا مبيدًا: حالان من الرمح، ومثل هذا المعنى في السيف قول البعيث:

وَإِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقْطَعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ

ويقول أبو تمام:

وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ لَاقَى ضَرِيبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا

(٣٣٣) القِرن: الكفؤ في الحرب. يقول: رب مال وهبته بغير موعد، بل تعطيه ابتداءً؛ ورب كُفُؤ لك في الحرب سبقت إليه من غير تهديد، وهذا كقوله:

لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ

(٣٣٤) الطلا: الأعناق. والغمود: جمع غمد؛ جفن السيف. يقول: إن سيوفك لأنها لا تفتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب تبقى أبدًا هاجرة أغمادها، ومن ثم تتمنى

الأعناق أن تكون أغمادًا لها حتى تنال من الهجر ما نالت الأغماد؛ أي حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبدًا، وهو معنى دقيق رائع.

(٣٣٥) الهام: الرءوس. يقول: إن سيوفه لا تعود إلى أغمادها أصلًا فقد هجرتها إلى الرءوس؛ لأنها أبدًا تصدر عن رأس لترد رأسًا غيره، فيكون صدورها عما وردت عليه ورودًا على مثله. فقوله: إلى الهام: متعلق بهجر في البيت السابق؛ أي بهجر سيوفك أغمادها إلى الهام، ويكون البيت مضمنًا. ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالًا؛ أي صادرة عن مثل ما هجرت إليه. والصدر: في الأصل صدور الشاربة عن الماء بعد الري، والورود عكسه، وصدرًا وورودًا: مفعولان لترى، وورود: متعلق بصدر.

(٣٣٦) يقول: ما زلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بهن؛ أي كسرته وثلمته. وهذا مثل قول أبي تمام:

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ   مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ

(٣٣٧) أنفدت: أفنيت. والنفود: الفناء. والضمير في عيشهن: لنفوس الأعداء. وأفنيت بقاء نفوس الأعداء: أي أهلكتهم بإحلال آجالهم. وأبقيت نفود المال الذي تملك: أي أتلفته حتى لم يبقَ منه إلا العدم. يقول: إنك أهلكت أعداءك وفرقت أموالك.

(٣٣٨) يقول: لإفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبغي بذلك الغنى؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه. فكان الفقر عندك هو الغنى، وكان الموت في الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه.

(٣٣٩) فاعل أراها: ضمير يعود إلى الرب. يقول: هذه خلائق — يعني ما ذكر في الأبيات السابقة — يستدل بها على قدرة خالقها؛ إذ هي أخلاق عجيبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد القادر، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء. أو تقول: هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها؛ أي صاحبها — وهو الممدوح — وتدعو إلى معرفته، وآية مجد أراها العباد كي ينهجوا منهجه.

(٣٤٠) يقول: هذه الخلائق مهذبة لا عيب فيها، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النقمة واللأواء، ولقد حقرنا بها الأسود والبحار؛ لأنك تربو عليهما في الشجاعة والسخاء.

وقال ابن جني: حلوة، فكل أحد يعشقها ويستحسنها، ومرة؛ لأن الوصول إليها

صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس، وحقرنا البحار؛ لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك.

(٣٤١) بعيد: خبر مقدم، ووصفها: مبتدأ مؤخر. وعلى: بمعنى مع. وغاله: أهلكه. وأنضاه: هزله. يقول: إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا؛ لأنا نراها، ولكن لا نقدر على وصفها، إذ إن الظنون تهلك دون إدراك غايتها، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها.

(٣٤٢) يقول: أنت وحيد؛ لا لأنه وُجد لك نظير قديمًا ثم فُقد، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني آدم. وعبارة الواحدي: لم تصر وحيدًا؛ لأنك فقدت نظيرًا كان لك، بل أنت وحيد لم تزل، والوحدة لازمة لك، فهي صفة لك. وقال غيره: أنت وحيد بني آدم في كل خلائقك، ولست بواجد لك نظيرًا، فلست مفردًا من فقدك للنظير، فأنت غير منفك من هذه الحال؛ أي أنت وحيد لم تزل.

(٣٤٣) أُبَيَّات: تصغير أَبْيَات، صغرها تحقيرًا لها. ونأم الأسد: زأر، والأسد: مفعول تحسدن، ويعني بالأسد نفسه. يقول: إنهم يستعظمون أبياتًا هي عندي حقيرة. ثم قال: لا تحسدن الأسد على زأره.

(٣٤٤) ثَمَّ: بمعنى هناك، والإشارة إلى حيث هم؛ أي لو أن لهم أو معهم قلوبًا، والضمير — في قوله: تحتها — للأبيات. والحسدا: مفعول أنساهم. يقول: لو كان لهم قلوب يعقلون بها ما تضمنته أبياتي من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد.

(٣٤٥) الفعال هنا: مصدر فعل فعالًا كذهب ذهابًا، والفعال: اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه. وبله: اسم فعل بمعنى دع، وأكثره منصوب به، والجد بالكسر: الاجتهاد، وبالفتح: الحظ. يقول: أقل فعلي مجد دع أكثره؛ أي إذا عرفت أن الأقل مجد، أغناك ذلك عن تعرف الأكثر. يعني: إني لا أفعل فعلًا إلا ومرماي المجد، فكل أفعالي — قليلها وكثيرها — إنما هي في سبيل المجد، وهذا الجد والإشاحة في سبيل المجد، وترك التواني في ذلك يعد حظًّا لي سواء نلت مطلوبي أم لم أنل؛ لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة، وحسبي ذلك حظًّا. وعبارة الواحدي: معنى المصراع الأول من هذا البيت: إني لا أفعل شيئًا إلا ومغزاي المجد، وإياه أطلب. ولو صرح بالأقل لقال: نومي وأكلي وشربي للمجد، ولو صرح بالأكثر لقال: تغريري بنفسي وركوبي المهالك وشهودي الحرب كله مجد؛ أي لأجل المجد وتحصيله. يقول: إذا عرفت كون الأقل مجدًا أغناك ذلك عن تعرف الأكثر. وقوله: وذا الجِد، معناه أن الجد في طلب المجد جد معجَّل؛ لأن استعمال الجد في الأمور جد، لأنه يستمر عادة باستعمال الجد في الأمور.

(٣٤٦) يقول: سأطلب حقي بالرماح وبصحبٍ لي لا يفارقون الحروب، فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم، فكأنهم مرد. واللثام في الحرب عادة العرب؛ لئلا تسقط عمائهم. وقال الواحدي: كنى بالقنا عن نفسه، وبالمشايخ عن أصحابه. يعني أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره، وأراد أنهم محنكون مجربون؛ ولذلك جعلهم مشايخ. هذا، والمشايخ: جمع شيخ، وكذا مَشْيَخَة ومَشِيخَة وأشياخ وشيوخ. واللثام: ما يجعل على الوجه من فاضل العمامة.

(٣٤٧) ثقال وما بعده: نعت لمشايخ. ومراده بكونهم ثقالًا: شدة وطأتهم على العدو، أو ثباتهم لدى اللقاء، وكنى بالخفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة: أي إنهم — على قلتهم في العدد — يغنون غناء السواد الأعظم. وعبارة ابن جني: وصفهم بالقلة؛ لأنهم إذا انتصفوا من أعدائهم وغلبوهم في قلة عددهم فهو أفخر لهم من الكثرة.

(٣٤٨) وطعن: عطف على القنا. والضمير — في عنده — يعود إلى الطعن الأول، وجملة لا طعن عنده: في موضع رفع خبر كأن. يقول: وأطلب حقي بطعن شديد كان كل طعن غيره بالقياس إليه لا شيء، وبضرب حار كأن حر النار بالإضافة إليه برد، وكل هذا مبالغة.

(٣٤٩) السابح: الفرس السريع الجري. يقول: إنه مطاع في قومه، فمتى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل. وقوله: في فمها، أراد: في أفواهها، فأوقع الواحد موقع الجمع.

(٣٥٠) صغر الأهل تحقيرًا لهم. والفدم: العيي في ثقل وقلة فهم. والوغد: الأحمق الخسيس.

(٣٥١) وأكرمهم كلب: أي خسة الكلب. وأبصرهم عَم: أي أبصرهم بالأمور — من البصيرة — أعمى القلب. وأسهدهم فهد: أي أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد، وبه يضرب المثل في كثرة النوم. وفي حديث أم زرع وصفت امرأة زوجها، فقالت: إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد؛ تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها في البيت، شبهته بالفهد إذا خلا بها، وبالأسد إذا رأى عدوه. ثم قالت: ولا يسأل عما عهد؛ كرمًا منه وحسن خلق. والقرد يضرب به المثل في الجبن والحذر، ويقال: إن القرد لا ينام إلا وفي كفه حجر، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير.

(٣٥٢) النكد: قلة الخير، والمراد بالحر: الكريم — ضد اللئيم — يقول: من نكد الدنيا أن الكريم لا يجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو؛

ليأمن شره ويدفع غائلته.

قال ابن جني: لو قال: ما من مداجاته، لكان أشبه، والذي قاله أحسن في اللفظ وأقوى في المعنى، وحسنه أنه ذكر العدو وضده، وفي قوة المعنى أن المداجي المساتر للعداوة وقد يساتر للعداوة من لا يظهر الصداقة، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد، فهو يعاني من ذلك أمرًا عظيمًا ونكدًا في الحياة، فهو أسوأ حالًا من المداجي. وقال الخطيب التبريزي: إنما أراد بهذا السلطان الذي لا بد من صداقته بإخلاص القول والنية، فبأيها أخل دخل منه الضرر، وهذا الذي يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبي. هذا، وقوله: أن يرى: مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد. وقوله بد: اسم «ما» المشبهة بليس، ومن صداقته: خبر. قال العكبري: وأراد ما من إظهار صداقته فحذف المضاف. وفي الواحدي — بعد هذا البيت — هذان البيتان:

فَيَا نَكَدَ الدُّنْيَا مَتَى أَنْتَ مُقْصِرٌ   عَنِ الْحُرِّ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ ضِدُّ
يَرُوحُ وَيَغْدُو كَارِهًا لِوِصَالِهِ   وَتَضْطَرُّهُ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكْدُ

ولا يوجدان في سائر نسخ الديوان.

(٣٥٣) بقلبي: خبر مقدم عن ملالة، والضمير في منها: للدنيا. والغواني: جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجمالها عن الزينة. يقول: لقد مللت الدنيا وإن لم أستوفِ حظي منها، لما أراه من قبيح صنعها، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة، وبي إعراض عن نسائها، وإن كنت من الشباب بحيث يرغبن في وصالي، ولله أبو العلاء المعري حين يقول:

وَقَدْ غَرِضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي   مُعْطٍ حَيَاتِي لِغِرٍّ بَعْدُ مَا غَرِضَا

(غرضت: ضجرت وسئمت. والغر: الذي لم يجرب الأمور؛ وقبل البيت:

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبِيبَتِهِ   فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصْرُ الشَّبَابِ مَضَى
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلٍّ بِمُشْبِهِهِ   فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصِّبَا عِوَضَا

وبعدهما البيت وبعده:

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ لِيَ التَّجَارِبُ فِي وُدِّ امْرِئٍ غَرَضَا)

(٣٥٤) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس؛ لأنهما يلازمانه ولا يفارقانه، فكأنهما خليلان له. يقول: فقدت من كنت أحبه وصاحبني لفقده حزن وعبرة لست أفقدهما. وقوله: دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها، وعلى فقد: صلة الحزن، أو العبرة على التنازع، وجملة ما لهما فقد: صفة.

(٣٥٥) يقال: لج به الحزن ونحوه؛ لزمه فلم يزايله، ويروى: تلح، من قولهم: ألح السحاب بالمكان، إذا أقام به. يقول: لا تخلو جفوني من الدموع فكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا. يعني أن ما يسيل من جفونه مثل الذي يسيل على خد كل باكية، يريد المبالغة في كثرة ما يجري من جفونه. ولعل الأقرب أن يكون المراد: لست أخلو من بكاء ودموع، كما لا تخلو الدنيا من باكية تجري دموعها.

(٣٥٦) النغبة: الجرعة من الماء، والربد: النعام، يقال: ظليم أربد ونعامة ربداء؛ وذلك لما في لونها من الغبرة، يضرب بها المثل في الصبر على العطش. والطية: المكان الذي تطوى إليه المراحل وينتوى القصد إليه، وأطوي: أجوع، ومعناه: أطوي بطني عن الزاد. والمجلحة: الذئاب المصممة. يقال: جلح الذئب على القوم؛ إذا حمل عليهم غير مبالٍ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع. والعقد: جمع الأعقد، وهو الذي في ذنبه عقدة، وقيل: الذي انعقد لحمه ضمرًا وهزالًا. يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة في أموره، وعدم إسفافه، وقلة مبالاته بالمشرب والمطعم، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهمها بر البدن والاحتفال به.

(٣٥٧) الغيبة: الاسم من الاغتياب؛ وهو الوقوع في عرض الغائب. والجهد: الطاقة. يقول: إني أكبر نفسي أن أجازي عدوي بالاغتياب؛ لأن ذلك طاقة من لا طاقة له بمواجهة عدوه ومحاربته. ولله قول إياس بن قتادة:

نُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

(٣٥٨) أصل العي: العجز عن الحجة، والعي في الكلام: الحصر. والغبا: الغباوة؛ أي قلة الفطنة. يقول: إذا رأيت أناسًا من أهل العي والغباء رحمتهم وأشفقت عليهم، وإذا أبغضوني عذرتهم؛ لأنهم أضداد لي بسبب ما بيننا من التباين، والضد يبغض ضده.

وهذا ومفعول أعذر — كما قال العكبري — محذوف، والمفعول يحذف كثيرًا كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: شيئًا.

(٣٥٩) الأيادي: النعم. يقول: يمنعني من الانصراف إلى غيره ماله عندي من النعم التي يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفًا لها؛ لكثرتها وتوافرها إذ لا يسعها مفهوم هذا اللفظ. هذا، وقال العكبري: رفع عند، وهي لا تستعمل إلا ظرفًا؛ لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال: يضيق بها المكان. وكقول الرجل لصاحبه ينازعه في الأمر: كذا عندي. فيقول الآخر: أَوَلَكَ عند؟ أي أَوَلَكَ فهم؟ فجعلها اسمًا، وعند: أوسع من أخواتها الظروف؛ لأن القائل إذا قال: فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة، وإذا قال: الخير عند فلان، احتمل الكلام أن يكون في كل الجهات. قال: وقال يونس يومًا في كلامه: عند، فقال أبو عبيدة: أيقال: عند؟ فقال: نعم، يقال: عند وعند وعند وعند. وقال أبو عبيدة: ما كان عندي ذلك، فقال له: أَوَلَكَ عند؟ وقال الطائي:

وَمَا زَالَ مَنْشُورًا عَلَيَّ نَوَالُهُ　　　وَعِنْدِيَ حَتَّى قَدْ بَقِيتُ بِلَا عِنْدِ

(٣٦٠) توالى: بحذف إحدى التاءين؛ أي تتوالى. ويروى: توالت. والضمير: للأيادي. وشمائله: أي أخلاقه، اسم لكن، وخبرها وعد. وفي البيت تقديم وتأخير، وتحرير الكلام: ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد؛ أي إن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد، ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد.

(٣٦١) صاحبي: بدل من السيف. يقول: سريت إليه ومعي السيف يصحبني في طريقي فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر — يعني الممدوح — إلا أن سيفي مما طبعته — أي: عملته — الهند، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله.

(٣٦٢) حسام: أي سيف قاطع؛ فاعل هز، أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح. وصفح السيف: جانبه. وله: نعت صفح. يقول: لما رآني مقبلًا عليه هز نفسه للقائي كما يهتز السيف. وقوله: كل صفح له حد، من أحسن الكلام؛ أي كل وجه من صفحيه حد ينفذ في أعدائه، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده.

(٣٦٣) قال الواحدي: تحقيق الكلام: فلم أر قبلي من مشى نحوه رجل كالبحر في الجود، وعانقه رجل كالأسد في الشجاعة.

(٣٦٤) أراد بالعاصيات: القسي الشديدة التي تستعصي على النازع فلا يستطيع جذبها، يقول: إنها تطيعه إذا جذبها حبًّا له أو زهدًا في غير أنامله.

(٣٦٥) ويمكنه: عطف على يصيب. يقول: إن الإصابة لمساعفتها إياه تكاد تسبق رميه، ويكاد السهم لانقياده له يرجع من طريقه إليه؛ وهذا مبالغة في وصف اقتداره على الرمي.

(٣٦٦) وينفذه: عطف أيضًا على يصيب. قال أبو العلاء: وإذ عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات المتنبي في شعره. ويقوي ذلك أيضًا أن يكون أراد به في الحقيقة يصيت عقد الشعرة، والعقد: العقدة. يقول: ويكاد ينفذ سهمه في العقدة الضيقة من الشعرة السوداء في الليل المظلم، وكل هذا من المبالغة التي تعد غلوًّا.

(٣٦٧) ازدهاه: استخفه. والذرائع: الوسائل. يقول: أفدي بنفسي الممدوح الذي هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بشتى وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد والموجدة. وقال ابن جني: هذا هجو، كأنه قال: بنفسي غيرك أيها الممدوح؛ لأني أزدهيك بالخديعة وأسخر منك بهذا القول، لأن هذا مما لا يجوز مثله. قال: وهذا مذهبه في أكثر شعره؛ لأنه يطوي المدح على هجاء حذقًا منه بصنعة الشعر، كما كان يقول في كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء. قال ابن فورجة — يرد على ابن جني: إنما فعل ذلك في مدائح كافور استهزاء به؛ لأنه كان عبدًا أسود لم يكن يفهم شيئًا، ولم يفهم ما ينشده، فأما علي بن محمد بن سيار فمن صميم بني تميم، عربي لم يزل يمدح وتنتابه الشعراء، وليس في هذا البيت ما يدل على أنه يعني غيره بل يعنيه به. يقول: بنفسي أنت، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفًا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه، وليس في إنفاذ الرمي في عقدة من شعرة في ليل مظلم أول محال ادُّعي للمدوح، وما هذا إلا هوس عرض له فقذفه.

(٣٦٨) ومن عرضه حر: أي لا مغمز فيه عزيز عزة الحر. ومن ماله عبد: أي ممتهن مبذول في سبيل المجد. وفي البيت من الطباق ما لا يخفى.

(٣٦٩) يقول: إنه يعطي المستحقين وذوي القدر قبل أن يسألوه، ويمنع معروفه عن كل ساقط لئيم، إذا ذم أحدًا كان ذمه حمدًا له؛ لدلالة ذلك على أنه لا يشاكله. وعبارة ابن جني: يصنع المعروف مع المستحقين، ويعطي من له قدر ومن يزكو عنده المعروف، ويمنعه من كل ساقط، إذا ذم أحدًا فقد مدحه، يصفه بالتيقظ ومعرفة ما يأتي وما

يدع. قال ابن الشجري — لما ذكر كلام ابن جني هذا: لا يخلو من أحد معنيين؛ أحدهما أنه يوري عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم. وليس يلحقه بهذين عيب ولا يستحق أن يحرم معروفًا. والمعنى غير ما ذهب إليه؛ وذلك أنه وصف الممدوح بالتيقظ ومعرفة ما يأتي وما يذر، فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوي الأقدار قبل أن يسألوه، كما قيل: السخي من جاد بماله تبرعًا، وكف عن أموال الناس تورعًا، ويمنع ماله من كل دنيء؛ إذا ذمه الناس فقد مدحوه، الذم له مقام المدح لغيره، يعني أنه يقل عن المدح والهجاء، كما قال:

صَغُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتَ: أُهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهِجَاءِ

والذم: مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، والتقدير: من ذم الناس إياه حمد، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ أي بسؤاله. وابن جني ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف. ففسر على هذا التقدير، فأفسد المعنى؛ لأنه أراد من ذمه الناس حمد، ومَن في قوله: نكرة، والجملة بعده نعت له، فكأنه قال: من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذي؛ لأن «كلا» لا يضاف إلى معرفة، إلا أن يكون مما يصح تبعيضه، كقولك: رأيت كل البلد، ولا تقول: لقيت كل الرجل الذي أكرمته؛ فإن قلت: كل رجل أكرمته، حسن ذلك، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمتهم.

(٣٧٠) يقول: إنه يحتقر حساده فيعرض لا عن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب، بل حتى عن أن يجري ذكرهم له على لسان؛ لأنهم لديه والعدم سواء. وعبارة بعض الشراح: يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد؛ لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره.

(٣٧١) على قدر: خبر مقدم. والحقد: مبتدأ مؤخر. يقول: إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لا يستطيع إيذاءهم؛ ولكن لأن الحقد يكون على قدر المذنب، فإن كان حقيرًا لم يحقد عليه، وإذا لم يحقد عليه أمن المذنب، يعني أنه يحتقر أعداءه ولا يكترث لهم؛ لأنهم ليسوا هناك. وقال ابن جني: ليس يؤاخذ المذنب بقدر جرمه، وإنما يؤاخذ على قدر المذنب ولا قدر عنده لمن أجرم، فهو لا يعبأ بأحد من أعدائه؛ لأنه أكبر قدرًا من أن يعاقب أمثالهم.

(٣٧٢) يقول: إن كان جدك قد مات، فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كماء الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته؛ وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال:

يُحْيِي بِحُسْنِ فِعَالِهِ   أَفْعَالَ وَالِدِهِ الْحُلَاحِلْ
كَالْوَرْدِ زَالَ وَمَاؤُهُ   عَبِقُ الرَّوَائِحِ غَيْرُ زَائِلْ

(الحلاحل: السيد في عشيرته، والشجاع والتام.)
هذا، وقد كرر المتنبي تفضيل الفرع على الأصل في غير موضع فقال:

فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ

وقال:

فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

(٣٧٣) يقول: مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردًا بفضائلهم جميعًا، فأنت واحد صورة، جماعة معنًى، كالألف الذي هو واحد في الصورة، جمع في المعنى. وفي هذا المعنى يقول البحتري:

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ   إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

وقال غيره:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ   يُعَدُّ وَأَلْفٌ لَا يُعَدُّ بِوَاحِدِ

هذا، وقد أنث الألف في قوله: جمعت، على معنى الجماعة. وعطف «وبنوه» على الضمير المرفوع، وهو مذهب الكوفيين، ومنعه أهل البصرة. قال العكبري النحوي الكوفي: وحجتنا مجيئه في الكتاب العزيز، وفي أشعار العرب: ففي الكتاب العزيز ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾؛ أي فاستوى جبريل ومحمد ﷺ فعطف وهو على الضمير المستكن في استوى، فدل على جوازه. وفي الشعر قول عمر بن أبي ربيعة:

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى كَنِعَاجِ الْفَلَا تَعَسَّفْنَ رَمْلَا

فعطف على الضمير المرفوع في أقبلت من غير توكيد. وقال الآخر:

وَرَجَا الْأُخَيْطِلُ فِي سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِيَنَالَا

(من كلمة له يقولها في حميدة جارية ابن ماجه، ومطلعها:

حَمل القلْبُ من حميدةَ ثِقلا إنَّ في ذاك لِلفؤَادِ لَشغلَا

وبعد بيت الشاهد:

قد تنَقَّبْنَ بالحريرِ وأبديـ ـن عيونًا خُورَ المدامِع نجْلا

والزهر: جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة، وتهادى: أي يمشين مشيًا رويدًا بسكون، والنعاج: بقر الوحش، شبه النساء بها في سكون المشي في الرمل، وتعسفن: ركبن، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيها لصعوبة المشي فيه، والفلا: تروى «الملا» وهي الفلاة الواسعة.)

فعطف على الضمير المستكن في يكن من غير توكيد. وحجة البصريين أنه قد جاء في الكتاب العزيز بالتوكيد نحو: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، و﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ و﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾، وقالوا: لا يخلو إما أن يكون مقدرًا في الفعل، أو ملفوظًا به، فإن يك مقدرًا، نحو قام وزيدٌ، فكأنه قد عطف اسمًا على فعل. وإن كان ملفوظًا به، نحو قمت وزيد، فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل، فصار كعطف الاسم على الفعل.

(٣٧٤) لهم: أي لآل سيار الذين انفرد الممدوح بمناقبهم. والغر: جمع أغر، وهو الأبيض المشرق، والعرب تتمدح ببياض الوجه، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب، كما أنهم يكنون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه. وأيد كريمة: أي بالعطاء. ومعرفة عد: أي قديمة كثيرة لا تنقطع مادتها كالماء العد؛ أي الغزير الذي لا تنقطع مادته. واللد: جمع الألد؛ وهو الشديد الخصومة. يريد: ألسنة قوية في مواطن الكلام.

(٣٧٥) خضرة الرداء: يكنى بها عن السيادة، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان؛ لأن خضرة النبات تدل على الخصب وسعة العيش. والملك: السلطان، يذكر

ويؤنث؛ ولذا قال: مطاعة. أو تقول: إنه أراد المملكة. ومركوزة سمر: أي رماح تركز في الأرض وتنصب، والمقربة: الخيل تربط قريبة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة إليها أو للبخل بها، والجرد: القصار الشعر.

(٣٧٦) يقول: ما دمت حيًّا فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب؛ لأن جميع محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذٍ بك أحياء لا أموات. فما الأولى: شرطية زمانية، وما الثانية: نافية. وكان الوجه أن يقول: فما ماتوا، ولكنه حذف الفاء ضرورة كقوله:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ مِثْلَانِ

أراد: فالله يشكرها. وتميم بن مر، وأد بن طابخة: قبيلتان مشهورتان من العرب، إليهما ينتسب الممدوح، وتميم وما عطف عليه: بدل تفصيل.

(٣٧٧) يقول: إن الذي أذكره وأشيد به من فضائله هو بعض ما يظهر لي، والذي يظهر لي هو بعض ما كان خافيًا عليَّ، يعني أنه قد بقي من تلك الفضائل ما لم يعلمه، وبقي مما علمه ما لم يذكره. يريد: كثرة فضائله، فبعض — في الشطرين — خبر مقدم عن الموصول الثاني.

(٣٧٨) يقول: من لامني في وده لمته بما وصفت من فضله، فيتبين أنه خليق بمودتي؛ لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضًا. وحُق له كذا — بضم الحاء — إذا كان جديرًا به، وقد تقدم الكلام على ذلك.

(٣٧٩) كذا: أي كذا هو كما وصفت، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد. وبني اللؤم: أي يا بني اللؤم. والجعد: الكريم، شبه بالثرى الجعد، وهو اللين الندي، وإذا قيل: فلان جعد اليدين أو جعد الأنامل؛ أرادوا أنه بخيل لئيم لا يبض حجره. وأنكر الأصمعي الجعد بمعنى الكريم، قال: زعموا أن الجعد السخي، وأنا لا أعرف ذلك، وإنما الجعد البخيل.

(٣٨٠) يقول: ليس في طبائعكم أن تنازعوه العلا، كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند.

(٣٨١) التوءم: ما يكون مع غيره في بطن واحد. فتلد المرأة اثنين، أو الشاة أو غيرهما ويقال للاثنين إذا ولدا في بطن: هما توءمان، وفي التأنيث توءمة وتوءمتان؛ والجمع توائم وتؤام. قال عنترة:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِـي سَـرْحَـةٍ   يُحْذَى نِعَالُ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

(مدح ممدوحه بأربع خصال كرام: أحدها: أنه جعله بطلًا؛ أي شجاعًا. الثاني: أنه جعله طويلًا شبهه بالسرحة — وهي الشجرة الكبيرة — الثالث: أنه جعله شريفًا للبسه نعال السبت. الرابع: أنه جعله تام الخلقناميًا؛ لأن التوءم يكون أنقص خلقًا وخلقًا وقوة وعقلًا. والسبت: الجلد المدبوغ.)

يقول: أما الفراق فهو شيء أعهده من قديم، حتى لو أنه مما يولد لقلت: هو توءمي؛ أي لا أنفك من فراق حبيب، فلو كان الفراق مولودًا لحكمت بأنه توءمي. وقال الواحدي: يجوز أن يكون المعنى: حقيقة الفراق ما أعهده من فراقك؛ يعني إن وجد فراق هذا الحبيب، فقد وجد فراق كل أحد، حتى كأن الفراق فراقه هو لا فراق غيره.

(٣٨٢) يقول: لما علمنا أن خلودنا في هذه الدنيا محال، علمنا أن الفراق حتم علينا لازب، فلا مندوحة لنا عن الانقياد لحكمه إن عاجلًا وإن آجلًا. وعبارة الواحدي: لما كنا نموت ونفنى، علمنا أننا ننقاد للفراق.

(٣٨٣) أبا البهى: أي يا أبا البهى — وهي كنية الممدوح — يقول: إذا نقلتنا الخيل عنكم وباعدت ما بيننا فإن أجودها حينئذٍ أردؤها؛ لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم.

(٣٨٤) يقول: من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر، فأنا الذي لا أرى في الدهر شيئًا محمودًا؛ يعني أن كل الأشياء مذمومة عندي لا أخص الفراق دون غيره.

(٣٨٥) يقول: لقد ضمني واشتمل علي وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه، فيا ليتني بُعدٌ لأحوزه فأكون معه، ويا ليته وجد ليحوزني ويتصل بي؛ أي فنجتمع ولا نفترق.

(٣٨٦) الصلد: الشديد الصلب. يقول: إنني أسر بأن الهوى يجدد لي ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفًا عليه وحنينًا إليه.

(٣٨٧) في العين وعندنا: صلة رقاد. والقلام: نبت من الحمض يكون في السباخ. قال ابن البيطار في مفرداته عن أبي حنيفة الدينوري: القلام تسميه الأنباط قاقلي، وهو من الحمض، والناس يأكلونه مع اللبن. والسرب بالفتح: المال الراعي، وبالكسر: القطيع. يقول: إن السهاد إذا كان لأجلكم لذ في أعيننا كالرقاد. والقلام: الذي ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد، يعني: لحبي إياكم أستلذ الألم ويحسن في عيني ما ليس بالحسن.

(٣٨٨) ممثلة: خبر عن محذوف؛ أي هي — المخاطبة — ممثلة، يقول: أنت مصورة في خاطري حتى لكأنك حاضرة عندي لم تفارقيني، وحتى كأن يأسى من وصلك وعد منك بالوصل.

(٣٨٩) يقول: وحتى تكادى — لتخيلك حاضرة بجانبي — تمسحين مدامعي بيدك فيعبق طيبك في ثوبي. قال ابن جني: ومثله:

لَئِنْ بَعُدَتْ عَنِّي لَقَدْ سَكَنَتْ قَلْبِي

(٣٩٠) يقول: إذا غدرت الحسناء لم تَعْدُ سجاياها؛ لأن شنشنتها الغدر. وقد وفت بالعهد إذا غدرت؛ لأن عهدها أن لا تبقى على عهد، فوفاؤها — إذن — غدر.

(٣٩١) فركت المرأة زوجها تفركه فركًا: أبغضته، فهي فارك وفروك، وكذلك فركها زوجها، والفرك — بكسر الفاء — البغض. قال رؤبة:

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الغَسَقْ ... وَلَمْ يُضِعْهَا بَيْنَ فِرْكٍ وَعَشَقْ

قال اللغويون: إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها، ولم يسمع في غير الزوجين. ورجل مفرك: لا يحظى عند النساء. وامرأة مفركة: لا تحظى عند الرجال، أنشد ابن الأعرابي:

مُفَرَّكَةٌ أَزْرَى بِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا ... وَلَوْ لَوَّطَتْهُ هَيَّبَانٌ مُخَالِفُ

(مخالف: أي مخالف عن الجودة. يقول: لو لطخته بالطيب ما كانت إلا مفركة لسوء مخبرتها، كأنه يقول: أزرى بها عند زوجها منظر هيبان؛ أي يهاب ويفزع من دنا منه، أي إن منظر هذه المرأة شيء يتحامى فهو يفزع؛ وقيل: إنما الهيبان المخالف هنا ابنه منها، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب.)

يقول: إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال؛ لأن النساء أرق طبعًا وأقل صبرًا. وإذا أبغضت جاوزت الحد كذلك في البغض، وفي هذه الحالة لا تطمع في تلافي بغضها، واذهب وشأنك؛ لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هي مغلوبة على أمرها. وقال الواحدي: وإن شئت قلت: فاذهب في ذلك الفرك.

(٣٩٢) يقول: هذه هي أخلاق النساء، بيد أنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يَهدي غيره، ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن. وعبارة ابن جني: يخلصن في أول الأمر فإذا تمكنَّ من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن، وهذا كالتمهيد لما سيعتذر به عن نفسه في البيت التالي. كأنه يقول: وإني مع طبي بأخلاق النساء وتحذيري منهن لم أصن قلبي عن هواهن ووقعت في شراكهن.

(٣٩٣) قلنا: إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعدما أبان مساوئ أخلاقهن. يقول: وسكن حبًّا خالط قلبه في زمن الصبا، واستحكم فيه قبل أن تُحْكِمه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه؛ لأنه قد ألفه حتى صار ديدنًا له يزداد ويشتد على كر الغداة ومر العشي. وخامر: خالط.

(٣٩٤) يدعو للسحب التي سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود الممدوح مكافأة لها على ما فعلت، فيغدو إليها بالسقيا كما تغدو هي إليهم، جعل الممدوح يسقي السحاب؛ لأنه أكثر منها ندى. وفي البيت من حسن التخلص ما لا يخفى. هذا: والمزن جمع مزنة وهي المطرة؛ قال أوس بن حجر:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـلـهَ أَنْـزَلَ مُـزْنَـةً وَعُفْرُ الظِّبَاءِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمَّعُ

يقال: تقمعت الظبية: إذا لسعتها القمعة ودخلت في أنفها فحركت رأسها من ذلك، والقمعة ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب، وقيل: يركب رءوس الدواب فيؤذيها، والمزنة أيضًا: السحابة البيضاء، وسقى وأسقى لغتان فصيحتان.

(٣٩٥) يقول: لترتوي السحاب بنداه كما تروى بلادك بمطرها، وينبت فوقك الفخر والمجد؛ لأن عطاياك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تنال من جدواه، ويكون الفخر والمجد نابتين فيها لما شربت من سقياه، قاله ابن جني والواحدي والعكبري.

(٣٩٦) بمن: متعلقة بتروى أو ينبت؛ أي لتروى السحاب بهذا الممدوح أو ينبت به الفخر؛ أي بجوده أو بسببه. والبرد: الثوب. يقول: إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره، ويكثر زحامهم حواليه حتى تتحرق ثيابهم. وزحم: مصدر زحمه، ومصدر زاحمه: زحام.

(٣٩٧) يقول: لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون ما في أيديهم ولا يشعرون به. قال الواحدي: كأن هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

(٣٩٨) الهام: الرءوس. والوغى: الحرب. واللبد: ما تحت السرج. يقول: إنه شجاع ضروب لرءوس الأبطال ميدان القتال، خفيف مسرع إلى الوغى، أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله، وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبده ثقيلًا.

(٣٩٩) يقول: إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره، فلو لاح له الحمد في فكي الأسد لأحرزه حبًّا فيه.

(٤٠٠) النَّيل: العطاء. والمهند: السيف الهندي. وبتأميله: متعلقة بيغني. وبالذعر: متعلق بينقد. يقول: إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه؛ لأنه لا يخيب مؤملًا. وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه.

(٤٠١) الواو في قوله: وسيفي: للقسم. ومما السيف منه: خبر مقدم عن الغمد. والضمير في منه: يعود إلى ما. يقسم بسيفه تعظيمًا له، يقول: إني أقسم بسيفي على أنك إذا سللت سيفًا للضرب فأنت السيف في الحقيقة، لا هو؛ لأن مضاءه إنما هو بك. ولما جعله سيفًا جعل غمده من الحديد الذي السيف منه؛ يعني الدرع، والمعنى: إذا لبست الدرع كنت فيه كالسيف، وكان لك كالغمد. وعبارة ابن جني: لأنت السيف، لا الذي تسله الأعداء؛ أي أنت في الحقيقة سيف لا الذي يطبع من الحديد، فإذا لبست الدرع والجوشن كنت كالسيف، وكانا لك كالغمد.

(٤٠٢) النجيع: الدم. ونجيعًا: تمييز. والزند: ما يقتدح به. ويثقب: يوري نارًا. يقول: وحق رمحي لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئًا، كما أنه لولا قدح القادح لم يورِ الزند.

(٤٠٣) قوله: من القاسمين؛ أي هو من القوم القاسمين. وأسدى إليه: أحسن، وأسدى إليه معروفًا اتخذه عنده. يقول: هو من القوم الذين يشكرونني على الأخذ والقبول كما أشكرهم على الإنعام. إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم عَدُّوا ذلك إحسانًا منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير:

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

(٤٠٤) جعل شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له، فهو يشكرهم على العطاء وعلى الشكر الذي هو عطاء ثانٍ. وفي هذا المعنى يقول أبو يعقوب الخريمي:

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُنِيهَا بَادِيًا وَيُعِيدُهَا

(٤٠٥) صيام: أي واقفة، تقول: صام الفرس، إذا وقف. يقول: إن خيلهم واقفة بأبوابهم، وهي كأنها تعدو في قلوب أعدائهم لشدة خوفهم؛ يعني أنهم مخوفون وإن لم يقصدوا أحدًا.

(٤٠٦) الوفود: جمع وفد، جمع وافد؛ بمعنى زائر. يقول: إنهم غير محجوبين عمن يقصدهم من الوادين، وأموالهم ترد على من لم يأتهم؛ لأنهم يبعثونها إليهم، فأموالهم مبذولة للحاضر والغائب.

(٤٠٧) العبدي: جمع عبد. والمطهمة: الخيل الحسان التامة الخلق. والجرد: القصار الشعر. يقول: عطاياه كالعساكر فيها كل شيء، حتى العبيد والخيل.

(٤٠٨) جعل الممدوح قمرًا وأباه شمسًا، يريد رفعتهما وشهرتهما، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس. يقول: قد لبس العلا ثوبًا ثم خاطبه وقال: تمهل حتى ينبت الشعر في وجهك؛ أي حتى تكبر، يعني أنه قد بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية.

(٤٠٩) غالها: ذهب بها؛ أي رفعها من الأرض. وفضول الدرع: ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة، وهو جمع فضل. وجنباتها: جوانبها. والقناة: عود الرمح. يقول: إنه من ذوي البسطة في الجسم قد ملأ الدرع فلم يبقَ منها ما يفضل عن بدنه، وقده مع ذلك طويل معتدل كقد القناة، ليس بأقعس ولا بأحدب.

(٤١٠) أبكار المكارم: أي التي لم يسبقه أحد إليها. يقول: إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشئ أمرد، وكذلك كان يفعل آباؤه.

(٤١١) من في قوله: من تشفى به: فاعل شفى، من باب وضع الظاهر موضع المضمر أو بدل من ضميره؛ جعل العدم — أي: الفقر — كالداء الذي يطلب له الشفاء، وأن أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه؛ أي: إلى أبي الممدوح، قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفي، وهذا كما يقول ابن الرومي:

يَا رَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قُبَالَتَهُ فَدَاوِ بِاللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكْ

هذا: والعُدْم والعَدَم إذ ضممت الأول: سكنت الثاني، وإن فتحته فتحت الثاني: كالسُّقْم والسَّقَم، والرُّشْد والرَّشَد والحُزْن والحَزَن. والرُّمد: جمع رمدة، ورمد الرجل: هاجت عينه فهو رمد وأرمد.

(٤١٢) حباني: أعطاني؛ والسوابق: الخيل، ودونها: حال من السوابق. يقول: أعطاني أثمان الخيل؛ أي المال الذي تشترى به الخيل السوابق، ولم يعطني الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه؛ لأن الخيل بجريها تعين على السفر والبعد فهي من أسباب الفراق وأعوانه. وقوله: إنها، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف ويكون الكلام قد تم بسيري، وبفتحها على تقدير اللام: أي حباني بذلك لأنها.

(٤١٣) شهوة: عطف على مخافة. وبها: صلة الجواد، والضمير للأثمان أو لقوله: ثناء؛ لأنها عطايا ثناء: أي مثنى مثنى. يقول: حباني بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى حبائي مرة أخرى قبل انصرافي؛ لأن جوده مثنى وإن كان هو فردًا لا نظير له.

(٤١٤) بمثلها: أي بمثل أثمان الخيل، أو بمثل عطاياه المذكورة في قوله: ثناء ثناء كما سبق. يدعو لنفسه يقول: لا زلت أثيرًا لديه محظوظًا عنده أتلقى عطاياه وألقى بها حسادي فأفطر قلوبهم، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم. ويروى: غيض بدل: غيظ؛ أي فراغ، مِن غاض الماء إذا نقص وجف. والرفد بالكسر: العطاء والصلة، وبالفتح: المصدر، رفده يرفده رفدًا: أعطاه، ومنه الرفادة: وهي شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية فيخرج كل إنسان مالًا بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالًا عظيمًا أيام الموسم فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج. وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف، وسمي هاشمًا لهشمه الثريد. والرافدان: دجلة والفرات. قال الفرزدق، يعاتب يزيد بن عبد الملك في تقديم ابن المثنى عمر بن هبيرة الفزاري على العراق ويهجوه:

بَعَثْتَ إِلَى الْعِرَاقِ وَرَافِدَيْهِ ... فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ الْقَمِيصِ

(يصفه بالغلول وسرعة اليد. وقوله: أحذ يد القميص: أراد أحذ اليد، فأضاف إلى القميص لحاجته، وأراد خفة يده في السرقة. وقيل: إن الأحذ المقطوع، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالي، فجعله كالأحذ الذي لا شعر لذنبه.)

(٤١٥) القباطي: جمع قبطية؛ وهي ثياب بيض تعمل في مصر. والجحد: إنكار الشيء مع العلم به. يقول: ولا زال عندي ثياب الممدوح وماله، وعند حاسدي إنكار ما ظفرت به من نعمته، يقولون: لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعي حسدًا لي وسترًا لما فضلت به عليهم. وقال ابن جني في معنى المصراع الأخير: هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئًا حتى إذا قيل لهم: هل عندكم خير أو بر من هذا الممدوح؟ قالوا: لا، فذلك هو الجحد، وليس بشيء.

(٤١٦) الشأو: الغاية. يقول: إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايتي في الشعر وهم بالقياس إلي كالقرد بالقياس إلى الإنسان، يحاكيه في جميع أفعاله ما خلا المنطق، فإنه يعجز عنه، وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامي.

(٤١٧) ابن دأية: هو الغراب، يقع على دأية البعير — الدبر — فينقرها، قال الشاعر:

إِنَّ ابْنَ دَأْيَةَ بِالْفِرَاقِ لَمُولَعٌ   وَبِمَا كَرِهْتُ لَدَائِمُ التَّنْعَابِ

وهو يوصف بحدة البصر. والخلد: نوع من الفأر أعمى، يضرب به المثل في قوة السمع. يقول: هم في جموع قليلة، لا يبصرها الغراب مع حدة بصره، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه. والمعنى أنهم غاية في الحقارة ودقة الشأن، حتى لو أن ذلك كان في أجسامهم، ما رأى جموعهم الغراب، أو في أصواتهم، ما سمعها الخلد.

(٤١٨) قوله: فجازوا: أمر من المجازاة. يقول: مني استفاد الناس كل شعر بارع رائع بديع وانتحلوه. ثم التفت إلى خطابهم وقال: فإن لم تجازوني بالحمد على قصائدي فليكن جزائي منكم ترك ذمي! يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم يتنقصونه ويصغون إناءه. وقال ابن جني: قوله: فجازوا: هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث نقده؛ أي يتسامح به، فغايتهم أن لا يذموا، فأما أن يحمدوا فلا! قال العروضي ينتقده: قضيت العجب ممن يخفى عليه مثل هذا، ثم يدعي أنه أحكم سماع تفسيره منه، وإنما يقول: الناس استفادوا مني كل شعر غريب وكلام بارع، ثم رجع إلى الخطاب فقال: فجازوني على فوائدي بترك الذم إن لم تحمدوني عليها.

(٤١٩) علي: أبو الممدوح، وابنه: الحسين، والضمير في قومه: لعلي. يقول: هو وابنه خير قومه، وقومه خير قوم في الدنيا، وبعد ذلك يستوي الأحرار والعبيد في انحطاط الجميع عن منزلتهم، وهذا كقول أبي تمام:

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعُلَا　　　وَالْمَجْدِ ثُمَّتَ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ

(٤٢٠) منهما: حال من مكانه، وفي مكانه: خبر أصبح، والضمير: للشعر. يقول: وأصبح شعري من علي وابنه في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه؛ لأنهما أهل لأن يمدحا به فزاد حسنه، كما أن العقد إذا حصل في عنق الحسناء ازداد حسنه. وهذا كقوله أيضًا.

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ　　　إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ

[التنبال: القصير].

(٤٢١) المسهد: الذي منع النوم لمثل هم. يقول: اتفقت لنا زيارة هذه القرية بغتة، فكانت لطيبها كالنوم في جفن الساهد.

(٤٢٢) المعج: أن يعتمد الفرس على إحدى عضادتي العنان، مرة في الشق الأيمن، ومرة في الشق الأيسر، وقيل: ضرب من السير لين سهل، قال الشاعر:

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدٍّ فَإِذَا　　　وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجْ

(٤٢٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة العذار على حمرة خد أغيد، والأغيد: الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف، وهو من أوصاف الغلمان الحسان. قال الواحدي: والغيد لا ينبئ عن الحمرة، لكنه أراد أغيد مورد الخد حيث شبه الخضرة على الحمرة بما في خده، كما قال الشاعر:

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْمَوْمَاةِ　　　أَيْدِي جَوَارٍ بِتْنَ نَاعِمَاتِ

يريد أن أيدي الإبل انخضبت من الدم، كما أن أيدي الجواري الناعمات حمر بالخضاب، وليست النعومة من الخضاب في شيء.

(٤٢٤) يقول: أحببت أن أشبهها بشيء فوجدت التشبيه معدومًا. ويجوز أن يراد بالتشبيه: الشبه به، يقول: أردت مشبهًا لها فكان مستحيل الوجود، يريد أنها لا نظير لها.

(٤٢٥) أي: هي واحدة في الحسن لأوحد في المجد.

(٤٢٦) الوغد: الرذل الدنيء الضعيف العقل؛ والوغد: خادم القوم، وقيل: الذي يخدم بطعام بطنه، تقول منه: وغد الرجل — بضم الغين — ومنه الوغد: قدح من سهام الميسر لا نصيب له، يقول: رأيت العاقل الثبت الرزين به رذلًا دنيئًا أحمق، وأحرار الملوك عبيدًا، يعني شرفه وسيادته.

(٤٢٧) يقول: إن الشراب — شراب الراح — قد نال منه، وأنه أراد النهوض فمنعه، ثم قال: وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى المكارم.

(٤٢٨) رفدًا: أي إنعامًا، يريد: أنا أحمد لا أنصرف، فإن تفضلت بانصرافي عددته منك عطية.

(٤٢٩) الشأو: الغاية. وشآه: سبقه.

(٤٣٠) يقول: لم تدع من السيادة شيئًا يناله من لم يسد، ولا شيئًا يذكر لمن ساد.

(٤٣١) السمانى: الطائر المعروف في مصر بالسمان، يكون واحدًا ويكون جمعًا، ويقال في الواحدة أيضًا: سماناة. وتصيدها — بحذف إحدى التاءين — أي: تتصيدها. يقول: إن السمانى استسلمت للباشق، فكأنها تشتهي أن تصاد لتفتخر بحصولها في يدك.

(٤٣٢) وشامخ: أي ورب جبل شامخ؛ أي عال. والأقود: المنقاد طولًا. والأصيد: الملتوي العنق لداء. والصيد: داء يصيب أعناق الإبل. يريد أن هذا الجبل مرتفع في اعوجاج، فشبهه بيافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه.

(٤٣٣) الجلمد: الصخر. والمسد: الحبل من ليف. يقول: إن السائر في هذا الجبل يسير منه في طريق ضيق ذي صخور، قد تعرَّج واشتبك بعضه في بعض، فأشبه لذلك ما بين قوى الحبل المعقد.

(٤٣٤) لك أن تقرأ يعهد: بضم الياء — على المجهول — وبفتحها: على أنه من فعل الجبل. والمراد بالتمرد: طغيان النشاط. وقوله: للصيد، بدل تفصيل من الأمر. والنزهة: الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع الغمق وفساد الهواء. يقول: أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد في مثله أو لم يعهده هو في نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه.

(٤٣٥) أي: زرناه بكل كلب يسقى دم ما يصيده، أسود اللون، تعود الصيد ومارسه كثيرًا. مقود: أي جعل له مقود يقاد به إلى الصيد. مقلد: من القلادة. وهي الطوق يجعل في العنق.

(٤٣٦) أي: معاود للصيد بكل ناب، أو تقول: يسطو بكل ناب ذرب؛ أي حاد ماض. والحفافان: الجانبان، شبه حنكه بالمبرد، لما فيه من التضاريس والطرائق.

(٤٣٧) ودى القتيل يديه: أعطى ديته، وهي ثمن الدم. يقول: كأن له عند الصيد ثأرًا يطلبه وإن لم يضطغن عليه، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه.

(٤٣٨) الخشف: ولد الظبية. ونشد الضالة: طلبها وتعرف مكانها. وقوله: من أخضر؛ أي من مكان أخضر. يقول: يطلب من هذا الخشف ضالة لم يفقدها من قبل، فثار الخشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندي.

(٤٣٩) قوله: كأنه ... إلخ، شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو في خد أمرد. وقوله: فلم يكد ... إلخ، يقول: لما ثار الخشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار، فلم يكد يهتدي منها طريقًا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها. وقال الواحدي: إنه لما يئس من الفوت مد يديه لاطئًا بالأرض.

(٤٤٠) يقول: ولم يدع الكلب للشاعر وصفًا يصفه له لدى الأمير؛ لأنه لا يقدر أن يأتي بشيء أكثر مما رآه من أفعاله. والقرم: السيد، وأصله من البعير المقرم؛ وهو الذي لا يحمل عليه ولا يذلل.

(٤٤١) سمى أخذه الأبطال بالسيف قنصًا: لمشاكلة المقام. والغر: البيض. والبوادي العود: أي التي تظهر أولًا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة. ويحتمل أن تكون البوادي أصلها الهمز، فخففها الوزن.

(٤٤٢) لم تعدد: تروى لم أعدد. وينفد: يفرغ.

(٤٤٣) الوامق: المحب. يقول: ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه، وإنما هو وداع روح لجسدها. وفي هذا المعنى يقول القائل:

أَتَتْ وَدُمُوعُهَا فِي الْخَدِّ تَحْكِي … قَلَائِدَهَا وَقَدْ جَعَلَتْ تَقُولُ
غَدَاةَ غَدٍ تُحَثُّ بِنَا الْمَطَايَا … فَهَلْ لَكَ مِنْ وَدَاعٍ يَا خَلِيلُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: لَعَمْرُكِ لَا أُبَالِي … أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ جَدَّ الرَّحِيلُ
يُهَدَّدُ بِالنَّوَى مَنْ كَانَ حَيًّا … وَهَا أَنَا قَبْلَ بَيْنِكُمُ قَتِيلُ

(٤٤٤) زفته: ساقته. والرملة: بلد الممدوح. وعدا: جاوز. ومن بلد: تمييز، ومن: زائدة. دعا له بالسقيا والخصب والبركة، يقول: إذا أرسل إليه سحابًا فلا جاوز بلادك.

(٤٤٥) منزله: فاعل الرحب. يقول: إن فارقتنا — أيها الفراق يومًا بأن اجتمعنا — فلا تفرقنا ثانية.

(٤٤٦) البنية: المبنية، يريد الخيزران الذي اتخذ وعاء لهذه البطيخة، ولما قال: بطيخة، أثبت لها النبت على سبيل الترشيح، إلا أنه جعل نبتها بنار في يد؛ لأنها أديرت في يد صانعها على النار حتى تمت صنعتها.

(٤٤٧) شبه القلادة المنظومة في حسنها بفعله وكلامه الذي يتكلم به في مشهد من الناس.

(٤٤٨) المزاج: الماء الذي يمزج به. والزبد: ما يطفو على وجه الكأس؛ جعل الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجًا ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التي عليها. وقال ابن جني: هو تشبيه واقع، وإن كان على شراب أسود، وفي لفظه ما ليس في لفظ الشراب الأصفر والأحمر، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه. ألا ترى إلى قول القائل في تشبيهه:

لَوْ تَرَانِي وَفِي يَدِي قَدَحُ الدُّو   شَابِ أَبْصَرْتَ بَازِيًا وَغَزَالَا

(الدوشاب — كما في مفردات ابن البيطار — نبيذ التمر، روى نفطويه عن أحمد بن حمدون، قال: تذاكرنا يومًا بحضرة المكتفي فقال: أفيكم من يحفظ في نبيذ الدوشاب شيئًا؟ فأنشدته قول ابن الرومي:

إِذَا أَخَذْتَ حَبَّهُ وَدِبْسَهْ   ثُمَّ أَجَدْتَ ضَرْبَهُ وَمَرْسَهْ
ثُمَّ أَطَلْتَ فِي الْإِنَاءِ حَبْسَهْ   شَرِبْتَ مِنْهُ الْبَابِلِيَّ نَفْسَهْ

فقال المكتفي: قبحه الله ما أشرهه! لقد شوقني في هذا اليوم إلى شرب الدوشاب)

هذا: والكأس مؤنثة، قال الله تعالى: ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ﴾، وقال أمية بن الصلت:

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ   تَحْيَا قَلِيلًا فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ   فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا   لِلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

(مات عبطة: أي شابًا، وقيل: شابًا صحيحًا.)
وقيل: لا تسمى كأسًا حتى يكون فيها الشراب.

(٤٤٩) رواعي: جمع راعية. وهو أول شعرة تبيض شيئًا. وروى الخوارزمي: دواعي الشيب؛ يعني أوائله التي تدعو سائر الشعر إلى البياض. يقول: هذه البطيخة السوداء التي عليها لآلئ هي من الند. وكأن بقايا العنبر عليها أول الشيب في السواد، يريد هي سوداء واللون أبيض، فشبه اللون بأول الشيب في الشعر الأسود. قال ابن جني: الجعد: الأسود؛ لأن السواد أبدًا يكون مع الجعودة. قال ابن فورجه: ليس كذلك؛ لأن الزنج يشيبون ولا تزول الجعودة، وإنما أتى بالجعد للقافية.

(٤٥٠) أراكض: أطارد، ومعوصات الشعر: أي عويصاته، وهي التي لا يهتدى لوجهها؛ يصف نفسه بسرعة الخاطر وقوة البادرة، وشبه الشعر بالصيد. يقول: إنه يطارد العويص من الشعر فيأخذه قهرًا، وأما من عداه من الشعراء فباقٍ في مطاردته لم يدرك شيئًا.

(٤٥١) بيننا: فراقنا. يقول: أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بيني وبين أحبتي، وذلك ما لا توده الأيام، وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق؛ لأنها سبب البعد والتفريق، فكيف أرجي أن تصغي إلى شكاتي؟

(٤٥٢) يباعدن: أي يبعدن. والحِب: المحبوب. ووصله، وصده: معطوفان على الضمير في يجتمعن دون أن يأتي بتوكيد، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد؛ لأنهما يكونان فيها، والظرف يتضمن الفعل، وإذا تضمنه فقد لابسه، فكأنه اجتمع معه. يقول: إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب المقاطع؟ يعني أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود، فكيف الطمع في حبيب صده موجود؟

(٤٥٣) قال الواحدي: أي إن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبيبًا على الوصال فكيف أطلب منها حبيبًا تمنعه عن وصالنا؟ أو كيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهجر؟ وهذا كما قيل لبعضهم: قد ظهر نبي يحيي الأموات، فقال: ما نريد هذا، بل نريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم! وعبارة بعض الشراح: أي إن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر، فكيف ترد الحبيب الغائب وهي سبب غيبته؟ وقال ابن جني: إذا كان ما في يدك لا يبقى عليك، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك.

(٤٥٤) فعلت: نعت مفعول، وتغيرًا: تمييز، وتكلف: خبر أسرع. يقول: إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحبتنا لما دام لنا ذلك؛ لأن الدنيا بنيت على التغير والتنقل، فإذا فعلت غير

ذلك كانت كمن تكلف شيئًا هو ضد طباعه، فليس إلا أن يدعه وشيكًا ويعود إلى طبعه، كما قال حاتم:

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَتَرْجِعْهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ

ومثله قول الأعور الشني:

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلْقًا سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَتَغْلِبْهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ
وَأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَا بِهِ وَأَقْصَرُ أَفْعَالِ الرِّجَالِ الْبَدَائِعُ

ومثله:

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

(٤٥٥) العيس: الإبل. والمها: بقر الوحش. تشبه بها النساء الحسان. ويولي: من الولي؛ وهو المطر الذي يلي الوسمي. يدعو للإبل التي حملت الحبائب وذهبت بهن، ثم ذكر أنهن يبكين لأجل الفراق فقال: كلها يولي — أي يمطر — خده بجفنيه. جعل بكاءهن كالمطر من جفونهن.

(٤٥٦) بوادٍ: متعلق بفارقتنا — في البيت السابق — والضمير في رحلوا: لقوم الحبائب. والجيد: العنق. يقول: فارقتنا بوادٍ به من الوجد والوحشة لفراقهم ما بالقلوب؛ أي استوحش وتغير لارتحالهم، فصار كأنه جِيدٌ تناثر عقده، يعني أن الوادي كان متزينًا بهم فلما ارتحلوا تعطل من الزينة. وعبارة ابن جني: بقي الوادي مستوحشًا لرحيلهم عنه كالجيد إذا سقط عقده. وبه ما بالقلوب: أي قد قتله الوجد لفقدهم. قال: ويجوز أن يكون شبه تفرق الحمولة والظعن بدُرٍّ تناثر فتفرق؛ وقال ابن القطاع — بعد أن أورد كلام ابن جني هذا: يصف زهر الوادي وحسنه فتعوض بالعطل من الحلي.

(٤٥٧) الأحداج: مراكب النساء فوق الإبل كالهوادج، جمع حدج وهو جمع قلة، وجمع الكثرة: حدوج، وحدجت البعير أحدجه — بالكسر — حدجًا: إذا شددت عليه الحدج. قال الأعشى:

أَلَا قُلْ لِمَيْثَاءَ: مَا بَالُهَا أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أَحْمَالُهَا؟

[ويروى: أجمالها بالجيم؛ أي تشد عليها.]

والرند: نبات من شجر البادية، طيب الرائحة، يشبه الآس. يقول: إذا سارت مراكبهن فوق نبات هذا الوادي وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك — اختلطت ريح الرند بريح المسك فتفاوح الريحان. قال ابن جني: قال لي المتنبي: لما قلت هذه القصيدة وقلت: تفاوح، أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم. قال ابن جني: وهي لفظة فصيحة مستحسنة. قال العكبري: سألت شيخي أبا الحرم مكي بن ريان الماكسيني عند قراءتي عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسمائة: ما بال شعر المتنبي في كافور أجود من شعره في عضد الدولة وأبى الفضل بن العميد؟ فقال: كان المتنبي يعمل الشعر للناس لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة في بلاد خالية من الفضلاء، وكان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء، فكان يعمل الشعر لأجلهم، وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء، فكان يعمل الشعر لأجلهم ولا يبالي بالممدوح، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح — ابن جني — عنه في قوله: تفاوح؛ لأنه لما قالها أنكرها عليه قوم حتى حققوها، فدل أنه كان يعمل الشعر الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء.

(٤٥٨) غول الطريق: ما يغول سالكه؛ أي يهلكه إنضاء. يقول: ورب حال هي في الصعوبة والامتناع وتعذر المنال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها، وقبل الوصول إليها بُعد الطريق وما فيه من المهالك: يعني أنه يطلب أحوالًا عظيمة. لا يقدر على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الغانيات. وقال ابن جني: ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء الغواني في الحسن. هذا، وإليك كلمة على «رب» للعكبري، قال: قوله: وحال؛ أي ورب حال، قال أصحابنا: واو رب تعمل في النكرة الخفض بنفسها، وإليه ذهب المبرد. وقال البصريون: العمل لرب مقدرة. وحجتنا أنها نائبة عنها، فلما نابت عملت الخفض بنفسها وكانت كواو القسم؛ لأنها نابت عن الباء، ويدل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به. ونحن نرى الشاعر يبتدئ بالواو في أول القصيدة كقوله:

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ

ومثله كثير، يدل على أنها ليست عاطفة. وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لا يعمل شيئًا، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصًا، وحرف العطف غير مختص، فوجب ألا يكون عاملًا، وإذا لم يكن عاملًا وجب أن يكون العامل «رب» مقدرة. ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة.

(٤٥٩) الهم: الهمة، والوجد: السعة. قال الواحدي: هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول: أنا أتعب خلق الله لزيادة همتي وقصور طاقتي من الغنى عن مبلغ ما أهم به، وهذا مأخوذ مما في الحديث: إن بعض العقلاء سئل عن أسوأ الناس حالًا؟ فقال: من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته. وقد قال الخليل بن أحمد:

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَتُهُ ... وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدَ بِي ... عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رِقَّةُ الْحَالِ

(٤٦٠) هذا نهي عن تبذير المال والإسراف في إنفاقه، يقول: لا يذهبن مالك كله في طلب المجد؛ لأن من المجد ما لا ينعقد إلا بالمال، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذي كان ينعقد بالمال. قال عبد الله بن معاوية:

أَرَى نَفْسِي تَتَوقُ إِلَى أُمُورٍ ... يُقَصِّرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي لِبُخْلٍ ... وَلَا مَالِي يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده، وأبو الطيب يقول: ينبغي أن تقتصد في العطاء وتدخر المال؛ لتطيعك الرجال فتنال العلا وتصل إلى الشرف، ثم ضرب لهذا مثلًا بالبيت التالي.

(٤٦١) يقول: دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والنزال جعل المجد بمثابة الساعد الذي تعتمد عليه الكف في الضرب، يعني أنه بالمجد تقاد الجيوش، وبالمال ينفق عليها، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر، كما أبان عن ذلك في البيت التالي.

(٤٦٢) يقول: في الناس من هو دنيء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالدون منه ويمشي على قدميه عاريًا، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء. والميسور: ما تيسر، وهو من المصادر التي جاءت على مفعول.

(٤٦٣) يقول: لكن لي قلبًا ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حدًا؛ يعني: إنني إذا جعلت حدًّا لمطلوبي لا يرضى قلبي بذلك بل يطلب ما وراءه.

(٤٦٤) الشفوف: جمع شف؛ وهو الثوب الرقيق. وتربُّه: تنميه وتنعمه. يقول: إن قلبي هذا يرى الجسم الذي هو فيه يترفه متنعمًا بلبس الثياب الرقيقة، فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعًا تهده بثقلها؛ يعني أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهو مغمور، ويأبى إلا ركوب الصعاب في سبيل المجد والسيادة.

(٤٦٥) التهجير: السير وقت الهاجرة، وهي حر نصف النهار. والمهمه: الفلاة الواسعة. والربد: النعام الذي خالط سواده بياض. يقول: إن قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف، ينفد فيها ما معي من العليق والزاد، فلا عليق لفرسي إلا أن يرتع في مراعيها، ولا زاد لي إلا النعام أصيده فآكله.

(٤٦٦) يقول: وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياه لمقاومة النوائب هو رجاؤه أبا المسك وقصده إياه؛ يعني أن رجاءه كافورًا وقصده إياه هما اللذان هوَّنا عليه مشقات الطريق وأخطاره، فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والمخاوف، فقوله: أمضى: مبتدأ، خبره: رجاء. ونفسه: مفعول أول لقلد، والثاني: محذوف؛ أي قلد نفسه إياه. وهذا المخلص من أحسن المخالص.

(٤٦٧) أسرة الرجل أهله الأدنون. يقول: إن رجاء كافور وقصده، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر، وهما عشيرة من لا عشيرة له، بهما يعز فيغنيانه عن العشيرة.

(٤٦٨) الوُلْد بالضم بمعنى الولد بالفتح، يقع على الواحد والجمع، قال الشاعر:

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدَ حِمَارِ

يقول: إن كافورًا وهب له غلمانًا وأنه منهم في عشيرة، إذ يحفون به ويركبون معه، وكافور له ولهم كالوالد وهم له كالأولاد البررة يفدونه بأنفسهم.

(٤٦٩) الدر: اللبن. يقول: إن بره عم الكبير والصغير، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه — أي حياته — من ماله؛ لأنه إنما يغذى بنعمائه، ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله؛ وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف في كل شيء. وقال ابن جني: يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال؛ لأنه مالك الجميع: كبيرهم وصغيرهم.

(٤٧٠) القنا: الرماح. والخطي: نسبة إلى الخط، وهو موضع باليمامة تقوم فيه الرماح. وقبابه: خيامه. وتردى: من الرديان؛ وهو ضرب من العدو. والقب: الضامرة البطون، جمع أقب. والرباط: اسم لجماعة الخيل. والجرد: القصار الشعر. يقول: نقوم

— يعني نفسه ومن معه من الغلمان — في خدمته أينما نزل ونصبت خيامه، وتعدو بنا الخيل في صحبته أينما سار. وقوله: وجرده: وحد الضمير ولم يقل: وجردها؛ لأن الرباط اسم واحد غير متكثر بمنزلة القوم والرهط.

(٤٧١) نمتحن: نختبر. والنشاب: السهام. والوابل: المطر الغزير. والقسي الفارسية: أي المنسوبة إلى فارس، يريد صنعة العجم. يقول: ونمتحن بين يديه الترامي بالسهام، ونحن منها في مثل الوابل لكثرتها، وأصوات القسي في ذلك الوابل كالرعد؛ يعني أنهم يترامون بالسهام، ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء، كعادة الفرسان والشبان في الحرب.

(٤٧٢) الشرى: الموضع الكثير الأسد، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيئ. والعرين: الأجمة. وقوله: فإن الذي، رواها ابن جني: فإن التي؛ قال: لأنه أراد الفئة والجماعة. ولكن رواية الذي: أجود وأشهر. يقول: إن لم تكن مصر هي الشرى ولا عرينه، فإن الناس الذين فيها هم أسود الشرى، فالضمير في أسده: للشرى.

(٤٧٣) السبائك: جمع سبيكة؛ وهي القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت في قالب. والعقيان: الذهب. وصم القنا: أي الرماح الصلبة يقول: هؤلاء الناس — الذين ذكرهم — هم ذخائر كافور وعدته في مطالبه، فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره، ولما جعلهم سبائك وعقيانًا ذكر أنه انتقدهم بالرماح لا بالأصابع كما ينتقد الذهب؛ أي إنه امتحنهم بطعان الفرسان، واصطفاهم بعد أن أبلوا في الحرب.

(٤٧٤) بلاها: اختبرها. وهزل الطراد: مردود إلى قوله: وغيره، وجده: إلى العدو على طريق النشر الغير المرتب، يقول: اختبرها الأعداء في الحرب حوالي كافور؛ لكثرة ما حاربوا أعداءه وشهدوا معه المعارك فصاروا مجربين بكثرة القتال، واختبرها غير العدو في أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضًا؛ أي جربت في حالتي الجد والهزل وتمرست بالقتال في سائر الأحوال.

(٤٧٥) يقول: إنه كثير العفو، وإن عفوه أكثر من ذنب المذنبين، وإنه ليس بحقود وإذا اعتذر إليه الجاني ذهب حقده.

(٤٧٦) الجَد هنا: السعد. يقول: إن السعي والسعادة قد اجتمعا له، فإذا سعى في أمر نصر السعد سعيه، فيصير مجدودًا في ذلك السعي ويدرك ما يريد من سعيه، وإذا حفزته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده، وإذا اجتمع السعد والسعي لإنسان بلغ أقصى المبالغ.

(٤٧٧) تولى: ولى. وفقده: فاعل ضر. يقول: ولَّى الصبا عني وذهب، فأخلفت على طيبه؛ أي جعلت له خلفًا بما أجد من طيب أيامي عندك، يعني أني مبتهج بك ابتهاجي بالشباب حتى لم يضرني فقده مع رؤيتك.

(٤٧٨) هذا تأكيد لما ذكره في البيت السابق، يقول: إن الكهول بما يلاقونه في ذراك من رغد العيش، وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابًا، والمرد عند غيرك صاروا شيبًا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم. وقال ابن جني: هذا تعريض بسيف الدولة؛ أي صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيبًا. ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوًا؛ يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من الذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان. وأن المرد — وهم الشبان — عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم صاروا شيبًا؛ أي موقرين توقير الشيوخ.

(٤٧٩) يذكر أنه قاسى في مسيره إليه حر النهار وبرد الليل، يقول: ليتهما يخبران فتسألهما عما قاسيت. هذا، وقوله: والليل: عطف على يوم، وحره: فاعل يخبر، وكذا: برده. وقوله: فتسأله: نصبه لأنه جواب التمني. وقال العكبري — لمناسبة حر النهار وبرد الليل — وهذا يكون في أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف؛ لأن النهار يكون كربًا والليل باردًا. قال: وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة! فقال:

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ ... وَكَرْبُ الْخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَا
وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ ... فَفِعْلُكَ لِلْخَيْرِ قُلْ لِي: مَتَى؟!

(٤٨٠) ترعاني — هنا — بمعنى تراني وتراقبني. وحيران: ماء بالشام على يوم من سلمية. ومعرض: أي ظاهر، من أعرض الشيء؛ بدا للناظر، ومنه:

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ ... كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

يقول: ليتك كنت تراني وأنا عند هذا الماء، فترى جلدي وإشاحتي في السير فتعلم أني ماضٍ في الأمور مضاء حد سيفك.

(٤٨١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام. يقول: إنه إذا حاول أمرًا تدانت أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته.

(٤٨٢) يشتبهون: يتشابهون. ولي: متعلق بيشتبهون. وإليك: متعلق بمحذوف حال من ضمير المتكلم قبله؛ أي وأنا قاصد إليك. يقول: ما زال أهل الدهر يتشابهون عندي في

مسيري إليك، فلا أكاد أرى بينهم فرقًا حتى ظهرت لي، فإذا أنت فردهم الذي لا يشبهه أحد منهم، وهذا كقوله:

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ

(٤٨٣) يقول: إذا رأيت جيشًا وملكه فاستعظمته قيل لي: قدامك ملك هذا الملك الذي تراه عبده فكيف هو؟! قال الواحدي: وهذا كالتفسير للبيت السابق؛ فالذين رآهم هم الذين اشتبهوا له والذي قيل له: رب هذا الجيش عبده، هو الفرد الذي لاح له.

(٤٨٤) يقول: إذا لقيت إنسانًا ضاحكًا علمت أنه قريب عهده بكفك وأخذه عطاءك فانثنى عنك مسرورًا. فقوله: بذي الكف؛ أي بهذه الكف، وهي متعلقة بعهده. وقريب: خبر مقدم، وعهده: مبتدأ مؤخر. وعبارة ابن جني: لما قبل كفك كسته الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها؛ لأنك أغنيته فكثر ضحكه.

(٤٨٥) مَن: نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها؛ أي زارك مني رجل اشتياقه كله إليك أنت — يعني نفسه من باب التجريد — وزهده في الناس كلهم إلا فيك وحدك، يعني أنه زاهد في قصد سواه.

(٤٨٦) يخلف: أي يترك خلفه. والجهد: الطاقة والوسع. يقول: إن دار الممدوح هي غاية القصاد ومنتهى المنتجعين، فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها، فإذا أتاها علم أنه قد بلغ جهده الذي لا جهد بعده، كما قال:

هِيَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ الْمُنَى

وعبارة العكبري: غاية كل طالب مرتبة دارك، ونهاية ما يأتيه مكتسب المجد أن يقصدك. فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أتاها علم أن ذلك جهده في ابتناء المجد واكتساب المال.

(٤٨٧) بماء: أي من ماء، والورد: إتيان الماء. يقول: إن بلغت أملي فيك فلا عجب فكم بلغتُ الممتنعَ الذي لا يُدرك من الأمور، وجعل الماء الذي لا يرده الطير مثلًا للممتنع من الأمور. قال الواحدي: وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعد الطريق إليه. قال ابن جني: يمكن أن يقلب هذا هجاء، ومعناه: إن أخذت منك شيئًا على بخلك وامتناعك من العطاء، فكم قد وصلت إلى المستصعبات واستخرجت الأشياء المعتاصة؟ ولعل المتنبي

يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه، وكان كافور قد وعده بذلك حياء منه وهو لا يريده، وقد سئل في ذلك يومًا فقال: يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية، أفلا ترونه يدعي الملك؟ فقال أبو الطيب ذلك؛ يشير إلى بعد هذا المأمول وصعوبة نيله.

(٤٨٨) الضمير في لأنه: ضمير الشأن. ووعده — في آخر البيت: مبتدأ مؤخر، ونظير: خبر مقدم. والفعال هنا: الفعل. يقول: إن وعدك بمثابة الفعل الذي يقع دون أن يتقدمه وعد؛ لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده. فوعده نظير فعله؛ أي إنه إذا وعد، فكأنه قد فعل.

(٤٨٩) اصطنعه: اختاره موضعًا لصنيعته؛ أي بره ومعروفه. والتقريب والشد: ضربان من جري الخيل. قال ابن جني: أي جربني ليظهر لك صغير أمري وكبيره؛ فإما اصطنعتني وإما رفضتني، فلا فضل بيني وبين غيري إذا لم تجربني. وقال الواحدي: جربني في اصطناعك إياي ليتبين لك أني موضع للصنيعة، فبالتجربة يعرف الفرس وأنواع جريه من التقريب والشد.

(٤٩٠) فابله: فاختبره. ويقال: نفَّاه، ونفَاه؛ مخففًا ومشددًا. وهذا مثل في معنى البيت السابق. يقول: إذا جربت السيف بان لك صلاحه وفساده؛ فإما ألقيته؛ لأنه كهام، وإما أعددته للحرب؛ لأنه حسام: يعني جربني فإن وجدتني أهلًا لما شئت فاصطنعني وإلا فارفضني.

(٤٩١) الصارم: السيف القاطع. والنجاد: حمالة السيف. وهذا تأكيد لما ذكره في البيتين السابقين، يقول: إن السيف القاطع الهندي لا يظهر فضله على غيره من السيوف حتى يسل ويضرب به، وبذلك يعرف مضاؤه. وقد قلنا: إن المتنبي كان يطلب من كافور ولاية، فهو يقول له: جربني لتعرف ما عندي من الكفاية، وأني أصلح لأن أكون واليًا، وهذا من قول أبي تمام:

لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفُ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى

(٤٩٢) للمشكور: اللام فيه للتوكيد. والرفد: العطاء، والضمير فيه: يرجع إلى المشكور. يقول: أنت مشكور من جهتي على كل حال وإن لم أتلقَ منك إلا بشاشة وجهك وطلاقته.

(٤٩٣) النوال: العطاء. والطرف: العين. ونده: نظيره. يقول: نظرك إليَّ نظير كل عطاء منك أخذته أو سآخذه؛ أي إن نظرة منك لي تقوم مقام عطائك.

(٤٩٤) أصله عطاياك: مبتدأ وخبر. والمد: زيادة الماء؛ وهو ما قابل الجزر. يريد كثرة ما يصل إليه من البر والصلات. يقول: أنا في بحر من الخير، وأصل هذا البحر عطاياك، وأنا أرجو زيادة عطاياك، فإنها زيادة ذلك البحر، وهي مادته.

(٤٩٥) العسجد: الذهب. يقول: لست أرغب من جهتك في ذهب ومال، ولكن في فخر جديد — يعني الولاية — وهذا كقوله الآتي:

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي   وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ

وفي هذا المعنى يقول المهلبي:

يَا ذَا الْيَمِينَيْنِ لَمْ أَزُرْكَ وَلَمْ   أَصْحَبْكَ مِنْ خَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ
زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مُنَازِعَةٌ   إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْهِمَمِ

ومثله:

لَمْ تَزُرْنِي أَبَا عَلِيٍّ سِنُو الْجَدْ   بِ وَعِنْدِي مِنَ الْكَفَافِ فُضُولُ
غَيْرَ أَنِّي بَاغٍ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْـ   ـرِ وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبْغَى الْجَلِيلُ

وقال ابن الزيات:

لَمْ أَمْتَدِحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ   لَكِنْ لِتُلْبِسَنِي التَّجْمِيلَ وَالْغُرَرَا

ويقول أبو تمام:

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ   فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأُخْدَمَا

ويقول أيضًا:

يَا رُبَّمَا رِفْعَةٍ قَدْ كُنْتُ آمُلُهَا لَدَيْكَ لَا فِضَّةً أَبْغِي وَلَا ذَهَبَا

(٤٩٦) يجود به: أي بالمفخر. يقول: تجود به أنت، وجودك فاضح لجود غيرك بزيادته عليه، وأحمدك عليه أنا، وحمدي يفضح حمد غيري لأنه فوقه.

(٤٩٧) يقول: إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله السعد: يعني أنك تُسعد المنحوس، وتطرد البؤس، وهذا كما يقول أبو تمام:

تَلْقَى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجِيئُهُ وَعَلَيْكَ مَسْحَةُ بِغْضَةٍ فَتُحَبَّبُ

(يقول: إذا أتيت هذا الممدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبًا عند الناس بإقباله عليك، وإن كنت بغيضًا لديهم من قبل؛ وفي رواية: وتحبه.)

(٤٩٨) يقول: اشتهى الأعداء أن يهيج بينكما شر، وأذاع الحساد ذلك، ولكن الصلح حسم — أي قطع — ما اشتهوه وأذاعوه.

(٤٩٩) يقول: وحسم الصلح ما أرادته أنفس حجز تدبيرك بينهم وبين ما أرادوه من إثارة الشر، فما — من قوله ما بينها — زائدة. وحال: اعترض.

(٥٠٠) أوضع الراكب بعيره: إذا حثه على السير السريع. والمخبون: الذين يحملون مطيهم على الخبب؛ وهو ضرب من العَدُوِ. ومن عتاب: بيان لما. يقول: صار سعي من سعى بينكما في الفساد زيادة في الوداد؛ لأن الود بعد العتاب أصفى، وهذا المعنى قريب من قول أبي نواس:

كَأَنَّمَا أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

(٥٠١) على الأحباب: في موضع نصب خبرا لليس: واسمها: مستتر يعود على كلام. وسلطانه على الأضداد: جملة استئنافية مبتدأ وخبر. ولك أن تجعل سلطانه: اسم ليس، وعلى الأضداد: صلة سلطان؛ وتقدير الكلام: وكلام الوشاة ليس له على الأحباب السلطان الذي له على الأضداد. ومعنى البيت: إن كلام الوشاة لا يؤثر في الأحبة، إنما يؤثر في الأعداء.

(٥٠٢) يقول: إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول، وكأن هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة.

(٥٠٣) ألفيت: أي وجدت. وأوثق: أقوى. والأطواد: الجبال. يقول: لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشايات، فكنت كأقوى الجبال: أي لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالنميمة، يريدون بذلك الفساد.

(٥٠٤) يقول: أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك؛ لأنك لم تجده من الرشاد، وإنما وجدت الرشاد في الأناة والمسالمة، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح.

(٥٠٥) أشوى يُشوي: إذ أخطأ، ورماه فأشواه: إذا لم يصب المقتل.

قال الهذلي:

فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا　　إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاتُهَا

(يقول: إن من القول كلمة لا تشوي ولكن تقتل.)

يقول: قد يصيب المشير الذي لم يجتهد في مشورته، وقد يخطئ المجتهد في مشورته بعد الاجتهاد، يعني أن الذين أعملوا الرأي قد أخطئوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف، وأنت أصبت الرأي عفوًا حين ملت إلى الصلح والمسالمة، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم.

(٥٠٦) البيض: السيوف. والسمر: الرماح. يقول: أدركت بالصلح ما لا يدرك بالسيوف والرماح، وحفظت الأرواح فلم ترق دمًا ولم تقتل نفسًا، وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور.

(٥٠٧) القنا: الرماح. والخط: موضع تنسب إليه الرماح. وحولك: حال من مراكزها، والمرهفات: السيوف المحددة. يقول: وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن، والسيوف مغمدة لم تسلَّ للضرب.

(٥٠٨) يقول: لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك، وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته.

(٥٠٩) يقول: يفدي رأيك — الذي لم تستفده بتجربة وتعليم، وإنما هو نتاج أناتك ورويتك — كلُّ رأي مستفاد بالتعليم. وعبارة العكبري وسائر الشراح: يريد أن رأيك تلاد — قديم — معك لم يفدك إياه أحد. إنما هو إلهام من الله. ففداه كل رأي مستفاد معلم.

(٥١٠) الحلم: الأناة والعقل. يقول: إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها المرء وفطر لم يفدْه بالكبر وتقادم السن، ومن ثم ليس الشيخ أولى بجودة الرأي من الشباب. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: بالغريزة يتعلق الأدب، لا بتقادم السن.

(٥١١) يقول: بهذا الرأي الذي رأيت في هذا الحادث — وبمثله في غيره — سدت الناس وانقاد لك ما لا ينقاد لغيرك.

(٥١٢) يقول: وبمثل هذا الرأي أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسودٌ بأسًا وشجاعة، فلم يعرفوا الطاعة والانقياد لأحد قبلك؛ لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود.

(٥١٣) يقول: إنما أنت في تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأحنى منه عليه؛ يريد: إنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد.

(٥١٤) عدا: جاوز. وبغى: طلب، وهذا دعاء. يقول: لا جاوز الشر من طلب لكما الشر. ولا تعدَّى الفساد أهل الفساد: أي لا زال في الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر، ولا فارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما.

(٥١٥) قوله: ما اتفقتما، فما: مصدرية زمانية؛ أي مدة اتفاقكما، يقول: مثلكما في اتفاقكما مثل الروح والجسد، إذا اتفقا صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والعواد، وإذا تنافرا فسد البدن. ثم قال: فلا احتجتما إلى العواد؛ أي: لا وقع بينكما خلاف، وشر، وبعبارة أخرى: أنتما ما دمتما متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش بائتلافهما. وقوله: فلا احتجتما إلى العواد: لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بمثابة الداء الذي يختل به أمر البدن، ويكون محوجًا إلى عيادة الأطباء؛ أي فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين.

(٥١٦) أنابيب الرمح: ما بين كل عقدتين. والخلف: الاختلاف. والطيش — هنا — بمعنى الاضطراب. والصعاد: جمع صعدة؛ وهي قناة الرمح. أي إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن. وهذا مثل؛ جعل الأنابيب مثلًا للأتباع والصدور مثلًا للرؤساء. يقول: إن اختلاف الخدم يؤدي إلى النزاع بين الرؤساء. قال ابن جني: لو قال في رءوس الصعاد لكان أولى؛ لأن الطيش يكون فيها، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو.

(٥١٧) الشراة: الخوارج؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال في دينه. ورب فارس: كسرى. وإياد: حي من معد، قال أبو دواد الأيادي:

فِـي فُتُوٍّ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ   مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مُضَرْ

(فتو: جمع فتى، والفتى: الشاب، والسخي والكريم.)

يريد المتنبي أن يقول: إن الشقاق بين الجماعات قديمًا أدى إلى شماتة أعدائهم بهم، إذ سبب التنازع بينهم يمكن أعداءهم منهم كما كان من الخوارج، لم يظفر بهم المهلب بن أبي صفرة إلا بعد أن نزغ الشيطان بينهم، فقد قاتلهم المهلب نحوًا من ثلاثين شهرًا فلم يقدر عليهم، ثم وقع الخلف بينهم واقتتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينجُ إلا القليل. قال العكبري: لما كان الخوارج مجتمعين لم يقوَ المهلب عليهم فاحتال على نصَّال كان يتخذ لهم نِصالًا مسمومة، فكتب إليه المهلب: وصل ما بعثت لنا من النصال المخترمة للآجال وحمدنا فعلك وشكرنا فضلك وسنرفع ذكرك ونعلي قدرك إن شاء الله. وبعث الكتاب على يد من أعثرهم عليه، فاختلفوا في قتله، فصوبته طائفة وخطأته أخرى، فاقتتلوا حتى قل عددهم، وأما إياد فقد كانت يدًا واحدة، ثم تفرقت كلمتهم وتشتتوا بأرض الجزيرة، فنهد إليهم سابور ذو الأكتاف وأفنى منهم خلقًا كثيرًا وتفرق سائرهم في البلاد.

(٥١٨) وتولى بني اليزيدي: أي تولاهم الخلف؛ أي اختلفوا، فضمير تولى للخلف. وبنو اليزيدي: كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها في خلافة المنصور وأخرجوا ابن رائق، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم، فما كان إلا أن خوى نجمهم، وذهب ملكهم، وهلكوا جميعًا.

(٥١٩) وملوكًا: عطف على بني اليزيدي. وأخت طسم: جديس؛ وهما قبيلتان قديمتان بادتا بحروب كانت بينهما. يقول: وتولى الخلف ملوكًا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجديس، فأهلكهم هذا الخلف.

(٥٢٠) بكما: قال الواحدي؛ أي لأجلكما. وقال العكبري: متعلق بمحذوف تقديره بت عائذًا بالله أن يقع بكما ... وفيكما: أي بينكما. ومنه: أي من الخلف. والعادي: الظالم، يقال: عدا عليه: فهو عادٍ عدوًا وعداءً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وأصله: تجاوز الحد بالظلم. يقول: أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما، ومن كيد أهل البغي والعدوان الذين يريدون بكما السوء.

(٥٢١) اللب: العقل. والأصيلين: الراسخين أو الجيدين. وصم الرماح: صلابها. والجياد: الخيل. يقول: وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتتلان، فتحول الرماح بين خيلكما التي هي جماعة واحدة فتصير جماعتين.

(٥٢٢) يقول: وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضًا بما تدخرانه من السلاح، فيصير الصديق الذي يشقى به عدوًّا؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لا للأصدقاء، فإذا قتل به

بعضكم بعضًا فقد صرتم أعداء. فالولي: الصديق، والعتاد: العدة؛ أي الشيء الذي تعده لأمر ما وتهيئه له، يقال: أخذ للأمر عدته وعتاده؛ أي أهبته وآلته. قال الجوهري: وربما سموا القدح الضخم عتادًا. وأنشد أبو عمرو:

فَكُلْ هَنِيئًا ثُمَّ لَا تُزَمِّلِ   وَادْعُ هُدِيتَ بِعَتَادٍ جُنْبُلِ

(الجنبل: قدح غليظ من خشب.)

(٥٢٣) يقول: إذا اقتتلتما وأفنى أحدكما الآخر، فهل يُسر الذي يبقى منكما أن يتحدث الأعداء في المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه؟ وهذا استفهام إنكاري؛ أي: لا يسر الباقي منكما ذلك. هذا، والعداة: جمع عدو، وكذلك العدى، قال ابن السكيت: لم يأت فعل في النعوت إلا حرف واحد، يقال: هؤلاء قوم عدى؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان:

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ عِدًى لَسْتَ مِنْهُمُ   فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ

(٥٢٤) الرعاية: حفظ العهود. والسؤدد: السيادة. والحقد: الضغن، يقول: إن ما بينكما من الود ورعاية الحقوق، وما فيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحدكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه.

(٥٢٥) وحقوق: عطف على الود. يقول: ويمنع أن يحقد أحدكما على صاحبه تلك الحقوق؛ حقوق التربية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التي لو كانت في قلب الجماد لرق بعضه لبعض.

(٥٢٦) يقول: باتفاقكما وتصافيكما آب إلى الملك بهاؤه ورونقه، ومن ثم شكر لكما حسن صنيعكما وما كان منكما من صواب. هذا، ويقال: بهره يبهره بهرًا؛ أي قهره وعلاه وغلبه، وبهرت فلانة النساء: غلبتهن حسنًا، وبهر القمر النجوم: غمرها بضوئه. قال ذو الرمة يمدح عمر بن هبيرة:

مَا زِلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا   تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانِ مِنْ مُضَرَا
حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   إِلَّا عَلَى أَكْمَهٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا

(حتى بهرت: أي علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه، وقد أورده الجوهري: وقد بهرت، قال ابن بري: وصوابه: حتى بهرت. قال: وقوله: على أحد: أحد ههنا بمعنى واحد؛ لأن أحدًا المستعمل بعد النفي في قولك: ما أحد في الدار لا يصح استعماله في الواجب «المثبت».)

والسَّداد بفتح السين: الصواب، يقال: إنه لذو سداد في منطقه وتدبيره؛ أي إصابة، وكذلك في الرمي، يقال: سد السهم يسد إذا استقام، واستد الشيء؛ أي استقام، قال:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

(قال ابن بري: رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس حين رماه بسهم، وبعده:

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي وَشُلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ

قال الأصمعي: اشتد — بالشين المعجمة — ليس بشيء.)

أما السِّداد بكسر السين: فهو كل شيء سددت به خللا؛ ولهذا سمي سِداد القارورة — بالكسر — وهو صمامها؛ لأنه يسد رأسها. وسِداد الثغر — بالكسر — إذا سد بالخيل والرجال. قال العرجي:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ!

قال الجوهري: وأما قولهم: فيه سداد من حرز وأصبت به سدادًا من عيش؛ أي ما تسد به الخلة، فيكسر ويفتح، والكسر أفصح.

(٥٢٧) فيه: أي في هذا الصلح، أو تقول: أي فيما أتيتما من سَداد. وعلى الظفر وعلى الأكباد: متعلقان بمحذوف، والتقدير ثابتة. يقول: في هذا الصلح أو في هذا السداد الذي أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم؛ تألُّمًا مما فعلتما وحسرة على إخفاق مسعاهم، وجعل هذا الظفر حلوًا إذ لم تُرق فيه الدماء.

(٥٢٨) الندى: الجود. والأيادي: النعم. يقول: إن دولتكم دولة الأشياء التي ذكرت فلا تعرضاها للخلاف.

(٥٢٩) كسفت الشمس وكسفها الله: يتعدى ولا يتعدى، قال جرير:

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

يعني جرير: أنها طالعة تبكي عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر؛ لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها. وروى الليث هذا البيت:

الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

وقال: أراد ما طلع نجم وما طلع قمر، وهذا كما تقول: لا آتيك مطر السماء؛ أي ما مطرت السماء، وطلوع الشمس؛ أي ما طلعت الشمس. وفي هذا سمع بعضهم ابن الأعرابي يقول: تبكي عليك نجوم الليل والقمرا: أي ما دامت النجوم والقمر. والمراد بكسوف الدولة: ما كان بينهما من الوحشة. يقول: كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف الشمس مُدَيدة، ثم انجلى فعادت الدولة بعودة صفائهما وهي آنق وأجمل كالشمس إذا ذهب كسوفها عادت أبهى وأنور.

(٥٣٠) يعني بـ «ركنها»: قوتها وسعادتها. يقول: إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن أذاها بفتًى مارد على المراد — يعني كافورًا — أي إنه لا ينقاد لمن تمرد عليه وطغى، وإنما يعصف به عصفًا. هذا، والمارد من الرجال: العاتي الشديد، وقد مرد يمرد مرودًا ومرادة: فهو مارد ومريد، والمريد: الشديد المرادة، مثل السكير، وأصله من مردة الجن والشياطين. أو تقول: المارد الخبيث. قال تعالى: ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ والمرَّاد: جمع مريد.

(٥٣١) أي: متلف للأموال بالعطاء، ومعوضها بسيفه. وأبي: أي أنوف عزيز النفس يأبى الذل. وعالم: أي بتدبير الرعية وبالحرب. والحزم: ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة. والجواد: السخي. يقول: يدفع الدهر عن أذاها بفتًى هذه صفاته.

(٥٣٢) أجفل الناس: أسرعوا في الهرب. يقول: أسرع الناس ذاهبين عن طريقه فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه، وذلت له رقاب الناس فملكهم. قال ابن جني: ولو انقلب لكان هجوًا.

(٥٣٣) الأتي: السيل يأتي من موضع بعيد إلى آخر. يقول: كيف لا يُترك الطريق لسيل يضيق عن مائه الوادي. ومتى كان الماء غالبًا وضاق عنه بطن الوادي فكل موضع

أتى عليه صار طريقًا له. وهذا مثل؛ يقول: إن كافورًا يغلب غلبة السيل الأتي والسيل لا يرد عن وجهه، كذلك هو لا يعارضه أحد. قال العكبري: من روى ضيق — بالخفض — جعله نعتًا لسيل، وهذا كقولك: مررت برجل حسن وجهه، وهذه صفة سببية؛ ومن روى ضيق — بالرفع — فهي جملة ابتداء، وخبر، وهي في موضع جر صفة لسيل. وعن أتيه: يتعلق بضيق.

(٥٣٤) أقام المتنبي بمصر — بعد أن قال قصيدته البائية — عاما لا يأتي كافورًا ولكن يسير معه في الموكب؛ لئلا يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهبها، وفي الوقت نفسه يعمل في خفية على الرحيل عنه؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة في يوم عرفة قبل رحيله بيوم واحد.

(٥٣٥) عيد: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هذا عيد. وقوله: بما مضى؛ أي أبما مضى؟ يقول: هذا اليوم الذي أنا فيه عيد، ثم أقبل يخاطب العيد فقال: يا عيد بأية حال عدت؟ أي مع أية حال عدت عليَّ؟ أو أية حال أعدتها عليَّ أبالحال التي عهدتها من قبل، أم أحدث فيك أمر جديد؟ وقال العكبري: الباء في قوله: بأية، يجوز أن تكون للتعدية فيكون المعنى: أية حال. هذا، والعيد: واحد الأعياد. قال الجوهري: وإنما جمع بالياء — وأصله الواو — للزوم الياء في الواحد، ويقال: للفرق بينه وبين أعواد الخشب، وهو من عاد يعود، قال ابن الأعرابي: سمي العيد عيدًا؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد، وأصل العيد: ما اعتادك من هم وشوق ونحوهما، قال الشاعر:

وَالْقَلْبُ يَعْتَادُهُ مِنْ حُبِّهَا عِيدُ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك:

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودَا ... إِذَا أَقُولُ: صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا
كَأَنَّنِي يَوْمَ أُمْسِي مَا تُكَلِّمُنِي ... ذُو بُغْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانِ ذِي بَقَرٍ ... أَهْدَى لَنَا سُنَّةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا

والشاهد في قوله: يعتاده عيدًا؛ ونصبه لأنه في موضع الحال، تقديره: يعتاده السكر عائدًا، وقد أسلفنا القول على ذلك.

(٥٣٦) البيداء: الفلاة، جمعها بيد؛ سميت بذلك لأنها تبيد سالكها. يتأسف على بعد أحبته عنه يقول: أما الأحبة فبعيدون عني، فليتك أيها العيد كنت بعيدًا عني وكان

ما بيني وبينك من البعد ضعف ما بيني وبين الأحبة؛ يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة، كما قال الآخر:

مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ الْجَدِيـ ـدُ فَمَا لَقِيتُ بِهِ السُّرُورَا
كَانَ السُّرُورُ يَتِمُّ لِي لَوْ كَانَ أَحْبَابِي حُضُورَا

(٥٣٧) جاب المكان يجوبه: قطعه. ووجناء: فاعل تَجُب. والوجناء: الناقة الصلبة الشديدة، مشتقة من الوجين؛ التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة. وقيل: هي العظيمة الوجنتين. والضمير في بها: للوجناء، والحرف: الضامرة. والجرداء: الفرس القصير الشعر. والقيدود: الطويلة. وما — من قوله: ما أجوب بها — اسم موصول في موضع نصب؛ أي الفلاة التي أجوب. يقول: لولا طلب العلا لم أفارق أحبتي، ولم تقطع بي ناقة ولا فرس ما أجشمها قطعه من الفلوات. وقال الواحدي: ما أجوب بها: يعني الفلاة، كناية عن المراحل.

(٥٣٨) الغيد: جمع غيداء، وهي المتثنية لينًا. والأماليد: الناعمات المستويات القامات: غلام أملود وجارية أملودة: والأملود في الأصل: الغصن الناعم. يقول: ولولا طلب العلا لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن ونقائها. وقوله: مضاجعة: يروي معانقة، وهو تمييز.

(٥٣٩) تيمه الحب: عبَّده وذلله، والجيد: العنق. يقول: إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها؛ لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير.

(٥٤٠) يقول لساقييه: أخمر ما تسقانيه أم هم وسهاد؟ يعني ما أشربه لا يزيدني إلا همًّا وسهرًا؛ لأن قلبي مفعم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والمرح؛ وذلك لأن أحبته بعيدون عنه، أو لأنه وافر اللب لا يؤثر فيه الشراب.

(٥٤١) المدام: الخمر. والأغاريد: الأغاني. وقوله: لا تحركني، حال من الياء في مالي، يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه حتى لكأنه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء. هذا، وأصل الغرد: التطريب في الصوت والغناء. وغرد الإنسان: رفع صوته وطرب، وكذلك الحمامة والمكاء والديك والذباب، والتغرد والتغريد أيضًا: صوت معه بحح، وقد جمعهما امرؤ القيس في قوله يصف حمارًا:

يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ تَغَرُّدَ مِرِّيحِ النَّدَامَى الْمُطَرِّبِ

وقال الأصمعي: التغريد: الصوت.

(٥٤٢) الكميت: الأحمر فيه سواد، يوصف به المذكر والمؤنث، ويريد: خمرًا كميت اللون. وفي رواية: كميت الخمر. يقول: إذا طلبت الخمر وجدتها، وإذا طلبت الحبيب لم أجده؛ يتشوق إلى أحبته يقول: إن الخمر لا تطيب إلا مع الحبيب. وحبيبي بعيد عني فلا معنى إذن للشراب. وقال ابن جني: حبيب القلب عنده المجد، وإذا تشاغل بشرب الخمر فقد المعالي. ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس أهله؛ لبعده عنهم. ولمناسبة الكميت قال سيبويه: سألت الخليل عن الكميت فقال: هو بمنزلة جميل — يعني الذي هو البلبل — وقال: إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها — صغروها — لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك: هو دوين ذاك.

(٥٤٣) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده، ورواية الواحدي: وأعجبها، كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو ما لقيه من تصاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أني محسود بما أشكوه وما أنا باكٍ منه؛ يعني انتجاعه كافورًا وانقطاعه إليه، يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: استبصار العقلاء ضد لتمني الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على ما يبكيه، فالحال التي يبكي العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٥٤٤) أروح: من الراحة، وخازنًا ويدا: منصوبان على التمييز. والمثرى: الغني. والثراء: المال. يقول: إنني من الأغنياء ذوي الثراء، ولكن خازني ويدي في راحة من تعب حفظ المال؛ لأن أموالي إنما هي مواعيد كافور، وهي أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدي وخازني. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: لا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأماني.

(٥٤٥) يقول: إنهم كذابون فلا هم يقرونه، ولا هم يتركونه يرحل عنهم. هذا، والقرى: قرى الضيف. تقول: قريت الضيف قرًى — مثال: قليته قلًى — وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت. ومحدود: أي ممنوع. تقول: حددت فلانًا عن الشر: أي منعته، ومنه قول النابغة.

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ: قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

والحداد: البواب والسجان؛ لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يَقُولُ لِيَ الْحَدَّادُ وَهْوَ يَقُودُنِي إِلَى السِّجْنِ: لَا تَفْزَعْ فَمَا بِكَ مِنْ بَاسِ

وهذا أمر حدد: أي منيع حرام لا يحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود؛ لأنها تمنع المحدود عن المعاصي.

(٥٤٦) يقول: إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف المعهود، فإن الأجواد إنما جودهم بالعطاء، ثم دعا عليهم فقال: لا كانوا ولا كان جودهم، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

وَأَقَلُّ الْأَشْيَاءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالُ مَرِيضُ

فالضمير في جودهم للكذابين. وقوله: ولا الجود، عطفه على الضمير المتصل للفصل بلا، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾.

(٥٤٧) هذا مثل، يقول: إن أرواحهم من النتن والقذارة خسة ولؤمًا بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده، وإنما يتناولها بعود كما يُفعل بالجيفة.

(٥٤٨) يريد أنه — أي: كافورًا — خصي هو والخصيان الذين كانوا معه. والوكاء: ما تشد به القربة، ومعنى رخو وكاء البطن: أنه ضراط فساء لا يوكي على ما في بطنه من الريح. والمنفتق: الواسع الجلد لكثرة لحمه، كأنه انفتق وانشق. وقوله: لا في الرجال … إلخ؛ أي لا هو معدود في الرجال، إذ لا ذَكر له ولا لحية، ولا في النساء: إذ لا فرج له.

(٥٤٩) اغتاله، قتله غيلة، وأخذه على غفلة، يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيد وقتله إياه واستقلاله بملك مصر بعد، يقول: أكلما أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر وملكه أهلوها عليهم وانقادوا له وأطاعوه، وهذا استفهام إنكار؛ أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا.

(٥٥٠) الآبق: الهارب من سيده. ومستعبد: مذلل. ومعبود: مطاع. يقول: إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه؛ لأنه مثله في الخيانة والتمرد على سيده، فهو إمام الآبقين.

(٥٥١) النواطير: جمع ناطور، وهو في الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم، قيل: إنها عربية، وقيل: من كلام أهل السواد. قال ابن جني: أقره المتنبي بالمهملة، والمعروف بالمعجمة؛ لأنه من نظرت، وقيل: هو بالعربية بالمعجمة نواظير، وبالنبطية بالمهملة. والمراد هنا بنواطير مصر: ساداتها وأشرافها، والمراد بثعالبها: عبيدها وأراذلها، وبالعناقيد: الأموال. وبشم فلان: أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل. يقول: لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا في أموال الناس وأكلوا فوق الشبع. ثم قال: وما تفنى العناقيد! يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال، وأنهم كلما نهبوا شيئًا جد لهم غيره، فلا ينفكون يطلبون المزيد.

(٥٥٢) يقول: إن العبد لا يؤاخي الحر، لما بينهما من التباين في الأخلاق، ولو ولد العبد في ملك الحر، وهذا إغراء لابن سيده. يريد أن كافورًا وإن أظهر له الود فليس له مصافٍ مخلص. فقوله: لو أنه، يريد: ولو أنه، فحذف، والجملة في موضع الحال. وقوله: في ثياب الحر: قال الواحدي: أي وإن ولد العبد في ملك الحر؛ وعلى هذا فأل في الحر: للعهد.

(٥٥٣) المناكيد: جمع منكود، وهو القليل الخير. يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان، قال بشار:

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ

وقال الحكم بن عبدل الأسدي:

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا   يُرْضِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهِبَا
مِثْلُ الْحِمَارِ الْمُوقَعِ الظَّهْرِ لَا   يُحْسِنُ الْمَشْيَ إِلَّا إِذَا ضُرِبَا

(الموقع الظهر: الذي به آثار الدبر، والدبر: الجرح الذي يكون في ظهر الدابة.)

(٥٥٤) أحسبني: أي أحسب نفسي، ويقال: أساء به وأساء إليه، قال كثير عزة:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ

ويجوز أن يكون يسيء بي على معنى يهزأ بي ويسخر مني، فعداه بالباء على المعنى، لا على اللفظ، يقول: ما كنت أظن أجلي يمتد بي إلى زمن يسيء إلي فيه شر الخليقة، وأراني مع ذلك مضطرًّا إلى مدحه وحمده، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى.

(٥٥٥) كناه بأبي البيضاء سخرية منه. يقول: ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت البلاد لمن شاءها، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر.

(٥٥٦) العضاريط: جمع عضروط، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه. والرعديد: الجبان، وجعله مثقوب المشفر تشبيهًا له في عظم مشافره بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام، والمشفر في الأصل: شفه البعير. يقول: ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر يستغوي هؤلاء اللئام الأنذال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه. يريد بوصفهم بالعضاريط الرعاديد تقريعهم على طاعتهم إياه، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك.

(٥٥٧) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وسحه لا تسخو نفسه بشيء ولا يبض حجره. وقوله: يأكل من زادي، قال الواحدي: لهذا وجهان: أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها، والآخر: أن المتنبي كان يأكل من خاص ماله عنده، وينفق على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئًا ومنعه من الطلب. وقال قوم: كان الأسود قد جمع له شيئًا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئًا. يقول: هو يمسكني عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس: إنه عظيم القدر يقصده المتنبي مادحًا. هذا، وقوله: جوعان، يقال: جائع وجوعان. وجمع جوعان: جوعى، وجياع. وجمع جائع: جوع. وقوله: عظيم القدر: خبر عن محذوف؛ أي هو عظيم القدر. وقوله: لكي يقال، قال العكبري الكوفي: كي حرف ناصب، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفًا خافضًا. وحجتنا أنها من عوامل الأفعال، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر؛ لأنه من عوامل الأسماء. وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال. والدليل على أنها ليست حرف جر: دخول اللام عليها، كقولك: أتيتك لكي تكرمني، وهذه اللام عندهم حرف جر، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر. وأما قول القائل:

فَلَا وَاللهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءُ

(من قصيدة لمسلم بن معبد الوالبي شاعر من شعراء الدولة الأموية.
يقول: لا يوجد شفاء لما بي من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

انظر القصيدة في «خزانة الأدب» للبغدادي ج٢ ص٢٧٠ سلفية.)

فمن الشاذ المصنوع الذي لا يعرج عليه. وإذا قيل: إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر في قوله: كيمه، كما تقول: لمه. قلنا: مه من «كيمه» ليس لكي فيه عمل، وليس هو في موضع خفض، وإنما هو في موضع نصب؛ لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم، كقولك: أقوم كي تقوم، فيسمعه المخاطب، ولم يفهم تقوم فيقول: كيمه؟ أي كيما. والتقدير: كي تفعل ماذا؟ فحذف تفعل، فمه في موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به، وليس لكي فيه عمل. وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها، فيقولون: كيمه، كما يقولون: لمه، وهي في موضع جر؛ لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت في موضع جر واتصل بها الحرف الجار، كقولهم: لمَ وبمَ وفيمَ، وإذا وقعت في صدر الكلام لا تحذف كقولك: ما تريد وما تصنع؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كي هي الناصبة للفعل من غير تقدير أن، نحو قولك: جئتك لتكرمني. وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها. وحجتنا أنها قامت مقامها؛ ولهذا تشتمل على معنى كي، فكما تنصب كي الفعل فكذلك اللام. وحجة البصريين أن اللام من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال، فوجب أن يكون الفعل منصوبًا بأن مقدرة؛ لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجر. هذه حجة حسنة لهم.

(٥٥٨) المستضام: الذي أدركه الضيم، وهو الظلم. ورجل مفئود: جبان ضعيف الفؤاد، مثل المنخوب. والمفئود أيضًا: الذي لا فؤاد له ولا فعل. والمفئود: الذي أصيب فؤاده بوجع. وسخين العين: محزون. جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال؛ لأنه خصي، وجعله حبلى لعظم بطنه. وهذا تعريض بابن سيده؛ يقول: إن الذي آل تدبيره إلى من هذه صفته لمظلوم مفئود سخين العين يرثى لحاله.

(٥٥٩) ويلمها: كلمه تقال عند التعجب وأصلها: وي لأمها، ثم حذفت الهمزة، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها، وإلقاء حركة الهمزة عليها. وفي الحديث في قوله لأبي بصير: «ويلمه مسعر حرب!» تعجبًا من شجاعته وجرأته وإقدامه. ومنه حديث علي: ويلمه كيلا بغير ثمن لو أن له وعا! أي: يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعيًا. وهي — كما قلنا — كلمة تعجب. وينصب ما بعدها على التمييز. والخطة: الأمر والشأن. والمهرية: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان؛ بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل. والقود: الطوال الظهور والأعناق. يقول: ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها! وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها.

(٥٦٠) القنديد: عصارة قصب السكر إذا جمد، والخمر، وقيل: القنديد، عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب. يقول: عند هذه الحال — طاعة الأسود والاستخذاء له، والنزول على حكمه — يستلذ طعم الموت؛ لأن الموت أيسر من ذلك الذل. ولذَّ الشيءَ: وجده لذيذًا.

(٥٦١) البيض هنا: الكرام؛ أي بيض الأعراض. والصيد: الملوك. يقول: إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هي؛ لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجدًا ولا مكرمة.

(٥٦٢) النخاس: بياع الرقيق. والفلس: قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها. ودامية: حال. وبالفلسين: متعلق بمردود. وأذنه — بسكون الذال، وضمها — لغتان. يقول: إنه مملوك اشتري بثمن، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته. وهذا غاية في التحقير لشأنه.

(٥٦٣) التفنيد: اللوم وتضعيف الرأي. وكويفير: تصغير كافور، والمراد: التحقير. يقول: هو أولى اللئام بأن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم، وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة. وقد صرح بعذره في البيت التالي.

(٥٦٤) الخصية: جمع خصي. يقول: إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف يقدر عليه اللئام؟! قال الواحدي: عرض في المصراع الأول بغيره من الملوك.

(٥٦٥) النيروز: أحد أعياد الفرس. قال في التاج: معرب نوروز، فردته العرب إلى فيعول، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما. وهو أول يوم من السنة عند حلول الشمس في أول الحمل. والزناد: جمع زند؛ وهو الحجر يقتدح به. ووري الزند: إذا أخرج نارًا، ووري الزناد: كناية عن بلوغ المراد، تقول العرب: ورت بفلان زنادي؛ أي أدركت به حاجتي ومرادي. يقول: جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده بمجيئه تيمنًا بطلعتك، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك.

(٥٦٦) زاده — آخر البيت — خبر هذه، يقول: هذه النظرة التي ظفر بها النيروز منك اليوم إنما يتزودها إلى أوان مثلها من العام القابل؛ أي إنها له كالزاد يعاش به، لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة في كل عام.

(٥٦٧) ناظر: فاعل ينثني، والناظر: العين. يقول: عند انسلاخ هذا اليوم ينثني عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيبه فيفارقك على حزن وأسف. وقال ابن جني: إذا انصرف عنك هذا اليوم بانتهائه خلف طرفه — أي بصره — ورقاده لديك فبقي بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانيًا.

(٥٦٨) في أرض فارس: حال من ضمير المتكلمين في الظرف بعده، وهو خبر نحن. وقوله: ذا الصباح: مبتدأ، وميلاده: خبر، والجملة: صفة لسرور. يقول: نحن في سرور بأرض فارس، وقد ولد هذا السرور في هذا الصباح — أي صباح عيد النيروز — لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون. وقوله: الذي نرى، يروى: الذي يرى.

(٥٦٩) يقول: إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها. وممالك: إما جمع ملك — مثل مشايخ وشيخ — وإما على حذف مضاف؛ أي أهل ممالك الفرس.

(٥٧٠) التلاع: جمع تلعة، وهي ما ارتفع من الأرض. والوهاد: جمع وهدة، ما انخفض من الأرض. والأكاليل: جمع إكليل، وهو في الأصل ما يجعل على الرأس كالتاج. قالوا: كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رءوسهم. يقول المتنبي: ما لبسنا الأكاليل في هذا اليوم حتى كسيت الأرض؛ جبالها ووهادها، مثل الأكاليل من النبات والأزهار. والإضافة في «تلاعه ووهاده» على معنى «في». والضمير: للنيروز. والبيت من قول أبي تمام:

حَتَّى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ

الأهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الأرض، جعل ما على الرُّبا بمنزلة العمامة، وما على الأهضام بمنزلة الإزار.

وقال ابن جني: يريد — المتنبي — أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكاليل عليها. قال العروضي ناقدًا: كيف يصح ما قال — ابن جني — وأبو الطيب يقول: ما لبسنا ولم يقل: ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلًا على ما قال ابن جني. ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رءوسهم، ثم أنشد بيت أبي تمام المتقدم ثم قال: وهذا البيت — بيت أبي تمام — سليم، ووجه قول المتنبي أنه أراد حتى لبستها تلاعه والتحفت بها وهاده، فيكون من باب علفتها تبنًا وماءً باردًا. ومعنى البيت: أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها؛ وبيت أبي تمام أحسن سبكًا.

(٥٧١) يقول: إن ملك الممدوح — ابن العميد — أعظم من ملك الأكاسرة. وكسرى: لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر. وكسرى: معرب

خسرو، ومعناه واسع الملك؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرها، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق:

إِذَا مَا رَأَوْهُ طَالِعًا سَجَدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَتْ يَوْمًا لِكَسْرَى مَرَازِبُهْ

(٥٧٢) يقول: هو عربي اللسان، ورأيه رأي الفلاسفة؛ لأنه حكيم، وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان. والبيت — كما ترى — مركب من ثلاث جمل: كل جملة مبتدأ وخبر، قدم فيها الخبر على المبتدأ.

(٥٧٣) النائل: العطاء. والسرف: التبذير. ومنه: حال مقدمة من سرف، والاقتصاد ضد السرف. يقول: إنه كلما بالغ في العطاء — أي أعطى كثيرًا — فقال ذلك العطاء البالغ الكثير: أنا سرف منه وتبذير، أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول — أي هذا العطاء الأكثر — كان العطاء الأول اقتصادًا. وهذا تمثيل؛ لأن العطاء لا يقول شيئًا، ولكن يستدل بحاله، فكأنه قائل، وملخص المعنى: أنه إذا استكثر الناس منه عطاء قل ذلك في جنب ما يتبعه.

(٥٧٤) النجاد: حمالة السيف. يقول: كيف أنكل عن مفاخرة ذي فخر؟ وكيف يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علوًّا والنجاد الذي عليه — أي على منكبي — هو نجاده — أي نجاد الممدوح — الذي بلغ بي أقصى الشرف؟ يشير إلى السيف الذي قلده إياه. وملخص المعنى أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد.

(٥٧٥) أعقب الرجل: ترك عقبًا؛ أي ولدًا، يقول: قلدني سيفًا ماضيًا لم تعقب أجداده منه — أي لم تلد من نوعه — إلا واحدًا. يعني هذا السيف نفسه وأراد بأجداد السيف معادن الحديد التي يستخرج منها. وملخص المعنى: قلدني سيفًا لم يطبع مثله، فلا نظير له.

(٥٧٦) إياة الشمس: ضوءها وشعاعها ونورها وحسنها، قال طرفة بن العبد:

سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَاتِهِ أُسِفَّ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمَدِ

(من معلقة طرفة، يقول: سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس؛ أي كأن الشمس أعارته ضوءها، ثم استثنى اللثات؛ لأن اللثة — وهي مغرز الأسنان — لا يستحب بريقها. ثم قال: أُسف؛ أي ذر الإثمد — وهو الكحل — على اللثة، ولم تكدم — أي تعض

— بأسنانها على شيء يؤثر فيها، ونساء العرب تذر الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان.)

وكذلك الآياء مفتوح الأول بالمد، والإيا مكسور الأول بالقصر. والآرآد: جمع رأد، وهو ارتفاع الضحى ورونقه، يقول: كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت في صفحة إياة من الشمس كأنما تضاحكه، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمسًا أخرى قد التمعت هذه الإياة من أشعتها. يشير إلى أن شعاع هذه السيف يضاهي شعاع الشمس، وأن الشمس تقر بأن ضوءها كضوئه، والضمير في أنها: للأياة، قال الواحدي: وإنما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملًا على المعنى، فإن عند كل سلة مضاحكة بينه وبين إياة الشمس. وقال العكبري: يجوز أن يكون أرآد جمع رئد، وهو الترب، قال كثير ولم يهمز:

وَقَدْ دَرَّعُوهَا وَهْيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُهَا

(المؤصد: صدار تلبسه الجارية — الوليدة — فإذا أدركت دُرِّعت، وكل شيء قطع وسطه فهو مجوب، ومنه سمي جيب القميص.)

(٥٧٧) الأثر: الفرند، وهو جوهر السيف. ومثلوه في جفنه: أي جعلوا غمد هذا السيف على مثاله؛ وذلك بأن غشوه فضة. وقوله: ففي مثل أثره إغماده؛ يعني أنه يغمد في غمد عليه آثار كأثره، أي: فرنده، وهو جوهر السيف. يقول: إن ما نسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لا تفقده العين إذا أغمد، بل يكون كأنها ناظرة إليه؛ أي إنه لحسنه لا يود مالكه أن يفقد منظره بإغماده، ومن ثم مثله في جفنه. وقال الواحدي: خشية الفقد: يريد أن الناس يقولون: إن هذا السيف عزيز، فلعزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة. وقال ابن جني: صونًا للجفن من الصدأ لئلا يأكله. وقال الخطيب التبريزي: إنما جعل غمده مشبهًا له فيقوم مقامه، وفي معناه:

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ

(٥٧٨) منعل: أي ملبس نعلًا، وهو ما يصاغ في طرف الغمد. والحفا: يريد الحفاء بالمد؛ وهو المشي بلا نعل. وذهبا: مفعول ثان لمنعل. والضمير في فرنده: للسيف، ومن

إزباده: للبحر. يقول: إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء، وهو يحمل من هذا السيف بحرًا، يعني كثرة مائه، ولما جعله بحرًا جعل تموج الفرند فيه بمنزلة الزبد. هذا، والسيف لا يوصف بالحفاء، ولكن ذكره افتنانا لإيهام لفظ النعل.

(٥٧٩) المدجج: المغطى بالسلاح. والبداد: حشية تجعل في جانب السرج، وهما بدادان. يقول: إذا ضرب به الفارس المقنع في سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل، وقطع السرج أيضًا، فلا يسلم منه إلا جانبا السرج، لانحرافهما على الجانبين. وقوله: من شفرتيه — والحال أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة — لأنه أراد بأي شفرتيه ضرب، عمل هذا العمل.

(٥٨٠) يقول: إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي الممدوح في الضرب وشعري في وصفه، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التي لا نظير لها؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد في الضرب به كيد الممدوح ولا ثناء كثنائي.

(٥٨١) الشامة: الخال؛ بثرة سوداء في الجسم حولها شعر. وقوله: في نداه؛ أي في جملة نداه، أي جوده. والمنفسات: الأشياء النفيسة، جمع منفس. والعتاد: العدة. يقول: تقلدت سيفًا هو على نفاسته وجلالة قدره في جنب ما أهدانيه — من نفائس الخيل والثياب والأسلحة — يعد قليلًا كالشامة في الجلد. شبه السيف الذي قلده إياه بالشامة، وسائر هداياه بالجلد الذي تكون فيه الشامة. وقد اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت اضطرابًا أشفقنا عليهم منه؛ لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا في تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للمتنبي على بال، فضلًا أن البيت ينبو بمثلها. وإذا أبيت إلا ذكرها فإليكها. قال الواحدي: حكى أبو علي بن فورجه عن أبي العلاء المعري في هذا البيت قال: يعني أن الغمد بما عليه من الحلي والذهب أنفس من السيف؛ لأنه كان محلًى بكثير من الذهب، فجعل الغمد جلدًا؛ إذ جعل السيف شامة. قال أبو علي: والذي عندي أنه أراد بجلده ظاهره الذي عليه الفرند؛ لأن أنفس ما في السيف فرنده، وبه يستدل عليه في الجودة. وقال أبو الفتح: يعني أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة في الجلد لحسنه ونفاسته. وقوله: جلدها منفساته وعتاده؛ أي ما يلي هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة. وقال أبو الفضل العروضي منكرًا على أبي الفتح: ألم يجد المتنبي مما يحسن في الجسد شيئًا فوق الشامة كالعين الحسناء؟! لكنه أراد أن هذا السيف — على حسنه وكثرة قيمته — كالنقطة فيما أعطاه. ألا تراه يقول: جلدها منفساته؟ أي قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فيما أعطاه كقدر الشامة في الجلد. قال الواحدي: وهؤلاء

الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه بيانًا يقف المتأمل عليه ويقضي بالصواب. ومعنى البيت: أنه جعل ذلك السيف شامة، والشامة تكون في الجلد، ولما سماه شامة سمى ما كان معه من الهدايا — التي كان السيف في جملتها — جلدًا. والكناية في المنفسات والعتاد يعودان إلى الممدوح؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة، فهو يقول: هذا السيف في جملتها شامة في جلد. قال: وقول ابن فورجه هوس لاشيء. وقال ابن القطاع: يريد: أن السيف — على جلالة قدره وما عليه من الذهب — كالشامة في جنب ما أخذت منه. وقوله: جلدها، يريد ما عليه من الفرند الذي من أجله يستعد ويغالى في ثمنه. وقيل: يريد بجلده جفنه وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل.

(٥٨٢) كن فيه: أي كن في نداه. واللبد: ما تحت السرج. يقول: كان في جملة عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا، فصيرتنا فرسانًا وتعلمنا الطراد بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة، فقوله: فرستنا؛ أي علمتنا الفروسية. وفارقت لبده: يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجي حين أعطاناها. وفيها طراده: أي وفيها تقويمه وأدب طراده. وقال ابن جني: أي قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى موضع سرت معه وطاردت بين يديه، فكأنه هو المطارد عليه. وعلى هذا يكون معنى فرستنا: حملتنا حتى صرنا فرسانًا. وقوله: وفيها طراده؛ أي عليها. قال العروضي: كلام ابن جني كلام مَن لم ينتبه عن نومة الغفلة؛ إنما يقول: فارقت هذه الخيل لبده، وفيها تأديبه وتقويمه، ثم قال: والمعنى: إن الخيل السوابق التي كانت عنده مما أعطانا علمتنا الفروسية؛ لأنها قد فارقت لبده حين أعطاناها، وفيها ما علمه بطراده وبتأديبه.

(٥٨٣) يقول: إن هذه الخيل التي أهداها إلينا لما انتقلت إلي رجت أن تستريح من طول كده إياها، لكنها لا ترى ما ترجوه ما دمنا في بلاده؛ لأنا لا نزال نغزو معه بغزوات ونطارد عليها معها إذا ركب للصيد، وإنما تستريح إذا فارقنا خدمته، ونحن لا نفارق خدمته وبلاده فقوله: وبلاد ... إلخ، جملة حالية من مبتدأ وخبر.

(٥٨٤) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية، ويعتذر عما فرط فيها مما يؤاخذ به. يقول: هل يقبل عذري؟ أو هل لديه قبول لعذري؟ وقوله: سواد عيني مداده: جملة استئنافية دعائية؛ أي جعل الله سواد عيني مدادًا له. وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب والعلم، المشتغلين بالكتابة والتأليف. والمداد: الحبر. والهمام: السيد الشجاع السخي.

(٥٨٥) العواد: جمع عائد، وهو زائر المريض. يقول: أنا لشدة حيائي كالعليل، وهدايا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها عواد تعودني. وإنما كان شديد الحياء؛ لأن ابن العميد نقد شعره ولذا جعله معلاله. وقد شرح ذلك في الأبيات التالية.

(٥٨٦) عن علاه: متعلق بتقصير. وثناه: صار ثانيه. والضمير: للتقصير، يقول: ما كفاني تقصير شعري عن علاه وعجزي عن وصفه حتى شفعه بنقده، فتقصير شعري ونقده هما سبب شدة حيائي.

(٥٨٧) أَصْيَد: أفعل تفضيل من الصيد، يقول: أنا في الشعراء كالبازي الأصيد في البزاة، ولكن البازي مهما كان بارعًا في الصيد ليس في مكنته أن يبلغ النجوم فيصيدها؛ يعني: إني وإن كنت حاذقًا في الشعر وبالغًا منه الغاية التي لا بعدها فإن كلامي لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه، وقال ابن جني: لو استوى له أن يقول: أعلى النجوم — بدل أجل النجوم — لكان أليق. وقال الواحدي: يريد بأجل النجوم زحلًا، جعل هذا مثلًا للممدوح.

(٥٨٨) يقول: رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبلوغه مبلغًا لا يحيط به الوصف، وهذا اعتذار عن قصوره في وصفه ومدحه، فما — من قوله: رب ما — نكرة موصوفة بمعنى شيء، أو أمر. وقوله: والذي ... إلخ: حال، والضمير من اعتقاده: يرجع إلى ما.

(٥٨٩) يقول: لم أتعود أن أمدح مثله، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذورًا؛ لأن عادتي لم تجر بمدح مثله، والذي ورد عليه من الشعر شيء معتاد عنده؛ لأنه لا يزال يمدح، فهو أعلم الناس بالشعر. أو تقول: وهذا الذي أتاه — أي هذا الذي فعله من النقد — هو عادته لبصره بالشعر ونقده، قال الواحدي: وهذا يدل على تحرز أبي الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد. وقال ابن جني: يريد لم أمدح مثله؛ فلذلك قصرت عن وصفي له، والذي أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به. قال الواحدي: وهذا الذي يقوله ابن جني ليس بشيء؛ لأنه ليس في وصف كرمه، وإنما يعتذر إليه في تقصيره.

(٥٩٠) يقول: إن فاتني عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها، كان عذري واضحًا؛ لأني غرقت فيها لتوافر محامدك، والغريق في البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحًا. وتلخيص المعنى: إن فكري غرق في فضائلك، فليس لي إلى استيفاء وصفها من سبيل. وقوله: أن يفوته؛ أي في أن يفوته، وهو من صلة العذر. والتعداد: العد.

(٥٩١) يقول: إن لجوده الغلبة فهو غالبني؛ لأن عماده ابن العميد وعمادي الشعر وهو ناقده، فكيف لي أن أغالبه بالشعر؟! فالندى: الجود. والضمير في عماده: للندى.

(٥٩٢) الظن — ههنا — بمعنى العلم. ويروى: طبي، وهو بمعنى العلم أيضًا. والآد: القوة. يقول: لقد قتلت الأمور علمًا، غير أني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته في الكلام ولا قوته في علم الشعر.

(٥٩٣) المزاد: جمع مزادة، وهي القربة. يقول: إن جوده ظالم، وذلك أنه كلما صمد إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه ما لا يطيقون حمله، وهذا ظلم؛ لأنه غير ممكن، وهل يمكن حمل البحر في القرب؟! فقوله: ظالم الجود، من إضافة الوصف إلى فاعله. وسيم: كلف.

(٥٩٤) يقول: إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول، ونبه بذلك إلى ما كان غافلًا عنه، فكان حسن القول وصحة الكلام، من جملة الفوائد التي أفادها منه.

(٥٩٥) يقول: لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه، يريد أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله وبنات فكره، فكأنه أعطاه عقله. والفؤاد هنا بمعنى العقل.

(٥٩٦) يريد بأفصح الناس: الممدوح. يقول: إنه أفصح العرب، وهم أفصح الناس، بيد أنه في بلد أهله أكراد لا عرب، يريد أهل فارس. وروى ابن جني: أفضل الناس، وليس بشيء.

(٥٩٧) وأحق: عطف على أفصح. يقول: وخلق الله غيثًا هو أخلق الغيوث بالحمد — يعني الممدوح — لعموم صلاحه، فأوجد هذا الغيث في زمان قد استشرى فساد أهله وشاع في الأرض، فكانوا كالجراد. وقال ابن جني: جعله غيثًا وجعل الناس كلهم — لاحتياجهم إليه — جرادًا، فإن الجراد حياته في الغيث والكلأ.

(٥٩٨) يقول: لما شاع الفساد في العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد: خلق الله ابن العميد ليتدارك به ذلك الفساد، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وهذا من قول الفرزدق:

بُعِثْتَ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً … وَبُرْءًا لِآثَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَمَا بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا … عَلَى فَتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

فقوله: والبعث؛ أي بعث الرسل، عطف على النبوة.

(٥٩٩) غرة القمر: طلعته وضوءه. ويشنه: يعبه. لما ذكر عموم الفساد في الناس والزمان ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلع فيجلو سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد.

(٦٠٠) يقول: كثر الفكر في كيف نهدي إليك شيئًا كما يهدي العبيد إلى أربابها، وكل ما عندنا من المال والخيل فمن عندك وهبته وقدته إلينا. فقوله: إلى ربها؛ أي سيدها. والضمير: لعباده. وعباده: أي عبيده. والرئيس بدل من «ربها»، والذي ... إلى آخر البيت: حال. وفي البيت الثاني طي ونشر لا يخفى. وهذا من قول ابن الرومي:

أَفَنُهْدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يُهْدَى ... مِنْكَ يَا جَنَّةَ النَّعِيمِ الْهَدَايَا

(٦٠١) المهار: جمع مهر. يروى بالنصب على الحال؛ لأن في المهر معنى الفتى، والفرس إذا كان فتيًّا كانت الرغبة فيه أشد، ويروى بالجر: على أنه بدل من أربعين، أو بيان لها. وقوله: كل مهر ... إلخ، نعت لمهار؛ أي كل مهر منها. كنى بالمهار عن أبيات القصيدة؛ لأنها أربعون بيتًا، وجعل ميدانها الإنشاد؛ لأنها تعرف به كما يعرف المهر في الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول: فبعثنا إليك بأربعين بيتًا من الشعر، ميدان كل بيت إنشاده؛ أي إنه إذا أنشد عرف قدره كما أن المهر إذا أجري في الميدان عرف.

(٦٠٢) عدد: خبر مبتدأ محذوف؛ أي إن الأربعين هي عدد ... إلخ. وقوله: عشته: دعاء؛ يدعو له بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه. قال الواحدي: وكان ابن العميد في ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين. وقوله: يرى الجسم فيه ... إلخ: أي إن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالًا يراه في السنين التي يزادها بعد ذلك؛ أي فلهذا اختار هذا العدد، فجعل القصيدة أربعين بيتًا. وقال ابن جني: الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يعهد من أحواله في جسمه وتصرفه.

(٦٠٣) نماها: أي ارتفع إليه نسبها، فهو من نماء النسب، وعبر بذلك جريًا على عادة العرب في حفظ أنساب الخيل، لما سمى الأبيات مهارًا عبر عن حفظها وإمساكها بالارتباط ليتجانس الكلام. يقول: فاحتفظ بها فإن القلب الذي صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جياده جياد كل مربط: يعني أن الشعر الذي يقوله أفضل من شعر سواه.

(٦٠٤) أي: يفدى بكتب الأنام جميعًا هذا الكتاب الوارد علي؛ لأن شرفه وقدره عظيم. وقوله: فدت ... إلخ: جملة دعائية.

(٦٠٥) يقول: إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذي لكاتبه عندنا؛ أي أنا أشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا، ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه.

(٦٠٦) أخرق: أدهش وحير، من خرق الظبي: دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض. وقد أخرقه الفزع فخرق. وأبرق: حير، تقول: برق بصره؛ تحير فلم يطرف قال ذو الرمة:

وَلَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سَافِرًا كَادَ يَبْرَقُ

يقول المتنبي: إن الذي رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه، والذي انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته.

(٦٠٧) يقول: إن ألفاظه تحدث له الحسد في القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه.

(٦٠٨) فرس الناطقين: افترسهم؛ جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس، أي إنه وصل في غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليها من الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته. ولما وصفه بالافتراس جعله أسدًا في المصراع الثاني؛ لأن الافتراس من أفعال الأسد. قال الواحدي: ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبي الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيرًا له، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام! وأي موضع للإخراق والإبراق والفرس في وصف الألفاظ والكتب، هلا احتذى على مثال قول البحتري يصف كلام ابن الزيات:

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكْـ ـكَ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ
وَبَدِيعٍ كَأَنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا حِكُ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مُشْرِقٍ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْـ ـلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعمَلَ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

(٦٠٩) الخفر: الحياء. يقول: نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه. يعني: إن أنس لا أنس ذلك. وكثيرًا ما يذكر الشعراء ما جرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع، وذلك كما يقول أحدهم:

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلَهَا يَوْمَ وَدَّعَتْ ... وَقَدْ رُحِلَتْ أَجْمَالُنَا وَهْيَ وُقَّفُ:
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا؟ ... فَلَسْنَا وَحَقِّ اللهِ عَنْ ذَاكَ نَصْدِفُ
فَقُلْتُ لَهَا: حِفْظِي لِعَهْدِكِ مُتْلِفِي ... وَلَوْلَا حِفَاظُ الْعَهْدِ مَا كُنْتُ أَتْلَفُ

ومثله كثير، ويروى: نُسيت، بالبناء للمجهول؛ أي نسيني الحبيب.

(٦١٠) القصورة والقصيرة: المحبوسة في خدرها، الممنوعة من التصرف. قال كثير:

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ ... إِلَيَّ وَمَا تَدْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ ... قِصَارَ الْخُطَا، شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَاتِرُ

«البحتر: القصير المجتمع الخلق.» يقول المتنبي: لا أنسى ليلة قصرت علي لطيب مجالستي لهذه المخدرة ومعانقتي إياها حتى طالت يدي في جيدها مثل صحبة العقد لجيدها. فقوله: صحبة العقد؛ أي مثل صحبة العقد، فهو منصوب على المصدرية.

(٦١١) يقول: من يكفل بأن يكون لي يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته؛ لأني قربت فيه من فراقهم. يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم، وهم أبدًا يتمنون مثل يوم التوديع؛ لأن المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم، كما قال الآخر:

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَإِنِّي ... أَشْتَهِيهِ لِعِلَّةِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ ... وَانْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ
وَلَكَمْ فُرْقَةٍ وَغَيْبَةِ شَهْرٍ ... هِيَ أَجْدَى مِنِ امْتِنَاعِ مُقِيمِ

(٦١٢) يقول: ومن لي بأن لا يكون الفقد في ذلك اليوم مخصوصًا بشيء دون شيء، فإني فقدت فيه أحبتي ولم أفقد بكائي ولا وجدي؛ يتمنى أن يكون الفقد عامًّا شاملًا حتى يفقد البكاء والوجد أيضًا.

(٦١٣) تمن: خبر عن مبتدأ محذوف؛ أي هذا تمن؛ والمستهام: الذي هيمه الحب وشرده. ويقال: لذ يلذ، والتذ يلتذ، وتلذذت كذا ألتذه لذاذًا ولذاذة، وهو لذ ولذيذ؛ والفتيل ما يكون في شق النواة، وقيل: هو ما تفتله بين أصبعيك من الوسخ، وهو نائب مفعول مطلق؛ أي لا يغني غناءً حقيرًا مثل الفتيل. يقول: إن هذا الذي ذكرته هو تمن لا حقيقة له، ولكن المستهام يلتذ بالتمني وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغني عنه شيئًا. وفي معنى البيت يقول القائل:

أَمَانِيَّ مِنْ لَيْلَى حِسَانًا كَأَنَّمَا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا
مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

ويقول البحتري:

تَمَنَّيْتُ لَيْلَى بَعْدَ فَوْتٍ وَإِنَّمَا تَمَنَّيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنَالُهَا

ويقول الآخر:

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَصْلَكِ لَيْسَ يُرْجَى وَلَكِن لَا أَقَلَّ مِنَ التَّمَنِّي

(٦١٤) القد: سير يشد به الأسير. يقول: ولي غيظ على الأيام يلتهب في الحشا التهاب النار، ولكنه غيظ على ما لا يكترث ولا يبالي بغيظي؛ لأن الأيام لا تؤاتيني ولا تنزل على مرادي، ومن ثم كان كغيظ الأسير على ما يشد به من القد.

(٦١٥) الدلوق: سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده. يقول معتذرًا للحبيبة من فراقه لها وقلة مقامه في البلدان ومواصلته السير والتطواف: إن رأيتني منزعجًا لا أقيم ببلدة فإن ذلك لمضائي وبعد همتي كالسيف الحاد إذا أغمد أكل غمده، واندلق منه. وقال ابن جني: الذي ترينه من شجوي وتغيري إنما هو لمواصلة السير والطواف في البلاد لبعد همتي، كالسيف الحاد إذا كثر سله وإغماده أكل جفنه. قال الواحدي: وليس مما ذكره شيء في البيت، لكنه ما هجس له في خاطره فتكلم به، وإما — من فإما — هي إن الشرطية، وما الزائدة:

(٦١٦) العقوة: الساحة وما حول الدار والمحلة، يقال: نزل بعقوته: [إذا نزل بفنائه قريبًا منه.] يقول: إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدي وجعلته وقاية لعرضي: يعني أنه يؤثر وقوع الرماح في جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالهرب. وهذا من قول الجاهلي:

أَخُو الْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمُجَرَّحٌ كَلِيمٌ، وَأَمَّا عِرْضُهُ فَسَلِيمُ

(٦١٧) النجائب: جمع نجيبة، وهي الناقة الكريمة: وفكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنًى. يقول: إن هذه النجائب يمضين بي مصممات لا يلتفتن إلى نحس ولا

سعد فتتبدل علي بمضيهن الأيام والمعايش والديار، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب.

(٦١٨) وأوجه: عطف على نجائب. وأراد بالفتيان: غلمانه الذين يسيرون معه. يقول: تبدل أيامي نجائب وأوجه فتيان: أي أنا أبدًا مسافر على هذه النجائب في صحبة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الأسفار، ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد، وإنما تلثموا على وجوههم لشدة حيائهم، لا اتقاء الحر والبرد، والحياء شيمة الكرام.

(٦١٩) الشيمة: الطبيعة والخلق والعادة. والأسد الورد: الذي في لونه حمرة مثل الورد؛ يمدح الحياء يقول: إن الذئب المعروف بالخبث والمساوئ ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة، ولكن الحياء شيمة الأسد، وذلك أن في طبعه كرمًا وحياءً، فيقال: إن من واجهه وأحد النظر في وجهه استحيا منه ولم يفترسه. والمعنى أن حياءهم ليس بمزرٍ بهم، كما أنه لا يزري بالأسد حياؤه، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء.

(٦٢٠) يقول: إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا في أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماحهم، ولم يخافوا أهل تلك الناحية، ثم قال: والخوف خير من الود، أي أن تُخاف خير من أن تُحب؛ لأن من أطاعك خوفًا منك أبلغ طاعة ممن يطيعك مودة، كما تقول العرب: رهبوت خير من رحموت؛ أي لأن ترهب خير من أن ترحم. وقال ابن جني: إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فورجه ناقدًا: أين ذكر خوفهم العدو، وأين ذكر الاعتصام؟ إنما يقول: إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بالمودة حاربوا فيها وجازوها.

(٦٢١) حاد عن الشيء: تباعد عنه وتجنبه. وتوفَّر على الشيء: صرف همته إليه. يقول: إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك؛ أي الذي عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو، يعني ابن العميد.

(٦٢٢) الأساود: الأفاعي. يقول: من جعل اسم ابن العميد صاحبًا له في سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود؛ يعني إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هيبة له ورهبًا. فالأساود والأسد مثل لمن تُخشى غائلته. وعبارة الخطيب التبريزي: من نسب إليه في خدمة أو زيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لا يقدم عليه أحد. وفي الكلام حذف، تقديره: يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيًا سالمًا آمنًا من المخافة.

(٦٢٣) الوحِي: السريع. والدرد: جمع أدرد، وهو الذي ذهبت أسنانه. وهذا البيت مرتب على الطي والنشر، وهو تقرير للبيت السابق. يقول: إن من يستصحب اسم ابن

العميد لا يعمل فيه سم الأفاعي السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد. ويمر ويعبر: في موضع الحال من قوله: «يسر»؛ أي يسر مارًّا عابرًا. ولك أن تجعل يمر بدلًا من يسر.

(٦٢٤) يقول: ببركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تجشم حداء الإبل في المسير إليه؛ لأن الرعد أغنى غناء الحداء. فالعيس: الإبل. وكفانا العيس، أي: كفانا حداءها. والحداء: سوق الإبل بالغناء. وقوله: من بركاته — أي بركات الممدوح — تعليل لكفى.

(٦٢٥) يعرض نفسه: حال. وكرعن: شربن، وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب. والسبت: جلود البقر المدبوغة بالقرظ، تحذى منه النعال السبتية. يقول: إذا مرت هذه الإبل بالمياه التي غادرتها السيول فصارت لكثرتها كأنها تعرض نفسها عليها، فأجابتها الإبل، وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت (هم يشبهون المشفر بالسبت في لينه، قال طرفة بن العبد:

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِي وَمِشْفَرٌ كَسِبْتِ الْيَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُحَرَّدِ

لم يحرد: روي بالحاء المهملة، وعليها اقتصر الخطيب التبريزي. قال: أي لم يمل؛ يصف أنها شابة فتية، وذلك أن الهرمة والهرم تميل مشافرهما. وروى: لم يجرد بالجيم؛ أي أن شعره عليه.) وقد أحدق الورد — والمراد الزهر أيًّا كان — بذلك الماء، فصار كأنه إناء له. وقد روي البيت: إذا ما استحين، بدل: إذا ما استجبن، وكرعن بشيب، بدل: بسبت. واستحين: من الحياء، والشيب: صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال في اللسان: والشيب — بالكسر — حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال ذو الرمة يصف إبلًا تشرب في حوض متثلم، وأصوات مشافرها شيب شيب:

تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشِّيبِ فِي مُتَثَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسَلَامِ

(من قصيدة لذي الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وقبله:

وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنْهَلٍ مُتَخَطًّأٍ أَفَلَّ وَأَقْوَى فَالْجِمَامُ طَوَامِي
إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نُصَادِفْ بِجَوْفِهِ سِوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطًا وَحَمَامِ

إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَائِهِ عَلَى قُلُصٍ بِالْمُقْفِرَاتِ حِيَامِ
تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشِّيْبِ ... ... البيت.

يصف قطعه القفار على إبله، و«العسف»: الأخذ على غير هدى، والضمير إلى الإبل، و«المنهل»: المورد، و«المتخطأ»: الذي تخطأه الناس فلم ينزلوه، و «أفل»: أي لم يصبه المطر، و«أقوى»: خلا، و«الجمام»: جمع «جمة»؛ المكان الذي يجتمع فيه ماؤه، و«طوامي»: مملوءة، و«ساقيانا»: أي اللذان يستقيان من البئر، و«الإزاء»: مصب الماء في الحوض، و«على قلص»: صلة أفرغا، و«القلص»: جمع «قلوص»؛ الناقة الشابة، و«الحيام»: جمع «حوم» القطيع الضخم من الإبل، وبالمقفرات: صفة لقلص، و«تداعين»: أي دعا بعض القلص بعضًا، و«الشيب» — كما قلنا — حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشرب، والصوت: شيب شيب، جعل هذا الصوت مما يدعوهن إلى الشرب، و«المتثلم» أراد: في حوض متثلم.)

البصرة: حجارة رخوة إلى البياض. والسلام بكسر السين: الحجارة الصلبة.

(٦٢٦) الجو هنا: ما اتسع من الأودية، كما جاء في قول طرفة:

خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

والرفد: العطاء. يقول: إن كل موضع نزلناه في طريقنا إليه أصبنا به ماءً وكلأً. فكأن الأرض أرادت أن نشكرها عنده تقربًا إليه.

(٦٢٧) الرغائب: جمع رغيبة؛ الأمر المرغوب فيه. يقول: لنا في ترك غيره من الملوك وقصدنا إليه، مذهب الزهاد الذين يزهدون في الدنيا لينالوا خيرًا مما تركوا في الآخرة، وذلك لأنا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده بزهدنا في غيره.

(٦٢٨) يرجون: أي العباد، وبأرجان: صلة رجونا، وأرجان: هي أرجان بتشديد الراء بلد بفارس، يقيم فيه ابن العميد، وخفف الراء للضرورة. يقول: رجونا أن ننال لديه من النعيم ما يرجو العباد نيله في جنة الخلد، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه، ومن ثم نرجو ببلده ما يرجو العباد في الجنان حتى كدنا لا نيأس من الخلود فيها؛ لأنها كالجنة التي هي دار الخلود.

(٦٢٩) تعرض بحذف إحدى التاءين: أي تتعرض؛ أي توليهم عرضها، أي جانبها. والمعنى: تعرض عنهم وتزورُّ. يقول: إن خيله تزور عن زواره خوفًا ونفارًا كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد؛ وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم، وهي لا تبغي مفارقته. قال العُكْبري: ليس في هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى وقال: إن خيله تفرح بالزوار — كي يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقاة الحروب — لكان أمدح. هذا، والطرد — بفتح الراء وسكونها — لغتان فصيحتان.

(٦٣٠) المشيح: المجد المسرع الحذر. قال ابن الإطنابة:

وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ

وشايح الرجل: جد في الأمر. قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي رجلًا من بني عمه، ويصف مواقفه في الحرب:

وَزَعْتَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا سِرَاعًا وَلَاحَتْ أَوْجُهٌ وَكُشُوحُ
بَدَرْتَ إِلَى أُولَاهُمُ فَسَبَقْتَهُمْ وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكِ شِيحُ

وقال ابن الأعرابي: الإشاحة: الحذر، وأنشد لأوس بن حجر.

فِي حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرٍ لِمَنْ قَدْ يُحَاوِلُ الْبِدَعَا

«والإشاحة: الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة.» قال: ولا يكون الحذِر بغير جِد مشيحًا، وأشاح بوجهه عن الشيء: نحاه وجدَّ في الإعراض. والورود والورد: إتيان الماء. يقول: وتلقى خيله المنايا في الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة في الورود. وجعلها صمًّا كي لا تسمع شيئًا تتشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها.

قال:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا كَدِرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

والنواصي: جمع ناصية، شعر مقدم الرأس. وتشايحن: تسارعن. وقوله: ورود: مفعول مطلق لتلقى.

(٦٣١) يقول: إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه؛ أي أنها حصلت بقوته وأيده، وتُنسب السيوف إلى الهند؛ أي أنها عملت فيها، يعني أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على أنها حصلت بكف الممدوح، ودلت أيضًا على أنها حصلت بسيف هندي؛ أي أنه اجتمع فيها قوة الضارب وجودة النصل. فالضمير في نفوسها وفي ينسبن: عائد على الأفعال. وقال ابن جني: أفعال السيوف أشرف من السيوف، وأفعالها تتشبه بأفعاله في مضائه وحدته وتُنسب السيوف إلى الهند، ألا ترى أنه يقال: سيف هندي وسيف يمانٍ؟ وفعل السيف أشرف منه؛ لذلك أنت أشرف من الهند ... قال ابن فورجه: قد خلط ابن جني حتى لا أدري أي أطراف كلامه أقرب إلى المحال؟ ولم يجر ذكر التشبيه، وإنما يقول: إنها تنسب أفعالها إليه؛ أي تقول: هذه الضربة العظيمة من فعله لا من فعلنا، وهذا كقوله:

إِذَا ضَرَبَتْ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفُّهُ　　　تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ

والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند. وهذا معنى لطيف، يقول: إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه؛ لأنها حصلت بقوته، وتنسب السيف أيضًا إلى الهند؛ لأنها دلت على جودة ضربته وعمله، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف، وليس في هذا البيت أنه أشرف من الهند.

(٦٣٢) البيض: السادة، من قوله: فلان أبيض: أي نقي العرض كريم. وفلان يمت إلى فلان بكذا: يتقرب به إليه. والقتو: الخدمة، وقيل: حسن خدمة الملوك، والمقتوي: الخادم، والجمع: مقتوون، قال عمرو بن كلثوم:

تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا رُوَيْدًا　　　مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِينَا؟!

يقول: إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب والجد: أي إنهم يصيرون بخدمته، أعز منهم بآبائهم وأمهاتهم.

(٦٣٣) العدوى: أن يعدي الشيء الشيء فيصير مثله. والرمد: جمع رمد وأرمد؛ وهو المريض العين بالرمد. يقول: إن عينه فاتت العدوى فلم يعدها رمد غيرها. وهذا مثل، يعني: أنه تنزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسي؛ أي لم تعده عيوب الناس على كثرتها، فهو بصير بالمكارم طب بها والناس عمي عنها. ثم قال

في البيت الثاني: هو أجمل من سائر الناس خلقًا وأنبل خلقًا ورتبة، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركهم في خلالهم، ومن أن يعديهم هو؛ لأنه شآهم وفات طورهم إلى ما ليس في مكنتهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة.

(٦٣٤) يقول: إنه يغير على أعدائه ألوان الليالي، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة ببريق أسلحة جيوشه التي هي منشورة الرايات — أي الأعلام — منصورة الجند، وإذا كانت الليالي مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح: لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أوقدت المشاعل؛ إما للاستضاءة، وإما لإحراق ديار الأعداء فحينئذٍ تنجاب الظلمة.

(٦٣٥) الكتائب: جمع كتيبة، وهي الجماعة من الخيل. وردى يردي: أسرع، من ردت الخيل رديا ورديانا؛ رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها. يقول: إن جيوشه إذا أتت الأعداء في ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسراعًا لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — أهلكتهم — قبل أن ينبثق ضوءُه.

(٦٣٦) ومبثوثة: عطف على كتائب، وهي الغارة التي تشن. والغور: ما انخفض من الأرض. والنجد: ما ارتفع.

يقول: ورأوا خيلًا متفرقة في كل ناحيه لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهي التي ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها.

(٦٣٧) يغصن: أي خيله، من الغوص. وقوله: في متفاقد؛ أي في جيش يفقد بعضه بعضًا لكثرته واضطرابه، كما قال الآخر:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حُجُرَاتِهِ

فقوله: من الكثر؛ أي لأجل كثره. وغان: أي مستغنٍ. والحشد: الجمع. يقول: إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذي بلغ من الكثرة وترامى الأطراف مبلغًا يفقد فيه الشيء فلا يوجد، والذي استغنى بعبيد الممدوح عن أن يحشد إليه الغرباء — إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة المعسكر وتوافره وهذه الجيوش المتكاثرة كلها عبيد الممدوح ليسوا أوباشًا أخلاطًا، وروي بدل يغصن: يغضن — من غاض الماء: نقص — يعني أن هذه السرايا إذا تغلغلت في سائر جيشه غابت فيه لكثرته كالماء إذا غاض في الأرض.

(٦٣٨) حثت: أي ذرَّت وسفت وأطارت، وقوله: في غباره؛ أي غبار المعسكر المتفاقد، وهن — أي: الترب — جمع التربة. والطرائق: الخطوط. والبرد: الثوب المخطط. يقول: إن جيشه — لبعد غزواته وكثرة أسفاره — يمر بأمكنة مختلف ترابها فيثير نقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير كخطوط البرد: منها أسود، ومنها أحمر، ومنها أبيض، ومنها أصفر، وهذا معنى حسن.

(٦٣٩) المهدي: هو الذي يظهر آخر الزمان ويملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف في ذلك، كما هو مبسوط في مقدمة ابن خلدون، فراجعها إن شئت. يقول: إن كان المهدي الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهداه، فهذا الذي نراه — أي الممدوح — هو المهدي الموعود، وإن لم يكن هو الموعود فالذي نراه — من تقواه وحسن سيرته — هو الهدى كله، فما معنى المهدي بعد هذا؟

(٦٤٠) يعللنا: أي يلهينا ويشاغلنا. والنقد: خلاف الوعد؛ أي العتيد الحاضر. يقول: إن الزمان يعدنا خروج المهدي فيعللنا بوعد طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد، يريد: إن الممدوح هو المهدي نقدًا حاضرًا، وانتظار ظهوره خداع وتعليل.

(٦٤١) الاستفهام هنا إنكاري. وأم: بمعنى بل، التي للإضراب. يقول: لا ينبغي أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدي هما شيء آخر غير الخير والرشد الحاضرين؛ لأن الشيء لا يغاير نفسه، وإذن: فالخير والرشد ماثلان في الممدوح، وما ينتظر من المهدي ماثل فيه، فلم لا يكون هو المهدي؟

(٦٤٢) أحزم: نصب، على أنه منادى مضاف، وهو أفعل تفضيل، وكذلك ما بعده. والحزم: سداد الرأي. واللب: العقل. وجلوسًا: تمييز. والركبة: هيئة الركوب. يقول: يا أحزم ذوي العقل وأكرم ذوي الأيادي — النعم — وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من تعمم — لبس العمامة — وجلس على المنبر، وأحسن الناس ركوبًا على الفرس النهد — الجسيم الحسن العالي — فقوله: على المنبر العالي … إلخ: من باب الطي والنشر. وقال ابن جني: شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر، ولم يكن ذا منبر ولا خطيبًا في الحقيقة … قال ابن فورجه: ظن ابن جني أن الخطبة عيب الممدوح، وما ضر ابن العميد أن يدعي له المتنبي أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالخليفة في الناس؟!

(٦٤٣) يقول: حمدنا الأيام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد؛ لأنها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك، فمفعول حمدنا: محذوف، تقديره: حمدناها، أو حمدنا الأيام. وقوله: بالجمع بيننا، تعظيم لنفسه؛ لأن معناه أن ابن العميد كان يحب

الاجتماع معه، كما كان المتنبي يحب ذلك. وكذلك قوله: حمدنا، إذ جعل الحمد منهما، فهو بذلك يعظم من حال نفسه.

(٦٤٤) يقول: إن الأيام جعلت وداعي لك وداعًا لثلاثة أشياء، هي: جمالك والعلم المبرح والمجد، وكل واحد منها يعز على فراقه. هذا، ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبي الطيب، إنما يستعمل التبريح فيما يشتد على الإنسان، يقال: وجْد مبرح مثلًا، فلعله من قولهم: برح الخفاء؛ أي انكشف، أي: العلم الذي يكشف عن الحقائق. أو تقول: العلم المبرح فراقي إياه.

(٦٤٥) المنى: جمع منية، وهي الشيء الذي تتمناه. يقول: إنني أدركت عندك من الغنى والسعادة ونيل المراد ما كنت أتمناه، ولكن إذا انفردت به واستأثرت دون أهلي ولم أرجع إليهم، عيروني بتلك الأثرة والأنانية.

(٦٤٦) قوله بمصبحي: متعلق بالسرور، وهو مصدر بمعنى الإصباح. والضمير في قوله: بعده وفي يرى، راجع لكل، وفي مثله: راجع لمن من قوله: من لا يرى. يقول: كل من شاركني في السرور بإصباحي عنده حين أعود إليه من أهلي وغيرهم ورأى ما أوتيته، أرى منك اليوم يا ابن العميد بعد مفارقتي إياه إنسانًا لا يرى هو مثله؛ لأنه لا نظير لك في الدنيا، يعني أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به، فإنه مع هذا السرور لا يزال منغصًا لفراق ابن العميد؛ لأنه لا يرى عندهم بعد عودته إليهم رجلًا آخر مثله.

(٦٤٧) يقول: إنني أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبي لديك؛ لأنك أغدقت علي أفضالك فأسرت قلبي. وهذا معنى متداول.

(٦٤٨) يقول: لو فارقت نفسي حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معي لقلت: إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد؛ لأنك أبر بها مني.

(٦٤٩) يقول مخاطبًا خيال المحبوب: أزائرًا جئتني أيها الخيال أم عائدًا؟ أي أني مريض من الحب فأنا خليق منك بالعيادة، ثم قال: أم عند مولاك — أي صاحبك، وهو الحبيب الذي أرسلك إلي — أني راقد؟ أي أم اعتقد مولاك أنني راقد فأرسلك إلي على هذا الاعتقاد؟

(٦٥٠) قاصد: حال، سكنه للضرورة، واسم ليس: ضمير الشأن. وغشية عرضت: جملة مستأنفة. يقول: ليس الأمر على ما ظن من أنني راقد حين زرتني، وإنما هي غشية — أي: همدة لا رقدة — أدركتني من الألم، فجئتني في خلال تلك الغشية. يريد أنه لم يكن نائمًا، وإنما يزور الخيالُ النائمَ.

(٦٥١) الناهد: الشاخص. يقول: عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التي لحقتني وإن كان فيها تلفي، فحبذا تلف يكون سببًا لقربك ومعانقتك. قال الواحدي: وكان من حقه أن يقول للغشية: عودي وأعيدي الخيال؛ لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال، لا الخيال سبب لحاق الغشية؛ ولكنه قلب الكلام في غير موضع القلب. وهذا بديع من الواحدي.

(٦٥٢) جدت فيه: عطف على ألصق في البيت السابق — والضمير: للتلف. وثغر شتيت: مفرق مفلج، والمؤشر: الذي فيه أشر؛ أي تحزيز. يقول: وحبذا هذا التلف الذي جدت فيه بما يضن به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحزز البارد الريق، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه.

(٦٥٣) يقول: إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فحمدت زيارتها، أضحك الحبيب ذلك الحمد؛ لأن الخيال في الحقيقة ليس بشيء. هذا، والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة، قال أبو تمام:

فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمَّتْ ... بِرَحْلِي أَوْ خَيَالَتُهَا الْكَذُوبُ

(وقيل: إنما أنث على إرادة المرأة.)

ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات، والخيال والخيالة: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة، أو الشخص والطيف.

(٦٥٤) الأرب: الحاجة. يقول: وقال الحبيب: إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة الخيال فلم زاد شوقه إلينا؟ وسكن «زائد» للقافية.

(٦٥٥) يقول: وعلى هذا لا أجحد فضل الخيالات؛ لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله الحبيب، ولم يعد به، فضلًا أنه يفعله.

(٦٥٦) نافد: أي فانٍ ذاهب. قال الأسود بن يعفر الإيادي:

وَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ ... يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ

يقول: إنه لا فراق بين الحبيب وبين خياله؛ لأن كلا منهما لا يدوم وصاله، إذا واصل لا يعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالًا. وقال ابن جني: لا فرق بينها وبين خيالها؛ لأن كل شيء إلى نفاد ما خلا الله وحده ... قال ابن فورجه — وما أمر نقده: هذه موعظة

وتذكرة، وإنما يقول: هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال، كما أن خيالها إذا وصل لم يدم، وأما قوله: كل خيال، فهو الذي غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده، وإنما عنى بكل: كلا من المذكورين، كما تقول: خرج زيد وعمرو وكلٌّ راكب، والكل يستعمل في الاثنين كما يستعمل في الجمع، ولما قال: لا تعرف العين فرق بينهما، عُلم أنه يشير بالكل إليهما، لا إلى جماعة غيرها، وأبو الطيب في غزل وتشبيب؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول: كل شيء فانٍ إلا الله؟ وما أقبح ذكر الموت والمواعظ في الغزل والتشبيب. هذا، وقوله: فرق بينهما أراد لا تعرف العين فرقًا بينهما، فأضاف على سلخ بين عن الظرفية.

(٦٥٧) يخاطب حبيبته. والطَّفلة: الناعمة الرخصة. والعبلة: الممتلئة. والبعير المقلد: أي الذي عليه قلائد؛ أي من العهن — الصوف — والواخد: أي المسرع في السير. والبيت مصرع، قال العكبري: وهذا البيت رديء لو قيل في زماننا لهرب قائله من الحياء.

(٦٥٨) يقول: إن أذاك مستحلي؛ لأن الحبيب يحلو لي منه كل شيء يصدر عنه، قال: زيديني أذًى أزدك هوًى وحبًّا؛ لأن العاشق لا يحقد على محبوبه، فإن حقد عليه شيئًا كان ذلك منه جهلًا وعدم معرفة بمقامات الهوى.

(٦٥٩) حكيت: أشبهت، أو مثلت، والفرع: الشعر. والوارد من الشعر: الطويل المسترسل. والنوى: البعد. والساهد: الساهر. يقول: أشبهت يا ليل شعرها في السواد فأشبه بعدها عني؛ أي ابعد عني كما بعدت ولا تطل علي.

(٦٦٠) يقول: طال بكائي لأجلها وطلت — أيها الليل — حتى كلاكما واحد في الطول، وروى ابن جني: تذكُّره؛ أي الفرع.

(٦٦١) حائرة: حال. وقوله: ما لها قائد: حال من العمى. يقول: لم حارت النجوم فلا تسري لتغيب، كأنها العمى ليس لها من يقودها؟ يريد: طول الليل وأن النجوم كأنها واقفة. وهذا من قول بشار:

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ

(٦٦٢) أو عصبة: عطف على العمى. وواجد: غضبان. يقول: أو كأنها جماعة من ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقًا. وفي هذا البيت من البديع حسن التخلص. هذا، ولعل الناظر في ديواننا يلحظ أنا اتبعنا في مثل عليهم قراءة أبي عمرو بن العلاء أن نكسر الميم لاتباع كسرة الهاء، وإن كان الأكثرون على ضمها. وفي ذلك يقول علماؤنا: إذا تحركت الميم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم والكسر، والضم

أولى من الكسر، والكسر لإتباع كسرة الهاء. وقد قرأ القراء الستة — سوى أبي عمرو — «عليهم الذلة» بضم الميم، وما أشبهه حيث وقع، وكسره أبو عمرو.

(٦٦٣) الطريف: المكتسب. والتالد: الموروث. يقول ذاكرًا سبب تحيرهم: إنهم لا يجدون منه ملجأً لا بالهرب؛ لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم، ولا بالإقامة؛ لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقي على شيء.

(٦٦٤) يقول: إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك المبارك ذي الجود والمجد.

(٦٦٥) الأبلج: المشرق الوجه. وعاذت: لجأت. وراعها: أفزعها. والحابل: الذي ينصب الحِبالة؛ وهي الشرك. يقول: إنه عزيز الجانب مهيب، من لجأ إليه أو استأمن بذكره أمن حتى الطير والوحش.

(٦٦٦) كل ساعة: فاعل تهدى. والجحفل: الجيش. والبائد: الهالك. يقول: لا تمر ساعة إلا وتهدي إليه خبرًا عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه؛ يعني تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي.

(٦٦٧) وموضعًا: عطف على خبرًا — في البيت السابق — والموضع: المسرع في سيره. والفتان: غشاء للرحل من أدم. والناجية: الناقة السريعة. والهامة: الرأس. والعاقد: عاقد التاج. يقول: وتهدي له كل ساعة رسولًا مسرعًا في رحل ناقة خفيفة يبشره بقتل عدو وفتح ناحية، وأخذ ملك ذي تاج يحمل إليه رأسه وتاجه، وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشوذان بعد الكرة الأولى وضربت الدبادب (الدبادب: الطبول، وأصل الدبدبة: الصياح والجلبة) على باب عضد الدولة، وهذا ما يشير إليه المتنبي.

(٦٦٨) العاضد: المعين، وبه: صلة العاضد، والباء للاستعانة. والساري: السائر ليلًا. ويبعث: يثير. والهاجد: النائم. أي: يا عضد الدولة التي يعضدها الله سبحانه به، ثم قال: ويا من تسري فتقطع الصحاري بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهي نائمة؛ يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليلًا.

(٦٦٩) يقال: برقت السماء ورعدت، وأبرقت وأرعدت (خلافًا للأصمعي فإنه لا يجيز أبرقت وأرعدت.) يقول: أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل، وتحيي أولياءك بالبذل والإحسان، فكأنك سحاب يمطر الموت والحياة، غير أنه لا برق لك ولا رعد، يعني أنك تفعل ذلك على غير احتفال ولا استعداد.

(٦٧٠) وهشوذان: هو ملك الديلم. ويقال: نال من عدوه: إذا أنزل به كيده. وقوله: من مضرة: صلة أحد الفعلين على التنازع. وقوله: ما نال مفعول نلت الثاني، يضعف

رأي وهشوذان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة، يقول: نلت من وهشوذان وألحقت به المضرة ما أردت، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه؛ يعني أن فساد رأيه كان أبلغ في مضرته من قتالك له، وهذا من قبيل قوله:

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه في البيت التالي.

(٦٧١) الضمير في غايته للكيد، والغاية: المنتهى. والكائد: صاحب الكيد. وأراد بغاية الكيد: الحرب، كما بين ذلك في عجز البيت. يقول: إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره؛ لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجْدِ الوسائل؛ يعني أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة.

(٦٧٢) ذم: عطف على أتى. والوافد: الذي يفد طلبًا للعطاء، وأراد وافدًا بالنصب، ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة. وبلا سلاح: متعلق بأتى. يقول: الذي أتاكم محاربًا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه، ماذا كان عليه لو جاءكم سائلًا، واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح؛ إنه لو فعل ذلك لفاز ورجع غانمًا راشدًا.

(٦٧٣) يقارع: يحارب، من المقارعة بالسلاح. والمسود: الذي ساده غيره، والسائد: الذي ساد غيره. يقول: من يحاربكم ويتمرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسًا كان أو مرءوسًا. وفي هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب، قال العكبري: كتبت جارية إلى مولاها — وقد باعها، وكانت تهواه: وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظًّا من رؤيتك، فما أشبه إبعاد الدهر لي عنك إلا بقول محمد بن وهيب:

وَحَارَبَنِي فِيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ

(٦٧٤) وليت: توليت. والداني: القريب. والشاهد: الحاضر. يقول: توليت فناء عسكر وهشوذان في اليومين اللذين انهزم فيهما، وأنت لم تحضر القتال في الموقعتين بنفسك ولم تكن قريبًا منهما، يعني أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبًا؛ لأن سعدك ناب عنك في قتالهم، كما قال في البيت التالي. وعبارة الواحدي: يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشوذان، ولم يكن عضد الدولة فيهما، بل كان أبوه هو الذي هزمه؛ يريد أن من هزمه جيش أبيك فقد هزمته أنت.

(٦٧٥) يقول: وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان؛ جيش أبيك، وحظك الصاعد في مراقي السعد، فكأنك لم تغب؛ لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك.

(٦٧٦) وكل: عطف على جيش — في البيت السابق — والخطية المثقفة: الرماح المقومة المستوية. والمارد: الذي لا يطاق خبثًا وعتوًّا. يقول: وكان خليفتك في القتال الرماح المقومة يهزها رجل مارد على فرس أو على رجل مارد مثله. قال العكبري: وهو أبلغ إذا لقي الشجاع شجاعًا مثله، وهذا تفصيل بعد إجمال؛ لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكرهم.

(٦٧٧) سوافك: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي — الخطية — سوافك ... إلخ. والجاسد: اللازق الذي قد جف. يقول: هذه الرماح سوافك إذا أراقت دمًا فجف أردفته دمًا طريًّا دون أن تفصل بينهما. فقوله: ما يدعن فاصلة؛ أي من غير فصل بينهما. وقال ابن جني: أي ما يدعن بضعة أو مفصلًا إلا أسلنه دمًا. وهذا معنى بعيد.

(٦٧٨) الحائد: نائب فاعل أبدل. وجملة أبدل ... إلخ: خبر دعوتها. يقول: إذا ظهرت المنايا وكشرت عن نابها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد — الذي على الحياد وخام عن القتال — من جيش عضد الدولة حائنًا؛ أي هالكًا. والمعنى: أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى: جعل الله الحائد منا هالكًا.

(٦٧٩) الضمير في بها ولها للخيل، وإن لم يتقدم لها ذكر، لدلالة القرائن. يقول: إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذي رماه بالخيل سقط ساجدًا، وانقضت حيطانه لها هيبة له.

(٦٨٠) الطرم: قلاع وهشوذان. والعجاجة: واحدة العجاج؛ الغبار: وفلان ينشد ضالته: يطلبها. يقول: إن الطرم كانت في غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه، فهو ينشده؛ أي إن العجاج أحاط بها لكثرته حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار.

(٦٨١) تسأل: أي الطرم — قلاع وهشوذان — أو الخيل، يقول: تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشوذان، وقد مسخته الخيل نعامة شرودًا؛ يعني أنه أسرع في الهرب كالنعامة عند إقبال خيلك خوفًا ورعبًا، والعرب تصف النعامة بشدة النفور والشرود، والنعامة تقع على الذكر والأنثى، كالبقرة والبطة والحمامة، ومن ثَمَّ وصفها بالشارد.

(٦٨٢) يقول: تخاف الأرض أن تقر به؛ أي تعترف بموضعه منها فتطأها خيلك، فكل موضع ينكره ويجحد أنه رآه، يريد شدة إمعانه في الهرب وتواريه حتى لا يهتدي أحد إلى مكانه. وقد روي بدل منكر: آنِهٌ — بالمد وكسر النون — يقال: أنَهَ يَأْنِهُ أنْهًا وأُنوهًا؛ إذا تزحر من ثقل يجده.

(٦٨٣) المشاد: البناء المرفوع المطول. والمُشيد: المعلي للبناء. وحمى: يروى على أنه فعل ماضٍ، ويروى مضافًا لمشيد، فيكون اسمًا للمكان المحمي. والمَشيد: المطلي بالشيد، وهو الجص أو الكلس، والشائد: فاعل منه. يقول: لم يحمِ وهشوذان البناء ولا الباني من بطش عضد الدولة؛ أي لم تغنِ عنه قلعته ولا جنده.

(٦٨٤) وهشوذ: ترخيم وهشوذان، يقول: كن أبدًا مغتاظًا بقوم لم يخلقوا إلا غيظًا للأعداء والحساد؛ يعني قوم عضد الدولة.

(٦٨٥) بلوك: أي اختبروك. ونابتة: مفعول ثانٍ لرأوك. والرائد: الذي يرسل في طلب الكلأ. يقول: إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلة بمنزلة نبات يرعاه الرائد قبل أهله. يعني أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشوذان والظفر به وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة؛ لأنها رأته من الضعف بحيث لا يستأهل مسير أحدهما. فالضمير في أهله: للرائد.

(٦٨٦) وخل: عطف على اغتظ. وجبينه: فاعل دام. يقول: إن زي الملوكية لا يليق بك فاتركه لمن هو أحق به منك، فليس كل من تزيى بزي الملوك ملكًا، كما أنه ليس كل من دمى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود.

(٦٨٧) يعمد: يقصد. واليمن: السعد. يقول: إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه، فإن يمنه قصدك؛ أي فأنت قتيل سعده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه.

(٦٨٨) يقول: إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئًا. وقال ابن جني: معنى كأنه فاقد؛ أي كأنه امرأة فقدت ولدها. قال ابن فورجه: مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة في حال من الأحوال. وليس إذا كان يقال للمرأة الثكلى: فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدًا. وقوله: لا يرى معه: جملة حالية من الصبح.

(٦٨٩) يقول: ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد. يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده في طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته؛ لأن الأمر لله، لا للمتجهد، قال عبد الله بن المعتز: تذل الأشياء للتقدير، حتى يصير الهلاك في التدبير.

(٦٩٠) ومتق: عطف على مجتهد. والحابض: خلاف الصارد، يقال: حبض السهم؛ إذا وقع بين يدي الرامي لضعف الرمي. والصارد: السهم النافذ في الرمية، والبيت في معنى الذي سبقه يقول: ورب متقٍ خائف على نفسه من السهام إذا رميت، فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه.

(٦٩١) يقول: من قتل عدوه فلا يبالي، أقتله قائمًا أم قاعدًا. يعني أنه ما دام الغرض هو قتل العدو، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذي بال؛ أي ليس بمهم أن تقتله بنفسك. قال الواحدي: كان حقه أن يقول: لا يبال — بحذف الياء الأخيرة — للجزم، ولكنه قاس على قولهم: لا تبل، بمعنى لا تبالي، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال، ولم يكثر استعمالهم «لا يبل»، فيجوز فيه ما جاز في غيره.

(٦٩٢) يقول: إن هذا الشعر الذي أصوغه في الثناء على الممدوح هو باق مخلد في الكتب، فليته فدى الذي عمل فيه — أي الممدوح — حتى لا يهلك ويبقى خالدًا.

(٦٩٣) الدملج: ما يلبس من الحلي في العضد. يقول: جعلت مديحي حلية له كما يحلى العضد بالدملج. وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له: أي إنهما ملاك الدولة وقوامها، فهو عضدها وأبوه ركنها. وسمى شعره دملجًا لذكر العضد.

(٦٩٤) الشادن: الظبي يقوى ويطلع قرناه ويستغني عن أمه. والمقلد في الأصل: العنق؛ لأنه موضع القلاده، والمراد هنا: موضع تقليد السيف. يقول: إنه يقتل بصدوده؛ فكأنه تقلد سيفًا من الصدود. هذا، وقد جعل الواحدي — وتبعه العكبري — صدر هذا البيت قوله:

سَيْفُ الصُّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلِّدِهِ

أما العجز فقالا: إنه لم يحفظ، فقال قوم هو:

بِكَفٍّ أَهْيَفَ ذِي مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ

وقال آخرون هو:

يَفْرِي طُلَا وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ

أما الرواية التي أثبتناها فهي رواية ابن القطاع.

(٦٩٥) البتر: القطع. والتجلد: التصبر. والضمير في اهتز للسيف، وفي منه للشادن، وفي اتقاه — المرفوع — للعاشق، والمنصوب للسيف. يقول: لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره. يعني أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر.

(٦٩٦) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت، وأوجه المعاني أن تقول: يقول المتنبي: إن الزمان ذم إلى المتنبي العيب الذي ذمه المتنبي من بدر الزمان عند حمده هذا الرجل المسمى أحمد، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان في مودة الأحبة، وفي القمر بالنسبة إلى الممدوح، فأحبته يجفونه ويصدون عنه؛ والبدر — على بهائه وحسنه — دون أحمد هذا، فالضمير في بدره وأحمده للزمان، وسائر الضمائر للعاشق؛ أي المتنبي. وإليك أقوال الشراح، قال ابن جني: البدر هو المعشوق، جعله بدر الزمان مبالغة في حسنه، وأحمد هو المتنبي، وجعل نفسه أحمد الزمان، يريد ليس في الزمان أحمد مثله. والمعنى أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذي هو كبدر الزمان حسنًا يذم منه جفاءه وهجره، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه في حال حمد الزمان لأحمده المتنبي؛ فالزمان يذم هجر أحبته ويحمده هو لفضله ونجابته. قال الواحدي: قد تهوس أبو الفتح في هذا البيت وأتى بكلام كثير لا فائدة فيه. ومعنى البيت: إن الزمان ذم إلى المتنبي من أحبة المتنبي؛ لأنهم يجفونه ما ذم الزمان في بدره يعني القمر في حمد أحمده، يعني الممدوح؛ والمعنى أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا الممدوح، يعني أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا. وقال ابن القطاع: يريد أن الزمان يذم معه هجر أحبته كما ذم هو بدره؛ أي حبيبه.

(٦٩٧) على فرس: حال من الهاء في لاقته؛ أي: وهو على فرس. يقول: هو شمس إذا رأته الشمس وهو يجول في ميدانه على فرس مترددًا تردد نوره في هيولى الشمس؛ لأنه أضوأ منها، فالشمس تستفيد منه النور.

(٦٩٨) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين: إن «إن» شرطية، وجوابها: فالعبد؛ والمعنى: هو مولى الحسن، والحسن في كل أحد قبيح إلا في طلعته كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه. وقال اليازجي: إن قوله: يقبح — في عجز البيت — خطأ في الرواية، والصواب يحسن، فتكون إن نافية؛ والمعنى: إن الحسن في غير هذا الممدوح لا يظهر قبيحًا إلا عند مقابلته بطلعته لما فيها من الكمال وفي غيرها من النقص، فكل ذي حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده، فإذا قوبل به ظهر قبيحًا بالنسبة إليه. وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية.

(٦٩٩) الرفد: العطاء. ويصدر: يرجع. وطب نفسًا عنه: أي دعه ولا تطلبه. يقول: قالت العاذلة: طب نفسًا عن العطاء، أي: دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول. فقلت لها: إن الحر إذا قصد أمرًا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه؛ أي لا بد لي من بلوغ ما أطلب.

(٧٠٠) الضمير في كهله وأمرده: للدهر. والنهى: جمع نهية؛ العقل. يقول: إن نفسه — في عظمها وكبرها — تصغر نفس الدهر الذي هو مجمع الخير والشر.

قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي:

أَمُسَاوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا؟ أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الْأُسْتَاذَا؟[1]
شِمْ مَا انْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ قِطَعًا، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذَا[2]
هَبْكَ ابْنَ يَزْدَاذٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بَنِي يَزْدَاذَا[3]
غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقِيتَهُمْ أَقْفَاءَهُمْ وَكُبُودَهُمْ أَفْلَاذَا[4]
فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمِ فِي ضَنْكِهِ وَاسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذَا[5]
جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُولَاذَا[6]
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِي جَوْشَنٍ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذَا[7]
أَعْجَلْتَ أَلْسُنَهُمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ: لَا فَارِسٌ إِلَّا ذَا[8]
غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طِلْعَةَ عَارِضٍ مَطَرَ الْمَنَايَا وَابِلًا وَرَذَاذَا[9]
فَغَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَلْتَ ثِيَابَهُ بِدَمٍ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الْأَفْخَاذَا[10]
سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرَفِيَّةُ طُرْقَهُ فَانْصَاعَ لَا حَلَبًا وَلَا بَغْدَاذَا[11]
طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ ونَشْؤُهُ مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إِلَى كَلْوَاذَا[12]
فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلْوَةً أَوْ ظَنَّهَا الْبَرْنِيَّ وَالْآزَاذَا[13]
لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَا جَعَلَ الطِّعَانَ مِنَ الطِّعَانِ مَلَاذَا[14]
مَنْ لَا تُوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطِيبُهَا حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الْإِنْفَاذَا[15]
مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَالُهَا فِي الْبَرْدِ خَزًّا وَالْهَوَاجِرِ لَاذَا[16]
أَعْجِبْ بِأَخْذِكَهُ، وَأَعْجَبُ مِنْكُمَا أَنْ لَا تَكُونَ لِمِثْلِهِ أَخَّاذَا[17]

هوامش

(١) قرن الشمس: أول ما يبدو منها. وقدَم يقدُم: إذا تقدم، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. والوزير: يسمى الأستاذ في بعض لغة أهل الشام. شبهه في حسنه بقرن الشمس، وفي شجاعته بليث الغاب، وكان يتقدم الوزير.

(٢) يقول: اغمد سيفك الذي سللته من الغمد، فقد فللت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه، وقد ترك سيفك الناس قطعًا. فشم: أمر من شام السيف إذا أغمده. وانتضاه: استله: وذباب السيف: حده. والجذاذ: جمع جذاذة، وهي القطعة المكسورة.

(٣) هبك: أي احسب نفسك. يقول: احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه، أفتظن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ، فتعاملهم معاملتك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعًا، فابن يزداذ: مفعول حطمت. وهو لا ينصرف للعجمة، ولكنه صرفه للضرورة.

(٤) يذكر ما فعله بهم يقول: إنك هزمتهم في الموضع الذي لقيتهم فيه فولوك أقفاءهم حتى قامت مقام وجوههم في استقبالك، وتركت أكبادهم قطعًا صغارًا. وقيل: المعنى: طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء، فقوله: غادرت: فعل وفاعل، وأوجههم: مفعول أول، وأقفاءهم: مفعول ثان. وقوله: وكبودهم: أي وغادرت كبودهم أفلاذًا، والأفلاذ: جمع فلذ؛ القطعة من الكبد.

(٥) يقول: كان هذا الفعل منك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم، فحبسهم في ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعًا. فالحمام: الموت. والضنك: الضيق، ومنه قوله تعالى: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ أي ضيقة. والضمير في ضنكه: لموقف. واستحوذ: استولى.

(٦) الفولاذ: من الحديد معروف؛ وهو مصاص الحديد، المنقى من خبثه، دخيل. قال ابن جني: يعني قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالشيء الجامد. ثم قال المتنبي: فلما جئتها أجريتها؛ أي أجريت نفوسهم، أي أسلت دماءهم على سيوفك، فكأنك جعلتها سقيًا لها كما يسقى الفولاذ الماء. وقال الواحدي: في «جمدت» أقوال: أحدها أنها جمدت خوفًا منك، والخوف يجمد الدم، وعليه يتأول قول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّا عَلَى جُحْرٍ ذُبِحْنَا   جَرَى الدَّمَيَانُ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

(قبل هذا البيت:

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبَا رَبَاحٍ عَلَى طُولِ التَّكَاشُرِ مُنْذُ حِينِ
لَيُبْغِضُنِي وَأُبْغِضُهُ وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء، وأصحها — كما قال ابن دريد — أنها لشاعر اسمه علي بن بدال بن سليم.

والتكاشر: المباسطة من «الكشر» وهو: التبسم، و«جحر» بضم الجيم وسكون الحاء: الشق في الأرض. وأراد «بالخبر اليقين»: ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين.

قال ابن الأعرابي: يريد لم يختلط دمي ودمه، من بغضي له وبغضه لي بل يجري دمي يمنة ودمه يسرة.

وقال بعضهم: معناه لو ذبحنا على جحر لعلم من الشجاع منا من الجبان بجري دمي وجمود دمه؛ لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجري، ودم الجبان يجمد.)

يريد: أن دمي يسيل لأني شجاع، ودمك لا يسيل لأنك جبان. والثاني أن دماءهم كانت محقونة، فلما جئتها أبحتها بسيوفك، فجعل حقنها كالجمود؛ إذ كان يذكر بعده الإجراء، ثم أورد كلام ابن جني الذي أوردناه.

(٧) الجوشن: الدرع. يقول: لما رأوك رأوا أباك وعمك؛ لأنك تشبههما، فلصحة شبهك بهما كأنهم رأوهما؛ يعني اجتمع فيك فضلهما وشجاعتهما وكرمهما.

(٨) يقول: لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا: لا فارس إلا هذا، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول؛ أي لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة. هذا، والألسن: جمع لسان على تأنيثه. يقال في التأنيث: ثلاث ألسن: كذراع وأذرع، ومن ذكره قال: ثلاثة ألسنة: مثل حمار وأحمرة، وهذا قياس ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث.

(٩) غر: أي هو — ابن يزداذ — غر، والغر: الغافل. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والوابل: المطر الشديد. والرذاذ: الخفيف، وهما حالان. يقول كان غافلًا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلًا وجرحًا وأسرًا.

(١٠) يريد: أنه تلطخ بالدم والبول جميعًا.

(١١) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن؛ وهي قرى هناك تعمل بها السيوف. وانصاع: انثنى وولى. وبغداذ: لغة في بغداد. يقول: انهزم وتلدد في أمره فلم

يقصد الشام ولا العراق؛ لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق. وحلبًا وبغدادًا: منصوبان بمضمر؛ أي لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفهما ضرورة.

(١٢) كرخايا وكلواذا: قريتان بسواد العراق. يقول: حاول أن يكون أميرًا على الثغور، وهو إنما نشأ في سواد العراق؛ أي إنه لا يصلح لما طلب، لأنه سوادي خسيس.

(١٣) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح. والبرني والآزاد: نوعان من التمر كثيران بالعراق. يقول: إنه تعود أكل الرطب والتمر، وليس هو من أهل الطعان والحرب، فكأنه ظن الحرب تمرًا يأكله. هذا، والمشهور في الآزاذ القصر، لكنه مده للإقامة الوزن.

(١٤) القنا: الرماح. والمراد باختلافها أن يطغى هذا مرة وذاك أخرى والملاذ: الملجأ. يقول: لم يلق قبلك رجلًا إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان، ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحمي حقيقته إلا بالطعان، كما قال الحصين بن الحمام:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

(١٥) من: في موضع نصب، بدل من من الأولى. يقول: إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء؛ أي إن طيب عيشه في إنفاذ عزمه، فإذا رجع عن شيء لم ينفذه لم يطب عيشه. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: «لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركًا. ولا لأمره تصرفًا.»

(١٦) الخز: ثياب غليظة من الحرير. واللاذ: ثوب رقيق من الكتان. والهواجر: جمع هاجرة؛ وهي وقت شدة الحر في نهار الصيف. يقول: لم يلقَ قبلك إنسانًا متعودًا لبس الدروع يظنها في صبَارَّة البرد خزًّا يقيه البرد، وفي حمارَّة القيظ لاذًا يلاذ به من الحر، فلتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب، فقوله: متعودًا، نعت لمن على أنها نكرة. هذا، وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين؛ لأن الهواجر معطوفة على البرد، ولاذا: عطف على خز، وإنما جوزه كون عامل أولهما جارًّا. وأنشدوا على جوازه قول الشاعر:

أَكُلُّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً وَنَارٍ تَأَجَّجَ بِاللَّيْلِ نَارَا

(١٧) يقول: ما أعجب أخذك إياه في قوته وعدده! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه؛ لأنك مظفر منصور على أعدائك لا يفلت منك أحد تقصده.

قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة، وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة:

سِرْ، حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ! وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ ١
وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ ٢
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْعِدَى حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ ٣
وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الْأَبْصَارُ ٤
أَنْتَ الَّذِي بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الْأَسْمَارُ ٥
وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الْأَعْمَارُ ٦
وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبٌ دَرُّ الْمُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ ٧
لِلهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى! وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَارُ ٨
وَتَحِيدُ عَنْ طَبْعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ ٩
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى الْأَعِزَّةِ جَارُهُ وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ ١٠
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللِّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ ١١
وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى الْمَطِيُّ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ ١٢
إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ مَا لِي عَلَى قَلَقِي إِلَيْهِ خِيَارُ ١٣
وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لَوْلَا الْعِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ ١٤
إِذْنُ الْأَمِيرِ بِأَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمِ صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الْأَشْعَارُ ١٥

وخيره بين فرسين؛ دهماءَ وكُمَيت، فقال:

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطَرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخِيَرُ[16]
وَرُبَّمَا فَالَتِ الْعُيُونُ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ[17]
أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ مَا عِيبَ إِلَّا بِأَنَّهُ بَشَرُ[18]
وَأَنَّ إِعْطَاءَهُ الصَّوارِمُ وَالْخَيْـ ـلُ وَسُمْرُ الرِّمَاحِ وَالْعَكَرُ[19]
فَاضِحُ أَعْدَائِهِ كَأَنَّهُمُ لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّمَا كَثُرُوا[20]
أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ الْقَمَرُ[21]

وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس بن الأحنف[22] يسأله إجازتهما، فقال:

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أُوثِرُ وَسِرُّكَ سِرِّي، فَمَا أُظْهِرُ؟![23]
كَفَتْكَ الْمُرُوءَةُ مَا تَتَّقِي وَآمَنَكَ الْوُدُّ مَا تَحْذَرُ[24]
وَسِرُّكُمُ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لَا يُنْشَرُ[25]
كَأَنِّي عَصَتْ مُقْلَتِي فِيكُمُ وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ[26]
وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الْغَدْرِ، وَالْحُرُّ لَا يَغْدِرُ[27]
إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ[28]
أُصَرِّفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ[29]
دَوَالَيْكَ يَا سَيْفَهَا دَوْلَةً وَأَمْرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ[30]
أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلًا فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَذْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمَ وَغًى قَاتِمًا لَلَبَّاهُ سَيْفِيَ وَالْأَشْقَرُ[31]
فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ[32]

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك:[33]

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارَا[34]
تَرَكْتَنِيَ الْيَوْمَ فِي خَجْلَةٍ أَمُوتُ مِرَارًا وَأَحْيَا مِرَارَا[35]
أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيًا وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَارَا[36]

وَأَعْـلَـمُ أَنِّـي إِذَا مَـا اعْـتَـذَرْتُ   إِلَـيْـكَ أَرَادَ اعْـتِـذَارِي اعْـتِـذَارَا[٣٧]
كَـفَـرْتُ مَـكَـارِمَـكَ الْـبَـاهِـرَا   تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي اخْتِيَارَا[٣٨]
وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إِلَّا الْقَلِيـ   ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا[٣٩]
وَمَـا أَنَـا أَسْـقَـمْـتُ جِـسْـمِـي بِـهِ   وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارَا[٤٠]
فَـلَا تُـلْـزِمَـنِّـي ذُنُـوبَ الـزَّمَـانِ   إِلَـيَّ أَسَـاءَ وَإِيَّـايَ ضَـارَا[٤١]
وَعِـنْـدِي لَـكَ الـشُّـرُدُ الـسَّـائِـرَا   تُ لَا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا[٤٢]
قَـوَافٍ إِذَا سِـرْنَ عَـنْ مِـقْـوَلِـي   وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارَا[٤٣]
وَلِـي فِـيكَ مَـا لَـمْ يَـقُـلْ قَـائِـلٌ   وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فَـلَـوْ خُـلِـقَ الـنَّـاسُ مِـنْ دَهْـرِهِـمْ   لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارَا[٤٤]
أَشَـدُّهُـمُ فِـي الـنَّـدَى هِـزَّةً   وَأَبْـعَـدُهُـمْ فِـي عَـدُوٍّ مُـغَـارَا[٤٥]
سَمَا بِكَ هَمِّيَ فَوْقَ الْهُمُومِ   فَلَسْتُ أَعُدُّ يَسَارًا يَسَارَا[٤٦]
وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيـْ   ـيُ لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إِلَّا كِبَارَا[٤٧]

وقال يهنئه بعيد الفطر:

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعُصُرُ   مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ[٤٨]
تُرِي الْأَهِلَّةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ   فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ[٤٩]
مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أُنُفٌ   يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهَرُ[٥٠]
مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ   فَلَا انْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرُ[٥١]
فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرَارِهَا شَرَفٌ   وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ[٥٢]

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لزحام الناس، فعاتبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه.

فقال المتنبي ارتجالًا، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة:

ظُلْمٌ لِذَا الْيَوْمِ وَصْفٌ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ   لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ[٥٣]
تَزَاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا   إِلَى بِسَاطِكَ لِيْ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ   مُعَايِنًا وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ[٥٤]

الْـيَـوْمَ يَـرْفَـعُ مَـلْـكُ الـرُّومِ نَـاظِـرَهُ ... لِأَنَّ عَـفْـوَكَ عَـنْـهُ عِـنْـدَهُ ظَـفَـرُ[٥٥]
وَإِنْ أَجَـبْـتَ بِـشَـيْءٍ عَـنْ رَسَـائِـلِـهِ ... فَـمَـا يَـزَالُ عَـلَـى الْأَمْـلَاكِ يَـفْـتَـخِـرُ[٥٦]
قَـدِ اسْـتَـرَاحَـتْ إِلَـى وَقْـتٍ رِقَـابُـهُـمُ ... مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ[٥٧]
وَقَـد تُـبَـدِّلُـهَـا بِـالْـقَـوْمِ غَـيْـرَهُـمُ ... لِكَيْ تَجِمَّ رُءُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصَرُ[٥٨]
تَـشْـبِـيـهُ جُـودِكَ بِـالْأَمْـطَـارِ غَـادِيَـةً ... جُـودٌ لِـكَـفِّـكَ ثَـانٍ نَـالَـهُ الْـمَـطَـرُ[٥٩]
تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً ... كَمَـا تَـكَـسَّـبَ مِـنْـهَـا نُـورَهُ الْـقَـمَـرُ[٦٠]

وقال لما أوقع سيف الدولة ببني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين عاثوا في عمله وخالفوا عليه، ويذكر إجفالهم من بين يديه وظفره بهم، وله خبر طويل:

طِـوَالُ قَـنًـا تُـطَـاعِـنُـهَـا قِـصَـارُ ... وَقَطْرُكَ فِي نَدًى وَوَغًى بِحَارُ[٦١]
وَفِـيـكَ إِذَا جَـنَـى الْـجَـانِـي أَنَـاةٌ ... تُـظَـنُّ كَـرَامَـةً وَهِـيَ احْـتِـقَـارُ[٦٢]
وَأَخْـذٌ لِـلْـحَـوَاضِـرِ وَالْـبَـوَادِي ... بِـضَـبْـطٍ لَـمْ تُـعَـوَّدْهُ نِـزَارُ[٦٣]
تَشَمَّمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسًا ... وَتُـنْـكِـرُهُ فَـيَـعْـرُوهَـا نِـفَـارُ[٦٤]
وَمَا انْقَادَتْ لِغَيْرِكَ فِي زَمَانٍ ... فَتَدْرِي مَا الْمَقَادَةُ وَالصَّغَارُ[٦٥]
فَـقَـرَّحَـتِ الْـمَـقَـاوِدُ ذِفْـرَيَـيْـهَـا ... وَصَـعَّـرَ خَـدَّهَـا هَـذَا الْـعِـذَارُ[٦٦]
وَأَطْـمَـعَ عَـامِـرَ الْـبُـقْـيَـا عَـلَـيْـهَـا ... وَنَـزَّقَـهَـا احْـتِـمَـالُـكَ وَالْـوَقَـارُ[٦٧]
وَغَـيَّـرَهَـا الـتَّـرَاسُـلُ وَالـتَّـشَـاكِـي ... وَأَعْـجَـبَـهَـا الـتَّـلَـبُّـبُ وَالْـمُـغَـارُ[٦٨]
جِـيَـادٌ تَـعْـجِـزُ الْأَرْسَـانُ عَـنْـهَـا ... وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ[٦٩]
وَكَـانَـتْ بِـالـتَّـوَقُّـفِ عَـنْ رَدَاهَـا ... نُفُوسًا فِي رَدَاهَا تُسْتَشَارُ[٧٠]
وَكُـنْـتَ الـسَّـيْـفَ قَـائِـمُـهُ إِلَـيْـهِـمْ ... وَفِـي الْأَعْـدَاءِ حَـدُّكَ وَالْـغِـرَارُ
فَـأَمْـسَـتْ بِـالْـبَـدِيَّـةِ شَـفْـرَتَـاهُ ... وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ[٧١]
وَكَـانَ بَـنُـو كِـلَابٍ حَـيْـثُ كَـعْـبٌ ... فَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا[٧٢]
تَـلَـقَّـوْا عِـزَّ مَـوْلَاهُـمْ بِـذُلٍّ ... وَسَارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَارُوا[٧٣]
فَـأَقْـبَـلَـهَـا الْـمُـرُوجَ مُـسَـوَّمَـاتٍ ... ضَـوَامِـرَ لَا هِـزَالَ وَلَا شِـيَـارُ[٧٤]
تُثِيرُ عَلَى سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًّا ... تَـنَـاكَـرُ تَـحْـتَـهُ لَـوْلَا الـشِّـعَـارُ[٧٥]
عَـجَـاجًـا تَـعْـثُـرُ الْـعِـقْـبَـانُ فِـيـهِ ... كَـأَنَّ الْـجَـوَّ وَعْـثٌ أَوْ خَـبَـارُ[٧٦]
وَظَلَّ الطَّعْنُ فِي الْخَيْلَيْنِ خَلْسًا ... كَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارُ[٧٧]

فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إِلَى قِتَالٍ ... أَحَدُّ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ[٧٨]
مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ ... لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ[٧٩]
يَشُلُّهُمُ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ ... لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ[٨٠]
وَكُلِّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ ... عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ[٨١]
يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ ... وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وَجَارُ[٨٢]
إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضَّوْءَ عَنْهُمْ ... دَجَا لَيْلَانِ: لَيْلٌ وَالْغُبَارُ
وَإِنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ ... أَضَاءَ الْمَشْرَفِيَّةُ وَالنَّهَارُ[٨٣]
يُبَكِّي خَلْفَهُمْ دَثْرٌ بُكَاهُ ... رُغَاءٌ أَوْ ثُؤَاجٌ أَوْ يُعَارُ[٨٤]
غَطَا بِالْعِثْيَرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى ... تَحَيَّرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ[٨٥]
وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا ... كِلَا الْجَيْشَيْنِ مِنْ نَقْعٍ إِزَارُ[٨٦]
وَجَاءُوا الصَّحْصَحَانِ بِلَا سُرُوجٍ ... وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْخِمَارُ[٨٧]
وَأُرْهِقَتِ الْعَذَارَى مُرْدَفَاتٍ ... وَأُوْطِئَتِ الْأُصَيْبِيَةُ الصِّغَارُ[٨٨]
وَقَدْ نُزِحَ الْغُوَيْرُ فَلَا غُوَيْرٌ ... وَنِهْيَا وَالْبُيَيْضَةُ وَالْجِفَارُ[٨٩]
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ ... وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمُ دَمَارُ[٩٠]
أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا ... فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يُدَارُ[٩١]
وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ ... وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ[٩٢]
يَحُفُّ أَغَرَّ لَا قَوَدٌ عَلَيْهِ ... وَلَا دِيَةٌ تُسَاقُ وَلَا اعْتِذَارُ[٩٣]
تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الْأَعَادِي ... وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ[٩٤]
فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ ... عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ[٩٥]
إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ ... بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ[٩٦]
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّامًا وَخَلْفًا ... فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ اضْطِرَارُ[٩٧]
إِذَا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ ... فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ[٩٨]
وَلَوْ لَمْ تُبْقِ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا ... وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ[٩٩]
إِذَا لَمْ يُرْعِ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ ... فَمَنْ يُرْعِي عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ[١٠٠]
تُفَرِّقُهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا ... وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النِّجَارُ[١٠١]
وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرَكٍ وَعُرْضٍ ... وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ[١٠٢]
وَأُجْفِلَ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ ... وَزَأْرُهُمُ الَّذِي زَأَرُوا خُوَارُ[١٠٣]

فَهُمْ حِزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى   بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمِ خُمَارُ[١٠٤]
فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ   وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارُ[١٠٥]
حِذَارَ فَتًى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ   فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ[١٠٦]
تَبِيتُ وُفُودُهُمْ تَسْرِي إِلَيْهِ   وَجَدْوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارُ[١٠٧]
فَخَلَّفَهُمْ بِرَدِّ الْبِيضِ عَنْهُمْ   وَهَامُهُمُ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ[١٠٨]
وَهُمْ مِمَّنْ أَذَمَّ لَهُمْ عَلَيْهِ   كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسَبُ النُّضَارُ[١٠٩]
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقِرًّا   وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ[١١٠]
وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ   تُدَارُ عَلَى الْغِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ[١١١]
تَخِرُّ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ   وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ[١١٢]
كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ   فَفِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ انْكِسَارُ[١١٣]
فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ   وَخَيْلُ اللهِ وَالْأَسَلُ الْحِرَارُ[١١٤]
يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ   بِأَرْضٍ مَا لِنَازِلِهَا اسْتِتَارُ
يُوَسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ   طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الِانْتِظَارُ[١١٥]
تَصَاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ   وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ[١١٦]
بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهِمْ   يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إِلَّا السِّوَارُ
بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ   وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ افْتِخَارُ[١١٧]
لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فِي نِزَارٍ   وَأَدْنَى الشِّرْكِ فِي أَصْلٍ جِوَارُ[١١٨]
لَعَلَّ بَنِيهِمِ لِبَنِيكَ جُنْدٌ   فَأَوَّلُ قُرَّحِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ[١١٩]
وَأَنْتَ أَبَرُّ مَنْ لَوْ عُقَّ أَفْنَى   وَأَعْفَى مَنْ عُقُوبَتُهُ الْبَوَارُ[١٢٠]
وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارٌ   وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ[١٢١]
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ   وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ[١٢٢]

وقال ارتجالًا يهجو سوارًا الديلمي وقد نزلوا منزلًا أصابهم فيه مطر وريح:

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ   وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرْبِ عُقَارِ[١٢٣]
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَاحِ بِمَسْجِدٍ   عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبَا حَصًى وَغُبَارِ[١٢٤]
خَلِيلَيَّ مَا هَذَا مُنَاخًا لِمِثْلِنَا   فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلَا بِنَهَارِ[١٢٥]
وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا   قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ[١٢٦]

وقال في صباه وهو بيت مفرد، وروى قوم أنهما بيتان وهما:

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتُرُ الْفَقْرَ قَاعِدًا … فَقُمْ وَاطْلُبِ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتُرُ الْعُمْرَا[١٢٧]
هُمَا خَلَّتَانِ ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ … لَعَلَّكَ أَنْ تُبْقِي بِوَاحِدَةٍ ذِكْرَا[١٢٨]

وقال في صباه في جعفر بن كيغلغ ولم ينشده إياها:

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ … وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ[١٢٩]
وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ … وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ[١٣٠]
لَوْلَا ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شُغِفْتُ بِهِمْ … وَلَا بِرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَآذِرُهُ[١٣١]
مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أَنْيَابِهِ شَنَبٌ … خَمْرٌ يُخَامِرُهَا مِسْكٌ تُخَامِرُهُ[١٣٢]
نُعْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاظِرُهُ … حُمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ غَدَائِرُهُ[١٣٣]
أَعَارَنِي سُقْمَ عَيْنَيْهِ وحَمَّلَنِي … مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرُهُ[١٣٤]
يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي فَعَذَّبَنِي … وَمَنْ فُؤَادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ[١٣٥]
بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ ثَانِيَةً … سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلَ سَاهِرُهُ[١٣٦]
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ … كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ[١٣٧]
غَابَ الْأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ … كَادَتْ لِفَقْدِ اسْمِهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ[١٣٨]
قَدِ اشْتَكَتْ وَحْشَةَ الْأَحْيَاءِ أَرْبُعُهُ … وَخَبَّرَتْ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ[١٣٩]
حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِبَابُ لَهُ … أَهَلَّ لِلَّهِ بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ[١٤٠]
وَجَدَّدَتْ فَرَحًا لَا الْغَمُّ يَطْرُدُهُ … وَلَا الصَّبَابَةُ فِي قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ[١٤١]
إِذَا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصٌ، لَا خَلَتْ أَبَدًا … فَلَا سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ[١٤٢]
دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ … وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ الْخَلْقِ بَاهِرُهُ[١٤٣]
فِي فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ … صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ[١٤٤]
تَمْضِي الْمَوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ … مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ[١٤٥]
قَدْ حِرْنَ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ … فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظَافِرُهُ[١٤٦]
حُلْوٍ خَلَائِقُهُ شُوسٍ حَقَائِقُهُ … تُحْصَى الْحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ[١٤٧]
تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَو رَحُبَتْ … كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ[١٤٨]
إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ … مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ[١٤٩]

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ ... كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ[١٥٠]
إِذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَدًا ... إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ[١٥١]
فَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ ... وَقَدْ وَثِقْنَ بِأَنَّ اللهَ نَاصِرُهُ[١٥٢]
تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَعْلَبَةٍ ... عَلَى رُءُوسٍ بِلَا نَاسٍ مَغَافِرُهُ[١٥٣]
فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمُ ... وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ زَاخِرُهُ[١٥٤]
حَتَّى انْتَهَى الْفَرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَعَتْ ... فِي الْأَرْضِ مِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ[١٥٥]
كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ ... وَمُهْجَةٍ وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ[١٥٦]
وَحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ ... فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ[١٥٧]
مَنْ قَالَ: لَسْتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَاذِرُهُ
أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فِي زَمَانِهِمِ ... بِلَا نَظِيرٍ فَفِي رُوحِي أُخَاطِرُهُ[١٥٨]
يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ[١٥٩]
وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ ... جُودًا وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ[١٦٠]

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري المنبجي:

أَرِيقُكِ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ؟[١٦١]
أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذَا الدِّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ؟ ... وَذَيَّا الَّذِي قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَغْرُ؟[١٦٢]
رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي ... فَقُلْنَ: نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ[١٦٣]
رَأَيْنَ الَّتِي لِلسِّحْرِ فِي لَحَظَاتِهَا ... سُيُوفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرُ[١٦٤]
تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرَكَاتِهَا ... فَلَيْسَ لِرَاءٍ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرُ[١٦٥]
إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ ... بِيَ الْبِيدَ عِيسٌ لَحْمُهَا وَالدَّمُ الشِّعْرُ[١٦٦]
نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا ... فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرُ[١٦٧]
إِلَى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفُهُ ... وَبَحْرِ نَدًى فِي مَوْجِهِ يَغْرَقُ الْبَحْرُ[١٦٨]
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودُهُ مِنْ تَلِيدِهِ ... شَبِيهًا بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْهَجْرُ[١٦٩]
فَتًى كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ ... رِمَاحُ الْمَعَالِي لَا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ[١٧٠]
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ ... فَنَائِلُهَا قَطْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرُ[١٧١]
وَلَوْ تَنْزِلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ ... لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ[١٧٢]

أَرَاهُ صَـغِـيـرًا قَـدْرَهَـا عُـظْـمُ قَـدْرِهِ   فَـمَـا لِـعَـظِـيـمٍ قَـدْرُهُ عِـنْـدَهُ قَـدْرُ١٧٣
مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ   تَخِرَّ لَهُ الشِّعْرَى وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ١٧٤
تَـرَ الْـقَـمَـرَ الْأَرْضِـيَّ وَالْـمَـلِـكَ الَّـذِي   لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ١٧٥
كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ   يُـؤَرِّقُـهُ فِـيـمَـا يُـشَـرِّفُـهُ الْـفِـكْـرُ١٧٦
لَـهُ مِـنَـنٌ تُـفْـنِـي الـثَّـنَـاءَ كَـأَنَّـمَـا   بِهِ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ١٧٧
أَبَـا أَحْـمَـدٍ مَـا الْـفَـخْـرُ إِلَّا لِأَهْـلِـهِ   وَمَا لِامْرِئٍ لَمْ يُمْسِ مِنْ بُحْتُرٍ فَخْرُ١٧٨
هُـمُ الـنَّـاسُ إِلَّا أَنَّـهُـمْ مِـنْ مَـكَـارِمٍ   يُغَنِّي بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرُ١٧٩
بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقِيسُهُ   إِلَـيْـكَ وَأَهْـلُ الـدَّهْـرِ دُونَـكَ وَالـدَّهْـرُ١٨٠

وقال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

إِنِّـي لَأَعْـلَـمُ وَالـلَّـبِـيـبُ خَـبِـيـرُ   أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ١٨١
وَرَأَيْتُ كُلًّا مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ   بِتَعِلَّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ١٨٢
أَمُـجَـاوِرَ الـدِّيـمَـاسِ رَهْـنَ قَـرَارَةٍ   فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ١٨٣
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى   أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ١٨٤
مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى   رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ١٨٥
خَـرَجُـوا بِـهِ وَلِـكُـلِّ بَـاكٍ خَـلْـفَـهُ   صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ١٨٦
وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ   وَالْأَرْضُ وَاجِـفَـةٌ تَـكَـادُ تَـمُـورُ١٨٧
وَحَفِيفُ أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكِ حَوْلَهُ   وَعُـيُـونُ أَهْـلِ الـلَّاذِقِـيَّـةِ صُـورُ١٨٨
حَـتَّـى أَتَـوْا جَـدَثًـا كَـأَنَّ ضَـرِيـحَـهُ   فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ١٨٩
بِـمُـزَوَّدٍ كَـفَـنَ الْـبِـلَـى مِـنْ مُـلْـكِـهِ   مُغْفٍ وَإِثْمِدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ١٩٠
فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالتُّقَى   وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجَا وَالْخِيرُ١٩١
كَـفَـلَ الـثَّـنَـاءُ لَـهُ بِـرَدِّ حَـيَـاتِـهِ   لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ١٩٢
وَكَـأَنَّـمَـا عِـيـسَـى ابْـنُ مَـرْيَـمَ ذِكْـرُهُ   وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ١٩٣

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالًا:

غَـاضَـتْ أَنَـامِـلُـهُ وَهُـنَّ بُـحُـورُ   وَخَبَتْ مَكَايِدُهُ وَهُنَّ سَعِيرُ١٩٤

يُبْكَى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ ... فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ[١٩٥]
صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّمًا ... إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ[١٩٦]
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ ... وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ[١٩٧]
أَيَّامَ قَائِمُ سَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْـ ... ـيُمْنَى وَبَاعُ الْمَوْتِ عَنْهُ قَصِيرُ[١٩٨]
وَلَطَالَمَا انْهَمَلَتْ بِمَاءٍ أَحْمَرٍ ... فِي شَفْرَتَيْهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورُ[١٩٩]
فَأُعِيذُ إِخْوَتَهُ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ ... أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورُ[٢٠٠]
أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْرَةٍ ... حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ[٢٠١]
نَفَرٌ إِذَا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ ... عَنْهَا فَآجَالُ الْعِبَادِ حُضُورُ[٢٠٢]
وَإِذَا لَقُوا جَيْشًا تَيَقَّنَ أَنَّهُ ... مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوفَةٍ مَحْشُورُ[٢٠٣]
لَمْ تُثْنَ فِي طَلَبٍ أَعِنَّةُ خَيْلِهِمْ ... إِلَّا وَعُمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورُ[٢٠٤]
يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةٍ ... إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ[٢٠٥]
وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَا وَأَوَّلِ نَظْرَةٍ ... إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ[٢٠٦]

وسأله بنو عم الميت أن ينفي الشماتة عنهم، فقال ارتجالًا:

أَلِآلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ[٢٠٧]
مَا شَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ ... أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمُ مَحْظُورُ[٢٠٨]
تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي ... سَاعَاتُ لَيْلِهِمِ وَهُنَّ دُهُورُ[٢٠٩]
أَبْنَاءُ عَمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لِامْرِئٍ ... إِلَّا السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ[٢١٠]
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ ... وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ[٢١١]
وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً ... جُودِي بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرُ[٢١٢]
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا ... يَجْرِي بِفَصْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ[٢١٣]

وقال ارتجالًا في أبي الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب:

مَرَتْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ ... وَهُنِّئْتَهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ[٢١٤]
رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فِي الزُّجَاجِ بِكَفِّهِ ... فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي الْبَدْرِ فِي الْبَحْرِ[٢١٥]
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا ... نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ[٢١٦]

وقال ارتجالًا وقد دخل على بدر بن عمار يومًا فوجده خاليًا، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب:

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِخِلْوَةٍ ... هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ ... لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ[٢١٧]
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ ... وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ[٢١٨]

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام، فقال هذين البيتين وهو لا يدري:

نَالَ الَّذِي نِلْتُ مِنْهُ مِنِّي ... لِلهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ![٢١٩]
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى مَحَلِّي ... أَآذِنٌ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

وقال يصف لعبة في صورة جارية؛ وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروس، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره؛ لأنه لم يكن شيء يجري في المجلس إلا ارتجل فيه شعرًا، فقال الأعور لبدر: أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويعدُّه، فقال بدر: مثل هذا لا يجوز، وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت؛ فلما كمل المجلس ودارت الكئوس أخرج لعبة لها شعر في طولها، تدور على لولب، وإحدى رجليها مرفوعة، وفي يدها طاقة ريحان؛ فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت؛ فقال ارتجالًا:

وَجَارِيَةٍ شَعْرُهَا شَطْرُهَا ... مُحَكَّمَةٍ نَافِذٍ أَمْرُهَا[٢٢٠]
تَدُورُ وَفِي كَفِّهَا طَاقَةٌ ... تَضَمَّنَهَا مُكْرَهًا شِبْرُهَا[٢٢١]
فَإِنْ أَسْكَرَتْنَا فَفِي جَهْلِهَا ... بِمَا فَعَلَتْهُ بِنَا عُذْرُهَا[٢٢٢]

وقال في بدر أيضًا وقد وقفت هذه الجارية حذاءه:

إِنَّ الْأَمِيرَ أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ ... لَفَاخِرٌ كُسِيَتْ فَخْرًا بِهِ مُضَرُ[٢٢٣]
فِي الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ ... مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنٌّ وَلَا بَشَرُ[٢٢٤]
قَامَتْ عَلَى فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ ... وَلَيْسَ تَعْقِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ[٢٢٥]

وقال لبدر: ما حملك على إحضار اللعبة؟ فقال: أردت أن أنفي الظنة عن أدبك، فقال:

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْفِي الظَّنَّ عَنْ أَدَبِي   وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْعَصْرِ مِقْدَارَا[٢٢٦]
إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ   يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارَا[٢٢٧]

فقال بدر: بل للدينار قنطارًا، فقال:

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ   وَبِأَنْ تُعَادَى يَنْفَدُ الْعُمْرُ[٢٢٨]
فَخَرَ الزُّجَاجُ بِأَنْ شَرِبْتَ بِهِ   وَزَرَتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الْخَمْرُ[٢٢٩]
وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهْيَ تُسْكِرُنَا   حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ[٢٣٠]
مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرُمَةٍ   إِلَّا الْإِلَهُ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال:

لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ   فَإِنَّنِي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارِ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ   يَوْمَ الْوَغَى غَيْرَ قَالٍ خَشْيَةَ الْعَارِ[٢٣١]
وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أُحَارِبُهُمْ   فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي[٢٣٢]

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور بن كروس:

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورِ   سَكَنَّ جَوَانِحِي بَدَلَ الْخُدُورِ[٢٣٣]
وَمُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عَصْرٍ   عَنِ الْأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ[٢٣٤]
رَكِبْتُ مُشَمِّرًا قَدَمِي إِلَيْهَا   وَكُلَّ عُذَافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ[٢٣٥]
أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي   وَآوِنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ[٢٣٦]
أُعَرِّضُ لِلرِّمَاحِ الصُّمِّ نَحْرِي   وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ[٢٣٧]
وَأَسْرِي فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي   كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ[٢٣٨]
فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا   عَلَى شَغَفِي بِهَا شَرْوَى نَقِيرِ[٢٣٩]
وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى خَسِيسٍ   وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَى نَظِيرِ[٢٤٠]

وَكَـفٍّ لَا تُـنَـازِعُ مَـنْ أَتَـانِـي   يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخِيرِي[٢٤١]
وَقِـلَّـةِ نَـاصِـرٍ جُـوزِيـتَ عَـنِّـي   بِشَـرٍّ مِـنْـكَ يَـا شَـرَّ الدُّهُـورِ[٢٤٢]
عَدُوِّي كُلُّ شَـيْءٍ فِـيكَ حَـتَّـى   لَخِلْتُ الْأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدُورِ[٢٤٣]
فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ   لَجُدْتُ بِهِ لِذِي الْجَدِّ الْعَـثُورِ
وَلَـكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي   وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ بِلَا سُرُورِ[٢٤٤]
فَيَا ابْنَ كَرَوَّسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى   وَإِنْ تَفْخَرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ[٢٤٥]
تُـعَـادِيـنَـا لِأَنَّـا غَـيْـرُ لُـكْـنٍ   وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ[٢٤٦]
فَلَوْ كُنْتَ امْرَأً يُهْجَى هَجَوْنَا   وَلَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ[٢٤٧]

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طغج:

وَوَقْتٍ وَفَى بِالدَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ   وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرَا[٢٤٨]
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ   وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرَا
غَدَا النَّاسُ مِثْلَيْهِمْ بِهِ لَا عَدِمْتُهُ   وَأَصْبَحَ دَهْرِي فِي ذُرَاهُ دُهُورَا[٢٤٩]

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه:

أَنَـشْـرُ الْـكِـبَـاءِ وَوَجْـهُ الْأَمِـيـرِ   وَصَوْتُ الْغِنَاءِ وَصَافِي الْخُمُورِ[٢٥٠]
فَـدَاوِ خُـمَـارِي بِـشُـرْبِـي لَـهَـا   فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ السُّرُورِ[٢٥١]

وقال أبو محمد يومًا: إن أباه استخفى مرة، فعرفه رجل يهودي، فقال:

لَا تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى   أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا
إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى حَاسِبِهَا   ظُلْمَةً مِنْ بَعْدِ مَا يُبْصِرُهَا[٢٥٢]

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر، فأعاده؛ فعجبوا من حفظه إياه، فقال:

إِنَّمَا أَحْفَظُ الْمَدِيحَ بِعَيْنِي   لَا بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا   نَظَمَتْ لِي غَرَائِبَ الْمَنْثُورِ[٢٥٣]

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال:

تَرْكُ مَدْحِيكَ كَالْهِجَاءِ لِنَفْسِي ... وَقَلِيلٌ لَكَ الْمَدِيحُ الْكَثِيرُ[٢٥٤]
غَيْرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضَبَ الشِّعْـ ... ـرِ لِأَمْرٍ مِثْلِي بِهِ مَعْذُورُ[٢٥٥]
وَسَجَايَاكَ مَادِحَاتُكَ لَا لَفْـ ... ـظِي وَجُودٌ عَلَى كَلَامِي يُغِيرُ[٢٥٦]
فَسَقَى اللهُ مَنْ أُحِبُّ بِكَفَّيْـ ... ـكَ وَأَسْقَاكَ أَيُّهَذَا الْأَمِيرُ[٢٥٧]

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة، فرأى بعض غلمانه ثورًا، فقال: هذه منارة الجامع، ورأى آخر نعامة في البرية، فقال: هذه نخلة؛ فضحك أبو الطيب وقال:

بُسَيْطَةُ مَهْلًا سُقِيتِ الْقِطَارَا ... تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى[٢٥٨]
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ ... وَظَنُّوا الصِّوَارَ عَلَيْكِ الْمَنَارَا[٢٥٩]
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ ... وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا[٢٦٠]

وقال يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي:

أُطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ ... وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي الصَّبْرُ[٢٦١]
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي ... وَمَا ثَبَتَتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ[٢٦٢]
تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا ... تَقُولُ: أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ؟[٢٦٣]
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَتِيِّ كَأَنَّ لِي ... سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ[٢٦٤]
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ... فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ[٢٦٥]
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِقًّا وَقِينَةً ... فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ[٢٦٦]
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى ... لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ[٢٦٧]
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا ... تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ[٢٦٨]
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ ... عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ[٢٦٩]
وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ[٢٧٠]
عَلَيَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ ... عَلَيْهَا غُلَامٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ[٢٧١]
يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمِ ... كُئُوسَ الْمَنَايَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْخَمْرُ[٢٧٢]

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي الْـ ... ـجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ![٢٧٣]
وَخَرْقٍ مَكَانُ الْعِيسِ مِنْهُ مَكَانُنَا ... مِنَ الْعِيسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ[٢٧٤]
يَخِدْنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّنَا ... عَلَى كُرَةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنَا سَفْرُ[٢٧٥]
وَيَوْمٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ[٢٧٦]
وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ[٢٧٧]
وَغَيْثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامِرًا ... عَلَا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرُ[٢٧٨]
أَوِ ابْنَ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ ... يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجُزْ وَيَدِي صِفْرُ[٢٧٩]
وَإِنَّ سَحَابًا جَوْدُهُ مِثْلُ جُودِهِ ... سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرُ[٢٨٠]
فَتًى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَّاتِ قَلْبِهِ ... وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرُ[٢٨١]
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ ... وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكُفُّ الْقَنَا السُّمْرُ[٢٨٢]
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ ... كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ[٢٨٣]
فَجَاءَا بِهِ صَلْتَ الْجَبِينِ مُعَظَّمًا ... تَرَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمُ كُثْرُ[٢٨٤]
مُفَدًّى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْذَعًا ... هُوَ الْكَرَمُ الْمَدُّ الَّذِي مَا لَهُ جَزْرُ[٢٨٥]
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ ... يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ[٢٨٦]
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ ... فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ[٢٨٧]
إِلَيْكَ طَعَنَّا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ ... بِكُلِّ وَآةٍ كُلُّ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ[٢٨٨]
إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لَهَا ... كَأَنَّ نَوَالًا صَرَّ فِي جِلْدِهَا النِّبْرُ[٢٨٩]
فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى ... وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ[٢٩٠]
كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ ... وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعِشْرُ[٢٩١]
دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَا ... وَهَذا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ[٢٩٢]
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بُيُوتُهُ ... إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِهَا الْحِبْرُ[٢٩٣]
كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوَ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ[٢٩٤]
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتُهَا ... وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ[٢٩٥]
وَإِنِّي رَأَيْتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... وَأَهْوَنَ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ[٢٩٦]
لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُؤَادُ وَهِمَّتِي ... أَوَدُّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ[٢٩٧]
وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ ... وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ[٢٩٨]
وَمَا ذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا ... وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوَكَ الْبِشْرُ[٢٩٩]

وَإِنِّي – وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ – لَعَالِمٌ　　بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ[٣٠٠]
أَزَالَـتْ بِـكَ الْأَيَّـامُ عَـتْـبِـي كَـأَنَّـمَـا　　بَنُوهَـا لَـهَا ذَنْـبٌ وَأَنْـتَ لَـهَا عُذْرُ[٣٠١]

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد:[٣٠٢]

بَـادٍ هَـوَاكَ صَـبَـرْتَ أَمْ لَـمْ تَـصْـبِـرَا　　وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى[٣٠٣]
كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا　　لَمَّا رَآكَ وَفِي الْحَشَا مَا لَا يُرَى[٣٠٤]
أَمَـرَ الْـفُـؤَادُ لِـسَـانَـهُ وَجُـفُـونَـهُ　　فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا[٣٠٥]
تَعِسَ الْمَهَارِي غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا　　بِمُصَوَّرٍ لَبِسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرَا[٣٠٦]
نَـافَـسْتُ فِـيـهِ صُـورَةً فِـي سِـتْـرِهِ　　لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَا[٣٠٧]
لَا تَـتْـرَبِ الْأَيْـدِي الْـمُـقِـيـمَـةُ فَـوْقَـهُ　　كِسْرَى مُقَامَ الْحَاجِبِينَ وَقَيْصَرَا[٣٠٨]
يَـقِـيَـانِ فِـي أَحَـدِ الْـهَـوَادِجِ مُـقْـلَـةً　　رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فُؤَادِي مَحْجِرَا[٣٠٩]
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ　　لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا[٣١٠]
وَلَـو اسْـتَـطَـعْـتُ إِذِ اغْـتَـدَتْ رُوَّادُهُـمْ　　لَمَنَعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا[٣١١]
فَـإِذَا الـسَّـحَـابُ أَخُـو غُـرَابِ فِـرَاقِـهِـمْ　　جَعَلَ الصِّيَاحَ بِبَيْنِهِمْ أَنْ يُمْطِرَا[٣١٢]
وَإِذَا الْـحَـمَـائِـلُ مَـا يَـخِـدْنَ بِـنَـفْـنَـفٍ　　إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا[٣١٣]
يَـحْـمِـلْـنَ مِـثْـلَ الـرَّوْضِ إِلَّا أَنَّـهَـا　　أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وَجُؤْذُرَا[٣١٤]
فَـبِـلَـحْـظِـهَـا نَـكِـرَتْ قَـنَـاتِـي رَاحَـتِـي　　ضَعْفًا وَأَنْكَرَ خَاتِمَايَ الْخِنْصِرَا[٣١٥]
أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ　　وَأَرَادَ لِـي فَـأَرَدْتُ أَنْ أَتَـخَـيَّـرَا[٣١٦]
أَرَجَـانَ أَيَّـتُـهَـا الْـجِـيَـادُ فَـإِنَّـهُ　　عَزْمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيجَ مُكَسَّرَا[٣١٧]
لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعَالَهُ　　مَا شَقَّ كَوْكَبُكِ الْعَجَاجَ الْأَكْدَرَا[٣١٨]
أُمِّـي أَبَـا الْـفَـضْـلِ الْـمُـبِـرَّ أَلِـيَّـتِـي　　لَأُيَـمِّـمَـنَّ أَجَـلَّ بَـحْـرٍ جَـوْهَـرَا[٣١٩]
أَفْـتَـى بِـرُؤْيَـتِـهِ الْأَنَـامُ وَحَـاشَ لِـي　　مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّرًا أَوْ مُقْصِرَا[٣٢٠]
صُـغْـتُ الـسِّـوَارَ لِأَيِّ كَـفٍّ بَـشَّـرَتْ　　بِـابْـنِ الْـعَـمِـيـدِ وَأَيِّ عَـبْـدٍ كَـبَّـرَا[٣٢١]
إِنْ لَـمْ تُـغِـثْـنِـي خَـيْـلُـهُ وَسِـلَاحُـهُ　　فَمَتَى أَقُودُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرَا؟[٣٢٢]
بِـأَبِـي وَأُمِّـي نَـاطِـقٌ فِـي لَـفْـظِـهِ　　ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى[٣٢٣]
مَنْ لَا تُرِيهِ الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلًا　　فِـيـهَـا وَلَا خَـلْـقٌ يَـرَاهُ مُـدْبِـرَا[٣٢٤]
خَنْثَى الْفُحُولَ مِنَ الْكُمَاةِ بِصَبْغِهِ　　مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعَصْفَرَا[٣٢٥]

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرَا٣٢٦
وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ تِيهُ الْمُدِلِّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا٣٢٧
يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كِتَابُهُ قَبْلَ الْجُيُوشِ ثَنَى الْجُيُوشَ تَحَيُّرَا٣٢٨
أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا ارْتَكَبْتَ طَرِيقَةً وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا؟٣٢٩
قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا٣٣٠
فَهُوَ الْمُشَيَّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا٣٣١
وَإِذَا سَكَتَّ فَإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الْأَصَابِعَ مِنْبَرَا٣٣٢
وَرَسَائِلٌ قَطَعَ الْعُدَاةُ سِحَاءَهَا فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوَّرَا٣٣٣
فَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصَرَا٣٣٤
أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا سُرُحًا وَخُفًّا مُجْمَرَا٣٣٥
تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا٣٣٦
وَتَكَرَّمَتْ رُكَبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكًا أَذْفَرَا٣٣٧
فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الْأَظَلِّ كَأَنَّمَا حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقَ الْأَحْمَرَا٣٣٨
بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا وَجَدَتْهُ مَشْغُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكِّرَا٣٣٩
مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا شَاهَدْتُ رَسْطَالِيسَ وَالْإِسْكَنْدَرَا٣٤٠
وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى٣٤١
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرَا٣٤٢
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الْإِلَهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا٣٤٣
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا٣٤٤
يَا لَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا نَظَرَتْ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرَا٣٤٥
وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً الشَّمْسَ تُشْرِقُ وَالسَّحَابَ كَنَهْوَرَا٣٤٦
أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا وَأَسَرُّ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتْجَرَا٣٤٧
زُحَلٌ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرَا٣٤٨

هوامش

(١) النوار: كالنور، واحدته نوارة؛ وهو الزهر. وقيل: النوار والنور: الأبيض، والزهر: الأصفر؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر. والمقدار: قدر الله. يدعو له، يقول: سر واذهب لطيتك حل النوار حيث تحل: أي سقى الله المواضع التي تحلها حتى ينبت فيها الزهر، فجعل نبات الزهر كناية عن السقي. ثم قال: ووافقك المقدار على ما تريده من المطالب فأعانك على بلوغه. وقال الواحدي: ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذي تنزله، فحيثما نزلت نزل النوار والقضاء موافق لما تريد.

(٢) الديمة: المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ من العدة، قال لبيد:

أَتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ   يُرْوِي الْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا

(من معلقة لبيد. يقول: باتت البقرة بعد فقدها ولدها في مطر دائم الهطلان.)

والمدرار: الدائم الدر: أي السيلان. يقول: شيعتك السلامة؛ أي: صحبتك حيث كنت، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب.

(٣) يقول: وأراك الدهر ما تريده في أعدائك من الظفر بهم، حتى كأن حوادثه ونوبه أعوان لك على ما تريد.

(٤) الإصدار: الانثناء عن الماء. والورود: ورود الماء. يقول: وردك الله علينا وأنت أغنم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفتهم مشرئبة شوقًا إلى رؤيتك، وهذه الأبيات كلها دعاء له.

(٥) بجح: فرح؛ قال الجوهري: بجِح بالشيء وبجَح به أيضًا — بالفتح — لغة ضعيفة فيه، وأبجحه الأمر وبجحه: أفرحه. وفلان يتبجح: أي يفتخر ويباهي بشيء ما، وقيل: يتعظم وقد بجح يبجح، قال الراعي:

وَمَا الْفَقْرُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ سَاقَنَا   إِلَـيْـكَ وَلَـكِـنَّـا بِـقُـرْبَـاكَ نَـبْـجَـحُ

والسمر: حديث الليل. يقول: يبتهج الزمان مفتخرًا إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بالحديث عنك.

(٦) يقول: إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالًا.

(٧) الدر: اللبن. والأغبار: جمع غبر بضم الغين؛ بقية اللبن في الضرع. يقول: إن عطاياه تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير.

(٨) لله قلبك: تعجب، كقولهم: لله درك. يقول: إن قلبك الإلهي لا يتوقى الهلاك، ولكنه يتوقى أن يدانيك شيء فيه عار. وقوله: ما يخاف ويخاف، يرويان: ما تخاف وتخاف على الخطاب.

(٩) تحيد: تعدل. والطبع: الدنس. والخلائق: الأخلاق. والجحفل الجيش الكثير. والجرار: الثقيل السير الذي لا يقدر على السير إلا رويدًا لكثرته. وقال العكبري: قيل: هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرته وشدة وطئه الأرض يجني عليها بإثارة التراب ويجني على السماء بارتفاع الغبار إليها. وقيل: سمي جرارًا؛ لأنه يجر ذيله في التراب فيرى له أثر عظيم. يقول: تتنكب كل شيء يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتنكبك الجيش الكثير اتقاء بأسك، فأنت هارب من وجه، مهروب عنه من وجه. وهذا ينظر إلى قول البحتري:

وَأَجْبَنَ عَنْ تَعْرِيضِ عِرْضٍ لِجَاهِلٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالْإِقْدَامِ أَطْعَنَ فِي الصَّفِّ

(١٠) يقول: إن جاره الذليل يعز على الأعزة، فلا يقدرون أن ينالوه بسوء، والمتكبر العاتي العظيم يصير ذليلًا لديه إذا غضب.

(١١) تحول: تعترض وتمنع. والتنوفة: الفلاة المترامية الأطراف، ويشط: يبعد. يقول: كن حيث شئت من الأرض فما يمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك، وفي هذا نظر إلى قول القائل:

قَرِيبٌ عَلَى الْمُشْتَاقِ أَوْ ذِي صَبَابَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْكَسْلَانِ فَهْوَ بَعِيدُ

(١٢) المستار: مفتعل من السير، قال الراجز:

أَشْكُو إِلَى اللهِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارْ ثُمَّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بُعْدَ الْمُسْتَارْ

وقوله: وبدون؛ أي بأقل، وأنضى راحلته: هزلها بطول السير. والمطي: جمع مطية؛ وهي الركوبة، أو اسم جمع لها. يقول: بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة، فكيف ومودتي إليك كثيرة متوافرة؟ يعني أن المحب مهما بعد عنك محبوبه فهو زائره، إذ البعيد عنده قريب.

(١٣) على: بمعنى مع. وإليه: متعلقه بقلقي على تضمينه معنى الشوق ونزاع النفس. والخيار: بمعنى الاختيار. يقول: إن من خلفته ورائي من أهلي ضائع بخروجي من عنده، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقي واشتياقي إليهم، ولا اختيار لي في إيثارك عليهم، فأنا مضطر إلى ذلك؛ لأنك قيدتني بإحسانك.

(١٤) يقول: إذا صحبتك طاب لي كل ماء ووافقتني كل أرض حتى كأنها داري لولا من خلفت من العيال.

(١٥) يقول: إن إذنك لي بالعود إلى عيالي عطية منك أشكرها لك في شعري. وهذا كقول المهلبي:

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غُنْمًا كَثِيرَا

(١٦) قوله: دهماء تين؛ أي الدهماء من هاتين، كما تقول: اخترت فاضل هذين؛ أي الفاضل منهما. فتين: بمعنى هاتين، وتا: بمعنى هذه، وتثنيتها: تان. وقوله: يا مطر: أي يا شبيه المطر في الجود. وقوله: ومن له: أي ويا من له الاختيار في الفضائل فيختار منها ما يستحسن. فالخِيَر: جمع خيرة؛ اسم من الاختيار. والخير، قال الواحدي: يروى: الخبر، يريد الاشتهار في الفضائل.

(١٧) يقال: فال رأيه يفيل فيلولة: أخطأ وضعف. فقوله: فالت العيون؛ أي أخطأت. يقول: إني اخترت الدهماء، ولكن ربما كنت مخطئًا في الاختيار؛ فإن النظر قد يصدق في العيون فتصيب، وقد يكذب فتخطئ.

(١٨) يقول: ليس فيك من عيب، ولا تعاب إلا بكونك بشرًا؛ أي أنت أجل قدرًا من أن تكون بشرًا آدميًّا، لأن ما فيك من الفضائل لا يكون في بشر. والملأ: جماعة القوم.

(١٩) إعطاءه: مصدر، وضع موضع العطاء الذي هو الاسم. والعكر: جمع عكرة؛ القطيع الضخم من الإبل. يقول: إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخائك وإسرافك في هذا السخاء. يعني أنهم لا يعيبونك إلا بما لا عيب فيه، وهذا من قبيل قول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقول عبد الله بن قيس الرقيات:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وقال ابن جني: يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا، فإذا فعلت هذا فكأنك معيب به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة: إن كان التفسير على ما ذكره ابن جني فهو هجو، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال: ما وهبت يسير في جنب قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك؟! ولكن العكبري قال: الذي ذكره ابن جني صحيح، وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضي أكثر مما يعطي، كقوله أيضًا:

يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا

(٢٠) يقول: إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخلفهم عنه وتوافر فضائله، فإذا قيسوا به وضيفوا إليه قلوا دقة وحقارة، وإن كانوا كثيرين عددًا وكمية، وهذا معنى دقيق بديع. وقوله: كأنهم له؛ أي: لأجله.

(٢١) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء. ويحتمل أن يكون خبرًا. وقوله: ومخطئ من رميه القمر، فالرمي: المرمي. يقول: إنهم لا يصيبونك برميهم كما لا يصيب القمر من رماه؛ لأنه أرفع محلًّا من أن يبلغه سهم راميه وكذلك أنت.

(٢٢) والبيتان هما:

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِّيَ فِي سَتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْ لَمْ أَصُنْهُ لِبُقْيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

قوله: لبقيا عليك: أي لإرعاء عليك ورحمة؛ أي لو لم أصن سرك إرعاء عليك من إفشائه لصنته إرعاء على نفسي أنا، وخشية أن تفسد حالي معك إذا اطلع الناس على ما بيننا.

(٢٣) أوثر: أختار، والعائد محذوف: أي أوثره. وقوله: فما أظهر: استفهام إنكاري. يقول: إذا رضيتَ أمرًا فهو رضاي الذي أختاره، وسرنا واحد، فأي شيء أُظهر منه؟! أي: لا أظهر سرك؛ لأنه سري.

(٢٤) يقول: اطمئن من جهتي؛ لأني ذو مروءة، وذو المروءة لا يكون مذياعًا للأسرار، وأنا — مع ذلك — محب لك، والمحب لا يسيء إلى حبيبه بإفشاء سره. والمروءة: كرم الأخلاق وعلو الهمة. وكفاه الشيء: أغناه عن معاناته. وتتقي: تحذر، و«ما» في ما تتقي وما تحذر: اسم موصول بمعنى الذي، وهي فيها مفعول ثان للفعل قبلها.

(٢٥) أنشر: من النشور؛ وهي بعث الأموات يوم البعث. يقول: إن سركم في قلبي كالميت الذي لا يحيا بعد موته؛ أي إنه — لشدة إخفائه السر — أماته إماتة حتى لا بعث له بعدها. وهذا من قول الآخر:

إِنِّي لَأَسْتُرُ مَا ذُو اللُّبِّ سَاتِرُهُ ... مِنْ حَاجَةٍ وَأُمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا

وكقول قيس بن ذريح:

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ صُدُورُهُمْ ... إِذَا اسْتُودِعُوا الْأَسْرَارَ فَهْيَ قُبُورُهَا

(٢٦) يقول: كأن عيني لما نظرت إليكم أخفت عن قلبي ما رأت، فلم يعلم بذلك. فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذي أبصرت فلم يصل إليه؟ ويقال: كاتمته سري؛ أي كتمته عنه. وما تبصر مفعول ثان: لكاتمت، ولك أن تقول: إن بين قوله: عصت وكاتمت تنازعًا، على أن الفعلين واقعان على القلب، أو تقول: إن المراد بالأول مجرد إثبات العصيان للمقلة، فلا يكون له مفعول.

(٢٧) الحر: الكريم.

(٢٨) يقول: إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء؛ لأن الإفشاء فعل، والكتمان ترك الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر. والنطقة: المرة من النطق.

(٢٩) القنا: الرماح، يقول: إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده لا تغلبه نفسه على شيء لا يريده. وإنه يملك نفسه ويصبرها على مكاره الحرب إذا احمرت الرماح بالدماء، أفلا يملكها في كتمان السر؟

(٣٠) يقول: دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة. وأمرك: أي مر أمرك فهو مطاع، فأمرك: مفعول مطلق لمر. ودواليك: نصب على المصدر؛ أي دالت لك الدولة دولًا

بعد دول، وهو من المصادر التي استعملت مثناة، والغرض التوكيد، ومثله: لبيك وسعديك وحنانيك. ونصب دولة: على التمييز.

(٣١) اسم كان مضمر، تقديره: ولو كان دعاؤك إياي، أو لو كان ما نحن فيه من الحال. والقاتم: المظلم الذي علاه الغبار. يقول: ولو كان دعاؤك إياي يوم حرب لأجبتك مسرعًا بسيفي وبفرسي الأشقر. وقال بعض الشراح: اسم كان ضمير الرسول، وخبرها محذوف دل عليه ما قبله؛ أي ولو كان أتاني. وهذا البيت والذي قبله من قول البحتري:

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوَ انَّهُمْ أَهَابُوا بِسَيْفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفِي

(٣٢) يقول: أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك؛ أي بقيت، فإن ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك، فلو أنت مت لبطل ذلك كله، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس.

(٣٣) كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة، فعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان، فرأى منه انحرافًا عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه، فعاد إلى بيته وأرسل إليه هذه الأبيات.

(٣٤) الازورار: العدول والانحراف. يعتب عليه يقول: صار طويل السلام مختصرًا، وصار ذلك القرب منك عدولًا عني وانحرافًا.

(٣٥) يقول: أنا في خجلة من الناس لإعراضك عني كلما ساورتني ذكراها صرت كالميت، وإذا زالت حييت، فأموت في اليوم مرات كثيرة وأحيا مرات كثيرة.

(٣٦) السرار: مصدر ساره إذا كلمه سرًّا، يقول: وأنظر إليك لحيائي منك مسارقة ومخالسة، وإذا زجرت مهري في الميدان زجرته بصوت خفي، ولم أجسر أن أرفع صوتي حياء منك.

(٣٧) يقول: إنما يعتذر المجرم، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترمته كان هذا الاعتذار شيئًا منكرًا يجمل أن أعتذر منه أيضًا؛ لأنه في غير محله. وقال بعض الشراح: الاعتذار من غير ذنب كذب، والكذب مما يعتذر منه.

(٣٨) يقول: جحدت ما غمرتني به من مكارمك الباهرة التي ليس في مكنة أحد أن يجحدها إن كان تركي مدحك وتأخير شعري اختيارًا مني، ولكن حمى الشعر ... إلخ. وقوله: كفرت ... إلخ: قسم من أروع ما يقسم به العرب، ولا يزال مثله جاريًا بيننا الآن، كما يقول الرجل: أكون رجلًا نذلًا إذا حصل مني كيت وكيت.

(٣٩) الغرار النوم القليل قال الفرزدق في مرثية الحجاج:

إِنَّ الرَّزِيَّةَ مِنْ ثَقِيفٍ هَالِكٌ   تَرَكَ الْعُيُونَ فَنَوْمُهُنَّ غِرَارُ

أي قليل. وقيل: الغرار القليل من النوم وغيره. ومنه الحديث: لا غرار في صلاة ولا تسليم؛ أي لا نقصان، أي لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها. ومنه غرار الناقة، وهو النقصان في لبنها. والقليل: بدل بعض من الشعر؛ أي إلا القليل منه، وكذا مثله في الشطر الثاني يقول: منعني الهم قول الشعر إلا القليل منه، وهذا الهم أخذني منه المقيم المقعد حتى منعني النوم، فكيف لا يمنعني قول الشعر؟

(٤٠) يعتذر مما ألم به من الهم الذي أسقم جسمه وأوقد في قلبه نارًا بلهيبه وكان سبب انقطاعه عن الشعر. يقول: ليس ذلك من فعلي واختياري إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارته. وهذا من قول العطوي:

أَتَــرانِــي أَنَــا وَفــرْ   تُ مِنَ الْهَمِّ نَصِيبِي
أَنَا أَعْطَيْتُ الْعُيُونَ النُّجْـ   ـلَ أَسْلَابَ الْقُلُوبِ
لَوْ إِلَيَّ الْأَمْرُ مَا أَقْـ   ـذَيْتُ عَيْنًا بِرَقِيبِ

(٤١) ضاره وضره بمعنى، يقول: وإنما الذنب ذنب الزمان، فهو الذي أورثني هذا الهم فسبب ذلك انقطاعي عن الشعر، فلا تؤاخذني بذنوب الزمان. على أن إساءته إنما ألمت بي أنا، وأنا المساء بها فلا تقع تبعتها عليَّ كذلك.

(٤٢) الشرد: جمع شرود، يعني القصائد التي تسير في البلاد ولا تستقر بموضع. يقول: وعندي لك القصائد التي أقولها في مدحك فتسير في الآفاق ويتناقلها الناس لحسنها.

(٤٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق، والمقول: اللسان. يقول: إذا خرجت هذه القوافي من لساني سارت في البلاد، وقطعت الجبال والبحار إلى ما وراءها؛ أي إن الجبال والبحار لا تحول دون سيرها. قال علي بن الجهم يصف شعره:

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وقال أبو تمام:

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّيَ صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدِ
بِسَيَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدِ

(يقول: إن شعره يدعو عدوك أن يثني عليك إذا أنشده على غير رغبة منه لاستحسانه إياه.)

(٤٤) قال ابن جني: لو أمكنه أن يقول: لكانوا الظلال وكنت الضياء أو الليل وكنت النهار لكان أحسن في التطبيق. قال العكبري: قلت: يمكنه: لكانوا الليالي، والوزن مستقيم.

(٤٥) الندى: الجود. والهزة بالكسر: الأريحية. والمغار: مصدر ميمي بمعنى الغارة. يقول: هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء، وأبعد الناس مدى غارة في العدو.

(٤٦) الهم: الهمة. واليسار: الغنى. يقول: علت همتي بخدمتك والانتماء إليك وبما يسرت لي من المطالب حتى صارت فوق همم الناس، وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنًى ويسارًا حتى أطلب ما فوقه.

(٤٧) كبارًا: حال من الدر. والبيت تأكيد لما قبله. يقول: إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه؛ لأن من كان مرجوه مثلك لم يرضَ بالقليل.

(٤٨) الفطر: بالكسر الاسم من الإفطار، والعصر بضمتين: لغة في العصر؛ وهو الدهر، ويأتي أيضًا جمعًا له، وقد تقدم ذلك. وحتى: حرف عطف كالواو. يقول: إن نور هذه الأشياء إنما هو بك؛ لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء، يعني أن نورك عم كل شيء حتى الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما. هذا، وقال العكبري — لمناسبة حتى: وقد اختلف أصحابنا في حتى فقالوا: هي حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن، وحرف جر يجر الاسم كما تقول: سوفته حتى الصيف. وقال البصريون: هي في كلا الموضعين حرف جر، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن، والاسم مجرور بتقدير إلى.

(٤٩) يقول: لم يخص البشر بعطائك فقد أنلت الأهلة بوجهك كمال النور، فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر.

(٥٠) الأُنُف: التي لم يرعها أحد وهو أحسن لها. والشمائل: الخلائق. يقول: الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها، وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة، فهي أحسن ما فيها.

(٥١) ما: حرف نفي. والضمير في أيامه وأعوامه للدهر، يقول: ليس ينتهي كرمك في أيام الدهر؛ أي إنه يزداد كرمًا على الأيام، ثم دعا له فقال: فلا انتهى عمرك في أعوامه؛ أي لا أنقص لك أجلًا.

(٥٢) الضمير في تكرارها ومنها: للأعوام، ويروى: منه؛ أي من التكرار. يقول: إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجد من المناقب. بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهرم.

(٥٣) يقول: إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ما جرى فيه ظلم له؛ لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف.

(٥٤) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد، وسببًا: أي وصلة أتوصل بها؛ أي سبيلًا. ثم قال في البيت الثاني: كنت في هذا اليوم أَحْضَرَ الناس المختصين بك؛ لأني كنت شاهدًا بشخصي، وكنت أغيبهم عيانًا؛ لأني غبت معاينة إذ لم أرَ ما يجري فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا. فأشهد أفعل تفضيل من الشهود، وهو الحضور. ومعاينًا: بدل من أشهد. والجملة بعده: حال.

(٥٥) ناظره: عينه. وعنده: بمعنى في اعتقاده. يقول: يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازًا برضاك، وقد كان مطرقًا استخذاء وخوفًا؛ لأن عفوك في اعتقاده ظفر وفلج.

(٥٦) يقول: إذا أجبته افتخر على الملوك.

(٥٧) يقول: لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح، أما سائر الذين كنت تغزوهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم؛ لأنهم يعرفون أنك لا تفتر عن الغزو. أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم.

(٥٨) الأظهر أن الضمير في تبدلها للسيوف كما قال ابن جني، لا للروم كما ذهب إليه الواحدي. وغيرهم: نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها. والباء في بالقوم: للعوض. وتجم: تكثر، من جم البئر: إذا توافر ماؤه بعد النزح. والقصر: جمع قصرة أصل العنق. يقول: وقد تحارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا، وتغبهم ليتناسلوا ثم تعود إليهم فتهلكهم.

(٥٩) تشبيه: مبتدأ، خبره: جود. وغادية: حال. وثان: صفة لجود. يقول: إذا شبهنا جودك بالأمطار التي تأتي بالغدوات — وهي أغزرها — كان ذلك جودًا ثانيًا لكفك على المطر؛ لأن المطر يفخر بأن يشبه به جودك.

(٦٠) تكسب — بحذف إحدى التاءين — أي: تتكسب. يقول: إن الشمس تستفيد منك النور كما يستفيد منها القمر النور، فإذا طلعت كسبت، وإذا غابت عادت إلى حالها قبل أن تراك.

(٦١) طوال: مبتدأ، خبره: قصار. وضمير تطاعنها: للمخاطب، والجملة: صفة لقنا. والندى: الجود. والوغى: الحرب. يقول: إن الرماح الطوال التي تطاعنها قصار في حقك؛ لأنها لا تنالك ولا تبلغك، ولأنها لا غناء لها معك، وكأنها قصار كما قال:

يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ

ثم قال: والقليل منك في الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر.

(٦٢) الأناة: الرفق والحلم. يقول: فيك رفق وحلم عن الجاني لا تسرع في عقوبته. يظن ذلك لكرامة له عليك، وهو احتقار له عن المكافأة، لا كرامة.

(٦٣) أخذ: عطف على أناة. والحواضر: جمع حاضرة، وهي خلاف البادية؛ والمراد: أهل الحواضر والبوادي. وبضبط: متعلقة بأخذ. وقوله: نزار: يريد العرب. يقول: أنت تأخذ أهل الحضر والبدو بسياسة وضبط لم تتعودهما العرب.

(٦٤) يقول: إن العرب تدنو من طاعتك، فإذا أحست ما عندك من السياسة أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شمت ريح الإنس فتنفر، فقوله: تشممه — بحذف إحدى التاءين — أي: تتشممه. وإنسًا: مفعول شميم. والتشمم: الشم في أناة وتؤدة. ويقال: شممت الشيء أشمه وشممته أشمه شمًّا وشميمًا، قال الصمة بن عبد الله القشيري:

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

(العرار: بهار البر، وهو نبت طيب الريح، وقيل: هو النرجس البري. والبيت من أبيات هي:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعِيسُ تَخْدِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضِّمَارِ
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيَّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ
شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سِرَارِ)

قال أبو حنيفة الدينوري: تشمم الشيء واشتمه أدناه من أنفه ليجتذب رائحته، وتشممت الشيء شممته في مهلة.

(٦٥) المقادة: الانقياد، والصغار: الذل. يقول: إن العرب لا تعرف هذا؛ لأنهم لم ينقادوا لأحد.

(٦٦) المقاود: جمع مقود، وهو الرسن. والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق؛ لأنها أول ما تعرق من البعير، ويجمع على ذفارى وذفاري كصحارى وصحاري. والصعر: الميل في الخد، وفلان صعر خده: أماله من الكبر. والعذار من اللجام: مما سال على خدي الفرس. يقول: لما وضعت على العرب المقاود لتقودهم إلى طاعتك، وبالغت في رياضتهم تقرحت ذفاريهم من جذب المقاود لرءوسهم؛ أي جعلتهم كالقرحى في الذل والانقياد، وأمال خدودهم هذا العذار؛ أي أمالهم إلى طاعتك. والقرح: كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه. وروى الواحدي: فأفدحت — بالفاء — من أفدحه الدين: أثقله، يعني: لما وضعت على العرب المقاود أثقلت مقاودك رءوسهم؛ لأنك ضبطتهم ومنعتهم عن التلصص والغارة، فصاروا كالدابة تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة.

(٦٧) منع عامر من الصرف؛ لأنه أراد القبيلة، ولذلك أنثها. والبقيا: اسم من الإبقاء. والنزق: الخفة والطيش. يقول: وأطمعهم في العصيان إبقاؤك عليهم وعدولك عن الإيقاع بهم، وحملهم على الطيش أناتك وحلمك عنهم وتوقفك عن إهلاكهم.

(٦٨) تلبب الرجل: تحزم وتشمر، والمتلبب: المتحزم بالسلاح وغيره. والمغار: الإغارة. يقول: وغيرها عن الطاعة أنها كانت تتراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك، وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك؛ واغترت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحي والأطراف.

(٦٩) الجياد: الخيل، وهي مبتدأ محذوف الخبر؛ أي لهم جياد. يقول: إن لهم خيلًا يعجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رءوسها، أو تقول: لا تسعها الأرسان لكثرتها؛ أي إن لهم خيلًا لكثرتها لا توجد لها أرسان. ثم قال: وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم.

(٧٠) الضمير في كانت: للفرسان. والردى: الهلاك. يقول: وكنت تتوقف عن إهلاكهم والإيقاع بهم جريًا على عادتك في الصفح والعفو؛ فكانوا — بهذا التوقف — كمن يستشار في إهلاكه، وكانوا هم بعتوهم واسترسالهم في غيهم كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم. وقد أقام الردى مقام الإرداء.

(٧١) قائمه: مقبضه. وغراره: حده. والبدية والحيار: ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما. وشفرتا السيف: حداه. يقول: كنت سيفًا لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوك صارت شفرتاه حيث هم؛ أي في البدية. أي: سرت إليهم في منازلهم، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك، وأهلكتهم بسيفك الذي كنت تذود به عنهم. وفي معناه قول جعفر بن علبة:

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ صَحْرَاءِ سَحْبَلٍ　　وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

(صحراء سحبل: موضع.)

(٧٢) يقول: كانوا في التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبي إن بقوا على عصيانهم. وكعب: مبتدأ محذوف الخبر؛ أي حيث كعب كائنون؛ لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل.

(٧٣) يقول: استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والانقياد وساروا معه وراء كعب. قال العكبري: وذلك أن مشيخة بني كلاب تلقته، وقد سار عن الحيار لطلب البدية فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه، وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلكت كعب.

(٧٤) الضمير في أقبلها: للخيل، وإن لم يجر لها ذكر، وأقبلها المروج: جعل وجوهها إليها. والمروج: المواضع ترعى فيها الدواب، وأراد مروج سلمية — موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا — ومسومات: معلمات بسمة تعرف بها. وضوامر: قليلة اللحم. وهزال: جمع هزيل. والشيار: السمان الحسنة المناظر، ولا هزال ولا شيار في الأعراب، مثل قول القائل:

لَا أُمٌّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

(وصدر هذا البيت:

هَذَا لَعَمْرُكُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ

والبيت لهني بن أحمر الكناني، شاعر جاهلي قديم، وقيل لغيره، وهو من أبيات جميلة يقول فيها:

أَأُخَيَّ أَخْبِرْنِي وَلَسْتَ بِصَادِقٍ وَأَخُوكَ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنَ الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمُ وَأَمِنْتُمُ فَأَنَا الْغَرِيبُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا الْكَتَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً حَجَرَتْكُمُ فَأَنَا الْحَبِيبُ الْأَقْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
وَلِجُنْدَبٍ سَهْلُ الْبِلَادِ وَعَذْبُهَا وَلِيَ الْمِلَاحُ وَخَبْتُهُنَّ الْمُجْدِبُ
عَجَبٌ لِتِلْكَ قَضِيَّةً وَإِقَامَتِي فِيكُم عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ
هَذَا لَعَمْرُكُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

الحيس: لبن وأقط وسمن وتمر يصنع منه طعام. والخبت: المطمئن من الأرض، وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف في بعض كلماتها.)

يقول: وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة، وليس ضمرها عن هزال؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها، ولا هي أيضًا سمينة حسنة المنظر؛ لأنها قد شعثت واغبرت بمواصلة السير.

(٧٥) سلمية: موضع. والمسبطر: الغبار الممتد. والشعار: العلامة يتعارفون بها. يقول: تثير خيلك على هذا المكان — سلمية — غبارًا منتشرًا لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضًا؛ أي أصحاب الخيل — أي الجيش — لولا العلامة التي تتعارف بها. فقوله: تناكر — بحذف إحدى التاءين — أي الخيل.

(٧٦) عجاجًا: بدل من مسبطرًّا، والعجاج: الغبار. والوعث من الأرض: السهل الكثير الرمل، وهو ما تغيب فيه القوائم لسهولته. والخبار: الأرض اللينة الرخوة؛ يصف الغبار بالكثافة، يقول: إن العقبان التي تسير مع الجيش تعثر في ذلك الغبار وكثافته، فكأن الجو أرض لينة تغوص فيها أرجل الطير، فتعثر لكثرة ما ارتفع من غبار الخيل وكثافته.

(٧٧) خلسًا: أي اختلاسًا؛ وهو سرعة اختطاف الشيء خفية. يقول: ظلوا يتخالسون الطعن فيسرع فيهم الموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم.

(٧٨) لزه إلى الشيء: ألجأه إليه وأدناه منه. يقول: أحوجهم طرادك إياهم إلى قتال شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار.

(٧٩) يقول: لإسراعهم في الهرب والهزيمة خوفًا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما يسابق بعضها بعضًا: الأرجل تسابق الرءوس، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس تتعثر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع، فتمنعها الأرجل. وقال ابن جني: إذا ندر رأس أحدهم فتدحرج يعثر برجله أو برجل غيره، وهذا غير المعهود أن يعثر الرأس بالرجل. قال الواحدي: أحسن من قوله أن يقال: بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم فهم ينهزمون فيسرعون ويعثرون.

(٨٠) يشلهم: يطردهم. والأقب من الخيل: الضامر البطن. والنهد: المشرف المرتفع. يقول: يطردهم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار، إن شاء لحق، وإن شاء سبق؛ أي إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته.

(٨١) أصم: أي رمح صلب ليس بأجوف لين. ويعسل: يضطرب. وممار: مسال مهرق. يقول: ويطردهم بكل رمح صلب يضطرب جانباه الأعلى والأسفل. قال الواحدي: وأراد بالكعبين اللذين في عامله. وهما يغيبان في المطعون؛ ولذلك وصفهما بأن عليهما دمًا، ويجوز أن يريد الكعب الذي فيه السنان والذي فيه الزج؛ فإن الطعن يقع بهما. قال ابن جني: يجوز أن يريد بالتثنية الجمع؛ لأن أول الجمع تثنية.

(٨٢) يغادر: يترك، والضمير للرمح. واللبة: أعلى الصدر. والثعلب — هنا — ما دخل من الرمح في السنان. والوجار: بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما. يقول: إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه في نحره. ولقد أبدع في هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب.

(٨٣) دجا: أظلم. وجنح الليل: جانبه. وانجاب: انكشف. والمشرفية: السيوف، نسبة إلى مشارف الشام. يقول: إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل ليل آخر من العجاج — الغبار — وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق السيوف؛ أي إنهم في ليلين مظلمين من الليل والغبار، وفي نهارين من ضوء السيوف والنهار. هذا، وإليك خلافًا نحويًّا بين البصريين والكوفيين أثاره العلامة العكبري النحوي الكوفي لمناسبة إعراب جنح الظلام، قال: ارتفع جنح الظلام، عندنا بالابتداء، وهو قول الأخفش، وعندنا أيضًا أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل. وقال البصريون: يرتفع بتقدير فعل؛ وحجتنا أن إن الشرطية هي الأصل في باب الجزاء. فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها. وقلنا: إنه يرتفع بالعائد؛ لأن المكني المرفوع معها في الفعل هو الاسم الأول، فينبغي أن يكون مرفوعًا كقولهم: جاءني الظريف زيد، وإذا لم يكن مرفوعًا لم

يفتقر إلى تقدير فعل. وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملًا؛ لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه، ولو لم يقدر ما يرفعه لبقي الاسم مرفوعًا بلا رافع، وذلك لا يجوز، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل.

(٨٤) الدثر: المال الكثير. والرغاء: صوت الإبل. والثؤاج: صوت الغنم. واليعار: صوت المعز. يقول: إنهم ساقوا مواشيهم هاربين، فكانت تصيح خلفهم لما ألم بها من التعب والإعياء في السير: فالإبل ترغو، والمعزي تعير، والغنم تثأج، وكأنها بهذا الصياح تبكي.

(٨٥) غطاه وغطاه: بمعنًى. والعِثْيَر: الغبار. والمتالي: جمع متلية، وهي الناقة يتلوها ولدها. والعشار: التي قربت ولادتها؛ جمع عشراء. والمتالي والعشار: أعز أموال العرب؛ ولذلك خصهما بالذكر. يقول: غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم — على حدة أبصارها — في ذلك الغبار. ورواية ابن جني بالغنثر: بدل بالعثير، والغنثر: ماء هناك. وتخيرت — بالخاء، بصيغة المجهول — فيكون المعنى: غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرته حتى تخير منه سيف الدولة المتالي والعشار لما وصل إلى ذلك الماء.

(٨٦) الجباة: اسم ماء. والنقع: الغبار. يقول: إنهم مروا بهذا الماء في هربهم، وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك، فاشتمل الغبار على الجيشين حتى صاروا منه في إزار لشدة انتشاره.

(٨٧) الصحصحان: يريد بالصحصحان هنا صحراء بعينها هناك، وفي غير هذا الموضع كل أرض واسعة فضاء. يقول: جاءوا هذه الصحراء وقد انحلت سروج خيلهم، فسقطت وسقطت عمائم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم في الهرب.

(٨٨) أرهقه: كلفه ما فيه مشقة. ومردفات: أي مركبات خلف الرجال، وأوطئت أي جعلت الخيل تطؤها. فحذف الخيل للعلم بها، والأصيبية: تصغير أصبية؛ جمع صبي. والعذارى: جمع عذراء. وهي البكر التي لم يفترعها فحل. يقول: إن العذارى قد كلفن بإردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها، ولم يثبت الصبيان الصغار على الخيل في الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل. وعبارة ابن جني: أوطئوا الخيل الصبية؛ لأنهم لم يقدروا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العذارى طلبًا للنجاة وحفظًا لهن.

(٨٩) هذه كلها مياه معروفة. يقول: لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش والجهد حتى لم يبقَ منها شيء؛ ولذلك قال: فلا غوير.

(٩٠) يقول: لم يكن لهم مفزع يفزعون إليه إلا تدمر، ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة، ولكن خاب ظنهم، إذ لم يعتموا أن غشيهم جيشه بها فصارت دمارًا — هلاكًا — لهم كاسمها. وتدمر هي المدينة المعروفة.

(٩١) يقول: أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأي في تدمر، فأتاهم سيف الدولة صباحًا وعصف بهم، فكان عصفه بهم — إهلاكه إياهم — رأيًا لا سبيل إلى تقليبه.

(٩٢) جيش: عطف على رأي. يقول: وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء الهاربون على أرض واسعة، فحاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرته وتوافره، فكأنه أوسع منها.

(٩٣) يقول: يحيط هذا الجيش بأغر — سيد شريف؛ يعني سيف الدولة — إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله؛ لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يراجع فيما فعل. والقود: قتل النفس بالنفس، والدية: ثمن الدم.

(٩٤) تريق: تسفك؛ والمهجة: دم القلب والروح. والجبار: الهدر الذي لا قود فيه ولا دية، ويقال: ذهب دمه جبارًا إذا لم يطلب. والبيت في معنى البيت السابق.

(٩٥) مصال: مصدر؛ أي صولة وقوة. وكذلك المطار بمعنى الطيران. قال العروضي ووافقه الواحدي: هذا من صفة خيل سيف الدولة، يقول: هم — فرسان سيف الدولة — أسود ولا يشينهم عدم إدراكهم هؤلاء القوم؛ لأن الأسد — على قوته — لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد؛ يعني أن هؤلاء القوم أسرعوا في الهرب إسراع الطير في الطيران، وهذا كالعذر لهم في التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم. وقال آخرون: هذا من صفة القوم شبههم بالأسود في قوة البأس، وشبه جيش سيف الدولة بالطير في سرعة الجري وراءهم. يقول: الأسود مع شدة بطشها لا يقدر أن تسطو على الطير؛ لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته. يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش؛ لأنهم لا ينالونه بسلاحهم ولا وسعهم الهرب من أمامه، لأنه أسرع جريًا منهم فهو يدركهم أينما ذهبوا. وعبارة ابن جني: كانوا أسدًا قبل ذلك، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم.

(٩٦) يقول: إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا في القفر من العطش، فقام العطش في قتلهم مقام الرماح.

(٩٧) يقول: يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين، وليس ذلك اختيارًا في الحقيقة؛ لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد، فهم — لا محالة — هالكون.

(٩٨) المنار: العلم ينصب في الطريق. يقول: إذا ضل أحد بصحراء السماوة قامت له جثث قتلاهم بها مقام المنار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدي بالمنار؛ وهذا من قول ثابت قطنة:

هَدَاكَ اللهُ بِالْقَتْلَى تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشِّعَابِ

(٩٩) يقول: لولا إبقاؤك على من بقي منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعًا لكنك أردت تأديبهم، لا إفناءهم، فكان فيمن هلك منهم عبرة لمن بقي، فلا يعصي لك أمرًا أبدًا.

(١٠٠) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه: رحمه وكف عنه. يقول: أنت سيدهم. فإذا لم تبقِ عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره.

(١٠١) السجايا: الطباع والأخلاق. والنجار: الأصل. يقول: إن أصله وأصلهم واحد لاشتراكهم في نزار، إلا أن الطباع والأخلاق مختلفات، وأين هم منه؟!

(١٠٢) أرك وعرض: بلدان قرب تدمر، والرقتان: بلدان على الفرات؛ وهما الرقة والرافقة، قيل لهما: الرقتان تغليبًا، والضمير في بها ولها للخيل. يقول: مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين؛ يعني بذلك طلبه لبني كعب في كل مكان. وقال ابن جني: أي مال بخيله على هاتين البقعتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها.

(١٠٣) الزئير: صوت الأسد، والخوار: للبقر. يقول: إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارًا؛ أي كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودًا، فلما أتاهم أجفلوا من وجهه إجفال الثيران.

(١٠٤) الحزق: الجماعات، جمع حزقة. والخابور: نهر على الفرات، والخمار: بقية السكر. يقول: ظنوا أنهم المقصودون؛ فهربوا خوفًا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين، فصاروا جماعات صرعى — مطروحين — حوالي هذا النهر. وقوله: بهم ... إلخ؛ أي إنهم لم يذنبوا، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تعب الهرب، فأراد بالشراب المعصية، وبالخمار ما لحقهم من الخوف.

(١٠٥) المراد بالمال: المواشي. يقول: لخوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارًا ولم يوقدوا نيرانهم ليلًا.

(١٠٦) يقول: هم إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم، وهو حذر في غير موضعه؛ لأنه إذا كان غير راض عنهم، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئًا، فهو يدركهم أينما كانوا، ولو في أقاصي البلاد أو في الجواء. فقوله: حذار: مفعول له، عامله في البيت السابق، وهو مصدر حاذر.

(١٠٧) الجدوى: العطية. يقول: إنهم يفدون إليه يسألونه العفو لا غير. والوفود: جمع وفد، وهو جمع وافد، والوافد: القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئًا.

(١٠٨) خلفهم: استبقاهم. والبيض: السيوف. والهام: الرءوس يذكر ويؤنث، وهو مبتدأ، خبره: له، والجملة: حال. ومعار: خبر آخر، ومعهم: حال من نائب معار. يقول: فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها؛ لأنها في ملكه. وهذا كلام بديع.

(١٠٩) أذم لهم: صيرهم في ذمامه. والضمير في عليه: لسيف الدولة. والعرق: الأصل. والحسب: ما تعدده من مآثر الآباء. والنضار: الخالص من كل شيء. يقول: عقد الذمة لهم وصيرهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه.

(١١٠) العواصم: بلاد حاضرتها إنطاكية. والنائل: العطاء. يقول: فاستقر بهذا المكان بعد عودته من هذه الغزوة؛ لأنه مقره، أما جوده فلا يستقر، كالبحر ليس له قرار.

(١١١) العقار: الخمر. يقول: إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب — جماعة شاربي الخمر — يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره. هذا وسميت الخمر عقارًا؛ قيل: لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن: أي لزمته، وأصله من عقر الحوض؛ لأن الواردة تلازمه، وقيل: لأنها تعقر شاربها، وقيل: لشبهها بالعقار، وهو نبت أحمر.

(١١٢) الأسنة هنا: الرماح، والشفار: جمع شفرة؛ حد السيف. يقول: إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع، وتثني عليه الرماح والسيوف؛ لحسن استعماله إياها، لأنه أذل بها تلك القبائل.

(١١٣) يقول: لإجلالنا إياه وإعظامنا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه، كما لا نستطيع أن ننظر طويلًا إلى شعاع الشمس، كما قال الفرزدق:

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ

وهو من قول الآخر:

إِنَّ الْعُيُونَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا ... رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادِ

(١١٤) الأسل: الرماح. والحرار: العطاش؛ جمع حران، والأنثى حرى، والحران: العطشان. يقول: من أراد المطاعنة بالرماح، فهذا علي — اسم سيف الدولة — قد تفرغ من قتال هؤلاء ومعه خيل الله — جيشه — والرماح العطاش؛ لأنها لا ترتوي من الدم.

(١١٥) كعب: اسم القبيلة. وبأرض: صلة يراه. والمفاوز: الصحاري. يقول: إنه دائمًا يسري إلى أعدائه ويجوب إليهم الصحاري التي لا يستره فيها شيء، فهو يتوسط الصحاري كل يوم؛ ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به. يعني أنه دائمًا يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتوه فيقاتلهم؛ أي إنه دائمًا طالب لا هارب. والعادة أن الخائف ينزل المفاوز خوفًا ممن يلحقه، ولكن الممدوح ينزلها طلبًا لمن يهرب منه إليها. هذا، وقوله: لا الانتظار، فألف لا: ساقطة لفظًا، وإن تحركت اللام بعدها؛ لأن حركة اللام عارضة دفعًا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون. وقوله طلاب الطالبين: تروى طلاب الطاعنين؛ أي طاعني الأعداء.

(١١٦) تصاهل — بحذف إحدى التاءين — أي: تتصاهل. والسرار: مصدر ساره؛ كلمه سرًّا. وقد اضطربت كلمة الشراح في تأويل هذا البيت، فذكر ابن جني معنيين، والخطيب خالفه إلى معنًى آخر، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ما محصله: إن خيله تتصاهل من غير سرار، وليس السرار من عادة الخيل، يعني أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو، ولا يحاول أن يخفي قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل؛ لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها، كما قال القائل:

إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النُّسُورِ ... جَـزَزْنَـا شَـرَاسِـيفَـهَـا بِـالْـجِـذَمْ

(الشرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن، والجذم: جمع جذمة؛ السوط.)

وأحد معنيَي ابن جني: إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما بجسمها به من ملاقاة الحروب وقطع المفاوز. والمعنى الآخر: إن خيله مؤدبة فتصهل سرًّا هيبة له، وقال الخطيب: إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد، فكأنما هي في سرار، وأخذه من قول عنترة:

وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ   وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

(اللَّبان: الصدر.)

(١١٧) اليد: الجارحة المعروفة. والسوار: الحلية من الذهب أو الفضة، كالطوق تلبسها المرأة في زندها أو معصمها. وبنو كعب: مبتدأ، ويد: خبر. وما أثرت: أي وتأثيرك. يقول: إن بني كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التي يدميها السوار، فإن اليد تتحلى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها، كذلك بنو كعب يفتخرون بك وأنت زين لهم، وإن أثرت فيهم.

(١١٨) الشرك: مصدر شَرِكَهُ، بوزن عَلِمَهُ. ونزار: جد العرب. يقول: إنهم يشاركونك في الانتساب إلى نزار، وأقل ما يقتضيه حق الشركة في أصل جوار؛ أي ذمام ورعاية حرمه.

(١١٩) يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم. يقول: لعل أبناءهم يكونون جندًا لأبنائك وعبيدًا إذا سلموا، فإن المهار من الخيل تصير قرحًا؛ أي إن الصغار تصير كبارًا، كما قيل:

وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ   وَسُحُقُ النَّخْلِ مِنَ الْفَسِيلِ

(القرم: الفحل من الإبل. والأفيل: الفصيل، والفسيل: ما يقلع من صغار النخل ليغرس. والقرح: جمع قارح؛ وهو الذي استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين. والمهار: جمع مهر؛ الصغير من الخيل. هذا، ولمناسبة لعل قال العكبري: ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية، وقال البصريون: بل هي زائدة. وحجتنا أنها حرف، والحروف في الحروف كلها أصلية؛ لأن حروف الزيادة العشرة — التي يجمعها «هويت السمان» — إنما تختص بالأسماء والأفعال، فأما الأفعال فتزاد فيها. وكذلك الأسماء، وأما الحرف فلا يدخله شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة، فدل على أن اللام أصلية، ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تكاد تزاد فيما يجوز فيه الزيادة إلا شاذًّا، فإذا كانت اللام لا تزاد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيما لا تجوز فيه الزيادة؟ وحجة البصريين أنهم قالوا: وجدناها مستعملة في كلامهم وأشعارهم بغير لام، قال نافع الطائي:

وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا)

(١٢٠) أبر: أفعل تفضيل، من بره إذا أحسن إليه ووصله. وعُقَّ: مجهول عق، يقال: عق والده إذا عصاه، وهو ضد بره. وأعفى: تفضيل من العفو. والبوار: الهلاك. يقول: أنت أبر الذين إذا عصوا أفنوا، وإذا كنت أبرهم لمن تفن. وأنت أعفى الذين يعاقبون بالهلاك، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك؛ أي أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم، وإذن لا تفني من عصوك ولا تؤذيهم.

(١٢١) يقول: وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار؛ أي إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ما تطلب، فأنت أقدر المنتصرين، وأنت أحلم من يدعوه إلى الحلم اقتداره على عدوه فصفح وعفا، وإذا كان الأحلم كان الأعفى والأصفح عن العدو إذا اقتدر عليه.

(١٢٢) يقول: لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم؛ لأنك ربهم — سيدهم — ولا في تذللهم لك عار؛ لأنهم عبيدك. وذلك كما قال النابغة:

وَعَيَّرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ؟

وكما قال الآخر:

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَالدَّهْرِ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وقال أبو تمام:

خَضَعَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

(١٢٣) بقية قوم: خبر مبتدأ محذوف. يقول: نحن بقية قوم آذن — أعلم — بعضهم بعضًا بالبوار — الهلاك — أي: علموا أنهم هالكون، ونحن مهازيل أسفار لا حراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى، فأنضاء: جمع نضو، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل. والشَّرْب: جمع شارب. والعقار: الخمر.

(١٢٤) يقول: تحكمت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به.

(١٢٥) المناخ: المنزل، وأصله مبرك الناقة. يقول: ليس هذا المكان منزلًا لنا فشدا رحالكما على الإبل وارحلا قبل هجوم الليل. فالضمير في عليها: للإبل، وإن لم يتقدم لها ذكر.

(١٢٦) يقول: لا تنكرا شدة هبوب الرياح، فإنها طعام من بات ضيفًا عند سوار؛ وهذا — سوار — اسم رجل نزلوا في المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم.

(١٢٧) يبتر: يقطع. وقاعدًا: حال من المخاطب. وأراد بما يبتر الفقر: الثروة والغنى. يقول: إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعي فقم واطلب ما يقطع العمر؛ أي الحرب، يعني مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء.

(١٢٨) هما: ضمير الخلتين، فسره بهما. والخلة: الخصلة. والثروة: المال الكثير، وهي بدل تفصيل من خلتان. والمنية: الموت. وإن — هنا — زائدة بعد لعل، لتأكيد الاستقبال، كما تزاد في خبر عسى. يقول: هما خصلتان: إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك، وإما الموت، فافعل لعل أحد هذين يخلد ذكرك.

(١٢٩) حاشاه: تجنبه وتوقاه. والضمائر: جمع ضمير، وهو ما يضمره الإنسان ويخفيه. وغيض الدمع: حبسه ونقصه. وانهلت: انصبت. وبوادره: سوابقه ومسرعاته. يقول: تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجري، فظهر عليه ما يكتمه؛ لأنه لم يقدر على كتمانه وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سره.

(١٣٠) يعتذر لما في البيت الأول؛ يقول: إن الذي يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينهتك ستره؛ لأنه يجزع ويبكي، فيستدل بجزعه وبكائه على حبه.

(١٣١) كنى بالظباء عن النساء، وعدى: قبيلة من قريش. وكنى بالربرب — وهي القطيع من بقر الوحش — عن جماعة النساء مطلقًا، وبالجآذر — جمع جؤذر؛ وهو ولد البقرة الوحشية — عن الشواب منهن. يقول: لولا نساء هذه القبيلة اللائي هن كالظباء في عيونهن وأعناقهن ما شغفت بالقبيلة كلها، ولولا الشواب المليحات منهن ما شغفت بنسائهم جميعًا، ويروى بدل ما شغفتت: ما شقيت؛ أي: لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة: أي أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسائهم الحسان، ولولا الشواب

ما شقيت بالكبار في مضايقتهن. وإليك طرفة نحوية للعلامة العكبري قال: ظباء عدي مرفوة عندنا بلولا، وعند البصريين بالابتداء، وحجتنا أنها ترفع الاسم؛ لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم، لأنك تقول: لولا زيد لجئت: أي لو لم يمنعني زيد، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفًا وزادوا «لا» على «لو» فصارا بمنزلة حرف واحد، كقولهم: أما أنت منطلقًا انطلقت معك. وتقديره: إن كنت منطلقًا انطلقت معك قال الشاعر:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ   فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

(البيت للعباس بن مرداس السلمي الصحابي رضي الله عنه وبعده:

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ   وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

وأبا خراشة: منادى، وأبو خراشة: كنية، واسمه خفاف بن ندبة، وندبة: اسم أمه، وخفاف هذا: صحابي، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها، وكان أسود حالكًا، وهو ابن عم الخنساء. وأنت اسم لكان المحذوفة، وذا نفر: خبرها. وروى هذا البيت: أبا خراشة أما كنت ذا نفر، وعليها لا شاهد في البيت، وما: زائدة. ونفر الرجل: رهطه. ويقال: إن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تكتفِ بما يكتفي به الذئب؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة، فقالوا: أكلتنا الضبع، وقال ابن الأعرابي: ليس يريدون بالضبع السنة، وإنما هو أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم، فعاثت فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم. يقول: إن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئاب. والسلم: الصلح. والجرع: جمع جرعة وهي ملء الفم؛ يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد، فإذا جاءت الحرب قطعته من لذاته وشغلته بنفسه. وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب. وأراد بأنفاسها: أوائلها.)

تقديره: أن كنت، فحذف الفعل وزاد «ما» عوضًا عن الفعل، كما كانت الألف في اليماني عوضًا عن إحدى ياءي النسب. والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوض. وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون «لولا» أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصًّا، و«لولا» غير مختصة بالاسم، فقد قال الشاعر:

لَا دَرَّ دَرُّكِ إِنِّـي قَدْ رَمَـيْـتُـهُـمُ   لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرَى لِمَحْدُودِ

(من أبيات للجموح — أحد بني ظفر من سليم بن منصور — وقبله:

قَـالَـتْ أُمَـامَـةُ لَـمَّـا جِئْتُ زَائِرَهَا: هَلَّا رَمَيْتَ بِبَعْضِ الْأَسْهُمِ السُّودِ؟

وبعده:

إِذْ هُمْ كَرِجْلِ الدَّبَى لَا دَرَّ دَرُّهُمُ   يَغْزُونَ كُلَّ طُوَالِ الْمَشْيِ مَمْدُودِ
فَمَـا تَـرَكْـتُ أَبَـا بِـشْـرٍ وَصَـاحِـبَـهُ   حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجِيدِ

وكان من خبر الجموح هذا أنه بيَّت بني لحيان وبني سهم بواد يقال [له]: ذات البشام. وكان الجموح قد جمع جمعًا من بني سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبي بشر، فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت، وكان في كنانة الجموح نبل معلمة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعته في عدوه، فقتل أبو بشر، وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة وأعجز الجموح، فقالت امرأته — واسمها أمامة — وهي تلومه: هلا رميت تلك النبل التي كنت آليت لترمين بها؟ وحُددت — بالبناء للمفعول — أي: حرمت ومنعت. والعذرى: اسم بمعنى المعذرة. يقول: قد رميت واجتهدت في قتالهم ولكني حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم. والرجل: القطعة من الجراد. والدبى: أصغر الجراد. والطوال: الطويل.)

(١٣٢) الحور: شدة بياض العين في شدة سوادها. والشنب: صفاء الأسنان ورقة مائها. وسئل ذو الرمة عن الشنب، فأخذ حبة رمان فقال: هذا هو الشنب؛ أشار إلى صفائها ورقة مائها. وذهب الواحدي في إعراب خمر: إلى أنها مبتدأ، ومسك: فاعل يخامرها، والجملة: صفة لخمر، وتخامره: ضمير الفاعل فيه للخمر، وضمير المفعول: للشنب. والجملة خبر خمر، وجملة خمر وما يليها — إلى آخر البيت — صفة لشنب. يقول: بلائي أو شقائي من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك. وقال بعض الشراح: قوله: من كل: «من» متعلقة بمحذوف، حال من جآذره.

(١٣٣) نعج: جمع أنعج، والنعج: البياض. والمحاجر: جمع المحجر؛ وهو ما دار بالعين، جعلها بيضًا لبياض ألوانهن. والدعج: السواد. والنواظر: الأحداق. والغفائر: جمع الغفارة؛ وهي خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الخمار من الدهن، وقد تكون

اسمًا للخمار. جعلها خمرًا؛ لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك. وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها خمرًا؛ لأنهن شواب، كما قال:

حُمْرُ الْحُلي وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ

والغدائر: الضفائر من الشعر.

(١٣٤) يريد بسقم عينيه: الفتور، وهو مما توصف به الحسان، كما قال ابن المعتز:

ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرُ
كَأَنَّمَا أَلْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعْتَذِرُ

وهو كثير. والمآزر: جمع المئزر، وهو الإزار. وما تحويه المآزر: الكفل. يقول: أمرضني كمرض جفونه، وأثقلني بالهوى كثقل أردافه. وهذا كقول منصور بن الفرج:

حَلَّ فِي جِسْمِيَ مَا كَا نَ بِعَيْنَيْكِ مُقِيمَا

ومثله للبحتري:

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِيَ الَّذِي فِي نَاظِرَيْكِ مِنَ السَّقَمْ

وقال السري الرفاء:

وَنَوَاظِرٍ وَجَدَ الْمُحِبُّ فُتُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَيُّ، فِي أَعْضَائِهِ

ويعجبني قول العكبري: وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد، وإن كان قد ذكره قوم من العرب.

(١٣٥) المضافرة: المعاونة. يقول إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلو مع ما يروى من كثرة الجفاء، وهذا كما يقال: قلب العاشق عون عليه مع حبيبه. ويقول العباس بن الأحنف:

كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا　　　كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

(١٣٦) هذا تخلص. يقول: لما عادت دولة الممدوح — وكان قد عزل ثم ولي ثانيًا — ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره. قال العكبري: وهذا نقص؛ لأن المحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلوه أحسن إليه أم أساء، لقد أحسن البحتري بقوله:

أُحِبُّ عَلَى أَيِّمَا حَالَةٍ　　　إِسَاءَةَ لَيْلَى وَإِحْسَانَهَا

والمحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلو رده الحب الصادق عما كان عزم. ولقد أحسن البحتري أيضًا بقوله:

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فُؤَادِي لَوْعَةٌ　　　وَأَصُدُّ عَنْكَ وَوَجْهُ وُدِّي مُقْبِلُ
وَإِذَا طَلَبْتُ وِصَالَ غَيْرِكَ رَدَّنِي　　　وَلَهُ إِلَيْكَ وَشَافِعٌ لَكَ أَوَّلُ

(١٣٧) يقول: من بعد ما كنت أقاسي من الحزن ما يسهرني، فيطول عليَّ الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر. وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول.

(١٣٨) هذا من قول أشجع السلمي:

فَمَا وَجْهُ يَحْيَى وَحْدَهُ غَابَ عَنْهُمُ　　　وَلَكِنَّ يَحْيَى غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعَا

ويقول الآخر:

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا　　　أَبْكَى الْمَنَابِرَ فَقْدُ فَارِسِهِنَّهْ

(١٣٩) الضمير في أربعه ومقابره: للبلد. والوحشة: الاكتئاب يجده الإنسان عند اعتزاله الناس. والربع: المنزل. والأسى: الحزن. يقول: لما غاب الأمير عن البلد حزن لغَيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم.

(١٤٠) المراد بالقباب — جمع قبة — تلك التي تتخذ للزينة والنثار. وعُقدت: ضُربت. وأهلَّ لله: أي رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورًا بعودته.

(١٤١) يقول: إن عودة دولته جددت فرحًا لا يغلبه الغم ولا يجاوره الشوق في قلب؛ أي لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق.

(١٤٢) حمص: بلد الممدوح. وقوله: لا خلت أبدًا. جملة دعائية معترضة جميلة. يقول: إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر — أي لا أنبتت — ولا سقاها باكر الوسمي. والوسمي: أول مطر الخريف؛ سمي كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة. والوَلْي: ثانيه. وباكره: أوله، ومنه باكورة الثمار.

(١٤٣) باهره: غالبه، والضمير فيه: للشعاع. يقول: دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها — ضياؤها — يتوقد، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس.

(١٤٤) الفيلق: العسكر، وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها. يقول: لو حاربت بعسكرك هذا الزمان ما دارت على الناس دوائره، وهي حركاته وصروفه التي تدور على الناس وتأتي حالًا بعد حال.

(١٤٥) المراد بالطائر: الفأل، والعرب يتفاءلون في الخير والشر بالطيور، فيسمون الفأل: الطائر، والميمون: المبارك. يقول: العيون شاخصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره.

(١٤٦) حرن: أي الأبصار، وأراد بالبشر: الممدوح، وبالقمر: وجهه، وجعله أسدًا في درعه لشجاعته، وتدمى أظافره: أي تتلطخ لكثرة ما يفترس من الأعداء.

(١٤٧) الخلائق: جمع خليقة، وهي الخلق. والشوس: جمع الأشوس، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر. والحقيقة: ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد، يقال: فلان حامي الحقيقة. يقول: إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محمية ممنوعة لا يقدر أن ينال منها أحد، فهي ممتنعة امتناع المتكبر، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى.

(١٤٨) هذا من قول أبي تمام:

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ   كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

(١٤٩) تغلغل في الشيء: دخل فيه وأمعن يكون في الجواهر والأعراض. يقول: إن أدنى مجده يستغرق الفكر والخواطر لمن أراد أن يصفه.

(١٥٠) حمي الشيء يحمى: اشتد حره. والعشائر: الأهل الأقارب. يقول: إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يغضبون لغضبه، وهذا من قول أبي تمام:

كَأَنَّهَا وَهْيَ فِي الْأَوْدَاجِ وَالِغَةٌ وَفِي الْكُلَى تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ

ويقول البحتري:

وَمُصْلَتَاتٍ كَأَنَّ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْهَامِ وَالرِّقَابِ

(١٥١) يقول: إذا استل سيوفه من أغمادها ليحارب بها لم تترك جسدًا إلا قطعته إربًا حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره.

(١٥٢) أي: لكثرة ما رأت ذلك واعتادته. يعني أنها لو كانت ممن يعلم لعلمت. وهذا ينظر إلى قول النابغة الذبياني:

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

(يصف النابغة عصائب الطير التي تتبع الجيش.)

(١٥٣) الهام: جمع هامة وهي أعلى الرأس ومستقر الدماغ، وهامة القوم: سيدهم على المثل، وقد يراد هنا. وعوف وثعلبة: قبيلتان. والمغافر: جمع مغفر، وهو ما يغفر الرأس؛ أي يغطيه من الحديد. والضمير في مغافرة: للهام. وعلى رءوس: خبر مقدم. ومغافره مبتدأ مؤخر. والجملة: حال، أو مفعول ثان لتركن. يقول: إن سيوفه فرقت بين رءوس هؤلاء القوم — وكان قد أوقع بهم — وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رءوس بلا أبدان. قال ابن جني: وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها المغافر.

(١٥٤) زخر البحر: طمى موجه وعلا. قال ابن جني: أي ركب معهم أمرًا عظيمًا عليهم صغيرًا عليه، فيكون بحر الموت مثلًا للأمر العظيم، وقرب غوره له مثلًا لصغره في نظره. وقال الواحدي: بحر الموت: الحرب والمعركة؛ لكثرة ما فيها من الدماء، يقول: خاض ذلك البحر خلق هؤلاء إلا أنه لم يغرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه.

(١٥٥) يقول: حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى، وإنما وطئ أجسادهم. ويروى بدل جثث: جيف.

(١٥٦) الأسنة: الرماح، والمهجة: دم القلب. وأصل الولوغ: شرب السباع الماء بألسنتها. والبواتر: السيوف القواطع.

(١٥٧) يقول: وكم من حائن — هالك — لعبت رماحك به؛ أي نالت منه وقتلته، فهجرته الحياة وفارقته، وزاره النسر ليأكل لحمه.

(١٥٨) أخاطره: أراهنه. يقال: خاطر فلان فلانًا على كذا: أي راهنه عليه، ويكون عادة في السباق وفي رمي النبل، وإنما قال هذا لثقته بكونه فردًا.

(١٥٩) ألوذ: أعوذ وألجأ. ومثله لابن الرومي:

وَلَا الْعَائِذُ اللَّاجِي إِلَيْهِ بِخَائِفٍ … وَلَا الرَّائِدُ الرَّاجِي نَدَاهُ بِخَائِبِ

(١٦٠) الجبر: إصلاح الكسر، والهيض: الكسر بعد الجبر، يقال: هضت العظم فهو مهيض، وانهاض: إذا انكسر بعد الجبر. يقول: إنهم لا يقدرون على خلافك في حال من الأحوال. هذا، ويروى بعد هذا البيت بيت قال الواحدي: إنه منحول وهو:

ارْحَمْ شَبَابَ فَتًى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ … يَدُ الْبِلَى وَذَوَى فِي السِّجْنِ نَاضِرُهُ

(أودى به: أهلكه. والجدة: مصدر الجديد. وذوى: ذبل.)

(١٦١) يقول: لست أدري: أريق ما ذقته من فمك، أم هو ماء سحاب، أم خمر، وهو بارد في فمي، حار في كبدي؛ لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوى؟

(١٦٢) ذا بمعنى هذا، والهمزة: للاستفهام. وعني بالغصن: قوامها، وبالدعص — وهو كثيب الرمل — ردفها، ثم قال: أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنًا وردفك كثيبًا؟ كما قال أبو نواس:

قَمَرٌ لَوْلَا مَلَاحَتُهُ … خَلَتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

وذيا: تصغير ذا، والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه، أو إرادة صغر أسنانها. وثغرها البرق لضوئه ونقائه.

(١٦٣) يقول: تعجب عواذلي من رؤية الشمس في الليل والفجر لم يطلع؛ لأنهن حسبن وجهها شمسًا، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبها كان ذلك أدل على حسنها. ولله أبو تمام إذ يقول:

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى … قُلُوبًا عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ … بِشَمْسٍ لَهَمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ

نَضَا ضَوْءُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْمُجَزَّعُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ؟

(١٦٤) الظُّبا: أطراف السيوف، جمع ظبة: قال بشامة بن حزن النهشلي:

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمُ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

وأصل الظبة: ظبو، بوزن جرد، فحذفت الواو وعوض منها الهاء، والجمع ظبات، وظِبون وظُبون، قال كعب بن مالك:

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كُئُوسَ الْمَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا

لما جعل سحر عينيها قاتلًا استعار له سيوفًا ثم جعلها حمر الظبا من دمه؛ لأنها تقتله.

(١٦٥) يقول:إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن في حركاتها قد بلغ الغاية في ذلك، فمن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتي عليه فليس له عذر؛ لأن مثل هذا الحسن قاتل.

(١٦٦) البيد: الصحاري. والعيس: الإبل. ويروى: عنس. والعنس. الناقة الصلبة، قال الليث: تسمى عنسًا إذا تمت سنها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها، وقيل: هو التي اعنونس ذنبها؛ أي وفر وكثر. قال العجاج:

كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عَلَاةِ عَنْسِ

وقوله: لحمها والدم الشعر. يقول: كنت أحدوها بشعري الذي مدحتكم به فتقوى على السير؛ أي إن شعري قام لها مقام اللحم والدم في تقويتها على السير. والعرب تزعم أن الإبل إذا سمعت الغناء والحداء نشطت للسير. وروى الخوارزمي: الشَّعر — بفتح الشين — يعني أنها هزلت حتى لم يبقَ منها غير الشعر أو الوبر. والأولى أجود، يوافقها البيت التالي؛ ولأنه لا شعر للإبل وإنما لها الوبر.

(١٦٧) نضح الشيء بالماء: رشه عليه، ويقال: نضح الماء العطش ينضحه: رشه فذهب به، أو كاد يذهب به، والنضيح: الحوض؛ لأنه ينضح عطش الإبل، أي يبله. يقول:

بردت بذكراكم وبشعري الذي قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة — يعني غلة عطشها — فأسرعت واستقربت البعيد لنشاطها على هذه الذكرى وهذا المديح.

(١٦٨) يلحم الليث سيفه: أي يمكن السيف من لحم الليث، من قولهم: ألحمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحيم. أو تقول: يلحم الليث سيفه، أي: يجعل الليث طعمة له. يعني أن الممدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف، وهو بحر جود يغرق في موجه بحر الماء لأنه أعظم منه.

(١٦٩) التليد: المال الموروث من الآباء، يقول: سارت ناقتي إليه وقصدته وإن لم أكن واثقًا بإبقاء نواله شيئًا من ماله، يعني أن جوده لا يبقي من ماله إلا المقدار اليسير الذي لا مطمع فيه لكثرة عطائه، كما لا يبقى الهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام.

(١٧٠) احتوى الشيء واحتوى عليه: أخذه وحازه. والردينية: الرماح، تنسب إلى ردينة؛ امرأة كانت تقوِّم الرماح. يقول: إن المعالي تغزو أموال الممدوح كلَّ يوم فتحوزها؛ يعني أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء، فماله عرضة لرماح المعالي تستولي عليه لا الرماح الحقيقية؛ لأن أعداءه ليس في مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر، لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه ويغصبه ماله.

(١٧١) نائلها: أي السحاب. والنائل: العطاء؛ والقطر: المطر. والمراد هنا: قليل. والغمر في الأصل: معظم البحر، والمراد هنا: كثير.

(١٧٢) النزر: القليل، يقول: لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها، وكان ذلك قليلًا عند عطاياه؛ لأن جوده يقتضي أكثر من ذلك. أو تقول: لفرقها كلها فأصبح أكثر ما فيها شيئًا يسيرًا بالنسبة إلى جوده، كما قال:

يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا

(١٧٣) يقول: أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرًا، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر؛ لأن خطره يربى على كل شيء. فقوله: أراه: فعل ماض، فاعله عظم قدره، والهاء من أراه: مفعول أول، وصغيرًا: مفعول ثالث مقدم، وقدرها: مفعول ثان وقوله: لعظيم، خبر مقدم عن قوله: قدر — في آخر البيت — وقدره: فاعل عظيم.

(١٧٤) المراد بالشعرى: الشعرى العبور؛ لإضاءتها، وقد عبدتها العرب في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾. يقول: إن وجهه أتم نورًا وإضاءة من الشعرى

والبدر، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعرى حياءً منه وخجلًا، وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر. وقوله: تخر؛ أي تسقط، وهو جواب الشرط، وهو من المضاعف. قال العكبري: وفتحه قوم ورفعه آخرون، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيبويه لا غير، نحو لم يرده، وما أشبهه. وقرأ أهل الكوفة وابن عامر، «لا يضركم» برفع الراء، وهو جواب الشرط.

(١٧٥) تر: بغير ياء، بدل من جواب الشرط — في البيت السابق — ومن رواه بالياء جعله استئنافًا للمخاطب، يقول: ترى الشعرى برؤيته القمر الأرضي، أو ترى أنت أيها الرائي برؤيته القمر الأرضي. وكذلك ترى الملك الذي له الملك بعد الله ... إلخ.

(١٧٦) السهاد: السهر، ولا يستعمل إلا في السهر لشدة، والفكر فاعل يؤرقه. يقول: هو يسهر من غير علة توجب السهر، ولكنه يفكر في كل ما يزيده شرفًا إلى شرفه، فسهاده لأجل ذلك.

(١٧٧) يقول: إن مننه على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربي عليه حتى لكأنها أقسمت بحق الممدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها، والقسم به عظيم لا يجري فيه حنث، ومن ثم كانت مننه زائدة على ثناء المثنين وشكر الشاكرين. والمنن: جمع منة؛ ولذلك معنيان: أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان، يقال: لحقت فلانًا من فلان منة: أي نعمة. والثاني: أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدئ فيه ويعيد حتى يفسده وينغصه، والمراد هنا الأول.

(١٧٨) بحتر: قبيلة الممدوح يقول: إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله، وليس لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك.

(١٧٩) الحضر: الحاضرون في البلاد؛ جمع حاضر. والسفر: المسافرون. ولا يقال في المفرد: سافر. يقول: هم الناس في الحقيقة، إلا أن الله — سبحانه — خلقهم من طينة المكارم، لكثرة ما ركب فيهم من الكرم — ضد اللؤم — فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما قيل فيهم من الأشعار، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك؛ أي اشترك المقيم والمسافر في ذلك. فقوله: من مكارم: من فيه لبيان الجنس؛ أي إنهم مخلوقون من طينة المكارم.

(١٨٠) يقول: ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقايس بينه وبينك وأوازن؛ لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر، ومن الدهر، الذي يتصرف على مرادك والذي تحدث أنت فيه النعيم والبؤس. وعبارة الواحدي: ضرب المثل إنما يكون لشبه عين بعين أو وصف بوصف، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شيء لم يمكن ضرب المثل بشيء في مدحه. وهذا معنى قوله: أم من أقيسه إليك؟ ووصل القياس بإلى؛ لأن فيه معنى الضم والجمع.

(١٨١) اللبيب: العاقل. وهو مبتدأ، خبره: خبير، والجملة اعتراضية، وأن وما يتصل بها: صلة أعلم. والواو من «وإن حرصت» للحال: والجملة بعدها معترضة، وإن: وصلية محذوفة الجواب دل عليه ما قبله، وغرور: خبر أن، يجوز فيه ضم الغين على المصدر، وفتحها على الصفة. قال الواحدي: قوله: واللبيب خبير، إشارة إلى أنه هو لبيب؛ لذلك علم أن الحياة — وإن حرص عليها الإنسان — غرور يغتر بها الإنسان يظن أنه يبقى وتطول حياته، كما قال البحتري:

وَلَيْسَ الْأَمَانِي فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ بِـهِ عَـادَةٌ إِلَّا أَحَـادِيـثُ بَـاطِـلِ

ومثله لابن الرومي:

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَمَةَ اللَّيَالِي لَمَغْرُورٌ يُعَلَّلُ بِالْأَمَانِي

(١٨٢) ما: زائدة للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ وعلله بالشيء: لهاه به وشغله ومناه. ويصير: ينتهي، وهو مضارع صار التامة. يقول: رأيت كل أحد يعلل نفسه بشيء يلهيها به عن ترقب الموت، وهو لا محالة صائر إلى الفناء.

(١٨٣) الديماس: السرب المظلم، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء، ومنه ليل دامس؛ أي مظلم، ودمست الشيء: دفنته؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته. وفي حديث المسيح عليه السلام: أنه سبط الشعر، كثير خيلان الوجه، كأنه خرج من ديماس. يعني في نضرته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن؛ لأنه قال في وصفه: كأن رأسه يقطر ماء. وهو بكسر الدال: يجمع على دماميس كقيراط وقراريط، وبفتح الدال: يجمع على دياميس، مثل شيطان وشياطين. وأراد بالديماس هنا: القبر. والقرار: كل موضع يستقر فيه شيء، والمراد: القبر أيضًا، وجعل الميت رهن القبر لإقامته هناك إلى يوم البعث، فكأن القبر استرهنه، ثم قال: إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه. وقوله: رهن قرارة، نصب على الحال. وقال ابن جني: ويصح أن يكون بدلًا مما قبله، فيكون منادى مضافًا.

(١٨٤) تغور: تذهب وتختفي. يقول: ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفي في التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت في التراب. وفي هذا البيت نظر إلى قول الآخر:

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ وَالْمَنِيَّةُ كَاسْمِهَا أَنَّ الْمَنِيَّةَ فِي الْكَوَاكِبِ تَطْمَعُ

هذا، ويقال: أحسِب وأحسَب بكسر السين، وفتحها في المضارع، ولا خلاف في كسرها في الماضي.

(١٨٥) النعش: ما يحمل عليه الميت. ورضوى: اسم جبل بالمدينة، شبه المرثي به لعظمه وفخامة شأنه. وهذا من قول ابن المعتز:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ قُومُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ

ولابن الرومي:

مَنْ لَمْ يُعَايِنْ سَيْرَ نَعْشِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُسَيَّرُ الْأَجْبَالُ

(١٨٦) الصعقات: جمع صعقة، وهي الغشية. ودك: هدم وسوى بالأرض، وأصل الدك: الكسر والدق، وأرض دك، والجمع دكوك. قال تعالى: ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾، ويحتمل أن يكون مصدرًا؛ لأنه حين قال: جعله، كأنه قال: دكه، فقال: دكا وأراد جعله ذا دك، فحذف. وقد قرئ بالمد؛ أي جعله أرضًا دكاء فحذف؛ لأن الجبل مذكر، ومن هذا: دك الركية إذا دفنها وطمها، ودك الرجل — على صيغة ما لم يسم فاعله — فهو مدكوك: إذا دكته الحمى وأضعفته. والطور: الجبل؛ والمراد به: طور سيناء. وقوله: يوم دك الطور، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

(١٨٧) كبد السماء: وسطها. وواجفة: مضطربة. وتمور: تذهب وتجيء. يقول: إن ضوء الشمس ضعف بموته، فكأنها مريضة، واضطربت الأرض فهي تذهب وتجيء، وهذا كله تعظيم لموت المرثي. وأصل هذا المعنى قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

(يقول: إن الشمس طالعة تبكي عليك، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر؛ لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها. وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى من ذلك.)

ويقول ابن الرومي:

عَجِبْتُ لِلْأَرْضِ لَمْ تَرْجُفْ جَوَانِبُهَا وَلِلْجِبَالِ الرَّوَاسِي كَيْفَ لَمْ تَمِدِ!
عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لَمْ تَكْسِفْ لِمَهْلِكِهِ وَهْوَ الضِّيَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَقِدِ

(١٨٨) الحفيف: صوت أجنحة الطير إذا حركتها. والملائك: الملائكة، جمع ملك على غير قياس. وصور: جمع أصور، وهو المائل، ومنه قول الشاعر:

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحْبَابِنَا صُورُ

واللاذقية: بلد المرثي. يقول: أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم حفيف، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقًا إليه وحزنًا عليه لشدة حبهم إياه؛ أو لأنهم — كما قال بعض الشراح — يسمعون حس الملائكة فيميلون إلى ذلك الحس الذي يسمعونه. قال العكبري: وقوله: اللاذقية وصور — وهما بلدان — فيه تورية.

(١٨٩) الجدث: القبر. والضريح: الشق في وسط القبر، واللحد في جانبه. وقوله حتى: غاية لخرجوا — في البيت الأسبق — تقديره: خرجوا به حتى أتوا القبر، وهذا من قول ابن الزيات:

يَقُولُ لِيَ الْخِلَّانُ: لَوْ زُرْتَ قَبْرَهَا! فَقُلْتُ: وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ؟

(١٩٠) بمزود: متعلق أتوا — في البيت السابق — والمغفي: النائم، وأغفى إغفاءً: فهو مغفٍ؛ والإثمد: الكحل الأسود؟ وملكه: تقرؤها بضم الميم وبكسرها — روايتان — يقول: لم يزود من ملكه إلا كفنًا يبلى، وقد جعل الكافور — الذي يذر على وجه الميت — في موضع الكحل. وعبارة الواحدي: لم يزود من ملكه إلا كفنًا يبلى، وهو مغفٍ كالنائم لإطباق جفنه، وقد كحل بكافور — لا بإثمد — والإثمد: كحل الحي، والكافور: للميت.

(١٩١) فيه: أي في الكفن، وأجمع تأكيد للناس، والحجا: العقل، والخير، الكرم، وهذا من قول عبد الصمد بن العذل.

فَضْلٌ وَحَزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ وَمَكْرُمَاتٌ طَوَاهَا التُّرْبُ وَالْمَطَرُ

(١٩٢) يقول: إن ثناء الناس عليه وذكرهم إياه بعده كفيل برد حياته؛ لأن من بقي ذكره كأنه لم يمت، وهذا من قول منصور النمري:

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ويقول أبو تمام:

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَيْشًا ثَانِيًا وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا

ويقال: أنشر الله الميت ونشره. قال العكبري: ولما قال: انطوى وذكر الطي، قال: منشور: وهو أضعف اللقبين.

(١٩٣) يقول: ذكره أبدًا يحييه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات.

(١٩٤) غاضت: غارت. وخبت النار: سكن لهبها. والمكايد: جمع مكيدة، وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأي. والسعير: تسعر النار. يقول: لما مات غاض بحر جوده الذي كان يفيض على الناس بالعطاء، وانطفأت نار كيده وكانت سعيرًا على أعدائه.

(١٩٥) يقول: ليس من حقه البكاء عليه؛ لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته الحور في جنة الخلد، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء، قال الشاعر:

إِنْ يَكُنْ مُفْرَدًا بِغَيْرِ أَنِيسٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بِالْحُورِ آنِسُ

هذا ويجوز في «قراره» الرفع على الفاعلية، والنصب على المصدر. قال ابن جني: ويختار النصب.

(١٩٦) على العظيم: أي على الأمر العظيم. وروى ابن جني: عن العظيم؛ أي عن المفقود العظيم.

(١٩٧) يقول: ليس في العالم مثلكم ولا مثله، وكلاكما عظيم.

(١٩٨) العامل في أيام: محذوف؛ تقديره لم يكن له نظير أيام ... إلخ؛ أي أيام يقاتل أعداءه، ويد الموت غير ممتدة إليه، أو تقديره: أذكركم تلك الأيام التي لم ينل منه عدو فيها، ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من نفاده.

(١٩٩) انهملت: جرت وسالت، ويروى: انهمرت، وشفرتا السيف: حداه. يقول: طالما سالت الجماجم والنحور من أعدائه في حدي سيفه بالدماء.

(٢٠٠) أعذته بالله من كذا: عصمته به منه، وهي كلمة تقال في مقام التنزيه. وأن يحزنوا: في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة أعيذ، قال ابن جني: الوجه أن يكون محمد الأول: النبي عليه الصلاة والسلام، والثاني: المرثي. ويجوز أن يكون الأول والثاني كلاهما المرثي. يقول: لا ينبغي لهم أن يحزنوا عليه؛ لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من الكرامة والنعيم الدائم.

(٢٠١) يقال: رغب به عن هذا الأمر: أي رفعه عنه، يقول: وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيرًا له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير؛ أي إن قبره خير له من تلك القصور، ومنزله في الآخرة أشرف من منازله التي كانت في الدنيا. وقال ابن جني: يعني: وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم ... قال العروضي ناقدًا: ما أبعد ما وقع ... أراد — المتنبي — أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان ... وقال ابن فورجة: لكنه يقول: أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيرًا له من قبر حياه فيه الملكان. والمعنى: أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيرًا له من قبره، فإن قبره خير له من تلك القصور، ومنازله في الآخرة أشرف من منازله في الدنيا.

(٢٠٢) يقول: هم — أي بنو إسحاق — نفر — أي رهط وجماعة — إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أغمادها، حضرت آجال أعدائهم؛ لأنهم يستأصلونهم في التو واللحظة، فنفر: خبر مبتدأ محذوف، وحضور: جمع حاضر.

(٢٠٣) التنوفة: الأرض البعيدة — المفازة — يقول: إذا حاربوا جيشًا من جيوش الأعداء تيقن ذلك الجيش أنهم قاتلوه لا محالة، فتأكله الطير حتى إذا جاء يوم البعث بعث من بطون الطير.

(٢٠٤) المبتور: المقطوع. والأعنة: جمع عِنان، وهو سير اللجام. يقول: لم تعطف أعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذي طردته خيلهم، واتبعته قد انقطع أجله.

(٢٠٥) الشاسع: البعيد، وعن نية: أي عن قصد، أو تقول: النية بمعنى النوى؛ أي البعد. يقول: قصدت ديارهم البعيدة لحبي إياهم؛ لأن المحب يزور حبيبه وإن شطت به النوى، كما قال القائل:

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
لَا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

(٢٠٦) هذا من قول الموصلي:

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَقَلِيلٌ مِمَّنْ تُحِبُّ كَثِيرُ

ومثله لجميل بثينة:

وَإِنِّي لَيُرْضِينِي قَلِيلُ نَوَالِكُمْ وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلِ

ولتوبة:

وَأَقْنَعُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ

ولآخر:

جُودُوا عَلَيَّ بِمَنْطِقٍ أَحْيَا بِهِ إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْمُحِبِّ كَثِيرُ

(٢٠٧) هذا استفهام إنكاري؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم: يقول: ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقده.

(٢٠٨) الخابر: العالم بالشيء، مثل الخبير أو المجرب. يقول: لا يشك من خبرهم، وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده: أي لا يصبرون عنه، وهذا من قول البحتري:

حَالَتْ بِكَ الْأَشْيَاءُ عَنْ حَالَاتِهَا فَالْحُزْنُ حِلٌّ وَالْعَزَاءُ حَرَامُ

(٢٠٩) يقول: إنهم يبكون عليه دمًا ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر، وهذا معنًى تداوله الشعراء كثيرًا، وأصله بيت الحماسة:

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ　　　وَعَامٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

(٢١٠) يقول: كل من أذنب إليهم ذنبًا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا ذنب من يسعى بينهم بالنميمة والإفساد.

(٢١١) يقول: إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكدروا صفاء ما بينهم من ود، مثلهم في ذلك مثل الذباب الذي يطير على الطعام، كأنه يريد إفساده. وقال ابن جني: معنى طاروا: ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلًا ... قال العروضي ناقدًا: يظلم نفسه ويغر غيره من فسر شعر المتنبي بهذا النظر، ألا تراه يقول: وكذا الذباب على الطعام يطير؛ أذهاب هذا أم اجتماع عليه؟ وقال: طار الوشاة على، ولو أراد ما قال ابن جني لقال: طار عنه؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتمالئوا بالنميمة ... وقال ابن فورجة: كيف يعني بقوله: طار الوشاة: ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود بطيران الذباب على الطعام؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودادهم، كما أن الذباب يطير على الطعام. والمعنى: أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم بالنمائم دليل على ما بينهم من المودة، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام، وكذا الوشاة إنما يتعرضون للأحبة المتوادين. ومثله:

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحْلَوْا مُسَاجَلَتِي　　　إِنَّ الذُّبَابَ عَلَى الْمَاذِيِّ وَقَّاعُ

(الماذي: العسل الأبيض.)

(٢١٢) أبو الحسين: أحد إخوة المرثي. يقول: بذلت له من الود ما لو بذلت مثله لعدوه لكان ذلك مني إسرافًا وتبذيرًا؛ لأن من عاداه لا يستحق مني مثل ذلك الود، فإذا بذلته له كنت متلافًا واضعًا للشيء في غير موضعه.

(٢١٣) المقدور: القدر. وفصل قضائه: حكمه الفاصل بين الحق والباطل. يقول: كأن القدر يجري بمراده واختياره. وصدر البيت من قول أبي تمام:

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا　　　عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ

وعجزه من قول ابن الرومي:

لَسْتَ تَحْتَجُّ بِالزَّمَانِ وَلَا الْمَقْـ ـدُورِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٢١٤) في قوله: مَرَتك — كما قال الواحدي — نوعان من الضرورة: أحدهما أنه كان يجب أن يقول: أمرأتك؛ لأنه إنما يقال: مرأك إذا كان مع هنأك فإذا أفرد قالوا: أمرأني الطعام. والآخر أنه حذف همزة مرأتك. وقوله: مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب شمائله ويستحسنها، فيسكر السكر حسنها، ويجوز — كما قال الواحدي — أن يكون المراد أنه يغلب السكر، والسكر لا يغلبه، وعادته أن يغلب كل شيء، فكأنه قد غلبه.

(٢١٥) الحميا: من أسماء الخمر؛ شبه الخمر بالشمس، والزجاجة بالبدر، وكفه بالبحر. وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي نواس:

فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقَبِّلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

(٢١٦) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر في موضع إلا حضر، والخضر عند الصوفية حي يرزق، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك. يقول: لا نذكر جوده إلا كان حاضرًا كالخضر، يعني أن جوده يدركنا حيثما كنا.

(٢١٧) نظر في ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم:

قَضَى لَهَا اللهُ حِينَ يَخْلُقُهَا الْـ ـخَالِقُ أَنْ لَا يُكِنَّهَا سَدَفُ

(السدف: الظلمة؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة.)

ونظر في الجود إلى قول أبي تمام:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَتِهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَثَبُ

ويقول أبو نواس:

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعًا عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ

(٢١٨) يقول: إذا احتجبت كنت غير محجوب، وإذا اختفيت فأنت ظاهر، يعني بجودك وهيبتك. وهذا من قول أبي تمام:

فَنَعِمْتِ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ ... مِنْ خِدْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ!

(٢١٩) يقول: الشراب الذي نلت منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي، ثم تعجب مما تفعله الخمر، ولله أبو تمام إذ يقول:

وَكَأْسٍ كَمَعْسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا ... وَلَكِنَّهَا أَجْلَتْ وَقَدْ شَرِبَتْ عَقْلِي
إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ ... عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ

ويقول أيضًا:

أَفِيكُمْ فَتًى حَيِيٌّ فَيُخْبِرَنِي عَنِّي ... بِمَا شَرِبَتْ مَشْرُوبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْنِي

(٢٢٠) يقول: إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها، فكأنه نصفها وقد حكمت في أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به؛ لأنها كانت تدور، فإذا وقفت حذاء واحد منهم شرب، فأمرها فيهم نافذ مطاع. فشطرها: أي نصفها، وقوله: نافذ أمرها، يجوز في «نافذ»: الجر، على أنه نعت سببي، و«أمرها» فاعل، والرفع: على أنه خبر مقدم عن أمرها، والجملة: نعت.

(٢٢١) يقول: إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في كفها دون اختيار منها، بل كرهًا؛ لأنها لا تعقل.

(٢٢٢) يقول: فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لنشرب، فجهلها ما فعلت عذر لها؛ لأنها لا تعلم ما تفعل.

(٢٢٣) يقول: إن العرب جمعيًا قد لبسوا فخرًا به، ويروى: كسبت.

(٢٢٤) في الشرب: أي بينهم، والشرب: جمع شارب، وجن: اسم كان، ووالدها خبر. وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة. ومثله لحسان بن ثابت:

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

(السبيئة: الخمر، وبيت رأس: موضع بالشام، وخبر كأن — في البيت التالي — وهو:

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ اجْتِنَاءُ)

وللقطامي:

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الْوَدَاعَا

(مطلع قصيدة للقطامي يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي، وضباع مرخم ضباعة وهي بنت زفر. وبعد البيت:

قِفِي فَادِي أَسِيرَكِ إِنَّ قَوْمِي وَقَوْمَكِ لَا أَرَى لَهُمُ اجْتِمَاعَا

وقد كان القطامي أسيرًا عند والدها. وقوله: ولا يك موقف ... إلخ: يحتمل وجهين أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال: لا تجعلي هذا الموقف آخر وداعي منك والآخر أن يكون على الدعاء، كأنه قال: لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع.)

(٢٢٥) ما تأتي وما تذر: أي ما تفعله وما تتركه.

(٢٢٦) تنفي الظن: أي ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر، وفي تعبيره ﺑ «زعمت» ما يُشعر بأنه يريد أني أبعد من أن يظن بي مثل ذلك، فليس يعوزك أن تتجشم نفي هذا الظن عني.

(٢٢٧) يقول: إذا امتحنت تضاعف فضلي وارتفعت منزلتي، ومثلي في ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك، فإن ما كان منه يظن بادئ ذي بدء أنه يساوي دينارًا قد تزيد قيمته دينارًا آخر. والمعروف: صفة للذهب، ومخبره: مبتدأ، خبره: بعده. والمخبر: الخبرة.

(٢٢٨) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر؛ لأنه في أيدينا، فبه يطرد الفقر. وإن عوديت فني عمر من يعاديك؛ لأنه عرض نفسه للتلف.

(٢٢٩) يقول: إن الكئوس تفخر بشربك فيها، والخمر تعيب من يعافها — يكرهها — إذ تشرفت بشربك إياها.

(٢٣٠) يقول: إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر، بينما هي تسكر كل من شربها، فكأنها لهيبتها إياك وخوفها سطوتك، لا تقدر أن تنال منك وتسكرك.

(٢٣١) المهجة: الروح. والقالي: من قلاه؛ أبغضه. خشية: مفعول لأجله، عامله فارق. شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه. يقول: قد يعرض للمرء ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح، كذلك أنا أفارقك كارهًا لذلك مضطرًّا.

(٢٣٢) منيت: بليت. والندى: الجود. والأنصار: جمع نصير، بمعنى ناصر. يقول: إنني مبتلى بحساد أعاديهم فانصرني عليهم بجودك حتى أفتخر عليهم بذلك فيموتوا كمدًا.

(٢٣٣) يقولون: عذيري من فلان، إذا أرادوا الشكاية منه؛ أي من يعذرني منه، أي: إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك. والعذارى: الأبكار لم يفرعهن بعل، والمراد هنا: الأمور العظام والخطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها. و«من» الأولى: صلة عذيري، والثانية: بيانية، وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى. والجوانح: الضلوع. يقول: إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعي وقلبي مسكنًا كما تسكن العذارى الخدور.

(٢٣٤) الهيجاوات: جمع الهيجاء؛ وهي الحرب. ومبتسمات: عطف على عذارى، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات بيانية، وعن الأسياف صلة مبتسمات، وليس هنا حرف بمنزلة لا. يقول: ومن عذيره من حروب تبتسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور؛ جمع ثغر مقدم الأسنان.

(٢٣٥) أصل التشمير: رفع الذيل؛ يراد به الإشاحة والجد والإسراع. وقدمي: مفعول ركبت، وإليها: متعلق بركبت، والضمير للهيجاوات. والعذافر: القوي من الإبل، والناقة: عذافرة. والضفور: جمع ضفر، وهو النسع — الحبل — تشد به الرحال. والضفير: الحبل، ومنه الحديث: «إذا زنت الأمة فبعها ولو بضفير»؛ أي بحبل مفتول من شعر، فعيل بمعنى مفعول. يقول: قصدت الهيجاوات — الحروب — راجلًا وراكبًا؛ أي مارستها في كل حال. وكنى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال.

(٢٣٦) الآونة: جمع أوان، كزمان وأزمنة. والرحل: ما يستصحبه الرجل من الأثاث. والقتد: خشب الرحل، وقيل: القتد من أدوات الرحل، وقيل: جميع أداته، والجمع أقتاد وقتود وأقتد. قال الراجز:

كَأَنَّنِي ضَمَّنْتُ هِقْلًا عَوْهَقًا   أَقْتَادَ رَحْلِي أَوْ كدرًّا مُحْنَقَا

الهقل الظليم. والعوهق من النعام: الطويل. والكدر: الغليظ. المحنق: الضامر القليل اللحم. يصف طول ارتحاله وقلة مقامه، ومن ثم قال في النزول: أوانًا، وفي الارتحال: آونة.

(٢٣٧) حر الوجه. ما بدا منه. والهجير. شدة الحر وقت الهاجرة، وهي نصف النهار. والرماح الصم أي: الصلاب. وصدر البيت من قول القائل:

نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إِذَا الْتَقَيْنَا   وُجُوهًا لَا تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ

وعجزه من قول الآخر:

أَقُولُ لِبَعْضِهِمْ: إِنْ شَدَّ رَحْلِي   لِهَاجِرَةٍ نَصَبْتُ لَهَا جَبِينِي

(٢٣٨) السرى والإسراء: السير ليلًا. ومنه: في موضع الحال من الضمير المستتر في الظرف بعده. يقول: كأني في الظلام أسير في القمر الوضاء لمعرفتي بالطرق والمفاوز واهتدائي فيها.

(٢٣٩) فقل في حاجة: أي قل ما شئت، فإن مجال القول ذو سعة. وعلى بمعنى مع، والظرف في موضع الحال من فاعل «أقضِ». وشغفي بها: حبيها. وشروى الشيء: مثله. والنقير: نكتة في ظهر النواة. يضرب مثلًا للشيء الحقير. يذكر كثرة تعبه وقلة نيله يقول: كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أنل منها شيئًا على شدة شغفي بها وحبيها!

(٢٤٠) يقول: وقل ما شئت في نفس — يعني نفسه — لا تؤاتيني على أمر خسيس ولا تقنع به. وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لي.

(٢٤١) ينازعني: حال من فاعل أتاني: وسوى: مفعول تنازع. والخير: الكرم. يقول: وقل ما شئت في كف — يعني كفه — سخية لا تمسك شيئًا وتترك كل شيء لمن ينازعني إلا شرفي وكرمي فإني لا أسخو بهما.

(٢٤٢) أي: وقل ما شئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه، ثم خاطب الدهر فقال: رماك الله يا دهر بدهر شر منك يجني عليك كما جنيت علي وأنت شر الدهور. و«شر» أصله: أشر، تركوا همزته لكثرة الاستعمال.

(٢٤٣) عدوى: خبر مقدم، وكل: مبتدأ مؤخر. وخلت: ظننت، واللام: للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد. والأكم: التلال، جمع أكمة. وموغرة الصدور: متوقدة من

الغيظ. يقول: إن كل شيء في الدهر يعاديه حتى ظن التلال التي لا تعقل تعاديه، يريد بذلك المبالغة. وقال ابن جني: قوله: حتى لخلت ... إلخ، يحتمل أمرين؛ أحدهما: يريد أن الأكم تنبو به ولا تطمئن إليه، فكأن ذلك لعداوة بينهما. والآخر — وهو الوجه — أنه يريد شدة ما يقاسي فيها من الحر، فكأنها موغرة الصدور من قوة حرارتها. قال ابن فورجه: أما المعنى الأول فيقال: لم يرد أن يستقر في الأكم فتنبو به وبئسما يختار دارًا ومقامًا. وأما المعنى الثاني فيقول: كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحي للشمس أولى بأن يكون أحر، وللأكمة ظل، وهو أبرد من المكان الذي لا ظل له؟ فهذا أيضًا خطأ، والذي عنى أبو الطيب أن كل شيء يعاديه حتى خشي أن الأكم التي لا تعقل تعاديه، ويريد بذلك المبالغة، وإن لم يكن ثم عداوة.

(٢٤٤) النفيس: نقيض الخسيس. والجد العثور أو العاثر: الحظ التعس الذي يتعثر صاحبه ويعاني العناء في سعيه. يقول: لو حسدني الناس على شيء نفيس يُرغب فيه لجدت به على المحروم والمحروب منهم، ولكنهم إنما يحسدونني على حياتي مع أنها ليست بالشيء الذي يحسد عليه ويرغب فيه؛ لأنها خلو من السرور، وإلا لجدت بها عليهم أيضًا كي أستريح منهم ومن شرورهم. وقال بعض الشراح: يعني حسدوني على سروري وأنسي وأرادوا أن أكون محزونًا أبدًا، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتى؛ فإن حياة الحزين موت. وكنى بالحياة عن السرور؛ لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة. هذا، وقوله: لذي الجد العثور، يروى: لذا الجد العثور؛ أي لهذا الجد العثور، يعني لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ المنحوس.

(٢٤٥) هذا ابن كروس كان أعور، وكان يعاديه، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير؛ لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى، وباعتبار الباقية نصف بصير، يعني: إن فخرت ببصرك فأنت ذو بصر واحد.

(٢٤٦) يقول: إنما تعادينا لما بيننا من المضادة؛ لأنك ألكن — ثقيل اللسان — وأنا فصيح، وأنت أعور وأنا بصير.

(٢٤٧) يقول: لخستك لا مجال للشعر فيك، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك، والفتر يضيق مقداره عن المسير فيه، كذلك أنت ليس لك عرض يهجى. ومثل هذا قول القائل:

بِمَـا أَهْـجُـوكَ لَا أَدْرِي ... لِسَـانِـي فِـيكَ لَا يَجْـرِي
إِذَا فَكَّـرْتُ فِـي عِرْضِــ ... ـكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي

(٢٤٨) يقول: إن وقتي عنده يفي بالدهر كله ويعادل، كما أن الممدوح يفي بأهل الدهر ويزيد عليهم. وقوله: عند واحد، يروى: عند سيد.

(٢٤٩) في ذراه: في كنفه. يقول: إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم، فالناس به ضعفا ما هم عليه، ودهره عظيم القدر به، فصار به الدهر دهورًا.

(٢٥٠) النشر: الرائحة الطيبة. والكباء: العود الذي يتبخر به، ونشر: مبتدأ، خبره محذوف للعلم به، كأنه يقول: أتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لي؟ قال بعض الشراح: يعني: لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس. وقال بعض الشراح: إن الواو — في قوله: وصافي الخمور — للمصاحبة، سد العطف بها مسد الجر، كما في قولهم: كل رجل وضيعته.

(٢٥١) يقول: إني قد سكرت من سروري حين اجتمعت لي هذه الأشياء فداوِ خماري — والخمار: صداع الخمر — بشرب الخمر؛ أي إنما أريد شرب الخمر، لأنفي الخمار، لا للسكر، فإني سكران من السرور. وعبارة بعض الشراح: قوله: بشربي، صلة خماري، والمعنى: لا تزدني من الخمر، ولكن التمس لي دواء من سكري بها، فإني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء، فلا أحتمل سكرًا آخر.

(٢٥٢) روي هذان البيتان برفع القافية ونصبها، فالرفع على الاستئناف، والنصب عطف على يرى، وإذن: يروى البيت الثاني: من بعد أن يبصرها. يقول: لا يلام من رأى الشمس وقال: هذه شمس، لا، إنما اللوم على من رآها وقال: هذه ظلمة وضرب ذلك مثلًا. يقول: إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء؛ لأن الشمس لا تخفى. ومثله للعكوك:

سَمَا فَوْقَ الرِّجَالِ فَلَيْسَ يَخْفَى وَهَلْ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ الْتِبَاسُ؟

(٢٥٣) من خصال: بيان لقوله: لما أرى. يقول: لا أحتاج إلى حفظ مدائحه بقلبي لحضور معانيها أمام عيني؛ وهي ما أراه من خصال الأمير، فإني كلما نظرت إليها هيأت لي ما أنظمه فيها من غرائب المنثور فأنطق به. أو تقول: أنا أشاهد بعيني ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المنثور، فعيني تنظم فضائله؛ لأنها تدركها وتشاهدها، لا قلبي. وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي:

وَحَاكَةِ شِعْرٍ حَسَّنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمُ وَمِنْكَ وَمِنْ أَفْعَالِكَ امْتَازَ حُسْنُهُ

ومثله لابن المعتز:

إِذَا مَا مَدَحْنَاهُ اسْتَعَنَّا بِفِعْلِهِ   لِنَأْخُذَ مَعْنَى مَدْحِهِ مِنْ فِعَالِهِ

(٢٥٤) مدحيك، أي: مدحي إياك. وقوله: وقليل لك المديح الكثير، من قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

إِذَا اسْتَكْثَرَ الْحُسَّادُ مَا قِيلَ فِيكُمُ   فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَكْثِرُونَ قَلِيلُ

(٢٥٥) المقتضب هنا: مصدر بمعنى الاقتضاب، وهو في الأصل: الاقتطاع، والمراد: ما أتى به بديهًا. هذا، ولم يبين المتنبي ذلك العذر الذي اعتذر به في ترك الشعر، كأنه كان عذرًا واضحًا قد عرفه الممدوح فأهمل ذكره.

(٢٥٦) يقول: إنما يمدحك ما فيك من الأخلاق الحميدة التي أراها فأتعلم المدح منها، والجود الذي يستغرق كلامي في وصفه حتى كأنه يغير عليه وينهبه. وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي:

وَلَا مَدْحَ مَا لَمْ يَمْدَحِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ   بِأَفْعَالِ صِدْقٍ لَمْ تَشِنْهَا الْخَسَائِسُ

(٢٥٧) سقاه الله وأسقاه: أمطر بلاده، لغتان نطق بهما القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾. وقال سبحانه: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾. يقول: سقى الله أحبائي غيث كفيك حتى يخصبوا بجودك، وسقاك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك.

(٢٥٨) بسيطة: موضع بقرب الكوفة. والقطار: جمع قطرة؛ أي قطر المطر. وحيارى: جمع حيران.

(٢٥٩) عليك — في الشطرين — حال من المنصوب قبله. والصوار: القطيع من البقر. والمنار: منارة الجامع؛ المئذنة.

(٢٦٠) الأكوار: الرحال. وقصد: اقتصد. وجار: مال. يقول: أمسك أصحابي برحالهم؛ لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب، فمنهم من اقتصد ومنهم من أفرط فيه.

(٢٦١) وحيدًا: حال من فاعل أطاعن. وقوله: ما قولي، استفهام، وكذا مفعول قولي يقول: أنا أقاتل فرسانًا الدهر أحدهم؛ أي أني أقاتل الدهر وأحداثه وحيدًا لا ناصر لي، ثم رجع عن هذا وقال: لِمَ أقول: إني وحيد والصبر معي؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومي:

فَإِنِّيَ مِنْ زَمَانِي فِي حُرُوبِ

(٢٦٢) يقول: إن سلامتي وبقاءها معي في هذه المطاعنة أشجع مني، وهذا مجاز؛ يريد أني أسلم من هذه الأحداث فلا تصيبني بسوء، ثم قال: وما بقيت سلامتي إلا لأمر عظيم، سيظهر على يدي.

(٢٦٣) تمرس بالشيء: احتك به. والآفات: جمع آفة، وهي في الأصل العاهة، والمراد هنا: ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهالك من قتل وجراحة ونحوهما، والذعر: الخوف. يقول: تمرست بالآفات في الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتي، وتجلدي لها، وقالت: هل مات الموت إذ لم يصب هذا المتمرس بي، أو خافت المخاوف فلا تخيفه؟ يريد: إن الآفات لو كانت ممن ينطق لقالت هذا القول لكثرة ما تراني أمارسها من غير خوف يلحقني ولا هلاك يصيبني.

(٢٦٤) الأتي: السيل الذي لا يرده شيء. والوتر: الذحل والثأر. يقول: أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذي لا يرده شيء، حتى كأن لي سوى نفسي نفسًا أخرى إن ذهبت نفسي كانت لي بدلًا، أو كأن لي ثأرًا عند نفسي فأنا أريد إهلاكها.

(٢٦٥) ذر: بمعنى دع، وتروى: دع. والوسع: الطاقة. ومفترق: مبتدأ، سد المرفوع بعده مسد الخبر، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف. جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما، وصحبتهما تكون مدة العمر، فإذا فني العمر افترقا. يقول: دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان، فإنها غير باقية مع الجسد. قال العكبري: وهذا من أحسن الكلام، وهو من الحكمة. قال الحكيم: من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه.

(٢٦٦) الزق: وعاء الخمر. والقينة هنا: المغنية. والفتكة: المرة من الفتك وهو البطش. والبكر من كل شيء: الذي لم يسبقه نظر. يقول: لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان، لا فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشًا لم يسمع بمثله.

(٢٦٧) وتضريب: عطف على السيف. والهبوات: جمع هبوة، وهي الغبرة العظيمة. والمجر: الجيش الكثير. وأن ترى لك الهبوات السود: أي أن تثير الغبار بحوافر الخيل لدى الطعان والنزال.

(٢٦٨) الدوي: الصوت العظيم يسمع من الريح وحفيف الأشجار. وتداول — بحذف إحدى التاءين — أي: تتداول، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماضٍ. والأنمل: رءوس الأصابع. يقول: وأن تترك في الدنيا جلبة وصياحًا عظيمًا؛ جلبة المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام، كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول، إذا أنأى واحدة أدنى أخرى؛ وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجًا وجلبة. وعبارة الواحدي: يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سد مسامعه عن غيرها. ونقل بعضهم هذا المعنى، وجعل ذلك خرير دموعه فقال:

فَاحْشُ صِمَاخَيْكَ بِسَبَّابَتَيْ كَفَّيْكَ تَسْمَعْ لِدُمُوعِي خَرِيرَا

قال العكبري: وهكذا من يتعرض لمعاني المتنبي يجيء شعره أبرد من الزمهرير!

(٢٦٩) يقول: إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها، فالفضل حينئذٍ له، لا لك؛ لأنه قد استوجب شكرك، فصار له علك فضل المشكور على الشاكر. يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره. وهذا المعنى يتضمن على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه عن أن يسف به. قال العكبري: وهذا من كلام الحكمة، قال الحكيم: من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل، يرفع قدر الجاهل عليه، وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

عَيَّاشُ إِنَّكَ لَلَّئِيمُ وَإِنَّنِي إِذْ صِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لَلَئِيمُ

وقد ذهب ابن جني في تفسير البيت مذهبًا أثار عليه نقد سائر الشراح قال: إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصاغر الناس على ما تتبلغ به، فالفضل فيك ولك لا للمدوح المشكور ... قال العروضي — مشنعًا: يقول أبو الطيب: فالفضل فيمن له الشكر، ويقول أبو الفتح: فالفضل فيك ولك! فتغير اللفظ وفسد المعنى؛ والذي أراد المتنبي أن الفضل والأدب إذا لم يرفعاك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعًا وتشكره على هبته، فالناقص هو الفاضل لا أنت، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الأخذ

منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره ... وقال ابن فورجة: الذي أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك، فإن الفضل لمن شكرته لا لك؛ لأنك محتاج إليه، يعني أن الغنى خير من الأدب، يريد إذا كان الأديب محتاجًا إلى الغنى، فالمعنى أنه يحرض على ترك الانبساط إلى اللئيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل. وقال الواحدي: الذي أدخل الشبهة على أبي الفتح أنه تأول في قوله: فالفضل فيمن له يريد الشاكر، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكرك، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى. وإنما أراد أبو الطيب بقوله: من له الشكر: المشكور على إحسانه.

(٢٧٠) يقول: من يجمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر؛ لأنه إذا جمع حرم، والحرمان فقر. وعبارة الخطيب: إذا أفنيت دهرك في جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرك في الفقر. فمتى يكون غناك؟ فقد تعجلت الفقر. قال العكبري: وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه، وهو من كلام الحكمة. قال الحكيم: من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم، ويقول قائلهم:

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِنْفَاقَ مَا تَجْمَعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

وقال آخر:

يُخَوِّفُنِي بِالْفَقْرِ قَوْمِي وَمَا دَرَوْا بِأَنَّ الَّذِي فِيهِ أَفَاضُوا هُوَ الْعُسْرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ لَمَّا لَحَوْنِي وَأَكْثَرُوا: أَلَا إِنَّ خَوْفَ الْفَقْرِ عِنْدِي هُوَ الْفَقْرُ

وقال لقمان الحكيم: من دافع الفقر بالذل قبل الفقر فقد تعجل الفقر.

(٢٧١) الجور: الظلم. والطمرة: الفرس الوثابة نشاطًا ومراحًا. والحيزوم: الصدر. والغمر: الحقد. يقول: يحق على أن أسوق إلى أهل الظلم عسكرًا لجبًا فيه كل فرس نشيط يحمل فارسًا قد امتلأ صدره حقدًا عليهم وغيظًا وحنقًا، فلا تأخذه بهم رأفة. وعبارة جميع الشراح: أنا كفيل بخيل فرسانها هؤلاء.

(٢٧٢) يدير: أي الغلام. يقول: يدير عليهم كئوس الموت حين لا تشتهى الخمر ولا تراد لهول ما هم فيه من القتال، وإنما الخمر تشتهى عند وقت الفرح والأريحية والفراغ.

(٢٧٣) جبت: قطعت. يقول: كم من جبال تشهد لي بالأناة والوقار، وبحار تشهد لي بسعة الصدر والسخاء! ولعله ينظر إلى قول القائل:

فَتًى لَا يَرَاهُ الْبَحْرُ إِلَّا أَظَلَّهُ خَوَاطِرُ فِكْرٍ أَنَّهُ زَاخِرُ الْبَحْرِ

(٢٧٤) وخرق: عطف على جبال، والخرق: المفازة الواسعة. ومكان العيس مبتدأ، ومكاننا: خبره. وواسط الكور: بدل من مكاننا. والعيس: الإبل، وواسط الكور مقدم الرحل والضمير في منه وفيه: للخرق. وقال ابن القطاع: مكان العيس: مبتدأ، ومكاننا: ابتداء ثان، وواسط الكور: خبر الابتداء الثاني، والجملة خبر الأول. يقول: لسعة هذا الخرق وطول مسافته وترامي أطرافه كانت إبلنا كأنها لا تنتقل عن ظهره ولا تزال متوسطة له، كما أننا كنا على ظهور إبلنا لا ننتقل عنها، ولا نزال متوسطي ظهورها. وهذا المعنى من قول ذي الرمة:

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ يَدْأَبُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظَلُّونَ كَأَنْ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

وقال ابن جني: الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجيء لسعة هذا الخرق، فكأنها ليست تبرح منه، فكما نحن في ظهور العيس لا نبرح منها في أوساط أكوارها، كذلك هي، كأن لها من أرض هذا الخرق كورًا وظهرًا فقد أقامت به لا تبرحه ... قال الواحدي ناقدًا: وقد غلط ابن جني فيما ذكر، إنما يصف مفازة قد توسطها، فهو على ظهر البعير في جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الخرق، والمعنى: أنا في وسط ظهور الإبل، والإبل في وسط ظهر الخرق! ولم يتعرض في هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها، ثم ذكر سيرها في البيت الثاني فقال: يخدن بنا ... إلخ، فكيف يتجه قول ابن جني مع قوله: يخدن بنا؟ وهذا يحتمل معنيين؛ أحدهما: إنا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهي إليه، والثاني: إنه يصف شدة سيرهم، والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار:

كَأَنَّ فُؤَادِي كُرَةٌ تَنَزَّى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

(٢٧٥) يخدن: يسرن سيرًا سريعًا. وجوزه: وسطه. وسفر: أي مسافرة. يقول: إن إبلنا كانت تسير مسرعة في هذا الخرق ولا تبلغ آخره، فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهي إليه — أو كأن أرض هذا الخرق تسير معنا فلا نقطعها ولا نفوتها، وهذا كما يقول السري الرفاء:

وَخَرْقٍ طَالَ فِيهِ السَّيْرُ حَتَّى ... حَسِبْنَاهُ يَسِيرُ مَعَ الرِّكَابِ

وإذا أسرع الإنسان في السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين، لهذا قال: أو أرضه معنا سفر، يعني نحن نسير بسرعة ولا نبلغ مدى هذا الخرق، فكأنه يسير معنا، كما قال أبو النجم:

فَكَأَنَّ أَرْضَ اللهِ سَائِرَةٌ ... مَعَنَا إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُ

(٢٧٦) ويوم: عطف على ما تقدم، والضمير في أفقه: لليل، وليس لليل أفق، وإنما أراد أفق السماء في ذلك الليل؛ أي ناحيتها. يصف إدآبهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل. وقوله: كأنما على أفقه ... إلخ: مثله قول ابن ميادة:

وَأُلْبِسَ عُرْضُ الْأُفْقِ ثَوْبًا كَأَنَّهُ ... عَلَى الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ ثَوْبٌ مُعَصْفَرُ

ومثله ليحيى بن الفضل:

حَتَّى إِذَا مَا الْفَجْرُ لَاحَ كَأَنَّهُ ... ثَوْبٌ عَلَى أُفُقِ السَّمَاءِ مُعَصْفَرُ

(٢٧٧) متنه: ظهره؛ والدجن: الظلمة. وأراد به الغيم، والدجن: إلباس الغيم السماء. يقول: كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حللًا سوداء، والسواد يسميه العرب خضرة، قال ذو الرمة:

فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ

أو يريد أنه سافر في أيام الربيع والأرض خضراء.

(٢٧٨) قوله: تحته: حال من ضمير المتكلمين. يقول: ورب مطر ظنناه ونحن تحته أن عامرًا — وهو جد الممدوح — في السحاب ارتفع إليه ولم يمت، فهذا المطر من جوده، أو أن قبره في السحاب فأعداه بجوده. وقبر: معطوف على خبر أن، تقديره: علا لم يمت أو أن له قبرًا في السحاب.

(٢٧٩) ابن: عطف على عامرًا، والباقي: نعت ابن، وسكنه ضرورة. وصفرت اليد فهي صفر، ولا يقال: صفرة. يقول: لو لم أعبر هذا الغيث ويدي خالية لقلت: إن ابن ابنه — يعني الممدوح — كان في السحاب، وهو الذي يجود بذلك الغيث، ولكن لما عبرت ويدي خالية علمت أنه جَود — بفتح الجيم: أي مطر — لا جُود؛ لأن عادته أن يملأ يدي بالهبات.

والبيتان من قول أبي تمام:

وَرَاحَةِ مُزْنَةٍ هَطْلَاءَ تَهْمَى مَوَاهِرُهَا وَهُنَّ عَلَيَّ سكبُ
فَقُلْت: يَدُ السَّمَاءِ أَمِ ابْنُ وَهْبٍ تَجَلَّى لِلنَّدَى أَمْ عَاشَ وَهْبُ؟

(٢٨٠) الجَود بفتح الجيم: المطر. يقول: إن السحاب الذي يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جمع السحب.

(٢٨١) يقول: إن ما توافر في قلبه من الهمم لا يجمعه قلب غيره، ولو ضمها قلب أحد لكان عظيمًا مثلها، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب. قال الواحدي: وهذا مما أجري فيه المجاز مجرى الحقيقة؛ لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعًا لسعتها، ألا ترى أن قلب الممدوح قد وسعها وصدره قد وسع قلبه، وليس بأعظم من صدره غيره؟ وقد قال ابن الرومي:

كَضَمِيرِ الْفُؤَادِ يَلْتَهِمُ الدُّنْـ ـيَا وَتَحْوِيهِ دَفَّتَا حَيْزُومِ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبا الصدر.

(٢٨٢) المراد بالإمكان: اليسر والغنى؛ والقنا: الرماح. يقول: لولا سخاؤه لما انتفع الناس بغناه؛ لأنه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع؛ لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذي يصرفه في المنافع؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بدون الأيدي الطاعنة بها. كما يقول البحتري:

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلٌ فَلَا قَطْعَ، إِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ

ويقول أيضًا:

فَلَا تُغْلِيَنَّ السَّيْفَ كُلَّ غَلَائِهِ لِيَمْضِي، فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ

(٢٨٣) الصلت جد الممدوح لأمه، وعامر جده لأبيه. وقوله: قران: لك أن تجعله مرفوعًا بفعل مضمر تقديره: أنجب به قران هذه حاله، مثلًا. والقران في الأصل: اسم لمقارنة الكوكبين. جعل جديه من الطرفين في المصاهرة ونسب الممدوح كقران الكواكب تعظيمًا له، ثم شبه اجتماعهما باجتماع السيف الهندي مع النصر، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلي.

(٢٨٤) فجاءا به: أي الجدان المذكوران، ويروى: فجاء؛ أي القران. وصلت الجبين: وضحه أو الواسع المستوى الجميل، وهو حال. يقول: ترى الناس حوله وهم كثيرون في العدد، قليلون بالقياس إليه. والقل: القلة، والكثر: الكثرة، والتقدير: ذوي قل؛ أي في المعنى، وهم ذوو كثرة في العدد، وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا

(٢٨٥) مفدًى: حال أخرى، كما أن معظمًا — في البيت السابق — حال أولى؛ أي يقول له الرجال: فديناك بآبائنا. والسميذع: السيد الكريم. والمد: زيادة الماء. والجزر: نقصانه، وجعله كرمًا — وهو مصدر — مبالغة لكثرة وجوده منه؛ أي هو ذو الكرم ذي المد، يقول: هو كرم زائد لا نقصان له.

(٢٨٦) خبر ما زلت: يسايرني، والركب: جماعة الراكبين. يقول: ما زلت يسايرني في كل ركب ذكره حتى قادني الشوق إليه؛ أي إنني قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره، وما صاحبت أحدًا إلا وهو يذكره بمدح وثناء، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

لَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ ثَنَائِي سَائِرًا وَنَدَاكَ فِي أُفُقِ الْبِلَادِ يُسَايِرُهْ

(٢٨٧) الخبر: الخبرة والاختبار. يقول: كنت أستعظم ما أسمعه من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبارُ الخبرَ؛ أي وجدته

خيرًا مما كنت أسمع. وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الخيل وقد وفد عليه: «ما وصف لي أحد إلا رأيته دون الوصف سواك، فإنك فوق ما وصفت لي.»
ويقول القائل:

كَانَتْ مُحَادَثَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدِ بْنِ عَلِيٍّ طَيِّبَ الْخَبَرِ
ثُمَّ الْتَقَيْنَا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي

(٢٨٨) الصفصف: الفلاة المستوية. والوآة: الناقة القوية. جعل سير الناقة في الفلاة طعنًا، وجعل ما يقطعه من الأرض نحرًا؛ أي كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها، يقول: أينما قصدت من الأرض قطعته وجازته لا تبالي بسهل ولا وعر: بمنزلة الطعنة إذا أصابت نحرًا فإنها تنفذ فيه نفاذًا ذا أثر بالغ. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى: كل ما لقيته هذه الناقة من مشاق الطريق نحر لها؛ أي يفعل بها فعل النحر، فكأنها تنحر في كل ساعة.

(٢٨٩) النبر: دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعتها. يقول: إذا لسع النبر هذه الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت — نشطت واحتدت — في سيرها حتى لكأنه صر في جلدها نوالًا — عطاء — شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنانير ودراهم، فكأنها مرحت لذلك. وقالوا: إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة الصغيرة؛ فلذلك حسن تشبيهه بالصرة في جلدها. يقول: إن الشدائد لا تفل حد مراحها؛ أي إنها لا تبالي في طريقها إلى الممدوح بشيء ينالها.

(٢٩٠) يقول: جئناك وأنت دونهما في البعد؛ أي أقرب إلينا مطلبًا منهما، وهما — الشمس والبدر — دونك في جميع أحوالك، فأنت أعم نفعًا وأشهر ذكرًا وأعلى منزلة وقدرًا، أي إنك — على بعدك — فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر. وقوله: دون الشمس: حال من المخاطب. والنوى: البعد. قال الخطيب: ولم يعبر عبارة جيدة.

(٢٩١) العشر: أبعد أظماء الإبل؛ وهو أن ترد يومًا وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم العاشر أعطش ما تكون. يقول: لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى تستغني الإبل عن معاودة الشرب. وقال الواحدي: لو كنت الماء لوسعت بطبع الجود كل حيوان في كل مكان وفي ذلك ارتفاع الأظماء. وقال ابن جني: أي كانت تجاوز المدة في ورودها العشر لغنائها بعذوبتك وبردك.

(٢٩٢) يقول: دعاني إلى أن أنتجعك وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجا — العقل — وما أعددته لك من منظومي في مدحك، وما عهدناه فيك من النائل — العطاء — الذي تنثره نثرًا على قاصديك. وقيل: يعني بالكلام النظم، كلام الممدوح ونظمه.

(٢٩٣) يروى: قلتُ بضم التاء؛ فيكون ذلك تأييدًا لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق. ويروى بفتح التاء؛ فيكون المعنى ما ذهب إليه الواحدي، قال: يقال: إن هذا الممدوح حسن الشعر مليحه. وقوله: بيوته؛ أي أبيات الشعر. وقوله: يبيض من نورها؛ أي من نور معانيها، أو من نور ما تضمنته من محاسنك. وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي:

وَلِمَدْحِيكَ قُلْتُهَا كَلِمَاتٍ هُذِّبَتْ فِيكَ أَيَّمَا تَهْذِيبِ
سودت فيك كل بيضاء تسويدًا تراه العيون كالتهذيب

(٢٩٤) الخلائق: الأخلاق. والزهر: جمع أزهر؛ وهو المضيء المشرق. شبه معاني شعره في فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا في اتساقها وجمالها، وبأخلاق الممدوح الزاهرة المشرقة في إشراقها وسطوعها وشهرتها.

(٢٩٥) يقتضيني: يطالبني. يقول: تنكبت السلاطين وتنحيت عن قصديهم؛ لأني أجتويهم وأمقتهم، ولأنه بودي أن أعطف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التي تترقب أكلها، فهي تطالبني بجماجمهم، وهو المتنبي يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه، وبعد مرتقى همته، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقته.

(٢٩٦) الضر هنا: الفقر وسوء الحال. يقول: إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلي من أن أرى أو ألقى صغيرًا — حقيرًا — متكبرًا. ويروى بدل مرأى: لقيا، قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: أعظم ما على النفوس إعظام ذوي الدناءة.

(٢٩٧) تقول: رجل ود — بتثليث الواو — بمعنى ودود، والجمع: أود. وقوله: والشطر: الأوجه أنه عطف على لساني. يقول: إن لساني وعيني وفؤادي وهمتي تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك، وكذلك شطري؛ أي إن كل شطر مني يود شطرًا منك، يعني أن كلي يود كلك، فقوله: أود اللواتي ذا اسمها منك، أي ودودة اللواتي تسمى منك بهذه الأسماء: أي اللسان ... إلخ. قال الواحدي: والغرض من هذا البيت: التعمية فقط،

وإلا فما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطرابات؟! أقول: ومن ثم تخبط فيه الشراح أيما تخبط.

(٢٩٨) يقول: إني لم أستقل وحدي بهذا الشعر ولكن ظاهرني عليه شعري؛ لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت. والمعنى: إن شعري كان يطاوعني ويؤاتيني في مدحك حتى لكأنه كان ينظم معي، ولله قول أبي تمام في هذا المعنى:

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فِيهِ إِذْ أَرِقْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ

(٢٩٩) ما: نافية، وذا: اسم إشارة. ورونق: السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرته. والبشر: طلاقة الوجه وتهلله. يقول: ليس الذي يرى في شعري من الحسن رونقه هو: أي رونق فصاحته وبلاغته، ولكن شعري تهلل وجهه ابتهاجًا بلقائك واستبشر ضاحكًا ناضرًا حين رآك، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك.

(٣٠٠) الذي يوجب القدر: أي الذي يستدعيه قدرك ويستحقه؛ ورواه قوم: نلتُ، بضم التاء؛ أي وإن نلتُ أنا وأنا من بعض خدمك، وليس بشيء.

(٣٠١) يقول: لما سمحت الأيام بلقائيك أزالت عتبي عليها؛ لأني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها، فكأن الأيام أتت بك عذرًا عن ذنوب بنيها. والمصراع الأول من قول أبي تمام:

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولَا وَأَصْلَح بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي

والثاني من قوله أيضًا:

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِنَدَاكَ وَهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

ويقول أبو نواس:

يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُو فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ

ويقول ابن الرومي:

أَنْـتُـمْ أُنَـاسٌ بِـأَيَـادِيـكُـمُ　　يَسْتَغْفِرُ الدَّهْرُ إِذَا أَذْنَبَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ　　وَزَادَ فِـي عِدَّتِكُمْ أَعْتَبَا

(٣٠٢) ذكر الخطيب التبريزي — في شرحه أن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافورًا مدح الوزير أبا الفضل جعفر بن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها:

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا

وجعلها موسومة باسمه، فكانت إحدى قوافيها جعفرًا، وكان قد قال فيها:

صُغْتُ السِّوَارَ لِأَيِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ　　بِابْنِ الْفُرَاتِ وَأَيِّ عَبْدٍ كَبَّرَا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان، وبها أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة، والكاتب الأديب الكبير المعروف، فحول القصيدة إليه، وحذف منها لفظ جعفرًا، وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات.

(٣٠٣) يقول — مخاطبًا نفسه: سواء أصبرت أم لم تصبر هواك ظاهر للناس بادٍ، وأي محب يستطيع أن يكتم حبه؟ وهناك آياته من التحول والاصفرار، وما إليهما، وبكاؤك كذلك غير خافٍ على الناس أجرى دمعك أم لم يجرِ؟ لأن ما يبدو في صوت المحب من نغمة الحزن والزفير والشهيق والتهيؤ للبكاء شواهد على الدموع. وقال بعض الشراح: وبكاك: عطف على الضمير في قوله صبرت، تقديره: صبرت وصبر بكاؤك فلم يجرِ دمعك أو لم تصبر فجرى. هذا، وقد قيل للمتنبي: خالفت في هذا البيت بين سبك المصراعين، فوضعت في المصراع الأول إيجابًا بعده نفي، وفي الثاني نفيًا بعده إيجاب، فقال: لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى؛ وذلك أن من صبر لم يجرِ دمعه، ومن لم يصبر جرى دمعه، يعني أنه أراد: صبرت فلم يجرِ دمعك أو لم تصبر فيجري … وقوله: لم تصبرا: أراد تصبرنْ — بنون التوكيد الخفيفة — فأبدلها ألفًا. قال العكبري: ومثله كثير في الكلام، كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب لمالك وحده، وإنما المعنى ألقين، ومثله قول الحجاج: يا حرسي اضربا عنقه، والخطاب لواحد. والمعنى: اضربن عنقه، ومثله لسويد بن كراع العقيلي:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَتْرُكَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعَا

والخطاب لواحد. فهذا شاهد على ألقيا واضربا، ومثله:

فَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا

فقد جاء في الكتاب العزيز: النون الخفيفة بالألف خطًّا في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا﴾ ومثله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، وقول الراجز:

يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا

(هذا البيت من قصيدة مرجزة أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب — كما ذكره البغدادي في «الخزانة» — وأولها:

عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَرْعَ قُفًّا أَدْرَمَا وَلمْ تُعَجِّمْ عُرْفُطًا مُعَجَّمَا
كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكُفِّ الحَالِبِينَ كَلَّما
شَدَّ عَلَيْهِنَّ البَنَانَ الْمُحكْمَا سَحِيفُ أَفْعَى في خَشِيٍّ أَعْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قُيَّمَا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابَ الزُّمَمَا
وَقِمَعًا يُكْسَى ثُمَالًا قَشْعَمَا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا
شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مَعَمَّمَا لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمَا ... [إلى آخر الأبيات]

عبسية: أي لنا إبل عبسية؛ أي منسوبة إلى عبس أبي القبيلة، ولم ترعَ: من الرعي. والقفف: ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلًا، وقفا: مفعول ترع، والأدرم الذي لا نبات فيه، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تمضغ، والعرفط: كقنفذ شجر من أشجار البادية، والمعجم: المعضض، وقوله: كأن صوت شخبها ... إلخ: يصف حلب الناقة، وشبه صوت درتها بصوت أفاعٍ في خشي، والشخب: مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج من الضرع، وهمى: سال، وشد أي غنى وفاعله ضمير الشخب، والبنان: مفعوله على تقدير اللام، وضمير عليهن للأكف، وسحيف أفعى: خبر كأن، والسحيف: الصوت، والأفعى: الحية، والخشي: اليابس، والأعشم: الشجر اليابس، وقيمًا: جمع قائمة والقياس

قوم، ومثنى الوطاب: مفعول حلبن على حذف مضاف؛ أي ملء مثنى الوطاب، والمثنى هنا بمعنى المكررة كقولهم: مثنى الأيادي أي يعيد معروفه مرتين وثلاثًا، والوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن خاصة، والزمم: جمع زام من زم القربة ملأها، والقمع: آلة تجعل في فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه، والثمال: الرغوة، وكل شيء يكون ضخمًا فهو قشعم، وقوله: يحسبه: أي يحسب الثمال، وما مصدرية ظرفية، ويعلم: بمعنى يعرف، ومفعوله محذوف ضمير الثمال، وشيخًا: مفعول ثانٍ ليحسبه وما بعده صفتان له، شبه الرغوة التي تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسي، وهو تشبيه ظريف، ولم يصب الأعلم الشنتمري شارح شواهد سيبويه في قوله: وصف جبلًا قد عمه الخصب وحفه النبات وعلاه فجعله كشيخ مزمل في ثيابه معصب بعمامته … إلخ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات، وقوله: لو أنه أبان، أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان — أي أفصح عما في نفسه — لكان إياه؛ أي لكان الثمال ذلك الشيخ. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي ج٤ ص٥٦٩ ط أميرية.)

(٣٠٤) يقول: كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق؛ لأنه يرى صبرًا وضحكًا ظاهرين ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد. وورد في «الصبح المنبي»: أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد: يا أبا الطيب! أتقول: باد هواك ثم تقول: كم غر صبرك؟ فما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به! فقال المتنبي: تلك حال وهذه حال. وإني لأحسب المتنبي حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض، فاختصر الجواب أجزأ اختصار … ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثاني سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول؛ لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره، ولكنه لما أنحل جسمه بعد ذلك استدل الناظر بنحوله على كونه عاشقًا فبدا هواه ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئًا في كتم الهوى. وقد زاد هذا المعنى بيانًا في البيت الذي يلي.

(٣٠٥) الفؤاد في الجسد بمنزلة الملك؛ فلهذا جعله آمرًا للسان والجفن. يقول: أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإمساك الدموع فأطعنه وكتمن، ولكن جسمك بنحوله دلَّ على ما في قلبك. والضمير في قوله: فكتمنه، عائد على قوله: ما لا يرى — في البيت السابق — وجسمك: فاعل كفى، والباء: زائدة، ومخبرًا: خلف من موصوف تمييز. وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر:

خَبَرِي خُذِيهِ عَنِ الضَّنَى وَعَنِ الْأَسَى　　لَيْسَ اللِّسَانُ وَإِنْ تَلِفْتُ بِمُخْبِرِ

(٣٠٦) تعس: كبا وعثر، وقد يراد به الهلاك. والمهاري: جمع مهري، والبعير مهري والناقة مهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان؛ أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل، وتقول في الجمع: مَهَارِيُّ ومَهَارٍ ومَهَارَى. قال رؤبة:

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلَهِ
بِنَا حَرَاجِيجُ الْمَهَارِي النُّفَّهِ

(قبله:

وَمَخْفِقٍ مِنْ لَهْلَهٍ وَلَهْلَهِ
فِي مَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمَهِ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّهِ
بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلَهِ
بِنَا حَرَاجِيجُ الْمَهَارِي النُّفَّهِ
يَجْذِبْنَهُ بِالْبَوْعِ وَالتَّأَوُّهِ

المخفق: الموضع الذي يخفق فيه السراب. واللهله: المكان المستوي الذي ليس به علم. وغول كله ميله: أي بعده؛ يريد مكانًا بعيدًا يغتال المشي فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده. والميله: الفلاة التي تولِّه الناس وتحيرهم. والحراجيج: جمع حرجوج وحرجيج؛ الناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة. والنفه: جمع نافه؛ وهي المعيية، وفي الحديث: نفهت نفسك: أعيت وكلت. وقال أبو سعيد: لم يجد رؤبة موضعها، إنما يقال: رجل منفوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد. ويجذبنه: يريد يجذبن أنفسهن فيه. وقوله: والتأوه، هو مثل قول المثقب العبدي:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ　　تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ)

وقوله: غير مهري: استثناء. وغدا: أي ذهب غدوة؛ يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع، هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويرًا، والذي يلبس الديباج منقشًا بالصور.

(٣٠٧) يقول: إني أنفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستر هودجه وأحسدها لقربها منه، ولو كنت تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو، فأراه ويزول الحجاب، وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمعنى خفاء الصورة انكشاف الستر، ومتى انكشف الحبيب فيراه المحب. وإليك عبارات سائر الشراح: قال ابن جني: لو كنت الصورة التي في ستره لنزلت حتى يظهر الذي فيه لرأي العين، وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشفت حتى يظهر للناس ويزول ذلك الحجاب. وقال الواحدي: أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذي في هودجه لقربها منه، يعني الصورة، ولو كنت الصورة لخفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار. وقال ابن القطاع: إنما تمنى أن يكون صورة في سترها ليشاهدها كل وقت، ثم قال: لو كنتها لخفيت من نحولي فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين.

(٣٠٨) لا تترب: لا تفتقر، ويقال: ترب الرجل: افتقر وصار على التراب، ولا تربت يداك؛ أي لا افتقرت: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ صار على التراب لفقره. وكسرى: لقب ملوك العجم، وقيصر: لقب ملوك الروم. يريد أن صورة كسرى وقيصر كانت على الستر وكأنهما أقيما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور. يدعو المتنبي للأيدي التي نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بألا تترب. وفيه نظر إلى قول أبي نواس:

قَرَارَتَهَا كِسْرَى وَفِي جَنَبَاتِها مَهًا تَدَّرِيهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ

(٣٠٩) الهوادج: جمع هودج؛ مركب النساء على الجمال. والمحجر: ما حول العين. يقول: إن هذين الحاجبين يصرفان السوء من الغبار، وحر الهواء وحر الشمس عن مقلة أحد الهوادج — يعني هودج الحبيب — وكنى عنه بالمقلة — العين — لعزته، وجعل فؤاده محجرًا لتلك المقلة. والمعنى: إنها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب، فلما ارتحلت عني عمي قلبي، والتبس عليَّ أمري وفقدت لبي كمقلة ذهبت وبقي المحجر، وينظر في هذا التشبيه إلى قول أبي تمام:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْهُدَى وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَحْجِرُ

(٣١٠) الحائن: الهالك. يقول: كنت أحذر بينهم — بُعْدهم وفراقهم — قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المحذور؛ لأنه متى قدر وقع لا محالة.

(٣١١) الرواد: جمع رائد، وهو الذي يرتاد لأهله الكلأ والماء. واغتدت مثل غدت؛ أي ذهبت غدوة. يقول: لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يجدوا ماءً ولا كلأ يرتحلون إليهما للانتجاع.

(٣١٢) قال الواحدي: هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره، كأنه قال: لمنعت كل سحابة أن تمطر؛ لأني تأملت الحال، فإذا السحاب — الذي هو أخو الغراب في التفريق — أبعدهم عنا. جعل السحاب أخا الغراب؛ لأنه سبب الافتراق عند الانتجاع وتتبع مساقط الغيث في الربيع كعادة أهل العير السيارة، ولما جعله أخا الغراب جعل المطر كصياح الغراب؛ لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال في تتبع الغيث. فالسحاب في قوله: فإذا السحاب: مبتدأ، وأخو غراب فراقهم: نعت له، وجملة: جعل الصياح: خبر، ولك أن تجعل «أخو» خبرًا عن السحاب، وتجعل الصياح خبرًا آخر عنه.

(٣١٣) الحمائل بالحاء المهملة: جمع حمولة؛ وهي الإبل يحمل عليها. وهذه رواية ابن جني، وروى غيره: الجمائل بالجيم: جمع جمالة، جمع جمل. ويخدن: من الوخد؛ وهو ضرب من السير سريع. والنفنف: المفازة والمهوى بين جبلين. يقول: كلما مرت جمالهم بأرض مخضرة بالكلأ بدت عليها آثار سيرها، فكأنما شقت ثوبًا أخضر. والمعنى: إنهم فارقونا أيام الربيع عند اخضرار الأرض. أو تقول: كثر الخصب أمامهم، فكانت ركابهم لا تقطع موضعًا إلا وقد كسته الخضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشق في الثوب.

وفي هذا نظر إلى قول الآخر:

فَكَأَنَّمَا الْأَنْوَاءُ بَعْدَهُمُ كَسَتِ الطُّلُولَ غَلَائِلًا خُضْرَا

(٣١٤) يقول: إن هذه الإبل تحمل هوادج مثل الرياض — أي ازينت بالأنماط والديباج، فكانت مثل الرياض في تلون أزهارها — غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجآذرها — يعني: الحبائب — أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجآذرها. والمهاة: البقرة الوحشية، تشبه بها النساء لحسن عيونها. والجؤذر: ولد المهاة، قال الواحدي:

قوله: إلا أنها، رواها ابن جني: إلا أنه، كناية عن المثل، والناس يروون «أنها»؛ لأن مثل الروض روض فالضمير على الروايتين لمثل، إلا أن ابن جني رده على اللفظ، وغيره رده على المعنى. والبيت ينظر إلى قول أبي تمام:

خَرَجْنَ فِي خُضْرَةٍ كَالرَّوْضِ لَيْسَ لَهَا   إِلَّا الْـحُـلِـيَّ عَـلَـى أَعْـنَـاقِـهَـا زَهْـرُ

وقد سبق الجميعَ عديٌّ بن زيد، إذ يقول:

لِمَنِ الظَّعْنُ كَالْبَسَاتِينِ فِي الصُّبْـ   ـحِ نَرَى بَيْنَهَا أَثِيثًا نَضِيرَا؟

[الأثيث: النبات الملتف.]

(٣١٥) بلحظها: من إضافة المصدر إلى مفعوله؛ أي فبلحظي إياها. ونكره وأنكره: بمعنًى ضد عرفه. وضعفًا: مفعول لأجله. يقول: بسبب نظري إلى هذه الهوادج يوم الفراق صرت ضاويًا مهزولًا حتى أنكرت قناتي يدي لضعفها عن حملها، وأنكر خاتمي خنصري؛ لأنه صار يقلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم.

(٣١٦) هذا تمهيد للتخلص من النسيب للمديح. قال الواحدي: يقول: لم أقبل عطاء الزمان ترفعًا وبعد همة؛ أي أردت عطاءك دون عطاء الزمان، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك. والمعنى أن الزمان أراد أن يسترزقني بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان، فإنك إذا ملكتني ملكت الزمان بما فيه.

(٣١٧) أرجان: أي اقصدي أيتها الجياد أرجان، وأرَّجان: بلد الممدوح — بلد بفارس، بتشديد الراء في الأصل، إلا أنه خففه ضرورة — والضمير في أنه: للشأن. والوشيج: شجر الرماح. يقول لخيله: اقصدي هذا البلد ولا يلقين في روعك أن ثم شيئًا يصدك عنه فإنه عزمي القوي الذي يكسر الرماح بقوته؛ يعني أن الرماح لا تعوقني عن هذه العزيمة، وهي الوجه الذي تخيره على ما أشار إليه في البيت السابق.

(٣١٨) الفعال: الفعل. وكوكب الخيل: جماعتها المجتمعة. والعجاج: الغبار. والأكدر: الكدر. يقول لخيله: لو فعلت ما تريدين ما ركضتك في الغبار المظلم، يعني أن الخيل تريد الجمام والراحة، وهو يتعبها بالأسفار.

(٣١٩) أمي: اقصدي. والألية. اليمين. وأبر يمينه وبر في يمينه: صدق. يقول: اقصدي أيتها الخيل هذا الممدوح الذي يبر قسمي إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرًا؛ أي إذا قصدته برت يميني هذه؛ لأنه هو ذلك البحر.

(٣٢٠) يقال: قصَّر عن الشيء: إذا تركه عجزًا. وأقصر عنه: إذا تركه قادرًا عليه. يقول: أفتاني الناس في إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته، وأعوذ بالله أن أقصر في إبرار هذا القسم أو أقصر عنه، فإني إذا فعلت ذلك كنت شاقًّا لعصا الإجماع؛ لأن الإجماع على أن قسمي لا تبر إلا برؤيته. هذا، ويقال: حاش لله؛ أي تنزيهًا له، ولا يقال: حاش لك قياسًا عليه، وإنما يقال: حاشاك وحاشا لك، وهي تعرب إعراب المصدر، واللام لبيان المفعول، كما تقول: تنزيهًا لك، وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ اشتق من قولك: كنت في حشا فلان؛ أي في ناحية فلان. والمعنى في ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ براءة لله من هذا. وإذا قلت: حاشا لزيد فهذا من التنحي، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه. وقال ابن الأنباري في قولهم: حاشا فلانًا: معناه قد استثيته وأخرجته فلم أدخله في جملة المذكورين.

(٣٢١) يقول: أي كف أشارت إلى ابن العميد، فبشرتني به فلها عندي السوار أحليها به، وكذلك أي عبد من عبيده كبر — قال: الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سرورًا ببر قسمي.

(٣٢٢) قال الواحدي: هذه إشارة إلى أنه يمده بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء، وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه، لا طلب الصلات.

(٣٢٣) بأبي وأمي: أي أفديه بهما، يصفه بالبلاغة، يقول: إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمنًا للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتي من بلاغة، وإن شئت قلت: إن ألفاظه عزيزة تجعل القلوب أثمانًا لها لم توجد بغيرها. وقوله: تباع وتشتري؛ أي إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكها، وإن شئت جعلت الشراء بيعًا فيكون مكررًا بلفظين معناهما واحد، قاله الواحدي.

(٣٢٤) يقول: لا يقدم أحد على لقائه في الحرب تهيبًا له، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته. وقوله: «من»، بدل من ناطق.

(٣٢٥) خنثى الفحول: أي صيرهم خناثي. والكماة: جمع كمي، وهو المستتر في الحديد. والمعصفر: المصبوغ. وما يلبسون: مفعول أول لصبغه، ومعصفرًا: مفعول ثانٍ على تضمينه معنى التحويل. يقول: جعل أبطالهم الفحول خناثي حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم، فأشبهت الثياب المعصفرة التي يلبسها النساء والمخنثون. هذا، وقد قلنا: إن معنى خنثى الفحول؛ أي جعلهم وصيرهم مخنثين، فهو فعل ماض. قال العكبري: وزنه فعلل: مثل دحرج. وقال ابن القطاع: أصله خنثث، فكرهوا اجتماع

التضعيف، فأبدلوا من الأخير ألفًا، كما قالوا في خنطى وغنطى: أبدلوا ألفًا من حروف التضعيف، فأبدلوا من الأخير ألفًا، كما قالوا في تقضى البازي وقصيت أظفاري، وتظني: من الظن، قال: وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للإلحاق، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق، وقالوا: لا تدخل حروف الزوائد في الإلحاق ألبتة. وإنما تدخل في الإلحاق: الحروف الأصلية التي هي فاء الفعل وعينه ولامه، فالفاء نحو قولهم: دردج: للناقة المسنة، تكررت فيه الفاء للإلحاق بجعثن؛ وهي أصول الصلِّيان (الصليان: نبت)، والعين، كقولهم: حدرد: اسم رجل، تكررت فيه العين للإلحاق بجعفر، واللام كقولهم: تعدد، تكررت فيه اللام للإلحاق ببرثن. وقال النحويون: الألف في مثنى للإلحاق وفي رضوى وسلمى للتأنيث، ثم نقضوا قولهم فقالوا: الألف في بهمى وعزهى: ليست للتأنيث ولا للإلحاق. وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل. وإنما أوقعهم في هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين، فقالوا: بهماة وعلقاة وعزهاة؛ فقالوا: لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين، وقد جمعت العرب بين تأنيثين في أكثر كلامهم، فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له، ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء؟ هذا لا يكون ولا يحتج به إلا جاهل.

(٣٢٦) بكفه: رواها ابن جني: بخطه. يقول: إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه. وعبارة ابن جني: قلمه أشرف من الرماح؛ لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التي لم يباشرها. وهو من قول البحتري:

وَأَقْلَام كِتَابٍ إِذَا مَا نَصَصْتَهَا إِلَى نَسَبٍ صَارَتْ رِمَاحَ فَوَارِسِ

(نصصتها: من نص الحديث إلى فلان: رفعه.)

(٣٢٧) الضمير في منه: للقصب. والبنان: أطراف الأصابع. والتيه: الكبر والإدلال وجرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها في نفسه. يقول: إن القلم الذي يمسه ببنائه يظهر فيه الكبر، حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفًا وعجبًا بمسه إياه.

(٣٢٨) يقول: إذا ورد كتابه الأعداء ينذرهم ويتوعدهم فعل كتابه فعل الجيش، فردهم حائرين متلددين؛ خوفًا وذعرًا لبلاغة كلامه وشدة وعيده. وعبارة الواحدي: يسحرهم ببيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر. وعبارة ابن جني: إذا كتب إلى مخالف كتابًا لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش؛ لأنه يبلغ ما يريد بالكتاب، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرًا من فعل الكتاب، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومي:

تَكْفِي عَنِ النَّبْلِ أَحْيَانًا مَكَايِدُهُ   وَرُبَّمَا خَلَفَتْ أَقْلَامُهُ الْأَسَلَا

ومثله لآخر:

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ جُنْدٌ مُوَجَّهَةٌ   مِنَ الْمَكَايِدِ تُطْوَى فِي الطَّوَامِيرِ

(الطوامير: جمع طامور، وهو الصحيفة.)

(٣٢٩) الغضنفر: الأسد. والرديف: الراكب خلفك. وارتكبت طريقة: يروى: ركبت طريقة. يقول: أنت منفرد في كل طريقة تأتيها وتحاولها لا يقدر أحد أن يحذو حذوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها، كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفًا له. يعني أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك عليها؛ مخافة تقصيره فيفتضح، قال الواحدي: وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبًا — يريد أنه مفعول ركبت — ويجوز أن يكون حالًا للمدوح؛ أي لا يقدر أحد أن يكون رديفًا لك وأنت غضنفر.

(٣٣٠) يقول: إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعها وإدراكها فهي خداج ليست بحلوة ولا غناء فيها، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور — أزهر — وبلغ أناه فهو حلو معسول قد بلغ الغاية في الحسن والكمال، ويروى: قبل نباته، قال العكبري: أي قبل تمامه.

(٣٣١) يقول: إن مسامع الناس تشيع قولك — أي تتبعه — في مسيره إذا انفصل من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه؛ حبًّا له وشغفًا به. وإذا كرر ازداد حسنه، على خلاف ما عهد من الكلام؛ فإنه إذا أعيد سمج، وإذا تكرر تكرج (من تكرج الطعام والخبز: فسد وتعفن). وفي هذا نظر إلى قول أبي نواس:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا   إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

ويقول البحتري:

مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ لَا يُخْـ   ـلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ

والمشيع، يروى: المتبع.

(٣٣٢) يقول: إذا سكت ناب عنك قلمك، فكان أبلغ خاطب، منبره الأصابع.

(٣٣٣) ورسائل: عطف على قلم — في البيت السابق — والسحاء: ما يشد به الكتاب من أدم. والسنور: الحديد والدروع. وهذا البيت كالتفسير لقوله: ثنى الجيوش تحيرًا؛ يقول: إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرًا، وييأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح في دفع الأعداء. ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم: قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرؤه. فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ الأحشاء نارًا، ويدع القلوب أعشارًا، ويشعر النفوس حذارًا، ويعقب أقدام ذوي الإقدام نكوصًا وفرارًا! وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى:

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرَّسَائِلُ بَيْنَنَا ... تَجْرِي عَلَى الْوَرَقِ الَّذِي لَمْ يُغْرَسِ
أَيَّامَ أَسْرَارِي لَدَيْكِ وَسِرُّكُمْ ... يُهْدَى إِلَيَّ مَعَ الْفَصِيحِ الْأَخْرَسِ

«ويريد بالورق الذي لم يغرس: البردي ونحوه. وبالفصيح الأخرس: الكتاب.»

(٣٣٤) المسمع: الأذن. يقول: إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة التي آثرك الله بها تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظًا، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه، يفهم منها ما يفهم منه، ثم مثلها بالخط؛ فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيده بسماع الآذان، فكأنه لفظ مسموع. وعبارة سائر الشراح: سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله، وهي تلك التي خصك الله بها في الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه — جل شأنه — دعاك الأكبر قولًا من حيث دعاك فعلًا، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخاطب، ومن أعلم خطًّا فكأنه أسمع فأفهم. وحاصل المعنى: أن الإنسان إذا رأى ما خصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر، فقوله: خلفت صفاتك: تبيين لقوله: ودعاك خالقك الرئيس الأكبر.

(٣٣٥) السرح: السهلة السير. والمجمر: الشديد الصلب، ويقال أيضًا: خف مجمر؛ أي خفيف سريع. قال الخوارزمي: أراد خفًّا خفيفًا فلم يوافقه اللفظ، ولو وافقه لكان تجنيسًا ظاهرًا، وإلا فإذا لم يوافقه فهو تجنيس معنوي. يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصدته وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق، وهو إخبار عن علو همته هو؛ لأنه يحمل ناقته في السير ما لا يطيق أمثالها:

(٣٣٦) الرمْث: نبت يوقد به يشبه الغضا، وهو من مراعي الإبل، أما الرمَث بالفتح والتحريك: فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه في البحر، والجمع أرماث. قال أبو صخر الهذلي:

تَمَنَّيْتُ مِن حُبِّي عُلَيَّةَ أَنَّنَا عَلَى رَمَثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرُ

(وفر: مال.)

يقول: تركت الأعراب ووقودهم وأتيت قومًا وقودهم العنبر، يعني الممدوح. وهذا من قول البحتري:

نَزَلُوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ وَجَانَبُوا أَرْضًا تَرُبُّ الشِّيحَ وَالْقَيْصُومَا

(٣٣٧) الأذفر: أي الذكي الرائحة. يقول: تكرمت ناقتي عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر. يريد أن العنبر بحضرة الممدوح يوقد به والمسك ممتهن عنده بحيث يبرك عليه البعير. والركبات: جمع ركبة، وإنما عنى اثنين بدليل قوله: تقعان. قال العكبري: ركباتها جمع ركبة، وإنما عنى اثنين وهو كقوله جل وعلا: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؛ وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال: تقعان. ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركبة، كقولهم: شابت مفارقه، وهو مفرق واحد، وإنما أراد كل جزء من المفرق، ثم رجع إلى الحقيقة فقال: تقعان.

(٣٣٨) الأظل: باطن خف البعير. وحذيت: أي جعل لها حذاء؛ وهو النعل. يقول: أتتك الناقة وقد دميت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها انتعلت العقيق الأحمر، كما قال الآخر:

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْمُومَاةِ أَيْدِي جَوَارٍ بِتْنَ نَاعِمَاتِ

أي: تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجواري.

(٣٣٩) بدرت: سبقت. يقول: سبقت إليك العوائق وصروف الزمان، فكأنها وجدت الزمان مشغولًا عنها فانتهزت الفرصة في قصدك، فإن الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات.

(٣٤٠) بعدها: أي بعد الأعراب. يقول: من الذي يبلغ الأعراب أني بعد أن فارقتهم رأيت عالمًا هو في علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس. وملكًا هو في سعة ملكه كالإسكندر؟ قال الواحدي: وأرسطو طاليس: اسم رومي، لما أراد المتنبي استعماله: حذف بعضه، فإن العرب تجترئ على استعمال الأسماء الأعجمية؛ فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم: نقلوها، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها، ومثل هذا الاسم في كثرة حروفه لا يوجد في كلام العرب.

(٣٤١) العشار: جمع عشراء، وهي في الأصل: التي لحملها عشرة أشهر، والمراد هنا: النياق الوالدات. والبدر: جمع بدرة، وهي كيس فيه سبعة آلاف دينار، وقيل: عشرة. والنضار: الذهب، يقول: مللت في صحبة الأعراب نحر الإبل ولحومها، فأضافني من يجعل قراه بدر الذهب، وإنما استعمل النحر في البدر لذكره نحر العشار، ومعنى نحر البدر: فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب. وهذا من قول البحتري:

مَلِكٌ بِعَالِيَةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ ... يَقْرِي الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٣٤٢) بطليموس: هو الفلكي صاحب المجسطي، يشبه ابن العميد ببطليموس في علمه وحكمته. يقول: سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه — أي يتكلم بالعلوم التي فيها — وقد جمع بين جلالة الملك، وفصاحة البدو، وظرافة الحضر. قال الواحدي: وبطليموس: يعني ابن العميد؛ سماه بهذا للمشابهة بينه وبين هذا الحكيم. ونصب دارس كتبه: على الحال، وكذلك ما بعده. ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس؛ لأنه أحياه بذكائه وجودة قريحته. ويكون التقدير سمعت دارس كتب بطليموس، ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه، ويجوز أن يكون دارس كتبه: مفعولًا ثانيًا، كما تقول: سمعت زيدًا هذا الحديث.

(٣٤٣) يقول: لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين، فكأن الله أحياهم ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم؛ يعني أن فيه من الفضل ما كان في جميع الفضلاء. وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي:

أَتَيْتُهُ وَأَنَا الْمَمْلُوءُ مِنْ غَضَبٍ ... عَلَى الزَّمَانِ فَسَرَّى عَنِّيَ الْغَضَبَا
فَلَوْ حَلَفْتُ لَمَا كُذِّبْتُ يَوْمَئِذٍ ... أَنِّي لَقِيتُ هُنَاكَ الْعُجْمَ، وَالْعَرَبَا

(٣٤٤) نسقوا: سردوا. وقوله: فذلك: فاعل أتى؛ وهي حكاية قول الحاسب إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا. يقول: إن هؤلاء الفاضلين قد تتابعوا متقدمين عليك في

الزمان، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت منهم بمثابة إجمال الحساب، الذي تذكر تفاصيله أولًا، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب في آخرها: فذلك كذا وكذا. وعبارة الواحدي: يقول: جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم، مثل الحساب تذكر تفاصيله أولًا، ثم تجمل تلك التفاصيل، فيكتب في آخر الحساب: فذلك كذا وكذا، فتجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل، كذلك أنت؛ جمع فيك من الفضل ما فرق فيهم. وهذا ينظر إلى قول القائل:

وَفِي النَّاسِ مِمَّا خُصِصْتُمْ بِهِ　　　تَفَارِيقُ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمِعْ

(٣٤٥) يقول: ليت الباكية التي بكت على فراقي وأحزنني بكاؤها رأتك كما رأيتك، لتعذرني في فراقها وركوب الأهوال والأخطار في سفري إليك. وقوله: فتعذرا، قال العكبري: نصبها على جواب التمني بإضمار «أن» عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا.

(٣٤٦) ترى: أي الباكية. ولا ترد فضيلة: مفعول ثانٍ لترى، والشمس: بدل من الفضيلة، والسحاب: معطوف عليها، وتشرق: حال من الشمس. والكنهور: العظيم المتكاثف، وهو حال من السحاب. يقول: إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ما عهدنا في المتضادين، ثم فسر ذلك فقال: يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهورًا: أي يريك الممدوح في حال واحدة هذين المتضادين؛ فوجهه كالشمس إضاءة، ونائله كالسحاب الكنهور فيضًا، فقد اجتمعا في وقت واحد، مع أن السحاب الكنهور في الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان. والمراد أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال. وقد قال في هذا المعنى محمد بن علي بن بسام:

الشَّمْسُ غُرَّتُهُ وَالْغَيْثُ رَاحَتُهُ　　　فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِغَيْثٍ جَاءَ مِنْ شَمْسِ؟

وأوضحه ابن الرومي فقال:

يُلْقَى مُغِيمًا مُشْمِسًا فِي حَالَةٍ　　　هَطِلَ الْإِغَامَةِ نَيِّرَ الْإِشْمَاسِ

وقال أيضًا:

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَائِمُ الْجَوِّ شَامِسُ

وتبعه البحتري فقال:

وَأَبْيَضَ وَضَّاحٍ إِذَا مَا تَغَيَّمَتْ يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّعَا

وقال الرضي:

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئًا بِشْرُهُمْ فَرَأَيْنَاهُمْ شُمُوسًا وَغَمَامًا

(٣٤٧) يقول: طاب مكاني ومنزلي بقصده، وسرتني راحلتي إذ أدتني إليه، وتجارتي أربح من تجارة غيري إذ اشترى شعري بأوفر الأثمان؛ فقد بلغت في ذلك كله ما لم يبلغه أحد من الناس. وقال الواحدي: قوله: وأسر راحلة: هو مبالغة من السر؛ أي أخفتني بسراها ليلًا حتى أتيتك. وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسروها. وقوله: منزلًا وما بعده، منصوب على التمييز. والمتجر: ما يتخذ للتجارة.

(٣٤٨) جعل الكواكب المحيطة بزحل كالقوم له، إذ إنه يسمى شيخ النجوم، يقول: لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذٍ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم: يعني أن قوم الممدوح ورهطه أشرف من النجوم. هذا، وقوله: زحل: مبتدأ، وقوله: لو كان منك ... إلخ، خبر. والمعشر والعشيرة: قوم الرجل وأهله.

قافية الزاي

وقال بدمشق يمدح أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب:

كَفِرِنْدِي فِرِنْدُ سَيْفِي الْجُرَازِ … لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَازِ ١
تَحْسَبُ الْمَاءَ خَطَّ فِي لَهَبِ النَّا … رِ أَدَقَّ الْخُطُوطِ فِي الْأَحْرَازِ ٢
كُلَّمَا رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النَّا … ظِرَ مَوْجٌ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي ٣
وَدَقِيقٌ قَذَى الْهَبَاءِ أَنِيقٌ … مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزْهَازِ ٤
وَرَدَ الْمَاءَ فَالْجَوَانِبُ قَدْرًا … شَرِبَتْ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِي ٥
حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى … هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَرَّازِ ٦
وَهْوَ لَا تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارَيْـ … ـهِ وَلَا عِرْضَ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِي ٧
يَا مُزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي … يَوْمَ شُرْبِي وَمَعْقِلِي فِي الْبَرَازِ ٨
وَالْيَمَانِي الَّذِي لَوِ اسْطَعْتُ كَانَتْ … مُقْلَتِي غِمْدَهُ مِنَ الْإِعْزَازِ ٩
إِنَّ بَرْقِي إِذَا بَرَقْتَ فَعَالِي … وَصَلِيلِي إِذَا صَلَلْتَ ارْتِجَازِي ١٠
لَمْ أُحَمِّلْكَ مُعْلَمًا هَكَذَا إِلَّا … لِضَرْبِ الرِّقَابِ وَالْأَجْوَازِ ١١
وَلِقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا … فَكِلَانَا لِجِنْسِهِ الْيَوْمَ غَازِي ١٢
سَلَّهُ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ … فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ ١٣
وَتَمَنَّيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي … طَالِبٌ لِابْنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَازِي ١٤
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوذَبَارِي … وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِبَازِ ١٥
فَارِسِيٌّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ تَاجٌ … كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوَازِ ١٦
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ … وَلَوَ انِّي لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازِي ١٧

وَكَـأَنَّ الْـفَـرِيـدَ وَالـدُّرَّ وَالْـيَـا   قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ[١٨]
شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي   عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْجَازِ[١٩]
تَقْضَمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي   دُونَـهُ قَـضْـمَ سُـكَّرِ الْأَهْـوَازِ[٢٠]
بَلَّغَتْهُ الْبَلَاغَةُ الْجَهْدَ بِالْعَفْـ   ـوِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِيْجَازِ[٢١]
حَامِلُ الْحَرْبِ وَالدِّيَاتِ عَنِ الْقَوْ   مِ وَثِـقْـلِ الـدُّيُـونِ وَالْإِعْـوَازِ[٢٢]
كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشَكَّوْا   وَبِهِ لَا بِمَنْ شَكَاهَا الْمرَازِي[٢٣]
أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءِ وَمَا فِيـ   ـهِ مَبِيتٌ لِمَالِكَ الْمُجْتَازِ[٢٤]
بِكَ أَضْحَى شَبَا الْأَسِنَّةِ عِنْدِي   كَشَبَا أَسْوُقِ الْجَرَادِ النَّوَازِي[٢٥]
وَانْثَنَى عَنِّي الرُّدَيْنِيُّ حَتَّى   دَارَ دَوْرَ الْحُرُوفِ فِي هَوَّازِ[٢٦]
وَبِـآبَـائِـكَ الْـكِـرَامِ الـتَّـأَسِّـي   وَالتَّسَلِّي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِي[٢٧]
تَـرَكُـوا الْأَرْضَ بَـعْـدَمَـا ذَلَّـلُـوهَـا   وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلَا مِهْمَازِ[٢٨]
وَأَطَاعَتْهُمُ الْجُيُوشُ وَهِيبُوا   فَكَلَامُ الْوَرَى لَهُمْ كَالنُّحَازِ[٢٩]
وَهِـجَـانٍ عَلَـى هِـجَـانٍ تَـآيَتْـ   ـكَ عَدِيدُ الْحُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ[٣٠]
صَفَّهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ   فَوْقَ مِثْلِ الْمُلَاءِ مِثْلَ الطِّرَازِ[٣١]
وَحَكَى فِي اللُّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْـ   ـرِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ[٣٢]
كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ   عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنْجَازِ[٣٣]
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ   وَاضِعُ الثَّوْبِ فِي يَدَيْ بَزَّازِ[٣٤]
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَدْرَى بِفَحْوَا   هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ[٣٥]
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ   شُعَرَاءٌ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازِ[٣٦]
وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا   وَهْوَ فِي الْعُمْيِ ضَائِعُ الْعُكَّازِ[٣٧]
كُلُّ شِعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيـ   ـكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ[٣٨]

هوامش

(١) الفرند: جوهر السيف؛ وهي الخضرة التي تردد فيه، معرب دخيل، والجراز: القاطع. والبراز: مبارزة الأقران في الحرب. يقول: إن سيفي يشبهني في المضاء، وهو حسن في مرآة العين، عدة لمبارزة الأقران، وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ

(٢) الأحراز: جمع حرز. وهو العوذة يكتب فيها الرقى؛ سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين. شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدنى الخطوط في الأحراز، وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحراز. وهذا ينظر إلى قول القائل:

مَاضٍ تَرَى فِي مَتْنِهِ مَاءً بِنَارٍ مُخْتَلِطْ

ومثله:

كَأَنَّهُ فِي طَبْعِهِ وَاللَّوْنِ مَاءٌ وَلَظَى

(٣) هازي: أصلها هازئ — بالهمز — خفف للقافية. يقول: كلما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر: منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وبياضه الذي يتردد فيه كالموج فكأنه يهزأ بك؛ لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك. وهذا ينظر إلى قول الآخر:

وَكَأَنَّ الْفِرِنْدَ وَالرَّوْنَقَ الْجَا رِي فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ

ولابن أبي زرعة:

مُتَرَدِّدٌ فِيهِ الْفِرِنْـ ـدُ تَرَدُّدَ الْمَاءِ الزُّلَالْ

هذا: ويقال هزأ به يهزأ هزأ وهزؤًا ومهزأة وتهزأ به واستهزأ: سخر. ورجل هزأة بالتحريك: يهزأ بالناس، ورجل هزأة بالتسكين: يُهزأ به، وقالوا: إنما يقال: هزئت بك، ولا يقال: هزئت منك. ويقال: سخرت منك، ولا يقال: سخرت بك.

(٤) دقيق: عطف على موج، وهو نعت لمحذوف؛ أي وفرند دقيق. والقذى في الأصل: ما يقع في العين. وقذى: فاعل دقيق، أو مشبه بالمفعول — على حد قولك: زيد حسن وجه الأب — والهباء: ما تراه في الشمس إذا دخلت من موضع ضيق. والأنيق: الحسن المعجب. والمتوالي: المتتابع. ومستوٍ: نعت لمحذوف؛ أي: في صفح، أو متن مستوٍ. وهزهاز:

مضطرب. أي: ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر. وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط في صفح مستوٍ كثير الاضطراب والحركة يذهب ويجيء، ويقال: سيف هزهاز وهزاهز: كأن ماءه يذهب عليه ويجيء. وروى ابن جني: قدى الهباء، من قولهم: قدى رمح، وقاد رمح، وقيد رمح؛ أي مقداره.

(٥) الجوازي: أصلها الهمز، جمع جازئة: من قولهم: جزأت الإبل أو الوحش بالرطب — أي بالخضرة — عن الماء: أي استغنت به عنه، قال الشماخ بن ضرار:

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودُ جَوَازِئٍ بِالرَّمْلِ عِينِ

(الأرطى: مقصور، شجر يدبغ به. وتوسد أبرديه: أي اتخذ الأرطى في أبرديه كالوسادة، والأبردان: الظل والفيء؛ سميا بذلك لبردهما، والأبردان أيضًا: الغداة والعشي، وانتصاب أبرديه: على الظرف، والأرطى: مفعول مقدم لتوسد؛ أي توسد خدود البقر الأرطى في أبرديه. والجوازي: البقر التي جزأت بالرطب عن الماء. والعين: جمع عيناء؛ وهي الواسعة العين.)

وقوله: قدرًا شربت؛ أي شربت قدرًا، فقدرًا مفعول شربت. يقول: إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقدارًا يلينها، أما ما يليها من المتن فلم يشرب؛ لأنه لا يسقى جميع السيف، بل تسقى شفرتاه ويترك المتن ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقصف.

(٦) الحمائل: جمع حمالة، ما يحمل به. والخراز: الذي يخرز الحمائل وغيرها بالسيور. يقول: إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدي عليه قد أخلقت حمائله، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز؛ أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له، وهذا ينظر إلى قول البحتري:

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةُ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٍ لَمْ تَذْبُلِ

(٧) غراراه: حداه. والعرض: ما يمدح ويذم من الإنسان، وانتضى السيف: سله، والمخازي جمع مخزاة، ما يخزى به الإنسان. يقول: إن سيفي لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطخ. ولا تدرك المخازي عرض منتضيه — يعني نفسه — لحسن بلائه عند الوغى. وهذا من قول الأول:

بِكُلِّ حُسَامٍ كَالْعَقِيقَةِ صَارِمٍ إِذَا قَدَّ لَمْ يَعْلَقْ بِصَفْحَتِهِ الدَّمُ

هذا، ولذكر العرض نورد ما أورده العكبري هنا من معاني العرض، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئًا مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه في هذا الشرح، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه.

قال — وقال معه أهل اللغة وعمدته دائمًا في اللغة الجوهري صاحب «الصحاح»: والعرض النفس، والعرض الحسب، وفلان نقي العرض: بريء من أن يشتم، والعرض: الجسد. وفي صفة أهل الجنة قال ﷺ: «لا يتغوطون ولا يبولون، إنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل ريح المسك.» أي: من أجسادهم، والعرض كل واد فيه شجر، قال الشاعر:

لَعِرْضٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ يُمْسِي حَمَامُهُ وَيُضْحِي عَلَى أَفْنَانِهِ الْغِينِ يَهْتِفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الدِّيكِ رَنَّةً وَبَابٍ إِذَا مَا مَالَ لِلغلْقِ يَصْرِفُ

(الغين: جمع غيناء؛ أي خضراء كثيرة الورق ملتفة، وصريف الباب: صريره.)

(٨) البراز: الخلاء أو الصحراء. يقول لسيفه: أنت تزيل عني الظلام بصفائك ورونقك؛ يعني أنه يستصبح ببريقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كالظلام. وأنت روضي يوم شربي؛ يريد: كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين، فروضي يوم أشرب دماء الأعداء — أي يوم الحرب — هو أنت؛ وذلك لخضرته، والسيف يوصف بالخضرة، كما قال الحمامي في مقصورة له:

مُهَنَّدٌ كَأَنَّمَا طَبَّاعُهُ أَشْرَبَهُ بِالْهِنْدِ مَاءَ الْهِنْدَبَا

(الهندبا — يمد ويقصر — بقلة من أحرار البقول.)

ومثله للبحتري:

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةُ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

ثم قال المتنبي: ويا حصني الذي أتحصن به وأذود عن نفسي في البراز؛ أي الصحراء وما إليها من الفضاء.

(٩) يقول: لشدة إعزازي له وإبقائي عليه لو استطعت لجعلت عيني غمدًا له. واليماني: أي المنسوب إلى اليمن، والأفصح: يمنيٌّ ويمان؛ لأن الألف عوض من ياء النسب، فلا يجتمعان.

وقال سيبويه: وبعضهم يقول: يمانيٌّ — بالتشديد — قال أمية بن خلف:

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كِيرًا وَيَنْفُخُ دَائِمًا لَهَبَ الشَّوَاظِ

وقال العكبري: اليماني في موضع نصب بالنداء، كأنه قال: يا مزيل الظلام، ويا اليماني، ثم قال: وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف نحو: يا الرجل، ويا الغلام، وأبى البصريون ذلك. وحجتنا أنه قد جاء في أشعارهم وكلامهم، قال الشاعر:

فَيَا الْغُلَامَانِ اللَّذَانِ فَرَّا إِيَّاكُمَا أَنْ تَكْسِبَانَا شَرَّا

(هذا البيت والذي بعده شائعان في كتب النحو ولم يعرف لهما قائل ولا ضميمه، وإياكما: تحذير، وأن تكسبانا: أي من أن تكسبانا، وماضيه كسب: يتعدى إلى مفعولين يقال: كسبت زيدًا مالًا وعلمًا: أي أنلته. قال ثعلب: كلهم يقول: كسبك فلان خيرًا إلا ابن الأعرابي، فإنه يقول: أكسبك، بالألف.)

وقال الآخر:

فَدَيْتُكِ يَا الَّتِي تَيَّمْتِ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوَصْلِ عَنِّي

(قوله: فديتك: يروى: مِنَ اجْلِكِ؛ أي من أجلك قاسيت ما قاسيت مثلًا، وقوله: تيمت: كان القياس أن يقول: تيَّمتْ بتاء التأنيث على الغيبة، لكن جاء على نحو:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ

والقياس: سمته. وجملة: أنت بخيلة، حال عاملها «تيمت».)

ويدل على صحة قولنا إجماعنا على أنه يجوز أن يقال في الدعاء: يا الله، والألف واللام فيه زائدتان. وحجة البصريين أن الألف واللام للتعريف، وحرف النداء يفيد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجوز.

(١٠) الفعال: الفعل الحسن. والصليل: الصوت. والارتجاز: قول الرجز من الشعر، يقارن ما بين سيفه ونفسه؛ يقول: إذا كان لك برق، فهناك فعالي بإزائه، وإذا ارتفع صليلك — صوتك — في الضريبة فإن صليلي هو إنشادي الأراجيز من شعري.

(١١) المعلم: الذي قد شهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها، وهو مما كانت تفعله الأبطال من العرب، ومعلمًا: حال من المتكلم. والأجواز: الأوساط، جمع جوز، يقول: لم أحملك في الحرب لزينة، وإنما لضرب الرقاب وأوساط الرجال. ويروى: وَلَمَ احْمِلْكَ. قال العكبري: حرك الساكن وحذف الهمزة، وهي لغة جيدة جاءت في أشعارهم وخطبهم وكلامهم.

(١٢) يقول: ولم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذي على الرقاب والأجواز — الأوساط — يعني الدروع والمغافر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد، فكلانا يغزو جنسه.

فقوله: ولقطعي: عطف على قوله: لضرب الرقاب، وعليها: حال من الحديد. هذا، ويقال: رجل غازٍ، والجمع غزاة كقاض وقضاة، وغُزَّى — بتشديد الزاي — مثل سابق وسبق، وغَزِيٌّ، على مثال فعيل، مثل حاج وحجيج، وفاطن وفطين. قال زياد الأعجم:

قُلْ لِلْقَوَافِلِ وَالْغَزِيِّ إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَلِلْمُجِدِّ الرَّائِحِ

وغُزَّاء أيضًا بالمد: مثل فاسق وفساق، قال تأبط شرًّا:

فَيَوْمًا بِغُزَّاءٍ وَيَوْمًا بِسُرْيَةٍ وَيَوْمًا بِخَشْخَاشٍ مِنَ الرَّجْلِ هَيْضَلِ

«سرية: اسم من الأسراء، والخشاش: الجماعة الكثيرة، والهيضل: الجيش الكثير، والرجل: اسم جمع أو جمع راجل؛ أي مشاة.» والنسبة إلى الغزو غزوى، وكله الذي يغزو العدو، وأصله القصد.

(١٣) الركض: العدو السريع. والوهن: هو نحو من نصف الليل، ومثله: الموهن، وقيل: هو حين يبرد الليل. وتصدى: تعرض، والغيث: المطر. يقول: ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل، فظن أهل الحجاز لمعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر. وهذا من قول علي بن الجهم في قبة المتوكل:

إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ أَضَاءَ الْحِجَازَ سَنَا نَارِهَا

والأصل قول الوائلي:

مَا سَلَّهُ أَهْلُ الْحِجَازِ لِحَاجَةٍ إِلَّا يُبَشِّرُ بِالسَّحَابِ الشَّامَا

قال ابن جني: خص أهل الحجاز؛ لأن فيهم طمعًا، أو لأن القافية جرت إليهم.

(١٤) يوازي: يعادل ويماثل. وابن صالح: هو الممدوح. يقول: هما فريدان، لا نظير لسيفي ولا لهذا الممدوح. وهذا من أحسن المخالص.

(١٥) السراة: جمع سرى؛ الشريف. والرذباري: الممدوح، نسبة إلى بلد أبيه «روذبار»؛ بلد من بلاد العجم. يقول: هو من العلية الأشراف، وهو بينهم كالبازي بين سائر الطير؛ أي ليس أحد مثل هذا الممدوح الذي قد جمع ما تفرق في غيره من العلية. وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسي:

بُغاثُ الطَّيرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخَا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ

(البغاث: كل طائر ليس من جوارح الطير، وقال ابن سيده: بغاث الطير وبغائها: ألأمها وشرارها وما لا يصيد منها، وقيل: الضعيف من الطير، والمقلات: التي لا يعيش لها ولد، وقيل: هي التي تلد واحدًا ثم لا تلد بعد ذلك. يقال: أقلتت المرأة إقلاتًا فهي مقلت ومقلات والاسم القلت، وكذلك كل أنثى إذا لم يبقَ لها ولد، والنزور: القليلة الولد.)

(١٦) أبرواز: هو أبرويز أحد الأكاسرة ملوك العجم، تصرف فيه كعادة العرب تتصرف في الأسماء الأعجمية ما شاءت. يقول: إنه من أولاد ملوك فارس، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز، يريد أنه معرق له عظامي.

(١٧) تقول: عزوته إلى فلان: إذا نسبته إليه، أعزوه، فأنا عازٍ، يقول: هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف، حتى لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها.

(١٨) وسام الركاز: عطف على الفريد. والفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، أو هو الكبار من الدر. والسام: عروق الذهب، وأضافه إلى الركاز؛ لأن الركاز معدن الذهب. يقول: إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه.

(١٩) الأعجاز. جمع عجز، وهو أسفل كل شيء. يقول: إن شغله الشاغل إنما هو المعالي، لا مغازلة النساء. وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

وَمَنْ كَانَ بِالبِّيضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمَا فَمَا زِلْتَ بِالْبِيضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمَا
وَمَنْ تَيَّمَتْ سُمْرُ الْحِسَانِ وَأُدْمُهَا فَمَا زِلتَ بِالسُّمْرِ الْعَوَالِي مُتَيَّمَا

ويقول:

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصِبِ

(سلسالها: يريد ريقها، والحصب: الذي فيه الحصباء، وهي صغار الحصى.)

(٢٠) القضم: أكل الشيء اليابس. والأهواز: كور بين البصرة وفارس. يقول: لحنق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما يقضم السكر. وهذا من قول الأعشى:

فَعَضَّ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا بِفِيكَ وَأَحْجَارَ الْكُلَابِ الرَّوَاهِصَا

(عض: أمر، من عض يعض. والكُلَاب — بضم الكاف، وتخفيف اللام — اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع. والرواهص: صفة للأحجار؛ وهي الثابتة الملتزقة المتراصفة.)

وقول أبي العتاهية:

كَأَنَّ الْمَطَايَا الْمُجْهَدَاتِ مِنَ السُّرَى إِلَى بَابِهِ يَقْضَمْنَ بِالْجُهْدِ سُكَّرَا

(٢١) العفو: الميسور، من عفو المال؛ ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة. والجهد: المشقة. والإسهاب: الإكثار. يقول: إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية. وينال بإيجازه في القول ما ينال غيره بالإسهاب. وما أجمل قول البحتري:

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكْـ ـكَ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

(٢٢) الديات: جمع دية؛ ما يؤخذ من القاتل عن القتال. والإعواز: الحاجة والفقر.

(٢٣) المرازي: الرزايا، جمع مرزئة. فأصله الهمز. وخفف للضرورة. وضمير تشكوا: للقوم. يقول: إني لأعجب كيف لا يشتكي ثقل ما يحمل عن قومه، وكيف يشتكي رزيئة أحد من قومه وهو حاملها عنه؟

(٢٤) فناء الدار: ساحتها. والمجتاز: الذي يجوز بالمكان ولا يعرج عليه. يقول: إن فِناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانًا يبيت فيه؛ يعني أنه معطاء يبذل ماله فلا يبقى عنده.

(٢٥) شبا الأسنة: حدها. وأسوق: جمع ساق. والنوازي: من قولك: نزا الجراد ينزو؛ وثب. يقول: لما صرت في جوارك واعتصمت بك صرت لا أكترث لعدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح في نظري كساق الجرادة لقلة مبالاتي به.

(٢٦) قوله: في هواز، أراد: في هوز. والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت، كما قال أبو حنش في البرامكة:

أَبُو جَادُهُمْ بَذْلُ النَّوَى يُلْهِمُونَهُ وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ

وإنما هو أبجد. يقول المتنبي: ارتد الرمح عني والتوى على نفسه التواء الحروف المدورة في هوز، وهي الهاء والواو والزاي. والجيد في تعطف الرماح قول أبي العلاء المعري:

وَتَعَطَّفَتْ لَعِبَ الصِّلَالِ مِنَ الْأَسَى فَـالـزُّجُّ عِـنْـدَ الـلَّـهْـذَمِ الـرَّعَّـافِ

(يقول المعري: تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات، وتتلوى إذا لعبت حتى تجمع رءوسها إلى أذنابها؛ أي تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها.)

(٢٧) التأسي: التعزي، والتعازي: جمع تعزية. يقول: إنما يتعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام، فإذا ذكرنا فقدهم هان علينا فقد من بعدهم.

(٢٨) المهماز: حديدة تجعل في عقب الراكب، ينخس بها بطن الدابة لتسرع في المشي. يقول: ماتوا بعد أن ملكوا الأرض، وانقادت لهم انقياد الدابة الذلول التي تمشي بغير مهماز.

(٢٩) النحاز: داء يصيب الإبل والغنم في صدورها يشبه السعال. وهيبوا: أي هابهم الناس. قال ابن جني: أي لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة الجيوش

إياهم صاروا لا يعبئون بكلام أحد. وقال الواحدي: وأجود من هذا أن يقال: السعال يرقق الصوت؛ والمعنى: لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت.

(٣٠) وهجان: أي ورب هجان؛ والهجان من الإبل والناس: الكرام الخالصة النسب. وتآيتك وتأيتك: أتت إليك وقصدتك، يقال: تأيا الشيء وتآياه؛ أي تعمد آيته، أي شخصه وقصده، وآية الرجل: شخصه، قال:

الْـحُـصْـنُ أَدْنَـى لَـوْ تَـأَيَّـيْـتِـهِ ... مِنْ حَثْيِكِ التُرْبَ عَلَى الرَّاكِبِ

(هذا البيت لامرأة تخاطب ابنتها، وقد قالت لها:

يَـا أُمَّـتِـي أَبْـصَـرَنِـي رَاكِـبٌ ... يَسِـيرُ فِـي مُـسْـحَـنْـفَـرٍ لَاحِـبِ
مَا زِلْتُ أَحْثُو التُّرْبَ فِي وَجْهِهِ ... عَمْدًا وَأَحْمِي حَوْزَةَ الْغَائِبِ

فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا:

الْحُصْنُ ... ... إلــخ)

وقال لقيط بن معمر الإيادي:

أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَآيَوْكُمْ عَلَى حَنَقٍ ... لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَّ اللهُ أَمْ نَفَعَا؟

وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى:

إِذَا مَا تَأَتَّى يُرِيدُ الْقِيَامَ ... تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ الْبَهِيرَا

(بهيرًا: أي مبهورًا؛ أي أصابه البهر، وهو انقطاع النفس من الإعياء.)

موردين إياه: إذا ما تآيا، وهذا خطأ منهم؛ لأنه إذا ما تأتى؛ وتأتى للشيء: تهيأ له. والأقواز: جمع قوز، القطعة المستديرة من الرمل، شبه الرابية. يقول: رب رجال كرام على إبل كريمة قصدوك في مثل عدد حبات الرمل كثرة.

(٣١) العراء: الأرض الواسعة كالفضاء. والملاء: جمع ملاءة؛ الريطة ذات لفقين. والإزار والطراز: ما يكون في الثوب من النقش، فارسي معرب. شبه استواء الإبل وانتظامها

صفوفًا في سيرها على سعة الفضاء بطراز — نقش — على ملاءة. وإذا كان هناك في هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لبياضه، وهكذا سير الإبل إذا كان في بسيط من الأرض، وكانت كرامًا استقامت في السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى، كما قال أبو نواس:

تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا ... صَفٌّ تَقَدَّمُهُنَّ وَهْيَ إِمَامُ

(٣٢) فاعل حكى: ضمير السير. والوفر: المال الكثير، وأودى: أهلك، والعنتريس: الناقة الشديدة الصلبة، والكناز: المكتنزة اللحم. يقول: إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكى — ماثل — في ذلك جودك في إهلاك المال.

(٣٣) يقول: كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئًا، فوعدته ظنونه بذلك عنك وعدًا صدَّقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد. وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

صَدَّقْتَ ظَنِّي وَصَدَقْتَ الظُّنُونَ بِهِ ... وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي

(٣٤) القريض الشعر والبزاز: تاجر الثياب. يقول: إنه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب.

(٣٥) يقول: نقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه. وقال ابن جني: أي ينسب إلينا القول وهو أعلم بمعناه وأولى منا أن يأتي في القول بالمعجز.

(٣٦) الخازباز — ببناء الجزأين على الكسر — حكاية صوت الذباب، ثم سمى به الذباب نفسه. يقول: أنت طب بالشعر ناقد له، وغيرك لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديئه، فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن. هذا، وإليك عبارة اللسان في الخازباز توفية لهذه المادة، وإن كان قد سبق لنا القول في ذلك، قال: والخازباز: ذباب، اسمان جعلا واحدًا، وبنيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر؛ قال عمرو بن أحمر:

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلَعُ السَّوَارِي ... وَجُنَّ الْخَازِبَازِ بِهِ جُنُونَا

«الخازباز» وسمي الذبان به — وهما صوتان جعلا واحدًا — لأن صوته خازباز، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال: خازباز. وقيل: أراد النبت، وقيل: أراد ذبان الرياض؛ وقيل: الخازباز، حكاية لصوت الذباب فسماه به، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله:

أَرْعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصِّلَّ وَالصِّفْصِلَّ وَالْيَعْضِيدَا
وَالْخَازِبَازِ السِّنِمَ المجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

«نبت سنم: مرتفع؛ وهو الذي خرجت سنمته، وهو ما يعلو رأسه كالإكليل، والمجود الذي أصابه المطر.» وعامر ومسعود راعيان «وكل من الصل والصفصل واليعضيد نبات.» والخازباز — في غير هذا — داء يأخذ الإبل والناس في حلوقها. أقول: «لعله من لسع ذباب بعينه.» وقال ابن سيده: الخازباز: قرحة تأخذ في الحلق، وفيه لغات، قال:

يَا خَازِبَازِ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لَازِمَا

والخزباز: لغة، وأنشدوا:

مِثْلُ الْكِلَابِ تَهِرُّ عِنْدَ دِرَابِهَا وَرِمَتْ لَهَازِمُهَا مِنْ الْخِزْبَازِ

«الدارب: جمع درب. واللهازم: جمع لهزمة؛ وهي لحمة في أصل الحنك، شبههم بالكلاب النابحة عند الدروب.»

(٣٧) يقول: ويظن أنه طِبٌّ بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت عصاه فهو لا يهتدي للطريق، وقوله: وهو في العمى ... إلخ؛ أي هو ضائع العكاز حال كونه في جملة العميان.

(٣٨) المجيز: الممدوح الذي يعطي الجائزة، والمجاز: الشاعر الذي يأخذ الجائزة، وقوله: عقل المجاز؛ أي مثل عقل المجاز، فحذف المضاف.

يقول: إن الشعر حسب قارضه؛ فإن كان الشاعر مجودًا ذا قريحة بصيرًا به كان شعره حسب طبقته هذه، وكذلك المتخلف يكون شعره متخلفًا، والممدوح الذي يجيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع كان عقله جيدًا كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دونًا كذلك. والحاصل أن الشعر مَحَكٌّ للمادح والممدوح معًا، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد

والابتكار، وعلى مكانة الممدوح من البصر بالشعر ونقده ومعرفة ما يستحقه. ويروى بدل «قائله فيك»: قابله منك، فيكون الخطاب للشاعر. يقول للشاعر: إذا مدحت أحدًا فقبل شعرك فهو نظيره؛ يعني أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد، والجاهل به يقبل الرديء.

قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن، فوضع سيف الدولة الكأس من يده، فقال أبو الطيب ارتجالًا:

أَلَا أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِي ... وَلَا لَيَّنْتَ قَلْبًا وَهْوَ قَاسِ[1]
وَلَا شُغِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي ... وَلَا عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ[2]

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسي:

أَظَبْيَةَ الْوَحْشِ لَوْلَا ظَبْيَةُ الْأَنْسِ ... لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ فِي الْهَوَى تَعِسِ[3]
وَلَا سَقَيْتُ الثَّرَى وَالْمُزْنُ مُخْلِفَةٌ ... دَمْعًا يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفَسِي[4]
وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْيَ ثَالِثَةٍ ... ذِي أَرْسُمٍ دُرُسٍ فِي الْأَرْسُمِ الدُّرُسِ[5]
صَرِيعَ مُقْلَتِهَا سَآّلَ دِمْنَتِهَا ... قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعَسِ[6]
خَرِيدَةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ ... وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسِ[7]
مَا ضَاقَ قَبْلَكِ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَأٍ ... وَلَا سَمِعْتُ بِدِيبَاجٍ عَلَى كَنَسِ[8]
إِنْ تَرْمِنِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ ... تَرْمِ امْرَأً غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلَا نَكِسِ[9]
يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهُمْ ... بِجَبْهَةِ الْعَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ[10]
أَبَا الْغَطَارِفَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمُ ... وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرِسِ[11]
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ ... كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسِ[12]
دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ ... أَغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيِّنٍ شَرِسِ[13]
نَدٍ أَبِيٍّ غَرٍ وَافٍ أَخِي ثِقَةٍ ... جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رَضٍ نَدُسِ[14]
لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ ... عَزَّ الْقَطَا فِي الْفَيَافِي مَوْضِعُ الْيَبَسِ[15]

أَكَارِمٌ حَسَدَ الْأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ ... وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلْسِ[١٦]
أَيُّ الْمُلُوكِ — وَهُمْ قَصْدِي — أُحَاذِرُهُ؟! ... وَأَيُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْفِي وَهُمْ تُرُسِي؟![١٧]

وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالًا:

أَلَذُّ مِنَ الْمُدَامِ الْخَنْدَرِيسِ ... وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَاةِ الْكُئُوسِ
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي ... وَإِقْحَامِي خَمِيسًا فِي خَمِيسِ[١٨]
فَمَوْتِيَ فِي الْوَغَى أَرَبِي لِأَنِّي ... رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُوسِ[١٩]
وَلَوْ سُقِّيتُهَا بِيَدَيْ نَدِيمٍ ... أُسَرُّ بِهِ لَكَانَ أَبَا ضَبِيسِ[٢٠]

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي:

هَذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ... مِمَّ انْثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا[٢١]
وَجَعَلْتِ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي فِي الْكَرَى ... وَتَرَكْتِنِي لِلْفَرْقَدَيْنِ جَلِيسَا[٢٢]
قَطَّعْتِ ذَيَّاكِ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ ... وَأَدَرْتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُئُوسَا[٢٣]
إِنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِي ... تَكْفِي مَزَادَكُمُ وَتَرْوِي الْعِيسَا[٢٤]
حَاشَا لِمِثْلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً ... وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُونَ عَبُوسَا
وَلِمِثْلِ وَصْلِكِ أَنْ يَكُونَ مُمَنَّعًا ... وَلِمِثْلِ نَيْلِكِ أَنْ يَكُونَ خَسِيسَا[٢٥]
خَوْدٌ جَنَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَاذِلِي ... حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفُؤَادَ وَطِيسَا[٢٦]
بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّهَا ... تِيهًا وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسَا[٢٧]
لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا ... هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا[٢٨]
أَبْقَى زُرَيْقٌ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا ... أَبْقَى نَفِيسٌ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا[٢٩]
إِنْ حَلَّ فَارَقَتِ الْخَزَائِنُ مَالَهُ ... أَوْ سَارَ فَارَقَتِ الْجُسُومُ الرُّوسَا[٣٠]
مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ ... وَرَضِيتَ أَوْحَشَ مَا كَرِهْتَ أَنِيسَا[٣١]
الْخَائِضَ الْغَمَرَاتِ غَيْرَ مُدَافَعٍ ... وَالشَّمَّرِيَّ الْمِطْعَنَ الدِّعِّيسَا[٣٢]
كَشَّفْتُ جَمْهَرَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ ... إِلَّا مَسُودًا جَنْبُهُ مَرْءُوسَا[٣٣]
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِي آيَةٍ ... تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا[٣٤]
وَبِهِ يُضَنُّ عَلَى الْبَرِيَّةِ لَا بِهَا ... وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى[٣٥]

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ   لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا[٣٦]
أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ   فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى[٣٧]
أَوْ كَانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ   مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى
أَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ   عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسَا
لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ سَمِعْتُ بِوَاحِدٍ   وَرَأَيْتُه فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَمِيسَا[٣٨]
وَلَحَظْتُ أُنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَوَاهِبًا   وَلَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسَالَ نُفُوسَا[٣٩]
يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ   أَبَدًا وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيسَا[٤٠]
صَدَقَ الْمُخَبِّرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصْفُهُ   مَنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرْسُوسَا[٤١]
بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرٌ   يَشْنَا الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَا[٤٢]
فَإِذَا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فَارَقْتَهُ   وَإِذَا خَدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرِّيسَا[٤٣]
إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقِدْ   كَثُرَ الْمُدَلِّسُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيسَا[٤٤]
حَجَّبْتُهَا عَنْ أَهْلِ إِنْطَاكِيَّةٍ   وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسَا[٤٥]
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا   يَأْوِي الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا[٤٦]
لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فَدَتْكَ بِأَهْلِهَا   أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسَا[٤٧]

ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه، ويقول له: قد طال قيامك عند هذا الرجل، فقال:

يَقِلُّ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرُّءُوسِ   وَبَذْلُ الْمُكْرَمَاتِ مِنَ النُّفُوسِ[٤٨]
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَوْمٍ ضَحُوكٍ   فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمٍ عَبُوسِ[٤٩]

وقال يهجو كافورًا، وقد خرج من عنده:

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ   مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ[٥٠]
وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحْكِيمُهُ   تَحَكُّمَ الْإِفْسَادِ فِي حِسِّهِ[٥١]
مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ   كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ[٥٢]
الْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقُهُ   عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ[٥٣]
لَا يُنْجِزُ الْمِيعَادَ فِي يَوْمِهِ   وَلَا يَعِي مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ[٥٤]

وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْسِهِ[٥٥]
فَلَا تُرَجِّ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ[٥٦]
وَإِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ بِحَالِهِ فَانْظُرْ إِلَى جِنْسِهِ[٥٧]
فَقَلَّمَا يَلْؤُمُ فِي ثَوْبِهِ إِلَّا الَّذِي يَلْؤُمُ فِي غِرْسِهِ[٥٨]
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ[٥٩]

وأحضر أبو الفضل بن العميد مجمرة محشوة بالنرجس والآس حتى خفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك؛ فقال مرتجلًا:

أَحَبُّ امْرِئٍ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَعْطِسُ[٦٠]
وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالنَّرْجِسُ[٦١]
وَلَسْنَا نَرَى لَهَبًا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الْأَقْعَسُ[٦٢]
وَإِنَّ الْفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْؤُسُ[٦٣]

هوامش

(١) يقول للمؤذن: أذن فلم تذكِّر بأذانك ناسيًا؛ يعني أنه محافظ على الصلوات لا ينسى أوقاتها، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان، وهو لين القلب خاشع، فلا يحتاج إلى ما يلينه. وكان حقه أن يقول: ناسيًا، ولكنها الضرورة، أو على لغة من يقول: رأيت قاضٍ. وقوله: وهو قاسٍ، في موضع الحال، كأنه قال: ولا لينت قلبًا قاسيًا.

(٢) يقول: لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى، ولا عن مراعاة أسباب المعالي، فهو ليس ممن يستهلكون أوقاتهم فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة حق. وفي مثل هذا يقول أبو تمام:

وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي وَلَا لَذَّاتِهَا لَهْوٌ وَلِعْبُ

(٣) الأَنَس: جماعة الناس. تقول: رأيت بمكان كذا أَنَسًا كثيرًا؛ أي ناسًا كثيرًا، والأنس أيضًا: الحي المقيمون، والأنس كذلك: لغة في الإنس. وأنشد الأخفش على هذه اللغة لسمير بن الحارث الضبي:

أَتَوْا نَارِي، فَقُلْتُ: مَنُونَ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: الْجِنُّ، قُلْتُ: عِمُوا ظَلَامَا
فَقُلْتُ: إِلَى الطَّعَامِ؟ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ: نَحْسُدُ الْأَنْسَ الطَّعَامَا
لَقَدْ فُضِّلْتُمُو بِالْأَكْلِ فِينَا وَلَكِنْ ذَاكَ يُعْقِبُكُمْ سَقَامَا

(وقيل: قائل هذه الأبيات تأبط شرًّا، وقيل للفرزدق، وقيل شمر الغساني، وأول هذه الأبيات:

وَنَارٍ قَدْ حَضَأْتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ بدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا
سِوى تَرْحِيل رَاحِلة وَعَين أكالئُها مَخافة أن تنَاما
أتْـــوا نـــاري ... ... [الأبـــيـــات]

وبعدها:

أَمِطْ عنَّا الطعامَ فإنَّ فِيهِ لِآكلِهِ النَقاصَةَ والسَّقامَا

يصف قائلها نفسه بالجرأة واقتحام المهالك، يقول: رب نار قد حضأتها — أي أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد، والوهن والموهن: نحو من نصف الليل — أي أوقدتها في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر، ولأجل عين أكالئها — أي أحافظها — فأنا أحفظها من النوم، وهي تحفظني من العدو، ومنون أنتم: استفهام، وكان حقه: من أنتم؟ وعموا ظلامًا: أي تنعموا في وقت الظلام، وإلى الطعام: أي هلموا أو أقبلوا إليه، وفينا: أي علينا، وأمط عنا: أي أزله عنا، والنقاصة: مصدر كالنقص. وهذا كله من أكاذيب العرب.)

والأَنَس أيضًا: خلاف الوحشية، وهو مصدر أنِست به — بالكسر — أنسًا وأنسة. وفيه لغة أخرى: هي أنست به أُنْسًا، مثل كفرت به كفرًا. والجد: الحظ والبخت، والتعس: الانحطاط والكب والعثور: ضد الانتعاش، وقيل: الهلاك، وتعس — بالفتح — يتعس تعسًا، وأتعسه الله. قال مجمع بن هلال:

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ خَلِيلِهَا: تَعَسْتَ كَمَا أَتْعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعُ!

والمراد بالجد التعس: المنحوس المشئوم. وقد عابوا قوله: تعس، قائلين: إنما يقال: جَدٌّ تاعس، من تَعس — بفتح العين — ولا يجوز بكسرها إلا ما روي عن الفراء، واحتج أهل اللغة ببيت الأعشى:

بِـذَاتِ لَـوْثٍ عَـفَـرْنَـاةٍ إِذَا عَـثَـرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مْنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا

(قوله: بذات لوث: متعلق بكلفت — في بيت قبله — وهو:

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايَعَنِي هَمِّي عَلَـيْهَا إِذَا مَا آلُـهَا لَمَعَـا

اللَّوث بالفتح: القوة. وعفرناة: شديدة قوية، والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جوادًا بالتعس، فتقول: تعسًا له، وإن كان بليدًا كان دعاؤهم له إذا عثر: لعًا لك، وهي كلمة يراد بها: أن ينتعش.)

ولو جاز تعِس — بالكسر — لكان المصدر تعسًا، فعلى هذا لا يقال: جد تعس؛ وإنما يقال: تاعس. يخاطب الظبية الوحشية؛ لأنها ألفته لكثرة ملازمته الفيافي ومساءلته الأطلال، كما قال ذو الرمة:

أَخُطُّ وَأَمْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أُعِيدُهُ بِكَفَّيَّ وَالْغِزْلَانُ حَوْلِيَ تَرْتَعُ

أي: قد ألفنني وأنسن بي لكثرة ما يرينني. يقول: لولا شبيهتك من الإنس أيتها الظبية — يعني حبيبته — لما صرت في الحب ذا جد منحوس.

(٤) الثرى: التراب. والمزن: السحاب الأبيض. ومخلفة: أي غير ماطرة من إخلاف الوعد. يصف حرارة وجده وكثرة دموعه، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض. وهذا ينظر إلى قول الآخر:

لَوْلَا الدُّمُوعُ وَفَيْضُهُنَّ لَأَحْرَقَتْ أَرْضَ الْـوَدَاعِ حَـرَارَةُ الْأَكْبَـادِ

وقول الآخر:

وَتَكَادُ نِيرَانُ الْقُلُوبِ إِذَا الْتَظَتْ يَوْمًا تُنَشِّفُ فِي الْعُيُونِ الْمَاءَ

(٥) المسي: المساء، مثل: الصبح والصباح، وهو ظرف للوقوف؛ ومسي ثالثة: أي مساء ليلة ثالثة. وذي أرسم: صفة لجسم، والأرسم: جمع رسم؛ الآثار. والدرس: جمع دارس ودارسة؛ أي التي انمحت. يقول: لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظعنها — أي لما وقفت بربعها مع قرب العهد بلقائها — بجسم دارس ناحل قد أبلاه الحزن وأنحله حتى آض مثل تلك الرسوم. ومثله للعكوك:

خَلَّفْتَنِي نِضْوَ أَحْزَانٍ أُعَالِجُهَا بِالْجِزْعِ أَنْدُبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ

(٦) الدمنة: جمعها دمن؛ ما اسود من آثار الديار. واللعس: سمرة في الشفة مثل اللمى، وصريع وسآَّل: حالان، ومن خفضهما فعلى أنهما نعتان لجسم. واللعس: عطف على تكسير. وكاف ذاك: رويت بالكسر؛ لأنه يخاطب الظبية. يذكر شدة وجده بها، وأن مقلتها قد صرعته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها: أين ذهبت؟ وأنه مقتول بما في جفنها من الانكسار، وفتور النظر وما في شفتها من السمرة.

(٧) الخريدة: الخفرة الحيية. وماس الغصن يميس: مال وتثنى، والميس: أصله التبختر، وهو للإنسان، واستعاره للقضيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر. يقول: إنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياءً منها، وهي أحسن تثنيًّا من تثني غصن البان، فلو رآها لم يتمايل. قال الواحدي: وفي هذا إشارة إلى أنها في غاية الستر، وأن الشمس لم ترها ولا الغصن.

(٨) الرشأ: الظبي الصغير. والكنس والكناس: الموضع الذي تتخذه الظباء من أغصان الشجر تستظل به من الحر. يقول: إن الرشأ دقيق القوائم لا يضيق الخلخال على قوائمه، وأنت رشأ غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال، ولم أسمع أن كناس الرشأ يستر بالديباج — ضرب من الثياب الحريرية — أما أنت فمستورة الكناس بالديباج؛ يريد هودجها. وفيه نظر إلى قول ابن دريد:

أَعَنِ الشَّمْسِ عِشَاءً رُفِعَتْ تِلْكَ السُّجُوفُ؟
أَمْ عَلَى أُذْنَيْ غَزَالٍ عُلِّقَتْ تِلْكَ الشُّنُوفُ؟

(٩) الكثب: القرب. والرعديد: الجبان. والنكس: الساقط الفشل، وأصله بكسر النون وسكون الكاف، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فَعِل بفتح فكسر، أو بكسرتين، على حد قول عبد مناف بن ربع الهذلي:

مَاذَا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعِ عَوِيلُهُمَا ... لَا تَرْقُدَانِ وَلَا يُؤْسَى لِمَن رَقَدَا؟
كِلْتَاهُمَا أُبْطِنَتْ أَحْشَاؤُهَا قَصَبًا ... مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ لَا رَطْبًا وَلَا نَقِدَا
إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ... ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدَا

(يقول هذه الأبيات في أختيه وبكائهما على أبيهما. قوله: ماذا يغير ... إلخ؛ أي لا يغني بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئًا. وقوله: كلتاها أبطنت ... إلخ، يقول: كأن في أجوافهما قصب المزامير من شدة البكاء. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يبكي في صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل. وقوله: ولا نقدًا؛ أي لم يتأكل والتاء في «ترقدان» للمؤنث الغائب. والحلية: مأسدة باليمن، والنوح: النساء يجتمعن للنواح، وقد كانت نساء العرب في مناحاتهن يلطمن خدودهن بالجلود.)

[يغير: ينفع. والسبت: جلود البقر المدبوغة. واللعج: الحرقة؛ أراد الجلد، فحرك اللام بالكسر لكسر ما قبله.] ومثله كثير. يقول المتنبي: إن رماني الدهر بنوائبه عن قرب — يعني من حيث لا يخطئ — فإني غير جبان ولا ساقط دنيء؛ يعني لا أخاف ذلك ولا أجبن منه.

(١٠) عبيد الله: منادى. وحاسدهم: فاعل يفدي. جعل العير — الحمار — مثلًا للدنيء، والفرس: مثلًا للكريم، والمعنى: بأعز شيء في اللئيم يفدى أخس شيء في الكريم؛ أي إن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار. ومثل هذا لأبي جعفر الإسكافي:

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَهْيَ غَيْرُ عَزِيزَةٍ ... فِي جَنْبِ شَخْصِكَ وَهْوَ جِدُّ عَزِيزِ
فَلَقَدْ يَقِي الْحَرَّ الْبَهِيَّ أَذَاتَهُ ... فِي وَقْتِهَا كَفٌّ مِنَ الشُّونِيزِ

الشونيز والشينيز: الحبة السوداء. ومثله لأبي نصر العتبي:

اللهُ يَشْهَدُ وَالْمَلَائِكُ أَنَّنِي ... لِجَلِيلِ مَا أَوْلَيتَ غَيْرُ كَفُورِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا لِقَدْرِي بَل أَرَى ... أَنَّ الشَّعِيرَ وِقَايَةُ الْكَافُورِ

(١١) أبا الغطارفة: نصب على البدل من عبيد الله، الذي هو منادى. والغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد. والحامين: جمع حام، وهو الذي يحمي قومه وجيرانه. يقول:

يا أبا السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلبًا لا يصيد شيئًا؛ يعني أن الأسد — أي: البطل الشجاع — عندهم كالكلب غير الصائد، لجبنه عنهم.

(١٢) الأبيض هنا: الكريم النقي العرض. والوضاح: المشرق الواضح الجبهة. والقبس: الشعلة من النار. وعمامته: مبتدأ، والخبر: الجملة التي بعده. أي أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه. وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات (إنما أضيف قيس إلى الرقيات؛ قيل: لأنه كان يشبب بعدة نساء يسمين جميعًا رقية):

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

(١٣) أمر الشيء: صار مرًّا. يقول: هو دان — قريب — ممن يحبه ويقصده بعيد عمن ينازعه، محب للفضل وأهله، مبغض للنقص وأهله. بهج بالقصاد، حلو لأوليائه مر على أعدائه، لين في الرضا. شرس — صعب — على الأعداء. وروى الخوارزمي: مُحَبٌّ مُبْغَضٌ — بصيغة اسم المفعول. وبهج بالشيء وله، بالكسر بهاجة: أي فرح به وسر، فهو بهج وبهيج، قال الشاعر:

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهِجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبِلَى خِرَقُ

(١٤) ند: جواد ندى الكف. وأبى: أنوف يأبى الدنايا. وغر: مغرى بالفعل الجميل مولع به. وافٍ: بالعهد والوعد. أخي ثقة: صاحب ثقة يوثق به. وروى ابن جني: أخٍ — منونًا — أي: هو مستحق لإطلاق هذا الاسم — الأخ — عليه لصحة مودته لمن خالطه، وثقة: موثوق به مأمون عند الغيب — وهو مصدر وصف به: كقولهم: زيد عدل — وجعد: جواد. قال الزمخشري: وأما قولهم: جعد للجواد (لأن الأصل أن يقال: فلان جعد، أي: بخيل.) فمن الكناية عن كونه عربيًّا سخيًّا؛ لأن العرب موصوفون بالجعودة. قال:

هَلْ يُرْوِيَنْ ذَوْدَكَ نَزْعٌ مَعْدُ وَسَاقِيَانِ سَبِطٌ وَجَعْدُ؟

أي: عجمي وعربي؛ لأنهما لا يتفاهمان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي. وسري: شريف، ونهٍ: ذو نهية؛ وهي العقل. والندب: الخفيف في الأمور يندب لها؛ أي يدعى فينتدب. ورضٍ: أي مرضي. والندس بضم الدال وبكسرها: الفطن البحاث عن الأمور العارف بها.

(١٥) فيض يديه: أي الفائض من يديه. والغادية: السحابة تغدو بالمطر. والفيافي: جمع الفيفاة؛ وهي المفازة لا ماء بها. واليبس: المكان اليابس. يقول: لو كان عطاؤه ماء سحابة لعم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا — وهو الطائر المعروف بالهداية — في الفلوات موضعًا جافًّا تلتقط منه الحب أو تنام فيه، وعز هنا: أعيا، وأصله: غلب وقهر، ومنه بيت الحماسة:

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ   تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

أي: أعياها وجود موضع اليبس؛ أي المكان اليابس وامتنع عليها.

(١٦) أكارم: جمع أكرم، كأفاضل وأفضل. يقول: بسببهم وكونهم في الأرض حسدتها السماء إذ لم يكن في السماء مثلهم، وتأخر كل مصر — بلد — عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار.

(١٧) هذا استفهام معناه الإنكار. ويقول: إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحدًا من الملوك، وإذا استعنت بهم لم أحذر قرنًا يقابلني. والقرن: كفؤك في الشجاعة، أما القرن من الناس: فهم أهل زمان واحد، قال:

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمُ   وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

والقرن: الوقت من الزمان، يقال: هو أربعون سنة، وقيل: ثمانون سنة، وقيل: مائة.

(١٨) الخندريس: الخمر القديمة. والصفائح: السيوف العريضة. والعوالي: صدور الرماح. والإقحام: دخول الشيء في الشيء. والخميس: الجيش. ومعنى معاطاة الصفائح: مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب، كمد المتناول يده إلى من ناوله الشيء. يقول: إن الحرب ألذ عنده من الشرب، فقوله: ألذ: مبتدأ، وخبره: معاطاة — في البيت الثاني — ومثل هذا يسميه العلماء: التضمين، وهو عيب عندهم، ومثله قول القائل:

لَسَلُّ السُّيُوفِ وَشَتَّى الصُّفُوفِ   وَخَوْضِ الْحُتُوفِ وَضَرْبِ الْقُلَلْ
أَلَـذُّ إِلَـيْـهِ مِـنَ الْـمُـسْـمِـعَـاتِ   وَشُرْبِ الْمُدَامَةِ فِي يَوْمِ طَلْ

(١٩) الوغى: الحرب. والأرب: الحاجة، يقول: إذا قتلت في الوغى — الحرب — فذلك هو حياتي؛ لأن حقيقة الحياة ما يكون فيما تشتهيه النفس، وأنا أشتهي أن أموت محاربًا، وإذا أدركت ما أشتهي فكأني حييت.

(٢٠) يقول: لو رغبت في شرب الخمر لشربتها من يدي أبي ضبيس؛ لأني أسر بمنادمته.

(٢١) هذي: أي يا هذه، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة، وقال المعري: هذه موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة، كأنه يقول: هذه البرزة برزت لنا كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة، وأنشد:

يَا إِبِلِي إِمَّا سَلِمْتِ هَذِي فَاسْتَوْسِقِي لِصَارِمٍ هَذَّاذِ
أَوْ طَارِقٍ فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يريد هذه الكرة. والرسيس في الأصل: مس الحمى وأولها، وهو ما يتولد عنها من الضعف. والمراد هنا: ما رس في القلب من الهوى؛ أي ثبت، قال ذو الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةَ يَبْرَحُ

والنسيس: بقية النفس بعد المرض والهزال. يقول: برزت لنا فحركت ما كان في قلبنا من هواك، ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا بالوصال.

(٢٢) يقول: حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين النوم، فحظي منك ومن وصالك كحظي من النوم، يعني لا حظ لي من الوصال ولا من النوم، فهو ساهر طول الليل يراعي الفرقدين، وهما نجمان لا يفترقان، يضرب بهما المثل في الاجتماع.

(٢٣) ذياك: تصغير ذاك؛ والخمار: بقية السكر، يقول: كنا مع قربك في شبه الخمار لما كنا نقاسي من بخلك بالوصل، فجاء ما طم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك، يعني: بلينا من فراقك بأشد مما كنا نقاسيه من منعك مع قربك، فشبه بخلها في قربها بالخمار وفراقها بالسكر، والخمار إذا قيس بالسكر صغر.

(٢٤) الظعن: الارتحال. والمدامع: مجاري الدموع من العين، والمراد: الدموع. والمزاد: جمع المزادة؛ القربة. والعيس: الإبل. يقول: إن كنت مرتحلة فإني أكثر عليك من البكاء

حتى إن دموعي تملأ ما معكم من أوعية الماء، وتروي إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء.

(٢٥) حاشا: كلمة تنزيه، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل؛ ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف. وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح. و«أن تكون» في موضع جر بـ «من» مضمرة. واسم تكون: يرجع إلى مثل، وهو يذكر ويؤنث بحسب ما يقع عليه. وعبس: قطب وجهه، والنَّيل: اسم لما ينال. والخسيس: القليل. يقول: مثلك في حسنه وكرم أصله لا ينبغي أن يبخل على من يحبه بالوصال، ومثل وجهك في توافر ملاحته لا ينبغي أن يكون عبوسًا للناظرين إليه، وبودي أن تجودي بوصلك وأن لا تمنعيه عنا. هذا، ولم يرد المتنبي ما قيل — في هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنعًا، وإذا كان مبذولًا مل، وانحرفت النفس عنه، وما أحسن قول القائل:

مَا أَحْلَى الْهَوَى مَا لَمْ تَنَلْ فِيهِ الْمُنَى ... وَالْحُبُّ أَعْدَلُ مَا يَكُونُ إِذَا اعْتَدَى
وَإِذَا اخْتَبَرْتَ رَأَيْتَ أَصْدَقَ عَاشِقٍ ... مَنْ لَا يَمُدُّ إِلَى مُوَاصَلَةٍ يَدَا

وقد قال كثير:

وَإِنِّي لَأَسْمُو بِالْوِصَالِ إِلَى الَّتِي ... يَكُونُ نَئِيًّا وَصْلُهَا وَازْدِيَارُهَا

أي: إنما أرغب في ذات القدر المصونة، لا المبذولة، وأنشد بعضهم قول الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتِهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَشْيَ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

فقال: هذه خراجة ولاجة، هلا قال كما قال الآخر:

وَتَشْتَاقُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرْنَهَا ... وَتَعْتَلُّ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ؟

قال ابن فورجه: هذا اعتراض على المتنبي بوصفه حبيبته بأنها مبذولة الوصال، ولم يتعرض لذلك بشيء، وإنما قال لها: حاشاك من هذا الوصف، وليس في اللفظ ما يدل على أنها مبذولة الوصل أو ممنعة، بل فيه أنه يريد أن يكون مبذولًا وصالها له،

وأي محب لا يحب ذلك؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حبيبته فهو محال.

قال أبو الفتح: إنما أراد حاشا لك أن تمنعي وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل، ألا ترى إلى قول القائل:

أُحِبُّ اللَّوَاتِي هُنَّ فِي رَوْنَقِ الصِّبَا　　وَفِيـهِـنَّ عَـنْ أَزْوَاجِـهِـنَّ طِـمَـاحُ
مُـسِـرَّاتُ وُدٍّ مُـظْـهِـرَاتٌ لِـضِـدِّهِ　　تَرَاهُنَّ كَالْمَرْضَى وَهُنَّ صِحَاحُ

أي: هن يظهرن خلاف ما يكتمن. قال الخطيب: أما هذا الشاعر فقد أظهر ما يحب وبينه، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها. وهذا مذهب بعض المحبين. وأما قول المتنبي فهو مباين لهذا بقوله: أن يكون ممنعًا، فهو هجر صراح.

(٢٦) الخود بفتح الخاء: الشابة الناعمة، وجمعها: خود — بضمها — وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف. والوطيس: تنور من حديد، ويقال: حميَ الوطيس: أي اشتدت الحرب. يقول: لكثرة ما يلمنني — أي العواذل — في هواها، ويراجعنني ويغضبنني صار كأن بيني وبينهن حربًا من جرائها، ثم قال: وقد تركت فؤادي مثل الوطيس؛ أي ملتهبًا بما فيه من حرارة الوجد.

(٢٧) يقول: إنها بيضاء — نقية العرض — يمنعها دلالها أن تتكلم، ويمنعها حياؤها أن تميس — تتثنى — فقوله: تكلم، يريد أن تتكلم، فحذف وأعمل، وكذلك: تميس. ويروى بدل تكلم: التكلم. وإليك ما قال العكبري الكوفي: قوله: تكلم، أراد أن تتكلم، فحذف وأعمل، وكذلك أن تميسا؛ وهو كثير في أشعارهم، والبصريون لا يرون ذلك؛ وحجتنا قول الشاعر:

انْظُرَا قَبْلَ تَلُومَانِي إِلَى　　طَلَلٍ بَيْنَ النَّقَا وَالْمُنْحَنَى

وقول طرفة:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الْوَغَى　　وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

(من معلقة طرفة، وبعده:

فَإِنْ كُنْتَ لَاْ تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَذَرْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

يقول في البيت الأول: يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أقتل، وفي أن أنفق مالي لئلا أفتقر، ما أنت مخلدي إن قبلت منك، فدعني أنفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري. ثم قال في البيت التالي: إن كنت لا تقدر أن تدفع مودتي فذرني أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالي؛ يعني أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات.)

وقراءة عبد الله: «لا تعبدوا إلا الله» فنصب بتقدير «أن» مع حذفها. وقول عامر بن الطفيل:

وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلُهُ

وقد ألزمناهم بقولهم: إنها تعمل مع الحذف من غير بدل في جواب الستة بالفاء مقدرة، وحجتهم أنها تنصب الفعل، وعوامل الأفعال ضعيفة، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل؛ ولهذا بطل عملها في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ وقال الشاعر:

أَنْ تَقْرَأَانِ عَلَى أَسْمَاءَ وَيْحَكُمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدَا

(قبله:

يَا صَاحِبَيَّ فَدَتْ نَفْسِي نُفُوسَكُمَا وَحَيْثُمَا كُنْتُمَا لَاقَيْتُمَا رَشَدَا
أَنْ تَحْمِلَا حَاجَةً لِي خَفَّ مَحْمَلُهَا وَتَصْنَعَا نِعْمَةً عِنْدِي بِهَا وَيَدَا

ولا يُعلم قائل هذه الأبيات. وقوله: فدت نفسي ... إلخ جملة دعائية، وكذا قوله: لاقيتما ... إلخ. والرشد محركًا: الاهتداء إلى الصواب. وقوله: أن تحملا: قيل: أن «إن» هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه، وقيل: أن مفتوحة مصدرية، وهي وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر. أي: أسألكما، وأن تقرأان: بدل منه. ومحملها: مصدر ميمي؛ أي حملها. وقوله: بها؛ أي بحملها. ويدا: عطف مرادف على النعمة، وويحكما معترض بين تقرأان وبين مفعوله، وهو السلام. وويح: كلمة ترحم.)

(٢٨) دواؤه عندها: هو الوصال، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليفه الطبية.

(٢٩) هذا اقتضاب؛ فقد انتقل من التشبيب إلى ما لا يمت إليه بسبب، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين. وزريق: أبو الممدوح، ومحمد: اسم الممدوح.

يقول: لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور، وهو نفيس وابنه نفيس، وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس، فقد أبقى رجل نفيس لابن نفيس أمرًا نفيسًا، وهو حفظ الثغور وذب الأعداء عنها.

(٣٠) يقول: إن كان نازلًا في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه، وإن سار للحرب فرق بين جسوم أعدائه وبين رءوسهم، يصفه بالكرم والشجاعة.

(٣١) تقدير البيت هكذا: إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا فعاده، ولكنه حذف الفاء ضرورة. قال الواحدي: ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم، كأنه قال: ملك عاده إذا عاديت نفسك؛ لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له. وقوله: عاده، أمر والأمر لا يوصف به؛ لأن الوصف لا بد من أن يكون خبرًا يحتمل الصدق والكذب، والأمر والنهي والاستفهام لا تحتمل صدقًا ولا كذبًا. يقول المتنبي: إن عاديته فقد عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسًا؛ أي إن من عاداه أتى عليه وقتله لقدرته.

(٣٢) نصب الخائض بفعل مضمر، كأنه قال: أردت، أو مدحت الخائض، ولك أن تجعله بدلًا من الهاء في «عاده». والغمرات: الشدائد. والشمرى بفتح الشين وكسرها: الجاد المشيح في أمره. والمطعن: الجيد الطعن. والدعيس: فعيل، من الدعس؛ وهو الطعن. يقول: هو الذي يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للعجز عنه.

(٣٣) جمهرة الشيء وجمهوره: أكثره ومعظمه، ونصب جنبه: تشبيهًا بالظرف. أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرءوس، كما يقال: هذا حقير في جنب هذا. والمسود: من ساده غيره. يقول: بلوت جمهور الناس فلم أجد أحدًا إلا والممدوح فوقه في السيادة والرياسة؛ يعني هو رئيس على الناس، سيد لهم.

(٣٤) غاية الشيء: منتهاه، وحدُّه الذي لا يعدوه. والآية: العلامة، وأكثر ما تستعمل الآية في العلامة على قدرة الله سبحانه، كما قال أبو العتاهية:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول: إن الله صوره بشرًا وجعله غاية للناس تنتهي إليها كمالاتهم بأسرها، وكان ذلك الخلق في آية من خوارق العادات تنتفي بها ظنون الناس فيه، فلا تقع على حقيقة كنهه، ويفسد قياسهم له بغيره؛ لأن الشيء إنما يقاس بمثله ولا مثل له. وقال ابن جني:

أنت الذي صورك الله بشرًا ينفي الظنون حتى لا يتهم في حال ولا تسبق إليه ظنة … وليس هذا من ظن التهمة، وإنما هو من الظن الذي هو الوهم؛ أي إنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم، وقد وقع للناس الشبهة والشك في أمره وأفسد مقايستهم عليه. وعبارة الواحدي: إن ظننته بحرًا أو بدرًا أو سيدًا أو شمسًا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك، وفوق ما ظننته؛ أي إنه غاية في الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشرًا آدميًّا، وفيه ما لا يوجد في غيره حين نفى ظنون الناس، فلا يدرك بالظن، وأفسد مقايستهم؛ لأن الشيء يقاس على مثله ونظيره، وهو لا نظير له فيقاس عليه. وفي معناه.

أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ　　　مَـا عِـيـبَ إِلَّا بِـأَنَّـهُ بَـشَـرُ

(٣٥) الضن: البخل بالشيء. والبرية: الخليقة. وقوله: منها؛ أي من بينها، وهو في موضع الحال من الضمير في «عليه». ويوسى: يحزن. تقول: أسيت عليه أسًى: حزنت عليه، وأصله يؤسى؛ فلين للقافية. يقول: إنه يضن به على الناس جميعًا لا بالناس عليه. أي: لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساووا قدره، ولو جعلوا كلهم فداءً له لم يبخل عليه بهم؛ لأنه أفضل منهم، ففيه منهم خلف ولا خلف منه في جميع الناس، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم. والمصراع الثاني كالتفسير للأول، وقال ابن جني: وجه الضن ها هنا أن يكون فيهم مثله حسدًا لهم عليه. قال الواحدي: وهذا محال باطل؛ لأنه إذا بخل به المتنبي على الناس فقد تمنى هلاكه، وأن يفقد من بين الناس حتى لا يكون فيهم.

(٣٦) حديث الإسكندر ودخوله في الظلمات معروف. يقول: لو استعمل ذو القرنين رأى الممدوح لأضاءت له تلك الظلمات؛ وهذا وما بعده من الغلو المذموم. ومثله قول الآخر:

لَوْ كَانَ فِي الظُّلُمَاتِ شَعْشَعَ كَأْسَهَا　　　مَا جَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي الظُّلُمَاتِ

وقول الآخر:

لَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِي ظُلُمَاتِهِ　　　وَرَآهُ يَضْحَكُ لَاسْتَضَاءَ بِثَغْرِهِ

(٣٧) عازر. رجل من بني إسرائيل، أحياه الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى. يقول: لو كان قتل بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياؤه.

(٣٨) الخميس: الجيش العظيم، يقول: إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويغني غناءه، وهو كما يقول ابن جني: ضد قولك: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. ولله أبو تمام حين يقول:

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

ويقول:

ثَبْتُ الْمُقَامِ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلَا

ويقول ابن الورمي:

فَرْدٌ وَحِيدٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ كَأَنَّهُ النَّاسُ طُرًّا وَهْوَ إِنْسَانُ

(٣٩) مواهبًا ونفوسًا: تمييزان، والمراد بالأنمل: الأصابع. والمنصل: السيف. قال الواحدي: لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار، ولمس المنصل كناية عن الاستنصار. يقول: تعرضت لعطائه فسالت بالمواهب أنامله، وتعرضت لإعانته إياي فسال سيفه بنفوس أعدائي وأرواحهم؛ لأنه قتلهم. قال البحتري:

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ حَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ نَدًى وَنَجِيعَا

«نجيعًا: دمًا.» ولدعبل.

وَعَلَى أَيْمَانِنَا يَجْرِي النَّدَى وَعَلَى أَسْيَافِنَا تَجْرِي الْمُهَجْ

(٤٠) يقول: إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك؛ أي نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان؛ خوفًا ورعبًا منه. قال العكبري: ولأن اسم الممدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه — والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله.

(٤١) وصفه: مبتدأ، ودونك: الخبر. يقول: إن الذي أخبر عنك مادحًا مثنيًا قد صدق، ووصفه لك دون ما تستحقه، وهنا تم الكلام، ثم قال: من بالعراق يراك في طرسوس؛ أي لأن آثاره ظاهرة، وذكره شائع، فكأن من بالعراق يراه وهو بطرسوس. والمراد التعميم؛ أي إن آثاره قد عمت. وقال الواحدي: من بالعراق يراك في طرسوس؛ أي لميله إليك ومحبته إياك كأنه يراك، كما قال كُثير:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وكما قال أبو نواس:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالُهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ

(٤٢) يشنا: أراد يشنأ من شنأت؛ أي أبغضت. والمقيل: القيلولة — النوم — وقت القائلة — الظهيرة. والتعريس: النزول في آخر الليل للراحة. والضمير في يشنأ ويكره: للذكر. يقول: إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر في البلاد كلها ليلًا ونهارًا لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس. وهو من قول أبي تمام:

جَرَّرْتُ فِي مَدْحِيكَ حَبْلَ قَصَائِدٍ جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُقِيمُ

(٤٣) خدر الأسد وأخدر: غاب في أجمته ولزمها، ويقال: أخدر فلان في أهله؛ أي أقام فيهم. وأنشد الفراء:

كَأَنَّ تَحْتِيَ بَازِيًا رَكَّاضَا أَخْدَرَ خَمْسًا لَمْ يَذُقْ عَضَاضَا

(لم يذق عضاضًا: أي ما يعض عليه. يريد أن هذا البازي أقام في وكره خمس ليالٍ مع أيامهن لم يذق طعامًا، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد، وهو قرم إلى اللحم شديد الطيران، فشبه ناقته به.)

وأسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الخدر؛ أي الأجمة، وأسد مخدر أيضًا. قالت ليلى الأخيلية:

فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانَ خَادِرِ

(خفان: مأسدة).

وتخذت: بمعنى اتخذت. والعريس والعريسة: أجمة الأسد وعرينه؛ شبه الممدوح بالأسد فاستعار له هذه الأشياء. يقول: هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه عند طلب الفريسة؛ أي العدو، وتأوي إليه بعد ذلك كما يأوي الأسد إلى عرينه، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي:

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالْعِرَاقِ وَتَارَةً لَهُ بَيْنَ آجَامِ الْقَنَا مُتَأَجَّمُ

(٤٤) تقول: نقدت الرجل الدراهم والدنانير؛ إذا أعطيته إياها فانتقدها: أي أخذها. هذا هو الأكثر في كلام العرب، وقد يستعملان في تمييز الجيد ونفي الزيف، يقال: نقد كلامه وانتقده، وكذلك في الدراهم والدنانير، وهو المراد هنا. شبه شعره الذي مدحه به بدر نثره عليه. والتدليس إخفاء العيب في السلعة. يقول: كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر، فاحذر تدليسهم عليك، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه. وصدر البيت من قول أبي نواس:

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدُّرَّ يَا دُرَّ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدُّرِّ يُنْثَرُ

وعجزه ينظر إلى قول ابن الرومي:

أَوَّلُ مَا أَسْأَلُ مِنْ حَاجَةٍ أَنْ يُقْرَأَ الشِّعْرُ إِلَى آخِرِهْ
ثُمَّ كَفَانِي بِالَّذِي تَرْتَئِي فِي جَوْدَةِ الشِّعْرِ وَفِي شَاعِرِهْ

(٤٥) الضمير في حجبتها وجلوتها: للقصيدة، وإن لم يجر لها ذكر، وإنما ذكر الدر. وجلا العروس على بعلها: عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو؛ أي نظر إليها كذلك. جعل قصيدته التي مدحه بها كالعروس. يقول: حجبتها عن أهل هذا البلد — أنطاكية — أي لم أمدحهم بها — يعرض ببعض الأكابر — ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس، وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسًا، وخصصتك بها دون غيرك. وعروسًا: حال من القصيدة، قال الواحدي: ويجوز أن يكون حالًا من الممدوح؛

لأن العروس يقع على الذكر والأنثى، وهذا إذا أراد: فاجتليتها؛ أي قدر ضميرًا. وإذا لم يقدر فهي مفعول لاجتليت.

(٤٦) الناووس والناءوس: مقبرة النصارى والمجوس، دخيل، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت، وهذا مثل. يقول: خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة — مثل البزاة — تطير إلى قصور الملوك، وشر الشعر ما يمدح به اللئام والأراذل كالطيور التي تأوي إلى الخراب والمقابر؛ يعني: أنت خير الناس وكلامي خير الكلام فأنت أولى به، يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية. هذا، ويقال: أويت منزلي وأويت إلى منزلي: أي عدت.

(٤٧) الحبيس: المحبوس، وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب. يقول: لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها، أو لو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجعلت نفسها وقفًا محبوسًا عليك، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك. وإنما قال هذا؛ لأن الممدوح كان على الثغور في وجه الروم يجاهد في سبيل الله.

(٤٨) يقول: يقل له أن نقوم في خدمته ولو على الرءوس وأن نبذل في خدمته النفوس المكرمة. وتروى: المَكرُمات — بفتح الميم وضم الراء — أي: الأفعال الكريمة. ولله قول أبي تمام:

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وَجِبَاهِهِمْ فَضْلًا عَنِ الْأَقْدَامِ

(٤٩) الضمير في خانته: للنفوس. والعبوس: الكريه. يقول: إذا خانته النفوس فلم تقم بحقه ولم تخدمه في السلم، فكيف تخدمه في الحرب؟

(٥٠) النوك: الحمق، والأنوك: الأحمق. وعرسه: زوجته، يريد بها الأَمَة. ومن حكَّم: مبتدأ، خبره: ما قبله. يقول: الذي يجعل العبد حاكمًا على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد؛ أي أمته. ولك أن تقول: من يكون في طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة. فقوله: من عرسه؛ أي من عرس نفسه، يعني المرأة. وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه.

(٥١) يقول: إن من حكم العبد على نفسه يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره، وسوء الاختيار يدل على تحكم الفساد في الحس. والحس، أو الحس المشترك أو الحس الباطن — وهو الذي أطلق عليه بعض متأدبي عصرنا «العقل الباطن» خطأً — هو، كما جاء في «تعريفات» السيد الجرجاني: القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة،

فالحواس الخمس الظاهرة كالجواسيس لها، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها. قال: ومحله مقدم التجويف الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أنهار. وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة — كلود برنار — قال: هو جملة التغيرات الحاصلة في الجسم الحي بواسطة المهيجات، أو هو تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر، ويسميه أهل اللغة: الإدراك.

(٥٢) أي: الذي يرى أنك في وعده يحسن إليك، والذي يرى أنك في حبسه يسيء إليك، يريد أنه مرهون في مواعيد كافور ولكن كافورًا يعامله معاملة المحبوس عنده؛ فلا هو يفيه ما وعده، ولا هو يؤيسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل. وقال الخطيب التبريزي: إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله، فهو يرى أنه في حبسه، فليس له منه مخلص فما يبالي به، والحر الكريم يرى أنك في وعده فهو يضمر الإنجاز فيما وعد.

(٥٣) يقول: إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان. يصفه بقصر الهمة عن المعالي.

(٥٤) الضمير في يومه: للميعاد، وفي أمسه: لكافور. يقول: لا ينجز الميعاد في يومه الذي وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس؛ يعني أنه لغفلته وسوء فطنته ينسى ما يقوله.

(٥٥) القلس: حبل للسفينة ضخم تجذب به. يقول: إن كافورًا لا يأتي مكرمة بطبعه، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح — البحار — السفينة لتجري؛ يعني أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد، وهو لا يتفق وشنشنتها؛ لأنها تطلب جريان الماء لتنحدر معه سريعة؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها. وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم، فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه؛ لأنه ضد عادته.

(٥٦) النخاس: الذي يبيع الدواب؛ لأنه ينخسها لتنشط، ويطلق على بائع الرقيق. ورجاه ورجاه — بالتشديد — وترجاه: بمعنًى. وفي رأسه: أي على رأسه. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾. يقول: لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسيق للبيع كما تساق الدواب.

(٥٧) عراك: اعتراك وغشيك وألم بك. يقول: إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه، فقسه بغيره من العبيد؛ فإنك لا ترى أحدًا منهم له مروءة وكرم. وبحاله، يروى: بحالة.

(٥٨) الغرس: جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة. يقول: إن اللؤم طبيعة، طبع عليها اللئيم في غرسه، فمن كان لئيمًا في كبره، فإنما كان مولودًا على اللؤم.

(٥٩) القنس بفتح القاف وكسرها: الأصل، يقول: من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا، فنال ملكًا أو ولاية أو غنًى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم؛ لأن الأشياء تعود إلى أصولها، والعرق نزاع، فمن كان لئيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم.

(٦٠) المعطس: الأنف. يقول: أنت أحب امرئ حبته النفوس، وهذا الند أطيب رائحة شمها الأنف. وحذف المبتدأ من الجملتين؛ لأن المخاطبة والحال دلتا عليه. هذا، والأكثر أن يقال: أحبه فهو مُحب وهو محبوب — على غير قياس — وقد قيل: محب — على القياس — وقال الأزهري: وقد جاء المحب شاذًّا في الشعر، قال عنترة:

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

(من معلقة عنترة. ونزلتِ: خطاب مع محبوبته عبلة. وقوله: فلا تظني غيره: جملة معترضة بين نزلت ومني، فإن مني: متعلقة بنزلت. يقول: ولقد نزلت من قلبي منزلة من يُحَب ويكرَم. ومفعول ظن الثاني: محذوف؛ أي فلا تظني غيره واقعًا، أي غير نزولك مني منزلة المحب.)

قال الفراء: وحببته: لغة، وقال غيره: وكره بعضهم حببته، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول عيلال بن شجاع النهشلي:

أُحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ
فَأُقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

وحبه يحبه — بالكسر — فهو محبوب. قال الجوهري: وهذا شاذ؛ لأنه لا يأتي في المضاعف: يفعل — بالكسر — إلا ويشركه يفعل — بالضم — إذا كان متعديًا، ما خلا هذا الحرف. هذا، وروي: أحبَّ وأطيبَ: بالنصب على النداء.

(٦١) ونشر: عطف على خبر المبتدأ المحذوف، كأنه قال: وأطيب ما شمه الأنف هذا البخور ونشر من الند؛ أو: الواو زائدة — على حد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ — والنشر: الرائحة. والمجامر: المباخر. يقول: إن هذا النشر من الند إلا أن مجامره الآس والنرجس، وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان.

(٦٢) الأقعس — ومنه العزة القعساء: الثابت، وقيل: العالي المرتفع الذي لا يوضع ظهره على الأرض، كالأقعس الذي لا ينال ظهره الأرض. يقول: لا نرى نارًا هيجت ريح هذا الند، فهل هاجه عزك الأقعس؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك.

(٦٣) الفئام: الجماعات من الناس. ويروى: القيام؛ جمع قائم. قال بعض الشراح: وليس بجائز إلا إن قال: الذين حوله. يقول: ليس بدعًا أن يحسد الند عزك، فإن هؤلاء الطوائف الملتفين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم؛ لأنها وقفت في خدمتك على الأرض، وكان بود الرءوس أن تكون هي الواقفة مكانها. وقال ابن جني: لأنها تباشر الأرض التي باشرها الممدوح لسعيها إليه، فهي كقوله أيضًا:

خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّءُوسُ وَلَكِنْ   فَضَلَتْهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامُ

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر علي بن الحسين بن حمدان، ويذكر إيقاعه بأصحاب بافيس ومسيره من دمشق:

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ ... حَشَاهُ لِي بِحَرٍّ حَشَايَ حَاشِ ١
لَقَى لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّبْيِ لَوْنًا ... وَهَمٍّ كَالْحُمَيَّا فِي الْمُشَاشِ ٢
وَشَوْقٍ كَالتَّوَقُّدِ فِي فُؤَادٍ ... كَجَمْرٍ فِي جَوَانِحِ كَالْمِحَاشِ ٣
سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غَيْرِ نَابٍ ... وَرَوَّى كُلَّ رُمْحٍ غَيْرِ رَاشِ ٤
فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَّتْ ... لِمُنْصُلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرِّيَاشِ ٥
فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى ... كَأَنَّ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ ٦
وَقَدْ نُسِيَ الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى ... رَدَى الْأَبْطَالِ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ ٧
لَقُوهُ حَاسِرًا فِي دِرْعِ ضَرْبٍ ... دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهِبِ الْحَوَاشِي ٨
كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا ... وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنِحَةُ الْفَرَاشِ ٩
كَأَنَّ جَوَارِيَ الْمُهَجَاتِ مَاءٌ ... يُعَاوِدُهَا الْمُهَنَّدُ مِنْ عُطَاشِ ١٠
فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مُفَاتٍ ... وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلٍ مُطَاشِ ١١
وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ ... تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنَ احْتِرَاشِ ١٢
يُدَمِّي بَعْضُ أَيْدِي الْخَيْلِ بَعْضًا ... وَمَا بِعُجَايَةٍ أَثَرُ ارْتِهَاشِ ١٣
وَرَائِعُهَا وَحِيدٌ لَمْ يَرُعْهُ ... تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ ١٤
كَأَنَّ تَلَوِّيَ النُّشَّابِ فِيهِ ... تَلَوِّي الْخُوصِ فِي سَعَفِ الْعِشَاشِ ١٥
وَنَهْبُ نُفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى ... بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهْبِ الْقُمَاشِ ١٦

تُشَارِكُ فِي النِّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا ... بِطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجِحَاشِ[17]
وَمِنْ قَبْلِ النِّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِي ... تَبِينُ لَكَ النِّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ[18]
فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُوَرِّي ... وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أُحَاشِي[19]
كَأَنَّكَ نَاظِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ ... فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشِ[20]
أَأَصْبِرُ عَنْكَ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ ... وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشِ؟!
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤَسَاءِ عِنْدِي ... عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْخِشَاشِ؟![21]
فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ ... وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي[22]
تُطَاعِنُ كُلُّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا ... وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الجِحَاشِ[23]
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ ... وَإِنِّي مِنْهُمُ لَإِلَيْكَ عَاشِ[24]
بُلِيتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يَلْقَى ... أُنُوفًا هُنَّ أَوْلَى بِالْخِشَاشِ[25]
عَلَيْكَ إِذَا هُزِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي ... وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشِ[26]
أَتَى خَبَرُ الْأَمِيرِ فَقِيلَ: كَرُّوا ... فَقُلْتُ: نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشِ[27]
يَقُودُهُمُ إِلَى الْهَيْجَا لَجُوجٌ ... يُسِنُّ قِتَالُهُ وَالْكَرُّ نَاشِي[28]
وَأُسْرِجَتِ الْكُمَيْتُ فَنَاقَلَتْ بِي ... عَلَى إِعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِي[29]
مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تُذَبُّ عَنْهَا ... بِرُمْحِي كُلُّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ[30]
وَلَوْ عُقِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ ... حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلَّ مَاشِ[31]
إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ ... وَشِيكَ فَمَا يُنَكِّسُ لِانْتِقَاشِ[32]
تُزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ ... وَتُلْهِي ذَا الْفِيَاشِ عَنِ الْفِيَاشِ[33]
وَمَا وُجِدَ اشْتِيَاقٌ كَاشْتِيَاقِي ... وَلَا عُرِفَ انْكِمَاشٌ كَانْكِمَاشِي[34]
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ... وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ[35]

هوامش

(١) مبيتي: اسم مكان، ومن دمشق: بيان لمبيتي، وعلى فراش: خبر مبيتي، وحشاه ... إلخ: في موضع الصفة لفراش؛ يصف شدة هواه وحرارة قلبه من الحب، يقول: إني أتيت من دمشق على فراش حار حشي بحرارة قلبي من الهوى؛ يعني حرارة الهوى وأن فراشه صار حارًّا لذلك، وأنه يبيت ساهرًا من ثم.

(٢) لقى: حال؛ أي أبيت على فراش حال كوني لقى ليل! واللَّقَى: الشيء المُلْقَى. والحميا: سَورة الخمر. والمشاش: رءوس العظام الرخوة. وعين الظبي: يضرب بها المثل

في السواد، ولونا: تمييز. يقول: إنني طريح ليل أسود، وهم قد خالطه وتمشى فيه تمشي الخمر في العظام، وفيه نظر إلى قول أبي نواس:

وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشِّي الْبُرْءِ فِي السَّقَمِ

والمصراع الأول من قول أبي تمام:

إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجًى كَحِدَاقِنَا

ومثله قول التنوخي:

وَاللَّيْلُ كَالثَّاكِلِ فِي إِحْدَادِهَا وَمُقْلَةِ الظَّبْيِ إِذَا الظَّبْيُ رَنَا

والثاني من قول زهير:

فَظَلْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ مِنَ الرَّاحِ تَسْمُو فِي الْمَفَاصِلِ وَالْجِسْمِ

ومثله قول الأبيرد:

عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّنِي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ

(٣) وشوق: عطف على ليل. والمحاش بضم الميم وكسرها: ما أحرقته النار، تقول: امتحش الخبز؛ أي احترق، ومحشته النار وامتحشته: أحرقته. شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء: شوقه بتوقد النار، وقلبه — الذي هو محل الشوق — بجمر النار، وجوانحه — أضلاعه — بشواء أحرقته النار.

(٤) يدعو بالسقيا لكل نصل — سيف — لا ينبو عن الضريبة؛ أي لا يكل ولا يرتفع. ولكل رمح غير راش: أي غير ضعيف خوار.

(٥) المنعوت: الموصوف؛ أي الذي تواصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف، يعني به أبا العشائر. وهذه رواية الخوارزمي. وروى ابن جني: المبغوت؛ وهو الذي بغته الشيء — أي فاجأه — يريد ما كان قد عرض لأبي العشائر من الجيش

الذي كنسه بأنطاكية، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاءً حسنًا. وخفت لمنصله — سيفه — الفوارس: أي تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش.

(٦) يقول: لكثرة خوضه الغمرات — الشدائد — والتباسه بالحرب وأهوالها، صار يكنى: أبا الغمرات، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة — أبا العشائر — غير فاشية، إذ غمرتها هذه وأخملتها.

(٧) الردى: الهلاك. وما — في قوله: بما يسمى — مصدرية: أي بتسميته ردى الأبطال. والغيث: المطر. يقول: وقد نسي اسمه العلم — وهو الحسين — بما سموه به من ردى الأبطال — أي هلاك الشجعان — أو غيث العطاش. يعني أن صفتي الشجاعة والجود غلبتا على اسمه المشهور حتى ترك، فلا يسمى إلا بهذين.

(٨) الحاسر: الذي لا درع له، وهو حال، وفي درع ضرب: حال أخرى. يقول: لقوه ولا درع عليه؛ لأنهم فاجئوه، ثم قال: لكنه من ضربه الأعداء في درع؛ لأن ضربه بالسيف يحميه، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق، وكنى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي. والمعنى: أن ضربه الأبطال يصد عنه كما يصد الدرع.

(٩) يقول: كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها؛ ولأن سيفه يلمع كالنار عليها، وكأن أيدي القوم أجنحة الفراش؛ لأنها تطير بضربه إياها، فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش الذي يتهافت على النار.

(١٠) المهجة: دم القلب. والمهند: السيف. والعطاش: شدة العطش، وهو من باب فعال — الذي للأدواء: كصداع وزكام — شبه ما أجري من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة، كالعطشان يعاود الماء. يقول: إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء.

(١١) مفات: مفعل — من الفوت — أي حيل بينه وبين روحه، يقال: أفاته الشيء: أي جعله يفوته. والروح: يذكر ويؤنث، وتذكيره أكثر. والرمق: بقية الروح. يقول: فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه، وآخر به رمق، وثالث فقد عقله؛ أي ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال.

(١٢) المنعفر: المتلطخ بالعفر؛ وهو التراب. والنصل: خبر مقدم، وتوارى: مبتدأ مؤخر، والتواري: الاختفاء. والاحتراش: صيد الضب. يقول: قد غاب السيف في هذا المنعفر كما يغيب الضب في جحره خشية الاحتراش؛ أي الصيد.

(١٣) العجاية: عصبة في اليد فوق الحافر. والارتهاش: أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى، حتى تدمى الرواهش؛ وهي عصب الذراع. يقول: انهزمت الخيل بين

يديها هاربة وهي تغوص في دماء القتلى فيلطخ بعض أيديها بعضًا بالدم، فكأن بها ارتهاشًا ولم يكن ثَم ارتهاش؛ لأن أيديها سليمة. وقال ابن القطاع في قوله: يدمي وفي البيت بعده: يريد أن الممدوح لا نظير له في شجاعته ولا له قرن يصادمه، وضرب المثل بأيدي الخيل، ويريد: لا يقاتل الرجال إلا أكفاؤها.

(١٤) رائعها: مفزعها ومخوفها، والمستجاش: الذي يطلب منه الجيش، يقول: إن الذي أفزع الخيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يخفه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه، ولا بعد سيف الدولة الذي يستجيشه: أي يطلب منه الجيش؛ لأن الممدوح — وهو أبو العشائر — كان عاملًا على أنطاكية من قِبل سيف الدولة.

(١٥) الخوص: ورق النخل. والسعف: أغصانها. والعشاش: جمع عشة؛ النخلة إذا قل سعفها ودق أسفلها، وقد عششت النخلة: قل شعفها ودق أسفلها، وشجرة عشة: دقيقة القضبان، لئيمة المنبت. قال جرير:

فَمَا شَجَرَاتُ عِيصِكَ فِي قُرَيْشٍ   بِعَشَّاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي

(العيص: منبت خيار الشجر. والعيص: الأصل. وفي المثل: عيصك منك وإن كان أشبًا؛ يعني: أصلك منك، وإن كان غير صحيح. وما أكرمَ عيصَه! وهم آباؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته. والضواحي من الشجر القليلة الورق التي تبرز عيدانها للشمس.)

وامرأة عشة: قليلة اللحم. ورجل [عش]: مهزول. أنشد ابن الأعرابي:

تَضْحَكُ مِنِّي أَنْ رَأَتْنِي عشًّا

(بعده:

لَبِسْتُ عَصْرَيْ عُصُرٍ فَامْتَشَّا
بَشَاشَتِي وَعَمَلًا فَفَشَّا   وَقَدْ أَرَاها وَشَوَاهَا الْحُمْشَا
وَمِشْفَرًا إِنْ نَطَفْتَ أَرَشَّا   كَمْشِفَرِ النَّابِ تَلُوكُ الْفُرُشَا

قوله: فامتشا: هو من امتش ما في الضرع إذا حلب جميع ما فيه. وكذلك تقول: فش الضرع فشا: أي حلب جميع ما فيه. والشوى: الأطراف. والحمش: الدقيقة. وأرش: أي جاء بالرش، والرش في الأصل: المطر القليل. والفرش: الغمض من الأرض فيه العرفط

والسلم، وإذا أكلته الإبل أرخت أفواهها.)

يريد أنه كان يرمي بالسهام فتتلوى فيه كتلوي الخوص وأغصان النخل، فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه، فهو لشجاعته لا يكترث للطعن ولا الضرب ولا الرمي.

(١٦) النهب: الغارة. وأهل النهب: الجيش. والقماش: متاع البيت. يقول: إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها، ولكن أبا العشائر نهب نفوسهم، ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة. وهذا من قول أبي تمام:

إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا　　يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

(١٧) الندام: المنادمة على الشراب. والبطان: جمع بطين؛ وهو العظيم البطن الرغيب. والجحاش: المجاحشة؛ وهي المدافعة في القتال. يقول: إذا نزلنا عن الخيل شاركنا في شرب الخمر رجال ذوو نهم يكثرون الأكل ولا يشاركون في القتال. ومثله:

يَفِرُّ مِنَ الْكَتِيبَةِ حِينَ يُلْقَى　　وَيَثْبُتُ عِنْدَ قَائِمَةِ الْخُوَانِ

(١٨) النطاح: مناطحة ذوات القرون، ويستعمل في الحرب. و«قبل»: رواه الخوارزمي نصبًا على الظرف، ورواه غيره بالخفض عطفًا على ما قبله. ويأني: يحين — من قولهم: أنى الشيء يأني إنًى — أراد قبل أن يأني: فحذف، يقول: قبل المناطحة وقبل أوانها يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسي؛ وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترد الطعن بها، وكذلك يتلاعب الناس بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن.

(١٩) أكثر الرواية: ويا ملك الملوك، ويروى: ويا بدر البدور. ووَرَّى الحديث: أخفاه وأظهر غيره. يقول: لا أستر قولي بل أجهر به، ولا أحاشي؛ أي لا أدع أحدًا ولا أستثني إنسانًا.

(٢٠) الغاشِ: الذي يغشاك ويزورك. وغاشية الرجل: الذين يأتونه ويزورونه. ومنه قول ذي الرمة يصف سفودًا:

وَذِي شُعَبٍ شَتَّى كَسَوْتَ فُرُوجَهُ　　لِغَاشِيَةٍ يَوْمًا مُقَطَّعَةً حُمْرَا

وقال حسان:

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

(يُغشون بالبناء للمفعول: أي يتردد إليهم، من غشيه: إذا جاءه. وهر الكلب يهر — من باب ضرب — هريرًا: إذا صوَّت، وهو دون النباح؛ يعني أن منازلهم لا تخلو من الأضياف والعفاة، فكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد إليها من الأضياف. وقوله: لا يسألون ... إلخ: أي هم في سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير — وهو السواد — إذا قصدوا نحوهم.)

يقول المتنبي: إنك من الفطنة والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث ترى ما في قلوب الناس وتعلم ما يطلبون، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يغشاك. ومثل هذا في المعنى قوله الآتي:

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمْخَرِقِ

(٢١) لم تبخل: أي وأنت لم تبخل، فهي جملة حالية، والاستفهام إنكاري. والواشي: النمام. وكيف: حال محذوفة العامل؛ أي وكيف أصبر عنك؟ والعتيق: الكريم. والخشاش بكسر الخاء، وقد تفتح: صغار الطير نحو العصافير وأضرابها، والحشرات. يقول في البيت الثاني: وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء كالكريم من الطير بين صغارها؟

(٢٢) يقول: ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لثقته بانتقامك وقوة بطشك، فبأسك نازل به لا محالة، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تُخيب رجاءه؛ لأنه على يقين من فيض سخائك، فأنت موضع الخوف والرجاء. وعبارة ابن جني: ليس يرجو من يخشاك أن يلقى من يكذبه ويخطئه في خوفك؛ لأن الناس مجمعون على خوفك وخشيتك. وعبارة ابن فورجه: يريد: خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك وانتقامك، فما ترجو تكذيبًا لما خافه لشدة خوفه، ولا راجيك يخشى أن تخيبه لفيض عرفك. وقال الواحدي: الصحيح في هذا البيت رواية من روى:

فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّثْرِيبِ رَاجٍ

أي: من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير بخشيتك؛ فراجٍ بمعنى خائف. قال: ومن روى: للتكذيب، لم يكن فيه مدح؛ لأن المدح في العفو — لا في تحقيق الخشية — وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف، كما قال السري الرفاء:

إِذَا وَعَدَ السَّرَّاءَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَإِنْ وَعَدَ الضَّرَّاءَ فَالْعَفْوُ مَانِعُهْ

(٢٣) النبيط: قوم بسواد العراق حراثون. وكل خيل: فاعل تطاعن؛ والمراد: كل أهل خيل — على حد قوله ﷺ: «يا خيل الله اركبي.» يقول: إن القوم الذين تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل، وإنما يركبون الحمير؛ أي إن من كان معك كان شجاعًا لشجاعتك.

(٢٤) يقال: عشا إلى النار يعشو فهو عاشٍ: إذا أتاها ليلًا. هذا هو الأصل، ثم صار كل قاصد عاشيًا، قال صاحب الصحاح: عشوت إلى النار إذا استدللت عليها ببصر ضعيف. قال الحطيئة:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وقوله: «منهم» حال من ضمير المخاطب بعده. يقول: الناس في قلة خيرهم كالظلام، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور، وقد قصدتك من بينهم أطلب الخير كما تؤتى النار في الظلام.

(٢٥) الخشاش: عود يجعل في عظم أنف البعير يشد فيه الزمام، أراد: أنوف اللئام من الناس، وأنها أولى بالخشاش من أن تشم الورد. شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل. وقال ابن جني: تأذيت بلقاء غيرك من الرؤساء ولم يليقوا بي كما لا يليق الورد بأنوف الإبل.

(٢٦) يقول: هم عليك مع الدهر أعوانًا له إذا كنت مهزولًا؛ أي إذا افتقرت فصرت كالمهزول الذي لا لحم له، وإذا سمنت؛ أي أثريت وكثر مالك التفوا حولك وتهارشوا تهارش الكلاب يطلبون نوالك، وكذلك حال الناس. فقوله: عليك؛ أي هم عليك. والمراد بالهزال والسمن: الفقر والغنى. والهراش: مأخوذ من مهارشة الكلاب. وقال الواحدي: المعنى: هم عيال في الحرب فإذا رجعت بالغنيمة خيموا لديك وتهارشوا.

(٢٧) شاش: بلد فيما وراء النهر. يقول: ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو، فقلت: نعم — تصديقًا لهذا الخبر — يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش؛ أي ولو أمعن عدوه في الهرب وكان بعيدًا، وهذا من قول البحتري:

يُضْحِي مُطِلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَفُوا   بِالصِّينِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبْعَدَ الصِّينَا

قال ابن جني: كان أبو العشائر قد استطرد الخيل، ثم ولى بين أيديهم هاربًا ثم جاء خبره أنه كر عليهم راجعًا، فيقول المتنبي: نعم يكرون — أي: الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش. وقال ابن فورجه: الرواية بضم الكاف — كاف كروا — والمعنى أتى خبر الأمير بظفره بالعدو، فقيل لنا معشر المستميحين: كروا، فقلت: نعم نكر، ولو لحقوا بشاش؛ أي ولو كان على البعد منا. والأولى أظهر.

(٢٨) أراد باللجوج: أنه لا ينثني عن أعدائه ولا يزال يغزوهم. ويسن قتاله: أي يطول، من أسن؛ أي طالت سنه — أي عمره. وناشي: هي ناشئ — بالهمز — فخفف؛ أي حديث السن. يقول: إن هذا الممدوح يقود جيوشه إلى الهيجا — الحرب — وهو لجوح في قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن، وكرُّه لا يزال شابًّا؛ فهو في آخر القتال، كما كان في أوله. وفيه نظر إلى قول البحتري:

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ   إِقَدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

(٢٩) الكميت: ما كان بين الأشقر والأدهم من الخيل — يقال للذكر والأنثى — قال الكلحبة:

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُحْلَفَةٍ وَلَكِنْ   كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ بِهِ الْأَدِيمُ

[يعني أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك.]

والمناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة: وأعقت الدابة إعقاقًا، انفتق بطنها للحمل. والغشاش: العجلة؛ يقال: لقيته غشاشًا وعلى غشاش: إذا لقيته على عجلة، قالوا: وهي كنانية. وأنشدت محمودة الكلابية:

وَمَا أَنْسَى مَقَالَتَهَا غِشَاشًا   لَنَا وَاللَّيْلُ قَدْ طَرَدَ النَّهَارَا
وَصَاتَكَ بِالْعُهُودِ وَقَدْ رَأَيْنَا   غُرَابَ الْبَيْنِ أَوْكَبَ ثُمَّ طَارَا

[أوكب الطائر: تهيأ للطيران.] أي إنها أسرعت بي على ثقلها وعلى عجلتي.

(٣٠) التمرد: تفعُّل، من المارد، والمريد؛ وهو الذي قد أعيا خبثًا، والمتمردة: المتنعة؛ يصف فرسه بالخبث وترك الانقياد لمن لا يحسن ركوبها. وتذب: تُدفع. وكل: نائب فاعل تذب. وطائرة الرشاش: أي كل طعنة طائرة الرشاش، وهو ما يترشش من الدم. يقول: هي من الخيل الشديدة المراس وإني أصونها برمحي عن أن تطعن.

(٣١) يقول: لو عقرت فرسي — قطع عصب رجلها؛ والمراد: هلكت فلم تحملني إليه — لبلَّغني إليه حديث عنه — أي عن الممدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى المطية؛ أي يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه. أو تقول: إنه إذا ذكرت أخباره وما يكون منه لم يجد الماشي مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث، فكأن الحديث حمله إليه. وهذا كما قيل: إن رجلين اصطحبا، فقال أحدهما لصاحبه: تحملني وأحملك. يريد: تحدثني وأحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشي. هذا على رواية كل ماش بالنصب، ومن رواها بالرفع رد الضمير في عنه للحديث؛ أي إن كل ماش يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها.

(٣٢) شيك: أي دخلت الشوكة رجله. والانتقاش: إخراج الشوكة من الرجل. يقول: إذا وصفت لشجاع مواقف الممدوح في الحرب تاق إليه ورغب في صحبته، فأسرع إليه لإعجابه، حتى إنه — لذهوله — لو كان حافيًا ودخلت شوكة في رجله إذ ذاك لم يكد يحس بها، فلا ينكس رأسه — لا يطأطئ — لإخراجها. وقيل: المراد بمواقفه، مواقفه في الجود والعطاء.

(٣٣) المصبور: المحبوس على القتل، يقال: قتل فلان صبرًا؛ وهو أن يحبس حتى يقتل. والفياش: المفايشة — أي المفاخرة — يقول: إن مواقف الممدوح في القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل. أو تقول: إن التاء — في تزيل وتلهي — للمخاطب: أي إنك أيها الممدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة؛ إذ يستخذي إليك حين يسمع بمفاخرك ويقر بفضلك. وفي رواية: «يزيل» و«يلهي» بالياء.

(٣٤) الانكماش: الإشاحة والجد في الأمر. يقول: لم يشتقْ أحد اشتياقي إليك ولم يسرع أحد سرعتي في قصدك.

(٣٥) هذا كقول أبي تمام:

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ فَـإِنِّـيَ لَـمْ أَخْـدُمْـكَ إِلَّا لِأُخْـدَمَـا

وقد تقدم.

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإنفاذ خلعة إليه، فقال:

فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ　　خِلَعُ الْأَمِيرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ[1]
فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ　　وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ[2]
وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ　　فِي الْجُودِ بَانَ مُذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ[3]

وقال لما مرض سيف الدولة:

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ　　وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ وَالْكَرَمُ الْمَحْضُ[4]
وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا　　بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِي الْأَعْيُنِ الْغُمْضُ[5]
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ　　لِأَنَّكَ بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

وقال في بدر بن عمار، وقد قام منصرفًا في الليل:

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمْضِي　　وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْغُمْضِ[6]
عَلَى أَنَّنِي طُوِّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ　　شَهِيدٌ بِهَا بَعْضِي لِغَيْرِي عَلَى بَعْضِي[7]
سَلَامُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ　　تُخَصُّ بِهِ يَا خَيْرَ مَاشٍ عَلَى الْأَرْضِ

هوامش

(١) يقول: أحيتنا خلع الأمير وألبستنا الوشي، كما يحيي المطر الأرض ويوشيها بالنبات والأزهار وما إليها، ولم نقض حقه كما يستحقه من الثناء. والضمير في أرضه: إما للممدوح، أضاف الأرض كلها إليه تفخيمًا لشأنه، أو يريد أرض مملكته — إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الخصب والنماء، وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر، أو السقف. ونصب حقه بإضمار ما فسره به، ومثله:

وَالذِّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا

(٢) يقول: إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير في جودته وسلامته من السخف. وكأن نقاءها من نقاء عرضه؛ إذ سلم مما يعاب به. وهذا من قول ابن الرومي في ثوب استهداه:

صَحِيحًا مِثْلَ رَائِكَ إِنْـ ـنَهُ وَالْحَزْمُ فِي قَرَنِ
نَقِيًّا مِثْلَ عِرْضِكَ إِنْـ ـنَ عِرْضَكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ

(٣) المذيق: المذوق؛ أي الممزوج. والمحض: الخالص، وهما من أوصاف اللبن استعارهما للجود. يقول: إذا فوضت الأمر في الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئًا وتركته إلى رأيه بلغت ما تريد، وبان لك صحيح الرأي من معيبه؛ لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال، بل يعطي بطبيعة الكرم، ومعيب الرأي لا يعطى حتى يسأل مرارًا. أو تقول: إن الكريم إذا تُرك ورأيه من غير سؤال بان جوده: هل هو مشوب يأتيه تكلفًا وحياءً أم إنه خالص يبعث به طبعه ونحيزته؟

(٤) البأس: الشدة والسطوة. والمحض: الخالص. والمعنى ظاهر، وهو من قول أبي تمام:

لَا تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالْمَكْرُمَاتِ إِذَا أَنْت اعْتَلَلْتَ تُرَى الْأَوْجَاعُ وَالْعِلَلُ

وقوله:

إِنَّا جَهِلْنَا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ وَلَا وَاللهِ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمُلْكُ وَالْأَدَبُ

وقوله:

وَإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نُغَمُّ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ

ومثله لمسلم بن الوليد:

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عِلَّةٌ يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِهَا الثَّقَلَانِ
فَبِكُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ مَوْصُوفَةُ الشَّكْوَى بِكُلِّ لِسَانِ

(٥) اعتلال الغمض: كناية عن امتناعه عن العين، فجعل ذلك اعتلالًا له.

(٦) قوله: في العيون، يروى: في الجفون. وكان يجب أن يقول: ولقياك؛ لأن الرؤيا تستعمل في المنام، لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية؛ لأنه كان بالليل، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ لم يرد رؤيا المنام، بل رؤيا اليقظة، وكان ذلك ليلًا — ليلة الإسراء — يقول: إن الليل قد مضى، أما فضلك فهو ثابت باقٍ. وعجز البيت من قول ابن الرومي:

وَلَطَعْمُ اكْتِحَالَةٍ مِنْهُ بِالزَّا ئِرِ أَحْلَى فِي عَيْنِهِ مِنْ رُقَادِ

(٧) قال الواحدي: أأنصرف عنك، مع أنك قلدتني نعمة يشهد بها بعضي على بعضي؟ أي: من نظر إلى استدل بنعمتك عليَّ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه من الخلع. وقال ابن جني: في الكلام حذف تقديره: أمدحك وأثني عليك بما طوقتني به من نعمك، فحذف للدلالة عليه. ثم قال في قوله: شهيد بها ... إلخ: لسانه يشهد على سائر جسده، وهو من قول ابن بسام الكاتب:

وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُ لِي نِعْمَةٌ تُقِرُّ عَلَيَّ وَإِنْ لَمْ أُقِرْ

قافية حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة؛ فخرج سيف الدولة يشيعه، وهبت ريح شديدة، فقال:

لَا عَدِمَ الْمُشَيِّعَ الْمُشَيَّعُ ... لَيْتَ الرِّيَاحَ صُنَّعٌ مَا تَصْنَعُ[1]
بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ ... وَسَجْسَجٌ أَنْتَ وَهُنَّ زَعْزَعُ[2]
وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهُنَّ أَرْبَعُ ... وَأَنْتَ نَبْعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ[3]

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث، وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة:[4]

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ ... إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعُوا[5]
أَهْلُ الْحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ ... وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزَعُ[6]
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَمَا عَلِمَتْ ... أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبَعُ؟[7]
لَيْسَ الْجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مَارِنُهُ ... أَنْفُ الْعَزِيزِ بِقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدَعُ[8]
أَأَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وَأَطْلُبُهُ ... وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ[9]
وَالْمَشْرَفِيَّةُ، لَا زَالَتْ مُشَرَّفَةً ... دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ[10]
وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ... فِي الدَّرْبِ وَالدَّمُ فِي أَعْطَافِهَا دُفَعُ[11]
وَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ ... وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ[12]
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ ... وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ[13]
قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ ... عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ[14]

لَا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ ... كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شِبَعُ ١٥
حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبِيَعُ ١٦
لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا ... وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا ١٧
مُخْلًى لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ ... لَهُ الْمَنَابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجُمَعُ ١٨
يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ ... حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ ١٩
وَلَوْ رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا ... عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا ٢٠
ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ ... سُودُ الْغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ ٢١
فِيهَا الْكُمَاةُ الَّتِي مَفْطُومُهَا رَجُلٌ ... عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلِيُّهَا جَذَعُ ٢٢
تَذْرِي اللُّقَانُ غُبَارًا فِي مَنَاخِرِهَا ... وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ ٢٣
كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ ... فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسَعُ ٢٤
تَهْدِي نَوَاظِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ ... مِنَ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمَعُ ٢٥
دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةً ... عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقْوَرَّةُ الْمُزُعُ ٢٦
إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجًا حَالَ بَيْنَهُمَا ... أَظْمَى تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضِّلَعُ ٢٧
أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الْفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ ... إِذَا فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعُ ٢٨
وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبِيضِ مُنْفَلِتٌ ... نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَحْشَائِهِ فَزَعُ ٢٩
يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهْوَ مُخْتَبَلٌ ... وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهْوَ مُمْتَقَعُ ٣٠
كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا ... لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لَهُ وَرَعُ ٣١
يُقَاتِلُ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ ... وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ ٣٢
تَغْدُو الْمَنَايَا فَلَا تَنْفَكُّ وَاقِفَةً ... حَتَّى يَقُولَ لَهَا: عُودِي فَتَنْدَفِعُ ٣٣
قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ ... خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا ٣٤
وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمُ ... كَأَنَّ قَتْلَاكُمُ إِيَّاهُمُ فَجَعُوا ٣٥
ضَعْفَى تَعِفُّ الْأَيَادِي عَنْ مِثَالِهِمِ ... مِنَ الْأَعَادِي وَإِنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا ٣٦
لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ ... فَلَيْسَ يَأْكُلُ إِلَّا الْمَيِّتَ الضَّبُعُ ٣٧
هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ ... أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ ٣٨
تَشُقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ ... وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَعُ ٣٩
وَإِنَّمَا عَرَّضَ اللهُ الْجُنُودَ بِكُمْ ... لِكَيْ يَكُونُوا بِلَا فَسْلٍ إِذَا رَجَعُوا ٤٠
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ ... وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ ٤١

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمِ ... وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ[٤٢]
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فَارِسَهُ ... وَكَانَ غَيْرَكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرَعُ[٤٣]
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ[٤٤]
لَمْ يُسْلِمِ الْكَرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ ... إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشِّيَعُ[٤٥]
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةٌ ... فَلَمْ يَكُنْ لِدَنِيٍّ عِنْدَهَا طَمَعُ[٤٦]
رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوَغَى فَرَأَوْا ... وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبِيضِ فَاسْتَمَعُوا[٤٧]
لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ ... مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ[٤٨]
الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ... وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ[٤٩]
وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ ... وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدَعُ[٥٠]
وَمَا حَمِدْتُكَ فِي هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ ... حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ[٥١]
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ ... وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعُ[٥٢]
إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ... وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبُعُ[٥٣]

وقال في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي:

حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا ... فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ[٥٤]
أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجُدْنَا بِأَنْفُسٍ ... تَسِيلُ مِنَ الْآمَاقِ وَالسَّمُ أَدْمُعُ[٥٥]
حَشَايَ عَلَى جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ الْهَوَى ... وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ[٥٦]
وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا ... غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ[٥٧]
بِمَا بَيْنَ جَنْبَيَّ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا ... إِلَيَّ الدَّيَاجِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّعُ[٥٨]
أَتَتْ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا ... وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ[٥٩]
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْثَنَتْ تُوسِعُ الْخُطَا ... كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ[٦٠]
فَشَرَّدَ إِعْظَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا ... مِنَ النَّوْمِ وَالْتَاعَ الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ[٦١]
فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا ... وَسُمُّ الْأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ[٦٢]
تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى ... فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ[٦٣]
وَلَا ثَوْبُ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ ... عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِلُؤْمٍ مُرَقَّعُ[٦٤]
وَإِنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّئٍ ... بِهِ اللهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ[٦٥]
بِذِي كَرَمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ ... عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةً مِنْهُ تَطْلُعُ[٦٦]

فَـأَرْحَـامُ شِـعْـرٍ يَـتَّـصِـلْـنَ لَـدُنَّـهُ ... وَأَرْحَـامُ مَـالٍ لَا تَـنِـي تَـتَـقَـطَّـعُ ٦٧
فَـتًـى أَلْـفُ جُـزْءٍ رَأْيُـهُ فِـي زَمَـانِـهِ ... أَقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ ٦٨
غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمْطِرٌ لَيْسَ يُقْشِعُ ... وَلَا الْبَرْقُ فِيهِ خُلَّبًا حِينَ يَلْمَعُ ٦٩
إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ ... إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ ٧٠
خَبَتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهِجْهَا بَنَانُهُ ... وَأَسْمَرُ عُرْيَانٌ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ ٧١
نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ... وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدْوُهُ حِينَ يُقْطَعُ ٧٢
يَمُجُّ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ ... وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ ٧٣
ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبَةً ... وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ أَطْوَعُ ٧٤
فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقْ تَجِدْ كُلَّ لَفْظَةٍ ... أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ ٧٥
بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْهَا سَحَابَةٌ ... لَمَا فَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْضِعُ ٧٦
وَلَيْسَ كَبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَعْرَهُ ... إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضِفْدَعُ ٧٧
أَبَحْرٌ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ ... زُعَاقٌ كَبَحْرٍ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ؟! ٧٨
يَتِيهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرِ فِي بُعْدِ غَوْرِهِ ... وَيَغْرَقُ فِي تَيَّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ ٧٩
أَلَا أَيُّهَا الْقَيْلُ الْمُقِيمُ بِمَنْبِجٍ ... وَهِمَّتُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ تُوضِعُ ٨٠
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ ... وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ ٨١
وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا ... عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ ٨٢
وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا ... وَبِالْجِنِّ فِيهِ مَا دَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ ٨٣
أَلَا كُلُّ سَمْحٍ غَيْرَكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ ... وَكُلُّ مَدِيحٍ فِيَ سِوَاك مُضَيَّعُ ٨٤

وقال في صباه على لسان من سأله ذلك:

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفَى لَذِيذَ هُجُوعِي ... فَارَقْتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي ٨٥
أَوَمَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً ... مِمَّا أُرَقْرِقُ فِي الْفُرَاتِ دُمُوعِي ٨٦
مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا ... حَتَّى اغْتَدَى أَسَفِي عَلَى التَّوْدِيعِ ٨٧
رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنَّمَا ... أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ ٨٨

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي:

مُلِثَّ الْقَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعَا   وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا ٨٩
أُسَائِلُهَا عَنِ الْمُتَدَيِّرِيهَا   فَلَا تَدْرِي وَلَا تُذْرِي دُمُوعَا ٩٠
لَحَاهَا اللهُ إِلَّا مَاضِيَيْهَا: زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَودَ الشَّمُوعَا ٩١
مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ رَدَاحٌ   يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا ٩٢
تُرَفِّعُ ثَوْبَهَا الْأَرْدَافُ عَنْهَا   فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوعَا ٩٣
إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجًا   لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا ٩٤
تَأَلَّمُ دَرْزَهُ وَالدَّرْزُ لَيْنٌ   كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّنِيعَا ٩٥
ذِرَاعَاهَا عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا   يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعَا ٩٦
كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ   يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلُوعَا ٩٧
أَقُولُ لَهَا: اكْشِفِي ضُرِّي وَقُولِي   بِأَكْثَرَ مِنْ تَدَلُّلِهَا خُضُوعَا ٩٨
أَخِفْتِ اللهَ فِي إِحْيَاءِ نَفْسٍ   مَتَى عُصِيَ الْإِلَهُ بِأَنْ أُطِيعَا ٩٩
غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا   وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا ١٠٠
أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا: جَرَّ نَمْلٌ   ثَبِيرًا وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيعَا ١٠١
بَعِيدُ الصِّيتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا   يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعَا ١٠٢
يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ   كَأَنَّ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعَا ١٠٣
إِذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ   فَقَدْكَ سَأَلْتَ عَنْ سِرٍّ مُذِيعَا ١٠٤
قَبُولُكَ مِنْهُ مَنٌّ عَلَيْهِ   وَإِلَّا يَبْتَدِئْ يَرَهُ فَظِيعَا ١٠٥
لِهُونِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا   وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعَا ١٠٦
إِذَا ضَرَبَ الْأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ   فَمَا لِكَرَامَةٍ مَدَّ النُّطُوعَا ١٠٧
فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا   وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيعَا ١٠٨
وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنَصْلٍ   كَفَى الصَّمْصَامَةُ التَّعَبَ الْقَطِيعَا ١٠٩
عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءٍ   مُبَارِزَهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا ١١٠
عَلِيٌّ قَاتِلُ الْبَطَلِ الْمُفَدَّى   وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرَدِ النَّجِيعَا ١١١
إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ   وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِم الضُّلُوعَا ١١٢
وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الْأَكْبَادُ مِنْهُ   فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا ١١٣
فَحِدْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ   وَإِنْ كُنْتَ الْخُبَعْثِنَةَ الشَّجِيعَا ١١٤

إِن اسْـتَـجْـرَأْتَ تَـرْمُـقُـهُ بَـعِـيـدًا ... فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئًا مَا اسْتُطِيعَا[١١٥]
وَإِنْ مَـارَيْـتَـنِـي فَـارْكَبْ حِـصَـانًـا ... وَمَـثِّـلْـهُ تَـخِـرَّ لَـهُ صَـرِيـعَـا[١١٦]
غَـمَـامٌ رُبَّـمَـا مَـطَـرَ انْـتِـقَـامًـا ... فَأَقْحَطَ وَدْقُهُ الْبَلَدَ الْمُرِيعَا[١١٧]
رَآنِـي بَـعْـدَمَـا قَـطَـعَ الْـمَـطَـايَـا ... تَـيَمُّمُهُ وَقَـطَّعَـتِ الْـقُـطُـوعَـا[١١٨]
فَـصَـيَّـرَ سَـيْـلُـهُ بَـلَـدِي غَـدِيـرًا ... وَصَـيَّـرَ خَـيْـرُهُ سَـنَـتِـي رَبِـيـعَـا[١١٩]
وَجَـاوَدَنِـي بِـأَنْ يُـعْـطِـي وَأَحْـوِي ... فَـأَغْـرَقَ نَـيْـلُـهُ أَخْـذِي سَـرِيـعَـا[١٢٠]
أَمُـنْـسِـيَّ الـسُّـكُـونَ وَحَـضْـرَمَـوْتَـا ... وَوَالِـدَتِـي وَكِـنْـدَةَ وَالـسَّـبِـيـعَـا[١٢١]
قَدِ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الْأَعَادِي ... فَرُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّلَبِ الْهُجُوعَا[١٢٢]
إِذَا مَـا لَـمْ تُـسِـرْ جَـيْـشًـا إِلَـيْـهِـمْ ... أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمِ الْهُلُوعَا[١٢٣]
رَضُوا بِكَ كَالرِّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا ... وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِيَ وَالْفُرُوعَا[١٢٤]
فَـلَا عَـزَلٌ وَأَنْـتَ بِـلَا سِـلَاحٍ ... لِحَاظُكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعَا[١٢٥]
لَوِ اسْتَبْدَلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ ... قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالدُّرُوعَا[١٢٦]
لَوِ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ ... أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعَا[١٢٧]
سَـمَـوْتَ بِـهِـمَّـةٍ تَـسْـمُـو فَـتَـسْـمُـو ... فَـمَـا تُـلْـفَـى بِـمَـرْتَـبَـةٍ قَـنُـوعَـا[١٢٨]
وَهَـبْـكَ سَـمَـحْـتَ حَـتَّـى لَا جَـوَادٌ ... فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لَا رَفِيعَا[١٢٩]

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب:

أَرَكَـائِـبَ الْأَحْـبَـابِ إِنَّ الْأَدْمُـعَـا ... تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسْنَ الْيَرْمَعَا[١٣٠]
فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى ... وَامْشِينَ هَوْنًا فِي الْأَزِمَّةِ خُضَّعَا[١٣١]
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَا ... فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا[١٣٢]
حَـتَّـى كَـأَنَّ لِـكُـلِّ عَـظْـمٍ رَنَّـةً ... فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَا[١٣٣]
وَكَفَى بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحًا ... لِمُحِبِّهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعَا[١٣٤]
سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ ... سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا[١٣٥]
فَـكَـأَنَّـهَـا وَالـدَّمْـعُ يَـقْـطُـرُ فَـوْقَـهَـا ... ذَهَبٌ بِسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا[١٣٦]
كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا[١٣٧]
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا[١٣٨]
رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُولَكِ عَارِضٌ ... لَوْ كَانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعَا[١٣٩]

زَجَلٌ يُرِيكَ الْجَوَّ نَارًا وَالْمَلَا ... كَالْبَحْرِ وَالتَّلَعَاتِ رَوْضًا مُمْرِعَا[١٤٠]
كَبَنَانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغَدَقِ الَّذِي ... أَرْوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاءُ وَأَفْزَعَا[١٤١]
أَلِفَ الْمُرُوءَةَ مُذْ نَشَا فَكَأَنَّهُ ... سُقِيَ اللِّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرْضَعَا[١٤٢]
نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَائِمًا ... فَاعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَزَّعَا[١٤٣]
تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بَارِقَا ... تٍ وَالْمَعَالِيَ كَالْعَوَالِيَ شُرَّعَا[١٤٤]
مُتَبَسِّمًا لِعُفَاتِهِ عَنْ وَاضِحٍ ... تَغْشَى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللُّمَّعَا[١٤٥]
مُتَكَشِّفًا لِعُدَاتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ ... لَوْ حَكَّ مَنْكِبُهَا السَّمَاءَ لَزَعْزَعَا[١٤٦]
الْحَازِمَ الْيَقِظَ الْأَغَرَّ الْعَالِمَ الْـ ... ـفَطِنَ الْأَلَدَّ الْأَرْيَحِيَّ الْأَرْوَعَا
الْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاهِبَ النْـ ... ـنَدُسَ اللَّبِيبَ الْهِبْرِزِيَّ الْمِصْقَعَا[١٤٧]
نَفْسٌ لَهَا خُلُقُ الزَّمَانِ لِأَنَّهُ ... مُفْنِي النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ مَا جَمَّعَا[١٤٨]
وَيَدٌ لَهَا كَرَمُ الْغَمَامِ لِأَنَّهُ ... يَسْقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعَا[١٤٩]
أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وَافِرٍ ... وَيَلُمُّ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَصَدِّعَا[١٥٠]
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى اهْتِزَازَ مُهَنَّدٍ ... يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزْتَهُ يَوْمَ الْوَغَى[١٥١]
يَا مُغْنِيًا أَمَلَ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ ... وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا[١٥٢]
أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى ... وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارْبَعَا[١٥٣]
وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا ... لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوْضِعَا[١٥٤]
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ ... فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعَا[١٥٥]
نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ ... لَكَ كُلَّمَا أَزْمَعْتَ شَيْئًا أَزْمَعَا[١٥٦]
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيُّ كَأَنَّهُ ... عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعَا[١٥٧]
أَكَلَتْ مَفَاخِرُكَ الْمَفَاخِرَ وَانْثَنَتْ ... عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيُّ وَصْفِي ظُلَّعَا[١٥٨]
وَجَرَيْنَ مَجْرَى الشَّمْسِ فِي أَفْلَاكِهَا ... فَقَطَعْنَ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا[١٥٩]
لَوْ نِيطَتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلِهَا ... لَعَمَمْنَهَا وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعَا[١٦٠]
فَمَتَى يُكَذَّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذَا ... وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا ادَّعَى[١٦١]
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ ... حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعَا[١٦٢]
إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا ... رَجُلًا فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا إِصْبَعَا[١٦٣]
إِنْ كَانَ لَا يَسْعَى لِجُودٍ مَاجِدٌ ... إِلَّا كَذَا فَالْغَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى[١٦٤]
قَدْ خَلَّفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ ... مَرْأًى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعَا[١٦٥]

وقال يرثي أبا شجاع فاتكًا، وقد توفي بمصر سنة خمسين وثلاثمائة، وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر:

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ … وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ[١٦٦]
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ … هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ[١٦٧]
النَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ … وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ[١٦٨]
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي … وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ[١٦٩]
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً … وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ[١٧٠]
تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ … عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ[١٧١]
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ … وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ[١٧٢]
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ؟ … مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ؟[١٧٣]
تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا … حِينًا وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتْبَعُ[١٧٤]
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ … قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ[١٧٥]
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً … ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ[١٧٦]
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا … وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ[١٧٧]
الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَفْقَةً … مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ[١٧٨]
وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَنْزِلًا … مِنْ أن تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ[١٧٩]
بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ … فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ[١٨٠]
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا … مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ[١٨١]
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ … إِلَّا نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ[١٨٢]
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا … فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهْوَ تَبَرُّعُ[١٨٣]
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً … أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنْزَعُ[١٨٤]
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا … حَتَّى لَبِسْتَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ … حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ[١٨٥]
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ … فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفُكَ قُطَّعُ[١٨٦]
بِأَبِي الْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ … يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلَاحِ الْأَدْمُعُ[١٨٧]
وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلَاحِ عَلَى الْبُكَا … فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ[١٨٨]
وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْـ … ـبَازِي الْأُشَيْهِبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ[١٨٩]

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى ... فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لَا يَطْلُعُ[١٩٠]
وَمَنِ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً؟ ... ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ[١٩١]
قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ ... وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ[١٩٢]
أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكٌ ... وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الْأَوْكَعُ؟![١٩٣]
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ ... وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ؟[١٩٤]
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ ... وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ[١٩٥]
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ ... وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ[١٩٦]
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ ... دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ[١٩٧]
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلُهُ ... وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرُعُ[١٩٨]
وَعَفَا الطِّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ ... فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلَا حُسَامٌ يَلْمَعُ[١٩٩]
وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ ... بَعْدَ اللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ ... وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ[٢٠٠]
إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا ... كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ ... أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ[٢٠١]
قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ ... فَرَسًا وَلَكِنَّ الْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ[٢٠٢]
لَا قَلَّبَتْ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ ... رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ[٢٠٣]

وقال في صباه:

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا ... وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا[٢٠٤]
فَافْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا الْتَقَيْنَا ... كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا[٢٠٥]

هوامش

(١) المشيِّع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة، والمشيَّع — بصيغة اسم المفعول — غلامه يماك. يدعو له يقول: لا عدمه غلامه. ثم قال: ليت الرياح تصنع ما تصنع أنت من نفع الناس.

(٢) بكرن ضرًّا: أراد بكرن — أي الرياح — يضررن ضررًا، أو بكرن ذوات ضر. والسجسج: السهل اللين الذي لا حر فيه ولا برد. والزعزع: الريح الشديدة المؤذية. يقول: إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك!

(٣) عنى بالأربع: الجنوب، والشمال. والصبا، والدبور. والنبع: شجر صلب تتخذ منه القسي، وهو عندهم من جيد الشجر. والخروع: نبت ضعيف متثن، وكل شيء لين فهو خروع وخريع.

(٤) مر سيف الدولة في هذه الغزوة بمندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم من طرسوس — ونزل على صارخة، وهي مدينة هناك، فأحرق ربضها وكنائسها وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أيامًا، ثم عبر آلس راجعًا. فلما أمسى ترك السواد وأكثر الجيش، وسرى حتى جاز خرشنة، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد، فلقي الدمستق في ألوف من الخيل. فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها، فانتشب القتال بين الفريقين. فانهزم الدمستق، وقتل من فرسانه خلق كثير، وأسر من بطارقته وزرازرته نيف وثمانون. وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأثغار — فصادفه العدو على رأسها، فأخذ ساقة الناس يحميهم. ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو، فجرح من الفرسان جماعة، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة المسير — وهي عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها، فعدل متياسرًا في طريق وصفه بعض الأدلة. وجاء العدو آخر النهار من خلفه، فقاتل إلى العشاء، وأظلم الليل، وتساند أصحاب سيف الدولة؛ أي أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم. فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قريبة من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد، ومن نجا من العقبة نهارًا لم يرجع، ومن بقي تحتها لم تكن فيه نصرة. وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى، فكانوا مئات، وانصرف. واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب، وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم، فقال يصف ذلك.

(٥) يقول: لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل؛ لأنهم يجبنون عند القتال، ويشجعون عند الحديث، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل، فلا أغتر بقولهم. وإنما قال: هذا الناس، ولم يقل هؤلاء: لأنه ذهب إلى لفظ الناس، لا إلى معناه. هذا،

ويقال: خدعه يخدعه خدعًا بالكسر، مثل: سحره يسحره سحرًا، وخدعًا — بالفتح أيضًا — وخديعة وخدعة: أي أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم. وتخادع وانخدع: أرى أنه قد خدع. وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين: إذا كان يخدع كثيرًا، وخدعة: يخدع الناس كثيرًا، وأصله من خدع الضب يخدع خدعًا، وانخدع: إذا استروح ريح الإنسان، فدخل في جحره لئلا يحترش؛ ومن ذلك خدع الدهر: إذا تلون، وخدعت العين: لم تنم؛ وما خدعت بعينه نعسه: أي ما مرت بها. قال الممزق العبدي:

أَرِقْتَ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنَيَّ نَعْسَةٌ وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتَ لَا بُدَّ يَأْرَقُ

(أي: لم تدخل بعيني نعسة، ثم قال: ومن يلقَ ما لاقيت يأرق لا بد؛ أي لا بد له من الأرق.)

(٦) الحفيظة: الحمية والأنفة. والغي: الانهماك في الجهل — خلاف الرشد. ويزع: يكف ويردع. يقول: هم أهل الحمية ما لم تجربهم، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك، وفي تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطتهم. قال العكبري: يشير إلى ما ظهر من عجز أصحاب سيف الدولة في الغزة التي جبنوا فيها، وقال: هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام ويتزينون بذلك ما لم تقع التجربة، فإذا جربوا تركوا. وقال بعض الشراح: يريد بالغي الاغترار؛ أي وفي تجربة الشيء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكف عن الاغترار به.

(٧) الطبع: الدنس. وقوله: ونفسي: في موضع رفع عطفًا على الحياة؛ أي مع الحياة، كما تقول: ما أنت وزيد: أي مع زيد. وما: استفهامية. يقول: ما لنفسي والحياة؟ أي: لا أريدها بعدما علمت أن الحياة غير المشتهاة دنس، وشين لها، فعلام الحرص إذن على هذه الحياة والركون إليها؟ أي لا أريد حياة ولا أشتهيها إذا كانت كذلك. وفيه نظر إلى قول قطري بن الفجاءة:

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

هذا، وأصل الطبع — الذي هو الدنس والشين — من قولهم: طبع السيف طبعًا فهو طبع؛ أي صدئ. قال الفقعسي: وتروى لحكيم بن معية الربعي، وأنشدها الأصمعي:

إِنَّا إِذَا قَلَّتْ طَخَارِيرُ الْقَزَعْ وَصَدَرَ الشَّارِبُ مِنْهَا عَنْ جُرَعْ
نُفْحِلُهَا الْبِيضَ الْقَلِيلَاتِ الطَّبَعْ مِنْ كُلِّ عَرَّاضٍ إِذَا هُزَّ اهْتَزَعْ
مِثْلِ قُدَامَى النَّسْرِ مَا مَسَّ بَضَعْ يَئُولُهَا تَرْعِيَةٌ غَيْرُ وَرَعْ
لَيْسَ بِفَانٍ كِبَرًا وَلَا ضَرَعْ تَرَى بِرِجْلَيْهِ شُقُوقًا فِي كَلَعْ
مِنْ بَارِئٍ حِيصَ وَدَامٍ مُنْسَلِعْ

(القزع: جمع قزعة؛ السحابة أو القطعة من الغيم. والطخارير: سحابات متفرقة. ويقال: أفحلت إبلي: إذا أرسلت فيها فحلًا. والبيض: السيوف. ونفحلها ... إلخ: يريد نعرقبها بالسيوف، وهو مثل، وأراد بالعراض: السيف البراق المضطرب. واهتزع: اضطرب. وكلعت رجله تكلع كلعًا وكلاعًا تشققت واتسخت. وترعية: راع، ويؤلها: يجمعها، من آل يئول فهو موئلها. ومنسلع: متشقق.)

(٨) المارن: ما لان من الأنف. واجتدع أنفه: قطعه. يقول: ليس كل وجه صحيح المارن بجميل، فإن العزيز متى قطع عزه ذل، فصار كمن جدع أنفه وإن كان صحيح الأنف. وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

لَيْسَ جَدْعُ الْأُنُوفِ عِنْدِيَ جَدْعًا إِنَّ ذُلَّ النُّفُوسِ قَتْلٌ وَجَدَعْ

واختص الأنف؛ لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء، فيقولون: أرغم الله أنفه: أي ألزقه بالرغام؛ وهو التراب. هذا هو الأصل، ولكنهم يريدون الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره.

(٩) الانتجاع في الأصل: طلب الكلأ، ثم صار كل طلب انتجاعًا، والمراد بالغيث: لازمه من الخصب وسعة العيش. يقول: إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف، فلمَ أطلبهما بشيء آخر؟ يقول: أأترك أن أجوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والنزال، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك في غمده ما ينتجعه؟

(١٠) المشرفية: السيوف، والمشرفية: مبتدأ، والخبر: دواء، وجملة لا زالت مشرفة: دعائية. ومن روى: مشرِّفة بكسر الراء، فمعناه: لا كانت داء، بل كانت دواء، يقول: إن السيوف دواء الكريم أو داؤه؛ لأنه: إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء. وهذا ينظر إلى قول البحتري:

وَعِنْدَ بُقْرَاطَ دَاءٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ قَالَ: الشِّفَاءُ بِحَدِّ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ

(١١) يريد بفارس الخيل: سيف الدولة؛ لأن خيله أرادت الهزيمة، فثبتها في مضيق من مضايق الروم. فقوله: خفت؛ أي أسرعت في الهزيمة فزعًا. ووقرها: ثبتها. والدرب: المضيق والمدخل إلى بلاد العدو. والأعطاف: الجوانب. والدم في أعطافها دفع: يعني أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة. وقال ابن جني تعليقًا على قوله: وفارس الخيل: يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم، كقولك: شاعر القوم؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء، ويجوز أن يكون وحده شاعرًا. وإذا قلت: هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر، بل تعمهما الصفة؛ لأنه يجري مجرى أشعر الرجلين، فلا بد من أن يكون شاعرين. ولا تقول: هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه، كما لا تقول: شاعر الرجلين، وأحدهما شاعر دون صاحبه.

(١٢) أوحدته: أي الخيل؛ أي: تركته وحيدًا. والقذع: الفحش. يقول: فتركته وحيدًا وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته، وأغضبته بانحيازها عنه فلم يك في لفظه فحش ولا خَنًا؛ أي إنه شجاع وإن كان وحده، وحليم عند الغضب.

(١٣) ابن أبي الهيجاء: هو سيف الدولة. يقول: إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم؛ لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم، وعز جيشك بك؛ لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا لم تكن فيهم، فأنت عزهم وبك منعتهم.

(١٤) المقانب: جمع مقنب، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة. والنهل: الشرب الأول. والشكيم: جمع شكيمة؛ الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام. والسرع: السرعة مصدر سرع. يقول: قاد الجيوش مسرعًا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهي ملجمة ولم يتفرغوا — لشدة السير — أن يخلعوا اللجم، وأقل سيرها إسراع. يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد في لقاء العدو.

(١٥) لا يعتقي: أي لا يعتاق، يقال: عاقه واعتاقه، ثم يقلب، ويقال: عقاه واعتقاه. يقول: إن سيره إلى بلد لفتحه لا يعوقه عن سيره إلى غيره، كالموت الذي يعم فلا يرتوي ولا يشبع؛ أي لا يقنعه كثرة من يفنيه، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو يفتحَ غيره.

(١٦) خرشنة: بلد بالروم. والأرباض: جمع ربض؛ ما حول المدينة من العمارة — الضواحي — يقول: ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم؛ لأنه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم.

(١٧) يقول: لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسبى نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم. هذا، وقد أقام ما مقام من في المصراع الأول ليوافق «ما» في المصراع الثاني، على حد قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾. ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر؛ يريد: للسبي نكاحهم والقتل ولادتهم. قال العكبري: واللام في قوله: للسبي: لام العاقبة. كقوله:

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

(هذا المصراع من أبيات نسبت إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي:

عَجِبْتُ لِجَازِعٍ بَاكٍ مُصَابْ ... بِأَهْلٍ أَوْ حَبِيبٍ ذي اكْتِئَابْ
شَقيقِ الْجَيْبِ دَاعِي الوَيْلِ جَهلًا ... كَأَنَّ المَوْتَ كَالْشَيء العُجابْ
وَسَوَّى اللهُ فِيه الْخَلْقَ حَتَّى ... نَبِيَّ الله عَنْهُ لَمْ يُحَابْ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْم ... لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرابْ

ويحاب أي يحابي. يقال: حاباه: أي خصه. قال البغدادي: ورأيت أيضًا في «جمهرة أشعار العرب» لمحمد بن أبي الخطاب: قد روي أن بعض الملائكة قال:

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابْ ... فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إلى ذَهَابِ)

أي: عاقبتهما. هذا، وقد زاد المتنبي على أبي تمام في قوله:

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ ... إِنْ لَمْ تَتُبْ أَنَّهُ لِلسَّبْيِ مَا تَلِدُ

(١٨) المرج: موضع ببلاد الروم. وصارخة: مدينة من مدائنهم. ومخلًى ومنصوبًا: حالان من ضمير أقام — أي سيف الدولة — ومشهودًا: حال من صارخة، وكان الوجه أن يقول: منصوبة ومشهودة. إلا أن التذكير جائز على حد قولك: نصب المنابر وشهد الجمع. يقول: إنه بلغ النهاية في النكاية بهم حتى أُخلي له المرج ونُصبت المنابر التي هي شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع، والجمع: جمع جمعة، كجمعات.
(١٩) يقول: إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء، وتختطفهم في غدواتهم وروحاتهم.

(٢٠) الحواريون: أصحاب السيد المسيح، وأضافهم إلى ضمير الروم؛ لأنهم من أهل دعوتهم، يقول: لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع. هذا، وإنما سمي أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين، قيل: لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب، وقيل: الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي.» أي خاصتي من أصحابي وناصري. وتأويل الحواريين في اللغة: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك الحواري من الدقيق سمي به؛ لأنه ينقى من لباب البر. وتأويله في الناس: الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة، فوجد نقيًّا من العيوب. والحواريات من النساء: النقيات الألوان والجلود لبياضهن. ومنه الحور العين: لبياض عيونهن، والعرب نساء الأمصار حواريات لبياضهن وبعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن. قال أبو جلدة:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِحُ
بَكَيْنَ إِلَيْنَا خِيفَةً أَنْ تُبِيحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسُّيُوفُ الْجَوَارِحُ

[جعل أهل الشام نصارى؛ لأنها تلي الروم، وهي بلادها.]

(٢١) الدمستق: صاحب جيش الروم. والقزع: المتفرق من السحاب واحدها قزعة. يقول: رأى الدمستق كتائب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحابًا متراكمة، فظنها قطعًا متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه. وعبارة ابن جني: تحير حتى أنكر حاسة بصره. وهذا يشبه قول البحتري:

فَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْبِيضِ نَاظِرُهْ

(٢٢) فيها: أي في سود الغمام؛ وهي عساكر سيف الدولة. والكماة: جمع كمي؛ وهو الشجاع المتسلح. والحولي: الذي الذي أتى عليه حول. والجذع: الذي أتى عليه حولان. يقول: فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولي خيلهم جذع؛ يعني الصغير في جيشه، كبير يعظم أمره.

(٢٣) اللقان: موضع ببلاد الروم. وآلس: نهر هناك. يصف سرعة جري خيله ومواصلتها السير؛ يقول: شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع

— ما شربته، فماء هذا النهر في حلوقها، وقد وصل إلى مناخرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة. وعبارة ابن الإفليلي: وصلت اللقان وحناجرها لم تجف من ماء النهر. يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها، وهذا مبالغة. وقال ابن جني: لا تستقر فتشرب، إنما تختلس الماء اختلاسًا بمواصلة السير. قال: ويجوز أن يكون شربت الماء قليلًا لعلمها بما يعقب في الركض، وكذا يفعل كرام الخيل.

(٢٤) يقول: كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم؛ لأن طعن فوارسها يفتح في أجوافهم جراحات تسع الخيل. يصف سعة الطعن، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم:

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

(النفذ: الثقب. والشعاع: حمرة الدم؛ أي: لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.)
(ملكت: شددت وضبطت، وأنهرت: أوسعت.)

وعبارة ابن الإفليلي: لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقًا، وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم ويخرق ما لا يضيق بهم. وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف:

تَقُدُّ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ

[السلوقي: الدرع المسنوبة إلى سلوق — قرية باليمن — والصفاح: الحجر العريض. ونار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة، وقيل: الحباحب: ذباب يطير بالليل — كأنه نار، له شعاع كالسراج.]

(٢٥) نار: فاعل تهدى. والقنا: الرماح، وهو مبتدأ، خبره: شمع. والجملة: حالية. يقول: إذا أظلمت الحرب بالنقع — الغبار — هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة، ولما استعار للأسنة نارًا جعل القنا شمعًا، والأسنة في رءوس القنا — كما هو معروف — قال ابن وكيع: ينظر فيه إلى قول النمري:

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرُعُ

(المذروبة الشرع: أسنة الرماح الحادة المشرعة.)
ولقد أحسن البحتري فيه بقوله:

مَدَّ لَيْلًا مِنَ الْعَجَاجِ فَمَا يَمْـ ـشُونَ إِلَّا بِضَوْءِ السُّيُوفِ

(٢٦) يقال لوهج الصيف وغبراته: سهام — بفتح السين — والسهام: حر السموم. وقد سهم الرجل، على ما لم يسم فاعله: إذا أصابته السموم. والقر: البرد. وطافحة: حال؛ أي مسرعة، يقال: طفح يطفح: إذا ذهب يعدو. والمقورة: الضامرة. والمزع: السريعة، يقال: مزع الفرس والظبي يمزع: إذا مر مسرعًا خفيفًا. يقول: قبل حمارَّة الصيف وصبارَّة البرد تأتيهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فتطؤهم بحوافرها. وكان لسيف الدولة غزوتان في كل سنة: غزوة في الربيع، وغزوة في الخريف. وروى ابن جني: «دون السِّهام» بكسر السين، ودون الفر: أي قبل أن تصل إليهم سهام الرماة، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل المسرعة الضامرة. قال ابن جني: سألته — أي المتنبي — فقال: هذه الخيل طفحت عليهم، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا. يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم.

(٢٧) العلج: الرجل الغليظ من كفار العجم. وأظمى: يعني رمحًا أسمر، ومنه: تعليل. يقول: إذا استعان العلج بعلج آخر حال بينهما رمح أظمى يفرق بين الضلعين، فكيف بين العلجين؟

(٢٨) الفقاس: جد الدمستق. وقال ابن جني: هو الدمستق كأنه لقبه. وأجل وأمضى: مبتدآن، خبرهما: المرفوع بعدهما. يقول: إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه، فأجل منه وأعظم قدرًا أسير منكتف — مشدود الكتفين — لأنه قاتل حتى أسر — وكان قد أُسر من أصحابه نيف وخمسون رجلًا — وأشجع منه قتيل مصروع؛ لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم.

(٢٩) شفار: جمع شفرة، حد السيف. يقول: لم ينجُ من السيوف من نجا إلا وفي قلبه منها فزع؛ لأن ذلك يقتله ولو بعد حين. ولله أبو تمام إذ يقول:

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ تَنْجُو الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلْهُ كَيْفَ نَجَا؟

(٣٠) المختبل: الذاهل المضطرب. والممتقع: المتغير اللون. يقول: يصير إلى مأمنه، فيعيش في الأمن حينًا من الدهر وهو ذاهل مختبل العقل، لشدة ما لحقه من الفزع،

ويحتسي الخمر وهو ممتقع اللون لاستيلاء الصفرة عليه، فلا تحيل الخمر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها.

(٣١) الحشاشة: بقية الروح. والبطريق: الفارس من الروم أو القائد. وتضمنها: كفلها. والباترات: السيوف. والورع: التقى والكف عن المحارم، والمراد بالأمين الذي لا ورع له: القيد. يقول: كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله، فأرواحهم في ضمان القيد للسيوف. قال العكبري: وقوله: أمين ما له ورع من أحسن الكلام؛ لأن الأمين هو الذي يؤتمن على الأشياء فلا بد له من ورع.

(٣٢) يقاتل ويطرد: أي الأمين، وهو القيد. وعنه: أي عن المقيد. يقول: إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع، فإذا أراد المشي قاتله بتضييقه؛ يريد أوجعه بالضيق على ساقيه، فكأنه يقاتله. وإذا أراد النوم منعه؛ فكأنه يطرده عنه. ولعله ينظر إلى قول أبي نواس:

إِذَا قَامَ أَعْيَتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ ... لَهَا خَطْوُهُ وَسْطَ الْفِنَاءِ قَصِيرُ

(٣٣) يقول: إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة؛ فهي إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم، ومثله قول بكر بن النطاح:

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرِينَ فِي الْوَغَى ... إِذَا الْتَقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ

ويقول صريع الغواني:

كَأَنَّ الْمَنَايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ ... إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهْ

(٣٤) المسلمين — بفتح اللام — الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه؛ وذلك أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر، غادر ذلك الموضع وبقي فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقي فيه رمق من القتلى، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلوهم. يقول: إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم فاصنعوا بهم ما شئتم، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم، ثم بين ما صنعوا في البيت التالي.

(٣٥) في دمائكم: أي في دماء قتلاكم؛ وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم، وألقوا أنفسهم بينهم تشبهًا بهم خوفًا من الروم. يقول: كأنهم كانوا مفجوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم.

(٣٦) ضعفى: جمع ضعيف؛ ونزع عن الشيء: رغب عنه وأعرض. يقول: إن هؤلاء الذين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوهم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم. وقد حقق هذا فيما يلي.

(٣٧) يقول: ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتم ولا تظنوهم كان فيهم رمق — بقية حياة — وإنما هم أموات من الجبن والخوف؛ وأنتم لخستكم ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم، كما أن الضبع لا تفترس إلا الجثث الميتة. وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال: كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش، ولم يسمع وصفها في أشعار العرب؛ لأن الضبع تخنق عشرًا من الغنم حتى تأخذ واحدة؛ وهي من أخبث السباع على الغنم. قال: ولو هو قال: «ما كل من قد أسرتم كان ذا رمق» لكان أوضح وأحسن.

(٣٨) العقب: جمع عقبة. وفرادى: جمع فردان؛ أي: فرد. يقول: هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفرادًا لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم. كما قال الحماسي:

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ   طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

قال العكبري: قوله: هلا يريد: هلا صرتم، أو هلا وقفتم مثلًا؛ لأن هلا للتحضيض ولا بد لها من الفعل — مظهرًا أو مضمرًا — ومنه قول جرير:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ   بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقَنَّعَا

(تعدون هنا بمعنى تجعلون وتحسبون؛ ولهذا عداه إلى مفعولين. ويجوز أن يكون من العد، ويكون على إسقاط «من» الجارة، تقديره: تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم؛ فلما أسقط الخافض: تعدى الفعل فنصب. وبنو ضوطرى: حي معروف. وقال ابن سيده: يقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء: بنو ضوطرى، ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق: ... إلخ. ومعنى البيت: إنكم تعدون عقر الإبل المسنة التي لا ينتفع بها ولا

يرجى نسلها أفضل مجدكم، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم؟ وهذا تعريض بجبنهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران.)

أي: هلا عددتم الكمي المقنع.

(٣٩) السلهبة: الطويلة من الخيل. يقول: يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها، ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتي عليه الضرب أكثر ممن يدعه. وروى بقناها: أي برماحها؛ أي تشقكم كل سلهبة برمحها، والمراد كل صاحب سلهبة؛ لأن أصحاب السلاهب — الخيل — وفرسانها هم الذين يشقون بالطعن. هذا، ويدع: مضارع فعل ترك استعماله.

(٤٠) الفسل: الرذل الدنيء العاجز. يقول: إنما عرض الله لكم الجنود — الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة ... وهم الأوباش الذين قتلتموهم — ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة في الأبطال المنتخبين ليس فيهم فسل ولا دنيء. قال الواحدي: كل الناس رووا «بكم» والصحيح في المعنى لكم باللام؛ لأنه يقال: عرضت فلانًا لكذا فتعرض له. ويجوز أن تكون بكم: من صلة معنى التعرض، لا من لفظه، ومعناه: إنما ابتلى الله الجنود بكم؛ أي إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة.

(٤١) يقول: فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له لا عليه؛ لأن الأوباش والضعفاء من جنوده قد قتلوا، ولم يبقَ إلا الأبطال المصطفين الأخيار وكل غازٍ تبع له؛ لأنه أمير الغزاة وسيدهم.

(٤٢) يقول: إن أفعالك أبكار لم يسبق إليها، فأنت مبتدع في كل مأثرة لا متبع أحدًا فيها، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم.

(٤٣) الضرع: الضعيف. يقول: إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يعيبك عجز العاجز. يريد أن قتلهم وأسرهم ضعاف أصحابك لا يشينك. قال الشراح: وفي نظم هذا البيت عيب عند الحذاق بصناعة الشعر؛ لأنه كان ينبغي أن يقول في صدر البيت الأول: «كنت حازمه» لما قال في العجز: العاجز الضرع؛ لأن ضد الحازم العاجز. أو يقول: فارسه وجبانه.

(٤٤) ولا يضع: أي ولا يضعه شيء. يقول: من بلغ الغاية في الرفعة فليس وراء الغاية موضع. وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد.

(٤٥) أسلمه: خذله. والكر: الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى. والأعقاب: جمع عقب؛ وهو مؤخر كل شيء. واسم كان: ضمير الشأن، والجملة بعدها خبرها. والشيع:

الأتباع. يقول: إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل، فإن كرَّه على الأعداء في الأعقاب — أي أواخر الخيل — لم يخذله؛ يعني أنه من شجاعة نفسه في منعة، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه. ومثله لأبي تمام:

مَا غَابَ عَنْهُ مِنَ الْإِقْدَامِ أَشْرَفُهُ فِي الرَّوْعِ إِنْ غَابَتِ الْأَنْصَارُ وَالشِّيَعُ

(٤٦) الدنيء مهموز، وقال ابن جني: قلت له — للمتنبي: عند القراءة عليه أأهمزه؟ قال: لا تهمزه، فقلت له: هو من باب المهموز. فقال: لا: ألا ترى الإجماع على قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ بترك الهمزة؟ أقول: والذي يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنيَّ بمعنى: الخسيس، لا يهمز — كما هنا — أما الدنيء بمعنى: الخبيث الماجن، فإنهم يهمزونه. قال أبو زيد في النوادر: رجل دنيء: هو الخبيث البطن والفرج، دنؤ دناءة، ورجل دني، وقد دني يدني، ودنو يدنو دنوًّا؛ وهو الضعيف الخسيس الذي لا غناء عنده، المقصر في كل ما أخذ فيه، وأنشد:

فَلَا وَأَبِيكَ مَا خُلُقِي بِوَعْرٍ وَلَا أَنَا بِالدَّنِيِّ وَلَا الْمُدَنِّي

(المُدني: المقصر عما ينبغي أن يفعله.)

يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع في نوالهم خسيس. وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته في الفضل.

(٤٧) الحبيك: جمع حبيكة — كسفين وسفينة — وهي الطرائق تكون في السماء، وفي الماء الساكن أو الرمل إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق. والبيض: إما قراءتها بفتح الباء — جمع بيضة؛ وهي الخوذة من حديد تجعل على الرأس للوقاية في الحرب — وحبيكها: طرائقها. وإما بكسر الباء: أي السيوف، وحبيكها: تلك الطرائق التي في السيوف. يقول: رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعك في الوغى — الحرب — دون أن يباشروا القتال؛ يعني أنا الذي أباشر القتال معك دون غيري من الشعراء.

(٤٨) لعله يريد أن يقول: لقد غشك مَن انتفاعك منه بغير الصدق؛ يعني شعر هؤلاء الشعراء. أي إن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر

الكاذب الذي لا يصحبه فعل؛ إذ لا يباشرون معك القتال، فكأنهم يغشونك. أما أنا: فإني أصدقك إذ أمدحك وأباشر معك القتال. وعبارة العكبري: من لم يصدقك بقوله فقد غشك، فإنه يظهر لك الشجاعة، والجبن عنده، ويظهر لك الجلد، والضعف حقيقته، فهو يتعاطى ما ليس عنده. قال ابن وكيع: لو قال: «من كان منك بغير الصدق» لسلم من الاعتراض. وقال الواحدي: معنى البيت: من لم يصدقك فقد غشك يعني أني قد صدقتك فيما ذكرت؛ لأني لو لم أصدقك كنت قد غششتك. قال: ويجوز أن يكون المعنى: إن من غشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه في معاملتك إياه. وجعل ما يفعله سيف الدولة غشًّا؛ لأنه جزاء الغش. وقوله على هذا: «بغير الصدق» أي: بغير صدق اللقاء. يعني بالنظر والسماع.

(٤٩) المصطاف والمرتبع: المنزل في الصيف والربيع. يقول: إن الدهر معتذر إليك مما فعل؛ يعني من قتل الروم ضعفاء أصحابك. والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم. وأرضهم لك منزل صيفًا وربيعًا تنزلها متى شئت، إذ هي ملك لك. وصدر البيت من قول أبي تمام:

عَضْبًا إِذَا سَلَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ

وعجزه من قوله أيضًا:

وَأَقَمْتَ فِيهَا وَادِعًا مُتَمَهِّلًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا لَكَ دَارُ

(٥٠) نصران ونصراني واحد. والأعصم: الوعل الذي في إحدى يديه بياض. والصدع: الوعل لا بالمسن ولا بالصغير؛ أي الفتى. يقول: إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم؛ لأنها لا تحميهم؛ ولو أن أوعالها تنصرت لم تحمها الجبال.

(٥١) الامتصاع والمماصعة: التقاتل والتجالد بالسيوف، وامتصع في الأرض: ذهب فيها هاربًا. يقول: لم أحمدك على شجاعتك وثباتك في الحرب إلا بعد أن بلوتك — خبرتك وجربتك — لدى قتال الأبطال، أو والأبطال تهرب فارة منك.

(٥٢) الخرق: الخفة والطيش، والزمع: الرعدة. يقول: الظن قد يخطئ، فالأخرق قد يظن شجاعًا، والشجاع الذي تعتريه الرعدة من الغضب قد يظن جبانًا، وإنما يتحقق الأمر عند التجربة؛ يعني إني قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطئ ولم أكذب.

(٥٣) كل: مبتدأ، والسبع: خبر، والجملة: خبر ليس، واسمها: ضمير الشأن. والمخلب: للطير والسباع، بمنزلة الظفر للإنسان. وهذا مثل ضربه. يقول: ليس كل من يحمل السلاح شجاعًا، كما أنه ليس كل ذي مخلب أسدًا يفترس.

(٥٤) الحشاشة: بقية الروح في المريض. والظاعنين: المرتحلين. يقول: لي بقية نفس ودعتني وفارقتني يوم ودعني الأحباب، فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائرًا لا أدري أيَّ المرتحلين أودع؟ يعني الحشاشة والحبيب المودع في جملة من ودعوا. فقوله: الظاعنْين بلفظ التثنية، وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة، والأحبة الذين ذكرهم في قوله: ودعوا. وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار:

حَدَا بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ ... شِمَالًا وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزَّعُ

(٥٥) المؤق: طرف العين مما يلي الأنف، والجمع: آماق، وهو مهموز العين، ويقلب فيقدم الهمز، فيقال: آماق؛ مثل: بئر وآبار، والسم: لغة في الاسم — بكسر السين، وضمها، وفتحها — يقول: أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الآماق تسمى دموعًا؛ أي إنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا في صورة دموع. ومثله:

خَلِيلَيَّ لَا دَمْعًا بَكَيْتُ وَإِنَّمَا ... هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي تَسِيلُ عَلَى خَدِّي

ويقول بشار:

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا ... وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

ويقول ديك الجن:

لَيْسَ ذَا الدَّمْعُ دَمْعَ عَيْنِي وَلَكِنْ ... هِيَ نَفْسِي تُذِيبُهَا أَنْفَاسِي

ولابن دريد:

لَا تَحْسَبُوا دَمْعِي تَحَدَّرَ إِنَّهَا ... رُوحِي جَرَتْ فِي دَمْعِيَ الْمُتَحَدِّرِ

(٥٦) الحشا: ما في داخل الجوف؛ والمراد به هنا: القلب. يقول: قلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب في روض من الحسن، ولله أبو تمام حين يقول:

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُضْحِي بِقَلْبِيَ مَأْتَمٌ   مِنَ الشَّوْقِ وَالْبَلْوَى وَعَيْنَاي فِي عُرْسِ

والأصل في هذا المعنى قول ابن الدمينة:

غَدَتْ مُقْلَتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَمَالِهَا   وَقَلْبِي غَدَا مِنْ هَجْرِهَا فِي جَهَنَّمِ

هذا، وإنما لم يقل: ترتعان؛ لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة، فلا تكاد تنفرد إحداهما برؤية دون الأخرى، فاكتفى بضمير الواحد. قال العكبري: وأفرد الخبر؛ لأن العينين — وهما عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية — يجري عليهما ما يجري على أحدهما؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى باشتراكهما في النظر كاشتراك الأذنين في السمع، والقدمين في المشي؟ وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه: أحدها على الحقيقة في الخبر والمخبر عنه، فتقول: عيناي رأتاه، وأذناي سمعتاه. والثاني: أن تخبر عن اثنين وتفرد الخبر — كبيت أبي الطيب — فتقول: عيناي رأته. والثالث: أن تعبر عن اثنين بواحد وتفرد الخبر، فتقول: عيني رأته، وأذني سمعته. والرابع أن تعبر عن اثنين بواحد، وتثني الخبر حملًا على المعنى، فتقول: عيني رأتاه وأذني سمعتاه، كقول الشاعر:

إِذَا ذَكَرَتْ عَيْنِي الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى   بِصَحْرَاءِ فَلْجٍ ظَلَّتَا تَكِفَانِ

(٥٧) الصم: الصلاب. وتتصدع: تتشقق. وهذا من قول البحتري:

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ إِلْفًا   لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٥٨) بما بين جنبي: أي أفديها بما بين جنبي؛ يعني قلبه أو روحه. فالباء للتفدية. وقال ابن القطاع: يريد هي مطالبة بتلاف روحي التي بين جنبي. والدياجي: جمع ديجوج، وكان القياس دياجيج، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة، كما قالوا:

مكوك ومكاكي. والخلي: الذي يخلو قلبه من الهوى والهم. والهجع: النيام. يقول: أفدي بقلبي المرأة التي أتاني خيالها في ظلام الليل فقطع الظلمة إلي والذين خلوا من الحب كانوا نيامًا، قال الواحدي: وهذا كالمتضارب؛ لأنه أيضًا كان نائمًا حين رأى خيالها، لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة، فرأى خيالها في تلك النعسة، وغيره من الخليين نام جميع ليلته.

(٥٩) زائرًا: حال من فاعل أتت؛ أي أتت خيالًا زائرًا. وخامر: خالط. والكاف — في «كالمسك»: اسم، بمنزلة مثل، مبتدأ، والخبر: الجملة بعدها. والأردان: جمع رُدْن؛ أصل الكم. ويتضوع: يفوح. يقول: أتت زائرة ما خالط الطيب ثوبها؛ أي لم تتعطر، ومثل المسك يفوح من ثيابها؛ لأنها طيبة الرائحة طبعًا — لا تطبعًا — كما قال امرؤ القيس:

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ؟

أي إن طيبها خلقة فيها لا تتكلفه.

(٦٠) قبل ترضع: أي قبل أن ترضع.

(٦١) أعظمه إعظامًا: استعظمه. وما: موصولة، وهي مفعول شرد. ومن — في قوله: من النوم — بيانية. والتاع: احترق. واللوعة: الحرقة. والمفجع: الموجع. يقول: لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها، فنفى ذلك نومي الذي أتى بها، واحترق قلبي لفقد رؤيتها.

(٦٢) تجرعه: شربه على تكلف واستكراه. يقول: ما كان أطول تلك الليلة التي فارقني فيها خيالها فتجرعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبًا؟ فقوله: ما كان أطول؛ أي: ما كان أطولها، فحذف الضمير للوزن.

(٦٣) يقول: ارض بما تحكم منقادًا مطيعًا لها، والخضوع في القرب: الطاعة والانقياد، وفي البعد: الرضا والتسليم لفعلها، وذلك آية المحب، كما قال أبو نواس:

أَيَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

ويقول:

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعَا

لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تُلْزِمَ النَّفْسَ الْخُضُوعَا

ويقول العباس بن الأحنف:

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ: أَنَا ظَالِمُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يُفَارِقْكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

(٦٤) يقول: إنه لم يسلم المجد لأحد خالصًا غير مشوب باللؤم إلا للممدوح. ولا ثوب: روي بالرفع عطفًا على عاشق — في البيت السابق — وبالنصب على جعل لا نافية للجنس. وغير: منصوب على الاستثناء. وابن أحمد: الممدوح. وعلى أحد: صلة ثوب الأول. واللؤم: الخسة، ضد الكرم. ومرقع: خبر، ورواها ابن جني: يرقع.

(٦٥) جديلة: رهط الممدوح من طيئ. قال ابن جني: حابى بمعنى حبا؛ أي أعطى، وعلى هذا يكون المعنى: إن الذي أعطى بني جديلة هذا الممدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطي من يشاء ويمنع من يشاء. ونص عبارة ابن جني: حابى: بمعنى حبا، مأخوذ من الحباء؛ وهو العطية. واسم الله مرفوع به، والجملة — التي هي: يعطي وفاعله — خبر إن. واسم إن: الذي قال العكبري: وخولف في هذا فقيل: معنى حابى: بارى، تقول: حابيت زيدًا: إذا باريته — مثل باهيته — في العطاء. وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا: حبوته به. قال الشريف هبة الله بن محمد بن علي بن محمد الشجري: فعلى هذا يكون فاعل حابى: مضمرًا فيه، يعود على الذي. واسم الله: مرتفع بالابتداء، وخبره: الجملة، تقديره: إن الذي حابى به جديلة في الحباء الله يعطي من يشاء، ومفعول يمنع: محذوف دل عليه مفعول يعطي، وكذلك مفعول يشاء المذكور، والمحذوفان تقديرهما: يعطي الله به من يشاء أن يعطيه، ويمنع من يشاء أن يمنعه، والضميران يعودان للممدوح. وقال العكبري: أصل حابى: فاعَل، ولا يكون إلا بين اثنين إلا في أحرف يسيرة: طارقت النعل، وعاقبت اللص، وعافاه الله، وقاتلهم الله. وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف، وقال: حابى: بمعنى حبا، كما في قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاه الرشيد خراسان:

إِنَّ خُرَاسَانَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهِمَّةِ الشَّانَا
لَمْ يَحْبُ هَارُونُ بِهَا جَعْفَرًا وَإِنَّمَا حَابَى خُرَاسَانَا

وقد جاء حابى بمعنى: بارى، في قول سبرة بن عمرو الفقعسي:

نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهِينُهَا   وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنُقَامِرُ

وقد جاء حابى بمعنى: اختص، قال:

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ   وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ حَابَاكَا

وقال الواحدي: وحابى لا يكون بمعنى حبا، وإنما المعنى: إن الذي بنى جديلة؛ أي غالبهم وباهاهم في العطاء — يعني الممدوح — به الله يعطي من يشاء ويمنع؛ لأنه ملك قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق في النفع والضر، فقوله: به الله، خبر «إن».

(٦٦) بذي كرم: بدل من قوله به — في البيت المتقدم — يقول: لم يمر يوم وشمس ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالذمم من هذا الممدوح؛ يريد أنه أكثر الناس وفاءً وأكرمهم عهدًا. فالواو — في قوله: وشمسه — واو الحال، وشمسه: مبتدأ، وجملة تطلع: خبر، وعلى رأس: متعلق بتطلع، وذمة: تمييز، وأوفى: صفة لمحذوف أي: على رأس إنسان أوفى.

(٦٧) يريد أن الأشعار الكثيرة التي يمدح بها تتلاقى لديه فتتصل اتصال الأرحام، وأن أمواله التي يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تتقاطع أرحامها. فقوله: لا تني؛ أي لا تزال. وقال الواحدي: هو من الونى، وهو الضعف، فوضعه موضع لا تزال؛ لأنها إذا لم تفتر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تتقطع. وشدد النون — في لدنه — للضرورة، ويروى: يتصلن ببابه. وقال ابن جني: قوله: لدنه، فيه قبح وشناعة، وليس هو معروفًا في كلام العرب، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون أخرى: نحو لدني ولدنا. هذا كلامه، وقد يحتج لأبي الطيب فيقال: شبه بعض النحويين بعضها ببعض فكما يقال: لدنه: يقال: لدنه، بحمل أحد الضميرين على الآخر، وإن لم يكن في الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها، كما قالوا: يعد، فحذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، ثم قالوا: أعد، ونعد، وتعد، فحذفوا الفاء أيضًا، وليس هناك ما يوجب حذفها، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة، كما قالوا في القطن: القطن، وفي الجبن: الجبن. وأنشد أبو زيد يقول:

إِنَّ شَـكْلِـي وَإِنَّ شَـكْلَـكِ شَـتَّـى   فَالْزَمِي الْخُصَّ وَاخْفِضِي تَبْيَضِّضِي

فزاد ضادًا، وقال سحيم:

وَمَا قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَيْسَنَا   نَ مُعْجبَةٌ نَظَرًا وَاتِّصَافَا

(ميسان: بلد من كورة دجلة، أو كورة بسواد العراق.)
أراد: ميسان، فحذف وزاد نونًا. وقال الأسدي:

وَجَاشَتْ مِنْ جِبَالِ الصُّغْدِ نَفْسِي   وَجَـاشَـتْ مِـنْ جِـبَـالِ خُـوَارَزِيـمِ

أراد: خوارزم فغيرها. وقال الجرجاني: لما كانت الهاء خفيفة، والنون ساكنة، وكان من حقها أن تتبين عند حروف الحلق: حسن تشديدها لتظهر ظهورًا شافيًا، فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغيير الكلام عندها، والنون أقرب الحروف إلى حرفي العلة — الواو والياء — لأنها تدغم فيهما، وتبدل منها الألف في الوقف إذا كانت خفيفة نحو: يا حرسي اضربا عنقه. وجعلت إعرابًا في الأفعال الخمسة، نحو: يفعلان وأخواتها كما جعلت إعرابًا في التثنية والجمع، وتحذف إذا كانت ساكنة لالتقاء الساكنين في نحو: اضرب الغلام — بفتح الباء — فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحتمله من الزيادة. وحروف العلة أوسع الحروف تصرفًا؛ ولهذا أجازوا زيادة الياء في الصياريف في قوله:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ   نَفْيَ الدَّرَاهِمِ تَنْقَادِ الصَّيَارِيفِ

(الدراهم: روي الدراهيم، وروي: الدنانير. ونفي: مضاف إلى تنقاد — من إضافة المصدر إلى فاعله — والدراهم: مفعول، ففصل بالمفعول — وهو الدراهم — بين المتضايفين. وروي أيضًا: بإضافة نفي إلى الدراهم، ورفع تنقاد، فيكون من إضافة المصدر إلى مفعوله. قال الأعلم: وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في الهواجر. يقول: إن يديها لشدة وقعهما في الحصى ينفيانه فيقرع بعضه بعضًا، ويسمع له صليل كصليل الدنانير إذا انتقدها الصيرفي فينفي رديئها عن جيدها، وخص الهاجرة لتعذر السير فيها.)

وزيادة الواو في قوله:

مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنَوْ فَأَنْظُورُ

(عجز بيت ثانٍ أنشدهما الفراء، وهما:

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنَا ... يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى أَحْبَابِنَا صُورُ
وَأَنَّنِي حَيْثُمَا يَثْنِي الْهَوَى بَصَرِي ... مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُورُ

والصور: جمع أصور، وهو المائل من الشوق. ويجوز أن يكون جمع صورة، أي: إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحليهم، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما، وحوث: لغة في حيث، وهو خبر أن، وثناه: أماله: أي أنا في الجهة التي يُميل الهوى بصري إليها، ومن حيثما: متعلق بأدنو وبأنظر؛ أي أدنو فأنظر إليهم من الجهة التي سلكوا فيها. وقوله: أدنو فأنظور: روي: أثني فأنظور؛ أي أثني عنقي فأنظر نحوهم، من ثناه، بمعنى: لواه.)

يريد: فأنظر وزيادة الألف في منتزح من قول ابن هرمة:

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى ... وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ

يريد: بمنتزح. وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه سديد، كما ذكرنا العلة في إدغام النون في الجيم، في قراءة عبد الله بن عامر وأبي بكر بن عباس في كتابنا الموسوم بـ «الروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة». وقال أبو الفتح: استعمل لدن بغير من، وهو قليل، ولا يستعمل إلا معها، كما جاء في القرآن: «من لدني، ومن لدنه، ومن لدن حكيم عليم.»

وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب:

فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا ... وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أَنِّي غُلَامُ

(الكثر من المال: الكثير. وعيي بأمر: إذا لم يهتد لوجهه، وأعياني هو. قال ابن السيرافي في قوله: فإن الكثر ... إلخ؛ أي طلبت الغنى في أول أمري وحين شبابي فلم أبلغ ما في نفسي منه، ومع ذلك فلم أكن فقيرًا، فلا تأمرني بطلب المال وجمعه وترك بذله؛

فإني لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفتقر بالبذل.)
وقول كُثيّر:

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ إِنْ عَرَفْتُهَا لَكَالْهَائِمِ الْمُقْصَى بِكُلِّ سَبِيلِ

(من قصيدة كُثير التي أولها:

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلِي وَآذَنَ أَصْحَابِي غَدًا بِقُفُولِ

ومنها:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وروي هذا البيت: بكل مزاد، وروي: بكل مراد، والصواب: بكل سبيل.)
وقول القطامي:

صَـرِيـعُ غَـوَانٍ رَاقَـهُـنَّ وَرُقْـنَـهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَائِبِ

(الصريع: المصروع؛ وهو المطروح على الأرض غلبة. والغواني: جمع غانية؛ وهي التي غنيت بحسنها عن الزينة. وراقهن: أعجبهن. والذوائب: جمع ذؤابة؛ وهي الخصلة من الشعر. ولدن: تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه، يقول: إنه صريع مغلوب على أمره من جراء الحسان اللائي تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب.)

(٦٨) ترتيب البيت هكذا: فتى رأيه في زمانه ألف جزء، أقل جزيء من هذه الأجزاء الألف بعضه — أي بعض جزيء من رأيه — الرأي الذي في أيدي الناس كله. فقوله فتى: خبر عن محذوف؛ أي هو فتى، وألف جزء: خبر مقدم، ورأيه: مبتدأ مؤخر، وأقل جزيء: مبتدأ، والجزيء: تصغير الجزء، وبعضه: مبدأ ثانٍ، وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول، والرأي: خبر المبتدأ الثاني — وهو بعضه — والجملة: خبر الأول — وهو أقل — وأجمع: توكيد للرأي. والمعنى أن هذا الممدوح فتًى رأيه في أحوال زمانه يقدر بألف جزء، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل ما لدى الناس من الرأي. قال العكبري: وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

لَوْ تَرَاهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قَمَرًا أَوْفَى عَلَى غُصُنِ
كُلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهِ فِيهِ أَجْزَاءٌ مِنَ الْفِتَنِ

(٦٩) الممطر: مثل الماطر، يقال: مطرت السحابة وأمطرت. وأقشع السحاب: أقلع وتفرق، يقال: أقشع وانقشع وتقشع. والبرق الخلَّب: المخلف الذي لا مطر فيه، وخلَّبًا: خبر لا، كأنه قال: وليس البرق فيه خلَّبًا. يقول: هو غمام يمطر علينا العطاء دائمًا، وليس هو كالغمام الذي يمطر مرة وينقشع أخرى، وإذا رجوناه بلغنا منه أوفى ما نرجو، وإذا وعد أنجز الوعد. وضرب الغمام والبرق مثلًا، ولما جعله غمامًا جعل له المطر، وبرقًا جعل برقه صادقًا بموعوده، وهذا عكس ما يقول البحتري:

رَأَيْتُكَ إِنْ مَنَّيْتَ مَنَّيْتَ مَوْعِدًا جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلَّبَا

(٧٠) الحاج: جمع حاجة، ويقال في جمعها أيضًا: حاجات، وحوج وحاج وحوائج — على غير قياس — كأنهم جمعوا حائجة، وكان الأصمعي ينكره، ويقول: هو مولد. قال الجوهري: وإنما أنكره لخروجه عن القياس، وإلا فهو كثير في كلام العرب، وأنشدوا:

نَهَارُ الْمَرْءِ أَمْثَلُ حِينَ تُقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ

وأنشد ابن الأعرابي:

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الْوُجُوهِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَبْذُولُ

والحوجاء: الحاجة. يقال: ما لي فيه حوجاء ولا لوجاء. قال قيس بن رفاعة:

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءُ يَطْلُبُهَا عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِإِصْحَارِ
أُقِيمُ نَخْوَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ كَمَا يُقَوِّمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ الْبَارِي

(قوله: بإصحار: ففي حديث لعلي رضي الله عنه: «فأصحر لعدوك وامضِ على بصيرتك.» أي كن منه على أمر واضح منكشف، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء، والقدح: السهم قبل أن ينصل ويراش.)

والمشفع: الذي تقضى الحاجة بشفاعته. يقول: إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه في قضائها، وإذا كان المسئول شفيعًا إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبتة. ومثل هذا قول الخريمي:

شَفَعَتْ مَكَارِمُهُ لَهُمْ فَكَفَتْهُمُ جَهْدَ السُّؤَالِ وَلُطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ

وقول أبي تمام:

طَوَى شِيَمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهْ

وقال الحطيئة:

وَذَاكَ امْرُؤٌ إِنْ تَأْتِهِ فِي نَفِيسَةٍ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِهِ بِشَفِيعِ

ولأبي العتاهية:

فَيَا جُودَ مُوسَى نَاجِ مُوسَى بِحَاجَتِي فَمَا لِي سِوَى مُوسَى إِلَيْهِ شَفِيعُ

ولابن الرومي:

أَبَا الصَّقْرِ مَنْ يَشْفَعْ إِلَيْكِ بِشَافِعٍ فَمَا لِي سِوَى شِعْرِي وَجُودِكَ شَافِعُ

(٧١) خبت النار: سكن لهبها. والبنان: الأصابع. وأسمر: عطف على بنان؛ أي وقلم أسمر … إلخ. وجعل القلم أصلع للينه وملاسته، كالرأس الأصلع. يقول: إن كل حرب تشب بغير قلمه وأنامله لا بد أن تنطفئ ولا تطول مدتها. أما الحرب التي يشبها هو فإنها لا تنطفئ لقوة عزمه وشدة نفسه.

(٧٢) الشوى: الأطراف؛ أي اليدان والرجلان والرأس. ونحيف: دقيق. ويعدو: يجري. وأم الرأس: أعلاه، وقيل: وسطه. ويحفى: يكل. يقول: إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه، فإذا حفي — أي كل عن المشي — قطع — أي قط — فيقوى عدوه؛ أي يمضي في الكتابة ويحسن به الخط. ومن قولهم: القلم أنف الضمير، إذا رعف كشف أسراره، وأبان آثاره.

(٧٣) يمج: يقذف، ويريد بالظلام: المداد، وبالنهار: القرطاس، وبلسانه طرفه المحدد. وقوله: ويفهم ... إلخ: أي أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظًا، وهو من قول أبي تمام:

أَحَدُّ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهَمُ وَهْوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعِ

(٧٤) ذباب السيف: طرفه المحدد، ومنه متعلق بأنجى. والضريبة: اسم للمضروب، كالرمية للمرمي، وضريبة: تمييز. يفضل القلم على السيف، يقول: إن المضروب بالسيف قد ينجو إذ ينبو عنه، وقد يعصي صاحبه الذي يضرب به؛ لأنه قد لا يقطع، أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقتله — فإنه لا ينجو والقلم أطوع من السيف؛ لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به، وإذن: فالقلم أفضل من السيف. قال ابن الرومي:

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيـْ ـيِ بِأَنْفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٧٥) يقول: إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة — وهي الكمال في الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها، ويرجعون في استعمال الفصاحة إليها.

(٧٦) يقول: إن هذا القلم الموصوف يجري بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه في عموم النفع لعمت المشرق والمغرب بالمطر. وقال ابن الرومي:

خِرْقٌ يَعُمُّ وَلَا يَخُصُّ بِفَضْلِهِ كَالْغَيْثِ فِي الْإِطْبَاقِ كُلَّ مَكَانِ

[الخرق: السخي الكريم.]

(٧٧) اسم ليس: ضمير يعود إلى الجواد — في البيت السابق — ويشتق: يشق، وحوت: فاعل يشتق. يقول: ليس بحر جوده كبحر الماء الذي يغوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهيا إلى قعره، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه؛ يعني أن جوده لا ينقطع. وقال ابن القطاع قوله: يفنى الماء، هي بنصب الماء لا برفعها: أي يتخذه فناء؛ يقال: فنيت المكان وبالمكان: إذا أقمت به. وإذن: فالفعلان — يشتق ويفنى — للحوت والضفدع.

(٧٨) المعتفي: السائل. عفاه واعتفاه: أتاه سائلًا. والزعاق: المر. يريد أن يفضل الممدوح على البحر. فالاستفهام إنكاري. يقول: ليس البحر الذي يضر من ورده بالغرق، وهو مع ذلك مر الطعم لا يمكن شربه، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم.

فقوله: وينفع، معطوف على «لا يضر» وقد نقد ابن جني البيت قائلًا: إن المعروف عندهم أن ينسب الممدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه، كما قالوا:

وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى　　لَـضُـرِّ عَـدُوٍّ أَوْ لِـنَـفْـعِ صَـدِيـقِ

وقالوا:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا　　يُرَجَّى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

ولكن فاته أن المتنبي أراد كبحر لا يضر المعتفين، فلا ينافي ذلك أنه يضر الأعداء.

(٧٩) الغور: المنتهى والقعر. وضميره: للبحر. والتيار: الموج. والمصقع: الفصيح البليغ؛ لأنه يأخذ في كل صقع من القول. والدقيق الفكر: الفَهِم الفَطِن الذي يدق فكره وخاطره حين يفكر. يقول: إن الممدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد إلى قعره فيتيه في صفاته الواصفون. ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما علت منزلتهم من البلاغة. هذا، وقد قال العكبري: الرواية الصحيحة في الدقيق: بلام التعريف، وهو حسن في الإضافة: كالجميل الوجه، والطويل الذيل؛ لأن الدقيق نعت لمحذوف، تقديره: يتيه الرجل الدقيق الفكر. ألا تراه يقول: وهو مصقع، وهو: نعت للرجل. ومن رواه دقيق الفكر: جعله نعتًا للفكر، تقديره: يتيه الدقيق من الأفكار، والأفكار أبلغ في المعنى.

(٨٠) القيل — في الأصل — الملك من ملوك حمير. ومنبج: بلد بالشام. والسماكان: نجمان؛ وهما السماك الرامح والسماك الأعزل. والإيضاع: السير السريع، من أوضعت الناقة؛ إذا أسرعت. وهذا من قول العطوي:

إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ لَابِسًا سَمَلًا　　فَـهِمَّـتِي فَـوْقَ هَـامَـةِ الْـمَـلِكِ

وللتنوخي:

وَأَنْفُسٌ مَسْكَنُهَا مَا بَيْنَنَا　　وَهَمُّهَا فَوْقَ السِّمَاكِ وَالسُّهَا

(٨١) ظلعت الناقة: عرجت من يدها أو رجلها. يقول: أليس من العجب أني مع جودة خاطري وبلاغة كلامي أعجز عن وصفك، ولا تبلغ ظنوني معاليك فلا أدركها لوفرتها؟!

(٨٢) وصدرك بالرفع: استئناف. والضمير من فيكما: للمدوح والثوب. يقول: أليس عجيبًا أن صدرك — على أنه أوسع من الأرض — قد اشتمل عليك ثوب وهو — الصدر — فيك وفي الثوب قد اشتملتما عليه؟! ومثله لابن الرومي:

كَضَمِيرِ الْفُؤَادِ يَلْتَهِمُ الدُّنْـ ـيَا وَتَحْوِيهِ دِفَّتَا حَيْزُومِ

ولأبي تمام:

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ تَضِقْ عَنْ أَهْلِهَا بَلَدُ

(٨٣) يقول: أوليس عجيبًا أن قلبك قد أحاطت به الدنيا، وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع؟!

(٨٤) السمح: الذي يسمح بماله. يقول: كل جواد سواك باطل — أي بالإضافة إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع؛ لأنه ليس فيمن يستحقه. وهو من قول ابن الرومي:

وَكُلُّ مَدِيحٍ لَمْ يَكُنْ فِي ابْنِ صَاعِدٍ وَلَا فِي أَبِيهِ صَاعِدٍ فَهْوَ هَابِطُ

وقوله: غيرك: هو منصوب؛ لأنه تقدم على المستثنى، كقول الكميت:

فَمَا لِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَا لِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

(٨٥) الهجوع: النوم. وأقام: أي الشوق.

(٨٦) الصراة: نهر يأخذ من الفرات فينسكب في دجلة مارًّا بالموصل، وكان حبيبه على جانب الصراة. هذا، ورقرق الدمع: صبه. وما — من قوله: مما أرقرق — مصدرية. يقول: أوما وجدتم طعم ملوحة من دموعي في مائكم لبكائي في الفرات؟ وهم يقولون: إن دمع الحزن ملح، ودمع الفرح حلو.

(٨٧) يقول: كنت أحذر من وداعك خوف الفراق، أما الآن وقد فارقتني فإني أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه؛ لأني لقيتك عند الوداع، فبودي أن أودعك لألقاك. وقال ابن جني: كنت أكره الوداع، فلما تطاول البين أسفت على التوديع، لما يصحبه من النظر والشكوى والبث.

(٨٨) يقول: ارتحل العزاء — الصبر — عني بارتحالي عنكم، فكأن أنفاسي تبعت العزاء مشيعة له، فهي صاعدة متصلة دائمة. قال ابن جني: وقال: برحلتي؛ أي مع ارتحالي، كما تقول: سرت بمسيرك؛ أي معك، أي: فكما لا ترجع إلي أنفاسي لا يرجع إلي صبري. فمعناه: ارتحل الصبر عني بارتحالكم.

(٨٩) الملث: الدائم المقيم. والقطر: المطر. وربوعًا: تمييز؛ أي من ربوع. والنقيع والمنقع: المربي. يقول: يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع؛ أي لا تسقها، وإلا تعطشها فاسقها السم النقيع في الماء. وإنما دعا عليها؛ لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه، ولم تبكِ من رحل عنها. قال ابن وكيع: لم يسبق أبا الطيب أحد في الدعاء على الديار بالسم، ولو قال: حجارة أو صواعق لكان أشبه، إلا أن جريرًا قال بعدما استأنف لها ذنبًا:

سُقِيتِ دَمَ الْحَيَّاتِ مَا بَالُ زَائِرٍ يُلِمُّ فَيُعْطَى نَائِلًا أَنْ يُكَلَّمَا

والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار، كقول القائل:

يَا مَنْزِلًا ضَنَّ بِالسَّلَامِ سُقِيتَ صَوْبًا مِنَ الْغَمَامِ
مَا تَرَكَ الْمُزْنُ مِنْكَ إِلَّا مَا تَرَكَ السُّقْمُ مِنْ عِظَامِي

(٩٠) المتديريها: أي المتخذيها دارًا. وتذري دموعًا: أي تلقيها — من إذراء الحب للزرع. يريد تعليل ما في البيت السابق؛ يقول: إنما طلبت إلى السحاب أن يعطشها أو يسقيها السم النقيع؛ لأني أسائلها عن أهلها: أين ذهبوا؟ فلا تدري ذلك ولا تجيب ولا تساعدني على البكاء.

(٩١) لحاه — في الأصل — قشره: من لحوت العود: إذا قشرته، ثم صار يستعمل في الدعاء على الشيء؛ أي لعنه وقبحه. وزمان: بدل تفصيل من قوله: ماضيها. والخود بفتح الخاء: الجارية الناعمة، وجمعها خود بضم الخاء. والشموع: اللعوب الضحوك. قال الواحدي: قوله: إلا ماضييها استثناء من غير الجنس، ويجوز أن يكون جنسًا؛ لأن زمان اللهو والخود رَبع الأنس، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتماله عليه، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الخود. قال ابن وكيع: ماضياها يوجبان لها الدعاء بالسقيا، كقول البحتري:

فَإِذَا مَا السَّحَابُ كَانَ رُكَامًا　　　فَسَقَى بِالرَّبَابِ دَارَ الرَّبَابِ

(٩٢) امرأة رداح: ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح: ضخم الألية، ودوحة رداح: عظيمة، وجفنة رداح: عظيمة. قال أمية بن أبي الصلت:

إِلَى رَدُحٍ مِنَ الشِّيزَى مِلَاءٍ　　　لُبَابَ الْبُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ

(يقال للجفان التي تسوى من شجرة الشيزى: شيزى. قال الجوهري: الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع.)

وكتيبة رداح: ضخمة ململمة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام. يقول: إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه، ومثل هذا قول كُثير:

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتَنِي　　　بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُصْمَ سَهْلِ الْأَبَاطِحِ

(العصم: جمع الأعصم، وهو الوعل.)

وقال أيضًا:

بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقْرَقَتْهُمَا　　　لِنَوْءِ الثُّرَيَّا لَاسْتَهَلَّ سَحَابُهَا

وقال ابن دريد في مقصورته:

لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لَانْحَلَّ لَهَا　　　طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شَمَارِيخِ الذُّرَا

(٩٣) أراد بالوشاحين: قلادتين تتوشح بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبيها الأيمن والأخرى على الأيسر. والشسوع: البعيد. يقول: إن أردافها عظيمة شاخصة عن بدنها ترفع ثوبها وتمنعه عن أن يلاصق جسدها حتى يكون بعيدًا عما توشحت به من القلائد. وهذا من قول بعض الكلابيين:

أَبَتِ الْغَلَائِلُ أَنْ تُمَسَّ إِذَا مَشَتْ　　　مِنْهَا الْبُطُونُ وَأَنْ تُمَسَّ ظُهُورُهَا

(٩٤) ماست: مشت متبخترة. والضمير في له: للثوب. ونزوعًا: صفة لارتجاجًا. يقول: إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابًا وحركة يكادان ينزعان ثوبها عنها، لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها في الكمين. وفيه نظر إلى قول الآخر:

لَوْلَا التَّمَنْطُقُ وَالسِّوَارُ مَعًا وَالْحَجْلُ وَالدُّمْلُوجُ فِي الْعَضْدِ
لَتَزَايَلَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لَكِنْ جُعِلْنَ لَهَا عَلَى عَمْدِ

(٩٥) الدرز: موضع الخياطة من الثوب. والعضب: السيف. والصنيع: المحكم الصقال والصنعة. يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف. يقول: إن للدرز في بدنها تأثيرًا كتأثير السيف، فقوله: تألم بحذف إحدى التاءين: أي تتألم، والتألم كالتوجع لازم، يقال: تألم به أو له أو منه، وعدَّاه ها هنا ضرورة. ومما يستظرف في هذا الباب ما رووا أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تتزوج بي أسلمت إليك المفاتيح، فعاهدها على ذلك، فسكر أبوها ليلة ونام، فدفعت المفاتيح إلى سابور. فأخذ المدينة وتزوج بها، فبينا هي معه ذات ليلة على فراش الحرير تألمت وتوجعت وقلقت، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعها، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها، فأثرت فيه فقلقت لذلك، فقال لها: ما كان يغذيك به أبوك؟ فقالت له: لب البر بالعسل والخمر، فقال: وكان جزاؤه منك ما جازيته! فأخذها وشد ضفائرها إلى أذناب الخيل، ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعتها أربًا أربًا.

(٩٦) يقول: إن دملجيها يضيقان عن ذراعيها، فهما ممتلئان بهما يكادان لذلك يفصمانهما ويكسرانهما، وإذا ضاجعها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه، لا هي.

(٩٧) شبه النقاب على وجهها بالغيم الرقيق، ووجهها بالبدر. يقول: سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء الغيم الرقيق بضوء البدر. فقوله: يضيء: لازم، لا يتعدى؛ والبدر: مفعول أول لمنعه، والطلوع: مفعول ثان. وقد سبق إلى هذا المعنى عبد الله بن الدمينة، قال:

مُبَرْقَعَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ وَكَالْبَدْرِ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمِ

وقال بشار:

بَدَا لَكَ ضَوْءُ مَا احْتَجَبْتَ عَلَيْهِ بُدُوَّ الشَّمْسِ مِنْ خَلَلِ الْغَمَامِ

(٩٨) قوله: وقولي ... إلخ؛ أي إن خضوعي لها في قولي هذا أكثر من تدللها على كثرته، فقولي: مبتدأ، وبأكثر: خبر، وخضوعًا: تمييز.

(٩٩) يقول: إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله، وليس مما يخاف منه؛ يعني أنك إذا واصلتني كنت كأنك قد أحييتني، وإحياء النفس طاعة لله، والله سبحانه لا يُعصى بالطاعة، ومثله قول القائل:

مَا حَرَامٌ إِحْيَاءُ نَفْسٍ وَلَكِنْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ حَرَامُ

(١٠٠) الخلو: الخالي من الهوى. والمستهام: الذي يصيره الهوى هائمًا ذاهب اللب. والخليع: الذي خلع العذار وترك الحياء وتهتَّك في الهوى، قال ابن وكيع: لو قال:

غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ فِي اشْتِغَالٍ وَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي نُسْكٍ خَلِيعَا

لكان أحسن.

(١٠١) أو يقولوا: أي إلى أن يقولوا، فحذف أن وأعملها. وثبير: جبل بالحجاز معروف. وريع: أخيف. وابن إبراهيم: هو الممدوح. علق زوال حبه بما لا يمكن وجوده. يقول: لا أزال أحبك؛ لأن الجبل لا يجره النمل، والممدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء. وهذا من حسن التخلص.

(١٠٢) الصيت والصات: ذهاب الذكر الحسن بين الناس. والسرايا: جمع سرية؛ الطائفة من الجيش. يقول: إنه كثير الغارات، سراياه مبثوثة في الآفاق، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفًا ورعبًا.

(١٠٣) الدهي والدهاء: النكر وجودة الرأي. والخشوع: الاستكانة والذل. وخشوعًا: اسم كان. واسم ليس: ضمير الخشوع. والجملة: اعتراض. يقول: يخفي مكره ودهاءه بغض الطرف كأن به خشوعًا، وليس به ذلك الخشوع، ولله قول ابن الرومي في هذا المعنى:

سَاهٍ وَمَا تُتَّقَى فِي الرَّأْيِ سَقْطَتُهُ دَاهٍ وَمَا يَنْطَوِي مِنْهُ عَلَى رِيَبِ
فَدَهْيُهُ لِلدَّوَاهِي الرُّبْدِ يَدْمَغُهَا وَسَهْوُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَالْغِيَبِ

(١٠٤) قدك: أي حسبك وكفاك، وقوله: مذيعًا — أي مفشيًّا — مفعول سألت، يقول: إذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذياع للأسرار إذا سألته عن سر أفشاه ولم يكتمه. كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يضن به لأريحيته.

(١٠٥) المن: النعمة. يقول: لأريحيته واستلذاذه العطاء يعد قبولك عطاءه منة — نعمة — مننت بها عليه، وإن لم يبتدئ بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمرًا منكرًا قبيحًا. ومثله لأبي تمام:

يُعْطِي وَيَشْكُرُ مَنْ يَأْتِيهِ يَسْأَلُهُ فَشُكْرُهُ عِوَضٌ وَمَالُهُ هَدَرُ

(١٠٦) قالوا: إن الممدوح كان قد حمل إليه مال مجبي، فأمر أن يفرش له أديم — جلد — ويطرح عليه فاعتذر له المتنبي، وقال: إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه — أي هوانه — لأنه يريد أن يفرقه على القصاد والشعراء، وهو لم يفعل هذا ليحفظه من الضياع ويدخره في خزائنه، ولكن ليفرقه على السؤَّال. وقد مثل لهذا بالبيت التالي، وهذا قريب من قول علي بن الجهم:

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِبَذْلِهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ

(١٠٧) النطوع: كالأنطاع، جمع نطع؛ وهو الجلد الذي يبسط تحت من يراد قتله. يقول: ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة، وإنما ذلك ليصان المجلس عن تلطيخه بالدم؛ فكذلك بسطه النطع — الجلد — للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخارًا له وإنما لتفريقه وإتلافه.

(١٠٨) القريع في الأصل: الفحل الكريم؛ سمى بذلك لأنه يقرع الإبل، والمراد به هنا: السيد الشريف. يصفه بأنه غاية في كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير، ولا يقتل إلا الشريف العظيم. ولعله من قول مسلم بن الوليد:

حَذَارِ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ شَرِسٍ لَا يُولِغُ السَّيْفَ إِلَّا هَامَةَ الْبَطَلِ

وبيت المتنبي أشمل؛ لأنه ذكر الكرم والهمة.

(١٠٩) النصل: شفرة السيف. والصمصامة: السيف الذي لا ينثني. والقطيع: السوط الذي يقطع من جلد البعير. يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول: أقام سيفه مقام سوطه في التأديب، فأغنى السيف السوط عن التعب.

(١١٠) يقول: إن عليًّا — وهو اسم الممدوح — لا يمنع أحدًا يأتي لمبارزته في الحرب، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالمًا؛ لأنه لا يكون إلا قتيلًا أو أسيرًا.

(١١١) المفدى: الذي يقول له الناس: فدتك نفوسنا؛ لما يرون من شجاعته وشدة بأسه. والزرد: حلق الدرع. والنجيع: الدم الطري. يقول: يسلب البطل المفدى درعه ويكسوه بدلها دمًا؛ أي إنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعًا مكان الدرع.

(١١٢) جواب إذا قوله الآتي: فحد. واعوج: يعني انحنى والتوى؛ لأن الرمح إذا طعن به اعوج والتوى. وقوله: في حامليه: يعني أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب. وقوله: وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا: أي نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين. قال الواحدي: قال المتنبي: كنت قلت:

وَأَشْبَهَ فِي ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا

ثم أُنشدت بيتًا لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه، يعني بيت البحتري:

فِي مَأْزِقٍ ضَنْكٍ تُخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعَا

(١١٣) منه: أي من القنا. وأولته: أنالته. والصدوع: الشقوق، جمع صدع. يقول: واندقت الرماح — انكسرت — وتصدعت في الأكباد لشدة الطعن فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأرًا.

(١١٤) هذا جواب إذ اعوج القنا، والتقدير: إذا اعوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه؛ فحد عنه. والخبعثنة: من أسماء الأسد، ويقال للنمر. والشجيع: الشجاع. يقول: إذا كان كذلك والْتقى الجمعان فحد — أي مل وتباعد عنه — وإن كنت شجاعًا قوي القلب كالأسد، وإلا هلكت.

(١١٥) قال ابن جني: استجرأ الرجل بمعنى جرؤ؛ أي صار جريئًا. وترمقه أي أن ترمقه، فحذف ورفع الفعل. يقول: إن قدرت على النظر إليه في الحرب من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد. وهذا من قول أبي تمام:

أَمَّا إِذَا عِشْتَ يَوْمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ فَاذْهَبْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَارِسُ النَّجِدُ

(١١٦) يقول: إن جادلتني ولاججتني في قولي هذا فاركب فرسًا وصوره في نفسك كأنك تحاربه، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعًا قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه.

(١١٧) الودق: المطر. والمريع: الممرع؛ أي المخصب. يقول: هو غمام يمطر النعم فيحيي بها البلاد، ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار، كذلك هو ربما أمطر نقمة على الأعداء، فصير مطره البلد المريع قحطًا مجدبًا لما يلم به من الدمار.

(١١٨) القطوع: جمع القطع؛ وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير. يقول: رآني بعدما طال سفري حتى قطع تيممه — أي قصدي إياه — مطاياي — إبلي — أي أنضاها وأعجزها عن السير، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس؛ أي أبلتها بكثرة السير وطول المسافة.

(١١٩) الغدير: القطعة من السيل يغادرها المطر. يقول: أعطاني حتى ملأني بالعطاء كما يملأ السيل الغدير، وأصلح دهري حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار. وقد نحا في هذا منحنى ابن الرومي في قوله:

فَضَيْفُهُ فِي رَبِيعٍ طُولَ مُدَّتِهِ وَجَارُهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبِ

وابن هفان في قوله:

لِرَبِيعِ الزَّمَانِ فِي الْحَوْلِ وَقْتٌ وَابْنُ يَحْيَى فِي كُلِّ وَقْتٍ رَبِيعُ

وكذلك البحتري:

فَكَمْ لَبِسْتُ الْخَفْضَ فِي ظِلِّهِ عُمْرِي شَبَابٌ وَزَمَانِي رَبِيعُ

(١٢٠) جعل الأخذ منه جودًا عليه كما في قوله:

قَبُولُكَ مِنْهُ مَنٌّ عَلَيْهِ

يقول: جاودني؛ أي: غالبني في الجود، فكان يجود علي بالعطاء، وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني، إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينيه لتوافره حتى طفح عطاؤه على أخذي فأغرقه؛ أي كان في الإعطاء أسرع مني في الأخذ.

(١٢١) هذه أسماء أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها. يقول: إن إحسانه ألهاه عن بلده وأهله، وهذا من قول البحتري:

جَفَوْتُ الشَّامَ مُرْتَبَعِي وَأُنْسِي وَعَلْوَةَ خَلْوَتِي وَهَوَى فُؤَادِي
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوًّا عَنْ بِلَادِي

ومثله للراعي:

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكُّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبَيْنِ مَالِيَا

(وهبين: اسم موضع، وجبل من جبال الدهناء.)

(١٢٢) استقصى في الأمر: بالغ. والسلب الأول بسكون اللام: مصدر، والثاني بفتحها: الشيء المسلوب. والهجوع: النوم. يقول: بالغت في سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفًا منك.

(١٢٣) الهلوع: الجزع والخوف الشديد. يقول: إذا لم تغزهم بجيشك غزوتهم بالخوف، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين. وهذا قريب من قول أبي تمام:

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ

(١٢٤) وخط الشيب الشعر: خالطه. والنواصي: جمع ناصية؛ مقدم الرأس. والفروع: جمع فرع؛ الشعر. يقول: إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه.

(١٢٥) العزل: مصدر الأعزل؛ وهو الذي لا سلاح معه. واللحاظ بفتح اللام وبكسرها: مؤخر العين. ومنع الرجل يمنع مناعة؛ فهو منيع. والضمير في به: يعود إلى ما؛ أي لحاظك الشيء الذي تكون به منيعًا. يقول: إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح؛ لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلته هيبة لك، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعًا. وفي مثل هذا المعنى يقول الآخر:

لَحَظَاتُ طَرْفِكَ فِي الْوَغَى تُغْنِيكَ عَنْ سَلِّ السُّيُوفِ
وَعَزِيمُ رَأْيِكَ فِي النُّهَى يَكْفِيكَ عَاقِبَةَ الصُّرُوفِ
وَسُيُولُ كَفِّكَ فِي الْوَرَى بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى الضَّعِيفِ

(١٢٦) المغافر: جمع مغفر؛ زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس. يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن، حتى لو أخذ ذهنه بدلًا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء.

(١٢٧) الجهد: الطاقة. وأتيت على الدنيا: أي أهلكت من فيها جميعًا.

(١٢٨) تلفى: توجد. وقوله: فتسمو: يجوز أن تكون خطابًا للممدوح؛ أي كلما سمت همتك ازددت علوًّا، ويجوز أن تكون خبرًا عن الهمة. يقول: سموت بهمة، وتلك الهمة تسمو بك أبدًا فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة.

(١٢٩) يقول: أحسب أن جودك محا اسم الجواد عن الناس، فكيف محا علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء؟ وجواد: مرفوع، على أن لا بمعنى ليس، والألف — في رفيعًا — ليس بدلًا عن التنوين؛ لأن لا تنصب النكرة بغير تنوين، وإنما هي للوصول والإطلاق.

(١٣٠) أركائب: أي يا ركائب، والركائب: جمع الركوب؛ وهي الإبل تركب. وتطس: تدق، والوطس: الدق. واليرمع: حجارة بيض صغار رخوة. يقول: إن الدموع تفعل بالخدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التي تطؤها. يعني أن تأثير الدموع في الخدود كتأثير الإبل في الحجارة.

(١٣١) النوى: البعد، فاعل حملت، وهي مؤنثة. والأزمة: جمع زمام؛ ما تقاد به الدابة. يقول للإبل: اعرفن قدر الحبيبة التي حملها البعد عليكن، واعرفن لينها ورقتها، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى، فامشين بها رويدًا خضعًا حتى لا تتأذى بسيركن ومرحكن.

(١٣٢) البكا: يمد ويقصر، والأشهر المد. يقول: قد كان حيائي يغلب بكائي، واليوم غلب بكائي حيائي.

(١٣٣) الرنة: فعلة من الرنين؛ وهو صوت الباكي. والضمير في جلده: للعظم، ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفاف. والمدمع: مجرى الدمع. يقول: لكثرة بكائي صار كأن كل عظم من عظامي يرن رنينًا، وكل عرق لي يبكي؛ أي غلب البكاء حتى صارت حالتي بهذه الصفة. قال ابن وكيع: وفيه نظر إلى قول ابن المعتز:

وَمُتَيَّمٍ جَرَحَ الْفِرَاقُ فُؤَادَهُ فَالدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَقْرَقُ

وإلى قول الآخر:

وَكَأَنَّ لِي فِي كُلِّ عُضْوٍ وَاحِدٍ قَلْبًا يَرِنُّ وَنَاظِرًا مَا يَطْرِفُ

(١٣٤) الجداية: الظبية. وفاضحًا: تمييز. والمصرع: المقتل، مصدر ميمي من صرعه؛ أي طرحه على الأرض. يقول: من فضح الجداية بحسنه كفى فاضحًا لمن يحبه وكفى بمصرعي في حبه مصرعًا. يعني: إنه غاية في الحسن وأنا غاية في الحب والعشق.

(١٣٥) يقول: سفرت: كشفت عن وجهها للوداع، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر محاجرها — ما حول العين — ويخفى محاسنها، ولم تكن برقعا على الحقيقة. يعني أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها.

(١٣٦) السمط: خيط القلادة. والضمير من كأنها: للصفرة. يقول: كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط. شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ.

(١٣٧) يقول: صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال؛ لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها. والذوائب: جمع ذؤابة؛ وهي الخصلة من الشعر، والأصل ذآئب، فأبدل من الهمزة الأولى واوًا تخفيفًا.

(١٣٨) قال الواحدي: يجوز أن يريد بالقمرين: القمر والشمس، وهي وجهها، وجعل وجهها شمسًا في الحسن والضياء. ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر، فهما قمران في وقت واحد. وهذا كقول الآخر:

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَرَفَّعَتْ وَبَدَا النَّهَارُ لِوَقْتِهِ يَتَرَحَّلُ
أَبْدَتْ لِوَجْهِ الشَّمْسِ وَجْهًا مِثْلَهُ يَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ

ويقول صريع الغواني:

فَبِتُّ أُسِرُّ الْبَدْرَ طَوْرًا حَدِيثَهَا وَطَوْرًا أُنَاجِي الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مُنْكَشِفَ الدُّجَى يُوَدِّعُ فِي ظَلْمَائِهِ الْأَنْجُمَ الزُّهْرَا

وهذا المعنى كثير في كلامهم.

(١٣٩) الطلول: جمع طلل؛ وهي رسم الدار. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. وأقشع: أقلع وتفرق. يقول: أعيدي لنا وصالك، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال: لو كان وصالك مثل السحاب الذي أتمناه للطلول — أي دائمًا لا يتفرق — لكان دائمًا لا ينقطع.

(١٤٠) زجل: يسمع له زجل؛ وهو الصوت: يعني صوت الرعد. والملا: المتسع من الأرض أو الصحراء. والتلعات: جمع تلعة؛ التل يجري منه الماء إلى الوادي. والممرع: المخصب. يصف هذا السحاب يقول: إنه يملأ الجو ببرقه حتى يرى نارًا، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصيب. وقد جمع في هذا البيت ما فرقه غيره وأبدع فيه. قال أبو تمام:

آضَ لَنَا مَاءً وَكَانَ بَارِقَا

[أي رجع ماء بعد البرق.] وقال ابن دريد:

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غِبَّ صَوْبِهِ بَحْرٌ طَمَا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا

(١٤١) الغدق: الكثير، قال تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾؛ أي كثيرًا. شبه ذلك السحاب الذي وصفه ببنان — أصابع — الممدوح الكثير الجود، وهذا مخلص حسن. ومثله للبحتري:

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدَفُّقِهَا أَيْدِي الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا

(١٤٢) المروءة: الكرم. واللبان: جمع اللبن. وصبيًّا: حال. يقول: ألف الكرم ناشئًا، فكأنه غذي به مع اللبن الذي شربه رضيعًا. وهذا من قول أبي تمام:

لَبِسَ الشَّجَاعَةَ إِنَّهَا كَانَتْ لَهُ قِدْمًا نَشُوغًا فِي الصِّبَا وَلَدُودَا

«النشوغ: الوجور والسعوط، يقال: نشغت الصبي وجورًا فانتشغه؛ جرعه جرعة بعد جرعة. واللدود: ما يصب بالمسعط في السقي والدواء في أحد شقي الفم، ولديد الفم: جانباه.» وإليك طرفة نحوية للعكبري النحوي الكوفي، قال: مذ ومنذ عندنا أنهما

يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف. وقال البصريون: هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجرورًا بهما، وحجتنا أنهما مركبان من «من» و «إذ» تغيرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما، فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب. والدليل على أنها مركبة من «من» و«إذ» أن من العرب من يقول في «مُنذ»: مِنذ — بكسر الميم — فدل على أنها مركبة، وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدهما بتقدير فعل؛ لأن الفعل يحسن بعد «إذ» والتقدير: ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران. وإذا كان الاسم بهما مخفوضًا كان الخفض بهما اعتبارًا بـ «من» ولهذا المعنى كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون «من» فيها. والرفع بـ «مذ» أجود لحذف النون منها تغليبًا لإذ. ويدل على أن أصل «مذ» و«منذ» واحد: أنك لو سميت بهما قلت في تصغير مذ: منيذ وفي تكسيره: أمناذ؛ فترد النون المحذوفة، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها. وحجة البصريين أنهما معناهما الأمد، إذا قلت ما رأيته مذ يومان: فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان. والأمد في موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدهما خبرًا.

(١٤٣) التمائم: جمع تميمة؛ العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين. قال الواحدي: من روى: نُظمت — بضم النون — فالمعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التمائم التي تعلق على من خاف شيئًا، فإذا سقطت عنه عاد الخوف؛ أي إنه ألف الإعطاء واعتاده، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تمائمه. ومن روى بفتح النون: فإنما يعني ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك، وكان كمن ألقى تميمته فيفزع. وهذا من قول أبي تمام:

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طَالِبِ

(١٤٤) الصنائع: الأيادي والنعم والمعروف. والقواطع: السيوف. وبارقات: مشرقات. والعوالي: الرماح. وشرعًا: منتصبة مرتفعة. يقول: جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس. وقال ابن جني: يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح.

(١٤٥) متبسمًا: حال من فاعل ترك. والعفاة: جمع عافٍ؛ السائل. وعن واضح: أي عن ثغر واضح. وتغشى: تغطي. ولوامعه: ثناياه. يقول: يبتسم للسائلين عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق. ويروى: تعشى؛ أي تذهب نور أبصارها. وهو من قول العباس بن الأحنف:

مُتَسَرْبِلِينَ سَوَابِغًا مَاذِيَّة تُعْشِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الْأَبْصَارَا

(القوانس: جمع قونس، وقونس البيضة من السلاح؛ مقدمها أو أعلاها. والماذية: الدرع البيضاء أو السهلة اللينة.)

(١٤٦) حك: يروى صك؛ والمعنى: زاحم. يقول: إنه يظهر للأعداء سطوة لو زاحم منكبها السماء لزعزها؛ أي إنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة. واستعار لسطوته منكبًا لما جعلها تزاحم السماء؛ لأن الزحام يكون بالمناكب.

(١٤٧) الحازم: ذو الحزم في أموره. واليقظ: الكثير التيقظ الذي لا يغفل عن أموره. والأغر: الشريف، ويروى: الأعز. والألد: الشديد الخصومة. والأريحي: الذي يرتاح للمعروف والكرم؛ أي يهتز لهما ويتحرك. والأروع: الذي يروعك بجماله أو الحاد الذكي. واللبق: الخفيف في الأمور. والندس: الفطن. والهبرزي: السيد الكريم. والمصقع: الخطيب البليغ.

(١٤٨) يقول: إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء، وكذلك هذا الممدوح يفني أعداءه كما يفني ماله، فهو جواد كثير الغارات. وهذا قريب من قول أبي نواس:

وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ تَأْتِي صُرُوفُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشْقَى بِهِ وَيُعَادِي

(١٤٩) العمارة بكسر العين: الأرض العامرة. والبلقع: المكان الخالي الذي لا عمارة فيه. يقول: إنه يعطي كل أحد أكان غنيًّا أم فقيرًا، كما أن الغمام يسقي كل موضع أعامرًا أم غامرًا. ومثله لابن المعتز:

وَيُصِيبُ بِالْجُودِ الْفَقِير وَذَا الْغِنَى كَالْغَيْثِ يَسْقِي مُجْدِبًا وَمَرِيعا

ولآخر يخاطب الغيث:

وَلَيْسَ يَخُصُّ أَرْضًا دُونَ أَرْضٍ   وَكَـفَّـاهُ تَـعُـمَّـانِ الْـبِـلَادَا

وروى الخوارزمي: العمارة — بفتح العين — وقال: يعني القبيلة، كأنه قال: يسقي المكان الذي به الناس والخالي.

(١٥٠) الشعب: الشمل. ويصدع: يفرق. والوفر: الغنى. ويلم: يجمع. يقول: إنه أبدًا يفرق شمل المال بالعطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع في هذا البيت بين التطبيق والتجنيس. وقال أبو تمام:

لَهُ كُلَّ يَوْمٍ شَمْلُ مَجْدٍ مُؤَلَّفٍ   وَشملُ نَدًى بَيْنَ الْعُفَاةِ مُشَتَّتِ

وقال البحتري:

وَمَعَالٍ أَصَارَهَا لِاجْتِمَاعٍ   شَمْلُ مَالٍ أَصَارَهُ لِافْتِرَاقِ

(١٥١) الجدوى: العطاء. والمهند: السيف. ويوم الرجاء: متعلق بيهتز. والوعى بالعين والغين: جلبة الحرب وصوتها. والجملة قبله صفة لمهند. يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الحطيئة:

كَسُوبٌ وَمِتْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ   تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتِزَازَ الْمُهَنَّدِ

ولمتمم بن نويرة:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى   إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مطْمَعَا

(١٥٢) لقاؤه: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(١٥٣) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربعا: أراد فاربعن، فوقف بالألف. ومعناه: كف حسبك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدي: يحتمل أمرين؛ أحدهما: أني أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى — الغاية. وهذا قريب من قول أبي تمام:

يَا لَيْتَ شِعْرِيَ مَنْ هَذِي مَنَاقِبُهُ ... مَاذَا الَّذِي بِبُلُوغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ؟

(١٥٤) لك أن تقرأ الفعال بفتح الفاء: اسم للفعل الحسن، وبكسرها: جمع فعل. والثقلان: الجن والإنس.

(١٥٥) يقول: حويت فضل الثقلين — الجن والإنس — وهذا الفضل لم يطمع في نيله أحد ولا حدثته به نفسه لبعد مناله.

(١٥٦) أزمع الشيء: عزم عليه. يقول: كأن القضاء لك، فكلما أردت شيئًا وأزمعته أنفذه، فقوله: لك، خبر كأن: أي كأنه موافق لك. ولك أن تجعل لك: صلة أزمع: أي إن القضاء منفذ لما تريد، فكلما أزمعت أمرًا أزمع هو ذلك الأمر لأجلك. هذا، وقد قال الخليل: أزمعت على الأمر فأنا مزمع عليه: إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه. وقال الكسائي: يقال أزمعت الأمر، ولا يقال أزمعت عليه. قال الأعشى:

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا ... وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا

وقال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه بمعنًى، مثل أجمعته وأجمعت عليه.

(١٥٧) العصي: العاصي؛ فعيل بمعنى فاعل. يقول: والدهر الذي لا يطيع أحدًا قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة.

(١٥٨) انثنت: رجعت. والشأو: الغاية. والمطي: جمع مطية: الركوبة. والظلع: جمع الظالع؛ الذي يغمز من يد أو رجل. يقول: غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتى أفنتها فليس لأحد منهم فخر، وانصرفت مطايا وصفي قاصرة عن غايتها؛ أي لم يبلغ قولي وصف مفاخرك. وفي هذا يقول أبو تمام:

هَدَمَتْ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعِيَ وَانْثَنَتْ ... خُطَطُ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاصِ الْفَرْقَدِ

(١٥٩) يقول: وجرت مفاخرك في الأرض مجرى الشمس في الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب. قال ابن وكيع: هذا مأخوذ من قول حبيب:

أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا؟ ... فَقُلْتُ: كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعَ الْجُودِ

وهذا تعسف من ابن وكيع، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصغاء إنائه، وإلا فأي تناسب بين البيتين؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول: إنه من قول علي بن الجهم:

وَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَهَبَّتْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

أو من قول أبي قيس بن أبي رفاعة — شاعر جاهلي — يصف قصيدة:

تَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَيَحْلُو بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ نَشِيدُهَا

(١٦٠) يقول: لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضًا وخافت أن لا تقنع منها بذلك. ورُوي لعممتها — والضمير للممدوح — وخشيت — بضم التاء — والضمير للمتنبي؛ أي لعممتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لا تقنع بها؛ لأن همتك تقتضي فوقها.

(١٦١) يقول: لا يُكذَّب من ادعى لك فوق هذا؛ لأن الله يشهد بتصديقه، وذلك ما خلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة، وكان الوجه أن يقول: إن ما ادعى حق، فجعل الخبر الذي هوى نكرة — وهو: حق — في موضع الاسم ونصبه بأن، وجعل الاسم الموصول — ما ادعى — في محل الخبر، وذلك جائز في ضرورة الشعر.

(١٦٢) النزر: هو القليل، فهو توكيد معنوي؛ يعني نفسه. يقول: إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره؛ لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها، على حد قول أبي نواس:

حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

وحفظ القليل مما ضيعا: أي من جنس ما ضيعه؛ لأن المحفوظ لا يكون من المضيع، ولكن يكون من جنسه.

(١٦٣) رجلًا: مفعول ثانٍ ليدعى. وطرا: أي جميعًا، حال. يقول: إن كان لا يدعى الفتى رجلًا إلا إذا كان كذا: أي كهذا الممدوح فسم الناس جميعًا إصبعا؛ لأنهم لو وزنوا بإصبعك ما وفوا. أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل. قال الواحدي: وكان هذا الممدوح يلقب بذي الإصبع، وكان له إصبع زائدة. وروى الخوارزمي: أضبعا — جمع

الضبع — يريد: كلهم بالإضافة إليك ضباع؛ لأنك حزت شرفًا وقدرًا لم ينله إلا أنت. قال ابن وكيع: وهو من قول أبي النجم:

لَوْ كَانَ خَلْقُ اللهِ جَنْبًا وَاحِدًا وَكُنْتَ فِي جَنْبٍ لَكُنْتَ زَائِدا

ومن قول عمر بن أبي ربيعة:

وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ وَاعْتَزَلْتَ جَانِبا
لَـيَـمَّـمْـتُ جَـانِـبَـهَـا إِنَّـنِـي أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبَا

(١٦٤) يقول: إن كان لا يصح سعي ماجد لجود حتى يفعل مثل فعلك، فالغيث أبخل الساعين لبعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك. وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة. قال ابن وكيع:

سَقَيْتَ فَكَانَ الْغَيْثُ أَدْنَى مَسَافَةً وَأَضْيَقَ بَاعًا مِنْ نَدَاكَ وَأَقْصَرَا

(١٦٥) ابنه — بحذف حرف النداء — أي يا ابنه. وغرة الشخص: طلعته. ومرأى ومسمعا: حالان. يقول: قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة.

(١٦٦) يقول: الحزن لأجل المصيبة يقلقني، والتجمل — تكلف الصبر — يمنعني عن التهالك والجزع، والدمع بين الحالين عاصٍ لدى التجمل فيحتبس، مطيع للقلق فينسكب، وبذاك يعصي صاحبه تارة ويطيعه أُخرى.

(١٦٧) عنى بالمسهد — أي الكثير السهاد، الممنوع عنه النوم — نفسه. يقول: الحزن والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها؛ أي يجريها، والتجمل يردها.

(١٦٨) يقول: النوم بعد أبي شجاع لا يألف العين؛ أي لا تنام العيون بعده حزنًا عليه، والليل يطول فلا ينقضي، كأنه قد أعيا عن المشي — كَلَّ من التعب — فانقطع. والكواكب ظلع — كالعرجى — لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب. يريد طول الليل لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه. وعبارة ابن جني: لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته. وقال الخطيب: إنما أراد أن الليل طويل لفقده فالليل مُعْيٍ والكواكب ظلع ما تسير؛ يريد طول الليل للحزن.

(١٦٩) الحمام: الموت. يقول: أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه؛ يعني أن الفراق أعظم خطبًا عنده من الموت، كما قال أبو تمام:

جَلِيدٌ عَلَى عَتْبِ الْخُطُوبِ إِذَا عَرَتْ وَلَسْتُ عَلَى عَتْبِ الْأَخِلَّاءِ بِالْجَلْدِ

(١٧٠) يقول: إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا، ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله، كما قال أشجع السلمي:

يُعْطِي زِمَامَ الطَّوْعِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ

وبعد: فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة، وشدته عند المباطشة والمقاومة.

(١٧١) قوله عما مضى: متعلق بغافل. ويتوقع: ينتظر. يقول: إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر في العواقب من انقضائها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالًا، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فإنها لا تصفو له.

(١٧٢) يسومها: يكلفها. ويعني بالحقائق: ما لا شك فيه للعاقل، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار، والإنسان فيها على خطر عظيم، وأن الحياة فانية، فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر في العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك.

(١٧٣) الهرمان: هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط — وهما معروفان، وكل ما يتعلق بهما وبمن بناهما والغاية التي بنيا لها معروف، فراجعه إن شئت. يقول: أين من بناهما؟ وأين قومه؟ ومتى كان يوم موته؟ وكيف كان مصرعه؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه، فما يعرفون ولا يعرف بأي ميتة هلك، ولا في أي وقت لطول ممر الدهر عليه. يريد أن الدنيا مفنية لأهلها منكرة على من اغتر بها، وأن الفناء حتم في رقاب العباد، وأن الجميع صائرون إلى الفناء. وعبارة العكبري: قوله أين الذي الهرمان من بنيانه: استدل ببنائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته

وقدرته؛ أي أين هو وقوته؟ وأين قومه وكثرتهم؟ وأين عددهم وعددهم؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفنته؟ أما فرقت شمله وشتته؟ أما في بطن الأرض غيبته؟ وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدي بن زيد:

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنُو شَرْ　　وَانَ أَمْ أَيْـنَ قَـبْـلَـهُ سَـابُـورُ؟

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد، وأن الجميع صائرون إلى الفناء.

(١٧٤) يقول: إن الآثار تبقى بعد أصحابها حينًا من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها، وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها، والمعهود من تصاريفها.

(١٧٥) يقول: إنه — لبعد مرتقى همته — لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في العلا حتى يطلب ما فوقه، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض؛ لأنه لا يشبع طموحه.

(١٧٦) البلقع: الخالي. يقول: كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالًا؛ لأنه كان جوادًا معطاء.

(١٧٧) وإذا: عطف على «وكل دار بلقع» في البيت السابق. وكل: رُوي بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع: كل شيء يجمعه، وعلى النصب يجمع كل شيء من هذه الأشياء. يقول: وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيل، أما الذهب فلا؛ لأنه كان يفرقه بالعطاء، فبنات أعوج: يعني الخيل، وأعوج: فحل مشهور من خيل العرب، تنسب إليه الخيل الأعوجية. قيل: سمي بذلك لأن غارة وقعت على أصحابه ليلًا وكان مهرًا، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة، فاعوج ظهره وبقي فيه العوج، فلقب بالأعوج. وقد جاء في معنى بيت المتنبي شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم، وقد قال قائلهم:

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا　　خَـزَائِـنُـهُ خَـطِّـيَّـةٌ وَدُرُوعُ

وقال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة يرثيه:

وَلَمْ يَكُ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ　　حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمُذَالَا

(١٧٨) الأروع: الذكي الفؤاد. يقول: إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأنقص حظًّا من أن يعيش لها هذا المرثي. يعني أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع شملها. وقال العكبري — عند إعراب قوله «المجد أخسر والمكارم صفقة»: إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل؛ لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة، وهي منصوبة بأخسر — التي هي عطف على المجد — وهذا غير جائز؛ لأن صفقة تحل من أخسر محل الصلة من الموصول. ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: زيد أحسن وعمرو وجهًا، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر، وهو أن تجعل المكارم عطفًا على الضمير في أخسر، فإن عطفته على الضمير الذي فيه لم يكن أجنبيًّا منه، فلا يعد فصلًا بينه وبين صفقة، فيصير نحو قولك: مررت برجل أكل وعمرو وخبزًا، بعطف عمرو على الضمير في أكل ونصب خبزًا بأكل. وفي نوادر أبي زيد:

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ الْبَأْسِ مِنْكُمْ إِذَا الدَّاعِي الْمثَوِّبُ قَالَ: يَا لَا

(بعده:

وَلَمْ تَثِقِ الْعَوَاتِقُ مِنْ غَيُورٍ بِغَيْرَتِهِ وَخَلَّيْنَ الْحِجَالَا

وقد نسب أبو زيد في نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبي ولأئمة النحاة في إعراب «فخير نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا. والبأس: الشدة والقوة: والمثوب: الذي يدعو الناس يستنصرهم. والأصل فيه أن المستغيث إذا كان بعيدًا يتعرى ويلوح بثوبه رافعًا صوته ليُرى فيغاث. ويا لا: أراد يا لفلان، أو يا لبني فلان. وجملة لم تثق: عطف على مدخول إذا. والعواتق: جمع عاتق، وهي التي خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزوج. والحجال: جمع حجلة؛ وهو بيت كالقبة. يريد أنهن في يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحميهن الأزواج والآباء والإخوة، فنحن عندهن أوثق منكم.)

فلا يجوز أن يكون نحن: مرفوعًا بالابتداء، ومنكم: متعلق بخير — على أن يكون «خير» خبر المبتدأ — لئلا يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيدًا للضمير في «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف، فكأنه قال: فنحن خير عند الناس منكم. وحسن حذف «نحن» الأولى التي هي مبتدأ لمجيء الثانية توكيدًا للضمير في «خير». ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب «صفقة» بفعل مضمر يدل عليه «أخسر»،

وتجعل «المكارم» عطفًا على «المجد» — لا على الضمير في «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجري مجرى الصلة والموصول، فيصير التقدير: المجد أخسر والمكارم أيضًا كذلك. ثم قال: صفقة، وكأنه قال: خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ على يعلم أو علم، فيكون «من يضل»: منصوبًا بالفعل الذي دل عليه «أعلم»، وإنما حملناه على ذلك هربًا من أن يكون «من يضل» في موضع جر بالإضافة إلى «أعلم»؛ لأن الأعلم أفعل، وأفعل إذا أضيف إلى شيء كان بعضًا له. نحو قولك زيد أكرم الناس، فلا بد أن يكون من الناس. ولا تقل: زيد أفضل النعام؛ لأنه ليس من النعام، فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين.

(١٧٩) يقول: إن الناس في زمانك أقل قدرًا من أن تكون بينهم تخالطهم وتعاشرهم، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان.

(١٨٠) يقول: كلمني كلمة وأسمعني منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما في قلبي من لوعة الحزن، فلقد كنت في حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك، وتنفع أولياءك؛ أي فانفعني بكلامك.

(١٨١) يقال: استراب به؛ أي رأى منه ما يريبه، أي يقلقه. يقول: لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة — أي قبل أن تفجعهم بنفسك — ما يريبهم منك أو يوجعهم، فلما فُقدت أوجعت قلوبهم وأبكيت عيونهم.

(١٨٢) الأصمع: الذكي الحاد. وقوله وما تلم: حال. يقول: كنت أراك في حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكي.

(١٨٣) يقول: ونفاها عنك يد شنشنتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكأنَّ النوال والقتال واجبان عليها، وهما تبرع لا وجوب. وفي هذا يقول أبو تمام:

ثَوَى مَالُهُ نَهْبَ الْمَعَالِي فَأَوْجَبَتْ   عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجَبَا

ويقول ابن الرومي:

مَلِكٌ لَا يَرَى اللُّهَا   تَسْتَحِقُّ الْوَسَائِلَا
وَيَرَاهَا فَرَائِضًا   وَتُسَمَّى نَوَافِلَا

ويقول آخر:

أَغَرُّ مَتَى تَسْأَلْهُ جَادَ فَرِيضَةً   وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْهُ جَادَ تَبَرُّعَا

(١٨٤) يريد: يا من كان في حياته يلبس كل يوم لباسًا جديدًا؛ إذ يخلع الملبوس على من يقصده، كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع؟ يعني الكفن. والحلة: اللباس من ثوبين — إزار ورداء — ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين.

(١٨٥) الفادح: الذي يثقل حمله، وفي هذا المعنى يقول الحماسي:

دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ   تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا

(١٨٦) عراك: أصابك ونزل بك. وشرع الرمح: بسط اليد به وسدده. يقول: ظللت — أقمت — تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك في دفع ما نزل بك؛ إذ لا مدفع للموت.

(١٨٧) بأبي: تفدية. وقوله: وجيشه متكاثر: حال من ضمير الوحيد. ومتكاثر: خبر أول لجيشه. ويبكي: خبر ثانٍ. يقول: إنه — مع كثرة جيوشه — كان وحيدًا من الأنصار، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء، ولا عدة غير الدموع، مع أن الدموع من شر الأسلحة؛ لأنها تضر صاحبها ولا تغني شيئًا عند المصيبة. وقد فسر هذا في البيت التالي.

(١٨٨) رعت: أفزعت وأخفت. وتقرع: تضرب. يقول: إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء في البكاء؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الخد: أي إنه لا يجدي ولا يدفع شيئًا.

(١٨٩) الأشيهب: تصغير الأشهب؛ وهو الذي غلب عليه البياض. والأبقع: الذي في صدره بياض، وهو في الطير والكلاب كالأبلق في الدواب. يقول: وصلت إليك — يخاطب المرثي — يد — يريد يد المنية — سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبازي مثل للشريف، والغراب مثل للوضيع. ويروى: ألباز الاشهب — بقطع همزة أل من الباز، ووصل همزة أشهب: بناء على أن همزة أل قد وقعت في أول الشطر الثاني، فكأنه أخذ في بيت ثانٍ، كما قال حسان:

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكًا فِي دِيَارِكُمْ: أَللهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا

وقال الآخر:

حَتَّى أَتَيْنَ فَتًى تَأَبَّطَ خَائِفًا ألسيف فَهْوَ أَخُو لِقَاء أَرْوَع

(١٩٠) المحافل: جمع محفل؛ وهو المجتمع. والجحافل: جمع جحفل؛ العسكر العظيم. والسرى: يريد سير الجيوش ليلًا للغارة. والنير: الكوكب الكثير النور. والنيران: الشمس والقمر. يقول متفجعًا عليه: من للمحافل في إرشاد جماعتها، والجحافل في تصريف كتائبها، والسرى عند انتهاز فرص الحرب، وطلب الغرة من الأعداء في الغزو، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذي كانت تستمد برأيه، والنير الذي كانت تهتدي بضوئه، فعدمت ما كانت تعهده عنده، وغرب غروبًا لا يطلع بعده، قاله العكبري.

(١٩١) يقول: ومن الذي اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم؟ لقد ضاع قصادك بعدك ومثلك من لا يضيع في حياته قاصده.

(١٩٢) يقول: قبح الله وجهك يا زمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبائح، فكأنه اتخذ القبائح برقعًا. فقوله: قبحًا، مفعول مطلق نائب عن عامله — من قولهم: قبحه الله: أي أقصاه ونحاه عن الخير. واللام من قوله: لوجهك: لبيان المفعول، كما يقال: سقيًا له. والقبح — في المصراع الثاني — الحسن.

(١٩٣) الأوكع في الأصل: الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجًا كالعقدة، وأكثر ما يكون ذلك للإماء اللواتي يكددن في العمل، ويقولون: أمة وكعاء؛ أي حمقاء، وعبد أوكع؛ أي أحمق أو لئيم. والاستفهام هنا: للتعجب، يتعجب من موت أبي شجاع فاتك في جوده وفضله مع بقاء حاسده — يعني كافورًا — الأحمق أو اللئيم. وفاتك: يروى بالرفع، وبالجر؛ فالرفع على أنه بدل من مثل، والجر بدل من أبي شجاع.

(١٩٤) يقول: إن كافورًا لسقوطه أهل للإذلال، فكأن قفاه يصيح ألا من يصفع؟ ولكن الأيدي التي حوله مقطعة لا تقدر على صفعه؛ أي ليس عنده من فيه خير؛ إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله، يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به. وهذا استطراد من المتنبي؛ إذ خرج إلى هجاء كافور وأصحابه من رثاء فاتك.

(١٩٥) يخاطب الزمان يقول: أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم؛ أي هو — كافور — أكذب من بقي من الكاذبين. وأخذت أصدق القائلين والسامعين — أي أصدق الناس — يعني المرثي. فقوله أبقيته: صفة لكاذب، و«من»: نكرة موصوفة بالجملة بعدها.

(١٩٦) الريحة والريح: واحد. وتتضوع: تفوح.

(١٩٧) يقول: بعد موتك قرت دماء الوحوش، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفًا منك وجزعًا. يعني أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه في الفلوات، فبموته قرت دماء الوحوش. فدمه: فاعل قر. وقوله: وكان: الضمير للدم. والواو: واو الحال. ويقال: دابة نافر، ولا يقال نافرة. والتطلع: الاستشراف.

(١٩٨) ثمر السياط: العقد التي تكون في عذباتها. وأوت: عادت إليها ورجعت. والسوق: جمع ساق. يقول: حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط؛ لأنه أبدًا كان يضربها بسياطه لتركض في قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهي — في شدة جريها أو كثرته — كأن سوقها وأذرعها ليست منها، كأنها كانت ترميها عن أنفسها. والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها.

(١٩٩) يعني بالطراد: مطاردة الفرسان في الحرب. وعفا: درس وذهب. والراعف: الذي يسيل منه الدم — من رعاف الأنف — والقناة: الرمح. والحسام: السيف القاطع. يقول: ذهب ذلك واندرس بموته. قال ابن وكيع: ومعنى البيتين من قول التميمي:

تَرَكْتَ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي مُخَلَّاةً وَقَدْ حَانَ الْوُرُودُ
وَغَادَرْتَ الْجِيَادَ بِكُلِّ مَرْجٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زِينَتِهَا تَرُودُ

(٢٠٠) المخالم: الصديق. وأصل الخلم: مربض الظبية أو كناسها تتخذه مألفًا وتأوي إليه، فهو من هذا. والمنادم: النديم. وشيع الرجل: خرج معه عند الوداع. و«من» — في البيت الثاني — فاعل ولى. والمرتع: المرعى. يقول: ولى وذهب من كان ملجأ أوليائه، وكان لسيفه مرتع في كل قوم من أعدائه، وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين، وذلك عند تشييعه إلى القبر.

(٢٠١) يقول: إنه كان عظيمًا أينما كان حتى لو حل في العجم لكان ملكهم كسرى، وكذلك في كل قوم. فقوله ففيها: أي فهو فيها. ومثله في البيت الثاني. وكسرى: بيان لرب. والجملة بعده: حال.

(٢٠٢) فرسًا: نصب على التمييز. يقول: كان أسرع الفرسان في الطعان. أي كان إذا طعن لم يدرك، ولكن المنية كانت أسرع منه فأدركته.

(٢٠٣) يقول: إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده. فهو يقول — على طريق الدعاء: لا حمل الفرسان بعده رمحًا ولا حملت الخيل قوائمها.

(٢٠٤) بأبي: هذه الباء باء التفدية؛ أي أفدى بأبي من وددته: أي جعل فداء له.

(٢٠٥) يقول: كان تسليمه عليَّ عند اللقاء توديعًا لفراق ثانٍ. وفي هذا يقول على ابن جبلة العكوك:

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ   ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

ويقول الآخر:

بِـأَبِـي وَأُمِّـي زَائِـرٌ مُـتَـقَـنِّـعٌ   لَمْ يَخْفَ ضَوْءُ الْبَدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَـمْ أَسْـتَـتِـمَّ عِـنَـاقَـهُ لِـلِـقَـائِـهِ   حَـتَّـى ابْـتَـدَأْتُ عِـنَـاقَـهِ لِـوَدَاعِـهِ

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه:

مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ   وَلوَ انَّ الْجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ[١]
وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـ   ـفَ وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ[٢]
مَا لَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ   كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ[٣]

وأهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالي الذي اعتقله. فكتب إليه من السجن:[٤]

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ   وَالسِّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ![٥]
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِي   وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجِيَفِ[٦]
كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ   وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ[٧]
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً   لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ[٨]

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي:

لِجِنِّيَّةٍ أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ؟   لِوَحْشِيَّةٍ لَا مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ[٩]
نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ   سَوَالِفُهَا وَالْحَلْيُ وَالْخَصْرُ وَالرِّدْفُ[١٠]
وَخُيِّلَ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا   تَثَنَّى لَنَا خُوطٌ وَلَاحَظَنَا خِشْفُ[١١]
زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيَادَتِي   وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ[١٢]

هَرَاقَتْ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بِهَا … مِنَ الْوَجْدِ بِي وَالشَّوْقُ لِي وَلَهَا حِلْفُ ١٣

وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا … كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعَرُ الْوَحْفُ ١٤

وَقَابَلَنِي رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ … يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ ١٥

أَكَيْدًا لَنَا يَا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصْلَنَا … فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو؟ ١٦

أُرَدِّدُ: وَيْلِي! لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً … وَأُكْثِرُ: لَهْفِي! لَوْ شَفَى غُلَّةً لَهْفُ ١٧

ضَنًى فِي الْهَوَى كَالسُّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا … لَذِذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ ١٨

فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا … أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ ١٩

قَلِيلُ الْكَرَى لَوْ كَانَتِ الْبِيضُ وَالْقَنَا … كَآرَائِهِ مَا أَغْنَتِ الْبَيضُ وَالزَّعْفُ ٢٠

يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ … وَيَسْتَغْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ ٢١

وَإِنْ فَقَدَ الْإِعْطَاءَ حَنَّتْ يَمِينُهُ … إِلَيْهِ حَنِينَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ ٢٢

أَدِيبٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ … جِبَالٌ جِبَالُ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ ٢٣

جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفُّهُ … سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنَّ اسْمَهُ كَفُّ ٢٤

وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ … مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سِيَادَتِهِ خُلْفُ ٢٥

يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ … لِجَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو ٢٦

وُقُوفَيْنِ فِي وَقْفَيْنِ؛ شُكْرٍ وَنَائِلٍ … فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وَشُكْرُهُمْ وَقْفُ ٢٧

وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا … عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ ٢٨

وَمَا حَارَتِ الْأَوْهَامُ فِي عُظْمِ شَأْنِهِ … بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ ٢٩

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الْغَيْظُ وَالْأَذَى … بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وفْرِهِ الْعُرْفُ ٣٠

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ … وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ ٣١

أَمَاتَ رِيَاحَ اللُّؤْمِ وَهْيَ عَوَاصِفٌ … وَمَغْنَى الْعُلَا يُودِي وَرَسْمُ النَّدَى يَعْفُو ٣٢

فَلَمْ نَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابِعًا … إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيَمُ الْوُطْفُ ٣٣

وَلَا سَاعِيًا فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكًا … بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ ٣٤

وَلَمْ نَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ الْعِبْءَ حَمْلَهُ … وَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ ٣٥

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ … وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ ٣٦

فَوَا عَجَبًا مِنِّي أُحَاوِلُ نَعْتَهُ … وَقَدْ فَنِيَتْ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحْفُ! ٣٧

وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ … يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفُ ٣٨

وَتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصَالٍ كَأَنَّهَا … ثَنَايَا حَبِيبٍ لَا يُمَلُّ لَهَا رَشْفُ ٣٩

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمْ كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الْأَنْفُ[٤٠]
وَلَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتِّبْرُ وَاحِدٌ نَفُوعَانِ لِلْمُكْدِي وَبَيْنَهُمَا صَرْفُ[٤١]
وَلَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفُ[٤٢]
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَعْضَ مِنْ كُلٍّ وَلَكِنَّكَ الضِّعْفُ[٤٣]
وَلَا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ وَلا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ[٤٤]
أَقَاضِيَنَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ وَلَا الثُّلْثَانِ هَذَا وَلَا النِّصْفُ[٤٥]
وَذَنْبِي تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو[٤٦]

وأخرج له أبو العشائر جوشنًا حسنًا[٤٧] فقال كيف تراه فقال مرتجلًا:

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مُبَاشِرِهِ الْحُتُوفُ[٤٨]
فَدَعْهُ لَقًى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامٍ جَوَاشِنُهَا الْأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ[٤٩]

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلمانًا له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلًا فرماه أحدهم بسهم، وقال: خذه وأنا غلام أبي العشائر، فقال أبو الطيب:[٥٠]

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِي إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ[٥١]
فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ[٥٢]
وَكُلُّ وِدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى دَوَامَ وِدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ[٥٣]
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ[٥٤]
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ[٥٥]

وقال في عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله:

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا[٥٦]
لَا يَرْحَمُ اللهُ أَرْؤُسًا لَهُمْ أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا[٥٧]
مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ الْمِئُونَ آلَافَا[٥٨]
يَا شَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَمٍ وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا[٥٩]

قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِي   مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا[٦٠]
وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ   وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا[٦١]
لَا يُذْكَرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلا   تُتْبِعُكَ الْمُقْلَتَانِ تَوْكَافَا[٦٢]
إِذَا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَدْرَتِهِ   أَوْرَدْتُهُ الْغَايَةَ الَّتِي خَافَا[٦٣]

هوامش

(١) الطفيف: القليل الحقير، من قولهم: طف له الشيء، وأطف، واستطف: إذا أمكن، فالطفيف: الممكن غير المتعذر. يقول: إن عطاياك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نزرًا قليلًا، ولو كان في الخيل التي تهبها ألوف من الجياد.

(٢) المطهم: التام الجمال. يقول: إن من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها، وتلك اللفظة هي لفظة المطهم. يعني أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهبه إليَّ، والذي أختاره هو المطهم، وهو المعروف عند أهله؛ أي إنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالي من العيوب. والإشارة بقوله: وذاك، إلى الوصف؛ لأن المطهم وصف.

(٣) يقول: إنك سألتني الوصف، فذكرت وصفًا واحدًا امتثالًا لأمرك، فأما الذي عندي فهو أنَّا لا اختيار لنا عليك فيما تهب؛ لأن ما تمنحه جليل شريف؛ لأنك جليل شريف.

(٤) كان أبو دلف هذا سجان الوالي الذي اعتقله وكان صديقًا له من قبل. قال صاحب «الصبح المنبي»: لما اشتهر أمر المتنبي، وشاع ذكره، وخرج بأرض سلمية — من عمل حمص في بني عدي — قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها: «كوتكين» وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف، فقال المتنبي:

زَعَمَ الْمُقِيمُ بِكُوتَكِينَ بِأَنَّهُ   مِنْ آلِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ
فَأَجَبْتُهُ مُذْ صِرْتَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ   صَارَتْ قُيُودُهُمُ مِنَ الصَّفْصَافِ

ولما طال اعتقاله في الحبس كتب إلى الوالي:

بِـيَـدِي أَيُّـهَـا الْأَمِـيـرُ الْأَرِيـبُ   لَا لِـشَـيْءٍ إِلَّا لِأَنِّـي غَـرِيـبُ
أَوْ لِأُمٍّ لَـهَـا إِذَا ذَكَـرَتْـنِـي   دَمُ قَلْبٍ بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ
إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتُكَ أَخْطَأْ   تُ فَإِنِّي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ
عَـائِبٌ عَـابَنِـي لَدَيْكَ وَمِنْـهُ   خُلِقَتْ فِي ذَوِي الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ

وهاتان القطعتان ليستا في الديوان وتجدهما في التذييل.

(٥) أهون بكذا: أي ما أهونه، صيغة تعجب. والثواء: الإقامة؛ يريد مقامه في السجن. يقول: ما أهون عليَّ هذه الأشياء! أي إني وطنت نفسي عليها، ومن وطن نفسه على شيء هان عليه — وإن اشتد — كما قال كُثَيِّر:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ   إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

ولأنه شجاع قوي القلب صبور لا يهوله ذلك.

(٦) غير اختيار: حال. والمصدر: في تأويل اسم الفاعل. والبر: الإحسان؛ يعني به الهدية. وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو في السجن وأهدى إليه هدية.

يقول: قبلت برك بي اضطرارًا — لا اختيارًا — لاحتياجي إليه، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لحمًا. وفي مثل هذا يقول المهلبي الوزير:

مَا كُنْتَ إِلَّا كَلَحْمِ مَيْتٍ   دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ

ومثله لأبي على البصير:

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا انْتَسَبَ الْمُعَلَّى   إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ   وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الْهَشِيمُ

ومثله قول الآخر:

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزِّيَارَةِ إِنَّنِي   أَزُورُكُمُ إِذْ لَا أَرَى مُتَعَلَّلَا

ومثله:

خُذْ مَا أَتَاكَ مِنَ اللِّئَا ... مِ إِذَا نَأَى أَهْلُ الْكَرَمْ
فَالْأُسْدُ تَفْتَرِسُ الْكِلَا ... بَ إِذَا تَعَذَّرَتِ الْغَنَمْ

(٧) المعترف: الصابر على ما يصيبه. ووطن نفسه: مهدها وذللها. يقول — للسجن: كن كيف شئت من الشدة، فإني صابر عليك.

(٨) السكنى: اسم بمعنى السكون. يقول: لو كان نزولي فيك يلحق بي نقصًا لما كان الدر على شرف قدره ساكنًا في الصدف الذي لا قدر له؛ شبه نفسه في السجن بالدر في الصدف. قالوا: وهو من قول أبي هفان.

تَعَجَّبَتْ دُرُّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا: ... لَا تَعْجَبِي فَطُلُوعُ الْبَدْرِ فِي السُّدَفِ
وَزَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ ... وَمَا دَرَتْ دُرُّ أَنَّ الدُّرَّ فِي الصَّدَفِ

(٩) لجنية: أراد ألجنية؟ فحذف همزة الاستفهام. وقد جاء مثله في الشعر، أنشد سيبويه للأسود بن يعفر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا ... شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مِنْقَرِ؟

(يقول: ما أدري أشعيث من بني سهم أم هم من بني منقر؟ وشعيث حي من تميم ثم من بني منقر، فجعلهم أدعياء، وشك في كونهم منهم أو من بني سهم، وسهم هنا حي من قيس. قال الشنتمري: ويروى شعيب — بالباء — وهو تصحيف.)

ولعمر بن أبي ربيعة:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا ... بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ؟

(يقول: ألهاني النظر إليهن واشتغال البال بهن عن تحصيل رميهن الجمار بـ «منى» وعلم عدد المرات: أهي سبع أم ثمانٍ؟)

والغادة والغيداء: المرأة الناعمة. والسجف: جانب الستر إذا كان بنصفين. وقوله: لوحشية: يجوز أن يكون استفهامًا — كالأول — ويجوز أن يكون جوابًا لنفسه، كأنه قال: ليس لجنية ولا لغادة، بل هو لوحشية؛ أي لظبية وحشية. ثم رجع منكرًا على نفسه فقال: ما لوحشية شنف، والشنف: ما يعلق في أعلى الأذن. يعني أن السجف الذي رفع

إنما رفع لإنسية؛ لأن عليها شنوفًا، والوحشية لا شنف لها؛ يتعجب من محاسن المحبوبة يقول: هذه التي رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء؟ والعرب إذا بالغت في مدح شيء جعلته من الجن، كما قال قائلهم:

جِنِّيَّةٌ أَوْ لَـهَـا جِنٌّ يُـعَـلِّـمُـهَـا رَمْيَ الْقُلُوبِ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرُ

(١٠) السوالف: جمع سالفة؛ صفحة العنق. وعرتها: أصابتها. والمراد بالحلي هنا: عقدها. يقول: هي نفور طبعًا وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان؛ نفرة أصلية، ونفرة من رؤية الرحال فتجاذبت سوالفها والحلي. يعني أن العقد الذي كانت تتحلى به جذب عنقها بثقله، والعنق أمسكه، فحصل التجاذب، وردفها يجذب خصرها لعظم الردف ودقة الخصر. هذا، والحَلْيُ: مفرد حِليٍّ وحُلِيٍّ.

(١١) المرط: كساء من صوف أو خز. وخيل منها مرطها: أي مُثِّلَها — من قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ أي يرون ذلك كالخيال. فالجار من قوله «منها»: زائد، كما في قولهم: جاء يهز من عطفيه. والخوط: الغصن. والخشف: ولد الظبية. يقول. إن مرطها — ثوبها — أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة، فإذا هي كغصن بان يتثنى، وظبي يرنو — ينظر — وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ. وروى ابن جني: وخبل — بالباء الموحدة — والمخبل: الذي قطعت يداه، هذا أصله. والمراد أن مرطها ستر محاسنها، فكأن ذلك خبل منه لها. قالوا: وهو ينظر إلى قول ابن الرومي:

إِنْ أَقْبَلَتْ فَالْبَدْرُ لَاحَ وَإِنْ مَشَتْ فَالْغُصْنُ مَالَ وَإِنْ رَنَتْ فَالرِّيمُ

(١٢) يقول: حالي — أو شأني — زيادة شيب، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتي؛ أي نقص ما ازددت من الشباب، وقوة عشق، وهذه القوة ضعف؛ أي كلما قوي العشق ضعفت قوة البدن، كما قال القائل:

وَأُسَرُّ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ وَزِيَادَتِي فِيهَا هُوَ النَّقْصُ

وكما قال المتنبي — وقد تقدم:

مَتَى مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي ازْدِيَادِي

(١٣) هراقت: أراقت، والهاء: بدل من الهمزة. والحلف: الملازم. يقول: أراقت دمي بحبها تلك التي أجد بها من الحب ما تجد بي والشوق لي ولها ملازم؛ أي إني أحبها كما تحبني، وأشتاق إليها كما تشتاق لي. قال ابن جني: لو أمكنه أن يقول: بي من الوجد بها ما بها من الوجد بي لكان أشد اعتدالًا، لكنه — للوزن — حذف بعضه للعلم. كما قال أبو تمام:

وَإِذَا تَـأَمَّـلْـتَ الْـبِـلَادَ رَأَيْـتَـهَـا تُثْرِي كَمَا تُثْرِي الرِّجَالُ وَتَعْدِمُ

أراد كما يعدمون، فحذف.

(١٤) الوحف: الكثير الملتف. يقول: إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها في سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب، وهذا ينظر إلى قول القائل:

رَأَتْ عَيْنَ الرَّقِيبِ عَلَى تَدَانٍ فَأَسْبَلَتِ الظَّلَامَ عَلَى الضِّيَاءِ

(١٥) الحقف: ما اعوج من الرمل. وأراد بالرمانتين: ثدييها، وبالغصن: قدها، وبالبدر: وجهها، وبالحقف: ردفها. يعني: إنها قامت عند الوداع بحذائي فقابلني من ثدييها رمانتان على قدٍّ كالغصن يميله وجه كالبدر. والمعنى أنها إذا قصدت شيئًا بوجهها مالت إليه نحو الوجه، فكأن وجهها يميل قامتها، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة، فلا تقدر على سرعة الحركة.

(١٦) أكيدًا: أي أتكيد كيدًا؟ فهو منصوب على المصدر. يقول: أتكيد لنا أيها البين — البعد — فتواصل وصلنا؛ أي تلازمه؟ أي كلما تواصلنا تعرض لنا فتفرقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش؟ ومثله للبحتري:

فَوَا أَسَـفَـى لَـوْ قَـاتَـلَ الْأَسَـفُ الْـجَـوَى وَلَهْفِي لَوَ انَّ اللَّهْفَ مِنْ ظَالِمِي يُجْدِي!

(١٧) ويل: كلمة يقولها كل واقع في هلكة. واللهف: التحسر على ما فات. والغلة: العطش وحرارة الجوف. يقول: إني أكثر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدي إياها، وهذا على حكاية ما كان يقول.

(١٨) ضنًى: مبتدأ محذوف الخبر؛ أي بي ضنى، وهو شبه الهزال من المرض. وكامنًا: حال من السم. وجهلًا: مفعول له. والحتف: الموت. يقول: بي ضنًى مستتر كما يكمن السم في الشهد — العسل — إذا مزج به، وقد استلذذت الهوى جهلًا بذلك الضنى وحتفي في تلك اللذة.

(١٩) فأفنى: أي الضنى. والكهف هنا: الملجأ، ففاعل أفنى: ضمير الضنى. وفي الكلام تنازع: لك أن تجعل نفسي فاعل أفنت، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفًا لتأخر مرجعه لفظًا ونية؛ أي فأفناها، وما أفنته نفسي. ولك أن تجعلها مفعول أفنى، فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترًا. وكهف: خبر عن «أبو الفرج». وله: حال مقدمة عن كهف. والضمير: للضنى. ودونها: صلة كهف. يقول: فأفنى الضنى نفسي وما أفنيته، كأن الممدوح كهف له دون نفسي فليست تقدر على إفنائه. وهذا من حسن التخلص.

(٢٠) الكرى: النوم. والبيض الأولى بكسر الباء: السيوف. والثانية بفتح الباء: جمع بيضة؛ الخوذة من حديد. والقنا: الرماح. والزعف: جمع زعفة، الدرع اللينة. يقول: هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله من المجد والعلاء، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه في النفاذ لما أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيئًا. وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام:

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ عَقْدَهُ   شَـزْرًا وَثُـقِّفَ عَزْمُـهُ تَـثْـقِـيـفَـا
وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعَلَ الَّتِي   لَـوْ أَنَّـهُـنَّ طُـبِـعْـنَ كُنَّ سُـيُـوفَـا

(٢١) يقال: قطب وجهه: إذا جمع ما بين عينيه عبوسًا. يقول: هو مهيب إذا عبس رَوَّع الناس غضبه فلجئوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال، فهو لبلاغته يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة. وفي مثل هذا يقول البحتري:

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخَطْبِ اعْتَلَى   فَـصَـلَ الْـقَـضِـيَّـةَ فِـي ثَـلَاثَـةِ أَحْـرُفِ

(٢٢) يقول: ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعطِ لاشتاقت يده إلى الإعطاء كما يحن الإلف إلى الإلف إذا فارقه. وفي مثله يقول أبو تمام:

وَاجِدٌ بِالْعَطَاءِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْ قِ وِجْدَانَ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ

ويقول غيره:

يَحِنُّ إِلَى الْمَعْرُوفِ حَتَّى يُنِيلَهُ كَمَا حَنَّ إِلْفٌ مُسْتَهَامٌ إِلَى إِلْفِ

(٢٣) رست: ثبتت. والقف: الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلًا، واستعار لعلمه اسم الجبال؛ لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وشدة رسوخه ومتانته، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض؛ لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضَّلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف، يعني أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره.

(٢٤) الجواد: الكريم المعطاء. وسمت: علت وارتفعت. وأود الدهر: حمله على أن يود ويتمنى. والدهر: وعاء الخير والشر، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه. يقول: إن لكفه الذكر العالي في كل خير لأوليائه وشر لأعدائه؛ لأنهما يصدران منه، حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفًّا ليشارك كفه — الذي هو مجمع الخير والشر — في الاسم، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر؛ لأن كفه أغلب فيهما من الدهر.

(٢٥) أضحى هنا: تامة. والخلف: الاختلاف. وخلف: مبتدأ، خبره: بين الناس، والجملة: حال. يقول: أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان، أما سيادة غيره ففيها اختلاف.

(٢٦) تقفو: تتبع. يقول: من حب النفس إياه يقولون له: نفديك بأنفسنا، فكأن هواه جرى أولًا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم؛ أي إن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم. قالوا: إنه ينظر إلى قول أبي تمام:

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُؤْدُدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الْمِلَّةِ اثْنَانِ

وقول البحتري:

وَأَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى فَضْـ ـلِكَ مَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمُسَوَّدِ

(٢٧) وقوفين: نصب على الحال منه ومن الناس، والعامل فيه يفدونه، كما تقول: رأيتك راكبين؛ أي أنا راكب وأنت راكب. وأراد بالوقوف: الواقف؛ مصدر يوصف به الواحد والجمع. والوقف: ما حبس على جهة مخصوصة. وشكر: بدل تفصيل من وقفين. ونائل: عطف عليه، والنائل: العطاء. يقول: إن الناس والممدوح فريقان واقفان في شيئين وقفين — محبوسين — أحدهما على الناس منه وهو العطاء، والثاني على الممدوح من الناس وهو الثناء. يعني أنه أبدًا يعطي والناس أبدًا يشكرونه، وفي مثل هذا يقول البحتري:

أَعِيَالٌ لَهُمْ بَنُو الْأَرْضِ أَمْ مَا لُهُمْ رَاتِبٌ عَلَى النَّاسِ وَقْفُ؟

ويقول ابن الرومي:

أَمْوَالُهُ وَقْفٌ عَلَى تَنْقِيلِنَا وَثَنَاؤُنَا وَقْفٌ عَلَى تَحْقِيقِهِ

[تنقيلنا: إصلاحنا، من نقل الخف أو النعل: رقعه وأصلحه.]

(٢٨) كشفنا: بحثنا. والضمير في عليه للمثل. يقول: لما لم نجد مثله في المجد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد: أي لم نجد أحدًا، وانكشف: افتضح أو زال وبطل الكشف أي البحث؛ لأنا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظير.

(٢٩) يقول: حارت الأوهام في عظم شأنه، والطرف — النظر — في حسنه وجماله، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف؛ أي إنه بلغ الغاية في العظمة والحسن.

(٣٠) الوفر: المال. والعرف: الجود واصطناع المعروف. يقول: إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيهم نقصًا وهزالًا كما نال عطاؤه من ماله ونقصه، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا. ومثله لديك الجن:

فَعَلَتْ مُقْلَتَاك بِالصَّبِّ مَا تَفْـ ـعَلُ جَدْوَى الْأَمِيرِ بِالْأَمْوَالِ

(٣١) يقول: إذا فكر فإنما يفكر في العلم، وإذا نطق نطق بالحكمة، وباطنه ينطوي على الدين ويظهر للناس الظَّرْفَ والكِياسة ومحاسن الأخلاق. قال الخريمي:

فَتًى جَهْرُهُ ظَرْفٌ وَبَاطِنُهُ تُقًى ‏ ‏ ‏ ‏ تَزَيَّنَ مَا يُخْفِي بِصَالِحِ مَا يُبْدِي

قال ابن جني: هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل، وعروض الطويل أبدًا تجيء مقبوضة على مفاعلن، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أو فعولن فيتبع العروض الضرب، وليس هذا البيت مصرعًا، وقد جاء عروضه على مفاعيلن، وهو تخليط منه. وأقرب ما يصرف إليه أن يقال: إنه رد مفاعل إلى أصلها، وهي مفاعيلن لضرورة الشعر، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف ما لا ينصرف وإجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر الممدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها. قال الواحدي: ولو هو قال: ومنطقه هدى أو تقى، لصح الوزن.

(٣٢) اللؤم: ضد الكرم؛ أي الخسة. والمغنى: المنزل. ويودي: يهلك. والرسم: أثر الديار. ويعفو: ينمحي. والواو — في قوله: ومغنى العلا — واو الحال. ولما استعار للُّؤم رياحًا استعار للعلا مغنى وللندى رسمًا. إذ إن الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغاني. يقول: سَكَّن الممدوحُ رياحَ اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلا ورسم الندى وقد كادت تعفوهما وتذهب بهما. أي إن اللؤم كاد يغلب العلا والجود أذهب بكرمه قوة اللؤم.

(٣٣) هطلت السماء. اشتد انصباب مائها. والوطف: جمع الوطفاء؛ وهي السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها. والديم: جمع الديمة؛ وهي المطر يدوم أيامًا. يقول: لم يُرَ قبل هذا الممدوح أحد إذا أعطى استحيت السحب وخجلت من عطائه.

وفي هذا يقول أبو نواس:

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا

(٣٤) قلة المجد: أعلاه، يقول: إن الممدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام في قلة المجد ما لا يدركه الوصف، وقد انفرد بذلك دون غيره.

(٣٥) العبء: الحمل الثقيل، وحمله: مفعول مطلق. والطرف: الفرس الكريم. يقول: إنه يحمل من أثقال المهمات ما لا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة، وهو مع ذلك يحمله طرف؛ وذلك لعظمة نفسه، وبعد مرتقى همته وقوة نجدته، إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم.

(٣٦) جعله كالبحر المحيط بالدنيا في كثرة عطاياه وغزارة نداه. يقول: لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يقله ومن فوقه سقف يظله.

(٣٧) الضمير من «فيه» للنعت. والقراطيس: جمع قرطاس؛ الورق. والصحف: جمع الصحيفة؛ الكتاب. يقول: أعجب من نفسي كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيري حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوفِ حقه؟ وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام:

تَـرَكْـتَـهُـمْ سِـيَـرًا لَـوْ أَنَّـهَـا كُـتِـبَـتْ لَمْ تُبْقِ فِي الْأَرْضِ قِرْطَاسًا وَلَا قَلَمَا

(٣٨) يقول: إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها؛ ولذلك تتجدد، يمر صنف منها ويأتي غيره، وهكذا حتى لا آخر لها. ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه: أي لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتي صنف يقصدونه، وقوله: له؛ أي لأجله.

(٣٩) وتفتر: أي الأخبار؛ أي تسفر وتنجلي، وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان. والثنايا: الأسنان في مقدم الفم. والرشف: المص. شبه خصاله — في حسنها وحلاوتها — بثنايا حبيب لا يمل مص ريقها.

(٤٠) يقول: إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير، ولكني آثرتك عليهم؛ لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب، وفيه نظر إلى قول الحطيئة:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

وقد كان الحطيئة مدح بهذا قومًا كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه، فلما قال فيهم هذا فخروا بلقبهم.

(٤١) نفوعان: أي هما نفوعان. والبيضاء: من النعت المراد به التأكيد كما في أمس الدابر. والتبر: الذهب. والمكدي: الفقير الذي لا خير عنده. والصرف: الفضل. تقول: له عليَّ صرف؛ أي فضل. والمراد: بينهما تفاوت. يقول: ليس الذهب والفضة سواء وإن اجتمعا في المنفعة، وكذلك الفرق بينك وبينهم. ومثل هذا لابن الرومي:

وَجَدْتُكُمُ مِثْلَ الدَّنَانِيرِ فِيهِمُ وَسَائِرَ هَذَا الْخَلْقِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

(٤٢) الدون: الخسيس. وقوله: خلفه خلف، فخلفه: خبر مقدم، منصوب على الظرفية. وخلف: مرفوع بالابتداء. يقول: لست خسيسًا فيرتجى الغيث دونك ولا ترتجى أنت؛ أي أنت والغيث سواء في رجاء الخير، وليس وراءك للجود منتهى، يعني أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك، أي أنك الغاية القصوى للجود التي من بلغ إليها لم يبقَ له مذهب وراءها، كما قال بعضهم:

مَا قَصَّرَ الْجُودُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَطَرٍ وَلَا تَـجَـاوَزَكُـمْ يَـا آلَ مَـسْـعُـودِ
يَـحُـلَّ حَـيْـثُ حَـلَـلْـتُـمْ لَا يُـفَـارِقُـكُـمْ مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ الْبِيضِ وَالسُّودِ

وقال أشجع السلمي:

فَمَا خَلْفَهُ لِامْرِئٍ مَطْمَعٌ وَلَا دُونَهُ لِامْرِئٍ مَقْنَعُ

وقال أبو تمام:

إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ يَصِيرُ فَمَا يَعْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ

وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة، ورفع خلف لأنه جعله اسمًا لا ظرفًا.

(٤٣) ولا واحدًا: عطف على خبر ليس — في البيت السابق — يقول: ولست واحدًا من جماعة الناس ولا بعضًا من كلهم، ولكنك ضعف جميعهم؛ أي أنت تغني غناءهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشيء على الشيء.

(٤٤) يقول: ولست أيضًا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف، ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفًا؛ أي تكون ألف ضعف من هذا الضعف. والمعنى أنك فوق الورى بكثير، ونصب مثله لأنه نعت نكرة — وهو ألف — قدم عليها، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال، كما قال القائل:

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ

(عجزه:

يَلُوحُ كَأَنَّهُ خللُ

وهو لذي الرمة. والخلل — بالكسر — جمع خلة. قال الجوهري: الخلة: واحدة خلل السيوف؛ وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب.)

وألف: خبر مبتدأ محذوف؛ أي بل أنت ألف مثله. وفي هذا البيت من الغثاثة والتكلف والغلو ما ترى.

(٤٥) يقول: أنت أهل لما أثنيت به عليك، ثم قال: غلطت — ليس هذا ثلثي ما أنت أهله ولا نصفه، ولا الثلثان: عطف على محذوف، دل عليه ما تقدم؛ أي لا الذي أنت أهله هذا ولا الثلثان منه. والهمزة في أقاضينا: للنداء.

(٤٦) يقول: إن تقصيري في مدحك ذنب لي والذنب لا يمدح به، فأنا لم أجئ مادحًا، ولكن جئت سائلًا العفو عن هذا الذنب، قال:

وَعِنْدِي أَيَادٍ جَمَّةٌ لَمْ أَجِدْ لَهَا بِإِحْصَائِهَا عِنْدِي لِسَانًا مُعَبِّرَا
وَلَكِنَّ جُهْدِي أَنْ أَقُولَ وَمَا عَسَى لِذِي الْجُهْدِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فَيُعْذَرَا

ولأبي تمام:

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَحِي سِوَاكَ بِآمَالِي فَجِئْتُكَ تَائِبَا

(٤٧) الجوشن: الدرع.

(٤٨) يقول: إن لابس هذا الجوشن — الدرع — يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمنًا على نفسه لحصانته، ولا تعمل الحتوف — المنايا — فيمن لبسه.

(٤٩) لقًي: أي ملقيًا. يقول: ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرماح والسيوف لمكانه من الشجاعة ولا يحتاج إلى الدروع. وفي مثله يقول الآخر:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا حُصُونَ بِأَرْضِنَا نَلُوذُ بِهَا إِلَّا الْقَنَا وَالْقَوَاضِبُ

(٥٠) وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده،

فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها:

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ　　　وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ

وفيها يعرض ببني حمدان أبناء عم سيف الدولة، وكان ذلك بمحضر من أبي العشائر. فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليوقعوا به، وقد تقدم ذلك في موضعه.

(٥١) إلى من أحبه: يعني أبا العشائر. يقول: هو منتسب إلى من أحبه، ولكنه مع ذلك أراد قتلي، فللنبل حوالي من يديه صوت يحف بي.

(٥٢) «من» الأولى: زائدة. والثانية: للتعليل، متعلقة بحننت. يقول: لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه، وما كان شوقي إليه في هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع؛ لأن الكريم طبعه الألفة.

(٥٣) على: بمعنى مع. ودوام: نصب على المصدر. وللحسين: متعلق بودادي. وضعيف: خبر كل. يقول: إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين — أبي العشائر — هو وداد ضعيف.

(٥٤) واحدًا: خبر يكن. يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعفي الكثير ولا يغلبه؛ يقول: إن ساءني بفعل واحد فقد سرني بأفعال كثيرة. وفيه نظر إلى قول الآخر:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ　　　بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَائِيَا

(٥٥) نفسي له: أي أنا مملوك له إذ أسرني بإحسانه، لكنه مالك عنيف لا يرفق بي، كما قال الآخر:

أُرِيدُ حبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي

وقوله: نفسي الفداء لنفسه: دعاء؛ أي أفديه بنفسي.

(٥٦) يعني بالغادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله. يقول: أعددت لهم سيوفًا أجدع — أقطع — بها أنوفهم، يعني أذلهم بها وأنكل.

(٥٧) الهام: جمع هامة، أعلى الرأس. والأقحاف: جمع قحف — بكسر القاف — العظم الذي فوق الدماغ. يقول: لا رحم الله رءوسهم التي أطارت السيوف قحوفها عن هامها، فضمير «أطرن» للسيوف.

(٥٨) يقول: ما ينقم السيف — أي ما ينكر ويعيب ويكره — إلا قلة عددهم أي أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتي عليهم ويقتلهم جميعًا، وأن تكون المئون منهم آلافًا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء في الدنيا. فقوله: وأن تكون أي وأن لا تكون، فحذف «لا» وهو يريدها.

(٥٩) فجعه: أوجعه بشيء يكرم عليه. والخامعات: الضباع؛ لأنها تخمع في مشيها — أي تمشي مشي الأعرج. يقول — لمن قتل من عبيده: يا شر لحم أسلمت دمه ففجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها.

(٦٠) كأن هذا العبد سأل عائفًا عن حال المتنبي فذكر له من حاله ما زين له الغدر به. وقوله: سؤالك بي أي عني، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾. وزجر الطير وعيافتها ضرب من التكهن كانت العرب تذهب إليه، فكانت تنفر الطير، فإن نفر عن يمين تفاءلت، أو عن شمال تشاءمت. يقول — للعبد الذي قتله: لقد كنت في غنًى عن أعمال الزجر والعيافة في إقدامك عليَّ وتعرضك للغدر بي.

(٦١) يقول: وعدت هذا السيف — يعني سيفه — أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه، ولما اعترضت لسيفي بالغدر بي وأخذ خيلي خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف؛ أي أن لا أفي بوعدي إياه. فذا: اسم إشارة. ومن: مفعول ثانٍ لوعدت. وتعرضه: أي تعرض له. والإخلاف: ترك الوفاء بالوعد، وهو مفعول خفت.

(٦٢) التوكاف: تفعال من الوكف، وهو قطران الماء — جريانه — يقول: لم يكن فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين.

(٦٣) يقول: إذا راعني — خوفني — امرؤ بغدرته كافأته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء.

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية:

أَيَـدْرِي الـرَّبْـعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَـا؟ وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا؟١
لَـنَـا وَلِأَهْـلِـهِ أَبَـدًا قُـلُـوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى٢
وَمَا عَـفَـتِ الـرِّيَاحُ لَـهُ مَـحَـلًّا عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا٣
فَلَيْتَ هَوَى الْأَحِبَّةِ كَانَ عَدْلًا فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا٤
نَظَرْتُ إِلَيْهِمُ وَالْعَيْنُ شَكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا٥
وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقَا٦
وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلَا أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا٧
وَطَرْفٌ إِنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْسًا بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا٨
وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا٩
سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَيْفِي وَرُمْحِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا١٠
تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْدًا وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا١١
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ ائْتِلَاقَا١٢
أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا١٣
أَبَاحَكِ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادِي فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا؟١٤
وَلَوْ تَبَّعْتِ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا١٥
وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا١٦
إِمَامٌ لِلْأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا١٧

يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا   وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا[١٨]
فَلَا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَامًا   إِذَا فَهِقَ الْمَكَرُّ دَمًا وَضَاقَا[١٩]
فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعَوَالِي   وَحَمَّلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا[٢٠]
إِذَا أُنْعِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ   وَإِنْ بَعُدُوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا[٢١]
وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ   نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا[٢٢]
فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا   وَكَانَ اللُّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوَاقَا[٢٣]
مُلَاقِيَةً نَوَاصِيهَا الْمَنَايَا   مُعَوَّدَةً فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا[٢٤]
تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الْهَوَادِي   وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا[٢٥]
تَمِيلُ كَأَنَّ فِي الْأَبْطَالِ خَمْرًا   عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحًا وَاغْتِبَاقَا[٢٦]
تَعَجَّبَتِ الْمُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا   فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا[٢٧]
أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا   فَلَمَّا فَاقَتِ الْأَمْطَارَ فَاقَا[٢٨]
وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ   وَوَفَّيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا[٢٩]
وَحَاشَا لِارْتِيَاحِكَ أَنْ يُبَارَى   وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى[٣٠]
وَلَكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْمًا   تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا[٣١]
فَتًى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ   وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوَثَاقَا[٣٢]
وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْوًا   وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ اسْتِرَاقَا[٣٣]
فَأَبْلِغْ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي   كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لِحَاقَا[٣٤]
وَهَلْ تُغْنِي الرَّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ   إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبًا رِقَاقَا؟[٣٥]
إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ   فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ وَذَاقَا[٣٦]
فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إِلَّا خِدَاعًا   وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقَا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ   وَعَمَّا لَمْ تُلِقْهُ مَا أَلَاقَا[٣٧]
وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلَّاقِ قُلْنَا: أَعَمْدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا؟[٣٨]
فَلَا حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرْجًا   وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا[٣٩]

وقال يمدحه ويذكر الفداء الذي طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه:

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِي   وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِي[٤٠]
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ   وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ[٤١]

وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى   مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقْرِقِ[٤٢]
وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ   وَفِي الْهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي[٤٣]
وَغَضْبَى مِنَ الْإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَا   شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ[٤٤]
وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ   سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِي[٤٥]
وَأَجْيَادِ غِزْلَانٍ كَجِيدِكِ زُرْنَنِي   فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ[٤٦]
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا   عَفَافِي وَيُرْضِي الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي[٤٧]
سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصِّبَا مَا يَسُرُّهَا   وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعَتَّقِ[٤٨]
إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ   تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ[٤٩]
وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ   بَعَثْنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ[٥٠]
أَدَرْنَ عُيُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا   مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ[٥١]
عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبُكَا   وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ[٥٢]
نُوَدِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ   قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ[٥٣]
قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا   إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ[٥٤]
هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا   تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي[٥٥]
تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ   وَتَفْرِي إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ[٥٦]
يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ   وَيُرْكِزُهَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجِلِّقِ[٥٧]
وَيُرْجِعُهَا حُمْرًا كَأَنَّ صَحِيحَهَا   يُبَكِّي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ[٥٨]
فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ   شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ[٥٩]
ضَرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ   لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقَّقِ[٦٠]
كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً   كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفُلْكِ ارْفُقِ[٦١]
لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ   وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ[٦٢]
رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى   فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ[٦٣]
وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا   لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ[٦٤]
وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا   قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ[٦٥]
وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ   فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ[٦٦]
فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ   شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ[٦٧]
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى   إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي؟![٦٨]

وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ　　بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمَّقِ[٦٩]
وَكُنْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ　　كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ[٧٠]
فَإِنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ　　وَإِنْ تُعْطِهِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلِقِ![٧١]
وَهَلْ تَرَكَ الْبِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ　　أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ[٧٢]
لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا　　وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ[٧٣]
بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً　　أَثَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ[٧٤]
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ　　أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ: الْحَقِ[٧٥]
وَمَا كَمَدُ الْحُسَّادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ　　وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ[٧٦]
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ　　وَيُغْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ[٧٧]
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ　　إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ[٧٨]
فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِرْهُ تَمْتَنِعْ　　وَيَا أَيُّهَا الْمَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ[٧٩]
وَيَا أَجْبَنَ الْفُرْسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ　　وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ[٨٠]
إِذَا سَعَتِ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ　　سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعْيَ مُحْنَقِ[٨١]
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا　　إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ؟[٨٢]

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه ببني عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما عاثوا في نواحي أعماله، وقصدَه إياهم، وإهلاكَ من أهلكه منهم، وعفوه عمن عفا بعد تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤:

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ　　مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ[٨٣]
وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ　　بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِي الْمَفَارِقِ[٨٤]
وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ　　كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ[٨٥]
بِلَادٌ إِذَا زَارَ الْحِسَانَ بِغَيْرِهَا　　حَصَا تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ[٨٦]
سَقَتْنِي بِهَا الْقُطْرُبُّلِيَّ مَلِيحَةٌ　　عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ[٨٧]
سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ　　وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ[٨٨]
وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ　　عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقِ[٨٩]
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ　　بَلَا كُلَّ سَمْعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَائِقِ[٩٠]
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ　　وَصُدْغَاهُ فِي خَدَّيْ غُلَامٍ مُرَاهِقِ[٩١]

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ[٩٢]
وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ   وَلَا أَهْلُهُ الْأَدْنَوْنَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ[٩٣]
وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى   وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ[٩٤]
بِرَأْيِ مَنِ انْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى   وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ؟[٩٥]
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى   وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ[٩٦]
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ   وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ[٩٧]
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ   وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَاحِقِ[٩٨]
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَغَوْا بِهَا   رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ[٩٩]
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ   سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ[١٠٠]
وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ   كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ[١٠١]
أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا   سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ[١٠٢]
عَوَابِسَ حَلَّى يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا   فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ[١٠٣]
فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ   طِوَالَ الْعَوَالِي فِي طِوَالِ السَّمَالِقِ[١٠٤]
وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا   قَبَائِلَ لَا تُعْطِي الْقُفِيَّ لِسَائِقِ[١٠٥]
قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلَانِ فِيهَا خَفِيَّةٌ   كَرَاءَيْنِ فِي أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ[١٠٦]
تُخَلِّيهِمِ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ   وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ[١٠٧]
يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا   بِضَرْبٍ يُسَلِّي حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ[١٠٨]
أَتَى الظُّعْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ   مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ[١٠٩]
بِكُلِّ فَلَاةٍ تُنْكِرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا   ظَعَائِنُ حُمْرُ الْحَلْيِ حُمْرُ الْأَيَانِقِ[١١٠]
وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ   يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ[١١١]
بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ   قَرِيبَةُ بَيْنِ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ[١١٢]
نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ   فَمَا تَبْتَغِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ[١١٣]
تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ   تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ[١١٤]
فَذَكَّرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةَ غَبَّرَتْ   سَمَاوَةُ كَلْبٍ فِي أُنُوفِ الْحَزَائِقِ[١١٥]
وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا   وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبْتَ الْغَلَافِقِ[١١٦]
فَهَاجُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ   وَأَبْدَى بُيُوتًا مِنْ أَدَاحِي النَّقَانِقِ[١١٧]
وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ   وَآلَفَ مِنْهَا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ[١١٨]

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا ... مُهَلَّبَةَ الْأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ[١١٩]
فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً ... وَلَكِنْ كَفَاهَا الْبَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ[١٢٠]
وَلَا شَغَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ ... عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ[١٢١]
أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا ... وَيَجْعَلُ أَيْدِي الْأُسْدِ أَيْدِي الْخَرَانِقِ[١٢٢]
وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا ... أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ[١٢٣]
تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ ... إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ[١٢٤]
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا ... مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ[١٢٥]
لَوَفْدُ نُمَيْرٍ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ ... وَقَدْ طَرَدُوا الْأَظْعَانَ طَرْدَ الْوَسَائِقِ[١٢٦]
أَعَدُّوا رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا ... بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ[١٢٧]
فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُخَاتِلٍ ... وَأَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقِ[١٢٨]
تُصِيبُ الْمَجَانِيقُ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ ... دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ الْبَنَادِقِ[١٢٩]

وقال في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضي الأزدي:

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِيَ يَأْرَقُ ... وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ[١٣٠]
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أُرَى ... عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ[١٣١]
مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ ... إِلَّا انْثَنَيْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيِّقُ[١٣٢]
جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي ... نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ[١٣٣]
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ ... فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ؟![١٣٤]
وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنَّنِي ... عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا[١٣٥]
أَبَنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ ... أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ[١٣٦]
نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا[١٣٧]
أَيْنَ الْأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأُلَى ... كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا[١٣٨]
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ ... حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ[١٣٩]
خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا ... أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقُ[١٤٠]
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسٌ ... وَالْمُسْتَغِرُّ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ[١٤١]
وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ... وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ[١٤٢]

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَّتِي مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ[١٤٣]
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِيَ أَشْرَقُ[١٤٤]
أَمَّا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الْأَيْنُقُ[١٤٥]
كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ[١٤٦]
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ[١٤٧]
وَتَفُوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ لَهُمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ[١٤٨]
مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لَا تَعْبَقُ[١٤٩]
أَمُرِيدَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا لَا تَبْلُنَا بِطِلَابِ مَا لَا يُلْحَقُ[١٥٠]
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ[١٥١]
يَا ذَا الَّذِي يَهَبُ الْجَزِيلَ وَعِنْدَهُ أَنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ[١٥٢]
أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرَقُ[١٥٣]
كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ[١٥٤]

وقال في صباه ارتجالًا:

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي؟ أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي؟[١٥٥]
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي[١٥٦]

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي:

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزَائِقُ وَيَا قَلْبِ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ[١٥٧]
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنَا فَرِيقَيْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ[١٥٨]
وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكَا وَصَارَ بَهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ[١٥٩]
عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ؛ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ[١٦٠]
تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ[١٦١]
سَلِ الْبِيدَ: أَيْنَ الْجِنُّ مِنَّا بِجَوْزِهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي: أَيْنَ مِنْهَا النَّقَانِقُ؟[١٦٢]
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا مُحَيَّاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ[١٦٣]

فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ وَلَا جَابَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْأَيَانِقُ[١٦٤]
وَهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي مِنَ السُّكْرِ فِي الْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ[١٦٥]
شَدَوْا بِابْنِ إِسْحَقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيَهَا كِيرَانُهَا وَالنَّمَارِقُ[١٦٦]
بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الْأَرْضُ خَوْفًا إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ[١٦٧]
فَتًى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى يُرَجَّى الْحَيَا مِنْهَا وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ[١٦٨]
وَلَكِنَّهَا تَمْضِي وَهَذَا مُخَيِّمٌ وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرَ صَادِقُ[١٦٩]
تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ[١٧٠]
غَذَا الْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَا فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ الْمَخَانِقُ[١٧١]
تُشَقَّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى وَالْمَفَارِقُ[١٧٢]
يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ[١٧٣]
يُحَاجَى بِهِ: مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ؟[١٧٤]
نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللهُ خَالِقُ[١٧٥]
كَأَنَّكَ فِي الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ[١٧٦]
أَلَا قَلَّمَا تبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ[١٧٧]
سَيُحْيِي بِكَ السُّمَّارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ وَيَحْدُو بِكَ السُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ[١٧٨]
خَفِ اللهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ[١٧٩]
فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ
وَلَا تَفْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ وَلَا تَرْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ[١٨٠]
لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ[١٨١]
هِيَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ الْمُنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ[١٨٢]

وعرض عليه بدر بن عمار الصحبة للشرب في غد فقال ارتجالًا:

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَّابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ[١٨٣]
تُسِيءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ[١٨٤]
وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُّهُ وَذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ[١٨٥]
وَقَدْ مُتُّ أَمْسِ بِهَا مَوْتَةً وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ[١٨٦]

وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار:

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ[١٨٧]
أَمَرْتَ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقَتْنَا وَمَا أَلِمَتْ لِحَادِثَةِ الْفِرَاقِ[١٨٨]
إِذَا هَجَرَتْ فَعَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ اشْتِيَاقِ

وعرض عليه محمد بن طغج الشرب فامتنع، فأقسم عليه بحقه فشرب، وقال:

سَقَانِي الْخَمْرَ قَوْلُكَ لِي: بِحَقِّي وَوُدٌّ لَمْ تَشُبْهُ لِي بِمَذْقِ[١٨٩]
يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِي[١٩٠]

وكان لأبي الطيب حِجْرة[١٩١] تسمى الجهامة، ولها مهر يسمى الطخرور، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكيَة وتعذر المرعى على المهر، فقال:

مَا لِلْمُرُوجِ الْخُضْرِ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ[١٩٢]
أَقَامَ فِيهَا الثَّلْجُ كَالْمُرَافِقِ يَعْقِدُ فَوْقَ السِّنِّ رِيقَ الْبَاصِقِ[١٩٣]
ثُمَّ مَضَى لَا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَائِقِ[١٩٤]
كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ يَأْكُلُ مِنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لَاصِقِ[١٩٥]
كَقَشْرِكَ الْحِبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ أَرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوذَانِقِ[١٩٦]
بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَافِقِ[١٩٧]
رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِي مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لَاحِقِ[١٩٨]
مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زَاهِقِ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ[١٩٩]
كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ[٢٠٠]
بَاقٍ عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالشَّقَائِقِ وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْهَجِيرِ الْمَاحِقِ[٢٠١]
لِلْفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنْهُ الْوَاثِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ[٢٠٢]
كَأَنَّهُ فِي رَيْدِ طَوْدٍ شَاهِقِ[٢٠٣] يَشْأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقِ[٢٠٤]
لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ مَجِيءَ السَّابِقِ
يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الْأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْحَلْيِ فِي الْمَنَاطِقِ[٢٠٥]
مَشْيًا وَإِنْ يَعْدُ فَكَالْخَنَادِقِ[٢٠٦]

لَـوْ أُورِدَتْ غِـبَّ سَـحَـابٍ صَـادِقِ لَأَحْـسَـبَـتْ خَـوَامِـسَ الْأَيَـانِـقِ[٢٠٧]
إِذَا الـلِّـجَـامُ جَـاءَهُ لِـطَـارِقِ شَحَا لَهُ شَحْوَ الْغُرَابِ النَّاغِقِ[٢٠٨]
كَأَنَّمَـا الْـجِـلْـدُ لِـعُـرْيِ النَّـاهِـقِ مُـنْـحَـدِرٌ عَـنْ سِـيَـتَـيْ جُـلَاهِـقِ[٢٠٩]
بَزَّ الْـمَذَاكِي وَهْوَ فِـي الْـعَـقَـائِـقِ وَزَادَ فِـي السَّـاقِ عَلَـى النَّقَـانِـقِ[٢١٠]
وَزَادَ فِـي الْـوَقْـعِ عَـلَـى الصَّـوَاعِـقِ وَزَادَ فِـي الْأُذْنِ عَـلَـى الْـخَـرَانِـقِ[٢١١]
وَزَادَ فِـي الْـحِـذْرِ عَـلَـى الْـعَـقَـاعِـقِ يُـمَـيِّـزُ الْـهَـزْلَ مِـنَ الْـحَـقَـائِـقِ[٢١٢]
وَيُـنْـذِرُ الـرَّكْـبَ بِـكُـلِّ سَـارِقِ يُرِيكَ خُرْقًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ[٢١٣]
يَـحُـكُّ أَنَّـى شَـاءَ حَـكَّ الْـبَـاشِـقِ قُـوبِـلَ مِـنْ آفِـقَـةٍ وَآفِـقِ[٢١٤]
بَـيْـنَ عِـتَـاقِ الْـخَـيْـلِ وَالْـعَـتَـائِـقِ فَـعُـنْـقُـهُ يُـرْبِـي عَـلَـى الْـبَـوَاسِـقِ[٢١٥]
وَحَـلْـقُـهُ يُـمْـكِـنُ فِـتْـرَ الْـخَـانِـقِ أُعِـدُّهُ لِـلـطَّـعْـنِ فِـي الْـفَـيَـالِـقِ[٢١٦]
وَالـضَّـرْبِ فِـي الْأَوْجُـهِ وَالْـمَـفَـارِقِ وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ الْخَافِقِ[٢١٧]
يَـحْـمِـلُـنِـي وَالنَّـصْـلُ ذُو السَّـفَـاسِـقِ يَقْطُرُ فِي كُمِّي عَلَى الْبَنَائِقِ[٢١٨]
لَا أَلْـحَـظُ الـدُّنْـيَـا بِـعَـيْـنَـيْ وَامِـقِ وَلَا أُبَـالِـي قِـلَّـةَ الْـمُـرَافِـقِ[٢١٩]
أَيْ كَـبْـتَ كُـلِّ حَـاسِـدٍ مُـنَـافِـقِ أَنْـتَ لَـنَـا وَكُـلُّـنَـا لِـلْـخَـالِـقِ[٢٢٠]

وقال يهجو إسحاق بن كيغلغ وقد بلغه أن غلمانه قتلوه:

قَالُوا لَنَا: مَاتَ إِسْحَاقٌ فَقُلْتُ لَهُمْ: هَذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحُمْقِ[٢٢١]
إِنْ مَـاتَ مَـاتَ بِـلَا فَـقْـدٍ وَلَا أَسَـفٍ أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقِ[٢٢٢]
مِـنْـهُ تَـعَـلَّـمَ عَـبْـدٌ شَـقَّ هَـامَـتَـهُ خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرِ فِي الْمَلَقِ[٢٢٣]
وَحَـلْـفَ أَلْـفِ يَـمِـيـنٍ غَـيْـرِ صَـادِقَـةٍ مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ فِي نَسَقِ[٢٢٤]
مَـا زِلْـتُ أَعْـرِفُـهُ قِـرْدًا بِـلَا ذَنَـبٍ صِفْرًا مِنَ الْبَأْسِ مَمْلُوءًا مِنَ النَّزَقِ[٢٢٥]
كَـرِيـشَـةٍ بِـمَـهَـبِّ الـرِّيـحِ سَـاقِـطَـةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ[٢٢٦]
تَـسْـتَـغْـرِقُ الْـكَـفُّ فَـوْدَيْـهِ وَمَـنْـكِـبَـهُ وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجَوْرَبِ الْعَرِقِ[٢٢٧]
فَـسَـائِـلُـوا قَـاتِـلِـيـهِ كَـيْـفَ مَـاتَ لَـهُـمْ مَوْتًا مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتًا مِنَ الْفَرَقِ؟[٢٢٨]
وَأَيْـنَ مَـوْقِـعُ حَـدِّ السَّـيْـفِ مِـنْ شَـبَـحٍ بِـغَـيْـرِ رَأْسٍ وَلَا جِـسْـمٍ وَلَا عُـنُـقِ[٢٢٩]
لَـوْلَا الـلِّـئَـامُ وَشَـيْءٌ مِـنْ مُـشَـابَـهَـةٍ لَـكَـانَ أَلْأَمَ طِـفْـلٍ لُـفَّ فِـي خِـرَقِ[٢٣٠]
كَـلَامُ أَكْـثَـرِ مَـنْ تَـلْـقَـى وَمَـنْـظَـرُهُ مِـمَّـا يَـشُـقُّ عَـلَـى الْآذَانِ وَالْـحَـدَقِ[٢٣١]

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي:

أَتُـــرَاهَـــا لِـــكَـــثْـــرَةِ الْـــعُـــشَّـــاقِ … تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي؟ ٢٣٢
كَيْفَ تَرْثِي الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ … رَاءَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي؟! ٢٣٣
أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكِ لَكِنْـ … ـنَكِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنًى وَاشْتِيَاقِ ٢٣٤
حُلْتِ دُونَ الْمَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْ … تِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ ٢٣٥
إِنَّ لَحْظًا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا … كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتْفَ اتِّفَاقِ ٢٣٦
لَوْ عَدَا عَنْكِ غَيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ … لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ الْمَنَاقِي ٢٣٧
وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا … مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ ٢٣٨
مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْعُيُونِ اللَّوَاتِي … لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ ٢٣٩
قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي … فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَوَاقِي ٢٤٠
كَاثَرَتْ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا … لِ بِمَا نَوَّلَتْ مِنَ الْإِيرَاقِ ٢٤١
لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ … سَادَ هَذَا الْأَنَامَ بِاسْتِحْقَاقِ ٢٤٢
طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْـ … ـلَقَ بِالذُّعْرِ وَالدَّمِ الْمُهَرَاقِ ٢٤٣
ذَاتُ فَرْغٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمُخْـ … ـبَرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ ٢٤٤
ضَارِبُ الْهَامِ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَرْ … هَبُ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي ٢٤٥
فَوْقَ شَقَّاءَ لِلْأَشَقِّ مَجَالٌ … بَيْنَ أَرْسَاغِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ ٢٤٦
مَا رَآهَا مُكَذِّبُ الرُّسْلِ إِلَّا … صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبُرَاقِ ٢٤٧
هَمُّهُ فِي ذَوِي الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا … وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنِّطَاقِ ٢٤٨
ثَاقِبُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْـ … ـدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِقْلَاقِ ٢٤٩
يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَعْـ … ـدَمْكُمُ فِي الْوَغَى مُتُونُ الْعِتَاقِ ٢٥٠
بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِيـ … ـيَ فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ التَّلَاقِي ٢٥١
وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوهَا … تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ ٢٥٢
وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْـ … ـعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الْإِشْفَاقِ ٢٥٣
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا … كَبُدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ ٢٥٤
جَاعِلٍ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إِنْ … لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقِ ٢٥٥
كَرَمٌ خَشَّنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ … فَهْوَ كَالْمَاءِ فِي الشِّفَارِ الرِّقَاقِ ٢٥٦
وَمَعَالٍ إِذَا ادَّعَاهَا سِوَاهُمْ … لَزِمَتْهُ جِنَايَةُ السُّرَاقِ ٢٥٧

يَا ابْنَ مَنْ كُلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِي   غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ[٢٥٨]
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكَرِّ لِقَوْمٍ   حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ[٢٥٩]
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزَّنْدُ وَالْآ   فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ؟![٢٦٠]
قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَما يَلْـ   ـقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ[٢٦١]
إِلْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْـ   ـفُسِ أَنَّ الْحِمَامَ مُرُّ الْمَذَاقِ[٢٦٢]
وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ   وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ[٢٦٣]
كَمْ ثَرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ   كَانَ مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقِ![٢٦٤]
وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ   قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ[٢٦٥]
لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسِ فِعْلِكَ كَالشَّمْـ   ـسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ[٢٦٦]
شَاعِرُ الْمَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـ   ـظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدِّقَاقِ[٢٦٧]
لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَكِنْـ   ـنَ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النُّهَاقِ[٢٦٨]
لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الْأَدْ   هُرِ أَوْ رِزْقِهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ![٢٦٩]
أَنْتَ فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ   يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلَّاقِ[٢٧٠]

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثر سؤَّاله وغاشيته، فقال له إنسان: جعلت مضربك على الطريق! فقال: أحب أن يذكره أبو الطيب، فقال:

لَامَ أُنَاسٌ أَبَا الْعَشَائِرِ فِي   جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرِقِ[٢٧١]
وَإِنَّمَا قِيلَ: لِمْ خُلِقْتَ كَذَا   وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخُلُقِ؟![٢٧٢]
قَالُوا: أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ   حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطُّرُقِ؟![٢٧٣]
فَقُلْتُ: إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ   تُرِيهِ فِي الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ[٢٧٤]
بِضَرْبِ هَامِ الْكُمَاةِ تَمَّ لَهُ   كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ[٢٧٥]
الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا   يَحْجُبُهَا بُعْدُهَا عَنِ الْحَدَقِ[٢٧٦]
كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ   آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْغَرَقِ[٢٧٧]

هوامش

(١) أراق: سفك. والركب: جماعة الركبان، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه إلى أحبته. يقول: هل يدري هذا الربع — ربع الأحبة — ما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق؟ وذلك أن وقوفه بالربع هيج شوقه وجدد له ذكر الأحبة، فكان البكاء والنحيب، وكانت اللوعة والأسى، وكان حق الكلام أن يقدم «شاق» على «أراق»؛ لأن الربع إذا لم يشق لم يرق الدم، لكن الواو لا توجب الترتيب. أو تقول: إنه ابتدأ بالأهم ثم عاد إلى ذكر سببه، وهو الشوق، وشاقه يشوقه: حمله على الشوق.

(٢) تلاقى: أي تتلاقى، فحذف إحدى التاءين. يقول: لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع — يعني الأحبة — قلوب تتلاقى في جسوم ما تتلاقى، يعني نحن نذكرهم وهم يذكروننا، فكأننا نتلاقى بالقلوب وإن لم نتلاقَ بالأشخاص، كما قال ابن المعتز:

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

(٣) عفته الريح: درسته. يقول: لم تدرس الرياح لهذا الربع منزلًا، فلا ذنب للريح في دروس منازله، إنما عفاه الحادي الذي ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربع. وهذا كما قال أبو الشيص:

مَا فَرَّقَ الْأُلَّافَ بَعْـ ـدَ اللـهِ إِلَّا الْإِبِـلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا
وَمَـا إِذَا صَـاحَ غُـرَا بٌ فِي الدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَلَا عَلَـى ظَـهْرِ غُـرَا بِ الْبَيْنِ تُطْوَى الرِّحَلُ
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَـاقَـةٌ أَوْ جَـمَـلُ

(٤) يريد أن العشق بلغ منه الغاية، وأن الهوى حمله ما لا يطيق فجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق، وهذا ينظر إلى قول الآخر:

فَيَا رَبِّ قَدْ حَمَّلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الْحُبِّ حَمْلًا قَاتِلِي فَوْقَ مَا بِيَا

وَإِلَّا فَسَاوِ الْحُبَّ يَا رَبِّ بَيْنَنَا يَكُونُ سَوَاءً لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

(٥) عين شكرى: ملأى بالدمع. والماق: طرف العين مما يلي الأنف، وهو مخرج الدمع من العين. يقول: نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجوانب ماق يسيل الدمع منه؛ يشير إلى غلبة البكاء من لوعة الفراق.

(٦) المحاق — بضم الميم، وكسرها — نقصان القمر آخر الشهر. والتمام: الكمال، وقد طابق بين التمام والمحاق. يقول: لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذي هو كالبدر فيهم الكمال في الحسن والإشراق، وأنا لسقمي كأنه أعطاني المحاق؛ يعني أن الحبيب كان في الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا في الدقة والنحول كالقمر في المحاق، وقد أخذ هذا القائل:

يَا مَنْ يُحَاكِي الْبَدْرَ عِنْدَ تَمَامِهِ ارْحَمْ فَتًى يَحْكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٧) الفرع: الشعر. والأزمة: جمع زمام؛ ما تقاد به الدابة. والنياق: جمع ناقة. وقوله: بين الفرع والقدمين، ظرف لنور وما يليه في البيتين التاليين، والضمير في أزمتها: للنياق، وجاز تقديمه؛ لأنه مؤخر في الرتبة. لما جعله بدرًا والبدر لا يخص النور بعضه؛ وصفه بأنه من فرعه إلى قدمه نور، وأن نياق الركب تهتدي بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة. ويجوز أن يريد بالنور وجهه؛ وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التي بين شعره وقدميه، فبدأ بالوجه ثم ثنى بالطرف ثم ثلث بالخصر، وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي العتاهية:

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(٨) دهاقا: ملأى. يقول: وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأسًا ناقصة سقانيها مترعة، يعني أنه أعشق العشاق له، وفيه نظر إلى قول القائل:

وَمَا لَبِسَ الْعُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الْهَوَى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا الثِّيَابَ الَّتِي أُبْلِي
وَلَا شَرِبُوا كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ حُلْوَةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا شَرَابُهُمْ فَضْلِي

(٩) يقول: إن الأبصار تثبت في خصره استحساناً له وتكثر عليه من الجوانب حتى تصير كالنطاق عليه. وفي هذا المعنى يقول بشار:

وَمُـكَـلَّـلَاتٍ بِـالْـعُـيُـو   نِ طَرَقْنَنِي وَرَجَعْنَ مُلْسَا

[يريد بشار أنهن — لحسنهن — تعلو الأبصار إلى وجوههن ورءوسهن حتى كأن لهن إكليلًا من العيون. وملسا: أي لم يعلق بهن أذًى ولا ريبة.] ويقول أبو العتاهية:

أَحَاطَتْ عُيُونُ الْعَاشِقِينَ بِخَصْرِهِ   فَـهُـنَّ لَـهُ دُونَ الـنِّـطَـاقِ نِـطَـاقُ

(١٠) الهملعة: الناقة السريعة. والدفاق: المتدفقة في السير. يخاطب محبوبته يقول: سلي عن حال سيري هذه الأشياء تخبرك بإقدامي وتجلدي للأهوال؛ يعني أنه كان وحده لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة.

(١١) العيس: الإبل البيض. ونكبه: عدل عنه. والسماوة: فلاة بين الشام والعراق. يقول: خلفنا — في قصدنا إلى الممدوح — نجدًا وراءنا وملنا عن طريق السماوة وطريق العراق ومنتوانا حلب.

(١٢) ترى: أي العيس. ودجى الليل: أظلم. والائتلاق: البريق والالتماع، يقال: ائتلق البرق وتألق: إذا لمع. يقول: لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة في ظلمة الليل يسطع لها فتستصبح به ويقتادها. وهذا من قول سحيم:

إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا   كَفَى لِمَطَايَانَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا

ومثله قول أبي الطمحان القيني:

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ   دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجزعَ ثَاقِبُهُ

(الجزع — بفتح الجيم، وكسرها — ضرب من الخرز اليماني فيه بياض وسواد تشبه به العيون. وقبل البيت:

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ   إِذَا مَاتَ مِنْهُم سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ   بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

وبعده:

وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ   تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَائِبُهْ

إلى آخر أبيات يمدح بها أبو الطمحان بجير به أوس بن حارثة بن لأم الطائي.)

(١٣) انتشاقا: حال، أو مفعول له. يقول: أدلة العيس في طريقها إلى سيف الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها، وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي:

فَهَدَتْ عُيُونَهُمْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ   وَهَدَتْ أُنُوفَهُمُ لَهُ أَرْوَاحُهُ

ويقول أيضًا:

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْغِي لَنَا مَنْزِلًا   فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَنْشِقُ

ولعلهم يريدون المعنى المجازي فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون بائتلاقه مجده ومكارمه. فعبروا عن المعنوي بالحسي مبالغة في ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت به إليه.

(١٤) التعرض: القصد. والرفاق: جمع رفقة، وهي الجماعة في السفر. يقول — للوحش: إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك، فلم تقصدين الرفاق التي تسير إليه؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على من يعارضه ويخفر ذمته. قال الواحدي قوله: فلم تتعرضين الرفاقا، تقديره: فلم تتعرضين الرفاق له؟ أي رفاقه.

(١٥) تبع: بمعنى اتبع. والقنا: الرماح. والرذايا: المهازيل من الإبل، واحدها رذية؛ ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا. يقول: لو تتبعت أيها الوحش ما طرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا، ولكان لك فيه غناء عن التعرض لنا؛ لكثرته.

(١٦) يقول: نحن آمنون في طريقنا إليه حتى لو سرنا في النيران ما قدرت على إحراقنا، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه في أمن وطمأنينة. ومثله لأبي تمام:

فَمَضَى لَوَ انَّ النَّارَ دُونَكَ خَاضَهَا　　بِالسَّيْفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّارَا

«يريد: جهنم.» ولأبي حية النميري:

لَوْ أَنَّ جَمْرَ النَّارِ دُونَ بِلَادِهِمْ　　لَعَلِمْتَ أَنِّي جَمْرَهَا مُتَخَوِّضُ

(١٧) من قريش: حال من الأئمة. يقول: هو إمام للخلفاء — يعني خلفاء بني العباس — إذا شاقهم عدو؛ أي تمرد عليهم، يحذرون شقاقه — خلافه وعصيانه — تقدمهم إليه وكفاهم ذلك العدو؛ وذلك لعلو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته. فقوله: إلى من يتقون: متعلق بما في إمام من معنى التقدم، وقد بين هذه الإمامة في البيت التالي.

(١٨) يقول: فهو سيفهم الذي يبطشون به عند غضبهم، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذي تعتمد عليه.

(١٩) الفهق: الامتلاء، ومنه المتفيهق الذي يفهق فمه بالكلام. والمكر: مجال الحرب. يقول: لا تنكر تبسمه في أهوال ساعة الحرب وهو عند ضيق المكر بازدحام الأبطال وامتلائه بالدم، يعني أنه ملك عظيم إذا رام مطلبًا أدركه بالأسلحة والخيل، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه في البيت التالي. وفي مثل هذا يقول البحتري:

ضَحُوكٌ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهْوَ يَرُوعُهُمْ　　وَللسَّيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو وَرَوْنَقُ

(٢٠) المهج: الأرواح، والعوالي: الرماح. وهمه: همته. والعتاق: الخيل الكرام. يقول: لا تنكر ابتسامه في هذه الحالة؛ لأنه لا كلفة عليه في الحرب إذ إن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله، فقد حملت همتَه، وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي.

(٢١) إنعال الخيل: تصفيح أيديها بالحديد، والطراق: نعل تحت نعل. يقول: إذا أنعلت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بحوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون. ومثل هذا لأبي الأخزر الحماني:

لَمْ تَشْكُ خَيْلُهُمُ الْوَجَى مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا انْتَعَلْنَ مِنَ الدِّمَاءِ قَتِيلَا

(٢٢) نقع: ارتفع صوته وبعد. والصريخ: المستغيث. وضمير نصبن للخيل. والمؤللة: المحددة؛ يريد: آذانها، وآذان الخيل توصف بالدقة. قال الشاعر:

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبَطِرِّ النَّقْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامِ

يقول: إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها المرهفة لاستماعه؛ لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها، وهذا معنى قوله: إلى مكان؛ أي إلى مكان سوى مكانهن.

(٢٣) الضمير في بينهما للصريخ والخيل. والفواق بضم الفاء، وفتحها: مقدار ما بين الحلبتين، ويضرب مثلًا في السرعة. والفواق أيضًا: الشهقة الغالبة للإنسان. يقول: إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعان من غير بطء في إجابته فتجعل الطعن جوابا، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة، أو فواق إنسان؛ أي لا لبث بينهما. ولله سلامة بن جندل حين يقول:

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

(يقول: إذا استغاث بنا مستغيث، كان جوابه الجد في نصرته، ويقال: قرع لهذا الأمر ظنبوبه: إذا جد فيه. والظنبوب: طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعًا للظنبوب.)

(٢٤) النواصي: جمع ناصية؛ شعر مقدم الرأس. وملاقية ومعادوة: حالان من الخيل، والعامل فيهما: المصدر — من قوله: وكان الطعن. يقول: إن خيله تلقى نواصيها المنايا مُقْدِمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فوارسها معانقة الأبطال في الحرب. قالوا: والمعانقة آخر حالة في الحرب، وأولها الملاقاة من بعيد، ثم المراماة بالسهام، ثم المنازلة بالرماح، ثم المنازلة إلى الأقران، ثم المعانقة.

(٢٥) أراد بالهوادي: أعنق الخيل. والعجاج: الغبار. يقول: تبيت رماحه معروضة فوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذًا بالحزم، وكأنها من الغبار الذي تثيره تحت رواق. وهو من قول ابن الرومي:

وَإِعْمَالِي إِلَيْكَ بِهَا الْمَطَايَا وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ بِهَا روَاقَا

(٢٦) العلل: الشرب مرة بعد أخرى. والاصطباح: الشرب في الصباح. والاغتباق: الشرب في العشي. يقول: تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها صباحًا وغبوقا فهي لسكرها تميل، وميلانها إنما هو للينها، وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدوًا وعشيًّا. وفي مثل هذا يقول البحتري:

يَتَعَثَّرْنَ فِي النُّحُورِ وَفِي الْأَوْ جُهِ سُكْرًا لَمَّا شَرِبْنَ الدِّمَاءَ

(٢٧) حساها: شربها. يقول: شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه؛ وذلك لقوته ومتانته، ولما جاد بالمال لم يُفق من سكر الجود ولم يصح من أريحيته. وقد أحسن البحتري في هذا المعنى إذ يقول:

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الْكُئُوسِ عَلَيْهِمِ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمَا

(٢٨) يقول: أقام الشعر ببابه ينتظر عطاياه، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الأمطار كذلك؛ يعني كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه.

(٢٩) الدهماء: يريد الفرس الدهماء؛ أي السوداء. والقيان: جمع قينة؛ الجارية المغنية وغير المغنية. والصداق: مهر المرأة. وكان سيف الدولة أعطاه فرسًا وجارية، يقول: وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه؛ أي ملكنا الفرس والجارية بالشعر، يريد أنه كافأ هبته بمدحه. قال العكبري: وسمى قيمة الجارية صداقًا؛ لأن القيمة للأمة، كالصداق للحرة؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرة بالمهر.

(٣٠) حاشا: كلمة للاستثناء والتبعيد للشيء. والارتياح: الاهتزاز للبذل. ويُبارى: يُجارى. ويُباقى: يغالب من البقاء. وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأ بالشعر، يقول: حاشا لارتياحك للعطاء؛ أي لجودك، أن يبارى بشيء، فهو أكثر من أن يعارضه شيء، وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقى من كرم غيرك، يعني أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذي نجازيهما به.

(٣١) منك: تجريد. والقرم: الفحل الكريم من الإبل، ثم أطلق على السيد الشريف. والحقاق: جمع حقة، وهي التي دخلت في السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب

والحمل. يقول: بيد أني قلت ذلك — أي أنَّا وَزَنَّا قيمة الفرس والجارية من الشعر — ممازحة، فنحن نداعب منك سيدًا كلُّ سيدٍ في جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة في جنب الفحل الكريم.

(٣٢) يقول: إذا قتل قتيلًا لم يأخذ سلبه ترفعًا عن ذلك، ولكن عفوه يسلب أسراه أغلالهم وقيودهم؛ أي يعفو عنهم ويطلقهم. والأصل في هذا المعنى قول عنترة:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

(٣٣) يقول: إنك لم تحسن إليَّ غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلي، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئًا، ولكني كنت أهلًا لما أسديت وكنت أنت مصيبًا فيما أوليت.

(٣٤) يقول: أبلغ هؤلاء الذين يحسدونني عليك أنهم لا يلحقونني ولا يبلغون شأوي؛ لأن البرق إذا حاول اللحاق بي كبا على وجهه — عثر وسقط — وإذا لم يلحقني البرق فكيف يلحقونني هم؟ قال الواحدي: وتحميله الممدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله: حاسدي عليك.

(٣٥) الظُّبَا: جمع ظبة، وهي حد السيف. وهذا استفهام إنكار. يقول: إن حاسدي لا تكفي أمرهم الرسائل إنما يكفي أمرهم السيوف؛ يعني ليس يشفيني منهم الرسالة، إنما يشفيني منهم القتل بالسيف.

(٣٦) يقول: إني أَعْرَفُ المجربين الألبَّاء بأحوال الناس؛ لأن غيري إذا كان قد ذاقهم فإني قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل، والآكل أعرف بالمأكول من الذائق.

(٣٧) ألاق الشيء: أمسكه، قال الشاعر:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا

يقول: كل بحر لا يبلغ شأوك في الجود، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم تمسكه وجدت به.

(٣٨) يقول: لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقا — اتفاقا — أو عن عمد، لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك في جوده وتناهي محاسنه قد خُلق.

(٣٩) يدعو له. والهيجاء: الحرب: قالوا: وهذا منقول من قول البحتري:

حُطَّتْ سُرُوجُ أَبِي سَعِيدٍ وَاغْتَدَتْ أَسْـيَـافُـهُ دُونَ الْـعَـدُوِّ تُـشَـامُ

(٤٠) يقول: إن عينيك هما دائي فكل ما لقيه قلبي من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنتاه من السحر، وإن الحب هو الذي أذاب جسمي وأكل لحمي فالذي لم يبقَ مني — وهو الذاهب — وما بقي، كلاهما له يفنيه ويذهبه. فاللام في قوله لعينيك: للتعليل، ومن قوله للحب: للملك. ويروى بدل للحب: للشوق.

(٤١) يذكر أنه عزهاة يعزف عن النساء ولا يميل إلى الغزل والعشق، ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق. وفي هذا نظر إلى قول صريع الغواني:

وَقَدْ كَانَ لَا يَصْبُو وَلَكِنَّ عَيْنَهُ رَأَتْ مَنْظَرًا يُضْنِي الْقُلُوبَ فَرَانَهَا

وقوله: ولكن من يبصر، أراد: ولكنه — بضمير الشأن — فحذفه وجزم بعده على الشرط.

(٤٢) يقول: إنه يبكي في كل حال رَضِي عنه المحبوب أو سخط عليه، قرب منه أو بعد عنه؛ لأنه في حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد. فالنوى: البعد. والمترقرق: الذي يجول في العين ولا ينحدر. وعبارة العكبري: ما بين ما أرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما أتمناه من اقترابه وأخافه من بعده مجال للدموع التي تترقرق في المقل كلفًا بالحبيب وحذارًا من الرقيب. وقد شرح هذا المعنى الحماسي حين يقول:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ الْمَذَاقِ
تَـرَاهُ بَـاكِـيًـا فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ مَـخَـافَـةَ فُـرْقَـةٍ أَوْ لِاشْـتِـيَـاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِي

(٤٣) ربه: صاحبه. والدهر: ظرف. يقول: أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه شاكًّا بين الوصل والهجر؛ لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتنامًا، أما إذا تيقن

الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائسًا منه فقد لذة الرجاء، فالهوى عليه بلاء كله، كما قال الآخر:

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَاسِ

وفي هذا المعنى يقول قيس ابن الرقيات:

تَرَكْتَنِي وَاقِفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ بِيَأْسٍ مِنْكُمْ وَلَمْ أرِدِ

ويقول ابن أبي زرعة الدمشقي:

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوِصَالِ وَبَيْنَ الْهَجْرِ مِمَّنْ مَقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلٍّ بَيْنَ الْجِنَانِ وَبَيْنَ النَّارِ أَرْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ

قال العكبري: وأصل البيت من قول الحكيم: الرجاء تمن والشك توقف، وهما أصل الأمل. وقال الآخر: أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرتجيه. ولقد أحسن أبو حفص الشطرنجي في قوله:

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدَّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَتْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتْبِ؟!

(٤٤) وغضبى: أي ورب غضبى. وريق الشباب: أوله، ومنه ريق المطر؛ أوله. جعلها غضبي لفرط دلالها، فهي ترى من نفسها الغضب دلالًا على عاشقها، وجعلها سكرى من الصبا والحداثة فهي مزهوة مختالة، ثم جعل شبابه شفيعًا إليها. كما قال محمود الوراق:

كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقال البحتري:

أَأَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصِّبَا لِي شَافِعٌ وَأُرَدُّ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وقال أيضًا:

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى أَلْفَاهُ نِعْمَ وَسِيلَةَ الْمُتَوَسِّلِ

(٤٥) وأشنب: عطف على غضبى. والأشنب: الأبيض الأسنان الحسنها. والمعسول: الحلو الذي كأنَّ فيه عسلًا. والثنيات: الأسنان التي في مقدم الفم. والمفرق: موضع افتراق الشعر من الرأس. يقول: ورب حبيب حسن الأسنان حلو رضاب الثنايا واضح الوجه — مشرقه — تعفَّفْتُ عنه وتصوَّنت بستر الفم منه عفة وتورعًا كي لا يقبلني فقبَّل رأسي إجلالًا لي وميلًا إليَّ. يريد أنه أحب وصله وتعفف هو عمَّا لا يليق به.

(٤٦) الأجياد: جمع جِيد؛ العنق. والعاطل: الذي لا حُلي عليه. والمطوق: الذي قد تطوَّق بالحلي. يصف نفسه بالعفة والنزاهة، وأنه قد زاره من الحسان عاطلات وحاليات، فلم يعرف ذات الحلي ممن لا حلي عليها.

(٤٧) الحِبِّ بكسر الحاء: المحبوب. وعفافي: مفعول مطلق. وقوله: والخيل تلتقي: حال. يقول: ليس كل عاشق عفيفًا مثلي وقت الخلوة بالمحبوب، ومع أني عفيف أرضي المحبوب في الوغى — الحرب — بشجاعتي. قال ابن جني: سألته — المتنبي — عن معناه وقت القراءة عليه، فقال: المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مِقْدامًا في الحرب فترضى حينئذٍ عنه. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ: لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا

(من معلقته، يقول: يعلفن خيلنا ويقلن لنا: لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا.)

وفي مثل هذا المعنى يقول القائل:

أَخَذْتُ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مِمَّا تُصِيبُهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمُخَلْخَلِ

ويقول الآخر:

لِي مَا حَوَاهُ قِنَاعُهَا مِنْ فَوْقِ مَا　　　حَوَتِ الْجُيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
لَمْ تُلْفِ مُعْتَنِقَيْنِ لَيْسَ عَلَيْهِمَا　　　حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهَوَى وَسِوَاهَا

وقال العكبري: هذا البيت من الحكمة، قال الحكيم: لسنا نمنع محبة ائتلاف الأرواح إنما نمنع محبة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم.

(٤٨) ما يسرها: مفعول ثانٍ لسقى. والبابلي: الخمر نسبة إلى بابل. يدعو لأيام الصبا، يقول: سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة. وهذا على عادة العرب من الدعاء بالسقيا، وهو مجاز؛ لأن الأيام ليست مما يسقى.

(٤٩) يقول: إن الدهر مشتمل على ناسه اشتمال الثوب على لابسه، بيد أن هذا الثوب — الدهر — باق لا يبلى، أما لابسه؛ وهو الإنسان فإنه يبلى ويفنى. ومن ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع؛ أي أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه، فهو أبدًا جذع لا يسن. قال الأخطل:

يَا بِشْرُ لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ　　　أَلْقَى عَلَيَّ يَدَيْهِ الْأَزْلَمُ الْجَذَعُ

وفي مثل هذا المعنى يقول ابن دريد في مقصورته:

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوْلَيَا　　　عَلَى جَدِيدٍ أَدْنَيَاهُ لِلْبِلَى

(٥٠) الكاف في قوله: كالألحاظ: اسم بمنزلة مثل، مفعول به. وجملة: بعثن: حال. وبكل القتل: أي بقتل فظيع. يقول: لم أرَ مثل الألحاظ ولا مثل فعلها يوم رحيل الذين أحبهم! بعثت لنا القتل؛ أي قتلتنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها. والأصل في هذا قول النابغة:

فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ سِهَامُهَا　　　فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ

[رماه فأقصده: قتله في المكان.]

(٥١) الضمير — في أدرن — للحبيبات، لدلالة المقام. والأحداق: جمع حدقة؛ سواد العين. يقول: أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زئبق. وهو معروف أن الزئبق

يوصف بقلة الثبات وبالترجرج، وقال بعضهم يصف عقعقًا — طائر على شكل الغراب، أو هو الغراب:

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ　　　كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زِئْبَقِ

(٥٢) يعدونا: يمنعنا ويصرفنا، والبكاء يمنع من النظر؛ لأن الدمع إذا امتلأت به العين غاض البصر. كما قال القائل:

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ　　　إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع، ألا ترى إلى قول البحتري:

لَا تَعْذُلَنِّي فِي مَسِيرِي　　　يَوْمَ سِرْتُ وَلَمْ أُلَاقِكْ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا　　　لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكْ
وَذَكَرْتُ مَا يَجِدُ الْمُوَدْ　　　دِعُ عِنْدَ ضَمِّكَ وَاعْتِنَاقِكْ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا　　　وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكْ

ومن هذا قول الآخر:

يَوْمَ الْفِرَاقِ شَكَرْتُ تَرْكَ وَدَاعِكُمْ　　　وَالْعُذْرُ فِيهِ مُوَسَّعٌ تَوْسِيعَا
أَوَ هَلْ رَأَيْتَ وَهَلْ سَمِعْتَ بِوَاحِدٍ　　　يَمْشِي يُوَدِّعُ رُوحَهُ تَوْدِيعَا؟

وقول الآخر:

صَدَّنِي عَنْ حَلَاوَةِ التَّشْيِيعِ　　　حَذَرِي مِنْ مَرَارَةِ التَّوْدِيعِ
لَمْ يَقُمْ أُنْسُ ذَا بِوَحْشَةِ هَذَا　　　فَرَأَيْتُ الصَّوَابَ تَرْكَ الْجَمِيعِ

(٥٣) القنا: الرماح. وأبو الهيجاء: هو والد سيف الدولة. والفيلق: الكتيبة من الجيش. يقول: إن البين — البعد — يفتك بنا فتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه. وهذا من حسن التخلص وهو بديع.

(٥٤) قواضٍ: قواتل؛ يعني الرماح، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا. ومواضٍ: نوافذ. ونسج داود: الدروع. والخدرنق — بالدال والذال — العنكبوت وإذا جمعته حذفت آخره فقلت: خدارن، وفي الصحاح: بالدال المهملة. وأنشد أبو عبيدة الزفيان السعدي:

وَمَنْهَلٍ طَام عَلَيْهِ الْغَلْفَقُ يُنِيرُ أَوْ يُسْدِي بِهِ الْخَدَرْنَقُ

(الغلفق: الطحلب؛ الخضرة على رأس الماء، يقال: ينبت في الماء ذو ورق عريض.)

يقول: هي — أي رماح سيف الدولة — قواتل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم، كأنها تخرق نسج العنكبوت.

(٥٥) هوادٍ: من الهداية، يقال: هداه فهدي. والأملاك: الملوك. وتخير بحذف إحدى التاءين: أي تتخير. والكماة: جمع كمي؛ البطل المستتر في سلاحه. يقول: إن هذه الرماح تهدي أربابها أو تهتدي هي بنفسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تتخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم. وفي مثل هذا يقول أبو تمام:

قَفَا سِنْدبَايَا وَالْمَنَايَا كَأَنَّهَا تُهَدَّى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدِي

(قال ياقوت: سندبايا: موضع بأذربيجان بالبذ، من نواحي بابك الخرمي. قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف:

رَمَى اللهُ مِنْهُ بَابَكًا وَوُلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَتًى يَوْمَ بذ الْخُرَمِيَّةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةٍ نِكْسٍ وَلَا بِمُعَرِّدِ
قَفَا سِنْدَبَايَا وَالرِّمَاح مُشِيحَة تُهَدَّى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدِي)

(٥٦) الجوشن: الدرع. يقول: لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها — تقطها — ولا الأسوار والخنادق فإنها تفريها — تقطعها — وتأتي عليها؛ وذلك لشدة طعن فرسان الممدوح وشجاعتهم.

(٥٧) اللقان: بلد من بلاد الروم. وواسط: بلد بالعراق بناها الحجاج. وجلق: دمشق أو غوطتها. قال الواحدي: وكان أوقع ببني البريدي بواسط، يريد كثرة غاراته وفشوها في البلاد من العراق إلى أقاصي الروم، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقاصي الشام.

(٥٨) المتدقق: المتكسر. يقول: يرد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها، كأن صحاحها تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن؛ رثاء لها ورحمة. ويَبْكِي كيُبَكِّي، والتشديد للمبالغة.

(٥٩) فلا تبلغاه: أي الممدوح، يقول — مخاطبًا صاحبيه على عادة العرب: لا تبلغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق إليها وحن. والبيت منقول من قول كُثَيِّر:

فَلَا تُذْكِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةَ إِنَّهُ مَتَى تُذْكِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةَ يَحْزَنِ

(٦٠) بنانه: فاعل ضروب. والكلام المشقق: الذي شق بعضه من بعض، ويقال: شقق الكلام: إذا أخرجه أحسن مخرج. يقول: إنه شجاع في الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع. قال العكبري: وقد نقل هذا المعنى في الهجاء إلى المدح من قول الأول:

فَبَاعِدْ يَزِيدًا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَدْنِ يَزِيدًا مِنْ كَلَامٍ مُشَقَّقِ

(٦١) يقول: إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو في غنًى عنه؛ إذ إن قطر الغيث مبذول لمن أراده، كذلك من يسأل الممدوح يتكلف ما لا حاجة به إليه، إذ إنه يعطي بلا سؤال، ولما كان الممدوح مطبوعًا على الجود لم يكن في استطاعته العدول عنه، وإذن يكون عاذله عليه كمن يقول للفلك ارفق في حركتك. فقوله كسائله: خبر مقدم. ومن يسأل: مبتدأ مؤخر ومثله كعاذله من قال. وذهب ابن جني إلى أن المعنى: كما أن الغيث لا تؤثر فيه القطرة، كذلك سائله لا يؤثر في ماله جوده. قال العروضي ناقدًا: وهذا على خلاف العادة في المدح؛ لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وقال الشاعر:

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

والذي فسره — أي ابن جني — مدح بكثرة المال لا الجود ... وإنما أراد — أي المتنبي: من عادته وطبعه الجود كعادة الغيث أن يقطر — أي يمطر — فسائله مستغنٍ عن تكليفه ما هو في طبعه.

(٦٢) يقول: لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعًا لما نالوا من برك وإحسانك.

(٦٣) الارتياح: الانبساط. والندى: الجود. والمجتدي: طالب العطاء. والمتملق: المتودد، أو الذي يخضع ويلين كلامه — مأخوذ من الصخرة الملقة؛ وهي الملساء — يقول: لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تملق إليك تملق السائل. وفي هذا نظر إلى قول القائل:

وَلَوْ لَمْ تُنَاهِضْهُ وَأَبْصَرَ عُظْمَ مَا تُنِيلُ مِنَ الْجَدْوَى لَجَاءَكَ سَائِلَا

(٦٤) الرماح السمهرية: نسبة إلى سمهر؛ زوج ردينة، كانا يقومان الرماح. وأدرب: من الدربة؛ وهي العادة. يقال: درب بالشيء؛ اعتاده وضرى به. والحاذق: الخبير بالشيء. يقول: وترك ملك الروم الرماح صغارًا لا اختيارًا لمن هو أحذق بالطعان وأجرى عادة به منه — يعني سيف الدولة — يعني ترك الحرب صاغرًا واستأمن بالكتاب.

(٦٥) يقول: استأمن إليك من أرضه البعيدة لعلمه أنها لا يبعد على خيلك السبق فإنك تدركه بها متي أردت. وقوله: بعيد: يروى بالجر، على أنه نعت سببي لأرض، ومرامها — أي مطلبها — فاعل له. ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم، والجملة: نعت أرض.

(٦٦) المسرى: الموضع الذي يسار فيه ليلًا. والهام: الرءوس؛ يذكر كثرة قتلاه في أرض الروم، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك في طريقك فما سار إلا فوق رءوس القتلى. وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاجِنٌ فِلَقٌ فِيهَا قَنًا قِصَدُ

(الجناجن: عظام الصدر، ويروى: جماجم.)

وقول الأول:

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ نَجْدٍ بَنَانُ فَتًى وَجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ

(٦٧) يقول: لما قرب الرسول أغشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم يرَ مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه؛ لشدة لمعان الأسلحة حواليه. وقال العكبري: الضمير في

«مكانه» للرسول؛ أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد في عسكر سيف الدولة.

(٦٨) في البساط: يروى في السماط، والسماط: صف يقومون بين يدي الملك. وقوله إلى البحر: أي أإلى البحر، فحذف همزة الاستفهام. ويرتقي: يصعد. يقول: وأقبل الرسول يمشي إليك بين السماطين فغشيه من هيبتك ما لا يعرض مثله إلا لمن قصد إلى البحر أو ارتفع إلى البدر؛ لعظم ما عاين.

(٦٩) لم يثنك: لم يصرفك. والمهجة: الروح. ونمق الكلام: زينه. يقول: لم يجد الأعداء شيئًا يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك في كتاب يكتبونه إليك؛ لأنك لا تدفع بالمقاومة. ولعله من قول أبي تمام:

فَحَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحُطْهُ قَبَائِلُهْ

وقوله أيضًا:

عَدَا خَائِفًا يَسْتَنْجِدُ الْكُتْبَ مُذْعِنًا عَلَيْكَ فَلَا رُسْلٌ ثَنَتْكَ وَلَا كُتْبُ

(٧٠) الإشارة بهذه: إلى المرة. والقذال: مؤخر الرأس. والدمستق: القائد من قواد الروم. يقول: كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكاتبته كتبت إليه بما تحدثه سيوفك في قذال الدمستق من الجراحات؛ أي إن هذه الجراحات التي تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه، لأنه يتبين بها كيفية الأمر كما تتبين بالكتاب — وكان الدمستق قد جرح في بعض وقائع سيف الدولة، فأشار المتنبي إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما أظهره من الخضوع. وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه:

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقًا وَنَمْنَمَةً ضَرْبًا وَطَعْنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلُفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفَا
فَإِن أَلَطُّوا بِإِنْكَارٍ فَقَدْ تُرِكَتْ وُجُوهُهُمْ بِالَّذِي أَوْلَيْتَهُمْ صُحُفَا

[المشق: مد الحروف. والنمنمة: النقش. والصلف: جمع صليف؛ صفحة العنق. وألطوا بإنكار — بالطاء والظاء — لازموه ولم يفارقوه.]

(٧١) أخلق صيغة تعجب من قولهم: فلان خليق بهذا؛ أي جدير به. يقول: فإن أعطيته ما يطلب من الأمان فهو سائل يسألك، وأنت لا تخيب سائلًا، وإن قتلته فهو جدير بذلك؛ لأنه حربي مباح الدم.

(٧٢) البيض: السيوف. والصوارم: القواطع. والرقيق: العبد. يقول: إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرًا يُفدى أو رقيقًا يُعتق.

(٧٣) الضمير في شفراتها: للبيض الصوارم. وشفرة السيف: حده. والزردق: الصف من الناس — تعريب رسته. يقول: إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفًّا بعد صف حتى أفنتهم. وفيه نظر إلى قول بعضهم:

لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ الْقَطَا بِنُفُوسِهِمْ رِضَا اللهِ مَصْفُوفَ الْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ

(٧٤) وصفه بالنور لبعد صيته وشهرة اسمه في الناس كشهرة النور المستضاء به. يقول: هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكري واشتهر صيتي اشتهار النور في المشرق والمغرب.

(٧٥) الأحمق: الجاهل الذي لا عقل له. يقول: إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من أحمق من الشعراء أمره باللحاق بي. فهو بحمقه يظن أنه يقدر على إدراك شأوي وليس يقدر. والغبار واللحاق استعارة من سباق الخيل. وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

يَا طَالِبًا مَسْعَاتَهُمْ لِيَنَالَهَا هَيْهَاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوْكِبِ!

قيل: إن الخالديين — أبا بكر وأخاه عثمان — قالا لسيف الدولة: إنك لتغالي في شعر المتنبي، اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها، فدافعهما زمانًا، ثم كررا عليه، فأعطاهما هذه القصيدة: فلما أخذاها قال عثمان لأخيه أبي بكر: ما هذه من قصائده الطنانات فلأي شيء أعطانا؟ ثم فكرا، فقال أحدهما لصاحبه: والله ما أراد إلا هذا البيت، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملا شيئًا.

(٧٦) يقول: لست أقصد أن أكمد حسادي؛ لأني لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لي لم يطيقوا مزاحمتي فكمدوا وحزنوا لذلك، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق في تياره. وقال الخطيب التبريزي: المعنى: وما الإزراء على أهل الحسد أردتُ بما أبدعته ولا التعجيز لهم قصدت فيما خلدته، ولكني كالبحر الذي يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد. وهو منقول من قول زياد الأعجم:

وَإِنَّا وَمَا يُهْدَى بِهِ مِنْ هِجَائِنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُرْمَ فِي الْبَحْرِ يَغْرَقِ

(٧٧) المخرق: لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والأباطيل، مأخوذة من المخراق، وهو شيء يلعب به؛ إما منديل يلف أو خشب. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

يقول: يمتحن الناس بعقله ليعرف ما عندهم ثم يغضي مع علمه بذي العبث منهم فلا يفضحه لكرمه.

(٧٨) الإطراق: أن ترمي ببصرك إلى الأرض. وطرف العين: نظرها. يقول: إن إغضاءه عن هؤلاء العابثين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم. وعبارة العكبري: يريد: هو يغضي للممخرق إغضاء تجاوز وحلم لا إغضاء غيظ وسوء، وغض العين لطرفها وكفها للحظها لا ينفع المموه المغالط والمقصر الممخرق، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه. وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

وَالْفُؤَادُ الذَّكِيُّ لِلنَّاظِرِ الْمُطْـ ـرِقِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ

ولابن دريد:

وَلَمْ يَرَ قَبْلِي مُغْضِيًا وَهْوَ نَاظِرٌ وَلَمْ يَرَ قَبْلِي سَاكِتًا يَتَكَلَّمُ

(٧٩) يقول: يا من يُطلب فيخاف طالبَه! كن جارًا له حتى تصير منيعًا لا يصل إليك سوء، ويا من حرم حظه من الرزق! اقصده سائلًا تصر مرزوقًا، فهو ذو نجدة يحمي الذمار معطاء.

(٨٠) يقول: إن من صاحبه صار جريئًا إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقة بنصرته. ومن فارقه وإن كان شجاعًا فرق — خاف وفزع — وصار جبانًا. قال علي بن جبلة:

بِهِ عَلِمَ الْإِعْطَاءَ كُلُّ مُبَخَّلٍ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرَّوْعِ كُلُّ جَبَانِ

وقال البحتري:

يَسْخُو الْبَخِيلُ — إِذْ رَآكَ — بِنَفْسِهِ وَالنِّكْسُ يَمْلَأُ مَضْرِبَ الصَّمْصَامِ

(٨١) المحنق: المغضب. يقول: إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويبطلوه سعى جده — سعده — في إبطال كيدهم سعي محنق، ويروى: سعى جده في مجده؛ أي في تشييد مجده، أي إن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه.

(٨٢) المبين: الظاهر البين، يقال: أبنت الشيء، وأبان هو. واسم يكن: ضمير الفضل الأول؛ أي إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد. يقول: لا يعنيك فضلك الظاهر إذا لم يعنك جدك القاهر؛ أي أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيئًا. قال حسان:

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

[الحلم: العقل. والجهل: الحمق وعدم العقل.] وقال ابن دريد:

لَا يَرْفَعُ الْجَدُّ بِلَا لُبٍّ وَلَا يَحُطُّكَ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَلَا

(٨٣) العذيب وبارق: موضعان بظاهر الكوفة. والعوالي: الرماح. والسوابق: الخيل. و«ما بين»: لك أن تجعله ظرفًا لتذكرت، و«مجر عوالينا» بدل منه بدل اشتمال، كأنه قال: مجر عوالينا فيه. ولك أن تجعل «ما» زائدة و«بين العذيب» ظرفًا لمجر. ومجرى — بفتح الميم وضمها — وهو ومجر: مصدران ميميان. يقول: تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان ونتسابق على الخيل، يعني أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الخيل.

(٨٤) القنيص: الصيد. والمفارق: جمع مفرق؛ موضع افتراق الشعر من الرأس. يقول: وتذكرت صحبة قوم صعاليك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في رءوس الأعداء.

(٨٥) الثوية: موضع بقرب الكوفة. وتوسد الشيء: جعله كالوسادة تحت رأسه. والمرافق: جمع مرفق؛ مرفق اليد. وثراها: ترابها. يقول: وتذكرت ليلًا اتخذنا فيه هذا المكان مخدات لنا؛ أي نمنا عليه وكان طيب التراب، فكأن ترابه الذي ارتفقنا به حين

اتكأنا عليه عنبر في المرافق. وقال ابن جني: المرافق: جمع مرفقة؛ وهي الوسادة، وهذا غير موائم للمقام؛ لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على مشقة السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداهم والأرض وسائدهم، ولا يفتخر الصعلوك بوضع الرأس على الوسادة. والبيت من قول البحتري:

فِي رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ

(٨٦) بغيرها: حال من الحسان. وحصا: فاعل زار. والمخانق: جمع مخنقة، وهي القلادة. يقول: هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ وجعلنه قلائد لهن لحسنه ونفاسته. وقال الخطيب التبريزي: إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفرومي؛ أي إن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر، وحصباءها ينوب عن الدر والياقوت، كأن النساء يتحلين به وينظمنه في عقودهن. وفيه نظر إلى قول دعبل:

فَكَأَنَّمَا حَصْبَاؤُهَا فِي أَرْضِهَا خَرَزُ الْعَقِيقِ نُظِمْنَ فِي سِلْكِ

(٨٧) قطربل: ضيعة من أعمال بغداد، تنسب إليها الخمر القطربلية. وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء. ومن وعدها: نعت لكاذب يقول: سقتني الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق؛ أي يستحسن كلامها فيقبل كذبها قبول الصدق. ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك، فهو ضوء الصدق. ويجوز أن يريد أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب. وفي مثله يقول منصور النمري:

تُعَلِّلُهُ مِنْهَا غَدَاةَ يَرَى لَهَا ظَوَاهِرَ صِدْقٍ وَالْبَوَاطِن زُورُ

(٨٨) قال ابن جني: أي قد اجتمعت فيها — أي المليحة — الأضداد، فعاشقها لا ينام شوقًا إليها، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس، وهي سقام لبدنه، ومسك عند الشم، فذهب ابن جني — كما ترى — إلى أن البيت صفة المليحة. وقال العروضي: إنما يصف القطربلي — الخمر — والخمر تجمع هذه الأوصاف، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم، وهي — بشعاعها — كالشمس للناظر، وهي ترخي الأعضاء فيصير شاربها

كالسقم لعجزه عن النهوض، وهي طيبة الرائحة فهي مسك لمن شمها. والأظهر ما ذهب إليه ابن جني. وقد عاب ابن وكيع على المتنبي هذا، وقال: ينبغي أن يقول:

سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَنَوْمٌ لِسَاهِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَبُرْءُ سَقَامِ

حتى يصح التقسيم والطباق.

(٨٩) وأغيد: عطف على مليحة. ويروى بالجر — على إضمار رب — والأغيد: الناعم المتثني لينًا. يقول: وسقاني أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم، فالفاسق يميل إليه حبًّا لجسمه، والعاقل العفيف — الذي لا يفسق — يصبو إلى روحه لخفته وظَرفه. وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

فَتَنَتْنِي وَصِيفَةٌ كَالْغُلَامِ الْمُرَاهِقِ
هِمَّةُ النَّاسِكِ الْعَفِـ ـيفِ وَسُؤْلُ الْمُنَافِقِ

(٩٠) المزهر: العود. والعائق: المانع. يقول: إذا تناول العود فجس الأوتار أتى بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه، كما قال الآخر:

إِذَا مَا حَنَّ مِزْهَرُهَا إِلَيْهَا وَحَنَّتْ نَحْوَهُ أُذِنَ الْكِرَامُ
وَأَصْغَوْا نَحْوَهَا الْأَسْمَاعَ حَتَّى كَأَنَّهُمُ — وَمَا نَامُوا — نِيَامُ

ووصفه بالأدب: إما لأن ضرب العود من آداب اليد، وإما لأنه يحفظ الأبيات الحلوة والأشعار النادرة. ويؤكد هذا البيت التالي.

(٩١) عاد: هي تلك القبيلة العربية القديمة. والمراهق: الذي قد راهق الحلم — أي داناه وقاربه — يقول: إنه يأتي بالألحان القديمة والأشعار التي قيلت في الدهور الماضية، فهو بغنائه يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم. وعبارة ابن جني: هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم.

(٩٢) ضمير يكن: للحسن. والخلائق: كالشمائل — الخصال — أي الأخلاق. يقول: إذا لم تكن أفعال الفتى وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفًا له، قال العباس بن مرداس:

وَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ

وقال الفرزدق:

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا إِذَا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ

وقال دعبل:

وَمَا حُسْنُ الْجُسُومِ لَهُمْ بِزَيْنٍ إِذَا كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ قِبَاحَا

(٩٣) الأدنون: الأقربون، جمع أدنى. والأصادق: جمع أصدقاء، جمع صديق. قال الواحدي: هذا حث على السفر والتغرب. يقول: ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقه، ولا أقاربه إلا أصدقاؤه، يعني أن كل مكان وافقه وطاب به عيشه فهو بلده، وكل قوم صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأدنون. قال العكبري: وأخذ صدره من قول القائل:

يُسْرُ الْفَتَى وَطَنٌ لَهُ وَالْفَقْرُ فِي الْأَوْطَانِ غُرْبَهْ

وأخذ عجزه من قول الآخر:

دَعَوْتُ وَقَدْ دَهَتْنِي دَاهِيَاتٌ وَلِلْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ
صَدِيقًا لَا شَقِيقًا فِيهِ غِلٌّ أَلَا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(٩٤) يقول: يجوز أن يدعيَ المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها، ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه. قال العكبري: وهذا إشارة إلى أن شكره لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا يخلص له حقيقة وده. وقال الواحدي: يعرض في هذا بمشيخة من بني كلاب؛ إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين. وفي مثل هذا يقول الآخر:

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَا مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا

ويقول القائل:

خَلِيلَيَّ لِلْبَغْضَاءِ حَالٌ مُبِينَةٌ　　وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تُرَى وَمَعَارِفُ

(٩٥) عقيل بن كعب: قبيلة من قبائل قيس عيلان، ومنهم كان رؤساء الجيش الذي أوقع بهم سيف الدولة. يقول: من الذي أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشمتوا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه؟ يعني أنهم أساءوا في هذا التدبير.

(٩٦) علي: هو سيف الدولة. ويوسع: يكثر. والجحفل: الجيش العظيم. والذي يعجز الورى: هو عصيان سيف الدولة. يقول: أرادوا عصيانك الذي يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذي يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرته وازدحامه. يعني أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته.

(٩٧) يقول: حين عصوه وقاتلوه بسطوا أكفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بني عقيل — وأنهم كانوا في تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف.

(٩٨) يقول: لقد أقدموا على الحرب، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب. يعني أنهم لم يؤتوا من ضعف في حربهم ولا من تقصير في هربهم، ولكنهم رأوا من لا يواقف في حرب ولا يمتنع منه بهرب.

(٩٩) كعب: قبيلة منهم. وطغوا: تمردوا. والسنان: الرمح. يقول: لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طغوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وتقتيلهم، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته.

(١٠٠) أراد بالغيث: إنعامه عليهم. والبوارق: جمع بارق، وهو السحاب فيه برق. وقوله: سقى غيره؛ أي سقاهم كأس الموت في غير بوارق الغيث؛ يعني في بوارق السيوف. والمعنى: لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب؛ لأنه أتاهم من عسكره في مثل السحائب البارقة، فكانت ضد السحائب التي أحسن إليهم بها فكفروها. وفي مثل هذا يقول البحتري:

لَقَدْ نَشَأَتْ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ　　تُؤَمَّلُ جَدْوَاهَا وَيُخْشَى دَمَارُهَا
فَإِنْ سَأَلُوا كَانَتْ غَمَامَةَ وَابِلٍ　　وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالدَّمَارُ قِطَارُهَا

(١٠١) يقول: إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره؛ لأنه كان محسنًا إليهم وهم تعودوا إحسانه، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم. فهو يقول — موبخًا لبني كعب لما حرمت أنفسها فضل سيف الدولة، الذي كان عندهم عادة دائمة ونعمة سابغة: وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه. يريد أنهم كانوا أصدقاءه فحرموا فضله ورفده.

(١٠٢) بها: أي بالخيل — وإن لم يجر لها ذكر — وحشو: حال، كأنه قال: محشوة. والعجاجة: واحدة العجاج؛ الغبار. والقنا: الرماح. والسنابك: أطراف الحوافر. والحمالق — بحذف الياء؛ لأنها الحماليق — جمع حملاق؛ بطن جفن العين. يقول: أتاهم بالخيل وقد أحاطت بها الرماح والغبار فهي حشو هذين، وحوافر تحشو العيون بما تثير من الغبار. وقال العروضي: أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رءوس القتلى فتحشو حماليقها بسنبكها، كما قال:

وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمه

فأما أن يرتفع الغبار فيدخل في العيون فلا كثير افتخار في هذا.

(١٠٣) عوابس: حال — أي كالحة لما أصابها من الجهد — وحلًّى: من الحلية. وأراد بيابس الماء: ما جف من العرق، وعرق الخيل إذا جف ابيض. والحزم: جمع حزام. والمناطق: جمع منطقة؛ ما يشد به الوسط. يقول: أتتهم الخيل كالحة وقد جف العرق على حزمها فابيض، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة.

(١٠٤) أبو الهيجا: كنية والد سيف الدولة. وتدمر: البلد القديم المعروف. والعوالي: الرماح. والسمالق: جمع سملق؛ المفازة المستوية الأرض المترامية الأطراف. يقول: ليت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة في المفاوز الطوال.

(١٠٥) القفي: جمع قفا. وعلي: اسم سيف الدولة. يقول: ويراك تسوق أمامك من بني معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولي أقفيتها من يسوقها؛ يعني: إنك أذللت من العرب من لم يذلله غيرك. واللام في لسائق: زيادة في التوكيد.

(١٠٦) بلعجلان: يريد بني العجلان، فحذف النون لمشابهتها اللام، كما قالوا في بني الحارث: بلحارث. وقوله فيها: أي القبائل. يقول: إن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين ما تبدد من القبائل التي هربت بين يديك، فقلتا وخفيتا فيها خفاء راءين في لفظ

ألثغ إذا كررهما. وفيه إشارة إلى كثرة الجموع التي ظهر عليها سيف الدولة من العرب، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالهرب.

(١٠٧) فركت المرأة: إذا أبغضت الزوج، فهي فارك. والطوالق: جمع طالق. يقول: لشدة ما لحقهم من الخوف وتشتتهم في كل وجه تركت النساء أزواجهن من غير بغضة، والرجال النساء من غير طلاق. وهذا ينظر إلى قول النابغة:

دَعَانَا النِّسَاءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقْنَ عَنْ قِلَى

(١٠٨) الضمير في يفرق: لسيف الدولة. والكماة: الأبطال عليهم السلاح، جمع كمي. والضمير في بينها للنسوان. يقول: يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسائهم بضرب شديد ينسي العاشق معشوقه؛ أي إن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم، وكل هذا مما يقيم لهم العذر في هربهم منه.

(١٠٩) الظعن: جمع ظعينة، وهي النساء في الهوادج. والرشاشة: واحدة الرشاش؛ ما ترشرش من الدم ونحوه. والعواتق: جمع عاتق، وهي الجارية التي قد أدركت وشبت في بيت أبيها. يقول: إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم في نحور النساء، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن؛ لأنهن أحق بالصون والحماية. هذه رواية ابن جني وتفسيره. وروى ابن فورجه: أتى الطعن حتى ما يطير رشاشه: الطعن — بالطاء المهملة. ورشاشه: بالهاء ضمير الطعن. أي طاعن الأعداء وهم في بيوتهم حتى يطير رشاشه في نحور النساء؛ أي أنه غزا العدو في عقر داره.

(١١٠) بكل: خبر مقدم، وظعائن: مبتدأ مؤخر. والظعائن: جمع ظعينة، وهي النساء المحمولات في الهوادج. وحمر الحلي: أي أن حليهن الذهب. والأيانق: جمع أينق، جمع ناقة؛ أي أنهن من الأشراف، ذوي اليسار حليهن الذهب ومركوبهن النياق الحمر — وهي أكرم النياق عند العرب — يقول: إنهم أبعدوا في الهرب حتى انتشرت نساؤهم في كل فلاة منقطعة لا عهد لها بالأنس، ومع ذلك أدركهم، فما ينفعهم هربهم. أو تقول: حمر الحلي وحمر الأيانق من الرشاش الذي أصاب نحور العواتق فحمَّر حليهن ونوقهن، فيكون الكلام متصلًا بما قبله.

(١١١) وملمومة: عطف على ظعائن، والكتيبة الملمومة: المجتمعة. وسيفية: نسبة إلى سيف الدولة: وربعية: لأنه من ربيعة. واللقالق: جمع لقلق؛ طائر كبير كثير في

العراق. ويصيح الحصى فيها: أي عند وقع حوافر الخيل عليه. شبه صوت الحصى بصوت اللقالق. يقول: إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة.

(١١٢) بعيدة: صفة الملمومة. والقنا: الرماح. والبيض: جمع بيضة؛ الخوذة تكون على الرأس. واليلامق: الأقبية، جمع يلمق. وغبر: جمع أغبر، وكان الوجه أن يقول: غبراء اليلامق؛ لأنها صفة للكتيبة، لكنه جمع ذهابًا إلى المعنى؛ لأن الكتيبة جماعة، وهذا كما تقول: مررت بكتيبة صفر الأعلام طوال الرماح. يقول: إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متكاثفون مجتمعون لازدحامهم، فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار. وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تُجْدِهِم فقد أقحمها عليهم ولم يتهيب اختراقها.

(١١٣) جوده: يروى: سيبه. والحقائق: جمع الحقيقة؛ ما تحق حمايته من أهل ومال ونحوهما. يقول: إن جود سيف الدولة يغنيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته. كما قال أبو تمام:

إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

(١١٤) السورة: الوثبة. والهاء في توهمها: للسورة. أي توهم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف. ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسره بمفرد. والأعراب: سكان البادية. والمترف: المتنعم. والبيداء: الفلاة المهلكة. والسرادق: ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف. يقول: توهم الأعراب أن حربك سورة متنعم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعيم كعادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هربًا من العطش والحر. وفي هذا نظر إلى قول البحتري:

أَلُوفُ الدِّيَارِ فَإِنْ أزمعَ التـْ ... ـتَرَحُّلَ حَرَّمَ إِيطَانَهَا
إِذَا هَمَّ لَمْ يَهْتَدِمْ عَزْمَهُ ... مَقَاصِيرُ يَعْتَادُ أَكْنَانَهَا

وإلى قول منصور النمري:

كَذَبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نِعْمَةٍ ... صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلَالِ

(١١٥) غبرت: أثارت الغبار. وسماوة كلب: أي سماوة بني كلب، وهي برية معروفة بناحية العواصم. والحزائق: جمع حزيقة، وهي الجماعة. يقول: في هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء، أي حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم في برية السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك، يعني عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تتبعهم.

(١١٦) يروعون: يخيفون. وبأن بدوا: أي بأنهم أقاموا بالبادية. وأن: مخففة من الثقيلة. والضمير في نبتت: للملوك. والغلافق: جمع غلفق، وهو الطحلب. يقول: إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشئوا في البادية فلا يكترثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء، وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء؛ لأنهم نشئوا فيه — أي في جواره — كما ينشأ الطحلب في الماء، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك.

(١١٧) أهدى: أفعل تفضيل — من الهداية — وهو حال من ضمير المخاطب. والفلا: جمع فلاة، والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا؛ لأن كل جمع بينه وبين واحده التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير. وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازًا على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين. وأبدى: أظهر. وأداحي: جمع أدحي — ككرسي — موضع بيض النعام من الرمل. والنقانق: جمع النقنق؛ ذكر النعام. يقول: فهيجوك وأثاروك عليهم بعصيانهم فكنت أهدى إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتًا فيها من مبيض النعام؛ وذلك أن النعامة لا عش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها، أي تبسطه ثم تبيض فيه. يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل، ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضًا لحر الشمس.

(١١٨) الضِّباب: جمع ضب؛ الدويبة البرية المعروفة. والودائق: جمع وديقة؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرءوس. قال بعضهم: سميت وديقة؛ لأنها ودقت إلى كل شي أي وصلت إليه. قال أبو المثلم الهذلي يرثي صخرًا:

حامي الحقيقة نسَّال الوديقة معــ ـــتاق الوسيقة لا نِكسٌ ولا واني

(قبله:

آبي الهضيمة نابٍ بالعظيمة متــ ـــلاف الكريمة جلد غير ثنيان

قال ابن الأعرابي: يقال: فلان يحمي الحقيقة وينسل الوديقة، يقال للرجل المشمر القوي؛ أي ينسل نسلانًا في وقت الحر نصف النهار. والوسيقة: الطريدة من الإبل، وفرس معتاق الوسيقة وهو الذي إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها.)

وأصبر: عطف على أهدى — في البيت السابق — يقول: وكنت أصبر على الماء من الضب — والضب لا يرد الماء قط — وكنت آلف مقلة للهجير — شدة الحر — من الضب مع أنها تسكن الفلوات. وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطئوا في تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار، وأنهم عجزوا عما بدا منه من الأيد والجلد.

(١١٩) اسم كان: ضمير فيها، وهديرًا: خبرها، والتقدير: وكان فعلهم أو كيدهم. والهدير: صوت البعير إذا ردده في حنجرته. والمهلبة: المقطوعة الهلب، وهو شعر الذنب. والشقاشق: جمع الشقشقة، وهي لهاة البعير إذا هدر أخرجها من فمه. يقول: كان طغيانهم وغيهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم — فحل كريم، هو سيف الدولة — مصعب فضغمها — عضها بملء فمه؛ أي نال منها وسار عليها فتركها — صيرها — مهلبة الأذناب ساكنة الهدير، يعني أذلهم وصغر أمرهم؛ لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنابها، وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت، قال الشاعر:

أَبَىَ صِغَرُ الْأَذْنَابِ أَنْ تَخْطُرُوا بِهَا

والمعنى: تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستذل بقطع الأذناب، وسكنتها بغلبتك عليها فانقطعت أصوات شقاشقها؛ يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم.

(١٢٠) الشواهق: جمع شاهق؛ الجبل الشامخ العالي. يقول: إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة؛ لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير في البراري عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم.

(١٢١) الصم: الصلاب. والقنا: الرماح. وبقلوبهم: متعلق بشغلوا. وركز الرمح: غرزه في الأرض قائمًا لا يطعن به. والدماسق: جمع دمستق — على حذف التاء — والدمستق: قائد الروم. يقول: إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك تاركًا للحرب بل كنت تغزو الروم، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن طعن قلوب قواد الروم؛ أي فلا راحة لخيلك ولا لسلاحك.

(١٢٢) المسخ: قلب الخلقة. والخرانق: جمع خِرنق — بكسر الخاء — وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها. يريد بمسخه الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جبناء والأقوياء ضعفاء، فتصير الأيدي القوية التي كأنها أيدي الأسد أيديًا ضعيفة كأنها أيدي الأرانب. وعبارة العكبري: ألم يحذر الأعداء سطوته التي هي على عدوه كالمسخ الذي يقلب الخلق ويقبح الصور ويعيد بها عزيزهم ذليلًا وكثيرهم بالقتل قليلًا ويجعل أيدي الأسد من أعاديه وقد تناهت في القوة كأيدي الخرانق قصيرة؛ مما يكسبهم من الذلة والصغار؟ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ طِوَالٌ قَصَّرَتْ عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهْيَ قِصَارُ؟!

(١٢٣) وقد عاينوه: حال من ضمير يحذروا في البيت السابق. والمارق في الأصل: الذي يمرق من الدين. والمراد: الخارج عن الطاعة، من مروق السهم. والمصرع: مصدر صرعه، إذا طرحه على الأرض، ويراد به القتل. يقول: قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديرًا بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصي المتمرد عليه حتى يعتبر الثاني بالأول، كما قال أشجع:

شَدَّ الْخِطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يُخْطَمِ

(١٢٤) القضم: أكل الشيء اليابس. والهام: الرءوس. والعلائق: جمع عليقة، وهي المخلاة تعلق من رأس الدابة لتعتلف. وجنوبها: نواحيها. قال ابن جني: سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت فقال: الفرس إذا علقت عليه المخلاة طلب لها موضعًا مرتفعًا يجعلها عليه ثم يأكل، فخيله أبدًا إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها، فقد تعودت خيله ذلك في غزواتها.

(١٢٥) ولا ترد: عطف على لا تقضم. والغدران: جمع غدير، وهو ما غدره السيل — تركه — والشقائق: نَور أحمر يقال له: شقائق النعمان، قال ابن جني: أي لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم، والماء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق، وماء الغدير أخضر من الطحلب فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق. وقال ابن فورجه: إنما يعني أنه لا يروم الهوينا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء، كما قال بشار:

فَتًى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمْ

وقال العكبري: ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة، ولا تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه كالريحان في خضرته إذا استبان تحت الشقائق، واستولت بحمرتها على جملته. وأشار بخضرة الماء إلى صفائه وكثرته، ونبه بذلك على جمومه، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه صفته، وترد منه ما هذه حقيقته. وفيه نظر إلى قول جرير:

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا بِدِجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ

(تمور: تجري. وأشكل: فيه بياض وحمرة، قد اختلطا.)

(١٢٦) لوفد: اللام للابتداء. والوفد: القوم الوافدون. ونمير: قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة — كما سيذكر في البيت التالي — والأظعان: جمع ظعن، جمع ظعينة؛ المرأة ما دامت في الهودج. والوسائق: جمع وسيقة؛ الطريدة من الغنم أو الإبل. يقول: إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق.

(١٢٧) ضمير رد: للخضوع. وغرب كل شيء: حده. والفيالق: جمع فيلق؛ القطعة من الجيش. يقول: إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم، وهذا كما يقول أبو تمام:

فَحَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تحُطْهُ قَنَابِلُهْ

(١٢٨) المخاتل: المخادع. والمسارق: الذي يترقب غفلة. يقول: لم أر أحدًا يرمي أعداءه جهارًا ويسري إلى أعدائه معالنًا غير مسر كما يرمي هو ويسري، فهو لا يحتاج إلى المخاتلة والمسارقة في الظفر بعدوه. وفي هذا يقول البحتري:

فَنُدْرِكُ بِالْإِقْدَامِ بُغْيَتَنَا الَّتِي نُطَالِبُهَا لَا بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ

وهو معنًى قديم.

(١٢٩) المجانيق: جمع منجنيق؛ آلة تُرمى بها الحجارة ونحوها على الحصون في الحصار. والدقائق: الأشياء الدقيقة. وأعيت: أعجزت. والقسي: جمع قوس، وهو من القلب المكاني. والبنادق: جمع بندقة؛ ما يعمل من الطين ويرمى به الطير. يقول: إنه يقدر على ما لا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رميه وتعذر ضبطه من الأشياء الدقيقة، ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسي التي ترمي بها البنادق، يعني أنه معان موفق مؤيد.

(١٣٠) الأرق: فقد النوم. والجوى: الحرقة — من حزن أو عشق — والعبرة: الدمعة تتردد في العين. وتقول: رقرقت الماء فترقرق: مثل أسلته فسال. يقول: لي سهاد بعد سهاد على أثر سهاد، ومثلي ممن كان عاشقًا يسهد لامتناع النوم عليه، وحرقته تزداد كل يوم ودمعه يسيل.

(١٣١) جهد الصبابة: مبتدأ، خبره: أن تكون. والجَهد بالفتح: المشقة، وبالضم الطاقة والوسع، وقيل: هما لغتان بمعنًى. والصبابة: رقة الشوق. وعين: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: لي عين. ويجوز أن تكون عين خبرًا عن جهد الصبابة، و«أن تكون» في موضع الحال. يقول: غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التي أنا فيها. وقال البحتري:

هَلْ غَايَةُ الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ غَيْرَ أَنْ ... يَعْلُوَ نَشِيجٌ أَوْ تَفِيضَ مَدَامِعُ؟

(١٣٢) انثنيت: رجعت. ولي فؤاد: جملة حالية. والشيق: المشتاق. وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته؛ لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذي هم به، وكذلك ترنم الطائر. وهذا كثير في أشعارهم، ومنه قول بعضهم:

مَا تَغَنَّى الْقُمْرِيُّ إِلَّا شَجَانِي ... وَغِنَاءُ الْقُمْرِيِّ لِلصَّبِّ شَاجِي

(١٣٣) الغضى: شجر معروف يستوقد به، فتكون ناره أبقى. يقول: جربت من نار الهوى نارًا تكل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه، يريد أن نار الهوى أشد إحراقًا من نار الغضى. وهذا ينظر إلى قول الآخر:

لَوْ كَانَ قَلْبِي فِي نَارٍ لَأَحْرَقَهَا ... لِأَنَّ إِحْرَاقَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ

فما — من قوله: «ما تنطفي»، مصدرية. والضمير في «تحرق» لنار الهوى. وعما تحرق: متعلق بتكل. ومعمول تنطفي — كما يقول العكبري: محذوف على رأي البصريين في إعمال ثاني الفعلين، كقولك: رضيت وصفحت عن زيد، فحذفت معمول الأول لدلالة الثاني عليه؛ وحجتهم أن الثاني أقرب إلى المعمول. واختار الكوفيون إعمال الأول؛ لأنه أسبق في الذكر. وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثاني. فهو دليل «للبصريين»، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول. ففي القرآن: ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، وفي البيت محذوفان هذا الذي ذكرناه. والثاني: حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها، وفيه حذفان آخران تقديرهما: جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى.

(١٣٤) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية في الشدة، يقول: كيف يكون موت من غير عشق؟ أي من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاسِ ما يوجب الموت، وإنما الذي يوجبه هو العشق. وقال بعض الشراح: لما كان المتقرر في النفوس أن الموت في أعلى مراتب الشدة قال: لما ذقت العشق وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق!

(١٣٥) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق في وقوعهم في العشق وفي جزعهم، وعرفت أني أذنبت بتعييرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت في العشق من الشدائد ما لقوا. وفي مثل هذا يقول علي بن الجهم:

وَقَدْ كُنْتُ بِالْعُشَّاقِ أَهْزَأُ مَرَّةً ... وَهَا أَنَا بِالْعُشَّاقِ أَصْبَحْتُ بَاكِيَا

ويقول أبو الشيص:

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتًى يُبَكِّي ... عَلَى شَجَنٍ هَزَأْتُ إِذَا خَلَوْتُ

وَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللهُ مِنِّي ... فَصِرْتُ إِذَا بَصُرْتُ بِهِ بَكَيْتُ

(١٣٦) نعق الغراب ونغق: صاح. انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت، ومثل هذا — كما قال الواحدي — يستحسن في المراثي لا في المدح. وقوله: أبني أبينا؛ أي يا إخواننا، يجوز أن يكون نداء لجميع الناس — لأن الناس كلهم بنو آدم — ويجوز أن يريد قومًا مخصوصين: إما العرب، وإما رهطه وقبيلته. يقول: نحن نازلون

في منازل يتفرق عنها أهلها بالموت، وإنما ذكر غراب البين؛ لأن العرب تتشاءم بصياح الغراب، يقولون: إذا صاح الغراب في دار تفرق أهلها، وهو كثير في أشعارهم.

(١٣٧) مثله:

لَا يُلْبِثُ الْقُرَنَاءَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يكرُّ عَلَيْهِم وَنَهَارُ

(١٣٨) الألى: أي الذين. وبقين: أي الكنوز. وبقوا: أي الأكاسرة.

(١٣٩) من — في أول البيت — للتفسير. والجار والمجرور في موضع الحال من الأكاسرة. ومن — المضافة إليها كل — نكرة موصوفة، والجملة بعدها: صفتها. وثوى: أي أقام في قبره، ويروى: نوى؛ أي هلك. يقول: أولئك الذين ذكرناهم من كل ملك كثرت جنوده حتى ضاق بهم الفضاء فجمعه لحد — شق في جانب قبر — ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه. قال أشجع:

وَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَيِّقٍ وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ

«الصحاصح: جمع صحصح: الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء.»

(١٤٠) يقول: إنهم موتى لا يجيبون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا. ولو وصفهم بالعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن؛ لأن الميت لا يوصف بما ذكره … قاله الواحدي.

(١٤١) النفيس: الشيء الذي ينفس به؛ أي يضن به. والمستغر: المغرور. يقول: الموت يأتي على الناس فيودي بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة، والكيس لا يغتر بما جمعه من الدنيا لعلمه أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئًا، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق. ورُوي المستعز: أي الذي يطلب العز بماله هو أحمق، وفي معنى البيت:

وَإِنِ امْرَأً أَمِنَ الزَّمَا نَ لَمُسْتَغْرٌ أَحْمَقُ

(١٤٢) شهية: مشتهاة طيبة. وأوقر: من الوقار. والشبيبة: اسم بمعنى الشباب. وأنزق: أخف وأطيش. يقول: إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده، ويكره الشيب وهو خير له؛ لأنه يفيده الحلم والوقار، ويحب الشباب وهو شر له؛ لأنه يحمله على الطيش والخفة.

(١٤٣) اللمة من الشعر: ما جاوز شحمة الأذن. والواو قبلها: للحال. والرونق: الحسن والنضارة.

(١٤٤) حذرًا: مفعول لأجله. والعامل فيه: بكيت، واللام من قوله لكدت: للتوكيد. والتقدير: لقد كدت فحذف «قد» ويقال شرق بالماء. كما يقال غص بالطعام يقول: لكثرة دموعي كاد يشرق بها جفني: أي يضيق عنها، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يبلع ريقه ويكون التقدير: بسبب ماء جفني أشرق بريقي، وفي هذين البيتين نظر إلى قول الآخر — وهو من باب غير هذا الباب:

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتِ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَاكِ الرِّضَا بِمُغْتَبِطِ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتْبَعُهُ مِنْكِ التَّجَنِّي وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

(١٤٥) الأينق: النياق، جمع ناقة — على غير قياس — والقياس: الأنوق. يقول: إن قوم هذا الممدوح أعز الناس لمنعتهم وشرفهم، فهم أعز من يقصد ويسري إليه الطلاب والقصاد ويحدون جمالهم. قال الواحدي: روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي: الرُّضا بضم الراء؛ وهو اسم صنم، وأراد ابن عبد الرضا، كما قالوا: ابن مناف، ويريدون: ابن عبد مناف.

(١٤٦) جعلهم كالشموس في علو ذكرهم واشتهارهم أو في حسن وجوههم. يقول: كبرت لله — أي قلت: الله أكبر — تعجبًا من قدرته حين أطلع شموسًا لا من المشرق، وكانت منازل الممدوحين في جهة المغرب. قال العكبري: وإنما جمع الشموس ليجعل كل واحد منهم شمسًا، فقابل جماعة بجماعة، واستجاز ذلك؛ لأن الشمس يختلف طلوعها وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها في الأصائل وغيرها، فيقال: شمس الضحى، وشمس الأصائل، وشمس الصيف، وشمس الشتاء. كقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ و﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، وقال النخعي:

حَمِيَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمِ فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ

(١٤٧) يقول: إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى أيديهم على ندى السحاب؛ أي كان من حقها أن تلين حتى تنبت الورق. وهذا من قول البحتري يصف أيام المتوكل:

أَشْرَقْنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطُبْنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ

ويقول أبو الشمقمق — وكان مع طاهر بن الحسين في حراقة في دجلة:

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيـ ـنِ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَغْرَقُ؟
وَبَحْرَانِ: مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ؟!

وَيقول مسلم:

لَوْ أَنَّ كَفًّا أَعْشَبَتْ لِسَمَاحَةٍ لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ

(١٤٨) مكانة: أي مكان، ومثله: منزلة ومنزل، قال تعالى: ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، والثناء يوصف بطيب الرائحة؛ لأن طيب أخبار الثناء في الآذان مسموعة كطيب الروائح في الأنوف مشمومة. يقول: إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة المثنين عليهم. ولله ابن الرومي حين يقول:

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طِيبِ رِيحِكَ عَبْقَةً كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءَكَ الْمَسْمُوعَا

ولآخر:

لَوْ كَانَ يُوجَدُ رِيحُ مَجْدٍ فَائِحًا لَوَجَدْتَهُ مِنْهُ عَلَى أَمْيَالِ

ولابن الرومي أيضًا:

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْغِي لَنَا مَنْزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَنْشِقُ

ومثله:

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ شَمِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(١٤٩) النفحات: الروائح. وتعبق: تفوح. يقول: روائح ما يسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم؛ يعني لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم.

(١٥٠) أمريد: نداء. يقول: يا من يريد أن يوجد له نظير لا تمتحنا بطلاب ما لا يدرك؛ أي أنه لا يوجد له نظير. وفي مثل هذا يقول البحتري:

وَلَئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ إِنِّي إِذَنْ لَمُكَلِّفٌ طَلَبَ الْمُحَالِ رِكَابِي

(١٥١) يقول: إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلًا كان طلب مثله محالًا. وعبارة العكبري: لا تطلب مثله، فظني أنه لا يخلق الله مثل محمد، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق في الأول ولا في الآخر مثل محمد ﷺ، ومثله لأبي الشيص:

مَا كَانَ مِثْلُك فِي الْوَرَى فِيمَنْ مَضَى أَحَدٌ وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يُخْلَقُ

ولابن الرومي:

فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى مِثْلِهِ أَبَى اللَّهُ ذَاكَ عَلَى مَنْ خَلَق

وللحصني:

لَمْ يَكُنْ فِي خَلِيقَةِ اللهِ نِدٌّ لَكَ فِيمَا مَضَى وَلَيْسَ يَكُونُ

(١٥٢) وعنده: أي وفي اعتقاده أني إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لي الشكر. والأصل في هذا قول زهير:

ترَاهُ — إِذَا مَا جِئْتَهُ — مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلَهْ

فقوله: أتصدق؛ أي أعطيه الصدقة وأهبها له، وقد جاء: تصدق؛ بمعنى: سأل، وأنشدوا:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رُزِقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ   لَلَقِيتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ

(١٥٣) ثرة: غزيرة كثيرة الماء. يقول: اجعل سحاب جودك ماطرًا عليَّ مطرًا غزيرًا، ثم ارحمني بأن تحفظني من الغرق كيلا أغرق في كثرة مطرك، وهذا ينظر إلى قول ابن أبي السمط في وصف سحابة:

حَتَّى ظَلِلْتُ أَقُولُ فِي إِلْحَاحِهَا   بِالوبل: هَلْ أَنَا سَالِمٌ لَا أَغْرقُ؟!

هذا، وقد قال ابن الشجري في «آماليه» تعليقًا على قوله: لا أغرق: تقديره: فإن تنظر إلي لا أغرق، ويحتمل رفعه وجهين؛ أحدهما: أراد لئلا أغرق، فحذف لام العلة ثم حذف أن فارتفع، كقوله:

أُوجَدُ مَيتًا قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا

كما جاء في قول طرفة:

أَلَا أَيُهَذَا الزَّاجِرِي أحضُرُ الْوَغَى

(من معلقة طرفة، وقد تقدم شرحه في غير موضع من هذا الشرح.)

أراد أن أحضر، فحذفها. يدلك على حذفها قوله: وأن أشهد اللذات. والثاني: أن يكون بالفاء مقدرة، وإذا كانت في الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها، كما يرتفع بإثباتها، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون فحذفها من جواب الأمر أسهل، كقوله:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا

(لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وقبله:

إِنْ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِنْ قَتْلٍ وَمِنْ هَرَمٍ   لـلـذَّة الْـعَـيْـشِ أَفْـنَـاهُ الْـجَـدِيـدَانِ
فَـإِنَّـمَـا هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا وَزِيـنَـتُـهَـا   كَـالـزَّادِ لَا بُـدَّ يَـوْمًـا أَنَّـهُ فَـانِـي

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ سِيَّانِ)

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ في قراءة الكوفيين وابن عامر، ففيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: بتقدير الفاء، والثاني: على التقديم والتأخير، كأنه قال: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب:

إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

(من رجز لعمرو بن خثارم البجلي وهو:

يَا أَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنِّي أَخُوكَ فَانْظُرَنْ مَا تَصْنَعُ
إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ إِنِّي أَنَا الدَّاعِي نِزَارًا فَاسْمَعُوا
فِي بَاذِخٍ مِنْ عِزٍّ مَجْدٍ يَفْرعُ بِهِ يَضُرُّ قَادِرٌ وَيَنْفَعُ
وَأَدْفَعُ الضَّيْمَ غَدًا وَأَمْنَعُ عِزٌّ أَلَدُّ شَامِخٌ لَا يُقْمَعُ
يَتْبَعُهُ النَّاسُ وَلَا يُسْتَتْبَعُ هَلْ هُوَ إِلَّا ذَنَبٌ وَأَكْرُعُ
وَزَمَعٌ مُؤْتَشَبٌ مُجَمَّعُ وَحَسبٌ وغلٌ وأنفٌ أَجْدَعُ؟

وأقرع بن حابس صحابي، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه. والصرع: الهلاك. ونزار: هو أبو القبيلة. والباذخ: العالي. ويفرع: يعلو. والألد: الأشد. والشامخ: المرتفع. ويقمع: يقهر ويذل. وقوله: هل هو، الضمير لرجل اسمه خالد بن أرطاة. والأكرع: جمع كراع، وهو مستدق الساق، استعاره لأسفل الناس كالذئب. والزمع: رذال الناس. والمؤتشب: أي غير الصريح في نسبه. والوغل: النذل من الرجال. والأجدع: المقطوع الأنف.)

والثالث: أن يكون الضم للاتباع.

(١٥٤) كذب ابن فاعلة: أي كذب ابن زانية، كنى بالفاعلة عن الزانية، يقول: كذب من قال: إن الكرام قد ماتوا ما دمت في الأحياء مرزوقًا. ويروى: تَرزق — بفتح التاء — أي ترزق الناس؛ أي تعطيهم أرزاقهم، والأولى أجود.

(١٥٥) أي: استفهام معناه الإنكار. يقول: لم يبقَ محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها، وليس يخاف عظيمًا.

(١٥٦) المفرق: وسط الرأس حيث يفترق الشعر، وقوله: وما لم يخلق: قال الواحدي: ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقًا كذات الباري عز وجل وصفاته؛ لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول، وإنما أراد: وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون.

(١٥٧) هو: كناية عن البين، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا: الإضمار على شرطية التفسير، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. وحتى: ابتدائية. وتأنى — بحذف إحدى التاءين — أي تتمهل وتترفق. والحزائق: الجماعات، جمع حزيقة. يقول: هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين. ثم خاطب قلبه فقال: وأنت أيضًا — على ما لك من علائق القرب — ممن أفارقه! يعني أن الأحبة إذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقني وفارقته. ومثله للعباس بن أحنف.

تَفَرَّقَ قَلْبِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلِلَّهِ دَرِّي أَيَّ قَلْبٍ أُشَيِّعُ!

ولآخر:

كَأَنَّ أَرْوَاحَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا أَوْ سِرْنَ فِي أَثَرِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا

(١٥٨) البث: الحزن. وفريقي هوى: نصب على الحال من الضمير في وقوفنا. يقول: وقفنا للوداع ومما زادنا حزنًا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى، منا مشوق؛ وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه، وشائق؛ وهو المعشوق يشوق عاشقه. وجعل هذه الحالة تزيده حزنًا؛ لأن فراق الأحبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم.

(١٥٩) قرحى: كجرحى ومرضى، جمع قريح؛ أي جريح، فهو بدون تنوين. وقال ابن جني: قلت له — للمتنبي — عند القراءة عليه: قرحى، أتريده بالتنوين؟ فقال: نعم، جمع قرحة، وهي اسم لا وصف. والبهار: زهر أصفر. والشقائق: جمع شقيقة؛ زهر أحمر يقال له: شقائق النعمان. يقول: صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء، وحمرة الخدود صفرة لأجل البين. كما قال عبد الصمد بن المعذل:

بَاكَرَتْهُ الْحُمَّي وَرَاحَتْ عَلَيْهِ فَكَسَتْهُ حُمَّى الرَّوَاحِ بهَارَا

لَمْ تُشِنْهُ لمَّا أَلَحَّتْ وَلَكِنْ بَدَّلَتْهُ بِالاحْمِرَارِ اصْفِرَارَا

وقال أبو تمام:

لَمْ تشِنْ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَّلَتْ وَرْدَ وَجْنَتَيْهِ بهَارَا

وقال أيضًا:

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ احْتِرَاقٌ يُعِيدُ بَنفسجًا وَرْدَ الْخُدُودِ

(١٦٠) اجتماع: مبتدأ، محذوف الخبر؛ أي لهم اجتماع، والجملة: حال. وقوله: وميت: أي ومنهم ميت. يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم، يقول: على هذا مضى الناس قبلنا، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة، ومنهم ميت يموت ومولود يولد، ومنهم قالٍ مبغض، ووامق محب. كما قال الأعشى:

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافِتَقارٌ وَثَرْوَةٌ فَللهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا!

وقال الآخر:

وَمَا النَّاسُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّـةُ مَـالٍ أَوْ فِـرَاقُ حَـبِـيـبِ

هذا، وقد عاب أبا الطيب بعضُ المتحذلقين، فقال: كان ينبغي أن يقول: على ذا عهدنا الناس: راضٍ وساخط، وميت ومولود. أو يقول: اجتماع وفرقة، وموت وولادة، وقلًى ومقة.

(١٦١) الغرانق: الشاب الناعم الجميل، وجمعه غَرانق — بفتح الغين — ويقال الغرانيق؛ وهو في الأصل طائر مائي يشبه الكركي. يقول: تمر الليالي وتجيء وهي على حالها وبمرها تغير حالي وشيبتني وهي لا تشيب. يعني أن الزمان يُبلي ولا يَبلى.

(١٦٢) جوز كل شيء: وسطه. والمهاري: جمع مهرية، وهي الإبل المنسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها: مهرة بن حيدان، ويجوز في المهاري فتح الراء وكسرها: كصحارى وصحاري — بتشديد الياء وتخفيفها — قال رؤبة:

بِهِ تَمَطَّتْ غولَ كُلِّ مِيلهِ　　　بِنَا حَرَاجِيج الْمهَارِي النُّفَّه

(قبله:

ومخفق مِنْ لُهْلُهٍ وَلُهْلُهِ　　　فِي مَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمَهِ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّهِ　　　بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلَهِ
بِنَا حَراجيج الْمهَارِي النُّفهِ　　　يَجْذِبْنَهُ بالبوع والتأَوُّهِ

المخفق: الموضوع الذي يخفق فيه السحاب. واللهله: المكان المستوي الذي ليس به علم. وغول كل ميله: أي بعد؛ يريد مكانًا بعيدًا يغتال المشي فلا يستبين فيه، ولا يكاد يقطع من بعده. وبعير نافه: كال مُعْيٍ، والجمع نفه. ويجذبنه: يريد يجذبن أنفسهن فيه، والتأوه مثل قول المثقب العبدي:

إِذَا مَا قُمْتُ أرحلُهَا بِلَيْلٍ　　　تَأَوَّهُ آهةَ الرَّجلِ الْحَزِينِ)

والنقانق: جمع نقنق، وهو ذكر النعام. يقول — لصاحبه: سل البيد تخبرك أين تقع الجن منا بهذه المفازة؛ أي إننا كنا أسرع فيها من الجن — وعن إبلنا أين تقع منها الظلمان في السرعة؛ أي إن إبلنا كانت أسرع من النعام.

(١٦٣) وليل: أي ورب ليل، وليل: في موضع رفع مبتدأ. خبره: جملة كأنا ... إلخ. ودجوجي: مظلم. وجلت: كشفت وأظهرت. ولنا: متعلق بجلت. والمحيا: الوجه. والسمالق: فاعل جلت؛ جمع سملق، وهي الأرض البعيدة الطويلة. والضمير من فيه: لليل، وهي متعلقة باهتدينا. يقول: رب ليل مظلم كأن السمالق التي كنا نقطعها أظهرت لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره. وهذا من قول مزاحم العقيلي:

وُجُوهٌ لَوَ انَّ الْمُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا　　　صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

ويقول أشجع السلمي:

مَلِكٌ بِنُورِ جَبِينِهِ　　　نَسْرِي وَبَحْرُ الليْلِ طامِي

ولصريع الغواني:

أَجِدِّكِ هل تَدْرِينَ أَنْ بِتُّ لَيْلَةً　　كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكِ ينشرُ؟
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ　　كَغُرَّةِ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

(١٦٤) زال — من الزوال — أي ذهب. وجنحه: فاعل، وجنح الليل: إقباله بظلامه يجنح على النهار؛ أي يميل عليه فيذهب ضوءه. وجابها: قطعها — أي السمالق — والأيانق: النياق، جمع ناقة. يقول: لولا نور وجهك لما زال الظلام، ولولا النياق لما قطعنا السمالق.

(١٦٥) وهز: عطف على الأيانق. والمراد بالسكر: النعاس. والغرز: ركاب للإبل من جلد مخروز، ويقال: ثوب شبارق؛ خلق ممزق. ويقال: شبرق شبرقة وشبراقا: مزقه، قال امرؤ القيس:

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا　　كَمَا شبرقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِي

(المقدسي: الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركًا. والنَّسا قال الأصمعي: بوزن العصا؛ عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النَّسا بينهما واستبان، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النسا، ولا يقال: عرق النَّسا.)

والهز: التحريك، يعني تحريك الإبل ركبانها في سرعة سيرها، وذلك يمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مائدًا بين الغرزين كالثوب الخلق لكثرة تمايله. يقول: لولا هذا الهز الذي وصفه والذي سببه الإسراع لما قطعنا السمالق إليه.

(١٦٦) شدوا بابن إسحاق: أي غنوا بمدح ابن إسحاق. وصافحت: أي ماست مأخوذ من مصافحة الأكف. والذفاري: جمع الذفرى؛ الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين. والكيران: جمع الكور، وهو الرحل. والنمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة تحت الراكب. والمراد هنا: التي تكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقة للاستراحة إذا أخرجها من الغرز. يقول: غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صافحت أقفاؤها الرحال والوسائد التي عليها — وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه. وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي:

لا تَضْرِبُ الرَّكْبُ الطَّلائحَ نَحْوَهُ بَلْ بِاسْمِهِ يَزْجُرْنَ كُلَّ طَلِيحِ

ويقول إسحاق بن خلف:

إِذَا مَا حُدِينَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاظَ الْحَثِيثِ الْعَجِل

(١٦٧) بمن: بدل من ابن إسحاق، إلا أنه أعاد العامل. والاقشعرار: أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف. وترتج: تضطرب وتتحرك. والشواهق: جمع شاهق، وهو العالي. يقول: تهابه الأرض إذا مشى عليها، وتتحرك الجبال خوفًا منه.

(١٦٨) الجُون: جمع جَون — بفتح الجيم — وهو الأسود. والسحاب: من الجموع التي بينها وبين مفردها الهاء؛ ولذلك وصفها بالجون الذي هو جمع. والحيا: المطر. يقول: إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها. وفي مثل هذا يقول أبو تمام:

سَمَاحًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ

ويقول الآخر:

هُوَ عَارِضٌ زَجِلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقَ أَغْضَبَا

(١٦٩) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضي، وهذا مقيم في كل وقت، والسحاب قد تكذب في الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والممدوح صادق فيما يعد ويقول. وهذا من قول ابن الرومي:

فَضلْتَ أَخَاكَ الْغَيْثَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا وَحَاصَصْتَهُ فِي الْجُودِ أَيَّ حِصَاصِ
عَلَى أَنَّهُ يَمْضِي وَأَنْتَ مُخَيِّمٌ سَمَاؤُكَ مِدْرَارٌ وَرَوْضُكَ وَاصِ

(حصاص: يقال: حاصه محاصة وحصاصًا: قاسمه فأخذ كل واحد منهما حصته. وروض واص: متصل النبات.)

ومثله للبحتري:

أَنَّى يَكُونُ لَهُ احْتِفَالُكَ فِي النَّدَى   وَوُقُوعُهُ فِي الْحِينِ بَعْدَ الْحِينِ

(١٧٠) يقول: زهد في الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إعراضًا عن الخلق فلم يزده ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت، إذ لم تخل الدنيا من ذكره؛ لأن صنائعه عامة ومعروفه شامل. ولعله ينظر إلى قول البحتري:

وَشُهرتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا   فَكَأَنَّنِي فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسُ

(١٧١) الهندوانيات: السيوف الهندية؛ أي التي عملت ببلاد الهند. والهام: الرءوس. والطلا: الأعناق. والمداري: جمع مدرى، وهو ما يفرق به الشعر. والمخانق: جمع مخنقة، وهي القلادة. يقول: غذى سيوفه بلحوم رءوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت صحبتها للرءوس والأعناق كما تصاحبها المداري والمخانق. يعني إذا علت سيوفه الرءوس صارت بمنزلة المداري، وإذا علت الأعناق صارت بمنزله المخانق.

(١٧٢) تشقق — بحذف إحدى التاءين — أي تتشقق. ويروى: تشقق — بضم التاء على البناء للمجهول — والجيوب: نائب فاعل. وضمير منهن: للسيوف. والجيوب: جمع جيب؛ ما ينفتح على النحر من أعلى الثوب. والمفارق: جمع مفرق؛ وسط الرأس. يقول: إذا غزا شققت الثاكلات جيوبهن من جراء ما يفعله سيوفه من القتل، وخضبت لحى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء.

(١٧٣) جنبته الشيء: إذا باعدته عنه. وصلى بالأمر يصلى: إذا قاسى حره وشدته، وأصله من صلى بالنار: إذا قاسى حرها. يقول: من غفل عنه حتفه — موته وهلاكه — ولم ينقضِ أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولًا بها، وإنما الذي يقاسي بلاءها هو من نفسه طالق منه؛ أي مفارقته، كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه، إذ هي لا محالة قاتلته.

(١٧٤) يحاجي به: أي يغالط — من الأحجية، وهي الكلمة المخالفة اللفظ للمعنى، كالشيء الملغز به يلقى على الإنسان ليستنبط معناه، كما قال أبو ثروان: ما ذو ثلاث آذان، يسبق الخيل بالرديان؟ يعني السهم وآذانه: قذذه. وأصل الكلمة من قولهم: حجا يحجو: إذا أقام وثبت، فقيل لها: أحجية؛ لأن الملقى عليه يحتاج إلى التثبت والتفكر. يقول: إن الناس يحاجي بعضهم بعضًا بهذا الممدوح، يقولون: ما ناطق وهو ساكت؟ ثم فسر هذا بالصراع الثاني فقال: يرى ساكتًا — يعني الممدوح — لا يفتخر ولا يذكر

شجاعته والسيف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره، يعني أن الناس إذا سأل بعضهم بعضًا عمن بهذه الصفة فالجواب: الحسين بن إسحاق.

(١٧٥) نكرت الشيء وأنكرته: إذا لم تعرفه، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ — الماضي — ومنه قول الأعشى:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا

يقول: أنكرت أن يكون أحد مثلك في فضلك، واستغربتك لكثرة ما رأيت فيك من المحاسن التي لا أراها في غيرك حتى طال تعجبي، ثم علمت أن الله قادر على أن يخلق ما يريد؛ وإذن لا عجب.

(١٧٦) من قول البحتري:

تَسَرَّع حَتَّى قَالَ مَن لَقِيَ الْوَغَى: لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ؟

(١٧٧) ألا أداة: استفتاح. وعلى: بمعنى مع. وبدا: ظهر وعرض. والقنا: أي الرماح — فاعل تبقى — والسوابق: الخيل. يقول: إن الرماح والخيل لا تبقى على ما نزل بها منك من كثرة استعمالها في الحروب والغارات.

(١٧٨) السمار: جمع سامر؛ الذين يسمرون ليلًا. والسفار: جمع سفر وسافر، وهم الذي يلازمون الأسفار. وذر: طلع. والشارق: الكوكب. وقوله: ما لاح وما ذر: فما مصدرية زمانية؛ أي مدة ظهور الكواكب، وهذا كناية عن الدوام والتأبيد. يعني: أنت أبدًا يُحيي السمارُ الليلَ بذكرك وحديثك، ويغني المسافرون بمدائحك فيحدون الإبل بها.

(١٧٩) العواتق: جمع عاتق؛ الشابة من النساء. والخدور: جمع خدر. يقول: استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب في خدورهن شوقًا إليك وهيامًا بك. ويروى: حاضت؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال — زعموا — دم حيضها. والمعنى: استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقًا وهيامًا.

(١٨٠) الرتق: ضد الفتق. يقول: إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ورتق وفتق، بل هي موافقة له مؤاتية، كما قال أشجع:

فَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّهُ وَلَا يَضَعُ النَّاسُ مَا يَرْفَعُ

وقال آخر:

كُنَّا مُلُوكًا وَكَانَ أَوَّلُنَا لِلْحِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى خُلِقُوا
لَا يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ مَا فَتَقُوا يَوْمًا وَلَا يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا

والأصل في هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلوات الله وسلامه عليه:

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

(١٨١) لك الخير: دعاء للممدوح بأن يرزق الخير؛ فهو يقول: الخير لك لا لغيرك. ورام: قصد. واللاذقية: بلد الممدوح. يقول: غيري يطلب الغنى من غيرك؛ أي أنا لا أطلبه إلا منك، وغيري يلحق بغير بلدك؛ أي أنا لا أقصد إلا البلد الذي أنت فيه.

(١٨٢) يقول: إن بلدك — اللاذقية — هي المطلوب الأبعد؛ أي هي غاية ما يطلبه الإنسان، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئًا، والدنيا كلها منزلك؛ أي في منزلك، وأنت جميع الناس.

(١٨٣) المدامة: الخمر. وغلابة: تغلب العقل فلا يستطيع مقاومتها. ثم قال: وتحرك الشوق، كما قال البحتري:

من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشْـ ـشَوقَ الذي قد ضل في الأحشاء

(١٨٤) أراد بسوء الأدب: ما يكون من الشارب من قول الخنا والعربدة والحركات المفرطة، وبتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من السماحة والبذل. وفي الخمر يقول القائل:

رَأَيْتُ أَقَلَّ الناسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقَلَّهُمُ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِيَا
تَزِيدُ حُميَّاها السفيهَ سَفَاهَةً وَتَتْرُك أخلاق الكريم كما هِيَا

(١٨٥) يقول: أعزو أثمن ما للإنسان: عقله، والعاقل يكره ضياع عقله.

(١٨٦) جعل غلبة السكر على عقله كالموت، ثم قال: ومن مات مرة لا يشتهي العود إليه. وقد تجنى ابن وكيع — شنشنته مع المتنبي — فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر:

يُـسِــيءُ ويـعـذِرهُ حُـسْـنُـهُ لَدَى عاشِقِيهِ بِغَيْرِ اعْتِذَارِ
مَحَاسِنُ تغفرُ ذَنْبَ الصُّدُودِ كَمَا غَفَرَ السُّكْرُ ذَنْبَ الْخُمَارِ

وأين هذين من بيت المتنبي؟ على أن قوله: كما غفر السكر ذنب الخمار غير صحيح.

(١٨٧) الغدائر: جمع غديرة؛ الذؤابة من الشعر. يقول: هذه لعبة ذات شعر ولكنها لا تصلح للعناق؛ لأنها غير آدمية. هذا، وقوله: أن ليس: قال العكبري: «أن» هي مخففة من الثقيلة، والتقدير: أنها، ولا يدخل عليها الفعل إلا بفاصل يفصل بينها: نحو سوف والسين ولا نحو: أن سيقوم، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية، فإنها فعل لا تصرف فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

(١٨٨) تشال: ترفع.

(١٨٩) المذق: المزج. وشابه: خلطه. يقول: إنما شربت الخمر؛ لأنك أقسمت بحياتك فشربتها؛ ولأني أحبك حبًّا خالصًا غير مشوب.

(١٩٠) يقول: سقانيها إقسامُك عليَّ بذلك قسمًا لو أقسمته تريد به قتلي لفعلت ذلك.

(١٩١) أي فرس أنثى، والذي في كتب اللغة أنها الحجر، قالوا: والحجر الفرس الأنثى، لم يدخلوا فيه الهاء؛ لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر، والجمع: أحجار وحجورة وحجور، قالوا: وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل. وسميت كذلك؛ لأنهم جعلوها كالمحرمة الرحم إلا على حصان كريم.

(١٩٢) المروج: جمع مرج؛ الموضع تمرج فيه الدواب، أي ترسل لترعى. والحدائق: جمع حديقة، وهي البستان المسور، وتطلق على كل روضة ذات شجر. والخلا: الكلأ الرطب. والعوائق: جمع عائق؛ ما يعوق عن النفاذ في الشيء. يقول: نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع. وأراد بالعوائق: البرد والثلج التي تمنع من الظهور.

(١٩٣) يقول: أقام الثلج في هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها، ومن شدته أن الرجل إذا بصق جمد ريقه فوق أسنانه، وهذا من قول عبد الصمد بن المعذل:

وَنَسَجَ الثَّلْجَ عَلَى الطُّيُورِ وَأَجْمَدَ الرِّيقَ عَلَى الثُّغُورِ

(١٩٤) ثم مضى: أي الثلج بإذابة الحر إياه، وجعل أوائل ما ذاب من الثلج قائدًا له وأواخره سائقًا، يعني أن الثلج قد انحسر بذوبه، فكأن الذوب قاده وساقه حتى ذهب. ويروى: من دونه؛ أي من قدامه، وذلك أن قائد الشيء يكون أمامه، وسائقه يكون خلفه.

(١٩٥) الطخرور: اسم المهر، وهو في اللغة القطع القليلة من السحاب، جمعها طخارير. وباغي: طالب. والآبق: الهارب. ولاصق: أي بالأرض لا يرتفع عنها. يقول: إنه — لإعواز المرعى — كان يلتمس العشب من ها هنا وها هنا فلا يثبت في مكان واحد كأنه يطلب آبقًا لتردده في طلب المرعى.

(١٩٦) المهارق: جمع المهرق، وهو الصحيفة يكتب فيها، معرب؛ وذلك أنهم كانوا يأخذون الخرق ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ويكتبون عليها، شبه رعي مهره النبات اللاصق بالأرض بقشر الكاتب الحبر عن الصحيفة، وأروده: أي أطلبه. والضمير: للنبت. وضمير منه: للمهر. والظرف: حال مقدمة من الشوذانق. وقوله: بكالشوذانق: الباء متعلقة بأروده، والكاف: اسم بمنزلة مثل؛ أي بمهر مثل الشوذانق، والشوذانق: الشاهين — الصقر — معرب سه دانك؛ أي نصف درهم. يراد أنه كنصف البازي. يقول: أطلب الكلأ والنبات من هذا المهر بمهر كالشوذانق لخفته، يريد مهره على سبيل التجريد.

(١٩٧) بمطلق اليمنى: بدل من بكالشوذانق. والمراد بكونه مطلق اليمنى: أنه لا تحجيل فيها، بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الثلاث بالقيد. والفائق: مغرز الرأس في العنق، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود. وعبل الشوى: ضخم الأطراف. والمرافق: جمع مرفق؛ موصل الذراع في العضد. وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له.

(١٩٨) رحب اللبان: واسع الصدر، ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعًا يجيء ويذهب ليكون خطوه أبعد؛ فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره. وقوله: نائه الطرائق، فالطرائق: طرائق اللحم، ونائه: من ناه الشيء ينوه: إذا علا، ونهت به ونوهته: إذا أشدت به. والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية. وقال ابن جني: الطرائق: الأخلاق، أي مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه. وقال ابن جني: الرواية: نابه، يقال: امرؤ نابه: إذا كان عظيمًا جليلًا. وقوله: ذي منخر رحب؛ فإنه يستحب سعة المنخر، لئلا يحبس نفسه. والإطل: الخاصرة. ولحوقها: ضمورها.

(١٩٩) التحجيل: بياض القوائم. والنهد: الجسيم العالي المشرف. والكميت: الأحمر إلى السواد. والزاهق: الذي بين السمين والمهزول. والغرة: البياض في وجه الفرس، والغرة الشادخة: التي تملأ الوجه وتمتد سفلا. والشارق: الشمس عند شروقها. شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها في نواحي الأفق.

(٢٠٠) البارق: السحاب ذو البرق، شبه لونه بالسحاب الذي انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد.

(٢٠١) باقٍ: أي ثابت؛ خبر عن محذوف يعود إلى المهر. والكلام مستأنف. والبوغاء التربة الرخوة. والشقائق: جمع الشقيقة، وهي أرض يكون فيها رمل وحصًى. والأبردان: الغداة والعشى. والهجير: شدة الحر وقت الهاجرة — نصف النهار — والماحق: الذي يمحق كل شيء بحرارته. يقول: إن مهره ثابت على السير في السهل والحزن والحر والبرد؛ أي صبور على الشدة.

(٢٠٢) للفارس: خبر مقدم، وخوف: مبتدأ مؤخر. وركض الفرس: ضربه برجله ليعدو. ومنه: صلة الخوف. يقول: لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل في فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق.

(٢٠٣) في ريد: أي على ريد، والريد: الحرف الشاخص من الجبل. والطود: الجبل. والشاهق: العالي. يقول: لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عالٍ.

(٢٠٤) يشأى: يسبق. يقول: لسرعته وحدته في جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت؛ يعني أنه يسبق مسير الصوت.

(٢٠٥) الأبارق: جمع الأبرق، وهو آكام فيها حجارة وطين. وآثار: مفعول يترك. والمناطق: جمع منطقة؛ ما يشد بها الوسط. يقول: لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطئ الأبرق بحوافره ترك فيه آثارًا كآثار الحلي إذا قلع من المناطق.

(٢٠٦) مشيًا: حال على تأويله بالوصف. يقول: إن هذا التأثير الذي ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا — جرى — ترك آثارًا كالخنادق.

(٢٠٧) الضمير في أوردت: للآثار المشبهة بالخنادق. وغب سحاب: أي بعده. وأحسبت: كفت، ومنه: حسبنا الله؛ أي كفانا. والخوامس: الإبل التي ترد الخمس — بكسر الخاء — وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد في اليوم الرابع. والأيانق: جمع أينق؛ جمع ناقة. يقول: لو أوردت هذه الآثار التي هي كالخنادق بعد إقلاع سحاب صادق المطر لكان فيها من الماء ما يكفي نياقًا عطاشًا ترد الخمس؛ يعني إذا أقلع السحاب وامتلأت آثار حوافره كفت الإبل العطاش. يريد المبالغة في وصف عظم آثاره في الأرض إذا عدا.

(٢٠٨) شحا: فتح فاه. والناغق — بالغين والعين — الصائح. يقول: إذا ألجم لحادث طرق ليلًا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق، يريد أنه — مع شدته وعتقه — لا يمنع من اللجام. ولعله يريد أيضًا أنه واسع الفم.

(٢٠٩) الناهق: عظم ناتئ في مجرى الدمع من الفرس، وهما ناهقان، ويستحب عريهما من اللحم. قال أهل اللغة: الناهقان عظمان شاخصان يندران — يبرزان — من ذي الحافر في مجرى الدمع يخرج منهما النهاق — أي الصوت — ويقال لهما أيضًا: النواهق. قال النابغة الجعدي يصف فرسًا:

بِعَارِي النواهِق صَلْتِ الْجبِيـ ـنِ يَسْتَنُّ كَالتَّيْسِ ذِي الْحُلَّبِ

(الحلب: نبات ينبت في القيظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلزق بالأرض حتى يكاد يسوخ، ولا تأكله الإبل، إنما تأكله الشاء والظباء، وهي مغزرة مسمنة وتحتبل عليها الظباء، قال الأصمعي: أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب؛ لأنه قد رعى هذا النبت.)

وفي التهذيب: النواهق من الخيل والحمر حيث يخرج النهاق من حلقه. وأنشد للنمر بن تولب:

فَأَرْسَلَ سَهْمًا لَهُ أَهْزَعا فَشَكَّ نواهِقَهُ وَالْفَمَا

(الأهزع: قيل: هو خير السهام وأفضلها، تدخره لشديدة، وقيل: هو آخر ما يبقى من السهام في الكنانة؛ جيدًا كان أو رديئًا.)

وسيتا القوس: جانباه. والجلاهق: البندق الذي يرمى به. يقول: إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيتي قوس البندق.

(٢١٠) بز: غلب وفاق. والمذاكي: جمع مذك: الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة. قال أهل اللغة: المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والذكاء: السن. قال الحجاج: فررت عن ذكاء، وبلغت الدابة الذكاء: أي السن، قالوا: والمذكى أيضًا من الخيل: الذي يذهب حضره — جريه — وينقطع. وفي المثل: جري المذكيات غلاب؛ أي جري المسان القرح من الخيل أن تغالب الجري غلابا. قالوا: وتأويل تمام السن النهاية في الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء. والعقائق: جمع عقيقة، وهي الشعر الذي يولد المولود وهو عليه. والنقانق: جمع نقنق، وهو ذكر النعام. يقول: إنه سبق الخيل المسنة وهو بعد فَلْوٌ — أي مهر — صغير لا يزال شعر الولادة عليه، وزاد على النعام في طول الساق وصلابته، وذلك محمود في الخيل كما قال امرؤ القيس:

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ

(٢١١) الخرانق: جمع الخرنق، وهو ولد الأرنب. يقول: إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق. قال الواحدي: ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب. ثم قال المتنبي: وإن أذنه تزيد في الدقة والانتصاب على آذان الأرانب.

(٢١٢) العقاعق: جمع عقعق؛ ضرب من الغربان يضرب به المثل في الحذر، فيقال: أحذر من عقعق. وقوله: يميز الهزل من الحقائق؛ يريد أنه إذا أحضره صاحبه — أي ركضه — فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد. وبعبارة أخرى: هل يريد الميدان أو الغارة؛ فلعب أو جد حسب مراد صاحبه.

(٢١٣) الخرق في الأعمال: خلاف الرفق أو هو الحمق. والحاذق: الماهر. يقول: إنه لذكائه وحذقه إذا أحس سارقًا بليل صهل ليعلم مكانه، وكذلك خيل الأعراب؛ أي لشدة جريه وتناهيه في العدو — الجري — تظن به خرقًا وهو مع ذلك حاذق، وحذقه أنه لا يخرج ما عنده من الجري مرة واحدة، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبقى جريه، كما قال القائل:

وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلَالَةً مِنَ الْجذَعِ الْمُرْخَى وَأَبْعَدُ مَنزَعَا

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

ذُو أَوْلَقٍ عِنْدَ الْجِرَاءِ وَإِنَّمَا مِنْ صِحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَاكَ الْأَوْلَقِ

[الأولق: الخفة من النشاط كالجنون.]

(٢١٤) أنى: كيف. يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذي ينتهي رأسه ومنقاره إلى أي موضع أراد من جسده. ثم قال: إن العتق — الكرم — يكتنفه من قبل أبيه وأمه؛ فكرم الأم يقابل فيه كرم الأب. فالآفق من الخيل: الكريم الطرفين، وهي آفقة، ومن آفقة: حال؛ أي مولودًا من آفقة وآفق، أي إنه كريم الأم والأب وكل من أمه وأبيه كذلك.

(٢١٥) البيت تتمة لما في المصراع الأخير من البيت السابق. والعتاق من الخيل: الكرام، والإناث عتائق. والبواسق: جمع باسقة؛ النخلة العالية. يقول: إن أبويه آفقان بين

كرام الخيل وكرائمها؛ أي إنه وسيط في العتق، ثم قال: وعنقه يزيد على النخل الطوال طولًا، والخيل توصف بطول الأعناق، كما قال القائل:

وهَادِيهَا كَأَنَّ جذعٌ سَحُوقُ

(٢١٦) يقول: إن أعلى حلقه دقيق حتى لو أراد الخانق أن يطوقه بفتره — ما بين الإبهام والسبابة — لاستطاع وأمكنه ذلك. والفيالق: الكتائب من الجيش.

(٢١٧) والضرب: عطف على الطعن. والمفارق: أوساط الرءوس حيث يفترق الشعر. واللواء: الراية. وخفقه: اضطرابه في الهواء.

(٢١٨) النصل: حديدة السيف. وسفاسقه: طرائقه. والبنائق: جمع بنيقة؛ لبنة القميص. يقول: يحملني في الحرب وسيفي يقطر دمًا — دم القتلى — في كمي على بنائقي؛ أي يحملني والسيف هذه حاله. قال العكبري: الرواية التي قرأت بها الديوان على شيخَيَّ أبي الحزم وعبد المنعم: والنصل ذو، بالرفع، ورفعه على الابتداء، والواو للحال، أي في هذه الحالة، ورواه الواحدي وغيره بنصب النصل وما بعده عطفًا على الضمير المنصوب في يحملني. ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه؛ أي مع النصل.

(٢١٩) لحظه: نظر إليه بمؤخر عينه. والوامق: المحب. يقول: لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق محب لها فيذل لطلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور، بل أعمل على طلبها وحدي.

(٢٢٠) أي: حرف نداء. وكبت عدوه: أذله ورده بغيظه، وكبته الله لوجهه: صرعه. قال ابن جني: يخاطب ممدوحًا له. قال الواحدي: ليس في هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد، فكيف يخاطب ممدوحًا؟ إنما يخاطب المهر الذي وصفه، يقول: أنت تكبت حسادي؛ لأنهم يحسدونني عليك. ثم قال: أنت لنا ونحن وأنت لله.

(٢٢١) يقول: لا دواء للأحمق إلا الموت، كما قال البحتري:

مَا قَضَى اللهُ للجَهُولِ بِسَتْرٍ يَتَلَافَاهُ مِثْلُ حَتْفٍ قَاضِي

(٢٢٢) يقول: إن موته وحياته سواء، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقودًا، كما قال:

فَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدِ

وإن عاش عاش وليس من يحفل به أو يبالي؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة. كما قال الخبز أرزي:

فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا وَجْهٌ وَلَا بَدَنُ وَأَنْتَ فِي الْخلقِ لا عقلٌ ولا أدبٌ

(٢٢٣) هامته: رأسه. والخون: الخيانة. والملق: إظهار المحبة. يقول: إن العبد الذي قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفي قلبه دغل؛ فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه.

(٢٢٤) وحلف: عطف على خون. يقول: وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح. وفيه نظر إلى قول البحتري من جهة التشبيه:

شَرَفٌ تَتَابعَ كابرًا عَنْ كابر كالرُّمْحِ أنبُوبا عَلَى أنبوبِ

وقوله أيضًا:

نَسَبٌ كَمَا اطَّرَدَتْ كُعُوب مُثَقف لَدْنٍ يزيدُكَ بسطةً في الطُّولِ

(٢٢٥) يقول: ما زلت أعرفه قردًا إلا أنه لا ذنب له، وأعرفه فارغًا من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشًا. ولله ابن الرومي حين يقول:

معشرٌ أشبهوا القرودَ ولكن خالفوها في خِفَّةِ الأرواحِ

(٢٢٦) يقول: هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر من القلق على حال، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال، كما قال ابن الرومي:

فحِلْمكَ أطيَشُ من ريشةٍ ورُوحُكَ من هَضْبَةٍ أرجحُ

ولبعضهم:

يا ريشةً فوقَ مهبِّ الصبا يَهفو بها الريحُ على مَرْصَدِ
أطيشَ من قلب فتًى عاشِقٍ متيم بات على موْعدِ

(٢٢٧) الفودان: جانبا الرأس. والجورب: هو «الشراب» الذي توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير. والعرق: الذي بله العرق. يقول: هو صغير الرأس قصير العنق، وهو أيضًا قميء حقير، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فتكتسي أكفهم نتنًا منه لنتن رائحته. ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم:

قُلْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَقُولَ فَإِنَّنِي أُثْنِي عَلَيْكَ بِمِثْلِ رِيحِ الْجَوْرَبِ

(٢٢٨) موتًا: مفعول مطلق؛ أي أمات لهم موتًا. والفَرَق: الخوف والفزع. يقول: هو جبان فسائلوا قاتِلِيه: هل مات خوفًا أو مات بالضرب؟ ولله أبو تمام حين يقول:

وَإِلَّا فَأَعْلِمْهُ بِأَنَّكَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْخَوْفَ لَا شَكَّ قَاتِلُهْ

(٢٢٩) الشبح: الشخص. يصفه بأنه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له.

(٢٣٠) يريد باللئام: آباءه. يقول: لولا أنهم سبقوه في اللؤم وجاء مشابهًا لهم فيه لكان ألأم طفل، ولكنهم شركاؤه في ذلك فليس هو الألأم، وبهذا قد سوى بينه وبينهم. وفي هذا نظر إلى قول بعضهم:

إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةُ بَاهِلِيٍّ غُلامًا زِيدَ فِي عَدَدِ اللِّئَامِ

(٢٣١) ومنظره: أي وجهه، أو النظر إليه. ويشق: يثقل. يقول: إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والهذر، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوي عليه من الغل والخبث وإضمار غير الجميل وإن كان يلقاك بالبِشْرِ.

يَلْقَاكَ والعسلُ المُصَفَّى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنَ الْفِعَالِ الْعَلْقَمُ

يُبْدِي الْهَوَى وَيَثُورُ — إِنْ عَرَضَتْ لَهُ فرصٌ — عَلَيْكَ كَمَا يَثُورُ الْأَرْقَمُ

الأبيوردي

فَلَا تَغْرُرْكَ أَلْسِنَةٌ رِطَابٌ بَطَائِنهُنَّ أَكْبَادٌ صَوَادِي

الديلمي

فَيَا رُبَّ وَجْهٍ كَصَافِي النَّميرِ تَشَابَهَ حَامِلُهُ وَالنَّمِرْ

شوقي

إِنْ شِئْتَ أَنْ يسودَّ ظنك كلهُ فَأجله فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ
لَيْسَ الصَّدِيقُ بِمَنْ يُعِيرُكَ ظَاهِرًا مُتَبَسِّمًا عَنْ بَاطِنٍ مُتَجَهِّمِ

أبو تمام

(٢٣٢) حسب يحسب — بفتح السين في المضارع وكسرها لغتان — وأتراها: أتظنها. والمآقي: جمع مؤق؛ مؤخر العين مما يلي الأنف. يقول لصاحبه: أتظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآقي عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يبكي ولا ترثى، كما قال في البيت التالي.

(٢٣٣) راءها: أصله رآها؛ قدم الألف وأخر الهمزة ضرورة. وغير الأولى: منصوبة على الاستثناء، والثانية على الحال. وراقي: أي منقطع الدمع، وأصله: راقئ، تقول: رقأ الدمع والدم يرقأ؛ إذا انقطع، فلينه. يقول: إن هذه المعشوقة لا ترحم باكيًا، وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها؟ فهي لا ترحم أحدًا؛ لأنها تظن الدموع في أجفان العشاق خِلقة.

(٢٣٤) منا: خبر أنت، والجملة بعده خبر ثانٍ، أو حال من الضمير المستتر في الخبر. يقول أنت أيضًا من معشر عشاقك؛ أي أنت عاشقة لنفسك حين منعتها منا إلا أنك عوفيت من الضنى — النحول — والاشتياق؛ لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك. ومعنى فتنت نفسك: أي بالحب؛ أي فأنت مفتونة بعشق نفسك. والأصل في هذا المعنى قول جحظة:

لَوْ تَرَى مَا أَرَاهُ مِنْكَ إِذَا مَا جَالَ مَاءُ الشَّبَابِ فِي وَجْنَتَيْكَا
لَتَمَنَّيْتَ أَنْ تُقَبِّلَ خَدَّيْكَ وَإِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَى خَدَّيْكَا

(٢٣٥) يقال: حال دونه حائل، كما يقول: عاق دونه عائق. والمزار ها هنا: مصدر بمعنى الزيارة، يقول: منعتِني عن زيارتك حتى نحلتُ شوقًا إليك، فلو زرتني اليوم لم تقدري على معانقتي لشدة نحولي ودقة جسمي، فليس فيَّ بقية لعناقك.

(٢٣٦) يقول: إن النظر الذي كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحتف — الهلاك — من غير قصد منا إليه؛ لأنه أوقعنا في حبائل الهوى.

(٢٣٧) عدا عنك: صرف عنك ومنع من لقائك. وغير: استثناء مقدم. وبعد: فاعل عدا، وقال العكبري: نصب غير على الحال، والتقدير: بعد غير هجرك، فلما قدم وصف النكرة نصبه على الحال. وأرار: بمعنى أذاب. والرسيم: ضرب من سير الإبل. والمناقي: جمع منقية، وهي الناقة السمينة التي في عظامها نقي — أي مخ — يقول: لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لا هجرك لواصلنا السير إليك حتى تنضى الإبل ويسيل مخها؛ أي لأتعبناها في طي البعد بيننا، ولكن الذي يحول بيننا هو الهجر، وهو ما لا سبيل إلى قطع مسافته بالسير. كما قال أيضًا:

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلَّفُ الْإِبِلُ

(٢٣٨) الضمير في عليها: للمناقي. والأرماق: جمع رمق؛ بقية الروح. يقول: ولسرنا ولو وصلنا وقد نحلنا وهزلنا من شدة الشوق حتى نصير من الخفة كأننا أنفاس على أرماق؛ أي على إبلنا التي نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبقَ منها إلا الذماء فكأنها أرماق. كما قال الآخر:

أَنْضَاءُ شَوْقٍ عَلَى أَنْضَاءِ أَسْفَارِ

وكما قال هو أيضًا:

بَرَتْني السُّرَى بَرْيَ الْمُدَى فَرَدَدْنَنِي　　أخفُّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي

وقال ابن جني: ولسرنا ولو وصلنا إليك وهي تحملنا على استكراه ومشقة كما تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد؛ لأنا قد بلغنا أواخر أنفسنا. قال الواحدي: هذا محال، كيف يحمل الرمق النفس؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذي ذكره؟ ثم فسره الواحدي بما لا يخرج عما أسلفناه.

(٢٣٩) ما بنا: استفهام، معناه التعجب. والأشفار: جمع شفر منبت الهدب. والحداق: جمع حدقة سواد المقلة. يقول: أي شيء أصابنا من هوى العيون الكحلاء الجفون السوداء الأحداق؟

(٢٤٠) يقول: قصرت الليالي الماضية بالوصال وأطالتها بالهجران، وأيام الوصال توصف بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول. وقوله فأطالت بها: أي أطالت ليالي الهجر بليالي الوصال؛ أي بذكرها والتحسر عليها.

(٢٤١) قال الواحدي: الإيراق مصدر قولهم: أورق الصائد؛ إذا لم يصد شيئًا، وأورق الغازي: إذا لم يغنم، وأورق الطالب: إذا لم ينل شيئًا. قال: وكان الخوارزمي يقول في تفسير هذا البيت: هي تطلب بإسهادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية، فكأنها تكاثره نوالًا، لكن نوالها الأرق ونواله الورق. قال الواحدي: فإن كان أبو الطيب أراد بالإيراق هذا — أي أنه من الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإيراق من الأرق، إنما يقال: أرق يأرق أرقا وأرَّقه تأريقًا، والأولى أن يحمل الإيراق على منع الوصل والتجنيب منه. يقول: هي في منعها وصلها في النهاية، كما أن الأمير في بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكاثر عطاءه بمنعها لينظر أيهما أكثر، ولا يخفى ما في البيت من حسن التخلص.

(٢٤٢) خلق: اسم ليس، وأبا العشائر: خبرها. أو تقول: خلق: اسم ليس، وخبرها الجملة بعده. وأبا العشائر: مستثنى. يقول: ليس أحد قد استحق السيادة فساد الخلائق بحق غير هذا الممدوح. ومما يتصل بمعنى البيت قول البحتري:

قَدْرُهُ مُرْتَفِعٌ عَنْ حَظِّهِ　　　لَا يَرُعْكَ الْحَظُّ لَمْ يُوجَدْ بِحَقِّ

(٢٤٣) طاعن: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هو طاعن. والفيلق: الجيش. والذعر: الفزع. والمهراق: المصبوب. يقول: إذا طعن واحدًا من الجيش فرأوا الطعنة وسِعَتَها وبُعدَ غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفًا شديدًا، فكأنه طعن الجيش كله. قال الشراح: والدم المهراق أحسن ما في البيت، يريد أنه يخرج منها دم ثائر يضرب صدور القوم، فكأنه قد طعنهم كلهم.

(٢٤٤) ذات: خبر مبتدأ محذوف: أي طعنته ذات فرغ، ومن نصب ذات: فهي حال من الطعنة بمعنى واسعة، كأنه قال: تطعن الفيلق طعنة واسعة. والفرغ: مخرج الماء من الدلو. ويقال: أطرق رأسه؛ إذا خفضه وطأطأه. والمخبر: يروى بفتح الباء وبكسرها. يقول: إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفًا واستعظامًا حتى لكأنها في جوفه.

(٢٤٥) يقول: هو ضارب الهام — الرءوس — في الهيجاء ويسقي الأقران كئوس الموت ولا يبالي أن يشرب ما يسقيهم؛ شجاعة وولوعًا بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالي بالموت.

(٢٤٦) فوق شقاء: أي هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء، وشقاء: مؤنث أشق، ويقال: فرس أشق؛ إذا كان رحب الفروج طويل القوائم، قال جابر أخو بني معاوية بن بكر التغلبي:

وَيَوْمَ الْكُلَابِ اسْتَنْزَلَتْ أَسْلَاتُنَا　　　شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى أَلِيَّةَ مُقْسِمِ
لَيَنْتَزِعَنْ أَرْمَاحَنَا فَأَزَالَهُ　　　أَبُو حَنَشٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَّاءَ صِلْدِمِ

(عن ظهر: يروى عن سرج، والصلدم: القوية، يقول: حلف عدونا لينتزعن أرماحنا من أيدينا فقتلناه.)

والأرساغ: جمع رسغ، وهو مستدق ما بين الحافر ومفصل الوظيف. والصفاق: جلدة البطن. قال الأصمعي: الصفاق الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر، وأنشد للجعدي:

لَطَمْنَ بِتُرْسٍ شَدِيدِ الصِّفَا   قِ مِنْ خَشَبِ الْجَوْزِ لَمْ يُثْقَبِ

(يقول: ذلك الموضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق.)

يقول: هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان — الذكر — الطويل بين قوائمها وبطنها.

(٢٤٧) البراق: هو ذلك الذي روي أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبه ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء في ليلة، وقيل في وصفه أنه يضع يديه عند منتهى بصره، وأنه دون البغل وفوق الحمار. يقول: إن هذه الفرس تجري جري البراق، فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل في وصف البراق.

(٢٤٨) الضمير من فيها: للأسنة. والواو بعدها: للحال. والنطاق: ما يشد به الوسط. يقول: إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها — رماحها — حوله كالنطاق فإن همته حينئذٍ إنما هي في الأبطال وأخذ أرواحهم لا في اتقاء رماحهم، فهو لا يبالي بها ولا هي تثنيه عنهم.

(٢٤٩) ثقوب الرأي: نفاذه. وأصل الثاقب: المضيء. ويروى: ثاقب العقل. والحلم: الأناة والتعقل. يقول: لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه. وفيه نظر إلى قول ابن دريد:

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنْبَيْ حُبْوَتِي   إِذَا رِيَاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالْحِبَا

(٢٥٠) الحارث بن لقمان: جد أبي العشائر. والعتاق: الخيل الكريمة، يدعو لهم بألا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا في الوغى — الحرب — قال ابن جني: قوله: في الوغى حشو إلا أن فيه نكتة، وهي أنهم ملوك إنما يركبون الخيل لحرب أو دفع ملم؛ لذلك خص حالة الحرب، إذ لو لم يقل في الوغى لاقتضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها في وقت، وهذا من أفعال الرواض لا من أفعال الملوك؛ لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأي إلى الفراغ والاستقرار.

(٢٥١) يقول: بعثوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم، فكأنهم قاتلوهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء. قال أبو تمام:

لَوْ لَمْ يُزَاحِفْهُمْ لَزَاحَفَهُمْ لَهُ   مَا فِي قُلُوبِهِمِ مِنَ الْأَوْجَالِ

هذا: والأعادي — بالتشديد — جمع الأعداء، وأصله أعادئ بالهمز فأدغم.

(٢٥٢) الظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف، والمراد هنا: السيوف نفسها. وتنتضي: تستل. يقول: إنهم عودوا السيوف أن تغمد في الأعناق، فهي لذلك تكاد تخرج من أغمادها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد. وهذا من قول أبي تمام:

وَنَبَّهْنَ مِثْلَ السَّيْفِ لَوْ لَمْ تَسُلَّهُ يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغِمْدِ

(٢٥٣) الإشفاق: الخوف والفزع. يقول: إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلدوا وصبروا.

(٢٥٤) الذمر: الرجل الشجاع. وكل: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هم — الممدحون — كل ذمر ... إلخ. والمحاق: آخر ليالي القمر. يقول: إنهم إذا قتلوا في طلب المجد والرفعة ازداد شرفهم فازداد حسن ذكرهم بموتهم كالبدور؛ فإنها تستفيد الكمال بالمحاق، وما لم تصر إلى المحاق لم تتم؛ لأنها في المحاق ترتفع إلى درجة الكمال، فمحاقها سبب كمالها. كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكرًا وشرفًا. وقال ابن جني: تمامها في المحاق الكلام متناقض الظاهر؛ لأن المحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال، وإنما سوغ له ذلك قوله: «يزيد في الموت حسنًا»؛ أي هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا في طلب المجد، فشبههم ببدور تمامها في محاقها، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف والتعجب منه، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعًا وتصرفًا. وقال ابن فورجه: أراد أن البدور يفضي أمرها إلى المحاق، فهو غايتها التي تجري إليها ومصيرها الذي تصير إليه، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم، وليس التمام في هذا البيت الذي يعني به استكمال الضوء. والدليل على ذلك قوله: «كبدور»، والبدور لا تكون بدورًا إلا بعد استكمال ضوئها، ولو أراد استكمال الضوء لقال: كأهلة ... قال الواحدي: وعلى هذا لا مدح في البيت؛ لأن كل حي يفضي أمره إلى الموت وآخره الهلاك، وإنما شبههم ببدور تمامها في المحاق بزيادتهم حسنًا بالموت لانتهاء آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولًا.

(٢٥٥) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقي العار ولو بموته، فإذا لم يجد واقيًا من العار غير منيته جعلها درعًا له، فاتقى بها العار كما يُتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاظُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ

وقال بعضهم:

وَمَوْتٌ لَا يَكُونُ عَلَيَّ عَارًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَيْشٍ رِمَاقِ

(الرماق: العيش اليسير الدون الذي يمسك الرمق. ومن كلامهم: موت لا يجر إلى عار خير من عيش في رماق، ومثله: العيش المرمق؛ أي الدون، قال الكميت:

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا يُجَدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزِلُ
نُعَالِجُ مُرْمَقًا مِنَ الْعَيْشِ فَانِيًا لَهُ حَارِكٌ لَا يَحْمِلُ الْعِبْءَ أَجْزَلُ

[الحارك: أعلى الكاهل].)

(٢٥٦) الكرم: ضد اللؤم. والشفار: جمع شفرة؛ حد السيف. والرقاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لهم كرمًا خشن جوانبهم على الأعداء؛ لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الخسف ويقبلوا الإهانة. ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابة ومضاء ونفاذًا، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فَإِنَّ الْحُسَامَ الْهُنْدَوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُهُ

(٢٥٧) يقول: لكم معالٍ شريفة لم ينلها أحد سواكم، فإذا ادعاها سواكم نسب إلى الخيانة والسرقة.

(٢٥٨) يقول: أنت شديد الشبه بأبيك، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه، وإن غاب شخصه. وقال ابن الرومي:

إِذَا سَلَفٌ أَوْدَى وَخَلَّفَ مِثْلَهُ   فَمَا ضَرَّهُ أَنْ غَيَّبَتْهُ الرَّوَامِسُ

(٢٥٩) تنكرت: غيرت زيك حتى لا تعرف. والمكر: مكان الكر في الحرب. يقول: لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه، قال ابن جني: في المكر حشو وفيه نكتة، وهي أنه إنما شبهه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع، فجعله شبهه فيها لا في غيرها مما ليس له شهرتها. وقال التبريزي: حلفوا أنك ابنه: أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالمًا من الطعن والضرب، فكأن المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة.

(٢٦٠) الاستفهام: تعجب. وقوى به: أطاقه. والآفاق: نواحي الدنيا وأقطارها. يقول: كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض؟! أي استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته.

(٢٦١) يقول: إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيوف الحديد لامتناعك على أسلحتهم ببأسك وشجاعتك وشدة شوكتك، فلا يلقونك إلا بسيف النفاق. يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق.

(٢٦٢) قال أبو العلاء المعري: إن هذا البيت والذي بعده يفضلان كتابًا من كتب الفلاسفة؛ لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال ... يقول: إن نفوسنا ألفت هذا الهواء فظننت أن الموت كريه الذوق؛ وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب، وهذا أوقع في الأنفس أن الموت مر الطعم. قال الواحدي: وفي هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهروه بالحرب؛ لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام. قال: ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها، والنفوس الصافية بضد ذلك.

(٢٦٣) يقول: إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس، وأنه لا جزع بعد الموت؛ لعدم حس الميت بشيء مما هو فيه. وعبارة أبي الفضل العروضي: لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه؛ فإنه قبل الوقوع لا ينفع الحذر وينغص العيش، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به، ثم قال: وقد نسب في هذا

إلى الإلحاد. قال الواحدي: وهذا البيت والذي قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام، قال: هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الإلحاد، وإنما قال هذا من حيث الظاهر.

(٢٦٤) الثراء: كثرة المال. يقول: كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقته من إساره وأبحته لطلابه!

(٢٦٥) الإملاق: الفقر والعدم. يقول: إن المال في يد اللئيم قبيح؛ لأنه يضن به عن حقوقه، كما يقبح الفقر في يد الكريم، فقوله: قدر قبح الكريم في الإملاق، يريد أن يقول: قدر قبح الإملاق في الكريم، فقلب للضرورة والقافية. والمصراع الأول من قول أبي تمام:

كَمْ نِعْمَةٍ للهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَأَنَّهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارِ!

وقول العطوي:

نِعْمَةُ اللهِ لَا تُعَابُ وَلَكِنْ رُبَّمَا اسْتُقْبِحَتْ عَلَى أَقْوَامِ
لَا يَلِيقُ الْغِنَى بِوَجْهِ أَبِي يَعْـ ـلَى وَلَا نُورُ بَهْجَةِ الْإِسْلَامِ
وسِخ الثَّوب وَالْقَلَانِس وَالْبِر ذَوْنِ وَالْوَجْهِ وَالْقَفَا وَالْغُلَامِ

(٢٦٦) يقول: إن قولي لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة، ولكنه يدل عليه، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس. وتروى: ولكن كالشمس في الإشراق؛ أي أن قوله في فعل الممدوح الذي هو كالشمس ليس كالشمس كذلك، فيكون كفؤًا له، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها؛ شبه قوله بالشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات.

(٢٦٧) يقول: أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ، فكل واحد منا خليل الآخر، وكل واحد صاحب المعاني الدقيقة فهو يفتتن في صناعته. وأراد بالخدن نفسه؛ جعل نفسه خدنًا — صاحبًا وصديقًا — للممدوح ترفعًا وافتخارًا. ومثل هذا البيت قول أبي تمام:

غَرُبَتْ خَلائِقُهُ فَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ فَأَبْدَعَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبِ

(٢٦٨) يقول: لم تزل تُمدح وتسمع الأشعار في مديحك؛ لأنك ملك همام كثير المداح، ولكن شعري يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحمير. ولعله ينظر في هذا إلى قول خداش بن زهير:

وَلَنْ أَكُونَ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَتَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى مَنْسِجَ الْفَرَسِ

وقول الآخر:

أَلِمِّي بِابْنِ عَمِّكِ لَا تَكُونِي كَمُخْتَارٍ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارَا

(٢٦٩) يقول: إن دهرك مجدود — محظوظ — مرزوق بك، فليت لي مثل ما له من الحظ والرزق، ثم بين ذلك في البيت التالي.

(٢٧٠) يقول: كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة؛ لأنه لا يطمع في كلها. ومثله لمسلم بن الوليد:

كَالدَّهْرِ يَحْسُدُ أُولَاهُ أَوَاخِرَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ كان فِي أَعْصَارِهِ الْأُوَلِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٢٧١) العين: الذهب. والورق: الفضة، وقيل: هي الدراهم المضروبة.

(٢٧٢) يقول: إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له: لم خلقت كريمًا؟ أي إنه طبع على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان؛ لأن المطبوع على الشيء لا يستطيع أن يحيد عنه إلى غيره، كما لا يستطيع أن يغير خلقته، والذي خَلَق خَلْقَه خلق خُلُقَه.

(٢٧٣) كان أبو العشائر بميافارقين، فضرب بيتًا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون دونه حجابًا، فذكر ذلك أبو الطيب وقال: إن الناس قالوا: أما كفته سماحته ونداه في البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصاد؟!

(٢٧٤) الشح: البخل. والفرق: الخوف والذعر. يقول: إن الشجاع لا يكون بخيلًا وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف؛ وذلك أن الشح خوف الفقر، والشجاع لا يفرق،

كما قال الجاحظ: البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله. وهذا كما يقول أبو تمام:

وَإِذَا نَظَرْتَ أَبَا يَزِيدَ فِي وَغًى   وَنَدًى وَمُبْدِيَ غَارَةٍ وَمُعِيدَا
يَقْرِي مُرَجِّيهِ مُشَاشَةَ مَالِهِ   وَشبا الْأَسِنَّةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدَا
أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً   تُدْمِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا

(يقري: يضيف. والمشاشة: رأس العظم الذي يمكن مضغة، والثغرة — بالضم — نقرة النحر.)

ويقول الآخر:

إِلَى جَوَادٍ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ   وَبَاسِلٍ بُخْلُهُ يَعْتَدُّهُ جُبْنَا
يَلْقَى الْعُفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ   قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْغِي بِهِ ثَمَنَا

(٢٧٥) الهام: الرءوس. والكماة: جمع كمي؛ الشجاع المستتر في سلاحه. يقول: إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتملق الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب الهام ما يكسبه المتملق، كما قال:

وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمُ   عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ

(شكده: أعطاه أو منحه.)

(٢٧٦) يقول: إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبًا عن القصاد كالشمس مع بعدها يراها كل راءٍ.

(٢٧٧) يقول: كن أيها الجود بحرًا ذا لجة مهلكًا، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر على إغراقه بالفقر؛ لأن سيفه قد آمنه من ذلك، لأنه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالًا أخذ له سيفه أضعاف ذلك. وهذا كقوله:

فَالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ   بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ

وقيل المعنى: كن أيها الجود بحرًا إن شئت فإنه لا يخاف أن يغرق؛ لأن سيفه أعطاه الأمان من كل تهلكة، يريد أنه مع سماحته شجاع حتى لو صار الجود تهلكة ما خافه.

قافية الكاف

وقال وقد أجمل سيف الدولة ذكره:

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاظَتْ بِهِ مَلِكَا[1]
مَنْ يَعْرِفُ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا[2]
تَسُرُّ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَا[3]

ولما أُنشد: أجاب دمعي[4] ... إلخ، استحسنها فقال:

إِنَّ هَذَا الشِّعْرَ فِي الشِّعْرِ مَلَكْ سَارَ فَهْوَ الشَّمْسُ وَالدُّنْيَا فَلَكْ[5]
عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ بَيْنَنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدِ لَكْ[6]
فَإِذَا مَرَّ بِأُذْنِي حَاسِد صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلَكْ[7]

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح:

أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَا لَهَا حُبُكُ[8]
أَلْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكُ[9]

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري:

بَكَيْتُ يَا رَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكَا وَجُدْتُ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِيكَا[10]

فَعِمْ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي شَجَنًا   وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوكَا[١١]
بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذًا   رِئْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَا؟[١٢]
أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا انْبَعَثْنَ لَنَا   إِلَّا ابْتَعَثْنَ دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكَا[١٣]
وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَالْأَطْلَالُ مُشْرِقَةٌ   كَأَنَّ نُورَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَعْلُوكَا[١٤]
نَجَا امْرُؤٌ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ   وَخَابَ رَكْبُ رِكَابٍ لَمْ يَؤُمُّوكَا[١٥]
أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا   جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا[١٦]
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَاقْتَدَرُوا   عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَا[١٧]
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ   أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيكَا[١٨]
شُكْرُ الْعُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي   إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكَا[١٩]
وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْهَمَنِي   أَنِّي بِقِلَّةِ مَا أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا[٢٠]
كَفَى بِأَنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ فِي شَرَفٍ   وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِيكَا[٢١]
وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ   عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكَا[٢٢]
لَبَّى نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِي   يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَا[٢٣]
مَا زِلْتَ تُتْبِعُ مَا تُولِي يَدًا بِيَدٍ   حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكَا[٢٤]
فَإِنْ تَقُلْ: هَا فَعَادَاتٌ عُرِفْتَ بِهَا   أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فُوكَا[٢٥]

وورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال:

تُهَنَّا بِصُورٍ أَمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا؟   وَقَلَّ الَّذِي صُورٌ وَأَنْتَ لَهُ لَكَا[٢٦]
وَمَا صَغُرَ الْأُرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي   حُبِيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَا[٢٧]
تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوَ انَّهَا   نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ نَحْوَكَا[٢٨]
وَأَصْبَحَ مِصْرٌ لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ   وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمٍ بَكَى[٢٩]

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال:

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّاكَا   لا لِسِوَى وُدِّكَ لِي ذَاكَا[٣٠]
وَلَا لِحُبِّيهَا وَلَكِنَّنِي   أَمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَاكَا[٣١]

وقد كان تاب بدر بن عمار من الشرب مرة بعد أخرى، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارتجالًا:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فِي مِلْكِهِ لا مُلْكِهِ[٣٢]
فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَنَا دَمُ كَرْمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفْكِهِ[٣٣]
وَالصِّدْقُ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ فَنَبِّنَا أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ؟[٣٤]

وقال في محمد بن طغج وهو عند طاهر العلوي:

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرْ رِ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَا
وَإِذَا لَمْ تَسْرِ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْـ ـتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَا[٣٥]

وقال في أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعرًا وصف فيه بركة في داره فقال:

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَك[٣٦]
لِأَنَّكَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ لَتَأْنَفُ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبِرَكْ[٣٧]
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَا مَلَكْـ ـتَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَا مَلَكْ[٣٨]
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرْيِهَا مَا وَهَبْـ ـتَ وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكْ[٣٩]
أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ وَدُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكْ[٤٠]

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه، وهو آخر ما قال، وجرى فيها كلام كأنه ينعي نفسه وإن لم يقصد ذلك، وأنشدها في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وفيها قُتل:

فِدًى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا فَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فَدَاكَا[٤١]
وَلَوْ قُلْنَا: فِدًى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَا[٤٢]
وَآمَنَّا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مِلَاكَا[٤٣]
وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُودًا وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشِّبَاكَا[٤٤]
وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهُ وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ السُّكَاكَا[٤٥]

فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمُ صَدِيقًا لَقَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ عِدَاكَا[٤٦]
لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفًا إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَا[٤٧]
أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَا[٤٨]
وَقَدْ حَمَّلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا ثَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حِرَاكَا[٤٩]
أُحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَا[٥٠]
لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَا[٥١]
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا[٥٢]
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكَا؟[٥٣]
أَتَتْرُكُنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي فَتَقْطَعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشِّرَاكَا؟![٥٤]
أَرَى أَسَفِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرِ ابْتِرَاكَا؟![٥٥]
وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَا[٥٦]
إِذَا التَّوْدِيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي: عَلَيْكَ الصَّمْتَ لَا صَاحَبْتَ فَاكَا[٥٧]
وَلَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةٌ لَقُلْتُ: وَلَا مُنَاكَا[٥٨]
قَدِ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ وَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا[٥٩]
فَأَسْتُرُ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي هُمُومًا قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَاكَا[٦٠]
إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَاكَا[٦١]
وَكَمْ دُونَ الثَّوِيَّةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي: ذَا بِذَاكَا[٦٢]
وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنَخْنَا يُقَبِّلُ رَحْلَ تُرْوَكَ وَالْوِرَاكَا[٦٣]
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطِّيبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا[٦٤]
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَا[٦٥]
يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا[٦٦]
وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِقْنَ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا[٦٧]
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا[٦٨]
وَلَا إِلَّا بِأَنْ يُصْغِي وَأَحْكِي فَلَيْتَهُ لَا يُتَيِّمُهُ هَوَاكَا[٦٩]
وَكَمْ طَرِبِ الْمَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِي أَيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ عُلَاكَا[٧٠]
وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكًا وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِي وَالْمَدَاكَا[٧١]
فَلَا تَحْمَدْهُمَا وَاحْمَدْ هُمَامًا إِذَا لَمْ يُسْمِ حَامِدُهُ عَنَاكَا[٧٢]

أَغَـرَّ لَـهُ شَـمَـائِـلُ مِـنْ أَبِـيـهِ غَدًا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَا[73]
وَفِـي الْأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ وَآخَـرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَا[74]
إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى[75]
أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعٍ لِعَيْنِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُولَاكَا[76]
فَزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقْعُ الْأَسِنَّةِ فِي حَشَاكَا[77]
وَأَيًّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَا[78]
فَلَوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوُا السِّمَاكَا[79]
يُشَرِّدُ يُمْنُ فَنَّاخُسْرَ عَنِّي قَنَا الْأَعْدَاءِ وَالطَّعْنَ الدِّرَاكَا[80]
وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِلَاحًا يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَا[81]
وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا؟![82]
وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا[83]
حَيِيٌّ مِنْ إِلَهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَا[84]

هوامش

(١) النجيع: الدم. والقافية: القصيدة. يقول: رب دم انسفك — انصب — بسيف الدولة؛ أي بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه، ورب قصيدة مدح بها فغاظت تلك القصيدة ملكًا وحسده عليها لحسنها.

(٢) الرمك: جمع رمكة؛ البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب. يقول: من عرفك لم يجحد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها، ومن رآك لم يستعظم غيرك، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها. ويروى بدل يستكرم: يستفره، هما بمعنًى.

(٣) يقول: إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحدًا شيئًا فقد سررت بمالك مالك؛ لأن الكل لك. ولعله ينظر في هذا إلى قول عدي بن زيد:

وَلَكَ الْمَالُ وَالْبِلادُ وَمَا يُمْلَكُ مِنْ ثَابِتٍ وَمُسْتَاقِ

(٤) أراد القصيدة التي مطلعها:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَاهُ فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ

(٥) يقول: إن شعره بين الشعر كالملك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخلق، وهو سائر في الدنيا سير الشمس في السماء. هذا؛ والملك — بالتحريك — واحد وجمع. قال الكسائي: أصله مألك — بتقديم الهمزة — من الألوكة، وهي الرسالة. ثم قلبت، وقدمت اللام، فقيل: ملأك. وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك، قيل: هو النعمان. وقال ابن السيرافي: هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل: ملك، فلما جمعوه ردوها إليه، فقالوا: ملائكة وملائك أيضًا، قال أمية بن أبي الصلت:

وَكَأَنَّ بِرْقِعَ وَالْمَلَائِكَ حَوْلَهَا سَدِرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَبُ

(برقع: اسم من أسماء السماء قيل: هي السابعة، وسدر: أي بحر. شبه السماء بالبحر، أراد لملامسته لا لجريه. وقوله: تواكله القوائم؛ أي تواكلته الرياح فلم يتموج.)
قال ابن بري: صوابه أجرد — بالدال — لأن القصيدة دالية، وقبله:

فَأَتَمَّ سِتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تورَد

وفيها يقول في صفة الهلال:

لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ خَبِيئَهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

(الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعمه العرب.)
(٦) يقول: عدل الله فيه بيني وبينك فقضى لي بالإحسان في نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك، فحكم لي بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائمًا، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي:

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَنِي فَالدُّرُّ دُرُّكَ وَالنِّظَامُ نِظَامِي

(٧) يقول: إذا سمع شعري حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد؛ لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله. وما فيه من المحامد لم يمدح به أحد من الملوك.

(٨) الحبك: طرائق النجوم في السماء. جعل مجلسه في علو قدره كالسماء. غير أنه ليست له طرائق كما للسماء.

(٩) الفرقد: نجم معروف، وهما فراقدان. جعل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد، وأراد بالصاحب: الفرقد الآخر. وفي هذا نظر إلى قول علي بن الجهم:

كَأَنَّهُ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ تَتْبَعُهُ بَدْرُ السَّمَاءِ تَلِيهِ الْأَنْجُمُ الزُّهُرُ

وقال ابن وكيع: هذا التشبيه من قول أبي نواس:

قَضَى أَيْلُولُ وَارْتَفَعَ الْحَرُورُ وَأَذْكَتْ نَارَهَا الشِّعْرَى الْعَبُورُ
فَقُومَا فَانْكِحَا خَمْرًا بِمَاءٍ فَإِنَّ نِتَاجَ بَيْنِهِمَا السُّرُورُ
نِتَاجٌ لَا تَدِرُّ عَلَيْهِ أُمٌّ بِحَمْلٍ لَا تُعَدُّ لَهُ الشُّهُورُ
إِذَا الْكَاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا تَكَوَّنَ بَيْنَهَا فَلَكٌ يَدُورُ
تَسِيرُ نُجُومُهُ عَجَلًا وَرَيْثًا مُشَرِّقَةً وَأَحْيَانًا تَغُورُ
إِذَا لَمْ يُجْرِهِنَّ الْقُطْبُ مِتْنا وَفِي دَوْرَاتِهِنَّ لَهَا نُشُورُ

(١٠) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي كان به أهله. يقول: بكيت عليك يا ربع حتى لو كنت ممن يعقل لرثيت لحالي وبكيت لبكائي، فقد أتلفت نفسي وأفنيت دمعي في مغانيك أسفًا عليك وتذكرًا لأهلك. فقوله: وجُدْت بي: أي بنفسي؛ أي بكيت حتى أتلفتها.

(١١) عم صباحًا: بمعنى أنعم. يخاطب الربع على عادة العرب في مخاطبة الربوع والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك، يقول للربع — على سبيل الدعاء: أنعم صباحًا، لقد حركت لي وجدًا حين نظرت إليك تذكرًا لما سلف لي فيك من وصل الأحبة، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا. وهذا مما يدل على وَلَهِ العاشق لفقد الأحبة.

(١٢) الرئم: الظبي الخالص البياض. والفلا: جمع فلاة؛ الصحراء. يقول: أي حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلًا من ظباء الإنس اللاتي رحلن عنك؟ ومثله لأبي تمام:

وَظِبَاءُ أَنْسِكَ لَمْ تُبَدَّلْ بَعْدَهَا بِظِبَاءِ وَحْشِكَ ظَاعِنًا بِمُقِيمِ

(١٣) أراد بالشموس: الحسان. وانبعثن: ذهبن وجئن وتحركن. وابتعثن: أسلن. يقول: إني لأذكر أيام فيك شموس ما ظهرن لنا إلا أبكيننا دما مصبوبًا بنظرنا إليهن؛ أي أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن. قال أبو نواس:

يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعَتْ لَحَظَاتُهُ إِلَّا تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ

وقال أشجع السلمي:

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِهَا فَلِكُلِّ مَوْضِعِ نَظْرَةٍ قَتْلُ

وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال:

وَجُفُون لَكَ لَا تَطـْ ـرِفُ إِلَّا عَنْ قَتِيلِ
مَا جَمِيلُ الصَّبْرِ عَنْهَا عِنْدَ مِثْلِي بِجَمِيلِ

(١٤) خضرة العيش: كناية عن الخصب والرغد. والأطلال: رسوم الديار. يقول: كان العيش رغدًا طيبًا، وأطلالك — أي التي هي أطلال اليوم — كانت مشرقة قبل تفرقة الأحبة وارتحالهم عنك. وفي البيت من البديع حسن التخلص.

(١٥) الركب: جمع راكب. والركاب: الإبل. ولم يؤموك: لم يقصدوك: يقول: تخلص من مكاره الزمان من كنتَ طلبته؛ أي من قصدك بانتجاعه وخاب من لم يقصدك. ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أي قوم ركبوا وفي قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك.

(١٦) يقول: إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والمجد، وعلمتهم من غوامض المعاني حتى استغنوا عن إخراجها بالفكر، فسهل عليهم الشعر حتى كأنه صار حيًّا بعد أن كان ميتًا، فامتدحوا ممدوحيهم بما فيك من خصال المجد

ومعاني الشرف وهي لك، غير أنهم ينحلونها ممدوحيهم، وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

مَدَحَ الْأَوَّلُونَ قَوْمًا بِأَخْلَا قِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُرَى مَخْلُوقَا
نَحَلُوهُمْ ذَخَائِرًا لَكَ بِالْبَا طِلِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَكَانَ زَهُوقَا
فَانْتَزَعْنَا الْحُقُوقَ مِنْ غَاصِبِيهَا فَحَبَا صَادِقٌ بِهَا مَصْدُوقَا

وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده.

(١٧) مثله لأبي العتاهية:

شِيَمٌ فَتَّحَتْ مِنَ الْمَدْحِ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَغْلِقًا عَلَى الْمُدَّاحِ

ولابن أبي فنن:

يُعَلِّمُنَا الْفَتْحُ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وَيُحْسِنُ حَتَّى يُحْسِنُ الْقَوْلَ قَائِلُهْ

وقول أبو تمام:

وَلَوْلَا خِلَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُنَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وقال أيضًا:

تُغْرَى الْعُيُونُ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِر فِي وَصْفِهِ عَفْوًا وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ

(١٨) يقول: كن على الحالة التي أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك في أوصافك وأخلاقك، وإنما قال: كما شئت؛ لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم والمجد بديعة في جميع أحواله.

(١٩) العفاة: جمع عاف، وهو طالب المعروف. وأوليت: أعطيت. وأوجدني: جعلني أجد. يقول: إن شكر السائلين لعطائك دلني عليك، فوجدت طريق العرف مسلوكًا إليك فسلكته إلى جودك.

(٢٠) الآفاق: النواحي. يقول: إن ثنائي يقل ويحقر في جنب قدرك حتى لتخيلت الثناء هجاء؛ إذ لم يكن على قدر استحقاقك. قال البحتري:

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ فَقَدْ كَا   دَ يَكُونُ الْمَدِيحُ فِيهِ هِجَاء

(٢١) بأنك: الباء فيها زائدة، وأن وخبرها: في موضع رفع فاعل كفى. وفي شرف: خبر أن. ومن قحطان: حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر. والشرط وما يليه: معطوف على خبر أنك. والموالي: العبيد. يقول: كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — في موضع شريف أو نسب شريف فإن فخرت بهذا الشرف فكل بني قحطان عبيدك.

(٢٢) الشاني: المبغض، وأصله الشانئ — بالهمز — فلينه للقافية، يقول: لو نقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأوني في الذلة والقلة مثل عدوك الذي يبغضك. وهذا من قول أبي عيينة:

لَوْ كَمَا تنقُص تَزْدَا   دَ إِذَنْ نِلْتَ السَّمَاءَ

ثم نقله أبو تمام فقال:

أَمَا لَوَ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا   إِذَنْ لَنَفذتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

(٢٣) لبى: تثنية لب، مثل: لبيك، واللب: اسم من الإلباب، وهو الملازمة، يقال: ألب بالمكان: إذا أقام به، وإنما ثنوا اللب؛ لأنهم أرادوا إلبابًا بعد إلباب، أي إجابة بعد إجابة. وهو يلزم الإضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم: لبيك، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذًا كما في هذا البيت. وقوله: من رجل: فمن زائدة، والمجرور في موضع نصب على التمييز. يقول: دعاني جودك فأسمعني، فأنا أجيبه فأقول: لبى نداك، أو تقول: دعاني جودك بما ذاع من ثناء الناس عليه، وها أنا ذا مجيب لما يريد بي من الإحسان إلي وصوغ المديح له. ثم دعا للممدوح فقال: يفديك من رجل صحبي وأنا أفديك من بين الرجال.

(٢٤) تولي: تعطي. ويدًا: بدل بعض من الموصول قبله: واليد: النعمة. يقول: لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أياديك عندي فظننت أن حياتي كذلك من جملة عطاياك. وهذا ينظر إلى قول الآخر:

لَا تَنْتفَنِّي بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِي   فَإِنَّنِي بَعْض أَيَادِيكَا

(يقال: راشه يريشه؛ إذا أحسن إليه، وكل من أوليته خيرًا فقد رشته، ونتف الريش: نزعه. والمراد هنا: سلبه ما أعطاه إياه.)

(٢٥) ها — ها هنا — بمعنى خذ. يقول: فإن قلت لي: خذ فتلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ، فإنك لا تقول لا — أي لا أعطيك أو لا أقضي حاجتك — فإن فاك — فمك — لا يجود بهذه الكلمة، ولسانك لا يؤتيك عليها؛ لأنك لم تتعود ذلك. وفي مثل هذا يقول الفرزدق:

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تشهدِه   لولا التشهُّدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ

ويقول أبو العتاهية:

وَإِن الخليفةَ مِنْ بُغْضِ لَا   إِلَيْهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَا

ويقول العكوك في أبي دلف:

مَا خَطَّ لَا كَاتِبَاهُ فِي صَحِيفَتِهِ   كَمَا تخطط لَا فِي سَائِرِ الْكُتبِ

وحكى الواحدي قال: أهدى العميري إلى الصاحب كتبًا وكتب معها:

العميري عبد كافي الكفاة   وإن اعتدَّ من وجوه القضاة
خَدَم المجلسَ الرفيعَ بِكُتْبٍ   مُتْرَعَاتٍ مِنْ حُسْنِهَا مُفْعَمَات

فكتب إليه الصاحب:

قَدْ أَخَذْنَا مِنَ الْجَمِيعِ كِتَابًا   وَرَدَدْنَا لِوَقْتِهَا الْبَاقِيَاتِ
لَسْتُ أَسْتَغْنِمُ الْكَثِيرَ فَطَبْعِي   قَوْلُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

(٢٦) صور: بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام. وتهنا بصور: أي أتهنأ بصور؟ فحذف همزة الاستفهام لما دلت عليه أم ولين همزة تهنأ للوزن. يقول:

أتهنأ بولاية صور أم نهنئ صورًا بك؟ ثم قال: وقل لك الذي صور له وأنت له؛ أي أنت أحد أصحابه — يعني ابن رائق — يريد: لو كنت أنت ابن رائق — أي لو كنت تملك ما يملكه — لعد ذلك قليلًا بالنسبة إلى ما تستحقه، فصور — في الشطر الثاني — مبتدأ، وأنت: عطف عليها، وله: خبر. ولكا: متعلق بقل. وفي مثل هذا يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

أَنُـهَـنِّـيكَ بِـطُـوسٍ　　　أَمْ نُهَنِّي بِكَ طُوسَا؟
أَصْبَحَتْ بَعْدَ طَلَاقٍ　　　بِكَ يَا فَضْلُ عَرُوسَا

ويقول أشجع السلمي:

إِنَّ خراسَانَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ　　　تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهِمَّةِ الشَّانَا
لَمْ يَحْبُ هَارُونُ بِهَا جَعْفَرًا　　　لَـكِـنَّـهُ حَـابَـى خُـرَاسَـانَـا

[هارون: هو الرشيد. وجعفر: هو جعفر البرمكي.]

(٢٧) الأردن: معروف. وحبيت به: أعطيته: يقول: إن هذه الولاية إنما تصغر بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك وإلا فهي عظيمة الشأن في نفسها.

(٢٨) يقول: إن البلدان يحسد بعضها بعضًا على ولايتك، فلو أن لها نفوسًا تعقل لسعى إليك الشرق والغرب تهالكًا عليك وتلمسًا للافتخار بك. ومثل هذا المعنى كثير في كلامهم، قال أبو تمام:

لَوْ سَعَتْ بَلْدَةٌ لِإِعْظَامِ نُعْمَى　　　لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

وقال البحتري:

وَلَوَ أَنَّ مُشْتَاقًا تكلفَ فَوْقَ مَا　　　فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

(٢٩) مصر: أحد الأمصار؛ أي المدائن الكبيرة. وأصبح — ها هنا — تامة. والواو — من قوله: ولو أنه — واو الحال. وبكى: جواب لو؛ أي لو كان للمصر الذي حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفًا على أن لم تكن أميرًا عليه.

(٣٠) يقول: لم ترَ أحدًا غيرك نادمته، وليس ذلك لشيء سوى ودك لي؛ أي إنما أنادمك، لأنك تودني لا لمعنى آخر. فمن — ها هنا — نكرة بمعنى أحد. وإلاك: فيه قبح. والوجه: إلا إياك؛ لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل، ولا هي أيضًا عاملة، وهو جائز في ضرورة الشعر، كقول القائل:

فَمَا نُبَالِي إِذَا مَا كُنْتِ جَارَتَنا أَن لا يُجَاوِرَنَا إِلَّاكِ دَيَّارُ

(ديار: أحد، يقال: ما بالدار ديار؛ أي ما بها أحد، وهو فيعال: من دار يدور، يقول: إذا كنت جارتنا فلا نكترث لعدم مجاورة غيرك لنا.)

(٣١) لحبيها: أي لحبي إياها — يعني الخمر — كنى عنها وإن لم يجرِ لها ذكر. يقول: لست أنادمك لأني أحب الخمر؛ ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعداؤك، ومن كان كذا، تجب طاعته.

(٣٢) يقول: أنت ملك وندماؤك شركاؤك في مالك، لا في ملكك، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي:

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاؤُهُ غَدَا فِي مَعَالِيهِ قَلِيلَ الْمشَارِكِ

(٣٣) جعل الخمر دم الكرم، وجعل شربها سفكًا لذلك الدم. يقول: كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة، والتوبة من التوبة ترك التوبة.

(٣٤) يقول: الصدق ديدن الكرام الأشراف فخبرنا عن أيهما تتوب؟ قيل: لما قال هذا، قال له بدر: بل من تركه، وقوله: فنبنا، هي فنبئنا، فترك الهمز.

(٣٥) يقول — وكان عنده في مجلس الشراب ليلًا وأطال: قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار اشتياقًا إليك ومحبة لك.

(٣٦) يقول: إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إياك إذ لم يصفك ولم يمدحك.

(٣٧) يقول: كان وصفه لك أولى من وصف البركة؛ لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها. قال الواحدي: والذي سمعته في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان قد شبه البركة بأبي العشائر، فقال أبو الطيب: إنه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها بك، وأنت بحر، والبحر فوق البركة بكثير.

(٣٨) يقول: أنت كسيفك لأنك تفني ما تملكه فلا يبقى لديك، وكذلك سيفك يفني ما يظفر به فلا يدع أحدًا حيًّا. وجعل السيف مالكًا — حيث قال: ولا ما ملك — مجازًا، ويقال: ملكتهم السيوف: إذا لم يمتنعوا منها.

(٣٩) من جريها: أي من جري ماء البركة. يقول: إن ما جرى من هباتك وعطاياك أكثر مما جرى من ماء البركة، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها.

(٤٠) يقول: أسأت إلى أعدائك وأحسنت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس.

(٤١) يقول: يفديك كل من لم يبلغ غايتك؛ وإذن يفديك جميع الملوك؛ لأنه لم يبلغ ملك غايتك وكلهم دونك. وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابي فقال:

أَيُّهَذَا الْوَزِيرُ لَا زَالَ يَفْدِيـ ـكَ مِنَ النَّاسِ كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَكْ
وَإِذَا كَانَ ذَاكَ أَوْجَبَ قَوْلِي أَنْ يَكُونُوا بِأَسْرِهِمْ يَفْدُونَكْ

هذا: ويقال: فداه يفديه فداء وفدًى، وفاداه يفاديه مفاداة: إذا أعطى فداءه وأنقذه. وفداه بنفسه وفدَّاه: إذا قال: له جعلت فداك. قال صاحب «الصحاح»: الفداء إذا كسر أوله يمد ويقصر، وإذا فتح مقصور، يقال: قم فدى لك أبي، ومن العرب من يكسر فداء — بالتنوين — إذا جاور لام الجر خاصة، فيقول فداء لك؛ لأنه نكرة، يريدون به معنى الدعاء. وأنشد الأصمعي للنابغة:

مَهْلًا فِدَاءٍ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمُ وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ

وقال الفراء: العرب تقصر الفداء وتمده، يقال: هذا فداؤك وفداك، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا، فقالوا: فداك. وقال في موضع آخر: من العرب من يقول: فدًى لك فيفتح الفاء، وأكثر الكلام كسر أولها، ومدها. وقال النابغة — وعنى بالرب النعمانَ بن المنذر:

فَدًى لَكَ مِنْ رَبٍّ طَرِيفي وَتَالِدِ

(٤٢) قلاك: أبغضك، يقال قلاه يقليه قلًى وقلاء، إن فتحت القاف مددت، ومقلية: أي أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه. وحكى سيبويه: قلاه يقلاه وهو نادر. وفي الحديث: «وجدت الناس أخبر تقله.» (يقول جرب الناس. فإنك إذا جربتهم قليتهم

وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم. لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر: أي من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم، ومعنى نظم الحديث: وجدت الناس مقولًا فيهم هذا القول.) وتقلَّى الشيء: تبغض، قال كثير:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ   لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ

(خاطب ثم غايب.)

يقول المتنبي: ولو قلنا: يفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء؛ لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك. وقال ابن جني: المراد أن الخلق كلهم فداء الممدوح؛ لأنهم يقصرون عن مداه، فإذا قلنا: فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء؛ لأنهم لا يساوونك في الملك، بل يقصرون عنك.

(٤٣) وآمنا: عطف على قوله: دعونا. وملاك الشيء: قوامه. يقول: ونأمن أن تكون كل نفس فداءك، ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه، إذا كان يفديك من يساويك؛ لأنهم جميعًا يقصرون عنك. وعبارة العكبري: المعنى: قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين، وملوكهم المترفين، وإن كان من بين تلك النفوس من هو ملاك مملكة، ومن ينفرد بعلو منزلة، فهم عند إضافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع، والسوام الذين لا حظ لهم في الملك ... فقوله فداءك: مفعول ثانٍ لآمنا مقدم، وكل نفس: مفعول أول.

(٤٤) ومن يظن: عطف على قوله كل نفس. ويظن: يفتعل، من الظن. وهذا تعريض بسائر الملوك، يشير إلى أنهم يجودون طمعًا في جر المنافع، كمن نثر حبًّا تحت شبكة لم يعد ذلك جودًا بالحب؛ لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحب.

(٤٥) الكرى: النعاس. والسكاك: الهواء الذي يلاقي عنان السماء. ومن بلغ التراب: يروى: ومن بلغ الحضيض. يقول: وآمنا فداءك كذلك من ألصقه عماه وغفلته بالتراب أو بالحضيض، وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء، فحسبهم أنهم دونك.

(٤٦) الصديق: يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية. وعداك: جمع عدو. والخلائق: بمعنى الأخلاق. يقول: إن هؤلاء الملوك إن والتك قلوبهم فقد عادتك أخلاقهم؛ لأنها مضادة لأخلاقك. يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بونًا بعيدًا؛ إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك، وقد بين ذلك في البيت التالي.

(٤٧) الحسب: ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر. والضناك: الموثق الخلق المكتنزه، يكون ذلك في الناس والإبل، الذكر والأنثى فيه سواء، وامرأة ضناك: ضخمة — من الضنك الذي هو الضيق، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم. قال العجاج يصف جارية:

فَهي ضِنَاكٌ كَالْكَثِيبِ الْمُنْهَالْ عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ معطي الأَسْهَالْ
ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنه بالتَّهْتَالْ

الضناك: الضخمة — كالكثيب الذي ينهال عزز منه — أي سدد من الكثيب. ضرب السواري: أي أمطار الليل، فلزم بعضه بعضًا. شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر، وهو معطي الأسهال، أي يعطيك سهولة ما شئت.

يبين المتنبي الوجه في معاداة أخلاقهم له، يقول: إنك تبغض أن ترى أحدًا قلت مفاخره، وهو كثير المال يقدر على كسب المآثر والمحامد، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته. والنحيف والضناك: استعارة، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم:

سَلِيلُ خِلَافَة وَغَذِيُّ ملكٍ جَسِيمُ مَحَامِدٍ مَنْهُوكُ مَالِ

(٤٨) يقول: أروح عنك وقد ختمت على قلبي بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك، فلم يدع حبك فيه لغيرك مكانًا ينزل بساحته. وفيه نظر إلى قول ابن المعتز:

لَا أُشْرِكُ النَّاسَ فِي مَحَبَّتِهِ قَلْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ قَدْ خُتِمَا

(٤٩) وقد حملتني: عطف على الحال — في البيت السابق — والحراك بمعنى الحركة. كنى بثقل الشكر عن كثرة النعم التي تقتضيه، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفَا:
لَا تُسْدِيَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

(٥٠) الضمير — في يشق — للشكر. والسواك: بطء السير من عجف أو إعياء، يقال: تتساوك الدواب سواكا؛ إذا مشت هزلى ضعيفة، قال الشاعر:

إِلَى اللهِ أَشْكُو مَا جَرَى بِجِيَادِنَا   تَسَاوَكُ هَزْلَى مُخهُنَّ قَلِيلُ

يقول: أحاذر أن يثقل هذا الشكر على دوابي لكثرة ما حملتني منه — والمراد النعم — فلا تمشي بنا إلا ضعيفة.

(٥١) الضمير في يجعله: للرحيل، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلا، فأضمر للأول وفسره بالثاني. والذرا: الكنف والناحية. يقول: أسأل الله أن يجعل هذا الفراق سببًا لإقامتي عندك بأن أصلح أموري وأعود إليك، أو بأن أحمل أهلي إلى حضرتك فأقيم عندك فارغ البال. وفي هذا نظر إلى قول عروة بن الورد:

تَقُولُ سُلَيْمَى: لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا!   وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

وقول أبي تمام:

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَم افْتِرَاقٍ   أَظَلَّ فَكَانَ دَاعيةَ اجْتِمَاعِ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا   لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

(٥٢) يقول: لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصري إلى أحد بالنظر إليه حتى أعود إليك، قال أبو النجم:

لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَا أُعَايِنُكُمْ   غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ أَحَدَا

وقال صريع الغواني:

إِنْ يَحْجُبُوها عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ   حَجَبْتُ طَرْفِي لَهَا عَنِ الْبَشَرِ

(٥٣) يقول: كيف أصبر عنك وقد كفاني ما جدت به علي ولم يكفك ذلك فتأبى إلا أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا أسرع العود إليك؟ وفيه نظر إلى قول البحتري:

فَلَمْ أَمْلَ إِلَّا مِنْ مَوَدَّتِهِ يَدِي   وَلَا قُلْتُ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ: حَسْبِي

(٥٤) أتتركني: أراد أأتركك فقلب، ومثله كثير؛ لأن من تركته فقد تركك. والاستفهام إنكاري: أي لا أتركك، ونصب «فتقطع» لأنه جواب الاستفهام. والشراك: سير النعل. يقول: إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من انتعل عين الشمس، وإذا فارقتك فارقتني هذه الرفعة، فكأني مشيت في تلك النعل حتى قطع مشيي شراكها. وإليك عبارة ابن جني: بحصولي عندك وقصدي لك شرفت عند الناس، فإذا بعدت عنك زال ما كسوتنيه من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت نعله عين الشمس فمشى فيها فانقطع شراكها فسقط من رجله.

(٥٥) وما سرنا: حال معترضة بين مفعولي أرى، والابتراك: سرعة السير. وأصله: السقوط على الركب. يقول: أرى أسفي لمفارقتك شديدًا وأنا لم أسر بعد، فكيف يكون أسفي إذا جد بنا المسير؟ وفي هذا المعنى يقول سحيم عبد بني الحسحاس:

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمْضِ غَيْرُ لُيَيْلَةٍ ... فَكَيْفَ إِذَا جَدَّ الْمَطِيُّ بِنَا عَشرَا؟!

وقال أشجع السلمي:

فَهَا أَنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيرَةٌ ... فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا؟!
لَقَدْ صَنَعُوا بِكَ مَا لَا يَحلُّ ... وَلَوْ رَاقَبُوا اللَّهَ لَمْ يَصْنَعُوا
أَتَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ ... مُحَالٌ لَعَمْرَكَ مَا تَطْمَعُ

وقال آخر:

لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي خِيفَةً لِفِرَاقِهِ ... فَكَيْفَ إِذَا بَانَ الْحَبِيبُ فَوَدَّعَا؟!

(٥٦) البين: الفراق. والظرف: حال مقدمة من السيف. وحاك وأحاك — لغتان — أثر. والبين: البعد والفراق. يقول: هذا الشوق عمل فيَّ عمل السيف ولم نتفارق وأثر فيَّ تأثيره ولم أضرب به بعد! أي إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف يكون بعده؟

(٥٧) أعرض الشيء: بدا وظهر. وعليك: اسم فعل بمعنى الزم. يقول: إذا حضر الوداع قال لي قلبي الزم الصمت بعد مفارقته ولا تمدح غيره، فقوله لا صاحبت فاك: أي لا نطقت. وقال بعض الشراح: أي لا تتكلم بالوداع.

(٥٨) معاودة: خبر أن. والمنى: جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان. يقول: لولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له: ولا بلغت أنت أيضًا مناك في الارتحال حتى لا أفارقه، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى الممدوح. وعبارة بعض الشراح: قوله: ولا مناكا؛ أراد ولا صاحبت مناك — بضم تاء صاحبت — ضمير الشاعر، أو بفتحها خطابًا للقلب على أحد الوجهين — في البيت السابق — يقول: ولولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت مناك أيضًا: أي لا كانت لك منية تتمناها، وهو دعاء عليه باليأس؛ وذلك لأن قلبه يتمنى الرحيل حينئذٍ، فهو من جملة تلك المنى. يعني أنه كان يدعو عليه بزوال المنى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى عند الممدوح.

(٥٩) استشفيت: طلبت الشفاء. يقول مخاطبًا قلبه: قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للممدوح، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك؛ أي أنك تداويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل. ويروى: إذا استشفيت فأقتل؛ أي إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق الممدوح، فالداء الذي يشفيك هو أقتل الداءين. يعني إذا داويت شوقك بفراقه فقد داويته بما هو أقتل لك من الشوق. قال العكبري: وهو من قول الحكيم: إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت. وهو منقول أيضًا من قول حميد بن ثور:

أَرَى بَصرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا!

وقال بعضهم:

أَفْضَى بِكِ الْهَجْرُ إِلَى آلِيا فَجِئْت مِنْ دَاءٍ إِلَى دَاءِ

(٦٠) النجوى: الحديث الخفي. يقول: فأستر عنك يا عضد الدولة ما يجري بيني وبين قلبي من المناجاة، وأخفي عنك هموم فراقك التي قد أطلت عراكها ومغالبتها.

(٦١) الركاك: الضعاف، جمع ركيك؛ أي ضعيف. يقول: إذا عاصيت هذه الهموم — هموم الشوق إلى الأهل — ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت عليَّ وإذا طاوعتها وأزمعت الرحيل ضعفت وهانت. وقال الواحدي: المعنى: إذا عاصيت هذه الهموم في فراق الممدوح اشتدت عليَّ وإن طاوعتها في الإقامة عنده سهلت شدتها. ومثل هذا قول أبي العتاهية:

كَمْ أُمُورٍ عَاصَيْتُهُنَّ زَمَانًا ثُمَّ هَوَّنتَهَا عَلَيَّ فَهَانَتْ

(٦٢) الثوية: مكان بالكوفة. وذا: مبتدأ، خبره: الظرف بعده. يقول: كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقي إذا قدمت عليه سر بقدومي فيقول له القدوم: هذا السرور بذلك الغم الذي كنت لقيته بالبعد، كما قال أبو تمام:

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

وقال ابن الرومي يخاطب أمه وقد أراد سفرًا:

فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ اكْتِئَابًا بِشَاخِصٍ سَيُتْبِعُهُ اللهُ ابْتِهَاجًا بِقَادِمِ

(٦٣) ومن عذب: عطف على من حزين. والرضاب: الريق. وأنخنا: أي أنخنا مطايانا، وهو كناية عن النزول. وتروك: اسم ناقة حمله عليها عضد الدولة. والوراك: النمرقة التي تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحته يزين بها، والجمع ورك. قال زهير:

مُقَوَّرَةً تَتَبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقُطُوعُ عَلَى الْأَجْوَازِ وَالْوُرُكِ

(الشوار والشارة: اللباس والهيئة، ويقال: جاءت الإبل مقورة: أي شاسفة — يابسة — من الضمر، والمقور أيضًا من الخيل: الضامر. والقطوع: جمع قطع؛ الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفي البعير. والأجواز: الأوساط.)

يقول: وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا مطايانا قبل رحل ناقتي ووراكها؛ لأنها أدتني إليه.

(٦٤) صاك به الطيب يصيك: أي لصق به، قال الأعشى:

وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَا بِ صاك الْعَبِيرَ بِأَجْلَادِهَا

والعبير: أخلاط من الطيب. يقول: إن هذا الشخص لم يمس بعدي طيبًا حزنًا على فراقي، وهو مع ذلك تشم منه روائح الصب حتى لكأن الطيب قد لصق به.

(٦٥) الثغر: مقدم الأسنان. والصب: العاشق. والبشام والأراك: نوعان من الشجر يستاك بفروعهما. يقول: لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يبذل ثغره للسواك المتخذ من هذين الشجرين.

(٦٦) يقول: إذا نام هذا الشخص المولع بقدومي رأى خيالي في النوم، فليت نومه حدثه عن إحسانك إليَّ حتى يعذرني في الإقامة عندك.

(٦٧) البخت: الجمال الخراسانية، ورُوي البدن: أي السمان من الإبل. ويعرقن: أي يأتين العراق، والكوفة بلد أبي الطيب: أحد بلاد العراق. وأنضى العذافرة: أي هزلها، والضمير للندى. والعذافرة: الناقة الشديدة. واللكاك: المكتنزة اللحم. يقول: وليت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاها ثقل ما حملت من عطاياك.

(٦٨) الابتشاك: الكذب. يقول: وإن حدثه النوم عني فلست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه توهمه كذبًا: أي أني آبي عليه إلا أن يراني في اليقظة على ما وصف له الحلم.

(٦٩) ولا إلا: أي ولا أرضى إلا، فحذف الفعل للعلم به، يقول: ولا أرضى بشيء إلا بأن يستمع إليَّ وأحكي ما أغدقته عليَّ من نعمك وإفضالك، فليته عند ذلك لا يتيمه هواك ويستعبده حبك؛ لأن الإحسان يستعبد الإنسان. و«فليته» و«لا يتيمه» على حذف إشباع الضمير، وهي رواية ابن جني، ورُوي: فليتك. وأسكن الياء من يصغي وأحكي ضرورة أو على لغة.

(٧٠) يقول: وكم من إنسان تطرب مسامعه إذا سمع شعري فيك ولا يدري أيتعجب من حسن ثنائي عليك أم من علو شأنك الذي يقتضي هذا الثناء؟ وعبارة العكبري: والمعنى: كلاهما عجب لأني أثبت في شعري من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدري عند سماعه لذلك، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائي؟

(٧١) النشر: الرائحة الطيبة، ويريد به: الثناء. والعرض: ما يمدح ويذم من الإنسان. والفهر: الحجر الذي يسحق به الطيب. والمداك: الصلاية التي يداك عليها؛ أي يدق ويسحق. يقول: ذاك الثناء الطيب الرائحة الذي هو عرضك كان بمنزلة المسك. وكان شعري بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك، كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر. كما قال ابن الرومي:

وَمَا ازْدَادَ فَضْلٌ فِيكَ بِالْمَدْحِ شُهْرَةً ... بَلَى كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مِخْوَضَا

[المخوض: الذي يحرك به الطيب؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلًا بل يظهر رائحته، كذلك هذا الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس ولا يزيده فضلًا.]

(٧٢) الهمام: الملك العظيم الهمة. يقول: لا تحمد الفهر والمداك اللذين جعلتهما مثلًا لشعري واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة. وقوله: إذا لم يسمُ حامده، يعني بحامده: نفسه. يقول: إذا حمدتك بذكر إنعامك ولم أذكر اسمك كنت أنت المعني بذلك الحمد؛ لأنه لا يليق إلا بك. وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

وَإِنْ جَرَتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

(٧٣) أغر: صفة لهمامًا، والمراد بالأغر: الشريف. والشمائل: الأخلاق. يقول: أنت ورثت شمائل أبيك، وكما ورثتها من أبيك تورثها بنيك، فهم غدًا — أي إذا شبوا عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم — يلقون أباك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك. قال الواحدي: وكان حقه أن يقول أباهم، لكنه قال أباك: إشارة إلى أنهم لم يبلغوا بعد رتبته حتى يشبهوه، بل يشبهون أباه.

(٧٤) يقول: إن حال الأحباب تتشابه، ففيهم من يكون حزينًا عند فراق أحبته مختصًّا بالوجد دون غيره، وفيهم من يدعي الاشتراك في الوجد وليس لدعواه حقيقة، يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة، فليس كمن يدعي الاشتراك على غير حقيقة.

(٧٥) اشتبهت: تشابهت. وتباكى: تكلف البكاء. يقول: إذا تشابهت الدموع ظهر الذي يبكي عن حزن دفين في القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خالٍ من دواعيه.

(٧٦) يقولون: أذم له من فلان: أخذ له الذمة والعهد، وأذم له على فلان: أخذ له الذمة ليجيره منه. والنوى: البعد. وأولاكا: لغة في أولئك. وقد اختلف الشراح في معنى البيت، فذهب ابن جني إلى أن المعنى: إن مكرمات أبي شجاع أخذت لعيني عهدًا من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع؛ أي دموع المتباكي، يعني أن مكرماته تمنع عيني أن تجري على فراقه دموعًا كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه، فأنا أبكي على الحقيقة لا تكلفًا، فالإشارة في أولاكا للدموع الكاذبة. وقال الواحدي: إن مكرماته منعت عيني وعقدت لها عقدًا على أهلي من فراق عضد الدولة، يريد أني أشتهي ملازمتك والبعد عن أولئك، فالإشارة في أولاكا لأهله، وهذا على رواية نواي. ورُوي: ثواي — مقصور الثوى — أي المقام، يعني أن مكرماته أذمت لعيني من المقام عليهم — أي على أهله —

أي عقدت لعيني عقدًا يؤمنها من النظر إلى أولئك. يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره، ويكون: على أولاكا متعلق بالثوى.

(٧٧) الركاب: الإبل تحمل القوم. والأسنة: نصال الرماح. يخاطب البعد، يقول: تنح عن أيدي هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء.

(٧٨) قال الواحدي: هذا كلام ضجر، يقول لطريقه: كوني كيف شئت فإني لا أبالي وإن كان الهلاك في سلوكك، قيل: إن عضد الدولة قال: تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك.

(٧٩) تشرين: اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية: تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١، وتشرين الثاني وهو الحادي عشر وأيامه ٣٠. والسماكان: كوكبان نيران، يقال لأحدهما: السماك الرامح؛ لأن أمامه كوكبًا صغيرًا يقال له: راية السماك ورمحه، وللآخر: السماك الأعزل؛ لأنه ليس أمامه شيء، والمراد هنا: السماك الأعزل، وقد كان هذا النجم يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول. يقول: لو سرنا وقد مضت خمس ليالٍ من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب، فرآني أهلها قبل أن يروه. يريد أنه لسرعة سيره وإدآبه السير لا يمضي عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة — بلده — وهذا مبالغة؛ لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة.

(٨٠) فناخسرو: اسم عضد الدولة. والطعن الدراك: المتتابع. يقول: سعده ويمنه يطرد عني رماح الأعداء وطعنها المتتابع.

(٨١) سلاح شائك وشاك — على حذف العين — حاد ذو شوكة يقول: رضاه عني بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عني. هذا، والسلاح اسم جامع لآلة الحرب، وخص بعضهم به ما كان من الحديد — يؤنث ويذكر والتذكير أعلى؛ لأنه يجمع على أسلحة، وهو جمع المذكر — مثل حمار وأحمرة ورداء وأردية — ويجوز تأنيثه. قال الطرماح — يذكر ثورًا يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به:

يَهُزُّ سِلَاحًا لَمْ يَرِثْهَا كَلالَةً يَشُكُّ بِهَا مِنْهَا أُصُول المَغَابِنِ

(سمى روقيه سلاحًا؛ لأنه يذب بهما عن نفسه. والعرب تقول: لم يرثه كلالة أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق.)

(٨٢) هذا استفهام إنكاري، يقول: إذا فارقتك لم أجد خلفًا عنك أعتاضه من جميع الناس؛ لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل، لهم صورتك وليس لهم معناك، وهذا كقول عمران بن حطان:

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٨٣) يقول: أنا في انطلاقي من عندك وسرعة عودي إليك كالسهم إذا رُمي به في الجو فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض. يشير بهذا البيت والذي قبله إلى أنه ينوي الرجوع إليه.

(٨٤) حيي: أي أنا حيي. وقد فارقت دارك: حال. يقول: إني أستحيي من إلهي أن يراني وقد فارقتك وزهدت فيك، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكل إليك أرزاق العباد، فكأني إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرضَ باختياره. وروى ابن جني: واصطفاكا — بكسر الطاء — قال وهو من باب قصر الممدود، واستشهد على قصره بأشعار، وقصر الممدود كثير، وأنشد فيما أنشد:

وَأَنْتَ لَوْ بَاكَرْتَ مَشْمُولَةً صَفْرَا كَلَوْنِ الْفرسِ الْأَشْقَرِ

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء، وقالوا: لمَ يستحي من الله إذا فارق دار الممدوح واختياره له؟ بل لا وجه لحيائه في فعله ذاك، وإنما يستحيي من الله إذا فارق دار الممدوح، والله قد اختاره على أرضه، وكل من فارقه يجب أن يستحيي من خالقه وإنما يقول: أستحيي من الله أن أفارقك، وقد اصطفاك ووكل إليك الأرزاق. ألا تراه كيف بين وجه حيائه إذ ذكر اصطفاءه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلًا ماضيًا، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال: لم أقصر في شعري ممدودًا إلا في موضع واحد وهو:

خُذْ مِنْ ثَنَاي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمَنِّي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا

هذا، وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها وما لم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وتراميها في البلاد، وقد وقع له في أثنائها كلام كأنه ينعي به نفسه وإن لم يقصده، وذلك أنه بعد ارتحاله

من شيراز ومفارقته لأعمال فارس قتل في الطريق كما تراه في مدخل هذا الشرح وهذا — عمرك الله — من غريب الاتفاق.

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن إنطاكية وكثر المطر:

رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ ... تَأَنَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ[1]
وَجُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلًا ... فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ[2]
لِأَكْبِتَ حَاسِدًا وَأُرِي عَدُوًّا ... كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ[3]
وَيَهْدَأُ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَكْنَا: ... أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَبِيلُ؟[4]
وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ ... فَهَا أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ[5]
وَمَا أَخْشَى نُبُوَّكَ عَنْ طَرِيقٍ ... وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلُ[6]
وَكُلُّ شَوَاةِ غِطْرِيفٍ تَمَنَّى ... لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ[7]
وَمِثْلِ الْعَمْقِ مَمْلُوءٍ دِمَاءً ... جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولُ[8]
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا ... فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ[9]
وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ ... أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ[10]
أَتَخْفِرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَالِي ... وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ؟![11]
وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ ... يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ؟![12]
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعَ فِعْلٌ ... وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ[13]
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَّالُ صَبْرًا ... وَقَدْ فَنِيَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ[14]
يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ ... وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ[15]
فَلَوْ قَدَرَ السِّنَانُ عَلَى لِسَانٍ ... لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ[16]
وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْدًا ... وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ[17]

وقال يرثي والدة سيف الدولة، وقد توفيت بميا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة:

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي ... وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ ١٨
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ ... وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي ١٩
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا؟! ... وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ ٢٠
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ ٢١
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ ٢٢
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ ٢٣
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا ... لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي ٢٤
وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا ... لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ ٢٥
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ ... وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ ٢٦
صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ ... عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ ٢٧
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا ... وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ ٢٨
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصًا ... جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِي ٢٩
وَمَا أَحَدٌ يُخَلَّدُ فِي الْبَرَايَا ... بَلِ الدُّنْيَا تَئُولُ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتًا ... تَمَنَّتْهُ الْبَوَاقِي وَالْخَوَالِي ٣٠
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَيْ يَوْمًا كَرِيهًا ... يُسَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ ٣١
رِوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ ... وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِي كَمَالِ ٣٢
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِي الْغَوَادِي ... نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِي النَّوَالِ ٣٣
لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ ... كَأَيْدِي الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ الْمَخَالِي ٣٤
أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ ... وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِي ٣٥
يَمُرُّ بِقَبْرِكِ الْعَافِي فَيَبْكِي ... وَيَشْغَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ ٣٦
وَمَا أَهْدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ... لَوَ انَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فِعَالِ! ٣٧
بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ؟ فَإِنَّ قَلْبِي ... وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ، غَيْرُ سَالِي ٣٨
نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ ... بَعُدْتِ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ ٣٩
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الْخُزَامَى ... وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ الطِّلَالِ ٤٠
بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ ... طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُّ الْحِبَالِ ٤١

حَـصَـانٌ مِـثْـلُ مَـاءِ الْـمُـزْنِ فِـيـهِ   كَـتُـومُ الـسِّـرِّ صَـادِقَـةُ الْـمَـقَـالِ[٤٢]
يُـعَـلِّـلُـهَـا نِـطَـاسِـيُّ الـشَّـكَـايَـا   وَوَاحِـدُهَـا نِـطَـاسِـيُّ الْـمَـعَـالِـي[٤٣]
إِذَا وَصَــفُـوا لَــهُ دَاءً بِــثَــغْــرٍ   سَـقَـاهُ أَسِـنَّـةَ الْأَسَـلِ الـطِّـوَالِ[٤٤]
وَلَـيْـسَـتْ كَـالْإِنَـاثِ وَلَا الـلَّـوَاتِـي   تُـعَـدُّ لَـهَـا الْـقُـبُـورُ مِـنَ الْـحِـجَـالِ[٤٥]
وَلَا مَـنْ فِـي جَـنَـازَتِـهَـا تِـجَـارٌ   يَـكُـونُ وَدَاعُـهَـا نَـفْـضَ الـنِّـعَـالِ[٤٦]
مَـشَـى الْأُمَـرَاءُ حَـوْلَـيْـهَـا حُـفَـاةً   كَـأَنَّ الْـمَـرْوَ مِـنْ زِفِّ الـرِّئَـالِ[٤٧]
وَأَبْــرَزَتِ الْــخُــدُورُ مُــخَــبَّــآتٍ   يَـضَـعْـنَ الـنِّـقْـسَ أَمْـكِـنَـةَ الْـغَـوَالِـي[٤٨]
أَتَـتْـهُـنَّ الْـمُـصِـيـبَـةُ غَـافِـلَاتٍ   فَـدَمْـعُ الْـحُـزْنِ فِـي دَمْـعِ الـدَّلَالِ[٤٩]
وَلَـوْ كَـانَ الـنِّـسَـاءُ كَـمَـنْ فَـقَـدْنَـا   لَـفُـضِّـلَـتِ الـنِّـسَـاءُ عَـلَـى الـرِّجَـالِ[٥٠]
وَمَـا الـتَّـأْنِـيـثُ لِاسْـمِ الـشَّـمْـسِ عَـيْـبٌ   وَلَا الـتَّـذْكِـيـرُ فَـخْـرٌ لِـلْـهِـلَالِ[٥١]
وَأَفْـجَـعُ مَـنْ فَـقَـدْنَـا مَـنْ وَجَـدْنَـا   قُـبَـيْـلَ الْـفَـقْـدِ مَـفْـقُـودَ الْـمِـثَـالِ[٥٢]
يُـدَفِّـنُ بَـعْـضُـنَـا بَـعْـضًـا وَتَـمْـشِـي   أَوَاخِــرُنَــا عَــلَــى هَــامِ الْأَوَالِــي[٥٣]
وَكَـمْ عَـيْـنٍ مُـقَـبَّـلَـةِ الـنَّـوَاحِـي   كَـحِـيـلٌ بِـالْـجَـنَـادِلِ وَالـرِّمَـالِ![٥٤]
وَمُـغْـضٍ كَـانَ لَا يُـغْـضِـي لِـخَـطْـبٍ   وَبَـالٍ كَـانَ يُـفْـكِـرُ فِـي الْـهُـزَالِ![٥٥]
أَسَـيْـفَ الـدَّوْلَـةِ اسْـتَـنْـجِـدْ بِـصَـبْـرٍ   وَكَـيْـفَ بِـمِـثْـلِ صَـبْـرِكَ لِـلْـجِـبَـالِ؟![٥٦]
فَـأَنْـتَ تُـعَـلِّـمُ الـنَّـاسَ الـتَّـعَـزِّي   وَخَـوْضَ الْـمَـوْتِ فِـي الْـحَـرْبِ الـسِّـجَـالِ[٥٧]
وَحَـالَاتُ الـزَّمَـانِ عَـلَـيْـكَ شَـتَّـى   وَحَـالُـكَ وَاحِـدٌ فِـي كُـلِّ حَـالِ[٥٨]
فَـلَا غِـيـضَـتْ بِـحَـارُكَ يَـا جَـمُـومًـا   عَـلَـى عَـلَـلِ الْـغَـرَائِـبِ وَالـدِّخَـالِ[٥٩]
رَأَيْـتُـكَ فِـي الَّـذِيـنَ أَرَى مُـلُـوكًـا   كَـأَنَّـكَ مُـسْـتَـقِـيـمٌ فِـي مُـحَـالِ[٦٠]
فَـإِنْ تَـفُـقِ الْأَنَـامَ وَأَنْـتَ مِـنْـهُـمْ   فَـإِنَّ الْـمِـسْـكَ بَـعْـضُ دَمِ الْـغَـزَالِ[٦١]

وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة:

إِلَامَ طَـمَـاعِـيَـةُ الْـعَـاذِلِ؟   وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ[٦٢]
يُـرَادُ مِـنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ   وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ[٦٣]
وَإِنِّـي لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ   نُحُولِي وَكُلَّ امْرِئٍ نَاحِلِ[٦٤]
وَلَـوْ زُلْـتُـمُ ثُـمَّ لَـمْ أَبْـكِـكُـمْ   بَكَيْتُ عَلَى حُبِّيَ الزَّائِلِ[٦٥]

أَيُنْكِرُ خَدِّي دُمُوعِي وَقَدْ ... جَرَتْ مِنْهُ فِي مَسْلَكٍ سَابِلِ؟! ٦٦
أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ... وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ ٦٧
وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لَامَنِي ... وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلِ ٦٨
كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ... ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ ٦٩
وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى ... ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلِ ٧٠
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النُّضَارِ ... وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ ٧١
وَمَنَّاهُمُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً ... فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ ٧٢
كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ ... مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ ٧٣
دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ ... عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ! ٧٤
فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ ... لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ ٧٥
خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِي عَارِضٍ ... وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَابِلِ ٧٦
فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِينَ السِّيَاطَ ... بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ ٧٧
شَفَنَّ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبْنَ ... قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ ٧٨
فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الثَّرَى ... عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْغَاسِلِ ٧٩
وَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْمُسْتَغِيرِ ... كَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْبَائِلِ ٨٠
فَلُقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ ... وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ ٨١
وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ ... صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ ٨٢
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ ... نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ ٨٣
فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ ... رَأَتْ أُسْدُهَا آكِلَ الْآكِلِ ٨٤
بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَائِرٍ ... لَهُ فِيهِم قِسْمَةُ الْعَادِلِ ٨٥
وَطَعْنٍ يُجَمِّعُ شُذَّانَهُمْ ... كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الْحَافِلِ ٨٦
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ ... تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ ٨٧
فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْهَا اللِّحَى ... فَتًى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ ٨٨
وَلا يَسْتَغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ ... وَلَا يَتَضَعْضَعُ مِنْ خَاذِلِ ٨٩
وَلَا يَزَعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ ... وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ ٩٠
إِذَا طَلَبَ التَّبْلَ لَمْ يَشْأَهُ ... وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَاطِلِ ٩١
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا ... فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ ٩٢

وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ فَعُودُوا إِلَى حِمْصَ مِنْ قَابِلِ[٩٣]
فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ[٩٤]
يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمُ فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ[٩٥]
أَمَامَ الْكَتِيبَةِ تُزْهَى بِهِ مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ[٩٦]
وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمْ عَلَى بَازِلِ![٩٧]
أَقَالَ لَهُ اللهُ: لَا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ[٩٨]
إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ[٩٩]
وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ[١٠٠]
يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ[١٠١]
أَمَا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ؟[١٠٢]
يَقُدُّ عِدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلِ[١٠٣]
تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّصْنَ لِلنَّاخِلِ[١٠٤]
فَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيعَ السِّبَاعِ فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ[١٠٥]
وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَوْدِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ[١٠٦]
وَمِثْلُ الَّذِي دُسْتَهُ حَافِيًا يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ[١٠٧]
وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ![١٠٨]
وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى بَغِيضُ الْحُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ[١٠٩]
تَفُكُّ الْعُنَاةَ وَتُغْنِي الْعُفَاةَ وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ[١١٠]
فَهَنَّأَكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِي الْآجِلِ[١١١]
فَذِي الدَّارِ أَخْوَنُ مِنْ مُومِسٍ وَأَخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الْحَابِلِ[١١٢]
تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ[١١٣]

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة، لما قصده معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فقال أبو الطيب:

أَعَلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ[١١٤]
وَمَا تَقِرُّ سُيُوفٌ فِي مَمَالِكِهَا حَتَّى تُقَلْقَلَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقُلَلِ[١١٥]
مِثْلُ الْأَمِيرِ بَغَى أَمْرًا فَقَرَّبَهُ طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ[١١٦]

وَعَـزْمَـةٌ بَـعَـثَـتْـهَـا هِـمَّـةٌ زُحَـلٌ … مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ[١١٧]
عَلَـى الْفُـرَاتِ أَعَاصِـيرٌ وَفِـي حَلَـبٍ … تَوَحُّشٌ لِمُلْقِـي النَّصْرِ مُقْتَبَلِ[١١٨]
تَتْلُـو أَسِنَّتُـهُ الْكُتْـبَ الَّتِـي نَفَذَتْ … وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ[١١٩]
يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلَا يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ … وَمَا أَعَدُّوا فَلَا يَلْقَى سِوَى نَفَلِ[١٢٠]
صَـانَ الْـخَـلِيفَةَ بِـالْأَبْطَـالِ مُـهْجَـتَـهُ … صِيَـانَـةَ الذَّكَـرِ الْهِـنْدِيِّ بِـالْـخِـلَـلِ[١٢١]
الْـفَـاعِلُ الْـفِـعْلَ لَـمْ يُـفْعَلْ لِشِـدَّتِـهِ … وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلِ[١٢٢]
وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ … ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ[١٢٣]
الْـجَـوُّ أَضْـيَـقُ مَـا لَاقَـاهُ سَـاطِـعُـهَـا … وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِ[١٢٤]
يَـنَـالُ أَبْـعَـدَ مِـنْـهَـا وَهْـيَ نَـاظِـرَةٌ … فَـمَـا تُـقَـابِـلُـهُ إِلَّا عَـلَـى وَجَـلِ[١٢٥]
قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ … وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغِيَلِ[١٢٦]
وَوَكَّلَ الظَّـنَّ بِالْأَسْـرَارِ فَـانْـكَـشَـفَـتْ … لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ[١٢٧]
هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ … وَهْوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلِ[١٢٨]
يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ … وَقَـدْ أَغَـذَّ إِلَـيْـهِ غَـيْـرَ مُـحْـتَـفِـلِ[١٢٩]
وَلَا يُـجِـيـرُ عَـلَـيْـهِ الـدَّهْـرُ بُـغْـيَـتَـهُ … وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ الْبَطَلِ[١٣٠]
إِذَا خَـلَـعْـتُ عَـلَـى عِـرْضٍ لَـهُ حُـلَـلًا … وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ[١٣١]
بِـذِي الْـغَـبَـاوَةِ مِـنْ إِنْـشَـادِهَـا ضَـرَرٌ … كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ[١٣٢]
لَـقَـدْ رَأَتْ كُـلُّ عَـيْـنٍ مِـنْـكَ مَـالِـئَـهَـا … وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّوَلِ[١٣٣]
فَـمَـا تُـكَـشِّـفُـكَ الْأَعْـدَاءُ مِـنْ مَـلَـلٍ … مِنَ الْحُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلِ[١٣٤]
وَكَـمْ رِجَـالٍ بِـلَا أَرْضٍ لِـكَـثْـرَتِـهِـمْ … تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلِ![١٣٥]
مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِم … حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ[١٣٦]
يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ … فِيمَا يَرَاهُ وحُكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ[١٣٧]
إِنَّ الـسَّـعَـادَةَ فِـيـمَـا أَنْـتَ فَـاعِـلُـهُ … وُفِّقْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ[١٣٨]
أَجْرِ الْجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا … وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأُوَلِ[١٣٩]
يَـنْـظُـرْنَ مِـنْ مُـقَـلٍ أَدْمَـى أَحِـجَّـتَـهَـا … قَرْعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ[١٤٠]
فَـلَا هَـجَـمْـتَ بِـهَـا إِلَّا عَـلَـى ظَـفَـرٍ … وَلَا وَصَـلْـتَ بِـهَـا إِلَّا عَـلَـى أَمَـلِ[١٤١]

وقال يرثي أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب، وقد توفي بميافارقين في صفر سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة:

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ ... وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي ١٤٢
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِفْتَهُ ... إِذَا عِشْتَ فَاخْتَرْتَ الْحِمَامَ عَلَى الثُّكْلِ ١٤٣
تَرَكْتَ خُدُودَ الْغَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا ... دُمُوعٌ تُذِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النُّجْلِ ١٤٤
تَبُلُّ الثَّرَى سُودًا مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ ... وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعَرِ الْجَثْلِ ١٤٥
فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَا ... وَإِنْ تَكُ طِفْلًا فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ ١٤٦
وَمِثْلُكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ ... وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ ١٤٧
أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأُلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ ... نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمُ مُهْجَةُ الْبُخْلِ؟ ١٤٨
بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ ... وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ ١٤٩
تُسَلِّيهِمِ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ ... وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ ١٥٠
أَقَلُّ بَلَاءً بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَا ... وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ ١٥١
عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ ... فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ ١٥٢
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ ١٥٣
وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً ... وَأَثْبَتَ عَقْلًا وَالْقُلُوبُ بِلَا عَقْلِ ١٥٤
تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ ... وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ ١٥٥
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ ١٥٦
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ ... فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي ١٥٧
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ ... يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ ١٥٨
يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ ... وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ ١٥٩
بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ ... إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ ١٦٠
بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرِّوَى ... وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ ١٦١
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا ... إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ ١٦٢
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى ... وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِي ١٦٣
أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ ... وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ؟! ١٦٤
وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ ... وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ ١٦٥
وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السِّلْمِ وَالْوَغَى ... وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي مَلِيكًا بِلَا مِثْلِ ١٦٦

تُـوَلِّـيـهِ أَوْسَـاطَ الْـبِـلَادِ رِمَـاحُـهُ   وَتَـمْـنَـعُـهُ أَطْـرَافُـهُـنَّ مِـنَ الْـعَـزْلِ ١٦٧
نُـبَـكِّـي لِـمَـوْتَـانَـا عَـلَـى غَـيْـرِ رَغْـبَـةٍ   تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهِبٍ جَزْلِ ١٦٨
إِذَا مَـا تَـأَمَّـلْـتَ الـزَّمَـانَ وَصَـرْفَـهُ   تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ ١٦٩
هَـلِ الْـوَلَـدُ الْـمَـحْـبُـوبُ إِلَّا تَـعِـلَّـةٌ؟   وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إِلَّا أَذَى الْبَعْلِ؟ ١٧٠
وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينِ عَلَى الصِّبَا   فَلَا تَحْسَبَنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلِ ١٧١
وَمَـا تَـسَـعُ الْأَزْمَـانُ عِـلْـمِـي بِـأَمْـرِهَـا   وَلَا تُـحْـسِـنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِـي ١٧٢
وَمَـا الـدَّهْـرُ أَهْـلٌ أَنْ تُـؤَمَّـلَ عِـنْـدَهُ   حَيَاةٌ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ ١٧٣

وقال يمدحه:

لَا الْحِلْمُ جَادَ بِهِ وَلا بِمِثَالِهِ   لَوْلَا ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ ١٧٤
إِنَّ الْمُعِيدَ لَنَا الْمَنَامُ خَيَالَهُ   كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ ١٧٥
بِتْنَا يُنَاوِلُنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ   مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ ١٧٦
نَجْنِي الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَائِدِ جِيدِهِ   وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ ١٧٧
بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فِيكُمُ   وَسَكَنْتُمُ ظَنَّ الْفُؤَادِ الْوَالِهِ ١٧٨
فَدَنَوْتُمُ وَدُنُوُّكُمْ مِنْ عِنْدِهِ   وَسَمَحْتُمُ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ ١٧٩
إِنِّي لَأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ   إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وِصَالِهِ ١٨٠
مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالْأَسَى   فَارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تَرْحَالِهِ ١٨١
وَقَدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ   مِنْ عِفَّتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ ١٨٢
وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً   تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ ١٨٣
تَلْقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا   ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ ١٨٤
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ   وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ ١٨٥
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ   بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ ١٨٦
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ   مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ ١٨٧
يَمْشِي كَمَا عَدَتِ الْمَطِيُّ وَرَاءَهُ   وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَكَلَالِهِ ١٨٨
وَتُرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ   فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلًا بِعِقَالِهِ ١٨٩
فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ   وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ ١٩٠
وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَيْفِهَا   وَشَقَقْتُ خِيسَ الْمُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ ١٩١

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ   يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ[١٩٢]
وَتَـوَاضَـعَ الْأُمَـرَاءُ حَـوْلَ سَـرِيـرِهِ   وَتَرَى الْمَحَبَّةَ وَهْيَ مِنْ آكَالِهِ[١٩٣]
وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيبَشُّ قَبـْ   ـلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ[١٩٤]
إِنَّ الـرِّيَـاحَ إِذَا عَـمَـدْنَ لِـنَـاظِـرٍ   أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِعْجَالِهِ[١٩٥]
أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ   حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ[١٩٦]
وَإِذَا غَـنُـوا بِـعَـطَـائِـهِ عَـنْ هَـزِّهِ   وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا: وَالِهِ[١٩٧]
وَكَـأَنَّـمَـا جَـدْوَاهُ مِـنْ إِكْـثَـارِهِ   حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ[١٩٨]
غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ   وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ[١٩٩]
وَالـلـهُ يُـسْـعِـدُ كُـلَّ يَـوْمٍ جَـدَّهُ   وَيَـزِيـدُ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ فِـي آلِـهِ[٢٠٠]
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ   مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ[٢٠١]
لَمْ يَتْرُكُوا أَثَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى   إِلَّا دِمَـاءَهُـمُ عَـلَـى سِـرْبَـالِـهِ[٢٠٢]
فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ   وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ[٢٠٣]
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ   لَا تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ[٢٠٤]
وَإِذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ:   دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ[٢٠٥]
وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى   أَفْـعَـالَـهُـمْ لِابْـنٍ بِـلَا أَفْـعَـالِـهِ[٢٠٦]
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التُّرَاثُ سِوَى الْعُلَا   قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطِوَالِهِ[٢٠٧]
وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمِ   فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ[٢٠٨]
فَـكَـأَنَّـمَـا قَـذِيَ الـنَّـهَـارُ بِـنَـقْـعِـهِ   أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلَالِهِ[٢٠٩]
الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ   فِـي قَـلْـبِـهِ وَيَـمِـيـنِـهِ وَشِـمَـالِـهِ[٢١٠]
تَرِدُ الطِّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ   وَتُـنَـازِلُ الْأَبْـطَـالَ عَـنْ أَبْـطَـالِـهِ[٢١١]
كُـلٌّ يُـرِيـدُ رِجَـالَـهُ لِـحَـيَـاتِـهِ   يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ[٢١٢]
دُونَ الْحَلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةٌ   لَا تُـخْـتَـطَـى إِلَّا عَـلَـى أَهْـوَالِـهِ[٢١٣]
فَـلِـذَاكَ جَـاوَزَهَـا عَـلِـيٌّ وَحْـدَهُ   وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إِلَى آمَالِهِ[٢١٤]

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالًا بطريق آمد:

يُـؤَمِّـمُ ذَا الـسَّـيْـفُ آمَـالَـهُ   وَلا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ[٢١٥]
إِذَا سَـارَ فِـي مَـهْـمَـهٍ عَـمَّـهُ   وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ[٢١٦]

وَأَنْتَ بِمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ ... يُثَمِّرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ[٢١٧]
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْغَمٌ ... يُرَشِّحُ لِلْفَرْسِ أَشْبَالَهُ[٢١٨]

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بميافارقين، وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة، فتكلم الناس في ذلك، فقال:

أَيَقْدَحُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ ... وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ؟![٢١٩]
وَتَعْلُو الَّذِي زُحَلٌ تَحْتَهُ ... مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تُسْأَلُ[٢٢٠]
فَلِمْ لَا تَلُومُ الَّذِي لَامَهَا ... وَمَا فَصُّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ؟[٢٢١]
تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا ... وَيَرْكُضُ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ[٢٢٢]
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا ... وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذُّبَّلُ[٢٢٣]
وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ ... كَأَنَّ الْبِحَارَ لَهَا أُنْمُلُ؟![٢٢٤]
فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ ... وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ![٢٢٥]
فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً ... وَسُدْتَهُمُ بِالَّذِي يَفْضُلُ[٢٢٦]
رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا ... كَلَوْنِ الْغَزَالَةِ لَا يُغْسَلُ[٢٢٧]
وَأَنَّ لَهَا شَرَفًا بَاذِخًا ... وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخْجَلُ[٢٢٨]
فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ[٢٢٩]
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ ... لَخَانَتْهُمُ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ[٢٣٠]
وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا ... أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرْحَلُ[٢٣١]
فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا ... وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ[٢٣٢]
وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ ... وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ[٢٣٣]
فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَثَّلُوا ... وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا؟![٢٣٤]
هُمُ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا ... وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ؟![٢٣٥]
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ ... وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ[٢٣٦]
وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا ... وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ[٢٣٧]
يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْنُهُ ... وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسْطَلُ[٢٣٨]
جَعَلْتُكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تُجْعَلُ[٢٣٩]

لَـقَـدْ رَفَـعَ الـلـهُ مِـنْ دَوْلَـةٍ   لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا مُنْصُلُ[٢٤٠]
فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ   فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ[٢٤١]
وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا   فَـإِنَّـكَ فِـي الْـكَـرَمِ الْأَوَّلُ[٢٤٢]
وَكَـيْـفَ تُـقَـصِّـرُ عَـنْ غَـايَـةٍ   وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ؟![٢٤٣]
وَقَـدْ وَلَـدَتْـكَ فَـقَـالَ الْـوَرَى: أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ؟![٢٤٤]
فَـتَـبًّـا لِـدِيـنِ عَـبِـيـدِ الـنُّـجُـومِ   وَمَـنْ يَـدَّعِـي أَنَّـهَـا تَـعْـقِـلُ[٢٤٥]
وَقَـدْ عَـرَفَـتْـكَ فَـمَـا بَـالُـهَـا   تَـرَاكَ تَـرَاهَـا وَلَا تَـنْـزِلُ؟![٢٤٦]
وَلَـوْ بِـتُّـمَـا عِـنْـدَ قَـدْرَيْـكُـمَـا   لَـبِـتَّ وَأَعْـلَاكُـمَـا الْأَسْـفَـلُ[٢٤٧]
أَنَـلْـتَ عِـبَـادَكَ مَـا أَمَّـلُـوا   أَنَـالَـكَ رَبُّـكَ مَـا تَـأْمُـلُ[٢٤٨]

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين:[٢٤٩]

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ   دَعَـا فَـلَـبَّـاهُ قَـبْـلَ الـرَّكْـبِ وَالْإِبِـلِ[٢٥٠]
ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أُكَفْكِفُهُ   وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ[٢٥١]
أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبٌ   كَذَاكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلَلِ[٢٥٢]
وَمَـا صَـبَـابَـةُ مُـشْـتَـاقٍ عَـلَـى أَمَـلٍ   مِـنَ الـلِّـقَـاءِ كَـمُـشْـتَـاقٍ بِـلَا أَمَـلِ[٢٥٣]
مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا   لَا يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ[٢٥٤]
وَالْـهَـجْـرُ أَقْـتَـلُ لِـي مِـمَّـا أُرَاقِـبُـهُ   أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ![٢٥٥]
مَـا بَـالُ كُـلِّ فُـؤَادٍ فِـي عَـشِـيـرَتِـهَـا   بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ؟![٢٥٦]
مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاظِ مَالِكَةٌ   لِمُقْلَتَيْهَا عَظِيمُ الْمُلْكِ فِي الْمُقَلِ[٢٥٧]
تَـشَـبَّـهُ الْـخَـفِـرَاتُ الْآنِـسَـاتُ بِـهَـا   فِي مَشْيِهَا فَيَنَلْنَ الْحُسْنَ بِالْحِيَلِ[٢٥٨]
قَـدْ ذُقْـتُ شِـدَّةَ أَيَّـامِـي وَلَـذَّتَـهَـا   فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلِ[٢٥٩]
وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي   وَقَدْ أَرَانِي الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِي بَدَلِي[٢٦٠]
وَقَـدْ طَـرَقْـتُ فَـتَـاةَ الْـحَـيِّ مُـرْتَـدِيًـا   بِـصَـاحِـبٍ غَـيْـرِ عِـزْهَـاةٍ وَلَا غَـزِلِ[٢٦١]
فَـبَـاتَ بَـيْـنَ تَـرَاقِـيـنَـا نُـدَفِّـعُـهُ   وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلَا الْقُبَلِ[٢٦٢]
ثُـمَّ اغْـتَـدَى وَبِـهِ مِـنْ رَدْعِـهَـا أَثَـرٌ   عَـلَـى ذُؤَابَـتِـهِ وَالْـجَـفْـنِ وَالْـخَـلَـلِ[٢٦٣]
لَا أَكْـسِـبُ الـذِّكْـرَ إِلَّا مِـنْ مَـضَـارِبِـهِ   أَوْ مِنْ سِنَانِ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ[٢٦٤]
جَـادَ الْأَمِـيـرُ بِـهِ لِـي فِـي مَـوَاهِـبِـهِ   فَزَانَهَا وَكَسَانِي الدِّرْعَ فِي الْحُلَلِ[٢٦٥]

وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِي   بِحَمْلِهِ مَنْ كَعَبْدِ اللهِ أَوْ كَعَلِي ٢٦٦
مُعْطِي الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاهِبِ وَالْـ   ـبِيضِ الْقَوَاضِبِ وَالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ ٢٦٧
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ   مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ ٢٦٨
فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ   وَالْبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلِ ٢٦٩
مِنْ تَغْلِبَ الْغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ   وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ٢٧٠
وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ   بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ ٢٧١
لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ   فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ ٢٧٢
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ   فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ ٢٧٣
وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ   فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ ٢٧٤
إِنَّ الْهُمَامَ الَّذِي فَخْرُ الْأَنَامِ بِهِ   خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَّيْ خَيْرَةِ الدُّوَلِ ٢٧٥
تُمْسِي الْأَمَانِيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ   فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي ٢٧٦
انْظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي رَهَجٍ   إِلَى اخْتِلَافِهِمَا فِي الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ
هَذَا الْمُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتًا   أَعَدَّ هَذَا لِرَأْسِ الْفَارِسِ الْبَطَلِ ٢٧٧
فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ   وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ ٢٧٨
وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ   تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعَلِ؟! ٢٧٩
جَازَ الدُّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ   وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ ٢٨٠
فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ   فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ ٢٨١
إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا   مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَلِ ٢٨٢
نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا   يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلِ ٢٨٣
بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمُ   فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ ٢٨٤
وَعَرِّفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ   أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ ٢٨٥
يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي   وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قِبَلِي ٢٨٦
مَا كَانَ نَوْمِي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي   بِأَنَّ رَأْيَكَ لَا يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ ٢٨٧
أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ   زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ ٢٨٨
لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ ٢٨٩
وَمَا سَمِعْتُ، وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ   أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ ٢٩٠
لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ   لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ ٢٩١

وَمَـا ثَـنَـاكَ كَـلَامُ الـنَّـاسِ عَـنْ كَـرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ؟![٢٩٢]
أَنْـتَ الْـجَـوَادُ بِـلَا مَـنٍّ وَلَا كَـدَرٍ وَلَا مِـطَـالٍ وَلَا وَعْـدٍ وَلَا مَـذَلِ[٢٩٣]
أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيْرَ السَّنَوَّرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلَلِ[٢٩٤]
وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلِ[٢٩٥]
لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرُضٍ بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ[٢٩٦]

ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه، فقال وزاد فيه:

أَقِلْ أَنِلْ أُنْ صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ[٢٩٧]

فرآهم يستكثرون الحروف، فقال:

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِ فِ اسْرِ نَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ[٢٩٨]
وَهَـذَا دُعَـاءٌ لَـوْ سَـكَـتُّ كُـفِـيـتَـهُ
لِأَنِّـي سَـأَلْـتُ الـلـهَ فِـيـكَ وَقَـدْ فَـعَـلْ[٢٩٩]

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أَتْرُجٌّ وطَلْعٌ وهو يمتحن الفرسان، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة: لا تتوهم هذا للشرب، فقال أبو الطيب:

شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ تُرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلْعُ النَّخِيلِ[٣٠٠]
وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ[٣٠١]
وَمَيْدَانُ الْفَصَاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ[٣٠٢]

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله: شديد ... إلخ، فقال:

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي[٣٠٣]
فَـعَـارَضَـهُ كَـلَامٌ كَـانَ مِـنْـهُ بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ[٣٠٤]
وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشَظِّي وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ[٣٠٥]

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ[٣٠٦]

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وعنده رسول ملك الروم وقد جاء يلتمس الفداء، وركب الغلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه. فقال أبو الطيب مرتجلًا:

لَقِيتَ الْعُفَاةَ بِآمَالِهَا وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِآجَالِهَا[٣٠٧]
وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وَأَشْبَالِهَا[٣٠٨]
إِذَا رَأَتِ الْأُسْدَ مَسْبِيَّةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا؟![٣٠٩]

ودخل عليه ليلًا وهو يصف سلاحًا كان بين يديه ورُفع، فقال ارتجالًا:

وَصَفْتَ لَنَا — وَلَمْ نَرَهُ — سِلَاحًا كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ[٣١٠]
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إِلَى الْقِتَالِ[٣١١]
فَلَوْ أَطْفَأْتَ نَارَكَ تَا لَدَيْهِ قَرَأْتَ الْخَطَّ فِي سُودِ اللَّيَالِي[٣١٢]
إِنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ[٣١٣]
وَإِنَّ بِهَا، وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ[٣١٤]
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ جَانِبَيْهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالًا لِحَالِ[٣١٥]

وقال يمدحه، وأنشدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة:[٣١٦]

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ[٣١٧]
يُبِنَّ لِيَ الْبَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ وَيُخْفِينَ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ[٣١٨]
وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَحِبَّةِ سَلْوَةً وَلَكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ[٣١٩]
وَإِنَّ رَحِيلًا وَاحِدًا حَالَ بَيْنَنَا وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ[٣٢٠]
إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ[٣٢١]
وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ[٣٢٢]
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ[٣٢٣]
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ؟[٣٢٤]

أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي   فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ؟!٣٢٥
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لَقْيَةً   شَفَتْ كَمَدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ٣٢٦
وَيَوْمًا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عَلَامَةٌ   بَعَثْتِ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ٣٢٧
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ   وَلَا طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ ذُحُولُ٣٢٨
وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ   تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ٣٢٩
رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا   وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ٣٣٠
شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا   لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ٣٣١
وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ   بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَنًا وَنُصُولُ٣٣٢
هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ   بِأَرْعَنَ وَطْءُ الْمَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ٣٣٣
وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ٣٣٤
فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكٍ وَصَنْجَةٍ   عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ٣٣٥
عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ   وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنِيسِ خُمُولُ٣٣٦
فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً   قِبَاحًا وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ٣٣٧
سَحَائِبُ يُمْطِرْنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِم   فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ٣٣٨
وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ   كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُيُولُ٣٣٩
وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمَوْزَارَ قُفَّلًا   وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولَ قُفُولُ٣٤٠
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَمْعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ   بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ٣٤١
تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ   بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ٣٤٢
وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ   مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ٣٤٣
وَأَضْعَفْنَ مَا كُلِّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ   فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ٣٤٤
وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا   تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ٣٤٥
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ   سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ٣٤٦
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ   وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ٣٤٧
وَفِي بَطْنِ هِنْزِيطٍ وَسِمْنِينَ لِلظُّبَا   وَصُمِّ الْقَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ٣٤٨
طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَهَا   لَهَا غُرَرٌ مَا تَنْقَضِي وَحُجُولُ٣٤٩
تَمَلُّ الْحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا   فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ٣٥٠
وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى   وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلُ٣٥١

وَفِـي كُلِّ نَـفْـسٍ مَـا خَـلَاهُ مَـلَالَـةٌ ... وَفِـي كُلِّ سَـيْـفٍ مَـا خَـلَاهُ فُـلُولُ[٣٥٢]
وَدُونَ سُمَيْسَاطَ الْمَطَامِيرُ وَالْمَلَا ... وَأَوْدِيَـةٌ مَـجْـهُـولَـةٌ وَهُـجُـولُ[٣٥٣]
لَبِسْنَ الدُّجَى فِيهَا إِلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ ... وَلِلرُّومِ خَطْبٌ فِي الْبِلَادِ جَلِيلُ[٣٥٤]
فَلَـمَّـا رَأَوْهُ وَحْـدَهُ قَـبْـلَ جَـيْـشِـهِ ... دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْـعَـالَـمِـينَ فُـضُـولُ[٣٥٥]
وَأَنَّ رِمَـاحَ الْـخَـطِّ عَـنْـهُ قَـصِـيـرَةٌ ... وَأَنَّ حَـدِيـدَ الْـهِـنْـدِ عَـنْـهُ كَـلِـيـلُ[٣٥٦]
فَـأَوْرَدَهُـمْ صَـدْرَ الْـحِـصَـانِ وَسَـيْـفَـهُ ... فَتًـى بَأْسُـهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ[٣٥٧]
جَـوَادٌ عَـلَـى الْـعِـلَّاتِ بِـالْـمَـالِ كُـلِّـهِ ... وَلَـكِـنَّـهُ بِـالـدَّارِعِـيـنَ بَـخِـيـلُ[٣٥٨]
فَـوَدَّعَ قَـتْـلَاهُـمْ وَشَـيَّـعَ فَـلَّـهُـمْ ... بِضَرْبٍ حُزُونُ الْبَيْضِ فِيهِ سُهُولُ[٣٥٩]
عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ... وَإِنْ كَانَ فِي سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ[٣٦٠]
لَـعَـلَّـكَ يَـومًـا يَـا دُمُـسْـتُـقُ عَـائِـدٌ ... فَـكَـمْ هَـارِبٍ مِـمَّـا إِلَـيْـهِ يَـئُـولُ[٣٦١]
نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً ... وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ[٣٦٢]
أَتُـسْـلِـمُ لِـلْـخَـطِّـيَّـةِ ابْـنَـكَ هَـارِبًـا ... وَيَسْكُنَ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ؟![٣٦٣]
بِـوَجْـهِـكَ مَـا أَنْـسَـاكَـهُ مِـنْ مُـرِشَّـةٍ ... نَـصِـيـرُكَ مِـنْـهَـا رَنَّـةٌ وَعَـوِيـلُ[٣٦٤]
أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا؟! ... عَـلِـيٌّ شَـرُوبٌ لِـلْـجُـيُـوشِ أَكُـولُ[٣٦٥]
إِذَا لَـمْ تَـكُـنْ لِـلَّـيْـثِ إِلَّا فَـرِيـسَـةً ... غَـذَاهُ وَلَـمْ يَـنْـفَـعْـكَ أَنَّـكَ فِـيـلُ[٣٦٦]
إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ ... هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ[٣٦٧]
فَـإِنْ تَـكُـنِ الْأَيَّـامُ أَبْـصَـرْنَ صَـوْلَـهُ ... فَـقَـدْ عَـلَّـمَ الْأَيَّـامَ كَـيْـفَ تَـصُـولُ[٣٦٨]
فَـدَتْـكَ مُـلُـوكٌ لَـمْ تُـسَـمَّ مَـوَاضِـيًـا ... فَإِنَّكَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ[٣٦٩]
إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ ... فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ[٣٧٠]
أَنَـا الـسَّـابِـقُ الْـهَـادِي إِلَـى مَـا أَقُـولُـهُ ... إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ[٣٧١]
وَمَـا لِـكَـلَامِ الـنَّـاسِ فِـيـمَـا يُـرِيـبُـنِـي ... أُصُـولٌ وَلَا لِـلْـقَـائِـلِـيـهِ أُصُـولُ[٣٧٢]
أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى ... وَأَهْـدَأُ وَالْأَفْـكَـارُ فِـيَّ تَـجُـولُ[٣٧٣]
سِـوَى وَجَـعِ الْـحُـسَّـادِ دَاوِ فَـإِنَّـهُ ... إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ[٣٧٤]
وَلَا تَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ ... وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ[٣٧٥]
وَإِنَّـا لَـنَـلْـقَـى الْـحَـادِثَـاتِ بِـأَنْـفُـسٍ ... كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ[٣٧٦]
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا ... وَتَـسْـلَـمَ أَعْـرَاضٌ لَـنَـا وَعُـقُـولُ[٣٧٧]
فَـتِـيـهًـا وَفَـخْـرًا تَـغْـلِـبَ ابْـنَـةَ وَائِـلٍ ... فَـأَنْـتَ لِـخَـيْـرِ الْـفَـاخِـرِينَ قَـبِـيـلُ[٣٧٨]

يَـغُـمُّ عَـلِـيًّـا أَنْ يَـمُـوتَ عَـدُوُّهُ *** إِذَا لَـمْ تَـغُـلْـهُ بِـالْأَسِـنَّـةِ غُـولُ[٣٧٩]
شَرِيكُ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسِ غَنِيمَةٌ *** فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولُ[٣٨٠]
فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا *** لِمَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ[٣٨١]
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً *** وَلِلْبِيضِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَلِيلُ[٣٨٢]

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل، فقال له سيف الدولة: ما تقول في هذا وما تحكم يا أبا الطيب؟ فقال:

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ سَائِلَا *** فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلَا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هُمَامَ وَائِلَا *** الطَّاعِنِينَ فِي الْوَغَى أَوَائِلَا[٣٨٣]
وَالْعَاذِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَاذِلَا *** قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلَا[٣٨٤]

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة:

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذِي الرَّسَائِلُ *** يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ[٣٨٥]
هِيَ الزَّرَدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا *** عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ[٣٨٦]
وَأَنَّى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ *** وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ؟![٣٨٧]
وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي جِيَادَهُ *** وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ؟![٣٨٨]
أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ *** وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ[٣٨٩]
يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطَيْنِ مَشْيَهُ *** إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ[٣٩٠]
فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ *** سَمِيُّكَ وَالْخِلُّ الَّذِي لَا يُزَايِلُ[٣٩١]
وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمِعٌ *** وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلُ[٣٩٢]
وَقَبَّلَ كُمًّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ *** وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ[٣٩٣]
وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ *** هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ[٣٩٤]
مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَهُ *** صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ[٣٩٥]
فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةٌ *** عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ[٣٩٦]
وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ *** إِلَيْكَ الْعِدَا وَاسْتَنْظَرَتْهُ الْجَحَافِلُ[٣٩٧]
فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ *** وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ[٣٩٨]

تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ ... وَطَابِعُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ[٣٩٩]
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ ... وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الْأَنَامِلُ[٤٠٠]
إِذَا عايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا ... عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ[٤٠١]
رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا ... لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ[٤٠٢]
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقَهُمْ ... فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ[٤٠٣]
فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ ... وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ[٤٠٤]
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ ... كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ[٤٠٥]
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ ... فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ[٤٠٦]
كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ ... وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلُ[٤٠٧]
أَذَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسِ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ... وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ[٤٠٨]
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ... ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ؟![٤٠٩]
لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلُ ... وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ[٤١٠]
وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ ... وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ[٤١١]
وَمَا التِّيهُ طِبِّي فِيهِمُ غَيْرَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ[٤١٢]
وَأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّنِي بِكَ وَاثِقٌ ... وَأَكْثَرُ مَا لِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ[٤١٣]
لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّةً ... يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ[٤١٤]
رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ ... وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ[٤١٥]
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ ... وَلَوَ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ[٤١٦]
وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا ... وَأَلْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ[٤١٧]
قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى ... إِذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ[٤١٨]
تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفُّهُ ... وَلَيْسَ لَهَا وَقْتًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ[٤١٩]
يُتَبِّعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ ... فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ[٤٢٠]
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ ... تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ[٤٢١]
فَتًى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ ... لَهُ كَامِلًا حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ[٤٢٢]
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا ... فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلَاحِلُ[٤٢٣]
أَطَاعَتْكَ فِي أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ ... بِأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ[٤٢٤]
وَكُلُّ أَنَابِيبِ الْقَنَا مَدَدٌ لَهُ ... وَمَا يَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إِلَّا الْعَوَامِلُ[٤٢٥]

رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فِي الْوَغَى   إِلَيْكَ انْقِيَادًا لَاقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ[٤٢٦]
وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ   مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ[٤٢٧]

وقال يعزيه بأخته الصغرى، ويسليه بالكبرى، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة:

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرَّزِيَّةِ فَضْلًا   تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلَّا[٤٢٨]
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الْأَحْـ   ـبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعَزِّيكَ عَقْلَا[٤٢٩]
وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزْ   زَاكَ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتَ قَبْلَا[٤٣٠]
قَدْ بَلَوْتَ الْخُطُوبَ مُرًّا وَحُلْوًا   وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلَا[٤٣١]
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْـ   ـرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِعْلَا[٤٣٢]
أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلَا   وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلَا[٤٣٣]
لَكَ إِلْفٌ يَجُرُّهُ وَإِذَا مَا   كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلَا[٤٣٤]
وَوَفَاءٌ نَبَتَّ فِيهِ وَلَكِنْ   لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلَا[٤٣٥]
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعٌ   بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلَّا[٤٣٦]
أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْ   بِ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلَّا؟![٤٣٧]
أَيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الرُّ   ومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُفْلَى؟![٤٣٨]
قَاسَمَتْكَ الْمَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا   جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلَا[٤٣٩]
فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذْنَ بِمَا أَغْـ   ـدَرْنَ سَرَّى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَّى[٤٤٠]
وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى   وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى[٤٤١]
وَلَعَمْرِي لَقَدْ شَغَلْتَ الْمَنَايَا   بِالْأَعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبْنَ شُغْلَا؟![٤٤٢]
وَكَمِ انْتَشَتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْـ   ـرِ أَسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقِلَّا![٤٤٣]
عَدَّهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا   صَالَ خَتْلًا رَآهُ أَدْرَكَ تَبْلَا[٤٤٤]
كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْلِيـ   ـهِ وَتَبْقَى فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى[٤٤٥]
وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُدَاةُ كَمَا رَا   مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا لِشَخْصِكَ ظِلَّا[٤٤٦]
وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضًا   مِنْ نُفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكْتَ كُلَّا[٤٤٧]
قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ   تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحَكَ عُزْلَا[٤٤٨]
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدْتَ مِنَ الْفَجْـ   ـعَةِ طَعْنًا أَوْرَدْتَهُ الْخَيْلَ قُبْلَا[٤٤٩]

وَلَكَشَفْتَ ذَا الْحَنِينَ بِضَرْبٍ — طَالَمَا كَشَّفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى[٤٥٠]
خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ — وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةَ ثُكْلَا[٤٥١]
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْوًا — ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلَا[٤٥٢]
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْـ — ـسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى[٤٥٣]
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ: أُفٍّ، فَمَا مَلْـ — ـلَ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَّا[٤٥٤]
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ — فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى[٤٥٥]
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْـ — ـيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا![٤٥٦]
فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمْـ — ـمَ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خَلَّا[٤٥٧]
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْـ — ـفَظُ عَهْدًا وَلَا تُتَمِّمُ وَصْلَا[٤٥٨]
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا — وَبِفَكِّ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى[٤٥٩]
شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدْ — رِي لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا؟[٤٦٠]
يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرِّقَ مَحْيًا — وَمَمَاتًا فِيهِمِ وَعِزًّا وَذُلَّا[٤٦١]
قَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْـ — ـتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى[٤٦٢]
فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِيَ بَذْلًا — وَبِهِ أَفْنَتِ الْأَعَادِيَ قَتْلَا[٤٦٣]
وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا — وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلَا[٤٦٤]
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا — وَإِذَا الْأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلَا[٤٦٥]
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيبَةِ وَالطَّعْـ — ـنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى[٤٦٦]
أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعُقُولَ فَمَا تُدْ — رَكُ وَصْفًا أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلَا[٤٦٧]
مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَعْيَا — هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَّا[٤٦٨]
فَإِذَا مَا اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ — قَالَ: لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلَا[٤٦٩]

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة:[٤٧٠]

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى — هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا[٤٧١]
شَرَفٌ يَنْطِحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـ — ـهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الْأَجْبَالَا[٤٧٢]
حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدْ — دَوْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالَا[٤٧٣]
كُلَّمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا — أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا[٤٧٤]

فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الْأَرْضِ مَا تَحـْ ـمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا[٤٧٥]
خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْـ ـعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعًا وَجِلَالَا[٤٧٦]
حَالَفَتْهُ صُدُورُهَا وَالْعَوَالِي لَتَخُوضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالَا[٤٧٧]
وَلَتَمْضِنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمْـ ـحُ مَدَارًا وَلَا الْحِصَانُ مَجَالَا[٤٧٨]
لَا أَلُومُ ابْنَ لَاوُنٍ مَلِكَ الرُّو مِ وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالَا[٤٧٩]
أَقْلَقَتْهُ بَنِيَّةٌ بَيْنَ أُذْنَيْـ ـهِ وَبَانٍ بَغْيِ السَّمَاءَ فَنَالَا[٤٨٠]
كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنْـ ـيُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذَالَا[٤٨١]
يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْـ ـغَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الْآجَالَا[٤٨٢]
وَتُوَافِيهِمْ بِهَا فِي الْقَنَا السُّمْـ ـرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلَالَا[٤٨٣]
قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَيْ يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا[٤٨٤]
وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَرْبِ حَتَّى تَرَكُوهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا[٤٨٥]
رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفُعْـ ـعَالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا[٤٨٦]
وَقِسِيٍّ رُمِيَتْ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرُّمَاةِ عَنْكَ النِّصَالَا[٤٨٧]
أَخَذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْـ ـلَ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِرْسَالَا[٤٨٨]
وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلَا[٤٨٩]
مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَا[٤٩٠]
وَالَّذِي قَطَّعَ الرِّقَابَ مِنَ الضَّرْ بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الْآمَالَا[٤٩١]
وَالثَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَلَّمَ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَا[٤٩٢]
نَزَلُوا فِي مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَا[٤٩٣]
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْهَا مِ وَتُذْرِي عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالَا[٤٩٤]
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا وَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالَا[٤٩٥]
أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالَا[٤٩٦]
وَإِذَا حَاوَلَتْ طِعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ الْقَنَا أَمْيَالَا[٤٩٧]
بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا فَتَوَلَّوْا، وَفِي الشِّمَالِ شِمَالَا[٤٩٨]
يَنْفُضُ الرَّوْعَ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِي أَسُيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَغْلَالَا؟![٤٩٩]
وَوُجُوهًا أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَا[٥٠٠]
وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالَا[٥٠١]

وَإِذَا مَـا خَـلَا الْـجَـبَـانُ بِـأَرْضٍ   طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا[٥٠٢]
أَقْـسَـمُـوا لَا رَأَوْكَ إِلَّا بِـقَـلْـبٍ   طَالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرِّجَالَا[٥٠٣]
أَيُّ عَـيْـنٍ تَـأَمَّـلَـتْـكَ فَـلَاقَـتْـكَ   وَطَـرْفٍ رَنَـا إِلَـيْـكَ فَـآلَا[٥٠٤]
وَمَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْـ   ـشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالَا؟![٥٠٥]
مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْ   ضِ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهِلَالَا؟![٥٠٦]
إِنَّ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْـ   ـدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْلَطًا مِزْيَالَا[٥٠٧]
غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا   فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالَا[٥٠٨]
فَهْيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعَرُوسِ اخْتِيَالَا   وَتَـثَـنَّـى عَـلَـى الـزَّمَـانِ دَلَالَا[٥٠٩]
وَحَـمَـاهَـا بِـكُـلِّ مُـطَّـرِدِ الْأَكْـ   ـعُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالَا[٥١٠]
وَظُبًا تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ   فَـقَـدْ أَفْـنَـتِ الـدِّمَـاءَ حَـلَالَا[٥١١]
فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأُسُودِ بَئِيسٍ   يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَالْأَمْوَالَا[٥١٢]
إِنَّـمَـا أَنْـفُـسُ الْأَنِـيـسِ سِـبَـاعٌ   يَـتَـفَـارَسْـنَ جَـهْـرَةً وَاغْـتِـيَـالَا[٥١٣]
مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلَابًا   وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَا[٥١٤]
كُـلُّ غَـادٍ لِـحَـاجَـةٍ يَـتَـمَـنَّـى   أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالَا[٥١٥]

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته كافورًا، فقال يمدحه، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة:

مَـا لَـنَـا كُـلُّـنَـا جَـوٍ يَـا رَسُـولُ   أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتْبُولُ؟![٥١٦]
كُـلَّـمَـا عَـادَ مَـنْ بَـعَـثْـتُ إِلَـيْـهَـا   غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ[٥١٧]
أَفْـسَـدَتْ بَـيْـنَـنَـا الْأَمَـانَـاتِ عَـيْـنَـا   هَا، وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ[٥١٨]
تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْ   قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ[٥١٩]
وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ   فَـعَـلَـيْـهِ لِـكُـلِّ عَـيْـنٍ دَلِـيـلُ[٥٢٠]
زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَا دَا   مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ[٥٢١]
وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِي هَذِهِ الدُّنْـ   ـيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ[٥٢٢]
مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَا شَاقَهُ الْقُطَّا   نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ[٥٢٣]
إِنْ تَـرَيْـنِـي أَدِمْتُ بَـعْـدَ بَـيَـاضٍ   فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولُ[٥٢٤]

صَحِبَتْنِي عَلَى الْفَلَاةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ[٥٢٥]
سَتَرَتْكِ الْحِجَالُ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ[٥٢٦]
مِثْلُهَا أَنْتِ لَوَّحَتْنِي وَأَسْقَمْـ ـتِ وَزَادَتْ أَبْهَاكمَا الْعُطْبُولُ[٥٢٧]
نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ؟[٥٢٨]
وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ[٥٢٩]
لَا أَقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا بَ وَلَا يُمْكِنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ[٥٣٠]
كُلَّمَا رَحَّبَتْ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا: حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ[٥٣١]
فِيكِ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ[٥٣٢]
وَالْمُسَمَّوْنَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ[٥٣٣]
وَمَعِي أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوَجْهِي كَفِيلُ[٥٣٤]
وَإِذَا الْعَذْلُ فِي النَّدَى زَارَ سَمْعًا فَفِدَاهُ الْعَذُولُ وَالْمَعْذُولُ[٥٣٥]
وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمِ مِنْ يَدَيْهِ نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ[٥٣٦]
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ[٥٣٧]
كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوٍّ قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ: هَذِي السُّيُولُ[٥٣٨]
دَهِمَتْهُ تُطَايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْـ ـكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ[٥٣٩]
تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْـ ـشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ[٥٤٠]
وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوْ لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ[٥٤١]
وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ[٥٤٢]
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَمِيلُ[٥٤٣]
لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ[٥٤٤]
كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ؟![٥٤٥]
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرَ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ[٥٤٦]
وَدَرَى مَن أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ[٥٤٧]
أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ؟![٥٤٨]
وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ؟[٥٤٩]
قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيـ ـكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ[٥٥٠]

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا   كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ[٥٥١]
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا   وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ[٥٥٢]
نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا   مَرْتَعِي مُخْصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلُ[٥٥٣]
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا   وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ[٥٥٤]
مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتَ لِي أَلْفُ كَافُو   رٍ وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ وَنِيلُ[٥٥٥]
مَا أُبَالِي إِذَا اتَّقَتْكَ الرَّزَايَا   مَنْ دَهَتْهُ حُبُولُهَا وَالْخُبُولُ[٥٥٦]

وقال في صباه، وقد قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة:

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالْ[٥٥٧]
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً   يَعُلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السِّبَالْ[٥٥٨]

وقال في صباه:

مُحِبِّي قِيَامِيَ مَا لِذَالِكُمُ النَّصْلِ   بَرِيئًا مِنَ الْجَرْحَى سَلِيمًا مِنَ الْقَتْلِ؟[٥٥٩]
أَرَى مِنْ فِرِنْدِي قِطْعَةً فِي فِرِنْدِهِ   وَجَوْدَةُ ضَرْبِ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ[٥٦٠]
وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي   أَرَتْكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ[٥٦١]
أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ   فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي[٥٦٢]
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَابِلِي   نَكُنْ وَاحِدًا يَلْقَى الْوَرَى وَانْظُرَنْ فِعْلِي[٥٦٣]

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي المنبجي:

أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا   وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا[٥٦٤]
وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا   وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحِلَا[٥٦٥]
لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ   لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا[٥٦٦]
بِمَا بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفًا   يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلَا[٥٦٧]
إِلَّا يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ   شَيْبًا إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلَا[٥٦٨]
يُجَنُّ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةً   تَزُورُهُ فِي رِيَاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلَا[٥٦٩]
هَا فَانْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِي تَرَيْ حُرَقًا   مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَأَلَا[٥٧٠]

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي   إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلَا[٥٧١]
أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَمِي   لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلَا[٥٧٢]
وَأَنَّنِي غَيْرُ مُحْصٍ فَضْلَ وَالِدِهِ   وَنَائِلٌ دُونَ نَيْلِي وَصْفَهُ زُحَلَا[٥٧٣]
قَيْلٌ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ   فِي الْأُفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلَا[٥٧٤]
يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ   وَيَحْمِلُ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلَا[٥٧٥]
تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كُحْلُ أَعْيُنِهَا   وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذَلَا[٥٧٦]
لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ   لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَا[٥٧٧]
هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمُ بِهِ   قِدْمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنُهَا الْأَجَلَا[٥٧٨]
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ   وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْحِلَلَا[٥٧٩]
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ   إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا[٥٨٠]
فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ   بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا[٥٨١]
فَقَدْ تَرَكْتَ الْأُلَى لَاقَيْتُهُمْ جَزَرًا   وَقَدْ قَتَلْتَ الْأُلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلَا[٥٨٢]
كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ   قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِي بَعْدَمَا مَطَلَا[٥٨٣]
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِي فِي مَفَاوِزِهِ   وَحُرَّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلَا[٥٨٤]
أَنْكَحْتُ صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ   تَغَشْمَرَتْ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا[٥٨٥]
لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِي فَوْقَ نُمْرُقِهَا   سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيطَانِهَا زَجَلَا[٥٨٦]
حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا   وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَلَا[٥٨٧]
أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ   يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا[٥٨٨]

وقال في صباه، وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل:

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ   وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغُلِ[٥٨٩]
تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا   لَكُنْتَ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ[٥٩٠]
أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَا بَعَثْتَ بِهِ   إِيهًا أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ[٥٩١]
هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا   إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلِ[٥٩٢]
أَقَلُّ مَا فِي أَقَلِّهَا سَمَكٌ   يَلْعَبُ فِي بِرْكَةٍ مِنَ الْعَسَلِ[٥٩٣]
كَيْفَ أُكَافِي عَلَى أَجَلِّ يَدٍ   مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قِبَلِي[٥٩٤]

وقال أيضًا في صباه:

قِفَا تَرَيَا وَدْقِي فَهَاتَا الْمَخَايِلُ ... وَلَا تَخْشَيَا خُلْفًا لِمَا أَنَا قَائِلُ[٥٩٥]
رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ ... وَآخَرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ[٥٩٦]
وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ... وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلُ[٥٩٧]
وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكَ الْأَرْضِ مُعْسِرٌ ... وَأَنِّي عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَيْنِ رَاجِلُ[٥٩٨]
تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ ... وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ[٥٩٩]
وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَاكِبِي ... إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِيَّ زَلَازِلُ[٦٠٠]
فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الْحَشَا ... قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ[٦٠١]
إِذَا اللَّيْلُ وَارَانَا أَرَتْنَا خِفَافُهَا ... بِقَدْحِ الْحَصَى مَا لَا تُرِينَا الْمَشَاعِلُ[٦٠٢]
كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ ... رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهُنَّ سَوَاحِلُ[٦٠٣]
يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي ... وَأَنِّيَ فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ[٦٠٤]
وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَا ... تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ[٦٠٥]
أَلَا لَيْسَتِ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسَكُمْ ... وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ[٦٠٦]
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ ... وَلَا صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهْوَ بَاخِلُ[٦٠٧]
غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي ... وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغِثَّ الْمَآكِلُ[٦٠٨]

وقال لصديق له في صباه:

أَحْبَبْتُ بِرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِيلَا ... فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلَا[٦٠٩]
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ ... صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةً وَأَصِيلَا[٦١٠]
فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً ... مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَّأْمِيلَا[٦١١]
بِرٌّ يَخِفُّ عَلَى يَدَيْكَ قُبُولُهُ ... وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَلَيَّ ثَقِيلَا[٦١٢]

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي:

عَزِيزُ أَسًى مَنْ دَاؤُهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ ... عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ[٦١٣]
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِي ... نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ[٦١٤]
وَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ ... إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ[٦١٥]

جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ٦١٦
وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ٦١٧
إِذَا عَذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بِأَنَّةٍ حُبَيِّبَتَا قَلْبًا فُؤَادًا هَيَا جُمْلُ٦١٨
كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِي عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ٦١٩
كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ٦٢٠
أُحِبُّ الَّتِي فِي الْبَدْرِ مِنْهَا مَشَابِهٌ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ٦٢١
إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعِ الذَّي للهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ٦٢٢
إِلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِي طَيِّءٌ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلُ٦٢٣
إِلَى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللَّهُ أُمَّةً بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ٦٢٤
إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ٦٢٥
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَا شَمْلُ٦٢٦
هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ٦٢٧
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ٦٢٨
عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ٦٢٩
وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُغْضِ إِلَّا وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ!٦٣٠
إِذَا قِيلَ: رِفْقًا قَالَ: لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ٦٣١
وَلَوْلَا تَوَلِّي نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ عَنِ الْأَرْضِ لَانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ٦٣٢
تَبَاعَدَتِ الْآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِكَ السُّبْلُ٦٣٣
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى فَأَسْمَعَهُمْ: هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ٦٣٤
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ٦٣٥
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ٦٣٦
وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ؟!٦٣٧
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ٦٣٨
كَفَى ثُعَلًا فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ٦٣٩
وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو٦٤٠
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ٦٤١

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي:

صِلَةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ ... نَكَسَانِي في السُّقْمِ نُكْسَ الْهِلَالِ[٦٤٢]
فَغَدَا اَلْجِسْمُ نَاقِصًا، وَالَّذِي يَنْـ ... ـقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ في بَلْبَالِي[٦٤٣]
قِفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بِالدَّوِّ مِنْ رَيْـ ... ـيَا كَخَالٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ[٦٤٤]
بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ ... فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِي[٦٤٥]
وَنُؤِيٍّ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِنَّ ... خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ[٦٤٦]
لاَ تَلُمْنِي فَإِنَّنِي أَعْشَقُ الْعُشْـ ... ـشَاقِ فِيهَا يَا أَعْذَلَ الْعُذَّالِ[٦٤٧]
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَّةِ الذَّوَّا ... قِ حَرَّ الْفَلَا، وَبَرْدَ الظِّلَالِ[٦٤٨]
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْ ... تِ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خَيَالِ[٦٤٩]
وَلِحَتْفٍ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ ... وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فِي الذُّلِّ قَالِي[٦٥٠]
نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنِّ فِي زَيِّ نَاسٍ ... فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ[٦٥١]
مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي الْبِيـ ... ـدِ مَشْيَ الْأَيَّامِ فِي الْآجَالِ[٦٥٢]
كُلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فِيهَا ... أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذُّبَالِ[٦٥٣]
عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضِّرْ ... غَامَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ[٦٥٤]
مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْـ ... ـكِ جَلَالًا وَيُوسُفًا فِي الْجَمَالِ
وَرَبِيعًا يُضَاحِكُ الْغَيْثُ فِيهِ ... زَهَرَ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي[٦٥٥]
نَفَحَتْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ ... رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْآمَالِ[٦٥٦]
هَمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَفْعُ الْمَوَالِي ... وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ[٦٥٧]
أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّعْـ ... ـنُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرِّئْبَالِ[٦٥٨]
وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ ... سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ[٦٥٩]
ذَا السِّرَاجُ الْمُنِيرُ هَذَا النَّقِيُّ الْـ ... ـجَيْبِ هَذَا بَقِيَّةُ الْأَبْدَالِ[٦٦٠]
فَخُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فِي الْـ ... ـمُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزَالِ[٦٦١]
وَامْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ... ئِكُمَا تُشْفَيَا مِنَ الْإِعْلَالِ[٦٦٢]
مَالِئًا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقَ وَالْغَرْ ... بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ[٦٦٣]
قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْـ ... ـيَا، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشِّمَالِ[٦٦٤]
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْـ ... ـرُ، وَأَلْحَاظُهُ الظُّبَا وَالْعَوَالِي[٦٦٥]
وَلَهُ فِي جَمَاجِمِ الْمَالِ ضَرْبٌ ... وَقْعُهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَبْطَالِ[٦٦٦]

فَـهُـمُـوا لِاتِّـقَـائِـهِ الـدَّهْـرَ فِـي يَـوْ ... مِ نِـزَالٍ وَلَـيْـسَ يَـوْمَ نِـزَالِ[٦٦٧]
رَجُـلٌ طِـيـنُـهُ مِـنَ الْـعَـنْـبَـرِ الْـوَرْ ... دِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالِ[٦٦٨]
فَـبَـقِـيَّـاتُ طِـيـنِـهِ لَاقَـتِ الْـمَـا ... ءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةٌ فِي الزُّلَالِ[٦٦٩]
وَبَـقَـايَـا وَقَـارِهِ عَـافَـتِ الـنَّـا ... سَ فَصَارَتْ رَكَانَةً فِي الْجِبَالِ[٦٧٠]
لَسْتُ مِمَّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السِّلْـ ... ـمَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ[٦٧١]
ذَاكَ شَـيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيـ ... ـكَ ذَلِـيـلًا وَقِلَّـةُ الْأَشْكَالِ[٦٧٢]
وَاغْـتِفَارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْهُ ... جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ[٦٧٣]
لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَا ... ءً وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالِ[٦٧٤]
وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى ... لَـوْنَـهُ فِـي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ[٦٧٥]
أَنْتَ طَوْرًا أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ ... وَطَوْرًا أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ[٦٧٦]
إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّا ... سُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي[٦٧٧]

وقال وقد دخل على أبي علي الأوراجي يومًا فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك، فطردنا به ظبيًا، ولم يكن لنا صقر. فاستحسنت صيده، فقال: أنا قليل الرغبة في مثل هذا، فقال أبو علي: إنما اشتهيت أن تراه فتستحسنه، فتقول فيه شيئًا من الشعر، قال: أنا أفعل، أفتحب أن يكون الآن؟ قال: أيمكن مثل هذا؟ قال: نعم، وقد حكمتك في الوزن والقافية. قال: لا، بل الأمر فيهما إليك. فأخذ أبو الطيب درجًا، وأخذ أبو علي درجًا آخر يكتب فيه كتابًا، فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال:

وَمَـنْـزِلٍ لَـيْـسَ لَـنَـا بِـمَـنْـزِلِ ... وَلَا لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهُطَّلِ[٦٧٨]
نَدِي الْخُزَامَى ذَفِرِ الْقَرَنْفُلِ ... مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لَمْ يُحَلَّلِ[٦٧٩]
عَنَّ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزِلِ ... مُحَيَّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْئِلِ[٦٨٠]
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحُلِي ... وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّفَضُّلِ[٦٨١]
كَأَنَّهُ مُضَمَّخٌ بِصَنْدَلِ ... مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيِّلِ[٦٨٢]
يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ ... فَحَلَّ كَلَّابِي وَثَاقَ الْأَحْبُلِ[٦٨٣]
عَنْ أَشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ ... أَقَبَّ سَاطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ[٦٨٤]
مِنْهَا إِذَا يُثْغَ لَهُ لا يَغْزَلِ ... مُوَجَّدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ[٦٨٥]

لَـهُ إِذَا أَدْبَـرَ لَـحْـظُ الْـمُـقْـبِـلِ كَـأَنَّمَـا يَـنْـظُـرُ مِـنْ سَـجَـنْـجَـلِ[٦٨٦]
يَـعْـدُو إِذَا أَحْـزَنَ عَـدْوَ الْـمُـسْـهِـلِ إِذَا تَـلَا جَـاءَ الْـمَدَى وَقَـدْ تُـلِـي[٦٨٧]
يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي بِـأَرْبَـعٍ مَـجْـدُولَـةٍ لَـمْ تُـجْـدَلِ[٦٨٨]
فُـتْـلِ الْأَيَـادِي رَبِـذَاتِ الْأَرْجُـلِ آثَـارُهَـا أَمْـثَـالُـهَـا فِـي الْـجَـنْـدَلِ[٦٨٩]
يَـكَـادُ فِـي الْـوَثْـبِ مِـنَ الـتَّـفَـتُّـلِ يَـجْـمَـعُ بَـيْـنَ مَـتْـنِـهِ وَالْـكَـلْـكَـلِ[٦٩٠]
وَبَـيْـنَ أَعْـلَاهُ وَبَـيْـنَ الْأَسْـفَـلِ شَبِيهُ وَسْمِيِّ الْحِضَارِ بِالْوَلِي[٦٩١]
كَـأَنَّـهُ مُـضَـبَّـرٌ مِـنْ جَـرْوَلِ مُـوَثَّـقٌ عَـلَـى رِمَـاحٍ ذُبَّـلِ[٦٩٢]
ذِي ذَنَـبٍ أَجْـرَدَ غَـيْـرَ أَعْـزَلِ يَخُطُّ فِي الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمَّلِ[٦٩٣]
كَـأَنَّـهُ مِـنْ جِـسْـمِـهِ بِـمَـعْـزِلِ لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكٌ بَلِي[٦٩٤]
نَيْلُ الْمُنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الْمُرْسِلِ وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتْفُ التَّتْفُلِ[٦٩٥]
فَانْبَرَيَا فَذَّيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ قَـدْ ضَـمِـنَ الْآخَـرُ قَـتْـلَ الْأَوَّلِ[٦٩٦]
فِـي هَـبْـوَةٍ كِـلَاهُـمَـا لَـمْ يَـذْهَـلِ لَا يَأْتَلِي فِي تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتَلِي[٦٩٧]
مُـقْـتَـحِـمًـا عَـلَـى الْـمَـكَـانِ الْأَهْـوَلِ يَخَالُ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجَدْوَلِ[٦٩٨]
حَـتَّـى إِذَا قِـيـلَ لَـهُ: نِـلْـتَ افْـعَـلِ افْـتَـرَّ عَـنْ مَـذْرُوبَـةٍ كَـالْأَنْـصُـلِ[٦٩٩]
لَا تَـعْـرِفُ الْـعَـهْـدَ بِـصَـقْـلِ الصَّـيْـقَـلِ مُـرَكَّـبَـاتٍ فِـي الْـعَـذَابِ الْـمُـنْـزَلِ[٧٠٠]
كَـأَنَّـهَـا مِـنْ سُـرْعَـةٍ فِـي الـشَّـمْـأَلِ كَـأَنَّـهَـا مِـنْ ثِـقَـلٍ فِـي يَـذْبُـلِ[٧٠١]
كَـأَنَّـهَـا مِـنْ سَـعَـةٍ فِـي هَـوْجَـلِ كَـأَنَّـهُ مِـنْ عِـلْـمِـهِ بِـالْـمَـقْـتَـلِ
عَـلَّـمَ بُـقْـرَاطَ فِـصَـادَ الْأَكْـحَـلِ[٧٠٢]
فَـحَـالَ مَـا لِـلْـقَـفْـزِ لِـلـتَّـجَـدُّلِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ[٧٠٣]
فَـلَـمْ يَـضِـرْنَـا مَـعْـهُ فَـقْـدُ الْأَجْـدَلِ إِذَا بَـقِـيـتَ سَـالِـمًـا أَبَـا عَـلِـي
فَـالْـمُـلْـكُ لِـلَّـهِ الْـعَـزِيـزِ ثُـمَّ لِـي[٧٠٤]

وقال يمدح بدر بن عمار، وقد فصد لعلة، فغاص المبضع فوق حقه، فأضر به ذلك:

أَبْـعَـدُ نَـأْيِ الْـمَـلِـيـحَـةِ الْـبَـخَـلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلَّفُ الْإِبِلُ[٧٠٥]
مَـلُـولَـةٌ مَـا يَـدُومُ لَـيْـسَ لَـهَـا مِـنْ مَـلَـلٍ دَائِـمٍ بِـهَـا مَـلَـلُ[٧٠٦]
كَـأَنَّـمَـا قَـدُّهَـا إِذَا انْـفَـتَـلَـتْ سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ[٧٠٧]
يَـجْـذِبُـهَـا تَـحْـتَ خَـصْـرِهَـا عَـجُـزٌ كَـأَنَّـهُ مِـنْ فِـرَاقِـهَـا وَجِـلُ[٧٠٨]

بِي حَرُّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا ... يَنْفَصِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ[709]
الثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخَلْخَلُ وَالْـ ... ـمِعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ[710]
وَمَهْمَهٍ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي ... تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُلُ[711]
بِصَارِمِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرَتِي ... مُجْتَزِئٌ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ[712]
إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ ... لَمْ تُعْيِنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيَلُ[713]
فِي سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ ... وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ[714]
وَفِي اعْتِمَارِ الْأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّا ... رٍ عَنِ الشُّغْلِ بِالْوَرَى شُغُلُ[715]
أَصْبَحَ مَالٌ كَمَالِهِ لِذَوِي الْـ ... ـحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلُ[716]
هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا ... يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلُ[717]
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحِمَامِ لَهُ ... يَقْتُلُ مَنْ مَا دَنَا لَهُ أَجَلُ[718]
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا ... يَفْعَلُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعِلُ[719]
تُعْرَفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ ... كَأَنَّهُ بِالذَّكَاءِ مُكْتَحِلُ[720]
أُشْفِقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ ... عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ يَشْتَعِلُ[721]
أَغَرُّ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا ... بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِي فَعَلُوا[722]
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ ... أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ[723]
جَرْدَاءَ مِلْءِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةٍ ... تَكُونُ مِثْلَيْ عَسِيبِهَا الْخُصَلُ[724]
إِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا ... أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ[725]
وَالطَّعْنُ شَزْرٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ ... كَأَنَّمَا فِي فُؤَادِهَا وَهَلُ[726]
قَدْ صَبَغَتْ خَدَّهَا الدِّمَاءُ كَمَا ... يَصْبُغُ خَدَّ الْخَرِيدَةِ الْخَجَلُ[727]
وَالْخَيْلُ تَبْكِي جُلُودُهَا عَرَقًا ... بِأَدْمُعٍ مَا تَسُحُّهَا مُقَلُ[728]
سَارَ وَلَا قَفْرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ ... كَأَنَّمَا كُلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ[729]
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ ... شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسَلُ[730]
يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةُ يَا ... لَيْثُ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ[731]
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ ... عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ[732]
إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا ... مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا[733]
قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا ... قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا[734]
أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفَتْ ... قَوَاضِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ

أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَـ ـكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى زُحَلُ[٧٣٥]
كَتِيبَةٌ لَسْتَ رَبَّهَا نَفَلٌ وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ[٧٣٦]
قُصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ[٧٣٧]
لَمْ تُبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلَلُ[٧٣٨]
عُذْرُ الْمَلُومَيْنِ فِيكَ أَنَّهُمَا آسٍ جَبَانٌ وَمِبْضَعٌ بَطَلُ[٧٣٩]
مَدَدْتَ فِي رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الْأَمَلُ[٧٤٠]
إِنْ يَكُنِ الْبَضْعُ ضَرَّ بَاطِنَهَا فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبَلُ[٧٤١]
يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلَا يَشُقُّ فِي عِرْقِ جُودِهَا الْعَذَلُ[٧٤٢]
خَامَرَهُ إِذْ مَدَدْتَهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةٍ عَجِلُ[٧٤٣]
جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأُمِّهِ الْهَبَلُ[٧٤٤]
أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ[٧٤٥]
ارْثِ لَهَا إِنَّهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أَسَلْتَ تَنْهَمِلُ[٧٤٦]
مِثْلُكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوَلُ[٧٤٧]

وقال أيضًا يمدحه:

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالَا وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لَا الْجِمَالَا[٧٤٨]
تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنًا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالَا[٧٤٩]
فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمِ ذَمِيلَا وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالَا[٧٥٠]
كَأَنَّ الْعِيسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاةٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سَالَا[٧٥١]
وَحَجَّبَتِ النَّوَى الظَّبْيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالَا[٧٥٢]
لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمِّلَاتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالَا[٧٥٣]
وَضَفَّرْنَ الْغَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خِفْنَ فِي الشَّعَرِ الضَّلَالَا[٧٥٤]
بِجِسْمِي مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وِشَاحِي ثَقْبَ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالَا[٧٥٥]
وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خَيَالَا[٧٥٦]
بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالَا[٧٥٧]
وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبْدَتْ لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالَا[٧٥٨]
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالَا[٧٥٩]

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي   صُرُوفٌ لَمْ يُدِمْنَ عَلَيْهِ حَالاَ[٧٦٠]
أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ   تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالاَ[٧٦١]
أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي   قُتُودِي وَالْغُرَيْرِيَّ الْجُلَالاَ[٧٦٢]
فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا   وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالاَ[٧٦٣]
عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي   أُوَجِّهُهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالاً[٧٦٤]
إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِي لَمْ   يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلَالاَ[٧٦٥]
وَلَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ   وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالاَ
بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ   لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالاَ[٧٦٦]
حُسَامٌ لِابْنِ رائِقٍ الْمُرَجَّى   حُسَامِ الْمُتَّقِي أَيَّامَ صَالاَ[٧٦٧]
سِنَانٌ فِي قَنَاةِ بَنِي مَعَدٍّ   بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوُا النِّزَالاَ[٧٦٨]
أَعَزُّ مَغَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا   وَمَقْدِرَةً وَمَحْمِيَةً وَآلَا[٧٦٩]
وَأَشْرَفُ فَاخِرٍ نَفْسًا وَقَوْمًا   وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمًّا وَخَالاَ[٧٧٠]
يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ   عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا مُحَالاَ[٧٧١]
وَيَبْقَى ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ   إِذَا لَمْ يَتَّرِكْ أَحَدٌ مَقَالاَ[٧٧٢]
فَيَا ابْنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدْنٍ   مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطَلُ السُّمَالاَ[٧٧٣]
وَيَا ابْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ   مِنَ الْعَرَبِ الْأَسَافِلِ وَالْقِلَالاَ[٧٧٤]
أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّي   وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالاَ[٧٧٥]
وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ   يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالاَ[٧٧٦]
وَقَالُوا: هَلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا؟   فَقُلْتُ: نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالاَ[٧٧٧]
هُوَ الْمُفْنِي الْمَذَاكِيَ وَالْأَعَادِي   وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الطِّوَالاَ[٧٧٨]
وَقَائِدُهَا مُسَوَّمَةً خِفَافًا   عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ ثِقَالاَ[٧٧٩]
جَوَائِلَ بِالْقُنِيِّ مُثَقَّفَاتٍ   كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذُّبَالاَ[٧٨٠]
إِذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيهَا صُخُورًا   يَفِئْنَ لِوَطْءِ أَرْجُلِهَا رِمَالاَ[٧٨١]
جَوَابُ مُسَائِلِي: أَلَهُ نَظِيرٌ؟   وَلا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا أَلَا لَا[٧٨٢]
لَقَدْ أَمِنَتْ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ   تَعُدُّ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالاَ[٧٨٣]
وَقَدْ وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى   غَدَتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وِجَالاَ[٧٨٤]
سُرُورُكَ أَنْ تَسُرَّ النَّاسَ طُرًّا   تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالاَ[٧٨٥]

إِذَا سَـأَلُـوا شَـكَـرْتَـهُـمُ عَـلَـيْـهِ   وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالَا[٧٨٦]
وَأَسْـعَـدُ مَـنْ رَأَيْـنَـا مُـسْـتَـمِـيحٌ   يُنِيلُ الْمُسْتَمَاحَ بِأَنْ يَنَالَا[٧٨٧]
يُفَارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ الْمُلَاقَى   فِرَاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرِّجَالَا[٧٨٨]
فَمَا تَقِفُ السِّهَامُ عَلَى قَرَارٍ   كَأَنَّ الرِّيشَ يَطَّلِبُ النِّصَالَا[٧٨٩]
سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى   وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى[٧٩٠]
وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ   لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شِمَالَا[٧٩١]
أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ   وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالَا[٧٩٢]
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا   وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالَا؟![٧٩٣]

وخرج بدر بن عمار إلى أسد، فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بالسوط، ودار به الجيش، فقال أبو الطيب:

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلَا   مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولَا[٧٩٤]
يَا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ وَغَادَرَتْ   فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيِيتُ فُلُولَا[٧٩٥]
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا   أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِيَ سُولَا[٧٩٦]
أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً   وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلَا[٧٩٧]
وَأَرَى تَدَلُّلَكِ الْكَثِيرَ مُحَبَّبًا   وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا[٧٩٨]
تَشْكُو رَوَادِفَكِ الْمَطِيَّةُ فَوْقَهَا   شَكْوَى الَّتِي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلَا[٧٩٩]
وَيُغِيرُنِي جَذْبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِهَا   فَمَهَا إِلَيْكِ كَطَالِبٍ تَقْبِيلَا[٨٠٠]
حَدَقُ الْحِسَانِ مِنَ الْغَوَانِي هِجْنَ لِي   يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلَا[٨٠١]
حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا   بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَا[٨٠٢]
الْفَارِجُ الْكُرَبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا   وَالتَّارِكُ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا[٨٠٣]
مَحِكٌ إِذَا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ   جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلَا[٨٠٤]
نَطِقٌ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لِثَامَهُ   أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولَا[٨٠٥]
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ   وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلَا[٨٠٦]
وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مُتُونِ غَمَامَةٍ   هِنْدِيُّهُ فِي كَفِّهِ مَسْلُولَا[٨٠٧]
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا   لَوْ كُنَّ سَيْلًا مَا وَجَدْنَ مَسِيلَا[٨٠٨]

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّمَا ... يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولَا[٨٠٩]
أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الْهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ ... لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا؟![٨١٠]
وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ... نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولَا[٨١١]
وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا ... وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَالنِّيلَا[٨١٢]
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابِسٌ ... فِي غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلَا[٨١٣]
مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظَنَّتَا ... تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا[٨١٤]
فِي وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ ... لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا[٨١٥]
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ ... فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلَا[٨١٦]
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ ... حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا[٨١٧]
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا[٨١٨]
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَا فَكَأَنَّمَا ... رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولَا[٨١٩]
أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا ... وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلَا[٨٢٠]
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ... وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا[٨٢١]
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا ... مَتْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدًا مَفْتُولَا[٨٢٢]
فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ ... يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلَا[٨٢٣]
نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا ... تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلَا[٨٢٤]
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا ... وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولَا[٨٢٥]
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ ... حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولَا[٨٢٦]
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ ... يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا[٨٢٧]
وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى ... لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا[٨٢٨]
أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ ... فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا[٨٢٩]
وَالْعَارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ ... مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلَا[٨٣٠]
سَبَقَ الْتِقَاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ ... لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لَجَازَكَ مِيلَا[٨٣١]
خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ ... فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَا[٨٣٢]
قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ ... فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْلُولَا[٨٣٣]
سَمِعَ ابْنَ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ ... فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أَمْسِ مَهُولَا[٨٣٤]
وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ ... وَكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلَا[٨٣٥]

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلَا[836]
لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَسَّمًا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ الْإِلَهُ رَسُولَا[837]
لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمِ مَا أَنْزَلَ الْـ ـقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَا
لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيهِمِ لَمْ يَعْرِفُوا التَّأْمِيلَا[838]
فَلَقَدْ عُرِفْتَ، وَمَا عُرِفتَ حَقِيقَةً وَلَقَدْ جُهِلْتَ وَمَا جُهِلْتَ خُمُولَا[839]
نَطَقَتْ بِسُؤْدُدِكَ الْحَمَامُ تَغَنِّيًا وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلَا[840]
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِيَ نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولَا[841]

وقال وقد نظر إلى جانبه خلعة مطوية فسأل عنها فقيل: هي خلع الولاية، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلًا:

أَرَى حُلَلًا مُطَوَّاةً حِسَانًا عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا اعْتِلَالِي[842]
وَهَبْكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجَتْ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ؟![843]
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَا الْأَعَالِي مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ[844]
تُلَاحِظُكَ الْعُيُونُ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ[845]
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ[846]
وَإِنَّ بِهَا، وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ[847]

وقال فيه أيضًا:

عَذَلَتْ مُنَادَمَةُ الْأَمِيرِ عَوَاذِلِي فِي شُرْبِهَا وَكَفَتْ جَوابَ السَّائِلِ[848]
مَطَرَتْ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَاصْطِنَاعُكَ حَامِلِي[849]
فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ الْقَائِلِ؟![850]

وقال يمدحه:

بَدْرٌ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَّالِهِ يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ[851]
تَتَحَيَّرُ الْأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ[852]
قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعٍ مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ[853]

سَفَكَ الدِّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ   كَرَمًا لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ[٨٥٤]
إِنْ يُفْنِ مَا يَحْوِي فَقَدْ أَبْقَى بِهِ   ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ[٨٥٥]

وسأله حاجة فقضاها له، فنهض فقال:

قَدْ أُبْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَّةً   وَعِفْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا[٨٥٦]
أَنْتَ الَّذِي طُولُ بَقَاءٍ لَهُ   خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي:

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ   أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ[٨٥٧]
يَعْلَمْنَ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتِ وَإِنَّمَا   أَوْلَاكُمَا بِبُكًى عَلَيْهِ الْعَاقِلُ[٨٥٨]
وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ   فَمَنِ الْمُطَالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ؟![٨٥٩]
تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظِّبَاءِ وَعِنْدَهُ   مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلُ[٨٦٠]
اللَّاءِ أَفْتَكُهَا الْجَبَانُ بِمُهْجَتِي   وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَيَّ الْبَاخِلُ[٨٦١]
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرٌ   وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ[٨٦٢]
كَافَأْنَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَهَا   فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ[٨٦٣]
مِنْ طَاعِنِي ثُغْرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ   وَمِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ[٨٦٤]
وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا   مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ[٨٦٥]
كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقًا بَعْدَمَا   غَرِيَ الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ![٨٦٦]
دُونَ التَّعَانُقِ نَاحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ   نَصْبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ[٨٦٧]
انْعَمْ وَلَذَّ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرٌ   أَبَدًا إِذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ[٨٦٨]
مَا دُمْتَ مِنْ أَرَبِ الْحِسَانِ فَإِنَّمَا   رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلُ[٨٦٩]
لِلَّهْوِ آوِنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا   قُبَلٌ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلُ[٨٧٠]
جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذٌ خَالِصٌ   مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورٌ كَامِلُ
حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللهِ رُؤْ   يَتُهُ الْمُنَى وَهْيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ[٨٧١]
مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إِلَيْهَا دُونَهَا   مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَابِلُ[٨٧٢]
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ   تُثْنِي الْأَزِمَّةَ وَالْمَطِيُّ ذَوَامِلُ[٨٧٣]

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحَا ... بِ وَلِلْبِحَارِ وَلِلْأُسُودِ شَمَائِلُ[٨٧٤]
وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا ... دِ وَمِلْحَيَاةِ وَمِلْمَمَاتِ مَنَاهِلُ[٨٧٥]
لَوْ لَمْ يُهَبْ لَجَبُ الْوُفُودِ حَوَالَهُ ... لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلُ[٨٧٦]
يَدْرِي بِمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ ... مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلُ[٨٧٧]
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمُوَلِّيًا ... أَحْدَاقُنَا وَتَحَارُ حِينَ يُقَابِلُ[٨٧٨]
كَلِمَاتُهُ قُضُبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ ... كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَهُنَّ مَفَاصِلُ[٨٧٩]
هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا ... حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلُ[٨٨٠]
وَقَتَلْنَ دَفْرًا وَالدُّهَيْمَ فَمَا تُرَى ... أُمُّ الدُّهَيْمِ وَأُمُّ دَفْرٍ هَابِلُ[٨٨١]
عَلَّامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللُّجُّ الَّذِي ... لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لُجٍّ سَاحِلُ[٨٨٢]
لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ ... وَلَد النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ[٨٨٣]
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ ... لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمْ انْثَى الْحَامِلُ[٨٨٤]
لِيَزِدْ بَنُو الْحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعًا ... هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلُ[٨٨٥]
سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ ... فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ[٨٨٦]
جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفُخُونَ بِهَابِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَائِلُ[٨٨٧]
مُتَشَابِهِي وَرَعِ النُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ ... وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الْإِزَارِ حُلَاحِلُ[٨٨٨]
يَا افْخَرْ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ[٨٨٩]
وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَمَا ... عَرَفُوا، أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ؟[٨٩٠]
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتَ لِي: ... قَصَّرْتَ فَالْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ[٨٩١]
لَا تَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ تُنْشِدُ هَا هُنَا ... بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ[٨٩٢]
مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ ... شِعْرِي وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِيَ بَابِلُ[٨٩٣]
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهْيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ[٨٩٤]
مَنْ لِي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي ... أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلُ؟![٨٩٥]
وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ ... لَلْحَقُّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ[٨٩٦]
الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ[٨٩٧]
مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ ... قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ أَنَامِلُ[٨٩٨]

وقال يهجو قومًا توعدوه:

أَمَاتَكُمُ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الْجَهْلُ وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّةٍ بِكُمُ النَّمْلُ[٨٩٩]
وُلَيْدَ أُبَيِّ الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَا لَكُمُ فَطِنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَا لَكُمُ عَقْلُ؟![٩٠٠]
وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمُ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ؟![٩٠١]
وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ لَمَا كُنْتُمُ نَسْلَ الَّذِي مَا لَهُ نَسْلُ[٩٠٢]

وقال: وقد جعل أبو محمد بن طغج يضرب بكمه البخور، ويقول: سَوْقًا إلى أبي الطيب:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ![٩٠٣]
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبَخُورِ: سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ[٩٠٤]

وقال، وقد بلغه أن إسحاق بن كيغلغ يتهدده وهو ببلاد الروم، وكان أبو الطيب بدمشق:[٩٠٥]

أَتَانِي كَلَامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيَغْلَغٍ يَجُوبُ حُزُونًا بَيْنَنَا وَسُهُولَا[٩٠٦]
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ وَبَيْنِي سِوَى رُمْحِي لَكَانَ طَوِيلَا[٩٠٧]
وَإِسحَقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلَا[٩٠٨]
وَلَيْسَ جَمِيلًا عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا[٩٠٩]
وَيَكْذِبُ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلَا[٩١٠]

وقال يمدح أبا العشائر:

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ[٩١١]
قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَهْ[٩١٢]
خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبِلَهْ[٩١٣]
لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ مَا رَضِيَ الشَّمْسَ بُرْجُهُ بَدَلَهْ[٩١٤]
أُحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَدْؤُرَهُ وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهْ[٩١٥]

يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَهْيَ ظَامِئَةٌ   إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطِلَهْ[٩١٦]
وَاحَرَبَا مِنْكِ يَا جَدَايَتَهَا   مُقِيمَةً فَاعْلَمِي وَمُرْتَحِلَهْ[٩١٧]
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا   وَلَسْتِ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَفِلَهْ[٩١٨]
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَا   حِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ[٩١٩]
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ   مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ[٩٢٠]
فَخْرًا لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ   وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ[٩٢١]
وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ   مُرْتَدِيًا خَيْرَهُ وَمُنْتَعِلَهْ[٩٢٢]
أَنَا الَّذِي بَيَّنَ الْإِلَهُ بِهِ الْـ   أَقْدَارَ وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ[٩٢٣]
جَوْهَرَةٌ يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا   وَغُصَّةٌ لَا تُسِيغُهَا السَّفِلَهْ[٩٢٤]
إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أُكَادُ بِهِ   أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهْ[٩٢٥]
فَلَا مُبَالٍ وَلَا مُدَاجٍ وَلَا   وَانٍ وَلَا عَاجِزٌ وَلَا تُكَلَهْ[٩٢٦]
وَدَارِعٍ سِفْتُهُ فَخَرَّ لَقًى   فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَهْ[٩٢٧]
وَسَامِعٍ رُعْتُهُ بِقَافِيَةٍ   يَحَارُ فِيهَا الْمُنَقِّحُ الْقُوَلَهْ[٩٢٨]
وَرُبَّمَا أُشْهِدُ الطَّعَامَ مَعِي   مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهْ[٩٢٩]
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ   وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ[٩٣٠]
مُسْتَحْيِيًا مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ   أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَلَهْ[٩٣١]
أَسْحَبُهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ   ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَهْ[٩٣٢]
وَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ   أَوَّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الْحَمَلَهْ[٩٣٣]
مَا لِي لَا أَمْدَحُ الْحُسَيْنَ وَلَا   أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَذَلَهْ[٩٣٤]
أَأَخْفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ خَبَرًا   أَمْ بَلَغَ الْكَيْذُبَانُ مَا أَمَلَهْ؟![٩٣٥]
أَمْ لَيْسَ ضَرَّابَ كُلِّ جُمْجُمَةٍ   مَنْخُوَّةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعِلَهْ؟![٩٣٦]
وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ   لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَهْ[٩٣٧]
وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لَا يُفَتِّرُهُ   لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزِمٌ هَزَلَهْ[٩٣٨]
وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمُكَلِّلَ فِي   طَيِّئِ الْمُشْرَعَ الْقَنَا قِبَلَهْ[٩٣٩]
لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خُيُولُهُمُ   أَقْسَمَ بِاللهِ لَا رَأَتْ كَفَلَهْ[٩٤٠]
فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ   أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِي فَعَلَهْ[٩٤١]
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا   بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ[٩٤٢]

فَـوَاهِـبٌ وَالـرِّمَـاحُ تَـشْـجُـرُهُ وَطَـاعِـنٌ وَالْـهِـبَـاتُ مُـتَّـصِـلَـهْ[٩٤٣]
وَكُـلَّـمَـا آمَـنَ الْـبِـلَادَ سَـرَى وَكُـلَّـمَـا خِـيـفَ مَـنْـزِلٌ نَـزَلَـهْ[٩٤٤]
وَكُـلَّـمَـا جَـاهَـرَ الْـعَـدُوَّ ضُـحًـى أَمْـكَـنَ حَـتَّـى كَـأَنَّـهُ خَـتَـلَـهْ[٩٤٥]
يَـحْـتَـقِـرُ الْـبِـيـضَ وَاللِّـدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيْهِ الدِّلَاصَ أَوْ نَثَلَهْ[٩٤٦]
قَدْ هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةُ لِي وَهَذَّبَتْ شِعْرِيَ الْفَصَاحَةَ لَهْ[٩٤٧]
فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِدًا يَدَهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلَّ مَنْ حَمَلَهْ[٩٤٨]

واستأذن كافورًا في المسير إلى الرملة ليخلص مالًا كتب له به، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور في مسيره. فقال: لا والله لا نكلفك المسير، نحن نبعث في خلاصه ونكفيك، فقال أبو الطيب:

أَتَحْلِفُ لَا تُكَلِّفُنِي مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالَا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكَانًا وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالَا[٩٤٩]
إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقِّنِيَ الْفَوَارِسَ وَالرِّجَالَا[٩٥٠]
لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّي وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِي مُحَالَا[٩٥١]

وقال يمدح أبا شجاع فاتكًا[٩٥٢] وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ[٩٥٣]
وَاجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ[٩٥٤]
فَرُبَّمَا جَزِيَ الْإِحْسَانَ مُولِيَهُ خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ[٩٥٥]
وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ[٩٥٦]
وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَّحَنِي سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ[٩٥٧]
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَّالُ[٩٥٨]
فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَّالُ[٩٥٩]
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ أَنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ[٩٦٠]
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ[٩٦١]

لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ ٩٦٢
قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَذَّالُ ٩٦٣
تَدْرِي الْقَنَاةُ إِذَا اهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ ٩٦٤
كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ ٩٦٥
أَلْقَائِدِ الْأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَاثِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ ٩٦٦
أَلْقَاتِلِ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ ٩٦٧
تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ ٩٦٨
لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءٌ وَذَيَّالُ ٩٦٩
تُمْسِي الضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطِّيبِ آصَالُ ٩٧٠
لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشِّيزَى وَأَوْصَالُ ٩٧١
لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَزَ الْأَضْيَافَ تَرْحَالُ ٩٧٢
يُرْوِي صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتِ مَا شَرِبُوا مَحْضُ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ ٩٧٣
تَقْرِي صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ ٩٧٤
تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ ٩٧٥
لَا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأُطَيْفَالُ ٩٧٦
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً وَالْبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلَّالُ ٩٧٧
يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ ٩٧٨
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ ٩٧٩
يَرْمِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدٌّ لَهُ وَلَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ انَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ ٩٨٠
إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ ٩٨١
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَدًا مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ ٩٨٢
أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي بِتَوَقِّي مَا أَتَى نَالُوا؟! ٩٨٣
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَّالُ ٩٨٤
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ ٩٨٥
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلا مِيمٌ وَلَا دَالُ ٩٨٦
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِيِّ سِرْبَالُ ٩٨٧
وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ ٩٨٨

لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي بِرِّي وَتَكْرِمَتِي   إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ[٩٨٩]
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ   وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفَّيْكَ آمَالُ[٩٩٠]
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ   إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ[٩٩١]
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ   فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالُ[٩٩٢]
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا   إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ[٩٩٣]
وَلا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا   إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرَّوْعِ بَذَّالُ[٩٩٤]
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ   الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَّالُ[٩٩٥]
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ   مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ[٩٩٦]
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ به   مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ[٩٩٧]
ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ   مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ[٩٩٨]

وقال يمدح أبا الفوارس دلير بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب، وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دلير إليها:

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ
وَمَنْ ذا الَّذِي يَدْرِي بمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ؟[٩٩٩]
لِهَنَّكِ أَوْلَى لَائِمٍ بِمَلَامَةٍ
وَأَحْوَجُ مِمَّنْ تَعْذُلِينَ إلى الْعَذْلِ[١٠٠٠]
تَقُولِينَ: مَا فِي النَّاسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ
جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي[١٠٠١]
مُحِبٌّ كَنَى بِالْبِيضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ
وَبِالْحُسْنِ في أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ[١٠٠٢]
وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنَا غَيْرَ أَنَّنِي
جَنَاهَا أَحِبَّائِي وَأَطْرَافُهَا رُسْلِي[١٠٠٣]
عَدِمْتُ فُؤَادًا لَمْ تَبِتْ فيهِ فَضْلَةٌ
لِغَيْرِ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْحَدَقِ النُّجْلِ[١٠٠٤]

فَـمَـا حَـرَمَـتْ حَـسْـنَـاءُ بِـالْـهَـجْـرِ غِـبْـطَـةً
وَلَا بَلَـغَـتْـهَـا مَـنْ شَـكَـى الْـهَـجْـرَ بـالْـوَصْـلِ[١٠٠٥]
ذَرِيـنِـي أَنَـلْ مَـا لَا يُـنَـالُ مِـنَ الْـعُـلَا
فَصَعْبُ الْعُلَا في الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ في السَّهْلِ[١٠٠٦]
تُـرِيـدِيـنَ لُـقْـيَـانَ الْـمَـعَـالِـي رَخِـيـصَـةً
وَلَا بُـدَّ دُونَ الـشَّـهْـدِ مِـنْ إِبَـرِ الـنَّـحْـلِ[١٠٠٧]
حَـذِرْتِ عَـلَـيْـنَـا الْـمَـوْتَ وَالْـخَـيْـلُ تَـلْـتَـقِـي
وَلَـمْ تَـعْـلَـمِـي عَـنْ أَيِّ عَـاقِـبَـةٍ تُـجْـلَـى[١٠٠٨]
فَـلَـسْـتُ غَـبِـيـنًـا لَـوْ شَـرَيْـتُ مَـنِـيَّـتِـي
بِـإِكْـرَامِ دِلَّـيْـرَ بْـنِ لَـشْـكَـرَوَزٍّ لِـي[١٠٠٩]
تُـمِـرُّ الْأَنَـابِـيـبُ الْـخَـوَاطِـرُ بَـيْـنَـنَـا
وَنَـذْكُـرُ إِقْـبَـالَ الْأَمِـيـرِ فَـتَـحْـلَـوْ لِـي[١٠١٠]
وَلَـوْ كُـنْـتُ أَدْرِي أَنَّـهَـا سَـبَـبٌ لَـهُ
لَـزَادَ سُـرُورِي بِـالـزِّيَـادَةِ فـي الْـقَـتْـلِ[١٠١١]
فَـلَا عَـدِمَـتْ أَرْضُ الْـعِـرَاقَـيْـنِ فِـتْـنَـةً
دَعَـتْـكَ إِلَـيْـهَـا كَـاشِـفَ الْـخَـوْفِ وَالْـمَـحْـلِ[١٠١٢]
ظَـلِـلْـنَـا إِذَا أَنْـبَـى الْـحَـدِيـدُ نُـصُـولَـنَـا
نُـجَـرِّدُ ذِكْـرًا مِـنْـكَ أَمْـضَـى مِـنَ الـنَّـصْـلِ[١٠١٣]
وَنَـرْمِـي نَـوَاصِـيـهَـا مِـنِ اسْـمِـكَ فـي الْـوَغَـى
بِـأَنْـفَـذَ مِـنْ نُـشَّـابِـنَـا وَمِـنَ الـنَّـبْـلِ[١٠١٤]
فَـإِنْ تَـكُ مِـنْ بَـعْـدِ الْـقِـتَـالِ أَتَـيْـتَـنَـا
فَـقَـدْ هَـزَمَ الْأَعْـدَاءَ ذِكْـرُكَ مِـنْ قَـبْـلِ[١٠١٥]
وَمَـا زِلْـتُ أَطْـوِي الْـقَـلْـبَ قَـبْـلَ اجْـتِـمَـاعِـنَـا
عَـلَـى حَـاجَـةٍ بَـيْـنَ الـسَّـنَـابِـكِ وَالـسُّـبْـلِ[١٠١٦]
وَلَـوْ لَـمْ تَـسِـرْ سِـرْنَـا إِلَـيْـكَ بِـأَنْـفُـسٍ
غَـرَائِـبَ يُـؤْثِـرْنَ الْـجِـيَـادَ عَـلَـى الْأَهْـلِ[١٠١٧]

وَخَــيْــلٍ إِذَا مَــرَّتْ بِــوَحْــشٍ وَرَوْضَــةٍ
أَبَـتْ رَعْـيَـهَـا إِلَّا وَمِـرْجَـلُـنَـا يَـغْـلِـي[١٠١٨]
وَلـكِـنْ رَأَيْـتَ الْـقَـصْـدَ فِـي الْـفَـضْـلِ شِـرْكَـةً
فَـكَانَ لَـكَ الْـفَـضْـلَانِ بِـالْـقَـصْـدِ وَالْـفَـضْـلِ[١٠١٩]
وَلَــيْــسَ الَّــذِي يَــتَّــبِّــعُ الْــوَبْــلَ رَائِــدًا
كَـمَـنْ جَـاءَهُ فِــي دَارِهِ رَائِـدُ الْــوَبْـلِ[١٠٢٠]
وَمَــا أَنَــا مِــمَّــنْ يَــدَّعِــي الــشَّــوْقَ قَــلْــبُــهُ
وَيَـحْـتَـجُّ فِـي تَـرْكِ الـزِّيَـارَةِ بـالـشُّـغْـلِ[١٠٢١]
أَرَادَتْ كِــلَابٌ أَنْ تَــفُــوزَ بِــدَوْلَــةٍ
لِـمَـنْ تَـرَكَـتْ رَعْـيَ الـشُّـوَيْـهَـاتِ وَالإِبْـلِ[١٠٢٢]
أبــى رَبُّــهَــا أَنْ يَــتْــرُكَ الــوحْــشَ وَحْــدَهَــا
وَأَنْ يُـؤْمِـنَ الـضَّـبَّ الْـخَـبِـيثَ مِـنَ الأَكْـلِ[١٠٢٣]
وَقَــادَ لَــهَــا دِلَّــيْــرُ كُــلَّ طِــمِــرَّةٍ
تُـنِـيفُ بِـخَـدَّيْـهَا سَـحُـوقٌ مِـنَ الـنَّـخْـلِ[١٠٢٤]
وَكُــلَّ جَــوَادٍ تَــلْــطِــمُ الأَرْضَ كَــفُّــهُ
بِـأَغْـنَـى عَـنِ الـنَّـعْـلِ الْـحَـدِيدِ مِـنَ الـنَّـعْـلِ[١٠٢٥]
فَـوَلَّـتْ تُـرِيـغُ الْـغَـيْـثَ وَالْـغَـيْـثَ خَـلَّـفَـتْ
وَتَـطْـلُـبُ مَـا قَـدْ كَـانَ فِـي الْـيَـدِ بِـالـرِّجْـل[١٠٢٦]
تُــحَــاذِرُ هَــزْلَ الــمَــالِ وَهْــيَ ذَلِــيــلَــةٌ
وَأَشْـهَـدُ أَنَّ الـذُّلَّ شَـرٌّ مِـنَ الْـهَـزْلِ[١٠٢٧]
وَأَهْــدَتْ إِلَــيْــنَــا غَــيْــرَ قَــاصِــدَةٍ بِــهِ
كَـرِيـمَ الـسَّـجَـايَـا يَـسْـبِـقُ الْـقَـوْلَ بِـالْـفِـعْـلِ[١٠٢٨]
تَــتَــبَّــعَ آثَــارَ الــرَّزَايــا بِــجُــودِهِ
تَـتَـبُّـعَ آثَـارِ الأَسِـنَّـةِ بِـالْـفُـتْـلِ[١٠٢٩]
شَــفَــى كُــلَّ شَــاكٍ سَــيْــفُــهُ وَنَــوَالُــهُ
مِـنَ الـدَّاءِ حَـتَّـى الـثَّـاكِـلَاتِ مِـنَ الـثُّـكْـلِ[١٠٣٠]

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُورَةُ وَجْهِهِ
وَلَوْ نَزَلت شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ[١٠٣١]
شُجَاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ
إِذَا زَارَهَا فَدَّتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ[١٠٣٢]
وَرَيَّانُ لَا تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ
وَعَطْشَانُ لَا تَرْوَى يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ[١٠٣٣]
فَتَمْلِيكُ دِلَّيْرٍ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ
شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَالْعَدْلِ[١٠٣٤]
وَمَا دَامَ دِلَّيْرٌ يَهُزُّ حُسَامَهُ
فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيا لِلَيْثٍ وَلَا شِبْلِ[١٠٣٥]
وَمَا دَامَ دِلَّيْرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ
فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلِّ[١٠٣٦]
فَتًى لَا يُرَجِّي أَنْ تَتِمَّ طَهَارَةٌ
لِمَنْ لَمْ يُطَهِّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ[١٠٣٧]
فَلَا قَطَعَ الرَّحْمنُ أَصْلًا أَتَى بِهِ
فَإِنِّي رَأَيتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأَصْلِ[١٠٣٨]

وقال يمدح عضد الدولة، ويذكر وقعة وَهْشُوذَان بن محمد الكردي بالطرم، وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشًا من الري فهزمه وأخذ بلده:

اثْلِثْ فَإِنَّا أَيُّها الطَّلَلُ ... نَبْكِي وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ[١٠٣٩]
أَوْلَا فَلَا عَتْبٌ عَلَى طَلَلٍ ... إِنَّ الطُّلُولَ لِمِثْلِهَا فُعُلُ[١٠٤٠]
لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِرًا: ... بِي غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ[١٠٤١]
أَبْكَاكَ أَنَّكَ بَعْضُ مَنْ شَغَفُوا ... لَمْ أَبْكِ أَنِّي بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا[١٠٤٢]
إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَلُوا ... أَيَّامُهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُوَلُ[١٠٤٣]
الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا ... مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا[١٠٤٤]
فِي مُقْلَتَي رَشَأٍ تُدِيرُهُمَا ... بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ[١٠٤٥]
تَشْكُو الْمَطَاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا ... وَصُدُودِهَا وَمَنِ الَّذِي تَصِلُ[١٠٤٦]

مَا أَسْأَرَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ ... تَرَكَتْهُ وَهْوَ المِسْكُ وَالْعَسَلُ[١٠٤٧]
قَالَتْ: أَلَا تَصْحُو فَقُلْتُ لَهَا: ... أَعْلَمْتِنِي أَنَّ الْهَوَى ثَمَلُ[١٠٤٨]
لَوْ أَنَّ فَنَّاخُسْرَ صَبَّحَكُمْ ... وَبَرَزْتِ وَحْدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ[١٠٤٩]
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَائِبُهُ ... إِنَّ المِلَاحَ خَوَادِعٌ قُتُلُ[١٠٥٠]
مَا كُنْتِ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمُ ... مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكِ الْبَخَلُ[١٠٥١]
أَتُمَنِّعِينَ قِرًى فَتَفْتَضِحِي ... أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ؟[١٠٥٢]
بَلْ لا يَحُلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ ... بُخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ[١٠٥٣]
مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمْحُ أَدْرَكَهُ ... طَنَبٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَعْتَدِلُ[١٠٥٤]
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا ... عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا[١٠٥٥]
حتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنُ بَجْدَتِهَا ... فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ[١٠٥٦]
شَكْوَى الْعَلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ ... أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ الْعِلَلُ[١٠٥٧]
قَالَتْ — فَلَا كَذَبَتْ — شَجَاعَتُهُ: ... أَقْدِمْ فنَفْسُكَ مَا لَهَا أَجَلُ[١٠٥٨]
فَهْوَ النِّهَايَةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ ... أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغًى مَنِ الْبَطَلُ[١٠٥٩]
عُدَدُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ ... دُونَ السِّلَاحِ الشُّكْلُ وَالْعُقُلُ[١٠٦٠]
فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ ... وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُخْتِهِ شُغُلُ[١٠٦١]
تُمْسِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ ... هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوِ الْبَدَلُ[١٠٦٢]
يَشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ ... شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ[١٠٦٣]
سَبَلٌ تَطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ ... وَالْمَجْدُ لَا الْحَوْذَانُ وَالنَّفَلُ[١٠٦٤]
وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا ... بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ[١٠٦٥]
إِنْ لَمْ تُخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ ... فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذْخَرُ القُبَلُ؟[١٠٦٦]
فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ ... قُدَرٌ هِيَ الآيَاتُ وَالرُّسُلُ[١٠٦٧]
وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ ... رَضِيَتْ بِحُكْمِ سُيُوفِهِ الْقُلَلُ[١٠٦٨]
وَإِذَا الْخَمِيسُ أَبَى السُّجُودَ لَهُ ... سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ[١٠٦٩]
أَرَضِيتَ وَهْشُوذَانُ مَا حَكَمَتْ ... أَمْ تَسْتَزِيدَ لِأُمِّكَ الْهَبَلُ؟[١٠٧٠]
وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُغْمَدَةٍ ... وَكَأَنَّهَا بَيْنَ الْقَنَا شُعَلُ[١٠٧١]
وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ... وَالْخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبَلُ[١٠٧٢]
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بِمَنْ أَتَوْا قِبَلٌ ... بِهِمُ وَلَيْسَ بِمَنْ نَأَوْا خَلَلُ[١٠٧٣]

لَمْ يَدْرِ مَنْ بِالرَّيِّ أَنَّهُمُ ... فَصَلُوا وَلَا يَدْرِي إِذَا قَفَلوا[١٠٧٤]
فَأَتَيْتَ مُعْتَزِمًا وَلَا أَسَدٌ ... وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلَا وَعِلُ[١٠٧٥]
تُعْطِي سِلَاحَهُمُ وَرَاحَهُمُ ... مَا لَمْ تَكُنْ لِتَنَالَهُ الْمُقَلُ[١٠٧٦]
أَسْخَى الْمُلوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ ... مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ[١٠٧٧]
لَوْلَا الْجَهَالَةُ مَا دَلَفْتَ إِلَى ... قَوْمٍ غَرِقْتَ وَإِنَّمَا تَفَلُوا[١٠٧٨]
لَا أَقْبَلُوا سِرًّا وَلَا ظَفِرُوا ... غَدْرًا وَلَا نَصَرَتْهُمُ الْغِيَلُ[١٠٧٩]
لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ ... إِلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْحِيَلُ[١٠٨٠]
لَا يَسْتَحِي أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ ... نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهِ أَوْ فَضَلُوا[١٠٨١]
قَدَرُوا عَفَوْا وَعَدُوا وَفَوْا سُئِلُوا ... أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْا عَدَلُوا[١٠٨٢]
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ... فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةً نَزَلُوا[١٠٨٣]
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ ... فَإِذَا تَعَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا[١٠٨٤]
لَا يَشْهَرُونَ عَلَى مُخَالِفِهِمْ ... سَيْفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَذَلُ[١٠٨٥]
فَأَبُو عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَهَرُوا ... وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلوا[١٠٨٦]
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُرَّةِ ذَا ... فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلُ[١٠٨٧]

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد، وكان يسير قدام الجيش يَمنة ويَسرة، فلا يرى صيدًا إلا صاده، حتى وصل إلى دشت الأرزن؛ وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز، تحف به الجبال، وفيه غاب ومياه ومروج، فكانت الوحوش تصاد، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق، فإذا أثخنها النشاب هربت من رءوس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه؛ فأقام بذلك المكان أيامًا على عين ماء حسنة ومعه أبو الطيب، فوصف الحال وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب، قال:

مَا أَجْدَرَ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ... بِأَنْ تَقُولَ: مَا لَهُ وَمَا لِي؟[١٠٨٨]
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي ... فَتًى بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَالِ[١٠٨٩]
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهَا اغْتِسَالِي ... لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالِ[١٠٩٠]
لَوْ جَذَبَ الزَّرَّادُ مِنْ أَذْيَالِي ... مُخَيَّرًا لِي صَنْعَتَيْ سِرْبَالِ[١٠٩١]
مَا سُمْتُهُ سَرْدَ سِوَى سِرْوَالِ ... وَكَيْفَ لَا وَإِنَّمَا إِدْلَالِي[١٠٩٢]

بِفَارِسِ الْمَجْرُوحِ وَالشَّمَالِ   أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الأَبْطَالِ[١٠٩٣]
سَاقِي كُئُوسِ الْمَوْتِ وَالْجِرْيَالِ[١٠٩٤]   لَمَّا أَصَارَ الْقُفْصَ أَمْسِ الْخَالِي[١٠٩٥]
وَقَتَّلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ   حَتَّى اتَّقَتْ بِالْفَرِّ وَالإِجْفَالِ[١٠٩٦]
فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي   وَاقْتَنَصَ الْفُرْسَانَ بِالْعَوَالِي[١٠٩٧]
وَالْعُتُقِ الْمُحْدَثَةِ الصِّقَالِ   سَارَ لِصَيْدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ[١٠٩٨]
وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرِّمَالِ   عَلَى دِمَاءِ الإِنْسِ وَالأَوْصَالِ[١٠٩٩]
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرِّعَالِ   مِنْ عِظَمِ الهِمَّةِ لَا المَلَالِ[١١٠٠]
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لَا الِاسْتِبْدَالِ   مَا يَتَحَرَّكْنَ سِوَى انْسِلَالِ[١١٠١]
فَهُنَّ يُضْرَبْنَ عَلَى التَّصْهَالِ   كُلُّ عَلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالِ[١١٠٢]
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةَ السُّعَالِ   مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ[١١٠٣]
فَلَمْ يَئِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلِ   وَمَا عَدَا فَانْغَلَّ فِي الأَدْغَالِ[١١٠٤]
وَمَا احْتَمَى بِالْمَاءِ وَالدِّحَالِ   مِنَ الْحَرَامِ اللَّحْمِ وَالْحَلَالِ[١١٠٥]
إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الآجَالِ   سَقْيًا لِدَشْتِ الأَرْزُنِ الطُّوَالِ[١١٠٦]
بَيْنَ المُرُوجِ الْفِيحِ وَالأَغْيَالِ   مُجَاوِرِ الخِنْزِيرِ لِلرِّئْبَالِ[١١٠٧]
دَانِي الْخَنَانِيصِ مِنَ الأَشْبَالِ   مُشْتَرِفِ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ[١١٠٨]
مُجْتَمِعِ الأَضْدَادِ وَالأَشْكَالِ[١١٠٩]
كَأَنَّ فَنَّاخُسْرَ ذَا الإِفْضَالِ   خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الكَمَالِ
فَجَاءَهَا بِالْفِيلِ وَالفَيَّالِ[١١١٠]
فَقِيدَتِ الأُيَّلُ فِي الحِبَالِ   طَوْعَ وُهُوقِ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ[١١١١]
تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الأَرْسَالِ   مُعْتَمَّةً بِيَبِسِ الأَجْذَالِ[١١١٢]
وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الأَحْمَالِ   قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِي[١١١٣]
لا تَشْرَكُ الأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ[١١١٤]   إذا تَلَفَّتْنَ إلى الأظْلَالِ[١١١٥]
أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الأَمْثَالِ   كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلإِذْلَالِ[١١١٦]
زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَّالِ[١١١٧]   وَالعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الخَبَالِ[١١١٨]
وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الأَوْعَالِ   مُرْتَدِيَاتٍ بِقِسِيِّ الضَّالِ[١١١٩]
نَوَاخِسَ الأَطْرَافِ لِلأَكْفَالِ   يَكَدْنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الآطَالِ[١١٢٠]

لَهَا لِحًى سُودٌ بِلَا سِبَالِ   يَصْلُحْنَ لِلْإِضْحَاكِ لَا الإجْلَالِ[١١٢١]
كُلُّ أَثِيثٍ نَبْتُهَا مُتْفَالِ   لَمْ تُغْذَ بالْمِسْكِ وَلَا الْغَوَالِي
تَرْضَى مِنَ الأدْهَانِ بِالْأَبْوَالِ   وَمِنْ ذَكِيِّ المِسْكِ بِالدِّمَالِ[١١٢٢]
لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَيْ مُحْتَالِ   لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ المَالِ[١١٢٣]
بَيْنَ قُضَاةِ السَّوْءِ وَالأَطْفَالِ[١١٢٤]   شَبِيهَةِ الإِدْبَارِ بِالإِقْبَالِ
لا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَذَالِ[١١٢٥]   فَاخْتَلَفَتْ فِي وَابِلَيْ نِبَالِ
مِنْ أَسْفَلِ الطَّوْدِ وَمِنْ مُعَالِ[١١٢٦]
قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرِّجَالِ   فِي كُلِّ كِبْدٍ كَبِدَيْ نِصَالِ[١١٢٧]
فَهُنَّ يَهْوِينَ مِنَ الْقِلَالِ   مَقْلُوبَةَ الأَظْلَافِ وَالإِرْقَالِ[١١٢٨]
يُرْقِلْنَ فِي الْجَوِّ عَلَى المَحَالِ   فِي طُرُقٍ سَرِيعَةِ الإِيصَالِ[١١٢٩]
يَنَمْنَ فِيهَا نِيمَةَ المِكْسَالِ   عَلَى الْقُفِيِّ أَعْجَلَ الْعِجَالِ[١١٣٠]
لَا يَتَشَكَّيْنَ مِنَ الْكَلَالِ   وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلَالِ[١١٣١]
فكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ   تَشْوِيقُ إِكْثَارٍ إِلَى إِقْلَالِ[١١٣٢]
فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالِ   يَخَفْنَ فِي سَلْمَى وَفِي قِيَالِ[١١٣٣]
نَوَافِرَ الضِّبَابِ وَالأَوْرَالِ   وَالْخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّئَالِ[١١٣٤]
وَالظَّبْيِ وَالْخَنْسَاءِ وَالذَّيَّالِ   يَسْمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الأَزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ[١١٣٥]
فُحُولُهَا وَالْعُوذُ وَالْمَتَالِي   تَوَدُّ لَوْ يُتْحِفُهَا بِوَالِي[١١٣٦]
يَرْكَبُهَا بِالْخُطْمِ وَالرِّحَالِ   يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الأَهْوَالِ[١١٣٧]
وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالِي   وَمَاءَ كُلِّ مُسْبِلٍ هَطَّالِ[١١٣٨]
يَا أَقْدَرَ السُّفَّارِ وَالْقُفَّالِ   لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الأُسْدَ بالثَّعَالِي[١١٣٩]
أَوْ شِئْتَ غَرَّقْتَ الْعِدَا بِالآلِ   وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الإِلَالِ
لَآلِئًا قَتَلْتَ بِاللَّآلِي[١١٤٠]
لَمْ يَبْقَ إِلا طَرَدُ السَّعَالِي   فِي الظُّلَمِ الْغَائِبَةِ الْهِلَالِ
عَلَى ظُهُورِ الإِبِلِ الأُبَّالِ   فَقَدْ بَلَغْتَ غَايَةَ الآمَالِ[١١٤١]
فَلَمْ تَدَعْ مِنْهَا سِوَى الْمُحَالِ   فِي لَا مَكَانٍ عِنْدَ لَا مَنَالِ[١١٤٢]
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِي   النَّسَبُ الْحَلْيُ وَأَنْتَ الْحَالِي

بِـالْأَبِ لَا بِـالـشَّـنْـفِ وَالْـخَـلْـخَـالِ حَلْيًا تَحَلَّى مِنْكَ بِالْجَمَالِ[١١٤٣]
وَرُبَّ قُـبْـحٍ وَحُـلًـى ثِـقَـالِ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي المِعْطَالِ[١١٤٤]
فَـخْـرُ الْـفَـتَـى بِـالـنَّـفْـسِ وَالْأَفْـعَـالِ مِـنْ قَـبْـلِـهِ بِـالْـعَـمِّ وَالْأَخْـوَالِ[١١٤٥]

هوامش

(١) تأنَّ: تمهل، ويروى: تأيَّ: توقف. والضمير في عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأنَّ. وتنيل: تعطي. يقول: أمهل سيرك وترفق في رحيلك واحسب هذا التمهل من جملة ما تعطيه، يعني أنا نعده منك نوالًا وعطاء لو أقمت ساعة. وهو ما ذكر في البيت التالي.

(٢) وجودك: أي وَجُدْ جُودَكَ: مصدر نائب عن عامله منصوب به. والمقام: الإقامة. وقليلًا: خبر كان محذوفة بعد «لو»، واسمها ضمير المقام. يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة، فإن الذي تجود به لا يعد قليلًا؛ لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل، كما قال ابن الطثرية:

وَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكِ وَكُلٌّ مِنْكِ غَيْرُ قَلِيلِ

وكما قال إسحاق الموصلي:

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

(٣) الكبت: الإغاظة والإذلال. وأصل الكبت: الكبد فقلبت الدال تاء، أخذ من الكبد، وهو معدن الغيظ والأحقاد، فكأن الغيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه؛ لهذا يقال للأعداء: هم سود الأكباد. وأري: من الوري، وهو إصابة الرئة. وقال أهل اللغة: الوري — على مثال الرمي — قرح شديد يقاء منه القيح والدم، والعرب تقول للبغيض إذا سعل: وريا وقحابا، وللحبيب إذا عطس: رعيًا وشبابا. وفي الحديث: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرًا.» يقول المتنبي: جد بالإقامة لأكبت من يحسدني على قربك وأوجع رئة عدوي. ثم شبه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله؛ لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه. وقال أبو تمام في قبح الوداع:

قَبُحْتَ وَزِدْتَ فَوْقَ الْقُبْحِ حَتَّى   كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْوَدَاعِ

(٤) ويهدأ: عطف على أكبت. وتغلب: قبيلة الممدوح. والحيا: المطر. والقبيل: العشيرة. يقول: أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلًا من أياديك الغزار فقد أفرط حتى شككنا: أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب؟ شبههم بالمطر في الكثرة. وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

فقلت: نَدَى السماءِ أم ابنُ وَهْبٍ   تَجَلَّى نُورُهُ أَمْ عَاشَ وَهْبُ؟

(٥) يقول: كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود، فلما رأيت إفراط سيف الدولة في الجود صرت ألومه. قال أبو تمام:

عَطَاءٌ لَوِ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ   لَأَصْبَحَ مِنْ بَيْنَ الْوَرَى وَهْوَ عَاذِلُ

وقال البحتري:

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا   لَدَيْهِ لَأَضْحَى حَاتِمٌ وَهْوَ عَاذِلُهُ

وقال ابن القطاع: الضمير في «له» للسحاب؛ يعني صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه في السماح مخافة أن يكدر عليه الطريق.

(٦) النبو: الكلال. وسيف الدولة: مبتدأ، خبره: ما بعده، والجملة حال. يقول: لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل، والسيف إذا كان ماضيًا لا يخاف عليه الكلال. يريد: إني لم أطلب إليك عدم الرحيل في المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق.

(٧) الشواة: جلدة الرأس، وجمعها شوى. والغطريف: السيد الكريم في قومه وتمنى — بحذف إحدى التاءين — أي تتمنى. والمفرق: وسط الرأس. يقول: إن كل سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقًا لسيرك، يعني لشرفك لا يستنكف السيد من وطئك رأسه، بل يتمنى ذلك تشرفًا بك. وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام:

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٨) ومثل العمق: أي ورب مكان مثل العمق. والعمق: الموضع العميق. وقيل: وادٍ بعينه. يقول: ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمي فيه الوطيس حتى امتلأ من دماء القتلى جرت بك الخيل في مجاريه ولم تكترث لذلك، فكيف أخشى عليك قطع الطريق؟ وقد زاد ذلك إيضاحًا بالبيت التالي.

(٩) المنايا: جمع منية؛ الموت. والوحول: جمع وحل؛ ما يبقى في الأرض من آثار المطر. يقول: إذا تعود الإنسان خوض المهالك التي هي أسباب المنايا لم يبالِ بالوحول. يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر؛ لأنه تعود أن يخوض ما هو أشد من الوحل.

(١٠) الحزونة: جمع حزن؛ ما خشن من الأرض. وصعب: ضد السهل. يقول: من تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل؛ أي لم يمتنع عليه ولم يصعب سلوكه.

(١١) نشر الله الميت وأنشره: بعثه وأحياه. والخمول: سقوط الذكر. والخامل: الساقط الذي لا نباهة له. والاستفهام: للتعجب. يقول: كل من نكبته الليالي وأصابته بالمحن تخفره وتجيره منها بإحسانك، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره بإنعامك عليه. قال ابن وكيع: وهذا البيت منقول من قول ابن الرومي:

نَشَرْتُكَ مِنْ مَوْتِ الْخمولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَدْهَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرُ

(من أبيات يهجو بها ابن الرومي خالدًا القحطبي، وقبله:

أَخَالِد أَعْيَيْتَ الْهِجَاءَ وَفَنَّهُ فَقَوْلِي وَإِنْ أَبْلَغْتُ فِيكَ مُقَصِّرُ

وبعده:

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِامْرِئٍ مِنْ نُشُورِهِ إِذَا كَانَ لِلتَّخْلِيدِ فِي النَّاسِ يُنْشَرُ)

هذا: ويقال خفر الرجل يخفر خفرًا: أجاره ومنعه وأمنه، وكان له خفيرًا يمنعه، وكذلك خفره تخفيرًا، قال أبو جندب الهذلي:

وَلَكِنَّنِي جَمْرُ الْغَضى مِنْ وَرَائِهِ　　　يُخَفِّرُنِي سَيْفِي إِذَا لَمْ أُخَفَّر

والاسم من ذلك: الخفرة والخَفارة والخُفارة — بالفتح والضم — ويقال: أخفرته إذا بعثت معه خفيرا، وأخفرت الرجل: إذا نقضت عهده وغدرت به، وأخفر الذمة: لم يف بها.

(١٢) الحسام: السيف القاطع. يقول: نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال، وأنت حسام يعيش به القتيل؛ أي أنك تحيي من قتله الفقر وأماته الذل بجودك — كما بين ذلك في البيت التالي.

(١٣) يقول: إن فعل السيف هو القطع فقط، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل والقطع؛ لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء. والقطع: منصوب؛ لأنه استثناء مقدم. ومثله قول الكميت:

وَمَالِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ　　　وَمَالِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

والبر: المحسن. والوصول. الذي يصل الناس؛ أي يجيزهم بالعطاء.

(١٤) يقول: أنت الفارس الرابط الجأش الذي يصبر الجيوش ويقول لهم: اصبروا صبرًا على عض الحرب، وقد عظم الخطب واشتد القتال، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا الفرس على الصهيل. فقوله صبرًا: مفعول مطلق، نائب عن عامله، وهو مقول القول.

(١٥) وفيه قصد: أي استقامة. يقول: قد بلغت من المهابة والشرف أن الجماد يعرفك؛ فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل، مع أن فيه قصدًا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن ينالك مع طوله هيبةً لك. والمعنى أن الأبطال تتحاماه في الحروب فلا تجترئ على مطاعنته.

(١٦) يقول: لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال: أنا أحيد عنك وأقصر — مع طولي — عن طعنك لهيبتك وشرفك. وهذا من قول الآخر:

إِنَّ السِّنَانَ وَصَدْرَ السَّيْفِ لَوْ نَطَقَا　　　لَخَبَّرَا عَنْكَ يَوْمَ الرَّوْعِ بِالْعجبِ

وللحصني:

يُثْنِى عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ حَدُّ الْمُهَنَّدِ وَالسِّنَانُ اللَّهْذَمُ

وأصله قول عنترة:

لَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

(١٧) يقول: لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل، ولكن الدنيا لا تخلد أحدًا وشنشنتها إفناء خلانها، فهي مطبوعة على الغدر، وإلا لخلدتك. وهذا من قول عدي بن زيد:

فَلَوْ كَانَ حَيٌّ فِي الْحَيَاةِ مُخَلَّدًا لَخلدتَ، لَكِنْ لَيْسَ حَيٌّ بِخَالِدِ

ومثله لمحمد بن يزيد المهلبي:

لَوْ خَلَّدَ اللهُ مَخْلُوقًا لِنَجْدَتِهِ لَكَانَ رَبُّكَ فِي الدُّنْيَا مُخَلِّدَهُ

(١٨) المشرفية: السيوف. والمراد بالعوالي: الرماح. والمنون: المنية، وقيل: الدهر، ومن ثم يؤنث ويذكر، ويكون واحدًا وجمعًا. يقول: نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران، ولكن المنية تخترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال، فلا تغني عنا تلك الأسلحة شيئًا.

(١٩) السوابق: الخيل. والمقربات: المدناة من البيوت، إما لفرط الحاجة أو للضن بها، فلا ترسل إلى الرعي. والخبب: ضرب من العدو — الجري — لا يستفرغ الجهد. يقول: ونرتبط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا ألم بنا حادث، ومع هذا لا تنجينا من سعي الليالي، وخببها في آثارنا؛ فإنها تقتلنا وتدركنا حيثما كنا. وبديع قول عبد الله بن طاهر في الدهر:

كَأَنَّنَا فِي حُرُوبٍ مِنْ حَوَادِثِهِ فَنَحْنُ مِنْ بَيْن مَجْرُوحٍ وَمَطْعُونِ

(٢٠) من: استفهام إنكاري. وقوله إلى الوصال: يُروى إلى وصال؛ أي مواصلة. يقول: من الذي لم يعشق الدنيا من قديم الدهر؟ أي أن كل أحد يهواها، ولكن لا سبيل

إلى دوام وصالها، فقوله إلى الوصال: أي إلى دوام الوصال، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته، ولكنها لا تدوم على الوصال.

(٢١) نصيبك — الأول — مبتدأ، خبره: نصيبك — الثاني — يقول: إن حظ الإنسان من وصال حبيبه في حياته كحظه من وصال خياله في منامه؛ فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه. جعل العمر كالمنام والموت كالانتباه من المنام، كما قال أبو تمام:

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

وقال التهامي:

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِي

(٢٢) الأرزاء: جمع رزء؛ المصيبة. وحتى: ابتدائية. والغشاء: ما يغطي الشيء. يقول: كثرت عليَّ أرزاء الدهر وترادفت على قلبي فجائعه حتى لم يبقَ منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من سهام الدهر.

(٢٣) النصال: جمع نصل؛ الحديدة التي في السهم. يقول: فصرت الآن إذا رماني الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبي؛ إذ لا تجد لها موضعًا للإصابة، وإنما تتكسر نصالها على النصال التي قبلها؛ لأنها تصطك بعضها ببعض. قال الواحدي: وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالت عليَّ حتى هانت عندي، والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك في البيت التالي. وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع — وما أكثر ما يتجنى على المتنبي — قال: لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر، وأما أن يكون الرمي من ناحية واحدة فلا يصح ذلك، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح:

لَمْ يَنْتَظِرْنَ فتستبيك قُلُوبٌ حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشْقُهنَّ مُصِيبُ
نَجْلٌ يُتَبِّعْنَ السِّهَامَ بِمِثْلِهَا فَلَهُنَّ مِنْ تَحْتِ النُّدُوبِ نُدُوبُ

فهذا كلام يصح مثله؛ لأن الندوب القديمة يتبعن ندوبًا حديثة. ومثله لأخي ذي الرمة:

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ　　وَلَكِنَّ نَكْأَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

(قيل: إن إخوة ذي الرمة هم: مسعود وهشام وجرفاس، وأن مسعودًا رثى بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما، وقيل: كانوا أربعة؛ غيلان ومسعود وهشام وأوفى وكلهم شعراء، كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب عليها، وقبل هذا البيت:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيلَانَ بَعْدَهُ　　عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلْآنُ مُتْرَعُ
نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ وَافَتْ رِكَابُهُمْ　　لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءُوا بِشَرٍّ وَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بَاسِقَ الْأَخْلَاقِ لَا يُخْلِفُونَهُ　　تَكَادُ الْجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى الْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ　　وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا)

(٢٤) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله: رماني الدهر. يقول: وهان الدهر عليَّ فلا أحفل بمصائبه علمًا بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة. وهذا من قول الحماسي:

وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى الْبَيْنِ تَنْطَوِي　　وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي مِنَ النَّوَى　　وَإِن بَانَ جِيرَان عَلَيَّ كِرَامُ

ومثله قول الخريمي:

صَبَرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ　　وَهَلْ جزعٌ أَجْدَى عَلَيَّ فَأَجْزَعُ؟!

ويروى بدل هان فما أبالي: وها أنا ما أبالي.

(٢٥) يقول: هذا الناعي — وكان نعيها ورد إلى أنطاكية — أول الناعين جميعًا لأول امرأة ماتت في هذا الجلال؛ يعني لم تمت امرأة قبلها أجلُّ منها، وميتة — بفتح الميم — أي ميتة، فخففت. ورويت: مِيتة — بكسر الميم — يعني الحال التي ماتت عليها، قال الواحدي والرواية الأولى أوجه؛ لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الأحوال. هذا، وقولهم: جاءني القوم طرًّا؛ أي جميعًا منصوب على المصدر أو الحال، قالوا: ولا تستعمل إلا حالًا، واستعملها خصيب النصراني المتطبب في غير الحال. وقيل له: كيف أنت؟ فقال: أحمد الله إلى طرِّ خلقه، قال ابن سيده: أنبأني بذلك أبو العلاء. وفي نوادر الأعراب: رأيت بني

فلان بطرٍّ؛ إذا رأيتهم بأجمعهم. والناعون: جمع ناعٍ، وهو الذي يأتي بخبر الميت. والنعي والنعي: خبر الموت أو الدعاء بموت الميت، والإشعار به، نعاه ينعاه نعيًا ونعيانًا، وقال الجوهري: كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرسًا وجعل يسير في الناس ويقول: نعاءِ فلانًا؛ أي انعه وأظهر خبر وفاته، وقال ابن الأثير: أي هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان، وهي مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال، بمعنى أدرك وانزل، وأنشدوا للكميت:

نعاءِ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ ... وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ

(٢٦) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتًا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه. ومن بديع ما قيل في الموت — وليس من قبيل بيت المتنبي، ولكنه ينظر إليه من بعيد — قول الحسن البصري: ما رأيت حقًّا أشبه بباطل من الموت. وقال البحتري:

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ

وقال زين العابدين أو جرير:

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ وَاجَهَتْنَا ... وَنَلْهُو حِينَ تَغْدُو رَائِحَاتِ
كَرَوْعَةِ ثُلَّةٍ لِمَغَارِ ذِئْبٍ ... فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ

(الثلة: القطيع من الغنم.)
وأخذه محمد بن وهب فقال:

نُرَاعُ لِذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ ... وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
يَقِينٌ كَأَنَّ الشَّكَّ أَغْلَبُ أَمْرِهِ ... عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ

(٢٧) صلاة الله: مغفرته ورحمته. والحنوط: طيب يخلط لغسل الميت؛ يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت، وجمال وجهها مكفنًا بالجمال، كأن الجمال كفن لوجهها، وفي ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها، وكأنه يقول: رحم

الله وجهها الجميل. قال ابن وكيع: وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار، وهو من قول النمري:

تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرَوْحٌ عَلَى تِلْكَ الْمَحلَّةِ وَالْحُلُولِ

وعبارة ابن الإفليلي: رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيبها الجمال كما غيبها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس.

(٢٨) على المدفون: بدل من قوله: على الوجه — في البيت السابق — وذكر على إرادة الشخص. وصونًا: مفعول له. واللحد: الشق في جانب القبر. والخلال: الخصال يقول: إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن في الترب، وقبل أن تدفن في اللحد كانت مدفونة في كرم الخلال؛ أي إنها كانت محجبة مستورة قبل أن تستر بالتراب، وكان كرم خصالها يمنعها ويعفها عن كل ما لا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد.

(٢٩) ذكرناه: أي ذكرنا إياه، فاعل جديدًا. ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز، ومثله قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، وأنشد سيبويه:

وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهِمَاهَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَابُهَا

(الضغم: العض ما كان، وقيل أن يملأ فمه مما أهوى إليه، ومنه سمي الأسد ضيغمًا — بزيادة الياء — قال الشنتمري: وصف هذا الشاعر عضة أصابه بها رجلان فيقول: قد جعلت نفسي تطيب لإصابتهما بمثل الشدة التي أصاباني بها، وضرب الضغمة مثلًا ثم وصف الضغمة فقال: يقرع العظم نابها فجعل لها نابًا على السعة، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه. قال: واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدي والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة، وقبله:

سَقَيْتُكُمَا قَبْلَ التَّفَرُّقِ شَرْبَةً يَمُرُّ عَلَى بَاغِي الظَّلَامِ شَرَابُهَا

«والظلام: جمع ظلامة».)

يقول: إن شخصه وإن كان يبلى في القبر إلا أن ذكرنا إياه جديد باقٍ أبدًا لا يبلى، قال الخريمي:

وَإِنْ تَكُ لِلْبِلَى أَمْسَيْتَ رَهْنًا ‏ ‏ ‏ ‏ فَقَدْ أَبْقَيْتَ مْجدًا غَيْرَ بَالِي

(٣٠) الخوالي: المواضي. يقول: مت في العز والعفاف، فموتك كان موتًا يتمنى مثله من بقي من النساء ومن مضى منهن. وهذا يسلي النفس عنك إذ فزت بخيري الدنيا والآخرة.

(٣١) يقول: ومما يسلي النفس عنك أنك فارقتنا دون أن تري يومًا كريهًا يبغض لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن في مثل هذه الحال، وهذا من قول بعضهم:

وَهَوَّنَ مِنْ وَجْدِي وَلَيْسَ بِهَيِّنٍ ‏ ‏ ‏ ‏ سَلَامَتُهَا بِالْمَوْتِ مِنْ جَرْعَةِ الثُّكْلِ

(٣٢) مسبطر: ممتد. ويروى: مستظل ومستطيل، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر، قال: إن ذكرها في مرثية النساء من الخذلان المبين ... والصاحب مولع بنقد المتنبي وذمه بالحق وبالباطل، وإلا فالكلمة لا غبار عليها. وقال العروضي: سمعت أبا بكر الشعراني خادم المتنبي يقول: قدم علينا المتنبي وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة، وقال مستظل، قال العروضي: وإنما غيرها الصاحب وأنكرها عليه. يقول: مت وأنت في هذه الحال من العز المتطاول والملك الكامل من ملك ابنك.

(٣٣) المثوى: المنزل؛ يريد قبرها الذي أقامت به. والغادي: السحاب يغدو بالمطر. والنوال: العطاء. يدعو لها بأن يسقي قبرها سحاب يفضل السحاب فيضًا كما كان عطاء كفها يفضل عطاء الأكف سخاء. وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء.

(٣٤) الساحي: الذي يقشر الأرض بشدة انصبابه. والأجداث: القبور. والحفش: شدة الوقع، ويقال حفشت السماء حفشًا: إذا جادت بالمطر. وحفشت الأودية: سالت. والمخالي: جمع مخلاة؛ الوعاء الذي يجعل فيه التبن والشعير للدابة. بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه على القبر بالقشر كأيدي الخيل إذا رأت مخالي الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها. قال الواحدي: وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطر يحفر حفر أيدي الخيل. وقال ابن جني: الغرض من الدعاء للقبور بالغيث؛ الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة، وهو مذهب العرب، ألا ترى إلى قول النابغة:

وَلَا زَالَ قَبْرٌ بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحٌّ وَوَابِلُ
فَيُنْبِتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوِّرًا سَأُتْبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ

(الحوذان: نبت يرتفع قدر الذراع، له زهرة حمراء في أصلها صفرة، وورقته مدورة. والحافر يسمن عليه، وهو من نبات السهل، حلو طيب الطعم. والعوف: نبت طيب الريح.)

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأمرع له.

(٣٥) يقول: لم أرَ مجدًا خاليًا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد؛ لأنك كنت صاحبته الملازمة له، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه. وقوله: خالي؛ إما جعلته نعتًا لمجد — أي ليس لي عهد بمجد خالٍ عنك — وإما جعلته حالًا سادة مسد الخبر، كما تقول: عهدي بك شجاعًا. وأسكنه للضرورة، أو على لغة من يقول: رأيت قاضي.

(٣٦) العافي: السائل وطالب المعروف. يقول: إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله البكاء عن أن يسألها كعادته. قال البحتري:

فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيبُنَا! وَلا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْبُكَا كَيْفَ نَسْأَلُ!

(٣٧) ما — في ما أهداك — تعجبية. والجدوى: العطاء والإفضال. والفعال: الفعل الحسن. يقول: ما أعرفك بالإفضال على العافي! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء، ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كعادتك في الحياة.

(٣٨) قال الواحدي: يقسم عليها بحياتها، يقول لها: هل سلوت عن حب النوال فإن قلبي وإن بعدت عنك غير سالٍ عن نوالك؟ وقال ابن جني وآخرون: هذا مما وضعه في غير موضعه، ولا يجوز أن يُرثى بمثل هذا، قالوا: والمعنى هل سلوت عن الحياة فإني غير سال عن الحزن عليك، أذكرك وإن كنت بعيدًا عن أرضك، وأندبك وإن كنت منتزحًا عن موضعك.

(٣٩) على: بمعنى مع، وجملة بعدت ... إلخ: نعت لمكان، والعائد محذوف: أي بعدت فيه. والنعامى: ريح الجنوب، سميت بذلك؛ لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها. والشمال: الريح التي تهب من ناحية القطب. يقول: نزلت — على كراهتنا لنزولك — في مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح.

(٤٠) الخزامى: نبت طيب الريح. والطلال: جمع طل؛ المطر الخفيف. يقول: وحجبت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار. يشير إلى ما كان يحيط بها في حياتها من الرياض والبساتين، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها.

(٤١) أراد بالدار: القبر. ومنبت: منقطع. ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره إياهم، وانقطع وصاله عنهم. فالمراد بالحبال: الشمل. وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدي:

تَبَدَّلَ دارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةً … سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ
أَقَامَ بِهَا مُسْتَوْطِنًا غَيْرَ أَنَّهُ … عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمُقَامِ غَرِيبُ

(٤٢) الحصان: العفيفة. وحصان: مبتدأ، وفيه: خبر. والمزن: السحاب. يقول في هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن في النقاء والطهارة، كاتمة للسر، صادقة في القول.

(٤٣) يعللها: أي يعالجها من علتها. والنطاسي: الطبيب الحاذق. والشكايا: واحد شكوى؛ يريد الأمراض التي تشكى، وأراد بواحدها: ابنها سيف الدولة الذي هو واحد الناس. والواو: للحال. يقول يعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض، والحال أن ابنها طبيب المعالي؛ أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب.

(٤٤) الثغر: موضع المخافة من فروج البلدان. والأسل: الرماح. جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقي لنفي ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضًا، فزاد الاستعارة بذلك حسنًا. يقول: إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لغلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة. يعني: ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت؛ لأنه لا دافع له، والأصل في هذا المعنى قول ليلى الأخيلية:

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً … تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا … غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا

وقال أبو تمام:

وَقَدْ نُكِسَ الثَّغْرُ فَابْعث لَهُ   صُدُورَ الْقَنَا فِي ابْتِغَاءِ الدَّوَاءِ

(٤٥) الحجال: جمع حجلة؛ بيت صغير في جوف البيت يستر النساء. يقول: ليست كغيرها من النساء اللواتي يعد لها القبر سترًا؛ لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر.

(٤٦) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد، وقيل: بالفتح، النعش إذا كان الميت فيه، وبالكسر: النعش وحده. والتجار: جمع تَجر — بالفتح — جمع تاجر، مثل: صحاب وصحب. يقول: ولم تكن من نساء السوقة يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر؛ أي أنها كانت ملكة.

(٤٧) حوليها: كحولها، تقول: حولك وحوليك وحواليك وحوالك: الجميع بمعنى واحد. والمرو: حجارة بيض براقة. والزف: صغار الريش. والرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام. يقول: لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حواليها حفاة يطئون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطئون ريش النعام.

(٤٨) النقس: المداد. والغوالي: جمع الغالية؛ أخلاط من الطيب يتضمخ بها. يقول: خرجت لموتها نساء كن مخبآت في الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالمداد مكان الغالية التي كن يتطيبن بها حزنًا للمصيبة بموتها. ولعله يريد جواري المرثية، وهذا منقول من قول بعضهم:

قَدْ كَانَتِ الْأَبْكَارُ بِيضًا فَاغْتَدَتْ   سُودًا لِفَقْدِكَ أَوْجُهُ الْأَبْكَارِ
وَهَتَكْنَ أَسْتَارَ الْحَيَاءِ وَطَالَمَا   سُتِرَتْ مَحَاسِنُهُنَّ بِالْأَسْتَارِ
وَظَهَرْنَ لِلْأَبْصَارِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ   بِالْحُجْبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ

ومثله:

قَدْ كُنَّ يخبأنَ الْوُجُوهَ تَسَتُّرًا   فَالْآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَّارِ

(٤٩) يقول: فجعن بفقدها على حين غفلة. فبينا هن يبكين دلالًا على سبيل الدعابة إذ بكين حزنًا، فاختلط الدمعان، فهن يبدين الدلال مع الحزن والذلة مع الحسن.

(٥٠) يقول: لو كان نساء العالم كهذه المرثية في الكمال لفضلن على الرجال. يعني أن هذه المرثية كانت أفضل من الرجال، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل — أي فضلهن على الرجال — قال ابن وكيع: وهذا ينظر إلى قول علي بن الجهم:

إِذَا مَـا عُـدَّ مِـثْـلُـكُـمْ رِجَـالًا فَمَا فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ

(٥١) ما — هنا — تميمية، ولك أن تجعلها حجازية فتنصب «عيب» و«فخر». يقول: لم تزرِ بها الأنوثة، كما لا يزري بالشمس تأنيث اسمها، والذكورة لا تُعَدُّ فضيلةً في أَحَدٍ كما لا يحصل للقمر فخر بتذكير اسمه:

وَالشَّمْسُ لَيْسَ بِضَائِرٍ تَأْنِيثُهَا وَتَزِيدُ بِالنُّورِ الْمُنِيرِ عَلَى الْقَمَرْ

(٥٢) أفجع: مبتدأ، خبره: من وجدنا. ومفقود المثال: مفعول ثانٍ لوجدنا. يقول: أشد المفقودين فجعةً على الفاقدين من كان مفقودَ النظير في حال حياته، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره، وبمَن يتسلى عمَّن لا نظير له؟

(٥٣) الهام. الرءوس. ويريد بالأوالي: الأوائل، فقلب، وهو كثير في كلامهم. يقول: ندفن أمواتنا ونمشي على رءوسهم بعد الموت. يعني لا نخلو من فقدٍ ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم، والأصل في هذا المعنى قول النابغة:

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِي

(٥٤) النواحي: الجوانب. وكحيل: بمعنى مكحولة، خبر «كم». يقول: كم عينٍ كانت تقبَّل إعزازًا وإكرامًا فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة!

(٥٥) أغضى الرجل عينه: قارب بين جفنيها، هذا أصل الإغضاء، ثم استعمل في الحِلم، فقيل: أغضى على القذى؛ إذا أمسك عفوًا عنه. والخطب: الأمر العظيم. والهزال: النحول. يقول: وكم من إنسان أغضى للموت وكان لا يغضي لنزول خطب به، وكم من بالٍ تحت التراب وكان إذا رأى في جسمه هُزالًا يشتغل قلبه به ويفكر في علاجه! وهذا ينظر إلى قول البحتري يرثي غلامه قيصر:

وَأَصْفَحُ لِلْبِلَى عَنْ ضَوْءِ وَجْهٍ غَنِيتُ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

(٥٦) يقول: استعن بالصبر على هذا الرزء الذي فجعت به، فأنت أهل الصبر الثابت على الأرزاء حتى لفقت الجبال في هذا وبودها أن تكون مثلك في ثباتك.

(٥٧) الحرب السجال: التي تكون مرة لك ومرة عليك. يقول: مثلك في غنًى عن أن يصبر ويعزى، فقد ألفت الخطوب وتمرست بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت في غنًى عن أن تصبر.

(٥٨) شتى: جمع شتيت، بمعنى متفرق. يقول: يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة، فحالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان، كما قال الآخر:

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ وَلَا يُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالِ

(٥٩) غاض الماء: قل ونضب، وغيض الماء: فعل به ذلك. والجموم: الذي يزداد ماؤه وقتًا بعد وقت. و«على»: بمعنى مع. والظرف: في موضع الحال من فاعل جموما. والعلل: الشرب الثاني بعد النهل. والغرائب: الإبل الغريبة التي تردد على الحوض وليست لأهل الحوض. والدخال: أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربًا. يقول — على طريق الدعاء: لا نقصت بحارك يا بحرًا كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه. وهذا تمثيل؛ يريد: لا ينقص عطاؤك وإن كثر العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثر وراده. أو تقول: لا ينقطع صبره على توالي المحن وشدتها؛ يدعو له بذلك.

(٦٠) المحال: المعوج، من قولهم: حالت القوس والعصا ونحوهما؛ إذا اعوجت بعد استواء. يقول: أنت بين الملوك كالمستقيم بين المعوج؛ أي أنك تفضلهم فضل المستقيم على المعوج. وقوله: في الذين أرى ملوكًا؛ أي في الذين أراهم ملوكًا، فملوكًا: مفعول ثانٍ لأرى، والمفعول الأول: الضمير المحذوف.

(٦١) يقول: إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب، فقد يفضل بعض الشيء جملته، كالمسك — وهو بعض دم الغزال — وقد فضله فضلًا كثيرًا. قال الواحدي: قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي: كان سيف الدولة يسر بمن يحفظ شعر المتنبي، فأنشدته يومًا:

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا

وكان أبو الطيب حاضرًا فقلت: هذا البيت والذي يتلوه لم يسبق إليه. فقال سيف الدولة: كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت، فأعجب المتنبي واهتز، فأردت أن أحركه، فقلت: إلا أن في أحدهما عيبًا في الصنعة، فالتفت المتنبي التفات حنق فقال: ما هو؟ فقلت: قولك: مستقيم في محال، والمحال ليس ضد الاستقامة، وإنما ضدها الاعوجاج. فقال الأمير: هب القصيدة جيمية، فكيف تعمل في تغيير قافية البيت الثاني؟ فقلت عجلًا كرد الطرف:

فَإِنْ تَفُقِ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْبَيْضَ بَعْضُ دَمِ الدَّجَاجِ

فضحك، وضرب بيده الأرض، وقال: حسن مع هذه السرعة، إلا أنه يصلح أن يباع في سوق الطير؛ لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن.

(٦٢) إلام: هي «إلى» الجارة، و«ما» الاستفهامية، وسقطت الألف من «ما» طلبًا للخفة وإعدادًا بإلى الجارة، وكذلك يفعلون في: «مم» و«فيم» و«عم» و«علام» و«حتام». والعاذل: اللائم. والواو — في «ولا أرى» حالية. و«الطماعية» مصدر بمعنى الطمع، كالكراهية والعلانية. يقول إلى متى يطمع العاذل في أن أستمع كلامه والحب يقع اضطرارًا لا اختيارًا، والعاقل لا يقع في شرك الحب برأيه واختياره فلا معنى للوم فيه؛ لأن المحب مغلوب على أمره. وهذا منقول من قول بعضهم:

وَمَا مِنْ فَتًى فِي النَّاسِ يُحْمَدُ عَقْلُهُ فَيُوجَدُ إِلَّا وَهْوَ فِي الْحُبِّ أَحْمَقُ

قال العكبري: وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره، وأين قوله في ظاهره: ولا رأي في الحب، من قوله: إلام طماعية؟ قال: وفي تعلقه به وجوه أحدها يريد إلام يطمع عاذلي في إصغائي إلى قوله، والعاقل إذا أحب، لم يبقَ له مع الحب رأي يصغي به إلى قول ناصح فعذله غير مجدٍ نفعًا؟ والثاني أن العاقل لا يرتئي في الحب فيقع فيه اختيارًا، وإنما يقع اضطرارًا، فلا معنى لعذله، والثالث أن العاقل ليس من رأيه أن يورط نفسه في الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل. وعذل الجاهل أضيع من سراج في الشمس، وكيف يطمع في نزوعه؟

(٦٣) يقول: يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم، فكيف أنتقل عن شيء طبعت عليه والطبع لا يقبل النقل؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف:

لَا تَحْسَبَنِّي عَنْكُمُ مُقْصِرًا   إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعُ

ويروى: ويأبى الطباع، على أن الطباع مفرد، بمعنى الطبع، لا جمع طبع، وجمع طبع: ككتاب وكتب.

(٦٤) يقول: بلغ من عشقي لكم وحبي إياكم أني أحب نحولي فيكم؛ لأن سببه حبكم، وأحب كل ناحل من الناس في الحب، لأنه يشبهني في أثر حبكم. قال ابن جني، وفيه معنى قول أبي الشيص:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً   حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وهو معنى قول الآخر:

أُحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى   أُحِبُّ لِأَجْلِهَا سُودَ الْكِلَابِ

(٦٥) زلتم: بعدتم. يقول، ولو فارقتموني ولم أبكِ على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبي إياكم، يعني: أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عني الحب لبكيت على فراقه لاغتباطي بما ألاقيه في هذا الحب. قال العكبري: وقوله: ولو زلتم وتعقيبه في آخر البيت بالزائل، من أبواب البديع في الشعر.

(٦٦) المسلك السابل: الطريق الكثير المارة. يقول: كيف ينكر خدي ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهي تجري منه في طريق مذلل قد جرت فيه كثيرًا فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها؟

(٦٧) يقول: ليس دمعي الآن بأول دمع جرى فوق خدي، وليس حزني على هذا الفراق بأول حزن على مفارق. يعني أنه قديم العشق قد بكى كثيرًا وحزن على فراق الأحبة.

(٦٨) يقول: تركت السلو لمن يلومني على الوجد، فهو حظه — لا حظي — إذ لي من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللائم.

(٦٩) الثاكل: التي فقدت ولدها. يقول: تباعد ما بين جفوني سهرًا فليست تلتقي النوم، فكأنها ثياب ثاكل شقت. يعني: إني فقدتهم وفقدت النوم بعدهم، فكأن جفوني شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن، وهذا كقوله الآتي:

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا

قال العكبري: شبه مقلتيه في حزنهما بتلك الثاكل في وجدها، وتبعيد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادًا، وهذا مما شبه فيه شيئان بشيئين، وهو من أرفع وجوه البديع. وأخذ المهلبي الوزير هذا المعنى فقال:

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي ... فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(٧٠) أبو وائل: هو ابن عم سيف الدولة، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج. يقول: لو كان الذي أسرني شيئًا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل؛ إذ ضمن للخارجي الذي أسره مالًا حتى خرج من أساره، وقد بين ذلك فيما يلي.

(٧١) النضار: الذهب. والقنا الذابل: الرماح، والرمح يوصف بالذبول للينه. يقول: ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء؛ إذ أتى الخارجي بجيشه وقتله وأنقذ أبا وائل.

(٧٢) مناه الشيء: جعله أمنية له. والأمنية: ما يتمنى. والمجنوبة: الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها. والباسل: الشجاع. يقول: أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل في فدائه، فجاءت الخيل، ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم.

(٧٣) أفل القمر: غاب. يقول: كنا بعد أسره كأننا في ظلمة، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله.

(٧٤) يخاطب سيف الدولة. يقول: دعاك لاستنقاذه فأجبته، ولو سكت لما قعدت عنه ولما غفلت، فكم ساكت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة! وبعبارة أخرى: دعاك على بعد محله فأجبته على انتزاح مستقره، ورب ساكت لبعده عنك، كالمخاطب لك، لما يوجبه كرمك من اهتمامك بشأنه، واعتنائك بأمره.

(٧٥) بك: أي بنفسك. والجحفل: الجيش. يقول: فجعلت إجابته أن أتيته بنفسك في جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه.

(٧٦) النقع: الغبار. والعارض: السحاب. والوابل. المطر الكثير. وخرجن: أي الخيل. يقول. خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العراق في مطر.

(٧٧) الصفا. الصخر. والماحل. الذي لم يمطر. يقول: لما نشفت الخيل من العرق تلقت السياط من أعجازها بمثل الصخر الذي لا ندوة به، يعني أنها لم تسترخِ ولم تضعف لما لحقها من التعب، وإنما كانت صلبة تضرب بالسياط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل.

(٧٨) يقال: شفنت الرجل؛ إذا نظرت إليه بمؤخر عينك، أو نظرًا في إعراض، وأنشد الجوهري للقطامي:

يُسَارِقْنَ الْكَلَامَ إِلَيَّ لَمَّا حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونِ

قال: وهو الغيور ... والمراد هنا: النظر. يقول: نظرت الخيل إلى أبي وائل — الذي كانت جادة في طلبه — قبل النظر إلى نازل عن ظهورها، يعني أن فرسان هذه الخيل لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليالٍ حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة، وأوقعوا بالقوم الذين أسروه.

(٧٩) دانت: فاعلت، من الدنو: أي قاربت. والثرى: التراب. يقول: فساخت قوائمها في التراب إلى مرافقها ثقة بأن الدم الذي سيسفكه فرسانها سيغسلها ويزيل عنها ذلك التراب، ويروى بدل الثرى: البرى، وهو التراب. قال مدرك بن حصن الأسدي:

مَاذَا ابْتَغَتْ حُبِّي إِلَى حَلِّ الْعُرَى؟ حَسِبتنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى

بِفِيكَ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى

(يقال في الدعاء على الإنسان: بفيه البرى، كما يقال: بفيه التراب. ومن دعائهم: بفيه البرى، وحمى خيبرا، وشر ما يرى، فإنه خيسرا.)

والبرية منه؛ لأنهم من التراب، فهو على هذا غير مهموز، تقول: براه الله يبروه بروًا أي خلقه. وقيل: البرية الخلق، وأصله الهمز، يقال: برأه الله.

(٨٠) الكاذة: لحم الفخذ. والمستغير: الذي يطلب الغارة. والبائل: الذي يتفحج — يباعد ما بين رجليه — ليبول. يقول: إن هذه الخيل المستغيرة على هؤلاء الخوارج كانت لشدة العدو — الجري — تتفحج كما يتفحج البائل لئلا يصيبه البول. ويجوز أن يريد — كما قال الواحدي — أنها تعرق في عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها كأنها تبول.

(٨١) الردينية: الرماح، تنسب إلى ردينة؛ امرأة كانت تقوِّم الرماح. والمصبوحة: الفرس التي تسقى اللبن صباحًا لكرامتها على أهلها. والشائل: يريد بها الشائلة، فحذف الهاء، وهي الناقة التي قل لبنها وخف ومرؤ ونجع في شاربه، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل. قال ابن القطاع: حذف الهاء لإقامة الوزن، والشائلة: التي مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها، وجمعها شول، والشائل — بلا هاء — التي تشول بذنبها ولا لبن لها، وجمعها شول، كراكع وركع ... قال ابن جني: سألت المتنبي عن قوله: الشائل، وقلت له: الشائل لا لبن لها، وإنما التي لها بقية من لبن يقال لها: الشائلة بالهاء، فقال: أردت الهاء وحذفتها، كقول كثير:

لَعَمْرِي لَئِنْ أُمُّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلَتْ وَأَخْلَتْ لِخَيمَاتِ الْعُذَيْبِ ظِلَالَهَا

أراد العذيبة، فحذف الهاء. يقول المتنبي: إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجي بالرماح الردينية وبالخيل التي تُسقى لبن النياق صباحًا لكرمها.

(٨٢) وجيش: عطف على كل — في البيت السابق — والمراد بالإمام: الخارجي. يقول: ولقيت هذه الخيل جيش إمام في قومه صحيح الإمامة عليهم، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين ... وإنها لكلمة بارعة قوله: صحيح الإمامة في الباطل. وقال ابن جني: معناها قد صح أن إمامته باطلة لا شك في ذلك. والتفسير الأول أوجه.

(٨٣) ينحزن: من الانحياز، وهو كالانهزام؛ الانضمام إلى جانب. والعاسل: الذي يجني العسل من خلايا النحل. قال شارحو الديوان جميعًا: أي أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل. وقال اليازجي: أي إن خيل الممدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل؛ يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة، وهو الأظهر والأوجه.

(٨٤) يقول: فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعًا يأكلهم ويفنيهم، يعني كنت أشجع منهم وإن كانوا شجعانًا.

(٨٥) يقول: إن أكلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعًا، وأنت وإن بالغت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر — الظالم — إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل؛ إذ لم ينفلت منهم أحد، وهو معنى بديع. وقال ابن جني: هذا الضرب وإن كان لإفراطه جورًا فهو في الحقيقة عدل؛ لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله. وفي معناه لحبيب:

أَنْ لَسْتَ نِعْمَ الْجَارُ لِلسُّنَنِ الْأُلَىٰ　　إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بِئْسَ الْجَارِ

(بئس الجار: يريد للكفار.)

(٨٦) الشذان: المتفرقون. والدرة: اللبن إذا كثر وسال. والحافل: التي حفل ضرعها؛ أي امتلأ باللبن. يقول: إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر، بل اجتمعوا فيه اجتماع اللبن في الضرع، وبعبارة: جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته، كجمع الضرع لدرته.

(٨٧) يقول: إذا نظرت إلى الفارس — وهو أقدر على الفرار من الراجل — تحير فزعًا منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة.

(٨٨) الناصل: الذي ذهب خضابه. يقول: فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء لحاهم بدمائهم، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعني أنه إذا ضرب إنسانًا بسيفه لم يبقَ فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة.

(٨٩) يقول: إنه مستغنٍ بقوته عمن ينصره فلا يستنصر أحدًا مستغيثًا إليه ولا يجزع ولا يستكين من خذلان من يخذله؛ لأنه من نفسه الكبيرة في جيش.

(٩٠) يزع: يكف. والطرف: الفرس الكريم. والمقدم: مصدر، أو اسم مكان؛ أي عن إقدام أو عن محل إقدام. والطرف: النظر. والهائل: الأمر العظيم المخيف. يقول: ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه؛ أي لا يخاف شيئًا ولا يخشى أحدًا فيرتد ويرجع، ولا يهوله شيء فيرد طرفه — نظره — عنه.

(٩١) التبل: الثأر. و«لم يشأه»: لم يسبقه. يقول: إذا طلب ترة — ثأرًا — لم تفته وإن كانت ممتنعة صعبة الحصول كالدين عند المماطل، وإن طال العهد.

(٩٢) يستهزئ بهم، يقول: اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبي وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم … والذي أتاهم به هو الوقيعة بهم.

(٩٣) حمص: كانت موضع الواقعة. ومن قابل: أي العام القابل. يقول: إن كان قد حصل لكم مرادكم في عامكم هذا من قصة حمص فعودوا في السنة التالية ليعود إليكم القتال!

(٩٤) الحسام: السيف القاطع. والخضيب: المخضوب. يقول: فإن السيف الذي خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال في يد من قتلكم به، فمتى عدتم لقيتم في المرة الثانية كما لقيتم في الأولى.

(٩٥) على السائل: متعلق بـ «يجود». يقول: هو جواد يجود على سائله بمثل الذي طلبتموه من الضمان فلم تدركوه؛ لأنكم طلبتموه لا عن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان.

(٩٦) الكتيبة: الجماعة من الجيش. والظرف: حال عن الضمير المستكن في الخبر بعد، وهو قوله: مكان السنان، فإنه خبر عن محذوف، هو ضمير الممدوح. وتزهى: تفتخر. والجملة: حال من الكتيبة. والعامل: صدر الرمح. يقول: هو من عساكره الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح، فهو يتقدمهم كما يتقدم السنان الرمح، وهو الطاعن، وهم بدونه لا يغنون شيئًا.

(٩٧) البازل من الإبل: الذي قد فطر نابه وظهر في السنة التاسعة، وجمل بازل وناقة بازل، بلفظ واحد. وكان الخارجي قد ركب ناقة، وهو يشير بكمه يحث أصحابه على القتال، فهو يقول: إني لأعجب ممن يؤمل ظفرًا بتحريك كم وركوب ناقة!

(٩٨) بماضٍ: أي بسيف ماضٍ؛ أي قاطع. والحائل من الخيل: التي لم تحمل، وإذ حالت الفرس فهو أشد لها. يقول: هل أوحى الله سبحانه إليه أن لا تلقى جيش سيف الدولة بسيف على فرس؟ وقد كان هذا الخارجي يدعي النبوة ويقول: لا آتي إلا ما أمرني الله به، فقال المتنبي: آلله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها؟

(٩٩) الهامة: الرأس. وبراها: قطعها. والكاهل: أعلى مجتمع الكتفين. يقول: هل قال الله له: لا تلقهم بسيف إذا ضربت به رأسًا قطعه ووصل إلى عظيم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه؟ وجعل ذلك الصوت كالغناء منه، كما قال أبو نواس:

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ لَهَا خَطوهُ وَسْطَ الْغِنَاءِ قَصِير

«يعني بالحلية: القيد.» فنقل المتنبي وصف القيد إلى السيف.

(١٠٠) يقول: ليس الخارجي بأول من دعته همته إلى ما لا يناله. وكان هذا الخارجي يطمع في الخلافة والملك.

(١٠١) اللج: معظم الماء. والبيت مَثَلٌ، يقول: إن هذا الخارجي فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها — أو إنه في ادعائه النبوة وطمعه بها في الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة؛ وهو أحد أمراء الإسلام — كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والموج يغمره في ساحله. يعني أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير.

(١٠٢) الفاصل: القاطع، ويروى: الفاضل. يقول: أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويُبقي عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها؟

(١٠٣) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه. يقول: هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسري إليهم غير محمول. يعني إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفردًا بفعله، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفيًا بنفسه. والمعنى أنه المستقل بالمحاماة عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه.

(١٠٤) النقا: الكثيب من الرمل. يقول: دست رءوس أصحاب الخارجي بحوافر الخيل فطحنتها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رءوسهم شيء.

(١٠٥) يقول: تركتهم جزرًا للسباع فأخصبت بكثرة القتلى، فكأنك أنبت لها ربيعًا بما وسعت عليها من لحومهم. فلو قدرت السباع لأثنت عليك بما شملتها من إحسانك.

(١٠٦) الحُلِي: جمع حَلْي؛ ما يتزين به. والعاطل: التي لا حلي عليها. يقول: وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلي إلى من لا حلي لها، أي أن زينة حلب بك.

(١٠٧) الناعل: ذو النعل، كما أن الدارع ذو الدرع، وفي المثل: أطري إنك ناعلة. (قال أهل اللغة: هذا المثل يقال في جلادة الرجل، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوي عليه. وأصل هذا: أن رجلًا قاله لراعية له وكانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة، فقال لها: أطري — أي خذي في أطرار الوادي — وهي نواحيه — فإنك ذات نعلين. قال الجوهري: وأحسبه عنى بالنعلين: غلظ جلد قدميها.) يقول: إن ما فعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب. جعل الحافي مثلًا لمن لم يتأهب والناعل مثلًا للمتأهب.

(١٠٨) الشية: لون يخالف بقية لون الجلد. والأبلق: الذي فيه سواد وبياض. والجائل: الذي يجول بين الصفين. يقول: كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشتهر اشتهار الشية في الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل.

(١٠٩) الواغل: الداخل على القوم في شرابهم من غير أن يدعى، أما الذي يدخل على القوم في طعامهم فهو الوارش. يقول: وكم لك من يوم حمي فيه الوطيس وتعاطى بنوه كئوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله، وتكره المشاركة في ذلك الشراب، وهذه استعارة جميلة.

(١١٠) العناة: جمع عانٍ؛ الأسير. والعفاة: جمع عافٍ؛ السائل. يقول: ديدنك فك الأسرى، وإغناء السائلين، والعفو عن المذنبين.

(١١١) معطيكه: معطيك إياه. والآجل: ما قابل العاجل. والآجل في غير هذا الموضع: من قولهم أجل عليهم شرًّا يأجله أجلًا: خبأه وهيجه. قال توبة ابن مضرس العبسي:

وَأَهْلِ خِبَاءٍ آمِنِينَ فَجَعْتُهُمْ بِشَيْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُه
وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى أَسْأَلُ الْقَوْمَ: مَا لَهُمْ؟ سُؤَالكَ بِالشَّيْءِ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُه

«أنا آجله: أي جانيه. وقد كان مر بصبية يتضاربون، فاستغاثه بعضم على بعض، فضرب صبيًّا منهم فمات، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به.» يدعو المتنبي له بأن الله الذي أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئًا له وأن يرضى عنه في الآخرة بسعيه.

(١١٢) المومس والمومسة: الفاجرة. والكفة: الحبالة؛ أي الشرك. والحابل: الصائد ذو الحبالة. يقول: إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالمومس لا تقيم على خليل، وهي أخدع من حبالة الصائد التي تصرع من اطمأن إليها.

(١١٣) الطائل: كل شيء يرغب فيه أو ما فيه غناء. يقول: تفانى الناس في التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شيء؛ لأنها تأخذ ما تعطي، وتهدم ما تبني وتمر بعد حلاوتها، وتعوج بعد استقامتها، قبحها الله وقبح من تهالك عليها!

(١١٤) الأسل: الرماح. يقول: أعلى المماليك رتبة ما أخذ اقتسارًا وغلابًا، لا ما جاء عفوًا، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبل؛ أي يستلذ الطعن استلذاذ القبل. وعجز البيت من قول أبي تمام:

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ لَا يَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

والذي يؤخذ من كلام العكبري أن الضمير في محببهن للطعن، على أنه جمع طعنة، وإلا لقال: عند محببه. والأظهر عوده إلى الممالك — جمع مملكة — سلطان الملك في رعيته.

(١١٥) تقلقل: تحرك حركة عنيفة. والقلل: جمع قلة؛ أعلى الرأس، من قلة الجبل يقول: لا تستقر السيوف في الممالك حتى تتحرك زمانا في رءوس الأعداء، يريد: لا يثبت لك الملك حتى تقطع رءوس المعادين لك. قال العكبري: وأشار بذلك إلى انصراف الديلمي عن الموصل بغير حرب هيبة لسيف الدولة. قال: وفيه نظر إلى قول حبيب:

سَأَجْهدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنَّنِي أَرَى الْعَفْوَ لَا يمتَاح إِلَّا مِنَ الْجَهْدِ

ونصب دهرًا على الظرفية، ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناه على الضم.

(١١٦) يقول: مثلك إذا حاول أمرًا بعيد المنال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا، يعني أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه؛ لأنه يتمكن منه بما له من العدة والاعتزام الذي ذكره في البيت التالي.

(١١٧) عزمة: عطف على طول الرماح. وزحل: مبتدأ، خبره: بمكان الترب، والجملة: نعت همة. يقول: وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل — الكوكب المعروف — بقدر علو زحل عن التراب.

(١١٨) الأعاصير: جمع إعصار؛ الريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة. والتوحش: بمعنى الوحشة. ويريد بملقي النصر: سيف الدولة؛ أي يلقى النصر حيثما قصد، أي يستقبل به. ومقتبل: قال الواحدي: أي حسن تقبله العيون، وقيل: من قولهم: رجل مقتبل الشباب؛ أي ليس عليه للكبر أثر. يقول: على الفرات — النهر المعروف — رياح تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة، وفي حلب وحشة؛ لأنك بعدت عنها.

(١١٩) تتلو: تتبع. ونفذت: مضت. والأبدال: جمع بدل. يقول: إن رماحه تتبع كتبه إلى أعدائه فهو ينذرهم أولًا، فإن لم يطيعوه صمد إليهم بجيوشه، ويجعل الخيل بدلًا من الرسل؛ أي لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه، فليست كتبه لاستصلاح أو استعتاب وإنما هي للإعلام بأنه قادم؛ لأنه لا يحب الظفر اغتيالًا ومواراة لثقته بنفسه. وهذا من قول الفرزدق:

شَدِيدُ الْحميَّا لَا يخاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ يُنَازِلُه

وقول صريع الغواني:

مَنْ كَانَ يَخْتِلُ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنَّ قِرْنَ عَلِيٍّ غَيْرُ مختتلِ

(١٢٠) جزر السباع: اللحم الذي تأكله، ويقال تركوهم جزرًا؛ إذا قتلوهم. وما أعدوا: عطف على الملوك. والنفل: الغنيمة. يقول: إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم وبجيوشهم، فلا يكونون إلا مأكلًا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه.

(١٢١) الضمير في مهجته: لسيف الدولة. والذكر: من أوصاف السيف. والهندي: السيف. والخلل: أغشية الأغماد. يقول: إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من الأبطال والرجال كما يصان السيف الهندي بالخلل. وعبارة العكبري: لما علم الخليفة أنه سيفه الذي يسطو به صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم في رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه، كما يصان السيف الكريم بالأغماد التي يتخلل فيها، والجفون التي يحفظ بها. وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيبه بسيف الدولة.

(١٢٢) يقول: إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد أتى به بكرًا ويكون أبا عذرة ذلك الفعل، ويقول ما لم يقله أحد في بلاغته وجزالته ولم يترك أيضًا؛ لأن كل بليغ يريد أن يأتي بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه. قال العكبري: من روى الفعل بالنصب أراد: يفعل الفعل ويقول القول؛ لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل. ومن روى بالجر جعله مضافًا: كقوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾.

(١٢٣) غاله يغوله: ذهب به. وأصله الإهلاك. والعجاجة: الغبرة. والطفل: وقت غروب الشمس. يقول: يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس بغباره حتى يصير الظهر كوقت الطفل. وهذا إشارة إلى كثرة جيشه.

(١٢٤) الساطع: المنتشر. والضمير المضاف إليه: للعجاجة. يقول: إن ما سطع من غبار هذا الجيش ملأ كل فضاء، فكان الجو أضيق شيء به؛ لأنه على سعته ملأه حتى ساوى أضيق ما فيه، وكانت عين الشمس فيه أحير العيون؛ لأنه بلغ إليها وأحاط بها. وكل هذا مبالغة. وعبارة العكبري: ما بعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار مما قرب؛ لأنه فيه تجتمع جملته وتتراقى كثرته، وما قرب فإنما يرده الشيء بعد الشيء فينجلي منه ولا يجتمع، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه.

(١٢٥) يقول: إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك فما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضًا لو قصدها؛ لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده. وقال بعض الشراح: يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع موضعها وهي ناظرة إليه غير مساوية في الارتفاع له فتقابله وجلة من ذهابه بنورها. وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته.

(١٢٦) عرضه: جعله معترضًا. والنازلات: النوائب. ويقال: ظاهر بين ثوبين؛ إذا لبس أحدهما فوق الآخر، وأصله المعاونة. والغيل: جمع غيلة؛ اسم من الاغتيال. يقال قتل فلان غيلة: أي اغتيالًا. يقول: جعل سيفه معترضًا بينه وبين نوائب الدهر فلا تصل

إليه واستعان بالحزم في دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزًا بينهما؛ أي تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع، أي جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلًا بين نفسه وبين الهلاك.

(١٢٧) يقول: إنه وكل صادق ظنه بما ينطوي عليه الناس جميعًا ويخفونه دونه، فعلم ما أسروه وانكشف له ما أضمروه. يعني أنه ألمعي صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر.

(١٢٨) يقول: هو شجاع غير بخيل؛ لأن الشجاع يعد البخل جبنًا، لأن البخل معناه خوف الفقر، والخوف جبن، والشجاع لا يجبن، وهو جواد غير جبان؛ لأن الجواد يعد الجبن بخلًا، لأن معنى الجبن الجبن بالروح، والجواد لا يبخل، وإذن هو شجاع غير بخيل، وجواد غير جبان؛ أي إن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان. وهذا من قول أبي تمام:

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي وَغًى ... وَنَدًى وَمُبْدِي غَارَةٍ وَمُعِيدَا
يقْرِي مُرجِّيهِ مُشَاشَةَ مَالِهِ ... وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدَا
أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً ... تُدْمِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا

(يقري: يضيف. والمشاشة: رأس العظم يمكن مضغه. والثغرة: نقرة النحر.)

وعبارة ابن الإفليلي: يريد أنه الشجاع المتناهي الشجاعة. فالبخل عنده باب من الجبن؛ لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله. وهو الجواد المتناهي الجود، والجود بالنفس غاية الجود، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد. وهذا منقول من قول الآخر:

إِلَى جَوَادٍ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بخلٍ ... وباسلٍ بُخْلُهُ يَعْتَدُّهُ جُبُنا
يَلْقَى الْعُفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ ... قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْغِي بِهِ ثَمَنَا

وقد بين صريع الغواني أن الشجاعة جود بالنفس في قوله:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا ... وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

(١٢٩) أغذ: أسرع في السير. واحتفل بالأمر: اهتم. يقول: كثرت فتوحه وتوالت، ومن ثم لا يفتخر بها، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبالٍ لثقته بقوته وشجاعته. وعبارة العكبري: هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفخر بها ويسرع إليها، ولا يحتفل لها؛ استقلالًا لعظيم ما يفعله وارتفاعًا عن نهب من يقصده. قال ابن جني: فإن قيل: كيف يكون مغذًّا غير محتفل؟ فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه، وإن كان محتفلًا عند غيره؛ لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده.

(١٣٠) أجار عليه: منعه مما يطلبه. قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾؛ أي لا يمنع مما يريده. يقول: إذا رام الممدوح شيئًا لا يجيره عليه الدهر ولا يحميه منه، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده كان ما كان من البطولة. أو تقول: إذا تحصن قرنه بالدرع لم يمتنع بها.

(١٣١) خلعت: يروى: جعلت. يريد أن يقول: إذا مدحته تزين مدحي به أكثر مما يتزين هو بمدحي، فضرب لهذا المعنى مثلًا فقال: إذا ألبست عرضه حللًا وجدت تلك الحلل من عرض الممدوح في شيء أحسن من الحلل؛ أي أن عرضه أحسن من الحلل. وهذا من قول أبي تمام:

وَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا لِشِعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

والعرض: ما يمدح ويذم من الإنسان. والحلل: جمع حلة؛ الثياب. قالوا: ولا تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين، أو إزارًا ورداء.

(١٣٢) الجعل: ضرب من الخنافس. شبه شعره بالورد، وحاسده بالجعل. يقول: إذا أنشد الجاهل شعري تضرر به؛ لأنه لا يعرفه ويغيظه ذلك، فيظهر عليه من أثر الجهل والغيظ ما يظهر على الجُعل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل. وعبارة العكبري: إذا أنشد شعري بَعُدَ على فهم الجاهل، وأثر ذلك في نفسه، وانكشف له قدر تقصيره، واستضر بحسن قولي وبديع شعري كما يستضر الجعل برائحة الورد التي تؤذيه وتقتله لمضادته لها. يعني إنما يعرف شعري وجودته وجوهره من هو صحيح الفكر، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجعل، وإن كان مستلذًا في الحقيقة. قال: وهذا من قول الحكيم: الألفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل لنبو إحساسهم عنها.

(١٣٣) يقال: زيد خير الرجال، وهند خيرة النساء، فخيرة: مؤنث خير، بمعنى أفضل، أنثوها بالتاء تشبيهًا لها بالوصف المحض لمفارقتها صيغة التفضيل. وجربت: يروى: وجردت. يقول: أنت ملء كل عين بهيبتك وبهائك وأنت خير سيف لخير دولة، يعني دولة الإسلام.

(١٣٤) كشفه عن كذا: أكرهه على إظهاره. يقول: لا تمل الحرب وإن طالت؛ لأنك ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب، ولا تزل في رأي، فقد أوتيت السداد في التدبير حتى لا يفضي بك رأي إلى زلل.

(١٣٥) يقول: كم جمع الأعداء لك جموعًا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفى عن الأبصار حتى كأنهم رجال بلا أرض، فقتلتهم وأفنيتهم حتى خليت أرضهم فبقيت ولا رجل فيها. قال العكبري: وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب في صفة الجيش:

مَلَأَ الْمَلَا عُصْبًا فَكَادَ بِأَنْ يُرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَّامُ

(١٣٦) الطرف: الفرس الكريم. والثمل: السكران. يقول: ما زلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشي السكران؛ أي أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشي السكران.

(١٣٧) الناظران: العينان، والجذل: الفرح. يقول: إنه ملك لا يرد عن شيء، فما حكمت به عيناه استحسانًا فهو له؛ أي ما يريده مما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد، ولقلبه ما يحكم به مما يسر؛ أي إذا تمنى قلبه شيئًا وصل إليه لا يحول دونه حائل. وقال ابن الإفليلي: وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره، وحكم نفسه أن لا يعرفه الله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء … قال الواحدي: الحكم — ها هنا — اسم للمفعول، لا للفعل؛ فإن الناس مستوون في أفعال نواظرهم، وإنما يختلفون في المحكوم به. يقول: ما حكم به ناظرك استحسانًا فهو لك لا يعارضك فيه مانع، وكذلك الحكم فما يسره.

(١٣٨) وفقت: دعاء. يقول: أنت مسعود فيما تفعله: أقمت أو ارتحلت. قال العكبري: يشير بهذا إلى ارتحال الديلمي عن الموصل. يقول: إن الذي فعله الله لك من الموادعة التي اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة.

(١٣٩) يقول: عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى. قال العكبري: وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة، فقال له: أجرِ خيلك على ما كنت مجريها أولًا من غزو الروم وحماية الثغور، فقد كفاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمي، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد.

(١٤٠) ينظرن: أي الجياد. والأحجة: جمع حجاج، وهو العظم فوق العين. والعسالة: الرماح تهتز وتضطرب. والذبل: جمع ذابل، وهو اليابس. يقول: إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرماح؛ أي إن الرماح لا تقع إلا في مقاديمها، لأنها لا تنثني حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها. قال العكبري يشير بذلك إلى ما حضه عليه من غزو الروم وحماية الثغور، وأن خيله قد ألفت ذلك.

(١٤١) يدعو له يقول: لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك، ولا وصلت بها إلا ما تؤمله من الغلبة والظفر.

(١٤٢) يقول: بنا منك ونحن فوق الأرض الذي بك وأنت فيها، يعني أننا أموات حزنًا عليك، كما أنت ميت في الأرض، فإن هذا الحزن يضني ويهزل مثل الموت الذي يبلي الإنسان. وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثي جارية له تسمى ملكًا:

يَا ملكُ إِنْ كُنْتِ تَحْتَ الْأَرْضِ بَالِيَةً فَإِنَّنِي فَوْقَهَا بَالٍ مِنَ الْحُزْنِ

(١٤٣) الحمام: الموت. والثكل: فقد الحبيب. يقول: كأنك أبصرت ما بي من الوجد بك والحزن عليك فخفت أن تُبتلى بمثله لو عشت وفقدت حبيبًا عزيزًا عليك، فاخترت الموت على فقد الأعزة والحزن عليهم.

(١٤٤) الغانيات: جمع غانية، وهي التي غنيت بحسنها عن التحسين، والأعين النجل: الواسعة الحسنة. يقول: تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة عليك تذهب بحسن العيون. قال الواحدي: وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين، ويزيل حسنها، كما قال:

أَلَيْسَ يَضُرُّ الْعَيْنَ أَنْ يَكْثُرَ الْبُكَا وَيُمْنَعَ عَنْهَا نَوْمُهَا وَهُجُودُهَا؟

وإنما قال: «تذيب» ولم يقل «تزيل»؛ لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئًا فشيئًا، كان استعارة الإذابة لمثله أحسن، وأيضًا لما كان الذوب في معنى السيلان والدمع سائل،

كان كأن الحسن سال معه، وهناك قولان آخران؛ أحدهما: أن الحزن يحمي الدمع ويسخنه، وسخونة الدمع تذيب شحمة المقلة، فتذيب حسنها، والثاني: أن الحسن عرض لا يقبل الإذابة، يقول: هذه الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة، فكيف ما يقبلها؟

(١٤٥) الثرى: التراب. ومن المسك: تعليل. والجثل: الكثيف. يقول: إن هذه الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهي سود لامتزاجها بالمسك وحده؛ لأن الغانيات لا يكتحلن لأجل المصيبة، ولأن كحل أعينهن يغنيهن عن التكحل، وقد استعملن المسك قبل المصيبة فبقي في شعورهن، والكحل لا يبقى طويلًا، وهذه الدموع قطرت وهي حمر لامتزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سودًا، وإنما قطرت على الشعر؛ لأنهن نشرن الشعور وهي كثيرة، وفيها مسك، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها، وهذا من قول أبي نواس:

وَقَدْ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَا عَلَى خَدِّهَا حُمْرٌ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرُ

فجعلها صفرًا على النحر؛ لأنها اختلطت بالطيب الذي فيه الزعفران.

(١٤٦) الأسى: الحزن. يقول: إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب، وإن كنت طفلًا صغيرًا فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير. ومعنى المصراع الأول من قول أبي تمام:

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وَعَهِدْتُهَا لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ

والثاني من قول الآخر:

إِنْ تَكُنْ مُتَّ صَغِيرًا فَالْأَسَى غَيْرُ صَغِيرِ

(١٤٧) المخيلة — ها هنا — الفراسة، وهي في الأصل: السحابة التي يرجى مطرها. يقول: ليس البكاء عليك على قدر سنك؛ لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط البكاء عليك، وإنما تُبكى على قدر أصلك؛ إذ أنت من أصل كبير، وعلى قدر الفراسة فيك، إذ كنا نتفرس فيك الملك، فلهذا يكثر البكاء عليك.

(١٤٨) الاستفهام: للتقرير. والألى: بمعنى الذين. يقول مخاطبًا الميت: أنت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم، ونداهم من رماحهم، والبخل من قتلاهم؛ أي أنت من

القوم الذين أفنوا البخل بجودهم، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح تطعن بها مهجة البخل. وهذا من قول أبي تمام:

وَإِنْ أَزَمَاتُ الدَّهْرِ حَلَّتْ بِمَعْشَرٍ أُرِيقَتْ دِمَاءُ الْمَحْلِ فِيهَا فَطُلَّتِ

(المحل: الجدب، ويقال: طل دمه؛ أي أهدر.)
وقال ابن الرومي:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَسْمَحُ مِنْ شُجَاعٍ وَإِنْ أَعْطَى الْقَلِيلَ مِنَ النَّوَالِ
وَذَاكَ لِأَنَّهُ يُعْطِيكَ مِمَّا تَفِيءُ عَلَيْهِ أَطْرَافُ الْعَوَالِي

(١٤٩) الأعطاف: جمع العطف، وهو الجانب. يقول: إن صبي هؤلاء القوم كغيره من الأطفال لا ينطق، شأن كل طفل، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل في أعطافه ناطقًا، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة.

(١٥٠) المصاب: مصدر، بمعنى الإصابة. يقول: إن معاليهم تعزيهم عما يصيبهم، فهم يترفعون عن الجزع الذي هو شنشنة النفوس الوضيعة، أما من نبل قدره، وارتقت في المعالي همته؛ فإنه يتسلى بالمعالي عن الجزع والهلع، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله عن الشغل بما عدا ذلك. والعلياء بفتح العين والمد، أما بضم العين فهي مقصورة.

(١٥١) أقل: خبر مبتدأ محذوف، أي هم أقل بِلاء. والبِلاء: فعال من المبالاة. والرزايا: جمع رزية؛ المصيبة. والقنا: الرماح. وأقدم: أي أشد إقدامًا، استعمل أفعل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن، أو تقول: إنها من قدم يقدم إذا تقدم. قال حسان بن ثابت:

كِلْتَاهُمَا حلبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمِفْصَلِ

قبله:

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ

(فقوله كلتاهما: أي التي قتلت؛ أي مزجت بالماء، والتي لم تقتل؛ أي لم تمزج وأرخاهما للمفصل: أي التي لم تمزج — أي الصرف.)

أراد: أشد إرخاء والجحفل: الجيش العظيم يقول: هم لا يبالون بما يصيبهم من الرزايا كما لا يبالي بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا، والقنا جماد، والجماد لا يوصف بالمبالاة — وهم أشد إقدامًا لدى الوغى من السهام المرسلة التي تأبى إلا التقدم. وبعبارة أخرى: إذا أصابتهم مصيبة لم يبالوا بها، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها، فهم في ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالي بما يصيبها، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شيء، كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته.

(١٥٢) النصل: حديدة السيف. يقول: الزم عزاءك أو تعزَّ عزاءك الذي يقتدي به الناس فيتعلمون منه التعزي؛ لأنك قد تعودت الشدائد، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم المبالاة بمقارعة الحديد. فقوله: عزاءك: منصوب على الإغراء؛ أي الزم عزاءك. أو بفعل مضمر تقديره: تعزَّ عزاءك. والمقتدى به في موضع نصب صفة لـ «عزاءك» والضمير في «به» للعزاء.

(١٥٣) مقيم: إما صفة لنصل — في البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي أنت مقيم. والهيجاء: من أسماء الحرب. والصوارم: السيوف القواطع. يقول: أنت مقيم في كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت في أهلك. وهذا من قول أبي تمام:

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ ... بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إِلَى الْوَطَنِ

وقوله أيضًا:

لِتَعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ... غَدَاةَ الْوَغَى آلُ الْوَغَى وَأَقَارِبُهْ

(١٥٤) يقول: لم أرَ أحدًا غيرك لا يطيع دمعة الحزن، ولا أثبت عقلًا منك حين تخلو القلوب من العقول، يعني عند شدة الفزع وهول الحروب. يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش في الحروب. وعبرة: أي دمعة، تمييز.

(١٥٥) السليل: الولد، والأنثى: سليلة، قال أبو عمرو بن العلاء: السليلة بنت الرجل من صلبه. وقالت هند بنت النعمان:

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تجَلَّلَها بَغْلُ

(تجللها: علاها. وقوله: بغل، قال بعضهم: إنه تصحيف، والصواب: نغل — بالنون — وهو الخسيس من الناس والدواب؛ لأن البغل لا ينسل.)

والرجل: جمع راجل، وهم المشاة. يقول متعجبًا: إن المنايا تخونه في ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفعًا ولكنها تنصره في الحرب وتنفذ مراده في أعدائه، وفي هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان. وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد:

أَلَمْ تَعْجَبْ لَهُ أَنَّ الْمَنَايَا فَتَكْنَ بِهِ وَهُنَّ لَهُ جُنُودُ؟!

(١٥٦) الفرند: جوهر السيف وماؤه. ويبدو: أي الصبر. يقول: إن صبره باقٍ على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل. جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف. والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع — الصدأ — ظهر فرنده، كذلك هو، إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره.

(١٥٧) يقول: من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغنته عن تعزية غيره وأسلته عن مصيبته؛ لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو في دهره من الحوادث، ومن عرف هذا وطن نفسه على فقد الأحبة.

(١٥٨) يقول: ليس الموت إلا سارقا، بيد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسعى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه، وإنما هو سارق دق شخصه — أي لا شخص له — يصول دون كف يظهرها، ويسعى دون رجل ينقلها، فلا يُدرى كيف يأتي، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد، ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه.

(١٥٩) الشبل: ولد الأسد. والخميس: الجيش. يقال: إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه. يقول: إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعًا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل، وإنما يسلمه له، فهو يحمي ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير، وهذا مثل. يقول: إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيمًا، ولكن لا مدفع للموت.

(١٦٠) الوليد: المولود. وطرقت المرأة والناقة وكل حامل: نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه. قال أوس بن حجر:

لَهَا صَرْخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ   كَما طَرَّقت بِنِفَاسٍ بِكْرُ

يقول: أفدي بنفسي مولودًا صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهي الأرض — لا تطرق بالحمل. قال الواحدي: وإنما قال: لا تطرق؛ لأنها إما جماد لا تُوصف بالتطريق وإن كانت تسمى أمًّا، لكون الأموات في بطنها، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطونها بسهولة وسرعة، كما قال عز من قائل ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾. وفسر قوم هذا البيت على العكس، قالوا: معنى لا تطرق بالحمل: لا تخرج الولد من بطنها، والتطريق: إظهار الطريق — من قولهم: طرق طرق؛ أي خل الطريق — يقول: فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها. ثم قال: إن المتنبي كان لا يقول بالبعث، وليس بوجيه.

(١٦١) الروى بكسر الراء: مصدر روى من الماء، يقال: ماء روى بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمد؛ أي كثير مروٍ. والغلة: العطش. يقول: ظهر هذا الوليد وشمائله واعدة بالخير وعد السحاب بالري ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه ري السحاب.

(١٦٢) الخيل العتاق: الكرام. والركاب: ما توضع فيه الرجل من السرج. يقول: صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل.

(١٦٣) ريع: أخيف. وجاشت القدر: غلت وهاجت. والضروس: الشديدة العض. وما مشى، وما تغلي: حالان. يقول: إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمشِ بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم. وقوله: وما تغلي — أي الحرب — تنبيه إلى أن الحرب قامت معنًى لا صورة، وذلك المعنى هو الخوف. ومن روى: «يغلي» أراد: جاشت الحرب، ولم يغلِ الطفل حنقًا عليهم. ومن روى: يفلي — بالفاء — فهو من فليت رأسه بالسيف: أي ضربته؛ أي قبل أن يضرب الطفل بالسيف. ويروى: يقلي: أي لم يبلغ حد القلي والبغض لأعدائه.

(١٦٤) التوراب: لغة في التراب. والفطام: منع الصبي من الرضاع. وهذا استفهام إنكار وتوبيخ. يقول: أيفطمه التراب عن أمه باشتماله عليه قبل أن تفطمه أمه، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل؟! قال أشجع السلمي:

فَطَمَتْكَ الْمَنُونُ قَبْلَ الْفِطَامِ وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ

(١٦٥) وقبل يرى: أراد قبل أن يرى. يقول — مخاطبًا أباه: مات قبل أن يرى من جوده ما رأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية، وقبل أن يلام في الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت.

(١٦٦) السلم: المسالمة والصلح يذكر ويؤنث، وبفتح السين وكسرها. والوغى: الحرب. يقول: وقبل أن يلقى ما تلقاه أنت من ارتفاع الشأن وعظم السلطان في السلم، ومن ثمرة الظفر في الحرب، وقبل أن يصير مثلك ملكًا لا نظير له.

(١٦٧) توليه: صفة مليكًا. يقول: وقبل أن يتملك البلاد قسرًا فيغتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل. يعني أنه يتولاها قوة واقتسارًا بنفسه، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل.

(١٦٨) الموهب — كالموهبة — العطية. والجزل: الكثير. يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غنائه من الباكي، يقول: نبكي على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفتهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يُستغنَى بإحرازه، يعني أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر.

(١٦٩) يقول: إذا ألقيت بالك إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك في الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره في الإنسان كفعل السيف، ومن ثم كان الموت الذي ينتهي إليه الإنسان ضربًا من القتل، ومن أجل ذلك لا يجمل بالمرء أن يغتر بالبقاء، ويطمئن إلى هذه الدنيا، كما قال في آخر القصيدة: «وما الدهر ... إلخ». وعبارة الشراح: إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذي يتوقعه من القتل؛ لأن الأمرين متساويان في مكروههما، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره؟ وهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الأسف عليها. وبعبارة أخرى: إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل؛ إذ المصير في الحالين واحد، وهو فوات الروح، كما قال الآخر:

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ ... نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهْ

قال الواحدي: الداء الذي هو قاتله: الموت؛ لأنه محتوم على كل أحد، فجعل الموت قاتلًا. أقول: ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر: «وبه الداء الذي هو قاتله» البقاء الذي ينتهي به إلى الشيخوخة، ثم الموت. وهو معنى ينظر إلى ما جاء في الحديث: «كفى بالسلامة داء.» وفي معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور:

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

ويقول الآخر:

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ ... فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا ... لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ!

(١٧٠) التعلة: التعلل، يقال: فلان يعلل نفسه بكذا تعللًا وتعلة؛ إذا كان يطيب به نفسه. يقول: إن السرور بالولد الذي تحبه لا يدوم، وإنما هو تعلة إلى وقت والحزن بسببه أكثر من السرور به. ثم قال: خلوتك بامرأتك أذًى لك في الحقيقة؛ لأنها تجلب لك ولدًا تغتم من أجله، وتتأذى بتربيته، ولعل العاقبة إلى الثكل. ينهى عن الخلوة بالمرأة لئلا تلد. وقال ابن جني: وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدى ذلك إلى تأذيه بها؛ إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التي تلحق مواصل الغواني … والأول أوجه. وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده.

(١٧١) الحلواء: الحلاوة. قال زهير:

تَبَدَّلْتُ مِنْ حَلْوَائِهَا طَعْمَ عَلْقَمِ

يقول: جربت حلاوة الأولاد وقت شبابي فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم أقل ما قلته عن جهل وغفلة. يعني قوله: «هل الولد المحبوب إلا تعلة؟» ويجوز أن يكون قوله: «على الصبا» على صبا البنين — أي في حال صباهم — وعبارة ابن جني: لست أسليك إلا عما قد فجعت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه. قال الواحدي: وهذا — أي الذي قال ابن جني — بعيد.

(١٧٢) يقول: إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي، وإن ما أمليه من الحكم ونوابغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه. يعني أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله، فهي — مع أنها تأتي بالعجائب — لا تحسِن أن تكتب ما أمليه. فكيف تعلمه؟ يريد توكيد ما قدمه من حنكته وطبه بالأمور وما حض عليه من عدم الاكتراث للولد وفقده. وعبارة العكبري: ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتيقنه من شدة نكدها، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتمال عليه، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أمليه وتضبط ما أعده. والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أمليه من الحكمة والكلام النادر، فكيف تعلمه؟

(١٧٣) يقول: إن الدهر خوان ليس أهلًا أن ترجى عنده الحياة؛ لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل، وليس أهلًا لأن يشتاق فيه إلى الولد؛ لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينغص عيشه ويسأم معه الحياة، ولأنه لا يبقي على الولد بل يفجع به الوالد.

(١٧٤) الحلم: النوم. والمثال: الصورة. والزيال: المزايلة والمفارقة. والضمائر في البيت: للحبيب — وإن لم يجرِ له ذكر، لدلالة المقام — يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضًا وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب، كما قال أبو تمام:

صَدَّتْ وَعَلَّمتِ الْصُدُودَ خَيَالهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعًا من صدوده. يقول: لم يَجُدِ الحلم بالحبيب؛ أي لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أني أطلت تذكر وداعه ومفارقته وواصلت الفكر فيه ليلًا ونهارًا. يعني: تذكري في اليقظة الوداع والفراق أراني في النوم خياله، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم؛ أي إن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق. قال الواحدي ناقدًا: جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين ظنًّا منه أنه يرى الحبيب في النوم ويرى خياله. ورؤية الحبيب في النوم هي رؤية خياله لا رؤية شخصه بعينه. وقال بعض الشراح: يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقي يتذكر وداعه ورحيله، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته في وهمه، وصار إذا رأى خياله في الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور، لا عن العيان، فهو يقول: لولا استدامة هذا

التذكر ما جاد علي الحلم بمرأى خياله ولا خيال صورته. وهذا تفسير وجيه، وهو ينظر إلى قول القائل:

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنـْ ـنَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

(١٧٥) يقول: إن الذي أعاد المنام لنا خياله فأراناه في النوم كان ذلك الذي أرانا خيال الخيال. يعني أنا كنا نصور لأنفسنا في اليقظة خياله، فالذي رأيناه في النوم كان خيال ذلك الذي كان يتصور لنا فهو خيال الخيال. وهذا البيت تأكيد لما قبله من أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق. والمنام — في البيت — فاعل المعيد، وخياله: مفعول به. وقوله: «كانت إعادته» لك أن تجعل «كانت» تامة، بمعنى حصلت، وخيال خياله: منصوبًا بالإعادة. ويجوز أن يكون أراد بالإعادة: الشيء المعاد — على تسمية المفعول بالمصدر — فيكون «خيال خياله»: خبر كانت.

(١٧٦) يصف الحال التي رأى خيال الخيال عليها في النوم؛ يقول: رأيناه يعاطينا الشراب بكفه وما كان يجري في خاطره أن نراه للبعد الذي بيننا. والشاعر يجعل ما يراه في النوم كأنما يراه في اليقظة، قال البحتري:

أُرَدُّ دُونَكِ يَقْظَانًا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتِ وَسْنَانَا

ولأبي نواس:

إِذَا الْتَقَى فِي النَّوْمِ طَيْفَانَا عَادَا إِلَى الْوَصْلِ كَمَا كَانَا
يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ فَمَا بَالُنَا نَشْقَى وَيَلْتَذُّ خَيَالَانَا
لَوْ شِئْتِ إِذْ أَحْسَنْتِ لِي نَائِمًا أَتْمَمْتِ إِحْسَانَكِ يَقْظَانَا

(١٧٧) التشبيه في البعد، لا في الصورة. يقول: ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأنا نرى بقلائده الكواكب وبخلخاله الشمس، يعني رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة. وقال العكبري: ما في قلادته من الدر بالكواكب وخلخاله بعين الشمس، يريد لمعان خلخاله، وذكر أنه يجني الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلمسه إياها. قال: فأحرز قصبات التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة

عليه في حسن النظر، وأشار إلى المعانقة والملامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنيًا للكواكب وإلى الخلخال نيلًا لعين الشمس.

(١٧٨) القريحة: التي بها قروح من طول البكاء. والوله: التحير؛ أي ذهاب العقل من جراء الحب. وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل. يقول: بعدتم عن مرأى التي قرحت بالبكاء في سبيلكم وسكنتم في ظني وفكري — أي في قلبي — فليس يخلو القلب من ذكراكم. وظن الفؤاد يروى: طي الفؤاد، وهذا كقول القائل:

لَئِنْ بَعُدْتَ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتَ قَلْبِي فَسِيَّانِ عِنْدِي غَايَةُ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ

ومثله قول ابن المعتز المتقدم:

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

(١٧٩) يقول: استدناكم القلب بتفكره فالدنو من قبل القلب — لا من قبلكم — وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم، والسماح — على الحقيقة — إنما هو منه لا منكم؛ إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو، وإذن: لا منة لكم في هذا. ولما ذكر السماح ذكر المال لتجانس الصنعة، فالضمير في «عنده» وفي «ماله» للفؤاد.

(١٨٠) الطيف: الخيال، وأصل الطيف: الجنون، ثم استعمل في مس الشيطان، قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾، وقرئ: «طيف من الشيطان»، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم. يقال: طاف الخيال يطيف طيفًا ومطافًا: أي ألم في النوم. قال كعب بن زهير:

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الْخَيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ

(شعوف: يحتمل أن يكون جمع شعف. ويحتمل أن يكون مصدرًا وهو الظاهر. والشعف والشعوف: إحراق الحب القلب مع لذة يجدها.)

والضمير المستتر في «يهجرنا» للحبيب. وضمير «وصاله» للطيف. يقول: إنه يبغض طيف الحبيب؛ لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب. وعبارة العكبري: هو يبغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له؛ لأنه كان يهجره في زمن الوصل ولا يطرقه مع التئام الشمل، فيقول: رؤيتي الطيف عنوان الهجر. قال

ابن جني: هذا يسمى الأكذاب؛ لأنه قال في الأول: لا الحلم جاد به، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال، ثم ذكر أنه يبغض طيفه. وقال الواحدي: كان من حقه أن يقول: إذ كان يوصلني زمان الهجر؛ لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضًا له؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر.

(١٨١) لك أن تقرأ «مثل» بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف. وبالنصب: على تقدير: أبغضه بغضًا مثل. والصبابة: رقة الشوق. والأسى: الحزن، والضمير من «فارقته» للمحبوب. والجملة تفسير للمماثلة، أو حال من الصبابة وما يليها، والتي تعود إليها النون من قوله: «فحدثن» على حد قولك: جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس. يقول: فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء — الصبابة والكآبة والآسى — وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر.

(١٨٢) استقدت: اقتصصت، من القود، وهو قتل القاتل بالقتيل. والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول، فربما قتلوه به وربما عفوا عنه. والبلبال: الهم والحزن وهذا تمثيل. يريد: كان الهوى يؤذيني والحبيب غائب، فلما حضر جعلت إعراضي عن إجابة داعية الهوى وتعففي عما يجرني إليه جزاء له. وبعبارة أخرى: إني انتقمت من الهوى بتعففي وإعراضي عن إجابة داعيه، فأذقته بذلك من الغيظ مثل ما أذاقني من الحزن. قال ابن جني: قوله: من الهوى يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون العرض — أي الهوى نفسه — فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة. والآخر: أن يريد المرأة التي شبب بها فيكون على حذف مضاف؛ أي ذات الهوى.

(١٨٣) تستجفل الضرغام: تستدعي إسراعه في الهرب — من قولهم: جفل الظليم وأجفل إذا أسرع — والضرغام: الأسد. وأشباله: أولاده. وقوله: «لكل أرض»؛ أي لافتتاح أو غزو أو قتال كل أرض، وكنى بالساعة عن قصر المدة التي يستولي عليها وسرعة تمكنه منها. يقول: ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروع ما يضطره إلى الفرار عن أشباله لشدتها وهولها.

(١٨٤) الأجوال: النواحي، واحدها: جول، وجال. والضمير في «بها»: للساعة، ويجوز أن يكون للأرض. يقول: يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه، يجول في نواحيه. وفي البيت جناس بين «يجول» و«أجواله».

(١٨٥) السلاف: أجود الخمر، وهو أول ما يجري من ماء العنب من غير عصر. والجريَال: ما كان منه أحمر، وهو دون السلاف. يقول: إن الذي سمعه الناس من كلامي

ورأوه إنما هو بمنزلة الجريَال من السلافة؛ أي لم أخرج لهم مختار شعري وجيد كلامي، وإنما خبأته لسيف الدولة.

(١٨٦) الجياد: الخيل الكريمة. وبرزت: سبقت. يقول: إذا تعثر الشعراء المجيدون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه؛ يعني إذا لم يقدروا على السهل القريب كنت قادرًا على الصعب الممتنع، فجعل الجياد مثلًا لفحول البلاغة، والسهل والجبال مثلًا لسهل الكلام وصعبه.

(١٨٧) العراء: الأرض الواسعة الخالية. والناعج: الأبيض الكريم من الإبل. و«معتاده»: نعت لناعج. والضمير المجرور للبلد العراء. والمجتاب: القاطع، وهو الذي يقطع الأرض بالسير. والمغتال: المهلك؛ أي الذي يفنيه بالسير. يصف قوته على السير وقطع الفلوات، يقول: وحكمت في الفلوات أجوبها متى شئت بجمل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات، ومعنى حكمت فيه قطعت به، على ما قدرت كما أردت، لاعتمادي على قوة مطيتي.

(١٨٨) عدت: ركضت. والمطي: الإبل. والجمام: الراحة. يقال: جم الفرس يجم ويجم جمًّا وجمامًا وأجم: ترك فلم يركب، فذهب إعياؤه. وفرس جموم: إذا ذهب منه إحضار — جري — جاءه إحضار. وكذلك الأنثى، قال النمر بن تولب:

جَمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذُّنَابى يَخَالُ بَيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجَا

(قوله: شائلة الذنابي: يعني أنها ترفع ذنبها في العدو — أي الجري.)

والكلال: الإعياء. يقول: إن هذا الناعج يمشي على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه: أي إنه يسبق عدو الإبل ماشيًا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالًّا من طول السير وهي مستريحة، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال؟

(١٨٩) تراع: تخوف. ومعقلات: مشدودات بالعقال، يقال: عقل البعير وعقله واعتقله: إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعًا في وسط الذراع، وذلك الحبل هو العقال، والجمع: عقل. والمتجفل: المسرع. يقول: إذا طرأ على الإبل ما يروعها فنفرت فاشتد عدوها — جريها — وهي غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو في العقال فتصير وراءه.

(١٩٠) الأخفاف: جمع خف؛ مجمع فرسن البعير. والمراح: النشاط. والإرقال: الإسراع. يقول: بسيره أدرك ما أطلب من النجاح، فالنجاح في قوائمه، وهو نشيط في

عدوه لا نشاط إلا في إرقاله. وبعبارة أخرى: نجاحي كله منوط بقوائمه؛ لأني أبلغ مطالبي عليه، وهو نشيط لا نشاط إلا في إسراعه.

(١٩١) الخيس: أجمة الأسد. والرئبال: الأسد. يقول: صرت مشاركًا للخلافة في سيف الدولة؛ أي جعلته سيفًا لي، كما هو سيف دولة هاشم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه. يعني أن نظام أمري من عطاياه، كما أن نظام الدولة من رأيه.

(١٩٢) يقول: شققت خيس الملك عن الليث — الأسد — الذي أُعطي من الكمال ما لم تعطه الأسود؛ لأنه يشركها ببأسه ويفوتها بحسنه وجماله، فهو لحسنه إذا بطش بعدوه شغله النظر إلى جماله عن خوفه، وما يتوقعه من بأسه. والأسود إذا افترست فريسة أفزعتها لقبح منظرها. ومن روى: خوفه: فالخوف مضاف إلى المفعول؛ لأنه المخوف. ومن روى: خوفها: فالمصدر مضاف إلى الفاعل؛ لأن الفريسة هي الخائفة.

(١٩٣) تواضع — بحذف إحدى التائين — أي تتواضع. والآكال: الأرزاق والأقوات. يقول: إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريره ويظهرون له المحبة وهي — المحبة — من جملة الأرزاق التي تجبى له من مملكته؛ يعني أنه محبوب إلى كل أحد.

(١٩٤) النوال: العطاء. يقول: إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله، ويبش للسائل قبل أن يعطيه، ويعطيه قبل أن يسأله.

(١٩٥) عمدن: قصدن. والناظر: بمعنى المنتظر. ومقبلها — بكسر الباء — أي ما يستقبل؛ وهذا مثل لعجلته في العطاء وسبقه السائل. يقول: إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها في وصولها إليه، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له في الكرم والفضل.

(١٩٦) يقول: لم يخل أحد من إفضاله عليه، فمن كان دون الملوك ممن هم أهل للعطاء أعطاهم، أما الملوك فقد مَنَّ عليهم بالعفو عنهم وترك ممالكهم لهم، فتساوى الجميع في إفضاله عليهم. قال البحتري:

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا فَعَدَا الْمُقِلُّ عَلَى الْغَنِيِّ الْمُكْثِرِ

(١٩٧) هزه: أي تحريكه للعطاء بالسؤال. ووالى: تابع. وأن يقولوا: مجرور بـ «عن» محذوفة صلة أغنى. وواله: أمر من الموالاة، والضمير للعطاء. يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطاءه، فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال.

(١٩٨) الجدوى: العطية. والإقلال: القلة والفقر. يقول: لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطي عطاء كثيرًا ليصير مثله فقيرًا. وكذلك قال المتنبي نفسه حين سأله ابن جني عن معناه، قال المتنبي: أردت إفراطه في الجود، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلًّا — كسائله — فهو يفرط في إعطائه طلبًا للإقلال، فكأنه — لكثرة إعطائه — يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيرًا.

(١٩٩) فغرن: أي فغربن. والهموم: جمع هم، بمعنى همة. يقول: إن النجوم تغرب وتغور في مكان أدنى من همه وتطلع من مكان أدنى من الغاية التي ينالها؛ أي إن همته تبلغ إلى ما هو وراء النجوم، وينال أبعد منها. وعبارة الشراح: إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم، وتطلع النجوم من مشارقها وهي دون ما ناله بهمته. يعني أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانتزاح مغاربها ومطالعها تغرب مقصرة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم؛ أي لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله.

(٢٠٠) الجد: الحظ. وآل الرجل: أهله وأتباعه. يقول: يجدد الله له كل يوم سعادة ويجعل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه.

(٢٠١) يقول: لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده، فكأن سيف إقباله يقتلهم. جعل مهجهم تجري على إقباله تشبيهًا له بالسيف من طريق المشاكله. والمهجة: دم القلب والروح.

(٢٠٢) الوغى: الحرب. والسربال: الثوب. يقول: لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه أثرًا غير تلطيخ ثوبه بدمائهم التي سفكتها منهم صوارمه.

(٢٠٣) العرمرم: الجيش الكثير. ويقال: فصمه يفصمه فصمًا فانفصم: كسره من غير أن يبين. أما القصم — بالقاف — فهو الكسر فيه بينونة، يقال: قصمه يقصمه قصمًا فانقصم وتقصم. قال ذو الرمة يذكر غزالًا شبهه بدملج فضة:

كَـأَنَّـهُ دُمْـلـجٌ مِـنْ فِـضَّـةٍ نَـبَـهٌ   فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ مَفْصُومُ

(شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسي، وكل شيء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له فهو نبه، وقيل في نبه: إنه المشهور، وقيل: النفيس الضال الموجود عن غفلة لا عن طلب، وإنما جعله مفصومًا لتثنيه وانحنائه، ولم يقل: مقصوم — بالقاف

— فيكون بائنًا بائنين.)

والعرى — هنا — القوى. والأقتال: الأعداء، جمع قِتل — بكسر القاف — أي المقاتل. قال عبد الله بن قيس الرقيات:

وَاغْتِرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ   فِـي بِـلَادٍ كَـثِـيـرَةِ الْأَقْـتَـالِ

والضمير في «أقتاله» للممدوح، أو للجيش. يقول: لمثل سيف الدولة — أي له لا لغيره — يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو — لأنه يغنمه ويسلبه — كأنه جمع نفسه له. ثم قال: وبمثله من أولي الحزامة والتدبير انفصمت عرى أعدائه وانفرط عقدهم ولم يكونوا شيئًا مذكورًا. أو تقول: إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغني أمامه شيئًا.

(٢٠٤) المباهي: المفاخر. يقول للقمر: لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك لست من أمثاله في الحسن والنور. يعني أن من قال لك: إنك مثله فقد كذبك. وجعل القمر مباهيًا وجهه؛ لأنه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهي وجهه.

(٢٠٥) طما البحر: ارتفع وزخر. يقول: قل للبحر — إذا امتلأ ماء — دع هذا الامتلاء والافتخار به، فإنك لن تبلغ مبلغه من الجود. فالإشارة بقوله: «إذا» إلى ما يفهم من قوله: «طما» من العظمة والافتخار. وفي مثل هذا يقول البحتري:

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْثِ الرُّكَامِ وَلج فِي   إِبْـرَاقِـهِ وَأَلَـحَّ فِـي إِرْعَـادِهِ
لَا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا   بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِهِ

(٢٠٦) ورث الجدود: أي ورثه من الجدود، تقول: ورثت زيدًا مالًا؛ أي من زيد. ولابن: مفعول ثانٍ لرأي. والضمير في «أفعاله» يعود إلى الابن، و«لا» في قوله: «بلا أفعاله» في معنى غير. يقول: وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مفتخر بها؛ لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفًا دون أن يبني عليها. وبعبارة أخرى: وهب الذي ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم؛ لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن ما لم يشفعها هو بأفعال تماثلها. والأصل في هذا المعنى قول المتوكل الليثي:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ   يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا   تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقال كشاجم:

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأُعْظَمٍ مَقْبُورَةٍ   فَالنَّاسُ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقِ
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا   بِحَدِيثِ مَجْدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقِ

وقال الشريف الرضي:

فَخَرْتُ بِنَفْسِي لَا بِقَوْمِي مُوَفِّرًا   عَلَى نَاقِصِي قَوْمِي مَآثِرَ أُسْرَتِي

(٢٠٧) التراث: المال الموروث. وقوله: فني التراث سوى العلا: لأن المال يفنى بالهبة، والعلا لا تفنى، وإن ترك الافتخار بها. يقول: لما لم يبقَ من المال الموروث شيء قصد الأعداء بالرماح الطوال فامتلأت يده بغنائمهم. أو تقول: لما فني ما ورثه من الأموال لا من المعالي — لأنه لم يضع شيئًا من مجد آبائه — ركب إلى العدا فاتسعت يده بغنائمهم. وقوله: بطواله: أي طوال القنا.

(٢٠٨) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرته. وقيل: سمي الجيش العظيم «أرعن»؛ لأن له فضولًا كرعان الجبال، شبه بالرعن من الجبل؛ وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدمًا، ومن ذلك سميت البصرة رعناء: أي تشبيهًا برعن الجبل. قال الفرزدق:

لَوْلَا أَبُو مَالِكٍ الْمَرْجُوُّ نَائِلُهُ   مَا كَانَتِ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وَطَنَا

والعجاج: الغبار. يقول: قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد دروعًا من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه، والجيش كلما كثر كثر الغبار. ومن في قوله: من أذياله: زائدة، كما تقول: جاء يهز من عطفه.

(٢٠٩) القذى: ما يقع في العين من الغبار ونحوه. والنقع: الغبار. وغض الطرف: كسره وخفضه. والضمير في نقعه: للجيش. وفي عنه وإجلاله: للجيش، أو لسيف الدولة. يقول: أظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع في ضوئه قذًى من الغبار، يعني أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى في عينه، أو كأن النهار غض طرفه إجلالًا

له. قال الواحدي: وطرف النهار هو الشمس، فالمعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس وسترها بتكاثفه.

(٢١٠) قلب الجيش: وسطه. يقول: الجيش على الحقيقة جيشك، فكل جيش سوى جيشك ليس بجيش، لكنك جيش جيشك؛ لأنه بك يتقوى، وقلبه وجناحاه تتقوى بك. أو تقول: الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حكمك، ولكنك أنت في الحقيقة جيشه الذي يقي قلبه وجناحه ويحتمي بك، وإذا احتمى الملوك بجيوشهم فأنت تحمي جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك. قال أبو تمام:

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

(٢١١) هذا تبيين لما ذكره في البيت السابق من أنه جيش جيشه. يقول: لأنك تقاتل عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعان المر دونهم، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فتكفيهم القتال ومقاساة الطعان. وترد: من ورود الماء. يريد تشبيه الطعان بالمنهل؛ ولذلك وصفه بالمرارة.

(٢١٢) يقول: كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليبقوا ويسلموا، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامي دونهم، وهذا غاية الكرم والشجاعة. وقد بنى المتنبي هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الإخشيد؛ وذلك أنه جمع جيشًا وزحف به على بلاد سيف الدولة، فبعث إليه سيف الدولة يقول: لا تقتل الناس بيني وبينك، ولكن ابرز إليَّ فأينا قتل صاحبه ملك البلاد. فامتنع الإخشيد ووجه إليه يقول: ما رأيت أعجب منك! أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقي به نفسي ثم أبارزك؟! والله لا فعلت ذلك أبدًا.

(٢١٣) لا تختطى: لا تتجاوز. يقول: لا يوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال، كما قال:

وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ

(٢١٤) علي: اسم سيف الدولة. والمنصل: السيف. يقول لأن تلك المرارة على ما ذكر جاوزها — قطعها — الممدوح وحده؛ لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله، فأدركه حين طلبه بالسيف.

(٢١٥) يؤمم: يقصد. يقول: هو — سيف الدولة — سيف يقصد ويطلب ما يؤمله، ولكنه أمضى من السيف في بلوغ آماله.

(٢١٦) المهمه: المفازة البعيدة. وطاله — من قولهم: طاولته فطلته: أي غلبته في الطول، يقول: إذا سار في الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده، وإن سار في الجبل علاه فصار فوقه، وليس هذا من أعمال السيف.

(٢١٧) نال ينول: إذا أعطى. وثمر ماله: أحسن القيام عليه وأنماه. يقول: أنت بما تعطينا كالمالك الذي ينمي أمواله، ولكنك تنمي بعضها ببعض.

(٢١٨) الضيغم: الأسد. ورشحه للأمر: هيأه وأهله. والفرس بمعنى الافتراس. والشبل: ولد الأسد. يقول: أنت — لأنك تمرست بمقارعة الأبطال، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران — أسد ينهج لأشباله ما يأتيه ويفعله ويضريها على ما يمتثله. يعني أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباله للافتراس فيعلمها ذلك.

(٢١٩) أيقدح: أيعيب؟ والاستفهام إنكاري. والواو من «وتشمل» حالية. والعذل: جمع عاذل؛ اللائم. يقول: هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أيعيبونها وعذرها في هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله؟ قال الواحدي: وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن، ولو قال: من دهره يشمل لكان أحسن. ومعنى شمل الشيء: أحاط به؛ أي إن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر. يعني علم كل شيء، فلا يحدث الدهر شيئًا لم يعلمه، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شيء ولا يحيط به شيء. هذا، وفي رواية:

أينفع في الخيمة العذل

أي أينفع عذل العاذلين في سقوط الخيمة؟ والرواية الأولى أوجه.

(٢٢٠) محال: خبر مقدم. و«ما» من «ما تسأل» بمعنى الذي؛ مبتدأ مؤخر، يقول: وهل تعلو الخيمة الذي زحل تحته في علو القدر والنباهة؟ فالذي تسأله الخيمة وتكلفه من الثبوت فوقه محال. ومن روى: «ما تسأل» بفتح التاء — للمعلوم. فالضمير للخيمة أو للمخاطب؛ أي أن ما تسأله هي أو ما تسألها أنت من ذلك محال.

(٢٢١) ما: بمعنى ليس. ويذبل: جبل معروف. يقول: لم لا تلوم الخيمة من لامها على سقوطها قائلة له: لم لا يكون فص خاتمك يذبل؟ أي فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصًّا، فكذلك لوم الخيمة. وعبارة ابن جني: إن جاز أن تلام هذه الخيمة

على عجزها عن علوها الممدوح، وهو غير ممكن — لعلوه عنها — فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتمه يذبل؟ وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل؛ لأن هذا ليس في طاقته، فكذا هذه الخيمة لا تقدر أن تعلو الممدوح لقصورها عنه. وقال ابن الإفليلي: المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له: إنني تهيبت الرئيس وأعجزني الاشتمال عليه بقصر يذبل مع عظمته عن فص خاتمه وخفته بجانب رزانته وقلته بالقياس إلى جلالته فكيف أطيق الاشتمال على من هذه حاله؟ وقال ابن القطاع: ما — من قوله: وما فص خاتمه يذبل — بمعنى الذي. والضمير في خاتمه: لسيف الدولة. والتقدير: لم لا تلوم لائمها، وسيف الدولة الذي فص خاتمه يذبل تحتها؟ فحذف الخبر ... وهذا — كما ترى — تعسف من ابن القطاع. وقد قال لنا ابن جني: سألت المتنبي عن هذا البيت فقال: «ما» بمعنى ليس، والتقدير كما قلنا: لم لا تلوم الخيمة من لامها، على أنه ليس فص خاتمه يذبل والضمير راجع إلى اللائم. هذا، والخاتم — بكسر التاء وفتحها — لغتان فصيحتان.

(٢٢٢) الأرجاء: النواحي. والجحفل: الجيش العظيم. يقول: إن هذه الخيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير في أحد نواحيها، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هيبة لك وإجلالًا أن تعلوك.

(٢٢٣) «ما» مصدرية زمانية. والقنا: الرماح. والذبل: جمع ذابل يوصف به الرماح للينها؛ لأنها طويلة. يقول: وتقصر عنك ما دمت في جوفها فلا تستطيع أن تعلوك إجلالًا لك وهيبة لعلو مرتبتك مع أنها هي في الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح.

(٢٢٤) الراحة: راحة الكف. والأنامل: أطراف الأصابع. يقول: وكيف تبقى الخيمة قائمة وتحتها راحتك الواسعة الجود؟ فكأن البحار أنامل لها.

(٢٢٥) يقول: فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقي وقارك ما تطيق حمله، فإنك لو فعلت ذلك لخص الخيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط.

(٢٢٦) يقول: فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس. يصف رزانة حلمه وكثرة وقاره، وأنه لو فرق منه الكثير لبقي له ما يسود به الناس.

(٢٢٧) الغزالة: الشمس عند طلوعها، يقال: طلعت الغزالة، ولا يقال: غابت الغزالة، وإنما يقال: غربت الجونة، وغزالة الضحى وغزالاته بعدما تنبسط الشمس وتضحى، يقال: جاء فلان في غزالة الضحى. قال ذو الرمة:

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حُزْوَى   أُرَاقِبُهُمْ وَمَا أَغْنَى قِبَالَا

(يريد بقوله أراقبهم: الأظعان. ونصب الغزالة على الظرف. ورأس حزوى: مفعول أشرفت على معنى علوت؛ أي علوت رأس حزوى في غزالة الضحى. ولك أن تقول: إن الغزالة — في البيت — الشمس، أي علوت رأس حزوى طلوع الغزالة؛ أي طلوع الشمس.)

يقول: صارت الخيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التي لا يفارقها ذاتي نورها، وأراد بقوله: لا يغل، أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها. والمعنى أن الخيمة اكتسبت من نورك ما صارت به موازية للشمس التي لا يزول نورها.

(٢٢٨) شرف باذخ: أي عالٍ. والباذخ والشامخ: الجبل الطويل. وبذخ البعير يبذخ بذخانًا فهو باذخ وبذاخ: اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء. يقول: ورأت أن لها شرفًا عظيمًا إذ سكنتها، وإذا رأتها الخيام خجلت؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتمال عليك.

(٢٢٩) أنكر الشيء: استغربه. والصرعة: السقطة. ومن فرح النفس: خبر مقدم، وما يقتل: مبتدأ مؤخر. يقول: فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك نكرًا مستغربًا؛ لأنها فرحت بذلك غاية الفرح، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية، فكيف لا تصرع؛ أي لا تسقط؟

(٢٣٠) يقول: لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتمال عليك لخانتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك، كما خانتها أطنابها وعمدها.

(٢٣١) التطنيب: مد الأطناب. يقول: لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها أشيع الخبر في الناس أنك لست راحلًا للغزو، لأمر دعاك إلى الإقامة.

(٢٣٢) الاعتماد: معناه القصد. والتقويض: الهدم، يريد قلع الخيمة. يقول: لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس. وأشار: بمعنى أمر، من المشورة، لا من الإشارة — لأنه وصله بالباء. وقال العكبري: أشار من الإشارة، لا من المشورة في الرأي، فإن قيل: الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجارحة، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح، قيل: إنما أراد بالإشارة: التنبيه؛ أي فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه. فالخيمة المشيرة إليه بالوقوع. وقال الآخرون: وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حي وإما موات؛ إذ لا جارحة له تعالى.

(٢٣٣) من همه: مما يهتم به ويحتفل. ويقال: رفل يرفل؛ إذا تبختر وجر أذياله. يقول: وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يُعنَى بك. يريد إرشادك إلى ما تفعل، وأنك تمشي في نصر دينه، فجعل قلع الخيمة سببًا لمسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال.

(٢٣٤) هذا استفهام تحقير وتصغير، ولذلك استفهم بلفظ «ما». وعند يعند عنودًا فهو عاند: مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه، وأصل العاند: البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد. والجمع عُنَّد — مثل راكع وركع — وأنشد أبو عبيدة:

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا　　إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنَّدَا

(جمع بين الطاء والدال وهو إكفاء، ويقال: هو يمشي وسطًا لا عندًا.)

يقول: هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والحاسدون ما هم وما قولهم؟ أي لا تأثير لعداوتهم وحدهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفأل بالنحوس عند سقوط الخيمة، ومعنى ما أثلوا ما أصلوا من الكلام وجعلوه أصلًا لتكذابهم. ويروى: ما أملوا، ويقال: قولتني ما لم أقل: أي نسبته إليَّ. ومعناه. أنهم يحكون أقوالًا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس. وقال ابن جني: قوَّلوا؛ أي كرروا القول وخاضوا فيه.

(٢٣٥) فمن أدركوا: يروى «فما أدركوا» يقول: هم يطلبون رتبتك، فمن الذين أدركوا منهم شأوك؟ ووجه آخر: هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك؟ أو ماذا أدركوا من ذلك؟ وهم يكذبون في تلفيق الأحاديث عنك، ولكن من يقبل كذبهم ويصدقه؟

(٢٣٦) الجد: البخت والإقبال. يقول: هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون.

(٢٣٧) وملمومة: عطف على جدك — في البيت السابق — يريد كتيبة من الجيش مجموعة. وزرد: خبر مقدم، وثوبها: مبتدأ مؤخر — أي اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثيابًا لها. والزرد حلق الدروع، وجعل رماحها كالخمل لتلك الثياب، وهو ما تدلى من الثياب المخملة. يعني: وحال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذي اتخذ فرسانه الدروع لباسًا لهم حتى كأنهم منها في ثوب سابغ إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرماح. وروى ابن الإفليلي: وملمومة — خفضًا — قال ورب ملمومة ... إلخ.

(٢٣٨) الحين: الهلاك. والقسطل: الغبار. يقول: يفاجئ بهذه الكتيبة جيشًا هلاكه بها، وينذر غبارها جيشًا آخر. يعني أنه تارة يسير بها ليلًا فيباكر جيشًا من الأعداء لا يشعر به فيهلكه، وتارة يسير بها نهارًا فتثير غبارًا فينذر جيشًا آخر يرى ذلك الغبار فيهرب. وقيل المعنى: تحزن؛ أي تسير في الحزن فلا تثير غبارًا، وتارة تسهل؛ أي تسير في السهل فتثير غبارًا.

(٢٣٩) العدة: ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما. يقول: اتخذتك عدة لي بقلبي وعزمي: أي اعتقدت فيك أنك عدة لي فيما أحتاج إليه؛ لأنك لست من العدد التي تعد باليد كالسيوف والأسلحة، ويجوز أن يريد لست من العدد التي تعمل باليد؛ أي لا تتصرف فيك الجوارح، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد. وعبارة بعض الشراح: وقد روى البيت في القلب وفي اليد اتخذت عدة لي في القلب أتشجع بك في الملمات وأجعل رجاءك سلاحًا لي على دفع غوائل الدهر؛ لأنك أجل من أن تجعل في اليد كسائر العدد.

(٢٤٠) المنصل: السيف. ومن دولة: فمن زائدة. يقول: لقد رفع الله دولة جعلتك سيفها على سائر الدول. يعني دولة الخلافة.

(٢٤١) المرهفات: جمع مرهف؛ السيف الرقيق الحد. وطبع السيف: صنعه. والمقصل: القاطع. يقول: إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك، فإنك قد سبقتها بالقطع؛ لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحكمك ما لا تقطعه السيوف. وقال ابن جني: المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع؛ إذ لم يُرَ قبلك مثلك. وقال غيره: يريد أن قطعها بسببك، ولولا قطعك ما قطعت.

(٢٤٢) يقول: إن كان الكرام الأولون جادوا قبلك، فإنك زدت عليهم وأبدعت في ذلك ما صرت به أولًا في الكرم.

(٢٤٣) الليث، الأسد. ولبؤة مشبل: ذات أشبال. والشبل: ولد الأسد: يقول: كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة في الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد؟ فأمك أشبلت بك من أبيك الذي هو الأسد، وقد ضرب ذلك مثلًا لشجاعته ومضائه كأن أبويه أسدان، ومن روى: مَن ليثُها — بفتح ميم من — فمن عبارة: عن الأم، وهي خبر المبتدأ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها، والمشبل — على هذا — هو الليث، وهو الأب.

(٢٤٤) يقول: لما ولدتك أمك كنت شمسًا في رفعة المحل ونباهة الذكر، فقال الناس: ألم تكن الشمس لا تنجل — أي لا تولد — فكيف ولدت هذه المرأة شمسًا؟! وهذا ينظر إلى قول الأول:

لَأمٌّ لَكُمُ بخلت مَالِكًا   مِنَ الشَّمْسِ لَوْ نجلَتْ أَكْرُم

ومن روى: لا تنجل — بالبناء للمعلوم — جعل أمه الشمس؛ أي فقال الناس: ولدت الشمس وهي لا تلد، جعل الممدوح — لعلو قدره — كأنه نجل الشمس. والرواية الأولى أجود وأمدح. هذا، والورى: الخلق، تقول العرب: ما أدرى أي الورى هو؟ أي الخلق هو؟ قال ذو الرمة:

وَكَائِنْ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحٍ   بِلَادُ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِبِلَادِ

قال ابن جني: لا يستعمل الورى إلا في النفي، وإنما سوغ لذي الرمة استعماله واجبًا؛ لأنه في المعنى منفي كأنه قال: ليست بلاد الورى له ببلاد.

(٢٤٥) التب: الهلاك والخسار، وهو منصوب على المصدر. يقول: ضلالًا وخسارًا للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة. وقد بين العلة في البيت التالي.

(٢٤٦) يقول: النجوم على زعم من يدعي أنها تعقل قد عرفتك وعرفت أنك أجل منها قدرًا، فما بالها لا تنزل إليك لتخدمك، وهي تراك تنظر إليها؟ يعني أنها لا تعقل ولو عقلت لنزلت إليك.

(٢٤٧) يقول: لو بات كل منكما في الموضع الذي يستحقه قدره لبت في موضع النجوم وباتت هي في موضعك؛ لإربائك عليها في الشرف.

(٢٤٨) قال الواحدي: لو قال: عبيدك كان أحسن؛ لأن الأكثر في الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى، فأما المضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد. يقول: أعطيت عبيدك؛ يعني الناس، جعلهم عبيدًا؛ لأنه ملك ما رجوه من عطائك، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينيله ما يؤمله.

(٢٤٩) قال الواحدي: دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يومًا، فتلقاه الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية، فخلع عليه ونضح بالطيب، ثم أدخل على سيف الدولة، فسأله عن حاله وهو مستحي، فقال أبو الطيب: رأيت الموت عندك أحب إليَّ من الحياة عند غيرك. فقال: بل يطيل الله عمرك، ودعا له، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة، فقال أبو الطيب يمدحه بعد ذلك، وأنشده إياها في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه.

(٢٥٠) الطلل: ما شخص من آثار الديار. والركب: القوم الراكبون يقول: استدعى الطلل دمعي بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب ببكائه قبل أصحابي وقبل الإبل. يريد أن الإبل تعرف أيضًا ذلك الطلل وتبكي عليه، كما قال التهامي:

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

والمعنى: أنه وقف على ديار محبوبه، فشجاه ما شاهد من دروس رسومها وتغير طلولها، فاستدعى ذلك بكاءه، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين.

(٢٥١) أُصيحابي: تصغير تعظيم. وأكفكفه: أكفه مرة بعد أخرى. ويسفح: يجري ويسيل. يقول: ظللت أكف الدمع خوفًا من لوم الركب فظل الدمع يسيل وأصحابي من بين عاذر لي وعاذل — لائم — والدمع يسيل بين العذر والعذل في شاغل عنهما. هذا، ويقال: ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلًا وظلولًا، وظللت أنا وظلت وظلت، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه سمع في بعض الشعر ظل ليله. وأصل ظلت: ظللت، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء. قال تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾، ومثله: مست، في «مسست» قال الجوهري: وربما قالوا: مست الشيء، يحذفون منه السين الأولى ويحولون كسرتها إلى الميم، ومنهم من يترك الميم على حالها مفتوحة. وأنشد الأخفش لابن مغراء:

مسنا السَّمَاء فَنِلْنَاهَا وطَاء لَهُمْ حَتَّى رَأَوْا أُحدًا يَهْوِي وَثهلَانَا

والأصل: مسسنا السماء، وهذا من شواذ التخفيف.

(٢٥٢) النوى: البعد والفراق. والعَبرة: الدمع. والكلل: جمع كلة؛ الستر الرقيق. يقول: أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائي للفراق، ولا عجب في ذلك؛ فإني كنت على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عني غير الستر، فكيف الآن وقد حجبها عني الفراق؟ فالواو في قوله: «وما أشكو» للحال؛ أي حين لا أشكو سوى الستر: أي في حال دنو المسافة. ومن روى: «كذاك كانت» فمعناه: كانت العبرة حين كان الحاجب بيننا الكلة. والمصراع الثاني رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه؛ أي: لا تتعجبوا من بكائي على فراقها، فلقد كنت أبكي في هجرها وما أشكو مانعًا دون الستور التي تحجبها والمنازل متجاورة والدور متصاقبة.

(٢٥٣) الصبابة: رقة الشوق. وقوله: «كمشتاق» أراد كصبابة مشتاق، فحذف المضاف. يقول: إن المشتاق الذي لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالًا ممن يأمل؛ لأنه إذا كان على أمل خفف التأميل برح اشتياقه. قال الواحدي: ويجوز أن يكون أخف حالًا لاسترواحه إلى اليأس. والأول أوجه.

(٢٥٤) الإتحاف: الإطراف بالهدية. والبيض: السيوف. والأسل: الرماح. يقول مخاطبًا نفسه: إن هذه الحبيبة منيعة في قومها بالسيوف والرماح، فإذا زار قومها لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح؛ يعني أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته. أي إن الوصول إليها متعذر لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم. وقد أرجع ضمير «من» على المعنى دون اللفظ، فقال: زيارتها، ولو رده على اللفظ لقال: زيارته.

(٢٥٥) ما يراقبه: يعني ما يتوقعه من بأس قومها. يقول: إن هجرها أقتل له من سلاحهم، فإذا كان مقتولًا بالهجر لم يُبَالِ بعده بالسلاح؛ لأن من غرق في الماء لم يخشَ البلل. وهذا من قول بشار:

كَمُزِيلٍ رِجْلَيْهِ عَنْ بَلَلِ الْقطـْ ـرِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ بَحر

وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبي: هذا مأخوذ من قول عدي بن زيد:

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

(الاعتصار: أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء، وهو أن يشربه قليلًا قليلًا. والغصَّان: الغاص. ويقال: غصصت بالماء أغص غصصًا: إذا وقف في حلقك فلم تكد تسيغه.)

قال العكبري: وليس كما قال، وإنما نقله من قول الحكيم: من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب.

(٢٥٦) قال الواحدي: كان حقه أن يقول: ما بالُ فؤادي لا ينتقل عن حبها وبكل فؤاد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — ما بي؟ لأن التعجب إنما هو من فؤاده، لا من أفئدتهم. يعني لم لا ينتقل حبها عني ولا أسلوها إذا كان قومها وعشيرتها يحبونها كحبي؟ يشير إلى أنها محبوبة في قومها منيعة فيما بينهم، وأنه في يأس من الوصول

إليها، واليأس من الشيء يوجب السُّلُوَّ عنه، كما قالوا: اليأس إحدى الراحتين، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبها. وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعي بلوغه في حبها مبلغًا لا يبلغه أحد ما لم ينتقل إليه منه، وهذا وجه التعجب في البيت. يقول: ما لي أرى كل قلب من قلوب عشيرتها فيه من حبها مثل ما في قلبي مع أن ما في قلبي باقٍ لم ينتقل عنه إلى غيره؟ يعني أنها قد بلغت مبلغًا من الجمال حببها إلى كل أحد، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام. وعبارة ابن جني: أجود ما يتأول في هذا أن يجعل الذي يجده من الشوق كأنه شخص، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره، فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده؛ لأنه في أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكانًا، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة. والمعنى: يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدَّلِّ، كل قلب في عشيرتها به الذي بأبي الطيب من حبها، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسنها غير حبه لها، وأن حبهم يتغير وينتقل، وحبه لا يتغير ولا ينتقل، بل هو ثابت.

(٢٥٧) يقول: هي مطاعة اللحظ من بين ألحاظ الحسان، إذا دعا لحظها إنسانًا إلى هواها لبى مطيعًا فهي مالكة القلوت فتانة. ولمقلتيها ملك عظيم في دولة المقل، لهما دونها الأمر النافذ. وقال ابن فورجه: أي إن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف ألحاظها عنها؛ لأنها تصير عقلة لها، فكأن عينيها مالكة العيون. وهو معنى قول أبي نواس:

كُلَّ يَوْمٍ يَسْتَرِقُّ لَهَا حُسْنُهَا عَبْدًا بِلَا ثَمَنِ

(٢٥٨) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أي تتشبه. والخفرات: الحييات. والآنسات: جمع آنسة، ويقال جارية آنسة: إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك. يقول: إن النساء الحييات ذوات الأنس يقصرن عن محاسنها فيتشبهن بها في حسن المشية ويرين مثل دَلِّها، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها، ويحتلن حتى ينلن ذلك. وعبارة ابن جني والواحدي: إذا كان في حسن امرأة تقصير تشبهت بها في مشيها، فيجبر حسن المشي تقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة.

(٢٥٩) الصاب: شجر مر. يقول: مرت بي من الدهر حلاوته ومرارته، فما حصلت من حلوه على عسل، ولا من مره على صاب، لانقضائهما وسرعة مرورهما، فكأني لم أذق شيئًا منهما. وهذا من قول البحتري:

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَا يَرَ خَفْضَهَا   نَعِيمًا وَلَا يَعْدُدْ تَصَرُّفَهَا بَلْوَى

(٢٦٠) يقول: إنه إنما كان حيًّا حين كان شابًّا، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره. كما قال الآخر:

مَنْ شَابَ قَدْ مَاتَ وَهْوَ حَيٌّ   يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشْيَ هَالِكْ

والمعنى: أنه تغير بعد المشيب حتى صار غير ما كان أولًا. وعبارة العكبري: قد صحبت الشباب مسرورًا وأراني الروح — يريد القوة والجلادة والنهضة — في بدني ثم صحبت المشيب مستكرهًا لصحبته فأراني الروح في بدلي بتغير أحوالي وعجزي عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب، وصرت أستعين بغيري يساعدني على أحوالي، وكأني بهذا قد أراني الروح في بدلي — يريد القوة والنشاط — والذي كنت أفعله وحدي صرت أحتاج فيه إلى مساعد. وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره. وقال ابن فورجه: أحسن ما يحمل عليه البدل في هذا البيت الولد؛ لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أوان شيخوخة الأب، وإذا مات ورثه، فيكون كأنه بدله في ماله وبدنه.

(٢٦١) رجل عزهاة وعزهاءة وعزهى وعزه وعزه وعزهى وعزهاء وعنزهوة وعنزهو: كله عازف عن اللهو والنساء لا يطرب للهو ويبتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن، والجمع: عزاهٍ مثل سعلاة وسعال وعزهون — بالضم — قال ابن بري: ويقال عزهاة: للرجل والمرأة. قال يزيد ابن الحكم:

فَحَقًّا أَيْقِنِي لَا صَبْرَ عِنْدِي   عَلَيْهِ وَأَنْتِ عِزْهَاة صَبُورِ

والغزل: الذي يهوى محادثة النساء. يقول: أتيت حبيبتي ليلًا ومعي سيفي وقد جعل السيف موضع الرداء، والسيف لا يوصف بالميل إلى النساء ولا بالميل عنهن.

(٢٦٢) التراقي: جمع الترقوة؛ العظم الذي بين المنكب وبين ثغرة النحر. يقول: فبات السيف بيننا ونحن متعانقان ولا علم له بما يجري بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولا غير ذلك مما يجري بين المحبين إذا هما تعانقا، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والمخافة، وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف.

(٢٦٣) الردع: التلطخ بالطيب، يقال: به ردع من زعفران؛ أي لطخ وأثر، وردعه بالشيء يردعه ردعًا فارتدع: لطخه به فتلطخ. قال ابن مقبل:

يَخْدِي بِهَا بَازِلٌ فُتْلٌ مَرَافِقُهُ　　　يَجْرِي بِدِيبَاجَتَيْهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعُ

(خدى البعير والفرس يخدي خديا: أسرع وزج بقوائمه، مثل وخد، وجمل بازل بزل نابه: أي انشق، وذلك في السنة التاسعة، وذلك أقصى أسنان البعير. والفتل: شدة عصب الذراع، ومرفق أفتل بين الفتل. وقوله: يجري ... إلخ، قال بعضهم معناه متصبغ بالعرق الأسود، كما يردع الثوب بالزعفران، وقال آخرون: قوله: مرتدع: أي قد انتهت سنه.)

ويروى: من درعها؛ أي ثوبها. وذؤابة السيف هنا: حمائله. وجفنه: غمده. والخلل: جمع خلة — بكسر الخاء — وهي ما يغشى به الغمد من الجلد المنقوش بالذهب وغيره. يقول: ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده، والغلاف الذي فيه الغمد. يعني أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذي طيبت به.

(٢٦٤) المضارب: جمع مضرب، وهو حد السيف. والسنان: نصل الرمح، والأصم: الصلب، وهو صفة لمحذوف؛ أي سنان رمح أصم الكعب، والكعب: العقدة بين الأنبوبتين. يقول: لا أطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح، يعني أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه. قال العكبري: الرواية التي قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين. ورواه جماعة: سنان — بالتنوين — والأجود الإضافة، وإذا نوِّن يكون المعنى: ومن سنان أصم كعبه، والكعب للرمح لا للسنان، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه. وأيضًا فإن في السنان نونين، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات، وثلاثة حروف بمعنى في كلمة ثقيل.

(٢٦٥) يقول: أعطاني الأمير هذا السيف في جملة ما وهبه لي فزان بحسنه الهبات التي وهبنيها وكساني في جملة ما أعطاني من الثياب الدرع. يعني أنه وهبه سيفًا ودرعًا في جملة ما وهبه.

(٢٦٦) علي: هو سيف الدولة، يقول: منه تعلمت حمل السيف، فهو واهبه لي ومعلمي حمله. ثم قال مستأنفًا: من مثله أو مثل أبيه، يعني لا مثل لهما. ومن علي: خبر مقدم، ومعرفتي: مبتدأ مؤخر.

(٢٦٧) الكواعب: الجواري الشابات؛ أي التي كعبت — نبتت — ثديهن. والجرد: الخيل القصار الشعر، وذلك آية عتقها وكرمها. والسلاهب: الخيل الطوال. والبيض القواضب: السيوف القواطع الماضية. والعسالة: الرماح التي تضطرب للينها. والذبل: الرماح الضامرة. يقول: إنه يعطي سائليه هذه الأشياء التي تدل على أنه يستصحب كماة الفرسان وأعلام الشجعان فيعتمدهم في هباته بما يوافقهم ويعضدهم بما يشاكلهم.

(٢٦٨) يقول: ضاق عنه الزمان والمكان، فإن همه وما يخلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يُحمِّل الزمان ما لا يطيقه ويجشمه ما لا يعهده، فيضيق عن فخامة قدره، ويقصر عن جلالة مجده؟ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه. وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه.

(٢٦٩) الجذل: الفرح. والوجل: الخوف. يقول: نحن المسلمين فرحون بانتصاره، والروم في خوف منه لغاراته وغزواته، والبر مشتغل بجيشه لا يتفرغ لغيره، والبحر في خجل من ندى يديه.

(٢٧٠) تغلب: قبيلة الممدوح. وعدي: رهطه. ومن تغلب: خبر مقدم، ومنصبه: مبتدأ مؤخر. والمنصب: الأصل. وأعادي الجبن: صفة لعدي. يقول: أصله من تغلب التي غلبت الناس نجدة وشجاعة، ومن عدي الذين هم أعداء الجبن والبخل.

(٢٧١) أبو الهيجاء: كنية والد سيف الدولة، وجملة تنجده — أي تعينه — حالية، والعي: العجز عن الكلام. والخطل: اضطراب القول وفساده. قال الواحدي: هذا تعريض بأبي العباس النامي الشاعر؛ فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا في الجاهلية. يقول: إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين العي. ثم أكد هذا المعنى وتممه في الأبيات التالية.

(٢٧٢) قوله: فما كليب: أدخل ما على من يعقل؛ لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه. وكليب: هو كليب بن ربيعة رئيس بني تغلب في الجاهلية. يقول: ليت

ما مدح به من الشعر يستوفي ذكر فضائله ومحامده، ومتى يتفرغ الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة وأين هم منه؟

(٢٧٣) يقول: امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به، فإن الشمس تغنيك عن زحل؛ جعله كالشمس، وآباءه كزحل وهو نجم بعيد خفي. يعني فيما قرب منك عوض عما بعد عنك، لا سيما إذا كان القريب أفضل من البعيد. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: العيان شاهد لنفسه، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان، فأولى ما أخذ ما كان دليلًا على نفسه.

(٢٧٤) يقول: وقد وجدت من مآثر الممدوح المتوافرة الشائعة مجالًا واسعًا للقول، فإن وجدت لسانًا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئًا تقوله. يعني أنه لا ينقصه شيء يمدح به، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح ما فيه.

(٢٧٥) الهمام: ذو الهمة العالية. وخيرة: تأنيث خير، بمعنى أفضل، لما ألقوا الهمزة من أوله استسهلوا تأنيثه بالتاء؛ لأنه قد أشبه الصفات: يقول: إن هذا الهمام الذي يفتخر الخلق كلهم به؛ لأنه فيهم، هو أفضل السيوف في كف أفضل الدول؛ يعني دولة الخلافة.

(٢٧٦) الأماني: جمع أمنية؛ الشيء الذي تتمناه. وصرعه: طرحه على الأرض، ويقال: تركته صريعًا؛ أي قتيلًا. يقول: إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقي الأماني إليه؛ لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئًا فلا يرى نفيسًا إلا وله خير منه، أو صار له ذلك الشيء. وعبارة بعض الشراح: شبه الأماني بالطرائد، يقول: إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته؛ لأن همته أبعد شوطًا منها فلم يبقَ في الدنيا شيء يستحق أن يتمناه، لأن كل شيء في قبضة إمكانه. وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحتري في قوله:

وَمُظَفَّرٌ بِـالْـمَـجْـدِ إِدْرَاكَـاتُـهُ فِي الْحَظِّ زَائِدَةٌ عَلَى أَوْطَارِهِ

وهو ضد قول عنترة:

أَلَا قَـاتَـلَ الـلـهُ الـطـلـولَ الْـبَـوَالِـيَـا وَقَـاتَـلَ ذِكْـراك الـسِّـنِـينَ الْـخَـوَالِـيَـا
وَقَـوْلُـك لـلـشَّـيْءِ الَّـذِي لَا تَـنَـالُـهُ إِذَا مَا حَلَا فِي الْعَيْنِ: يَا لَيْتَ ذَا لِيَا!

(٢٧٧) يريد بالسيفين: سيف الدولة وسيف الحديد. والرهج: الغبار. وريب الدهر: حدثانه. ومنصلتًا — أي مجردًا — حال من ضمير المعد. يقول: إذا اجتمع السيفان في

رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر، فأحد السيفين — وهو الممدوح — معد لدفع نوب الدهر وشدائده، كما قال:

وتقطعُ لزْباتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُه

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه، والثاني موكل بإحلاله، وذاك عامل ذو إرادة يضرب بالثاني، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه. وإذن: كان الأول هو الكل في الكل، ومن هنا كان اختلافهما.

(٢٧٨) الكدري: ضرب من القطا. وهو من طير السهل. والحجل: طائر في حجم الحمام، أحمر المنقار والرجلين، وهو يعيش في الجبال، والعرب بلادها المفاوز والصحارى والروم بلادها الجبال. يقول: العرب تفر منه مع القطا في الفلوات والروم تفر منه مع الحجل في جبالها.

(٢٧٩) من أسد: يروى من ملك، والمراد سيف الدولة. والوعل: تيس الجبل، ومعقله: المكان الذي يعتصم به في رءوس الجبال: يقول: ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشي به خيله في آثار الفارين؟ أي أنها لا تعجز عن جوب الجبال في آثار الروم، فالمراد بالنعام: خيله، شبهها بها في سرعة العدو — الجري وطول الساق. قال الواحدي: وفيه نكتة؛ لأن النعام لا توجد في الجبال فجعل خيله نعام الجبل. وقال ابن فورجه: يعني بالنعام خيله العراب؛ لأنها من نتائج البدو، وقد صارت تمشي بسيف الدولة في الجبال لطلب الروم وقتالهم واستنزال من اعتصم بالجبال منهم.

(٢٨٠) الدروب: جمع درب، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم. وخرشنة بلد من بلاد الروم، والروع: الخوف والفزع. يقول: إنه تغلغل في بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذي ألم بأهلها منه.

(٢٨١) يقول: لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة ما رأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأت في نومها السبي الذي تحذر وقوعه والجمل الذي تتوقع ركوبه؛ وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال، يعني أن ما استقر في قلوبهم من الخوف لا يفارقهم في النوم أيضًا. هذا، والحلم ما يراه النائم، وتقول: حلمت بكذا وحلمته أيضًا، قال الأخطل:

فَحَلَمْتُهَا وَبنور فَيْدَةَ دُونَهَا لَا يَبْعُدَنَّ خَيَالُهَا الْمَحْلُومُ!

قال الجوهري: يقال: قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم في نومه أنه يباشرها، وهذا البيت شاهد عليه.

أما الحِلم — بالكسر — فهو الأناة والعقل. تقول: حلم — بالضم — يحلم حلمًا: أي صار حليمًا، وتحلم: تكلف الحلم. قال حاتم الطائي:

تَحَلَّمْ عَلَى الْأَدْنينَ وَاسْتبقِ وُدَّهُمْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحلمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

أما قولهم: حلم الأديم، فالأديم: الجلد المدبوغ، وحلم: أي أفسده الحلم، وهو دود يقع في الجلد فيأكله. قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي عليه السلام، ويقول له: أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم — الذي وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به:

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

(٢٨٢) الجزى: جمع جزية، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبته ويحفظ دمه. يقول — مخاطبًا سيف الدولة: إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتعفو عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها، وذلك غاية أمنيتهم، كالأعور يتمنى الحول، والحول خير من العور يعني أن الجزية خير لهم من القتل.

(٢٨٣) المنتحل: المدعي على غير حقيقة. يقول: ناديت مجدك الموصوف في شعري وقد صدرا عني وعنك: أي سارا في الآفاق وبعد ذكرهما يا مجدًا غير منتحل في شعر غير منتحل. يعني أن كلا منهما حقيقة لا دعوى، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره في شعره وأنهما يسيران معًا، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلي.

(٢٨٤) أبلغ: من التبليغ. وأفعل لا يبنى من غير الثلاثي إلا شذوذًا. يقول لشعره ومجد الممدوح: أنتما سائران في الدنيا شرقًا وغربًا، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم في أمرنا ومطالعتهم بأحوالنا فتحملا إليهم رسالتي وهي ما ذكره في البيت التالي.

(٢٨٥) الخول: الخدم. يقول: عرفاهم أني متقلب في نعماء في سيف الدولة، مغمور بمكارمه، متصرف في فواضله، أقلب الطرف — النظر — بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة.

(٢٨٦) يقول: إنما أتاك الشكر من جهة إحسانك فإحسانك هو الذي شكرك، لا أنا كأنه ينفي المنة عليه بشكره ومدحه.

(٢٨٧) إلا فوق معرفتي: رواها ابن جني «إلا بعد معرفتي» وقال: ما لحقني السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسي إلى فضلك وحلمك ... وقال ابن فورجه: أقام النوم مقام السهو والغفلة، يقول: ما نمت عما وجب عليَّ من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقتي باحتمالك وسكوني إلى جزالة رأيك. قال الواحدي — بعد أن أورد كلامهما: وكلاهما قد بعد عن الصواب، والمعنى: إنما أخذني النوم؛ أي إنما سكنت نفسي واطمأنت مع عتبك لثقتي بحملك ولزوم التوفيق لرأيك، وعلمي أنك لا تعجل عليَّ ولا ترهقني عقوبة، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم. قال: وأراد النوم الحقيقي لا السهو والتفريط، ألا ترى أنه قال: فوق معرفتي؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التي ينام فوقها. وقوله: لا يؤتى من الزلل: أي أنت موفق في كل ما تفعله لا تأتي الزلل.

(٢٨٨) أقل: من الإقالة من العثرة؛ أي: أقل من استنهضك من عثرته. وأنل: من الإنالة — الإعطاء — وأقطع: من قولهم أقطعه أرض كذا؛ أي جعل له غلتها رزقًا. واحمل: من قولهم حمله على فرس ونحوه؛ أي جعله ركوبة له. وعل: أي ارفع جاهي من التعلية. وسل: من التسلية، وهي إذهاب الغم. وأعد: أي أعدني إلى موضعي من حسن رأيك. وزد: أي زدني من إحسانك. وهش: أمر من قولهم: هش إلى كذا يهش. وبش: من قولهم بش بالرجل يبش: أي ابتسم إليه وآنسه. ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل: قد أقلنا، وتحت أنل: يحمل إليه كذا وكذا من الدراهم، وتحت أقطع: قد أعطيناك الضيعة الفلانية — وهي ضيعة بباب حلب — وتحت «عل»: قد رفعنا مقامك، وتحت سل: قد فعلنا فاسلُ، وتحت أعد: قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا. وتحت زد: يزاد كذا وكذا، وتحت تفضل — وهو من الأفضال — قد فعلنا، وتحت أدن: قد أدنيناك منا، وتحت «سر» قد سررناك، فقال المتنبي: إنما أردت من التسري، فأمر له بجارية، وتحت صل: قد وصلناك وسنصلك، وكان بحضرة سيف الدولة: حينئذٍ شيخ ظريف يقال له المعقلي، فحسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة: قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هئ هئ هئ؟ — يعني حكاية الضحك — فضحك سيف الدولة وقال له: ولك أيضًا ما تحب، وأمر له بصلة. وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس:

أَفَـادَ وَجَـادَ وَسَـادَ وَزَادَ   وَذَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلْ

ومثله لأبي العميثل:

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالُهُ كَخِصَالِ عَبْدِ اللهِ أَنْصِتْ وَاسْمع
اصْدُقْ وَعِفَّ وَبَرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ وَاحْلُمْ وَدَارِ وَكَافِ وَابْذَلْ وَاشْجع

(٢٨٩) يقول: لعلي أحمد عاقبة عتبك وذلك أن أرتدع بعد عفوك، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب، كمن يعتل، فربما تكون علته أمانًا له من أدواء أخرى، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها. أو تقول: لعل عتبك يكون سببًا لتحقق وفائي وإخلاصي في خدمتك، ويقطع عني ألسنة الحساد فأحمد عواقبه، كما أن من العلل ما قد يكون سببًا لصحة الأجسام، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها. وفي هذا نظر إلى قول الآخر:

لَعَلَّ سَبًّا يُفِيدُ حُبًّا فَالشَّرُّ لِلْخَيْرِ قَدْ يَجُرُّ

وقريب منه قول ابن الرومي:

احْمَدِ اللهَ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الْخُمُولِ نَوَّهَ بِاسْمِكْ
قَدْ تَذَكَّرْتُ مُوبِقَاتِ ذُنُوبِي فَرَجَوْتُ الْخلاصَ مِنْهَا بِشَتْمِكْ

(٢٩٠) غيري: معطوف على ضمير المتكلم، وهو جائز للفصل بـ «لا» كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ وبمقتدر متعلق بسمعت. يقول: ما سمعت ولا سمع غيري بملك قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب — يذود ويدافع — عمن يغتاب عنده زورًا وبهتانًا، ولا يحمله ما يسمعه من الوشايات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب. فقوله: أذب: أفعل تفضيل، من قولهم: ذب عنه، أي ذاد ودفع. وقوله: عن رجل — يعني المغتاب — وقد بين علة ما ذكره هنا في البيت التالي.

(٢٩١) تكلفه بحذف إحدى التاءين — أي تتكلفه. والكحل: سواد في أجفان العين خلقة:

كأن بها كحلًا وإن لم تكحل

يقال: رجل أكحل وامرأة كحلاء. يقول: إنما ذلك لأن لك حلمًا طبعت عليه لا يعوزك أن تتكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب، ولا يؤثر فيه كلام الواشين، ثم ضرب التكحل والكحل مثلًا للمتكلف والمطبوع.

(٢٩٢) ثناك: ردك وصرفك. والعارض: السحاب. والهطل: الكثير المطر. يقول: وما صرفك كلام الناس في إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجبه الكرم معي. ثم قال: ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل؟! أي كما أنه لا يستطاع هذا لا يستطاع صرفك عن مقتضيات الكرم.

(٢٩٣) الجواد: الكريم، ومننت على فلان: إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له، كأن تقول له: أعطيتك كذا، وفعلت لك كذا، وعطف الكدر عليه للتأكيد. والمطال — بالكسر — المماطلة. والمذل: الضجر والقلق، وكل من قلق بسره حتى يذيعه، أو بمضجعه حتى يتحول عنه، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل. قال الأسود بن يعفر:

وَلَقَدْ أَرُوحُ عَلَى التِّجارِ مُرَجَّلًا مَذِلًا بِمَالِي لَيِّنًا أَجْيَادِي

وقال قيس بن الخطيم:

فَلَا تَمْذُلْ بِسِرِّكَ كُلُّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ فَاشِي

يقول: لا تكدر عطاءك بالمن أو المماطلة أو الوعود أو الملل.

(٢٩٤) السنور: لباس من جلد كالدرع، وسميت به دروع الحديد. قال لبيد يرثي قتلى هوازن:

وَجَاءُوا بِهِ فِي هَوْدَجٍ وَوَرَاءهُ كَتَائِبُ خُضْرٌ فِي نَسِيجِ السَّنَوَّرِ

(قوله: وجاءوا به: يعني قتادة بن مسلمة الحنفي، وهو ابن الجعد، وجعد: اسم مسلمة؛ لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبى.)

والأشلاء: جمع شلو، وهو العضو. والقلل: جمع قلة، أعلى الرأس. يقول: أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم وأجسامهم ورءوسهم؛ أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تنخلع فيها قلوب الأبطال.

(٢٩٥) ورد: عطف على «لم يطأ». ومقارعة: حال من القنا أو مفعول، والجدل: اللدد في الخصومة، أو مقابلة الحجة بالحجة، أو المناظرة والمخاصمة، وقد جادله مجادلة وجدالًا، والاسم الجدل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته؛ أي غلبته، ولعله من قولهم: جدلت الرجل: أي ألقيته على الجدالة، وهي الأرض. قال الراجز:

قَدْ أَرْكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَهْ وَأَتْرُكُ الْعَاجِزَ بِالْجدَاله

يقول: وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضًا كأنها تجادل عن نفوس أصحابها. وبعبارة أخرى: وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضًا بتخالف الطعان وتقارع الأقران حتى كأنه من شدة تلك المقارعة، واتصال تلك المقاومة في جدل لا يقلع، وخصام لا ينقطع.

(٢٩٦) عن عرض: يريد كيفما اتفق، يدعو له، يقول: لا زلت ضاربًا أعداءك كيفما وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر؛ أي معصومًا بأجل يستأخرك. وهذا من قول بعضهم، وقد سئل: في أي شيء تحب أن تلقى عدوك؟ قال: في أجل مستأخر.

(٢٩٧) أُنْ: أي ارْفق.

(٢٩٨) عش: من العيش. وابق: من البقاء. واسم: من السمو، وهو الارتفاع. وسد: من السيادة. وقُدْ: من قود الجيش؛ أي قد الجيوش إلى أعدائك. وجد: من الجود. ومر: من الأمر. وَانْهِ: من النهي؛ أي كن صاحب أمر ونهي. وَرِ: من الوري، وهو داء في الجوف. يقال: وراه الله. يريد: أصب رئات أعدائك بأن توجعهم. وَفِ: من الوفاء؛ أي فِ لأوليائك بالإحسان إليهم. وسر: من سرى يسري؛ أي أسرِ إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم. ونل: من النيل؛ أي نل ما تريد بسعدك وإقدامك وتأييدك. وغظ: من الغيظ؛ أي غظ حسادك. وَارْمِ: من الرمي، أي ارْمِ ببأسك من يكيدك ويبغضك. وصب: من صاب السهم الهدف يصيبه صيبًا: لغة في أصاب؛ أي أصب أعداءك برميك. واحْمِ: من الحماية؛ أي احْمِ حوذتك. واغْزُ: من الغزو؛ أي اغزُ أعداءك. واسْبِ: من السبي؛ أي اسبِ أعداءك. وَرُعْ: أي أفزع أعداءك. وزُعْ: من وزعه — أي كفه — أي كف بوقائعك مسلطهم. وَدِ: من الدية؛ أي تحمل الدية عمن تجب عليه. وَلِ: من الولاية؛ أي لِ الأمصار والبلدان محمودًا في ولايتك. واثنِ: من ثناه، بمعنى رده؛ أي اصرف أعداءك عن مرادهم. ونل: من ناله ينوله إذا أعطاه؛ أي أعطِ عفاتك وقصادك.

(٢٩٩) يقول: كل ما دعوت الله لك به لو لم أدع به كنت مكفيًّا ذلك؛ لأني سألت الله هذه الأمور، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائي.

(٣٠٠) الشمول: من أسماء الخمر. والترنج: لغة في الأترج، وهو ثمر من جنس الليمون معروف. والطلع: نَور النخلة ما دام في الكافور، وهو أول ما يرى من عذق النخلة. يقول: إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذهما لذلك. قال ابن فورجه: تقدير البيت: شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك، فحذف لديك وأتى به في البيت الثاني، دالًّا على حذفه، والظروف كثيرًا ما تضمر، وقوله: من شرب الشمول: أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول. أي: إن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه.

(٣٠١) يقول: وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل، أي أكان صغيرًا أم كبيرًا. فقوله: لديك خبر كل.

(٣٠٢) وميدان: عطف على كل — في البيت السابق — وممتحن: إما مصدر بمعنى الامتحان، أو اسم مكان: أي المكان الذي يمتحن فيه الفوارس. يقول: ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وتمتحن الفوارس والخيل بالتسابق والتجاول والطراد، هذا هو الذي تنزع إليه همتك ويغمر به مجلسك، لا الشراب واللهو. قال الواحدي: عارض المتنبي بعضُ الحاضرين في هذه الأبيات، وقال: كان من حقه أن يقول:

بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْ شُربِ الشَّمُولِ عَلَى الْأُتْرُجِّ أَوْ طَلْعِ النَّخِيلِ
لِشُغْلِكَ بِالْمَعَالِي وَالْعَوَالِي وَكَسْبِ الْمَجْدِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ
وَقدحِ خَوَاطِرِ الْعُلَمَاءِ فَحْصًا وَمُمتَحَنِ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ

فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيبًا له.

(٣٠٣) القيل والقول بمعنى واحد. يقول: إن الذي أتيت به هو كلام العرب الأصيل، وكان بياني فيه بقدر ما عاينته؛ لأنه أراد: الذي عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أي لم تستحضره ليشرب على رؤيته، ولكنه بنى الكلام على ما عاين؛ أي إنما بنيت البيان على العيان فأغناني عن أن أقول: أنت شديد البعد وفي مجلسك ترنج الهند.

(٣٠٤) البعول: جمع بعل؛ الزوج. يقول: إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة المرأة من الرجل؛ أي إنه ينحط عن درجة كلامي انحطاط المرأة عن درجة الرجل. وهذا ينظر إلى قول أبي النجم:

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشر   شَيْطَانُهُ أُنْثَى وَشَيْطَانِي ذَكَرْ

(٣٠٥) هذا الدر: مبتدأ، ومأمون التشظي: خبر. ومأمون الثانية: بدل من السيف. والتشظي: التكسر والتفرق. والفلول: جمع فل، وهو الثلمة التي تصيب السيف من الضرب به. يقول: إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تتفتت أجزاؤه ولا يصير قطعًا لاكتنازه وصلابته. وكذلك أنت السيف الذي لا يتثلم حده ولا يخشى عليه الانفلال.

(٣٠٦) يقول: إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يدله عليه لم يصح في فهمه شيء؛ لأنه لا فهم له، كذلك كلامي كان واضحًا، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهارًا إلا بدليل.

(٣٠٧) العفاة: جمع عافٍ؛ طالب المعروف. والعداة: جمع عادٍ؛ الأعداء. يقول: إنك تعطي سائليك ما أملوه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك. فتقرب بزيارتك لهم آجالهم إذ تقتلهم.

(٣٠٨) الليوث: الأسود، والأشبال: أولادها.

(٣٠٩) هو من قول الآخر:

وَمَنْ كَانَتِ الْأُسْدُ مِنْ صَيْدِهِ   فَلَنْ يُفْلِتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدْ

(٣١٠) يقول: وصفت لنا سلاحًا ولم نره — لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه — فكأنك تصف وقت النزال — الحرب — لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال. هذا، والضمير في نره: عائد إلى السلاح؛ لأنه في نية التقديم. قال العكبري: ونصب سلاحًا على إعمال الفعل الأول — وهو وصفت — على مذهبه — أي مذهب المتنبي وهو كوفي مثل العكبري — في إعمال الفعل الأول، ومثله لذي الرمة:

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِي   لَئِيمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالَا

(٣١١) البيض: جمع بيضة؛ المغفر من الحديد يكون على الرأس. يقول: وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب؛ فأن وصلتها عطف على «سلاحًا».

(٣١٢) تا: أي هذه؛ يعني نارًا أوقدت بين يديه، أو نار الشمع. أو السراج أو القناديل التي يستضيء بها. يقول: إن بريق هذه الأسلحة يغني عن النار في الإضاءة، حتى يقرأ ما خط في الصحف في الليالي الحالكة. قال العكبري: «تا»: نعت لـ «نارك» وهي في موضع نصب، كما تقول: ضربت زيدًا هذا، فهذا نعت لزيد: أي هذا المشار إليه، ولو جعل بدلًا لجاز و«تا» إشارة للمؤنث الحاضر. كما يشار بـ «ذا» إلى المذكر الحاضر.

(٣١٣) استحسنت: أراد استحسنته، فحذف الهاء للعلم به. وعلى الرجال: حال سدت مسد الخبر. يقول: إن استحسنت هذا السلاح وهو ملقًى على البساط فأحسن من ذلك إعماله في الوغى، وهو على الرجال.

(٣١٤) يقول: وإن بالرجال وبالسلاح نقصًا، وكمالها بك.

(٣١٥) الدمستق: قائد الروم. يقول: لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من تقليب رأيه في التوقي منه. وقوله: «حالًا لحال» حال. واللام: بمعنى على، مثلها في قولهم:

قلب أمره ظهرًا لبطن

(٣١٦) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها، فنزل حران وأخذ رهائن بني عقيل وقشير وبلعجلان، ثم حدث له بها رأي في الغزو، فعبر الفرات إلى دلوك إلى قنطرة صنجة إلى درب القلة، فشن الغارة، فعطف عليه العدو فقتل كثيرًا من الأرمن ورجع إلى ملطية، وعبر قباقب حتى ورد المخاض على الفرات، ورحل إلى سميساط، فورد الخبر بأن العدو في بلد المسلمين، فأسرع إلى دلوك وعبرها، فأدركه راجعًا على جيحان، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق، وخرج الدمستق على وجهه. فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك.

(٣١٧) الظاعنين: جمع ظاعن؛ المرتحل. وشكول: جمع شكل؛ أي شبيه. يقول: إن ليالي الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول، أما لياليه هو فهي متشابهة في الطول لبعد الحبيب وامتناع النوم. ولك أن تقول: إن مشاكلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحًا ولا نومًا. يقول: لا يتغير حالي في ليالي بعد الأحبة ولا ينقضي غرامي ووجدي بهم؛ أي أنه لا يسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل:

إِذَا مَا شِئتَ أَنْ تَسْلُو خَلِيلًا   فَأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي

ثم أخبر عن طول لياليه فقال: هي طوال، وكذا ليالي العشاق.

(٣١٨) الضمير في «يبن» و«يخفين» لليالي. يقول: يظهرن لي بدر السماء الذي لا أريده ويخفين البدر الذي لا أجد إليه سبيلًا، وهو الحبيب.

(٣١٩) يقول: ليس بقائي بعدهم سلوًا عنهم، ولكن لأني صبور على النوائب والشدائد، حمول لها، كما قال أبو خراش الهذلي:

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَكُمْ   وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أمِيمَ جَمِيلُ

وسلوة: مفعول له.

(٣٢٠) جملة «حال بيننا» خبر «إن». يقول: إن ارتحال الأحبة عني حال بيني وبينهم؛ لأنا افترقنا، وفي الموت الذي يسببه الفراق ارتحال آخر؛ يعني أنه لا يعيش بعدهم. أو تقول: إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفًا من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعدًا عنهم.

(٣٢١) الروح: نسيم الريح الشرقية. وبرحتني: فارقتني. والقبول: ريح الصبا. يقول: إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدنيني إليكم — لأنها تذكرني روائحكم وطيب أيام وصالكم — فلا فارقتني روضة أتنشق روائحها وريح قبول أتنسم بها لأكون أبدًا على ذكر منكم. وفي هذا المعنى يقول البحتري:

يُذَكِّرنَا رَيَّا الْأَحِبَّةِ كُلَّمَا   تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ

والأصل فيه قول الأول:

إِذَا هَبَّ عُلْوِيُّ الرِّيَاحِ وَجَدْتُنِي   كَأَنِّي لِعُلْوِيِّ الرِّيَاحِ نَسِيبُ

هذا، وقوله: أدنى: أي أشد إدناء، فبنى أفعل من المزيد. وقد ذهب ابن جني في تفسيره هذا البيت مذهبًا أثار عليه غبار الناقدين. قال: إذا كنتم تؤثرون شم الروح في الدنيا وملاقاة نسيمها، فلا زلت روضة وقبولًا انجذابًا إلى هواكم، ومصيرًا إلى ما تؤثرونه، ويكون سبب الدنو منكم. أراد: فلا برحت روضة وقبولًا، فجعل الاسم نكرة، والخبر

معرفة للقافية. قال الواحدي: ومن فسر هذا التفسير فقد فضح نفسه وغر غيره: وقال ابن فورجه: الروح يؤثره من يأوي إلى هم وينطوي على شوق، فأما الأحبة — وإن كان إيثار الروح طبعًا في الناس — فإنهم لا يوصفون بطلب الروح وشم النسيم، والتعرض لبرد الريح والتشفي بنسيم الهواء، وأيضًا فما الحاجة إلى أن يكون الاسم نكرة والخبر معرفة؟ وليس هذا من أخوات كان، وإنما هي من برح فلان مكانه: أي فارقه. يقول: إذا لم يكن لي من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممي لطيبه بروائحكم، وما كان ينالني أيام اللهو والفرح بقربكم فلا فارقتني روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة. وقال ابن القطاع: برح — هنا — بمعنى زال. يقول: إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذي يشبه رائحة نسيمكم، فلا فارقتني روضة وقبول يأتيني برائحتكم. وقد دعا لنفسه بالحياة، فإنه ما دام حيًّا جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله:

وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ

(٣٢٢) الشرق: الغصص. وتذكرًا: مفعول لأجله، أو حال سدت مسد الخبر، بمعنى متذكرًا، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل. ونزول: جمع نازل، يقول: إني كلما شربت الماء غصصت به؛ لأني لأتذكر الماء الذي نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لي الماء الذي أشربه.

(٣٢٣) يقول: إن ذلك الماء الذي نزل به الحبيب يحرم ورده لمع الرماح التي ركزها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم. وبالحري مناعة حبيبه فيما بينهم؛ أي فلا سبيل إلى زيارته، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد.

(٣٢٤) في النجوم: خبر مقدم، ودليل — في آخر البيت — مبتدأ مؤخر. استطال ليله فقال: أليس في هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلني على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة؟

(٣٢٥) رؤيتي: مفعول مطلق. وقوله: فتظهر: جواب الاستفهام. يقول: إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينيها كما نظرت إليهما فيفتتن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عني وينحسر؟

(٣٢٦) درب القلة: موضع وراء الفرات. والكمد: الحزن. ويروى: شفت كبدي. والليل فيه قتيل: جملة حالية. يقول: إنه بدا له الفجر عند هذا المكان، فاشتفت كبده بانصرام الليل كما يشتفي العدو بنكبة عدوه، وجعل الليل قتيلًا لظهور حمرة الشفق

عند انقضائه فشبهها بالدم. قال ابن جني: سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت، فقال: وافينا القلة وقت السحر، فكأني لقيت بها الفجر، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلًا وشننا الغارات وغنمنا، وشفيت كمدي لانحسار الليل عني، والليل قتيل في ذلك الموضع. فكأن النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به. وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ سَلَّ سَيْفَهُ وَوَلَّى انْهِزَامًا لَيْلُهُ وَكَوَاكِبُهْ
وَلَاحَ احْمِرَارٌ قلت: قَدْ ذُبِحَ الدُّجَى وَهَذَا دَمٌ قَدْ ضَمَّخَ الْأَرْضَ سَاكِبُهْ

(٣٢٧) ويومًا: عطف على الفجر — في البيت السابق — يقول: ولقيت بدرب القلة بعد ذلك الليل المستبشع الكريه يومًا حسنًا جميلًا، فذكرت به محاسنك فكأن حسنه علامة صدق بعثتِ بها، وكانت الشمس هي الرسول؛ لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكأنها جاءت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن. وقال ابن جني: لما ثار الغبار ستر الشمس فكأنها رسول من محبوبته مستخفٍ. وهذا المعنى من أحسن الكلام، وفي معناه قول الآخر:

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا أَمَارَةُ تَسْلِيمي عَلَيْكِ فَسَلِّمي

(٣٢٨) اثَّار: افتعل، من الثأر، وأصله الهمز. أثأر يثئر اثئارًا: إذا أدرك الثأر، فلينه. والذحول: جمع ذحل؛ الثأر والعداوة والحقد. يقول: إنما حسن نهاري بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه، وبه اشتفيت من ليلي وما قاسيته فيه، فكأني أدركت ثأري منه. وهي أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه؛ لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة. ولابن فورجه هنا كلام حسن يزيد المقام إيضاحًا، قال: قد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيبًا بتقريظ وهي من محاسن هذه القصيدة، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى، وأراد بقوله: والليل فيه قتيل: حمرة الشفق، وأنه كَدَمٍ على صدر نحير، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من هموم وجعل حسن اليوم وهو ظفر سيف الدولة لسروره به كالعلامة التي جاءت من المحبوب، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوعها، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثأر لأبي الطيب على ما جرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين وإن كانت من المحال. يدل على هذا البيت التالي.

(٣٢٩) الغريبة: الأمر الغريب. وتروق: تعجب. وعلى استغرابها: أي مع استغراب الناس لها. وتهول: تفزع وتخيف. يقول: ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل، وهي مع استغراب الناس لها تعجب المتأمل فيها لحسنها وتوقع في لقدرها.

(٣٣٠) الدرب: المدخل إلى بلاد الروم. والجرد: الخيل القصيرة شعر الجلد، وهو آية كرمها. يقول: رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلًا.

(٣٣١) شوائل: حال من الجرد — في البيت السابق — وشالت العقرب ذنبها: رفعته. وتشوال: مفعول مطلق. وبالقنا: متعلق بشوائل. وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنابها. والمرح: لعب يتبعه النشاط والضمير في تحته: للقنا، ويجوز أن يكون للمدوح. شبه الرماح على الخيل بأذناب العقارب إذا رفعتها، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذناب في ذلك الجري، وهو دليل كرمها وقوتها، والتشوال أكثر ما يكون عند الجري، ثم دل على نشاطها بمراحها وعلى عزة نفسها بصهيلها.

(٣٣٢) هي: ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد. والخطرة: اسم مرة من خطر له كذا: مر بباله. وحران: بلد. ولبتها: أجابتها. والنصول: السيوف. يقول: لم تكن هذه الغزوة التي رمى بها أرض الروم إلا خاطرًا عرض له، فأجابت خاطره الرماح والسيوف، أي إنها كانت — مع عظمتها وجلالها — من غير استعداد ولا احتفال.

(٣٣٣) الهمام: الملك العظيم الهمة. وهم: أراد فعل الشيء. وأمضى: أنفذ. والهموم: الهمم. والأرعن: الجيش الكثير المضطرب لكثرته. يقول: هو همام إذا هم بأمر فعله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقيل على من يحاول هلاكه من أعدائه، أي إن أخذه شديد.

(٣٣٤) وخيل: عطف على أرعن؛ أي وبخيل. وبراها: هزلها. والتعريس: نزول الركب آخر الليل للاستراحة. وتقيل: أي تنزل وقت الهاجرة أي نصف النهار للنوم. يقول: إن خيله التي تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يجشمها من العدو فهي لا تزال دائبة التسيار في بلاد العدو، فإذا نزلت ليلًا في بلد لم تقم به نهارًا بل تقيل ببلد آخر.

(٣٣٥) دلوك: موضع وراء الفرات. وصنجة: نهر بين ديار مضر وديار بكر. والطود: الجبل العظيم. والرعيل: القطعة من الخيل. يقول: لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياته وخيله الجبال.

(٣٣٦) على طرق: حال من فاعل علت — في البيت السابق — والرفعة: الاسم من الارتفاع. والخمول: خفاء الذكر: أي سارت إلى الروم على طرق في الجبال، ومن ثم فهي مرتفعة على الطرق، وهي خاملة الذكر عند الناس؛ لأنها لم تسلك من قبل.

(٣٣٧) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة؛ لأنها على معنى مستقبحة وقال العكبري: إنها صفة لمغيرة. يقول: فجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم، فكانت قبيحة في أعينهم لسوء فعلها بهم، وهي مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقوله الآتي:

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعَدَائِهِ أَقْـ ـبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السُّوامُ

(٣٣٨) سحائب: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هي — الخيل — سحائب، ورواها ابن جني بالنصب على أنها بدل من قباحًا. قال العكبري: ويجوز أن تكون بدلًا من ضمير رأوها. وغسيل: بمعنى مغسول، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد؛ لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة، ولما جعل السيوف مطرًا جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم، وقال ابن جني: يجوز أن يعني بالسحائب الغبار الثائر. يصف خيله بالكثرة يقول: سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء.

(٣٣٩) عرقة: بلد بالشام. والانتحاب: البكاء. والجيب: ما انفتح من القميص على النحر. والثاكلات: جمع ثكلى، وهي التي فقدت ولدًا أو بعلًا أو أبا أو أخًا. يقول: وأمسى الجواري اللائي سبين من الروم يبكين بهذا الموضع مفجعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهدلت إلى الأرض فصارت كأنها ذيول.

(٣٤٠) موازر. حصن ببلاد الروم. والقفول: الرجوع. يقول: وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار. يعني أن عودها الذي ظنوه رجوعًا كان دخولًا عليهم.

(٣٤١) النجيع: دم الجوف خاصة. والضمير في «كأنه» للخوض. ويروى «نجيع» القوم يقول: فخاضت الخيل الدم الذي سفكت من الروم خوضًا وافرًا تامًّا هائلًا حتى هان غيره بالإضافة إليه، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك.

(٣٤٢) في كل مسلك: يروى: في كل منزل. وصرعى: جمع صريع؛ أي قتيل. والطلول: ما بقي من آثار الديار. يقول: تسير النيران مع الخيل أينما سلكت؛ أي إنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهله فتخرب ديارهم وتبقى الآثار.

(٣٤٣) كرت: عطفت. وملطية: بلد بالروم معروف؛ ولأنه اسم أعجمي، والاسم الأعجمي إذا وقع إلى العرب تصرفت فيه، أسكن الطاء وخفف الياء. ويريد أهل ملطية. والثكول: التي تفقد أولادها. يقول: وعادت الخيل ومرت في دماء أهل ملطية؛ أي سفكت دماءهم حتى خاضت فيها، ثم جعل ملطية أمًّا لأهلها وجعلهم كالبنين لها، وقد فقدتهم حين قتلوا.

(٣٤٤) قباقب: اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة. وكلفنه: أي كلفن قطعه. و«من» الداخلة على قباقب لبيان «ما». يقول: إن خيله أضعفت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزاحمها فأضحى ماؤه كالعليل الساقط القوة فجعلت جري مائه ضعيفًا.

(٣٤٥) يقول: لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته — أفزعته — كثرة الخيل؛ أي كثرة الجيوش التي خاضته، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال، ولما جعل الفرات مروعًا استعار له قلبًا؛ لأن الروع يكون في القلب.

(٣٤٦) السابح: الفرس الذي يمد يديه كأنه يسبح في جريه، ويحتمل هنا سباحة الماء. والغمرة: معظم الماء. والمسيل: مجرى الماء. يقول: إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويجري أمامها وهي تتبعه، فجعل ذلك كالمطاردة، ثم قال: إن هذه الخيل — لقوتها كانت لا تكترث لغمرة الماء، بل سواء لديها الغمرة والمسيل، فتسبح في الغمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه.

(٣٤٧) التليل: العنق. يقول: إذا سبح الفرس في النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقي الرأس والعنق وحدهما يسبحان.

(٣٤٨) هنزيط وسمنين: موضعان ببلاد الروم. والظرف: خبر مقدم عن بديل. الظبا: جمع ظبة؛ حد السيف. وصم القنا: الرماح الصلبة. وممن أبدن: متعلق ببديل، يقول: كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين، فلما عاودته بعد مدة وجدت قومًا آخرين قد أدركوا بدلًا ممن أفنتهم. يعني أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل.

(٣٤٩) الغرر: جمع غرة؛ البياض في وجه الفرس. والحجول: بياض يكون في قوائمها. يقول: طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة، قد عرفوها لها شهرة كغرر الخيل وحجولها؛ لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت.

(٣٥٠) الشم: الطوال المرتفعة في السماء. يقول: إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هي عن أماكنها بالخراب وتمكننا من أهلها.

(٣٥١) حصن الران: من حصون الروم. ورزحى: ساقطة هزالًا من الإعياء. والوجى: الحَفَى. يقول: باتت الخيل معيية بهذا الموضع مما أصابها في حوافرها، ثم اعتذر لها فقال: لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعبًا فذلت له وإن كانت عزيزة قوية.

(٣٥٢) قوله: وفي كل نفس ... إلخ: حال من ضمير الخيل — في صدر البيت السابق — والفلول: الثلوم. يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة ما لاقوا ما خلا سيف الدولة، فإنه لا يفتر ولا يمل، وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد فله — ثلمه — الضرب، أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال؛ لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته.

(٣٥٣) سميساط: بلد بشاطئ الفرات. والمطامير: جمع مطمورة؛ حفرة غائرة في الأرض يخبأ فيها الطعام والشراب. والملا: جمع ملاة، وهي الفلاة ذات الحر والسراب. الهجول: جمع هجل؛ المطمئن من الأرض، قال أبو زبيد:

تَحِنُّ لِلظِّمْءِ مِمَّا قَدْ أَلَمَّ بِهَا   بِالْهَجْلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّنَابِيرِ

(قوله: بالهجل: خبر مقدم. وكأصوات — أي مثل أصوات — مبتدأ مؤخر. قال ابن بري: والذي في شعره الزنانير — بالنون — وهي الحصى الصغار.)

يقول: قبل الوصول إلى سميساط هذه الأشياء.

(٣٥٤) مرعش: بلد بالثغر قرب إنطاكية؛ أي سارت الخيل في تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلًا، فكأنها لبست الدجى حين سارت في الظلمة. وقوله: وللروم خطب بذلك أن سيف الدولة لما نزل بحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم في بلاد المسلمين يعيثون ويقتلون، فرجع إليهم مسرعًا، فقتل منهم خلقًا كثيرًا وأسر قسطنطين بن الدمستق. ويجوز أن يكون المعنى: أن لأرض الروم خطبًا جليلًا؛ لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بحوافر خيله وذلل أهلها.

(٣٥٥) فضول: أي زوائد لا حاجة إليها. يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه، ولما رأوه كذلك علموا أنه يغني غناء الناس جميعًا وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده.

(٣٥٦) الخط: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية. والكليل: الذي لا يقطع. يقول: وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تكل عنه فلا تقطعه؛ إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهيبة فلا يقدم عليه.

(٣٥٧) الحصان: الذكر من الخيل. والجزيل: الكثير. يقول: إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب، واردين سيفه حين قتلوا به. أو تقول: يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحد سيفه، فجعل صدر فرسه موردًا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافحة، وجعل سيفه موردًا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به، فهو فتًى بأسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير.

(٣٥٨) على العلات: على كل حال. والدارع: الذي عليه الدرع. يقول: يجود بماله على اختلاف أحواله. كيفما دار به الأمر كان جوادًا، ولكنه بخيل برجاله، يعني أنه يبذل المال ويصون الأبطال، ولك أن تجعل الدارعين من الأعداء، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم. وعبارة ابن جني: بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميهم اصطناعًا (من اصطناع المعروف).

(٣٥٩) الفل: المنهزمون. والحزون: جمع حزن؛ ما غلظ من الأرض، ضد السهل. والبيض: جمع بيضة؛ ما يلبس على الرأس من حديد. يقول: ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رءوسهم فيصبح مكانها مستويًا بعد أن كانت ناتئة فوقه، وقد طابق بين التوديع والتشييع والحزن والسهل.

(٣٦٠) قسطنطين: هو ابن الدمستق، والكبول: جمع كبل؛ القيد الضخم. يقول: لم يشغله ما يعاني من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة. وقال الخطيب التبريزي: لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدًا عنده.

(٣٦١) يقول: لعلك يومًا تعود إلينا فيحيق بك الهلاك الذي استدفعته بفرارك، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه، فهذا تهديد له؛ أي أنك تعود فتؤسر أو تقتل. ولعله من قول ابن الرومي:

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا وَهَرَبْتَ مِنْهُ فَنَحْوَهُ تَتَوَجَّهُ

(٣٦٢) المهجة: الروح، وأنث جريحة بالتاء ضرورة. وخلفت: تركت خلفك؛ أراد بمهجته الأولى — وهي الجريحة — نفس الدمستق، وبالثانية: التي تسيل — ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة لبدنه؛ لأن جرح البدن يسري إلى الروح، وكنى بسيلان المهجة الأخرى — وهي ابنه — عن الهلاك؛ أي أنه يقتل فيسيل دمه، قال السموءل:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظبَاتِ تَسِيلُ

يقول: إنه هرب مجروحًا؛ لأن سيف الدولة جرح وجهه في هذه الوقعة، فنجا بنفسه وترك ابنه في يد الهلاك، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكًا بهلاك مهجته الأخرى — ابنه — لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه.

(٣٦٣) أسلمه: خذله وتركه. والاستفهام: استفهام إنكار وتوبيخ. والخطية: الرماح. ويسكن بمعنى يطمئن ويركن، وهو جواب الاستفهام. يقول: أتخذل ابنك وتتركه للرماح وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خلانك؟ أي لا يثق بك أحد بعد هذا.

(٣٦٤) المرشة: الطعنة ترش الدم. والرنة: الصياح. والعويل: البكاء. يقول: بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل، يعني أنك عاجز عن نصرة نفسك فكيف تنصر ابنك؟

(٣٦٥) يقول: أغركم كثرة رجالكم؟ لا تغرنكم الكثرة، فإن عليًّا — اسم سيف الدولة — يغلبكم وإن كثر عددكم، فالمراد بالشرب والأكل: الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر؛ لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين، وكأن هذا ينظر إلى قول أبي نواس:

فَإِنْ يَكُ بَاقِي إِفْكِ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ فَإِنَّ عَصَى مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

(٣٦٦) غذاه: صار له غذاء. والضمير لليث. وأنك فيل: فاعل ينفعك أو غذاه على طريق التنازع، وهذا مثل ضربه. يقول: أنتم وإن كنتم أكثر عددًا فإن الظفر له دونكم، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئًا، كالفيل مع الأسد فإن الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد. وبعبارة أخرى: إذا لم تكن إلا فريسة للأسد، فكونك فيلًا أي كونك ضخم

الجثة، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك في النجاة منه، يعني أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا في يد سيف الدولة، ولكنها تكون سببًا في شفائه بكثرة ما يقتل منهم.

(٣٦٧) قوله: هي الطعن: نعت شجاعة. يقول: إذا لم يدخلك في الطعن شجاعة هي الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم. يعني أن التحريض لا يحرك الجبان.

(٣٦٨) صال عليه: وثب واستطال. يقول: إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك ما لم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة، يعني أن الأيام تتعلم منه البأس.

(٣٦٩) مواضيًا: سيوفًا. وشفرة السيف: حده. يقول: فدتك ملوك تروم مشابهتك ولم تسم سيوفًا؛ إذ ليست أهلًا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسمًا ومضاء.

(٣٧٠) البوقات: جمع بوق، وهو ذاك الذي ينفخ فيه ويزمر. وعنى ببعض الناس: سيف الدولة. يقول: إذا كنت سيف الدولة، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل؛ أي لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك. أو تقول: إذا كنت سيفًا للدولة يذود عنها ويقاتل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل. وقال العروضي: أراد بالبوق والطبل: الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون في أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره في الناس، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث. قال ابن جني: وقد عاب على أبي الطيب من لا مخبرة له بكلام العرب جمع بوق والقياس يعضده، إذ له نظائر كثيرة، مثل: حمام وحمامات، وسرادق وسرادقات، وجواب وجوابات، وهو كثير في كلام العرب في جمع ما لا يعقل من المذكر؛ إذ لا يوجد له مثال القلة.

(٣٧١) الهادي: بمعنى المهتدي، وإذ: ظرف مضاف إلى الجملة بعده. يقول: أنا الذي أتقدم غيري، وأسبقه إلى ما أقول. يعني أنه يخترع المعاني الأبكار التي لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله.

(٣٧٢) أرابه: جعل فيه ريبة. والريبة: الشك والتهمة. يقول: إن ما يتكلم به حسادي فيما يريبني لا أصل له؛ لأنه كذب وباطل، وكذلك هم لا أصل لهم. أي ليس لهم نسب يعرف به أصلهم.

(٣٧٣) يقول: أعادى على علمي وفضلي وتقدمي في الشعر؛ وذلك مما يوجب الحب، لا العداوة، وأسكن أنا والأفكار تجول فيَّ ولا تسكن؛ أي لا أتعرض لهم، أما هم فلا يفترون عن تلمس ما يشنعون به عليَّ.

(٣٧٤) يقول: لا تشتغل بمداواة حسد الحساد، فإن الحسد داء عياء إذا حل في قلب فلا أمل في زواله، فسوى: مفعول داوِ.

(٣٧٥) وتنيل: تعطي. يقول: لا تطمعن في مودة حاسد، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه.

(٣٧٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر. يقول: وإنا لنلقى الحادثات بأنفس جلدة تحتقر الخطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة.

(٣٧٧) هذا من قول أبي تمام:

لَا يَأْسَفُونَ إِذَا هُمُ سَمِنَتْ لَهُمْ ... أَحْسَابُهُمْ أَنْ تَهْزُلَ الْأَعْمَارُ

(٣٧٨) أنث «تغلب» لأنها قبيلة. ويجوز رفعها على النداء المفرد، وجعل ابنة وائل منصوبًا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل. وابنة بدلًا منها. يقول لتغلب: افخري وتيهي، فإنك قبيلة خير من فخر، يعني سيف الدولة. وتيهًا وفخرًا: منصوبان على المصدر.

(٣٧٩) تغله: تهلكه وتذهب به، يقال: غاله يغوله؛ إذا أهلكه. والغول: المهلك. يقال: الغم غول النفس والغضب غول الحلم. يقول: إذا مات عدوه حتف أنفه ولم يقتل برماحه غمه ذلك، لأنه على يقين من الظفر به.

(٣٨٠) ممات: مصدر ميمي، والضمير في قوله لم يمته: مفعول مطلق مثله في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾. والغلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة، وكل من خان في شيء خفية فقد غل. جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله. يقول: بينه وبين المنايا شركة في النفوس، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خانته المنايا فيها. يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه.

(٣٨١) الدولات: جمع دولة — بضم الدال وفتحها — العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: بالضم في المال، وبالفتح في الحرب. وقيل: بالضم اسم للشيء الذي يتدوال به بعينه، وبالفتح: الفعل، وهي في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدولة، ويقال: صار الفيء دولة بينهم، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا.

والدولات هنا: بمعنى المصدر، والموت الزؤام: الوحي — العاجل — أو الكريه. يقول: إذا كانت الدولة قسمًا لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزؤام غير متهيب ولا مكترث.

(٣٨٢) لمن: بدل من «لمن» في البيت السابق. والبيض: السيوف. والهام: الرءوس. والكماة: الأبطال المدججون بالسلاح. يقول: إن الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوس عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد في رءوس الشجعان.

(٣٨٣) من: مبتدأ، خبره قد فضلوا — في البيت التالي — والهمام: الملك العظيم الهمة. ووائل، أبو قبيلة الممدوح، جعله اسمًا للقبيلة فلم يصرفه. والطاعنين: نعت وائلا. والوغى: الحرب. وقوله: أوائلًا: مفعول به، أي أوائل الأعداء، ويجوز أن تكون حالًا أي أنهم السابقون إلى الطعان. ومن روى الأوائلا: تعينت المفعولية. أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم.

(٣٨٤) العاذلين: جمع عاذل؛ أي اللائم. والندى: الجود. والعواذل: جمع عاذلة، أي لائمة. يقول: إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم. ومن كان هذا شأنهم فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك، ويتفردون بالمكارم بما زدتهم من مجدك.

(٣٨٥) هذي الرسائل: مبتدأ مؤخر. ودروع: خبر مقدم. وملك بسكون اللام: مخفف ملِك بكسرها. يقول — مخاطبًا سيف الدولة: إن هذه الرسائل التي أرسلها ملك الروم هي له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله، وقد زاد ذلك بيانًا فيما يلي. وقوله يشاغل: قال ابن جني: لفظة غريبة، إلا أن العامة ابتذلتها فلو تجنبها كان أجود.

(٣٨٦) الزرد: الدرع المزرودة، يدخل بعضها في بعض. والضافي والسابغ بمعنى الطويل التام. يقول: هذه الرسائل عليه درع سابغة؛ أي تقوم في الرد عنه مقام الدرع، ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك؛ لأنها خضوع منه واستسلام إليك، فهو يخطب منك الصلح خوفًا ورهبة.

(٣٨٧) أنى: بمعنى كيف. والاستفهام: للتعجب، والقساطل: جمع قسطل، وهو الغبار الذي تثيره الخيل. يقول: كيف اهتدى هذا الرسول في أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشرًا لم يسكن؟

(٣٨٨) الجياد: الخيل. والمناهل: الموارد. يقول: لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبقَ منهل إلا صار ممزوجًا بالدماء. فمن أي ماء كان يسقي خيله؟!

(٣٨٩) يجحد: ينكر. وجملة يكاد وما يليه: حال من فاعل أتاك. وتنقد: تنقطع. يقول: أتاك هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقعًا عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توهمًا منه أنه قد انفصل عنه، وتكاد مفاصله تنقطع هيبة لك وفرقًا منك. وقوله تحت الذعر: يروى: تحت الدرع.

(٣٩٠) السماطان: الصفان، يريد صفين من الجند كانا بين يدي سيف الدولة. والأفاكل: جمع أفكل؛ الرعدة تعرض عند الفزع. يقول: إذا عوجت الرعدة مشي الرسول إليك هيبة لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فمر مستقيمًا.

(٣٩١) سميُّك: فاعل قاسمك، ويعني بسميه: السيف، وهو خليله الذي لا يزايله — لا يفارقه — يقول: إن سيفك قاسمك عيني الرسول ولحظه، فكان ينظر بإحدى عينيه إليك وبالأخرى إلى السيف، يعني أن رسول ملك الروم ملكه من هيبة سيف الدولة ما ملكه من هيبة سيفه، فأجال لحظه متهيبًا لهما معًا. وقد ذكر علة هذه المقاسمة في البيت التالي.

(٣٩٢) الهائل: المفزع المخيف. والضمير في منه: للسيف. يقول: فأبصر منك بعموم جودك الرزق المحيي فأطمعه، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع واليأس، وقسم عينيه بين شطرين: التأميل والخوف.

(٣٩٣) الكمي: الشجاع المدجج بالسلاح. والمتضائل: المتصاغر خوفًا. يقول: وقبَّل الرسول كمَّك بعد أن قبل الأرض، والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيبة لك.

(٣٩٤) الهمام: الملك العظيم الهمة. يقول: إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك، وإذن نال الرسول بذلك شرفًا عظيمًا؛ لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك.

(٣٩٥) المذاكي من الخيل: التي كملت أسنانها. والذوابل من الرماح: اللينة لطولها. يقول: كمك مكان تتمنى الشفاه أن تقبله، ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح.

(٣٩٦) يقول: لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك، ولكنه سألك ذلك وأنت لا تخيب السائل.

(٣٩٧) أكبر: فعل ماض. وفاعله: العدا. ويقال أكبرته: أي استكبرته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾. وهمة: مفعول به، وقوله: بعثت به: نعت همة، وأراد بعثته، فأدخل

عليه الباء، قالوا: كل شيء ينبعث بنفسه كالعبد، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه، فيقال: بعثته، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره. والجحافل: الجيوش. يقول: إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول؛ إذ حملته همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم — بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم — تنتظر قدومه ليبلغهم جوابك.

(٣٩٨) يقول: أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم، فلما عاد إليهم أزرى بهم ولامهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك، ورأى جنودك وكثرة عديدك، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه.

(٣٩٩) ربيعة: قبيلة سيف الدولة. وطبع السيف: عمله، يقول: رأى الرسول منك سيفًا ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم يرَ سيفًا قبلك بهذه الصفة.

(٤٠٠) المقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض. والأنامل: رءوس الأصابع. ولون السيف: فرنده وجوهره. والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه، وأراد بحده: عزيمته، وكلا الأمرين لا يدرك بالحواس. وعبارة الواحدي: إن العيون لا تحصل لونه؛ لأنها لا تستوفيه بالنظر هيبة له، كما قال:

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ　　　فَفِي أَبْصَارِنَا عَنْهُ انْكِسَارُ

ولا تجس الأنامل حده كما تجس حد السيف؛ لأنه ليس سيفًا على الحقيقة. وقال ابن وكيع: هذا من قول الأول:

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي　　　كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

(٤٠١) يقول: إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أتوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك، كما قال البحتري:

لَحظوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصْغَرُوا　　　منْ كَانَ يُعْظَمُ عِنْدَهُمْ وَيُبَجَّل

(٤٠٢) النوافل: جمع نافلة، وهي العطية من حيث لا تجب. والطوائل: الأحقاد، واحدتها: طائلة؛ أي عداوة وترة. يقول: رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر؛ أي لا يؤمل عدوه أن يدال عليه فيظفر بإدراك ترته.

(٤٠٣) يقول: إن كان الذي ساقهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والانقياد ما لا يفعل القتل أكثر منه، وقد فسر هذا في البيت التالي.

(٤٠٤) يقول: فخافوك خوفًا، لو قتلتهم لم يزد خوفهم على ذلك، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل. وفي المثل: الحذر أشد من الوقيعة.

(٤٠٥) الجداول: جمع جدول؛ النهر الصغير. وإليك مصيره: أي منتهاه إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك

(٤٠٦) الطل: المطر الضعيف. والوابل: المطر الغزير، يقول: إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتذوا حذوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم. يعني أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم.

(٤٠٧) كريم: خبر عن محذوف ضمير المخاطب؛ أي أنت كريم. ولقحت حرب: اشتدت أو وقعت. وحرب لاقح مثل بالأنثى الحامل. قال الأعشى:

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَهْبَاءُ لَاقحٌ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا وأظلت

(حرب عوان: قوتل فيها [مرة بعد] مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرًا، ويقال: همزته بناب: أي عضته.)

يقول: أنت كريم ما تسأل شيئًا إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبته مع شدة حاجتك إلى الفرس، يعني لو سئلت شيئًا في أحوج ما تكون إليه لوهبته.

(٤٠٨) يقول: أعطِ الناس أموالك ولا تعطهم شعري، أي لا تحوجني إلى مدح غيرك. وقال ابن جني: أي لا تعطِ الناس أشعاري فيسلخوا معانيها. قال الواحدي: وهذا — أي كلام ابن جني — ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس، وأجود الشعر ما سار في الناس. وقال المعري: يريد لا تعطِ الناس شعري فتجعلهم في طبقتي فتقول: أنت مثل فلان.

(٤٠٩) الضبن: ما بين الأبط والكشح. والشويعر: تصغير شاعر، والاستفهام: للتعجب والإنكار. يقول: أفي كل يوم يتمرس بي شويعر في صناعته قصير في معرفته فأراه يباريني في القوة وهو لا قوة له ويطاولني وهو قصير أحمله تحت ضبني؟! يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضبنه لقدر على ذلك، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة.

(٤١٠) الباء — في الشطرين — بمعنى «في» أي إذا نطقت صمت لساني عنه وعدل عن مخاطبته، وقلبي يضحك منه ازدراء به. وبعبارة أخرى يقول: يعدل عنه لساني فلا أكلمه ولا أهاجيه؛ لأني لا أراه أهلًا لذلك، وقلبي يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتًا لا أبدي الضحك والسخر، ثم بين لم يفعل ذلك فيما يلي. هذا، والهزل: ضد الجد، يقال: هزل يهزل. قال الكميت:

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا تَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزِلُ

(٤١١) يقول: إنما لا أجيبهم لأتعبهم بترك الجواب كما أنهم يغيظونني بالمعاداة وهم غير أشكال لي. وتقدير البيت: أتعب منادٍ لك من ناداك فلم تجبه؛ لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد في النداء، كما أن أغيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشفى منه.

(٤١٢) التيه: الكبر. والطب: العادة والديدن. قال فروة بن مسيك المرادي:

فَإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
فَمَا إِنْ طبنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ تَكُرُّ صُرُوفهُ حِينًا فَحِينَا

(قوله: وإن نغلب فغير مغلبينا: يعني إن كانت همدان ظهرت علينا في يوم الردم فغلبتنا فغير مغلبين — والمغلب: الذي يغلب مرارًا — أي لم نغلب إلا هذه المرة. وقوله: فما إن طبنا ... إلخ: أي ما عادتنا وشأننا. وقيل: الطب ها هنا: العلة والسبب؛ أي لم يكن سبب قتلنا الجبن، وإنما كان ما جرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال عنا والدولة، والسِّجال — بالكسر — مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب.)

وبغيض: خبر مقدم عن المرفوع بعده، والجملة خبر أن، وإلى: بمعنى عندي. يقول:

ليس الكبر عادتي وديدني غير أنني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل، يعني أن الذي يمنعني من تكليمهم إنما هو بغضي إياهم لا التكبر عليهم. أقول: ولو عكس المعنى وقال: إني أعرض عنهم تكبرًا واحتقارًا لا بغضًا واجتواء — لأنهم أقل من أن يبغضوا — لكان أروع، وما أجمل قول الطرماح.

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي   بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
إِذَا مَا رَآنِي قطَّع الطَّرْفَ بَيْنَهُ   وَبَيْنِي كَفِعْلِ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ

قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علمًا فهو يتواضع لتلك الزيادة، والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وتمقته النفوس.

(٤١٣) يقول: أكبر ما أتيه به أنني واثق بجميل رأيك فِيَّ، كما أن أكثر ثرائي هو من ناحية تأميلي لك ورجائي فيك.

(٤١٤) القرم: السيد. وأصله: الفحل الكريم من الإبل. وهبة: أي انتباهة. يقول: لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك، فيهلك باطلهم — يعني شعرهم — ويبقى الحق — يعني شعره.

(٤١٥) المراد بالقوافي: القصائد. والغوازي: من الغزو. يقول: مدحته بإذاعة فضائله — فكأني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظًا وحسدًا، وجعل القوافي غوازي قواتل؛ لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد، وجعلها سالمات؛ لأنها تُصيب ولا تُصاب.

(٤١٦) الثواكل: جمع ثاكل؛ الفاقدة ابنها أو أباها أو أخاها. يقول: لو كانت النجوم جيوشًا ثم حاربته لقامت عليها النوائح، يعني أنها وإن قيل: إنها خالدة لا تفنى، لو حاربته لأتى عليها وأفناها.

(٤١٧) يقول: ما كان أقربها له لو قصدها وألطفها — أخفها — لو حاول تناولها، يعني أن سعده يقرب له البعيد. وقال الواحدي: في جميع النسخ وألطفها برد الكناية — الضمير — إلى النجوم، ولا معنى له. والصحيح: وألطفه، برد الكناية إلى الممدوح: أي ما ألطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول، من قولهم: فلان لطيف بهذا الأمر: أي رفيق، يعني أنه يحسنه وليس بأخرق، وبعد، فإن النجوم في البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذي يستحيل على غيره بلوغه وقد بين ذلك في البيت التالي.

(٤١٨) النائي: البعيد. والورى: الخلق. والقنابل: الجماعات من الخيل. واحدتها قنبلة، قيل: القنبلة من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه، والقنبلة من الناس: الطائفة منهم، وقدر قنبلانية: تجمع القنبلة من الناس: أي الجماعة. يقول: قريب عليه كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجيشه فانعقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى يصير له كاللثام. وبعبارة أوضح: إذا قاد جيشه وأنفذ نحو العدو خيله ولثمت كتائبه بما تثيره من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير مستعصٍ عليه.

(٤١٩) وقتًا: ظرف، ولها: خبر ليس، وشاغل: اسمها. يقول: إن تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه، فإنه بسيفه وقوة يده يدبرها، ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شيء يشغلها وقتًا عن الجود، أي لا يغفل عن الجود وإن عظم شغله، كما قال البحتري:

تَبِيتُ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِمَجْدِكَ يَوْمًا أَنْ تَبِيتَ عَلَى شُغْلِ

وروى ابن فورجه: وقتٌ بالرفع، على أنه اسم ليس، وشاغل: نعت له. قال الواحدي: تهوس ابن فورجه في هذا البيت فروى وقت بالرفع، قال: وفيه معنًى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت، وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ ما هو أحقر منهما أولى، قال الواحدي: وهذا الذي قاله — ابن فورجه — باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل، والوجه: النصب؛ لأنه ظرف لشاغل.

(٤٢٠) هراب: جمع هارب. ومراده: فاعل يتبع، ولك أن تجعله مفعولًا ثانيًا ليتبع. وحربًا: نصب على الحال. أي محاربًا — يقال: فلان حرب لفلان إذا كان معاديًا له، ولك أن تجعل حربًا منصوبًا بنزع الخافض: أي من الحرب. والغوائل: جمع غائلة، وهي الداهية تغول: أي تهلك. يقول: إن جده يسعده وينفذ مراده في أعدائه، فمن فر منه محاربًا جرى مراده في أثره فهلك بسبب من الأسباب، واستقبلته غائلة تأتي عليه.

(٤٢١) النائل: العطاء، يقول: من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسدًا له استقبله حيثما توجد عطاء منه؛ وذلك لعموم نائلة الأرض. وبعبارة أخرى: إن جوده يشمل الولي والحاسد ويعم المحسن والمسيء. وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لَمْ تَلْقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودَا

(٤٢٢) وهو كامل: حال من إحسانه. وكاملًا مفعول ثانٍ لـ «يرى»، وقوله: له الضمير للممدوح، والظرف حال من الضمير في «كاملًا»: أي كاملًا في حقه وبالنسبة إليه. يقول: هو مع كون إحسانه كاملًا قد بلغ الغاية لا يراه كاملًا بالإضافة إليه وإلى علو همته حتى يكون عامًّا يشمل الناس جميعًا.

(٤٢٣) العرب العرباء: القديمة الخالصة التي لم تشبها هجنة. ورازت: جربت واختبرت. وفتاها: كريمها وسخيها. والحلاحل: السيد. يقول: إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك فتاهم وسيدهم؛ لأنك أجودهم وأشجعهم.

(٤٢٤) يقول: هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم ببذل أرواحهم لبذلوها في طاعتك، وقد تصرفوا في إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل: أحاطت أنسابها بنسبك فأنت وسيط بينهم.

(٤٢٥) الأنابيب: جمع أنبوب؛ العقدة الناشزة في القناة. والقنا: عيدان الرماح. والعوامل: جمع عامل، وهو ما يلي السنان من الرمح. والنكت: الوخز. ويقال: طعنه فنكته: أي ألقاه على رأسه. شبه قبائل العرب بأنابيب الرمح وسيف الدولة بالعامل. قال الواحدي: هذا مثل، يقول: إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون بعض الرمح بعضًا لم يحصل الطعن، ولكن العوامل هي التي تصيب الفرسان؛ لأن السنان فيها. كذلك القبائل: كلهم مدد لك والعمل منك، فأنت منهم كالعوامل من الرمح. وهذا من قول بشار.

خُلِقُوا سَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً كَكُعُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ

وقال البحتري:

كَالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقَادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الْأَصْيَدِ

وبعبارة أخرى: يقول له — مؤكدًا لما ذكره من انقياد العرب لأمره: كل أنابيب الرمح مما تمده وتعينه، ولكن العامل منها هو الذي به يكون الطعن وصرع الفرسان. جعل موضع سيف الدولة من العرب — وإن كانوا مددًا له — موضع العامل من الرمح

الذي به يكون الطعن، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنابيب. وقال ابن جني: المعنى أن أصحابك وإن كانوا أعوانًا لك فأنت الذي تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها كتقدم السنان.

(٤٢٦) الوغى: الحرب. وإليك: صلة انقيادًا. والشمائل: الأخلاق. والمفعول الثاني لرأيت: محذوف سد مسده شرط «لو» وجوابها. يقول: إن لم يطعك الناس خوفًا من طعنك أطاعوك حبًّا لشمائلك؛ أي إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك من الطعان في القتال.

(٤٢٧) المناصل: جمع منصل، وهو السيف، يقول: من لم تعلمه نفسه الخضوع لك وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك؛ أي إن من لم يخضع لك طوعًا ورغبة خضع لك خوفًا ورهبة.

(٤٢٨) يقول: إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلًا له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك. يعني أنت أصبر ذوي الرزايا وأفضلهم. والرزية والرزيئة — بالهمز وبتركه — المصيبة.

(٤٢٩) يقول: أنت أجل من أن تُعزى عمن ترزأ به من الأحباب؛ لأنك أعقل من الذي يعزيك وأهدى منه إلى معاني التعزية. قال ابن جني: فوق — الأولى — نداء مضاف إلى أن تعزى، والثانية: ظرف، وعلى هذا تكون «أنت» مبتدأ. و«فوق» الثانية: خبر. وقال التبريزي: يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون حذف المنادى: أي أنت يا سيف الدولة وعلى هذا تكون فوق — الأولى والثانية — ظرفين، وتكون الأولى: خبرًا أول. والثانية: خبرًا آخر. والوجه الثاني أن تكون «فوق»: نعتًا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء. وعقلا: نصب على التمييز.

(٤٣٠) اهتدى: أي الذي يعزيك. ونصب «قبلا» على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك: جئتك أولًا وآخرًا، كما قال:

وَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغَصُّ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ

(رُوي عجز هذا البيت: أكاد أغص بالماء الحميم ورُوي أيضًا: بالماء المعين، ورُوي: أغص بنقطة الماء الحميم. قال البغدادي: وهو آخر أبيات خمسة ليزيد بن الصعق وهي:

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ أَبَا حُرَيْثٍ وَعَاقِبَةَ الْمَلَامَةِ لِلْمُلِيمِ
فَكَيْفَ تَرَى مُعَاقَبَتِي وَتَسْعَى بِأَذْوَادِ الْقُصَيْبَةِ وَالْقَصِيمِ؟
وَمَا بَرِحَتْ قَلوصي كُلَّ يَوْمٍ تَكِرُّ عَلَى الْمُخَالِفِ وَالْمُقِيمِ
فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذْ أَوْقَعْت فِيكُمْ قَبَائِل عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمِ
وساغ لي الشراب ... ... البيت

المليم: من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه. والمعاقبة: المناوبة — من العقبة، وهي النوبة — والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر. والقصيبة والقصيم: موضعان. والمخالف من الخلوف، وهم المقيمون في الحي حينما يذهب الرجال للغزو. وقوله: ساغ: عطف على نمت. والحميم: الماء الحار، وليس بمراد، وقيل: هو من الأضداد يطلق على الماء البارد أيضًا. وأغص: مضارع غصصت بالطعام، والغصة: ما غص به الإنسان من طعام، وهو هنا مستعمل مكان الشرَق.)

يقول: إن الذي يعزيك، منك تعلم ألفاظ التعزية؛ فهو يقول لك في التعزية ما قلتَه قبل ذلك واستفاده منك. وعبارة العكبري الإنشائية الأنيقة: المعزي لك إنما يهتدي بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية، فإن حقائق الأمور مستفادة منك، وجواهر الكلام مأثور عنك، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له، فهو كمن جلب إلى هجر القطيعاء (هجر: بلد بالبحرين، مذكر مصروف، مشهور بتمره. والقطيعاء — ممدود، مثل الغبيراء — صنف من التمر)، وإلى الفرات الماء، وإلى البدر الضياء.

(٤٣١) بلوت: خبرت. والخطوب: حوادث الدهر. والحزن: ضد السهل، وهو ما خشن من الأرض وارتفع. والمنصوبات — في البيت — أبدال. يريد: حلوها ومرها وحزنها وسهلها. وتفسير العكبري الجميل: قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك، وسرت في الأيام مالكًا صعبها تسلك منها ما صعب وسهل، وتعاني ما بعد وقرب، ناهضًا بنفسك، مكتفيًا بعلمك.

(٤٣٢) يغرب: يجيء بشيء غريب. وعلمًا وقولًا: كلاهما تمييز. يقول: عرفت الزمان وألوانه وصروفه معرفة تامة، فلا يأتي بشيء غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه، وقتلت الزمان علمًا: يعني علمت منه كل شيء حتى أذللته بعلمك ولينته لك، ومعنى القتل في اللغة إزالة الحركة، ومنه يقال: شراب مقتول؛ إذا كسرت سورته بالماء.

(٤٣٣) الذعر: الخوف. قال ابن فورجه: يقول: أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظًا منك لوده وصحبته ووفاء له، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل. وغيرك يحزن خوفًا من ألم الفراق وجبنًا منه وجهلًا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن. قال الواحدي: وتفسير الحفظ على ما ذكره. وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه. والوجه أن يقال: أراد بالعقل الاعتبار بمن مضى، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتبارًا به وعلمًا أنه عن قريب يتبعه على أثره، وحزن غير العاقل يكون ذعرًا من الموت، وهو جهل؛ لأنه ميت لا محالة وإن حزن.

(٤٣٤) الإلف: السكون إلى الشيء والأنس به. يقول: لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف، وإذا كان ألوفًا حزن على فراق من ألفه. وعبارة العكبري: لك إلف لكرم صحبتك يجر الحزن إليك ممن تفقده من أحبتك، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك، وكذلك الأصل إذا كان كريمًا كأصلك متمكنًا في مثل نصاب شرفك، كان أصلًا لكريم المواصلة والمؤالفة، وباعثًا على مشكور المعاملة، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة. «ويجره»: رواها ابن جني: تجره — بالتاء — قال: أي تحسبه وتحمل ثقله.

(٤٣٥) ووفاء: عطف على إلف — في البيت السابق — يقول: ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيرًا ونشأت عليه، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب، ولا بدع؛ فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فانحدر إليك منهم، وهذا الذي جر إليك الحزن على من فقدت. وقوله: ولكن: هو استثناء معروف في كلام العرب، يقولون: فلان شريف غير أنه سخي. وفي الحديث: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش»؛ أي فلا عجب في كوني أفصحهم. وقالوا:

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ   جَوادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

(٤٣٦) الرعاية: حسن المحافظة. والاستهلال: الانسكاب. يقول: إن الدمع الذي سببه رعاية العهد هو خير الدموع عونًا على الحزن والرزية، وذلك أن الدمع يخفف برح الوجد، كما قال ذو الرمة:

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً   مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

وقوله: عونًا، يروى: «عندي»، وروى ابن جني: عينًا، قال: وهو منصوب على التمييز كقولك: إن أحسن الناس وجهًا لزيد، والمعنى أن عينه خير الأعين؛ لأن موجب دمعه حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ.

(٤٣٧) استكره الحديد: أي أكره على الضرب، وهو بدل من قوله: في الحرب. وصل الحديد: صوت. يقول: هذه الرقة والرحمة التي نشاهدها منك الآن أين هي في وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصلُّ بقرع بعضه البعض عند تجالد الأبطال؟! قال البحتري:

لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ الرَّقِيقُ رَقِيقًا   لَا وَلَا وَجْهُكَ الْمَصُونُ مَصُونَا

وقوله: إذا استكره الحديد وصلَّا، قال العكبري: فيه نظر إلى قول لبيد:

أَحْكَم الْجِنْثِيَّ مِنْ عَوْرَاتِهَا   كُلُّ حِرْبَاءٍ إِذَا أُكْرِهَ صَلَّ

(الجنثي: السيف بعينه. وأحكم: أي رد الحرباء — وهو مسمار الدرع — من عوراتها السيف.)

(٤٣٨) خلفتها: رواها ابن جني: غادرتها، وهما بمعنًى. والغداة: البكرة، وهي مضافة إلى الجملة التي بعدها. والهام: الرءوس. والصوارم: السيوف. وتفلى: من فليت رأسه إذا فصلت القمل منه، وأصله من فلوت الفلو عن أمه: إذا أنت فصلته عنها. يقول: أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرءوس تطلب بالسيوف في جميع الجهات كالفالي يتبع كل موضع من الرأس. هذا هو تفسير الواحدي، وقد أبعد في تفسيره «تُفْلَى» بما قال. ولم هذا وقد جاء في كتب أهل اللغة أنه يقال: فلى رأسه بالسيف فليًا: ضربه وقطعه؟! قال الشاعر:

تُخَاطِبُهُمْ بِأَلْسِنَةِ الْمَنَايَا   وَتَفْلى الْهَام بِالْبِيضِ الذُّكُورِ

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه: أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم في الحرب والرءوس تضرب بالسيوف، والنفوس تخترم بالحتوف؟

(٤٣٩) المنون: المنية، ويجوز تذكيره وتأنيثه، وقد يراد به الجمع، وهو ما يقصده المتنبي — كما يدل على ذلك البيت التالي — وجورًا: حال. والقسم — بالكسر — الاسم

من قسمه. يعزيه بأخته الكبرى الباقية، يقول: قاسمك الموت شخصين؛ يعني أختيه، فذهب بإحداهما — الصغرى — وترك الأخرى — الكبرى — وكانت هذه المقاسمة جورًا — ظلمًا — لأنه كان من حقك أن يتركهما، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركك حيًّا وكانت المقاسمة معك في الأختين؛ يعني إذا كنت أنت البقية فالجور عدل، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور، ورُوي: «جعل القسم نفسه فيه عدلًا» يعني أن القسم جعل نفسه عدلًا في الجور؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فآثرك بأفضل النصيبين؛ لأنك أفضل المتقاسمين. ولنرجع إلى المنون فنقول: قال علماء اللغة: المنون الموت؛ لأنه يمن كل شيء أي يقطعه ويضعفه وينقصه، وقيل: المنون: الدهر، وجعله عدي بن زيد جمعًا فقال:

مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونَ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ... ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ؟!

وهو يذكر ويؤنث، فمن أنث حمل على المنية، ومن ذكر حمل على الموت، قال أبو ذؤيب الهذلي:

أمن المنون وريبه تتوجع؟! ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقد روي: وريبها حملًا على المنية، وقيل: إنما أنث على معنى الدهور فرده على عموم الجنس، كقوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال. والسماء بمعنى السموات. وقال أبو العباس: المنون يحمل معناه على المنايا فيعبر بها عن الجمع، وأنشد بيت عدي بن زيد: من رأيت المنون ... إلخ أراد المنايا؛ فلذلك جمع الفعل.

(٤٤٠) أغدرن كغادرن: تركن. وسرى عنه: فرج. وسلَّى: عزى. والضمير في سرى وسلى: للقياس، أو لما أغدرن. يقول: إذا قست الصغرى التي أخذتها المنية بالكبرى التي أبقتها لك وجدت في ذلك ما تتعزى به؛ لأنها أبقت لك أحبهما إليك.

(٤٤١) أي حين بقيت الكبرى. وأوفى: أتم. وجدك: أي سعدك.

(٤٤٢) يقول: لقد شغلت المنايا بما تواصله في أعدائك من القتل في الحرب فكيف تطلب المنايا شغلًا بغيرهم فتتفرغ إلى ذي قرابتك؟!

(٤٤٣) انتاشه: تناوله وانتشله. ويقال: انتاشه من صرعه: إذا استنقذه. والنوال: العطاء. والمقل: الفقير. يقول: كم نصرت أسيرًا للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر الدهر، وكم من فقير معدم نصرته بعطائك فأنقذته من أنياب الإقتار والفاقة.

(٤٤٤) فاعل عدها: ضمير الدهر. والهاء: ضمير النصرة: أي عد نصرتك لهذين نصرة عليه، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة. وصال: وثب واستطال. والختل: الغدر. والتبل: الثأر. يقول: عد الدهر أفعالك — من انتياشك الأسير والمقل من يده — نصرة عليه ومراغمة له، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك ثأره منك؛ لأنه حقد عليك مما فعلته، فقوله: رآه: أي رأى الدهر نفسه، وهي من رؤية القلب؛ أي ظن نفسه واعتقد.

(٤٤٥) يقول: ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأرًا؛ لأنك تبلي الدهر بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى في نعمة لا تفنى؛ إذ آتاك الله من السعد ما لا تقوى عليه غير الدهر وصروفه. ويقال: كذبه ظنه: إذا خدعه وزين له الباطل.

(٤٤٦) رامك: طلبك. يقول: ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلًا عن أن ينالوا خاصة نفسك، والمعنى: لم يقاربوك بسوء، وذلك أن ظله يقرب منه. وحاصل معنى البيتين أن الله قد صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء.

(٤٤٧) يقول: طلبت بعض أعدائك فأدركت الكل بما أعطيت من السعد والإقبال في الظفر بالأعداء، يعني أن سعده يقاتل أعداءه عنه ويؤتيه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب. فقوله: بالسعادة، متعلق بـ «رمت».

(٤٤٨) الرامحين: أي حاملي الرماح. وعزلًا: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه. يقول: قارعت رمحك رماح الأعداء، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركتهم عزلًا لا سلاح معهم. يشير إلى حذقه بالطعن والاقتدار على التصرف في الحرب.

(٤٤٩) وردت: استقبلت. والفجعة: المرة من فجعه؛ إذا أوجعه بعزيز لديه. والقبل جمع أقبل، وهو الذي يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسًا. وقال بعض اللغويين: الأقبل الذي أقبلت حدقتاه على أنفه. والأحول: الذي حولت عيناه جميعًا. وقال آخرون: إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا، ورجل أقبل بين القبل، وهو الذي كأنه ينظر إلى طرف أنفه. قالت ليلى الأخيلية في فائض بن عقيل — وكان قد فر عن توبة يوم قتل:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِالْخُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي

(بعده:

نَسِيتَ وِصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صُدَّ الْأَزَبُّ عَنِ الظِّلَالِ

«الأزب: الكثير الشعر في الأذنين والحاجبين، وفي المثل: كل أزب نفور؛ لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات، فإذا ضربته الريح نفر».)

يقول: لو كان الذي أصابك من هذه الرزية طعنًا لدفعته عنك بالخيل والسلاح. أو تقول: لو يكون الذي ألم بك من الرزية طعنًا ومنازلة وقتالًا لأوردت ذلك الموطن خيلك قبلًا مقدمة ولأقحمتها على الموت كل الإقحام.

(٤٥٠) الحنين: ما يجده الإلف إذا فارق إلفه، وهو في معنى الشوق. يقول: ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذي تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك أو تقول: لو كان هذا الحنين المتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق، فطالما كشفت الكروب الموجعة، ولكن الموت لا يدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة.

(٤٥١) خطبة: أي هذه خطبة، وأصل الخطبة: طلب المرأة للزواج. والحمام: الموت. والثكل: فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب. جعل الثكل خطبة لها لأنها كانت بكرًا؛ أي لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هي المسماة بالثكل. وعبارة الواحدي: إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلًا. هذا إذا نصبت المسماة على أنها خبر كان ونصب ثكلًا بالمسماة، كما تقول: ضربت المعطاة درهمًا. وإن رفعت المسماة فالمعنى: وإن كانت هذه التي سميتها أي ذكرتها ثكلًا، فتكون «ثكلًا» خبر كان. هذا، وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد؛ لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخطاب.

(٤٥٢) الكفو والكفؤ: المثل، وبعلًا — أي زوجًا — حال. يقول: إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوًا لها من الناس تتزوج منه اختارت الموت بعلًا لها. قال الواحدي: لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة … والأوجه أن يقال: لأنها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هي تزوجت من غير أكفائها، ومن ثم تؤثر الموت الذي يكمل صيانتها ويوفيها حق جلالتها.

(٤٥٣) يقول: إن الحياة للذاذتها أنفس في نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تمل وتستكره. لعله يريد أن يقول: إن ذات الخدر إنما تؤثر الموت خوفًا من أن تصير إلى غير كفو فتمتهن، لا بغضًا في الحياة.

(٤٥٤) أف: كلمة يقولها المتضجر الكاره للشيء، وهي بتثليت الفاء وبالتنوين وتركه. يقول: إذا ضجر الشيخ فقال: أف، فإن ذلك الضجر والملال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة؛ لأن الحياة حبيبة إلى النفوس في الشبيبة والكبر. هذا، وقوله: وإنما الضعف ملا: فالضعف مفعول مقدم، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصوربـ «إنما» ولكن قدمه للضرورة.

(٤٥٥) يقول: إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتَنَغَّصَ وذهب. أو تقول: آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة، فإذا هما وَلَّيَا وذَهَبَا ولَّى العيش وذهب.

(٤٥٦) يقول: إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه. فليتها بخلت وما جادت، كما قال الحلاج:

وَلِلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّرِ

وقال الأول:

الدَّهْرُ آخِذُ مَا أَعْطَى مُكدِّرُ مَا أَصْفَى وَمُفْسِدُ مَا أَهْوَى لَهُ بِيَدِ
فَلَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيَّتُهُ فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أَعْطَى عَلَى أَحَدِ

وقال حكيم: الدنيا تُطعم أولادها وتَأكل أولادها. هذا، وقد قال العلامة العكبري النحوي الكوفي: «الدنيا» مرفوعة بـ «تسترد» عندنا، وبـ «تهب» عند البصريين؛ لأنهم يُعملون الثاني.

(٤٥٧) هذا جواب التمني في قوله: «فيا ليت». وكفيته الشيء: أغنيته عنه، والكون: بمعنى الحصول، والفرحة — بالضم والفتح — اسم بمعنى المَسَرَّة، ويغادر: يترك. والوجد بمعنى الحزن. والخل: الخليل. يقول: لو بخلت ولم تَجُدْ لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحبًا لمن فقده. فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئًا، فلما فرح به واغتبط أخذه منه. فكان أسفه عليه أكثر من اغتباطه به.

(٤٥٨) على الغدر: أي معه. والظرف حال من نائب معشوقة يقول: وهي — أي الدنيا — مع غدرها بالناس فلا تحفظ لأحد عهدًا ولا تدوم على العهد ورجوعها — على ما تهب — معشوقة محبوبة.

(٤٥٩) يسيل: صفة لدمع. ومنها: متعلقة بـ «يسيل» وعليها: خبر كل. والحرفان للتعليل. أي كل دمع يسيل من جرائها هو عليها؛ أي كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي أسفًا على فوت شيء منها ولا يخلي الإنسان يديه منها إلا قسرًا حين تفك يداه عنها بالموت.

(٤٦٠) الشيم: الطبائع. والغانيات: الحسان اللاتي غنين بحسنهن وجمالهن. وقوله: لذا: أي ألذا؟ فحذف الاستفهام. يقول: شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد، وكذلك الدنيا. ثم قال: ولست أدري ألهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثًا؟ وهذا من تجاهل العارف؛ لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغواني، كما قال زهير:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي   أَقَـوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسَـاءُ؟

هو يدري أنهم رجال، ولكنه تجاهل هذا؛ لأن فيه ضربًا من الهزء بهم.

(٤٦١) الورى: الخلق. والمحيا: الحياة. يقول: إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والعز والذل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه.

(٤٦٢) سيفها أنت: نعت «دولة». وحسامًا: أي سيفًا قاطعًا، مفعول قلد. يقول: إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الذائد عن بيضتها سيفًا قاطعًا حلاه بالمكارم، فهو حامي الدولة وزينتها وعزها.

(٤٦٣) أغنت وأفنت: أي الدولة. وبذلا وقتلا: تمييز. والموالي: الأصدقاء والحلفاء. والأعادي: جمع أعداء، جمع عدو، يشدد ويخفف؛ أي بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلًا، وبه أفنت أعاديها قتلا، فهو يحيي الموالي بماله، ويميت الأعادي بسيفه ورجاله.

(٤٦٤) اهتز: ارتاح. والوغى: الحرب. والنصل: السيف؛ أي إذا اهتز للعطاء كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ عزمه وقوته فيما يحاول من أمره.

(٤٦٥) المحل: الجدب وقلة النبات في الأرض لقلة المطر. والوبل: المطر الكثير. أي إذا أظلمت الأرض وأعتمت خطوبها كان كالشمس المشرقة، وإذا أجدبت كان جوده كالسحاب المغدقة، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر.

(٤٦٦) الكتيبة: الطائفة من الجيش. وتغلو — من غلاء السعر — أي يعز وجودها، والجملة: حال. وقوله: أغلى وأغلى: كأنه يريد التوكيد، والعاطف زائد. يقول: هو الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غاليًا عزيز المنال لصعوبة الموقف واشتداد الحال، وإذا كان الطعن غاليًا كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل إقدام؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن. والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم غيره على الطعن، وقال ابن فورجه: يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح — أي مقدار رمح — فالدنو إليه قيد سيف أصعب. والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب. وقال ابن جني: يريد إن كان الطعن صعبًا على الطاعن فهو أيسر من الضرب؛ لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب، والرامي أبعد من الطاعن، وقد رتبه زهير فقال:

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

وعبارة العكبري: هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها مضطرمة، والطعن بين الفرسان يغلو ويشتد، والضرب أغلى وأشد فدل على أن سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه، ويستخف ذلك بشدة بأسه.

(٤٦٧) بهره: غلبه. ووصفًا: تمييز. وقوله: فما تدرك: يروى بالتاء على الخطاب للممدوح. وبالياء عودًا على لفظ المنادى. والعقول: قال العكبري: بالنصب هو الأصل، وبالخفض تشبيهًا بالحسن الوجه. يقول: يا من غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال فما يدرك وصفك، أتعبت فكري إذ لم يبلغك. فمهلًا: أي ارفق. وعبارة العكبري: أيها الملك الذي بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه: مهلًا على فكري فقد أتعبته، ورفقًا بما أنظم فيك فقد أعجزته.

(٤٦٨) التعاطي: التناول. ويقال: فلان يتعاطى كذا: إذا عني به وتفرغ له. وأعياه: أعجزه. يقول: وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك في كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يقدر على التشبه بك لأن كرمك لا ينال بالتكلف، ومن سلك طريقك ضل فيه، أي لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعد مذهبك واتساعه.

(٤٦٩) زلت: من الزوال. وقوله: أو ترى: أي إلى أن ترى. يقول: إذا اشتهى أحد أن يدعو لك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك. لا زلت — أي لا مت — كما في رواية — حتى ترى لك مثيلا، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد؛ لأنه لن يكون لك مثيل.

(٤٧٠) قال الشراح: سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكايد، وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق. وكان ملكهم قد ألزمهم قصده وأنجدهم بأصناف من البلغر والروس والصقالبة، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد. فركب سيف الدولة نافرًا، وانتقل إلى غير الموضع الذي كان فيه، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه، وسار عن حلب في جمادى الأولى، فنزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجمة؛ لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك، وسار زحفًا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها: العبري رحل ولم تستقر به دار، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفًا من كمين يعترض الرسل. فنزل سيف الدولة بظاهره وأتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة، وظهر الاضطراب، وولى كل فريق على وجهه، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه في حصنهم.

(٤٧١) ذي: أي هذه؛ اسم مبهم يشار به إلى المؤنث كما يشار بـ «ذا» إلى المذكر. وهكذا خبر عن محذوف: أي هكذا المعالي، والكلام استئناف، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق، عامله فليعلون: أي فليعلون علوًّا هكذا، أو محذوف العامل: أي هكذا فليعلون. وإلا هي «إن» الشرطية و«لا» النافية، والشرط والمنفي محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما، وكرر «لا» توكيدًا. يقول: هذه المعالي التي نراها لك هي المعالي حقيقة، ومن تعالى فليعلون كما علوت، وإلا فليدع التعالي. وبعبارة أخرى يقول مشيرًا إلى ما فعله سيف الدولة في بداره إلى جيوش الروم وانهزامهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث: هذه هي المعالي التي تؤثر والمكارم التي تخلد فمن حاول التعالي، فلينهض بمثلها فهذا سبيلها، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها.

(٤٧٢) شرف: مبتدأ محذوف الخبر: أي لك شرف. والروق: القرن. واستعار للشرف روقتين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح، وهو معلوم أن القرنين في الحيوان من أسباب القوة ودواعي الإقدام والمنعة، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله: هكذا، بهذا البيت. يقول: لك شرف يزاحم النجوم في العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت

الجبال بالإضافة إليه قلقة. أو تقول: قد بلغت شرفًا باذخًا يمس أعلاه النجوم وعزا راسخًا لو صادم الجبال لأقلقها وبقي راسخًا لا يتزعزع. أو تقول: وبلغت عزًّا تتقلقل الجبال هيبة له وإجلالًا. قال الواحدي: ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ في كل شيء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها.

(٤٧٣) قوله: ابن السيوف: ذهب إلى ما في السيف من معنى المضاء والقهر؛ أي كلهم ملوك قاهرون. يقول: حالهم عظيمة في كثرتهم ومنعتهم، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع. والحال: تذكر وتؤنث.

(٤٧٤) قال ابن جني: أي كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياد سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير؛ أي لحقتهم وجاوزتهم. قال ابن فورجه: يقال: أعجلته بمعنى استعجلته، فأما سبقته، فيقال فيه: عجلته. يقول: استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم. أقول: وهذا كله تخبط من الشراح، وإنما النذير نذير سيف الدولة. يقول: كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها. وهذا ما أشار إليه الواحدي، قال: ويجوز أن يريد أن العدو كلما أعجلوا النذير بهم وبادروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة في الأطراف والمتصرفين في أقاصي بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرتهم خيوله ولحقتهم جيوشه وأعجلتهم عن ذلك الإعجال فصرفتهم على أسوأ الأحوال. هذا، ويقال: أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه. ومسيرًا: منصوب بنزع الخافض؛ أي عن مسير. وكذا قوله: الإعجالا — في آخر البيت — والنذير: الذي ينذر أصحابه ويحذرهم.

(٤٧٥) فأتتهم: أي الجياد. وخوارق: حال. وما تحمل — ويروى: لا تحمل — حال أخرى. يقول: فأتتهم خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة، وعليها الأبطال مدججين بالسلاح. ويقال: خرق الأرض يخرقها؛ أي قطعها حتى بلغ أقصاها. وفي التنزيل: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾. وقد روى العكبري: «خوارق» بالرفع على أنها فاعل أتتهم. وليس بوجيه، وزاد على ذلك أن قال: خوارق الأرض: الخيل، لشدة وطئها. وهذا — عمرك الله — تخليط أي تخليط، وإنما الخوارق التي تجوب الأرض وتقطعها مسرعة. هذا، والحصر في البيت — في قوله: ما تحمل إلا الحديد — لمجرد التأكيد، كما تقول ما أمامك إلا الأسد؛ أي المعروف بهوله وقوة بطشه.

(٤٧٦) خاقيات الألوان: حال أخرى. والنقع: الغبار. والجِلال: جمع جل، وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج. يقول: أتتهم وقد خفي لونها فلا يعرف الأدهم من الكميت والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار، فقد تكاثف ذلك الغبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال. وكأن هذا المعنى من قول عدي بن زيد بن الرقاع العاملي:

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاءَةً   دَكْنَاء مُحَدثةً هُمَا نَسَجَاهَا

(يصف ثورين وما يثيران في عدوهما من الغبار. وبعده:

تُطْوَى إِذَا عَلَوا مَكَانًا جَاسِيًا   وَإِذَا السَّنَابِكُ أَسْهَلَتْ نَشَرَاهَا)

قال العكبري: وفيه نظر إلى قول عوف بن الخرع:

كَأَنَّ الظِّبَاءَ بِهَا وَالنِّعَا   جَ يُكْسَيْنَ مِنْ رَازِقِيٍّ شِعَارَا

(الرازقي هنا: الكتان نفسه. والرازقي أيضًا: ثياب بيض من الكتان.)

(٤٧٧) المحالفة: المعاهدة. والعوالي: الرماح. واللام — من قوله: لتخوضن — للقسم. يقول: إن صدور خيله وعوالي رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه؛ أي تكفيه إياها، كما قال:

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعَوَالِي   وَحَمَّلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

وقد روى ابن جني لتخوضن: ليخوضن، ثم قال: طال الكلام بيني وبينه — أي المتنبي — في قوله: ليخوضن، فقال — أي المتنبي: هو مثل قولي: وقلنا السيوف هلمن — بضم الميم — وذلك أنه لما وصفها بالمحالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وقوله جل شأنه: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ كل هذا أجري مجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة، والأفعال في الأكثر إنما تكون لذوي العقل؛ لأن كل ذي عقل يصح منه الفعل، وما ليس من ذوي العقول فإنما يصح الفعل من بعضه

كالفرس ونحوه، ومنه ما لا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح، فإحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها في الحقيقة، وإنما هو فعل الله تعالى، وهذا يعرفه أهل الكلام. انتهى كلام ابن جني مضافًا إليه العكبري.

(٤٧٨) يقول: وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفعل ما عجز منه غيرها. وقوله: حيث لا يجد الرمح … إلخ: أي في مضايق الحرب التي لا يجد فيها الرمح مدارًا لشدة المجالدة ولا الحصان مجالًا لكثرة المزاحمة. قالوا: وكان الوجه أن يقول: ولتمضين، كما تقول: حلفت هند لتقومن. وقد أجاز الكوفيون حذف الياء في مثل هذا، فيقال: حلفت هند لتمضن لسكونها وسكون النون بعدها، ولم تحرك الياء بالفتح، وكان ممكنًا أن يقول: وليمضين — بالياء دون توكيد. هذا، والحصان: الفحل من الخيل. والجمع: حصن. وسمي الفرس الذكر حصانًا؛ قيل: لأنه ضن بمائه فلم ينز إلا على كريمة، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانًا، وقيل: مشتق من الحصانة؛ لأنه محرز لفارسه، والعرب تسمي الخيل حصونًا. وسئل بعض الحكام عن رجل جعل مالًا له في الحصون، فقال: اشتروا خيلًا واحملوا عليها في سبيل الله. ذهب إلى قول الجعفي:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلى تَوَقِّيَّ الرَّدَى   أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرُ الْقُرَى

(٤٧٩) يقول: لا ألوم ملك الروم على تمنيه محالًا من تخريب هذه القلعة، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبًا لغرة سيف الدولة ثم بين سبب عدم اللوم فيما يلي.

(٤٨٠) البنية: بمعنى المبنية، يريد القلعة. وبين أذنيه، صفة لبنية. وبغى: طلب. يقول: أقلقت ملك الروم هذه القلعة التي بناها سيف الدولة وهي من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه، وأقلقه بانيها — يعني سيف الدولة — الذي بغى أن ينال السماء فنالها علوًّا وعزة، أي إن لملك الروم العذر في محاولته تخريبها لذلك.

(٤٨١) رام: طلب. وحطها: إنزالها. والبني: مصدر كالبناء. والجبين: ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، فتكون الجبهة بين جبينين. والقذال: مؤخر الرأس، وهو ما بين جنبتي القفا. يقول: كلما أراد ملك الروم إنزالها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلًا فغشى الجبين والقذال، وهذا مثل، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقًا وسعة ازداد مضض ملك الروح وغيظه.

(٤٨٢) فيها: أي في نواحيها وجوانبها؛ أي يجمع هؤلاء ليهدمها بهم وتجمع أنت آجالهم إذ تأتيهم فتقتلهم.

(٤٨٣) توافيهم: تأتيهم. وبها: أي بالآجال. والصلال: جمع صلة، وهي الأرض التي أصابها مطر بين أرضين لم تمطرا. يقول: وتأتيهم بآجالهم ومناياهم في الرماح وهي ظامئة إلى دمائهم، أي تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض الممطورة.

(٤٨٤) يقول: لما قصد الروم هدمها بعثوا سيف الدولة على إتمام بنائها، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببًا لبنائها وإطالته.

(٤٨٥) الضمير في «لها» للقلعة. والمراد بمكايد الحرب: آلاتها. والوبال: الشدة. يقول: جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالًا عليهم؛ لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبوهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربوهم مستعينين على قتالهم به.

(٤٨٦) الفعال هنا: هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب، وفِعْلُهُمْ حَمْلُهُمْ إلى القلعة المكايدَ والآلات، وهم — الروم — غير محمودين؛ لأنهم أعداء المسلمين، أما أفعالهم — وهي جلبهم آلات الحرب إلى القلعة — فهي محمودة في العاقبة؛ لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عونًا عليهم.

(٤٨٧) قسي: جمع قوس على القلب، وهي معطوف على أمر. يقول: ورب قسي ترمي عنها السهام فترتد على راميها. يريد السلاح الذي حمله الروم لقتال المسلمين، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهام عنك، فكان ذلك وبالًا على الروم قال ابن وكيع — وأنت تعلم تجني هذا ابن وكيع دائمًا على المتنبي: هذا البيت هو من قول القائل:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا — أُمَيْمَ — أَخِي   فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

(أخي: مفعول «قتلوا».)

فقوله: فردت … إلخ: تقديره فردت عنك النصال في قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك.

(٤٨٨) يقول: أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث، فلما أبطأت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف

الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعًا، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال، وهذا كقوله السالف:

قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ

(٤٨٩) الغوارب: أعالي الأمواج، جمع غارب. والآل: ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب. يقول: هم كالبحر المائج توافرًا وكثرة، إلا أنهم اضمحلوا أمام جيوشك فصاروا كالآل، يعني أن شأنهم يتلاشى عندك، وإن جل وعظم.

(٤٩٠) «ما» نافية. ولم يقاتلوك: حال. يقول: ما انهزموا عنك غير مقاتلين، ولكن القتال الذي قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن، يعني أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا. وعبارة العكبري: ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائعك قلوبهم من الهيبة وأودعها من المخافة، حتى صار اسمك يهزم عساكرهم، وذكرك يثني عزائمهم.

(٤٩١) يقول: إن السيف الذي قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا.

(٤٩٢) الإجفال: الإسراع في الهزيمة. يقول: إن الأولين منهم أجادوا الثبات في الحرب فلم يغنِ عنهم وأدى إلى هلاكهم، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يحل بهم ما حل بالذين سبقوهم. قال الواحدي: يريد بهذه الأبيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك، ولك الفضل عليهم، فيكون هذا أمدح له.

(٤٩٣) يقول: نزلوا في الأماكن التي قتلت فيها أقرباءهم فلما نظروا إليها عرفوها فذكروهم فبكوا عليهم. وتمثلوا هذه الحال في أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم ما يشبهها. والمصارع: جمع مصرع، وهو اسم مكان من صرعه، إذا طرحه على الأرض.

(٤٩٤) الأوصال: جمع وصل — بالضم والكسر — وهو العضو. والهام: الرءوس. وتذري: تنثر وتفرق. تقول: ذرا يذرو، وذرا يذري، وأذرى يذري، يريد: لم يبعد عهد ذلك المكان بالقتل، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها الريح وتلقيها عليهم فيفزعهم ذلك فينزعجون ويهربون.

(٤٩٥) يقول: إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها؛ إذ تريهم لكل عضو منهم عضوًا من المقتولين. قال العكبري: ويجوز أن يكون الضمير في تنذر للأوصال، قال: والمعنى تنذر الأوصالُ الجسمَ بأن يصير مثلها ويقيم لديها في مثال حالها وتريه لكل عضو من

أعضائها مثالًا شاهدًا، ونظيرًا حاضرًا. قال: وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على الروم عند بنائه الحدث وقد وصفها في قوله:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ

ولم تكن ببعيدة من هذه الوقعة، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين.

(٤٩٦) في القلوب: صلة الطعن. ودراكًا: متتابعًا. وخيالًا: متخيلًا، وهما حالان من الطعن. وفي البيت تقديم وتأخير. والتقدير: أبصروا الطعن في القلوب دراكًا خيالًا قبل أن يبصروا الرماح، يعني لشدة خوفهم منك وتصورهم ما صنعت بهم قديمًا رأوا الطعن متداركًا متتابعًا في قلوبهم تخيلًا قبل أن يروا الرماح حقيقة. وقال الخطيب التبريزي: اعتبر المتأخرون — أي من الروم — بالمتقدمين — منهم — فكأنهم تخيلوا الطعن دراكًا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح.

(٤٩٧) القنا: عيدان الرماح. والخيل: يريد بها الفرسان، يقول: إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال. ومن غريب التفاسير ما ذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان، قال: والمعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوا فرأوا أذرعها أميالًا؛ أي أنها تثقل عليهم جبنًا وخوفًا منك.

(٤٩٨) يعني أن الرعب — الخوف — شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه في ميمنة جيشهم وشماله في ميسرته فتولوا هاربين. وقال ابن الإفليلي: المعنى: بسط الرعب في أيديهم أيديًا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين، وهذا ضد قول الآخر:

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي جُلَّانَ كُلَّهُمُ ... كَسَاعِدِ الضَّبِّ لَا طُولٌ وَلَا قِصَرُ

(٤٩٩) الروع: الخوف والفزع. والأغلال: جمع غل؛ القيد. يقول: أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التي في أيديهم أغلال لها. وعبارة بعض الشراح: يرعش الخوف أيديهم فصارت في قلة الغناء — وإن كان فيها سيف — بمنزلة الأيدي المغلولة. وعبارة العكبري: ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها، وهو من قول جرير في الفرزدق:

ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأُرْعِشَتْ   يَدَاكَ فَقَالُوا: مُحْدَثٌ غَيْرُ صَارِمِ

(٥٠٠) وجوهًا: عطف على «أيديًا» — من جهة اللفظ، لا من جهة المعنى — لأنه لا يريد ينفض وجوهًا، والمعنى: يغير وجوهًا؛ أي يغير ألوانها بأن يورثها صفرة، فهو من باب:

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى   مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

يقول: ويغير الروع وجوهًا تمتقع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نضير، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال، فالحسن والجمال لوجهك لا لها؛ إذ سلبها الخوف حسنها فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونضرتك.

(٥٠١) يقول: كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعاينوا قصورهم عنك، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم، وانتقل ذلك المراد الذي كانوا يريدونه من محاربتك.

(٥٠٢) هذا كما تقول العرب في أمثالها:

كُلُّ مُجْرٍ فِي الْخَلَاءِ يُسَر

أي إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه، فإذا قاربه مثله ذهب سروره. يقول المتنبي: إن الجبان — والجبان ضد الشجاع — إذا كان وحده منفردًا يحس من نفسه شجاعة، ويظن عنده غناء ويطلب الطعان والمنازلة، يريد أن الروم شجعاء ما لم يروك. وقوله: وحده: في موضع نصب على الحال؛ أي منفردًا. والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان. وفي «المحكم»: أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا، ونزال مثل قطام، بمعنى انزل، وهو معدول عن المنازلة، ولهذا أنثه زهير في قوله:

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا   دُعِيَتْ: نَزَالِ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

(٥٠٣) إلا بقلب: أي إلا والقلب معهم. و«ما» من قوله: «طالما»: مصدرية، والجملة استئناف. يقول: حلفوا ليحضرن عقولهم وليعملن أفكارهم في قتالك. ثم قال: طالما غرت العيون الرجال؛ أي كذبهم عنك كثيرًا ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن في مكنتهم

محاربتك. أو تقول: لما امتحنوا بأسك وعاينوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومتك، وحينئذٍ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب: أي صاروا يرجعون في الرأي إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم. قال الواحدي: ولا تناقض بين قوله: غرت العيون الرجال وبين قوله: والعيان الجلي؛ لأن قوله غرت العيون: أي قبل التجربة، وأما ذاك فإنما يعني بعد التجربة.

(٥٠٤) لاقتك: من اللقاء. والطرف: العين. ورنا إليه يرنو رنوًا: إذا أدام النظر. وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت. وآل: رجع. يقول: إن العين التي تأملتك لا يجترئ صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك، وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفًا ورهبًا. وهنا يقول الواحدي: هذا متناقض الظاهر؛ لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه في المصراع الأول، وأنكر في الثاني أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص، ثم قال: لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء، فعين العدو لا تديم النظر إليه هيبة له، وعين الولي تتحير فيه وتبقى شاخصة، فلا ترجع إلى صاحبها. وقال في لاقتك: إنه من لاق الشيء وألاقه إذا أمسكه، ثم قال: وهذا مما لم يتكلم فيه أحد من الشراح. وما أظرف ما علق العكبري على كلام الواحدي هذا، قال العكبري: وصدق الواحدي في قوله؛ لأن أحدًا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا. ولنعد بعد هذا إلى «رنا». قال الجوهري: يقال: أرناني حسن ما رأيت. أي حملني على الرنو، أي إدامة النظر، ومن هذا يقال: كأس رنوناة أي دائمة على الشرب ساكنة ووزنها فعلعلة. قال ابن أحمر:

مَدَّتْ عَلَيْهِ الْمُلْك أَطْنَابَهَا كَأْسٌ رَنَوْنَاةٌ وَطِرْفٌ طِمَرْ

(قبل البيت:

إِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ عَلَى عَهْدِهِ فِي إِرْثِ مَا كَانَ أَبُوهُ حُجُرْ

وأول الشعر:

قَدْ بكَرت عَاذِلَتِي بَكْرَةً تَزْعُمُ أَنِّي بِالصبَا مُشْتَهِرْ

وَإِنَّمَا الْعَيْشُ بِرُبَّانِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مُقْتَفِرْ

ومنها:

إِنَّ الْفَتَى يُقْتِرُ بَعْدَ الْغِنَى وَيَغْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا يَفْتَقِرْ
وَالْحَيُّ كَالْمَيتِ وَيَبْقَى التقى وَالْعَيْشُ فتنانِ: فَحُلْو وَمُرْ

قوله: وإنما العيش ... إلخ: يريد أن عاذلته قالت له: قد شهرت بالصبا وأنت مسن به، وإنما الصبا والعيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه — أي من نواحيه واحدها فنن — مقتفر؛ أي واجد ما طلبت، يقال: خرج فلان في طلب إبله فاقتفر آثارها؛ أي وجد آثارها فاتبعها. وقوله: مدت عليه الملك ... إلخ. أراد مدت كأس نوناة عليه أطناب الملك، فذكر الملك ثم ذكر أطنابها، وفي «اللسان» أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظره.)

(٥٠٥) اللعين: يعني ملك الروم. والنوال: العطاء، وهو حال. وقوله: فهل يبعث الجيوش نوالًا؟ هو استفهام تجاهل؛ لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالًا، لكن لما كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك. يقول: إن كل جيش يبعثه إليك تغنمه وتأتي عليه لا محالة، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها ولتكون عطاء لك؟ أي ليس لإرسالها معنى إلا هذا. وهذا مثل قوله:

وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشُ أَهْدَى وَمَا هَدَى

(٥٠٦) ما: استفهام تعجب مبتدأ، والخبر: الظرف بعده. والحبائل: جمع حبالة، وهي الشرك. ومرجاه: مصدر ميمي؛ أي ورجاؤه. والواو: واو الحال. يقول: ما لهذا الذي ينصب في الأرض حبالة ورجاؤه أن يصيد الهلال؟ وهذا استفهام تعجب، يتعجب من حماقة من يفعل هذا، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تناله يد، وأن من يبعث إليه الجيوش طمعًا في الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحبالة ينصبها في الأرض.

(٥٠٧) الدرب: المدخل إلى بلاد الروم، ولكنه هنا موضع بعينه. والأحدب: جبل قرب حصن الحدث. والنهر: موضع قرب الحصن المذكور، ويقال: رجل مخلط مزيل ومخلاط مزيال: يخالط الأمور ثم يزايلها — أي يفارقها — إلى غيرها، يوصف به الشجاع الداهية،

وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الغارة خالطها، وإذا طلبته وجدته مزيالًا لا تلحقه، قال أبو داود الإيادي:

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ   أَجْوَلِيٌّ ذُو مَيعَةٍ إِضْرِيجُ

(أجولي: من الجولان في الحرب. والميعة: النشاط. والإضريج: الجواد الشديد العدو — الجري.)

ويريد بالتي على الدرب والأحدب والنهر: قلعة الحدث. يقول: إن دون الوصول إليها رجلًا هذه صفته، يعني سيف الدولة. وعبارة العكبري: هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها يحمي حريمها ويقاتل الأعداء عنها، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاد، فهو يثق بما يحميها من هيبته، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها، سريع لا يتوانى في سطوته، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته.

(٥٠٨) يقال: غصبه على كذا أي قهره عليه. وخالًا: حال؛ أي شبيهة بالخال. يقول: إنه استنقذها من أيدي الدهر والملوك وبناها، فكانت خالًا في وجنة الدهر، فكأن الدهر تزين بها كما يتزين الوجه بالخال. وقال الواحدي: يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال في الوجه، ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخي الشماخ:

فَمَنْ أَرْمِهِ مِنْهَا بِسَهْمٍ يَلُحْ بِهِ   كَشَامَةِ وَجْهٍ لَيْسَ لِلشَّامِ غَاسِل

وعبارة العكبري يقول: إنه بناها في وجه الدهر كالخال الذي يتزين به الوجه مع مخالفته للونه ويحسنه مع ما ثبت فيه من حسنه. يعني أن هذه المدينة قد جل قدرها فكأن الدهر زين بها وجهه ووسم برفعتها نفسه، وهي استعارة حسنة.

(٥٠٩) اختيالًا ودلالًا: حالان أو مفعول لهما. والاختيال: الزهو، والتكبر وتثنى — بحذف إحدى التاءين — أي تتثنى. والدلال: الشكل والغنج من دلال المرأة؛ أي تدللها على زوجها، وذلك أن تريه جراءة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه، وليس بها خلاف. لما شبهها بالعروس — لحسنها — جعلها تمشي اختيالًا وتتثنى دلالًا. يقول: لو كانت هذه القلعة تمشي لاختالت في مشيها عزة وتكبرًا ولتدللت على الزمان؛ إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنا في عز ونعيم بسيف الدولة.

(٥١٠) المطرد: المتصل الذي لا عوج فيه. والأكعب: العقد التي تكون بين أنابيب الرمح. والأوجال: المخاوف، جمع وجل، وهو الخوف والفزع. يقول: ذاد العدو عنها بالرماح فحماها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه.

(٥١١) وظبا: عطف على كل — في البيت السابق — والظبا: جمع ظبة، طرف السيف وطرف السهم، قال بشامة النهشلي:

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ　　حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

وأصل الظبة: ظبو — بوزن صرد — فحذفت الواو وعوض منها الهاء، والجمع: ظباة وظبون. يقول: وحماها بسيوف لا يقتل بها إلا من حل دمه. يعني الروم وأشباههم من المعادين، ونسبة التمييز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز؛ إذ الذي يميز بينهما في الحقيقة هم أصحاب السيوف. وقال ابن جني: هذا مثل ضربه؛ أي سيوفه معودة الضرب، فهي تعرف — بالدربة — الحلال من الحرام، وقد رد عليه ابن فورجه قال: العادة والدربة ليستا مما يعرف به الحلال والحرام من الناس، فكيف فيما لا يعقل؟ وإنما يعني المتنبي أن سيف الدولة غازٍ للروم فلا يقتل إلا كافرًا قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه.

(٥١٢) الخميس: الجيش العظيم؛ سمي بذلك قيل: لأنه خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق، وقيل: لأنه يخمس ما يجد؛ أي يأخذه. والبئيس: الشديد ذو البأس. وقوله: والأموالا؛ أي وينتهبن الأموال، فهو من باب:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

كما تقدم، ولما جعل الخميس من الأسود قال: يفترسن، دون يفترس.

(٥١٣) أراد بالأنيس — الذي معناه المؤانس — الأنس، خلاف الوحش، ويتفارسن: يتقاتلن. والاغتيال: القتل بالخديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدري. جعل الناس كالسباع — وهي الحيوانات المفترسة — لوجود الافتراس منهم في الحالين، مجاهرين ومغتالين، والبيتان التاليان تأكيد لهذا.

(٥١٤) غلابًا: مغالبة. والاغتصاب: الأخذ بالقهر. يقول: من أمكنه أن ينال من الناس شيئًا غلبة وقهرًا لم يتكلف أن يناله بذل السؤال. قال العكبري: وهذا من قول

الحكيم: الغلبة طبع الحياة، والمسألة طبع الموت، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة.

(٥١٥) غادٍ — في الأصل — ذاهب غدوة، والمراد هنا: مطلق الذهاب، أيَّ وقت كان. والغضنفر والرئبال: من أسماء الأسد، وجعل الرئبال وصفًا للغضنفر مبالغة كأنه قال: الأسد الشديد. يقول: كل غادٍ منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأسًا وقوة ليتناول ما يريد ببأسه وأيده. قال العكبري: يشير بهذا على أن الروم لم يفروا من بين يدي سيف الدولة أنفًا ومكارهة، وإنما كان فرارهم فَرَقًا ومحاذرة؛ لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم.

(٥١٦) كلنا جوٍ: مبتدأ وخبر، والجملة حالية، والجوي: الذي أصابه الجوى، وهو الحرقة في القلب من حزن أو عشق. والمتبول: الذي هيمه الحب وأفسده وأسقمه. يتهم رسوله الذي أرسله إلى الحبيبة بمشاركته إياه في حبها، يقول: ما لنا أيها الرسول كلانا جو بحبها فأنا الوامق العاشق، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك، فما لك تشبهني فيما ألقاه وأقاسيه؟

(٥١٧) يقول: كلما عاد إليَّ الرسول من عندها غار مني عليها؛ لأنه رأى حسنها وافتتن بحبها؛ فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدي من الرسالة إليَّ منها وإليها مني.

(٥١٨) الضمير في قلوبهن: يعود إلى العقول، أي وخانت العقول قلوبهن، أضمر قبل الذكر، كما تقول لبس ثوبه زيد. يقول: أفسدت عليَّ عيناها بسحرهما أمانة الرسول حتى ترك الأمانة في الرسالة حبًّا لها وحتى خانت العقول قلوبها: أي فارقت العقول القلوب بسببها. قال الواحدي: ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة؛ لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله، وهذا كقوله:

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ

(٥١٩) قوله: من ألم الشوق: يروى: من طرب الشوق. والطرب: خفة تحدث عند الفرح والحزن، يقول: إن الحبيبة تشكو من الشوق إليَّ مثل ما أشكوا إليها، ثم كنى عن تكذيبها في تلك الشكوى، فقال: والشوق حيث النحول، يعني أن للشوق دليلًا من النحول، فمن لم يكن ناحلًا لم يكن مشتاقًا، يعني أن نحولي يدل على شوقي، أما أنت فلا نحول، وبالحرى لا شوق. وقال ابن الإفليلي: الضمير في «تشتكي» للرسول، يقول لرسوله — وهو يعاتبه: أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره، وليس كذلك، وإنما الشوق على

حقيقته النحول. قال بعض الشراح: والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار؛ لأنه لا يتصور من الرسول أن يبوح له بهواها: أي أرى بك من الشوق إليها مثل ما بي؛ لأنك ناحل والنحول يدل على الشوق، وهذا كالإثبات لما يتهمه به من حبها. هذا، وقوله: «حيث النحول» فالنحول مبتدأ، خبره محذوف، تقديره موجود؛ لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل.

(٥٢٠) خامر: خالط ولابس. والصب: العاشق. والبيت: تأكيد للبيت السابق؛ أي كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق. وعبارة العكبري: إذا خالط قلب محبٍّ هوى من يحبه فملكه واستولى عليه وغلبه فمما يظهر من تغير حاله، وتبين من تشتت باله، دليل لكل عين على ما يضمره، ومخبر على ما يجنه ويستره.

(٥٢١) ما دام ها هنا: تامة بمعنى ما ثبت. وتحول: تتغير وتتبدل؛ أي زودينا من حسن وجهك غير معرضة، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزول؛ لأن الشبيبة يتلوها الكبر، والاقتبال يعقبه التغير والهرم.

(٥٢٢) نصلك: جواب الأمر. والمقام: مصدر ميمي بمعنى الإقامة، وقالوا: المقام — بالضم والفتح — كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم؛ لأنه مشبه ببنات الأربع نحو دحرج، وهذا مدحرجنا، وقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي لا موضع لكم. وقرئ: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ — بالضم — أي لا إقامة لكم، ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي موضعًا، وقول لبيد:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

(محلها: أي ما حل فيه لأيام معدودة. ومقامها: ما طالت الإقامة به، و«منى» هنا: موضع غير «منى» الحرم. وتأبد: توحش. والغول والرجام: جبلان، والضمير فيهما: للديار.)

يعني الإقامة، وقوله عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، قيل: المقام الكريم: هو المنبر، وقيل: المنزلة الحسنة.

(٥٢٣) بعينها: أي بعين الدنيا. والقطان: السكان المقيمون. والحمول: المرتحلون المتحملون. يقول: من نظر إلى الدنيا بالعين التي ينبغي أن ينظر بها إليها رق للباقين لقلة مقامهم ووشك فراقهم رقته للماضين الفانين، أي من عرف الدنيا حق معرفتها

تيقن أن أهلها راحلون — لا محالة — فلم يجد بين المقيم والراحل فرقًا، فهذا يشوقه — أي يستدعي رقته — وهذا يشوقه؛ لأن الرحيل قد شملهما. وقد كنى عن الرقة بالشوق؛ لأن الشوق رقة القلب. وعبارة بعض الشراح: إن المقيم في الدنيا على وشك تخليتها والرحيل عنها، فمن رآها بعينها أي من صور نفسه مكانها ورأى أهلها على أهبة فراقها شاقه النظر إليهم، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين. وقد فسرنا الحمول بالمتحملين الراحلين، ولكن الحمول في الأصل: الإبل عليها الهوادج والأثقال، وهي أيضًا الهوادج، كان فيها النساء أو لم تكن، وتطلق الحمول أيضًا على النساء المتحملات كقول معقر:

أَمِنْ آلِ شَعْثَاءَ الْحُمُولُ الْبَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ

وإذا أبقيت الحمول على معنى الإبل عليها الهوادج، أو الهوادج، كان الكلام على حذف مضاف؛ أي ذوو الحمول.

(٥٢٤) أدم: شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره، من الأدمة وهي السمرة، ويقال: أدِم وأدُم بكسر الدال وضمها. والقناة: عود الرمح. والذبول: اليبس والدقة. يقول: إن غيرت الأسفار وجهي حتى صرت آدم بعد بياض الوجه، فليس ذلك بعار فيَّ، كما أن الذبول وإن كان مذمومًا في غير القناة فإنه محمود فيها؛ لأنه آية صلابتها كما قال أبو تمام:

لَانَتْ مَهزَّتُهُ فَعَزَّ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمْحِ حِينَ يَلِينُ

وعبارة بعض الشراح: يمدح نفسه بقلة الفكرة في تغير لونه بعد بياضه ونضرته؛ أي تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال، وأنا في ذلك مثل الرمح الذي تعرب سمرته عن عتقه، وتدل ذبولته على صلابته وصدقه.

(٥٢٥) أراد بالفتاة: الشمس، وجعل الشمس فتاة؛ لأن طلوعها يتجدد، فهي بكر كل يوم، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها كبرًا، والشمس من عادتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد. يقول: صحبتني على الفلاة التي قطعتها في سيري والأسباب التي عاينتها وتجشمتها فتاة لا يهرم شخصها ولا ينتقص حسنها، عادتها في الألوان أن تبدلها وتنقلها إلى الأدمة — السمرة — وتغيرها. هذا، وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر: الأزلم الجذع، يريدون أن الدهر باقٍ على حاله لا يتغير على طول إناه فهو أبدًا جذع لا يسن.

(٥٢٦) الحجال: جمع حجلة، وهي الستر وبيت العروس. واللمى: سمرة في الشفة. يقول لمحبوبته: سترتك الحجال عن هذه الفتاة — الشمس — التي غيرت لوني؛ لأنك في كنٍّ عنها لا يصيبك حرها، ولكن بك منها تقبيل لما في شفتيك من الأدمة — السمرة — كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمى الذي في شفتيك. وبعبارة أخرى: أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن في شفتيك سوادًا من قبيل السواد الذي تحدثه حتى لكأنها قبلت فاك فأثرت في موضع التقبيل.

(٥٢٧) مثلها: خبر مقدم، وأنت: مبتدأ مؤخر. ولوحتني: غيرت لوني. وأسقمت: أراد وأسقمتني. وأبهاكما: من البهاء وهو الحسن. والعطبول: الطويلة العنق التامة الجسم. والعطبول: بيان لـ «أبهاكما» يقول: أنت مثل الشمس في تغير جسمي فهي لوحتني وسفعتني وغيرت لوني وأنت أسقمت جسمي، وزادت تأثيرًا فيَّ أبهاكما التي هي العطبول، وهي أنت. وعبارة بعض الشراح: أنت مماثلة لها بحسنك وغير بعيدة منها في فعلك، وكلاكما له في جسمي فعل غيره وتأثير بدله. فالشمس لوحته وأنت أسقمته وأذهبت نضرته وأنحلته، وزدت أنت في قوة التأثير، وأفرطت فيما أوجبته من التغيير. وهذا إشارة إلى أن محبوبته بزيادتها على الشمس في حسنها زادت عليها في فعلها.

(٥٢٨) يقول: كنا أعلم بمقدار الطريق ولكنا سألنا تعللًا بذكر الطريق إليه — كما قال في البيت التالي — فإن الإنسان إذا أحب شيئًا أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه، كما قال بشر بن أبي خازم:

أُسَائِلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي   بَصِيرًا بالظَّعَائِنِ حَيْثُ صَارُوا

وكما قال الآخر:

وَخَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسٍ كُنْتَ زَيْنَهُ   بِحَضْرَةِ قَوْمٍ وَالْمَلاءُ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ: كُرَّ الْحَدِيثَ الَّذِي مَضَى   وَذِكْرَكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أُنَاشِدُهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ   كَأَنِّي بَطِيءُ الْفَهْمِ حِينَ يُعِيدُ

ورواية ابن جني:

أَطَوِيلٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ؟

يعني: أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق؟

(٥٢٩) علله بالشيء: ألهاه به، يقول: إن كثيرًا من السؤال يكون سببه الاشتياق، وكثيرًا من رد السؤال يكون تطييبًا للسائل، يريد أن الذي حملني على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلل به عن طول الطرق.

(٥٣٠) لا أقمنا: معناه لم نقم، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾. يقول: لم نقم في الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك المكان لئلا يؤخرنا عن الوصول، ثم قال: ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه. يريد لم نبالِ براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذي نقصده. وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبري: المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل: أي لا نقيم البتة؛ لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبدًا حتى نلقاه إلا أن يسير المكان معنا، فكذلك نحن لا نقيم في مكان وإن طاب. وقيل: نفي النفي إثبات في كلام العرب، فكأنه: قال: لا نقيم في مكان إلا أن يرحل معنا، وهذا مثل قول الفرزدق:

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ

(لم يشيموا سيوفهم — هنا — لم يغمدوها. قال ابن بري: الواو في قوله: «ولم» واو الحال: أي لم يغمدوها، والقتلى بها لم تكثر، وإنما يغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها.)

قيل: معناه لم يشيموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى، وفي البيت معنًى آخر، وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء، والمراد ضده، فكأنه قال: لم يشيموا ولم تكثر القتلى: أي كثرت جدًّا، ومنه قول الشنفرى:

صَلِيَتْ مِنِّي هُذَيْلٌ بِحَرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

(الحرق: النار، وصلي بالنار: قاسى حرها. والمراد: لاقت مني شدة.)

معناه على مذهب التقرير: لا يمل الشر وإن ملوه، وقد جاء في الحديث: «إن الله لا يمل حتى تملوا.» (الحديث هو: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا.» قيل معناه: إن الله لا يمل أبدًا: مللتم أو لم تملوا، فجرى مجرى قولهم: حتى يشيب الغراب ويبيض الفأر. وقيل معناه: إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا في الرغبة إليه، فسمى الفعلين مللًا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب في وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه، نحو قول عدي بن زيد:

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرِّجَالِ

معناه: لا يجازيكم جزاء الملل وإن مللتم. وجاء في الحديث: «وإن صهيبًا لو لم يخف الله لم يعصه.» (هو صهيب بن سنان: مولى عبد الله بن جدعان التيمي، صحابي، من ولد النمر بن قاسط. فجعل إهلاكه إياهم لعبًا. وقيل معناه: إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فسمى فعل الله مللًا على طريق الازدواج في الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، وهو باب واسع في العربية كثير في القرآن.) معناه: لو لم يخف: أي أمن، فكأنه قيل: لو أمن الله ما عصاه، وفيه معنى آخر وهو أن نفي النفي إيجاب فيكون التقدير: إن صهيبًا لو أمن الله ما عصاه؛ أي لم يعصه. وعلى مذهب التقرير: لو لم يخف الله ما عصاه؛ أي لم يعصه أبدًا. وفيه معنى آخر، وهو أن «لو» في الكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فيكون المعنى: العصيان امتنع لأجل الخوف؛ أي لما خاف لم يعصِ، والمعنى الأول وما بعده أبلغ من هذا؛ لأن معناه لو أمن الله ما عصاه. ومعنى هذا الآخير أن العصيان امتنع من أجل الخوف … وقال الواحدي: قوله: «أقمنا» يجوز أن يكون على الدعاء كما تقول: لا فض الله فاك، وقال ابن جني: يجوز أن يكون على القسم: أي والله لا أقمنا، وقالا تعليقًا على قوله: «ولا يمكن المكان الرحيل»: أي لو أمكنه لا ارتحل معنا شوقًا إليه: أي إلى سيف الدولة.

(٥٣١) يقول: كلما طلب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدي من حسنه وما يستميلنا به من وروده وأزهاره، فكأنه يدعونا للنزول به، اعتذرنا إليه وقلنا له: لا نقيم عندك؛ لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت الممر فلا نقدر أن نقيم عندك وإن كنت طيبًا. ورحب به: قل له مرحبًا. والروض: جمع روضة؛ المكان فيه خضر.

(٥٣٢) الجياد: الخيل. والمطايا: الإبل. والضمير في «إليها» لحلب. والوجيف: ضرب من سير الخيل سريع. والذميل: ضرب من سير الإبل. يقول — مخاطبًا الروض: فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا، وإلى حلب نوجف مسرعين، وإليها نبادر غير متوقفين.

(٥٣٣) زلت عنه: فارقته. يقول: الذي سافرت عنه شرقًا وغربًا ولم يفارقني عطاؤه فهو مقابلي حيثما كنت؛ وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده للعراق — كما تقدم — وهذا مثل قوله فيه:

وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ

(٥٣٤) الوجه: ما توجهت إليه، والضمير في «له» للندى. والكفيل: الضامن. يقول: ونداه معي في أي طريق سلكته، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه في وجهي: أي أمامي، وهذا فيمن يعدى «كفل» بنفسه، فتكون اللام من «له» «للتقوية» والباء بمعنى في. كذا يروى هذا البيت، ولعل الرواية الصحيحة: به لوجهي أي كأن كل جهة كافلة لوجهي بلقاء نداه. وقال الواحدي: يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجهًا إلا واجهه جوده، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداه بوجهه، وهذا محمول على القلب. أراد كفيل لي بوجه نداه يرينيه ويأتيني به، والقلب شائع في الكلام كثير في الشعر. يقول: كل وجه توجهته كفيل لي بوجه نداه، ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب، وذلك أن من واجهك فقد واجهته، ومن استقبلك فقد استقبلته، والأفعال المشترك فيها يستوي المعنى في إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول، كما تقول لقيت زيدًا، ولقيني زيد، وأصبت مالًا، وأصابني مال. وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى. وقال ابن الإفليلي: يقول: كل وجهة أقصدها تتكفل بي لسيف الدولة مزعجة لي إليه وتضمنني له بكثرة الحض عليه.

(٥٣٥) العذل: اللوم، يريد أنه لا يسمع العذل على الجود، أما غيره فإنه يسمع: يقول إذا عذل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه ففداء هذا الممدوح الأجواد والعاذلون. وقال ابن فورجه: يريد فداؤك كل من عذل في جوده فسمعه أو رده؛ لأنك فوقه جودًا. وعبارة بعض الشراح: أي فداه كل عاذل؛ لأنه مردود عنده، وكل معذول؛ لأنه فوقه في الجود.

(٥٣٦) وموالٍ: عطف على المعذول. والموالي: العبيد، والأولياء. يقول. وفدته موالٍ حياتهم من إنعامه عليهم، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام؛ لأن مواليه يستخدمون نعمه في قتل أعدائه، وقد بين تلك النعم في البيت التالي. وعبارة العكبري: وفداه موالٍ شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديه مقتول بها، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء. فالموالي: الأولياء. وقال ابن جني: الموالي ها هنا العبيد؛ أي ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسدًا.

(٥٣٧) فرس سابق: بدل من نعم. ويروى: «سابح» بدل «سابق». والسابح: السريع الجري كأنه يسبح. والدلاص: الدرع البراقة الملساء. والزغف: اللينة المحكمة النسيج.

يقول: إنه يعطي عبيده هذه الأشياء فتصير عونًا لهم على قتل أعدائه. قال العكبري: فهو معنى قوله: غيرهم بها مقتول، فبين ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذي يهبه له بمقارعة الأعداء. والتوطين على الصبر عند اللقاء.

(٥٣٨) صبحت: جاءت صباحًا. وفاعل قال: تلك. والغيوث: الأمطار. وهذي السيول: مبتدأ وخبر. والجملة: مقول القول. أي كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه: هذه سيولنا، شبه مواهبه المذكورة بالمطر، والغارة بها على العدو بالسيل الذي يكون عن المطر. وقال الواحدي: أي كلما أتت مواليه ديار عدو صباحًا للغارة، قال العدو تلك التي رأيناها قبل، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثًا بالإضافة إلى السيول؛ يريد كثرة مواليه. وقال ابن جني: هذا مثل، وعنى بالغيوث سيف الدولة، وبالسيول: مواليه، وذلك أن السيل يكون عن الغيث، وكذلك مواليه به قدروا وعزوا.

(٥٣٩) دهمته: فاجأته، والهاء: للعدو. والزرد: حلق الدرع. والمحكم: الموثق الصنعة. والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره. يقول: فاجأت الموالي العدو بقوة من الضرب تهتك الدروع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير.

(٥٤٠) قنص الوحش: مفعول مطلق. ويستأسر: يأسر. والخميس: الجيش العظيم من خمس فرق: القلب والجناحين والمقدمة والساقة. والرعيل: القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين. يقول: إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش، والقليل من جيشه يأسر الجيش الكثير. يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كفيل له بذلك.

(٥٤١) أعرضت: ظهرت وقامت. والحرب: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده. والهول: الفزع. والتهويل: التفزيع. والضمير في أنه: للهول. يقول: إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله، وزعم الهول لعينيه أنه تهويل لا حقيقة له، يعني أنه لا يفزعه شيء يراه، فكأن الهول يقول له: لا يهولنك ما ترى، وذلك أن التهويل يكون بالكلام. وبعبارة أخرى: إذا قامت الحرب لم يبالِ بما يرى من أهوالها، فكأن الهول يظهر لعينيه في صورة التهويل. يعني أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له. ويروى بدل «أنه»: أنها، فيكون الضمير للحرب.

(٥٤٢) يقول: هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته. يريد أن الزمان تابع لحاله، صائر إلى مثل مآله. وهذا كما يُروى عن معاوية أنه قال: نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع. ورُوي أنه سمع رجلًا يذم الزمان، فقال: لو يعلم ما يقول لضربت عنقه، إن الزمان هو السلطان.

(٥٤٣) ثناه: يروى: نثاه. والنثا: الخبر، وهو ما ينثى — أي ينثر — من حديث، وهو بمعنى الثناء. يقول: بكل مكان يسمع له خبر جميل. وعبارة العكبري: إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه، ففي المكان الذي يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم، وذكر كريم لا يفقد.

(٥٤٤) الهمام: الملك العظيم. يقول: ليس أحد من الملوك يقي عرضه بسيفه غيرك؛ أي أنت الشجاع دونهم. هذا، وكان الأجود أن يقول: إلا إياك، ولكنه أتى بالضمير المتصل في موضع المنفصل وهو جائز في ضرورة الشعر.

(٥٤٥) السرايا: جمع سرية، وهي القطعة من الجيش ما بين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة. وقوله: ودونها؛ أي دون بلاد العراق وبلاد مصر. يقول: كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك، ولولاك لاستبيحت تلك الديار؟!

(٥٤٦) تحرفت: انحرفت وملت. والسدر: شجر النبق. يقول: لو ملت عن طريق الروم لساروا فأوغلوا في ديار العرب دون أن يقف في طريقهم أحد حتى يربطوا خيولهم بالسدر والنخيل التي بالعراق ومصر؛ يعني: لولا ذودك عن هذه الممالك لملكتها الأعداء، يريد بهذا الغض ممن بالعراق ومصر من الملوك والرفع من شأن سيف الدولة. هذا، وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعًا؛ لأنها هي الممسكة إذا ربطت الخيل إليه، فكأنها ربطتها، وهذا كما تقول أحلني بلد كذا؛ أي حللت فيه. وعبارة ابن جني: هو من باب القلب، كقولك: ساءني أمر كذا أي وقع السوء فيه، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم، كقول الآخر:

تَـرَكُـوا جَـارَهُـمْ يَـأْكُـلُـهُ ضَبُعُ الْوَادِي وَيَرْمِيهِ الشَّجَرْ

(٥٤٧) درى: عطف على ربط. وفيهما: أي في العراق ومصر. يقول: ولو تحرفت عن طريق الأعادي لعلم من أعزه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر — يعني كافورًا وآل بويه — أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيرًا ذليلًا.

(٥٤٨) أن يكون: أي بأن يكون — أي يحصل — القفول؛ أي الرجوع. فيكون تامة، يشير إلى أن غزواته لا تنقطع.

(٥٤٩) سوى: استثناء مقدم. وخلف ظهرك روم: مبتدأ وخبر، أي إن خلف ظهرك رومًا سوى الروم — يريد آل بويه — أي أن هناك أعداء لك كالروم، فليس أعداؤك الروم حسب، وإنما أعداؤك كثير فأيهم تقاتل؟

(٥٥٠) المساعي: جمع مسعاة؛ المكرمة والمعلاة في أنواع المجد والجود. والقنا: الرماح. والنصول: جمع نصل؛ حد السيف. يقول: لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التي قامت بها رماحك وسيوفك.

(٥٥١) المنايا: جمع منية، وهي الموت. والشمول: الخمر. يقول: إن غيره من الملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر، أما هو فشغله الشاغل الحرب.

(٥٥٢) وزماني ... إلخ: حال. وبأن أراك: متعلق بـ «بخيل». يقول: لا أرضى بأن يصل إليَّ عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك.

(٥٥٣) المرتع. المرعى. والتنغيض: التكدير. والهزيل: ضد السمين. يقول: أنا في قرب عطائك مني وبعدي عنك كمن يرتع في مكان مخصب وهو مع ذلك مهزول؛ أي لست أهنأ بعطائك مع البعد عن لقائك.

(٥٥٤) تبوأ المكان: نزل به. والنيل: العطاء. والمنيل: المعطي. يقول: إن عطاياه تتبعه حيثما سار، فلو هو اتخذ دارًا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها.

(٥٥٥) يقول: إذا عشت وبقيت حيًّا كان لي من العبيد الذين تهبهم لي ألف عبد مثل كافور الذي رغبت عنه واجتويت البقاء في جملته، وكان لي من نداك وجودك عوض من ريف مصر ونيلها الذين بهما شرف بلده وفيهما بسطت يده.

(٥٥٦) اتقتك: اجتنبتك. والرزايا، جمع رزية، وهي المصيبة. والحبول: الدواهي؛ جمع حبل — بكسر الحاء — أنشد المفضل:

فَيَا عَجَبًا لِلْخَوْدِ تُبْدِي قِنَاعَهَا   تُرَأْرِئُ بِالْعَيْنَيْنِ لِلرَّجُلِ الْحِبْلِ

(يقال: رأرأت بعينيها: إذا أدارتهما، تغمز الرجل.)
وقال الأخطل:

وَكُنْتُ سَلِيمَ الْقَلْبِ حَتَّى أَصَابَنِي   مِنَ اللَّامِعَاتِ الْمُبْرِقَاتِ حُبُولُ

وقال كثير:

فَلَا تَعْجَلِي يَا عَزَّ أَنْ تَتَفَهَّمِي   بِنُصْحٍ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ

والخبول: جمع خبل، مصدر خبله: إذا أفسد من أعضائه أو عقله، والخابل: الشيطان، والخابل: المفسد، والخابلان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يأتيان على أحد إلا خبلاه بهرم، وفي الحديث: «وبطانة لا تألوه خبالا»؛ أي لا تقصر في إفساد أمره. وقالوا: خبل خابل، يذهبون إلى المبالغة، قال:

نُدَافِعُ قَوْمًا مُغْضَبِينَ عَلَيْكُم   فَعَلْتُمْ بِهِمْ خَبْلًا مِنَ الشَّرِّ خَابِلَا

يقول: إذا تخطتك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالي من أصابته دواهيه وآفاته؛ لأن أملي إنما هو معقود بك.

(٥٥٧) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس. والضفر: الشد، ويسمى ما يشد على الرأس من الذوائب: الضفائر، ومن سماها الضفر فقد سمى بالمصدر. يقول: إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه. يعني بهذا أنه شجاع صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال، وكانوا يفعلون ذلك تهويلًا للعدو.

(٥٥٨) على فتى: متعلق بـ «منشورة» — في البيت السابق — وهو عيب في الشعر يسمى التضمين. والصعدة: الرمح القصير، يقال: اعتقل الرمح وتنكب القوس وتقلد السيف إذا حمل كلا منها حمل مثلها. ومعنى يعلها: يسقيها الدم مرة بعد أخرى. ومن كل وافي السبال: أي يعلها من كل رجل تام السبلة، وهي ما استرسل من مقدم اللحية. يقول: إنما يحسن شعري إذا كنت على هذه الحالة.

(٥٥٩) بريئًا وسليمًا: حالان. ومحبي قيامي: منادى. والنصل: السيف. يقول: يا من يحب مقامي وتركي الأسفار كيف أقيم ولم أجرح بنصلي أعدائي. وقال الواحدي: القيام هنا قيام إلى الشيء أو بالشيء. يقول: أيها المحبون قيامي إلى الحرب أو بالحرب ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب؛ أي لم لا تعينونني بالسيف إن أحببتم قيامي؟

(٥٦٠) فرندي: يروى بفتح الراء وكسرها، معرب معناه ما يستدل به على جودة الحديد كالآثار والنقط. والهام: الرءوس. والنصل: السيف. يقول: أرى من قوتي ونشاطي

قطعة في فرند هذا السيف؛ أي إن له حدة ومضاء كحدتي ومضائي، ثم قال: إن جودة الضرب في جودة الصقل؛ أي إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب، وهذا تمثيل، يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب، وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف.

(٥٦١) المراد بخضرة ثوب العيش: النعمة والخصب، استعارة من خضرة النبات، والنبات إذا كان أخضر كان رطبًا ناعمًا. وقوله: في الخضرة … إلخ: يعني خضرة السيف، ويحمد من السيوف ما كان مشربًا خضرة. قال الشاعر:

مُـهَـنَّـد كَـأَنَّـمَـا طَـابِـعُـهُ   أَشْرَبَهُ بِالْهِنْدِ مَاءَ الْهِنْدَبَا

(الهندبا — بفتح الدال — مقصور: نبت معروف يؤكل.)
وقال البحتري:

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةُ بَقْلَةً   مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

واحمرار الموت: شدته، يقال: موت أحمر؛ أي شديد، وأصله من القتل وسيلان الدم. ومدرج النمل: مدبه، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثارًا دقيقة. جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند. يقول: طيب العيش وهناؤه في السيف، أي في استعماله والضرب به.

(٥٦٢) الإماطة: الرفع والتنحية والإزالة، ومنه إماطة الأذى عن الطريق، ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله: بما وكأنه: قول القائل: ما أشبهه بكذا وكأنه كذا! يقول: لا تشبهني بأحد ولا تقل: كأنه فلان وما أشبهه بفلان؛ لأنه ليس فوقي أحد ولا مثلي أحد فتشبهني به. وهناك أقوال أخرى للشراح في قوله: «بما وكأنه» نورد منها أهمها. قال ابن القطاع: الصحيح من معنى هذا البيت أن «ما» نكرة بمعنى شيء موضوعة للعموم كأنه قال: أمط عنك تشبيهي بشيء من الأشياء كما أنك تقول: مررت بما معجب لك؛ أي بشيء معجب لك. وقال أبو بكر الخوارزمي: «ما» ها هنا اسم بمعنى الذي، يقال لمن يشبه بالبحر: كأنه ما هو نصف الدنيا، يعنون البحر؛ لأن الدنيا بر وبحر، ويقولون: كأنه ما هو سراج الدنيا، يعنون الشمس والقمر، ولما كان لفظها في المشبه به ذكره المتنبي مع كأن. وقال ابن جني: إنه يعتبر كأن قائلًا قال: بما يشبه؟ فيقول الآخر: كأنه

الأسد، فقال هو معرضًا عن هذا القول: أمط عنك تشبيهي بما وكأنه، فلما جاء بحرف التشبيه — أي كأن — ذكر «ما».

(٥٦٣) وإياه: يعني النصل. والطِّرف: الفرس الكريم. والذابل: ما لان واهتز من الرماح. وقوله: «نكن» جواب الأمر. يقول: دعني وهذا السيف وفرسي ورمحي حتى نجتمع فنكون في رأي العين شخصًا واحدًا يلقى الورى — أي يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء. قال ابن جني: وقد لاذ في هذا البيت بلفظ ذي الرمة ومعناه في قوله:

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ ... بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحَمُّ غُدَافِيٌّ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ ... وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ وَأَرْوَعُ مَاجِدُ

هذا، وقوله: يلقى الورى: نعت «واحدًا»، ويروى: نلق: مجزومًا على البدل من نكن.

(٥٦٤) أحيا: فعل المتكلم، وجملة «وأيسر»: حالية؛ يخبر عن نفسه بأنه حي باقٍ، مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل. يقول: أقل وأهون ما قاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا، والفراق جار على ضعفي حين فرق بيني وبين أحبتي وكنت ضعيفًا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلاني ببعدهم. وقال بعض الشراح: يحتمل أن يكون أحيا في معنى أفعل التي للتفضيل: أي أشد ما يكون في الإنسان وأيسر ما قاسيت شيء قاتل، فكأن الكلام على التقديم والتأخير؛ أي الشيء الذي يقتل أحيا وأيسر ما لاقيت، أو ما ألقاه، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه؛ أي أحيا ما لاقيت وأيسر ما لاقيت. قال: وهم يستعملون هذا في الشعر، ولو قلت في النثر: أفضل وأكرم الناس زيد، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبح، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم. وقال بعض الشراح تعليقًا على قوله: وما عدلا: كرر المعنى فقال: جار وما عدلا، والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل، قال: وإنما كرره لأن الجائر في وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعدل إذا عدل، وهذا جار عليه وما عدل، ومثله في القرآن الكريم: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ والمعنى أنها أموات لا تحيا في المستقبل كما يحيا الناس عند البعث.

(٥٦٥) الوجد: الحزن والشوق. والنوى: البعد، يقول: إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمي.

(٥٦٦) المنايا: جمع منية؛ الموت، يقول: لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا: أي إنما توسلت إلينا بطريق فراق الأحباب، كما قال أبو تمام:

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ ... إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلَا

ولابن القطاع تأويل حسن. قال: إن «لها» جمع لهاة والمعنى ما وجدت لهوات المنايا إلخ، فلها: فاعل وجدت. والمنايا: في موضع جر بالإضافة. واللهاة؛ اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. والسبل: جمع سبيل، والسبيل: الطريق، تذكر وتؤنث.

(٥٦٧) الدنف: الذي أثقله المرض. وقال علماء اللغة: الدنف: المرض اللازم المخامر، ويقال: رجل دنَف ودنِف ومدنف ومدنف؛ أي براه المرض حتى أشفى على الموت. فمن قال دنف: لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه، كأنه وصف بالمصدر. ومن كسر النون ثنى وجمع وأنث لا محالة، فقال: رجل دنف — بالكسر — ورجلان دنفان، ورجال أدناف، وإمرأة دنفة، ونسوة دنفات. ومن المجاز والاستعارة قول العجاج:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دنفًا ... أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا

(يريد: حين اصفرت ودانت الغروب، فكأنها دنف حينئذٍ، يقال: دنفت الشمس وأدنفت: إذا دنت للمغيب واصفرت.)

يقول: أقسم عليك بحق ما بجفنيك من سحر أن تصلي مريضًا يحب الحياة في وصالك، فإن هجرت وأعرضت فليس يحب الحياة. وعنى بسحر جفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتسبي عقول الرجال، فكأنها سحرتهم، والمعنى من قول دعبل:

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ فَأَمَّا عَلَى ... أَنْ لَا أَرَى وَجْهَكِ يَوْمًا فَلَا
لَوْ أَنَّ يَوْمًا مِنْكِ أَوْ سَاعَةً ... تُبَاعُ بِالدُّنْيَا إِذَنْ مَا غَلَا

وقوله: يهوى الحياة: نعت «دنفًا»، ويروى: يهو — بدون ياء على أنه جواب للأمر — وقال العكبري تعليقًا على قوله: «وإما إن صددت فلا»: الفاء جواب «أما»؛ لأنها أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور. ومثله قولك: والله إن تزرني لأكرمنك بجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط، وإذا قدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول: إن تزرني والله أكرمك.

(٥٦٨) نصل الخضاب: ذهب. والسلوة: الاسم — من سلا عنه سلوًا — والسلو: طيب نفس الإلف عن إلفه، ويقول الرجل لصاحبه: سقيتني سلوة وسلوانًا؛ أي طيبت نفسي عنك، قال:

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي
فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْلَمَانِهَا وَلَا سلْوَةٍ إِلَّا بِهَا سَقَيَانِي

يقول: إن لا يشب هذا الدنف — يعني نفسه؛ لأنه لا يزال شابًّا — فلقد شابت كبده لشدة ما يقاسي من حرارة الوجد والشوق، فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الخضاب؛ لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم، فإذا زالت السلوة زال خضاب كبده وعاد شيبه. يريد إذا سلا حينًا لم يلبث الشوق أن يعود. وما أروع قول أبي تمام:

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ أْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ

والمتنبي نقل شيب الفؤاد إلى الكبد، وهو مما استقبح من استعاراته.

(٥٦٩) يجن: من الجنون، ويروى: يحن — من الحنين، وهو الصبوة والطرب — ورواية يجن أليق ليطابق قوله: عقلًا — في آخر البيت — يقول: إن هذا الدنف يصير مجنونًا لشدة شوقه، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية المشرق لما كان له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد ريح المشرق من قبل أحبائه:

فَإِنَّ الصِّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى كِبْدِ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

وقد نظر المتنبي في هذا إلى قول عبد الله بن الدمينة:

وَأَسْتَنْشِقُ النَّسْمَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُم كَأَنِّي مَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَبِيبُ

(٥٧٠) ها: للتنبيه، أي ها أنا ذا فانظري. وتري: جواب الأمر. ووأل: نجا. يقول: ها أنا ذا فانظري إلي أو فكري فيَّ إن لم تنظري تري بي حرقًا من حبك، من لم يجرب القليل منها، فقد نجا من بلاء الحب. وقد أجمل المتنبي ما فصله البحتري في بيتين قال:

أَعِيدِي فِيَّ نَظْرَةَ مُسْتَثِيبٍ تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَثَامَا
تَرَيْ كَبِدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا مُؤَرَّقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا

(٥٧١) علَّ: كلعل. ويشفع — بالنصب — جواب الترجي، وبالرفع: عطف على يرى. يقول: لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعًا لي إلى الحبيبة — التي جعلتني بحيث يضرب بي المثل في العشق — لتواصلني بشفاعته. قال الواحدي: وهذا من قول أبي نواس:

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَـوَاهَـا لَـعَـلَّ الْـفَـضْـلَ يَـجْـمَـعُ بَـيْـنَـنَـا

قال: وهذا أحسن من قول المتنبي؛ لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته، والشفاعة تكون باللسان، وذلك نوع من القيادة … قال: على أني سمعت العروضي يقول: سمعت الشعراني يقول: لم أسمع المتنبي ينشده إلا: فيشفعني — من قولهم: كان وترًا فشفعه بآخر وإلى آخر؛ أي صيره شفعًا. فيكون كما قال أبو نواس. وقال العكبري — تعليقًا على قوله علَّ: «علَّ» حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية، وذهب البصريون إلى أنها زائدة، وحجتهم أنها حرف، والحروف كلها حروفها أصلية؛ لأن حروف الزيادة العشرة التي يجمعها «اليوم تنساه» إنما تختص بالأسماء والأفعال، فأما الحروف فلا يدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية في كل مكان على كل حال. ألا ترى أن الألف لا تكون في الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها في «ما» و«لا» بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية؟ فدل على أن اللام الأولى في «لعل» أصلية، والذي يدل على ذلك أيضًا أن اللام خاصة لا تكاد تزاد إلا على سبيل الشذوذ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال؟ وحجة البصريين أنهم وجدوها في كلام العرب وأشعارهم، كقول نافع الطائي:

وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وكقول الآخر:

لَا تُهِينَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

(لا تهين: أراد لا تهينن، فحذف النون الخفيفة لما استقبلها ساكن، والبيت للأضبط بن قريع السعدي.)

(٥٧٢) بصرت به: أي أبصرته. واعتقل رمحه: جعله بين ركابه وساقه. يقول: إني أيقنت بأن الممدوح يطلب بدمي إن سفكته الحبيبة ويأخذ منها ثأري؛ لأني رأيته قد اعتقل رمحه متوجهًا لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه.

(٥٧٣) فضل والده: يروى: فضل نائله، والنائل: العطاء. وزحل: الكوكب المعروف وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض. يقول. وأيقنت أنني لا أستطيع عد عطائه لكثرته وأنني أدرك زحلًا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف فضل والده.

(٥٧٤) القيل: الملك — بلغة حمير — أو الرئيس دون الملك الأعلى. ومنبج: بلد بالشام. والمثوى: المنزل والمقام. والأفق: القطر والناحية. وقَيْل: خبر مبتدأ محذوف أي هو قيل، وبمنبج: خبر مقدم، ومثواه: مبتدأ مؤخر، ونائله: مبتدأ، خبره: في الأفق. ويسأل: في موضع الحال. يقول. هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف في الآفاق يسأل عمن يسأل غيره من الناس، يعني أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه. وفي مثل هذا يقول أبو تمام:

فَأَضْحَتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَّدًا تُسَائِلُ فِي الْآفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلِ

ويقول:

وَفَدَتْ إِلَى الْآفَاقِ مِنْ مَعْرُوفِهِ نِعَمٌ تسَائِلُ عَنْ ذَوِي الْإِقْتَارِ

ويقول أبو العتاهية:

وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا

(٥٧٥) الغرة: غرة الوجه. وصحنها: وسطها. والهيجاء: الحرب. يقول: إن وجهه لحسنه يضيء كالبدر في ظلام الليل، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يحمل معه ويصول عليهم فيقتلهم، فالموت من أعوانه، ويروى: الموتَ — بالنصب — أي أنه إذا حمل على أعدائه أصحب الموت حاملًا إياه إليهم.

(٥٧٦) يقول: إن كلابًا — وهم قبيلة الممدوح — لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشي عليه؛ كناية عن اغتباطهم بولائه، وسيفه في جناب — وهم قبيلة عدوه — يسبق ملامة من يلومه في منامهم؛ كناية عن شقائهم بعداوته. وهذا مثل، يقال: سبق

السيف العذل، وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلًا فقتله، فأخبر بعذره، فقال: سبق السيف العذل. قال الواحدي: وروي هنا بيت منحول ليس في روايات الديوان، وهو:

مُهَذَّب الْجَدِّ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ لَهُ   حُلْوٌ كَأَنَّ عَلَى أَخْلَاقِهِ عَسَلَا

أي هو طيب الأصل لأن جده كان مبرأ من العيوب، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقي الله به، وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول: ممزوج بالعسل.

(٥٧٧) استعار للفخر «سماء» لعلو الفخر، يقول: له نور يصعد في سماء الفخر لو صعد فكر واصفًا في مخترقه طوال الدهر ما نزل؛ لأنه يبقى يرقى في أثر ذلك النور فلا يلحقه، والمخترق: موضع الاختراق، ويريد به: المصعد في الهواء، كأنه يشق الهواء شقًّا، ويريد بالنور: ما اشتهر وذاع في الناس من ذكره وصيته؛ أي أنه عالٍ علوًّا لا يدرك بالوهم والفكر.

(٥٧٨) بادت: هلكت. وقدمًا: بمعنى قديمًا؛ أي زمانًا قديمًا، ولم يصرف تميمًا؛ لأنه أراد القبيلة، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث. والحَين: الهلاك. يقول: إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الأجل قبل وقته.

(٥٧٩) الحرب العوان: التي قوتل فيها المرة بعد المرة. والحلل: جمع الحلة، وهي المنازل التي حلوها. يقول: لما رأت تميم هذا الممدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد تركوا منازلهم وهربوا في أول الأمر.

(٥٨٠) قال الواحدي: يعني لشدة ما لحقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربًا، كقوله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، وهاربهم إذا رأى ما ليس بشيء يعبأ به أو توهم ما ليس بشيء شيئًا ظنه إنسانًا يطلبه، وكذا عادة الهارب الخائف كقول جرير:

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ   خَـيْـلًا تَـكُـرُّ عَـلَـيْـهِـمِ وَرِجَـالَا

قال أبو عبيد: لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال: سرقه والله من كتابهم — يريد القرآن الكريم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ﴾، قال: ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالًّا عليها، كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة لجار المسجد إلا في

المسجد»، أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة، ويقولون: هذا ليس بشيء يريدون شيئًا جيدًا، وقال بعض المتكلمين: إن الله خلق الأشياء من لا شيء. فقيل: هذا خطأ؛ لأن لا شيء لا يخلق منه شيء، ومن قال: إن الله يخلق من لا شيء جعل لا شيء شيئًا يخلق منه. والصحيح أن يقال: يخلق لا من شيء؛ لأنه إذا قال لا من شيء: نفي أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء.

(٥٨١) اللهوات: جمع لهاة، وهي لحمة في الحلق عند أصل اللسان. يقول: فبعد اليوم الذي بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذي نحن فيه لو ركضت خيلهم في لهوات صبي صغير لما شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم. وقد بالغ في هذا حتى أحال … قالوا: وهذا مأخوذ من قول الشاعر:

لَوْ أَنَّهُ حَرَّكَ الْجُرْدَ الْجِيَادَ عَلَى   أَجْفَانِ ذِي حلمٍ لَمْ يَنْتَبِهْ فَرقَا

وفيه نظر إلى قول بعضهم:

وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهْ   وَلَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

وقال بعض الشراح: ويجوز أن يجعل الطفل منهم — أي من تميم — أي ما جسر الطفل منهم أن يسعل خوفًا وإشفاقًا مع أنه لا عقل له، فكيف الظن بكبيرهم في أمر الخوف وله عقل؟ وعلى هذا: «ركضت» فعل خيل النصر وقبيلته وقومه.

(٥٨٢) الألى: بمعنى الذين. والجزر: اللحم الذي يلقى للسباع، يقال: ما كانوا إلا جزرًا لسيوفنا؛ أي الذين نقتلهم فنلقيهم للسباع. والوجل: شدة الخوف. يقول: إن الذين لقوك منهم فنيتهم وجعلتهم جزرًا للسباع، والذين لم يلقوك ماتوا خوفًا منك.

(٥٨٣) المهمه: الفلاة الواسعة، والقذف: البعيد. يقول: كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها — أي الذي يدل على الطريق — مضطرب خائف كقلب المحب، قطعتها بعد أن طال السير فيها، وهذا معنى قوله: قضاني بعدما مطلا، وهو استعارة جميلة؛ لأن المهمه كالمطلوب منه انقطاعه بالمسير فيه وهو — بطوله وتأخير انقطاعه — كالماطل بما يقتضي منه، فالضمير في «قضاني» عائد إلى المهمة.

(٥٨٤) المفاوز: الفلوات. والطرف: العين. وحر الوجه: أشرف موضع فيه أو ما بدا منه. وأفل: غاب. يقول: كنت أنظر إلى النجم دائمًا في مسيري ليلًا حتى كأن أجفاني

معقودة به مخافة أن أضل الطريق، وإذا غاب النجم — أي في النهار — كنت أنصب وجهي للشمس دائمًا حتى كأنه معقود بها، وإنما يهتدي في الفلوات إلى الطريق ليلًا بالنجم ونهارًا بالشمس، والمراد أنه سافر فيه ليلًا ونهارًا حتى بلغ ما أراد.

(٥٨٥) الصم: الصلاب الشداد من كل شيء. واليعملة: الناقة القوية. وتغشمرت: تعسفت وركضت على غير قصد. يقول: أوطأت خف ناقتي حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بي في السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك.

(٥٨٦) حشو قميصي: يريد بدلي وفي مكاني. والنمرق: وسادة يعتمد عليها الراكب. والغيطان: جمع غائط، وهو ما اطمأن من الأرض وانخفض. والزجل: الصياح والضجيج. يقول: لو كنت مكاني فوق نمرق ناقتي لسمعت أصوات الجن في وهاد هذه المفاوز؛ أي أنها مسكن الجن لبعدها عن الإنس، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن، كما قال الأخطل:

مَـلَاعِبُ جِـنَّـانٍ كَـأَنَّ تُـرَابَـهَـا　　　إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيَاحُ مُغَرْبَلُ

وبيت المتنبي من قول ذي الرمة:

لِلْجِنِّ بِالميلِ فِي حَافاتِهَا زجل　　　كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ

«العيشوم: شجر له صوت مع الريح.»

(٥٨٧) يقول: وصلت إلى الممدوح بنفس مات أكثرها؛ أي ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته، ثم تمنى أن يعيش بما بقي من نفسه ليقضي حق الممدوح بخدمته له. وعبارة بعض الشراح: لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتًا سمى الإقامة والراحة عيشًا. والمعنى: ليتني أصادف عيشًا بما بقي من عمري قبل أن أموت، فقوله: ليتني عشت: أراد ليتني أعيش، فعبر بالماضي عن المضارع.

(٥٨٨) يقول: لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلًا لعلو همتك، فالدنيا حقيرة بالإضافة إلى همتك. وهذا من قول حسان:

يُعْطِي الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ　　　إِلَّا كَبَعْضِ عَطِيَّةِ الْمَذْمُومِ

ومن قول أبي العتاهية:

إِنِّي لَأَيْأَسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمِعُنِي　　فِيهَا احْتِقَارُكَ للدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(٥٨٩) يقول: إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فيما يأخذون من أموالك، وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطماعهم. والبيت في ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام كرمًا.

(٥٩٠) أراد: تمثلوا بحاتم، فحذف الباء ضرورة. يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا: أكرم من حاتم وأجود من حاتم، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك؛ لأنك الغاية في الجود.

(٥٩١) وبالرسل: عطف على بما بعثت. وإيها: اسم فعل بمعنى كف ودع. أما إيه — بالخفض — فهي الاستزادة من المتكلم. يقول: أهلًا وسهلًا بهديتك ورسولك فكف، فقد أكثرت الهدايا وغمرني إحسانك.

(٥٩٢) هدية: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذي أهداها — يعني الممدوح — إلا رأيت الناس كلهم في شخص واحد، يعني أنه جمع فيه جميع ما في الناس من معاني الفضل والكرم، وهذا كما قال أبو نواس:

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكِرٍ　　أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال:

أمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصٍ حَيٍّ أُعِيدَا

وقال:

وَمَنْزِلك الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

(٥٩٣) أراد بالبركة: الوعاء الذي كان فيه العسل. يعني أن هذه الهدية عظيمة أقل شيء اشتمل عليه أقل ما في هذه الهدية سمك بهذه الصفة.

(٥٩٤) أكافي: من المكافأة، وهي أن يقابل الشيء بمثله، فأصلها الهمزة. واليد: النعمة. يقول: كيف أكافئ من لا يعتقد في أعظم نعمة له عندي أنها نعمة احتقارًا لها

وتصغيرًا. أو تقول: بماذا أكافئ الذي أسدى إليَّ نعمة عظيمة وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندي.

(٥٩٥) الودق: المطر. وهاتا: بمعنى هذه. والمخايل: جمع المخيلة — بضم الميم وكسر الخاء — السحابة الخليقة بالمطر. والخلف: اسم من الإخلاف في الوعد. يقول لصاحبيه: اصبرا قليلًا تريا من أمري شأنًا عظيمًا فقد ظهرت مخايله وما يشهد لي بتحقيق ما كنت أعدكما من نفسي من قتل الأعداء وبلوغ الآمال، وإني لا أقول شيئًا أعد به ولا أفعله.

(٥٩٦) الصائب: بمعنى المصيب. يقال: صابه يصوبه، وأصابه يصيبه. وآخر — بالنصب — عطف على لفظ صائب، وبالرفع: عطف على الموضع من «صائب». وقطن: خبر مقدم. والجنادل: مبتدأ مؤخر. يقول: عابني أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرميني به؛ أي يلحقه ما يعيبني به، وآخر لا يؤثر في ما يرميني به ولا يعلق بي ما يقوله فِيَّ كأنه يرميني بقطعة قطن. فقوله: من صائب استه، كقولهم: جاءني القوم من فارس وراجل. يعني أنهم من هذين الجنسين.

(٥٩٧) أي ومن رجل آخر لا يعرفني ولا يعرف أنه جاهل بي، فهاتان جهالتان، ويجهل أني أعلم أنه جاهل بي. فعلمي: مفعول يجهل، وأنه: مفعول علمي؛ أي يجهل معرفتي بجهله بي. ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي   أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لَكِن جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي   وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

وقول الآخر:

جَهِلْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ   فَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي

(٥٩٨) مالك الأرض: نصب على الحال، وعلى ظهر السماكين: في موضع الحال. يقول: ويجهل هذا الجاهل أني في الحال التي أملك فيها الأرض أعد نفسي معسرًا بالقياس إلى مقتضى همتي، وأني إذا علوت السماء وركبت السماكين عددت نفسي راجلًا، لاقتضاء همتي ما فوق ذلك.

(٥٩٩) يقول: إن همتي تريني كل شيء أطلبه حقيرًا، والغاية البعيدة قصيرة في عيني.

(٦٠٠) الطود: الجبل العظيم. ومناكبه: أعاليه. والضيم: الظلم. يقول: لم أزل ثابتًا ذا وقار كالطود لا يحركني شيء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت لدفعه عن نفسي.

(٦٠١) القلقلة: التحريك. ويريد بالحشا: ما في داخل الجوف. والقلاقل — الأولى — جمع قلقل، وهي الناقة الخفيفة. ويقال أيضًا: رجل قلقل، وفرس قلقل: إذا كانا سريعي الحركة. والقلاقل — الثانية — جمع قلقلة، وهي الحركة، يقول حركت — بسبب الهم الذي حرك نفسي — إبلا خفافًا في السير، يعني سافرت ولم أعرج بالمقام الذي يلحقني فيه الضيم. ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضًا بمعنى الأولى، وإذن: يعود الضمير من كلهن على العيس، لا على القلاقل. يقول: خفاف إبل كلهن خفاف، يعني أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال: أفضل الفضلاء. هذا، وقد عاب الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت، قال: ما له قلقل الله أحشاءه وهذه القافات الباردة؟ قال الواحدي: ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله، قال الثعالبي: قال لي أبو نصر بن المرزبان: ثلاثة من رؤساء الشعراء: شلشل أحدهم، وسلسل الثاني، وقلقل الثالث. أما الذي شلشل فالأعشى — وهو من رؤساء شعراء الجاهلية — قال:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

«الشاوي: الذي شوى. والمشل: المطر. والشلول: الخفيف. والشلشل: الخفيف القليل، وكذلك الشول، والألفاظ متقاربة. أريد بذكرها والجمع بينها: المبالغة.» وأما الذي سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول:

سُلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولَا

وأما الذي قلقل فهو المتنبي الذي يقول: ... البيت. ثم قال لي: فبلبل أنت أيضًا، فقلت: أخشى أن أكون رابع الشعراء، أعني قول من قال:

الـشُّـعَـرَاءُ فَـاعْـلَـمَـنَّ أَرْبَـعَـهْ فَشَاعِرٌ لَا يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهْ
وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ الْمَعْمَعَهْ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهْ
وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْفَعَهْ

قال: ثم قلت بعد حين من الدهر:

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

(٦٠٢) وارانا: سترنا. والمشاعل: جمع مشعلة — بفتح الميم — النار الموقدة، وبكسر الميم: الآلة التي تحمل فيها النار. يقول: إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتنقدح النار فيها فترى ما لا تراه بضوء المشاعل.

(٦٠٣) الوجناء: الناقة الشديدة، جعل الناقة لشدة عدوها كالموج، وجعل المفازة كالبحار في سعتها. يقول: كأني منها إذا ركبتها في هذه المفازة في ظهر موج ترميني في بحر لا ساحل له.

(٦٠٤) يقول: يخيل إليَّ أن البلاد تلفظني فلا أستقر فيها، كما لا يستقر في مسامعي كلام العذال. يريد أنه دائم الأسفار لا يلقي عصاه ببلد حتى ينتقل إلى غيره، وهذا المعنى من قول القائل:

كَأَنِّي قَذًى فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادِ

وقد قال البحتري:

تَقَاذَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرٌ شَرُودُ

(٦٠٥) العلا: جمع العليا، تأنيث الأعلى — كالكبر في جمع الكبرى — وتساوى: إن كان ماضيًا ثبت الياء في آخره، وهو في موضع جزم. وإن كان بمعنى تتساوى — بحذف إحدى التاءين — فلا ياء؛ لأنه مجزوم لوقوعه جوابًا للشرط. والمحايي والمقاتل: جمع المحيا والمقتل؛ مصدرين ميميين بمعنى الحياة والقتل. يقول: من يطلب ما أطلب من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل؛ لأنه علم أن معالي الأمور فيها المخاوف والهلاك، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك، فهو يصبر عليه ولا يكترث له.

(٦٠٦) نصب السيوف لأنها استثناء مقدم كبيت الكميت:

وَمَالِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَالِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

والوسائل: جمع الوسيلة، وهي الواسطة بين الطالب والمطلوب. يقول لملوك عصره: لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا.

(٦٠٧) قال ابن جني: يعني إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلًا غير بخيل؛ لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفتدي روحه بماله.

(٦٠٨) الغث: الرديء من كل شيء، وأصله من غث اللحم: إذا كان مهزولًا. يقول رداءة عيشي في رداءة كرامتي لا في رداءة مطاعمي.

(٦٠٩) الرحيل: اسم بمعنى الارتحال. يقول: لما أزمعت أن ترحل مسافرًا أحببت أن أبرك، فوجدت أكثر ما عندي قليلًا بالإضافة إلى عظم قدرك.

(٦١٠) الصب: المشتاق. ورغب في الشيء: أراده وطلبه، ورغب عنه: لم يرده. والبكرة: أول النهار، والأصيل: آخره.

(٦١١) قال الواحدي: قال ابن جني: هذا البيت يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون أهدى إليه شيئًا كان أهداه إليه صديقه الممدوح، والآخر: أن يكون أراد: جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إليَّ وتزودنيه وقت فراقك هدية مني إليك، أي أسألك أن لا تتكلفه لي. ثم قال الواحدي: قال العروضي فيما أملاه عليَّ مما استدركه على ابن جني: أراد — أي المتنبي — أنك تحب أن تعطي فجعلت قبول هديتك إليَّ هدية مني إليك لحبك ذلك. وقول العروضي أمدح وأليق بما قبله من رغبته في المكارم واشتياقه إليها. وقوله: وظرفها التأميلًا: فالظرف وعاء الشيء. يقول: جعلت تأميلي مشتملًا على قبول هذه الهدية كاشتمال الظرف على ما فيه.

(٦١٢) قال ابن جني: أي لا كلفة عليك فيه؛ لأني لم أتكلف لك شيئًا من مالي، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقي بحاله لديك، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلًا عليَّ لتكامل صنيعك به. وقال العروضي: هذا البيت تأكيد لما فسرته، فتأمله؛ لأنه يقول: هذه الهدية بر تحبه فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لي، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك، ومحمله إنما يثقل عليَّ لا عليك؛ لأنك إذا أعطيتني أثقلت رقبتي بالشكر.

(٦١٣) العزيز: الشيء الذي يقل وجوده، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر. والأسى: العلاج، يقال: أسوت الجرح آسوه أسوًا وأسًى إذا داويته وأصلحته، قال الأعشى:

عِنْدَهُ الْبِرُّ وَالتُّقَى وَأَسَا الشـْ ـشقِّ وَحَمْلٌ لِمضلِعِ الْأَثْقَالِ

(الشق: الصدع، ويروى: الصدع. والمضلع: المثقل للأضلاع؛ أي الأثقال الأحمال المضلعة.)

وعزيز: خبر مقدم، وهو مضاف إلى أسى، ومن دوائه: مبتدأ مؤخر. والنجل: جمع النجلاء؛ الواسعة. والعياء: الداء الذي لا علاج له قد أعيا الأطباء، وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق. يقول: يعز علاج من داؤه هوى الحدق النجل وهو داء عياء به مات العشاق من قبلنا. ويروى: عزيزٌ أسى من داؤه — بتنوين عزيز — وإضافة أسى إلى «من» ورفعه بالابتداء لتخصصه بالإضافة، وعزيز: خبره، والتقدير: أسى من داؤه الحدق النجل عزيز. ويروى: عزيز أسى — على أن أسى تمييز كما تقول: عزيز دواء، فيكون عزيز خبرًا مقدمًا، ومن داؤه: مبتدأ مؤخر، قال العكبري: وهذا إذا جعلت «من» معرفة، أما إذا جعلت «من» نكرة كان عزيز مبتدأ. وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير. وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر، كقولك: ذهب خاتم في أصبعه، فخاتم هنا أخص من ذهب، وهو ثانٍ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب. و«من» توصف على وجهين بالجملة والمفرد، فوصفها بالجملة نحو:

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِيَ مَوْتًا لَمْ يُطَعْ

(من أبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري، وبعده:

وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعْ
وَيُحَيِّينِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا مُكِّنَ مِنْ لَحْمِي رَتَعْ

وقوله: رب من: أي رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ؛ أي أكمدته. والشجا: ما يعترض في الحلق. ومخرجه: إخراجه. ورتع: أكل فيه كيف شاء.)

وبالمفرد نحو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

(فضلًا: يروى: شرفًا، وهو تمييز. وحب: فاعل كفى. والباء زائدة في المفعول، وهو «بنا».)

فمن: نكرة في البيتين؛ لأن «رب» لا يليها المعرفة. وقول حسان: على من؛ أي على قوم أو أناس. ويجوز رفع «غيرنا» على أنه خبر مبتدأ محذوف. يريد من هو غيرنا، كقراءة الأعمش: «تمامًا على الذين أحسن» بالرفع، فيجعل «من» موصولة. ويجوز لمن نون أسى — أي ونون عزيز — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأي الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد، كقولك: قائم غلامك.

(٦١٤) منظري: أي موضع النظر مني، ويجوز أن يكون مصدرًا مضافًا إلى المفعول. والنذير: المنذر. وعداه بإلى على تضمينه معنى الرسول. يقول: من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إليَّ فمنظري منظر من ظن أن أمر الهوى سهل.

(٦١٥) الضمير: للقصة والشأن. يقول: ما هي إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار؛ لأن الهوى والعقل لا يجتمعان.

(٦١٦) يقول: جرى حب هذه المحبوبة في عروقي مجرى الدم لشدة امتزاجه بي، فشغلني عن كل ما سواها، ويروى: به؛ أي بالحب. وقوله: حبها: الضمير للمحبوبة وإن لم يجرِ لها ذكر لدلالة المقام، وهو كثير في كلامهم. قال الواحدي: ويروى بعد هذا البيت بيتان منحولان، وهما:

سَبَتْنِي بِدَلٍّ ذَاتُ حُسْنٍ بِزَيْنِهَا   تَكَحُّلُ عَيْنَيْهَا وَلَيْسَ لَهَا كُحْلُ
كَأَنَّ لِحَاظَ الْعَيْنِ فِي فَتْكِهِ بِنَا   رَقِيبٌ تَعَدَّى أَوْ عَدُوٌّ لَهُ دَخْلُ

«سبتني: أسرتي. والدل: الدلال. واللحاظ: مؤخر العين. والدخل: الريبة.»

(٦١٧) فما فوقها: أي فما هو أعظم منها، ويجوز أن يريد فما دونها في الصغر. يقول: قد أثر سقم الهوى في كل شيء من بدني فظهر فيه فعله. وما أبدع قول القائل في مثل هذا المعنى:

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَفِزُّ مَدَامِعِي   فَأُحِسُّ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِيبَا
لَا عُضْوَ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ   فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

(٦١٨) عذلوا: لاموا. وأنة: فعلة من الأنين، يكون من شدة الوجع. تقول: أن يئن أنينا: إذا اشتكى وجعًا، وهيا: حرف نداء — كيا وأيا وأي والهمزة — والحُبيبة: الحبيبة. قال العكبري: قوله حبيبتا: المراد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه.

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا حُبَيِّبَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَّفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدِ

وتصغير التعظيم كقول لبيد:

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

وكقول الحباب بن منذر يوم السقيفة: «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب.» (عنى بالجذيل — ها هنا — الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به: أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يشتفى بهما كما تشتفي هذه الإبل الجربى بهذا الجذل، وصغر على جهة المدح. وعذيق: تصغير العذق، وهو النخلة. والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط: أي أن لي عشيرة تعضدني وتمنعني وترفدني، والتصغير للتعظيم.) وتصغير التحقير، مثل: أنيسان ونحوه. قال ابن جني: والألف في «حبيبتا» وفي «قلبا» وفي «فؤادا»: بدل من ياء الإضافة، وكلها في موضع نصب؛ لأنه نداء مضاف، أراد: يا حبيبتي، يا قلبي، يا فؤادي، يا جمل — وجمل اسم الحبيبة — وقال الواحدي: يجوز أن تكون الألف فيها للندبة أراد يا حبيبتاه، يا قلباه، يا فؤاداه، فحذف الهاء للدرج، قال: وكذا ذكر ابن فورجه، ثم قال ابن فورجه: قلبًا فؤادًا يدعوهما لأنه يتشكاهما شكوى العليل، كما قال ديسم ابن شاذلويه الكردي:

أَنِينِي أَنِيسِي، وَشَجْوِي وِسَادِي وَعَيْنِي كَحِيلٌ بِشَوْكِ الْقَتَادِ
إِذَا قِيلَ: دَيسمُ مَا تَشْتَكِي؟ أَقُولُ بِشَجْوٍ: فُؤَادِي فُؤَادِي

فهذا أيضًا يقول: قلبي فؤادي؛ أي هو الذي أتشكاه، ومعنى البيت: إني إذا عذلت في حبها أجبتهم بأنة ثم قلت: قلبي فؤادي يا جمل. يريد أني لا ألتفت إلى العذل ولا أزيد على الأنين ودعاء المحبوب ليغيثني مما أنا فيه. وقال بعض الشراح: قلبًا فؤادًا في محل رفع على تقدير حبيبتي قلبي فؤادي؛ أي هي لي بمنزلة القلب، وعلى هذا «جمل» اسم واحدة من العوازل: أي أقول لها: هي قلبي فلا أفارقها ولا أسمع عذلك فيها.

(٦١٩) المسامع: جمع مسمع — كمنبر — الأذن. يقول لمحبوبته: كأنك أقمت رقيبًا على مسامعي يحول دون العذل فليس يدخلها، وأول هذا البيت من قول العباس بن الأحنف:

أَقَامَتْ عَلَى قَلْبِي رَقِيبًا وَنَاظِرِي فَلَيْسَ يُؤَدِّي عَنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي

وقول الآخر:

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكِ يَرْعَى خَوَاطِرِي وَآخَرَ يَرْعَى نَاظِرِي وَلِسَانِي

هذا، والرقيب: الحافظ، والرقيب: المنتظر، رقبه يرقبه رقبة ورقبانًا — بالكسر فيهما — ورقوبًا، وترقبه وارتقبه: انتظره ورصده، ورقيب القداح: الأمين على الضريب، وقيل: هو أمين أصحاب الميسر، وهو أيضًا اسم السهم الثالث من قداح الميسر. والرقيب الذي في المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر، كل واحد منها رقيب لصاحبه، كلَّما طلع منها واحد سقط آخر، مثل الثريا رقيبها الإكليل: إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل، وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا. قال:

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا بُثَيْنَةَ أَوْ يَلْقَى الثُّرَيَّا رَقِيبُهَا

(٦٢٠) السهاد: الأرق، وقد سهد الرجل — بالكسر — يسهد سهدًا وسهدًا وسهادًا: لم يَنَمْ. ورجل سهد: قليل النوم، قال أبو كبير الهذلي:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبَطَّنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ

(رجل حوش الفؤاد: حديده. والهوجل: الرجل الأهوج. والمبطن: الضامر البطن.)

والضمير في «بينهما»: للسهاد والمقلة. يقول: إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني، أي لم أنم وجدًا لفَقْدِ من أحبه، وهذا كقوله — أي المتنبي:

إِنِّي لَأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذَا كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وِصَالِهِ

فجعل الطيف يهجر عند الوصال، كما أن السهاد يصل عند الهجران.

(٦٢١) المشابه: جمع الشبه — بفتحتين — على غير قياس. ويصاب: يوجد. والشكل: المشاكل، أي الشبيه والنظير. تخلص في هذا البيت من النسيب إلى المديح مفضلًا الممدوح بالكمال على المعشوق في الجمال، فذكر أن في البدر أنواعًا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس. ثم قال: وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها.

(٦٢٢) شجاع الذي: أراد شجاعٍ الذي، بالتنوين، فحذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذي» وذلك كثير في الشعر. وعبارة العكبري: شجاع بدل من «ابن» وحذف منه التنوين على مذهبه، ومثله كثير في الشعر القديم والحديث، ومنه ما ذكر مسلم والبخاري وابن إسحاق في «المغازي» من قول عباس بن مرداس السلمي بالجعرانة للنبي ﷺ حين أعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما، فقال:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْـ ـــدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

(النهب — ها هنا — بمعنى المنهوب، والعبيد — مصغر — اسم فرسه.)
فترك تنوين مرداس، وهو اسم منصرف، ومثله:

عَمْرُو الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

(هو لابنة هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ، وكان يسمى عمرًا، وهو أول من ثرد الثريد وهشمه فسمي هاشمًا، فقالت فيه ابنته هذا البيت. وقيل هو لابن الزبعري، ومسنتون، أصابتهم سنة وقحط، وأجدبوا. والعجاف: من العجف، وهو الهزال وذهاب السمن.)

فهذا حجة الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة في قول الشاعر — وهو بيت الكتاب:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ: لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبُ

(هو للعجير السلولي، وصف بعيرًا ضل عن صاحبه، فيئس منه، وجعل يبيع رحله، فبينا هو كذلك سمع مناديًا يبشر به، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن. والملاط: ما ولي العضد من الجنب. ويقال للعضدين: ابنا ملاط، ووصفه برخاوته؛ لأن ذلك أشد لتجافي عضديه عن كركرته وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضبب، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضده كركرته — زور البعير — ومعنى يشري: يبيع، وهو من الأضداد.)

فجواز حذف التنوين للضرورة أولى لأن الواو من «هو» متحركة، والتقدير: فبينا هو، والتنوين ساكن، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل في الأسماء الصرف، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف. وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح.

(٦٢٣) طيئ: قبيلة الممدوح، وقحطان بن هود: أبو قبائل اليمن، وعدنان أبو قبائل العرب. وجعل الممدوح كالثمر الحلو في جوده وحسن خلقه. وقوله له: أي للثمر، ومن روى «لها»: فالضمير للفروع، أو لطيئ. يقول: إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيئ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان.

(٦٢٤) يقول: إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبيًّا، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل، ويروى: لو بشر الله خلقه. هذا، وقال الجوهري: يقال: بشرت الرجل أبشره بالضم بشرًا وبشورًا من البشرى، وكذلك الإبشار والتبشير، والاسم البشارة — بكسر الباء وضمها — يقال: بشرته بمولود فأبشر إبشارًا؛ أي سر، وبشرت بكذا — بالكسر — أبشر: استبشرت به، قال عبد القيس بن خفاف البرجمي:

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَا   غُبْرًا أَكُفُّهُمُ بِقَاعٍ مُمْحِلِ
فَأَعِنْهُمُ وَابْشِرْ بِمَا بَشَرُوا بِهِ   وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ

وقال بعض علماء اللغة: البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقد يكون هذا على حد قولهم: تحيتك الضرب، وعتابك السيف.

(٦٢٥) الضيغم: الأسد. وسكن القاف — في وقفاته — للضرورة. وقوله: تحدث الخيل: يعني أصحابها؛ أي الفرسان. والرجل: الرجالة، وهم المشاة. وإلى القابض الأرواح: أي أشكو إلى قابض الأرواح؛ يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الأعداء. والأرواح: تروى بالنصب على أنها مفعول القابض، وبالخفض على الإضافة، مثل الحسن الوجه.

(٦٢٦) شت: تفرق. والشمل: الاجتماع. يقول: كلما تفرق جمع ماله اجتمع شمل معاليه. وعبارة بعض الشراح: كلما جمع مالًا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل المعالي.

(٦٢٧) من خفض همام: فعلى البدل مما تقدم، ومن رفعه فعلى إضمار مبتدأ محذوف، والهمام: الملك الرفيع الهمة. والغمد: جفن السيف. يقول: إنه يمضي في الأمور مضاء السيف، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدرِ أيهما السيف، كما قال أبو تمام:

يَمُدُّونَ بِالْبِيضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهُنَّ سَوَاءٌ وَالسُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ

(٦٢٨) ابن أم الموت: يعني أخا الموت، جعله أخًا للموت لكثرة قتله أعداءه. والبأس: الشدة. وفشا: شاع، يقول: لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانًا وإذ ذاك يقتل بعضهم بعضًا فينقطع النسل لكثرة القتل.

(٦٢٩) السابح: الفرس الذي كأنه من حسن جريه يسبح، ولما سمى فرسه سابحًا استعار للمنايا موجًا، ونصب «موج المنايا» على الظرفية: أي في موج المنايا و«بنحره» صلة سابح، وهذا كقول مالك بن خالد الخناعي:

بِأَسْرَعَ الشَّدِّ مِنِّي يَوْمَ لَا نِيَةٌ لَمَّا عَرَفْتُهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللِّمَمُ

(نية: لغة في نية. واللمم: جمع لمة. شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة. هذا وقد روي البيت: بأسرع الشد مني، يريد بأسرع شدًّا مني، فزاد اللام كزيادتها في بنات الأوبرا.)

أراد بأسرع في الشد مني، فحذف ونصب. ويروى: موج المنايا — بالرفع — فيكون «موج»: مبتدأ، خبره: بنحره: أي أن موج المنايا صار عند نحره. وأضاف «غداة» إلى الجملة التي بعدها؛ لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل، تقول: رأيتك يوم قدم زيد. والمراد بالغداة هنا: مطلق الحين لا وقت بعينه، كما يقال: أصبح وأمسى؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة. والوبل: المطر الكثير. يقول: رأيت الممدوح على فرس يسبح

في موج بحر الحرب؛ أي يسرع الجري فيه يوم كثرت سهام الأعداء في صدر فرسه كما يكثر الوبل، وذلك لإقدامه وشجاعته، فهو لا يبالي لذلك ويمضي قدمًا.

(٦٣٠) القرن: الكفؤ في الحرب. والتحديق: شدة النظر. والنزال: القتال. وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف. وقيل: كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غزوا. فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا: نزال! فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل. ومنه قول الحماسي:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا ... بِسَلِيمِ أوظِفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ
فَدَعَوا: نزَالِ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ ... وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ؟

(إذا جعلت «نزال» بمعنى النزول إلى الأرض كان المعنى: وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب، فكأنه قال: وعلام أركبه في حين أنا راكب؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة — لا بمعنى النزول — كان المعنى: وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه؟ أي ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه؟ أي في حين عدم قتالي عليه، والشعر لربيعة بن مقروم الضبي. والأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها. والقوائم: الأرجل. والهيكل: العظيم، وصف به الفرس. يقول: شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب.)

ثم سمى القتال نزالًا، والمقاتلة منازلة، وإن لم يكن هناك نزول. وأغضت العين: غمضت. والسنان: طرف الرمح. يقول. كم عين قرن حددت النظر نحوه قصدًا لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانه، فجعله لعينه بمنزلة الكحل.

(٦٣١) يقول: إذا طلب إليه الرفق بالأقران، وقيل له: ارفق رفقًا، قال: موضع الحلم غير الحرب؛ يعني أن الرفق والحلم إنما يكونان في السلم، أما الحرب فلا رفق فيها، والمتحلم فيها جاهل — أحمق — يضع الشيء في غير موضعه. وهذا المعنى قد طرقه كثير من الشعراء، ومنه قول الفند الزماني:

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ

وقول سالم بن وابصة:

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وقال الخريمي:

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةً وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ

وقال الأعور الشني:

خُذِ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّنِي أَرَى الْحِلْمَ مَا لَمْ تَخْشَ مَنْقَصَةً غُنْمَا

والحلم: نقيض السفه، وهو الأناة والتثبت والعقل.

(٦٣٢) ناء به الحمل: أثقله. ويقال: ناء بالحمل: إذا نهض به مثقلًا. والمرأة تنوء بها عجيزتها؛ أي تثقلها. وهي تنوء بعجيزتها: أي تنهض بها مثقلة. والحمل — بكسر الحاء — ما حمل على ظهر أو رأس، وأما الحمل — بفتح الحاء — فهو ما يحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوان. أما ما تحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيهًا بحمل البطن ومنهم من يكسره يشبهه بما يحمل على الرأس، فكل متصل حمل — بالفتح — وكل منفصل حِمل — بالكسر — يصف حلمه بالرزانة يقول: لولا أنه باشر بنفسه حمل حلمه عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله، ولما كان الحلم يوصف بالرزانة والثقل والحلم يشبه بالطود — الجبل — ساغ في وصف حلم الممدوح هذا الكلام، والمعنى أنه لو كان الحلم جسمًا لكان من الثقل بهذه الصفة.

(٦٣٣) يقول: تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد، يعني أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك، وهو قوله: «وضاق بها ... إلخ» أي لا سبيل لها إلا إلى بابك، ويروى: إلى بابه على الغائب.

(٦٣٤) الندى: الجود، والسرى: السير ليلًا، و«هبوا» وما بعدها إلى آخر البيت: حكاية. يقول: إن شيوع نداه يستحث القاعدين عنه على طلبه، فكأنه يناديهم ويقول لهم: استيقظوا من نومكم، واسروا إليه. فقد هلك بجوده البخل. هذا، ويقال: هب الرجل من نومه إذا استيقظ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه، فقد قالوا: إن الهباب النشاط ما كان، قال لبيد:

فَلَهَا هِبَاب فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا

(الهباب: النشاط. وصهباء: يريد كأنها سحابة صهباء؛ أي حمراء. وخف أسرع. والجهام، السحاب الذي لا ماء فيه؛ أي لهذه الناقة في مثل هذه الحال نشاط في السير، فكأنها في سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التي هراقت ماءها فانفردت عنها، وتلك أسرع ذهابًا من غيرها.)

ومنه هب النائم؛ لأنه يزايل السكون، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون، وهب التيس هاج، وأراد السفاد، وهب السيف: إذا اهتز للقطع.

(٦٣٥) حالت: اعترضت. يقول: إن عطاياه لم تدع مجالًا للوعد؛ لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل؛ لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل، كما قال أشجع السلمي:

يَسْبِقُ الْوَعْدَ بِالنَّوَالِ كَمَا يَسـْ ـبِقُ بَرْقَ الْغيُوثِ صَوْبُ الْغَمَامِ

هذا، ويقال: نجزت الحاجة إذا قضيت، وإنجازكها: قضاؤها. ونجز حاجته ينجزها — بالضم — نجزًا: قضاها ونجز الوعد. ويقال: أنجز حر ما وعد. ومن أمثالهم: إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال (تناجز القوم: تسافكوا دماءهم، كأنهم أسرعوا في ذلك.) وكل ذلك من نجز الشيء: فني وذهب فهو ناجز.

قال النابغة الذبياني:

وَكُنْتَ رَبِيعًا لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةً فَمُلْكُ أَبِي قَابُوسٍ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزْ

(أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر. يقول: كنت لليتامى في إحسانك إليهم بمنزلة الربيع الذي به عيش الناس. والعصمة: ما يعتصم به الإنسان من الهلاك، ونجز: فني وذهب، أي انقضى وقت الضحى؛ لأنه مات في ذلك الوقت.)

(٦٣٦) يقول: إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها؛ أي أن يجعل لها حدًّا تنتهي إليه، كما لا يقدر أحد على رد ما فات، بل رد الفائت أقرب من تحديدها، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان.

(٦٣٧) ما تنقم: ما تعيب، والاستفهام: معناه الإنكار، ويجوز أن يكون نفيًا وإخبارًا. والضمير في وجوهها: للأيام. وفي أخمصه: للممدوح. والأخمص: باطن القدم،

ووجوهها: مبتدأ، ونعل: خبر، لأخمصه: متعلق بنعل. يقول: إنه غلب الأيام بعزه، وذلت له الأيام ذل من يطؤه بأخمصه حتى يصير تحت رجله كالنعل في الذل فالأيام لا تقدر أن تخالفه أو تعيب فعله.

(٦٣٨) عزه: غلبه وأعجزه. وقوله: «وإن عز» أي قل وجوده. يقول: إنه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظير له فإنه يعجز عنه لعدم نظيره، وهذا كما يقول البحتري:

كُلُّ الَّذِي تَبْغِي الرِّجَالُ تُصِيبُهُ حَتَّى تُبَغِّي أَنْ يُرَى شَرواه

«شرواه: أي مثله.» ويقول أيضًا:

وَلَئِنْ طَلَبْتُ شَبِيهَهُ إِنِّي إِذن لَمُكَلِّف طَلَب الْمُحَالِ رِكَابِي

(٦٣٩) ثعل: بطن من طيئ، وهم رهط الممدوح، وهو مفعول كفى، وفخرًا تمييز، وأنك منهم: فاعل كفى. والباء زائدة، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا﴾. يقول: كفاهم فخرًا أنك منهم. وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام، كأنه قال: وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله، فأهل: صفة لدهر. يعني وليفخر دهر قد استحق أن تكون من أهله، ولك أن تجعل «دهر» مبتدأ محذوف الخبر: أي وكذلك دهر، ويجوز رفع دهر عطفًا على فاعل كفى، وهو المصدر المقدر؛ لأن «أن» مع خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذي هو كائن، تقديره: كفى ثعلًا فخرًا كونك منهم. ودهر مستحق لأن أمسيت من أهله: أي وكفاهم فخرًا دهر أنت فيه أي أنهم فخروا بكونك منهم وفخروا بزمانك لنضارة أيامه، كما يقول تمام:

كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جَمعُ

وروى ابن فورجه: ودهرًا عطف على ثعلا، قال: وأهل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف: أي هو أهل لن أمسيت من أهله. وبعد فالمعنى: كفى ثعلا فخرًا على سائر العرب كونك منهم، وكذلك الدهر كفاه فخرًا على سائر الأزمنة كونك من أهله.

(٦٤٠) حاولت: طلبت ذلك بالحيلة، وغرة: أي غفلة. يقول: ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إبصارك. وطوبى: فعلى من الطيب، فقولهم: طوبى لفلان

أي العيش الطيب له، وقيل طوبى له: حسنى له، وقيل: خير له، وقيل طوبى: اسم الجنة بالهندية، وقيل بالحبشية. وويل، قال الجوهري: «ويل» كلمة عذاب، وويح: كلمة رحمة، وقيل: هما بمعنى واحد، وهما مرفوعان بالابتداء، يقال: ويل لزيد وويح لزيد، ولك أن تقول ويلًا لزيد وويحًا لزيد، فتنصبهما بإضمار فعل، وكأنك قلت: ألزمه الله ويحًا وويلًا ونحو ذلك، وذلك أن تقول: ويحك وويح زيد. وويلك وويل زيد — بالإضافة — فتنصبهما أيضًا بإضمار فعل. وعبارة الزجاج: الويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة. قال: وأصل الويل في اللغة العذاب والهلاك. والويل: الهلاك يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها. ومنه: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾. فإن وقع في هلكة لم يستحقها، قلت: ويح لزيد، يكون فيه معنى الترحم. ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ: «ويح ابن سمية تقتله الفتة الباغية!»

(٦٤١) شام البرق: نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إمطاره. والفاقة: الحاجة. والصيب: المطر الشديد. والمحل: الجدب. يقول: لا فاقة بفقير يُرجِّي عطاءك؛ لأنك تحقق مرجوه، ولا جدب حيث كنت؛ لأن جودك خصيب حيث كان. وشام برقك: مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب.

(٦٤٢) نكس المريض نكسًا ونكسا ونكاسا: عاودته العلة بعد النقه والبرء. قال أمية بن أبي عائذٍ الهذلي:

خَيَالٌ لِزَيْنَبَ قَدْ هَاجَ لِي نُكَاسًا مِنَ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

يقول: إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد الصحة، كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه.

(٦٤٣) البلبال: الهم والحزن. يقول: إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان الجسم تكون زيادة الحزن؛ أي كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص.

(٦٤٤) الدمنة: ما اسودَّ من آثار الديار، والدو: الصحراء. وقوله: من ريا: أي من دمن ريا، «من» بيانية، كقول زهير:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَة لَمْ تَكَلَّم

يريد: من دمن أم أوفى. وريا: اسم المحبوبة. والخال: شامة، أي بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالبًا، وتكون في الخد، شبه دمنتيها في الصحراء بخالين في خد. يقول: قف بدمنتي هذه المحبوبة لتنظرهما وتذكر من كان فيهما من أهليهما، فقد بقيتا كأنهما خالان في خد.

(٦٤٥) الطلول: ما بقي من آثار الديار، وبطلول: متعلق بقف. والعراص: جمع عرصة؛ ساحة الدار. يقول: قف بطلول لائحات في العراص كما تلوح النجوم في الليالي. يعني أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح في عراص خالية كما تلوح النجوم في الليالي المظلمة.

(٦٤٦) النؤي: جمع نؤى، وهو ما يحفر حول الخباء يقيه ماء المطر أن يدخله كالخندق. والخدام: جمع خدمة — بفتحتين — الخلخال. وخرس: يريد لا صوت لها. والسوق: جمع ساق. والخدال: الغلاظ السمان. شبه النؤي حول آثار الأخبية في استدارتها بالخلاخيل حول الأسؤق الغليظة، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخلخال فلم يسمع له صوت، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس. وهذا إخبار بأن النؤي لم تدفن في التراب، وأن ما أحدقت به ملأها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال، وهذا من قول أبي تمام:

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا ... وَنُؤْيٌ مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السِّوَارُ

فنقل اللفظ من السوار إلى الخدام، وأصله من قول الأول:

نُؤْيٌ كَمَا نَقَصَ الْهِلَالَ مِحَاقَهُ ... أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السِّوَارَ الْمِعْصَمُ

(٦٤٧) فيها: في المحبوبة، أي في هواها، متعلق بتلمني؛ أي لا تلمني في هواها فإنني أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال.

(٦٤٨) النوى: البعد والفراق، وعنى بالحية نفسه، والحية تطلق على الذكر والأنثى، يريد: أنه قد تمرس بحرِّ الفلوات في النهار وببرد الليل، والليل ظل كله، يعني أنه تعود السير في الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار، قال الواحدي: وهذا شكاية من الفراق وأنه مبتلًى به.

(٦٤٩) أمضى: أنفذ. والروع: الفزع والهول. وأسرى: من السرى، وهو السير ليلًا. شبه نفسه بملك الموت؛ لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف، والخيال يوصف بالسرى ولا يكترث لبعد المسافات.

(٦٥٠) الحتف: الهلاك. واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب، ويدنو: صفة لحتف، ومحب: عطف على أمضى — في البيت السابق — والقالي: المبغض يقول: إنه محب للحتف القريب إذا كان في العز، ومبغض للعمر في الذل وإن طال ذلك العمر، يعني أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل.

(٦٥١) الركب: جمع الراكب. وقوله: ملجن: أراد من الجن، فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن، وهذا كقولهم: بلعنبر في «بني العنبر»، وبلقين في بني القين. والزي: الهيئة. يقول: إنهم كالجن في إلفه المجاهل والفلوات وركائبهم كالطير في سرعة قطع المسافات. وهذا من قول أبي تمام:

فِي ثُبَةٍ إِنْ سَرَوْا فَجِنٌّ أَوْ يَمَّمُوا شُقَّة فَطَيْرُ

«الثبة: الجماعة. والشقة: السفر البعيد.»

(٦٥٢) الجديل: فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل. والبيد: الصحراوات. يقول: إن هذه الجمال التي هي كالطير في السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للآجال حتى تفنيها. وهذا من قول صريع الغوني:

مُوفٍ عَلَى مُهَج وَالْيَوْمَ ذُو رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلِ

(٦٥٣) الهوجاء: الناقة التي لا تستوي في سيرها لنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء. والدياميم: جمع ديمومة، وهي المفازة لا ماء بها. والسليط: الزيت. والذبال: جمع ذبالة وهي الفتيلة. يقول: كل ناقة قد أثرت فيها الفلوات تأثير النار في دهن الفتيلة، والمعنى: قد أفناها السير كما تفني النار دهن الفتيلة. وعبارة بعض الشراح: إن المفاوز قد ألهبتها بالظمأ والحر فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة.

(٦٥٤) عامدات: قاصدات. والضرغامة: الأسد؛ شبه الممدوح بالبدر في الحسن والشرف والعلو، وبالبحر في الجود والكرم، وبالأسد في البأس والشجاعة، ثم قال: إنه مفضال أي كثير الفضل.

(٦٥٥) وربيعًا: عطف على مفعول يزر — في البيت السابق — جعل الممدوح ربيعًا؛ وهو الزمن المعروف ويطلق على الخصب، وجعل عطاءه غيثًا — مطرًا — لذلك الربيع، وجعل شكر الشاكرين زهرًا يضاحك الغيث؛ لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء

الغيث كالشكر يكون بعد العطاء، ثم استعار لمعاليه رياضًا لتجانس الألفاظ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه؛ لأنه لولا كرمه وحبه للجود ما أثنى عليه الشاكرون. يقول: إن جوده يمطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر.

(٦٥٦) نفحت الريح: هبت أو نسمت، ونفح الرياح: هبوبها في البرد. واللفح: هبوبها في الحر، ونفح المسك ينفح: فاحت ريحه. والصبا: ريح مهبها جهة الشرق. وقوله منه: أي من الربيع المذكور. لما شبه الممدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذي يهب في الربيع. يقول: هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحيت ما مات من آمالنا.

(٦٥٧) الموالي: جمع مولى، وهو الحليف والصديق، والبوار: الهلاك.

(٦٥٨) عنده أي في رأيه واعتقاده، والرئبال: الأسد. يقول: هو يرى أن أكبر العيوب: البخل، ومن ثم يتجنبه ويتحاماه، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه؛ لأن الأسد دونه بأسًا وإقدامًا. وقال العكبري — تفسيرًا لصدر البيت — أكبر عيب يعيب به أحدًا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلًا، فإذا عاب إنسانًا قال: هو بخيل. هذا، والرئبال مهموز — وقد سمع مخففًا، والجمع: الرآبيل والريابيل — على الهمز وتركه. قال بعضهم: يجوز فيه ترك الهمز، وأنشد لجرير:

رَيَابِيلُ الْبِلَادِ يَخَفْنَ مِنِّي ... وَحَيَّةُ أَرِيحَاءَ لِي اسْتَجَابَا

(أريحاء: بيت المقدس.)

ومثله لأبي حية النميري:

وَيَلْقَى كَمَا كُنَّا يَدًا فِي قِتَالِنَا ... رَيَابِيلَ مَا فِينَا كَهَامٌ وَلَا نِكْسُ

ويقال: فلان يترأبل: أي يغير على الناس ويفعل فعل الأسد.

(٦٥٩) النغمات: جمع نغمة، وهي هنا الصوت. والسيب: العطاء. يقول: عادته أن يعطي بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نغمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح؛ أسفًا على أن عطاءه تأخر حتى أتى بطلبه. يعني أنه يشق عليه نغمة السائل قبل الإعطاء. ويحكى أن الحسن بن علي عليهما السلام أتاه مال من معاوية، فقسمه فلم يبقَ إلا خمسمائة دينار، فأراد أن يقوم بها من مجلسه، فالتفت وإذا أعرابي قد جاء على ناقة له، فقال الحسن لغلامه: ادفع إليه هذه الدنانير، وقل له: إنك أتيت ولم يبقَ عندنا

سواها. فأخذها الأعرابي وقال له: يا ابن بنت رسول الله! والله ما أتيتك إلا قاصدًا، فماذا أعلمك بحالي؟ فقال له: إنَّا أناس نعطي قبل السؤال شحًّا على ما رجاه السائل لنا، ثم أنشد:

نَحْنُ أُنَاسٌ جَنَابُنَا خَضِلٌ ... يُسْرِعُ فِيهِ الرَّجَاءُ وَالْأَمَلُ
نَبْذُلُ قَبْلَ السُّؤْلِ نَائِلَنَا ... شُحًّا عَلَى مَا رَجَاهُ مَنْ يَسَلُ

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة:

ثَوَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلَّ ثِقلٍ ... وَيَسْبِقُ فَيْضُ رَاحَتِهِ السُّؤَالَا

وقال الخطيب التبريزي: المعنى: يلتذ بنغمات السائل كما يلتذ الجراح (لعل الإمام التبريزي يريد كما يلتذ بالجراحات التي تصيبه في الوغى: أي أنه كريم شجاع). وقد روى اليازجي هذا البيت هكذا:

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعمَاتٌ ... سُبِقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ

وشرحه هكذا: يجوز في «نعمات» كسر العين على الإتباع، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم، فتكون جمع الجمع. وبسؤال: متعلقة بسبقت. يريد: أن عادته سبق عطائه للسؤال، فإذا سبق السؤال عطاءه كان ذلك مؤلمًا له كالجراحة عند المجروح.

(٦٦٠) جعله سراجًا منيرًا؛ لأنه برأيه يهتدى في مشكلات الخطوب ودجنات الأمور، أو بعلمه يهتدى إلى ما أشكل من المسائل، والجيب: ما انفتح من القميص على النحر، والنقي الجيب: عبارة عن الطاهر من العيب؛ أي أن ثوبه لا يشتمل على دنس. والأبدال: العباد الزهاد؛ سموا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق، وقيل: لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر.

(٦٦١) النضح: الرش. والبوائق: جمع بائقة، وهي الداهية. والزلزال — بفتح الزاي — الاسم، وبكسرها: المصدر. يقول — مخاطبًا صاحبيه: رشا الماء الذي يسيل من رجله إذا توضأ على المدائن تصر آمنة من الزلزال ببركة صلاحه.

(٦٦٢) البقير: قميص يشق بلا كمين، وهو بيان للثوب. والإعلال: مصدر أعله الله إذا أصابه بعلة، وهي المرض. يقول: واستشفيا بثوبه تبركًا به حتى تشفيا مما بكما من الإعلال.

(٦٦٣) مالئًا: حال مضمرة العامل، أي هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه.

(٦٦٤) يقول: إنه زاهد في الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها.

(٦٦٥) الظبا: جمع ظبة، حد السيف. والعوالي: الرماح. يقول: نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش، وتدبيره بإصابته في الرأي يكفل له النصر، وهيبته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح.

(٦٦٦) قال الواحدي: يعني أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فني المال أتى أعداءه فضرب جماجمهم وأغار على أموالهم، كما يقال: هو مفيد ومتلاف، فوقع ضربه في رءوس أمواله يكون في الحقيقة في رءوس الأبطال؛ لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم، وهذا كقوله:

فَالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ   بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ

(٦٦٧) يقول: هم أبدًا يخافونه حتى كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب. وقال ابن جني: أي فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضائه فيهم، وإن لم يباشرهم بحرب ولا لقاء.

(٦٦٨) العنبر الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. والصلصال: الطين اليابس الذي يعمل منه الفخار. يقول: إنه لنقائه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال، وشتان ما بينهما.

(٦٦٩) الماء الزلال: البارد السائغ. يقول: إن الماء إنما استفاد العذوبة منه؛ لأن ما بقي طينته التي خلق منها اجتمع مع الماء فصار عذبًا.

(٦٧٠) عاف الشيء: كرهه. والركانة: الرسوخ والسكون. يقول: وإن ما بقي مما أعطى من الحلم والرزانة كره وأنف أن يحل في الناس فحل في الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركانتها.

(٦٧١) يغره: يخدعه. والسلم: ضد الحرب، وترى: من الرأي. والشهود: مصدر بمعنى الحضور. وتتمة المعنى في البيت التالي.

(٦٧٢) الإشارة بقوله ذاك: إلى القتال، وكفاكه: أغناك عنه. والشاني: هو الشانئ — بالهمز — أي المبغض. وذليلًا: حال، والأشكال: الأشباه والأمثال. يقول: لا يغرني ما أراه من محبتك السلم وأنك لا ترى حضور القتال، فأقول إن ذلك من الجبن؛ وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل، وأن ليس هناك أكفاء لك يستحقون أن تنازلهم في حرب.

(٦٧٣) واغتفار: عطف على فاعل كفاكه و«من» في منه زائدة؛ أي لو غيره السخط والهام: الرءوس، والكناية في هامهم تعود إلى الأعداء، دل عليه قوله: عيش شانيك. يقول: وكفاك القتال عفوك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لدست رءوسهم بحوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالًا لنعالها. وقال ابن جني: لو أحفظوك وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم، ولقد أحسن في كنايته عن الحفيظة بقوله: لو غير السخط منه، ومثله:

وَلَوْ ضَرَّ خَلْقًا قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لَأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ

كنى عن الضرر بأثر فيه.

(٦٧٤) الجياد: متعلق بمحذوف حال من نعال — في البيت السابق — ففيه تضمين، وقد عابه عليه قوم. والأعراء: جمع عري، وهو الذي لا سرج عليه. يقال: فرس عري وأفراس أعراء. والجِلال: جمع جل، وهو ما تلبسه الدابة. يقول: إنها تدخل الحرب أعراء من الجِلال ثم تخرج منها وعليها جِلال من الدم الذي جف عليها، كما قال جرير:

وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسَبَ الْجونَ أَشْقَرَا

(٦٧٥) استعار: معطوف على جواب «لو»، والمراد بالحديد: السيوف. والذوائب: جمع ذؤابة؛ الخصلة من الشعر. يقول: إن سيوفه تستعير وتعير فإن لون الذوائب — وهو السواد ينتقل إليها، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت، ولونها — وهو البياض — ينتقل إلى الذوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال.

(٦٧٦) الطور: التارة، ونصب على الظرفية. والناقع من السم: الثابت في بدن شاربه لا يزايله حتى يقتله. والسلسال: الماء العذب الذي يتسلسل في الحلق، يقول: أنت سم لأعدائك حلو لأوليائك، وهذا المعنى طرقه كثير من الشعراء، قال أبو دؤاد:

فَهُمُ لِلْمُلَاينِينَ أَنَاةٌ ... وَعُرَام إِذَا يُرَامُ الْعُرَامُ

وقال أبو نواس:

حَذَر امْرِئٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا ... كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَاسَةٌ وَلِيانُ

ونقله أبو الشيص إلى السيف، قال:

وَكَالسَيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ ... وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

(٦٧٧) يقول: أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس.

(٦٧٨) ومنزل: أي ورب منزل. والغاديات: السحائب المنتشرة صباحًا. والهطل: جمع هاطلة، وهي الكثيرة الماء، يقول: رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة؛ لأنا نرتحل عنه وليس بمنزل لشيء غير السحاب الباكرة الماطرة، يعني روضًا نزلوه. وقد أسلفنا القول على واو «رب» في هذا الشرح.

(٦٧٩) الندي: الرطب. والخزامى والقرنفل: نبتان طيبان. والأذفر: الذكي الرائحة. والمحل: الذي يحل كثيرًا. وقوله ملوحش: أي من الوحش، فحذف النون لسكونها وسكون اللام. يقول: يحله الوحش دون الناس فهو محل من الوحش غير محل من الإنس. قال الجوهري: مكان محلل؛ إذا أكثر الناس به الحلول، قال امرؤ القيس:

كَبِكْرِ الْمقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ ... غَذَاهَا نمير الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ

(أراد بقوله: «بكر المقاناة» درة غير مثقوبة أو لم يرَ مثلها، ثم قال: غذا هذه الدرة ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك. والمقاناة: الخلط، وكل شيء خالط شيئًا فقد قاناه. ويروى البيت بنصب البياض وخفضه، على حد قولهم: زيد الحسن الوجه. في البيت آراء كثيرة في معناه «انظر: «الزوزني» و«اللسان»، مادة: قنى».)

(٦٨٠) عنَّ: ظهر. والمراعي. الذي يرعى مع غيره. يقال: راعت الظبية أختها؛ أي راعت معها. والمغزل: الظبية لها ولد. والمحين: من الحين، وهو الهلاك، يقال: حينه الله؛ أي أهلكه. والموئل: المنجا. يقول: ظهر لنا في هذا الموضع ظبي يرعى مع ظبية مغزل قد حان أجله، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حيثما ذهب.

(٦٨١) الجيد: العنق. والحلي بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء، مخفف للقافية؛ جمع حَلْي بفتح فسكون، ما تتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر. والتفضل: أن تلبس المرأة ثوبًا يبتذل في المنزل، ومنه قول امرئ القيس:

وَتُضْحِي فتيتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَئومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

(لم تنتطق عن تفضل: أي لم تنتطق بعد تفضل؛ أي لم تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة، يريد أنها مخدومة منعمة، تُخدم ولا تَخدم.)

وفي حديث امرأة أبي حذيفة، قالت يا رسول الله: إن سالم مولى أبي حذيفة يراني فضلًا — أي متبذلة في ثياب مهنتي — وليس لنا إلا بيت واحد، فما تأمرني في شأنه؟ فقال: «أرضعيه خمس رضعات.» يقول: أغنى هذا الظبي حسن جيده عن أن يلبس حليًا يتزين بها وقد تعود العري فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس.

(٦٨٢) ضمخه بالطيب: طلاه به، والصندل: طيب يشبه لونه لون الظباء، ومعترضًا: حال مضمرة العامل؛ أي أصفه بما ذكر في حال كونه معترضًا، والأيل: الذكر من الأوعال، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل، والجمع أياييل، وربما قالوا في إيل: «إجل» يبدلون الياء جيمًا، قال أبو النجم:

كَأَنَّ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشوَّل مِنْ عَبسِ الصَّيْفِ قُرُون الأجِلِ

(العبس: ما يبس على هلب الذنب من البول والبعر.)

قال أبو عمرو بن العلاء: بعض الأعراب يجعل الياء المشددة جيمًا. ويروى: قرون الإيل. شبه المتنبي لونه بلون الصندل، يقول: اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل.

(٦٨٣) الكلاب: الذي يسوس الكلاب. والوثاق: ما يشد به. والأحبل: جمع حبل. يقول: إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله، فيحل الكلاب ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه.

(٦٨٤) عن أشدق: متعلق بـ «حل»، أي حل الأحبل عن كلب أشدق، والأشدق: الواسع الشدق. والمسوجر: الذي في رقبته ساجور، وهو قلادة الكلب التي فيها مسامير. والمسلسل: الذي في عنقه سلسلة. والأقب: الضامر. الساطي: الذي يسطو على الصيد؛ أي يصول عليه. وقال ابن جني: هو البعيد الأخذ في الأرض. والشرس: السيئ الخلق.

الشمردل: القوي السريع الفتي الحسن الخلق. يقول: إنه حل الأحبل عن كلب بهذه الأوصاف.

(٦٨٥) الضمير في «منها» للكلاب المفهومة من قوله كلابي؛ أي صاحب كلابي. وقوله: إذا يثغ: من الثغاء، وهو صوت الشاة ونحوها. ولا يغزل: أي لا يفتر عن الطلب. وذلك أن الكلب إذا دنا من الظبي وكاد يأخذه: ثغا في وجهه فغزل الكلب — أي تحير — ووقف مكانه من صوت الغزال، وجزم الفعلين — يثغ ويغزل — بإذا على تضمنها معنى الشرط، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر. يقول: إن هذا الكلب، لا يفرَق من صوت الغزال ولا يفتر عنه إذا ثغا، ثم قال: موجد الفقرة رخو المفصل، فالموجد: الموثق القوي. والفقرة: بكسر الفاء وفتحها — ومثلها الفقارة — بالفتح: واحدة فقار الظهر، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب، والجمع فقر وفقار، وقيل في الجمع: فقرات وفقرات وفقرات. يعني أنه قوي الظهر لين المفاصل وذلك أسرع لأخذه.

(٦٨٦) السجنجل: المرآة. يقول: إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه؛ وذلك لسرعة التفاته وشدة تيقظه، وقد شبه صفاء حدقته بالمرآة. ويروى: في سجنجل؛ أي كأن أمامه مرآة ينظر فيها فتريه ما خلفه أمامه.

(٦٨٧) يعدو: يجري. وأحزن: سلك في الحزن؛ أي الوعر. وأسهل: سلك في السهل. وتلا: تبع. والمدى: الغاية. يقول: إنه يعدو في الحزن من الأرض عدو الذي هو في السهل لقوة قوائمه، وإذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التي يريدها، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوًّا بعد أن كان تاليًا.

(٦٨٨) الإقعاء: أن يجلس الكلب على إليته، والبدوي إذا اصطلى بالنار — استدفأ بها — أقعى على استه ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره. وجلوس مفعول مطلق معنوي، وقوله: بأربع مجدولة لم تجدل؛ أي بأربع قوائم. والحرف: متعلق بـ «يُقعي». والمجدولة: المفتولة، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد، وإنما هي كذلك خلقة.

(٦٨٩) فتل الأيادي: صفة لأربع، يقال: يد فتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسها عند العدو، وذكر يديه بلفظ الجمع، وكذلك الأرجل، والعرب تفعل مثل ذلك في التثنية. هذا، والأيادي أكثر ما تستعملها العرب في النعم، يقولون: لفلان عندي يد وأياد. والربذات: الخفيفات السريعات. والجندل: الصخر. يقول: إن قوائمه مفتولة سريعة في العدو شديدة الوطء لقوتها، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارًا مثل صورتها. هذا، وقد

قالوا: إن الكلب لا يوصف بثقل الوطء، وإنما جاء هذا في الخيل والإبل، فنقله المتنبي إلى الكلب.

(٦٩٠) التفتل: كالانفتال، والمتن: جانب الظهر عند الصلب، والكلكل: الصدر. يقول: لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوي بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره في آن واحد.

(٦٩١) الوسمي: أول المطر، والولي: ما يليه. والحضار: العدو الشديد، مصدر حاضره إذا جاراه في الحضر وهو العدو. وبين أعلاه: خبر مقدم، وشبيه: مبتدأ مؤخر، ويريد بأعلاه: رأسه، وبأسفله: قوائمه، كنى بما بينهما عن جسمه، وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر. يقول: إن عدوه الثاني في القوة والسرعة كعدوه الأول، يعني أنه لا يعيا ولا يفتر.

(٦٩٢) المضبر: المشدود المحكم الخلق ومثله الموثق. والجرول: الحجر، ومنه سمي الحطيئة جرولًا، كما سموا حجرًا وصخرًا: يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه، وعنى بالرماح الذبل قوائمه اللينة.

(٦٩٣) الأجرد: القليل الشعر، وهكذا تكون كلاب الصيد. والأعزل الذي لا يكون ذنبه على استواء مع فقاره، وذلك عيب في الكلاب والخيل، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لمتنه، ثم قال: إن آثار ذنبه في الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمَّل، وحساب الجمل معروف. قال العكبري: لأنه يحكي حروفًا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والمئين والألوف وهو خط قبطي. وذي ذنب: بدل من قوله: أشدق.

(٦٩٤) يقول: كأن ذنبه منفصل عن جسمه لكثرة تلويه وحركته، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه، كما أن السوط يكثر تحريكه ولا يبليه هذا التحريك. وقد ذهب ابن جني إلى أن المعنى أنه — الكلب — من سرعته وحدته يكاد يترك جسمه ويتميز عنه، قال: وقد لاذ في هذا بقول ذي الرمة إلا أنه تجاوزه:

لَا يَذْخَرَانِ مِنَ الْأَيغَالِ بَاقِيَةً حَتَّى تَكَادَ تفرَّى عَنْهُمَا الْأُهُبُ

وبقول أبي نواس:

تَرَاهُ فِي الْحُضْرِ إِذَا هَاهِيَ بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ

(هاهي به: زجره. والضمير: لكلابه. والإهاب: الجلد.)

فهذان ذكرا الإهاب — الجلد — وهو ذكر جميع الجسد، قال ابن جني: وقوله: لو كان يُبلي ... إلخ: أي هو كالسوط في الصلابة والجدل، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر في السوط التحريك.

(٦٩٥) نيل المنى: أي به نيل المنى، أو هو نيل المنى: أي به ينال الصائد مناه، والذي يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه، والعقلة: ما يعقل به الشيء من قيد ونحوه. والحتف: الهلاك. والتتفل: ولد الثعلب. يقول: إنه يدرك الظبي فيمنعه عن الإفلات. وهو من قول امرئ القيس:

بِمُنْجَرِدٍ قيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

ثم قال: ويدرك ولد الثعلب فيهلكه.

(٦٩٦) فانبريا: أي الكلب والظبي؛ أي اعترضا للناظرين في عدوهما فذين: أي فردين. يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظبي آخر وعنى بالقسطل: الغبار الذي ثار من عدوهما. وعنى بالآخر: الكلب. وبالأول: الظبي؛ لأنه كان سابقًا بالعدو فرارًا من الكلب. وضمان الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه، فجعل ذلك ضمانًا منه.

(٦٩٧) الهبوة: الغبرة. ويقال: ما ألوت في كذا وما ائتليت وما أليت؛ أي ما قصرت. والذهول: الغفلة عن الشيء، و«لا» في «أن لا يأتلي» زائدة، وهي تزاد في مواضع كثيرة للعلم بها، كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، والتقدير: ليعلم. وقال الراجز:

في بئر لا حور سرى وما شعر

(من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبي فديك الحروري، فأوقع به وبأصحابه، ومطلعها:

قَدْ جَبَرَ الدينَ الْإِلَهُ فَجَبَرْ وَعَوَّرَ الرَّحْمَنُ مَنْ وَلَّى الْعَوَر

إلى أن قال:

وَاخْتَارَ فِي الدِّينِ الْحَرُورِيِّ الْبَطِرْ فِي بِئْرٍ لَا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرْ
بِإِفْكِهِ حَتَّى رَأَى الصُّبْحَ جَشَرْ

قوله: وعور الرحمن ... إلخ: أي أفسد الله من ولاه الفساد. والحروري: أراد به أبا فديك الخارجي. وقوله: بإفكه: الباء سببية متعلقة بسرى. والإفك: الكذب. وجشر الصبح: انفلق وأضاء.

أي في بئر حور. و«لا» زائدة. والحور: الهلكة. يقول: كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه، فالظبي مجد في الهرب، والكلب مجد في الطلب ولا يقصر الكلب في ترك التقصير، وإذا لم يقصر في ترك التقصير فقد جد.)

(٦٩٨) مقتحمًا: حال من ضمير يأتلي. والاقتحام: الدخول في الأمر الشديد. والجدول: النهر الصغير. يقول: إن هذا الكلب في وثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول. فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولًا، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول.

(٦٩٩) افتر: كشر. والمذروبة: الأنياب المحددة. والأنصل: جمع نصل. يقول: حتى إذا دنا الكلب من الصيد، وقيل له — بلسان الحال — أدركت فافعل ما تريد فعله من القبض عليه، كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف.

(٧٠٠) لما شبه أنيابه بالنصال قال: إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة؛ إذ هي محددة مصقولة خلقة، وعنى بالعذاب المنزل خطمه؛ (الخطم من كل دابة نحو الكلب والبعير: مقدم أنفها وفمها.) فإنه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه.

(٧٠١) يذبل: جبل في الحجاز. يقول: كأن أنيابه مركبة في ريح الشمال من خفة الكلب وسرعته في العدو، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة في جبل، جعل الكلب في خفة العدو كالريح، وفي ثقله على الصيد كالجبل.

(٧٠٢) الهوجل: المفازة. والمقتل: الموضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه. والأكحل: عرق في الذراع من عروق الفصاد. يقول: كأن أنيابه من سعة فمه في صحراء، وكأنه من تمييزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علَّم بقراط — وهو الطبيب المعروف — علم التشريح، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كعرق الأكحل. وبعبارة أخرى: لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالمًا بغيرها أيضًا، وإلا لم تتميز له فصار في دعواه

عالمًا بتشريح الأعضاء، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كهذا العرق، هذا هو المعنى، وبذا انتفى نقد الصاحب بن عباد هذا البيت؛ إذ يقول: ليس الأكحل بمقتل؛ لأنه من عروق الفصد، وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل …

(٧٠٣) حال: انقلب. والقفز: الوثوب. والتجدل: السقوط على الجدالة — أي الأرض — والمرجل: القدر. والمراد بما للقفز: قوائمه. وبما في جلده: لحمه. يقول: إن قوائم هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب حين أخذه الكلب وصار لحمه في القدر.

(٧٠٤) ضاره الأمر يضيره: كضره. ومعه: أي مع الكلب. والأجدل: الصقر. يقول: لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر؛ لأنه فعل فعله فأغنانا عنه. ثم قال — مخاطبًا الممدوح: إذا بقيت سالمًا سدت بك الناس كلهم، فيكون الملك بعد الله لي بك.

(٧٠٥) أبعد: تفضيل. والنأي: البعد. و«ما»: نكرة موصوفة بمعنى شيء. يقول: أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلها؛ إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان البعيد. ثم قال: في البعد — أي في جملة البعد وأنواعه — ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد بالبخل؛ لأن الإبل لا تقرب هذا البعد، وفي مثل هذا يقول أبو تمام:

لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا ... مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَى عِنْدِي نَوًى قَذَفَا

ويقول أيضًا:

فَفِرَاقٌ جَرَعْتُهُ مِنْ فِرَاقٍ ... وَفِرَاقٌ جَرَعْتُهُ مِنْ صُدُودِ

ويقول البحتري:

عَلَى أَنَّ هجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى ... لَدَيَّ وَعِرْفَانَ الْمُسِيءِ هُوَ الْعَذْلُ

ويقول أيضًا:

دَنَتْ بِأُنَاسٍ عَنْ تَنَاءٍ زِيَارَةٌ ... وَشَطَّ بِلَيْلَى عَنْ تَدَانٍ مَزَارُهَا

ويقول إبراهيم بن العباس:

وَإِنَّ مُقِيمَاتٍ بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى   لأَقْرَبُ مِنْ ميٍّ وَهَاتِيكَ دَارهَا

والأصل في هذا قول المثقب العبدي:

أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِي   وَمَنْعُك مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

(٧٠٦) ملولة: أي هي ملولة. والتاء فيها: للمبالغة؛ لأنه يقال: رجل ملول وامرأة ملول. و«ما»: مفعول به. و«لها»: خبر ليس مقدم. وملل — آخر البيت — اسمها مؤخر، ومن ملل: متعلق به. يقول: إنها تمل كل شيء يدوم إلا مللها الدائم، فإنها لا تمله، ولو هي ملته لتركته وعادت إلى الوصل. ومن روى تدوم — بالتاء — كانت «ما» للنفي: أي ليست تدوم على حال.

(٧٠٧) انفتلت: تثنت وتمايلت. وطرفها: لحظها. ورجل ثمل: أخذ منه الشراب. يقول: إنها تتمايل في مشيها تمايل السكران، فكأن قدها نظر إلى طرفها فسكر من خمر عينيها كما يسكر منه عاشقوها.

(٧٠٨) وجل: خائف. يقول: إن عجزها — ردفها — ثقيل بكثرة اللحم، فهو يجذبها — إذا همت بالنهوض — إلى القعود فكأن عجزها في ارتعاده واضطرابه — لكثرة لحمه — خائف من فراقها، والخائف يوصف بالارتعاد، وكذلك العجز إذا كثر لحمه، كما قال:

إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتُ لَهَا ارْتِجَاجَا

أما تفسير ابن جني للمصراع الثاني بقوله: أي كأن عجزها وجل من فراقها فهو متساقط متجدل قد ذهبت منته وتماسكه: فهو بعيد.

(٧٠٩) إلى ترشفها: أي إلى ترشف فمها؛ أي مص ريقها. يقول: إذا اتصل بي ذلك الشوق انفصل الصبر؛ أي أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق. وقد طابق بين الانفصال والاتصال.

(٧١٠) الثغر: مقدم الأسنان. والنحر: أعلى الصدر. والمخلخل: موضع الخلخال من الساق. والمعصم: موضع السوار من اليد. والفاحم: الشديد السواد، يريد به الشعر.

والرجل — بفتح فكسر وبفتحتين — الذي بين السبط والجعد. يقول: إنه يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها، وهي داؤه.

(٧١١) ومهمه: أي ورب مهمه — أي فلاة — وجبته: قطعته. والعرامس: النوق الصلاب الشديدة، واحدتها عرمس. والذلل: المذللة بالعمل المروضة بالسير — جمع ذلول — يستوي فيه المذكر والمؤنث. يصف شدة سيره وأنه يجوب الفلاة — التي تعجز عنها النوق الصلاب التي اعتادت السير— على قدمه.

(٧١٢) الصارم: السيف. ومرتد: أي متقلد، خبر مبتدأ محذوف. وكذلك مجتزئ ومشتمل: أي أنا مرتد بصارمي مجتزئ — أي مكتف — بمخبرتي — أي معرفتي — مشتمل بالظلام. يقول: جبت هذا المهمه وأنا متقلد بسيفي مكتف بعلمي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل يهديني الطريق، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء.

(٧١٣) نكر الشيء وأنكره: استغربه، وصديق: فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده؛ أي إذا تغير صديق عليَّ ونحو ذلك. وأعياه الأمر: أعجزه، ويقال: عي بأمره وعيي: إذا لم يهتدِ لوجهه، والإدغام أكثر، ويقال في الجمع عيوا — مخففًا — وعيوا أيضًا — بالتشديد — وأعياني الأمر، قال عمرو بن حسان من بني الحارث بن همام:

فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أُفْتِرْ لَدُنْ أَنِّي غُلَامُ

(يقول: كنت متوسطًا لم أفتقر فقرًا شديدًا، ولا أمكنني جمع المال الكثير، ويروى: «أعناني»: أي أذلني وأخضعني.)

يقول: إذا تغير صديقي وحال عن مودته وأنكرت عليه أحواله لم تعجزني الحيلة في فراقه، أي فارقته ولم أقم عليه.

(٧١٤) الخافقان: قطرا الهواء، وهما المشرق والمغرب. والمضطرب موضع الاضطراب، وهو الذهاب والمجيء. يقول: الأرض واسعة والبلاد كثيرة، فإذا لم يطب لي موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسي بمكان بعينه. وهذا معنى مطروق، قال القائل:

إِذَا تَـنَـكَّـرَ خِـلٌّ فَـاتَّـخِـذْ بَـدَلًا فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجلِ

وقال البحتري:

فَإِذَا مَا تَنَكَّرَتْ لِي بِلَادٌ　　أَوْ صَدِيقٌ فَإِنَّنِي بِالْخِيَارِ

وقال عبد الصمد بن المعذل:

إِذَا وَطَنٌ رَابَنِي　　فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنُ

وما أجمل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى.

إِذَا أَنْكَرَتْنِي بَلْدَةٌ أَوْ نَكِرْتُهَا　　خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ

(يقول: إذا لم يقدرني أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبًا للبازي الذي هو أبكر الطيور مشتملًا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح.)

(٧١٥) الاعتمار: الزيارة يقال: أتانا فلان معتمرًا: أي زائرًا، قال أعشى باهلة:

وَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ فَلهُمُ　　وَرَاكِب جَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مُعْتَمِرِ

(قال الأصمعي: معتمر: أي زائر. وقال أبو عبيدة: هو متعمم بالعمامة، وتسمى العمارة.)

ويقال: اعتمر الأمر: أي أمه وقصده. قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي:

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرْ　　مَغْزًى بَعِيدًا مِنْ بَعِيدٍ وَضَبَرْ

تَقَضِّيَ الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرْ

(يقول: ارتفع قدره حين غزا موضعًا بعيدًا من الشام، وجمع لذلك جيشًا، وضبر — أي جمع قوائمه — ليثب. وكسر الطائر: ضم جناحيه حتى ينقض، يريد الوقوع.)

يقول: قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره؛ لأني صببت رجائي عليه وعلقت آمالي به، ويروى: اعتماد — بالدال — ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتعليق الرجاء به.

(٧١٦) كماله: صفة لمال. ولذوي الحاجات: خبر أصبح. ويسل: أي يسأل — حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى السين — يقول: إن المال المبذول مثل ماله قد صار ملكًا للعفاة يأخذونه متى شاءوا، فلا هو يبتدئهم بالعطا، ولا هم يسألونه، لأنه مالهم لا ماله.

ويروى: أصبح مالًا — بالنصب: أي أصبح للناس نافعًا كما أصبح ماله نافعًا لذوي الحاجات، أي أنه ينفعهم بنفسه وماله، فهو لهم مال، وكما أن ماله يؤخذ بلا إذن، كذلك لا يستأذن في الدخول عليه، فكل من ورد عليه أخذ ماله بلا ابتداء ولا مسألة من الوراد.

(٧١٧) الجذل: السرور. يقول: لرجحان لبه ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علمًا منه أنها لا تُبقي على غم ولا سرور، ومن ثم لا يكون لهما أثر فيه فلا يبطر لدى السرور، ولا يجزع عند الحزن.

(٧١٨) الحمام: الموت. ودنا: قرب. والأجل: منتهى الحياة. يقول: إن الموت طائع أمره، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمردًا على المقدور وخرقًا له.

(٧١٩) «ما»: اسم موصول، اسم يكاد. والخبر: ينفعل. وقبل: متعلق بينفعل. يقول: لصحة تقديره ونفاذ عزيمته يكاد فعله يسابقه، فما يفعله ينفعل قبل فعله، وبعبارة أخرى: إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها؛ لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروي فيه والقطع بقضائه، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل:

سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَفْجُؤُهُ بِمَا لَمْ يُقْدرَ

«سدكت به: لزمته.»

(٧٢٠) يقول: إن حقائق الخصال والمعاني التي طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكأن ذكاءه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه، فهي ظاهرة فيها ظهور الكحل. وعبارة بعض الشراح: إن حقائق ما طبع عليه — من حدة الذهن وذكاء النفس — تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل.

(٧٢١) الإشفاق: الخوف، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق. وأخاف: بدل من أشفق. وأخاف يشتعل: أي أخاف أن يشتعل، فحذف «أن» ورفع الفعل. يقول: إذا اضطرمت فكرته واحتد ذهنه عند التروي أشفقت عليه أن يشتعل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حدتها فيصير نارًا متوقدة، كما قال ابن الرومي:

أَخْشَى عَلَيْكَ اضْطِرَامَ الذِّهْنِ لَا حَذَرا

(٧٢٢) أي هو أغر. والأغر: السيد الكريم، وأعداؤه: مبتدأ، خبره: ما بعده، يقول: هو سيد شريف، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه أعظموا فعلهم

واستكثروه؛ لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم. وقوله: إذا سلموا بالهرب: إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات.

(٧٢٣) أقبلته وجهي: حولته إليه وجعلته قبالته، والسابحة: الفرس تسبح في جريها. وأربعها: أي قوائمها الأربع. يقول: يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها طرفها؛ أي تضع قوائمها وراء منتهى بصرها. وهذا من قول أبي نواس:

يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ فِي الْتِهَابِهِ

«أي في شدة عدوه.» قال ابن جني: أسرف في المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل وقوعه؛ لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف.

(٧٢٤) الجرداء: القليلة الشعر، والمجفرة: الواسعة الجنبين. والجفرة: سعتهما. والعسيب: عظم الذنب. والخصل: جمع الخصلة من الشعر. يقول: إنها تملأ الحزام بسعة جنبيها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها، ويستحب في الخيل قصر العسيب وطول شعره.

(٧٢٥) التليل: العنق. والكفل: الردف، ويستحب فيهما الإشراف. يقول: إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها. وعبارة الواحدي: من حيث تأملتها وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها، كما قال علي بن جبلة:

تَحْسبُهُ أقعدَ فِي اسْتِقْبَالِهِ   حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتُه قُلْت أكب

يريد: هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتها حسنة في إقبالها وإدبارها.

(٧٢٦) والطعن شزر: جملة حالية؛ أي يقبلهم وجه كل سابحة في هذه الحال، والطعن الشزر: ما كان عن يمين وشمال، وذلك أشد الطعن. وواجفة: مضطربة لشدة الحرب؛ أي ترى أن الأرض تتحرك كأن في قلب الأرض وهلا — أي فزعًا — فهي ترعد من الخوف. ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبًا. وعبارة بعض الشراح: واجفة؛ أي مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالًا وإدبارًا حتى كأنها تمور بهم.

(٧٢٧) الضمير في «خدها» للأرض. والخريدة: الحية، شبه وجه الأرض متلطخًا بالدماء بخد الجارية الحيية إذا خجلت فاحمر لونها، واستعار للأرض خدًّا لمشاكلة ما في الشطر الثاني.

(٧٢٨) السح: السكب. والمقل: جمع مقلة، وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد. يريد أن الخيل — من شدة الطراد وما هي فيه من هول الحرب — قد عرقت، فجعل العرق مثل الدمع، إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون، ولكنه جارٍ من الجلود.

(٧٢٩) سار: يروى بكسر فتنوين: اسم فاعل من السرى، ويروى بالفتح: فعلًا ماضيًا. والمواكب: الجيوش. والسبسب: الفلاة الواسعة. يقول: قد عم القفار والأماكن الخالية بجيوشه فملأها حتى لم يبقَ قفر. وشبه السبسب بالجبل لكثافة جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح. يعني أن مواكبه تراكمت في السهول على خيولها حتى صارت السهول كالجبال.

(٧٣٠) الأسل: الرماح، يقول: إن رماحهم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها والتحامها. وأصل هذا المعنى لقيس بن الحطيم:

لَوْ أَنَّكَ تُلْقِى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَدَحْرَجَ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتَقَارِبِ

«عن ذي سامه: أي على ذي سامه. والهاء في «سامه» ترجع إلى البيض. يعني البيض المموه بالذهب؛ لأن السام عروق الذهب. يقول قيس: إنهم تراصوا في الحرب حتى لو وقع حنظل على رءوسهم — على إملاسه واستواء أجزائه — لم ينزل إلى الأرض.» ثم قال ابن الرومي:

فَلَوْ حَصْبتهُمْ بِالْفَضَاءِ سَحَابَة لَظَلَّتْ عَلَى هَامَاتِهِمْ تَتَدَحْرَجُ

فنزل عن الحنظل إلى البرد، وبالغ في ذلك ثم نزل المتنبي عن البرد إلى المطر، وهو ألطف منه. ثم أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال:

تَضَايقَ حَتَّى لَوْ جَرَى الْمَاءُ فَوْقَهُ حماهُ ازْدِحَامُ الْبَيْضِ أَنْ يَتَسَرَّبَا

فنقله من المطر إلى الماء.

(٧٣١) ليث الشرى: أسد الشرى. والشرى: مكان يوصف بكثرة الأسود. والحمام: الموت. يقول: أنت بدر في الحسن، بحر في الجود، سحاب في كثرة العطاء، أسد في الشجاعة والبأس، موت للعدو، ورجل في الحقيقة، يعني جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل.

(٧٣٢) عندك: صلة تقلبه. وفي كل موضع: صلة مثل. يقول: إن كفك التي تقلبها وأنت في بلدك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشتهر ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلًا في الجود. ويروى — نقبله — من التقبيل أي نقبله نحن والناس أجمعون، والرواية الأولى أجود. هذا، والبنان: الأصابع، وقيل: أطرافها. والبنان: لغة فيها. قال عمر بن أبي ربيعة:

فَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالْبنان فَضَحْتَنِي

وواحدة البنان: بنانة، وجمع القلة: بنانات. وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله، أنشد سيبويه:

قَدْ جَعَلَتْ مَيٌّ عَلَى الظرَارِ   خَمْسَ بَنَانٍ قَانِئ الْأَظْفَارِ

(قال الشنتمري: الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير: خمس من البنان. والظرار: جمع ظرر، وهي حجارة مستديرة محددة. يقال: أرض مظرة: إذا كانت كثيرة الظرار. ويروى: على الطرار — بطاء غير معجمة: جمع طرة، وهي عقيصة من مقدم الناصية، ترسل تحت التاج في صدغ الجارية، وربما اتخذت من رامك، وهو ضرب من الطيب، وهذا أشبه بمعنى البيت. والبنان: جمع بنانة، وهي الإصبع. والقانئ: الشديد الحمرة من الخضاب.)

يريد خمسًا من البنان. ويقال: بنان مخضب؛ لأن كل جمع بينه وبين واحده الهاء فإنه يوحد ويذكر.

(٧٣٣) أي بخلوا عند أنفسهم؛ إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار. وبعبارة أخرى: إن مقتضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرئوا أنفسهم من البخل.

(٧٣٤) امتشق السيف: استله وأسرع الطعن والضرب. واعتقل الرمح: جعله بين ساقه وركابه. يقول: إن لقلوبهم مضاء سيوفهم، ولقاماتهم طول رماحهم. وقال ابن

وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبي وولوعه بالتشهير به وبسرقاته: أخذ هذا من قول عوف بن محلم الشيباني:

إِنَّ الـثَّـمَـانِـيـنَ وَبُـلِّـغْـتَـهَـا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ
وَبَدَّلَـتْنِـي بِـالـشـطَـاطِ انْـحِـنَـا وَكُنْتُ كَالصعْدَةِ تَحْتَ السنَانِ

(٧٣٥) قواضب الهند: أي السيوف القواطع، والذبل: الطوال الصلاب، وحومة كل شيء: معظمه. والوغى: الحرب. وزحل: من كواكب النحس، والقمر: سعد. يقول: أنت رجل نقيض اسمه في الحرب؛ لأن البدر الذي هو اسمك من كواكب السعد ولكنك في الحرب نحس على أعدائك؛ لأنك هلاك لهم ... أو تقول — كما قال بعض الشراح: إن البدر منير فيهتدى به في الأسفار، وأنت في الحرب نقيض اسمك؛ إذ تقتل الناس وتثير الغبار بالخيل فتظلم الأرض، ففعلك في الحرب نقيض فعلك في السلم.

(٧٣٦) الكتيبة: القطعة من الجيش. وكتيبة: مبتدأ، والخبر: نفل. وكذا في المصراع الثاني. والنفل: الغنيمة. والحلي: الزينة. والعطل: التي لا حلي لها. يقول: كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو، وكل بلدة لست زينتها هي عطل لا زينة لها.

(٧٣٧) شرقها ومغربها: أي الأرض، وإن لم يجرِ لها ذكر للعلم به. والركاب: الإبل. يقول: قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعًا في عطائك وحرصًا على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذلك بالخفاف والحوافر والأقدام. وقال بعض الشراح: لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين ... وليس بشيء، وشكوى الإبل كثيرة في الشعر، قال أبو العتاهية:

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِبًا وَرِمَالَا

وقال البحتري:

تَشَكَّى الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى غُرَيْرِيَة الْأَنْسَابِ مَرْتٌ بقيعُهَا

«الوجى: الحفا. والمرت: المفازة لا نبات فيها. والبقيع: الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى.» أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبي.

(٧٣٨) قليل عافية: أي عافية قليلة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. وتجتديكها: أي تستوهبك إياها. والعلل: الأمراض، يقول: بذلت كل مالك ولم يبقَ لك إلا قليل من العافية فقدمت العلل عليك تستوهبه منك، وهذا كقوله السالف:

وَبَذَلْتَ مَا مَلَكَتْهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَذَلْتَ لِهَذِهِ صِحَّاتِهَا

(٧٣٩) الآسى: الطبيب. والمبضع: حديدة الفاصد. والبطل: الشجاع. ويريد بالملومين: ما ذكره بعد من الآسي والمبضع. وقد كان الفصاد فصده وأخطأ في فصده ونفذت حديدته في يده وأصابه لذلك مرض، وجعل الطبيب والمبضع ملومين في ذلك الخطأ الحاصل منهما، ثم قال: عذرهما فيك أن الطبيب كان جبانًا فارتعدت يده هيبة لك والمبضع كان شجاعًا — أي حادًّا نافذًا — فتولدت العلة من هذين، ثم ذكر للطبيب عذرًا آخر في البيت التالي.

(٧٤٠) يقول: إنما وقع للطبيب الخطأ؛ لأن يدك أمل الناس جميعًا، منها يرجون الإحسان والعطاء، فلم يدرِ الطبيب كيف يقطع الأمل؛ لأنه إنما تعود قطع العروق، لا قطع الآمال. وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله:

يَا فَاصِدًا لِيَدٍ جَلَّتْ أَيَادِيهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ الْغِنَى هِيَ فَارْفُقْ لَا تُرِقْ دَمَهَا فَإِنَّ أَرْزَاقَ طُلَّابِ الْغِنَى فِيهَا

وقال أيضًا للخليفة المعتمد:

يَا دَمًا سَالَ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ أَنْتَ أَذْكَى مِنْ عَنْبَرٍ وَمُدَامِ
قَدْ حَسِبْنَاكَ إِذْ جَرَيْتَ إِلَى الطَّسْـ ـتِ دُمُوعًا مِنْ مُقْلَتَيْ مُسْتَهَامِ
إِنَّمَا غَيَّبَ الطَّبِيبُ شَبَا الْمِبْـ ـضَعِ فِي نَفْسِ مُهْجَةِ الْإِسْلَامِ

(٧٤١) البضع: الفصد. والقبل: جمع قبلة، وهي الاسم من التقبيل. وأراد بضر القبل: كثرة تقبيل الناس ظهر كفه حتى أثر فيه وضره. قال الواحدي: وقد أكثر الشعراء من ذكر تقبيل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقبل غير أبي الطيب، وهذا من مبالغاته، قال ابن الرومي:

فَامْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بذل النَّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّقْبِيلَا

وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل:

لفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلْ
فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقُبَلْ

وقال أبو الضياء الحمصي:

وَمَا خُلقَتْ كَفَّاك إِلَّا لِأَرْبَعٍ وَمَا فِي عِبَادِ اللهِ مِثْلك ثَانِ
لِتَجْرِيدِ هِنْدِيٍّ وَإِسْدَاءِ نَائِلٍ وَتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَأَخْذِ عِنَانِ

وقد ملح من قال:

يَدٌ نَرَاهَا أَبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمْ
مَا خُلقَتْ بَنَانُهَا إِلَّا لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمْ

(٧٤٢) الفصاد: هو الفصد. وأراد بالشق: التأثير والنفاذ؛ ومن ثم عداه بفي، واستعار لجوده عرقًا لما ذكر عرق يده. والعذل: الملام. يقول: إن الفصد يؤثر في يده، ولكن لا يؤثر الملام في جودها؛ أي لا ينجع قول اللائمين فيه. وقد نظر في هذا إلى قول أبي تمام:

خَلائِقُ كَالزَّغْفِ الْمُضَاعَفِ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَهَا يَوْمًا شَبَاةُ اللَّوَائِمِ

(٧٤٣) خامره: خالطه. والجزع: الفزع وقلة الصبر. والحذاقة: مصدر كالحذق. والعجل: المستعجل. يقول: خامر الطبيب — حين مددت يدك إليه للفصد — جزع من هيبتك فعجل في الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه، وهو على الحقيقة عجل من خوفه.

(٧٤٤) جاز الشيء: تعداه. وغير اجتهاد: مفعول أتى. والهبل: الثكل. يقول: بالغ في الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهاد؛ لأن الخطأ من فعل المقصرين المتهاونين، ثم دعا عليه فقال لأمه الثكل.

(٧٤٥) التعمق: بلوغ عمق الشيء — وهو أقصاه — يريد به المبالغة ومجاوزة الحد، يقول: إن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سجيتها، فإذا تكلف وبالغ وتعمق زل فأخطأ.

(٧٤٦) ارث لها: رق. وبما وبالذي: متعلقان بتنهمل. يقول مخاطبًا الطبيب: ارفق بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته؛ أي تجود بمالها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أي بالدم الذي تسفكه من الأعداء.

(٧٤٧) إلا لمثلك: أي إلا لك. يقول: لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك في جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريمًا سخيًّا لينتفع الناس بدولته.

(٧٤٨) زم البعير: خطمه بالزمام، واسم ليس: ضمير الشأن، وهم: مبتدأ، وخبره محذوف: أي ليس الأمر والخبر هم شاءوا. فحذف «شاءوا» لتقدمه في أول الكلام، ويجوز أن يكون «هم»: اسم ليس، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة، والتقدير: بقائي شاء الارتحال ليسوا شاءوا، ويجوز أن تكون «ليس» هنا حرفًا عاطفًا فلا يكون لها اسم ولا خبر. يقول: لما ارتحلوا عني ارتحل بقائي، فكأن بقائي شاء ارتحالًا لا هم شاءوا ذلك، وكأنهم زموا صبري للمسير، لا جمالهم؛ لأني فقدت الصبر بعدهم. وإنما نفى الارتحال عنهم؛ لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنًا، فكأن ارتحالهم ليس ارتحالًا عند ارتحال بقائه، ولأنهم ربما يعودون، والبقاء إذا ارتحل لم يعد، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه. وعبارة بعض الشراح: لما ارتحل الأحبة ارتحلت حياته؛ لأنه غير باقٍ بعدهم، فبقاؤه هو الذي أراد الارتحال، لا هم. ولما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر؛ لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شيء واحد، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال، وإنما هم الحياة عينها، ومطيهم الصبر نفسه. وقال ابن القطاع: بقاء شاء؛ أي سبق ارتحالهم، يقال شاءه: وشآه: إذا سبقه، ولولا ذلك لمت أسفًا، وهذا على المبالغة. وقيل: المعنى بقائي أراد رحيلهم، فشاء من المشيئة، فليتني مت ولم أره يتأسف؛ إذ لم يمت عند رحيلهم.

(٧٤٩) تولوا: أدبروا. والبين: الفراق. وتهيبني: هابني. والاغتيال: أخذ الإنسان من حيث لا يدري. يقول: كأن البين هابني ففاجأني باغتياله، يريد فاغتالني اغتيال مفاجأة.

(٧٥٠) العيس: الكرام من الإبل. ويروى: عيرهم، وهي الإبل التي تحمل الميرة. والذميل: السير المتوسط. والانهمال: الانسكاب. يقول: كانت إبلهم تسير الذميل ودمعي ينصب في أثرهم انصبابًا، يتوجع ويتحسر. ومثله لابن الرومي:

لَهُمْ عَلَى الْعِيسِ إِمْعَانٌ يَشُطُّ بِهِمْ وَلِلدُّمُوعِ عَلَى الْخَدَّيْنِ إِمْعَانُ

(٧٥١) أناخ البعير: أبركه. وثرن: أي نهضن للمسير. والبيت مبني على ما قبله. يقول: كنت لا أبكي قبل فراقهم، فكأن إبلهم كانت تمسك دمعي عن السيلان ببروكها فوق جفني، فلما فارقوني سال دمعي، فكأنها ثارت للرحيل من فوق جفني فسال ما كانت تمسك من دموعي، وهو تخيل بديع.

(٧٥٢) النوى: البعد والفراق. والحجال: الخدور. يقول: لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عيني، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عني قبل من البراقع والخدور.

(٧٥٣) الوشي: الثياب المنقوشة. وحجر به وشي: أي حجر من معدن فيه ذهب، أنشد ابن الأعرابي لأحيحة بن الجلاح يرثي ابنًا له:

وَما هِبْرِزِيٌّ مِنْ دَنَانِيرِ أَيْلَةِ بِأَيْدِي الْوُشَاةِ نَاصِعٌ يَتَأَكَّلُ
بِأَحْسَنَ مِنْهُ يَوْمَ أَصْبَحَ غَادِيًا وَنَفَّسَنِي فِيهِ الْحِمَامُ الْمُعَجَّلُ

«الوشاة الضرابون: يعني ضراب الذهب. ونفسني فيه: رغبني، والهبرزي الدينار الجديد.» والتجمل: التزين. يقول: هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج، ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين. قيل للصاحب: أغرت على أبي الطيب في قولك:

لَبِسْنَ بُرُودَ الْوَشْيِ لَا لِتَجَمُّلٍ وَلَكِنْ لِصَوْنِ الْحُسْنِ بَيْنَ بُرُودِ

فقال: نعم، كما أغار هو في قوله:

مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةً كَأَنَّهَا الْعُمْيِ مَا لَهَا قَائِدْ

على بشار في قوله:

وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ

(٧٥٤) التضفير: فتل الذوائب. والغدائر: جمع غديرة، وهي الخصلة من الشعر. يقول: لم ينسجن ذوائبهن طلبًا للتحسين، ولكن خفن أن يضللن فيها لو أرسلنها؛ لأنها تغشاهن كالليل. قال ابن جني: قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة، ولكن لم تفرط في ذلك مثل المتنبي، قال ابن المعتز:

دَعَتْ خَلَاخِيلَهَا ذَوَائِبَهَا فَجِئْنَ مِنْ قَرْنِهَا إِلَى الْقَدَمِ

(٧٥٥) بجسمي: أي أفدي بجسمي. وبرته: هزلته. والوشاح: شبه قلادة تشده المرأة بين العاتق والكشح، يقول: أفدي بجسمي التي هزلته حتى لو جعلت وشاحي ثقب لؤلؤة لوسعني حتى يدور عليَّ إذا شئت أن أديره، يصف دقته ونحوله. ومثل هذا يقول الآخر:

قَدْ كَانَ لِي فِيمَا مَضَى خَاتَمٌ وَالْآنَ لَوْ شِئْتُ تَمَنْطَقْتُهُ

(٧٥٦) يقول: لولا أنني يقظان لكنت أظن نفسي خيالًا، يعني أنه كالخيال في الدقة، إلا أن الخيال لا يرى في اليقظة، فقوله: أظنني: أي أظن نفسي. وقوله: مني: متعلق بـ «خيالا»: أي خيالًا مني، كما تقول: جاءني خيال من المحبوب. قال الواحدي: قوله مني: أي من دقتي، ويبعد أن يقال من نفسي؛ لأنه قال: أظنني، ومعناه أظن نفسي، ولا يقال أظن نفسي خيالًا من نفسي. هذا، والعرب تقول: ظننتني وخلتني وعلمتني، ولم يروَ عنهم: ضربتني؛ لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا في أحدهما لقوة تعديته. وقد جاءت عدمتني شاذة في قول جران العود:

لَقَدْ كَانَ لِي فِي ضَرَّتَيْنِ عَدِمْتُنِي وَمَا أَنَا لَاقٍ مِنْهُمَا مُتَزَحْزِحُ

(٧٥٧) الخوط: الغصن الناعم. ورنت: نظرت. والمنصوبات في البيت أسماء وضعت موضع الحال. كأنه قال: بدت مشرقة، ومالت متثنية، وفاحت طيبًا، ورنت مليحة. أو تقول المعنى: بدت مشبهة قمرًا في حسنها، ومالت مشبهة غصن بان في تثنيها، وفاحت مشبهة عنبرًا في طيب رائحتها، ورنت مشبهة غزالًا في سواد مقلتها. وهذا يسمى التدبيج في الشعر، ومثله:

سَفَرْنَ بُدُورًا وَانْتَقَيْنَ أَهِلَّةً وَمِسْنَ غُصُونًا وَالتَفَتْنَ جَآذرَا

(٧٥٨) جار عن الطريق: مال. وكثر استعماله في الظلم؛ لأنه جور عن الحق. يقول: هي في حكمها جائرة، ولكن قدها معتدل لا جور فيه.

(٧٥٩) يقول: كأن الحزن يعشق قلبي، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني، يعني كلما هجرتني واصل الحزن قلبي وعلق به. هذا، وقوله: «مشغوف» رُوي بالعين المهملة، وبالغين المعجمة. وقد قرئ قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ بالعين وبالغين، فمن قرأها بالعين فمعناه تيمها، ومن قرأها بالغين يعني أصاب شغاف قلبها أو غشي الحب قلبها. وشغاف القلب وشغفه: غلافه. قال قيس بن الخطيم:

إِنِّـي لَأَهْـوَاكِ غَـيْـرَ ذِي كَـذِبٍ قَدْ شَفَّ مِنِّي الْأَحْشَاءُ وَالشغَفُ

أما الشغف: فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها، كما أن البعير إذا هني بالقطران يجد له لذة مع حرقة. قال امرؤ القيس:

لـتَقْـتُلُـنِـي وَقَـدْ شَـعـفْـتُ فُـؤَادَهَـا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

«يعني أحرقت فؤادها بحبي كما أحرق الطالي هذه المهنوءة ففؤادها طائر من لذة الهناء؛ لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة.»

(٧٦٠) كذا: خبر مقدم عن «الدنيا» وصروف: خبر عن محذوف: أي هي صروف. والصروف: الأحداث: يقول: إن الدنيا كانت على من كان قبلي كما أراها الآن؛ أي كما هي عليَّ الآن، ثم بين ذلك فقال: هي صروف لا تدوم على حالة واحدة.

(٧٦١) في سرور: خبر «أشد». والجملة بعده: نعت سرور. يقول: إن السرور الذي يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندي أشد الغم يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور.

(٧٦٢) قتودي: جمع قتد، وهو خشب الرحل. والغريري: المنسوب إلى غرير؛ فحل من الإبل كان في الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل. والجلال: كالجليل — أي العظيم — كما يقال: طوال، وطويل. يقول: تعودت الارتحال حتى ألفته، وصارت الرحال أرضًا لي؛ لأني أبدًا على الرحال، فهي لي كالأرض للمقيم.

(٧٦٣) المقام: مصدر ميمي، بمعنى الإقامة. وأزمع الأمر، وأزمع عليه: مضى فيه وثبت عليه عزمه. وقال الكسائي: يقال: أزمعت الأمر، ولا يقال أزمعت عليه. قال الأعشى:

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا ... وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا

وقال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه: بمعنى، مثل أجمعته وأجمعت عليه. يقول: ما طلبت الإقامة في أرض؛ لأني أبدًا على سفر، ولا عزمت على الرحيل عنها؛ لأن الرحيل إنما يكون بعد الإقامة، ولا إقامة لي حتى أرحل. وقال ابن جني: المعنى إذا كان ظهره — أي البعير — كالوطن لي فأنا — إن جبت البلاد — كالقاطن في داره.

(٧٦٤) على قلق، القلق: الاضطراب. والجار والمجرور: في موضع الحال من التاء في ألفت. ويروى: على قلِق — بكسر اللام — أي بعير قلق. يقول: لا أستقر في مقام كأني على ظهر الريح، أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال، فعبر بالريحين عن الجانبين، ويروى: يمينًا أو شمالًا، فتكون بكسر الشين.

(٧٦٥) غرة الشهر: أراد أول الشهر. وإلى البدر: يروى إلى بدر بن عمار — بدون أل — لأنه علم. ومن روى البدر: أراد بدر السماء، لا الاسم العلم، يعني إلى الرجل الذي هو كالبدر، ثم نسبه إلى أبيه؛ لأنه ليس بدرًا على الحقيقة، وإن أشبهه؛ ألا ترى أنه قال: لم يكن في غرة الشهر الهلال، ولا بدر إلا وكان هلالًا أولًا؟ وهذا الذي عناه لم يكن هلالًا قط، وقد فسر هذا بقوله: ولم يعظم لنقص «البيت». وترك التنوين من «عمار» ضرورة لسكونه وسكن اللام، واللام في قوله: «لنقص» في البيت التالي، بمعنى بعد كما في قوله:

لطُول اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

(٧٦٦) يقول: هو منقطع النظير لا مثل له، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ما غاب عنك من المحاسن، وذلك كالشجاعة مثلًا والجود والحسن، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر، ولكن هذه مع كونه يشبهها في بعض صفاته لا شيء منها يشبهه في جميع صفاته. يعني أنه لم يجتمع في أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة في أشياء كثيرة: فكفه كالبحر، وقلبه وعضده كالأسد، ووجهه كالبدر.

(٧٦٧) حسام: أي هو حسام: سيف قاطع. وحسام — الثاني — بدل من ابن رائق، يقول: هو حسام لأبي بكر بن رائق الذي كان حسامًا للمتقي لله الخليفة العباسي حين صال به على بني البريدي، وقد كان المتقي حاربهم به في خبر ليس هذا موضعه.

(٧٦٨) بنو معد: هم العرب؛ لأن نسبهم ينتهي إلى معد بن عدنان. وبني أسد: بدل من قوله بني معد، وهم رهط الممدوح. قال الواحدي: يقول: إن الممدوح سنان في قناة العرب الذين هم بنو معد. ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بني معد بني أسد، فكأنه قال: هو سنان قناة بني أسد عند الحرب. والنزال: منازلة الأقران — بعض إلى بعض — من الخيل عند شدة القتال. يقول: هو رئيسهم وصدرهم الذي به يقاتلون، وفي مثل هذا المعنى يقول النامي — وقد قصر عنه المتنبي:

إِذَا فَاخَرَتْ بِالْمَكْرُمَاتِ قَبِيلَةٌ فَتَغْلِبُ أَبْنَاءُ الْعُلَا بِكَ تَغْلِبُ
قَنَاةٌ مِنَ الْعَلْيَاءِ أَنْتَ سِنَانُهَا وَتِلْكَ أَنَابِيبٌ إِلَيْكَ وَأَكْعُبُ

وقال بعض الشراح: بني أسد: بدل من قناة، ثم قال: جعل بني أسد — وهم رهط الممدوح — قناة؛ أي رمحا لبني معد، وجعل الممدوح سنانًا لهذه القناة. يعني أن الممدوح عزة لقومه، وهم عزة لسائر العرب. وروى بعض الشراح بني أُسد: بني أسد — على أنه جمع أسد — وقال: يعني أن بني معد هم بنو أسود: أي شجعان. وقال ابن جني: يجوز أن يكون بني أسد منادى مضافًا؛ يعني أن بني معد إذا نازلوا الأعداء، قالوا: يا بني أسد، فيقوم لهم قولهم في الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب في قناتهم؛ لأنهم إذا دعوهم أغنوا عنهم.

(٧٦٩) أراد بالعز — ها هنا — الغلبة والامتناع. ومقدرة — بتثليث الدال — أي قدرة. ومحمية: بمعنى حماية أي حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه. ويجوز أن تكون بمعنى الحمية: أي الأنفة وعزة النفس. ونصب المنصوبات الخمس على التمييز. يقول: هو أعز من يغالب الأقران كفًّا؛ لأن يده فوق كل يد، وسيفه أغلب السيوف،

وقدرته فوق قدرة الناس، وحمايته لمن يحق عليه الذود عنه زائدة على حماية غيره، وآله وأصحابه أغلب وأعز به من آل غيره.

(٧٧٠) منتمٍ: منتسب. يقول: هو شريف حسيب إذا انتمى كان له الشرف من أبيه وأمه.

(٧٧١) الإثناء: مصدر أثنى عليه. يقول: إن المدح الذي يستعظم للدنيا وأهلها حتى يكون لإفراطه محالًا عليها إذا أطلق عليه كان حقًّا؛ لاستحقاقه غاية الثناء. وبعبارة أخرى: إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان النسبة إليهم محالًا. يعني أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء.

(٧٧٢) ضعف الشيء: أن يزاد عليه مثله. ويترك: يفتعل، من الترك. يقول: إذا مدحه الناس غاية ما قدروا عليه حتى لم يترك أحد مقالًا بقي ضعف ما قالوه من المحاسن؛ يعني المادح والمثني لا يبلغ في مدحه ما يستحقه، كما قالت الخنساء.

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ

وقال أبو نواس:

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

(٧٧٣) بكل لدن: أي بكل رمح لين المهز، ومواضع: منصوب على الظرفية، مضاف إلى الجملة بعده. يقول: يا ابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال. وهذا ينظر إلى قول البحتري.

وَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ

(٧٧٤) العضب: السيف القاطع. والقلال: جمع قلة؛ أعلى الشيء، والمراد هنا الرءوس. يقول: يا ابن الضاربين بكل سيف رءوس العرب وأرجلها. قال ابن جني: وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس في قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده، وقيل: أراد بالأسافل: اللئام، وبالقلال: الكرام؛ أي ابن الذين يضربون الشريف والدنيء فلا يتركون أحدًا، أو لا يهابون أحدًا.

(٧٧٥) المتشاعرون: الذين يدعون الشعر وليسوا من أهله. وغرى بالشيء: أولع به، والداء العضال: الذي لا دواء له. يقول: إنه داء لهم يسقمون به حسدًا، ولذا لا يمكن أن يحمدوه.

(٧٧٦) الزلال: العذب الصافي الذي يزل في الحلق. وهذا مثل ضربه، يقول: مثلهم كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرًّا لمرارة فمه، كذلك هؤلاء إنما يذمونني لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلي وشعري، فالنقص فيهم لا فيَّ ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلي. قال حكيم: النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة.

(٧٧٧) يقول: إن الحساد قالوا لي حسدًا له عليَّ ولي عليه: هل يرفعك الممدوح إلى الثريا؟! إنكارًا لأن يبلغني بخدمته منزلة رفيعة، فقلت: نعم يبلغنيها إذا أردت أن أنحط عن منزلتي: أي أنه رفعه إلى ما فوق الثريا فإن استفل وانحط رجع إلى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة الممدوح. وهذا تخيل بديع. هذا، وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا. قيل: لغزارة نوئها، وقيل: لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة، وهو تصغير على جهة التكثير، ويقال: إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد، وقد ظن العطوي الشاعر كواكب الثريا ستة فقال:

خَلِيلَيَّ إِنِّي لِلثُّرَيَّا لَحَاسِدُ وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدُ
أَيَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلُهَا وَهِيَ سِتَّةٌ وَأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وَهْوَ وَاحِدُ

(٧٧٨) المذاكي: الخيل المسنة، وهي التي أتى عليها بعد قروحها سنة. وبيض الهند: السيوف. والسمر: الرماح. يقول: هو الذي يفني هذه الأشياء بكثرة الحروب. وعبارة العكبري: هو مفني الخيل والأعادي بالطراد في الحروب، وقيل: بالهيبة والسيوف والرماح بالضرب والطعن، ويجوز بالهبة.

(٧٧٩) قائدها: معطوف على المعنى. والضمير: للمذاكي. والمسومة: المعلمة. يقول: وهو قائد الخيل خفافًا في الركض ثقالًا على الحي الذي تحل بساحته صباحًا للغارة، أي ثقالًا على الأعادي.

(٧٨٠) جوائل: بدل من مسومة، وهي جمع جائلة: أي مترددة، وجوائل بالقني: أي تجول بأرماح فرسانها، والقني: جمع القنا. ومثقفات: أي مقومات بالثقاف، وهو

الحديد الذي يسوى به الرمح. والعوامل: ما يلي الأسنة. والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة التي في السراج. شبه أسنتها في اللمعان بالفتائل.

(٧٨١) يفئن: يعدن ويرجعن. ويروى: بقين. يقول: إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالًا، كما قال ابن المعتز:

كَأَنَّ حَصَى الصمَانِ مِنْ وَقْعِهَا رَمْلُ

(٧٨٢) جواب: مبتدأ، خبره: عجز البيت، وقوله: أله نظير: في محل نصب حكاية السؤال. يقول: إذا سألني سائل فقال: هل لهذا الممدوح نظير؟ فجوابه: لا، ولا لك أيضًا نظير في هذا السؤال؛ لأن أحدًا لا يجهل هذا غيرك، فأنت في جهلك به بلا نظير. وأراد «لا» و«لا لك» فأخر المعطوف عليه ضرورة، كما قال الأحوص:

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلَامُ

(بعده:

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكِ فَخَبَّرُونِي هَنا منْ ذَاكَ تَكْرهه الْكِرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللهُ بَأْسٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُخَالِطْهُ الْحَرَامُ

والنخلة: كناية جميلة عن المرأة. وكنى بالهناة عن الرفث.)

وكرر النفي بقوله: «ألا لا» إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه.

(٧٨٣) الإعدام: الإقتار والفقر. يقول: كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالًا لها تأمن الفقر؛ لأنك تبلغها آمالها البتة.

(٧٨٤) وجالًا: جمع وَجِل — بكسر الجيم — أي خائف، يقول: خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلت أوجالهم، وهذا كقولهم: جن جنونه، قال:

جُنُونُك مَجْنُونٌ وَلَسْت بِوَاجِد طَبِيبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

(٧٨٥) يقول: إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس: وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا؛ لأنه لو قال

أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه، فهم يدلون عليك، إذ عرفوا منك هذا.

(٧٨٦) يقول: أنت لكرمك تحب العطاء، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعددته منة عليك لحبك العطاء، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لا يفوتك لذة العطاء.

(٧٨٧) الاستماحة: طلب العطاء. والسماحة: الجود. يقول: أسعد الناس سائل يعطي مسئوله بأن ينال منه شيئًا، يعني أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئًا. والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معطٍ يرى أن الأخذ منه عطاء له فيراه حقًّا عليه ويسر بذلك. قال البحتري:

فَيَكُونُ أَولَ سنةٍ مَأْثُورَةٍ أَنْ يَقْبَلَ الْمَمْدُوحُ رِفْدَ الْمَادِحِ

(٧٨٨) ما «نافية»، والجملة بعدها: حال من ضمير السهم محذوفًا، والتقدير: فراقه للقوس وهو ما لاقى الرجال. يقول: إن سهمه يفارق الرجل الذي يلاقيه نافذًا منه، وفيه نفس القوة التي فارق بها القوس حين لم يلاقِ أحدًا بعد؛ أي إذا رمى رجلًا بسهم خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس، يصفه بشدة نزع القوس وقوة الرمي وانطلاق السهم. ويجوز أن تكون «ما» ظرفًا، كأنه قال: يكون الأمر كذلك مدة ملاقاته الرجال، كما تقول: لا أكلمك ما طار طائر.

(٧٨٩) النصال، جمع نصل؛ الحديدة التي تكون في السهم. يقول: إن سهامك إذا رميتها لا تقف عن مسيرها، فكأن ريشها يطلب نصالها ليدركها فهي تمضي أبدًا؛ لأن الريش لا يدرك النصل، لتقدم النصل عليه. وهذا من قول ليلى الأخيلية:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِالْخُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي
نَسِيتَ وِصَالَهُ وَصددتْ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَزَبُّ عَنِ الظِّلَالِ

(قالت ليلى هذين البيتين في فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل. وقد مر شرحهما.)

فنقل المعنى من الخيل والخدود والعوالي إلى السهام والريش والنصال.

(٧٩٠) جاراه: جرى معه. وعالاه: غالبه في العلو. يقول: سبقت الذين سبقوا في مراحل المساعي والمكارم حتى شأوتهم فليس يجازيك أحد، وعلوت حتى جاوزت العلو

المألوف فليس يعاليك أحد؛ إذ لا يبلغ أحد مبلغك. ويجوز أن يكون معنى السابقين: الأولين؛ أي الذي غبروا ومضوا.

(٧٩١) يفضله على جميع الناس، ويقول: إنه لو كان يمين شيء ما صلح الناس كلهم أن يكونوا شمالًا لذلك الشيء، وفي مثل هذا المعنى يقول أبو النجم:

لَوْ كَانَ خَلْقُ اللهِ جَنْبًا وَاحِدًا   وَكُنْت فِي جَنْبٍ لَكُنْت زَائِدا
نَـبَـاهَـةً وَنَـائِـلا وَوَالِـدَا

(٧٩٢) يقول أنت في علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالًا، جعله كالسماء، وخصاله في الشهرة والحسن نجومها، كما قال البحتري:

وَبَلَوْتُ مِنْكَ خَلَائِقًا مَحْمُودَةً   لَوْ كُنَّ فِي فَلَكٍ لَكُنَّ نُجُومَا

(٧٩٣) وأعجب: عطف على أقلب — في البيت السابق — وتنشا: أصله تنشأ بالهمز فلينه للوزن، وأراد أن تنشا، فحذف «أن». يقول: أنت قد ولدت كاملًا، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال؟

(٧٩٤) أن عزم: أي لأجل أن عزم. والخليط: الذي يخالطك ويعاشرك، والمراد به الحبيب. والخليط أيضًا: القوم الذين أمرهم واحد. قال الشاعر:

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّوا الْبَيْنَ فَانْجَرَدُوا   وَأَخْلَفُوكَ عِدى الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

وجمع الخليط: خلطاء وخلط، قال وعلة الجرمي في جمعه على خلط:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرمٍ هَلْ جَنَيْتَ لَهُمْ   حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ

يقول: إن في خده لأن عزم الحبيب فراقًا مطرًا — يعني الدمع — تزيد الخدود به محولًا — حدبًا — ومحول الخدود: شحوبها وتخدد لحمها وذهاب نضرتها والمطر من شأنه أن تخصب به البلاد ويخضر العشب، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا. وفيه نظر إلى قول بعضهم:

لَوْ نَبَتَ الْعُشْبُ مِن دُمُوعٍ لَكانَ فِي خَدِّيَ الرَّبِيعُ

(٧٩٥) نفت: أذهبت. وغادرت: تركت. والفلول: الثلوم؛ أي ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب. يقول: إن نظرته إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه، يعني أثرت في لبه. وعبارة بعض الشراح: وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة: النظرة الأولى التي نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام.

(٧٩٦) الضمير في «كانت»: للنظرة، والكحلاء: السوداء الجفون خلقة. والسؤل: ما يطلبه الإنسان ويتمناه، وهو خبر «كانت». ومن الكحلاء: متعلق بسؤلي. ولين السول — في آخر البيت — للقافية. يقول: كانت هذه النظرة مرادي ومطلوبي من هذه المرأة الكحلاء. ولكنها كانت في الحقيقة أجلى تصور مرادًا في قلبي، يعني أن نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأتت عليه.

(٧٩٧) الجفاء: الإعراض، وقد ضمنه معنى النُّبُوِّ والامتناع، ولذلك وصله بعلى. والنوى: البعد، يقول: إني أجد إعراضي عن النساء مروءة إلا عنك، والصبر على نازلة جميلًا إلا على بعدك، كما قال البحتري:

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ فُرْقَة مَنْ بِبَيْنِهِ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ

(٧٩٨) يقول: إني أملُّ دلال غيرك وإن قَلَّ، وأحب دلالك وإن كثر، كما قال جرير:

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمُ الدَّلَالَ فَإِنَّهُ حَسَنٌ دَلَالُكِ يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

(٧٩٩) الروادف: الكفل وما حوله، جمع رادفة؛ لأنها تردف الإنسان؛ أي تكون خلفه، كالرديف الذي يكون خلف الراكب، يقول: تشكو المطية ثقل روادفك فوقها شكوى النفس التي وجدت هواك مداخلها، يعني العاشق لها، يعني نفسه.

(٨٠٠) يقول — مخاطبًا حبيبته: يحملني على الغيرة جذبك زمامها إليك؛ لأنها تقلب فمها إليك كأنها قبلة، كما قال مسلم بن الوليد:

وَالْعِيسُ عَاطِفَةُ الرُّءُوسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبْنَ سِرَّ مُحَدَّثٍ فِي الْأَحْلُسِ

هذا، والغيرة: الحمية والأنفة، لعلها من غار النهار: إذا اشتد حره، يقال: غار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرًا وغارًا وغيارًا. قال أبو ذؤيب يصف قدورًا:

لَهُنَّ نَشِيجٌ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّهَا ضَرَائِرُ حِرْمِيٍّ تَفَاحَشَ غَارُهَا

(نشل اللحم من القدر: انتزعه منها وهو النشيل، والنسبة إلى الحرم حرمي وهو من المعدول الذي يأتي على غير قياس. قال المبرد: يقال: امرأة حرمية وحرمية وأصله من قولهم: وحرمية البيت وحرمة البيت: قالوا إن أهل الحرم — وهم قريش — أول من اتخذ الضرائر. شبه غليلة القدور بصخب الضرائر.)

وأغار الرجل أهله: تزوج عليها فغارت، والعرب تقول: أغير من الحمى؛ أي أنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلها. هذا، والفم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة، فإذا أضيف قلت: فوك وفاك وفيك، إلا أنه قد جاء بالميم مضافًا عن العرب، قال:

كَالْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهْ يُصْبِحُ عَطْشَانَ وَفِي الْبَحْرِ فُمه

(٨٠١) الحدق: جمع حدقة، وهي سواد العين الأعظم. وواحدة الحسان: حسناء. والغواني: جمع غانية، وهي التي غنيت بحسنها عن التجمل. والصبابة: رقة الشوق. والغليل: حرارة العطش، والمراد به هنا: لاعج الوجد.

(٨٠٢) حدق: خبر عن محذوف، يرجع إلى حدق — الأولى — ويذم: يجير ويعطي الذمام. وغيرها: يجوز فيه النصب على الاستثناء، أو الحال، والجر على التبعية، وبدر بن عمار: فاعل يذم. يقول: إنه يجير من كل ما يقتل إلا من أحداق الحسان، فإنه لا يستطيع الإجارة منها، كما قال:

وُقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ

وقد تجاوز هذا في مدح عضد الدولة بأمن بلاده في قولة:

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ

(٨٠٣) يقول: إنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإنزال مثلها بأعدائه، يعني أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم ليغني أولياءه فيزيل عنهم الفقر. ويقال:

فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرَّج يفرِّج تفريجًا: إذا أزال عنه الغم وكشفه، والكرب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل، وروي بالخفض تشبيهًا بالحسن الوجه.

(٨٠٤) المحك: اللجوج، والمحك: اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوهما، وقد محك يمحك ومحك محكًا ومحكًا فهو ماحك ومحك وتماحك البيعان والخصمان تلاحا، قال الفرزدق يهجو جريرًا:

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ وَالْهِجَاءُ إِذَا الْتَقَتْ   أَعْنَاقهُ وَتَماحكَ الْخصمَانِ
مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهجوتها   أَمْ بُلت حَيْثُ تَنَاطَح الْبحرَانِ

(المراغة: الأتان التي لا تمتنع من الفحول، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة: أي يتمرغ عليها الرجال.)

يقول: إنه يلج في تقاضي ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى في ذلك، فإذا مطلوه بهذا الدين جعل سيفه كفيلًا له بقضائه، يعني إذا لم يخضعوا له طوعًا أخضعهم قهرًا.

(٨٠٥) النطق — كالمنطيق: اللسن البليغ. والضمير في «لثامه»، للممدوح، قال الواحدي: وكانت العرب تتلثم بعمائمها، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن أفواههم. يقول: إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقه قلوب السامعين عقولًا، يعني أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل.

(٨٠٦) قال ابن فورجه: يعني أن الزمان سخا — جاد — به عليَّ وكان بخيلًا به، فلما أعداه سخاؤه أسعدني الزمان بضمي إليه وهدايتي نحوه، والصراع الأول من قول ابن الخياط:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى   أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقال أبو تمام:

عَلَّمَنِي جُودُك السَّماحَ فَمَا   أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلتِك

وقال أيضًا:

لستُ يَحْيَى مُصَافِحًا بِسَلَامٍ   إِنَّنِي إِنْ فَعَلْتُ أَتْلَفْتُ مَالِي

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان، والمصراع الثاني من قول أبي تمام:

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ   إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

وقال ابن جني: المعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه، فإن قيل: السخاء لا يكون إلا في الموجود، وهذا معدوم فالجواب: إن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده، ولولا ما تصور من السخاء لبقي أبدًا بخيلًا، والشيء إذا تحقق كونه لا محالة أجري عليه في حالة عدمه كثير من الأوصاف التي يستحقها بعد وجوده. قال ابن فورجه: هذا تأويل فاسد وغرض بعيد، والسخاء بغير الموجود لا يوصف بالعدوى، ثم فسر البيت بما أسلفنا. هذا، والسخاء الجود، يقال: سخا يسخو سخاء وسخوًا وسخي يسخي سخاء وسخوة. قال الجوهري: وقول عمرو بن كلثوم:

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا   إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا

(شعشع الشراب: مزجه بالماء. والحص: الورس، نبات له نوار أحمر، يشبه الزعفران، يقول: اسقني الخمر ممزوجة بالماء كأنها من شدة حمرتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا.)

أي جدنا بأموالنا، قال: وقول من قال سخينا من السخونة: نصب على الحال، فليس بشيء.

(٨٠٧) جعل اسم «كأن» نكرة، وخبرها معرفة ضرورة. والمتون: جمع متن، وهو الظهر. والغمامة: السحابة. والهندي: السيف المصنوع من حديد الهند، وفي كفه ومسلولا: حالان. وقد عكس التشبيه في هذا البيت؛ لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق، وهنا شبه البرق بالسيف فقال: كأن برقًا في ظهور الغمام سيفه إذا سله في يده، مبالغة في بريقه ولمعانه.

(٨٠٨) محل قائمه: أي قائم السيف؛ أي مقبضه هو يد الممدوح. ومواهبًا: تمييز. يقول: إن كفه تسيل نعمًا وهبات لو كانت مطرًا لما وجدت موضعًا تسيل فيه لكثرتها، ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام:

أَفَادَ مِنَ الْعلْيَا كُنُوزًا لَوَ انَّهَا صَوَامِتُ مَالٍ مَا دَرَى أَيْنَ تُجْعَلُ

(٨٠٩) مضاربه — جمع — مضرب — حد السيف الذي يضرب به الرقاب. ويبدين: يظهرن. أراد أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق؛ لأنه أدعى الأشياء إلى اللزوم والرقة، يقول: إن سيوفه رقيقة ماضية، فكأنما هي — لرقتها — تبدي نحولًا من عشقها الرقاب، كما ينحل العاشق من جراء العشق. وعبارة بعض الشراح: يصف هذا السيف بالرقة والمضاء. يقول: إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولًا، فرقتها من ذلك النحول.

(٨١٠) عفره: مرغه في التراب. والهزبر: الشديد. والصارم: السيف القاطع. وكان بدر بن عمار — كما أسلفنا — هاج أسدًا عن بقرة قد افترسها فوثب على كفل فرسه وأعجله عن سل السيف فضربه بسوطه، ودار الجيش به فقتله. يقول: إذا كنت تصرع الأسد بالسوط — وهو أشد الحيوان بأسًا — فلمن خبأت سيفك؟

(٨١١) نضدت: جمع بعضها فوق بعض. والهام: الرءوس. والرفاق: جمع رفقه؛ الجماعة في السفر. وتلولا: حال؛ أي مماثلًا للتلول، جمع تل؛ الجبل الصغير. يقول: إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر، فقد عصف بالمسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رءوسهم كالتلول المجتمعة من التراب.

(٨١٢) الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، وكذلك الأسد. والمراد بالبحيرة: بحيرة طبرية. والزئير: صوت الأسد. يقول: إذا زأر في طبرية بلغ زئيره العراق ومصر، وقد جانس بين ورد وورد.

(٨١٣) الغيل: الأجمة — الغابة — واللبدة: الشعر المجتمع على كتف الأسد. يقول: إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلطخ بدمائهم، ثم قال: وهو من غيله من الشجر كأنه في غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما على كتفيه من الشعر وكثرته؛ شبه لبدتيه بالغابة.

(٨١٤) الفريق: الجماعة، وهو أكثر من الفرقة. وحلولا: أي حالين نازلين، حال من «الفريق». وتحت الدجى: في موضع الحال من نائب «ظننتا» يقول: ما استقبلت عين هذا الأسد في الظلام إلا ظننت نارًا أوقدت لجماعة نزلوا موضعًا. وهو معلوم أن عين الأسد

وعين السنور وعين الحية تتراءى في ظلمة الليل بارقة. هذا، وقد قلنا: إن «حلولًا» حال من الفريق، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف، وإن كان قد جاء في شعر العرب القدامى، كقول النابغة الجعدي من قصيدة يصف فرسًا:

كَـأَنَّ حَـوَامِـيَـهُ مُـدْبِـرًا خَضِبْنَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تخضَبِ
حِجَـارَةَ غَـيْل بِرَضْـرَاضَـة كُسِينَ طِلَاءً مِنَ الطُّحْلبِ

(الحوامي: جمع حامية؛ ما عن يمين الحافر وشماله. وتخضب: بدل من «تكن». والغيل: الماء الجاري على وجه الأرض. والرضراضة: الأرض الصلبة. شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة في ماء قليل وذلك أصلب لها. والنون من «كسين» للحجارة. والطلاء: كل ما يطلى به. والطحلب: خضرة تعلو الماء المزمن. ومدبرًا: حال من الهاء في «حواميه» وهو محل الشاهد.)

وكقول زيد الفوارس:

عَوْذٌ وَبُهْثَة حَاشِدُونَ عَلَيْهِم حِلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ

(عوذ وبهثة: اسما رجلين. وحلق الحديد: الدروع. مضاعفًا: حال من «الحديد» وهو الشاهد، وجائز أن يجعل «يتلهب» في موضع الحال، ومضاعفًا: حال من المضمر في «يتلهب» ويتلهب: حال من الحلق، ويتلهب: أي يشعل، استعير للمعان الدرع.)

وقول تأبط شرًّا:

سَلَبْتَ سِلَاحِي بَائِسًا وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبِ

(والشاهد هو مجيء بائسًا حالًا من المضاف إليه، وهو الياء من «سلاحي». وجائز أن يكون حالًا من مفعول «سلبت» المحذوف، والتقدير: سلبتني بائسًا سلاحي.)

(٨١٥) يقول: هو في غيله منفرد انفراد الرهبان في متعبداتهم، غير أنه لا يعرف حرامًا ولا حلالًا. والأسد إذا كان قويًّا هزبرًا لم يسكن معه في غيله من الأسود.

(٨١٦) الثرى ويروى البرى: التراب. والتيه: الزهو والعجب. والآسي: الطبيب، والأسد لعزته في نفسه وقوته لا يسرع المشي؛ لأنه لا يخاف شيئًا، وقد شبهه في لين مشيه بالطبيب الذي يجس العليل — المريض — فإنه يرفق به ولا يعجل.

(٨١٧) العفرة: الشعر المجتمع على قفاه. واليافوخ: الرأس. والإكليل: التاج، يقول: ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليه فيصير ذلك لرأسه كالأكاليل، وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته في أعالي بدنه.

(٨١٨) نفسه: فاعل «تظنه». وزمجر الأسد: ردد زئيره. ومشغولًا: مفعول ثانٍ للظن. وعنها: صلة مشغولاً. يقول: إن نفسه تظنه مشغولًا عنها لكثرة ما يزمجر من شدة غضبه وغيظه. ووقع في بعض الروايات: نفسه — بالنصب — أي يزمجر لنفسه، والرواية الأولى أصح.

(٨١٩) القصر — هنا — ضد التطويل: والمخافة: مصدر مضاف إلى المفعول. والخطا: جمع خطوه، وهي مسافة ما بين القدمين، والكمي: البطل المستتر في سلاحه. والمشكول: المقيد بالشكال. قال الواحدي: وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وفحج (فحج: باعد ما بين رجليه ليبول) وبال. يقول: كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله (الشكال الحبل الذي تشد به قوائم الدابة) فلا يخطو ولا يتحرك خوفًا منه، قال: هذا تفسير الناس لهذا البيت، قال: وقال ابن فورجه: المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هيبة ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقدامًا بإحجام، فكأنه فارس كمي ركب فرسه مشكولًا، فهو يهيجه للإقدام بجرأة، والفرس يحجم عجزًا عما يسومه لمكان شكاله.

(٨٢٠) الفريسة: صيد الأسد، وهو ما يفترسه. يريد البقرة التي هاجه عنها، والبربرة: الصياح، والبربرة — في الأصل — كلام المغضب استعارها لزمجرة الأسد. وخاله: ظنه. والتطفيل: الدخول على الآكلين من غير دعوة. وقال الليث: التطفيل: من كلام أهل العراق، يقولون: هو يتطفل في الأعراس. يقول: لما قصدته ألقى الفريسة وزمجر دونها، يعني ذودًا عنها؛ لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه.

(٨٢١) الخلقان: الطبعان. يريد خلق الأسد وخلق الممدوح، والضمير من «إقدامه» للأسد. يقول: تشابهتما في الجرأة والإقدام وتخالفتما في أن الأسد شحيح بطعامه وأنت جواد باذل له، كما قال البحتري:

شَارَكْتَهُ فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَلته بِالْجُودِ مَحْقُوقًا بِذَاكَ زَعِيمًا

(٨٢٢) يريد بعضويه ما ذكره بعدُ من المتن والساعد، والمتن: جانب الصلب. والأزل: الأرسح — أي القليل لحم العجز والفخذين — وامرأة زلاء: لا عجيزة لها. والسمع الأزل: الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع، وهي صفة لازمة له كما يقال: الضبع العرجاء

والمفتول المندمج الشديد كأنه فتل أي لوى، يقول: إن هذا الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك هذان العضوان.

(٨٢٣) ظامئة الفصوص: يعني فرسًا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة. يقال: خيل ظماء الفصوص. والطمرة: الوثابة. يقول: قربت منه وأنت راكب في سرج فرس بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل.

(٨٢٤) نيالة: فعالة من النيل. والطلبات: جمع طلبة — بفتح فكسر — الحاجة والشيء المطلوب. ومكان لجامها: كناية عن رأسها. وما نيل: نفي. يقول: إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حضرها — جريها — وهي طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام ما نيل رأسها. وقال الخطيب التبريزي: هذه الفرس إذا طلبت عدوًّا أو وحشًا نالته، وهي مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها. وفيه نظر إلى قول زهير:

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنَالُ قَذَالهُ　　وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنَامِلُه

(٨٢٥) السوالف: جمع سالفة، وهي صفحة العنق. واستحضرتها: من الحضر، وهو الركض. والعنان: سير اللجام. يقول: إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد؛ لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها، وقال الواحدي: يجوز أن يكون هذا وصفًا لطول العنق. يعني أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال؛ لأنه على قدر طول عنقها، فيصير العنان كأنه محلول. وقال بعض الشراح: إنما تدير عنقها ورأسها كيف شاءت، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود؛ لأنه لو كان مشدودًا قدر الفارس على ضبطها، قال الواحدي: وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد.

(٨٢٦) الزور: وسط الصدر حيث تلتقي عظامه، عاد إلى وصف الأسد، يقول: ما زال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه في صدره حتى صار عرضه في قلة طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد.

(٨٢٧) يدق: يكسر. والحجار والحجارة والأحجار: جمع حجر، وهو الصخرة. والحضيض: قرار الأرض عند سفح الجبل، وقيل: هو في أسفله. وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج: إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه، وقال عمر عبد العزيز: أجملوا في الطلب، فلو أن رزق أحدكم في عرعرة

جبل أو حضيض أرض لأتاه قبل أن يموت. وعرعرة الجبل: أعلاه. يقول: إنه لغضبه يضرب الأرض بصدره فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ سبيلًا إلى قرارها.

(٨٢٨) ادَّنى: افتعل، من الدنو؛ أي اقترب. يقول: كأن هذا الأسد غرته عينه ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هيبة لك، ولكنه مغرور، ظن الخطب الجليل — وهو مقاتلتك — غير جليل.

(٨٢٩) الأنف والأنفة: الاستنكاف، قال ابن جني: من عادته — أي المتنبي — أن يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسددًا لما هو فيه، كقول الآخر:

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ   أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلِ

فالحوادث جمة: جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله، وهو تسديد لما هو فيه. يقول: إن الكريم يأنف من الدنية فلا يهرب، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل في عينه. قال العكبري: وهذا عذر للأسد. يقول: لم يهرب الأسد وأنفته جعلت في عينه العدد الكثير قليلًا حتى كأنه في عينه قليل. وقال اليازجي يقول: إن أنفة الكريم في أن يعاب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلًا، يشير إلى ثبات الممدوح وإقدامه على الأسد خوفًا من عار الهزيمة.

(٨٣٠) مضاض: مؤلم موجع. والحتف: الهلاك. يقول: إن العار موجع فمن خافه لم يخف الهلاك، وهذا كقولهم: من أنف من الدنية لم يحجم عن المنية. وهذا البيت مثل الذي قبله في الاعتراض كما قال ابن جني.

(٨٣١) المصادمة: مفاعلة من الصدم وهو الصك، والميل من الأرض: قدر منتهى مد النظر، وقيل: مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم، والجمع: أميال وميول، يقول: إنه أعجلك من التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها.

(٨٣٢) خذله: خانه ولم ينصره، وكافحه: استقبله في الحرب بوجهه. والاستنصار: طلب النصرة. والتجديل: مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة، وهي الأرض: أي صرعه. يقول: خانته قوته حين قاتلته؛ أي ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك — الانقياد وترك الخصومة — وانطرح أمامك على الأرض، فكأنه رأى النصر في ذلك، وهذا من التهكم.

(٨٣٣) مغلولًا: أي مقيدًا بالغل، وهو القيد، يقول: إن منيته حانت على يديك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبًا ولا فرارًا، فكأنك لقيته مقيدًا. قال الواحدي: أساء أبو الطيب في هذا حين لم يجعل أثرًا للممدوح ولا غناء في قتل الأسد وقال: كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه، وقد أساء الواحدي في نسبة الإساءة إلى المتنبي؛ لأن المعنى بديع — كما ترى — ولا غبار عليه.

(٨٣٤) الهرولة: الاضطراب في العدو. ومهولا: يريد خائفًا مذعورًا. وأراد بابن عمته: أسدًا كان قد هرب منه بعد ذلك، ولم يرد تحقيق النسب، إنما أراد أسدًا آخر من جنسه. يقول: لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفًا منك.

(٨٣٥) مما فر منه: أي من الهلاك. وكقتله: خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده، يقول: إن فراره من الهلاك، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلًا مثل القتل؛ لأنه إنما سلم بالهرب، والهرب مثل القتل لدى الشجاع، بل أمر به، والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم والعاب، وهذا من قول أبي تمام:

أَلِفُوا الْمَنَايَا فَالْقَتِيلُ لِدَيْهِم   مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ وَهْوَ قَتِيلُ

وله أيضًا:

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ   لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ

(٨٣٦) الخلة: الخليل، يستوي فيه المذكر والمؤنث، وكذلك الواحد والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر قولك: خليل بين الخلة والخلولة. وقال أوفى بن مطر المازني:

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي جَابِرًا   بِأَنَّ خَلِيلَك لَمْ يُقْتَلِ
تَخَطَّأَتِ النَّبلُ أَحْشَاءَهُ   وَأُخِّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ

(تقدم شرحهما.)
ومثله قول الحماسي:

أَلَا أَبْـلِـغَـا خُـلَّـتِـي رَاشِـدًا   وَصِنْوِي قَدِيمًا إِذَا مَا تَصِلُ

(يقول: أبلغا ابن عمي راشدًا صديقي من عهد قديم، إذا وصلت إليه. وبعده:

بِأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيجُ الْجليلَ وَأَنَّ الْعَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَل)

يقول: إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك، وحبب إليه الفرار.

(٨٣٧) يقول: لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولًا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه، وقد أفرط في هذا البيت والذي بعده وتجاوز الحد.

(٨٣٨) يقول: لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل؛ لأن الموجود لا يؤمل: أي فكانوا يستغنون بما نالوا منك، لأنك تعطي فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك. وقد أخذ ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال:

لَمْ يُبْقِ جُودُك لِي شَيْئًا أُؤَمِّله تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

هذا، وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب — وهو تعطيهم الثانية — ضرورة، قال العكبري: وهذا كثير إذا كان في حرفي العلة — الواو والياء — ومثله بيت الكتاب — كتاب سيبويه:

كَأَنَّ أَيْدِيهنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ أَيْدِي جَوَار يَتَعاطَيْنَ الْوَرِق

(يصف إبلًا بسرعة السير، والقرق: المكان المستوي أو الذي لا حجارة فيه.

وجوار: جمع جارية، ويتعاطين: أي يناول بعضهن بعضًا، والورق: الدراهم، وقال الشريف المرتضى في «أماليه»: القرق: الخشن الذي فيه الحصى، وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوارٍ يلعبن بدراهم، وخص الجواري — الوليدات — لأنهن أخف يدًا من النساء، وقال آخرون: القرق هنا: المستوى من الأرض الواسع، وإنما خص بالوصف؛ لأن أيدي الإبل إذا أسرعت في المستوي فهو أحمد لها وإذا أبطأت في غيره فهو أجهد لها، والبيتان قال ابن رشيق: إنهما لرؤبة بن العجاج، قال البغدادي: ولم أرهما في ديوانه.)

(٨٣٩) حقيقة: منصوبة على التمييز. وخمولا: مفعول لأجله. وحقيقة الشيء: ما ثبت من أمره. والخامل: الساقط الذي لا نباهة له ولا شهرة. يقول: إن الناس عرفوك

بما ظهر من سخائك وجودك، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك؛ لأنهم لا يبلغون كنه قدرك، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك، فليس جهلهم إياك لأنك خامل الذكر.

(٨٤٠) السؤدد: السيادة والرفعة. وتجشمت الأمر: تكلفته على مشقة. يقول: قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلًا عن العاقل؛ فالحمام إذا غنت فإنما تنطق بسيادتك، والخيل إذا صهلت فإنما تنطق بغزواتك التي تكلفها إياها، والبيت تتميم وتأكيد للبيت السابق.

(٨٤١) نافذًا وفحولا: منصوبان بما على أنها حجازية. والنفاذ: جواز الشيء والخلوص ومنه، نفذ ينفذ نفاذًا ونفوذًا، ورجل نافذ في أمره ونفوذ ونفاذ: ماضٍ في جميع أمره، وأمره نافذ: أي مطاع، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذًا ونفاذًا: خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذًا ونفوذًا. يقول: ليس كل من رام الرفعة والمعالي ببالغها، ولا كل الرجال بأبطال شجعان، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده.

(٨٤٢) عداني: منعني. واعتلالي: فاعل عداني. وأراك بها: أي أراك وهي عليك ومعك، كما يقول: خرج بثيابه. وإنما قال هذا: لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها؛ لأنه كان ذلك اليوم الذي لبس فيه الخلعة عليلًا.

(٨٤٣) يقول: افرض أنك طويتها ولم تلبسها، أتقدر أن تزيل جمالك؟ يعني أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه، فإذا طوى ثيابه بقي عليه من الجمال ما لا يطوى ولا يزول.

(٨٤٤) يصفه حين كانت الخلع عليه، يريد بأعالي الثياب: ما ظهر منها للأعين. يقول: أقامت أعالي ثيابك تحسد الذي يلي جسمك منها؛ لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله، فبينهما قتال لذلك.

(٨٤٥) فيها: أي في الحلل؛ أي إن العيون تنظر إليك نظر المحبة والسرور وأنت في هذه الحلل كأنك في قلوب أصحاب العيون، وهي لباس عليك، مكان تلك الحلل. وقال ابن جني: قوله كأن عليك ... إلخ: أي فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده. وقال ابن فورجه: يعني استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان. وقال غيرهما: أي يديمون النظر إليك، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعيون إنما تنظر إليك؛ لأن القلوب تحبك — كما قال ابن جني — أو تستحسن الخلع — كما قال ابن فورجه.

(٨٤٦) يقول: فضائلك لا تحصى وإن قلت: إني أحصيها فكأني أقول: إنني أحصي الرمل، وهذا ما لا تقبله العقول؛ لأنه محال.

(٨٤٧) الضمير في «بها»: للخلع. وفي «به»: للكلام. يقول: إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال في نفسها، كما أن كلامي لا يزال ناقصًا إذ لم يستوفِ فضلك، وإنما تبلغ نهاية الكمال في الحسن بلبسك إياها؛ لأنها تتجمل بك.

(٨٤٨) العذل: الملام، وكفيته الأمر: أغنيته عنه، وأول مفعولي كفت محذوف أي كفتني. يقول: من لامني على شرب الخمر لامته منادمتي للأمير؛ لأن منادمته شرف، وليس للعاذل أن يعذل على ما يورث الشرف، وأغنتني جواب سائل يسأل فيقول: لم تشرب الخمر. هذا، ويقال: نادم فلانًا منادمة ونداما: جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه، قال النعمان بن نضلة العدوي — ويقال للنعمان بن عدي — وكان عمر قد استعمله على ميسان:

فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ تَنَادُمُنَا فِي الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

وجمع النديم: ندام وندماء، وجمع الندمان: ندامى. والمرأة ندمانة، والنسوة ندامى. ويقال: المنادمة مقلوبة من المدامنة؛ لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه، لأن القلب في كلامهم كثير كالقسي من القووس، وجذب وجبذ وما أطيبه وأيطبه، وخنز اللحم وخزن.

(٨٤٩) الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصدر. والاصطناع: المعروف والإحسان. يقول: أرواني سحاب جودك، أي أغناني جودك، فحملت شكرك على هذا الإحسان، وإحسانك حملني — لأنه كفاني المؤنة — وتحمل أثقالي.

(٨٥٠) أوليتني: أعطيتني، ويعني بالقائل: نفسه. ومتى: سؤال عن الزمان، كأنه قال — منكرًا — أي زمان أقوم بشكر ما أعطيتني؟ أي لا أقوم به؛ لأني كلما أثنيت عليك وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة، وهو أن ذلك يكسبني علوًّا ورفعة: أي أن شكريك يرفع قدري.

(٨٥١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى، ثم رآه أبو الطيب يشرب. فقال ارتجالًا:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي ندمَاؤُهُ

إلى أن قال:

وَالصِّدْقُ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ فَقُلْ لَنَا　　أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ؟!

(انظر قافية الكاف.)

فقال بدر: بل من تركه، فقال أبو الطيب هذه الأبيات. يقول: إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر.

(٨٥٢) يقول: إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل في جانب دولته لاقتضائها الزيادة على ما فعل.

(٨٥٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثاني. قال ابن جني: أي إن يمينه تسح العطاء، وشماله الدماء. قال ابن فورجه: الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين في كل شيء، وإنما يكون عمل الشمال كالمعاونة لليمين، وإنما يريد أن يديه جميعًا كالسحابتين عطاء وسح دماء.

(٨٥٤) يقول: إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم؛ لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالًا له، فالباعث له على قتلهم هو الجود، وهذا كقوله:

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ　　يَتَّقِي إِخْلافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء.

قال ابن جني: أبلغ من هذا في المدح أنه ينحر ويذبح ليأكل الطير مما يجده من اللحم، فكأنه سفك الدماء بجوده لا ببأسه.

(٨٥٥) قال ابن جني: لو قال: دون زواله لكان أحسن، وكان مثل قول الآخر:

بِقَلْبِي غَرَامٌ لَسْتُ أَبْلُغُ وَصْفَهُ　　عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهْوَ شَدِيدُ
تَمُرُّ بِهِ الْأَيَّامُ تَسحبُ ذَيْلَهَا　　فَتبْلَى بِه الْأَيَّامُ وَهْوَ جَدِيدُ

قال: وله أن يحتج عنه فيقال: إن الأيام بعض الدهر، وليست هذه الأيام جميعه. وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء المحب،

فقال: إن الغرام باقٍ بقلبي فإذا ما زال زال معه الذكر، وقول أبي الطيب: بقي الذكر له إنما يصح ببقاء الناس، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر.

(٨٥٦) أبت: رجعت. وعفت: كرهت. يقول: لم أطول في جلوسي عنده؛ لأني رجعت وقد قضيت حاجتي.

(٨٥٧) أقفرت: خلوت ورحل عنك أهلوك. وأواهل: عامرة ذوات أهل. يقول: إنك قد أقفرت من أهلك، أما القلوب فما برحت آهلة بك؛ لأن مثالك لا يزايلها. وعبارة الواحدي: لم تدرس منازلك في القلوب وإن أقفرت أنت، يعني تجدد ذكرها في قلبه، وهذا من قول أبي تمام:

وَقَفْتُ وَأَحْشَائِي مَنَازِلُ لِلْأَسَى   بِهِ وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ

ومثله للبحتري:

عَفَتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَتْ أَحْشَاؤُهُ

وقال ابن المعتز:

بُؤسًا لِدَهْرٍ غَيَّرَتْكَ صُرُوفُهُ   لَمْ يَمْحُ مِنْ قَلْبِي الْهَوَى وَمَحَاكَا

قال ابن جني: بيت المتنبي أجمع من بيت أبي تمام؛ لأنه ذكر منازل الحزن فخص، والمتنبي ذكر المنازل فعم، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى في كلمتين.

(٨٥٨) قوله: ببكى عليه، يروى: يبكى عليه، أي أولاكما بأن يُبكى عليه. فحذف الجار ثم حذف «أن»، وأولاكما: أي أحقكما، مبتدأ، خبره: العاقل. وذاك: خطاب للمنازل. يقول: إن القلوب التي هي منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا وتركوها خالية، أما الديار فلا تعلم ذلك والذي يعلم — وهو القلوب — هو الأولى بأن يُبكى عليه لعلمه بما ألم به. وعبارة الواحدي: إن منازلك التي في القلب تعلم إقفارك وخلوك من الأحبة وأنت لا تعلمين، والأحق منكما بالبكاء عليه هو العاقل، يعني القلب، أي أن قلبي أحق بأن يُبكى عليه منك؛ لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك، أما هو فعليم به. وقال ابن جني: أي إن منازل الحزن بقلبي تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت تجهلين ذلك.

(٨٥٩) اجتلب: افتعل من الجلب، والمنية: الموت، والطرف: النظر. قال اللغويون: الطرف اسم جامع للبصر، لا يثنى ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر فيكون واحدًا، ويكون جماعة، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾. يقول: إن طرفي هو الذي جلب المنية إليَّ بالنظر، فمن أطالب بدمي وأنا الذي قتلت نفسي؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِكَفَّيَّ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ

(قبله:

وَإِنِّي لَمفنٍ دَمْعَ عَيْنِي بِالْبُكَا حِذَارًا لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا: غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بِلَيْلَةٍ فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبِنْ وَهوَ بَائِنُ

وفي الأغاني:

بِكَفَّيكَ إِلَّا أَنَّ مَنْ حَانَ حَائِن

«والحائن الهالك».)
ويقول دعبل:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

(٨٦٠) الضمير في «وعنده» للذي اجتلب — في البيت السابق — يعني نفسه. والظباء: أي الحبائب المشبهات بالغزلان. والتابعة: التي تتبع أمها في المرعى. أراد: الصغيرة السن من الظباء. وظبية خاذل وخذول: وهي التي تتخلف في المرعى عن صواحبها. يقول: تخلو الديار من حسانها، وتفارقها وخيال من أهواه لا يفارقني. وقال الواحدي: تخلو الديار من النساء الحسان وعندي من كل صغيرة منهن خيال يأتيني كأنه تأخر عنهن.

(٨٦١) اللاء: أي اللواتي، نعت للظباء، أو بدل «من كل تابعة». وأفتكها: مبتدأ، والجبان: خبره. وبمهجتي: صلة «أفتكها». وكان الوجه تقديم «بمهجتي» على «الجبان»

ولكنها الضرورة. وقال الخطيب التبريزي: الباء من قوله: «بمهجتي» متصلة في المعنى بأفتكها، إلا أنه لا يمكن تعلقها به؛ لأنه قد أخبر عنه بقوله: الجبان، ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتكت بمهجتي. ويريد بالجبان: النافرة من الرجال؛ لأنها تخافهم. يقول: إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هي النفور التي أنا مغرم بها، والبخيلة منهن بالوصل هي أحبهن إليَّ قربًا.

(٨٦٢) الراميات: أي هن الراميات، ولك أن تجرها على التبعية، ومثلها الخاتلات. والختل: أخذ الصيد من حيث لا يدري. يقول: ترميننا بسهام لحاظهن وهن عنا نافرات غير مقبلات علينا، وكذلك يختلننا — يصددننا — بحسنهن غير عالمات بذلك.

(٨٦٣) المها: بقر الوحش، تشبه الحسان بها لحسن عيونها. والحبائل: جمع حبالة؛ الشرَك ينصب للصيد، يقول: هؤلاء يشبهن بقر الوحش في سواد حدقهن وسعة عيونهن ونحن نصيد بقر الوحش، فجازيننا عنهن وأخذن بثأرهن في صيدنا شبههن فصدننا بحبائل نصبنها في غير التراب، يعني بأعينهن.

(٨٦٤) الثغر: جمع ثغرة، وهي نقرة النحر التي بين الترقوتين، والجآذر، جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية. والمراد بالجآذر: النساء. والدمالج: جمع دملج وهو حلي يلبس في العضد. والخلاخل: جمع خلخل، لغة في خلخال. وجآذر وخلاخل: مبتدآن، خبرهما: الجار والمجرور قبلهما. يقول: إنهن يفعلن بحسنهن ما يفعل الطاعن بالرمح: أي يقتلن بهواهن، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح. وعبارة ابن جني والواحدي: نساء مثل الجآذر بحليهن يفعل ما يفعل الطاعن بالرمح، كما قال الآخر:

هَلْ يَغْلِبَنِّي وَاحِدٌ أُقَاتِلهْ   رِيمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سَلَاسِلُه
سِلَاحُهُ يَوْمَ الْوَغَى مَكَاحِلُه؟

وقال صريع الغواني:

بَارَزْتُهُ وَسِلَاحُهُ خَلْخَالُه   حَتَّى فَضضت بِكَفِّي الْخَلْخَالَا

(٨٦٥) يقول: إنما سميت أغطية العيون جفونا؛ لأنها تتضمن أحداقًا تعمل ما تعمله السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف، وهو الجفن. ومن أنها: بيان لذا، والضمير من قوله: أنها للعيون. وعمل: مفعول مطلق. وعوامل: خبر أن.

(٨٦٦) سجرتك: ملأتك، ومنه: «والبحر المسجور»، ويجوز أن تكون بمعنى ألهبتك. ويروى: شجرتك: أي حبستك عن الكلام، ويقال: ما شجرك عنه: أي ما صرفك من قولهم: شجرتك الدابة؛ إذا أصبت شجرها — والشجر ما بين اللحيين — باللجام لتكفها. ويروى: سحرتك؛ أي جعلتك مسحورًا بالشوق أو أنها أصابت سحرك: أي رئتك. وغري به: أولع. واللجاج: التمادي في المماحكة. يقول — مخاطبًا نفسه: كم وقفة لك مع الحبيبة تركتك على هذه الحال؟ وتمام الكلام في البيت التالي.

(٨٦٧) ناحلين: حال محذوف بعد وقفة: أي كم وقفة وقفناها ناحلين! والشاكل: الذي يشكل الكتاب؛ أي بعجمه. يقول: كم وقفنا ناحلين دون التعانق؟ أي دنا بعضنا من بعض ولم نتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق. ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتي نصب — أي فتحتين — قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى، وهذا منقول من قول الآخر:

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تُعَانِقُنِي　　كَمَا تُعَانِقُ لامُ الْكَاتِبِ الْأَلِفَا

ومثله لأبي إسحق الفارسي:

ضَمَمْتُهَا ضَمَّةً عُدنا بِهَا جَسَدًا　　فَلَوْ رَأَتْنَا عُيُونٌ مَا خَشِينَاهَا

(٨٦٨) يقول: تمتع بالنعمة واللذة ما بقي لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول. [يعني] أنه يفنى ولا يبقى.

(٨٦٩) الأرب: الحاجة. وروق الشباب وريقه: أوله وأفضله. وقوله: ما دمت: فما مصدريه زمانية، والظرف المتأول منها صلة «انعم». يقول: انعم ولذ ما دام للحسان أرب فيك: يعني ما دمت شابًّا، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى.

(٨٧٠) آونة: جمع أوان كزمان وأزمنة. والقبل: جمع قبلة. يقول: للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلًا. فهي لذيذة ولكنها وشيكة الانقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور.

(٨٧١) جمح الفرس: غلب فارسه، وجمح الرجل: ركب هواه فلا يمكن رده. قال الشاعر:

خَلَعْتُ عِذَارِي جَامِحًا لَا يَردُّنِي عَنِ الْبِيضِ أَمْثَالِ الدُّمَى زَجْرُ زَاجِرِ

وجمحت المرأة تجمح جماحًا من زوجها: خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها، ومثله: طمحت طماحًا، قال:

إِذَا رَأَتْنِي ذَاتُ ضِغْنٍ حَنَّت وَجَمَحَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنَّت

وجمح إليه: أسرع، وقوله تعالى: ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ قال الزجاج: أي يسرعون إسراعًا لا يرد وجوههم شيء. ومن هذا قيل: فرس جموح، قال الأزهري: فرس جموح له معنيان؛ أحدهما: يوضع موضع العيب؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راكبه، وهذا من الجماح الذي يرد منه بالعيب. والمعنى الثاني: أن يكون سريعًا نشيطًا مرحًا، وليس هذا بعيب يرد منه، ومصدره الجموح. و«ما» من قوله: «مما يشوب» نكرة موصوفة بمعنى شيء. ويشوب: يخلط. وأبو الفضل: كنية الممدوح. والمنى: جمع منية؛ ما نتمناه. والهائل: المهوب المخوف. يقول: جمح الزمان — أي قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذًى يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منى كل أحد، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب، فلم تخلص هذه المنية من شائب ينغصها، قال ابن جني: هذا خروج — مخلص — ما روي أغرب منه.

(٨٧٢) ممطورة: خبر مقدم عن طرقي. وإليها: صلة طرقي. ودونها: خبر مقدم عن وابل. والفج: الطريق الواسع بين جبلين. والوابل: المطر الغزير. يقول: إن طرقي إلى رؤية الممدوح ممطورة بآثار إحسانه، يعني أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه، ودون الوصول إلى رؤيته — أي بيني وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج، فالضمير في «بها، ودونها» لرؤيته، ورُوي: «إليه ودونه»، والضمير: للممدوح.

(٨٧٣) الأزمة: جمع زمام؛ ما تقاد به الدابة، وذوامل: مسرعات. يقول: إن رؤيته محجوبة بما يغشاها من المهابة التي ترد الأبصار عن النظر إليه، حتى لو أن مطيًّا أسرعت في سيرها واعترضتها هذه الهيبة لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقًا من الإقدام. قال الواحدي: وهذا إلى الهجاء أقرب منه إلى المدح. وقد عدل ابن جني عن ظاهر الكلام فقال: كأن على الطرق إليه سرادقًا يمنع من العدول عنه إلى غيره، والناس أبدًا ينحون نحوه. هذا، والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشيء، نحو الشقة

في المضرب. أو الحائط المشتمل على شيء، أو الخباء. قال في الصحاح: السرادق الذي يمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسف — أي قطن — فهو سرادق. قال رؤبة:

يَا حَكَمُ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودْ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ الْمَحْمُودْ
سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ

وقال سلامة بن جندل، يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر:

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ صُدُورُ الْفيولِ بَعْدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ

(٨٧٤) الشمائل: الخلائق والطبائع؛ جمع شمال. يقول: فيه إضاءة الشمس ومنفعتها وبهاؤها وجود السحاب والبحار وبأس الأسود، وتصرف الرياح في أحياء البلاد وسوق الأمطار؛ يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه في العطاء.

(٨٧٥) ملعقيان يريد من العقيان، حذف النون لالتقاء الساكنين، وخصت النون بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالغنة. ومثله: ملحياة وملممات. والعقيان: الذهب، والمناهل: الموارد. يقول: إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء. ومن الحياة: أي لأوليائه. ومن الممات: أي لأعدائه، وقد زاد على أبي تمام في قوله:

تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

لأنه ذكر الموت والحياة.

(٨٧٦) اللجب: الضجيج. والوفود: الذين يفدون عليه يطلبون العطاء. وحواله: كحوله وحواليه. والقطا: الطائر المعروف. والفلاة: الصحراء. والناهل: الوارد على منهل الماء. قال ابن جني: يعني لو لم يخفِ القطا أصوات الوفود ببابه لسرى إليه ليشرب منه. وقال ابن فورجه: يعني أن القطا يراه ماء معينًا فيَهمُّ بوروده ويشفق من لجب وفوده على عادة الطير. قال الواحدي بعد أن ساق كلامهما: المعنى أنه لعموم نفعه تهم الطير بالورود عليه لتنقع غلتها، ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما ذكر الشيخان.

(٨٧٧) أراد قبل «أن» في الموضعين فحذف «أن» فارتفع الفعل. ومن ذهنه: صلة يدري. يقول: هو — لذكائه وحدة ذهنه — يدري ما تطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل.

(٨٧٨) أحداقنا: فاعل تراه. ومعترضًا: حال. يقول: تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى. يعني أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوفِ النظر إليه من الهيبة، وإنما تراه في حال اعتراضه وتوليه لانحرافه عنها حينئذٍ.

(٨٧٩) القضب: جمع قضيب، وهو السيف. وفواصل: قواطع. والضرائب: جمع ضريبة، وهي المضروب بالسيف. والمفاصل: جمع مفصل؛ ملتقى العظمين. يقول: كلماته سيوف قواطع أينما أصابت فصلت، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل: يعني أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل.

(٨٨٠) القنابل: جمع قنبلة؛ الطائفة من الخيل: أي الجماعة من الجيش. يقول: إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش. يعني أنه يغلب كل جيش، كذلك مكارمه غلبت أيضًا مكارم غيره. وقنابل: يروى قبائل.

(٨٨١) يقال للداهية: أم دفر. وأم الدهيم. والدفر — في الأصل — النتن، ثم سميت به الداهية لخبثها، ومن هنا يقال للدنيا: أم دفر. والدهيم — في الأصل — اسم ناقة كانت لعمرو بن الريان بن الذهلي، خرج بنوه في طلب إبل لهم، فلقيهم كثيف بن زهير فضرب أعناقهم، ثم حمل رءوسهم في جوالق وعلقه في عنق الدهيم هذه، ثم خلاها في الإبل فراحت على أبيهم عمرو، فقال لما رأى الجوالق: أظن بني صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها في الجوالق، فإذا رأس، فلما رآه قال: آخر البز على القلوص. فذهبت مثلًا، فقيل: أشأم من الدهيم، وأطلقت على الداهية. والهابل: الثاكل، وهي التي فقدت ولدها. يريد أن يقول: إن مكارمه أفنت الدواهي والشدائد حتى فقدت فكأن أمها صارت ثاكلًا، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد؛ لأن مكارمه عصفت بها. هذا، وقد اضطربت كلمة الشراح في إعراب البيت، ولعل الأوجه أن يقال: إن أم الدهيم نائب فاعل «ترى» أي أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك، ثم ابتدأ وقال: وأم دفر هابل. وقال ابن جني: فما ترى أراد فما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين، وقال: صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم: ابتداء، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم، وتقديره: أم الدهيم هابل، وأم دفر كذلك. ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد، كما قال الآخر:

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَل؟

(زحلوقة زل: أي زلق. وزحلوقة بالقاف، تروى: زحلوفة بالفاء، وهما لغتان، وهي آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل.)

فلم يقل تنهلان لاكتفائه بأحد الضميرين.

(٨٨٢) اللج: معظم الماء. يقول: هو علامة العلماء الذي يرجعون إليه في مسائلهم، وهو في جوده لج ليس له منتهى، وكل لج له منتهى ينتهي إليه إلا هذا.

(٨٨٣) مثله: نعت لمصدر محذوف: أي طيبًا مثل طيب مولده وطهارته. والقوابل: جمع قابلة، وهي التي تشارف المرأة عند الولادة. يقول: إنه خرج من بطن أمه طيبًا طاهرًا، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوابل في تلك الحال.

(٨٨٤) الجنين: الولد في بطن أمه. وبيانه: مفعول مطلق: أي كبيانه. وضمير «به»: للجنين، والحامل: فاعل درت. وقوله: ذكر أم أنثى: أراد أذكر هو أم أنثى فحذف همزة الاستفهام لدلالة «أم» عليها ووصل همزة «أنثى» بعد نقل حركتها إلى الميم. يقول: لو بان الجنين بيانه بالكرم — أي كما بان كرمه حين كان جنينًا — لما التبس على الحامل الذكر بالأنثى: يعني أنه حين كان جنينًا كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود كريم، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى.

(٨٨٥) المشاعل: جمع مشعل، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به في الأسفار وغيرها. قال الواحدي: يأمرهم أن يزيدوا تواضعًا، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع. وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل في الظلام، فإنها لا تخفى، ومتى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر، كذلك متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر. وقال التبريزي: كان لهذا الممدوح نسب في ولد الحسن بن علي عليهما السلام، فأمرهم بالتواضع؛ لأنهم كلما ازدادوا في التواضع ظهر شرفهم، وإن أخفوا نسبهم لا ينكتم، كما أن المشاعل لا تنكتم في الظلام.

(٨٨٦) السفاد: نزو الذكر على الأنثى. والرباب: غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه. يقول: إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده. ثم ذلك لا ينكتم، كما لا يخفى السحاب الهاطل.

(٨٨٧) جفخت: فخرت وتكبرت. وشيم: فاعل جفخت. وبهم: متعلق بجفخت، وجملة: وهم لا يجفخون بها: معترضة. والشيم: جمع شيمة، وهي الخلق والطبيعة. والحسب: ما يعد من مآثر الآباء. والأغر: السيد الكريم، يقول: إن لهم شيمًا كريمة تدل على ما لهم من الحسب الشريف، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لبعدهم عن الزهو والخيلاء.

(٨٨٨) متشابهي: كأنه منصوب على الحال من ضمير «يجفخون». والورع: التقوى. وعف الإزار وعفيفه: متنزه عن الفحشاء. والحلاحل: السيد العظيم. يقول: هم سواء في التقوى والورع، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة.

(٨٨٩) يا افخر: يريد: يا هذا افخر، فحذف المنادى. ويجوز أن تكون «يا» للتنبيه كقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ كأنه قال: «ألا اسجدوا» وكقول ذي الرمة:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًّا بِجرعائِكِ الْقَطْرُ

ويروى: فافخر، ثم قال: إن الناس فيك ثلاثة أقسام: إما مستعظم يستعظمك؛ لما يرى من عظمتك، أو حاسد يحسدك على فضلك، أو جاهل يجهل قدرك.

(٨٩٠) يقول: بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكترث لذم الحاسد؛ لأنه لا ينقص من قدرك، ولا لحمد الحامد؛ لأنه لا يزيدك علوًّا. فقوله: بعد ما عرفوا: أي بعد الذي عرفوه — فالضمير للناس، والعائد إلى «ما» محذوف.

(٨٩١) النائل: العطاء. يقول: إمساكك عن إسكاتي نائل منك عندي بعدما عرفت تقصيري. وبعبارة أخرى: إني قصرت في الثناء عليك، فكان حقك أن تؤاخذني بهذا التقصير، ولكنك أمسكت عني تكرمًا وتفضلًا فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزه لكفاني.

(٨٩٢) تنشد: أي أن تنشد، فحذف «أن» فرفع الفعل، والهزبر: الأسد. والباسل: الشديد. يقول: لهيبتك وعلمك بالشعر وتمييزك جيده من رديئه لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك، ولكني — لجودة شعري واقتداري — أجرؤ على ذلك. قال الواحدي: وقول أبي نصر بن نباتة في هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول:

وَيلمهَا عِنْدَ السُّرَادِقِ هَيْبَةً لَوْ سَابَقَتْ قَضَبَ الْعِظَام فَضَائِلِي
نَفَضَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ مَحَبَّةً قَامَتْ بِضَبْعِي فِي الْمقَامِ الْهَائِلِ

(٨٩٣) بابل: هي المدينة المشهورة، وإليها ينسب السحر، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها — كما جاء في القرآن الكريم — يقول: ما نال شعراء الجاهلية جميعًا شعري ولا سمع أهل بابل بمثل سحري في الشعر.

(٨٩٤) يقول: إذا ذمني ناقص كان ذمه دليل كمالي وفضلي؛ لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل، لما بينهما من التفاضل، قال أبو تمام:

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ فَضْلُ ابْنِ يُوسُفٍ وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُولَع

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حفصة:

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

وأصل هذا المعنى من قول الطرماح:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
وأني شقي باللئام ولا ترى شقيًّا بهم إلا كريم الشمائل

(٨٩٥) أهيل: تصغير أهل، صغره تحقيرًا لهم. وفاعل يدعي: يعود على أهيل؛ لأن لفظ «أهل» واحد. ولك أن تقول: إن فاعل يدعي: باقل. وباقل: رجل من العرب كان يوصف بالعي، وفيه جرى المثل: أعيا من باقل، يقال: إنه كان اشترى ظبيًا بأحد عشر درهمًا، فقيل له: بكم اشتريته؟ فعيي عن الجواب بلسانه، ففتح يديه، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه، يريد أحد عشر درهمًا — فأفلت الظبي. يقول: من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن «باقلًا» يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب؟ يعني أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم، ولا الناقص من الفاضل. أو تقول: من لي بأهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى «باقل» بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه؟ قال ابن جني ناقدًا: «وباقل» هذا لم يؤتَ من سوء حسابه، وإنما أُتي من سوء عبارته، فلو هو قال أن يفحم الخطباء فيهم «باقلا» أو نحو هذا لكان أسوغ. قال الواحدي — ردًّا عليه: وليس كما قال؛ فإن «باقل» كما أُتي من البيان أُتي من البنان فإنه لو بنى من سبابته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي، فصح قول أبي الطيب في نسبته إلى جهل الحساب.

(٨٩٦) مقسم: يروى بكسر السين — على أنه اسم فاعل — وبفتحها — على أنه مصدر ميمي بمعنى القسم.

(٨٩٧) تقدير البيت: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت، فالطيب: مبتدأ، وأنت: مبتدأ ثانٍ، وطيبه: خبر أنت. والجملة: خبر الطيب. ومثله الشطر الثاني. وروى ابن جني: والماءً أنت — بنصب الماء — قال: وتقديره وتغسل أنت الماء، دل على هذا المضمر قوله: الغاسل. يقول: إذا أصابك الطيب فأنت طيب له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له. يعني أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء كما قال الآخر:

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيبا أَن تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا؟!

(٨٩٨) النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ — يقال: فلان حسن النثا وقبيح النثا، ومنه نثا الحديث والخبر نثوًا: حدث به وأظهره وأشاعه. ويروى: ثناك. يقول: ما دار اللسان في الحنك وما قلبت أنامل قلمًا بأحسن من أخبارك، كأنه يقول: ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك.

(٨٩٩) يقول: أماتكم الجهل قبل أن تموتوا؛ أي أنتم موتى من جهلكم وإن كنتم أحياء، وليس لكم وزن ولا قدر، ولخفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم، والسفيه الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن، كما أن الحليم الرزين يوصف بثقل الوزن.

(٩٠٠) وليد: تصغير ولد، وهو يقع على الواحد والجماعة، الذكور والإناث والمراد هنا الجماعة وهو منصوب؛ لأنه نداء مضاف. والكلب: نعت أبي الطيب. والدعوى، الادعاء في النسب، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه. يقول: يا أولاد هذا الرجل الخسيس أنتم لا عقل لكم تعقلون به شيئًا، فكيف فطنتم للانتساب إلى من لستم منه في شيء؟ أي إلى غير أبيكم.

(٩٠١) المنجنيق: آلة تُرمى بها الحجارة. قال صاحب «اللسان»: المنجنيق — بفتح الميم وكسرها — والمنجنوق: دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جي نيك: أي ما أجودني، وهي مؤنثة، قال زفر بن الحارث:

لَقَدْ تَرَكَتْنِي مَنْجِنِيقُ ابْن بَحْدل أَحيدُ عَنِ الْعُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ

وتقديرها: منفعيل، لقولهم: كنا نجنق مرة ونرشق أخرى. قال الفراء: والجمع: منجنيقات، وقال سيبويه: هي فنعليل، الميم من نفس الكلمة أصلية؛ لقولهم في الجمع:

مجانيق وفي التصغير: مجينيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم، وهذا لا يكون في الأسماء ولا الصفات التي ليست على الأفعال المزيدة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيًّا، والزيادات لا تلحق ببنات الأربعة أولًا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان، لقولهم: جنق يجنق؛ إذا رمى، والمتنبي يريد بالمنجنيق هنا: هجاءه. ورفع «أصل» على إعمال «لا» عمل «ليس»، على حد قول الحماسي:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَراحُ

(من أبيات لسعد بن مالك تراها في الحماسة، وقد تقدم شرحها وأولها:

يَـا يُـؤْسَ لِـلْـحَـرْبِ الَّـتِـي وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاحُوا)

يقول: لو ضربتكم بهجائي وأصلكم قوي لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف؟

(٩٠٢) يقول: لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب؛ أي فقد ظهرت دعواكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون. يهجو قومًا يزعمون أنهم شرفاء.

(٩٠٣) قال الليث: الفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه، وقال ابن الأعرابي: الفعال فعل الواحد خاصة في الخير والشر، يقال: فلان كريم الفعال وفلان لئيم الفعال، قال: والفعال — بكسر الفاء — إذا كان الفعل بين الاثنين.

(٩٠٤) البخور — بفتح الباء — قال البكري: والعامة تضمها، وقلت — ها هنا — بمعنى أشرت، ويقال: قال بكمه: أي أشار، وقال برأسه نعم: أي أشار. والنوال: العطاء. يقول: إن أشرت في هذا البخور أن يساق إليَّ سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء.

(٩٠٥) كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية مر به وهو في طرابلس — وكان محافظًا على الطريق — فسأله أن يمدحه فلم يفعل، فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام، فلما فارقه هجاه بالقصيدة التي مطلعها:

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ   عَرضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

وستمر بك في قافية الميم، وهي من عيون قصائده.

(٩٠٦) يجوب الأرض: يقطعها. والحزن: الغليظ من الأرض. يقول: أتاني وعيده من مسافة بعيدة.

(٩٠٧) صفراء: اسم أمه، وقيل: صفراء: كناية عن الاست، والعرب تسب بنسبة الرجل إلى الاست، كما قال:

بِأَنَّ بَنِي استِهَا نَذَرُوا دَمِي

يقول: إنه على البعد يوعدني، ولو لم يحل بيني وبينه إلا رمحي لكان ما بيني وبينه طويلًا بعيدًا؛ لأنه لا يتمكن من الوصول إليَّ ولا يستطيع الإقدام عليَّ لجبنه.

(٩٠٨) يقول: إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكترث له، وقصاراه إذا مسه الهوان أن يبكي، ولا يلجأ في الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة.

(٩٠٩) يقول: إن عرضه ليس جميلًا حتى يستحق أن يصان؛ لأنه إنما يصان الجميل، وعرضه لا يجمل أن يجمل.

(٩١٠) يقول: هو كاذب في دعواه أني أذللته بهجائي، فهو ذليل حقير من قبل هجائي إياه، فقوله: ما أذللته بهجائه: كلام مستأنف، و«ما»: نافية.

(٩١١) الربع: المنزل. والطلل: ما شخص من آثار الديار. جعل كون الأحبة في الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلًا؛ لأن الأمكنة إنما تحيا بالعمارة والسكان، فإذا خلت من العمار فهي ميتة، وفي الحديث: «من أحيا مواتًا فهو أحق به.» الموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، وإحياؤها: مباشرة عمارتها. يقول: رحلتم فخرب ربعكم وعفا طللكم، ولكنهما ليسا أول حي قتل من جراء فراقكم، ثم بين ذلك فيما يلي. هذا، وحسب الشيء يحسب: أي ظنه، بفتح السين وكسرها، في المضارع، قال في التهذيب: والكسر أجود اللغتين، وقال الجوهري: ويقال أحسبه — بالكسر — وهو شاذ؛ لأن كل فعل كان ماضيه مكسورًا فإن مستقبله يأتي مفتوح العين، — نحو علم يعلم — إلا أربعة أحرف جاءت نوادر: حسِب يحسِب. ويبس ييبس ويئس ييئس، ونعم ينعم، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح، ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعًا

بالكسر: ومق يمق، ووفق يفق، ووثق يثق، وورع يرع، وورم يرم، وورث يرث، ووري الزند يري، وولي يلي.

(٩١٢) العذلة: جمع عاذل. يقول: قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسببكم أو بهواكم أو بفراقكم، وأكثر العاذلون — اللائمون — عذلهم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم.

(٩١٣) الصرم: الجماعة من البيوت بمن فيها، وجمعه أصرام. والمروح: الذي يروح إبله من المرعى. يقول: إن الربع موحش خالٍ وإن كان فيه ناس ونعم لارتحال أحبابنا عنه؛ يعني أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد في حقي كالخالي الموحش لي، فكأنه قفر لا أحد فيه، وإن كان عامرًا بأهليه.

(٩١٤) الضمير في «برجه»: للحبيب. ورضي: بمعنى اختار وأحب، فلذلك عداه بغير حرف الجر. يقول: لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذي كان فيه أن تحله الشمس بدلًا منه؛ لأنها لا تغني غناءه، إذ لا تعادله في المحاسن.

(٩١٥) لك أن تجعل «والهوى» عطفًا على الضمير المنصوب في قوله: «أحبه» فيكون من قبيل قوله:

وَإِنِّي لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحولِي وَكُلَّ فَتًى نَاحِلِ

ولك أن تجعله قسمًا، كقول البحتري:

أَمَا وَهَواكِ حِلفَةَ ذِي اجْتِهَادِ

والأدؤر: جمع دار. والصبابة: رقة الشوق. والوله: ذهاب العقل. أي أحبه وأحب كل ما يرتبط به، ثم قال: إن الحب صبابة تملك قلب العاشق، ووله: أي فهو يجمل كل شيء للحبيب.

(٩١٦) ينصرها: أي الأدؤر. والهطل: الكثير السكب. يقول: يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر، وهو الحبيب الذي سار عنها وكان ينزل بها ويقال: نصر الغيث الأرض نصرًا: أغاثها وسقاها وأنبتها، قال الشاعر:

مَنْ كَانَ أَخْطَأَهُ الرَّبيعُ فَإِنَّمَا نُصِرَ الْحِجَازُ بِغَيْثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ونصرت البلاد: إذا مطرت، فهي منصورة: أي ممطورة. ونصر القوم: إذا غيثوا.

(٩١٧) الحرب — بالتحريك — في الأصل نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له، والمراد هنا: الهلاك. يقول الواقع في الهلاك: واحربا. والجداية: ولد الظبي. ومقيمة: حال من الضمير في «منك». وفاعلمي: معترضة. يقول: واحربا منك يا ظبية هذه الدار أقمت أو رحلت؛ لأنك إن أقمت منعنا عنك الصد، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى — البعد — فأنت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل، فقربك وبعدك سيان في هلاكي.

(٩١٨) العبير: أخلاط تجمع من طيب. والضمير في «بها» للأدؤر. والتفلة: المنتنة الريح. يقول: إنما كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطب لي رياها وكانت عندي تفلة، ولو خلطوا ترابها بالمسك والعبير، كما قال:

وَكَيْفَ الْتِذَاذِي بِالْأَصَائِلِ والضُّحَى إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّا

(٩١٩) النجل: الولد: ونجله أبوه: ولده. يقول: أنا ابن الذي بعضه — أي ولده — يفوق أبا الباحث عن نسبي، أي أنا فوق أب الذي يبحث عن نسبي، وقوله: والنجل ... إلخ: أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد.

(٩٢٠) نافرت فلانًا فنفرته: أي فاخرته ففخرته. وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا يحتكمان في الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق فيقولان له: أي نفرينا أفضل؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالمغلوب منفور والغالب نافر، قال الأعشى:

بَانَ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا وَاعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ

(يروى:

قَدْ قُلْتُ شِعْرِي فَمَضَى فِيكُمَا وَاعــتــرف ... ... إلــخ

وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا إلى هرم بن سنان المري. والمنفور: المغلوب. والنافر: الغالب.)

وأنفدوا: أفرغوا وأفنوا. يقول: إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من

غلبوه بالفخر ولم يجد حيلة فافتخر بالآباء. يعني إنما يحتاج إلى الفخر بجدوده من لا فضيلة له في نفسه.

(٩٢١) العضب: السيف القاطع. واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية. وفخرًا: مفعول مطلق نائب عن فاعله؛ أي ليفخر فخرًا. ومشتمله: أراد مشتملًا به، والاشتمال: أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذي يشتمل به. والسمهري: الرمح. واعتقل الرمح: جعله بين ساقه وركابه. يقول: إن سيفي ورمحي يفتخران بي، لا أنا بهما.

(٩٢٢) خيره: أي أفضله، يروى: «حبره»؛ أي زينته وجماله. يقول: لبست الفخر فصار رداء على منكبي، ونعلًا تحت قدمي، فجدير به إذن أن يفخر بي.

(٩٢٣) يقول: بي بين الله أقدار الناس في الفضل؛ لأني أصف كل أحد بما فيه. أو لأن من أكرمني وأحسن إليَّ دل ذلك على مروءته، وميله إلى ذوي الفضل، ومن استخف بي، ولم يكترث لي دل ذلك على خسة قدره ولؤم نحيزته. كما قال البحتري:

وَإِنَّ مُقَامِي حَيْثُ خَيَّمْتُ مِحْنَةٌ   تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ

وقوله: والمرء حيثما جعله: أي حيثما جعل نفسه. فمن صان نفسه، ورفع قدرها رفع الناس كذلك قدره، ومن تعرض للهوان أهين، كما قال:

إِذَا مَا أَهَانَ امْرُؤٌ نَفْسَهُ   فَلَا أَكْرَمَ اللهُ مَنْ أَكْرَمَه

وقدمًا قيل:

وأَكرِمُ نَفْسِي إِنَّنِي إِنْ أَهَنْتُهَا   وَحَقِّكَ لَمْ تكرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

ويجوز أن يكون المعنى: والمرء حيثما جعله الله؛ أي لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته التي وضعه الله بها.

(٩٢٤) جوهرة: أي أنا جوهرة. والغصة: ما يغص به الإنسان فلا يسيغه. والسفلة — بكسر الفاء — كسفلة — بسكونها وكسر السين — أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم. يقول: أنا زينة الناس إذ أنوه بمناقبهم، وأشيد بذكر محاسنهم، فأنا جوهرة يفرح

بها، وشجًا في حلوق اللئام لا يقدرون على إساغتي؛ لأني أقول فيهم ما أدلهم به وأكشف عن نقائصهم.

(٩٢٥) الكذاب: الكذب، يقال: كذب يكذب كذبًا وكذبًا وكذابًا وكذابًا، ورجل كاذب، وكذاب، وتكذاب وكذوب، وكذوبة، وكذبة — مثال همزة — وكذبان، وكيذبان، وكيذبان، ومكذبان. ومكذبانة وكذبذبان، وكذبذب وكذبذب. قال جريبة بن الأشيم:

فَإِذَا سَمِعْت بِأَنَّنِي قَدْ بِعْتُكُمْ بِوِصَالِ غَانِيَةٍ فَقُلْ كُذَّبْذُبُ

والكذب: جمع كاذب، مثل راكع وركع، قال أبو دواد الرؤاسي:

مَتَى يَقُلْ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلَتُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكُذَّبِ الْولعَهْ
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْعَدُهُمْ شرًّا وَأَسْمَحُهُمْ كَفًّا لِمَنْ مُنِعَهْ؟!
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضْلَ اللهِ عِنْدَهُمْ إِذَا تَشوه نُفُوس الْحُسَّدِ الْجَشعهْ

(الولعة: جمع والع، مثل كاتب وكتبة، والوالع: الكاذب.)

والكذب: جمع كذوب، مثل صبور وصبر، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ فجعله نعتًا للألسنة، وأكاد به: أقصد به على وجه الكيد بي. يعرض بقوم وشوا به إلى أبي العشائر. يقول: ذلك الكذب أهون عندي من راويه وناقله؛ أي لا أكترث له ولا لمن رواه.

(٩٢٦) مبالٍ: خبر عن محذوف: أي فلا أنا مبال. والمداجي: الذي يساتر العداوة. والواني: المقصر. وتكلة: بمعنى وكلة، وهو الذي يكل أمره إلى غيره. ينفي عن نفسه هذه الصفات، يقول: فلا أنا مبالٍ بأعدائي ولا مداجٍ لهم، ولا أنا مقصر في أمري، وفيما يجب عليَّ مراعاته وحفظه، ولا عاجز عن مكافأة المسيء، ولا ضعيف أكل أمري إلى غيري.

(٩٢٧) الدارع: لابس الدرع. وسفته: ضربته بالسيف. واللقى: الشيء المطروح. والعجاج: الغبار. والعجلة: يجوز أن يراد بها الاستعجال الذي يكون من الضارب والطاعن في الضرب والطعن، ويجوز أن تكون بمعنى الثكل — من قولهم: ناقة عجول: إذا فقدت ولدها — قال علماء اللغة: والعجول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعًا، قالت الخنساء:

فَمَا عجُولٌ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ: إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ

(بعده:

تَرْتَعُ مَا رتعت حَتَّى إِذَا ادَّكرت فَـإِنَّمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ
يَوْمًا بَأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي صَخْرٌ وَلِلْعَيْشِ إِحلاءٌ وَإِمْرَارُ

وترتع ما رتعت: يروى: ترقع ما غفلت، والبو: جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنًا وهي لا تراه، ويدني منها فتشمه وترأمه فتدر عليه اللبن.)

ويجوز أن يكون بمعنى الطين، قيل في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي من طين. وقال الشاعر:

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعجلِ

يقول: رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحًا كالشيء الملقى وقت التقائنا.

(٩٢٨) رعته: أعجبته أو أرهبته. والقافية هنا: القصيدة. والمنقح: الذي يهذب القول ويختاره. والقولة: الجيد القول. يقول: إنه يبده السامع بالقافية الجيدة يرتاع لها ويتحير في حسنها الشاعر المجيد.

(٩٢٩) أشهد: بمعنى أحضر. والطعام: مفعول ثانٍ مقدم. و«من» مفعول أول، وأشهد يروى يشهد: ويروى أشهد — مضارع شهد، فتكون «معي» بحذف واو الحال أي ومعي، وقد تحذف: كما تقول: مررت بزيده على يده باز. ويريد بذلك الرجل الذي وشى به، وكان يقال له: المسعودي، كان المتنبي قد وصله بأبي العشائر فصار نديمًا له، ثم تناوله عند أبي العشائر.

(٩٣٠) لعل هذا ينظر إلى قول جميل:

إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالِعًا مِنْ ثَنِيَّةٍ يَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَدْ عَرَفُونِي

(٩٣١) الحلل: الثياب. ومستحييًا: أي إنما أفعل ما ذكرت مستحييًا، فهو حال، العامل فيها مقدر. يقول: إنما أقمت مع الأعداء في بلد؛ لأني أستحي من أبي العشائر أن ألبس خلعه في غير بلده.

(٩٣٢) وجلة: خائفة. يقول: إن ثيابه لا تحب أن تفارقه لتشرفها به فهي تخاف أن يخلعها على جليسه.

(٩٣٣) النائل: العطاء، وكذلك السيب. يقول: إن غلمانه البيض كعطائه في أنه يهبهم — أي غلمانهم — أي أنه يهب غلمانه كما يهب أمواله، فيكون أول ما يحمله إليك من العطاء، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء — وهم الغلمان.

(٩٣٤) ويروى: أبذل ما ود مثل ما بذله: أي من الود، فحذف النون. وهذا كالمعاتبة مع نفسه، والإقرار بالتقصير في مدحه، ومعارضته بمثل الود الذي يبذله.

(٩٣٥) الكيذبان: الكذاب — وقد وفينا القول على هذه المادة قريبًا — يقول: أكذبتني عيني فيما أدت إليَّ من محاسنه، أم وجد الكاذب فرصة فغير ما بيننا؟ ويجوز أن يريد بالعين: الرقيب، وأنث: جريًا على اللفظ. يقول: هل أخفى الرقيب عنده خبرًا من أخباري في حبي إياه وميلي إليه؟ وقال بعض الشراح: يقول: هل أخفت عينه عليه أثرًا من آثار خدمتي فجحدها عليَّ، أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله من الوشاية بي؟ وهذا استفهام إنكار. أي ليس الأمر على ما ذكر، وإذن: لا أقصر في حقه ولا آلو جهدًا في مديحه. هذا، ويقال: أمل خيره يأمله أملًا، وكذا أمله تأميلًا أي رجاه.

(٩٣٦) منخوة: أي ذات نخوة — أي عظمة وكبر — والرأس يوصف بالكبر، يقال: في رأسه نخوة، والزعلة: النشيط، والزعلة أيضًا: البطرة الأشرة. يقول: أليس الممدوح ضراب كل رأس متكبر بطر يوم الوغى والقتال؟!

(٩٣٧) عذله: أي لامه على إسرافه وكثرة عطاياه.

(٩٣٨) الهول: الأمر العظيم الشديد. ولا يفتره: أي لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه. والمحزم: ما يقع عليه الحزام من الدابة. لما جعله راكبًا والهول مركوبًا أجراه مجرى المركوب من الدواب: أي أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال، وإنما خص المحزم؛ لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور.

(٩٣٩) قال الواحدي: أراد بالأحمر: فرسه الذي ركبه في وقعته بأنطاكية. والمكلل: الجاد الماضي في الأمر. يقال: حمل فكلل: أي مضى قدمًا ولم يخم، أنشد الأصمعي:

حَسَم عِرْق الدَّاءِ عَنْهُ فقضب — تَكْلِيلَةَ اللَّيْثِ إِذا اللَّيْثُ وَثب

قال الأصمعي: وقد يكون كلل بمعنى جبن. يقال: حمل فما كلل: أي فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل:

وَلَا أُكَلِّلُ عَنْ حَربٍ مُجَلِّحَةٍ وَلَا أُخَدِّر لِلْمُلْقِينَ بِالسلمِ

ويقال: إن الأسد يهلل ويكلل، وإن النمر يكلل ولا يهلل، والمكلل: الذي يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه، والمهلل: يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع. ويقال انكل الرجل انكلالًا: أي تبسم، وانكلت المرأة تنكل انكلالًا: إذا ابتسمت. قال الأعشى:

وَيَنْكَلُّ عَنْ غُرٍّ عِذَابٍ كَأَنَّهَا جَنْيُ أُقْحُوَان نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَتنكلُّ عَنْ عَذْبٍ شَتِيت نباته لَهُ أُشُرٌ كَالْأُقْحُوَانِ الْمُورِ

ومن روى «المكلل» — في البيت — بفتح اللام: أراد المتوج. ويجوز في «المشرع» النصب على أنه نعت للفارس، والخفض على أنه نعت للأحمر. يعني الذي أشرع الأعداء نحوه رماحهم.

(٩٤٠) الضمير من «وجهه»: للفرس، وضمير «أقسم» للممدوح. ويقول: لما رأت خيولهم وجه فرسه في حومة الوغى أقسم بالله لا أرتد عنهم ولا رأوا كفله حتى يأتي عليهم قتلًا. ولعل هذا المعنى من قول الآخر:

حَتَّى يَظُنُّوهُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ قَفا وَأَنَّهُ رَاكِبٌ طِرفًا بِلَا كفل

(٩٤١) يقال: أكبرت الشيء إذا استكبرته، وأصغره: يروى بفتح الراء على أنه فعل ماضٍ أي استكبروا فعله واستصغره هو، وتم الكلام ها هنا ثم استأنف فقال. أكبر من فعله الذي فعله؛ أي هو أكبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جني. قال العروضي: على هذا التفسير لا يكون مدحًا؛ لأن من المعلوم أن كل فاعل أكبر من فعله، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين، وقالوا: إن خيرًا من الخير فاعله، وإن شرًّا من الشر فاعله، ولكن معنى البيت: إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله، كما تقول: أعطاني فلان كذا وكذا واستقله، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه. قال العروضي: ثم العجب أنه غلط في صناعة هو إمامها المقدم فيها، وذلك أن «الذي» يصلح أن يكون بمعنى «من» وبمعنى «ما»، تقول: رأيت الذي دخل، ورأيت

الذي فعلت، وكان يجب أن يذهب في هذا إلى «ما» فذهب إلى «من» ففسد المعنى. ولك أن تقول: أكبر من فعله الذي فعله؛ أي أن الذي فعل هذا الفعل هو أكبر منه: أي أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره. وروى الخوارزمي: وأصغره بضم الراء — على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده: أي وأصغر فعله أكبر مما استعظموه.

(٩٤٢) القاطع: يروى: القائل، والقاتل. والكميل: بمعنى الكامل. أنشد سيبويه:

عَلَى أَنَّنِي بَعْدَمَا قَدْ مَضَى　　ثَلَاثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلا كميلا
يُذَكِّرنيكِ حَنِينُ الْعجولِ　　وَنَوْحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيلا

(يقول: لم أنسَ عهدك على بعده، فكلما حنت عجول — وهي الفاقدة ولدها من الإبل وغيرها — أو ناحت حمامة، رقت نفسي فذكرتك. والهديل هنا: صوت الحمامة ونصبه على المصدر، والعامل فيه يدعو؛ لأنه بمنزلة تهدل. ويجوز أن يكون الهديل الفرخ الذي يزعم الأعراب أن جارحًا صاده في سفينة نوح فالحمام يبكي عليه، كما قال طرفة:

كَدَاعِي هَدِيل لَا يُجَابُ وَلَا يُمل

فالهديل هنا الفرخ؛ لأن الحمام تدعوه نائحة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه.)

وكمل — بفتح العين وضمها — يكمل — بالضم — في مضارعهما: وكمل — بكسر العين — يكمل — بالفتح — لا غير. قال الجوهري: والكسر أردؤها. يقول: يقطع ويصل كما يشاء ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر. وقد فسر البيت فيما يلي.

(٩٤٣) تشجره: تنفذ فيه وتخالطه. ومنه قول شريح بن أوفي العيسي:

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ　　فَهَلَّا تَلا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ؟!

(قبله:

وَأَشْـعَـثَ قَـوَّام بِـآيَـاتِ رَبِّـهِ　　قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمِ
شَكَكْتُ لَهُ بِالرُّمْحِ جَيْبَ قَمِيصِهِ　　فَـخَـرَّ صَـرِيـعًـا لِلْـيَدَيْـنِ وَلِلْـفَـمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا　　عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَتبعِ الْحَقَّ يَظْلِمِ

يُـذَكِّـرُنِــي حَــامِـيـمَ ... ...   [الـــبـــيـــت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال وكان من قرابة رسول الله ﷺ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحاميم — لما فيها من آية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، حتى حمل عليه العبسي هذا فقتله، ثم قال هذه الأبيات. يقول: ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه، أو القيام في الليل بتلاوتها قليل الأذى. ورُوي: الكرى أي النوم، ورُوي: القذى، وهو ما يتساقط في العين فيغمضها، كنى بقتله عن قلة النوم فيما ترى العين؛ أي في رأي العين. شككت: أي خرقت له بالرمح جيب — أي طوق — قميصه كناية عن طعنه به في صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحًا على يديه ووجهه، وعبر بالفم مبالغة في التنكيل، ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه، وذلك بلا سبب، غير أنه ليس تابعًا لعلي بن أبي طالب، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرني حاميم، والحال أن رمحي قد اختلط بأضلاعه، وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك.)

يقول: لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطعان.

(٩٤٤) يقول: كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى في طلب الغزو والفتح، وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه.

(٩٤٥) الختل: الأخذ خدعة. أي على بغتة. يقول: كلما حارب أعداءه جهارًا تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأتاهم بغتة. وضمير «أمكن» للعدو: أي أمكنه من نفسه.

(٩٤٦) البيض — بكسر الباء — السيوف، وتروى بفتح الباء: جمع بيضة، وهي الخوذة التي تجعل على الرأس. واللدان: الرماح اللينة، جمع لدن. وسن عليه درعه: إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها. والدلاص: الدرع اللينة الملساء. ونثل الدرع: ألقاها عنه. قال ابن جني: وذكر الدرع بقوله نثله ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن. يقول: إنه يحتقر السيوف والرماح — دارعًا كان أو حاسرًا — وسن بالسين المهملة — يروى بالشين المعجمة، وكلتاهما بمعنى صب، يقال: سن عليه الماء، أي صبه، وسن عليه الدرع يسنها سنًّا كذلك: إذا صبها عليه، قال الجوهري: سننت الماء على وجهي: أي أرسلته إرسالًا من غير تفريق، فإذا فرقته بالصب قلت «بالشين»، ويقال: شن عليهم الغارة: إذا فرقها.

(٩٤٧) الفقاهة: الفهم والفطنة والعلم، فقه الرجل يفقه فقاهة. يقول: إن فقاهة الممدوح هذبت فهمه لي، فهو يفهم شعري ويعرف جيده، وفصاحتي هذبت شعري له، فأنا آتيه به فصيحًا لا عاب فيه.

(٩٤٨) يقول: أنا أحمده حمد السيف إياه، والسيف لا يحمد كل حامل له وكذلك أنا لا أحمد كل يد.

(٩٤٩) وأنت مكلفي: حال: وأنبى: تفضيل — من قولهم: نبا به المكان: إذا لم يوافقه، ونبا السيف: كلَّ عن الضريبة. والشقة: المسافة. يقول: تمنعني من المسير خوفًا عليَّ أن ينبو بي المكان الذي أنا قاصده وتتعبني مشقة السفر وأنت تكلفني من الإقامة عندك بما هو أنبى بي وأطول تعبًا وأشد حالًا من السفر البعيد.

(٩٥٠) الفسطاط: مدينة مصر قديمًا. وأراد بلقني: اجعلهم يلقونني؛ أي ابعثهم خلفي ليردوني إليك. يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردي إليك. هذا، والرجال: الرجالة قال تعالى: ﴿فرجالًا أو ركبانًا﴾. يقال: رجل الرجل رجلًا فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجلان: إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه وشاهد رجلان:

عَلَـيَّ إِذَا لَاقيتُ لَيْلَـى بِـخَلْوَةٍ ۝ أَنْ ازْدَارَ بَيْتَ اللهِ رَجْلانَ حَافِيَا

والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالي ورجالي ورجالي ورجلان ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأراجل وأراجيل. قال أبو ذؤيب:

أَهَمَّ بَنِيهِ صَيْفُهُمْ وَشِتَاؤُهُمْ ۝ وَقَالُوا: تَعَدَّ وَاغْزُ وَسْطَ الْأَرَاجِلِ

(يقول: أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم، وقالوا لأبيهم: تعد أي انصرف عنا وحارب وسط الرجالة. وقال الجوهري: أراجل هنا جمع رجل، خلاف المرأة.)

قال ابن بري: الأراجل هنا جمع أرجال، وأرجال جمع راجل — مثل صاحب وأصحاب وأصاحيب — إلا أنه حذف الياء من الأراجيل، لضرورة الشعر. قال أبو المثلم الهذلي:

يَا صَخْرُ وَاردَ مَاءٍ قَدْ تَتَابَعَهُ ۝ سَومُ الْأَرَاجِيلِ حَتَّى مَاؤُهُ طَحِل

(سوم الأراجيل: أي حر الرجالة. وماء طحل: كدر.)

والرجلان بمعنى الراجل، جمعه رجلى ورجال — مثل عجلان وعجلى وعجال — ويقال: رجل ورجالي، مثل عجل وعجالى. وامرأة رجلى: مثل عجلى. ونسوة رجال مثل عجال، ورجالى مثل عجالى. أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال. ورجالات: جمع الجمع. قال الجوهري في جمع الرجل: أراجل، واستشهد ببيت أبي ذؤيب المتقدم ويقال للمرأة: «رجلة»، قال الشاعر:

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا غَيْرَ جِيرَانِ بَنِي جَبَلَه
خَرَقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمْ لَمْ يُبَالُوا حرمَةَ الرَّجلَه

(عنى بجيب فتاتهم: هنها.)

(٩٥١) مني: تجريد. يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم — الظلم — وإن فوارسه ورجالاته لا يقدرون على رده إليه.

(٩٥٢) قال ابن خلكان: هو «فاتك» الكبير المعروف بالمجنون، كان روميًّا أخذ صغيرًا من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع، وهو ممن أخذه الإخشيد من سيده بالرملة كرهًا بلا ثمن وأعتقه، فكان حرًّا عنده في عدة المماليك، وكان كريم النفس، بعيد الهمة، شجاعًا كثير الإقدام، ولذلك قيل له: «المجنون»، وكان رفيق الأستاذ كافور في خدمة الإخشيد، فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في خدمة ابن الإخشيد أنف «فاتك» من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج أن يركب في خدمته، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعًا له فانتقل إليها — وهي بلاد وبيئة كثيرة الوخم — فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة، فدخلها وبها المتنبي. وكان أبو الطيب يسمع بكرم «فاتك» وشجاعته، إلا أنه لا يقدر على قصد خدمته خوفًا من كافور، و«فاتك» يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع «فاتك» إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار، ثم أتبعها بهدايا بعدها، فاستأذن «المتنبي» الأستاذ كافور في مدحه فأذن له، فمدحه في التاسع من جمادى الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة. انتهى. ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول المتنبي:

فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى ... ... [البيت]

كأنه يقول: لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر، ولا كافور يرضيه، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر.

(٩٥٣) الإسعاد: الإعانة. يقول — مخاطبًا نفسه: ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى الممدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق؛ أي فامدحه، وجازه بالثناء عليه إن لم تعنك الحال؛ أي على مجازاته بالمال. وفي مثل هذا المعنى يقول يزيد المهلبي:

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كَفِّي عَنْ جَزَائِكُم فَإِنَّنِي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مُجْتَهِدُ

قال العكبري: «وهذا من الابتداء الذي يكرهه السامع بأن يقول للممدوح: لا خيل عندك تهديها ولا مال، وهو أول ما يقول له. وقال في إعراب «لا خيل» نصب الخيل بلا؛ لأنها تنصب النكرات بغير تنوين، وقال سيبويه والخليل: يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين. وأنشد العجاج:

تَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَحُشَّ الطُّبَّخُ بِي الْجَحِيمَ حِينَ لَا مُسْتَصْرَخُ

(يريد بالطبخ: الملائكة الموكلين بالعذاب، وحش النار بالحطب: أوقدها، ومنه حش الحرب يحشها حشًّا: إذا أسعرها وهيجها تشبيها بإسعار النار.)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء، وفي قراءة من قرأ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ برفع الثلاثة أنه على الابتداء، والخبر في «الحج». وقرأ بعضهم برفع «الرفث»، و«الفسوق»، ونصب، «الجدال»، وهو كقول أمية بن أبي الصلت.

فَلَا لَغْوٌ وَلَا تَأْثِيمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ

(قالوا في قوله تعالى: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أن تأثيم يجوز أن يكون مصدرًا.

قال ابن سيده: ولم أسمع به، قال: ويجوز أن يكون اسمًا كما ذهب سيبويه في التثبيت والتمتين.)

وقرأ آخرون بنصب الأولين ورفع الثالث وهو كبيت أبي الطيب، ومثله:

هَذَا لَعَمْركُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

(هو لرجل من مذحج يقال له: هني بن أحمد الكناني، وكان هني هذا ممن يبر أمه ويخدمها، وكانت مع ذلك تؤثر أخًا له عليه — يقال له جندب — فقال:

هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمُ وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا الْكَتَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً حَجَرتُكُمُ فَأَنَا الْحَبِيبُ الْأَقْرَبُ
وَلِجُندبٍ سَهْلُ الْبِلَادِ وَعَذْبُهَا وَلِيَ الْمِلَاحُ وَحَزْنُهُنَّ الْمُجْدِبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ
عَجَبًا لِتِلْكَ قَضِيَّةً وَإِقَامَتِي فِيكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ!
هَذا لَعَمْرِكُمُ الصَّغَارُ ... ... [البيت]

الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، و«عجبا» يروي عجب.)

وهذا محمول على الموضع؛ لأن موضع الأول رفع بالابتداء، ويكون «لا» بمعنى «ما» فكأنك قلت: ما رجل ولا غلام في الدار.

(٩٥٤) يقول: واجزه بالمدح والثناء عليه والشكر له؛ فإن إنعامه يأتي فجأة من غير تقدم سؤال وانتظار، وغيره من الناس اقتصر على القول دون الفعل، قال المهلبي:

وَكَمْ لَكَ نَائِلًا لَمْ أَحْتَسِبْهُ كَمَا يُلْقَى مُفَاجَأَةً حَبِيبُ!

والنعمى والنعماء والنعمة: المال واليد والصنيعة، وما أنعم الله به عليك والخفض والدعة: ضد البأساء والبؤس، والنعمى إذا كانت على فعلى قصرت، وإذا كانت على فعلاء: مدت.

(٩٥٥) الخريدة الجارية الحيية. والمكسال من النساء: الفاترة القليلة التصرف. وخريدة: فاعل جزى. والإحسان: مفعول ثانٍ مقدم. ومموليه — أي معطيه — مفعول أول. يقول: ربما جازت بالإحسان من يولي — يعطي — الإحسان امرأة عاجزة عن كل شيء. يعني إن لم تمكن المكافأة فعلًا فهي ممكنة قولًا كالمكافأة من هذه المكسال، يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن، ثم ضرب لهذا مثلًا فيما يلي. هذا، والجزاء: المكافأة على الشيء، جزاه به وعليه جزاء، وجازاه مجازاة — قال الجوهري: جزيته بما

صنع جزاء، وجازيته: بمعنى، ويقال: جازيته فجزيته؛ أي غلبته، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾؛ يعني يوم القيامة لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئًا، يقال: جزيت فلانًا حقه؛ أي قضيته. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بردة بن نيار حين ضحى بالجذعة: «تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك»؛ أي تقضي. قال الأصمعي: هذا مأخوذ من قولك: قد جزي عني هذا الأمر ولا همز فيه، قال: ومعناه لا تقضي عن أحد بعدك. ويقال: جزت عنك شاة: أي قضت، وبنو تميم يقولون: أجزأت عنك شاة — بالهمز — أي قضت، وقيل في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا تغني.

(٩٥٦) الشكل — بالضم — جمع شكال، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة. وبالفتح: مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال، والظهور: جمع ظهر. والتصهال بمعنى الصهيل أخرجه مخرج تسيار ونحوه؛ ضرب لنفسه المثل في عجزه عن المكافأة بالفعل والاجتزاء عنه بالقول، بفرس أحكم شكاله فعجز عن الجري لكنه يصهل. يقول: إن لم يكن عندي الفعل فعندي مكافأة بالقول. يعني إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فإني أمدحك إلى أوان ذلك، كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقًا إليها. وقال المعري: إن كانت حالي ضيقة عن مكافأتك فعلًا جازيتك قولًا وجعل التصهال مثلًا لثنائه على الممدوح. وكان «فاتك» هذا يسر خلافًا للأسود — كافور — وينطوي على بغضه ومعاداته، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفًا من كافور.

(٩٥٧) سيان: مثنى «سي» بمعنى مثل. والإكثار: الغنى، والإقلال: الفقر. يقول: ليس شكريك عن فرح بما أهديته إليَّ؛ لأن الغنى والفقر عندي سواء لقلة مبالاتي بالدنيا. قال ابن جني: ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لفاتك، وكان يقول: حمل إليَّ ما قيمته ألف دينار في وقت واحد.

(٩٥٨) بخال: جمع باخل. يقول: إنما أشكر لأني رأيت من القبيح أن يجاد لي بالبر والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد. وقوله: «وأننا» يجوز فيه فتح الهمزة على العطف، وكسرها على الحال.

(٩٥٩) الحزن: خلاف السهل. والسباخ: جمع سبخة، وهي الأرض لا تنبت؛ لأنها ذات نزٍّ وملح، وهطال: ساكب. يقول: لما وصل إليَّ بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده، نضرة وذكاء. يعني أن مطر بره لم يصادف مني سبخة لا تنبت، وخص روض الحزن؛ لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والنز والغمق، والمعنى أن بره صادف مني من يعرف حقه ويذيع شكره.

(٩٦٠) يقول: إن موقع إحسانه مني يبين للناظرين أن غيره من المحسنين يخطئون مواقع الإحسان؛ لأنهم لا يقلدونه من يستأهله ويقوم بشكره. ولك أن تبقي الغيوث على معناها الحقيقي. يعني أن الممدوح أحكم من الغيوث؛ لأنه يضع إحسانه في موضعه، أما هي فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة.

(٩٦١) لما يشق: أي لما يصعب، متعلق بفعال. والسادات: جمع سادة؛ جمع سيد.

(٩٦٢) وارث: صفة أخرى لسيد، وسئال: طلاب. وبغير السيف: صلة سئال، يقول: لا يدرك المجد إلا سيد لم يرث أباه مالًا — والممدوح لم يرث أباه؛ لأنه كان جوادًا فلم يخلف مالًا — ويمينه تجهل ما وهب لكثرته، وليس هو كسوبًا ولا سئالًا بغير السيف؛ أي لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح.

(٩٦٣) الضمير في «له» للسيد. والجملة: نعت آخر له؛ أي قال الزمان له — بلسان حاله — إن المال لا يبقى على مالكه، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل المجد. وعبارة الواحدي: وقوله: إن الزمان … إلخ: كلام مستأنف. وعذال: مبالغة من العذل وهو اللوم. يقول: إن الزمان يلوم على البخل؛ لأن البخيل يفوت على نفسه كسب المحمدة والذكر باستبقاء ما ليس بباقٍ. وقال ابن جني: أكرم الناس من تعب في جمع الأموال بالسيف ثم يهبها بعد. وقال التبريزي: من رأى المسكين وموتهم عن الأموال وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكأنه حذره عن الإمساك، والزمان لم يقل قولًا حقيقة، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له.

(٩٦٤) القناة: الرمح، والبيت في صفة السيد أيضًا. يقول: يعلم الرمح في يده أنه سيشقى به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك.

(٩٦٥) فاتك: هو اسم الممدوح، وأراد بالكاف: كاف التشبيه الداخلة على «فاتك». والمنقصة: النقص. يقول: لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التي ذكرت، ثم استدرك فقال: دخول الكاف عليه تنقص من قدره في الظاهر؛ لأنه يوهم أن له شبيهًا، وإنما هو كالشمس إذا شبهت بها أحدًا، والشمس لا شبيه لها، وهذه الكاف هي التي يقال لها: كاف الاستقصاء، ذكرها أهل العربية، ومثلوا لها بقولهم: من الحروف ما لا يقبل الحركة كالألف. وقال ابن جني: إذا قيل: كفاتك ودخول الكاف منقصة جعل له شبيه، فانتقص بذلك، وإنما قولي كالشمس — وإن كانت لا شبيه لها والكاف زائدة — كقول رؤبة:

لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمقق

(من أرجوزة لرؤبة أولها:

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمخْتَرق

راجعها في «أراجيز العرب» للبكري، وفي «خزانة الأدب» للبغدادي. ولواحق الأقراب. خماص البطون قد لحقت بطونها بظهورها، والمقق: الطول.)

أي فيها مقق، وهو الطول، ولا يقال: فيها كالطول إلا على زيادة الكاف. وقد أنكر الواحدي كلام ابن جني هذا، وقال: لم يعرف ابن جني وجه دخول الكاف في كفاتك، فقال الكاف ها هنا زائدة، وإنما معناه وتقديره: فاتك أي هذا الممدوح فاتك، مع أن جميع البيت مبني على هذه الكاف، فكيف يقال إنها زائدة؟ وعبارة الإمام التبريزي: لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التي ذكرت، ثم شبهه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله: ودخول الكاف منقصة؛ أي كاف التشبيه الداخلة على «فاتك»: أي أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره؛ لأنه يوهم أن له شبيهًا، وليس له شبيه، فهو كالشمس، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر، وليس لها مثل.

(٩٦٦) البراثن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان. وبمثلها: صلة غذته. والأشبال: جمع شبل، وهو ولد الأسد. يقول: الذي يقود إلى الحرب رجالًا هم أسود تغذوهم براثنه — يعني سيوفه وسلاحه فهن له كالبراثن — برجال مثلهم من الأعداء؛ أي أنه بغنمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغذيتهم. قال الشراح: يشير إلى غلمانه الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالًا إلى أن صاروا أسدًا.

(٩٦٧) به: صلة القتيل. وللسيوف: خبر مقدم عن آجال. وقوله: كما للناس: فما مصدرية، وللناس: خبر عن محذوف، والتقدير: للسيوف آجال كما للناس آجال. يقول: لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف. يريد أنه يكسره في جسمه، فجعل ذلك قتلًا للسيف، ثم قال: وإن للسيوف آجالًا كما أن للناس آجالًا.

(٩٦٨) وماله: يريد نعمه. والأهمال: جمع همل، وهي الإبل بلا راعٍ. قال الجوهري: الهمل — بالتحريك — الإبل بلا راع، مثل النفش، إلا أن الهمل يكون ليلًا ونهارًا، والنفش لا يكون إلا ليلًا، يقال: إبل همل وهاملة وهمال وهوامل، وتركتها هملًا أي سدًى إذا أرسلتها ترعى ليلًا بلا راعٍ. وفي المثل: اختلط المرعى بالهمل. والمرعى: الذي له راعٍ.

يقول: إن هيبته تمنع الإغارة على ماله فكأنها تغير على الغارة وماله مهمل لا راعي له بأقاصي الأرض لا يغار عليه لهيبته. ويجوز أن يكون المعنى: أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هيبة له، فكأن هيبته تغير على غارة غيره، ثم قال: وماله بأقاصي الأرض أهمال لا يغار عليها. وجملة المعنى أنه — لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه في النفوس — تتهيبه الفرسان في غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله.

(٩٦٩) العير: حمار الوحش، وهو بدل تفصيل من «ما». والهيق: الظليم — ذكر النعام — والخنساء: البقرة الوحشية، سميت بذلك لخنس أنفها — والخنس قريب من الفطس، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه. والذيال: الثور الوحشي؛ لأنه يجر ذنبه كالذيل. يقول: يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره، وجعل الاختيار للأَسِنَّةِ مجازًا؛ لأنه يطلب الصيد بها، فكأنها هي التي تختار. وعبارة العكبري: يعني أنه كان ملازم الحروب في الفلوات، وكان يتقوَّت بلحوم الوحش، وكان عارفًا بصيدها، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته.

(٩٧٠) مشهاة: أي تُعطي ما تشتهيه، وإنما يقال في هذا المعنى أشهاه — بالألف — تقول: تشهت المرأة على زوجها فأشهاها: أي أنالها شهواتها، ولكن المتنبي استعمل «فعل» في موضع «أفعل». والعقوة: الساحة. والآصال: جمع أصل، جمع أصيل؛ آخر النهار، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم. يقول: إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال. وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

(٩٧١) القاري: المُضيف، وقاريها: يعني الممدوح. والخرادل: القطع — كأنها مقصورة من قولهم: لحم خراديل؛ أي مقطَّع — وهو من الجموع التي لا واحد لها والذال فيه: لغة. وقال كعب بن زهير:

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ

(من قصيدة «بانت سعاد» التي مدح بها سيدنا رسول الله ﷺ يصف أسدًا، يقول: يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيدًا لولديه فيطعمهما لحمها. والعيش هنا: القوت.

ولحم معفور: أي ملقًى في العَفَر — بفتحتين — وهو التراب. وخراديل: مقطَّع.)

والأوصال: جمع وصل، وهو العضو. والشيزى: خشب أسود تعمل منه الجفان — القصاع — يقول: لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتاهم وشيكًا، قطع من لحمه حرصًا منه على مسرتهم. قال العكبري: وهذا من الإفراط الذي يجسر فيه بما لا يكون إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن.

(٩٧٢) الرزء: المصيبة. وحفزه واحتفزه: دفعه من خلفه يحفزه حفزًا، قال الراجز:

تَرِيحُ بَعْدَ النَّفَسِ الْمَحْفُوزِ إِرَاحَةَ الْجِدَايَةِ النَّفُوزِ

(يريد بالنفس المحفوز: النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز: أي يدفع. والجداية: الظبية. ونفز الظبي: جمع قوائمه ثم وثب.)

يقول: إن المصيبة عنده في المال والولد هي ارتحال الأضياف من داره؛ أي إنه يناله من ذلك ما ينال من يرزأ في ماله وولده.

(٩٧٣) الصدى: العطش. وكان الوجه أن يقول: فضلات — بفتح الضاد — ولكنه سكنها للضرورة. والمحض من اللبن: الخالص الذي لم يشب بماء. واللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب. ومحض اللقاح: فاعل يروي. وأراد بصافي اللون: الخمر. والسلسال: الذي يسهل جريه في الحلق. يقول: إنه يكثر لهم من اللبن والخمر فيفضل عنهما ما يروي الأرض من سؤر أقداحهم الذي يراق. وقال ابن جني: إذا انصرف أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم؛ لأنه يلقي كل وارد بِقِرًى جديد من اللبن والخمر. وعبارة ابن الإفليلي: يروي عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من اللبن والخمر وما يتابع لهم من الألطاف والبر، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض مقام السقي، وما يحل لها محل المطر، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب، وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جني.

(٩٧٤) تقري: تضيف. وصوارمه: سيوفه. والعبط والعبيط: الطري من الدم. والساع: جمع ساعة. ونزال وقفال: الأضياف — منهم من ينزل، ومنهم من يرحل.

قال الواحدي: كل ساعة تأتي عليه يجدد فيها ذبحًا، كأن الساعات نزال ينزلون عليه، وقفال رجعوا من سفر؛ يعني أنه لا يطعم أضيافه اللحم الغب، بل يجدد لهم الذبح والنحر كل ساعة فيجري دمًا عبيطًا. وقال ابن جني: يقول: هو كل ساعة يريق

دمًا طريًّا من أعدائه، فكأنه يقري الساعات، وكأنها قوم ينزلون عليه، فجعل ابن جني الدم العبيط من الأعداء.

(٩٧٥) أراد بالنفوس: الدماء. قال السموءل بن عادياء:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظبَاتِ نُفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظِّبَاتِ تَسِيلُ

(من أبياته التي يقول في مطلعها:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عرضه فَـكُـلُّ رِدَاءٍ يَـرْتَـدِيـهِ جَـمِـيـلُ

والظباة: جمع ظبة؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر، وما أشبه ذلك.)

وأغنام: جمع غنم. وآبال: جمع إبل. يقول: تجري الدماء حوله مختلطة دماء الأعداء بدماء الذبائح للأضياف، كما قال البحتري:

مَا انْفَكَّ مُنْتَضِيًا سَيْفِي وَغًى وَقِرًى عَلَى الْكَوَاهِلِ تَدْمَى وَالْعَرَاقِيبِ

(٩٧٦) نائله: عطاءه. والأطيفال: تصغير أطفال. يصف عموم بره، وأن القريب والبعيد فيه سواء، حتى الأطفال التي لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعروفه، فبره يصل إلى كل أحد.

(٩٧٧) الأقران: جمع قرن، وهم الأكفاء في الحرب. والبيض: السيوف. والظبة: حد السيف. وهادية — من هدى اللازم — أي مهتدية. والسمر: الرماح. يقول: إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية؛ لأنها تمضي قدمًا على استواء، والرماح ضالة؛ لأنها تذهب يمينًا وشمالًا في الطعن، وهو الطعن الشزر، فهو أمضى الفريقين سيفًا في أقرانه. وقال العكبري: أراد أن القوم إذا دنا بعضهم من بعض تجالدوا بالسيوف، فكأن الرماح ضالة في الرجال، فقصرت الرماح وضلت عن مقاصدها، وضاق المجال عن التطاعن بها، وصار الأمر إلى المجالدة بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة، والرماح ضالة مقصرة، فحينئذٍ يكون أمضى الفريقين.

(٩٧٨) الآل: السراب. يقول: إذا اختبرته رأيته يربي أضعافًا على ما أراك منظره. ثم قال: وفي الرجال الماء والآل؛ يعني في الرجال من هو كالماء؛ أي رجل على حق الرجال

وفيهم من هو كالآل: أي يشبه الرجال بصورته، وليس عنده ما عندهم من المعاني، كالآل يشبه الماء وليس بماء.

(٩٧٩) اختلطن: أي البيض والسمر. والعقال: داء يأخذ الدواب في أرجلها يمنعها من المشي. يقول: إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدًا له على فرط شجاعته التي تشبه الجنون، والعقل ليس في كل وقت محمودًا؛ لأنه في مثل هذه الحال يمنع من الإقدام، فيكون لصاحبه كالعقال. قال ابن جني: ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا. وقال العكبري: كان «فاتك» يلقب بالمجنون، ففسره أبو الطيب تفسيرًا أذهب قبحه وحسن عند المنكر له أن يتلقب بمثله. وقد نظر في لفظ البيت إلى قول أبي تمام:

وَإِنْ يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أُولَئِكَ عُقَّالَاتُهُ لَا مَعَاقِلُهُ

(عقالاته: قيوده. وقبل البيت:

إِذَا مَارِقٌ بِالْغَدْرِ حَاوَلَ غَدْرَةً فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلَائِلُه
فَإِنْ بَاشَرَ الْأَصْحَارَ فَالْبِيضُ وَالْقَنَا قِرَاهُ وَأَحْوَاضُ الْمَنَايَا مَنَاهِلُه)

وفي معناه إلى قول الكلابي:

أَلَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ عِرْضِي تَعِيبُنِي تُسَمِّينِي الْمَجْنُونَ فِي الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
أَنَا الرَّجُلُ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِي بِهِ تُتَّقَى يَوْمَ الْوَغَى غِرَّةُ الْحَرْبِ

(٩٨٠) يقول: يرمي الجيش الذي يناصبه بالبيض — السيوف — ولا بد له ولتلك السيوف من شق ذلك الجيش، ولو كان في القوة والثبات كالجبال، فالضمير في «بها» للبيض. قال بعض الشراح: الضمير للخيل، وقوله: لا بد بالرفع على إعمال «لا» عمل «ليس».

(٩٨١) نشبت: علقت. والمخلب للسبع والطير: بمنزلة الظفر للإنسان، أثبت له المخالب على إضمار تشبيهه بالأسد. والحلم: الأناة والعقل. والرئبال: الأسد. قال الواحدي: هذا كأنه عذر للذي يلقبه بالمجنون من أعدائه؛ لأنهم يرونه كالأسد في الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم، كذلك هذا الممدوح، يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء. يقول: هو أسد

على أعدائه إذا أنشبت فيهم مخالبه زايله الحلم؛ لأن الحلم والأسد لا يجتمعان. وقال ابن القطاع: إذا أنشب مخالبه في قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة.

(٩٨٢) يروعهم: يفزعهم. ومنه: تجريد. وصروف الدهر: حدثانه. والاغتيال: الإهلاك على غفلة. يقول: هذا الممدوح دهر يغول الأعداء، إلا أنه يغولهم جهارًا، أما الدهر فإنه يغتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه، وجعله كالدهر تعظيمًا لشأنه، ثم بالغ وفضله على الدهر.

(٩٨٣) «ما»: خبر مقدم عن «الذي». ونالوا: الضمير للعدى. والجملة صلة «الذي». يقول: هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى، فما الذي نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتيه من المخاوف والأهوال؟

(٩٨٤) المهند: السيف الهندي القاطع. وأضم الكعب: الرمح. والأصم: الصلب. والكعب: الناشز بين أنبوبي الرمح. والعسال: المهتز المضطرب. يقول: إذا تزينت الملوك بالتيجان ونحوها تزين هو بالسيف والرمح. يعني أنه احتاز الرياسة مغالبة بنفسه واستحقها بشجاعته وإقدامه. هذا، و«حليته»: تروى بالنصب على أنه خبر كان، و«مهند» اسمها، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه، فكأنه أراد وصفه، فقربه من المعرفة، وتروى: «حليته» بالرفع، فتكون مبتدأ، خبرها ما بعدها، والجملة خبر كان، واسمها ضمير الشأن أو ضمير الممدوح.

(٩٨٥) أبو شجاع: كنية الممدوح، وهو خبر عن محذوف؛ أي هو أبو شجاع. وأبو الشجعان: بدل. وقاطبة: جميعًا. والهول: ما أخاف وأفزع وهو خبر آخر. ونمته: غذته وربته، أو نسب إليها، يقول: نماه جد كريم ونميته إلى فلان. والهيجاء: الحرب. يقول: هو أبو شجاع كنية، وهو أبو الشجعان كلهم حقيقة؛ لأنهم كلهم دونه، وهو هول عند الحرب في أعين الأعداء. ونمته أهوال الحرب؛ لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء، أو قد صار ينسب إليها ويُعرف بها.

(٩٨٦) يقول: إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه. يعني أنه المحمود في أفعاله وأقواله وليس يحمد دونه أحد.

(٩٨٧) السربال: الثوب. والماذي: الدرع اللينة. يقول: يكفيه في الحرب سربال واحد من الدرع، أما الحمد فعليه منه سرابيل كثيرة؛ يعني أنه يتوقى الذم بأكثر مما يتوقى الحرب.

(٩٨٨) أوليت: أعطيت. والنوال: العطاء، وهو تمييز. والنال: الرجل الكثير النوال، وهذا كما يقال: كبش صافٍ: أي كثير الصوف، ويوم طان: أي كثير الطين، ويوم راح:

كثير الريح، ورجل خاف: كثير الخوف. يقول: لا أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقتني فيه؛ أي هو أشهر من أن يستتر.

(٩٨٩) يقول: توصلت إلى إكرامي بالبر والإحسان بلطف وتدبير ورأي تحصيلًا لثنائي عليك، وكذلك الكريم يحتال على تحصيل ما يفيده شرفًا وذكرًا. يشير إلى ما وصله به «فاتك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه؛ لأن أبا الطيب لم يكن يجسر أن يمدحه ابتداء خوفًا من كافور.

(٩٩٠) غدوت — هنا — تامة، والتجوال: مصدر بمعنى الجولان. يقول: لم تزل تحتال على العلياء حتى غدوت والأخبار تجول في الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك، وصار لكل أحد أمل في كفيك حتى الكواكب تأملك.

(٩٩١) التنبال: القصير، وجمعه: تنابل وتنابلة، لما جعل الثناء لباسًا للممدوح عبر عن طول معانيه بطول الممدوح وعن قصرها بقصره. يقول: إنما طال ثنائي لطول ما يتضمنه من وصف مناقب الممدوح. وعبارة الواحدي: يقول: مدح الشريف يشرف الشعر، ومدح اللئيم يؤدي إلى لؤم الشعر، يعني أن شعري قد شرف بشرف هذا الممدوح. وزاد على ذلك العكبري فقال: أي قد طال لساني بالثناء، وفتح لي باب المدح والإطراء، جلالة قدر من مدحته، وكثرة فضائل من وصفته، وإنما أنا في ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال، الراغب عن الكرم والإفضال.

(٩٩٢) اختال الرجل: أدركه الزهو والعجب فمشى الخيلاء. وقوله: أن تختال: أي عن أن تختال فحذف. يقول: إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك تترفع عن الكبر والعجب بين الناس، فإن قدرك يختال ويزهي بين أقدار الناس؛ لأنك أعظم قدرًا من كل أحد.

(٩٩٣) المفضال: الكثير الفضل. يقول: لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحبًا لها حتى تفضل كل مفضال وتربي عليهم.

(٩٩٤) المهجة: دم القلب. والروع: الفزع. والبذال: مبالغة من البذل، ضد الصيانة. يقول: وكأن نفسك لا تعدك قائمًا بحق صيانتها حتى تبذلها وتجود بها في الروع فتقتحم المهالك، وتتعرض لمواجهة الحروب والمتالف.

(٩٩٥) يقول: لولا أن في السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة، ثم بين المشقة التي في السيادة، فقال: من جاد افتقر، ومن أقدم على الحرب قتل، ولا سيادة دون الجود والشجاعة. والبيت مفرع على البيتين السابقين — كما لا يخفى — وهو من قول منصور النمري:

الْجُودُ أَخْشَنُ مَسا يَا بَنِي مَطَرٍ   مِنْ أَنْ تَبُركُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ
مَا أَعْلَم النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَكْسَبَة   لِلْمَجْدِ لَكِنَّه يَأْتِي عَلَى النشبِ

(٩٩٦) الطاقة: اسم — من أطاقه: إذا قدر عليه — والشملال: الناقة القوية الخفيفة المشي السريعة. يعتذر عمن لم يسد من الناس، يقول: كل إنسان يجري في السيادة على قدر طاقته، فليس كل أحد أهلًا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود ويبلغ مبلغ الممدوح، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالًا.

(٩٩٧) يقول: من يتجنب معك القبيح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلًا، لكثرة من يعاملك بالقبيح، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال:

وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ   وَأَنَّ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ وَصول

وقال العكبري: وهذا من قول الحكيم: «من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل.»

(٩٩٨) يقول: إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له، وما يحتاج إليه في دنياه قدر القوت، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه، كما قال سالم بن وابصة:

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ   فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقْرَا

قال ابن جني: مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رُؤي يستقي ماء، فقيل له: بعد الخلافة؟! فقال: إنما فقدنا الفضول.

(٩٩٩) يقول للعاذلة: كل أحد يدعي لنفسه صحة العقل كما تدَّعين أنتِ؛ يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلًا مني، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه؛ لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلًا.

(١٠٠٠) لهنك: قال سيبويه: أصلها «لله أنك»، وقال أبو زيد: أصلها «لإنك» مركبة من «لام التوكيد وإن»، فأبدلت همزة «إن» هاء لئلا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة. يقول: أنت أولى باللوم، وأحوج إلى العذل مني؛ لأن من أحببته لا يلام على حبه.

(١٠٠١) مثلك: منصوب على الحال من عاشق؛ لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال. يقول لها: إن وجدت لمحبوبي مثلًا في الحسن وجدت لي مثلًا في العشق؛ يعني كما أن محبوبي لا مثل له، كذلك أنا. وقد فسر مراده فيما يلي.

(١٠٠٢) محب: خبر عن محذوف ضمير المتكلم. والبيض: النساء. والمرهفات: السيوف. والضمير في «مرهفاته» للمحب. يقول: أنا محب أعشق الحرب دون النساء؛ فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف، وإذا ذكرت حسنهن كنيت به عن صقل السيوف.

(١٠٠٣) يقول: وأكني كذلك بالسمر عن الرماح السمر، ويعني بجناها: ما يجتنى منها من المعالي التي يرتقى إليها بالعوالي. يقول: فالمعالي هي أحبائي، ورسلي التي تتردد بيني وبينها هي الأسنة — الرماح — يريد: أني أخطب المعالي بالرماح.

(١٠٠٤) الثنايا: الأسنان التي في مقدم الفم. والغر: البيض. والحدق: جمع حدقة؛ سواد العين، والمراد بها العين. والنجل: الواسعة. يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم — الفقد — يقول: لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن، ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها.

(١٠٠٥) الغبطة: السعادة وحسن الحال. يقول: إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة؛ لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضًا، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب المعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة الغانيات. فالهاء في «بلغتها»: مفعول أول لبلغت، وهي عائدة على الغبطة، ومن شكى: مفعول ثانٍ، وبالوصل: متعلق ببلغتها، ومن شكى الهجر هو العاشق؛ أي وإن واصلته لم تبلغه غبطة. وقال الخطيب التبريزي: نهى عن الحرص في طلب النساء. يقول: إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقعًا عندها وأنشط لها فزادت الغبطة، وإذا شكوت إليها الهجر وتذللت لها هنت في عينها؛ فحرمتك وصلها فضلًا عن تبليغك الغبطة.

(١٠٠٦) يقول للعاذلة: دعيني أنل من العلا ما لم ينل قبلي، فإن العلا الصعبة الشاقة — وهي التي لم يبلغها أحد — في الأمر الصعب الذي لم يركبه أحد، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه؛ يعني لا يدرك من المعالي ما تجلى قيمته إلا بتكلف ما تعظم مشقته، وما كان منها يقرب تناوله فبحسب ذلك يكون تساهله.

(١٠٠٧) رخيصة: حال. والشهد بفتح الشين وضمها: العسل. وإبرة النحل: شوكتها. يقول للعاذلة: تريدين أن أدرك المعالي رخيصة — أي دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال — والمعالي لا تدرك كذلك؛ فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع. وهذا كما قال العتابي:

وَإِنَّ جُسَيْمَاتِ الْأُمُورِ مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ

(الأساود: الحيات.)

هذا: وقال الواحدي: قرئ على المتنبي لقيان — بضم اللام — وكذلك أملاه، وهو خطأ، والصواب: الكسر. ذكره سيبويه وقال: هو مثل عرفان وغشيان وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك.

(١٠٠٨) والخيل تلتقي، يروى: «والخيل تدعى»؛ يريد أصحاب الخيل، والجملة حالية. والادعاء في الحرب: الاعتزاء والانتساب — وهو أن يقول: أنا فلان ابن فلان. وتجلى: تنفرج وتنكشف، يقال: أجلت المعركة عن كذا قتيلًا. يقول: تخافين علينا الموت عند التحام الحرب، وتبارز الفرسان، ولم تعلمي عن أي عاقبة تنفرج الخيل؛ أي هل تكون الدائرة علينا أو على العدو؟ قال العكبري: يشير إلى الموقعة التي شهدها في الكوفة مع الخارجي قبل وصول هذا الممدوح إليها.

(١٠٠٩) الغبين: المغبون فعيل بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، من غَبَنَه في البيع والشراء: خدعه وغلبه. وشريت ها هنا: ابتعت، ويروى شربت. «ودلير» و«لشكروز»: قال الواحدي: اسمان أعجميان من أسماء الديلم، ومعناهما الشجاع والمسعود. وقال اليازجي: «لشكروز» مركب من «لشكر» وهو الجيش و«واوز» وهو الصوت؛ أي صوت الجيش. يقول: وعلى فرض أن الدائرة كانت علينا، وكنت أنا من جملة الهلكى؛ لم أعد ذلك غبنًا علي، وإنما أعده ربحًا مقابل ما حصلت عليه لنفسي من إكرام هذا الممدوح.

(١٠١٠) أمر الشيء يمر إمرارًا: صار مرًّا، ويقال: مر يمر — بفتح الميم وضمها. والأنابيب: جمع أنبوب؛ وهو ما بين كل كعبين؛ والمراد هنا: الرماح أنفسها وخطر الريح اهتز. «تحلو لي» تصير حلوة. يقول: إن الرماح الخاطرة بيننا وبين أعدائنا تصير مرة علينا؛ يعني أن الحرب شديدة المرارة. فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة لنا؛ لأنا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله. هذا: وقد عاب قوم عليه قوله «فتحلو لي» مع قوله «تجلى»، وقالوا: كيف جمع بينهما في القافية ولا صحة للواو؟ قال الواحدي: وليس الأمر كذلك؛ لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح؛ مثل القول والمين، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما؛ مثل أسود وأبيض، وهذا مثل قول الكُسَعِي: (الكسعي: نسبة إلى كسع كزفر؛ وهم حي من اليمن رماة، أو من بني ثعلبة بن سعد بن قيس غيلان، واسمه غامد بن الحرث، أو محارب بن قيس، يضرب به المثل في الندامة، قال الفرزدق:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسَعِيِّ لَمَّا غَدَتْ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلًا له في وادٍ فيه حمض وشوحط فإما ربى نبعة حتى اتخذ منها قوسًا، وإما رأى قضيب شوحط ثابتًا في صخرة فأعجبه، فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسًا فقطعه، وقال:

يا ربِّ سَدِّدْني لِنَحْتِ قَوْسِي فإنها مِنْ لَذَّتي لنفسي
وانفعْ بِقَوْسي ولِدِي وعِرْسِي
أَنْحَتُ صَفْرَاءَ كلوْن الوَرْسِ كَبْدَاءَ لَيْسَت كالقِسِيِّ النُّكْس

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم، ثم قال:

هنَّ وربي أَسْهُمٌ حِسانُ يَلَذُّ للرمْيِ بها البَنَانُ
كأنما قوَّمها مِيزان فأبشِرُوا بالْخِصبِ يا صِبيان
إنْ لم يُعِقْنِي الشؤمُ والحرمانُ

ثم خرج ليلًا إلى قترة له — القترة: بيت الصائد — على موارد حمر الوحش؛ فرمى عيرًا منها، فأنفذه، وأورى السهم في الصوانة نارًا، فظن أنه أخطأ فقال:

أعوذ بالمهيمن الرحمنِ من نكد الجدِّ مع الحرمان
مَا لي رأيْتُ السهمَ في الصَّوَّان
يُورِي شَرَارَ النار كالعِقْيان أَخلفَ ظنِّي ورَجَا الصبيان

ثم وردت الحمر ثانية فرمى عيرًا منها، فكان كالذي مضى من رميه، فقال:

أعوذ بالرحمن من شرِّ القَدَر لا بارك الرحمن في أُمِّ القُتَر
أأمغِطُ السهمَ لإرهاق الضرر أم ذاك من سوء احتمالٍ ونظر
أمْ ليسَ يُغني حَذرٌ عند قدَرْ؟

«المغط والإمغاط: سرعة النزع بالسهم»، ثم وردت الحمر ثالثة؛ فكان كما مضى من رميه فقال:

إن لشُؤْمي وشقائي ونكَدْ قد شفَّ منِّي ما أرَى حَرُّ الكبِدْ
أخلَفَ ما أرجو لأهلي وولَدْ

ثم وردت الحمر رابعة؛ فكان كما مضى من رميه الأول فقال:

ما بالُ سهمي يُظهرُ الْحُباحِبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا
إذ أمكن العَيرُ وأبْدَى جانبًا فصار رأيي فيه رأيًا كاذبا

ثم وردت الحمر خامسة؛ فكان كما مضى من رميه، فقال:

أبَعْدُ خمسٍ قد حفظْتُ عدَّها أحْمِلُ قوْسي وأريدُ رَدها
أخْزَى إلهي لينَها وشدَّها واللهِ لا تَسْلَم عندي بعدها
ولا أُرَجِّي ما حَيِيتُ رفْدَها

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح، فلما أصبح ونظر إلى نبله مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله عض إبهامه فقطعها، ثم أنشأ يقول:

نَدِمْتُ ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذًا لَبَتَرْتُ خَمْسي
تبيَّنَ لي سَفاهُ الرأي مِنِّي لَعَمْرُ الله حين كسَرْتُ قوْسي)

يا ربِّ سَددْني لِنَحْتِ قَوْسِي فإنها مِنْ لَذَّتي لنفسي
وانفعْ بِقَوْسي ولدِي وعِرْسِي

وقد قال البحتري:

إن سَيرَ الخليطِ حين استَقلا

ثم قال في هذه القصيدة:

كنْتَ من بين البرايا به أحق وأوْلى

وقال ابن جني: هذه قافية فيها فساد؛ وذلك أن الواو في «تحلو لي» ردف؛ لأنها ساكنة قبل حرف الروي، وليس في هذه القصيدة قافية مردفة غير هذه، وهذا عيب عندهم، بيد أنه جاء في الشعر القديم:

إذا كنت في حاجة مرسلًا　　فأرسل حكيما ولا توصهِ
وإن بَابُ أمر عليك الْتوى　　فشاور لبِيبًا ولا تعصهِ

(وبعدها:

ولا تنطِق الدهرَ في مجلس　　حديثًا إذا أنت لم تُحْصِهِ
وَنُصَّ الحديث إلى أهله　　فإن الوثيقةَ في نَصِّه
وإنْ ناصحٌ منك يومًا دَنا　　فلا تنْأ عنه ولا تُقْصِه
وَكَمْ من فَتًى شاخصٍ عقلُه　　وقد تعجب العينُ من شخصِه
وآخَرَ تحسبه جاهلًا　　ويأتيك بالأمر من فَصِّهِ

وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية، ونص الحديث رفعه وأسنده. والوثيقة في الأمر: إحكامه والأخذ بالثقة. وفص الأمر: أصله وحقيقته. يقول: أنا آتيك بالأمر من فصه؛ يعني من مخرجه الذي قد خرج منه.)

(١٠١١) يقول: لو كنت أعلم علمًا ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سببًا لمجيء الممدوح إلينا والتملي بقربه؛ لزاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل. قال العكبري: يشير إلى الوقعة التي جرت بالكوفة، ولم يشهدها الممدوح، وكانت سبب قدومه إلى الكوفة.

(١٠١٢) العراقان: الكوفة والبصرة. وكاشف: لك أن تجعله منادى، وأن تجعله حالًا. والخوف يروى البأس، والبأس: الفقر أو الشدة. والمحل: الجدب. يدعو يقول: لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سببًا لورودك، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك، والجدب بجود راحتك.

(١٠١٣) أنبى: جعلها نابية لا تنفذ. والنصول: السيوف. يقول: إذا نَبَتِ السيوف بأيدينا، وحال دون نفاذها كثرة سلاح أعدائنا، ذكرناك فنفذت سيوفنا بدولتك، وكان ذكرك أمضى من السيف.

(١٠١٤) الضمير في «نواصيها» لخيل الأعداء — وإن لم يجر لها ذكر — وسكَّن الياء في «نواصيها» للضرورة. والوغى: الحرب. والنبل: سهام العرب. والنشاب: سهام العجم. يقول: إذا سميناك في الحرب انهزم أعداؤنا، فكأن اسمك سهام تقع في وجوه أخيلهم، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا.

(١٠١٥) يقول: إن كنت أنبتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا؛ فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمناهم بذكرك قبل وصولك؛ فأنت الغالب لا نحن. وجعل «قبلًا» نكرة فأعربها وكسرها، كما قال الآخر:

وساغَ لِيَ الشرابُ وكنتُ قبلًا   أكادُ أغصُّ بالماء الحميمِ

(هو ليزيد بن الصعق، وقبله:

فَنِمْتُ الليل إذ أوقعْتُ فيكم   قبائل عامِرٍ وبني تميم
وساغَ لِيَ الشرابُ ...   . [البيت]

وأغص: مضارع غصصت بالطعام غصصًا — من باب تعب — والغصة: ما غص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه، وهو هنا مستعمل مكان الشرق؛ لأنه مخصوص الماء؛ يقال شرق بالماء وبِريقه إذا لم يبلعهما. والحميم: الماء الحار — وليس بمراد — ومن ثم قال أبو العباس ثعلب: سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت، فقال: الحميم: الماء البارد. فيكون الحميم إذن من الأضداد، يكون الحار ويكون البارد.)

(١٠١٦) السنابك: أطراف الحوافر. والسبل: الطرق. يقول: ما زلت أنتوي زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة؛ فهي حاجة بين سنابك الخيل والطرق.

(١٠١٧) الجياد: الخيل. ويؤثرن: يخترن. يقول: لو لم تسِرْ إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس، لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة؛ تحصيلًا للمجد وعليا المراتب.

(١٠١٨) خيل: عطف على «نفس». والمرجل: القدر من نحاس. يقول: ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش، لا ترعى الرياض قبل صيد وحشها، فإذا مررنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا المرجل ثم رعت خيلنا؛ يعني أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل، فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تستريح وترعى، وهذا من قول امرئ القيس:

إذا ما ركِبنا قال وِلْدَانُ أَهْلِنا: تعالَوْا إلى أن يأتِيَ الصيد نحطب

(١٠١٩) في الفضل: متعلق بشركة. يقول: كانت نيتنا أن نقصدك، والقصد مقترن بفضل القاصد، فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك، حصل لك فضلان: فضل كسبته بقصدك إلينا، وفضل تنفرد به دون سائر الناس.

(١٠٢٠) يتبع أصله: يتتبع؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية، ومثله اطَّير واثَّاقل. والوبل: المطر الغزير. والرائد: الذي يرسله القوم يطلب لهم الكلأ ومساقط الغيث. وقوله رائد الوبل: من باب المشاكلة. يقول: ليس من يطلب المطر كمن مطر وهو في داره، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر ببلده لا يتعنى بنشدان الموضع الممطور؛ يعني ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفوًا بلا قصد ولا تعب. وقال الإمام التبريزي: أنت كالسحاب الذي جاءنا مطره، ولم يحوجنا إلى السفر؛ لنرى ما أنبته فيما بعد من الأماكن البعيدة التي تقصد للمرعى.

(١٠٢١) يقول: لست كمن يدعي الشوق، ثم لا يزور ويحتج بعوائق الشغل؛ يعني أن من يدعي الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذبًا في دعواه؛ لأن من عالج الشوق زار ولم يستبعد الدار، يريد أن الممدوح لو تأخر عن المجيء إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتج بالشغل؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل:

بَعيدٌ عنِ الكَسلانِ أو ذي ملالة وَأَمَّا على المشتاق فهو قرِيبُ

(١٠٢٢) كلاب: هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة وقاتلها أهلوها قبل قدوم هذا الديلمي الممدوح. وقوله: لمن تركت ... الخ: استفهام. والشويهات: جمع شويهة،

تصغير شاة. يقول: إن بني كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم، فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعي الإبل والغنم؟ يعني أنهم ليسوا أهلًا لما طلبوه، وإنما هم أهل للرعي.

(١٠٢٣) يقول: أبى الله أن ينيلهم الإمارة، وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل؛ يعني أنهم أهل بادية، وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم، ويأبى الله لهم إلا هذا، لا الإمارة التي حاولوها ... هذا، والضب معروف وجمعه ضِبَاب وضُبَّان وأضُبٌّ، مثل كف وأكف، والأنثى ضبة. والعرب تستقذر الورل؛ وهو دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه، وتستخبثه فلا تأكله، وأما الضب فإنهم يحرصون على صيده وأكله. وفي المثل: أعق من ضب؛ لأنه ربما أكل حسوله — أولاده — حين تخرج من بيضه. ومن قولهم: لا أفعله حتى يرِد الضب الماء؛ لأن الضب لا يشرب الماء. ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة: وردًا يا ضب، فقال:

أصبحَ قلبي صَرِدًا　　لا يشتهِي أن يردَا　　إلا عــرادًا عَــرِدَا
وصِـلِّـيـانًـا بَـرَدا　　وعَنْكثًا مُلْتَبدًا

«صردًا: أي باردًا. والعراد: نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ينبت في البادية؛ وهو النخيل. وعراد عرد: على المبالغة. والصليان: نبت كذلك. وبردا: يريد باردًا. ويروى زردا: أي سريع الازدراد. والعنكث: شجر يشتهيه الضب فيسحجه بذنبه حتى يتحات فيأكل المتحات.»

(١٠٢٤) الطمرة: الفرس العالية الوثابة. وتنيف: تشرف. والسحوق: النخلة الطويلة. يقول: قاد هذا الممدوح لكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق — طويلة — قد أشرف خداها من فوقها، وهذا من قول الآخر:

كأن الْجِسْمَ للرائين طَود　　وهاديها كأنْ جِذْع سحوقُ

هذا: ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة؛ يريدون العلو، وأنها ممتنعة لا يصل إليها أحد إلا بالتعب، وأنشدوا:

يا ربِّ أرْسِل خارفَ المساكينْ　　عَجَاجةً ساطِعةً العثانِينْ
تنفضُ ما فِي السُّحق المجانين

«يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رءوس النخل، وعثنون الريح هيدبها إذا أقبلت تجر الغبار جرًّا.»

(١٠٢٥) الجواد: الفرس الكريم. وبأغنى: أي بحافر أغنى، فحذف الحافر للعلم به. والحديد: بيان للنعل. يقول: وقاد لها كل فرس جواد، قوي الأسر، شديد الخلق، يضرب الأرض بحافر مستغنٍ عن النعل بصلابة خلفته، كما يستغني النعل عن النعل، وسمى حافره كفًّا استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول جبيهاء الأسدي يصف ضيفًا طارقًا أسرع إليه:

فأبْصَرَ نَارِي وَهْيَ شقراءُ أُوقِدَتْ ... بِليلٍ فَلَاحتْ لِلْعُيُونِ النواظِرِ
فما رقدَ الوِلْدَانُ حتى رَأَيْتُه ... على البكرِ يمْرِيهِ بساقٍ وحافر

يمريه: يستخرج ما عنده من الجري.

(١٠٢٦) ولت: أدبرت، والضمير للقبيلة. وتريغ: تطلب. وخلفت: تركت خلفها. يقول: إن كلابًا هذه كانت قبل تمردها وطمعها في الإمارة في أمن ونعمة، فلما طمعت في الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة، هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثًا — يعني أمنًا ونعمة — وقد خلفت أمنًا كان في يدها، فصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها؛ أي تطلب بهربها وإغذاذها — سيرها على أرجلها — ما كان حاصلًا في أيديها، فدلت بذلك على جهل وحمق، وقال ابن فورجه: يعني أنها كانت في غيث من إقطاع السلطان وإنعامه، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا هاربين يطلبون مأمنًا وحصنًا، وقد خلفوا أمنًا كان حاصلًا لهم. وقوله تطلب بأرجلها ما كان في أيديها؛ أي تطلب بهربها وعدْوها — جريها على أرجلها — ما كان حاصلًا في أيديها؛ والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة، خائفة متوقعة، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين. هذا ويقال: أراغ وارتاغ: بمعنى طلب وأراد؛ تقول للرجل يحوم حولك: ماذا تريغ؟ أي ماذا تريد وتطلب؟ وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه؛ أي يطلبه ويديره، وأنشدوا:

يُدِيرُونَنِي عن سالِمٍ وَأُرِيغُهُ ... وجلدةُ بين العينِ والأنفِ سالِمُ

(١٠٢٧) المراد بالمال — ههنا — المواشي. والهزل — بفتح الهاء وضمها — الهزال: ضد السمن، وقد هُزِل الرجل والدابة — على ما لم يُسَمَّ فاعله — وهزل هو هَزلًا وهُزلًا،

وهزلته أنا أهزله هزلًا فهو مهزول، وأهزل القوم؛ أي أصابت مواشيهم سنة — جدب — فهزلت. يقول: يحاذرون الهزال على مواشيهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة، وما لحقهم من الذل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال.

(١٠٢٨) به: متعلق بأهدت، والباء تجريد. وكريم السجايا: يعني الممدوح، والسجايا: الخلائق والطبائع. يقول: أهدت إلينا كلاب — بتمردها وعصيانها — من الممدوح كريم السجايا يسبق — في الإحسان — فعلُه قولَه، ويتقدم — في الإفضال — إنجازُه وعدَه؛ يعني أنها كانت سببًا في قدومه إلينا، وإن لم تقصد ذلك.

(١٠٢٩) الرزايا: المصائب. والأسنة: أسنة الرماح. وآثارها: هي الجراحات التي تحدثها. والفتل: جمع فتيلة؛ وهي التي يجعل فيها الطبيب المرهم ليوصله إلى الجرح. يقول: إنه جبر أحوال الناس وأصلح ما لحقهم من الرزايا والخسائر بسبب غارة بني كلاب، وآسى جروحهم وداواها بجوده، كما تؤاسَى جروح الأسنة وتداوَى بالفتائل. وهذا ينظر إلى قول بشامة بن حزن النهشلي:

بِيض مفارِقُنا تغلِي مَرَاجِلُنَا نأسو بأموالِنا آثارَ أيْدِينا

(١٠٣٠) النوال: العطاء. والثاكلات: الفاقدات أولادهن. يقول: أدرك ثأر القتلى، وأفاض جوده على الأحياء، فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثاكلات من حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الثكل بجوده. قال العكبري: والثاكلات في موضع نصب عطفًا على «كل»، والتقدير: شفى كل شاكٍ والثاكلات، ويجوز أن يكون في موضع جر، ولكن العطف أولى وأظهر.

(١٠٣١) تروق: تعجب. وحاد: مال. يقول: إن الشمس تستحسن صورة وجهه، فلو نزلت إليه الشمس شوقًا إليه لمال عنها. وعف: يعني أنه عفيف عن كل أنثى حتى عن الشمس، فلو هي نزلت إليه لحقق معنى العفة.

(١٠٣٢) المراد بالخيل: الفرسان. والرجل: جمع راجل. يقول: هو شجاع يَقتل ولا يُقتل، فكأن الحرب تعشقه وتحبه، فإذا زار الحرب وأتاها استبقته وأفنت مَن سواه من الفرسان والرجال، فكأنها جعلتهم فداء له، وهو تخيل مبتكر بديع.

(١٠٣٣) ريان: من الرِّي. وتصدى: تعطش. والصدى: العطش. والبذل: العطاء. يقول: إنه لا يشرب الخمر، فكأنه مرتوٍ منها لا يعطش إليها، ولا يفتر عن البذل، فكأنه عطشان لا يروى منه.

(١٠٣٤) يقول: مملكته وعظم قدره يشهدان بوحدانية الله تعالى وعدله ورأفته بعباده؛ إذ ملَّك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده.

(١٠٣٥) الحسام: السيف القاطع. والليث: الأسد. والشبل: ولد الأسد. يقول: ما دام قائم سيفه في كفه فلا عادية لقوي على ضعيف؛ لأنه يصده بسيفه أن يعدو على الناس. والليث والناب: مَثَل — أي ولو كان القوي ليثًا لكان بلا ناب — وقال ابن جني: يعني لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه في كفه. فكأنها ليست موجودة، وليس بشيء.

(١٠٣٦) يقول: وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم؛ لأنه لا يجود أحد جوده.

(١٠٣٧) يقول: هو مجبول على البذل والجود، يمقت البخل ويجتويه، فلا يرى طاهرًا مبرءًا من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه.

(١٠٣٨) يقول: لا قطع الله أصلًا أنجب لنا مثله، وأبقى على النسل الذي نشر علينا فضله، فإني رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها.

(١٠٣٩) اثلث: كن ثالثًا؛ من قولهم ثلثت الرجلين أثلثهما: إذا صرت ثالثهما. والطلل: ما شخص من آثار الديار. والإرزام: حنين الإبل. يقول للطلل: كن ثالثنا في البكاء على فقد الأحبة، فإنا نبكي والإبل تحن كأنها تبكي كذلك. وعبارة العكبري التي كأنها شعر منثور: كن أيها الطلل ثالثًا في البكاء على فقد الأحبة، فنحن نبكي والإبل تحن معنا، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك، وأذهبت من غضارتك وجدتك، ووصلته من بعد أحبائنا العامرين لك، الجامعين شمل السرور بك، فإنا نبكي فيك، ونوقنا ترزم، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم. وفيه نظر إلى قول البحتري:

اطْلُبَا ثَالِثًا سِوايَ فإني رابعُ العيسِ والدُّجى والبيد

ومن هذا قول التهامي:

بكيتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأجابها صهيل جوادي حين لاحت ديارها

(١٠٤٠) أولا: عطف على محذوف: أي إن بكيت فخليق بك البكاء، أو لم تبك فلا عتب عليك. ولمثلها: أي لمثل هذه الفعلة — يعني عدم البكاء. وفعل: جمع فعول. يقول: إن لم تبك معنا فلا عتب عليك؛ فإن الطلول ليس من عادتها البكاء، فهي فاعلة لمثل هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء.

(١٠٤١) يقول للطلل: لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلي بأنك لو كنت ممن يبكي لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأحبة، وهو قوله «بي غير ما بك»، وقد فسر ذلك في البيت التالي.

(١٠٤٢) لم أبك أني: أي لم أبك لأني. والضمير من «شغفوا وقتلوا» للأحبة، والعائد محذوف: أي شَغفوهم وقَتلوهم. والبيت من تتمة قول الطلل، ويروى شُغفوا وقُتلوا — بالبناء للمجهول — والأُولى أجود. يقول: لقلت لي: الذي بي أكثر من الذي بك؛ لأنهم — الأحبة — شغفوك حبًّا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم، أما أنا فإنهم قتلوني بارتحالهم — كناية عن دروسه بعدهم — والقتيل لا يقدر على البكاء.

(١٠٤٣) يقول للطلل: إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقمت بعدهم أيامهم دول لديارهم؛ تعمر بنزولهم أيام مقامهم، وتخرب بارتحالهم. وعبارة العكبري: أيامهم للديار التي يحلونها، دول سرور مستقبلة، وأيام جذل مستأنفة، والذي صرف عنك من ذلك يوحشك، وما منعته منهم لا محالة يؤلمك. وأقمت: يُروى بضم التاء، على أن هذا من كلام الطلل متصلًا بالكلام المحكي عنه.

(١٠٤٤) يقول: إن الحسن محصور في الحبيب الذي معهم، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم. وعبارة العكبري: الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم، وينزل معهم بالمكان الذي ينزلونه، فلا يفارقهم انقيادًا لأمرهم، ولا يتأخر عنهم كلفًا بهم.

(١٠٤٥) في مقلتي رشأ: متعلق بـ «يرحل» — في البيت السابق. والرشأ: ولد الظبية. والحلل: جمع حلة؛ وهي القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول. يقول: إن الحسن يرحل في مقلتين مستعارتين من رشأ تديرهما امرأة بدوية تقيم في البادية، حيثما نزلت افتتن بها القوم الذين تنزل بهم.

(١٠٤٦) يقول: إن هذه المرأة قتين (امرأة قتين: قليلة الطعم، وهذا من الصفات المحمودة في النساء) قليلة التناول للطعام، حتى لتشكو الأطعمةُ هجرها وصدودها. ثم قال: ومن الذي تصل؟ وهو استفهام؛ يعني أن الهجر ديدنها، فهي لا تصل أحدًا حتى الطعام. وقوله وصدودها: قال العكبري: روايتنا فيه عن شيخي بالنصب والجر؛ فالنصب عطفًا على طول، والجر عطفًا على هجرتها.

(١٠٤٧) ما أسأرت: أي الذي أسأرت وأبقت؛ مبتدأ، والخبر تركته. والقعب: قدح من خشب مقعر. وجملة «وهو المسك» حالية. يقول: إذا شربت لبنًا من قدح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته، ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل. يريد طيب نكهتها وعذوبة ريقها، وفيه نظر إلى قول جميل:

فلو تَفَلتْ في البحر والبحرُ مالح لعاد أُجاجُ البحرِ من ريقها عَذْبًا

هذا، وقد قلنا أسأرت: أي أبقت؛ فالسؤر بقية الشيء، والجمع أسآر، وفي الحديث: «إذا شربتم فأسئروا»؛ أي أبقوا شيئًا من الشراب في قعر الإناء، والنعت منه سَئَّار — على غير قياس — لأن قياسه «مسئر». قال الجوهري: ونظيره أجبره فهو جبار. قال الأخطل:

وشارِبٍ مُربحٍ بالكأسِ نادَمَنِي لا بالْحَصُور ولا فيها بسئَّارِ

«سئار — بالهمز — بوزن سعار: معناه أنه لا يسئر في الإناء سؤرًا، بل يشتفه كله. والرواية المشهورة بسوَّار: أي بمعربد وثاب من سار، إذا وثب وثب المعربد على من يشاربه. والحصور: الذي لا ينفق على الندامى، وقيل الهيوب المحجم عن الشيء، وإنما أدخل الباء لأنه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعته له في النفي.»

(١٠٤٨) ثمل: أي سكر. يقول: قالت لي — لائمة على العشق: ألا تصحو من بطالتك؟ فقلت لها: أخبرتني — في فحوى كلامك حين أمرتني بالصحو — أن الهوى سكر؛ لأن الصحو لا يكون من غير السكر. وهذا إشارة إلى أنه كان غافلًا عن حال نفسه؛ لشدة هيمانه، وأنها نبهته إلى أنه سكران من الهوى.

(١٠٤٩) فناخسر: هو اسم عضد الدولة. وصبحكم: أي أتاكم صباحًا للغارة. والغزل: الكلف بالنساء. يقول: لو أن عضد الدولة — مع جده وتوفره على تدبير الملك — أتاكم صباحًا للغارة وبرزت له، لقدحت في قلبه غزلًا فمال إليك، وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن. وقال ابن جني: ما أحسن ما كنى عن الهزيمة بقوله عاقه الغزل. قال ابن فورجه ناقدًا: لو كانت هذه إحدى السعالي (السعالي: جمع سعلاة، قيل هم سحرة الجن، وقيل الغيلان الخبيثة) لما هزمت أحدًا فكيف عضد الدولة! وما وجه الهزيمة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتتنت بها الحلل! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد، ثم لما بالغ في وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية في ذكر حسنها، حتى لو أن عضد الدولة — مع توفر وجده على تدبير الملك — لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت في قلبه غزلًا عاقه عن الرجوع عنها؛ ألا تراه يقول بعده: ما كنت فاعلة وضيفكم ... الخ! وكيف يضاف المنهزم، وإنما غلط ابن جني لما سمع قوله: وتفرقت عنكم كتائبه، وإنما تتفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الظفر بالحبيب.

(١٠٥٠) الكتائب: جمع كتيبة؛ الفرقة من الجيش. وقتل: جمع قتول. يقول: ولتفرقت كتائبه عنكم لِوُلُوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب. ثم قال: إن الحسان يخدعن العقول، والشغف بهن قاتل، ومن ثم تخدعين عضد الدولة، وهو من هو؟! وتتفرق كتائبه من جرائك، فكأنك هزمتهم وعصفت بهم.

(١٠٥١) يقول: أي شيء كنت فاعلة وقد أتاكم ملك الملوك ضيفًا، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه، وأنت بخيلة! يعني بالطعام والقِرى، يصفها بالبخل، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء، وهما من شر أخلاق الرجال.

(١٠٥٢) القرى: ما يقدم للضيف من الطعام وغيره. ويسل: يسأل، حذف الهمزة، وألقى حركتها على السين. يقول: أكنتِ لا تقومين بقراه فتفتضحي في فعلك، أم تقومين بذلك فتخرجي عن المعهود من أمرك؟

(١٠٥٣) الضمير في «به»: لحيث. والجور: خلاف العدل، ويروى: ولا خور، والخور: الضعف. والوجل: الخوف. يقول: بل لا يسعك حينئذ البخل؛ لأن المكان الذي يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء.

(١٠٥٤) الطنب: اعوجاج في الرمح. يقول: إنه — لاستقامته واعتداله في الأمور — إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح المعوج.

(١٠٥٥) يقول: إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه، فإن لم يكن ذلك عجزًا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما، فهو غفلة منهم؛ إذ لم يهتدوا إلى سيرته.

(١٠٥٦) يقال «فلان ابن بجدتها» للعالم بالشيء المتقن له، وهو عالم ببُجْدة أمرك وبَجْدة أمرك وبُجُدَة أمرك — بضم الباء والجيم — أي بدخيلته وبطانته، وعنده بَجدة ذلك — بفتح الباء — أي علمه. يقول: حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وبضبط أمورها وسياسة أهلها، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل.

(١٠٥٧) شكوى: مفعول مطلق. يقول: شكا إليه السهل والجبل كما يشكو العليل إلى الطبيب الذي يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة؛ يعني أن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة، وهو — بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة — كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته، وأصل هذا قول الأخيلية:

إذا هبط الحجَّاجُ أرضًا مريضةً تَتَبَّعَ أقصى دائها فشفاها

(١٠٥٨) قالت شجاعته: فعل وفاعل. وقوله فلا كذبت: دعاء اعترض بين الفعل والفاعل. يقول: إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت: أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس؛ يعني أن شجاعته زينت له الإقدام، وصورت له أن أحدًا لا يقدم عليه، فهو باق بوقاية شجاعته إياه. ثم دعا له بالبقاء وقال: لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت.

(١٠٥٩) يوم وغى: يوم حرب. يقول: هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة، أو يراد الدعاء إلى النزال يوم الحرب والقتال.

(١٠٦٠) الوفود: جمع وفد؛ وهم جماعة الوافدين للعطاء. والشكل: جمع شكال؛ وهو ما يجعل في قوائم الفرس. والعقل: جمع عقال؛ وهو ما يربط به يد البعير. يقول: إن الوفود الذين يعمِدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح؛ لأنه لا مطمع فيه بالسلاح، وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة بنيل ما يرجون من عطاياه. وأسكن العين في «الشكْل» على لغة تميم، وضمها في «العقل» على لغة أسد.

(١٠٦١) البخت: الإبل العجمية؛ وهي غير العربية. يقول: إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم؛ يعني أنه يحقق آمالهم، ويكون عند رجائهم فيه، فيعطيهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون.

(١٠٦٢) يقول: إن مواهبه تلي أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها، فأمواله أبدًا جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاته، فإذا صمدت إليه وفود وَهَبَ خيله وإبله كلها في وقت معًا، وإذا بقى منها شيء وهبه لمن يفد بعدهم، وإلَّا وهب بدلها ذهبًا وفضة؛ يعني أن جميع أمواله في تصرف مواهبه. وعبارة الخطيب التبريزي: خيله وإبله التي تأخذها الوفود ثلاثة أصناف: فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليهم، وإما أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكمون فيها، وإما أن تكون استبدل غيره فهم يأخذون البدل. وقال المعري: يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود، وبقيتها لمن يفد بعد، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق.

(١٠٦٣) السبل: المطر وهو بين السحاب والأرض؛ أي حين يخرج من السحاب، ولم يصل بعد إلى الأرض. يريد به هنا ما يجري على يديه من المواهب والدماء. وشوقًا إليه: مفعول له، عامله ينبت، والضمير المجرور للسبل. والأسل: عيدان الرماح؛ أي إن الناس

تشتاق إلى مواهبه، والرماح تنبت شوقًا إلى ما يسقيها من دم الأبطال. ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام. وعبارة الواحدي والعكبري: إن الناس يشتاقون إلى عطاء يده، والرماح تنبت شوقًا إلى أن تصحب يده؛ أي ليطعن بها ويستعملها في الحرب. فقوله شوقًا إليه ... الخ: أي وينبت الأسل شوقًا إليه — أي إلى الممدوح — أي إلى مباشرتها بيده. ولك أن تقول: إن جملة «شوقًا إليه ... الخ» صفة لسبل؛ يعني أن ما يجري على يديه من العطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقًا إليه؛ أي إلى ما يسقيها من دم الأبطال؛ يشير إلى أنه شجاع.

(١٠٦٤) سبل: من رواه بالجر أبدله من الأول، ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف. والحوذان: نبات طيب الطعم زهره أحمر في أصله صفرة. والنفل: نبت من أحرار البقول زهره أصفر طيب الرائحة، تسمن عليه الخيل. لما سمى عطاءه سبلًا قال: هو سبل — مطر — ينبت المكرمات والمجد؛ لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده وتعلو مهابته، وليس من المطر الذي ينمو به النبات.

(١٠٦٥) و«إلى» عطف على «إلى سبل». وبالناس: خبر مقدم. ويلل مبتدأ مؤخر. والجملة: صفة لحصى. والليل: قصر الأسنان — يقال رجل أَيَلُّ، والأنثى يلَّاء — وهو ضد الروق، والروق: طول الأسنان. قال لبيد يصف أسهمًا:

فرَمَيتُ القومَ رشقًا صائبًا ليس بالعُصْلِ ولا بالمُقتَعلْ
رَقَميَّات عليها ناهِض تُكلِحُ الأرْوَقَ منهم والأيلّْ

(سهام عصل: معوجة. والمقتعل: السهم الذي لم يبر بريًا جيدًا. والرقميات: سهام تنسب إلى موضع بالمدينة. وعليها ناهض: أي عليها ريش فرخ من فراخ النسر ناهض؛ أي وفر جناحاه ونهض للطيران. وأكلحه الأمر: أي لشدته أصابه بالكلوح؛ وهو بُدُوُّ الأسنان عند العبوس.)

يقول: ويشتاق إلى حصى أرض أقام بها، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم اليلل وقصرت أسنانهم. وقال ابن جني: من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه، كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تنعطف الأسنان على باطن الفم، وهو معنى حسن؛ ويكون اليلل على هذا انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه.

(١٠٦٦) الضواحك: التي بين الأنياب والأضراس، وهي أربع ضواحك. يقول: إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل، فلمن تصان القبل وتدخر؟ يعني أن حصى أرضه أحق شيء بالتقبيل إعظامًا له وإجلالًا لقدره.

(١٠٦٧) قدر: جمع قدرة، وتروى: غرر، جمع غرة؛ بياض الشيء وحسنه. يقول: على وجهه نور من الله تعالى، ذلك النور قدر من الله؛ يعني أنه يدل على قدرته تعالى، وتلك القدر تقوم مقام الآيات والرسل؛ لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع. وعلى رواية غرر يكون المعنى: على وجهه نور من الله يشير إلى تمليكه ووجوب طاعته، فيقوم مقام الآيات والرسل في بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره.

(١٠٦٨) القلل: الرءوس، جمع قلة. يقول: إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به، ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه، فكأنها رضيت بحكم سيوفه.

(١٠٦٩) الخميس: الجيش. والقنا: الرماح. والذبل: الدقاق. يقول: إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له، خفض رماحه لطعنه بها — وذلك سجود القنا — فحمله على الخضوع قهرًا.

(١٠٧٠) كان «وهشوذان» هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم — موضع في عراق العجم. والهبل: الثكل — الفقد — تقول العرب: لأم فلان الهبل. يقول: أرضيت يا «وهشوذان» ما حكمت به سيوف ركن الدولة، أم تتمادى في طغيانك، فتستزيد لك ولأصحابك من القتل والخزي والتنكيل؟

(١٠٧١) وردت: أي السيوف. وغير مغمدة: حال. والقنا: الرماح. والشعل: جمع شعلة؛ القبس من النار، شبه سيوف الممدوح المصلتة بشعل النار.

(١٠٧٢) الخزر: ضيق العين، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه. والقبل في الخيل: أن تقبل إحدى العينين على الأخرى، وإنما تفعل ذلك الخيل لعزة أنفسها. والأعيان: جمع عين «تقول عيون وأعين وأعيان»، قال يزيد بن عبد المدان:

ولكنني أغْدُو عَلَيَّ مُفاضةٌ   دِلاص كأعيان الجراد المُنظم

(المفاضة: الدرع السابغة كأنها أفيضت على لابسها. والدلاص: الصقيلة البراقة، وشبه حلقها في الدقة والزرقة، وتقارب السرد، بعيون جراد نظم بعضه إلى بعض وجمع.)

قال ابن جني: يقول: القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس؛ أي أتوك عليها. قال ابن

فورجه: كيف خص «ابن جني» الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر، سيما وأكثرهم ديلم، والممدوح ديلمي؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان ما لا يحصى، كقوله:

خُزْرٌ عيونهم إلى أعدائهم

وبعد؛ فالمعنى إذن أن القوم غضاب، والخيل نشاط عزيزة الأنفس.

(١٠٧٣) يقول: أتاك قومه وليس لك بهم طاقة، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جملتهم اختلال، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبي عضد الدولة، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه، ومضوا إلى «وهشوذان» ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال؛ والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يختل بمن انفصل عنه. فالقبل: الطاقة. وبهم: يتعلق بقبل. وجملة «ليس بمن أتوا ... الخ»: حال. وقوله بمن أتوا: أراد بمن أتوه، فحذف العائد، وكذلك بمن نأوا: أي بمن نأوا عنه.

(١٠٧٤) الري: بلد بين أرض فارس وخراسان، وكانت قاعدة ركن الدولة، والنسبة إليها رازي. وفصلوا: يريد خرجوا. وقفلوا: رجعوا. يقول: لكثرة جيوشه بالري لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون؛ يعني أنهم لم يشعروا بالجيش الذي هزم «وهشوذان» لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش، ولا شعروا بقفولهم.

(١٠٧٥) يخاطب «وهشوذان» يقول: أقبلتَ إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك، ومضيت منهزمًا ولا وعل ينهزم انهزامك، فخبر «لا» في الموضعين محذوف — كما ترى — للعلم به. والوعل: تيس الجبل، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين.

(١٠٧٦) الراح: جمع راحة؛ راحة اليد. يقول لوهشوذان: تعطي سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والكراع (الكراع — بضم الكاف — اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير) والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه، لمنعته وبعد نيله.

(١٠٧٧) يقول: أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يغصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه؛ يعني أنك خفت أن يقطع رأسك، فسخوت بمملكتك لئلا ينتقل الرأس عنك. قال ابن جني: لو قال بترك مملكة لكان أوجه، إلا أنه اختار النقل لقوله آخرًا: ينتقل.

(١٠٧٨) دلف إليه: دنا منه ومشى إليه. يقول: لولا جهلك لما قصدت قومًا تنهزم عنهم بأدنى حرب منهم، فضرب لهذا مثلًا بالغرق والتفل؛ والمعنى أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لغرقوك.

(١٠٧٩) الغيل: جمع غيلة؛ وهي القتل على حين غفلة، ومن حيث لا يدري. يقول: إن جيشه لا يأتون أحدًا في خفية ليظفروا غدرًا وليغتالوا عدوهم، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الغدر والاغتيال، فهم يقاتلون أعداءهم جهارًا.

(١٠٨٠) تعرفه: حال؛ أي وأنت تعرفه. يخاطب «وهشوذان» يقول: إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك، إلا إذا اضطررت إلى ذلك. يلومه على اختياره الحرب من أول الأمر، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه.

(١٠٨١) استحى يستحي: بمعنى استحيا يستحيي. ونضلوك: غلبوك — من المناضلة؛ وهي المراماة بالسهام، يقال تناضل الرجلان فنضل أحدهما صاحبه إذا غلبه، وكان أكثر إصابة منه — وأتى بعلامة الجمع في «نضلوك»، والفعل مقدم على الفاعل على لغة من يقول: أكلوني البراغيث. وفضلوا: فاقوا في الفضل؛ أراد: أو فضلوك. يقول: من كان مغلوبًا بآل بويه لا يستحي من ذلك؛ لأنهم يغلبون كل أحد.

(١٠٨٢) يقول: لما قدروا عفوا فهم يعفون عن قدرة، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا، ولما سئلوا أغنوا من سألهم، ولما علوا أعلوا أولياءهم، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم؛ أي فمن خالفهم فهو ظالم، ومن ناوأهم فهو شديد الاغترار بهم.

(١٠٨٣) يقول: هم فوق السماء منزلة ورتبة، وفوق كل طلبة وحاجة، وإذا أرادوا شيئًا هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو؛ إذ هم وراء كل غاية.

(١٠٨٤) الصوارم: السيوف. وتعذر: تنصل واحتج لنفسه، ومثله اعتذر.

قال أبو ذؤيب:

فإنك منها والتعذر بعدما ... لَجَجْت وشَطَّت من فُطَيمة دارُها

وقال لبيد يخاطب ابنتيه، ويقول: إذا مت فنوحا وابكيا علي حولًا:

فقوما فقولَا بالذي قد علمتما ... ولا تخمِشا وجْهًا ولا تحلِقا الشعَرْ
وقولا هو المرء الذي لا خليله ... أضاع ولا خان الصديق ولا غدَرْ

إلى الحوْل ثم اسمُ السلام عليكما ومَن يبكِ حولًا كاملًا فقد اعتذر

يقول: إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذبًا قبلوا عذره تكرمًا.

(١٠٨٥) شهر السيف: جرده من غمده. والعذل: اللوم. يقول: إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف؛ يعني لا يعجلون إلى الحرب، وإنما يقدمون اللوم والوعيد، وما دام العذل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضر. يصفهم بالحلم والأناة، وفي مِثل هذا المعنى يقول بعض الملوك: إذا كفاني الكلام لم أرفع السوط، وإذا كفاني السوط لم أشهر السيف.

(١٠٨٦) أبو علي: هو ركن الدولة أبو عضد الدولة. وأبو شجاع: هو عضد الدولة. يقول: بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم، وبعضد الدولة كملت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم.

(١٠٨٧) الغرة: الطلعة. و«أن» تفسيرية. ولا فاته أمل: حكاية القسم. وأشار بذا الأول إلى ركن الدولة، وبالثاني إلى عضد الدولة. يقول: لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ومخايل البركة والإقبال، ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم، فكأن وجهه وهو في المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال. وروى ابن جني «بركات نعمة ذا»؛ يعني أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء. قال الواحدي: ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة؛ أي ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعضد الدولة بإدراك الآمال. ويروى «بركات نغمة ذا»؛ يعني أن أباه عرف بنغمته — صوته — لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها.

(١٠٨٨) يقول: إن الأيام خليقة بأن تتظلم مني وتقول ما للمتنبي وما لي؟ أي لأني جشمتها من همتي ما ليس في وسعها؛ وكان من حقه أن يقول «وما لنا»؛ لأنه ذكر الأيام والليالي، لكنه ذهب بهما إلى الدهر، فكأنه قال: ما أجدر الدهر! ويقال فلان جدير بكذا؛ أي خليق. وأنت جدير بكذا، والجمع جدراء وجديرون.

(١٠٨٩) لا أن يكون ... الخ: أراد لا أن يكون هكذا مقالي لها بأن أتظلم منها، فحذف «لها» للعلم به والاختصار، كما تقول: «ما أجدر زيدًا بأن يقوم إليك لا أن تقوم»، تريد إليه فتحذفه. وفتى: خبر مبتدأ محذوف؛ أي أنا فتى، وصلَى بالنار: قاسى حرها.

يقول: إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أتظلم أنا منها؛ لأني فتى لا يزال يقاسي شدائد الحروب؛ يعني أنه تعود الصبر على الشدائد، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى.

(١٠٩٠) يقول: من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل؛ يريد طول مخالطته الحروب، وتمرسه بها وانغماسه فيها، حتى صارت نيرانها عنده كالماء بردًا، فهو يشرب منها ويغتسل بها، وهذا مثل أراد أن شدائدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم. ثم قال: إن الفحشاء لا تخطر له على بال، يصف نفسه بالعفة حتى لا تخطر الفحشاء على باله، فضلًا عن أن يحدِّث نفسه بإتيانها. والفحشاء: كل ما اشتد قبحه من الذنوب؛ والمراد هنا الفجور؛ الزنا.

(١٠٩١) جذب: شد. والزراد: صانع الزرد؛ وهي الدروع، وأراد بجذب الزراد لذيله دعاءه إياه؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من ثوبه ليقبل عليه. والسربال: القميص، ويسمى به الدرع استعارة، والجمع سرابيل. وسمته: كلفته. والسرد — ويروى الزرد — مداخلة حلق الدروع بعضها في بعض.

(١٠٩٢) والسروال: معروف؛ وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل — بصيغة الجمع وإن لم يقصد به الجمع — وقوله «وكيف لا»: أي كيف لا أكون كذلك، فحذف للعلم به. والإدلال: الفخر والتيه، يقال فلان مدل بكذا.

(١٠٩٣) والمجروح والثمال: فرَسان كانا لعضد الدولة. يقول: لو خيرني الزراد في صنع سربال ألبسه بين أن يكون من صنعة الدرع أو من صنعة الثياب — أي بين أن يصنع لي درعًا أو ثوبًا — لما اخترت إلا الثوب دون الدروع. يشير بذلك إلى أن سيفه درعه، وهو يحمي به بدنه، وإنما حاجته أن يحصن عورته. قال الواحدي: وهذه طريقة المتنبي يترفع عن معاشرة النساء كبرًا وتعففًا. ثم قال للمتنبي: وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن بالممدوح، وبه أدل وأفتخر على الناس؟

(١٠٩٤) الجريال: صبغ أحمر تشبه به الخمر. يقول: إنه يسقي أعداءه كئوس الموت، وأولياءه كئوس الخمر.

(١٠٩٥) القفص: جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان، وهو مفعول أول لأصار. وأمس: مفعول ثانٍ. يقول: لما أفنى هؤلاء القوم فصيرهم مثل أمس الدابر، وجواب «لما» يأتي بعد.

(١٠٩٦) قال الواجدي: قتلهم: ذللهم، ومنه قول امرئ القيس:

في أعشَار قَلْبٍ مُقَتَّلِ

أي مذلل، ويقال شراب مقتل: إذا سكنت سورته بالماء. والإجفال: الإسراع في الهرب. والكرد: جبل معروف. يقول: ذللهم وأضعفهم ومنعهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربًا.

(١٠٩٧) فهالك: أي فمنهم هالك. والجالي: النازح عن وطنه. والجالية: الذين جلوا عن أوطانهم. والعوالي: الرماح. يقول: فأصارهم بين هالك أفناه التعرض لحربه، وطائع أنجاه التسليم لأمره، ونازح عن داره خوفًا منه. ثم قال: وصاد فرسان الأعداء بالرماح.

(١٠٩٨) والعتق: عطف على العوالي — جمع عتيق. يقول: وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة، الجديدة الصقل. وقوله سار ... الخ: جواب لَمَّا أصار؛ أي لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش المعتصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة.

(١٠٩٩) وفي رقاق: عطف على الجبال. والرقاق من الأرض: اللينة. والإنس: الناس. والأوصال: المفاصل. يقول: سار للصيد وهو يطأ الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل.

(١١٠٠) منفرد: نصب على الحال — من سار. والرعال: القطعة من الخيل، واحدها رعلة. يقول: سار منفردًا عن جيشه لا يريد أن يسايره أحد، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجرًا منهم.

(١١٠١) الضن: البخل. يقول: ضَنَنْت بالشيء أَضِنُّ — وهي اللغة العالية — وضننت أَضِن ضَنًّا وضِنًّا وضَنَّة ومَضَنَّة وضَنَانَة: بخلت به، وهو ضنين به، ومن هذا قولهم علق مضَنة ومضِنة؛ أي شيء نفيس مضنون به ويُتنافس فيه. والانسلال: مصدر انسل؛ بمعنى خرج من بين أصحابه في خفية، ومثله التسلل، ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾. يقول: وكان ينفرد عنهم ضنًّا بنفسه عن صحبتهم، لا أنه يريد أن يستبدل بهم غيرهم. ثم قال: إن خيله لم تكن تتحرك في سيرها معه إلا حركات خفية هيبة له.

(١١٠٢) التصهال: الصهيل. والمختال: المعجب بنفسه المستكبر. يقول: فالخيل تضرب على الصهيل تأديبًا لها، وفوقها كل رجل عليل في سكونه وتصاغره هيبة لعضد الدولة، وهو في نفسه وهمته مختال؛ فكل عليل مبتدأ، وفوقها خبره.

(١١٠٣) يمسك فاه: نعت عليل. والزوال: الساعة تلي الظهيرة. يقول: وليس يسعل هيبة، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال، يصف عسكره بالوقار إجلالًا له، هكذا قال أكثر الشراح. قال بعضهم: ولعل الأشبه بمراد المتنبي أنهم كانوا يفعلون ذلك مخافة

أن ينفر الصيد إذا سمع جلبتهم، كما يستدل عليه من السياق التالي هذا: ويقال طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعًا، ومطلَعًا ومطلِعًا، وهو أحد ما جاء من مصادر فعَل يفعُل على مفعِل، ومطلَعًا بالفتح لغة، وهو القياس، والكسر الأشهر. قال الفراء: إذا كان الحرف من باب فعَل يفعُل — مثل دخل يدخل وخرج يخرج وما أشبههما — آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين، إلا أحرفًا من الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل؛ من ذلك المسجد والمطلع والمغرب والمشرق والمسقط والمفرق والمجزر والمسكن والمنسك والمنبت، فجعلوا الكسرة علامة الاسم والفتح علامة للمصدر، راجع لسان العرب مادة «طلع».

(١١٠٤) يئل: ينجُ ويرجع إلى موئل، مضارع وأل؛ أي نجا. وغير آل: أي غير مقصر، اسم فاعل من ألا يألو. وعدا: ركض وجرى. والأدغال: الآجام، وهي الشجر الكثيف الملتف. وانغل: دخل في الشجر. يقول: لم ينجُ من صيده الطير الذي طار ولم يقصر في طيرانه؛ أي فكيف ينجو الذي قصر؟ ولم ينجُ كذلك ما عدا من الوحش، فدخل واستتر بالأدغال؛ أي فكيف ينجو الذي لم يلجأ إلى الأدغال؟

(١١٠٥) الدحال: جمع دحل، كالهوة في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب. و«من» بيان «لما». وحرام اللحم: ما كان كالخنزير والسبع والنمر ونحوها. يقول: ولم ينجُ أيضًا ما تحصن بالماء والدحال مما يحل أكله وما لا يحل.

(١١٠٦) دشت الأرزن: موضع بشيراز. والدشت: الصحراء. والأرزن: شجر صلب تتخذ منه العصي. والطوال: مبالغة من الطويل، وهو نعت للأرزن. يقول: إن النفوس معدة للآجال حتى تأخذها وتذهب بها، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيًا. وقال بعض الشراح: قوله إن النفوس عدد الآجال؛ أي إن عدد النفوس على عدد الرجال يعني أن لكل نفس أجلًا، وكان الوجه العكس؛ أي أن يقول: الآجال عدد النفوس، فقلب الكلام تفننًا.

(١١٠٧) الفيح: الواسعة، جمع أفيح. والأغيال: جمع غيل، وهو الأجمة. والرئبال: الأسد، ويجوز في مجاور الحركات الثلاث: الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والنصب على أنه حال، والجر على أنه نعت لدشت. يقول: إن هذا الدشت محاط بالمروج، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان، فخنزيره مجاور للأسد.

(١١٠٨) الداني: القريب. الخنانيص: جمع خِنَّوْص؛ ولد الخنزير. والأشبال: جمع شبل؛ ولد الأسد. ومشترف: بمعنى مشرف، يقال أشرف واشترف، قال جرير:

من كلِّ مشترف وإن بعُدَ المدى

«يريد من كل فرس مشرف مرتفع». يقول: إن أولاد الخنازير فيه قريبة من أولاد الأسد مجاورة لها، والدب فيه مشرف على الغزال؛ لأن الدب جبلي والغزال سهلي.

(١١٠٩) يقول: إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان؛ يعني المفترس كالأسد ونحوه وغير المفترس كالظبي والأرنب، وكل واحد من هذين الفريقين أشكال.

(١١١٠) فناخسر: اسم عضد الدولة. والضمير في «عليها» للأضداد والأشكال. الفيال: الذي يسوس الفيل. يقول: كأن الممدوح خاف على هذه الحيوانات أن لا تكون كاملة فجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل؛ ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها.

(١١١١) الأيل: جمع إيل؛ وهو حيوان من ذوات الظلف، للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها، أما الإناث فلا قرون لها. قال العكبري: وهذا البيت الرواية فيه أُيَّل — بضم الهمزة — على أنه جمع إيل، والمعروف أيايل، ووزن إيل فعل مثل القنب (ضرب من الكتان.) وفعل لا يجمع على فُعَّل إنما فُعَّل جمع فاعل كصائم وصوَّم وراكع وركع وساجد وسجد. أقول: وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن «أيل» اسم للجمع، ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء. قال الخليل: وإنما سمي أيلًا لأنه يئول إلى الجبال. وبعد، فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا؛ فقيل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل، وقيل إن إيل وأيل جمع أيل «راجع لسان العرب مادة أيل». وطوع: حال. والوهوق: جمع وهق؛ وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها. والمراد بالخيل: الفرسان. يقول: صيدت الأيائل وقيِّدت بالحبال والوهوق حتى صارت طوعًا لها تقاد بها.

(١١١٢) النعم: الإبل، أما الأنعام، فهي الإبل والغنم والبقر. قال الفراء: النعم يذكر ولا يؤنث، ويجمع على نعمان، مثل حمل وحملان، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل، فإذا قالوا الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم. وقال ابن سيده: النعم الإبل والشاء، ويذكر ويؤنث، والجمع أنعام وأناعيم. والأرسال: جمع رسل؛ وهو القطيع من الإبل. ومعتمة: من العمامة. والأجذال: جمع جذل؛ وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها. يقول: إن هذه الأيايل تسير في الجبال سيرًا لينًا كما تسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو — الجري — وهي ذات قرون كبار ملتفة، كأنها قد اعتمدت بأعواد يابسة من الأجذال.

(١١١٣) يريد بأثقال الأحمال: القرون؛ يعني أنهن خلقن كذلك، لا أنه يكون لهن قرون حين الولادة؛ فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل — لا إلى صغارهن — يصف قرون

الأيايل بالثقل، وأن هذه القرون تمنعها أن تفلي رءوسها لاعوجاجها. وقال ابن جني: يعني بأثقل الأحمال الجبال. قال ابن فورجة: بل المراد القرون؛ لأن الواحد منها إذا قطع، حمله حمار أو رجل. قال الواحدي: وقول ابن جني أظهر؛ لأنها ولدت ولا قرون لها، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها؛ والمعنى: ولدن تحت الجبال وقرونهن لطولها وتشعبها تمنعهن من فلي رءوسهن لعوجهن، وما ذهبنا إليه أظهر.

(١١١٤) الهزال: رقة الجسم. يقول: إن هذه القرون لا تشارك أجسامها في الهزال.

(١١١٥) السبة: العار يسب به. يقول: إذا انتفت الأيايل إلى ظل قرونهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة في تعبير الجهال. يشير إلى قولهم في الشتم: يا قرنان، وهو الذي لا غيرة له.

(١١١٦) السبة: العار يسب به. يقول إذا انتفت الأيايل إلى ظل قرونهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة في تعبير الجهال. يشير إلى قولهم في الشتم: يا قرنان، وهو الذي لا غيرة له.

(١١١٧) السبة: العار يسب به. يقول إذا انتفت الأيايل إلى ظل قرونهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة في تعبير الجهال. يشير إلى قولهم في الشتم: يا قرنان، وهو الذي لا غيرة له.

(١١١٨) أراد بالعضو هنا القرن، ولا يسمى القرن عضوًا؛ إذ ليس من جملة الأعضاء، ولعله أطلق عليه عضوًا لمجاورته العضو. والخبال: الفساد وشلل الأعضاء، كنى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيايل الفرار، فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجري. يقول: إذا حل بالجسم خبال، فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه — في حال من الأحوال — من ذلك الخبال؛ يريد أن عظم قرونها لم ينفعها في الخروج من الوهوق.

(١١١٩) أوفت: أشرفت من فوق الجبال. والفدر: جمع الفدور والفادر. قال الأصمعي: الفادر من الوعول: الذي قد أسن، بمنزلة القارح من الخيل، والبازل من الإبل. وقيل الوعل: الشاب التام. والضال: شجر؛ وهو السدر البري. يقول: وأشرفت الوعول المسنة ترتدي بقرونها كأنها — لانعطافها — القسي التي تعمل من شجر الضال.

(١١٢٠) نواخس: حال من القسى. والآطال: جمع إطل؛ وهو الخاصرة. وينفذن: يخرقن. يقول: إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها؛ أي تصيبها وتضربها، وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها.

(١١٢١) اللحي: جمع لحية. قال ابن سيده: اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الخدين والذقن، والجمع لِحًى ولُحًى — مثل ذروة وذرى. والسبال: الشوارب، جمع

سبلة؛ الشارب. يقول: لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحى ولكن لا شوارب لها، وتلك اللحى تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم. هذا، والسبلة أيضًا مقدم اللحية، وما أسبل منها على الصدر، ومن هذا قولهم: جاء فلان وقد نشر سبلته، إذا جاء يتوعد. قال الشماخ:

أتتنِي سُليمٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا تُنَشِّرُ حوْلي بالبقيع سِبَالَهَا
يقولون لِي يا احلِفْ ولستُ بحالف أُخادعُهم عنها لكَيما أنالَها
ففَرَّجْتُ غَمَّ النفس عَنِّي بحِلفةٍ كما قَدَّتِ الشقراءُ عنها جِلَالَها

(سليم قبيلة. وقضها بقضيضها: أي بأجمعهم؛ وهو اسم منصوب موضوع موضع المصدر، كأنه قال جاءوا انقضاضًا. وقال سيبويه: كأنه يقول انقض آخرهم على أولهم. وأصل القض: الكسر، وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض كقولهم عقاب كاسر؛ أي منقضة. والبقيع الموضع المعروف بالمدينة — على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم. وتنشر حولي ... الخ: يروى تمسح أراد أنهم يمسحون لحاهم، وهم يتوعدونه. وقوله يا احلف: أي يا رجل احلف، أو «يا» للتنبيه. وأخادعهم عنها: أي عن الحلفة، فأقول لهم لا أحلف، وأظهر أن الحلف يشق علي. وقوله لكيما أنا لها: أي الحلفة. وقوله ففرجت ... الخ: يريد كشفت هذا الغم عني باليمين الكاذبة، كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه. والشقراء: يريد الناقة، وفي مثل بهذا المعنى يقول ابن الرومي:

وإنـي لـذُو حَـلـفٍ كـاذب إذا ما اضطُررت وفي الحال ضِيقُ
وهل من جُناح على مُعسرٍ يدافع بالله ما لا يطيقُ)

(١١٢٢) كل أثيث: بدل من اللحى؛ أي كل لحية هذه صفتها. والأثيث من الشعر: الكثير الملتف. ونبتها: فاعل أثيث. ومتفال: خبيثة الرائحة. والغوالي جمع غالية؛ وهي أخلاط من الطيب. والدمال: زبل الدواب؛ وهو السرجين. يقول: لها لحى كثيرة الشعر، منتنة الريح، لم تطيب بمسك ولا بطيب، بل بالبول والسرجين!

(١١٢٣) تسريح الشعر: حله وتخليص بعضه من بعض. والعارضان: جانبا الوجه. يقول: لو سرحت هذه اللحى حال كونها في وجه رجل ذي احتيال، لكانت له شبكة يصطاد بها أموال الناس؛ لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤتمن، وإذا كان محتالًا خان الأمانة وفاز بها.

(١١٢٤) يقول: لعدها شبكة من الشباك التي ينصبها قضاة السوء لأخذ أموال اليتامى بما يظهرون من حلي المهابة والوقار وسيماء الخير والتقى. هذا، والسوء: الاسم — مِن ساءه يسوءه سوءًا — والسوء: الفجور والمنكر؛ تقول هذا رجلُ سوء، بالإضافة، وإذا دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء. قال الفرزدق:

وكنت كذِئبِ السَّوءِ لَمَّا رأى دَمًا بصاحبه يومًا أحال على الدم

(أحال الذئب على الدم: أقبل عليه. قال الفرزدق أيضًا:

فتى ليس لابن العَمِّ كالذئب إن رأى بصاحبه يومًا دمًا فهْو آكله)

قال الأخفش: ولا يقال الرجل السوء، ويقال الحق اليقين، وحق اليقين جميعًا؛ لأن السوء ليس بالرجل، واليقين هو الحق. قال: ولا يقال هذا رجل السُّوء — بالضم — وقرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بضم السين؛ يعني الشر والهزيمة، وقرأ باقي القراء بفتح السين، وهو من المساءة. راجع لسان العرب، مادة: «سوأ».

(١١٢٥) الإدبار والإقبال: مصدرا أدبر وأقبل، والدبر: خلاف القبل. قال الجوهري: ودبُر كل شيء ودبْره: آخره، على المثل، قال الكميت:

أعَهْدَكَ من أُولي الشبيبة تطلُبُ عَلَى دُبُرٍ هيهات شأْوٌ مُغِرِّب

(شأو مغرب — بكسر الراء وفتحها — بعيد.)

والقذال: مؤخر الرأس. يقول: إذا استدبرت هذه اللحى، رأيتها كما تستقبلها لعظمها وعرضها؛ فهي تعم الوجه والقفا.

(١١٢٦) فاختلفت: عطف على قوله «وأوفت». والوابل: المطر الكثير. والطود: الجبل. وقوله: من معال، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عالِ الدار — بكسر اللام — ومن علا؛ قال ذو الرمة في من «معال»:

فرَّجَ عنه حَلَقَ الأغلالِ جَذْبُ العُرَى وجِرية الجبال

ونغَضانُ الرحلِ من مُعالِ

(أراد: فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال — يعني حلق الرحم — سيرنا، وكل حركة في ارتجاف نغض ونغضان، والجرية — بالكسر — حالة الجريان.)

وفي «أتيته من علا» يقول أبو النجم:

باتتْ تنوشُ الحوْضَ نوْشًا من عَلا نـوْشًـا بـه تـقـطَـعُ أجـوازَ الـفـلا

(باتت: أي الإبل. وتنوش الحوض: تتناول ملء أفواهها من مائة. ومن علا: أي من فوق؛ يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذي تناله هو الذي يعينها على قطع الفلوات. والأجواز: جمع جوز؛ وهو الوسط؛ أي تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربًا كثيرًا، وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر.)

وفي «من عل الدار» — بكسر اللام — قال امرؤ القيس:

مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقـبـلٍ مـدبـرٍ مـعًـا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

(يقول امرؤ القيس: إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكر على العدو، ومفر إذا أريد منه الفر، ومقبل ومدبر إذا أريد منه ذلك. وقوله معًا: يعني أن الكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله؛ لأن فيها تضادًّا. ثم شبهه في سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عالٍ إلى حضيض.)

وفي «أتيته من علُ» — بضم اللام — أنشد يعقوب لعدي بن زيد:

فـي كِـنـاسٍ ظـاهِـرٍ يـسـتـرُهُ مِن عَلُ الشفَّانَ هُدَّابُ الْفَنَنْ

(الشفان هنا: البرد؛ وهو منصوب بإسقاط حرف الجر؛ أي يستره هداب الفنن من الشفان. والهداب: كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل. والفنن: الغصن أو ما تشعب من ورقه.)

أما قول أوس بن حجر يصف قوسًا وقواسًا:

فمَلَّكَ باللِّيطِ الذي تحت قشرها   كَغِرْقِئ بيضٍ كَنَّهُ القيضُ من عَلُو

(الليط: جمع ليطة — كريش وريشة — قشرة القصبة والقوس والقناة وكل شيء له متانة. والقيض: قشر البيض الأعلى اليابس. وغرقئ البيض: قشره الذي تحت القيض. وملك: شدد — من قولهم ملكت المرأة العجين: إذا عجنته وأنعمت عجنه وأجادته. والذي: مفعول ملك لا صفة لليط. يقول أوس: ترك شيئًا من القشر على قلب القوس تتمالك القوس به — أي تقوى وتشتد. يكنها: أي يسترها لئلا يبدو قلب القوس فيتشقق وهم يجعلون عليها عقبًا إذا لم يكن عليها قشر، ولذلك مثَّله بالقيض للغرقئ.)

فإن الواو زائدة، وهي لإطلاق القافية، ولا يجوز مثله في الكلام. وفي «أتيته من عال» يقول دكين بن رجاء:

يُنْجِيه مِن مِثل حمام الأغلالْ   وقْعُ يدٍ عَجْلَى ورِجل شِمْلَالْ
ظمأى النَّسَا من تحْتُ ريًّا من عالْ

(الأغلال: جمع غلل؛ وهو الماء الذي يتخلل بين الشجر. وشملال: خفيفة سريعة. والنسا — بوزن العصا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظمتين، وجرى النسا بينهما واستبان، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان — جمع ربلة باطن الفخذ — وخفى النسا. يصف دكين فرسًا، يقول: ينجي هذا الفرس من خيل مثل حمام يرد غللًا من الماء وقع يد ... الخ، يصفه بالسرعة، ثم قال: إن قوائمه ليست برهلة ولا كثيرة اللحم، ويحمد ذلك فيها، ثم قال: إنها ريا من فوق — يقال فرس ريان الظهر إذا سمن متناه.)

وأتيته من علو، قال أعشى باهلة:

إني أتتني لسانٌ لا أُسَرُّ بها   من عَلْوُ لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ

(من كلمته المشهورة التي يرثي بها المنتشر. واللسان هنا: يراد بها الرسالة والكلمة والخبر.)

ويروى من علْو وعلُو. يقول: رشقت هذه الأيايل بالنبال من أعالي الجبال وأسافلها، فهي تجيء منها وتذهب بين نبال كالمطر تأتيها من كل جانب.

(١١٢٧) العتل: القسي الفارسية. والرجال — بكسر الراء، ويروى بضمها، والتثقيل: جمع راجل. والكبد: بالكسر وبفتح فكسر، لغتان. والنصال: جمع نصل؛ الحديدة المركبة في السهم، وكبداها الناتئان وسط تلك الحديدة عن يمينها وشمالها. يقول: رمت قسي الرجالة تلك الوعول، فأدخلت في كبد كل منها نصلًا من نصال السهام؛ يعني أن الرماة قد أثخنوها بالرماح.

(١١٢٨) يهوين: يسقطن. والقلال: جمع قلة؛ أعلى الجبل. والظلف: الحافر المشقوق. والإرقال: ضرب من العدْو. يقول: فهن يسقطن من أعالي الجبال منحدرات على ظهورهن، فصارت أظلافهن مقلوبة وصار عدْوهن — جريهن — على الظهور بعد أن كان على الأظلاف.

(١١٢٩) يرقلن: يجرين. والمحال: فقار الظهر، جمع محالة. يقول: هي تعدو في الجو نازلة على ظهورها في طرق تسرع إيصالها إلى الحضيض، كما هو شأن ما يهوي سفلًا.

(١١٣٠) النيمة: هيئة النوم. والمكسال: صيغة مبالغة من الكسل، وتروى: الكسال جمع كسلان. والقفي: جمع قفا. والعجال: جمع عجل وعجلان وأعجل، العجال: حال. لما نزلت في تلك الطرق على قفيها جعلها كالنائم المستلقي على ظهره كسلًا، ولكنها في ذلك أسرع العجال لسرعة هويها.

(١١٣١) يقول: لا يشتكين في تلك السرعة نَصَبًا ولا تعبًا ولا إعياء؛ لأنهن لا يقفن عن النزول، ولا يخفن ضلالًا ولا تيهًا في طريقهن؛ لأنها تفضي بهن إلى الأرض ألبتة.

(١١٣٢) عنها: صلة الترحال، والضمير للوحوش. وسبب: خبر «كان»، وتشويق: اسمها، وتقدير الكلام: فكان تشويقُ إكثار إلى إقلال سببَ ترحال عنها. يقول: لما أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال؛ لأنه مل الصيد لكثرته فكان ذلك سبب رحيله عنها.

(١١٣٣) البلبال: الهم والحزن. وسلمى: أحد جبلي طيئ، والآخر أجا. وقيال: جبل بالبادية. يقول: لكثرة فتكه بالصيد خافته الوحوش، حتى بات وحش نجد في خوف وهم، وكذا وحش جبل طيئ، فهي تخشى أن يقصد إليها.

(١١٣٤) نوافر — كما قال ابن جني: حال من ضمير «يخفن». والضِّباب: جمع ضبٍّ؛ وهو الدويبة المعروفة يأكلها العرب. والأورال: جمع ورل؛ دابة على خلقة الضب أعظم منه، طويلة الذنب دقيقته. والخاضبات الربد: النعام لأنها ربد الألوان — في لونها

غبرة — فإذا أكلت الربيع انخضبت — احمرت سوقها — فيسمى الظليم خاضبًا، قال أبو دؤاد:

له سَاقا ظَلِيمٍ خاضِبٍ فوجِئَ بالرُّعبِ

«راجع لسان العرب، مادة: خضب». والرئال: جمع رأل؛ فرخ النعام. يقول: إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفًا منه.

(١١٣٥) الخنساء: المها — بقر الوحش — لخنس أنفها. والذيال: الثور الوحشي لطول ذنبه. والأزوال: جمع زول، وهو العجيب الظريف من كل شيء. يقول: إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الخرس على السؤال عنه مع عجزها عن السؤال.

(١١٣٦) فحولها: جمع فحل، وهي رواية ابن جني. وتروى: فَحولها — بفتح الفاء التي هي للجواب — كما تقول أكثرت من الجميل فالناس كلهم يشكرونك، فأتى بالفاء لأن فعل الجميل كان سبب الشكر، والحول: جمع حائل، ضد الحامل. والعوذ: الحديثات النتاج، جمع عائذ. والمتالي: جمع المتلية، وهي التي تتلوها أولادها. يقول: إن أنواع الوحوش تود وتتمنى لو بعث إليها من يلي عليها فيذللها، وتتمة الكلام فيما يلي.

(١١٣٧) يركبها: نعت والٍ. والخطم: جمع خطام؛ وهو الزمام، وخطمت البعير: زممته. والرحال: جمع رحل، وهو للإبل كالسروج للخيل. يقول: هذا الوالي يذلل الوحش حتى تنقاد في الأزمة والرحال، فتصير آمنة من أهوال الطرد ومما يصيبها من خوف الصيد.

(١١٣٨) خمس المال: أخذ خمسه. والمسبل: من السحاب الهاطل. والهطال: المتتابع السيلان. يقول: ويأخذ ذلك الوالي خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي.

(١١٣٩) السفار: المسافرون، وهم السَّفْر، وواحد السفر — في القياس — سافر، مثل صاحب وصحب، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر». والقفال: جمع قافل، وهو الراجع من من سفره، كأنه قال: يا أقدر الناس جميعًا ذاهبًا كنت أم راجعًا. والثعالي: الثعالب على الإبدال، وهو خاص بالشعر، ومثله: الأراني، جمع أرنب، قال أبو كاهل اليشكري يشبه ناقته بعقاب:

كأن رجْلي على شغواء حادرةٍ ظَمياء قد بُلَّ من طلٍّ خوافيها
لها أشاريرُ من لحم تُتمِّرهُ من الثعالي وَوَخز من أرانيها

(الشغواء: العقاب، سميت بذلك من الشغي؛ وهو انعطاف منقارها الأعلى. والحادرة: الغليظة. والظمياء: المائلة إلى السواد. وخوافيها: يريد خوافي ريش جناحها. والأشارير: جمع أشرارة؛ وهي اللحم المجفف للادخار. وتتمر: تجففه، واشتقاقه من التمر، يريد بقاءها في وكرها حتى يجف لكثرته. والوخز: القطع من اللحم، وأصل الوخز: الطعن الخفيف، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلي يروى: رحلي. والثعالي: الثعالب. والأراني: الأرانب.)

يقول: لو شئتَ غلَّبت الضعيفَ على القوي حتى تصيد الأسود بالثعالب.

(١١٤٠) الآل: ما يرى نصف النهار كأنه ماء. والإلال: جمع ألة؛ وهي الحربة العريضة النصل. يقول: لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء، ولو طعنتهم باللآلئ بدل الإلال — الحراب — لقامت اللآلي في إهلاكهم مقام الحراب؛ لأنك مظفر منصور.

(١١٤١) الطَّرَد: الصيد، وهو مصدر طرد، مثل الطَّرْد بالإسكان. والسعالي: جمع سعلاة؛ وهي الغول، يقال: إنها تتمثل في الفلوات على صورة الجن. والظلم: الليالي التي في آخر الشهر لا يطلع فيها القمر. والأبال: جمع آبل، وهي التي تجتزئ بالكلأ عن الماء. يقول: لم يبقَ إلا أن تصيد الغيلان في المهامه على ظهور الإبل، يعني ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذي غائلة فلم يبقَ إلا أن تخلي المفاوز من السعالي حتى لا تؤذي السائرين في الليالي المظلمة، وإنما خص الإبل؛ لأن الخيل لا تعمل في المفاوز، وجعلها مكتفية عن الماء بالكلأ لئلا تحتاج إلى الماء.

(١١٤٢) المحال: المستحيل الذي لا يكون. يقول: بلغت غاية آمالك، وملكت كل شيء يوصف بالوجود ويدرك مكانه، ولم تترك إلا المعدوم الذي لا يوصف بالمكان والوجود. وقوله في: «لا مكان» كما يقال سافرت بلا زاد.

(١١٤٣) الحلي: ما يصاغ من الجواهر للزينة. والحالي: صاحب الحلي. وبالأب: متعلق بمحذوف؛ أي تتحلى. والشنف: القرط الذي يعلق في أعلى الأذن. وحليًا: مفعول العامل المحذوف. يقول: النسب حلية لصاحبه وأنت الحالي بتلك الحلية، فأنت إنما تتحلى بأبيك لا بما تتزين به النساء من حليهن، وذلك الحلي الذي هو نسبك تزين منك بالجمال؛ يعني أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضًا.

(١١٤٤) المعطال: التي لا حلي عليها. يقول: إن الحلي لا تكسب الحسن إذا كان لابسها قبيحًا، فيكون الحسن فيمن لا حلي عليه أحسن من الحلي فيمن لا حسن فيه؛ يعني أن من لا فضيلة له في نفسه لا تُجْدِيه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى. وقال ابن القطاع: صحف هذا البيتَ كل الرواة فرووه قبح — بالقاف والباء — وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح في هذا البيت؛ لأنه لا يجهل أحد أن الحسن خير من القبح، وقال أحسن منها، فعاد الضمير على الحلي وحدها ولم يكن للقبح ذكر؛ لأن الحلي مؤنثة والقبح مذكر، ولا يجوز أن يغلب المؤنث على المذكر، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح، وإنما هو فُتُخ — بالفاء والتاء والخاء المعجمة — جمع فَتْخَة، يقال: فَتْخَة وفَتَخَة وفُتُخ وفَتَخَات وفِتَاخ وفُتُوخ، وهي خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب في أصابع أيديهن وأرجلهن ... أقول: ومما يستطرف إيراده هنا شاهدًا على الفتخ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج — وكانت رفعته إلى المغيرة بن شعبة، فقالت له: أصلحك الله إني منه بجمع؛ أي لم يفتضني، فقال العجاج:

الله يعلم يا مغيرة أنني ... قد دُستُها دَوْسَ الحصان المرسلِ
وأخذتها أخذ المقصِّبِ شاته ... عَجلانَ يذبَحها لقومٍ نُزَّل

فقالت الدهناء:

والله لا تخدعني بِشَم ... ولا بتقبيل، ولا بضَمِّ
إلا بزَعزاع يُسَلِّي همي ... تسقطُ منه فَتَخِي في كُمِّي

«الزعزاع: الاسم، من زعزعه زعزعة؛ أي حركه.»

(١١٤٥) فخر: مبتدأ، خبره: من قبله، والضمير في قبله: للفخر، وبالعم: حال من الضمير المذكور. وقال العكبري: الباء في قوله «بالعم» متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام؛ أي لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء في «قبله» وإن كانت ضمير المصدر؛ لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل، ولا يجوز تعليق حرف الجر به. ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها في موضع نصب على الحال من الهاء في «قبله» وتكون أيضًا متعلقة بمحذوف؛ أي من قبله كائنًا بالعم، كقولك هند مررت بها من الصالحات. يقول: إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله، قال البحتري:

فما الفَخرُ بالعَظْمِ الرميم وإنما فخارُ الذي يَبغي الفخارَ بنفْسِهِ

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة، وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفره بحصن بَرْزُوَيْهِ، وكان جالسًا تحت فازة من الديباج[١] عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان:

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ[٢]
وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ ... أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لَائِمُهْ[٣]
وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ ... وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهْ[٤]
بَلِيتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا ... وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهْ[٥]
كَئِيبًا تَوَقَّانِي الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى ... كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الْخَيْلِ حَازِمُهْ[٦]
قِفِي تَغْرَمِ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي ... بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّيْءَ غَارِمُهْ[٧]
سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا ... عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ[٨]
وَمَا حَاجَةُ الْأَظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى ... إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ؟[٩]
إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكِ الْعُيُونُ بِنَظْرَةٍ ... أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهْ[١٠]
حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ ... فَآثَرَهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهْ[١١]
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ ... وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ[١٢]
وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ ... وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمُلَازِمُهْ[١٣]
وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ ... وَلَا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهْ[١٤]
فَلَا يَتَّهِمْنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي ... رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلَاقِمُهْ[١٥]
مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ ... فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهْ؟[١٦]

وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصِّبَا وَعَقِيبُهُ ... وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ[١٧]
وما خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ ... قَبِيحٌ وَلكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ[١٨]
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّهِ ... حيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ[١٩]
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحُكْهَا سَحَابَةٌ ... وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمَائِمُهْ[٢٠]
وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ ... مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ[٢١]
تَرَى حَيَوَانَ البَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا ... يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهْ[٢٢]
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ ... تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَرَاغِمُهْ[٢٣]
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ ... لِأَبْلَجَ لا تِيجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهْ[٢٤]
تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ ... ويَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ[٢٥]
قِيَامًا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ ... وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ[٢٦]
قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً ... وأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهْ[٢٧]
لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى ... بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهْ[٢٨]
أَجِلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ ... وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ[٢٩]
فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُهُ ... وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ[٣٠]
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَهُ ... وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهْ[٣١]
سَحَابٌ مِن الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا ... سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ[٣٢]
سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ ... عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ[٣٣]
مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذِّئْبَ نَفْسُهُ ... وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهْ[٣٤]
فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ... وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْعِبْرَ عَائِمُهْ[٣٥]
غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ ... بِلَا وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ[٣٦]
وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً ... سَرَيْتُ وَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهْ[٣٧]
لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا ... فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهْ[٣٨]
عَلَى عَاتِقِ الْمَلْكِ الْأَغَرِّ نِجَادُهُ ... وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهْ[٣٩]
تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهْيَ عَبِيدُهُ ... وتَدَّخِرُ الْأَمْوَالَ وَهْيَ غَنَائِمُهْ[٤٠]
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ ... وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهْ[٤١]
وَإِنَّ الَّذِي سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ ... وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَظَالِمُهْ
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ... وتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهْ[٤٢]

وقال يمدحه، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية:

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ؟   نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وَأَنتَ الْغَمَامُ ٤٣
نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيـ   ـكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ ٤٤
في سَبِيلِ الْعُلَا قِتَالُكَ وَالسِّلْـ   ـمُ وَهذَا الْمُقَامُ وَالإِجْذَامُ ٤٥
لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْـ   ـلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ ٤٦
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدُ   وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ ٤٧
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا   تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ ٤٨
وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا   وَكَذَا تَقْلَقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ ٤٩
وَلَنَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـ   ـرِ لَوَ انَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ ٥٠
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْهُ حِمَامٌ   كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ ٥١
أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا   مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ ٥٢
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْـ   ـبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ ٥٣
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى   تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ ٥٤
وَإِذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ   فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ ٥٥
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ   وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ ٥٦
كُلَّمَا قِيلَ: قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا   كَرَمًا مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ ٥٧
وَكِفَاحًا تَكِعُّ عَنْهُ الْأَعَادِي   وَارْتِيَاحًا يَحَارُ فِيهِ الْأَنَامُ ٥٨
إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّلِ سَيْفِ الدَّ   وْلَةِ الْمَلْكِ في الْقُلوبِ حُسَامُ ٥٩
فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي   وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ ٦٠

وقال يمدحه أيضًا:

أَنَا مِنكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمِ   وَمِنِ ارْتِيَاحِكَ فِي غَمَامٍ دَائِمِ ٦١
وَمِنِ احْتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُو بِهِ   فِيمَا أُلَاحِظُهُ بِعَيْنَيْ حَالِمِ ٦٢
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا   حَتَّى بَلَاكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ ٦٣
فَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ   وَإِذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتِمِ ٦٤
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرَكٍ   هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ ٦٥

أَبْدَى سَخَاؤُكَ عَجْزَ كُلِّ مُشَمِّرٍ ... فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ ٦٦

وقال يمدحه، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا، وقصد ميَّافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه، ليزور قبر والدته، وذلك سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة:

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ ... أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ ٦٧
لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ ... بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ ٦٨
أَطَعْتُ الْغَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِرِي ... إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ ٦٩
تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ ٧٠
فَجَازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ ... وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمُ ٧١
كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ... فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا ٧٢
وَلَا كُتْبَ إِلَّا الْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ ... وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ ٧٣
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ ٧٤
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ ... وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ ٧٥
ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ ... بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ ٧٦
تُبَارِي نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَمُ ٧٧
يَطَأْنَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ ... وَمِنْ قِصَدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقَوَّمُ ٧٨
فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ فِي الْبَرِّ عُسَّلٌ ... وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ فِي الْمَاءِ عُوَّمُ ٧٩
وَهُنَّ مَعَ الْغِزْلَانِ فِي الْوَادِ كُمَّنٌ ... وَهُنَّ مَعَ الْعِقْبَانِ فِي النِّيقِ حُوَّمُ ٨٠
إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ ... بِهِنَّ وَفِي لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ ٨١
بِغُرَّتِهِ فِي الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ والْحِجَا ... وَبَذْلِ اللُّهَا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمُ ٨٢
يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ ... وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنَجِّمُ ٨٣
أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ ... تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ ٨٤
ضَلَالًا لِهَذِي الرِّيحِ! مَاذَا تُرِيدُهُ؟ ... وَهَدْيًا لِهَذَا السَّيْلِ! مَاذَا يُؤَمِّمُ؟ ٨٥
أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَبْلُ الَّذِي رَامَ ثَنْيَنَا ... فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ ٨٦
وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ ... تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْبًا وَأَكْرَمُ ٨٧
فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالَمَا بَاشَرَ الْقَنَا ... وَبَلَّ ثِيَابًا طَالَمَا بَلَّهَا الدَّمُ ٨٨

تَلَاكَ وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَهُ ... مِنَ الشَّأْمِ يَتْلُو الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ ٨٩
فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا ... وَجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ ٩٠
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ ... عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخِي الذُّؤَابَةَ مِنْهُمُ ٩١
حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ ... يَسِيرُ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهَمُ ٩٢
تَسَاوَتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَأَنَّهُ ... يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظِمُ ٩٣
وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ... مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمُ ٩٤
يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْمُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ ... وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ ٩٥
كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا ... وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسِّلَاحُ الْمُسَمَّمُ ٩٦
وَأَدَّبَهَا طُولُ الْقِتَالِ فَطَرْفُهُ ... يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ ٩٧
تُجَاوِبُهُ فِعْلًا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى ... وَيُسْمِعُهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ ٩٨
تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا ... تَرِقُّ لِمَيَّافَارِقِينَ وَتَرْحَمُ ٩٩
وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً ... دَرَتْ أَيُّ سُورَيْهَا الضَّعِيفُ الْمُهَدَّمُ؟ ١٠٠
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ ... مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ ١٠١
لَهَا فِي الْوَغَى زِيُّ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا ... فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ ١٠٢
وَمَا ذَاكَ بُخْلًا بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنَا ... وَلَكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ ١٠٣
أَتَحْسِبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصلَهَا ... وَأَنَّكَ مِنْهَا؟ سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ ١٠٤
إِذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا ... مِنَ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ ١٠٥
وَلَمْ نَرَ مَلْكًا قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ ... فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ ١٠٦
أَخَذْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... مِنَ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ ١٠٧
فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى ... وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ ١٠٨

وقال يعاتب سيف الدولة — وأنشدها في محفل من العرب — وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحُه شق عليه وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، وأكثر عليه مرة بعد مرة، فقال يعاتبه:

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ ١٠٩
مَا لِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ ١١٠
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ ١١١

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ[١١٢]
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيَمُ[١١٣]
فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فِي طَيِّهِ أَسَفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ[١١٤]
قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ ... لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهَمُ[١١٥]
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُهَا ... أَنْ لَا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عَلَمُ[١١٦]
أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فَانْثَنَى هَرَبًا ... تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهِمَمُ؟![١١٧]
عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا[١١٨]
أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ[١١٩]
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي ... فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ[١٢٠]
أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ... أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ[١٢١]
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ[١٢٢]
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ[١٢٣]
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ[١٢٤]
وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتَى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ[١٢٥]
إِذَا نَظَرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ[١٢٦]
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ[١٢٧]
رِجْلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ[١٢٨]
وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ[١٢٩]
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ[١٣٠]
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنفَرِدًا ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ[١٣١]
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ[١٣٢]
مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ... لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ![١٣٣]
إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ... فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ[١٣٤]
وَبَيْنَنَا – لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ – مَعْرِفَةٌ ... إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ[١٣٥]
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ! ... وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ[١٣٦]
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي! ... أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ[١٣٧]
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ ... يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ![١٣٨]

أَرَى النَّوَى تَقتَضِيني كلَّ مَرْحَلَة   لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ[١٣٩]
لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْرًا عَنْ مَيامِنِنَا   لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ[١٤٠]
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا   أَنْ لَا تُفارِقَهُمْ فالرَّاحِلُونَ هُمُ[١٤١]
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ   وَشَرُّ مَا يَكسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ[١٤٢]
وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ   شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ والرَّخَمُ[١٤٣]
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ   تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمُ؟[١٤٤]
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقَةٌ   قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمُ[١٤٥]

وقال وقد عوفي سيف الدولة مما كان به:

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ   وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ[١٤٦]
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ   بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ[١٤٧]
وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا   كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ[١٤٨]
وَلَاحَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضَيْ مَلِكٍ   مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَبْتَسِمُ[١٤٩]
يُسْمَى الْحُسَامَ ولَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ   وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ؟[١٥٠]
تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ   وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ[١٥١]
وَأَخْلَصَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ   وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلَائِهِ الْأُمَمُ[١٥٢]
وَمَا أَخُصُّكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ   إِذَا سَلِمْتَ فكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا[١٥٣]

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياتًا فيها يشكو الفقر، ويذكر أنه رآها في المنام، فقال أبو الطيب:[١٥٤]

قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ   وَأَنَلْنَاكَ بَدْرَةً فِي الْمَنَامِ[١٥٥]
وَانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْـ   ـءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الْكَلَامِ[١٥٦]
كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْـ   ـنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ الْأَقْلَامِ؟[١٥٧]
أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْـ   ـدَامَ لَا رَقْدَةٌ مَعَ الْإِعْدَامِ[١٥٨]
افْتَحِ الْجَفْنَ وَاتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْ   مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنَامِ[١٥٩]
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْـ   ـهُ بَدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَامِي[١٦٠]
كُلُّ آبَائِهِ كِرَامُ بَنِي الدُّنْـ   ـيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ[١٦١]

وقال يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة:[١٦٢]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ[١٦٣]
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ[١٦٤]
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ ... وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضَارِمُ[١٦٥]
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ ... وَذَلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ الضَّرَاغِمُ[١٦٦]
يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ ... نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ[١٦٧]
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ[١٦٨]
هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ؟[١٦٩]
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ[١٧٠]
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا ... وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ[١٧١]
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ[١٧٢]
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ[١٧٣]
تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ[١٧٤]
إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ[١٧٥]
وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ؟![١٧٦]
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ[١٧٧]
أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ[١٧٨]
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ... ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ[١٧٩]
خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ ... وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ[١٨٠]
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ... فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ[١٨١]
فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ[١٨٢]
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا ... وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ[١٨٣]
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ[١٨٤]
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ[١٨٥]
تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى ... إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ: أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ[١٨٦]
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ[١٨٧]
بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ ... وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ[١٨٨]

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا ... وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ ١٨٩
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا ... مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ ١٩٠
نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ كُلِّهِ ... كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ ١٩١
تَدُوسُ بِكَ الْخَيلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَا ... وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ ١٩٢
تَظُنُّ فِرَاخُ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا ... بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ ١٩٣
إِذَا زَلِفَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا ... كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ ١٩٤
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ ١٩٥
أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمُ؟! ١٩٦
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ ... وَبِالصِّهْرِ حَمْلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ ١٩٧
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَا ... بِما شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ ١٩٨
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ ١٩٩
يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ ٢٠٠
وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ ٢٠١
تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ ٢٠٢
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ ٢٠٣
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ ٢٠٤
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ الْغَمَاغِمُ ٢٠٥
أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُغْمَدًا ... وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمُ ٢٠٦
هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا ... وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ ٢٠٧
وَلِمْ لَا يَقِي الرَّحْمَنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمُ؟! ٢٠٨

وقال: وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة:

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمَامُ ... وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ؟! ٢٠٩
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ... وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ؟! ٢١٠
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا ... كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ ٢١١
فَتًى تَتْبَعُ الْأَزْمَانُ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ ... لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ ٢١٢

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً   وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ ٢١٣
حِذَارًا لِمُعْرَوْرِي الْجِيَادِ فُجَاءَةً   إِلَى الطَّعْنِ قُبْلًا مَا لَهُنَّ لِجَامُ ٢١٤
تُعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعِنَّةُ شَعْرُهَا   وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ ٢١٥
وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا   إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ ٢١٦
إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ   كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامُ؟! ٢١٧
وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً   فَعَوْذُ الْأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ ٢١٨
وَإِنَّ نُفُوسًا أَمَّمَتْكَ مَنِيعَةٌ   وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ ٢١٩
إذا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ   وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ تُسَامُ ٢٢٠
لَهُمْ عَنْكَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ   وَحَوْلَكَ بِالْكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ ٢٢١
تَغُرُّ حَلَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا   فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ ٢٢٢
وَشَرُّ الْحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ   يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ ٢٢٣
فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ   وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ ٢٢٤
وَمَنٌّ لِفُرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمِ   بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ ٢٢٥
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا   وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا ٢٢٦
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ   وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا ٢٢٧
عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ فِي كُلِّ غَارَةٍ   صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلَامُ ٢٢٨
وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إِمَامَهُمْ   وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامُ ٢٢٩
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ   وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ ٢٣٠
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ   وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنهُ خِتَامُ ٢٣١
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ   جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ ٢٣٢
أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَالْهُ سَاعَةً   لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِزَامُ ٢٣٣
وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ   فَإِنَّ الَّذِي يَعْمَرْنَ عِنْدَكَ عَامُ ٢٣٤
وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهْيَ كَثِيرَةٌ   وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ ٢٣٥
مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ   وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ ٢٣٦
وَرَبَّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا   وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ ٢٣٧
جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إذا انْتَهَوْا   إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا ٢٣٨
فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ   وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ ٢٣٩

وقال يمدحه ويودعه، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان:

أَيَا رَامِيًا يُصْمِي فُؤَادَ مَرَامِهِ تُرَبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ[٢٤٠]
أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ عَلَى طِرْفِهِ، مِنْ دَارِهِ، بِحُسَامِهِ[٢٤١]
وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا وَرُومِ الْعِبِدَّى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ[٢٤٢]
فَتًى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقُرَى وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ[٢٤٣]
وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلْتُهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءً لِمَا خُوِّلْتُهُ مِنْ كَلَامِهِ[٢٤٤]
فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِثَامِهِ[٢٤٥]
وَلَا زَالَ تَجْتَازُ الْبُدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ[٢٤٦]

وأنشد سيفُ الدولة متمثلًا بقول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[٢٤٧]

فقال أبو الطيب مرتجلًا:

رَأَيْتُكَ تُوسِعُ الشُّعَرَاءَ نَيْلًا حَدِيثَهُمُ الْمُوَلَّدَ وَالْقَدِيمَا[٢٤٨]
فَتُعْطِي مَنْ بَقَى مَالًا جَسِيمًا وَتُعْطِي مَنْ مَضَى شَرَفًا عَظِيمَا[٢٤٩]
سَمِعْتُكَ مُنْشِدًا بَيْتَيْ زِيَادٍ نَشِيدًا مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمَا[٢٥٠]
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبَطْتُ بِذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيمَا[٢٥١]

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس وبني ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ولم ينشده إياها:

ذِكَرُ الصِّبَا وَمَرَاتِعِ الْآرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي[٢٥٢]
دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ[٢٥٣]
فَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ[٢٥٤]
وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيقَ كَعَابِهَا فِيهَا وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلَامِي[٢٥٥]
قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً وَتَجُرُّ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وَعُرَامِ[٢٥٦]

لَيْسَ الْقِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا ... هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ ٢٥٧
لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى ... لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي! ٢٥٨
مُتَلَاحِظَيْنِ نَسُحُّ مَاءَ شُئُونِنَا ... حَذَرًا مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ ٢٥٩
أَرْوَاحُنَا انْهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ ٢٦٠
لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنَ كُنَّ كَصَبْرِنَا ... عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامِ ٢٦١
لَمْ يَتْرُكُوا لِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى ... وَذَمِيلَ دِعْبِلَةٍ كَفَحْلِ نَعَامِ ٢٦٢
وَتَعَذُّرُ الْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا ... إِلَّا إِلَيْكَ عَلَيَّ فَرْجَ حَرَامِ ٢٦٣
أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانٍ أَهْلُهُ ... وُلِدَتْ مَكَارِمُهُمْ لِغَيْرِ تَمَامِ ٢٦٤
أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ ... عَلَمًا عَلَى الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ ٢٦٥
صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرَتْ عَنْ ... لَكَأَنَّهُ وَعَدَدْتَ سِنَّ غُلَامِ ٢٦٦
وَرَفَلْتَ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنمَا ... عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَايَةُ الْإِعْدَامِ ٢٦٧
عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَغَى ... مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بالصَّمْصَامِ ٢٦٨
إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ... فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ٢٦٩
مَلِكٌ زُهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ ... حَتَّى افْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ ٢٧٠
وَتَخَالُهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامَهُم ... مِنْ حِلْمِهِ فَهُمُ بِلَا أَحْلَامِ ٢٧١
وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ ... عَنْ أَوْحَدِيِّ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ٢٧٢
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ ... لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ ٢٧٣
مَهْلًا أَلَا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا ... فِي عَمْرِو حَابِ وَضَبَّةَ الْأَغْتَامِ! ٢٧٤
لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمِ ... جَارَتْ وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي الْأَحْكَامِ ٢٧٥
فَتَرَكْتَهُمْ خَلَلَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا ... غَضِبَتْ رُءوسُهُمُو عَلَى الْأَجْسَامِ ٢٧٦
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ ... وَنُجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءِ قَتَامِ ٢٧٧
وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةً ... حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْأَيْتَامِ ٢٧٨
عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ ... فِي النَّقْعِ مُحْجِمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ ٢٧٩
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ ... يَلْقَى مَنَالَكَ رَامَ غَيْرَ مَرَامِ ٢٨٠
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ ... وَسَقَى ثَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامِ ٢٨١
وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ... وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقِكَ الْقَمْقَامِ ٢٨٢
فَلَقَدْ رَمَى بَلَدَ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ ... فِي رَوْقِ أَرْعَنَ كَالْغِطَمِّ لُهَامِ ٢٨٣

قَـوْمٌ تَـفَـرَّسَـتِ الْـمَـنَـايَـا فِـيـكُـمُ   فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ ٢٨٤
تَـالـلـهِ مَـا عَـلِـمَ امْـرُؤٌ لَـوْلَاكُـمُ   كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ ٢٨٥

وقال، وقد تُحدِّث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أن ينجده ببطارقته وعدده وعُدده، ففعل، فخاب ظنه. أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وهي آخر ما أنشده بحلب:

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ   مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ؟ ٢٨٦
وَفِـي الْـيَـمِـيـنِ عَـلَـى مَـا أَنْـتَ وَاعِدُهُ   مَـا دَلَّ أَنَّـكَ فِـي الْـمِـيـعَـادِ مُـتَّـهَـمُ ٢٨٧
آلَى الْفَتَى ابْنُ شُمُشْقِيقٍ فَأَحْنَثَهُ   فَتًى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ ٢٨٨
وَفَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلِفٍ   عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ ٢٨٩
كلُّ السُّيُوفِ إذا طَالَ الضِّرَابُ بِهَا   يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّأَمُ ٢٩٠
لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لا تَحَمَّلُهُ   تَـحَـمَّـلَـتْـهُ إلـى أَعْـدَائِـهِ الـهِـمَـمُ ٢٩١
أَيْنَ الْبَطَارِيقُ وَالْحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا   بِمَفْرَقِ الْمَلْكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا؟ ٢٩٢
وَلَّـى صَـوَارِمَـهُ إِكْـذَابَ قَـوْلِـهِـمِ   فَـهُـنَّ أَلْـسِـنَـةٌ أَفْـوَاهُـهَـا الْـقِـمَـمُ ٢٩٣
نَـوَاطِـقٌ مُـخْـبِـرَاتٌ فِـي جَـمَاجِـمِـهِـمْ   عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا ٢٩٤
الـرَّاجِـعُ الْـخَـيْـلَ مُـحْـفَـاةً مُـقَـوَّدَةً   مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَارٍ أَهْلُـهَـا إِرَمُ ٢٩٥
كَتَلِّ بِطْرِيقِ الـمَـغْـرُورِ سَـاكِـنُـهَـا   بِـأَنَّ دَارَكَ قِـنَّـسْـرِيـنُ وَالْأَجَـمُ ٢٩٦
وَظَـنِّـهِـمْ أَنَّـكَ الـمِـصْـبَـاحُ فـي حَـلَـبٍ   إِذَا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ ٢٩٧
وَالـشَّـمْـسَ يَـعْـنُـونَ إِلَّا أَنَّـهُـمْ جَـهِـلُـوا   وَالْـمَـوْتَ يَـدْعُـونَ إِلَّا أَنَّـهُـمْ وَهَـمُـوا ٢٩٨
فَـلَـمْ تُـتِـمَّ سَـرُوجٌ فَـتْـحَ نَـاظِـرِهَـا   إِلَّا وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ ٢٩٩
وَالـنَّـقْـعُ يَـأْخُـذُ حَـرَّانًـا وَبَـقْـعَـتَـهَـا   وَالـشَّـمْـسُ تَـسْـفِـرُ أَحْـيَـانًـا وَتَـلْـتَـثِـمُ ٣٠٠
سُحْبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً   وَمَـا بِـهَـا الْـبُـخْـلُ لَـوْلَا أَنَّـهَـا نِـقَـمُ ٣٠١
جَـيْـشٌ كَـأَنَّـكَ فِـي أَرْضٍ تُـطَـاوِلُـهُ   فَـالْأَرْضُ لَا أَمَـمٌ وَالْـجَـيْـشُ لَا أَمَـمُ ٣٠٢
إِذَا مَـضَـى عَـلَـمٌ مِـنْـهَـا بَـدَا عَـلَـمٌ   وَإِنْ مَـضَـى عَـلَـمٌ مِـنْـهُ بَـدَا عَـلَـمُ ٣٠٣
وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَهَا   وَوَسَّـمَـتْـهَـا عَـلَـى آنَـافِـهَـا الْـحَـكَـمُ ٣٠٤
حَـتَّـى وَرَدْنَ بِـسِـمْـنَـيْـنٍ بُـحَـيْـرَتُـهَـا   تَنِشُّ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ ٣٠٥
وَأَصْـبَـحَـتْ بِـقُـرَى هِـنْـزِيـطَ جَـائِـلَـةً   تَرْعَى الظُّبَا فِي خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ ٣٠٦

فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ ... تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمُ[٣٠٧]
وَلَا هِزَبْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ ... وَلَا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَشَمُ[٣٠٨]
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ ... مَكَامِنُ الْأَرْضِ وَالْغِيطَانُ وَالْأَكَمُ[٣٠٩]
وَجَاوَزُوا أَرْسَنَاسًا مُعْصِمِينَ بِهِ ... وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ؟![٣١٠]
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ ... وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ[٣١١]
ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً ... قَوْمًا إذا تَلِفُوا قُدْمًا فَقَدْ سَلِمُوا[٣١٢]
تَجَفَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمِ ... كمَا تَجَفَّلُ تَحْتَ الْغَارَةِ النَّعَمُ[٣١٣]
عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ ... سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمُ[٣١٤]
وَفِي أَكُفِّهِمِ النَّارُ التي عُبِدَتْ ... قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرِمُ[٣١٥]
هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَرًا صَغُرُوا ... بِحَدِّهَا أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَرًا عَظَمُوا[٣١٦]
قَاسَمْتَهَا تَلَّ بِطْرِيقٍ فَكَانَ لَهَا ... أَبْطَالُهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحُرَمُ[٣١٧]
تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ التَّيَّارِ مُقْرَبَةٌ ... عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثَمُ[٣١٨]
دُهْمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابُ أَبْطُنِهَا ... مَكْدُودَةٌ بِقَوْمٍ لَا بِهَا الْأَلَمُ[٣١٩]
مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِدْتَ الْعَدُوَّ بِهَا ... وَمَا لَهَا خِلَقٌ مِنْهَا وَلَا شِيَمُ[٣٢٠]
نِتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ ... كَلَفْظِ حَرْفٍ وَعَاهُ سامعٌ فَهِمُ[٣٢١]
وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ ... أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمُوا[٣٢٢]
صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ ... وَسَمْهَرِيَّتُه فِي وَجْهِه غَمَمُ[٣٢٣]
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمُ ... يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ[٣٢٤]
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلْءَ الطُّرْقِ خَلْفَهُمْ ... وَالْمَشْرَفِيَّةُ مِلْءَ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ[٣٢٥]
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً ... تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِي الْجَوِّ تَصْطَدِمُ[٣٢٦]
وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمُشْقِيقٍ أَلِيَّتَهُ ... أَلَّا انْثَنَى فَهْوَ يَنْأَى وَهْيَ تَبْتَسِمُ[٣٢٧]
لا يَأْمُلُ النَّفَسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ ... فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الْأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ[٣٢٨]
تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةٌ ... صَوْبُ الْأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيَمُ[٣٢٩]
تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا ... كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ[٣٣٠]
فَلَا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ ... لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرَّخَمُ[٣٣١]
أَلْهَى الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ ... شُرْبُ الْمُدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ[٣٣٢]
مُقَلَّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللهِ ذَا شُطَبٍ ... لا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ[٣٣٣]

أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ[٣٣٤]
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوْتٌ وَلَا هَرَمُ[٣٣٥]
نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحُلُمُ[٣٣٦]
الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ قِيَامَهُ وَهُدَاهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ[٣٣٧]
ابْنُ الْمُعَفِّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ[٣٣٨]
لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا[٣٣٩]
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ[٣٤٠]

وقال يمدح إنسانًا، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه، وهي من قوله في صباه:

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا[٣٤١]
وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْحِلَهُ السَّقَامُ وَلَا دَمَا[٣٤٢]
وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيه جَهَنَّمَا[٣٤٣]
وَإِذَا سَحَابَةُ صَدِّ حِبٍّ أَبْرَقَتْ تَرَكَتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا[٣٤٤]
يَا وَجْهَ دَاهِيَةَ الَّذِي لَوْلَاكَ مَا أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظُمَا[٣٤٥]
إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُوُّ فَإِنَّنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كَبِدِي وَمِنْهَا مُعْدِمَا[٣٤٦]
غُصْنٌ عَلَى نَقَوَيْ فَلَاةٍ نَابِتٌ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلًا مُظْلِمَا[٣٤٧]
لَمْ تُجْمَعِ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهٍ إِلَّا لِتَجْعَلَنِي لِغُرْمِيَ مَغْنَمَا[٣٤٨]
كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا[٣٤٩]
يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا[٣٥٠]
وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمَا[٣٥١]
نَصَرَ الْفَعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمَا[٣٥٢]
يَا أَيُّهَا الْمَلَكُ الْمُصَفَّى جَوْهَرًا مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا[٣٥٣]
نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّةً فتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا[٣٥٤]
وَيُهِمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا[٣٥٥]
أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنُّ أَنِّيَ نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمَا؟![٣٥٦]
كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوَهُّمَا[٣٥٧]
يَا مَنْ لِجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ نِقَمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْعُمَا[٣٥٨]

حَـتَّـى يَـقُـولَ الـنَّـاسُ: مَـا ذَا عَـاقِـلًا ... وَيَقُولَ بَيْتُ المَالِ: مَا ذَا مُسْلِمَا[٣٥٩]
إِذْكَـارُ مِـثْـلِـكَ تَـرْكُ إِذْكَـارِي لَـهُ ... إِذْ لَا تُـرِيـدُ لِـمَـا أُرِيـدُ مُـتَـرْجِـمَـا[٣٦٠]

وقال في صباه:

إِلَـى أَيِّ حِـيـنٍ أَنْـتَ فِـي زِيِّ مُـحْـرِمِ؟
وَحَـتَّـى مَـتَـى فـي شِـقْـوَةٍ وَإِلَـى كَـمِ؟[٣٦١]
وَإِلَّا تَـمُـتْ تَـحْـتَ الـسُّـيُـوفِ مُـكَـرَّمًـا
تَـمُـتْ وَتُـقَـاسِ الـذُّلَّ غَـيْـرَ مُـكَـرَّمِ[٣٦٢]
فَـثِـبْ وَاثِـقًـا بِـالـلـهِ وِثْـبَـةَ مَـاجِـدٍ
يَرَى الْمَوْتَ في الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ في الْفَمِ[٣٦٣]

وقال في صباه:

ضَـيْـفٌ أَلَـمَّ بِـرَأْسِـي غَـيْـرَ مُـحْـتَـشِـمِ ... والسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللِّمَمِ[٣٦٤]
إِبْـعَـدْ بَـعِـدْتَ بَـيَـاضًـا لا بَـيَـاضَ لَـهُ ... لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ[٣٦٥]
بِـحُـبِّ قَـاتِـلَـتِـي وَالـشَّـيْـبِ تَـغْـذِيَـتِـي ... هَوَايَ طِفْلًا وَشَيْبِي بَالِغَ الْحُلُمِ[٣٦٦]
فَـمَـا أَمُـرُّ بِـرَسْـمٍ لَا أُسَـائِـلُـهُ ... وَلَا بِـذَاتِ خِـمَـارٍ لا تُـرِيـقُ دَمِـي[٣٦٧]
تَـنَـفَّـسَـتْ عَـنْ وَفَـاءٍ غَـيْـرِ مُـنْـصَـدِعٍ ... يَوْمَ الرَّحِيلِ وشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ[٣٦٨]
قَـبَّـلْـتُـهَـا وَدُمُـوعِـي مَـزْجُ أَدْمُـعِـهَـا ... وَقَـبَّـلَـتْـنِـي عَـلَـى خَـوْفٍ فَـمًـا لِـفَـمِ[٣٦٩]
فَـذُقْـتُ مَـاءَ حَـيَـاةٍ مِـنْ مُـقَـبَّـلِـهَـا ... لَوْ صَابَ تُرْبًا لَأَحْيَا سَالِفَ الْأُمَمِ[٣٧٠]
تَـرْنُـو إِلَـيَّ بِـعَـيْـنِ الـظَّـبْـيِ مُـجْـهِـشَـةً ... وتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ[٣٧١]
رُوَيْـدَ حُـكْـمَـكِ فِـيـنَـا غَـيْـرَ مُـنْـصِـفَـةٍ ... بِـالـنَّـاسِ كُـلِّـهِـم أَفْـدِيـكِ مِـنْ حَـكَـمِ[٣٧٢]
أَبْـدَيْـتِ مِـثْـلَ الَّـذِي أَبْـدَيْـتُ مِـنْ جَـزَعٍ ... وَلَـمْ تُـجِـنِّـي الَّـذِي أَجْـنَـنْـتُ مِـنْ أَلَـمْ[٣٧٣]
إِذَنْ لَـبَـزَّكِ ثَـوْبَ الْـحُـسْـنِ أَصْـغَـرُهُ ... وَصِرْتِ مِثْلِيَ فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمِ[٣٧٤]
لَـيْـسَ الـتَّـعَـلُّـلُ بِـالْآمَـالِ مِـنْ أَرَبِـي ... وَلَا الْـقَـنَـاعَـةُ بِـالْإِقْـلَالِ مِـنْ شِـيَـمِـي[٣٧٥]
وَلَا أَظُـنُّ بَـنَـاتِ الـدَّهْـرِ تَـتْـرُكُـنِـي ... حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي[٣٧٦]
لُـمِ اللَّـيَـالِـي الَّـتِـي أَخْـنَـتْ عَـلَـى جِـدَتِـي ... بِـرِقَّـةِ الْـحَـالِ وَاعْـذُرْنِـي وَلَا تَـلُـمِ[٣٧٧]

أَرَى أُنَاسًا وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ   وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ[٣٧٨]
وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مُرُوَّتِهِ   لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كَمَا أَثْرَى مِنَ الْعَدَمِ[٣٧٩]
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ   وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ[٣٨٠]
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ   فَالْآنَ أُقْحِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ[٣٨١]
لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً   وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ[٣٨٢]
وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقلِقُهَا   حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّمَمِ[٣٨٣]
قَدْ كَلَّمَتْهَا الْعَوَالِي فَهْيَ كَالِحَةٌ   كَأَنَّمَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللُّجُمِ[٣٨٤]
بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي   حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَدَمِ[٣٨٥]
شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً   وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ في الْحَرَمِ[٣٨٦]
وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِهِ   أُسْدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ[٣٨٧]
تُنْسِي الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِي   وَتَكْتَفِي بِالدَّمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيَمِ[٣٨٨]
رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نفْسِ وَاتَّرِكِي   حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ والنَّعَمِ[٣٨٩]
إِنْ لَمْ أَذَرْكِ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً   فَلَا دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ[٣٩٠]
أَيَمْلِكُ الْمُلْكَ وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ   وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ؟![٣٩١]
مَنْ لَوْ رَآنِيَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ   وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ[٣٩٢]
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا   وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ[٣٩٣]
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمُ   وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ[٣٩٤]

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي، على ما كان قد شاهده من تهوره فقال:[٣٩٥]

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي   خَفِيٌّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي[٣٩٦]
ذَكَرْتَ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَأَنَّا   نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهَجِ الْجِسَامِ[٣٩٧]
أَمِثْلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ   وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ[٣٩٨]
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصًا   لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي[٣٩٩]
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي   وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي[٤٠٠]
إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي   فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُّظِ وَالْمَنَامِ![٤٠١]

وقال له بعض بني كلاب: أَشْرَبُ هذه الكأس سرورًا بك، فقال:

إِذَا مَا شَرِبْتَ الْخَمْرَ صِرْفًا مُهَنَّأً   شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَربَ الْكَرْمُ[٤٠٢]
أَلَا حَبَّذَا قَوْمٌ نَدَامَاهُمُ الْقَنَا   يُسَقُّونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْعَزْمُ[٤٠٣]

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها:

وَأَخٍ لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةً   لَأُعَلِّلَنَّ بِهذِهِ الْخُرْطُومِ[٤٠٤]
فَجَعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً   عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمِ[٤٠٥]

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي:

مَلَامِي النَّوَى في ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ   لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ[٤٠٦]
فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ   وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِي[٤٠٧]
أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتِي   بِغَيْرِ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِي[٤٠٨]
تَرَشَّفْتُ فَاهَا سُحْرَةً فَكَأَنَّنِي   تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ[٤٠٩]
فَتَاةٌ تَسَاوَى عِقْدُهَا وَكَلَامُهَا   وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّيُّ فِي الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ[٤١٠]
وَنَكْهَتُهَا وَالْمَنْدَلِيُّ وَقَرْقَفٌ   مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ في الرِّيحِ وَالطَّعْمِ[٤١١]
جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا   وَأَطْعَنَهُمْ وَالشُّهْبُ في صُورَةِ الدُّهْمِ[٤١٢]
يُحَاذِرُنِي حَتْفِي كَأَنِّيَ حَتْفُهُ   وَتَنْكُزُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي[٤١٣]
طِوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي   وَبِيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي[٤١٤]
بَرَتْنِي السُّرَى بَرْيَ الْمُدَى فَرَدَدْنَنِي   أَخَفَّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفَسِي جِرْمِي[٤١٥]
وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءِ جَوٍّ لِأَنَّنِي   إِذَا نَظَرَتْ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عِلْمِي[٤١٦]
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِبْرَتِي بِهَا   كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي[٤١٧]
لِأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ   فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ[٤١٨]
وَأَسْمَعَ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللُّغَةَ الَّتِي   يَلَذُّ بِهَا سَمْعِي وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتْمِي[٤١٩]
يَمِينُ بَنِي قَحْطَانَ رَأْسُ قُضَاعَةٍ   وَعِرْنِينُهَا بَدْرُ النُّجُومِ بَنِي فَهْمِ[٤٢٠]
إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءَ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ   صَرِيرَ الْعَوَالِي قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ[٤٢١]
مُذِلُّ الْأَعِزَّاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ   بِهِ يُتْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجَابِرُ الْيُتْمِ[٤٢٢]

وَإِنْ تُمْسِ دَاءً فِي الْقُلُوبِ قَنَاتُهُ ... فَمُمْسِكُهَا مِنْهُ الشِّفَاءُ مِنَ الْعُدْمِ ٤٢٣
مُقَلَّدُ طَاغِي الشَّفْرَتَيْنِ مُحَكَّمٍ ... عَلَى الْهَامِ إِلَّا أَنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ ٤٢٤
تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ ... يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ ٤٢٥
وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ ... عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ ٤٢٦
مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ ... لَأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ ٤٢٧
وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأَخُّرًا ... لَأَخَّرَهُ الطبْعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقُدْمِ ٤٢٨
لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي الْعِظَامَ وَغَضْبَةٌ ... بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ ٤٢٩
وَرِقَّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ ... عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخَتْمِ ٤٣٠
أَذَاقَ الْغَوَانِي حُسْنُهُ مَا أَذَقْنَنِي ... وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصُّرْمِ ٤٣١
فِدًى مَنْ عَلَى الْغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا ... لِهَذَا الْأَبِيِّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرْمِ ٤٣٢
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ ... فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ ٤٣٣
وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ ... جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ ٤٣٤
وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ ... لَقُلْنَا: كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ ٤٣٥
أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنِ يُوسُفٍ ... لِشَهْوَتِنَا، وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرُّغْمِ ٤٣٦
وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِي فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا ... لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ ٤٣٧
دُعِيتُ بِتَقْرِيظِيكَ فِي كلِّ مَجْلِسٍ ... وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي ٤٣٨
وَأَطْمَعْتَنِي فِي نَيْلِ مَا لَا أَنَالُهُ ... بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أَطْمَعُ فِي النَّجْمِ ٤٣٩
إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي ... فَكِلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ ٤٤٠
أَبَتْ لَكَ ذَمِّي نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ ... وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَأْزِقٍ أَبَدًا تَرْمِي ٤٤١
فَكَمْ قَائِلٍ: لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصُ نَفْسَهُ ... لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ! ٤٤٢
وَقَائِلَةٍ — وَالْأَرْضَ أَعْنِي تَعَجُّبًا: ... عَلَيَّ امْرُؤٌ يَمْشِي بِوَقْرِي مِنَ الْحِلْمِ! ٤٤٣
عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً ... تَوَاضَعْتَ وَهْوَ الْعُظْمُ عُظْمًا عَنِ الْعُظْمِ ٤٤٤

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي:

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ ... أَحْدَثُ شَيْءٍ عَهْدًا بِهَا الْقِدَمُ ٤٤٥
وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا ... تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ ٤٤٦
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ ... وَلَا عُهُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ ٤٤٧

بِـكُـلِّ أَرْضٍ وَطِـئْـتُـهَـا أُمَـمٌ ... تُـرْعَـى بِـعَـبْـدٍ كَـأَنَّـها غَـنَـمُ[٤٤٨]
يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ ... وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ[٤٤٩]
إِنِّـي وَإِنْ لُـمْتُ حَاسِدِيَّ فَمـا ... أُنْـكِـرُ أَنِّـي عُـقُـوبَـةٌ لَـهُـمُ[٤٥٠]
وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ ... لَـهُ عَلَـى كُلِّ هَـامَـةٍ قَدَمُ؟![٤٥١]
يَـهَـابُـهُ أَبْـسَـأُ الـرِّجَـالِ بِـهِ ... وَتَـتَّـقِـي حَدَّ سَـيْفِهِ الْبُـهَـمُ[٤٥٢]
كَـفَـانِـيَ الـذَّمَّ أَنَّـنِـي رَجُـلٌ ... أَكْرَمُ مَـالٍ مَـلَـكْـتُـهُ الْـكَـرَمُ[٤٥٣]
يَجْنِي الْغِنَى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا ... مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمِ الْعَدَمُ[٤٥٤]
هُـمُ لِأَمْـوَالِـهِـمْ وَلَـسْـنَ لَـهُـمْ ... وَالْعَارُ يَبْقَى والْجُرْحُ يَلْتَئِمُ[٤٥٥]
مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَعَلِيْـ ... ـيٍ يَهَبُ الْأَلْفَ وَهْوَ يَبْتَسِمُ[٤٥٦]
وَيَـطْـعَـنُ الْـخَـيْـلَ كُـلَّ نَـافِـذَةٍ ... لَيْسَ لَـهَا مِنْ وَحَائِهَا أَلَمُ[٤٥٧]
وَيَـعْـرِفُ الْأَمْـرَ قَـبْـلَ مَـوْقِـعِـهِ ... فَـمَـا لَـهُ بَـعْـدَ فِـعْـلِـهِ نَـدَمُ[٤٥٨]
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ والسَّلَاهِبُ وَالْـ ... ـبِيضُ لَهُ وَالْعَبِيدُ وَالْحَشَمُ[٤٥٩]
وَالسَّطَوَاتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا ... تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَصِمُ[٤٦٠]
يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الدْ ... دَاعِي وَفِيهِ عَنِ الْخَنَا صَمَمُ[٤٦١]
يُـرِيـكَ مِـنْ خَـلْـقِـهِ غَـرَائِـبَـهُ ... فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخْلَقُ النَّسَمُ[٤٦٢]
مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا ... إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ[٤٦٣]
مِنْ بَعْدِ مَا صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ ... لِمَنْ أُحِبُّ الشُّنُوفُ وَالْخَدَمُ[٤٦٤]
مَـا بَـذَلَـتْ مَـا بِـهِ يَـجُـودُ يَـدٌ ... وَلَا تَـهَـدَّى لِـمَـا يَـقُـولُ فَـمُ[٤٦٥]
بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الْأَسَدِ الْـ ... أُسْدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ[٤٦٦]
قَـوْمٌ بُـلُـوغُ الْـغُـلَامِ عِـنْـدَهُـمُ ... طَعْنُ نُحُورِ الكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ[٤٦٧]
كَـأَنَّـمَـا يُـولَـدُ الـنَّـدَى مَـعَـهُـمْ ... لَا صِـغَـرٌ عَـاذِرٌ وَلَا هَـرِمُ[٤٦٨]
إِذَا تَـوَلَّـوْا عَـدَاوَةً كَـشَـفُـوا ... وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا[٤٦٩]
تَـظُـنُّ مِـنْ فَـقْـدِكَ اعْـتِـدَادَهُـمُ ... أَنَّـهُـمْ أَنْـعَـمُـوا وَمَـا عَـلِـمُـوا[٤٧٠]
إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ... أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ[٤٧١]
أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا ... فَقَوْلُهُمْ: «خَابَ سَائِلِي» الْقَسَمُ[٤٧٢]
أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ ... فَـإِنَّ أَفْـخَـاذَهُـمْ لَـهَـا حُـزُمُ[٤٧٣]
أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَاقِحًا أَخَذُوا ... مِنْ مُهَجِ الدَارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا[٤٧٤]

تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ   كَأَنَّهَا فِي نُفُوسِهِمْ شِيَمُ[٤٧٥]
لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْـ   ـغَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِمُ[٤٧٦]
وَالْمَوْجُ مِثْلُ الفُحُولِ مُزْبِدَةً   تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمُ[٤٧٧]
وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا   فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخُونُهَا اللُّجُمُ[٤٧٨]
كَأَنَّهَا وَالرِّيَاحُ تَضْرِبُهَا   جَيْشَا وَغًى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمُ[٤٧٩]
كَأَنَّهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ   حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ[٤٨٠]
نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا   لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمُ[٤٨١]
يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبَدًا   وَمَا تَشَكَّى وَلَا يَسِيلُ دَمُ[٤٨٢]
تَغَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِبِهَا   وَجَادَتِ الْأَرْضُ حَوْلَهَا الدِّيَمُ[٤٨٣]
فَهْيَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ   جُرِّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ[٤٨٤]
يَشِينُهَا جَرْيُهَا عَلَى بَلَدٍ   تَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ[٤٨٥]
أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ فَمَدْحُكُمُ   فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمُ[٤٨٦]
وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ   وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ الَّتِي تَسِمُ[٤٨٧]
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ   فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُتَّهَمُ[٤٨٨]

وقال يمدح المغيث بن العجلي:

فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ   وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللِّئَامُ[٤٨٩]
وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ   وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ[٤٩٠]
وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ   وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ[٤٩١]
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ   مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ[٤٩٢]
بِأَجْسَامٍ يَحَرُّ الْقَتْلُ فِيهَا   وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ[٤٩٣]
وَخَيْلٍ مَا يَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ   كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسِهَا ثُمَامُ[٤٩٤]
خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ: خِلِّي   وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ[٤٩٥]
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ   تَجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الْحُسَامُ[٤٩٦]
وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ   وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ[٤٩٧]
وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ   تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ[٤٩٨]
وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقٌّ   لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ الْمُسَامُ[٤٩٩]

وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامُ ٥٠٠
إِذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ وَالشَّيْـ ـبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ ٥٠١
وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ وَلَا كُلٌّ عَلَى بُخْلٍ يُلَامُ ٥٠٢
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمِ مُقَامُ ٥٠٣
بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إِلَّا الْكِرَامُ ٥٠٤
فَهَلَّا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ؟ ٥٠٥
بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ أَنَافَا: ذَا الْمُغِيثُ وَذَا اللَّكَامُ ٥٠٦
وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ ٥٠٧
سَقَى اللهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ ٥٠٨
وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ ٥٠٩
وَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ ٥١٠
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهْيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ الْغَرَامُ ٥١١
تَعَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامُ ٥١٢
يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَدْرِي أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامُ؟ ٥١٣
وَتَمْلِكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يُرَامُ ٥١٤
وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ ٥١٥
أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ ٥١٦
إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عِجْلٌ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُعَدُّ عَامُ ٥١٧
تَقِي جَبَهَاتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ إِذَا بِشِفَارِهَا حَمِيَ اللِّطَامُ ٥١٨
وَلَو يَمَّمْتَهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجْدُو لَأَعْطَوْكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا ٥١٩
فَإِنْ حَلُمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرِّمَاحُ بِهَا عُرَامُ ٥٢٠
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَزْرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التُّؤَامُ ٥٢١
نُصَرِّعُهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَاءً وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِمُ السِّهَامُ ٥٢٢
قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ ٥٢٣
قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرٌ الْمَلِكُ الْهُمَامُ ٥٢٤
لِمَنْ مَالٌ تُمَزِّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرَكُ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ؟!
وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ ٥٢٥

تُـحَـايِـدُهُ كَـأَنَّـكَ سَـامِـرِيٌّ ... تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامُ٥٢٦
إِذَا مَا الْعَالِمُونَ عَرَوْكَ قَالُوا: ... أَفِدْنَا أَيُّهَا الْحِبْرُ الْإِمَامُ٥٢٧
إِذَا مَا الْمُعْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا: ... بِهَذَا يُعْلَمُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ٥٢٨
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى ... كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ٥٢٩
وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ ... عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذٍ يتولى الفداء بين العرب والروم:

نَرَى عِظَمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ ... وَنَتَّهِمُ الْوَاشِينَ وَالدَّمْعُ مِنْهُمُ٥٣٠
وَمَنْ لُبُّهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ؟! ... وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كيْفَ يَكْتُمُ؟!٥٣١
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِيبُنَا ... غَفُولَانِ عَنَّا ظِلْتُ أَبْكِي وَتَبْسِمُ٥٣٢
فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا ... وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ
ظَلُومٌ كَمَتْنَيْهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ... ضَعِيفِ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ٥٣٣
بِفَرْعٍ يُعِيدُ اللّيْلَ والصُّبْحُ نَيِّرٌ ... وَوَجْهٍ يُعِيدُ الصُّبْحَ واللَّيْلُ مُظْلِمُ٥٣٤
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَها كَانَ خَالِيًا ... وَلَكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ٥٣٥
أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى ... وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ٥٣٦
بَلَلْتُ بِهَا رُدْنَيَّ والْغَيْمُ مُسْعِدِي ... وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمُ٥٣٧
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا انْهَلَّ فِي الْخَدِّ مِنْ دَمِي ... لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ٥٣٨
بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ ... وَقَوْلَتُهُ لِي: بَعْدَنَا الْغُمْضَ تَطْعَمُ؟!٥٣٩
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ ... لَقُلْتُ: أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسَلِّمُ٥٤٠
مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ ... صُبُوًّا كَمَا يَصْبُو الْمُحِبُّ الْمُتَيَّمُ٥٤١
وَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنَّ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ ... لَهُ ضَيْغَمًا قُلْنَا لَهُ: أَنْتَ ضَيْغَمُ٥٤٢
أَنَنْقُصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهْوَ زَائِدٌ ... وَنَبْخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمُ؟!٥٤٣
يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفُّ لُجَّةٌ ... وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مِخْذَمُ٥٤٤
وَلَا جُرْحُهُ يُؤْسَى وَلَا غَوْرُهُ يُرَى ... وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَتَثَلَّمُ٥٤٥
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ ... وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرِمُ٥٤٦
وَلَا يَرْمَحُ الْأَذْيَالَ مِنْ جَبَرِيَّةٍ ... وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدُمُ٥٤٧
وَلَا يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هِبَاتُهُ ... وَلَا تَسْلَمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ٥٤٨

أَلَـذُّ مِـنَ الـصَّـهْـبَـاءِ بِـالْـمَـاءِ ذِكْـرُهُ … وَأَحْـسَـنُ مِـنْ يُـسْـرٍ تَـلَـقَّـاهُ مُـعْـدِمُ[٥٤٩]
وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ … وَأَعْـوَزُ مِـنْ مُـسْـتَـرْفِـدٍ مِـنْـهُ يُـحْـرَمُ[٥٥٠]
وَأَكْـثَـرُ مِـنْ بَـعْـدِ الْأَيَـادِي أَيَـادِيًـا … مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُثْجِمُ[٥٥١]
سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ … مِـنَ الـلُّـؤْمِ آلَـى أَنَّـهُ لَا يُـهَـوِّمُ[٥٥٢]
وَلَوْ قَالَ: هَاتُوا دِرْهَمًا لَمْ أَجُدْ بِهِ … عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دِرْهَمُ[٥٥٣]
ولَـوْ ضَـرَّ مَـرْءًا قَـبْـلَـهُ مَـا يَـسُـرُّهُ … لَأَثَّـرَ فِـيـهِ بَـأْسُـهُ وَالـتَّـكَـرُّمُ[٥٥٤]
يُـرَوِّي بِـكَـالْـفِـرْصَـادِ فِـي كُـلِّ غَـارَةٍ … يَتَامَى مِنَ الْأَغْمَادِ تُنْضَى فَتُوتِمُ[٥٥٥]
إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ … مُذُ الْغَزْوُ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُلْجَمُ[٥٥٦]
يَـشُـقُّ بِـلَادَ الـرُّومِ وَالـنَّـقْـعُ أَبْـلَـقٌ … بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَدْهَمُ[٥٥٧]
إِلَى المَلِكِ الطَّاغِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ … تُسَايِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهْيَ تَعْلَمُ![٥٥٨]
وَمِـنْ عَـاتِـقٍ نَـصْـرَانَـةٍ بَـرَزَتْ لَـهُ … أُسِيلَةِ خَدٍّ عَنْ قَرِيبٍ ستُلْطَمُ![٥٥٩]
صُفُوفًا لِلَيْثٍ فِي لُيُوثٍ حُصُونُها … مُتُونُ المَذَاكِي وَالْوَشِيجُ الْمُقَوَّمُ[٥٦٠]
تَغِيبُ الْمَنَايَا عَنْهُمُ وَهْوَ غَائِبٌ … وتَقْدَمُ في سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ[٥٦١]
أَجِـدَّكَ مَـا تَـنْـفَـكُّ عَـانٍ تَـفُـكُّـهُ … عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالٌ تُقَسِّمُ[٥٦٢]
مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ … يَدًا لَا تُؤَدِّي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ[٥٦٣]
عَلَى مَهَلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ … لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ[٥٦٤]
مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمٌ … وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ[٥٦٥]
وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرُّجِي … إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِي التَّيَمُّمُ[٥٦٦]
فَعِشْ لَوْ فَدَى المَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ … مِنَ المَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ[٥٦٧]

واجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قِنَّسْرِين فسمع زئير الأسد، فقال:

أَجَارُكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ … فتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ؟[٥٦٨]
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ … أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ[٥٦٩]
فَهَلْ لَكِ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ؟ … فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ[٥٧٠]
إِذَنْ لَأَتَاكِ الخَيْرُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ … وَأَثْرَيْتِ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأَغْنَمُ[٥٧١]

وقال في لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار:

مَا نَقَلَتْ فِي مَشِيئَةٍ قَدَمَا ... وَلَا اشْتَكَتْ مِنْ دُوَارِهَا أَلَمَا[٥٧٢]
لَمْ أَرَ شَخْصًا مِنْ قَبْلِ رُؤْيَتِهَا ... يَفْعَلُ أَفْعَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلَا تَلُمْهَا عَلَى تَوَاقُعِهَا ... أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَتْكَ مُبْتَسِمَا[٥٧٣]

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس، فنزل بأبي الحسين علي بن أحد المري الخراساني، وكان بينهما مودة بطبرية، فقال يمدحه:

لَا افْتِخَارٌ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ ... مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ[٥٧٤]
لَيْسَ عَزْمًا مَا مَرَّضَ الْمَرْءُ فِيهِ ... لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ[٥٧٥]
وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَةُ جَانِيـ ... ـهِ غِذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الْأَجْسَامُ[٥٧٦]
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ[٥٧٧]
كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ ... حُجَّةٌ لَاجِئٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ[٥٧٨]
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ[٥٧٩]
ضَاقَ ذَرْعًا بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ ... عًا زَمَانِي وَاسْتَكْرَمَتْنِي الْكِرَامُ[٥٨٠]
وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصَيْ قَدْرِ نَفْسِي ... وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصَيَّ الْأَنَامُ[٥٨١]
أَقَرَارًا أَلَذُّ فَوْقَ شَرَارٍ ... وَمَرَامًا أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ؟!
دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ ... وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَا وَالشَّآمُ
شَرَقَ الْجَوِّ بِالْغُبَارِ إِذَا سَا ... رَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْقَمْقَامُ[٥٨٢]
الْأَدِيبُ الْمُهَذَّبُ الْأَصْيَدُ الضَّرْ ... بُ الذَّكِيُّ الْجَعْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامُ[٥٨٣]
وَالَّذِي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أُسَارَا ... هُ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الْغَمَامُ[٥٨٤]
يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْـ ... ـلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالًا سَقَامُ[٥٨٥]
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْـ ... ـبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ[٥٨٦]
لَوْ حَمَى سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ ... لَحَمَاكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ[٥٨٧]
وَعَوَارٍ لَوَامِعٌ دِينُهَا الْحِلْـ ... ـلُ وَلَكِنَّ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ[٥٨٨]
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ: بِسْمٌ ... ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ[٥٨٩]
إِنَّمَا مُرَّةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ ... لَجَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ[٥٩٠]

لَيْلُهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالْإِصْـ | ـبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تِمَامُ[٥٩١]
هِـمَـمٌ بَـلَّـغَـتْـكُـمْ رُتَـبَـاتٍ | قَـصُـرَتْ عَـنْ بُـلُـوغِـهَـا الْأَوْهَـامُ
وَنُـفُـوسٌ إِذَا انْـبَـرَتْ لِـقِـتَـالٍ | نَـفِـدَتْ قَـبْـلَ يَـنْـفَـدُ الْإِقْـدَامُ[٥٩٢]
وَقُـلُـوبٌ مُـوَطَّـنَـاتٌ عَـلَـى الـرَّوْ | عِ كَـأَنَّ اقْـتِـحَـامَـهَـا اسْـتِـسْـلَامُ[٥٩٣]
قَـائِـدُو كُـلِّ شَـطْـبَـةٍ وَحِـصَـانٍ | قَـدْ بَـراهَـا الْإِسْـرَاجُ وَالْإِلْـجَـامُ[٥٩٤]
يَـتَـعَـثَّـرْنَ بِـالـرُّءُوسِ كَـمَـا مَـرْ | رَ بِـتَـاءَاتِ نُـطْـقِـهِ الـتَّـمْـتَـامُ[٥٩٥]
طَـالَ غِـشْـيَـانُـكَ الـكَـرَائِـهَ حَـتَّـى | قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْحُسَامُ[٥٩٦]
وَكَفَتْكَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى | قَدْ كَفَتْكَ الصَّفَائِحَ الْأَقْلَامُ[٥٩٧]
وَكَفَتْكَ التَّجَارِبُ الْفِكْرَ حَتَّى | قَدْ كَفَاكَ التَّجَارِبَ الْإِلْهَامُ[٥٩٨]
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرَازَكَ لِلْفَخْـ | ـرِ بِقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لَا يُلَامُ[٥٩٩]
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْـ | ـرُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ إِنْعَامُ[٦٠٠]
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّءُوسُ وَلَكِنْ | فَضَلَتْهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامُ[٦٠١]
قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْـ | ـدِ ازْدِحَامٌ وَلِلْعَطَايَا ازْدِحَامُ[٦٠٢]
خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْ | خُذَنِي فِي هِبَاتِكَ الْأَقْوَامُ[٦٠٣]
وَمِنَ الرُّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى الْقُرْ | بِ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرَفُ الْإِلْمَامُ[٦٠٤]
وَمِنَ الْخَيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي | أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ[٦٠٥]
قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ بِنِظَامٍ | وُدُّهَا أَنَّهَا بِفِيكَ كَلَامُ![٦٠٦]
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنْـ | ـهَاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الْأَيَّامُ[٦٠٧]
حَسْبُكَ اللهُ مَا تَضِلُّ عَنِ الْحَقْـ | ـقِ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَثَامُ[٦٠٨]
لِمَ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْـ | ـرِ الدَّنَايَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامُ؟![٦٠٩]
كَمْ حَبِيبٍ لَا عُذْرَ فِي اللَّوْمِ فِيهِ | لَكَ فِيهِ مِنَ التُّقَى لُوَّامُ![٦١٠]
رَفَعَتْ قَدْرَكَ النَّزَاهَةُ عَنْهُ | وَثَنَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ[٦١١]
إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هُذَاءٌ | لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضَهُ أَحْكَامُ[٦١٢]
مِنْهُ مَا يَجْلُبُ الْبَرَاعَةُ والفَضْـ | ـلُ ومِنْهُ مَا يَجْلُبُ الْبِرْسَامُ[٦١٣]

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها، فتوجه نحو العراق، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك، فانحدر إلى بغداد، وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها كتابًا يسألها المسيرَ إليه، فقبَّلت كتابه، وحُمَّت لوقتها سرورًا به، وغلب الفرح على قبلها فقتلها، فقال يرثيها:

أَلَا لَا أُرِي الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمَّا
فَمَا بَطْشُها جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا[٦١٤]
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى
يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى[٦١٥]
لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا
قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا[٦١٦]
أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا
وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا[٦١٧]
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا
وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا[٦١٨]
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ
مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا[٦١٩]
عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا
فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا[٦٢٠]
مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا[٦٢١]
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُورًا بي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا[٦٢٢]
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا[٦٢٣]
تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا
تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا[٦٢٤]

وَتَــلْــثَـمُــهُ حَــتَّــى أَصَــارَ مِــدَادُهُ
مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا[٦٢٥]
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا
وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى[٦٢٦]
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا المَنَايَا وَإِنَّمَا
أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا[٦٢٧]
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي
وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا[٦٢٨]
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا[٦٢٩]
وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتي كَانَتِ الْعُظْمَى[٦٣٠]
هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ الْعِدَا
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الْحُمَّى؟![٦٣١]
وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا
وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى[٦٣٢]
فَوَا أَسَفَا أنْ لَا أُكِبَّ مُقَبِّلًا
لِرَأْسِكِ وَالصَّدْرِ اللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا[٦٣٣]
وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ الطَّيِّبَ الَّذِي
كَأَنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا[٦٣٤]
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ
لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا[٦٣٥]
لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا
فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمِ رَغْمَا[٦٣٦]
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا[٦٣٧]

وَلَا سَــالِــكًــا إِلَّا فُــؤَادَ عَــجَــاجَــةٍ
وَلَا وَاجِـدًا إِلَّا لِـمَـكْـرُمَـةٍ طَـعْـمَـا[٦٣٨]
يَـقُـولُـونَ لِـي: مَـا أَنْـتَ فِـي كُـلِّ بَـلْـدَةٍ؟
وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى[٦٣٩]
كَــأَنَّ بَــنِــيــهِــمْ عَــالِــمُــونَ بِــأَنَّــنِــي
جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا[٦٤٠]
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي
بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا[٦٤١]
وَلَــكِــنَّــنِــي مُــسْــتَــنْــصِــرٌ بِــذُبَــابِــهِ
وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا[٦٤٢]
وَجَــاعِــلُــهُ يَــوْمَ الــلِّــقَــاءِ تَــحِــيَّــتِــي
وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا[٦٤٣]
إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ
فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا[٦٤٤]
وَإِنِّــي لَــمِــنْ قَــوْمٍ كَــأَنَّ نُــفُــوسَــنَــا
بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا[٦٤٥]
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا[٦٤٦]
فَــلَا عَــبَــرَتْ بِــي سَــاعَــةٌ لَا تُــعِــزُّنِــي
وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا[٦٤٧]

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة، فسار إليه، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فمدحه بهذه القصيدة:

أَنَا لَائِمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ   عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ[٦٤٨]
وَلَــكِــنَّــنِــي مِــمَّــا شُــدِهْــتُ مُــتَــيَّــمٌ   كَسَالٍ وَقَلْبِي بَائِحٌ مِثْلُ كَاتِمِ[٦٤٩]

وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا   تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ[٦٥٠]
وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تُرَابَهَا   فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ[٦٥١]
دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ   بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَائِمِ[٦٥٢]
حِسَانُ التَّثَنِّي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ   إِذَا مِسْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ[٦٥٣]
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ   كَأَنَّ التَّرَاقِي وُشِّحَتْ بِالْمَبَاسِمِ[٦٥٤]
فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نُجُومُهَا   وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ؟![٦٥٥]
مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ   إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرْقُ الْمَظَالِمِ[٦٥٦]
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ   فَتُسْقَى إِذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ[٦٥٧]
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا   وَبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ   وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِم بِآثِمِ[٦٥٨]
إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِصَائِلٍ   وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ[٦٥٩]
وَإِلَّا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَنِي   عَنِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ ضُعْفُ الْعَزَائِمِ[٦٦٠]
عَنِ الْمُقْتَنِي بَذْلَ التِّلَادِ تِلَادَهُ   وَمُجْتَنِبِ الْبُخْلِ اجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ[٦٦١]
تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عُفَاتِهِ   وَتَحْسُدُ كَفَّيْهِ ثِقَالُ الْغَمَائِمِ[٦٦٢]
وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ   مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعَظَائِمِ[٦٦٣]
وَذِي لَجَبٍ لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ   بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمِ[٦٦٤]
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ   تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ[٦٦٥]
إِذَا ضَوْءُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً   تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ[٦٦٦]
وَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ   مِنَ اللَّمْعِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَاهِمِ[٦٦٧]
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ   ضِرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ[٦٦٨]
وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ   عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ[٦٦٩]
حَمَتْهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   سُيُوفُ بَنِي طُغْجِ بْنِ جُفِّ الْقَمَاقِمِ[٦٧٠]
هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى   وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ[٦٧١]
وَهُمْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ   وَيَحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمِ[٦٧٢]
حَيِيُّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ   أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ[٦٧٣]
وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ   وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ[٦٧٤]
سَرَى النَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي   صَنَائِعُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمِ[٦٧٥]

إِلَـى مُـطْـلِـقِ الْأَسْـرَى وَمُـخْـتَـرِمِ الْـعِـدَا وَمُشْكِي ذَوِي الشَّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ[٦٧٦]
كَـرِيـمٌ نَـفَـضْـتُ الـنَّـاسَ لَـمَّـا بَـلَـغْـتُـهُ كَـأَنَّـهُـمْ مَـا جَـفَّ مِـنْ زَادِ قَـادِمِ[٦٧٧]
وَكَـادَ سُـرُورِي لَا يَـفِـي بِـنَـدَامَـتِـي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِيَ الْمُتَقَادِمِ[٦٧٨]
وَفَـارَقْـتُ شَـرَّ الْأَرْضِ أَهْـلًا وَتُـرْبَـةً بِـهَـا عَـلَـوِيٌّ جَـدُّهُ غَـيْـرُ هَـاشِـمِ[٦٧٩]
بَـلَـى الـلـهُ حُـسَّـادَ الْأَمِـيـرِ بِـحِـلْـمِـهِ وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ[٦٨٠]
فَـإِنَّ لَـهُـمْ فِـي سُـرْعَـةِ الْـمَـوْتِ رَاحَـةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْغَلَاصِمِ[٦٨١]
كَـأَنَّـكَ مَـا جَـاوَدْتَ مَـنْ بَـانَ جُـودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ[٦٨٢]

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس، وقال ارتجالًا:

حُيِّيتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدِي الْمُقْسِمَا أَمْسى الْأَنَامُ لَهُ مُجِلًّا مُعْظِمَا[٦٨٣]
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَحْرَمَا[٦٨٤]

وحدث أبو محمد عن مسيرهم في الليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم، فقال:

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلِمَنْ ذَا الْحَدِيثُ وَالْإِعْلَامُ؟!
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَعِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْغَمَامُ[٦٨٥]

وقال، وقد كبست أَنطاكيَة فقتل مهره الطخْرور والْحِجْرُ أمه:

إِذَا غَـامَـرْتَ فِـي شَـرَفٍ مَـرُومِ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ[٦٨٦]
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ[٦٨٧]
ستَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الْجُسُومِ[٦٨٨]
قَرَبْنَ الـنَّـارَ ثُـمَّ نَـشَـانَ فِـيـهَـا كَمَا نشأَ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ[٦٨٩]
وَفَـارَقْـنَ الـصَّـيَـاقِـلَ مُـخْـلَـصَـاتٍ وَأَيْـدِيـهَـا كَـثِـيـرَاتُ الْـكُـلُـومِ[٦٩٠]
يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ[٦٩١]
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ[٦٩٢]
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ![٦٩٣]
وَلَـكِـنْ تَـأْخُـذُ الآذانُ مِـنْـهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ[٦٩٤]

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغلغ. وكان جاهلًا، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة، فقالوا له: أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك؟! وجعلوا يغرونه، فراسله أن يمدحه، فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحدًا إلى مدة، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة، وأخذ عليه الطريق وضبطها. ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه في مدة أربعين يومًا، فهجاه أبو الطيب، وأملاها على من يثق به. فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق، فأتبعه ابن كيغلغ خيلًا ورجلًا، فأعجزهم وظهرت القصيدة، وهي:

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ ... عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ ٦٩٥
يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَغَى ... لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ
يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ ٦٩٦
رَاعَتْكِ رَائِعَةُ البَيَاضِ بِعَارِضِي ... وَلَوَ انَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ ٦٩٧
لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَثُّمُ ٦٩٨
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى ... يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ ٦٩٩
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ ٧٠٠
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ ٧٠١
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِي يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ ٧٠٢
لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ ... وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ ٧٠٣
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ ٧٠٤
يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ ... مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلْؤُمُ ٧٠٥
الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ ٧٠٦
يَحْمِي ابْنَ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ ... مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ ٧٠٧
أَقِمِ المَسَالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سُكَيْنَةٍ ... إِنَّ المَنِيَّ بِحَلْقَتَيْهَا خِضرِمُ ٧٠٨
وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ ... وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ ٧٠٩
وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ وَطَيْشُكَ نَفْخَةٌ ... وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ ٧١٠
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّمَا ... تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقْدِمُ ٧١١
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي ... عَنْ غَيِّهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ ٧١٢

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ   تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ[٧١٣]
وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا   مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرِمُ[٧١٤]
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ   قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ[٧١٥]
يَقْلِي مُفَارَقَةَ الْأَكُفِّ قَذَالُهُ   حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ[٧١٦]
وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا   وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ[٧١٧]
وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً   وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقَمُ[٧١٨]
وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ   وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ[٧١٩]
أَرْسَلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً   صَفْرَاءُ أَضْيَقُ مِنْكَ مَاذَا أَزْعُمُ؟![٧٢٠]
أَتُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكَسُّبًا   يَا ابْنَ الْأُعَيِّرِ وَهْيَ فِيكَ تَكَرُّمُ[٧٢١]
فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا   وَلَشَدَّ مَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ[٧٢٢]
وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا   إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ[٧٢٣]
وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِبَابِهِ   تَدْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتُنْهَمُ[٧٢٤]
وَلِمَنْ يُهِينُ الْمَالَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ   وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ[٧٢٥]
وَلِمَنْ إِذَا الْتَقَتِ الْكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ   فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الكَمِيُّ المُعْلِمُ[٧٢٦]
وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفَارِسٍ   وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ[٧٢٧]
وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ وَالْفُؤَادُ مُشَيَّعٌ   وَالرُّمْحُ أَسْمَرُ وَالْحُسَامُ مُصَمِّمُ[٧٢٨]
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةٌ   وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمُ أَعْجَمُ[٧٢٩]

واجتاز ببعلبك فخلع عليه علي بن عسكر، وسأله أن يقيم عنده، وكان يريد السفر إلى أنطاكيَة، فقال يستأذنه:

رَوِينَا يَا ابْنَ عَسْكَرٍ الْهُمَامَا   وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا[٧٣٠]
وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا   لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَا[٧٣١]
وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِي   وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيكَ الْجِسَامَا[٧٣٢]
وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ   بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْمُقَامَا[٧٣٣]

وكان مع أبي العشائر ليلًا على الشراب، فكلما أراد النهوض وهب له شيئًا، حتى وهب له ثيابًا وجارية ومهرًا فقال:

أَعَنْ إِذْنِي تَهُبُّ الرِّيحُ رَهْوًا ... وَيَسْرِي كُلَّمَا شِئْتُ الْغَمَامُ؟![٧٣٤]
وَلَكِنَّ الْغَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ ... تَبَجُّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكِرَامُ[٧٣٥]

وقال يمدح كافورًا، وقد أهدى إليه مهرًا أدهم في شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧هـ:

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ ... وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ[٧٣٦]
وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ ... إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ[٧٣٧]
سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً ... مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرِمِ[٧٣٨]
رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ![٧٣٩]
وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ ... بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ[٧٤٠]
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ[٧٤١]
رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى ... هَوًى كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي[٧٤٢]
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[٧٤٣]
وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ ... وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ[٧٤٤]
أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ ... وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ[٧٤٥]
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ[٧٤٦]
وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ ... جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ[٧٤٧]
وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ[٧٤٨]
خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ[٧٤٩]
وَلَا عِفَّةٌ فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ... وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ[٧٥٠]
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ[٧٥١]
فِدًى لِأَبِي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا ... سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ[٧٥٢]
أَغَرَّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ ... إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ[٧٥٣]
إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا ... فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ[٧٥٤]
يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ... ضَعِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ التَّكَرُّمِ[٧٥٥]

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ ... وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا: اقْدُمِي ٧٥٦
شَدِيدُ ثَبَاتِ الطِّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ ... إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثِّمِ ٧٥٧
أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبِيضَ بِالدَّمِ ٧٥٨
وَيَوْمًا يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ ٧٥٩
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمِ ٧٦٠
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا ... بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمُتَيَّمِ ٧٦١
وَلَا نَبَحَتْ خَيْلِي كِلَابُ قَبَائِلٍ ... كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيلِ حَمْلَاتِ دَيْلَمِ ٧٦٢
وَلَا اتَّبَعَتْ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ ... فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمِ ٧٦٣
وَسَمْنَا بِهَا الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ ... مِنَ النِّيلِ وَاسْتَذْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ ٧٦٤
وَأَبْلَخَ يَعْصِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ ... عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلُوَّمِي ٧٦٥
فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ ... وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ ٧٦٦
قَدِ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا ... حَدِيثًا وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ ٧٦٧
فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ ... وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ ٧٦٨
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً ... وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ ٧٦٩
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ؟! ٧٧٠
وَقَدْ وَصَلَ الْمُهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ ... مِنِ اسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ ٧٧١
لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلُّهُ ... وَإِنْ كَانَ بِالنِّيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ ٧٧٢
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا ... وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ ٧٧٣
وَلَكِنَّ مَا يَمْضِي مِنَ الْعُمْرِ فَائِتٌ ... فَجُدْ لِي بِحَظِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ ٧٧٤
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً ... وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ ٧٧٥
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ ... فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ ٧٧٦

وقال يذكر حُمَّى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر، وذلك في ذي الحجة سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة:

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ ٧٧٧
ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ ... وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ ٧٧٨
فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذَا ... وَأَتْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ ٧٧٩

عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حِرْتُ عَيْنِي ... وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي ٧٨٠
فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ ... سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ ٧٨١
يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي ... إِذَا احْتَاجَ الوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ ٧٨٢
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا ... وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ ٧٨٣
فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ ٧٨٤
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ ... لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ ٧٨٥
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي ... وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ ٧٨٦
وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي ... إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الكِرَامِ ٧٨٧
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا ... عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ ٧٨٨
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ ٧٨٩
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الكَهَامِ ٧٩٠
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي ... فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ ٧٩١
وَلَمْ أرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا ... كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ ٧٩٢
أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَائِي ... تَخُبُّ بِيَ الْمَطِيُّ وَلَا أَمَامِي ٧٩٣
وَمَلَّنِيَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ ٧٩٤
قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِمٌ فُؤَادِي ... كَثِيرٌ حَاسِدِي صَعْبٌ مَرَامِي ٧٩٥
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ... شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيرِ المُدَامِ ٧٩٦
وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ ٧٩٧
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي ٧٩٨
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفَسِي وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السِّقَامِ ٧٩٩
إِذَا مَا فَارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي ... كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ ٨٠٠
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فتَجْرِي ... مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ ٨٠١
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ ٨٠٢
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ ... إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرَبِ الْعِظَامِ ٨٠٣
أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ؟! ٨٠٤
جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ ... مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلَا السِّهَامِ ٨٠٥
أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدِي أتُمْسِي ... تَصَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ؟ ٨٠٦

وَهَلْ أَرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ	مُحَلَّاةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ؟[٨٠٧]
فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي	بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ[٨٠٨]
وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا	خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ[٨٠٩]
وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ	وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ[٨١٠]
يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ: أَكَلْتَ شَيْئًا	وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ	أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الجِمَامِ[٨١١]
تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا	وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ[٨١٢]
فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى	وَلَا هُوَ فِي العَلِيقِ وَلَا اللِّجَامِ[٨١٣]
فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي	وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي[٨١٤]
وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ	سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ[٨١٥]
تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ	وَلَا تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ[٨١٦]
فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنًى	سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ[٨١٧]

وقال يهجو كافورًا:

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الْكَرَمُ	أَيْنَ الْمَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ؟[٨١٨]
جَازَ الْأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ	فَعُرِّفُوا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ[٨١٩]
لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ	تَقُودُه أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ[٨٢٠]
سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ	وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ[٨٢١]
أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ	يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ[٨٢٢]
أَلَا فَتًى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ	كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتُّهَمُ[٨٢٣]
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُوبَ بِهَا	مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقِدَمُ[٨٢٤]
مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ	وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الَّذِي زَعَمُوا[٨٢٥]

وقال يهجوه أيضًا:

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمُ	تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ؟[٨٢٦]
أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ	يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمُقِيمُ؟[٨٢٧]

تَشَابَهَتِ الْبَهَائِمُ وَالْعِبِدَّى عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ[٨٢٨]
وَمَا أَدْرِي أَذَا دَاءٌ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ؟[٨٢٩]
حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ[٨٣٠]
كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ[٨٣١]
أُخِذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا مَقَالِي لِلْأُحَيْمِقِ يَا حَلِيمُ[٨٣٢]
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيًّا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَا لَئِيمُ[٨٣٣]
فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا فَمَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمُ؟[٨٣٤]
إِذَا أَتَتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَئِيمٍ وَلَمْ أَلُمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ؟![٨٣٥]

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة ندٍّ عليها اسم فاتك، وكانت مما أهداه له، فاستحسنها الرجل، فقال المتنبي:

يُذَكِّرُنِي فَاتِكًا حِلْمُهُ وَشَيْءٌ مِنَ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ[٨٣٦]
وَلَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنَّنِي يُجَدِّدُ لِي رِيحَهُ شَمُّهُ[٨٣٧]
وَأَيَّ فَتًى سَلَبَتْنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَدْرِ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ![٨٣٨]
وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمَتْ هَالَهَا ضَمُّهُ[٨٣٩]
بِمِصْرَ مُلُوكٌ لَهُمْ مَا لَهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَهُمْ هَمُّهُ[٨٤٠]
فَأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ وَأَحْمَدُ مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ[٨٤١]
وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِمْ عُدْمُهُ[٨٤٢]
وَإِنَّ مَنِيَّتَهُ عِنْدَهُ لَكَالْخَمْرِ سُقِّيَهُ كَرْمُهُ[٨٤٣]
فَذَاكَ الَّذِي عَبَّهُ مَاؤُهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَعْمُهُ[٨٤٤]
وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفسِهِ حَرًى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ[٨٤٥]

وقال يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكًا، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسعٍ خلون من شعبان سنة ٣٥٢:

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ؟! وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمِ[٨٤٦]
وَلَا يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ[٨٤٧]

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا   وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ وَاللِّمَمِ ٨٤٨
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً   لَوِ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حِكَمِ ٨٤٩
وَنَتْرُكُ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ   مَا سَارَ فِي الْغَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ ٨٥٠
لَا أُبْغِضُ العِيسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا   قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ ٨٥١
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا   حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ ٨٥٢
تَبْرِي لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً   تُعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرْخَاةَ بِاللُّجُمِ ٨٥٣
فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُم وَرَضُوا   بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزَّلَمِ ٨٥٤
تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عَمَائِمَهُمْ   عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُودًا بِلَا لُثُمِ ٨٥٥
بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَّانُونَ مَنْ لَحِقُوا   مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَّالُونَ لِلنَّعَمِ ٨٥٦
قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ   وَلَيْسَ يَبلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ ٨٥٧
فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنَّ أَنْفُسَهُمْ   مِنْ طِيبِهِنَّ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ٨٥٨
نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ   فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيرِ فِي الْبُهَمِ ٨٥٩
تَخْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضًا مَشَافِرُهَا   خُضْرًا فَرَاسِنُهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَنَمِ ٨٦٠
مَكْعُومَةً بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا   عَنْ مَنْبِتِ الْعُشْبِ نَبْغِي مَنْبِتَ الْكَرَمِ ٨٦١
وَأَيْنَ مَنْبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنْبِتِهِ   أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ؟! ٨٦٢
لَا فَاتِكٌ آخَرٌ فِي مِصْرَ نَقْصِدُهُ   وَلَا لَهُ خَلَفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمِ ٨٦٣
مَنْ لَا تُشَابِهُهُ الْأَحْيَاءُ فِي شِيَمٍ   أَمْسَى تُشَابِهُهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرِّمَمِ ٨٦٤
عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ   فَمَا تَزِيدُنِيَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ ٨٦٥
مَا زِلْتُ أُضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرَتْ   إِلَى مَنِ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ ٨٦٦
أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أُشَاهِدُهَا   وَلَا أُشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ ٨٦٧
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي   أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ ٨٦٨
اكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ   فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ ٨٦٩
أَسْمَعْتِنِي وَدَوَائِي مَا أَشَرْتِ بِهِ   فَإِنْ غَفَلْتُ فَدَائِي قِلَّةُ الْفَهَمِ ٨٧٠
مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ   أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ ٨٧١
تَوَهَّمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا   وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التُّهَمِ ٨٧٢
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً   بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ ٨٧٣
فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمُ   أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ المَصْقُولَةِ الْخُذُمِ ٨٧٤

مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفْرَتُهُ ... مَا بَيْنَ مُنْتَقَمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمِ[٨٧٥]
صُنَّا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ ... مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ[٨٧٦]
هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ ... فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ[٨٧٧]
وَلَا تَشَكَّ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغِرْبَانِ وَالرَّخَمِ[٨٧٨]
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ... وَلَا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ[٨٧٩]
غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ ... وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ[٨٨٠]
سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا ... فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ؟![٨٨١]
الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوَائِبَهُ ... وَصَبْرِ جِسْمِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الْحُطُمِ[٨٨٢]
وَقْتٌ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ ... فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ[٨٨٣]
أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ[٨٨٤]

وقال يمدح عضد الدولة، وقد نثر عليهم الورد، وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه:

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا ... أَنَّكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمَا[٨٨٥]
كَأَنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ ... بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمَا[٨٨٦]
نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَمًا ... وَكُلَّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكَمَا[٨٨٧]
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا ... وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا[٨٨٨]
فَلْيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ ... أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلِمَا[٨٨٩]
وَقُلْ لَهُ: لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ ... وَإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا[٨٩٠]
خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا ... أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى[٨٩١]

هوامش

(١) الفازة: مظلة تمد بعمود، وقال بعض اللغويين: هي بناء من خزف وغيرها تبنى في العساكر، والجمع فاز.

(٢) وفاؤكما كالربع: مبتدأ وخبر. وأشجاه: أي أشده شجوًا، من قولك: شجاني هذا الأمر؛ أي أحزنني. والطاسم: الطامس الدارس. و«بأن تُسعدا»: أي تساعدا وتعاونا، متعلق بوفاء، وذلك من الضرورات القبيحة؛ لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء. وسجم الدمع: سال وهطل. يخاطب خليليه اللذين عاهداه على أن يساعداه على

البكاء عند ربع الأحبة، يقول لهما: إن وفاءكما بأن تساعداني على البكاء كهذا الربع، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزائره وأشد لحزنه؛ لأنه لا يتسلى به المحب، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقل إسعادكما لي على البكاء اشتد حزني؛ إذ لا أجد من أتسلى به. ثم قال: والدمع أشفاه ساجمه، كأنه يقول: إن لي العذر في البكاء، أما أنتما فخليان؛ إذ لو كنتما محزونين مثلي لاستشفيتما بالدمع، كما هو شأن المحزون مثلي. يريد: ابكيا معي بدمع في غاية السجوم فهو أشفى للوجد، فإن الربع في غاية الطسوم وهو أشجى للمحب. وقال ابن جني: المعنى: كنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي وفاءكما معه، ولذلك قال وفاؤكما كالربع: أي كلما ازددت بالربع وبوفائكما وجدًا، ازددت بكاء، ويروي: والدمعِ — بالجر — عطفًا على الربع، وعلى هذا يكون المعنى: وفاؤكما كالربع الدارس في الأدواء إذا لم تجريا عليه الدمع الساجم، وفي الشفاء إذا أجريتما عليه. وعبارة ابن القطاع: وفاؤكما لي بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذي أشجاه للعين دارسه، فكنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما وأشتفي بالدمع الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه. وقال الإمام التبريزي: الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يجلو بعض الهم عن المكروب المحزون، قال الفرزدق:

أَلم ترَ أني يوم جوِّ سُوَيقةٍ بَكيتُ فنادَتْنِي هُنيدةُ ما لِيَا
فقلتُ لها: إنَّ البكاءَ لراحَة به يَشْتفي من ظَنَّ أن لا تلاقيا

(مطلع إحدى قصائده، وهي أول قصيدة هجا بها جريرًا والبعيث.)

قال التبريزي: لامهما على البكاء، وأنهما لم يسعداه، قال: وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه. هذا، ولمناسبة «أشجاه» روى الرواة أن المتنبي لما أنشد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرًا، فقال للمتنبي: تقول أشجاه وهو شجاه؟ فقال له: اسكت ليس هذا من علمك، إنما هو اسم لا فعل … يريد المتنبي أنه اسم تفضيل؛ أي أشده شجوًا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل … لأنه في الفصيح يقال — كما أسلفنا — شجاه يشجوه شجوًا: إذا حزنه، وشجاه تَذَكُّرُ إلفه: أي هيجه، وشجاه الغناء: إذا هيج أحزانه وشوقه. وأما أشجاه يشجيه إشجاء: فهو بمعنى أغصه، والشجا: ما اعترض في حلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرهما، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

ويرانِي كالشجا في حَلْقِهِ　　　عَسِرًا مَخْرَجُه ما يُنْتَزَعْ

وقد شجي به — بالكسر — يشجى شجا، قال المسيب بن زيد مناة الغنوي:

لا تُنْكر القتْلَ وقدْ سُبِينا　　　فِي حلقِكُمْ عَظمٌ وقدْ شجينا

«في حلقكم: أراد في حلوقكم.»

(٣) قوله: وما أنا إلا عاشق: إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد، ثم استأنف فقال: كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الخلة — الصداقة والود — من لامه في هواه، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم. يقول: إن من لامني منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه العقوق، فكأن لائمكما أعقكما. قال الواحدي: ومعنى الأعق ها هنا: العاق، كقول الفرزدق:

إنَّ الذِي سَمَكَ السماءَ بنى لنا　　　بَيتًا دعائِمُهُ أعَزُّ وَأَطْوَلُ

وكما قال الجاهلي:

خالي بنو أوْسٍ وخالُ سَرَاتِهِمْ　　　أوْسٌ فأيُّهُمَا أدقُّ وألأمُ؟

أي فأيهما الدقيق واللئيم؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتملا عليهما معًا ثم زاد أحدهما على صاحبه، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك، كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن، كذلك جاز أن يقول: أعق خليله وإن لم يكن للممسك عن اللوم صفة عقوق. هذا، ويروى: كلَّ عاشق، بنصب «كل» على أنه مفعول عاشق، يريد إني عاشق كل عاشق مصف يعد خليله العاق من لامه في هواه.

(٤) التزيي: تكلف الزي، وهو اللباس والهيئة. قال الواحدي: وفي هذا البيت تعريض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به. يقول: قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله، وفيه تعريض أيضًا بأنهما ليسا من أهل الصحبة؛ حيث قال: قد يسأل الإنسان الصحبة من لا يكون موافقًا له في أحواله، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدا من الإسعاد. هذا، ولمناسبة «يتزيا» قال ابن جني: سألته — أي للمتنبي —

عن قوله: «يتزيا»، هل تعرفه في اللغة أو في كتاب قديم؟ قال: لا. قلت: فكيف تقدم عليه؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال. قلت: أترضى بشيء تورده العامة؟ قال: ما عندك فيه؟ قلت: قياسه يتزوى. قال: من أين لك؟ قلت لأنه من الزي وعينه واو، وأصله زوي، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ولأنها أيضًا ساكنة قبل الياء، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون: لفلان «زي»، إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى يجتمع له أشياء كثيرة حسنة، فحينئذٍ يقال: له «زي»، من زويت أي جمعت، وقال الآخر:

زوى بين عينيه على المحاجم

(عجز بيت للأعشى، وصدره:

يَزيدُ يغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي كأنَّمَا زوى ... ... إلــــــخ

وبعده:

فلا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنَ عَيْنيكَ ما انزَوى ولا تـلـقَـنِـي إلَّا وأنـفـكَ رَاغِـم

يقال: زوى ما بين عينيه فانزوى: جمعه فاجتمع.)

فقلت له: إلى هذا ذهبت فأصغى نحوه ... وقد ذكره صاحب «العين» — أي الخليل بن أحمد — فقال: تزيا فلان بزي حسن وزييته تزية — بوزن تحية — فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوي، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفًا كقول الآخر:

إن ديموا جاد وإن جاد وبل

(عجز بيت لشاعر جاهلي يقال له: جهم بن سبل، وصدره:

أنا الْجَواد بنُ الجوادِ بنِ سَبلْ إن ديــمــوا ... ... إلــخ

يمدح أباه بالسخاء. وديموا، ويروى دوموا — على القياس: من قولهم ديمت السماء تدييمًا؛ أي أمطرت مطرًا دائمًا في سكون. وجادوا: من الجود، وهو المطر الواسع الغزير، أو المطر الذي لا مطر فوقه ألبتة. ووبل: من وبلت السماء وبلًا؛ أي أمطر مطرًا شديدًا

ضخم القطر.)

وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم بياء أنس بها وأخلد إليها لخفتها كما قالوا في عيد أعياد، وفي تحقيره عييد، وهو من عاد يعود، وكان قياسه عويد وأعواد، كما قيل في تحقير «ريح» رويح؛ وفي جمعها أرواح؛ وحكى اللحياني في نوادره: ريح وأرواح، فهذا مما أجري مجرى البدل اللازم لخفة الياء، وكذلك يتزيا إن كان صحيحًا من كلامهم، فهو مما ألزم بدل الياء من الواو تخفيفًا، ولأنه قد أبدلها في زي قصدًا من طريق الاشتقاق، والقياس يقتضي أن تكون عين الزي واوًا في الأصل؛ لأن باب طويت، ورويت مما عينه واو ولامه ياء أكثر من باب حييت وعييت مما عينه ولامه ياءان فلما اجتمع القياس والاشتقاق على قضيته لزم قبولها ورفض ما عداها وخالف وضعها.

(٥) الأطلال: آثار الديار. يدعو على نفسه بأن يبلى بلى الأطلال، إن لم يقف بأطلال الأحبة متوجعًا لها منحنيًا، كما يفعل الشحيح إذا فقد خاتمه ووقف يتلمسه في التراب. قال ابن وكيع: وهذا مأخوذ من قول أبي نواس:

كأني مُريغٌ في الديارِ طَريدةً ... أراها أمامي مرةً وورائي

وقد عاب ابن جني هذا البيت، قال: ليس للفظ عجزه جزالة لفظ صدره، وليس في وقوف الشحيح على طلب خاتمه مبالغة يضرب بها المثل. قال: والعرب تبالغ في وصف الشيء وتجاوز الحد، وقد تقتصر أيضًا وتستعمل المقاربة … وهذا بعينه قد جاء في الشعر الفصيح، قال جرير:

هن حيارى كمضلات الخدم

والخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال … قال العروضي — ذائدًا عن المتنبي: لا عيب عليه، لأن الشحيح إذا طلب الخاتم احتاج إلى الانحناء ليقف بصره على الخاتم، ولو كان بدل الخاتم شيئًا عظيمًا كالخلخال والسوار لكان يطلبه من قيام فلا يحتاج إلى الانحناء، ولو كان صغيرًا كالدرة لكان يطلبه قاعدًا مكانه. يقول — أي المتنبي: إن لم أقف بها — أي بالأطلال — منحنيًا لوضع اليد على الكبد والانطواء عليها كوقوف الشحيح الطالب للخاتم، ويشهد لصحته قول ابن هرمة يذم بخيلًا:

نَكَّسَ لما أتيت سائِلَهُ واعتَل تنكيسَ ناظِم الْخرَزِ

فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتنكيس الرأس. على أنا نقول — إن التزمنا بهذا السؤال: قد يبلغ من قيمة الخاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه على طلبه. وقال الواحدي — مدافعًا أيضًا عن المتنبي: يقال في جواب هذا السؤال: إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من وقوف غيره، فجاز ضرب المثل به، كقول الشاعر:

رُب ليل أمَدَّ مِنْ نَفَس العا شِقَ طُولًا قطعتهُ بانتحاب

وقد علمنا أن ساعة من ساعات الليل تستغرق عدة أنفاس، ولكنه لما كان نفس العاشق أطول من نفس غيره، جاز ضرب المثل به، وإن لم يبلغ النهاية في الطول، وكقول الآخر:

وليل كظِل الرُّمْحِ قَصَّرَ طولَه دَمُ الزِّقِّ عَنًّا واصطفاقُ المزاهر

(دم الزق: الخمر. والمزاهر: جمع مزهر؛ آلة الطرب.)

وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية في الطول.

(٦) كئيبًا: أي حزينًا، حال من قوله أقف بها — في البيت السابق. وتوقاني: تباعدني واجتنبني. والريض من الخيل: الصعب الذي لم يروض، وقد يكون الريض: الذي قد ذلل، فهو من الأضداد. والحازم: الذي يسوسه ويشده بالحزام. يقول: إن العواذل اللائي يعذلنني — يلمنني — في الهوى يحذرن جانبي وإبائي عليهن — إذا وقفت على الربع كئيبًا — كما يحذر حازم الريض من الخيل جماحه أن يعضه أو يرمحه — يضربه برجله.

(٧) تغرم: جواب قفي. والأولى: فاعل تغرم. ومن اللحظ: بيان للأولى. ومهجتي: مفعول تغرم، وغرم ما أتلفه: لزمه أداؤه. يقول: إنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته، فهو يقول لها قفي لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحييني، فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرمًا لما أتلفته النظرة الأولى. وعبارة ابن جني: قفي يا محبوبة تغرم اللحظة الأولى التي لحظتك مهجتي بلحظة ثانية؛ لأن الأولى قد أتلفت مهجتي فوجب عليها الغرم، فإن لُحِظَ ثانية عاش. فتكون الأولى قد غرمت المهجة بالثانية، ثم ذكر الحجة الموجبة أن

يطالب بالوقفة، فقال: والمتلف غارم، وهي حكومة بحق. وعبارة الخطيب التبريزي: لما نظر إليها نظرة أتلفت مهجته وأراد أن ينظر إليها أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة، لأنها سبب التلف. ومثله لقطرب:

أشتاقُ بالنظرَةِ الأولى قرينتها كأنني لم أقدِّم قبْلها نَظرا

وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال:

يا مُسْقما جسْمي بأوَّلِ نَظْرَةٍ في النظرة الأخْرى إليكَ شِفائي

وروى الخوارزمي: تغرمي — بالياء — وأصله: تغرمين، فحذف النون للجزم، والخطاب للمحبوبة، والمهجة هي المحبوبة، فمهجتي في موضع نصب بالنداء، والأولى مفعول، ويكون المعنى: قفي يا مهجتي تغرمي النظرة الأولى التي حرمتنيها بنظرة ثانية إليك. ثم قال: ومن أتلف شيئًا غرمه: أي أنت أتلفت علي النظرة الأولى التي رميتها منك أولًا فاغرميها بنظرة ثانية. والرواية الأولى هي الأوجه.

(٨) العيس: الإبل البيض. والنَّوْر: الزهر. والكمائم: أغلفة الزهر قبل أن تتفتق. جعل هؤلاء النسوة زهرًا في حسنهن، وصفاء ألوانهن، وطيب روائحهن، وجعل الخدور لهن بمنزلة الكمائم للزهر، ولما جعلهن زهرًا بنى على هذا اللفظ السقي والتحية؛ فإن الزهر نضرته بالماء، وجرت العادة بأن يُحَيِّي الناس بعضهم بعضًا بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئًا منها، ومعنى حيانا بك الله لقَّاناك وحيانا بك. وقد كشف السري الرفاء عن هذا المعنى بقوله:

حيًّا بِهِ اللهُ عاشِقيهِ فَقَدْ أَصْبحَ رَيحانةً لمنْ عَشقا

(٩) الأظعان: النساء في الهوادج. وقوله: «ما واجد لك عادمه»: استئناف والضمير للقمر. يقول: أي حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل؟ فإن من وجدك لم يعدم القمر، يعني أنها في الدجى تقوم مقام القمر. قال البحتري:

أضرَّت بِضَوْءِ البدْر والبدْرُ طالعٌ وقامت مقَامَ البدْر لَمَّا تَغيَّبا

وقال الآخر:

إنَّ بيتًا أنتَ ساكِنُهُ غيرُ محتاجٍ إلى السُّرُجِ

(١٠) يقال: أثاب فلان: رجع إليه جسمه بعد الهزال، وصلح بدنه. والمُعْيِي: الكليل. والمطي: جمع مطية؛ وهي الدابة تمتطى وتركب، وذكر المطي على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع. والرازم — كالرازح — الذي سقط من الإعياء فلا يبرح. يقول: إن الإبل الرازحة التي كلت وعجزت عن المشي، إذا نظرت إليك عاشت أرواحها، وعادت قوتها، وصلحت حالها مع أنها لا تعقل، فما الظن بنا وحياتنا برؤيتك؟ وقال ابن فورجه: إنما يعني بالمطي أصحابها. قال: والإبل لا فائدة لها في النظر إلى هذه المحبوبة، وإن فاقت حسنًا وجمالًا، وإنما ركابها هم الذين يسرون بذلك. وليس هذا بشيء؛ لأن الإبل التي لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى المبالغة والتعمق في المعنى، لا على الحقيقة، وهي عادة الشعراء في المبالغة.

(١١) يقول: إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به، فليس لغيره فيه حظ، فكأن الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره، أو كأن الذي قسم الحسن بين الناس جار — لم يعدل — فأعطاه جميع الحسن، ولم يُبْقِ لأحد منه نصيبًا.

(١٢) الخط: موضع باليمامة تقوم فيه الرماح؛ وهي الرماح الخطية. والحي: الجماعة من الناس ينزلون بالبادية. يقول: هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء؛ لأن رماح قومه تحول دون ذاك، كما قال:

بِصُمِّ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَائِمِ

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤدى بها إليه ليخدمنه.

(١٣) أدنى: أقرب. والكباء: العود الذي يتبخر به. ونشره: رائحته. قال اللحياني: ومثل الكباء الكبة، قال: والجمع كبًّا، وقد كبَّى ثوبه — بالتشديد — أي بخره، وتكبى واكتبى إذا تبخر بالعود؛ قال أبو دؤاد:

يَكْتبينَ اليَنْجوجَ في كبَّةِ الْمَشْـ ـتى وَبُلْهٌ أحلامُهُنَّ وِسامُ

(أي يتبخرن الينجوج؛ وهو العود. وكبة الشتاء: شدة ضرره. وقوله: وبله أحلامهن: أراد أنهن غافلات عن الخنى والخب.)

يقول: أقرب ستوره إليك أيها الطالبُ الوصولَ إليه غبار خيول قومه، وأبعدها عنك وأقربها منه — من الحبيب — دخان بخوره؛ يصف هذا الحبيب بأنه في غاية المنعة وغاية النعمة. وعبارة الواحدي: إن دخان العود الذي يتبخر به كثير عنده حتى صار كالحجاب بينه وبين من يطلبه. قال: ويروى: «وأولها نشر الكباء» والمعنى: وأول ستر دونها مما يليها. قال: ويمكن أن يقلب هذا فيقال: أدنى ستر إليها من الستور دونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء، يعني أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها. قال: وهذا أشبه بطريقة المتنبي في إيثار المبالغة.

(١٤) يريد كثرة ما لقي من صروف الدهر، وما مني به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقًا رآه، ولا تريه عينه شيئًا لم يعلمه قلبه. والمصراع الثاني من قول عدي بن الرقاع:

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِمًا عن حرفِ واحِدَةٍ لِكَي أَزْدَادَها

(من كلمته التي يقول في مطلعها:

عرف الديار توهما فاعتادها ... ... [الـــبـــيـــت]

وفيها يقول في وصف الظبية وولدها:

تُزْجي أغنَّ كأن إبرَةَ رَوقه قلم أصابَ مِنَ الدواةِ مدادها

تزجي أغن: أي تسوقه برفق؛ والروق: القرن، وإبرته: ما حدد من طرفه كأنه إبرة.)

ومثله لأبي الطيب:

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا

وقال الأعور الشني:

لقد أَصْبحتُ لا أحتاجُ فيما　　　يَكونُ مِنَ الأمُورِ إلى السؤالِ

وقال ابن الرومي:

وما أحدَثَ العصرانِ شيئًا نكِرتُهُ　　　هما السَّالبانِ الواهبانِ هُمَا هُمَا

(١٥) الكاشح: الذي يضمر لك العداوة. والعلاقم: جمع علقم؛ وهو الحنظل. قال ابن جني: سألته — أي المتنبي — وقت القراءة عليه: ما وجه التهمة في هذا الموضع؟ قال: أن يظنوا بي جزعًا. يقول: لا يتهمني الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق؛ فإني قد ذقت المرارات حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها، والعلقم أشد الأشياء مرارة، وهو لا يحلو لأحد، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته، فكأنه قد حلا له. ومعنى رعيت الردى: رعيت أسباب الردى من المخاوف والمهالك، وكنى بالعلاقم عن المرارات، ولهذا قال «رعيت» لأن العلقم مما يرعى، يعني إني لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادي ذلك، كما قال الآخر:

وفارقتُ حتى ما أبالي مِنَ النَّوَى　　　وإنْ بـانَ جـيـران عـلـيَّ كِـرامُ

وقال المؤرج السدوسي:

رُوِّعْتُ بالبَينِ حتى ما أرَاعُ له　　　وبالمصَائبِ في أَهْلِي وَجيراني

وهذا المعنى ظاهر في قول الخريمي:

لقد وقَرَتني الحادِثاتُ فما أُرَى　　　لِـنـازِلـة مـنْ رَيـبـهـا أتَـوَجَّـعُ

(١٦) مشب: مبتدأ، ومشيبه: خبره، ولك أن تعكس. وتوقاه: حذره، والضمير في «توقيه» للباكي، وفي «بانيه، وهادمه» للشباب. يقول: إن الذي يجزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب، فلا سبيل إلى التوقي من المشيب؛ لأن أمره بيد غيره، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي:

تُضَعْضِعهُ الأوقاتُ وَهْي بَقاؤُه وتَغتاله الأقوَاتُ وَهْيَ لَه طُعْمُ
إذَا مَا رَأيتَ الشيء يُبليه عمرُهُ وَيُفْنيه أن يبْقى ففي دائِهِ عقم

(١٧) العارضان: جانبا الوجه. يقول: تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعًا مترعرعًا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا بياض وسواد. قال الواحدي: وغائب لون العارضين هو البياض، والقادم هو السواد السابق إلى العارض، ويجوز أن يريد بالقادم: الشيب — من قدم يقدم: إذا ورد — وبالغائب: السواد الذي غاب بقدوم البياض. ويجوز أن يكون غائب لون العارضين؛ لون البشرة حين يغيب عنها الشعر وبياضه، والقادم: هو لون الشعر من سواد وبياض. ويجوز أن يريد بالغائب: لون جلد العارض المستتر بالشعر، وبالقادم: سواد الشعر النابت، وهذا هو الأولى؛ لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيًّا ثم يافعًا مترعرعًا ثم ينبت شعره فيكون شابًّا؛ ولم يجعل الشيب من تكملة العيش، لأن:

من شاب فِي الناس مات حيا يمشي على الأرْض مشي هالكْ
لَوْ كان عمر الفتى حِسَابًا لكان في شَيبِهِ فَذَالِكْ

(فذالك: جمع فذلكة من قول الحاسب: فذلك كذا.)
وبيت المتنبي من قول ابن الرومي:

سُلِبتُ سوادَ العارِضين وقبله بياضهما المحمودَ إذ أنا أمرَدُ

(١٨) الفاحم: الأسود الشديد السواد. يقول: إن البياض في الشعر حسن، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح، ولكن لأن السواد أحسن منه؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر، وعبارة ابن جني: ذكر أن المشيب لم يخضب لأنه قبيح، ولكن سواد الشعر أحسن، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزُهد فيه، فإذا خضب ظهر للغواني أنه شاب فترغبن فيه.

(١٩) أراد بماء الشبيبة: نضارتها وحسنها. والحيا: المطر. والبارق: السحاب ذو البرق. والفازة: قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج. والشائم: الناظر إلى البرق يرجو المطر. يقول: أحسن من الشباب الذي فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر إليه، يعني سيف الدولة، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه؛

وكنى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده، وقد جمع له في هذا البيت بين ضروب من المدح: الحسن، والجود، واستحقاق التأميل.

(٢٠) الدوح: جمع دوحة؛ وهي الشجرة العظيمة من أي الأشجار كانت. وتغن — بحذف إحدى التاءين — في رواية: لم تغن، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار؛ بيد أنها ليست مما أنبته السحاب وحاكه — نسجه وصنعه — وأغصان تلك الأشجار لا تتغنى حمائمها ولا تتجاوب طيورها؛ لأنها صور ليست ذات أرواح.

(٢١) الموجه: ذو الوجهين. والسمط: السلك، ويطلق على القلادة. وأراد بسمط الدر: الدوائر البيض على حواشي تلك الأثواب التي اتخذت منها الفازة. شبهها بالدر لبياضها، غير أن من نظمه لم يثقبه؛ لأنه ليس بدرًا حقيقيًّا.

(٢٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان. يقول: ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن ديدنها التفارس والتهارش، وجعلها متحاربة؛ لأنها نقشت على هذه الصورة: صورة المحارب، وأراد بالمسالمة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل.

(٢٣) المذاكي: المسنة من الخيل. وتدأى: تختل. يقال: دأيت الصيد ودأوت له؛ أي ختلته — وروي بالذال المعجمة، يقال: ذأى الإبل: إذا طردها وساقها. والضراغم: الأسود. يقول: إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك كأنه يموج، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها.

(٢٤) الأبلج: المشرق، والذي قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقرون الحاجبين، وهو من صفات السادة. وروي: الأبلخ؛ وهو المتكبر العظيم في نفسه: بلخ — بالكسر — وتبلخ؛ أي تكبر، فهو أبلخ. وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجدًا، وهو ما عناه بالذلة، وعنى بالأبلج — أو الأبلخ — سيف الدولة، وجعله لا تاج له لأنه عربي، وتيجان العرب عمائمها.

(٢٥) البراجم: مفاصل الأصابع، واحدتها برجمة. يقول: إن الملوك حين يلقونه يقبلون بساطه، ولا يبلغون أن يقبلوا كمه أو يده؛ لأنه أعظم شأنًا من ذلك.

(٢٦) قيامًا: مصدر لم يذكر فعله، كأنه قال: قاموا — أي الملوك — قيامًا، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالًا وهيبة. وكني بالكي عن ضربه وطعنه ولذعة حربه، وبالداء عن غوائل الأعداء وطغيانهم؛ يعني أنه يرد بالطعن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكي. والقرم: السيد. والمواسم: جمع ميسم، وهو ما يوسم به — المكواة — ويقال أيضًا: المياسم — على لفظ الميسم — كنى بجعل مواسمه بين آذان السادات — أي في أقفائهم — عن قهرهم وإذلالهم.

(٢٧) القبائع: جمع قبيعة؛ وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد، يريد: قبائع سيوف الملوك. والجفون: جمع جفن؛ الغمد. يقول: قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبةً له وتعظيمًا، ثم قال: وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف — وهي ما في الجفون.

(٢٨) يقول: إن له عسكرين؛ خيله والطير التي اعتادت أن تصحبه لكثرة وقائعه حتى تأكل من لحوم القتلى، فكأنها من عديد جيشه، فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبقَ إلا عظام الجماجم؛ لأن عسكر الخيل يقتلهم، وعسكر الطير يأكل لحومهم. والضمير في «بها» للخيل والطير، فلما جعلهما جماعة كنى عنهما بلفظ الجمع، ولم يكنِّ بالتثنية للعسكرين، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت، قال: لا أدري كيف خص الجماجم بالبقاء دون سائر العظام؟ ولا أعرف للخيل في هذا معنى، بل للطير؛ لأنها — أي الطير — لا تأكل عظام الموتى، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكت العدو فتأكلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش … ومن ثم قال بعض الشراح: يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون، فكانوا يأخذون رءوس القتلى يجعلونها في أعناق الأسرى؛ فلهذا لم تبقَ إلا الجماجم … وبعد: فما أبدع قول النابغة في هذا المعنى:

إذا غَزَوْا بِالجيْشِ حلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصائِبُ طَيرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
يُصَاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مُغَارَهُمْ مِنَ الضارِيَاتِ بالدماء الدوارب
تَراهُنَّ خلْفَ الْقوْمِ خُزْرًا عُيُونها جُلُوسَ الشيوخِ في ثِيابِ المرانبِ
جَوَانِحَ قَدْ أيقنَّ أن قَبِيلَه إذا ما التقى الجمعانِ أَوَّلُ غالِبِ
لهنَّ عليهم عادة قد عرفنها إذا عُرِّضَ الخَطِّيُّ فوق الْكَوَاثِبِ

(من الضاريات … إلخ: أي إن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى، وخزرًا عيونها: أي ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر؛ أي تقبض جفونها لتحدد النظر. وقوله: جلوس الشيوخ … إلخ، فالمرانب: جمع مرنباني؛ وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب. يقول: إن هذه الطير تقع على أعالي الأرض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها تترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحددون النظر إلى شيء بعيد. وجوانح: أي مائلات للوقوع. والخطي: القنا. والكواتب: جمع كاتبة؛ وهي من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرضًا.)

(٢٩) الأجلة: جمع جل؛ ما يجعل على ظهر الدابة. والملاغم: ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه، جمع ملغم. قال بعض اللغويين: الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق؛ وذلك أنها تلغم بالطيب، وفي الإبل بالزبد، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغم. والملغم يشبه أن يكون مفعلًا من لغام البعير — وهو زبده — سمي بذلك لأنه موضع اللغام. وقيل لأعرابي: متى السير؟ فقال: تلغموا بيوم السبت؛ أي اذكروه يوم السبت، واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت. يقول: إنه يسلب ثياب كل طاغٍ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم. قال العكبري: وهذا مبالغة، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإمعان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم.

(٣٠) التاء — في «تغيره وتزاحمه» — إما للخطاب، وإما للخيل، وتغيره؛ أي تغير فيه، فحذف الجار ونصب الضمير — على حد قولهم: أقمت ثلاثًا ما أذوقهن طعامًا؛ أي ما أذوق فيهن — وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم، ولذلك كانوا يقولون عند الغارة: واصبحاه. يقول: لكثرة غاراتك وقت الصبح، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه؛ وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل. وقيل في معنى البيت: مما تغيره؛ أي تحمله على الغيرة، إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك. وقال بعضهم: تزاحم الليل بغبار خيلك، فكأنه ليل آخر.

(٣١) القنا: الرماح. وتدق تكسر. وصدر الرمح: أعلاه. قال الواحدي: أي ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها، وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والمجان، فذلك ملاطمة بينهما. ويجوز أن يريد المتنبي رماح جيشه وسيوفه، على أن ترفع صدوره؛ يقول: ملت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك، وملت سيوفك من الشيء الذي تلاطمه لكثرة وقعها عليه. هذا، وقد عاب ابن وكيع قوله: تلاطمه، قال: الملاطمة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق: «تلطم» لكان أحسن في الصناعة. ثم قال: وأحسن من هذا قول القائل:

حَرَامٌ على أرماحنا طعنُ مُدبر ... وتندَقُّ منها في الصدور صُدورُها

وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفنيد لأبي الطيب حتى ليبالغ في ذلك.

(٣٢) أي هناك سحاب من العقبان ... إلخ، والعقبان: جمع عقاب؛ طائر من الجوارح قوي المخالب له منقار أعقف. واستسقت: طلبت السقيا، والضمير: للسحاب الأول، وضمير صوارمه: للسحاب الثاني، والتأنيث في الأول: على معنى الجماعة، والتذكير في الثاني: على اللفظ. جعل العقبان التي فوق جيشه سحابًا، وجعل جيشه كذلك سحابًا لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال، وجعل الأسفل يسقي الأعلى إغرابًا في الصنعة، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويزحف تحتها سحاب — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء، فتشرب العقبان دماء القتلى، وهذا المعنى — أي صحبة الطير للجيش — كثير في كلامهم، قال الأفوه الأودي:

وتَرى الطير على آثارِنا رأْيَ عينٍ ثقةً أَنْ ستُمَارُ

«أي تعطي الميرة بما تجد من لحوم القتلى.» وقال النابغة:

إذا ما غزوْا بالجيشِ حلَّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدِي بعصائبِ

«وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفًا.» وقال أبو نواس:

تَتأيَّا الطيرُ غُدوتَه ثِقةً بالشِّبْع من جَزَرِه

(تأيا الشيء: تعمد آيته: أي شخصه، وقصده. وغدوته: غدوه. والجزر: قطع اللحم.) وبيت المتنبي من قول أبي تمام:

وقد ظُلِّلَتْ عِقبان أعلامِهِ ضُحًى بعِقبانِ طيرٍ في الدِّماء نواهِلِ
أقامتْ مع الرَّايَاتِ حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتلِ

هذا وقد أخبرنا العكبري أن قومًا ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تعنتوا على المتنبي بأمرين؛ أولهما: أن السحاب لا يسقي ما فوقه، والآخر: أن الطير لا تستسقي وإنما تستطعم، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به، فإنه لم يجعل الجيش سحابًا في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه لما فوقه، وإنما أقامه مقام السحاب؛ لأنه طبق

الأرض لكثرته وتزاحمه، وغطاها كما يغطي السحاب السماء، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، ولما جعله سحابًا جعله يُستسقى فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتلى ما تصيبه وهي في الجو، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتلى فالسحاب الساقي عالٍ عليها، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيمًا لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة:

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطْت بنعمة فَحُق لشأسٍ من نَداك ذَنوب

(خبطه بخير: أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل، يخاطب ورق الشجر بعصاه ليتناثر فيعلف به إبله. والذنوب: الحظ والنصيب، وهي في الأصل الدلو المملوءة ماء. والبيت من كلمة لعلقمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة فقتله وقتل خلقًا كثيرًا، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة، فأطلق له أخاه وأسرى تميم، ومنحه مالًا جزيلًا. ومطلع القصيدة:

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصر حان مَشيب)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأسًا فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه؛ وأصل الذنوب: الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء. وقد قال رؤبة:

يا أيها المائحُ دَلوي دونكا إني رأيت الناس يَحمدونكا

(الميح في الاستقاء: أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده يميح فيها بيده، ويميح أصحابه، والجمع ماحة؛ فالمائح: هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر، والماتح: المستقي من أعلى البئر، تقول العرب: هو أبصر من المائح بِاسْتِ الماتح، تعني أن الماتح فوق المائح؛ فالمائح يرى الماتح ويرى اسْتَه.)

وهما لم يستسقيا ماء في الحقيقة، إنما أحدهما استطلق أسيرًا والآخر طلب عطاء كثيرًا.

(٣٣) صروف الدهر: نوبه وحوادثه. وعلى ظهر عزم: حال من فاعل لقيته. والمؤيد: القوي، قال تعالى: ﴿ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾؛ أي ذا القوة. يقول: خضت حوادث الدهر حتى

لقيت سيف الدولة؛ يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى بلغ سيف الدولة. وجعل عزمه مركوبه؛ لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب، ولما جعله مركوبًا استعار له ظهرًا وقوائم وجعلها مؤيدات؛ أي قويات.

(٣٤) القوادم: صدور ريش الجناح من الطائر. والمهالك: المفاوز، ونصب «مهالك» كأنه أبدلها من «الصروف» وليس نصبها على البدل؛ لأنها لا تكون من صروف الدهر في شيء. ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام، كأنه قال: قطعت مهالك لو سلكها الذئب لما صحبته روحه؛ لأنه يموت فيها جوعًا، ولو سلكها الغراب لم تصحبه قوادمه ولم يقدر على الطيران؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع البعيدة من الناس، ولهذا يقال لهما: «الأصرمان»؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهالك فغيرهما أعجز عن قطعهما. وعبارة بعض الشراح: أراد بالمهالك — أي المفاوز — مسافات الخطوب التي قطعها، وهي بدل من صروف الدهر. يقول: الصروف التي قطعتها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعًا، ولو لسكها الغراب لم يستطع قطعها لطولها، وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع، والغراب من أسرع الطير.

(٣٥) عبر البحر: شطه. يقول: فأبصرت من سيف الدولة بدرًا في الصباحة والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها، وخاطبت منه بحرًا في العلم والسخاء لا يرى السابح فيه ساحله لبعده.

(٣٦) هذى يهذي هذيًا وهذيانًا: تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره. والطماطم: جمع طمطم، يقال: رجل طمطم: إذا كان في لسانه عجمة لا يفصح، قال عنترة:

تأوِي له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَتْ   حِزَق يَمَانِيَةٌ لأعجمَ طِمطِمِ

(من معلقة عنترة. يقول: تأوي إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوي الإبل اليمانية إلى راعٍ أعجم عَيِيٍّ لا يفصح ... شبه الظليم في سواده بهذا الراعي الحبشي وقلص النعام — أي صغارها — بإبل يمانية؛ لأن السواد في إبل اليمن أكثر، وشبه أويها إليه بأوي الإبل إلى راعيها، ووصفه بالعي والعجمة؛ لأن الظليم لا نطق له. قال الفراء: سمعت المفضل يقول: سألت رجلًا من أعلم الناس عن هذا البيت فقال: يكون باليمن من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان في السماء، وربما نشأت سحابة في وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه في جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب، فالحزق اليمانية: تلك السحائب، والأعجم الطمطم: صوت الرعد.)

وكذلك يقال: رجل طمطمي وطماطم وطمطماني؛ وفي لسانه طمطمانية، وفي صفة قريش: ليس فيهم طمطمانية حمير. يقول: لما رأيت صفات الممدوح لا واصف لها مع كثرة طماطم الشعر — يعني الشعراء الذين مدحوه قبلي — غضبت لأجله، لقصور هؤلاء الشعراء عن بلوغ وصفه.

(٣٧) يممت: قصدت. والسرى: سير الليل. يقول كنت إذا قصدت أرضًا بعيدة سريت بالليل مشتملًا بالظلام كأني سر والليل يكتم ذلك السر. وهذا من قول البحتري:

وطـيِّكَ سـرًّا لـو تَـكـلـفَ طـيَّـهُ دُجَى الليل عنا لم تسَعه ضمائرُه

وقد نقله البحتري من قول قعنب بن ضمرة الغطفاني، أحد شعراء الدولة الأموية:

سَرَينا به والليلُ داجٍ ظلامه فكان لنا قلبًا وكنا له سِرًّا

وقال الصاحب بن عباد — وقد نقله من المتنبي:

تجشمته والليل وحْفٌ جناحه كأنِّيَ سر والظلام ضمير

(وحف من قولهم: شعر وحف ونبات وحف؛ وهو ما غزر واسود.)

(٣٨) قال الواحدي: يقول: هو سيف سله المجد، يعني أن الشرف ومعالي الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء، فلا يغمده المجد ولا يثلمه الضرب؛ لأنه ليس سيفًا من حديد يتثلم بالضرب. ونقل العكبري هذا الكلام وقال: إن «معلمًا» حال من «المجد»: أي أعلم به الناس وأظهره. وقال آخرون: معلَمًا — بفتح اللام — وهو الذي يميز نفسه بعلامة في الحرب، قالوا: يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللئام، ولما جعل المجد مقاتلًا جعله معلمًا، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين.

(٣٩) الملك: روي بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة. وروي بالضم فيكون المراد المملكة. والعاتق: موضع الرداء من المنكب. والأغر: الأبيض الكريم — ضد اللئيم — ونجاد السيف: حمالته، وقائمه: مقبضه. يقول: هو سيف يتقلده الخليفة — على إحدى الروايتين — ويضرب الله به أعداءه، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله. وعلى الرواية الثانية: هو سيف على عاتق المملكة نجاده يتزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه،

ومن تأييد الله بالحد الذي يمضيه فيه في أعلى مواقعه، وإذا كان ذلك اكتنفه نصره وساعدته أقداره؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه. وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

لقد خابَ مَن أهدَى سوَيداء قلبه   لِحد سِنان في يَدِ الله عامِله

وقد كرره المتنبي في سيف الدولة بقوله:

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ   وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ

(٤٠) يقول: إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده؛ لأنه يسبيهم فيسترقهم ويملك رقابهم، ويدخرون الأموال وهي غنائم له؛ لأنه يحتويها بالإغارة عليها. هذا، وعبيد جمع عبد — مثل كلب وكليب — وهو جمع عزيز، وقد جاء في جمع عبد: أعبد وعباد، وعُبُد، مثل سَقف وسُقف، وأنشد الأخفش:

انْسِبِ العبدَ إلى آبَائِهِ   أسوَدَ الجلدةِ من قوم عُبُدْ

وفي الجمع أيضًا: عِبدان — بالكسر — مثل جِحشان، وعبدان مثل نمر ونمران، وعِبدَّان مشددة الدال — والعبدا والعبداء والمعبوداء والمعبدة: أسماء الجمع، وروي بدل عبيده: عتيده — بالتاء المثناة فوقها — والعتيد: الشيء الحاضر المهيأ. والعتاد: العدة والأهبة والآلة، يقال: أخذت للشيء عتاده. أي آلته.

(٤١) يقول: هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن، لما يفعله من إسعاد قوم وإشقاء آخرين، والدهر دونه؛ لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه؛ لأنه ينفذ مراده في أعدائه.

(٤٢) علي: اسم سيف الدولة. والهام: الرءوس، ولزبات الزمان: شدائده، جمع لزبة، وجمعها بسكون الزاي. قال الجوهري: أصابتهم لزبة: أي شدة وقحط، والجمع لزبات — بالتسكين — لأنه صفة. يقول: إن الذي سماه عليًّا قد أنصفه؛ إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو. والذي سماه سيفًا قد ظلمه. لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام، أما الممدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه؟ وعبارة بعض الشراح: يقول عادة السيف أن يقطع الرءوس ولا يزيد، ولكن هذا

الممدوح يقطع رءوس الأبطال بحده: أي عزمه، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه.

(٤٣) الإزماع: العزم على الأمر. والهمام: الملك العظيم. والرُّبا: جمع ربوة. يقول: أين أزمعت أن تسير أيها الملك، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك، وإذا فارقتنا لم نعش، كنبت الرُّبا لا بقاء له إلا بالغمام. إذ لا شرب له إلا من مائه، أما نبت غير الرُّبا فيمكن أن يشرب من الماء الجاري. وهذا من قول الآخر:

نحنُ زهر الرُّبَا وجودُك غيثٌ   هَلْ بغير الغُيوث يُونِقُ زهرُ؟

وعبارة العكبري: أين أزمعت أيها الملك عنا، ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا، وهو من آنق النبات. ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعًا من الغمام، وأشده افتقارًا إليه؛ لأنه لا يقيم فيه، ويسرع الانسكاب عنه. ولهذا شبه أبو الطيب حاله به ... وقد عاب ابن وكيع هذا البيت، قال: أول هذه القصيدة سوء أدب لسؤاله ملكًا جليلًا بـ «أين أزمعت؟» قال: والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فنن:

لعمرك إنني وأبا عليٍّ   كنبت الأرض تُصلحه السماء

(٤٤) يقول: نحن الذي ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فحرمتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك. يريد أن الزمان يحبه ويعشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء. قال محمد بن وهب:

وحارَبني فيه رَيْبُ الزمان   كأن الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك: قال ابن جني: اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾؛ أي ردفكم، وقوله جل شأنه: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ وقول الشاعر:

أريد لأنسَى ذِكرها فكأنما   تمثَّلُ لي ليلى بكل سبيل

(لكثير عزة، وقيل: لقيس بن الملوح، وقيل: لجميل، وتَمَثَّل — بحذف إحدى التاءين — أي تتمثل وتتخيل، وتراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في «أمالي» القالي.)

وقال ابن فورجه: يريد: نحن من ضايقه الزمان، فحذف الراجع إلى الموصول، والهاء في قوله «له» راجعة إلى الزمان. يقول: نحن الذين ضايقهم الزمان لنفسه ولأجله فيك؛ أي لتكون له دونهم، كما تقول: هم الذين رضيهم عمرو له؛ أي لنفسه، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جدًّا، ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «خان»، يقال: خان الزمان زيدًا ملكه، يتعدى إلى مفعولين، ولا يجوز نصبه على الظرف؛ لأنه يصير ذمًّا للممدوح، وإقرارًا بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه.

(٤٥) الإجذام: الإسراع في السير، قال طرفة بن العبد:

أحلْتُ عليها بالقطيعِ فَأَجذمَتْ وقد خبَّ آلُ الأَمْعَزِ المتوقِّد

(من معلقة طرفة، والإحالة: الإقبال هنا. والقطيع: السوط. والإجذام: الإسراع في السير. والآل: ما يرى شبه السراب طرفي النهار، والسراب: ما كان نصف النهار. والأمعز: مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى. يقول طرفة: أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت في السير في حال خبب آل الأماكن التي اختلط تربتها بالحجارة والحصى.)

وهو أيضًا الإقلاع عن الشيء، قال الربيع بن زياد العبسي.

وحَرَّقَ قيْسٌ عليَّ البلاد حتى إذا اضطرمَتْ أجذما

(قيس هو قيس بن زهير العبسي، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد العجم بعد إثارة الفتن في حرب داحس، والبيت من أبيات في الحماسة انظرها في «حماسة أبي تمام».)

يقول: إن أفعالك كلها مقصورة على العلا؛ قاتلت أو سالمت، أقمت أو سرت، فقصدك في جميع ذلك طلب العلا.

(٤٦) قال الواحدي: أي ليتنا معك نتحمل عنك المشقة في مسيرك ونزولك في سفرك، هذا معنى البيت، ولكنه أساء حتى تمنى أن يكون بهيمة أو جمادًا، ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه فلا يحسن أن تقول: ليتني امرأتك فأخدمك! قال ابن جني: طعن عليه قوم تعصبوا عليه فقالوا: الخيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها، فأجاب عن ذلك نظمًا فقال:

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ

«وقد تقدمت هذه الأبيات.» قال ابن جني: وتلخيص المعنى: ليتنا نقيك الأذى ونتحمل عنك الردى.

(٤٧) الاحتمال: التحمل للمسير، ويروى: ارتحال، والمُقام: مصدر ميمي بمعنى الإقامة. يقول: يحدث لك كل يوم سفر جديد، وذلك آية بعد الهمة، كما قال تأبط شرًّا:

كثيرُ الهوَى شَتَّى النوى والمسالكِ

(صدره:

قليلُ التشكي للمهمِّ يُصيبُه

وقليل — ها هنا — بمعنى النفي.)

وفي كل يوم لك سير يقيم المجد عندك في ذلك السير؛ لأن ذلك السير لطلب المجد، أو لأن المجد مقيم معك حيثما كنت، كما قال أبو تمام:

كلما زرتَه وجَدْتَ لديه نَشبًا ظاعِنًا ومجدًّا مُقيما

وكما قال الأزدي — إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي:

المجدُ صاحبُك الذي حالفتَه أبدًا فرَوضتهُ المريعةُ مرتعُكْ
فإذا رَحَلْتَ سرَيْتَ تحت ظلالهِ وإذا رَبَعْتَ ففي ذُرَاهُ مربعُكْ

«المريعة: المخصبة. وربعت: أقمت. وذراه: أعاليه، ولك أن تقرأ ذراه: بفتح الذال؛ أي كنفه.»

(٤٨) يقول: إذا عظمت الهمة وكبرت النفس تعب الجسم في تحصيل مرادها؛ وذلك أن الهمة تُعَنِّي الجسمَ في طلب معالي الأمور، ولا ترضى بالمنزلة الدون، ولا تستريح أو تحصلَ على الرتب العالية، كما قال العتابي:

وإن علـيَّـاتِ الأمـور مَـشـوبـةٌ   بمستودعاتٍ في بُطون الأساوِدِ

(الأساود: الحيات.)

قال العكبري: وبيت المتنبي من كلام أرسطو: إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة. قال ابن وكيع: لم يأخذ من الحكيم، وإنما أخذ من أهل صناعته، فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

فـقـالـوا: أَلَا تـلـهـو لـتُـدْرك لـذة؟   فقلت: وكيف اللهوُ والهمُّ حاجزُ؟
ونفسي تُعاني أن تقيم مُرُوءتي   على غايتي في المجدِ والجهدُ عاجزُ

ومن قول أبي زرعة:

أهلُ مجدٍ لا يحفِلون إذا نا   لوا جسيما أن تُنهكَ الأجسامُ

ومن قول الحصني:

نفسي مُوَكَّلةٌ بالمجد تطلُبُه   ومطلبُ المجد مقرونٌ به التلفُ

ومن قول ابن جابر:

إذا ما علا المَرْءُ رَامَ العُلا   وَيَقْنَعُ بالدُّون مَنْ كان دُونَا

ومن قول أبي تمام:

فعلِمْنَا أنْ ليسَ إلَّا بشِقِّ النَّفـْ   ـسِ صَارَ الكَرِيمُ يُدْعى كَرِيمَا
طَلَبُ المجدِ يورِثُ النَّفْسَ خَبْلًا   وهُمُومًا تُقَضْقِضُ الحيزُومَا

(الخبل: الفساد في الأصل، والمراد: الهم. والحيزوم: الصدر. وتقضقض: تكسر وتحطم.)

ولقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال:

فيا من يكُدُّ النَّفْسَ في طلبِ العُلا　　إذَا كَبُرَتْ نفْسُ الفتى طال شُغْلُهُ

(٤٩) يقول: كذا ديدن البدر؛ يغرب تارة ويطلع تارة، وكذا البحر يموج ويضطرب ويتحرك، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير؛ يعني أنك بدر وبحر، فعادتك عادتهما.

(٥٠) النوى: البعد. وسامه الأمر: جشمه إياه. يقول: لو كلفنا غير فراقك لصبرنا صبرًا جميلًا كما هي عادتنا في الصبر على المحن، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة لنا باحتمال نواك، كما قال أبو تمام:

والصبْرُ يحسُن في المواطِنِ كلِّها　　إلَّا عَـلَـيْـكَ فَـإِنَّـهُ مَـذْمُـومُ

(٥١) يقول: كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام — الموت — سواء، وكل شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس. يريد تنغص عيشه بعده، وإظلام أيامه بفراقه. هذا، وقوله: ما لم تسكنها، على حد بيت أبي الأسود:

دَعِ الخمرَ يشربْهَا الغواةُ فإنني　　رأيْتُ أخاها مُغنِيًا بمَكانها
فـإلَّا يَكُنْها أو تكُنْهُ فـإنـه　　أخـوهـا غَـذَتـه أُمـه بِلِبـانـهـا

(يقال: هو أخوه بلبان أمه — بكسر اللام — ولا يقال: بلبن أمه؛ إنما اللبن الذي يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم. يصف أبو الأسود الزبيب، وأطلقه على مذهب العراقيين في الأنبذة، وحض على شربه وترك الخمر بعينها، للإجماع على تحريمها، وجعل الزبيب أخًا للخمر لأن أصلها الكرمة، واستعار اللبان لما ذكره من الإخوة.)

والأجود: تكن إياها.

(٥٢) الخميس: الجيش. واللهام: الكثير الذي يلتهم كل شيء فيهلكه ويذهب به. يقول: أقم عندنا لتنفي الوحشة عنا يا من يأنس بوجوده الجيش العظيم؛ لقوة الجيوش بمكانه، فهم وإن كثروا يأنسون بك، ويتشجعون على لقاء الأهوال ثقة بشجاعتك.

(٥٣) الذي: عطف على «من» — في البيت السابق — والوغى: الحرب. والذمام: العهد. يقول: هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش، كأن القتال عاهده على أن لا يقتل. فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام، وهذا من قول أبي تمام:

مُتسرِّعين إلى الحتوفِ كأنما بين الحُتوفِ وبينهم أرحامُ

(٥٤) الكتيبة: الفرقة من الجيش. والفهاق: جمع فهقة؛ وهي العظم الذي يكون على اللهاة، وهو مركب الرأس في العنق. والأقدام: جمع قدم. يقول: والذي يضرب الجيوش بسيفه، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام.

(٥٥) يقول: وإذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان في ذمته، فلا تلم به الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جدب وقحط، وبعبارة أخرى: إن سيف الدولة إذا نزل ببلد أجاره على الدهر، وكف عن صروفه وأذاه وأمن المكروه ببركته.

(٥٦) والذي: مبتدأ. وسرور: خبره، والجملة: عطف على الشطر الثاني من البيت السابق. يقول: والذي تنبته بلاد ذلك المكان الذي تحل به سرور، والذي تمطره سماؤها مدام — خمر — أي يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحل به، ولعله ينظر إلى قول البحتري:

ويومٍ بالمطيرة أمطرَتنا سماءٌ صوبُ وابِلها العُقارُ

(المطيرة: قرية من نواحي سامراء، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء. قال البلاذري: إنها محدثة بنيت في خلافة المأمون. والعقار: الخمر.)

(٥٧) يقول: كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبدع كرمًا لم يهتدِ إليه من قبله من الكرام. وهو من قول البحتري:

طلوبٌ لأقصى غايةٍ بعد غايةٍ إذا قيلَ يومًا: قد تناهى، تزيَّدَا

(٥٨) تكع: تجبن وتضعف وتعجز، يقال: كع الرجل يكع — بكسر الكاف — فهو كع وكاع؛ أي لا يمضي في عزم ولا حزم، وهو الناكص على عقبيه. وفي الأثر: ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب، فلما مات اجترءوا عليه ... الكاعة: جمع كاع، وهو الجبان. أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي ﷺ في حياة أبي طالب، فلما مات اجترءوا عليه. والارتياح: الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف. يقول: وأرانا قتالًا يجبن عنه الأعداء ويعجزون، واهتزازًا للجود يحار فيه الخلق.

(٥٩) يقول: إن هيبته في القلوب تقوم مقام السيف، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف؛ لأنه مهيب تهابه الأعداء، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف، قال ابن وكيع: وهذا من قول أبي دلف:

ويصولُ الإمامُ في حيثما صا   لَ وفي صولةِ الإمام الحِمامُ

(٦٠) يقول: إن توقاه الشجاع وحفظ نفسه منه في الحرب فذلك منه كثير، والبليغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته؛ لأن هيبته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه.

(٦١) الارتياح: الانبساط والاهتزاز للعطاء، يقول: أنا منك بين فضائل ذاتية وهي أوصاف ذاتك، ومكارم فعلية هي صفات فعلك، ومن اهتزازك للعطاء في غمام لا يقلع مطره.

(٦٢) تحبو به: تسخو به. و«ما» في قوله: «فيما ألاحظه»: نكرة، وليست موصولة، كأنه قال في شيء ألاحظه، والظرف معطوف على الخبر — في البيت السابق — يقول: إنني أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعاينه في اليقظة وإنما أراه حلمًا، وبعبارة أخرى: لاحتقارك ما تعطيه — على كثرته — أرى نفسي في حال كأني أبصرها في النوم؛ لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة.

(٦٣) الهاء في «سيفها»: للدولة، وأضمر للعلم. وبلاك: اختبرك. والصارم: القاطع. يقول: لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك، فكنت صارمًا حقيقة لا ينبو حدُّك، ولا يطمع فيك عدوُّك، ولا يفل عزمك.

(٦٤) تتوج: لبس التاج، وكذلك تختم: أي لبس الخاتم. والخاتم: بكسر التاء وفتحها. يقول: إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر، والخاتم بالفص. يعني أنك أرفع ما يترفع به الخليفة.

(٦٥) انتضاك: استلك. وقائم السيف: مقبضه. يقول: إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو، وعجز هو عن حملك، وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقته؛ يعني أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضح عن الخلافة، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء.

(٦٦) المشمر: المجتهد. يقول: من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرته يعجز الواصف عن استيعابه، كما قال:

وكلٌّ من أبدع في وصفهِ أصبح منسوبًا إلى العِيِّ

ومن كتم وصف جودك ضاق ذرعه؛ لأنه يريد أن يصف جودك ويعلم عجزه، فيضيق صدره لذلك.

(٦٧) النسيب: التشبب بالنساء، وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل، ولعله من تشبيب النار وتأريثها. والمتيم: الذي استعبده الهوى. يقول: اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب في أشعارهم كلما مدحوا، فأنكر هذه العادة وقال: أكل فصيح يقول الشعر متيم بالحب حتى يبدأ بالنسيب؟ يعني ليس الأمر على هذا، فلا تجارهم في هذه العادة.

(٦٨) يقول: إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره، فإنه إذا جرى الذكر الجميل يكون به بدؤه وختامه، يعني لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجميل، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحب من النساء اللائي ينسب بهن الشعراء.

(٦٩) الغواني: جمع غانية؛ وهي التي غنيت بحسنها عن الزينة. وطمح بصره إليه: ارتفع نظره شديدًا. وقوله: ويعظم؛ أي ويعظم عنهن، فحذف للعلم. يقول: كنت أرغب في النساء قبل الْتقائي بسيف الدولة، وتطمح عيني إلى منظره الذي حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن؛ لأن هذا ملك وسلطان، وهن لهو وغزل. وعبارة العكبري: أطعت الغواني في التشبيب بهن قبل أن يطمح بصري إلى مملكة هذا الممدوح الذي يقل حسنهن عندها، ويصغر شأنهن عند شأنها. وقال ابن جني: المعنى: كنت متيمًا بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية، فلما قصدتها تركتهن. وقوله: إلى منظر: يعني معالي الأمور العالية، وروايته على هذا التفسير. وأعظم: أي أنا أعظم عنه، جعل نفسه تعظم عن المعالي.

(٧٠) تعرض الدهر وتعرض له: أتاه عن عرض — جانب. التطبيق: أن يصيب المفصل في الضرب. والتصميم: أن يمضي السيف في الضريبة. يقول: أتى الدهر عن عرض فذلله بالتطبيق والتصميم، وإنما وصفه بهما لأنه جعله سيفًا. ويقال: سيف مطبق وهو الذي إذا أصاب المفصل قطعه، وسيف مصمم: إذا كان ماضيًا في الضريبة، وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر، فلا يعسر عليه ما أراد، كما قال في البيت التالي.

(٧١) يقول: فحكمه جائز حتى على الشمس، وحسنه ظاهر حتى على البدر؛ أي أنه أحسن منه، فالميسم الحسن. (قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

ظعائنَ من بني جُشَمِ بن بكر خلطن بِمِيسَمِ حَسَبًا ودِينا)

وهذا ما ذهب إليه ابن جني، وقال العروضي: إن جاز أخذ الميسم من الوسامة، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقًا للمصراع الأول. يقول: كل شيء موسوم بان أنه له وتحت قهره وأمره، حتى البدر، وأشار بالميسم على البدر إلى ما في وجهه من السواد الذي هو أثر المحو.

(٧٢) يقول: إن أعداءه من الملوك كأنهم خلفاؤه حيثما كانوا من الأرض، استخلفهم على حفظ ممالكهم، فإن شاء تركهم عليها وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا ممالكهم إليه، والمعنى: أن أعاديه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء. هذا، والخلفاء: جمع خليفة، والهاء في «خليفة» للمبالغة، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير لا على اللفظ، مثل ظريف وظرفاء، ويجمع على اللفظ خلائف كظريفة وظرائف.

(٧٣) المشرفية: السيوف. والخميس: الجيش. والعرمرم: الكثير. يقول: إنه لا يرسل إلى مخالفيه رسلًا غير الجيوش. ولا كتب له إلا السيوف: يعني أنه لاقتداره لا يعمد في إخضاعهم إلى الملاينة، ولكن إلى القتال؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه، ولعل في هذا نظرًا إلى قول أبي تمام:

السيف أصدقُ أنباءً من الكُتب في حدهِ الحدُّ بين الجد واللعبِ

(٧٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه. يقول: كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم تحت طاعته؛ ولأن نصره نصر دين الله، وكل من له فم ينطق بشكره؛ لما شملهم من إنعامه.

(٧٥) يقول: إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم. هذا، والمنبر: مرقاة الخاطب؛ سمي كذلك لارتفاعه وعلوه — من نبرت الشيء أنبره نبرًا: رفعته، وكل مرتفع: منتبر. والدينار: فارسي معرب، وأصله دنار — بالتشديد — بدليل قولهم: دنانير ودنينير؛ فقلبت إحدى النونين ياء، لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة — القصير — لأنه أمن الآن من الالتباس؛ ولذلك جمع على دنانير. ومثله: قيراط، وديباج وأصله: دباج. قال أبو منصور: دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية، غير أن العرب تكلمت بها قديمًا فصارت عربية.

(٧٦) يقول: إنه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والنزال؛ فيضرب قرنه مكافحة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفيهما، وإذا ستر الغبار — غبار الحرب — نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتًا، فلا يخطئ مقتل قرنه. ويجوز أن يكون معنى «وما بين الشجاعين مظلم» أنهما وقعا في أمر عظيم، وتمثل الموت لهما. ومن شأن الناس أن يقولوا: أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان: إذا كلمه بكلمة تشق عليه، وإن لم يكن ثم ظلام.

(٧٧) نجوم القذف: هي التي ترمي بها الشياطين، قال تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا﴾ ونجوم الممدوح: خيله. والورد من الخيل: ما بين الكميت والأشقر. يقول: إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء في السرعة والشدة. وجعلها نجومًا لأنها تتلألأ في الظلام ببريق الحديد؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغراق الكواكب، فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء.

(٧٨) القصد: قطع الرماح إذا انكسرت، الواحدة: قصدة. والمران: جمع مارن؛ ما لان من الرماح. يقول: إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ويعني أبطال العدو، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرها، وهذا من قول الحصين بن الحمام المري:

يَطأن من القتلى ومن قِصَدِ القَنا   خَبارًا فما يَجرِين إلا تجشما

«الخبار: الأرض الرخوة، تتعتع فيها الدواب، وفي المثل: من تجنب الخبار أمن العثار.» هذا، وقوله: «من لا حملنه» أراد ما حملنه؛ لأن «لا» لا تدخل على الماضي إلا مكررة، ولكنه أبدلها فرارًا من ثقل اللفظ.

(٧٩) السيدان: جمع سيد؛ وهو الذئب. وعُسَّل: جمع عاسل — من عسلان الذئب؛ وهو الإسراع والاضطراب في الجري. والنينان: جمع نون؛ وهو الحوت. يقول: إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر، فهي تعدو مع الذئاب في البر وتعوم مع الحيتان في البحر، حين تقصد أعاديه.

(٨٠) في الواد: يريد في الوادي، فاجتزأ عن الياء بالكسرة. وكُمَّن: جمع كامن — من كمن: إذا اختفى — والعقبان: جمع عقاب؛ وهو الطائر المعروف. والنيق: أعلى موضع في الجبل. والحوَّم: جمع حائم — من حومان الطير، وهو دورانها — يقول: إن خيله تكمن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها؛ يعني إذا كمنت للعدو أو هبطت في الأودية

فكمنت فلم تظهر، وتقتحم على الأعداء رءوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها. والحاصل أن الممدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر؛ فلا يبعد عنه مطلب، ولا يمتنع عليه موضع: وذلك لقوة عزائمه ونفاذه في مقاصده.

(٨١) الوشيج: شجر الرماح. واللبات: جمع لبة؛ أعلى الصدر. يقول: إذا جلب الناس الوشيج من منابته؛ ليجمعوه استعدادًا لما يطرأ، يتكسر تارة بخيله — أي بأيدي فرسانها في الطعن — ويتكسر تارة في صدورها، إذا طعنه الأعداء. يريد وصف وقائع الممدوح بالشدة والاستبسال.

(٨٢) بغرته: متعلق بمعلم — آخر البيت — والمراد بغرته: وجهه. والحجا: العقل. واللها: العطايا، جمع لهية: والمعلَم: الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها. يقول: هو معلم بوجهه في هذه الأشياء؛ أي أنه معروف يعرف بوجهه، فكأنه معلم به عند الحرب إذا حارب، وعند السلم وعند العقل والسخاء. قال الواحدي: وهذا على رواية معلم — بفتح اللام — ومن روى بكسر اللام قال: إنه لشدته وشهرته، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه؛ يعني أن وجهه كعلامة له لشهرته، والجيد رواية من روى للحرب معلم. يقول: بوجهه علامة لهذه الأشياء؛ أي إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء موصوف بها، يحارب إذا رأى الحزم في الحرب، ويسالم إذا رأى السلم خيرًا من الحرب، ويعرف في وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد.

(٨٣) يقول: إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله، كما قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء. ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة.

(٨٤) عاد وجرهم: قبيلتان من العرب القديمة البائدة. يقول: أجار الناس من الأيام وحفظهم منها، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرهم — على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم في الزمان الأول — في أن يستنقذهم من يد العدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام.

(٨٥) يدعو على الريح بالضلال؛ لأنها آذتهم في طريقهم، كما قال:

بكَرْن ضرًّا وبَكرت تنفعُ

ودعا للسيل بالهداية؛ لأنه حكى الممدوح بالجود، وقال ابن فورجه: أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه. وقوله: ماذا يؤمم؛ أي ماذا يقصد؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك؟ وقد بين هذا المعنى في البيت التالي.

(٨٦) الوبل: المطر الغزير. وثنينا: أي صرفنا. ويخبره — بالنصب — لأنه جواب الاستفهام. يقول: هلا سأل المطر الذي قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيوف التي ثلمتها وقائعك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضًا على صرفك.

(٨٧) بصوبه: أي بما ينسكب منه، ويقال: فلان أعلى كعبًا من فلان؛ أي أرفع منه قدرًا، وأصله في المتصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب. يقول: لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفًا وأوسع كرمًا.

(٨٨) باشره: تولاه بنفسه. والقنا: الرماح. يقول: إن هذا المطر باشر منك وجهًا طالما باشر الرماح فلم تنل منه، وبل ثيابًا طالما بلتها دماء القتلى فلم يثنه بللها، فكيف يهاب وقع المطر من لا يهاب وقع الرماح، ويخشى الماء من لم يخشَ الدماء؟!

(٨٩) تلاك: تبعك، ومن الشأم: متعلق بتلاك. يقول: تبعك الغيث وأنت غيث، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضًا، وأنت أستاذ حاذق في الجود، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم للشيء يتبع من حذقه.

(٩٠) جشمه الشيء: كلفه إياه فتجشمه، والذي: مفعول ثانٍ لجشمه. يقول: إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها؛ أي هو يشتاق قبرها كما تشتاقه.

(٩١) الذؤابة في الأصل: الضفيرة من شعر الرأس، والمراد بها هنا: ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها، وأراد بالفارس المرخي الذؤابة: سيف الدولة، وإرخاء الذؤابة: كناية عن كونه معتمًّا. لأن سائر الجيش بالمغافر. يقول: لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته.

(٩٢) التجافيف: جمع تجفاف، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح، وقد يلبسه الإنسان أيضًا. والطود: الجبل. والأيهم: الذي لا يهتدى فيه، يقال: بر أيهم وفلاة يهماء. جعل كثيرة التجافيف حوله بحرًا مائجًا، وجعل خيله التي تسير بهذه التجافيف طودًا عظيمًا. يعني أن حوله من بريق الأسلحة ولمعان التجافيف ما يشبه البحر بكثرته، ويحكيه ببريق جملته يشير بذلك إلى موكب من خيله. وهو تخيل بديع: جعله التجافيف بحرًا يسير به من الخيل جبل عظيم لا يهتدى فيه.

(٩٣) الأشتات: المتفرقة، جمع شت. لما جعل جيشه جبلًا قال: إنه حل بين الجبال فملأ فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها المتفرقة، ونظم بعضها إلى بعض. وعبارة ابن جني: تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل، فكأن جيشه يؤلف بينها لسعته وكثافته، كقول النابغة:

تَغِيبُ الشوَاهِقُ في جيشِه   وَتَبْدُو صِغارًا إذا لمْ تَغِبْ

وقال الواحدي: أي عم الأرض بكثرة خيله، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي الأرض. وقال ابن الإفليلي — على رواية الأقتار بدل الأقطار: الأقتار: الغبار، يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته، ويحطمها بعظمه، فيستوي الرهج في السهل والوعر، وفي الصلب والرخوة، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير كأنها في ذلك العجاج منتظمة، وبما غشيها من الجيش متصلة، كقول النابغة:

جَيشٌ يَظَلُّ بِهِ القضاءُ مُعَطَّلًا   يَدعُ الإكامَ كأنَّهُنَّ صَحارِ

(الإكام: جمع أكمة؛ وهو الرابية. وصحار: جمع صحراء.)

(٩٤) وكل فتى: عطف على قوله «بحر»؛ أي وحواليه كل فتى. والأسنة: أطراف الرماح. والإعجام: التنقيط. يقول: وحوله فتيان على وجوههم آثار الضرب والطعن يريد أنهم رجال حرب، وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله، وأثر الطعن إعجامًا لذلك السطر، لندور جراحته فهي كالنقطة، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام:

كتبتَ أوجهَهُمْ مَشْقًا ونَمنَمة   ضَربًا وطعنًا يُقاتُ الهامَ والصُّلُفَا
كتابةً لَا تنِي مَقْروءَةً أبدًا   ومَا خَطَطْتَ بِهَا لامًا ولا ألِفا

(من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف. والمشق: مد الحروف. والنمنمة: النقش، ويقات الهام: أي يجعل الهام والصلف قوتًا له. والهام: الرءوس. والصلف — بضمتين — جمع صليف؛ عرض العنق. وهما صليفان من الجانبين. ولا تني: لا تزال.)

(٩٥) المفاضة: الدرع الواسعة. والضيغم: الأسد. والتريكة: البيضة من الحديد، تشبيهًا بالتريكة؛ وهي: بيضة النعامة إذا اندلقت وخرج الفرخ فتركت، والأرقم: الحية الذكر. والضمير في يديه وعينيه للفتى. وضيغم: فاعل يمد. وأراد بمد يديه منه ضيغم

فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانًا: لقيت منه الأسد، وقوله: وعينيه؛ أي ويفتح عينيه منه أرقم. وهذا من باب:

علفتها تبنًا وماء باردًا

يقول: إن هذا الفتى في الشجاعة كالأسد، وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم، فإذا مد يديه في الدرع فقد مدهما أسد. وإذا مد عينيه من تحت الخوذة فقد مدهما أرقم.

(٩٦) الضمير في «كأجناسها»: للخيل. والشعار: العلامة في الحرب. والمسمم: الذي سقى السم. يقول: إن هذه الخيل عربية، وكل ما معها من الرايات والسلاح والملابس عربي كذلك.

(٩٧) الطرف: النظر، والضمير في «طرفه» للفارس، وإن لم يجر له ذكر؛ لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب. يقول: وأدب هذه الخيل طول تمرسها بالقتال والتقلب في شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته.

(٩٨) الوحى: الصوت الخفي. وفعلًا ولحظًا: منصوبان على نزع الخافض، والواو بعدهما: للحال. يقول: إن هذه الخيل — لأدبها — تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته، ويفهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم. وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق:

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الركَابُ مُنَاخَةٌ ... بِرِحَالِهَا لِرَوَاح أَهْلِ الْمَوْسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرِقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا ... مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَذاكَ نُخْبرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا ... مَا فِي النُّفُوس وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمِ

(٩٩) التجانف: الميل، وفي التنزيل: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أي مائل، وقال الأعشى:

تجانَفُ عن جَو اليمامَةِ ناقتِي ... وما عدَلَتْ من أَهْلِهَا لِسَوائكا

وميافارقين: بلد من أعمال ديار بكر. يقول: إن خيلك تميل عن ميافارقين رحمة لها؛ لأن فيها قبر والدته، وخشية أن تدوسها بحوافرها لو هي سارت بجانبها.

(١٠٠) يقول: لو أن هذه الخيل زحمت ميافارقين بمناكبها، أو لو زحمت ميافارقين الخيل بجدرها — وسماها مناكب؛ لأن الزحام يكون بالمناكب — يعني لو جرت بينهما

مزاحمة لدرت — علمت — ميافارقين أي السورين يكون الضعيف المهدم؟ يعني أن الخيل أقوى من هذه البلدة، فهي لو قصدتها لهدمت سورها، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة. واستعار للخيل سورًا؛ لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما في المزاحمة، ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورًا، قال ابن جني: من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرًا وسقط سور المدينة تلك الليلة، وكان جاهليًّا قديمًا. هذا، وإليك تعليقات العكبري على هذا البيت قال: الضمير في «زحمتها»: للبلدة، وكذلك في «درت»: أي درت البلدة. ورفع أي بالابتداء، وما بعده الخبر، وهو استفهام، ومفعول «درت» محذوف، تقديره: علمت ضعفها؛ لأن «أيًّا» لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾، فرفع «أي» بأحصى؛ لأنه فعل ماضٍ على قول بعضهم. والصحيح أن «أيًّا» في الآية بمعنى الذي «وأحصى» اسم، وقد حذف صدر الصلة، والتقدير: هو أحصى و«أي»: إذا كانت بمعنى الذي وتمت صلتها: أعربت، وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء، وهي منصوبة الموضع بنعلم، و«أي» في البيت: مبتدأ، والضعيف: خبره، والمهدم: خبر ثانٍ، والجملة: في موضع نصب بـ «درت»، فهي معلقة عن العمل، و«أي» في البيت: استفهام. وروى الواحدي وغيره: «سوريها» فالضمير للبلدة. ورواية أبي الفتح: «سورينا» أي سور البناء وسور الخيل.

(١٠١) على كل طاو: من صلة قوله: «وكل فتى»، والطاوي: الخميص الجوف؛ أي الضامر جوعًا. يقول: كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم، فهو أبدًا مستميت في طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل في طلبهم ليأكل لحومهم ويشرب دماءهم. ووجه آخر وهو: وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه — أي الفرس — يسقى من دمه ويطعم من لحمه؛ أي لضمره كأنه ليس له غذاء ولا شرب إلا من جسمه، فهو يزداد كل يوم ضمرًا. هذا، وقد قال ابن وكيع: إن البيت مأخوذ من قول أبي الشيص:

أكل الوجيفُ لحومَها ولحومَهم   فأتَوكَ أنقاضًا على أنْقاض

(الوجيف: ضرب من السير السريع.)

(١٠٢) الوغى: الحرب. والحصان: الذكر من الخيل. والدارع: ذو الدرع. يقول: إن لهذه الخيل في الحرب زي فوارسها؛ لأنها قد ألبست التجافيف صونًا لها، فكل فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه من الحديد.

(١٠٣) يقول: لم يتحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها، ضنًّا بنفوسهم أن تنالها أسنة الرماح؛ فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله، وذلك فعل الحازم اللبيب، ومن شهد الحرب غير مستعدٍ ولا متسلح كان ذلك خرقًا وهوجًا. روي أن كُثَيِّرًا أنشد عبد الملك بن مروان:

عَلَى ابْنِ أَبي العَاصِي دلاصٌ حَصينَة ... أَجَادَ المسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذالَهَا
يَئُودُ ضَئيلَ القَومِ حملُ قتيرها ... ويَستضلع القَرمُ الأشمُّ احتمالَها

(من قصيدة بارعة يقول فيها:

أحاطت يَداهُ بالخلافة بعدَ ما ... أرادَ رِجال آخرون اغتيالها
وإن أمير المؤمنين هو الذِي ... غزا كامِناتِ الود مني فنالها
تبلج لما جئت واهتز ضاحكًا ... وبَلَّ وسالاتي إليه بلالها

وقوله وأذالها: أي أطالها.)
فقال له عبد الملك: هلا مدحتني كما مدح الأعشى صاحبه فقال:

وإذا تكُونُ كَتِيبةٌ مَلْمُومَة ... خرساءُ يُغْشِي الرائدُون نهالها
كُنْتَ المقدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تقْتلُ مُعلَمًا أبطَالَها؟

(ملمومة: كململمة؛ مجتمعة. وخرساء: أي لا يسمع لدروعها صوت للينها. ونهالها: عطاشها؛ أي يغشى القائدون عطاشها الأعداء، وفي رواية: يخشى. وجنة بالضم: الدرع، وكل ما وقاك فهي جنة. معلمًا بكسر اللام وفتحها: من أعلم الفارس نفسه؛ أي جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه، والبيتان من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معد يكرب بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الكندي.)

فقال له كثير: إنه وصف صاحبه بالخرق، وأنا وصفتك بالحزامة. ويريد المتنبي

بالشر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة، وبالثاني ما عارضوهم بمثله، وسماه شرًّا للمقابلة، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

(١٠٤) يقول: أتظن السيوف — لأنك سميت سيفًا — أنها تشاركك في الأصل وأنك من جملتها، ساء هذا الوهم وهمًا. يعني: أنك وإن سميت سيفًا فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنًا وأعظم أصلًا رغم جلالتها ورفعتها ونفاذها وهيبتها، فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك. هذا، ويجوز في مضارع حسب: فتح السين وكسرها، وهما لغتان فصيحتان.

(١٠٥) يقول: إذا نحن سميناك سيفًا خلنا — حسبنا — سيوفنا تتكبر وتعجب بأن صرت لها سميًّا فهي تتبسم في أغمادها تيهًا — كبرًا وفخرًا — وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

تَتِيهُ الشَّمسُ وَالْقَمَرُ المنيرُ إِذَا قُلْنَا: كأنهما الأميرُ

قال العكبري: وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معاني الشعر، وقال: قد وضع الشيء في غير موضعه حيث قال: تتبسم من التيه، ولا يكون من التيه إلا العبوس، وأن يشمخ الإنسان بأنفه، وهو فعل التائه المتكبر، وإنما يكون التبسم من المرح والفرح. وليس كما قالوا، والتبسم قد يكون من المعجب بنفسه التائه على أقرانه؛ استكثارًا لما عنده واستقلالًا لما عند غيره، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب، فكأن السيوف تبسمت إعجابًا بنفسها لمشاركة الممدوح لها في التسمية، فحقرت بذلك السلاح والرماح.

(١٠٦) بدونه: أي بدون قدره واستحقاقه. يقول: لم نر ملكًا يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك ومحله فوق أن يسمى سيفًا، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم.

(١٠٧) الثنية: طريق العقبة. يقول: أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس يعيشون؛ لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل، وأنت تعطي من تشاء، وتحرم من تشاء، لأنك ملك في يدك البسط والقبض.

(١٠٨) هذا من قول أبي العتاهية:

فَمَا آفَةُ الْآجَالِ غَيْرُكَ في الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حبَائِكَا

(١٠٩) الشبِم: البارد. والشبَم: البرد. وقد شبِمَ الماء — بالكسر — فهو شبِمٌ، ومطر شبِمٌ، وغداة ذات شبم، وقيل لابنة الخس (الخس: رجل من إياد، وابنة الخس: الإيادية التي جاءت عنها الأمثال، واسمها هند، وكانت معروفة بالفصاحة): ما أطيب الأشياء؟ قالت: لحم جزور سنمة، في غداة شبمة، بشفار خذمة، في قدور هزمة؛ أرادت في غداة باردة. والشفار الخذمة: القاطعة. والقدور الهزمة: السريعة الغليان. والشبم: الذي يجد البرد مع الجوع، قال حميد بن ثور:

بِعَيْنِيْ قُطَامِيٌّ نَمَا فوقَ مِرْقَبِ غَدا شَبِمًا يَنْقَضُّ بين الهجارِسِ

(القطامي بضم القاف وفتحها: الصقر، مأخوذ من القطم، وهو المشتهي اللحم. والهجارس: الثعالب. وقيل: جميع ما تعسس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع.)

يقول: وا حر قلبي واحتراقه حبًّا وهيامًا بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل عليَّ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعاني وأقاسي فيه، سقيم الحال لفساد اعتقاده فيَّ. هذا وقوله: وا حر قلباه، أصله وا حر قلبي، فأبدل من الياء ألفًا طلبًا للخفة، والعرب تفعل ذلك في النداء، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها، وللعرب في ذلك أمران: منهم من حرَّك بالضم تشبيهًا بهاء الضمير، وأنشدوا لامرئ القيس:

وَقَدْ رَابنِي قَولُها يَا هَنَا هُ وَيْحكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشرِّ

(قولهم: يا هناه: أي يا رجل، لا يستعمل إلا في النداء. يقول: كنا متهمين فحققت الأمر.)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيرًا عند التقاء الساكنين.

(١١٠) براه: أنحله وأضناه. وأكتم: مبالغة من الكتمان. وتدعي: منصوب بأن مضمرة بعد الواو، وسكنه ضرورة، أو على لغة. يقول: إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلمَ أخفي أنا حبه الذي برح بي وأسقمني، وأعين على نفسي بهذا الكتمان؟

(١١١) الغرة: الطلعة. يقول: إن كان يجمعني وغيري أن نكون محبين له؛ أي إن حصلت الشركة في حبه، فليتنا نقتسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون

أوفر نصيبًا من غيري؛ لأني أوفر حبًّا من غيري. وقال ابن جني: أي إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لغرته، فليت أنا نقتسم بره كما نقتسم حبه.

(١١٢) والسيوف دم: أي مخضبة بالدم. يقول: إنه خدمه في حالي السلم والحرب.

(١١٣) الشيم: جمع شيمة، وهي الخليقة والخلق. يقول: إنه كان في الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه، وإنما المرء خلقه.

(١١٤) يممته: قصدته. والأسف: الحزن. يقول — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته: فوت العدو الذي قصدته ففاتك، بأن فر منك لاستحكام جزعه، ظفر حيث فر منك، فكأنك ظفرت به وإن كان في طي هذا الظفر أسف حين لم تدركه فتقتله، وفي طي ذلك الأسف نعم؛ إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب، وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح.

(١١٥) البهم: الأبطال الذين تناهت شجاعتهم، جمع بهمة، ويقال للجيش: بهمة، ومنه قولهم: فلان فارس بهمة وليث غابة، قال ابن جني: البهمة في الأصل مصدر وصف به ولا فعل له. وقال بعضهم: قيل للكماة: بهم لأنه لا يهتدي لقتالهم من قولهم شيء مبهم. يقول: إن خوف أعدائك منك ناب عنك في شدة تأثيره فيهم، فصنع لك ما لا تصنعه عساكرك الشجعان، يعني أن مهابتك في قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك.

(١١٦) يواريهم: يسترهم ويكنهم. والعلم: الجبل. يقول: ألزمت نفسك شيئًا لم يكن ليلزمها؛ وذلك رغبتك في أن لا يواري أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم، وإباؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم، وهذا لا يلزمك؛ لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم، أو تقول: ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم. يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفي غيره من الظهور عليهم.

(١١٧) رمت: طلبت. وانثنى: ارتد. وهربًا: حال. يقول: أكلما طلبت جيشًا فارتد هاربًا منك وهزمته، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك، وهذا استفهام إنكار؛ أي ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم.

(١١٨) المعترك: ملتقى الحرب. يقول: عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك في مجال الحرب والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالهرب؛ إشفاقًا منك وخوفًا من لقائك فلم تظفر بهم.

(١١٩) بيض الهند: السيوف. واللمم: جمع لمة؛ وهي الشعر إذا ألم بالمنكب. يقول: ليس يحلو لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وشعورهم.

(١٢٠) يقول: أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني. وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم؛ لأنك ملك لا أحاكمك إلى غيرك، وإنما أستعدي عليك حكمك والخصام وقع فيك، وإذن كيف ينتصف منك؟ قال ابن جني: هذه شكوى مفرطة؛ لأنه قال في موضع آخر:

وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كفِّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ

وإذا كان عدلًا في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور.

(١٢١) قال ابن جني: سألته — أي المتنبي — عن الهاء «في أعيذها» على أي شيء تعود؟ فقال: على «النظرات». وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ فقال: الهاء راجعة إلى الأبصار، وغيره من النحويين يقول: إنها إضمار على شريطة التفسير، كأنه فسر الهاء بالنظرات، ونظرات — كما قال التبريزي — في موضع نصب على التمييز؛ أي من نظرات. يقول: إنك إذا نظرت إلى شيء عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شحمًا، وهذا مثل، يقول: لا تظن المتشاعر شاعرًا كما يحسب الورم سمنًا.

(١٢٢) الناظر: العين. يقول: إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأي نفع له في بصره؟ يعني: يجب أن تميز بيني وبين غيري ممن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة؛ لأن الفرق بيني وبين غيري ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة، فلا ينبغي أن يستويا في عيني البصير.

(١٢٣) يقول: إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبي، وكذلك الأصم سمع شعري؛ يعني أن شعره سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه فكأن الأعمى رآه لتحققه عنده، وكأن الأصم سمعه. وكان المعري إذا أنشد هذا البيت يقول: أنا الأعمى.

(١٢٤) الشوارد: سوائر الأشعار — من قولهم: شرد البعير: إذا نفر — والضمير في «شواردها»: للكلمات. قال ابن جني: يحتمل أن يراد بالكلمات: جمع كلمة التي هي اللفظة الواحدة، وهذا أشد في المبالغة، ويجوز أن يعني بالكلمات القصائد، وهم يسمون القصيدة كلمةً. وملء جفوني موضع المصدر: أي أنام نومًا ملء جفوني، ويقال: فعلت

ذلك جراك ومن جرائك؛ أي من أجلك، وكذلك: من جلالك ومن إجلالك، ومن جللك، كله من أجلك. قال جميل:

رَسْمِ دارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِه كِدْتُ أَقْضِي الغَدَاةَ من جَلَلِه

[أي من أجله، وقيل من جللك: من عظمك في عيني. وقوله: رسم دار، قال ابن سيده: أراد: رُبَّ رسم دار، فأضمر «رب» وأعملها فيما بعدها مضمرة.] وأنشد الكسائي على قولهم: فعلته من جلالتك — أي من أجلك — قول كُثَيِّر:

حَيائِيَ مِنْ أسماءَ والْخَرقُ بَينَنا وإكرَامِيَ القَوْمَ العِدَا من جَلالِها

[الخرق: البعد.] ووحد الضمير في «يختصم» على لفظ الخلق، لا معناه. يقول: أنا أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأني أدركها متى شئت بسهولة، أما غيري من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون. قال الواحدي: ومعنى الاختصام اجتذاب الشيء من النواحي والزوايا؛ مأخوذ من الخصم، وهو طرف الوعاء (جاء في اللسان: الخصم — بالضم — جانب العدل وزاويته، يقال للمتاع إذا وقع في جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة: قد وقع في خصم الوعاء وفي زاوية الوعاء، قال: وخصومة السحابة جوانبها. قال الأخطل يصف سحابًا:

إذا طَعَنَت فيه الْجَنُوبُ تحامَلتْ بأعجاز جرَّار تَدَاعى خصومها

أي تجاوب جوانبها بالرعد، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه. والجرار: الثقيل ذو الماء، وتحاملت بأعجازه دفعت أواخره خصومها؛ أي جوانبها.)

يقول: إنهم يجتذبون الأشعار احتيالًا ويجتلبونها استكراهًا.

(١٢٥) مده: أمهله وطول له. وأصل الفرس: دق العنق، ومنه سمى الأسد فراسًا. يقول: رب جاهل خدعته مجاملتي، وتركه في جهله — خرقه — ضحكي منه حتى افترسته وبطشت به بعد زمان. يعني أنه يغضي عن الجاهل ويحلم إلى أن يجازيه ويعصف به.

(١٢٦) يقول: إذا كشر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسمًا بل قصدًا للافتراس. يريد أنه وإن أبدى بِشْرَه وتبسمه للجاهل، فليس ذلك رضًا عنه. وفي مثل هذا يقول: أبو تمام:

قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتاهُ مِنْ حَفيظَتِهِ   فخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبيسِ مُبتَسِمًا

(١٢٧) المهجة: الروح. ومهجتي: مبتدأ، ومن هم صاحبها: خبر، والجملة صفة لمهجة. والهم: ما اهتممت به. والجواد. الفرس الكريم. والحرم: ما لا يحل انتهاكه. يقول: رب مهجة همة صاحبة مهجتي — أي قتلي وإهلاكي — أدركت هذه المهجة بفرس من ركبه أمن من أن يلحق، فكأن ظهره حرم لا يدنو منه أحد.

(١٢٨) يصف جواده، يقول: لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه في الركض كأن رجليه رجل واحدة؛ لأنه يرفعهما معًا ويضعهما معًا، وكذلك يداه — ويسمى هذا الجري النقال والمناقلة — ثم قال: وفعله ما تريد الكف والقدم؛ أي أن جريه يغنيك عن تحريك اليد بالسوط والرجل بالاستحثاث. وقال ابن الإفليلي: وفعله في السرعة ما تريد القدم التي بها يستعجل وفي المؤاتاة والموافقة ما تريد الكف التي بها يستوقف.

(١٢٩) المرهف: السيف الرقيق الشفرتين. والجحفل: الجيش الكثير. وروى ابن جني: بين الموجتين: أراد موجتي الجيشين؛ لأنهما يموج بعضهما في بعض. يقول: ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه وتضطرب.

(١٣٠) البيداء: الفلاة. وتعرفني، يروى: تشهد لي، ويروى بدل السيف والرمح: الضرب والطعن. وروى الواحدي: والحرب والضرب. يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة، وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها، يقول: الليل يعرفني لكثرة سراي فيه وطول ادراعي له، والخيل تعرفني لتقدمي في فروسيتها، والبيداء تعرفني لمداومتي قطعها واستسهالي صعبها، والسيف والرمح يشهدان بحذقي في الضرب بهما، والقراطيس تشهد لإحاطتي بما فيها، والقلم عالم بإبداعي فيما أقيده. هذا، والقِرطاس والقُرطاس والقَرطاس والقرطس كله الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، وأنشد أبو زيد لمخش العقيلي يصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كتب في قرطاس:

كأَنَّ بحيثُ اسْتَودَعَ الدَّارَ أَهْلُهَا   مَخَط زَبُورٍ مِنْ دَوَاةٍ وَقِرْطَسِ

(١٣١) الفلوات: القفار. والقور: جمع قارة؛ وهي الأرض ذات الحجارة السوداء، والقور أيضًا: أصاغر الجبال. وأعاظم الآكام — جمع أكمة — قال منظور بن مرثد الأسدي:

هَلْ تَعْرِف الدار بأَعْلى ذِي القُورْ؟ قـد دَرَسَـتْ غَـيـرَ رَمَـادٍ مَـكْـفُـورْ
مُـكْتَئِبِ اللَّونِ مَرُوحٍ ممـطـورْ أَزْمـانَ عَـيْـنـاءُ سُـرورُ الـمَـسْـرُورْ

(قوله: بأعلى ذي القور؛ أي بأعلى المكان الذي بالقور. وقوله: قد درست غير رماد مكفور؛ أي درست معالم الدار إلا رمادًا مكفورًا، وهو الذي سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره. وقوله: مكتئب اللون: يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب. ومروح: أصابته الريح. وممطور: أصابه المطر. وعيناء: مبتدأ، وسرور المسرور: خبره، والجملة في موضع خفض بإضافة أزمان إليها. يقول: هل تعرف الدار في الزمان التي كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها.)

والقور: يروى: القوز — بفتح القاف وبالزاي — وهو الكثيب الصغير، وجمعه أقواز وقيزان. قال ذو الرمة:

إلى ظُعنٍ يَقْرضنَ أقوازَ مُشْرِفٍ شمالًا وَعن أيمانِهنْ القَوارِس

(قرض المكان يقرضه قرضًا: عدل عنه وتنكبه. ومشرف والفوارس: موضعان. يقول: نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين.)

ويروى: الغور؛ وهو المطئن من الأرض. والأكم: جمع أكمة؛ الجبل الصغير. يقول: سافرت وحدي وصحبت الوحش في الفلوات منفردًا بقطعها مستأنسًا بصحبة حيوانها حتى تعجب مني نجدها وغورها لكثرة ما تلقاني وحدي.

(١٣٢) يقول: يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه، كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدانه عدم، يعني لا يغني غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل.

(١٣٣) ما أخلقه بكذا وأقمنه وأجدره وأحراه وأولاه: بمعنًى. وأمم: قريب. يقول: ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم! يعني لو تقارب ما بيننا بالحب لكرمتمونا؛ لأنا أهل للتكرمة.

(١٣٤) يقول: إن سررتم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور، فإن جرحًا يرضيكم لا نجد له ألمًا؛ لأن كل سرورنا في سروركم ورضانا في رضاكم. قال الواحدي: هذا من قول منصور الفقيه:

سُرِرْت بهَجْرِكِ لمَّا عَلِمـْ ـتُ أنَّ لقَلبِك فيهِ سُرُورًا
وَلـوْلا سُـرُورُك مـا سَـرَّنـي ولا كُنْتُ يومًا عَلَيْهِ صَبُورا
لأنـي أرَى كلَّ مـا سـاءَنـي إذا كان يُرضيكِ سهلًا يسيرا

(١٣٥) بيننا: خبر مقدم، ومعرفة: مبتدأ مؤخر. وقوله لو رعيتم ذاك: اعتراض. والإشارة إلى مضمون الجملة: أي لو رعيتم أن بيننا معرفة. والنهى: العقول. والذمم: العهود. يقول: إن لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها.

(١٣٦) يقول: كم تحاولون أن تجدوا لي عيبًا تعيبوننا وتتعلقون عليه وتعتذرون به في معاملتي فيعجزكم وجوده، وهذا الذي تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذي يأبى عليكم إلا أن تنصفوني منكم وتكافئوني بالجميل، وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية.

(١٣٧) وذان: أي العيب والنقصان. يقول: إن بعد ما بيني وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحقني العيب والنقصان.

(١٣٨) الغمام: السحاب. والصواعق: جمع صاعقة؛ وهي تلك النار التي تسقط أثر الرعد الشديد. والديم: جمع ديمة؛ وهي مطر يدوم في سكون، وهو معلوم أن الصواعق مهلكة، وهي التي تكره وتخشى من الغمام، والديم نافعة وهي المرجوة من الغمام، فهو يقول: ليت الممدوح الذي يشبه الغمام والذي تصيبني صواعقه — يعني أذاه وسخطه — ويصيب غيري مطره — يعني بره ورضاه — يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان. وهذا من قول أبي تمام:

فلو شاءَ هذا الدهْرُ أقصرَ شرُّهُ كما قصَرَت عنَّا لُهَاهُ وَنَائِله

(أقصر: كف، ومثله قصر. واللها: جمع لهوة، العطية. والنائل: العطاء.)

ومثله قول ابن الرومي:

أعـنـديَ تَـنْـقَـضُّ الـصـواعِـق مـنـكـمـا وَعِند ذَوِي الكُفْرِ الحيا والثرى الْجَعْدُ؟!

(الحيا: المطر. وثرى جعد، وتراب جعد: لين ندي.)

وقوله أيضًا:

إذا كان حظ الناس سُقْيَا سمائكُم   فحظي وميضُ البرق أو زَجَلُ الرعد

وأخذه السري الرفاء فقال:

وأنا الفِداءُ لمن مخيلةُ برقِهِ   حظِّي وحظ سِوَاي من أنوائه

(١٣٩) النوى: البعد. وتقتضيني: أي تطالبني، وقد ضمنه معنى تكلفني أو تجشمني؛ ولذلك عداه إلى اثنين. والوخد والرسم: ضربان من السير. والوخادة: الإبل التي تسير سيرًا سريعًا. والرسم: جمع رسوم؛ وهي الناقة التي تؤثر في الأرض بأخفافها لسيرها الشديد. يقول: أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها الإبل السريعة الشديدة؛ لبعدها وشدة أهوالها. وعبارة العكبري: أرى النوى التي أريدها، والرحلة التي اعتقدتها، تقتضيني تجشم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعد منالها، ولا تطيقها لشدة أهوالها.

(١٤٠) اللام في «ليحدثن» لام جواب القسم، وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم، وترك جواب الشرط، وضمير «تركن» للوخادة والرسم. وضُمَيْر: جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق. يقول: لئن لحقت ركابي بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقي، وكان كما قال.

(١٤١) يقول: إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك، فكأنهم هم الراحلون عنك. وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدي: إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال، يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم؛ أي أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتموني إليه. وقال الإمام التبريزي: إن الرجل إذا فارق أناسًا، وقد ظنوا أنه غير مفارق لهم، أسفوا له، فكأنهم هم الراحلون. وقال ابن القطاع: رحلت عن المكان: انتقلت، ورحلت غيري: نقلته وسفرته، ومعناه: إذا ترحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك، فالراحلون عنك هم، والمعنى: أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائمًا في ذلك عن نفسه بحجته. وقال العكبري: أي إذا رحل الراحل عن قوم وهم

قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته، وأغفلوه حتى ترحل عنهم، وانقطع بالزوال منهم، فهم الذين رحلوه، وأزعجوه وأخرجوه. ثم قال: وهذا من قول الحكيم: من لم يردك لنفسه فهو النائي عنك وإن تباعدت أنت عنه. وقال ابن وكيع — كعادته: هذا مأخوذ من قول أبي تمام:

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَواء بل التي نَبَتْ بي وفيها ساكِنوها هي القفر

(القواء — بفتح القاف — الخالية لا أحد فيها.)

وأين هذا من ذاك؟

(١٤٢) يصم: يعيب. يقول: شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس بوده، وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله؛ يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت — مع جلالتها وسعتها — لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده.

(١٤٣) الشهب: جمع أشهب؛ وهو ما فيه بياض يصدعه سواد. والرخم: جمع رخمة؛ طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع، وعبارة اللغة: الرخمة طائر أبقع على شكل النسر خلقة، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق، والجمع رخم ورخم. قالوا: وهو موصوف بالغدر والموق والقذر. يقول: شر ما قنصه الصائد وظفر به قنص يشركه فيه البزاة الشهب مع رفعتها والرخم مع ضعتها ودناءتها. وهذا مثل؛ يعني شر صيد صدته ما شاركتني فيه اللئام. يريد أن سيف الدولة يجريه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء؛ أي إذا ساواني في أخذ عطائك من لا قدر له، فأي فضل لي عليه؟!

(١٤٤) الزعنفة — وجمعه زعانف — اللئام السقاط بين الناس، وهو مأخوذ من زعنفة الأديم — الجلد — وهو ما تساقط من زوائده، أو من زعانف السمك — وهي أجنحته — أو من زعانف القميص وهي ما تخرق من أسافله، وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس. وتجوز: من جواز الدراهم وهو رواجه، وروي: تخور؛ من خوار البقر، وهو تصحيف، كما قال الواحدي، وإن كان صحيحًا في المعنى. وهذا كما يروى أن رجلًا قرأ على حماد الراوية شعر عنترة:

إذ تستبيك بذِي غروب واضحٍ

فأبدل من الباء في «تستبيك» نونًا، فضحك حماد وقال: أحسنت، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت. يقول — مخاطبًا سيف الدولة: هؤلاء السقاط من الشعراء بأي لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عربًا؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب، ولا كلامهم أعجمي يفهمه الأعجام؛ أي أنهم ليسوا شيئًا. وعبارة الواحدي: هؤلاء الخساس اللئام من الشعراء بأي لفظ يُقولون الشعر، وليست لهم فصاحة العرب، ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب؟ فليسوا شيئًا

(١٤٥) المقة: المحبة. يقول: هذا الذي أتاك من الشعر عتاب مني إليك إلا أنه محبة وود؛ لأن العتاب يجري بين المحبين

ويبقى الود ما بقي العتاب

وهو در — يعني حسن نظمه ولفظه — إلا أنه كلمات. وعبارة العكبري: هذا عتابك وهو وإن أمضك وأزعجك محبة خالصة ومودة صادقة، فباطنه غير ظاهره، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه، وإن كان كلامًا معهودًا في ظاهر لفظه.

(١٤٦) قوله وزال … إلخ: إنما هو خبر وليس دعاء. يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته؛ لعوده بعد ذلك إلى غزوهم كما أشار إلى ذلك في البيت التالي.

(١٤٧) انهلت: سالت. والديم: جمع ديمة؛ وهي المطر الدائم في سكون. كانت الغارات على بلاد الروم قد انقطعت، فلما شفي وصح اتصلت الغارات عليها، فكأن الغارات كانت عليلة بعلته، ثم صحت بصحته، وسرت المكارم بصحته؛ لأنه صاحبها، وكانت الأمطار منقطعة فلما شفي صادف اتصالها شفاءه.

(١٤٨) يقول: إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه، وكأن فقد ذلك النور كان سقمًا لها، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة؛ يعظم الأمر في علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التي قد تفضي بها إلى مثل هذا الهذيان. وقال بعض الشراح: البيت مجاز، يريد أن الشمس فقدت بهجتها في عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم، فلما شفي عاد إليها حسنها.

(١٤٩) العارضان: شقا الفم، وقيل: جانبا اللحية، وعارضا الوجه وعروضاه: جانباه. يقول: تهلل عارضاك سرورًا وابتسامًا، فلاح لي منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبتسم، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحييها. وذهب الواحدي والعكبري إلى أن المراد بالعارض ما يلي الناب من داخل الفم، أو هو الناب. قال الواحدي: ويريد بالبرق

ظهور ثغره عند التبسم. يقول: لاح لي ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا في أثره، ولا يوجد إلا في موضعه. يشير إلى العطاء الذي يتلو تبسمه؛ يعني أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به، لأنه أخصب بجوده.

(١٥٠) الحسام: مفعول ثانٍ ليسمى، والمفعول الأول: نائب الفاعل، وهو ضمير الممدوح، والواو في «وليست» للحال، ومشابهة: اسم ليست، و«من» زائدة، وخبر «ليست» محذوف: أي وليست من مشابهة بينهما. ويشتبه: يتشابه. يقول: إن الممدوح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما، فهو أشرف من السيف، وإن تساويا اسمًا؛ لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم، فكيف يتشابه المخدوم والخادم؟

(١٥١) المحتد: الأصل، يقول: هو عربي الأصل، فاختصت العرب بالفخر به؛ لأنه منهم، ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه؛ لأن إحسانه شمل الجميع. وفي مثل هذا يقول البحتري:

غَدَا قِسْمَةً عَدْلًا فَفِيكُمْ نَوَالُه — وفي سَرْوِ نبْهَانَ بن عمرو مآثرُه

(١٥٢) الآلاء: النعم. يقول: إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان؛ أي إن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم.

(١٥٣) هذا من قول أبي العتاهية:

لو عَلِمَ الناس كيف أنت لهم — مات — إذا ما أَلِمتَ — أكثرهم

وقال: سلموا، على معنى «كل» لا على لفظها، قال الجوهري: «كل» لفظه واحد، ومعناه جمع، قال: فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا — على اللفظ مرة، وعلى المعنى أخرى.

(١٥٤) كان هذا الشاعر من بغداد، ويسمى ابن المنجم، وأبياته هي:

كَانَ رَسْمُ الثَّنَاءِ مِنِّيَ شِعْرًا — فاقَ حُسْنًا كَلُؤْلُؤٍ في نِظَامِ
لم يُقَدِّر لِقَاؤُكَ الْيَومَ فَاسْتَظْـ — ـهَرتُ فيهِ بالْكُتْبِ والأقلامِ

وَلِيَ الرَّسم من تطولِكَ الْجَمْـ ـمِ وَذَاكَ الإِفْضَالِ والإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقِّعْ فَإِنِّي مُوثَقُ الحالِ في يَدِ الإِعْدَامِ
زادكَ الله رِفْعَةً وَعُلوًّا وَسرورًا يبقى على الأيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات.

(١٥٥) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، سميت ببدرة السخلة؛ جلدها.

(١٥٦) النوال: العطاء، يقول: كان مدحك لنا في الحلم، وكذلك نحن أجزنا على الحلم بالحلم، فكانت الجائزة على نحو مدحك. يريد تسفيه رأيه وتحميقه؛ إذ لم يجعل مدحه لسيف الدولة غرضًا يقصده.

(١٥٧) كنى عن رداءة لفظه وخطه، يقول: قد كان لفظك رديئًا؛ لأنك قلته في النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبته حتى جاء الخط رديئًا أيضًا؟

(١٥٨) الإعدام: الفقر. يقول: أيها المشتكي الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر؟

(١٥٩) افتح الجفن: أي لا تكن غافلًا، وفيه نكتة لا تخفى، يقول: إن القول الذي قلته في النوم لا تذكره لسيف الدولة، وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا تخاطبه كما تخاطب سائر الناس.

(١٦٠) يقول: لا يغني عنه أحد ولا يقوم مقامه؛ لعموم فضله، ولا يكون منه بدل؛ لجلالة قدره، ولا يمنح منه أحد ما يطلبه؛ لسعة مقدرته.

(١٦١) يقول: إن عشيرته أكرم أهل الدنيا، وهو أكرم عشيرته.

(١٦٢) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها، وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى سنة ثلاث وأربعين، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل، ووقع القتال يوم الإثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقًا كثيرًا، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث، ووضع بيده آخر شرفة منه في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، فقال هذه القصيدة يمدحه، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث.

(١٦٣) العزم: الجد — عزم على الأمر عزمًا: أي أراد فعله — وقال الليث: العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله. والعزائم: جمع عزيمة؛ وهي ما يعزم عليه من الأمر. والمكارم: جمع مكرمة؛ فعل الكرم. يقول: إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم، فمن كان كبير الهمة قوي العزم كان الأمر الذي يعزم عليه عظيمًا، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها: فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم، والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال، فإذا صغروا صغرت، وإذا كبروا كبرت. وهذا كقول عبد الله بن طاهر:

إنَّ الفُتُوحَ عَلَى قدر الملوكِ وهمـْ ـمَاتِ الـوُلاةِ وَإقدامِ المَقـادِيـمِ

(١٦٤) الضمير في «صغارها» للعزائم والمكارم. يقول: إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر؛ إذ تملأ ذرعه، وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر؛ لأن في همته فضلة عنها. يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة، وما فعل في الوقعة التي ذكرنا من نفاذ عزمه وجلالة قدرة.

(١٦٥) الهم: الهمة؛ وهو ما هممت به من أمر لتفعله. والخضارم: جمع خضرم؛ وهو الكثير العظيم من كل شيء. يقول: يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به؛ لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله.

(١٦٦) الضراغم: الأسود. يقول: إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقدامًا، وذلك شيء لا تدعيه الأسود، فكيف تبلغه البشر؟

(١٦٧) نسور: بدل من أتم الطير، أو عطف بيان. وأحداثها والقشاعم: بدل تفصيل من نسور. والملا: بمعنى الفلاة، ويروى: الفلا: جمع فلاة؛ وهي الصحراء. والأحداث الشابة: جمع حدث. والقشاعم: الطويلات العمر، ويقال للحرب والمنية والذلة أم قشعم، وبكل أولئك فسر قول زهير:

فَشَدَّ ولم يُفزِعْ بيوتًا كثيرةً لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم

(من معلقة زهير. يقول: فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتًا كثيرة؛ أي لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية، وملقى الرحل:

المنزل؛ لأن المسافر يلقي به رحله. أراد: عند منزل المنية، وجعله منزل المنية لحلولها قتل حصين.)

وأراد بأتم الطير: عمر النسور، وقد بينه بالمصراع الثاني. يقول: إن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا؛ لأنها كفتها مؤنة طلب الأقوات، لكثرة القتلى في وقائعه.

(١٦٨) «ما»: نفي، أو استفهام إنكار. وخلق: مصدر خلق يخلق. والمخالب: جمع مخلب، وهو لسباع الطير كالظفر للإنسان. والقوائم: جمع قائم، وهو قائم السيف؛ أي مقبضه. يقول: ليس يضر الأحداث من النسور؛ أي الفراخ، والقشاعم؛ أي المسنة التي ضعفت عن طلب القوت — وخص هذين النوعين لعجزهما عن طلب الرزق — ليس يضر هذين أن لا يكون لهما مخالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة، فإنها تقوم بكفاية قوتها. ولك أن تقول: إن المعنى: وما ضرها لو خلقت بغير مخالب؟ كما تقول: ما ضر النهار ظلمته مع حضورك، وليس النهار بمظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلمًا. وعبارة العكبري — وهي بمعنى التفسير الأول: ما يضرها أن تخلق بغير مخالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه؛ لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه، وتفعل لها ما تريده وتطلبه. هذا، وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي — وقد أخذه من المتنبي:

وَيَـوْمَـاكَ يَـوْمٌ لِـلْـعُـفَـاةِ مُـذَلَّـلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبْصَبُ
إذا حَوَّمَتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الضَّربُ ما تترقبُ

(١٦٩) الحدث: قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم، ووصفها بالحمراء؛ لأنها احمرت بدماء الروم، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم، يقول: هل تعرف هذه القلعة لونها؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم، وهل تعلم أي الساقيين لها هو الغمائم: أجماجم الروم التي سقتها بالدم، أم السحائب التي سقتها بالمطر؟ يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء، فهي لا تدري أي هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغمائم؛ لأنهما استويا في السقيا وقد بين هذا المعنى في البيت التالي. وقوله: أي الساقيين الغمائم: مبتدأ وخبر سدًّا مسد مفعولي تعلم.

(١٧٠) الغمام: جمع غمامة. والغر: البيض.

(١٧١) فأعلى: أي فأعلاها. والقنا: الرماح. يقول: بناها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنايا تسلب الأرواح، واستعار للمنايا موجًا متلاطمًا لكثرتها؛ أي لكثرة القتل، فكأن المنايا بحر تتلاطم أمواجه.

(١٧٢) مثل: اسم كان، وهو خلف من موصوف؛ أي شيء مثل الجنون. وأصبحت تامة، والواو بعدها للحال. والتمائم: جمع تميمة؛ وهي العوذة، يتوقون بها مس الجن. جعل اضطراب الفتنة فيها جنونًا لها؛ وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها فلا تزال الفتنة بها قائمة، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وسلم أهلها، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون، وهو إسكان الفتنة. قال أبو الطيب: ما رد علي أحد شيئًا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته ومن جيف القتلى، فقال لي: مه، قل: ومن جثث القتلى، فقبلت وقلت كما قال لي. قال ابن وكيع: وقد لاذ أبو الطيب بقول أبي تمام:

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونهَا إذا لم يُعَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طالب

(١٧٣) الطريدة: المطرودة. أي ما طردته من صيد أو غيره. والخطى: الرماح. وراغم: ذليل، وأصل الرغم: أن يلتصق الأنف بالرغام؛ أي التراب. يقول: إن هذه القلعة كالطريدة أمام الدهر تعقبتها حوادثه؛ إذ سلط عليها الروم حتى خربوها، فأعدت بناءها ورددتها على أهل الدين، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد.

(١٧٤) تفيت: من الفوت، وأفاته الشيء: حمله على فوته، وفاعل تفيت: ضمير المخاطب، والليالي: مفعول أول، وسكنه ضرورة، أو على لغة، وكل شيء: مفعول ثانٍ. وغوارمه جمع غارمة، وغرم الدين والغصب وغير ذلك: أداه. يقول: إذا سلبت الليالي شيئًا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك، وهي إذا أخذت منك شيئًا غرمته، وروى أخذنه — بالنون — ضمير الليالي، فتكون الليالي فاعل «تفيت» والمفعول الأول محذوف: أي من عادة الليالي إذا أخذت شيئًا أن لا ترده على صاحبه فتفيته إياه، فإن أخذت منك شيئًا غرمته؛ يعني أنت أقوى من الدهر، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد عليك. وهذا من قول بعضهم:

فما أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوِتْرِهِمِ ولا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وقال الطرماح:

إن نَأْخُذِ النَّاسَ لا تُدْرَكْ أَخِيذَتُنَا أو نَطَّلِبْ نَتَعَدَّى الحقَّ في الطَّلَبِ

وقال التبريزي وابن القطاع: من رواه بالنون أفسد المعنى، قال ابن القطاع: قال لي شيخي محمد بن البراء التميمي: قال لي صالح بن رشد: قرأت على المتنبي أخذنه بالنون فقال: صحفت يا أبا علي، قلت: وكيف قلت؟ فقال: أخذته — بالتاء — لأني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت. وذلك أن تفيت يتعدى إلى مفعولين، فإذا جعلت «الليالي» فاعله ونصبت «كل شيء» لم يكن مفعولًا ثانيًا ففسد الإعراب، وإذا قلت بالتاء جعلت «الليالي» مفعولًا أولًا و«كل شيء» ثانيًا، وأما فساد المعنى: فلو جعلت «الليالي» الفاعلة لجعلتها تفيت كل شيء ولا تغرمه، ثم نقضته بقولي:

وهن لما يأخذن منك غوارم

وإنما المعنى تفيت يا سيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تغرمه لها، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى.

(١٧٥) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعًا؛ فالمضارع هنا المراد به المستقبل، يقول: إذا نويت أن تفعل أمرًا فكان ذلك فعلًا مستقبلًا مضى ذلك الذي نويته قبل أن يجزم ذلك الفعل. وأراد بالجوازم: «لم ولا ولام الأمر» أي إذا نوى أن يفعل أمرًا مضى قبل أن يقال له: لا تفعل؛ لأنه يسبق بما يهم به نهي الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال: ليفعل كذا وليعط فلانًا ولينجز ما وعد به؛ أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهي أو طلب. وعبارة بعض الشراح: إذا نويت أن تفعل أمرًا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيًا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم، وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع؛ لأنها لغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو «لم» و«لما» ومنها للطلب، وهو «لا» و«اللام» وبواقيها للشرط، فكأنه يقول: إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل: لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا، ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء، كأن يقال: إن تفعل كذا يترتب عليه كذا؛ لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط، ولا يخاف وراءه عاقبة. وعبارة العكبري: يريد: ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده، فإذا كان ما ينويه فعلًا مستقبلًا — ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى المتأخر الذي لم يقع — صار ذلك

الفعل ماضيًا بوقوعه منه، ومتصرفًا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم، فنثبته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع. قال ابن وكيع: هو مأخوذ من قول أبي تمام:

خرقاءُ يَلْعَبُ بِالعُقُولِ حَبَابُهَا   كتلاعب الأفْعَال بالأسْمَاءِ

(من قطعة في وصف الخمر.)

قال العكبري: والبيت بناه على التورية.

(١٧٦) الآساس: جمع أس، قال أهل اللغة: الأس — وهو أصل البناء — يجمع على إساس مثل عس وعساس، وجمع الأساس: أسس، مثل قذال وقذل، وجمع الأسس: آساس. مثل سبب وأسباب. والدعائم: جمع دعامة؛ وهي عماد البيت، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة. يقول: كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطعنك الذي أعملته فيهم؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم.

(١٧٧) جعل القلعة والروم خصمين، والمنايا في الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم — وهو القلعة — بالسلامة، فلم تترك لهم سبيلًا إلى هدمها، وحكمت على الظالم — وهو الروم — بالهلاك فأبادتهم.

(١٧٨) السرى: سير الليل. والجياد: الخيل. يقول: أتوا مدججين في السلاح، ولكثرة الحديد عليهم وعلى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها، أي لا ترى؛ لأنها محجبة بالتجافيف التي على الخيول.

(١٧٩) البرق: اللمعان. والبيض: السيوف. وبرقوا: يعني الروم. يقول: إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم؛ لأن عمائمهم الخوذ وثيابهم الدروع، فهم كالسيوف، فقوله ثيابهم من مثلها: أي من مثل السيوف، يعني من الحديد. قال العكبري: وأشار بهذا الوصف — أعني كثرة سلاح هذا الجيش — إلى قوته. وعبارة بعض الشراح: إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم؛ لأن أبدانهم مغطاة بالدروع ورءوسهم بالخوذ، وكلها من الحديد، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها، وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة؛ لأنها تلبس في أمكنتها. قال العكبري: وسمعت بعضهم — وكان شيخنا يقرأ عليه هذا الديوان — يقول: أخطأ أبو الطيب، كيف ذكر العمائم والعمائم للعرب وليست للروم، فكيف جعلها للروم؟

فضحكت من قوله وقلت له: الضمير في «مثلها» إلى أين يعود؟ أليس إلى البيض، وهي السيوف؟ فلم يدر ما قلت.

(١٨٠) الخميس: الجيش العظيم؛ سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين. والزحف: التقدم، وأصله المشي مع تثاقل. والجوزاء: نجمان معترضان في جوز السماء؛ أي وسطها، وهما من البروج. والزمازم: الأصوات التي لا تفهم لتداخلها، وأصل الزمزمة: صوت الرعد، وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة. يقول: إن هذا الجيش لكثرته طبق الأرض، وبلغت أصواته السماء. قال الواحدي: وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج؛ لأنها على صورة إنسان. قال الشراح: ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبي تمام:

ملأ الملا عُصبًا فكَاد بأنْ يُرَى لَا خَـلْـفَ فِـيـه ولا لـه قُـدَّامٌ

(١٨١) اللسن: اللغة، واللسان أيضًا. والحداث: جمع حادث، بمعنى متحدث. ومنه قول المجنون:

أتيْتُ مع الْحُدَّاثِ ليلى فلم أُبِنْ فأخْلَيْتُ فاستَعْجَمْتُ عِند خلائِي
ذهبْتُ فلم أصبرْ وعُدْتُ فَلَمْ أُبِنْ جوابًا كِلا اليومينِ يومُ بلائِي

(قال الزجاجي في أماليه: أخليت: وجدتها خالية، مثل أجبنته؛ أي وجدته جبانًا. فعلى هذا يكون مفعول «أخليت» محذوفًا: أي أخليتها. وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور هكذا منسوبًا إلى عتي بن مالك العقيلي، وفي «المحكم»: عند خلائيا وبلائيا.)

وقول سويد بن أبي كاهل:

يُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قولًا حسنًا لو أرادوا غيره لم يستطعْ

والتراجم: جمع ترجمان — بفتح التاء، وبضمها اتباعًا لضم الجيم — يقول: اجتمع في هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات، فإذا كلم جيل منهم من ليس من أهل لغته احتاج إلى مترجم يترجم له، وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة.

(١٨٢) عنى بالغش: الضعاف من الرجال والأسلحة. والصارم: السيف القاطع. والضبارم: الشجاع الجريء، وأصله الأسد الشديد الغليظ. يتعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم، يقول: ما كان مموهًا مغشوشًا هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب، ولم يبقَ من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم. وبعبارة أخرى: إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئًا، ولم يبقَ إلا كل سيف صارم ورجل شجاع.

(١٨٣) يقول: تكسر من السيوف ما لم يكن ماضيًا يقطع الدروع والرماح، وهرب الجبناء الذين لا يقدرون على المصادمة. ومن روى: «فقطع» أراد الوقت، يعني أن الوقت كان صعبًا لم يبقَ معه إلا الخُلَّص من الرجال والأسلحة.

(١٨٤) الردى: الهلاك. يقول: وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت؛ لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فَسَلِمْتَ. قال الواحدي: سمعت الشيخ أبا معمر الفضل بن إسماعيل القاضي يقول: سمعت القاضي أبا الحسين علي بن عبد العزيز يقول: لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذي بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزي البيتين على صدريهما، وقال له: كان ينبغي أن تقول:

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

ثم قال: وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله:

كأني لم أركب جوادًا لِلَذَّةٍ ... ولم أتبطَّن كاعِبًا ذاتَ خلخالِ
ولم أَسْبأِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أَقُلْ ... لخيلي كُرِّي كَرَّة بعد إجفالِ

قال: ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني، وعجز الثاني مع الأول، ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالسكر، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب. فقال أبو الطيب: أدام الله عز مولانا، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك؛ لأن البزاز

يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفصيله؛ لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسًا، وعينه من أن تكون باكية: قلت:

ووجهك وضاح وثغرك باسم

لأجمع بين الأضداد في المعنى. فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارًا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار. قال الواحدي: ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتي المتنبي؛ لأن قوله:

كأنك في جفن الردى وهو نائم

هو معنى قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف

فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر؛ لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته، فهذا هو حقيقة الموت. وقوله: «تمر بك الأبطال» هو النهاية في التطابق للمكان الذي تُكْلَم فيه الأبطال فتكلح وتعبس، وقوله: «ووجهك وضاح» لاحتقار الأمر العظيم.

(١٨٥) كلمى: جمع كليم، بمعنى جريح. وهزيمة: أي منهزمة، وهو من باب فعيل بمعنى مفعول، والتاء فيه للجمع، على مذهب البصريين. ووضاح: مشرق. والمعنى ظاهر، ولكن الإمام العكبري أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسجوعة الجميلة، قال: أي تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين، وكلمى مستسلمين، وذلك لا يثني عزمك، ولا يضعف نفسك، بل كنت حينئذٍ وضاحًا غير متخوف، وبسامًا غير متضجر، واثقًا من الله بنصره، متيقنًا بما وصلك به من جميل صنعه. قال: وهذا كما قال مسلم بن الوليد:

يفترُّ عندَ اقتراب الحرب مُبتسمًا إذا تغيرَ وَجهُ الفارس البطلِ

(١٨٦) النهى: جمع نهية؛ وهي العقل. وإلى قول قوم: صلة «تجاوزت»، وتتمة البيت: مفعول القول. يقول: أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب، وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها. يعني أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة، وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكفي في مثله العقل والرصانة، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك، فلبثت في تلك الحال وضاحًا بسامًا لا تكترث لما تراه حولك من الأهوال. قال ابن جني في تعليقاته على هذا البيت: في آخره بعض التنافر لأوله؛ لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينًا؛ لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة لكان أليق بعلم الغيب، إلا أنه كان في ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها. ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت.

(١٨٧) يريد بالجناحين: ميمنة الجيش وميسرته، وهما جانبا العسكر، ولما سماهما جناحين جعل رجالهما خوافي وقوادم. والجناح: يشتمل على القوادم وهي من الريش ما فوق الخوافي، قيل: إنها عشر ريشات في مقدم جناح الطائر، وعليها معوله في طيرانه، والخوافي: ما تحت القوادم. يقول: لففت جناحي العسكر — عسكر الروم — على القلب فأهلكت الجميع. وقوله: تموت الخوافي تحتها: أي تموت تحت مثل هذه الضمة؛ ولذلك عبر بالمضارع.

(١٨٨) بضرب: متعلق بضممت. والهامات: الرءوس. واللبات: النحور. يريد سرعة انتصاره عليهم، يقول: لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك. وقال ابن جني: إذا ضربت عدوًّا فحصل سيفك في رأسه لم تعتد ذلك نصرًا ولا ظفرًا، فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته، فحينئذٍ يكون ذلك عندك نصرًا ولا يرضيك ما دونه. وعبارة ابن فورجة — وهي في عراض ما قلناه: إنما عنى أبو الطيب سرعة وقوع النصر، وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف المضروب به من الهامة إلى اللبة، كأنه يقول: نازلت العدو والنصر غائب، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر.

(١٨٩) الردينيات: الرماح، نسبة إلى ردينة، امرأة باليمامة كانت هي وزوجها يعملان الرماح. يقول: تركت القتال بالرماح وازدريتها؛ لأنها سلاح الجبناء، أما سلاح

الشجعان فهو السيف، لاقتضائه مقاربة ما بين الفريقين في القتال؛ لهذا عمدت إليه واخترته. ولما آثرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح؛ لأنه يطعن من بعيد، والسيف من قريب، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء. وعبارة العكبري — التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردها لجمالها — قال: إنك طرحت الرماح واستقللت فعلها، وعدلت إلى السيوف عالمًا بفضلها، واعتمدتها لخبرتك بأمرها، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وإهانتها تسخطًا لفعلها.

(١٩٠) البيض: السيوف. والخفاف: المرهفة. والصوارم: القواطع. ومفاتيحه: أي مفاتيح الفتح.

(١٩١) الأحيدب: جبل الحدث. ونثرتهم: فرقتهم. يقول: نثرت جثثهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس؛ يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت. قال العكبري: وهذا من محاسن أبي الطيب، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم في الروم قتلًا وأسرًا، ونثر جيشهم فوق هذا الجبل نثرًا.

(١٩٢) وكر الطائر: موضع مبيته، والجمع: وكور. والذرا: أعالي الجبال. يقول: إنك تتبعهم بخيلك في رءوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطير حول وكورها. وعبارة بعض الشراح: تدوس بك الخيل في آثار الروم وكورَ الطير في رءوس الجبال وقنن الأوعار، وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور بكثرة من قتلته هنالك فرسانك، ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمانك، وأشار بذلك — أي كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاح مواضعها وامتناع أماكنها — إلى ما كان الروم عليه من شدة الهرب، وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب، وأنهم قتلوهم في رءوس الجبال، وأدركوهم في أبعد غايات الأوعار.

(١٩٣) الفتخ: جمع فتخاء؛ إناث العقبان، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران، والفتخ: لين المفاصل. والأمات: جمع أم فيما لا يعقل، وقد جاء فيه: أمهات؛ حملًا على من يعقل. والعتاق: كرام الخيل. والصلادم: جمع صلدم، وهي الفرس الشديدة الصلبة. يقول: تظن فراخ العقبان — لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها — أنها أمهاتها. يعني أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمرًا، كما قال:

نظرُوا إلى زُبَرِ الحديد كأنما　　　يَصْعَدْنَ بينَ مناكِب العِقْبَانِ

وقال ابن الإفليلي: تظن فراخ العقبان؛ لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى، أنك زرتها بأماتها فأمددتها بمطاعمها وأقواتها، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك، وكثرة كتائب جيشك.

(١٩٤) الصعيد: وجه الأرض. والأراقم: الحيات فيها سواد وبياض. يقول: إذا زلقت الخيل في صعودها الجبال جعلتها تمشي على بطونها في تلك المزالق مشي الحيات على بطونها في الصعيد. يصف صعوبة مراقيها في الجبال.

(١٩٥) الدمستق: صاحب جيش الروم. وأقدم: خلاف أدبر. وقوله: قفاه — إلى آخر البيت — حال من الضمير في «مقدم». يقول: أكل يوم يقدم عليك الدمستق، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلًا له: لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب في قفاه.

(١٩٦) الليث: الأسد. ويذوقه: معناه يجربه ويختبره — يقال: ذاق ما عند فلان؛ أي جربه — والضمير: لليث. يشير إلى أن الدمستق أجهل من البهائم؛ لأن البهائم إذا شمت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم، وهذا على طريق التمثيل، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة، ومبلغ شجاعته، فيأتيه مقاتلًا ثم ينهزم، ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم.

(١٩٧) فجعه: رزأه بشيء يكرم عليه، وجمع فَعْلَة: فَعَلات — بفتح العين في الصحيح — وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة. والصهر: أهل بيت المرأة. ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، وأهل بيت المرأة أصهار، يقال: صاهرت القوم: إذا تزوجت فيهم، وأصهرت بهم: إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج. وقال ابن الأعرابي: الصهر: زوج بنت الرجل وزوج أخته، والختن: أبو امرأة الرجل وأخو امرأته. ومن العرب من يجعلهم أصهارًا كلهم، ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعًا. والغواشم: التي لا تبالي من أخذت. يقول: هلا اعتبر بمن رزئه من هؤلاء فلا يجترئ على العود إلى الإقدام؟ وعبارة العكبري: يريد أن حمَلات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران، الغواصب لأنفس الفرسان، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض له ما أسلف سيف الدولة من الإيقاع؟

(١٩٨) الظبا: جمع ظبة؛ حد السيف. والهام: الرءوس. والمعاصم: جمع معصم؛ أطراف السواعد. يقول: انهزم وهو يشكر أصحابه؛ لأن السيوف اشتغلت بهم عنه، فكأنهم وقوه السيوف برءوسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف.

(١٩٩) المشرفية: السيوف. قال أهل اللغة: المشارف: قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرفية منسوبة إليها، يقال: سيف مشرفي ولا يقال مشارفي؛ لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن، لا يقال مهالبي ولا جعافري ولا عباقري. يقول: إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنها تقتلهم، فجد في الهرب، مع أن أصوات السيوف عجماء؛ أي ليست ذات لفظ يفهم. والمعنى: إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون.

(٢٠٠) يقول: إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته؛ لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له، إذ نجا هو واشتغل عسكرك بها عنه، وليس سروره جهلًا بحالته، وإن الذي انتهبت أمواله ليس من شأنه أن يسر، ولكنه حين نجا برأسه غانم وإن كان مغنومًا؛ أي لا يبالي بغيره إذا نجا هو، لأن المسلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب. قال العكبري. وهذا مثل قول بسطام بن قيس في المثل: السلامة إحدى الغنيمتين.

(٢٠١) التوحيد: خبر أول لـ «لكن»، وهازم: خبر ثانٍ. يقول: لست في هزمك الدمستق ملكًا هزم ملكًا مثله، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك؛ لأنك سيف الإسلام وزعيمه، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه، فكلاكما زعيم ملته.

(٢٠٢) الضمير في «به»: لمليك: قال العكبري: ولو كان بدل الهاء «كاف» لكان أجود حتى يكون مخاطبًا، وعدنان: أبو العرب. وربيعة: بطن من عدنان؛ وهي قبيلة سيف الدولة. والعواصم: بلاد قصبتها أَنْطَاكِيَة. يقول: إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم، وليس يفتخر بك رهطك فقط، وأنت فخر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا.

(٢٠٣) يريد بالدر: شِعره. يقول: المعاني لك واللفظ لي، فأنت تعطيني المعاني بأفعالك ومناقبك، وأنا أنظمها بتقييدها فيه. وفي مثل هذا يقول ابن الرومي:

ودُونك من أقاوِيلي مَدِيحًا   غَدا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَ النظامُ

(٢٠٤) تعدو: تجري وتسرع. والوغى: الحرب. يقول: إني أمتطي في الغزو خيلك التي أعطيتنيها، فلست مذمومًا في أخذها؛ لأني شاكر أياديك ناشر ذكرك، ولستَ أنت نادمًا على ما أعطيتني؛ لقيامي بحق ما أوليتني.

(٢٠٥) «على»: صلة تعدو، ولك أن تجعلها من صلة «نادمًا»؛ أي لست نادمًا على هبتك لي كل فرس طيار، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال: أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال في الحرب طار إليها برجله عوض الجناح. يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة. والغماغم: الأصوات المختلطة، هي أصوات المتحاربين. وما أبدع قول ابن المعتز — ولعل بيت المتنبي ينظر إليه:

وليلٍ ككُحل العينِ خُضتُ ظلامه — بـأَزْرَقَ لَـمَّـاعٍ وَأَخْـضـرَ صـارِمِ
وطـيـارَةٍ بـالـرجْـل خـوفًـا كـأنـمـا — تُصَافِحُ رَضراضَ الحصى بالجماجمِ

(٢٠٦) يقول: أنت السيف لا يتضمنه غمد؛ إذ هو دائمًا مجرد على أعدائه، وليس يرتاب — يشك — في هذا أحد، ولا يعصم — لا يحمي ولا يمنع — منك شيء، لا حصن ولا حديد. ويروى: لست وفيك ومنك.

(٢٠٧) الهام: الرءوس. والعلا: المراتب العالية. وأنك سالم: فاعل هنيئًا، وهي حال محذوفة العامل، والأصل: ثبت هنيئًا، فحذف الفعل وقامت الحال مقامه. وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئًا بأوفى من هذا. يقول: لتهنأ هذه المذكورات بسلامتك؛ لأنك قوامها، فضرب الهام أنت أحذق الناس به، والمجد أنت أكسب الناس له، والعلا أنت جامع شملها وراجي مكارمك التي لا تمطل بفضلها، والإسلام لأنك أعززته.

(٢٠٨) لِم: استفهام إنكار، وأصلها: «لم» بفتح الميم فسكنها، وهو مخصوص بالضرورة. و«ما» من قوله «ما وقى»: ظرفية زمانية. وتفليقه: حال من الرحمن. يقول: لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيانته للأشياء — أي أبدًا — وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه؟

(٢٠٩) راع: أفزع وخوف. والاستفهام استفهام تعجب. وكذا: نائب مفعول مطلق؛ أي روعًا كهذا الروع الذي أرى! والهمام الملك العظيم الهمة. وسح الماء: صبه. يقول: هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك؟ وجعل توالي الرسل إلى حضرته كسح الغمام، يعني هل أفزع ملك قبله كل الملوك فزعًا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام؟

(٢١٠) دانت: أطاعت. وقيام: أي قائمة — كأنه من باب صاحب وصحاب — يقول: هل أطاعت الدنيا أحدًا كما أطاعته وخضعت له، فأصبح جالسًا لا يسعى في تحصيل مراد، وقامت الأيام تسعى في تحصيل ما تريد؟

(٢١١) اللمام: الزيارة القليلة، قال جرير:

بنفسيَ من تجنُّبُهُ عزيز عليَّ ومَن زيارتُهُ لِمام

يقول: إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك، لكنه لا يكتفي حتى يبلغ أقاصي بلادهم.

(٢١٢) الأزمان: جمع زمن، وزمن مقصور من زمان. وفي الناس: صلة «تتبع»، والخطو: نقل القدم! والزمام: ما تقاد به الدابة. يقول: إن الزمان يتبعه ويجري في الناس على مراده؛ فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان، حتى كأن لكل زمان زمامًا في يده يقوده به كما يشاء. يشير إلى قوة سعده وإقبال جده.

(٢١٣) الغبطة: حسن الحال. يقول: إنك تحسن إليهم وترعاهم، فهم آمنون ما كانوا عندك، والذين أرسلوهم إليك يخافونك؛ لأنهم ليسوا على أمان منك، فلا تنام أجفانهم خوفًا منك، وقد بين ذلك في البيت التالي. هذا؛ ولمناسبة «ليس» من قوله: ليس تنام، قال العكبري: «ليس» هنا تحتمل أمرين؛ أحدهما: أن يكون استعملها استعمال «ما»، كقول العرب: ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيبويه، والثاني: أن يكون في «ليس» ضمير، وحذف تاء التأنيث ضرورة، والأجود أن تكون بمعنى «ما» فتخلو من الضمير؛ لأنه إذا جعلها فعلًا ماضيًا فالواجب أن يقول: ليست تنام.

(٢١٤) حذارًا: مفعول له، وهو مصدر حاذر. واعروري الفرس: ركبه عريانًا. وقوله إلى الطعن: متعلق بمعروري. والقبل: جمع أقبل وقبلاء؛ وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسًا وعزة نفس. وقيل معنى قبلًا ها هنا: مقبلة. تقول: أقبلت قبله؛ أي قصدت نحوه. يقول: هم لا ينامون حذرًا من سيف الدولة الذي يركب الخيل عريًا إلى الحرب؛ يعني لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوبها.

(٢١٥) الضمير من «فيه» في المصراعين: للطعن المذكور في البيت السابق. والأعنة: جمع عنان؛ سير اللجام. والسياط: جمع سوط؛ ما يضرب به الراكب. يقول: إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها انقادت كما تنقاد بالعِنان، وإذ زجرت بالكلام قام ذلك مقام

السياط، قال العكبري: أراد أن يقول: والأعنة معارفها، فما صح له الوزن، ولو صح لكان حسنًا، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف.

(٢١٦) القنا: الرماح. يقول: لا غناء إلا بالرجال والفرسان، فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام.

(٢١٧) فيما وهبت: متعلق بملام. يقول: إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم اللائمين لك في العطاء؛ أي كما أنك لا تصغي إلى ملامة لائم في سخائك، فكذلك لا تقبل الهدنة، وهذا هو المدح الموجه.

(٢١٨) الذمام: العهد. وطواعة: حال؛ أي طائعًا، وعاذ به عوذًا: لجأ. يقول: إن كنت لا تعطي الروم عهدًا وصلحًا طواعية فَلِيَاذُهُمْ بك يوجب لهم الذمام؛ لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة، وإن كان عدوًّا؛ أي فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم. ثم أكد هذا بالبيت التالي.

(٢١٩) أممتك: قصدتك. والحرام: الذي لا يستباح. يقول: إن من قصدك راجيًا صار منيعًا بقصدك وحرمت إراقة دمه؛ لأنها قد دخلت في حرمتك، وراجيك لا يضيع.

(٢٢٠) الملك والمليك: واحد. وسيفك: مفعول خافوا، والواو: للحال. وتسام: تُكَلَّف. والجوار: مفعول ثانٍ لتسام. يقول: إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف، وهم — الروم — إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى.

(٢٢١) البيض الخفاف: السيوف، يقول: هم لا يحاربونك بسيوفهم، بل يتفرقون بها عنك منهزمين، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التي يتلطفون فيها لمسألتك ويتضرعون إليك، يشير إلى عجزهم عن مقاومته في الحرب وازدحامهم عليه في السلم.

(٢٢٢) الضمير من «قلوبها»: للنفوس. والحمام: الموت. يقول: إن حلاوة النفوس تغر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشًا فيه ذل أو تختار الهرب خوف القتل، وذلك العيش هو الموت في الحقيقة، بل هو شر من الموت، كما ذكر في البيت التالي.

(٢٢٣) الزؤام: العاجل، أو السريع الوحي المجهز، وقيل: الكريه. ويضام: يظلم. لما جعل عيش الذليل موتًا آخر، قال: هو شر الموتين؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الذل والغيظ والهوان.

(٢٢٤) اسم «كان» يعود على قوله: ما أتوا له. والغرام: الشر الدائم الملازم وما لا يستطاع أن يتفصَّى منه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي ملحًّا دائمًا

ملازمًا. يقول: لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور؛ لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضًا، ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أيامًا، فكان ذلك ذلًّا لهم وعارًا ملازمًا.

(٢٢٥) المن هنا: النعمة. وفرسان الثغور: يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة والمصيصة، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة، وأن يؤخر عنهم الحرب أيامًا، وذلك ما لا يكادون يقدرون على طلبه إليه بأنفسهم، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان، فلهؤلاء الفرسان المنة؛ إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم. فقوله: «ومن»: عطف على «ذل». ويرام: يطلب.

(٢٢٦) الكتائب: جمع كتيبة؛ الجماعة من الجيش. وخام عن اللقاء: جبن ونكص على عقبيه. يقول: هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدموا — اجترءوا — عليك بهذا الخضوع، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقائك.

(٢٢٧) تقول: هو في ذَراه: أي في ظله وكنفه. يقول: إنهم تعودوا إحسانك قديمًا؛ إذ كانوا في كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك.

(٢٢٨) الميمون: ذو اليمن والبركة. والغارة: الحرب. وتوالى: تتتابع. والمراد بالصلاة والسلام: التعظيم. يقول: كلما سرت في غارة صلوا عليك وسلموا إعجابًا بك وتعظيمًا لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم، وهذا البيت — والذي بعده — توكيد للبيت السابق.

(٢٢٩) يقول: إن الكرام يقتدون به؛ لأنه إمامهم.

(٢٣٠) القتام: الغبار. وأراد بالجواب: الجيش. يقول: رب جيش أقمته مقام جواب كتاب كتب به إليك، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب. هذا، وعنوان الكتاب: ما يعرف به؛ سمي كذلك لأنه يعن الكتاب من ناحيتيه — أي يعرض — وأصله: عُنَّان كرمان، وكلما استدللت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له، كما قال حسان يرثي عثمان:

ضَحَّوْا بأشمط عنوان السجُود به   يُقَطِّع الليل تسبيحًا وقرآنًا

والعنوان بالضم هي اللغة الفصيحة، قال أبو داود الرؤاسي:

لمن طللٌ كعنوان الكتاب ببطن لُوَاقَ أو بطن الذهاب

(هذا هو النص الصريح لهذا البيت، ولواق: أرض معروفة. والذهاب: موضع.)
وقال أبو الأسود الدؤلي:

نظرْت إلى عُنوانهِ فنبذْتَه كنبذك نعلًا أخْلقتْ من نِعالِكا

قال الليث: والعلوان: لغة في العنوان غير جيدة. وقد يقال: عنوان وعنيان.

(٢٣١) البيداء: الأرض القفرة البعيدة. والنشر: خلاف الطي. وختام الكتاب: الطين الذي يختم به. وفضه: كسره. يقول: تضيق البيداء بهذا الجواب ولم ينشر ولم يفض عنه الختم؛ يعني أنه جيش كثير تضيق به الأرض الواسعة قبل انتشاره، فكيف إذا انتشر وتفرق للحرب والغارة؟ وقد استعار الفض والختم وهما للكتاب والجواب لما جعل الجيش كتابًا وجوابًا، وهو تخيل بديع رائع

(٢٣٢) الجواد: الفرس الكريم. والرمح الذابل: اللين. الحسام: السيف القاطع. لما جعل الجيش جوابًا جعل حروف هجائه هذه الأشياء. أي أنه ألف من هذه الأشياء كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء.

(٢٣٣) أَذَا الحرب: أي يا صاحب الحرب. ويروى: أخا الحرب، يقال: هو أخو كذا أي ملازم له معروف به، ولهي الرجل عن الشيء من باب علم: اشتغل عنه وتركه. يقول: لقد أتعبت الحرب؛ أي أتعبت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها، فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل.

(٢٣٤) عمر الرجل يعمر — من باب فهم: أي طال عمره. يقول: إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها في الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عامًا واحدًا؛ لأنك لا تهادن العدو أكثر من هذه المدة. وعبارة العكبري: إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة، وغاية أعمارها عندك عام لا تتجاوزه؛ لأن الانكسار يسرع إليها بمداومتك الطعن وأمد مهادنتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك، وتكسر الرماح فيهم على سجيتك، وما تترك عادتك.

(٢٣٥) السمر: الرماح. واللهام: الكثير الذي يلتهم كل شيء. يقول: ما زلت تفني الرماح بكثرة استعمالها في وقائعك مع كثرتها، وتفني بفنائها الجيش الكثير من الأعداء.

(٢٣٦) الجالون: النازحون الذين أخرجوا من ديارهم. والهام: الرءوس. يقول: متى عاد الروم — الذين تركوا ديارهم خوفًا منك بالهدنة التي أجبتهم إليها — إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو، وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرءوس.

(٢٣٧) الكاعب: التي قد بدا ثديها للنهود. يقول: لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربو أولادهم لتسبيهم، وقد صارت البنت كاعبًا والابن شابًّا؛ أي صاروا بحيث يصلحان للسبي. قال العكبري: يشير إلى أن مسالمة سيف الدولة ضرب من التدبير؛ لأنهم يعاودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسبيهم. هذا، وقوله: حتى تصيبها؛ أي حتى تكون العاقبة إصابتك إياها. على حد قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.

(٢٣٨) يقول: جاراك الملوك فيما نهجته من المكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم، ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم، وأصل هذا في الخيل تجارى، فإذا ونى بعضها سبقه الذي لم يلحقه الكلال.

(٢٣٩) يقول: فليس لشمس منهم — من الملوك — إنارة مع ما يبدو من نورك، ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل. يعني: أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك، وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك. وعبارة بعض الشراح: أي من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده، فلا إنارة له، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك.

(٢٤٠) الإصماء: إصابة المقتل في الرمي، يقال: رماه فأصماه: إذا أصاب مقتله. والمرام: المطلب. يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به، كالرامي يصيب فؤاد مرميه فيقتله لساعته. وقوله: تربى … إلخ؛ أي إنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم، ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش، وبأسه كالسهام التي لا تنفذ إلا بالريش الذي عليها. وقال ابن جني: يحتمل أمرين؛ أحدهما: أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه الممدوح بسهامه؛ أي إن الطائر يكون فرخًا فلا يكمل حتى يتم ريشه، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد، والآخر: أن الأعداء يربون ريشهم؛ ليأخذه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له. والعرب تكني بالريش عن حسن الحال، راش فلان فلانًا، كأنه جعل له ريشًا ينهض به.

(٢٤١) يقال: أقطعه أرض كذا: إذا جعل له غلتها رزقًا. والإقطاع: اسم لتلك الأرض، من التسمية بالمصدر. والطرف: الفرس الكريم. والحسام: السيف القاطع. يقول: إن

جميع ما أتصرف فيه ويضاف إلي من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له، وصل إلي من نعمته. وقد أجمل النابغة هذا المعنى في قوله:

وما أغفلْتُ شكرَكَ فانتصِحْني وكيف ومن عطائك جُلُّ مالي؟!

وقد فصله النابغة أيضًا فقال:

وإنَّ تِلَادي إن نظرْتُ وَشِكَّتي ومُهري وما ضمتْ إليَّ الأنامِل
حِباؤكَ والعِيسُ العِتاق كأنها هِجانُ المها تَرْدِي عليها الرحائل

(الشكة: ما يلبس من السلاح. والحباء: العطاء. والرديان: ضرب من السير بين العدو — الجري — والمشي الشديد. وجملة عليها الرحائل: حال. والرحائل: جمع رحالة؛ سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد.)

وقال أبو نواس:

وكلُّ خير عندَنا من عنده

(٢٤٢) البيض: السيوف. والقنا: الرماح. والعبدَّى: العبيد، جمع عبد. والغمام: السحاب. وهاطلات: ساكبات. يقول: وأسير كذلك فيما أمطرني به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية؛ يعني أنه وهبه العبيد بسلاحها.

(٢٤٣) الضمير في «فرسانه وكرامه»: للإقليم، والإقليم: واحد أقاليم الأرض. قال ابن دريد: لا أحسب الإقليم عربيًّا، وقال الأزهري: وأحسبه عربيًّا. وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سمي إقليمًا؛ لأنه مقلوم من من الإقليم الذي يتاخمه، أي مقطوع.

(٢٤٤) خوله كذا: ملكه إياه. والنوال: العطاء. يقول: إنه يجازيني بنواله إذا مدحته بما أستفيده من الأدب من كلامه. وهذا أغرب من قوله أبي تمام:

نأخذ من مالِه ومِن أدبِه

قال بعض الشراح: يشير إلى قصة الواقعة التي ذكرها في القصيدة التي مطلعها:

طِوال قَنًا تُطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نَدًى وَوَغًى بِحَارُ

وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها. يقول: أقطعني هذه الأرض جزاء لما مدحته به في القصيدة المذكورة، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص علي من كلامه، فالفضل فيها له، لا لي.

(٢٤٥) أراد بالشمس التي في لثامه: وجهه. يقول: لا زال باقيًا بقاء الشمس، فكلما طلعت في السماء كان وجهه طالعًا بإزائها، وأضاف السماء إليه مبالغة في المدح، كما قال الفرزدق:

لنا قمراها والنجوم الطوالع

وقال ابن جني: أضاف السماء إليه لإشراقها عليه، كما قال الآخر:

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أذاعَتْ غزلها في القرائب

(بعده:

وقالت: سماءُ البيت فوقكَ مُنْهِجٌ ولـمَّـا تُـيسِّـرْ أحـبُـلًا لـلـركـائـب

والخرقاء: المرأة التي لا تحسن عملًا، ومنه: الخرقاء صاحبة ذي الرمة، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوًا، وقال أخرزيها لي، فقالت: إني خرقاء: أي لا أحسن عملًا. قالوا: فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف، ولم تستعد للشتاء استغزلت قرائبها عند طلوع سهيل سحرًا، وهو زمان مجيء البرد، فبسبب هذه الملابسة سمي سهيل كوكب الخرقاء، وسهيل: بدل أو عطف بيان لكوكب الخرقاء، وأذاعت: فرقت، وجملة قالت في البيت الثاني عطف على «أذاعت». والسماء: السقف. والمنهج: من أنهج الثوب؛ إذا أخذ في البلى. وأحبل: جمع حبل، وهو الرسن ونحوه. والركائب: الإبل التي يسار عليها. أي وقالت لزوجها: سماء البيت فوق مخلق ولما تيسر للركائب أحبلًا فكيف تنتجع على هذه الحالة؟)

أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه.

(٢٤٦) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر. وتعجب: أي تتعجب. يقول: لا زال باقيًا على توالي الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرًا آخر لكماله، ولكنها تتعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تامًّا.

(٢٤٧) كان سيف الدولة قد أرسل سرية، ففزع الناس لخيل — جيش — لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب، فوجد السرية قد ظفرت. وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم، فأنشد سيفُ الدولة متمثلًا ببيتي النابغة الذبياني:

ولا عَيبَ فيهم غير أن سُيوفَهمْ بهنَّ فُلولٌ من قِرَاع الكتائبِ
تُخُيِّرْنَ من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التجاربِ

فقال أبو الطيب هذه الأبيات.

«والفلول: الثلوم. والكتائب: فوق الجيش. وتخيرن: أي السيوف. وحليمة: امرأة كانت تطبهم إذا قاتلوا، وفيها المثل المشهور: وما يوم حليمةَ بسرٍّ، وإلى اليوم: صلة تخيرن. وقد جربن: حال». والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان، ومطلعها:

كِليني لِهمٍّ يا أَمَيمةُ ناصبِ وليل أقاسيه بطيء الكواكب

يمدح قومه يقول: لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلمة من قراع الجيوش، وهذا على الحقيقة فخر لهم، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم. ثم قال في البيت التالي: هي من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا، وقد جربت بكل وجهٍ من وجوه التجارب؛ يعني أنه لم يكن بها عيب، فلما انتهت إلى نوبة الممدوحين تثلمت لما نالها من شدة القراع.

(٢٤٨) النَّيل: العطاء. وأوسع العطاء ونحوه: بسطه، وكثَّره. وحديثهم: بدل تفصيل من الشعراء. يقول: إنك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين، ثم بين ذلك في البيت التالي.

(٢٤٩) بقى — بفتح القاف — هي لغة طيئ، ومنه قول زيد الخيل الطائي:

لعَمرُكَ ما أخشَى التصعلُك ما بقَى　　على الأرضِ قَيْسِيٌّ يسوق الأباعِرا

يقول: تعطي الباقين منهم — أي الأحياء — عطاء جزيلًا، والماضين شرفًا عظيمًا بأن تنشد أشعارهم وتتمثل بها استحسانًا لها فيكون ذلك شرفًا عظيمًا لهم.

(٢٥٠) زياد: اسم النابغة الذبياني، والنابغة لقب غلب عليه. ونشيدًا: مفعول مطلق، وضعه موضع الإنشاد.

(٢٥١) الغبطة: أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد. ورم العظم يرم رمة: بلي، فهو رميم، وقوله: أعظمه الرميما: وصف الأعظم — وهي جمع — بالمفرد؛ لأن فعيلًا وفعولًا يستوي فيهما المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، قال تعالى: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. يقول: لم أنكر موضع زياد من الشعر، وأنه أهل لأن تنشد شعره، لكني غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف. هذا، ومما يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يومًا في مجلسه قول المتنبي:

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الفْتَى شَرَفٌ لَهُ　　إِذَا لَمْ يَكُنْ فِـي فِـعْـلِـهِ وَالْـخَـلَائِقِ

وجعل يردده استحسانًا له، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر الأندلسي، فأنشد ارتجالًا:

لئن جاد شعرُ ابن الحُسينِ فإنما　　بِقَدْرِ العطايا واللُّها تفتح اللَّهَا
تنبأ في نَظْمِ الْقَرِيضِ ولو دَرَى　　بـأَنَّـكَ تَـرْوِي شـعـرَه لـتـألَّـهـا

(٢٥٢) ذكر: جمع ذكرى، كأنهم حملوه على مؤنث التاء فجمعوه على حد سدرة وسدر — وهو قياس عند الفراء. والصبا بمعنى اللهو والتصابي. ومراتع — بالجر — معطوف على الصبا، ويروى بالرفع عطفًا على ذكر. والمراتع: جمع مرتع؛ الموضع ترتع فيه الدواب: أي ترعى كيف شاءت، ويروى: مرابع، جمع مربع؛ المكان الذي يربعون — يقيمون — فيه، يريد ديار الأحبة. والآرام: الظباء البيض، وأراد بهن النساء، جمع رئم — على القلب المكاني — والحمام: الموت. يقول: إن ذكر الصبا ومراتع النساء اللائي أهيم بهن جلبت علي حالة هي والموت سواء، يعني شدة وجده على فراقهن، فكأنه مات قبل موته لشدة الوجد.

(٢٥٣) الدمن: جمع دمنة؛ ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم، ودمن: خبر مبتدأ محذوف؛ أي تلك المراتع دمن. والعرصات: جمع عرصة؛ ساحة الدار. يقول: لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت همومي شوقًا إلى من كان بها كتكاثر لوامي في حبهن.

(٢٥٤) وكفت: أي قطرت وسالت، ويروى: وقفت. وعروة بن حزام: هو صاحب عفراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين. شبه هطلان السحاب في تلك الدمن ببكاء عروة بن حزام على فراق صاحبته. يريد كثرة ما تجري عليها السحب من المطر، بدليل أنها محت آثار تلك الديار، ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام:

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

(السحاب جمع؛ ولذلك وصفها بالغر. وترقا: هو ترقأ، فخفف، ورقأت الدمعة: جفت وانقطعت.)

ومثله لمحمد بن أبي زرعة:

كَأَنَّ صَبَّيْنِ بانا طُول لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا المُقَلَا

(٢٥٥) الكعاب: الجارية بدا ثديها للنهود. يقول: طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هي — الكعاب: أي محبوبته — عتابي حتى أفحمتني عن الكلام، فأنا أذكر من كان بهذه الدمن، وأرتحل عنها فيزيد وجدي وشوقي.

(٢٥٦) المجانة: مثل الخلاعة، والماجن: الذي لا يبالي بما يتكلم به. والشرة: الحدة والنشاط. والبطر والعرام: الشراسة، وقيل: الخبث. قال شبيب بن البرصاء يصف إبلًا سمنت وحملت الشحوم:

كأنها من بُدُنٍ وإيفارْ دَبَّتْ عليها عارماتُ الأنبارْ

(الأنبار: جمع نبر، وهو دويبة شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدبها. والبدن والبدن: السمن والاكتناز. وإيفار: مأخوذ من الشيء الوافر — ويروى: وإيقار — يريد أنها قد أوقرت من الشحم. يقول: من سمنها ووفور شحمها، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها.)

يقول — مخاطبًا نفسه: حين كنت شابًّا لم تبتلَ بالفراق وما كنت تدري وجد

الفراق وشدته بعد، وكنت تهزأ به لهوًا وغفلة واستخفافًا، تمرح في شرتك وعرامك غير مبالٍ بما ستلاقيه من الشدائد.

(٢٥٧) القباب: جمع قبة، والمراد بها: الهوادج. واسم «ليس»: ضمير الشأن، والقباب على الركاب: مبتدأ وخبر، والجملة: خبر «ليس». والركاب: الإبل. وتروى القباب — بالنصب — قال العكبري: من روى القباب بالنصب: جعله خبر «ليس» ويكون المعنى: ليس الذي تعاينه القباب. يقول: ليس هذا الذي تراه هوادج الأحبة على الإبل، ولكنها الحياة ترحلت عنا، يعني أنه يموت بعد فراقهن.

(٢٥٨) النوى: البعد. والضمير في خفافهن: للركاب — الإبل — وأراد: أخفافهن؛ لأن خف البعير يجمع على أخفاف. والخفاف: جمع الخف؛ الملبوس، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزًا. يقول متمنيًا: ليت الذي خلق الفراق جعل أعضائي لأخفاف الإبل التي تحملوا عليها حصًى حتى تطأني بأخفافها.

(٢٥٩) متلاحظين (متلاحظين: رواه الواحدي هكذا على التثنية، وقد رواها العكبري على صيغة الجمع): حال من فاعل «نسح» قدمت على العامل فيها وهو نسح. ونسح: نسكب، والشئون: جمع شأن؛ مجرى الدمع من الرأس. وفي الأكمام: متعلق بنسخ. يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع، يقول: كانت الحبيبة تنظر إلي وأنا أنظر إليها لدى الوداع، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكمه خوفًا من الرقباء. والأكمام: جمع كم، والكم: الثوب مدخل اليد ومخرجه، والذي في العكبري: الآكام بدل «الأكمام»، والآكام: جمع أكمة. وهي التل، والأكمام أقرب.

(٢٦٠) انهملت: انسكبت. يقول: ليست الدموع — التي أجريناها — بدموع، ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفادها، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل:

وليس الذِي يجرِي من العينِ ماءَها ولكنَّها رُوحي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

(٢٦١) سجام: غزيرة كثيرة. يقول: لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه — أي يوم الرحيل — مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة، لكنها كانت سجامًا غزيرة. يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه. هذا، و«كن» الثانية زائدة، والعرب قد تجعل الكون زائدًا في الكلام، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ على زيادة «كان»، وأنشد الفراء:

سراة بني أبي بكر تَسَامَى　　　على كان المسَوَّمَةِ الْعِرَابِ

(المسومة: المعلمة بعلامة لتترك في المرعى، أو هي من قولك: سومت فلانًا، إذا خليته وسومه؛ أي وما يريد. والعراب: التي ليس فيها عرق هجين. وتسامى — بحذف إحدى التاءين — أي تتسامى، من السمو، وهو العلو. يقول: سراة هذه تختال على تلك الخيول.)

و«كان» في هذا البيت زائدة بلا خلاف.

(٢٦٢) الضمير في يتركوا: للراحلين. والأسى: الحزن. والذميل: ضرب من السير سريع. والدعبلة: الناقة السريعة، وأراد بفحل النعام: الذكر. يقول: رحلوا وتركوني وحيدًا لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدًا عليهم، وسير ناقة كالظليم في عدوها وسرعتها في الفلوات.

(٢٦٣) يقول: تعذر وجود الأحرار — أي الكرام — حرم علي ركوبها — أي الناقة — إلا للقصد إليك؛ لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار، فأنا أتجنب ركوبها إلا إليك كما أتجنب فرجًا حرامًا علي إتيانه — يعني الزنا — وهذا من قول أبي نواس:

وإذا الْمَطِيُّ بِنَا بَلغنَ مُحَمَّدًا　　　فظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ

وأخذه مهيار الديلمي فقال:

يا ناقُ ويْحَكِ عَجِّلي تَصِلي　　　هذا المنَى فلْيَهنْكِ الطَّلَبُ
فإذا وَصَلْتِ بِنَا قِبَابَ قُبًا　　　لا مَسَّ ظَهْرَكِ بعدَها قتَبُ

وهو معنى قديم متداول.

(٢٦٤) الغريبة: اسم لما يستغرب، والتاء فيه للاسمية — كما في عجيبة ونحوها — وعبارة الواحدي: الهاء في «الغريبة» للمبالغة لا للتأنيث، كما يقال: راوية وعلامة. وقال التبريزي: أنت أعجوبة غريبة، كما تقول: داهية دهياء. ويقال: ولد المولود لِتِمام وتَمام: بالكسر وبالفتح. يقول: أنت غريبة هذا الزمان؛ لأن أهله كلهم ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم.

(٢٦٥) النوال: العطاء. والعلم: العلامة التي يعرف بها الشيء. يقول: لم تزل يعرف بك الإفضال والإنعام؛ أي لم تزل منعمًا مفضلًا. وعبارة بعض الشراح: أي إن الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويهتدى إليهما بأفعالك، فأنت كالعلامة لهما.

(٢٦٦) يقول: إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام؛ لأن أفعالك أكبر منها، وكبرت عن أن تشبه بشيء، فيقال: كأنك كذا، وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ الحنكة بعد، وهو أشرف لك وأمدح. وعبار بعض الشراح: أي صغرت الأفعال الكبيرة بأفعالك؛ لأن أفعالك أكبر منها. وكبرت عن أن تشبه بغيرك؛ لأنك لم تدع لأحد مزية عليك. مع أنك إذا عددت أيامك لم تتجاوز سن الغلام. هذا، واللام من «لكأنه»: للتوكيد، وأراد قول القائل: لكأنه فلان أو كأنه الأسد أو البحر، فحذف خبر «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه، واستغنى عن ذكر القول بالحكاية. وقال العكبري: وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدًّا، والقياس لا يمنع منه؛ لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام، وقولك: كأن زيدًا عمرو، مؤدٍّ عن قولك: كعمرو زيد، فجاز دخول اللام على الكاف، كما جاز في قولك: لزيد أفضل من بكر.

(٢٦٧) رفل يرفل في ثيابه رفلًا: إذا أطالها وجرها متبخترًا فهو رافل. ورفِل رفلًا: فهو رفِل: خرق — حمق — باللباس وكل عمل، أنشد الأصمعي:

في الرَّكْب وَشواشٌ وفي الحي رَفِلْ

«الوشواش: الخفيف السريع.» الحلل: جمع حلة، قالوا: ولا تكون الحلة إلا ثوبين، وقال ابن شميل: الحلة القميص والإزار والرداء. والإعدام: الفقر. يقول: إن عليك من الثناء حللًا تتبختر فيهن؛ يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه، ونهاية الإعدام — الفقر — هو عدم الثناء لا عدم الثراء. وعبارة بعض الشراح: كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده؛ أي أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين، فكان بذلك هو الثري، لأن ثناءهم باقٍ والمال يغدو ويروح.

(٢٦٨) ترى: أراد أن ترى، فحذف «أن». وقوله: بسيف؛ أي مع سيف. والوغى: الحرب. والصمصام: السيف، وهو الصارم — القاطع — الذي لا ينبو عن الضريبة. يقول: أنت سيف في حدَّتك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف.

(٢٦٩) «كان» الأولى ناقصة، والثانية تامة، بمعنى وجد، وهي خبر الأولى. و«أو هو كائن»: عطف على الخبر. وقوله: فبرئت ... إلخ: قسم. يقول: لم يكن مثلك ولا يكون. قال الواحدي: هذا من المدح البارد الذي يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا — إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه.

(٢٧٠) يقال: زها الرجل فهو مزهو: إذا تكبر وتاه، فكان حقه أن يقول: زُهِيَتْ إلا أنه جاء به على لغة طيئ في قولهم: بقى في بقي، كذلك قال: زُها في زُهِيَ فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة. وقال ابن منظور: قال ابن سيده: وقد زُهيَ الرجل على لفظ ما لم يسم فاعله، وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل، مثل: زُهي الرجل، وعُني بالأمر ونُتجت الشاة والناقة وأشباهها، وحكى ابن دريد: زها يزهو زهوًا: أي تكبر، ومنه قولهم: ما أزهاه! وليس هذا من زُهي؛ لأن ما لم يسم فاعله لا يتعجب منه، قال الأحمر النحوي يهجو العتبي والفيض بن عبد الحميد:

لنا صاحبٌ مُولع بالْخِلافْ　　كثيرُ الخطاء قليلُ الصوابْ
ألجُّ لَجَاجًا من الْخُنْفِساء　　وأزْهى إذا ما مشى من غرابْ

قال الجوهري: قلت لأعرابي من بني سليم: ما معنى زُهي الرجل؟ قال أعجب بنفسه، فقلت: أتقول: زها، إذا افتخر؟ قال: أما نحن فلا نتكلم به. يقول: افتخرت بك الأيام على الأيام التي مضين ولم تكن فيهن.

(٢٧١) تخاله: تظنه. والورى: الخلق. والحلم: الأناة والعقل. ومن حلمه: أي من أجل حلمه. يقول: لرجاحة حلمه على أحلام — عقول — الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه.

(٢٧٢) تكشفت: ظهرت. وأراد بالأوحدي: الأوحد، فزاد الياء للمبالغة. وأصل الإبرام: فتل الحبل ونحوه، والنقض ضده. يقول: إذا اختبرته ظهرت لك عزائمه صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرًا أو نقضه.

(٢٧٣) البنان: أطراف الأصابع. والنيل: العطاء. والذمام هنا: الحق. ونصب «قضاء»: على الحال، ويجوز أن يكون مفعول «يرض»، وبالدنيا: صلته. يقول: إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرضَ بها في قضاء حقك.

(٢٧٤) مهلًا: مفعول مطلق نائب عن فعله؛ أي أمهل مهلًا. وألا: استفتاح. ولله: كلمة تعجب. والقنا: الرماح. وقوله: في عمرو حاب: أراد عمرو بن حابس — بطن من أسد — فرخم المضاف إليه. قال الواحدي: وذلك غير جائز؛ لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفًا، والكوفيون يجيزونه في غير النداء وينشدون:

أبا عُرْوَ لا تَبْعَدْ فكلُّ ابْنِ حُرَّة   سيدْعُوهُ داعِي موْتِهِ فيُجِيبُ

(عرو: مرخم عروة. ولا تبعد: أي لا تهلك، وهو دعاء خرج بلفظ النهي. فإن قيل: كيف قال: لا تبعد وهو قد هلك؟ فالجواب: أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت، ولهم في ذلك غرضان: أما أولهما: فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل، وكأنهم لا يصدقون بموته، والثاني: أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى؛ لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته. وقوله: فكل ابن حرة: أراد فكل ابن امرأة.)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أيا عرو. وقال العكبري: ذهب أصحابنا — يريد الكوفيين — إلى جواز ترخيم المضاف، وأوقعوا الترخيم في آخر الاسم المضاف إليه، وحجتهم: أنه قد جاء في أشعار العرب القدماء، كقول زهير بن أبي سلمى:

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكرم وَاحْفَظوا   أَوَاصِرَنا والرَّحمُ بالغيبِ تُذْكر

(من أبيات قالها زهير لبني سليم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان. والحظ: النصيب. يقول: صونوا حظكم من صلة القرابة، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة، فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم. وعكرم: ترخيم عكرمة، وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر. والأواصر: جمع آصرة، وهي ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف. والرحم: موضع تكوين الولد، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء: رحم، فالرحم خلاف الأجنبي، وهي مؤنثة في المعنيين.)

وقد جاء الترخيم في قول جرير:

أَلَا أَضْحَت حبالُكُمُ رِمَامَا   وأَضْحَتْ مِنْكَ شاسِعَة أُمَامَا

(قال الأعلم: الرمام: جمع رميم، وهو الخلق البالي. يريد أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما. وقال غيره: الرمام: جمع رمة — بالضم — وهي القطعة البالية من الحبل، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير.)

فهذا ترخيم في غير النداء، على من قال: يا حار بالكسر. وضبة: قبيلة مشهورة.

والأغتام: جمع غتم، جمع أغتم، ورجل أغتم وغتمي: لا يفصح شيئًا، والغتمة: عجمة في المنطق، والغتم في الأصل: قطع اللبن الثخان، ومنه قيل للثقيل الروح: غتمي. والغتم: شدة الحر والأخذ بالنفس، قال الراجز يصف إبلًا:

حرَّقها حَمْضُ بِلَادٍ فِلٍّ وغتْمُ نجم غيرِ مستقل

(الفل: الأرض القفرة. وأفللنا: أي صرنا في فل من الأرض، ومنه يقال: فلان فل من الخير؛ أي خالٍ من الخير.)

فما تكاد نِيبُهَا تولِّي

أي غير مرتفع لثبات الحر المنسوب إليه، وإنما يشتد الحر عند طلوع الشعرى التي في الجوزاء. قال الواحدي: جعل هؤلاء أغتامًا؛ لأنهم كانوا جاهلين حين عصو حتى فعل ما فعل.

(٢٧٥) قال العلامة العكبري: يروى: المنية بدل الأسنة، وليس بشيء، والأصح الأسنة، ولهذا قال: وهن. فجمع الضمير في المبتدأ والخبر، ومن روى المنية أراد بها المنايا، وليس هو بشيء، إلا أني وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أخل بشيء على حسب الطاقة.

(٢٧٦) الخلل: فرجة ما بين الشيئين، ونصبه على الظرفية. يقول: غزوتهم في عقر دارهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجسامًا بلا رءوس كأن رءوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها.

(٢٧٧) البيض: جمع بيضة، وهي الخوذة. والقتام: الغبار. وأحجار: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هناك أحجار ناس. يصف المعركة وكثرة القتلى. يقول: صارت الأرض دمًا، وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض، وصارت الخوذ نجومًا لامعة في سماء من الغبار. وبعبارة أخرى: انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة، منبثة على أرض من الدم، وامتلأ الهواء خوذًا تلمع كالنجوم في سماء من الغبار.

(٢٧٨) وذراع: عطف على قوله: أحجار ناس. وحالت: تحولت وتغيرت. يقول: هناك أحجار ناس، وهناك ذراع كل أبي فلان؛ أي ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبا فلان، فلما قتل حالت كنيته فصار صاحب تلك الكنية يقال له: أبو الأيتام؛ لأن بنيه صاروا

يتامى بهلاكه. هذا، وقد نصب كنية — كما قال الواحدي — على الحال من أبي فلان، وتقديره كل أب لفلان؛ لأن كل إذا كان واحدًا في معنى جماعة لا يكون إلا نكرة، كما تقول كل رجل وكل فرس، وهذا كما يقال: رب واحدِ أمه لقيت، ورب عبدِ بطنه ضربت، على تقدير رب واحد لأمه، ورب عبد لبطنه، والإضافة يراد بها الانفصال. وقال ابن جني: ويجوز نصبها بأعني.

(٢٧٩) وخيله محجمة: مبتدأ وخبر، والجملة: حال سدت مسد خبر عهدي، ويروى: وخيله — بالجر — عطفًا على معركة. ومحجمة: بالنصب على الحال. والنقع: الغبار. والإحجام: التأخر. يقول: لم أعهد معركته إلا على هذه الحال، فخيله مقدمة أبدًا تتأخر عن التأخر؛ أي تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه.

(٢٨٠) رام: طلب. ومنالك: أي غايتك التي تنالها. يقول: من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمرًا لا مطلب فيه: أي لا يفوز طالبه، وهذا البيت منحول في الصحيح، لم يروه الواحدي؛ لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة، لقبه به المتقي العباسي، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

(٢٨١) الصلاة من الله: الرحمة والبركة. وصوب الغمام: المطر. يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا، وقوله: غير مودع: حال. قال الواحدي: وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلبًا وإن فارقت شخصًا. ويجوز أن يكون من جهة الفأل، ذكره كالاحتراس لمكان ذكر أبويه وهما قد ماتا: أي وأنت حي لا يودعك أهلك. ويجوز أن يكون المعنى: أن روحي صحبتك فأنت مشيع غير مودع.

(٢٨٢) القمقام: السيد الكثير الخير الواسع الفضل، وأصله البحر؛ لأنه مجتمع الماء، من قولهم قمقم الله عصبه: أي جمعه وقبضه. وأراد بشقيقه: أخاه ناصر الدولة.

(٢٨٣) روق الجيش: أوله ومقدمته، وأصله القرن، فاستعاره. والأرعن: الجيش المضطرب لكثرته. والغطم: البحر الكثير الماء. واللهام: الجيش الكثير يلتهم كل شيء. يقول: إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده، ولم يكن معه من أهله أحد، وهو قائد جيش يلتهم كل شيء ولا يخشى شيئًا.

(٢٨٤) تفرست: تأملت. والمنايا: جمع منية؛ الموت. يقول: أنتم قوم تأملتكم المنايا وخبرتكم فرأتكم في الحرب صبرًا كرامًا، وإذا صبروا في الحرب كانت المنايا إليهم أسرع. قال العكبري: وكان الوجه أن يقول فيهم: فرأت لهم، كما تقول: أنتم قوم لهم وفاء، ولكنه حمله على المعنى؛ لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح.

(٢٨٥) الهام: الرءوس. يقول: منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا.

(٢٨٦) العقبى: العاقبة. وعلى: متعلقة بيمين. يقول: من حلف على أن عاقبة الحرب له — أي أنه ظافر لا محالة — كانت العاقبة الندم؛ لأنه ربما لا يظفر، والقسم لا يزيد في الإقدام؛ لأن الجبان لا يقدم وإن حلف. يشير إلى تكذيب البطريق الذي حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلقى سيف الدولة في بطارقته ويجتهد في لقائه بهم ففعل فخيب الله ظنه، فذكر المتنبي ذلك يرد عليه ويهجوه، وكأنه يقول: لو كنت ممن إذا قال وفى لم تحتج إلى اليمين، وماذا يزيدك: يروى: «ماذا يفيدك».

(٢٨٧) في اليمين: خبر مقدم عن الموصول — في الشطر الثاني — يقول: إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده؛ لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين.

(٢٨٨) آلى: حلف. وابن شمشقيق: بطريق الروم. وأحنثه: ألجأه إلى الحنث، وهو نقض الحلف في اليمين. والكلم: الكلام. يقول: أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فتًى — يعني سيف الدولة — أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعده.

(٢٨٩) فاعل: عطف على قوله فتى، وما اشتهى: مفعول فاعل. والفعال: جمع فعل. يقول: وأحنثه رجل يفعل ما يريد؛ لأنه ملك لا معارض له، ويغنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه. أي إنه موثوق بقوله لكرمه، وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله.

(٢٩٠) الضراب: أي المضاربة. والسأم: الضجر، وهو فاعل «يمسها». يقول: كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال.

(٢٩١) يقول: لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لسار إليهم بنفسه؛ لأن همته لا تدعه يترك القتال. وقوله: «حتى لا تحمله» بحذف إحدى التاءين: أي تتحمله، قال ابن جني: الاختيار فيه الرفع؛ لأنه فعل الحال من «حتى» كأنه قال: حتى هي غير متحملة له، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله.

(٢٩٢) البطريق: القائد من الروم. ومفرق الملك: يريد رأسه. والملك: لغة في الملك. يقول: أين ذهبوا وأين يمينهم التي أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة،

وما زعموا من أنهم يثبتون على قتاله ويظفرون به، والزعم كناية عن الكذب، يعني أن كل ذلك كان كذبًا.

(٢٩٣) وليته الأمر تولية فتولاه: أي باشره. والصوارم: السيوف القواطع. والقمم: جمع قمة، وهي الرأس. يقول: ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال، فكذبتهم سيوفه بقطع رءوسهم، وجعلها — أي السيوف — كالألسنة تعبر عن تكذيبهم. ولما جعلها ألسنة جعل رءوسهم كالأفواه؛ لأنها — السيوف — تتحرك في تلك الرءوس تحرك اللسان في الفم. وهو تخيل بديع رائع.

(٢٩٤) نواطق: نعت ألسنة، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم، وهذا البيت تفسير للمصراع الثاني من البيت السابق. يقول: إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب، وبما جهلوا منه؛ لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة.

(٢٩٥) الراجع: بمعنى المرجع، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة. يقول: هو — سيف الدولة — الذي يرد الخيل عن غزواته وقد حفيت من كثرة المشي، يقودها فرسانها قودًا راجعًا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم، وليس يريد أن «وبار» كان أهلها إرم، وإنما يريد أن الديار التي رد عنها خيله كانت كوبار خرابًا، وأهلها كإرم هلاكًا. ووبار: مدينة قديمة الخراب. قيل: كانت من مساكن عاد: أي من كل مدينة مثل وبار، وإرم: جيل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال: إنهم من عاد.

(٢٩٦) تل بطريق: بلد بالروم. وقنسرين: كورة بالشام بالقرب من حلب. ويقال لها أيضًا: قنسرون، من ألزمها الياء أعربها إعراب ما لا ينصرف، ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم. هذا، وقال الجوهري في ترجمة قسر: وقنسرون: بلد بالشام — بكسر القاف والنون مشددة تكسره وتفتح — وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لعكرشة الضبي يرثي بنيه:

سقى الله فتيانًا ورائي تركْتهم　　　بحاضر قنَّسرين من سَبَل القطر

(قال ابن بري: صواب إنشاده:

سقى الله أجداثًا ورائي تركنها

وحاضر قنسرين: موضع الإقامة على الماء من قنسرين، وبعد البيت:

لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أكفًّا شِدادَ القبض بالأسَل السُّمر
يُذكرُنيهم كل خير رأيته وشرٍّ فما أنفك منهم على ذُكر

يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويجتنبون الشر، فإذا رأيت من يأتي خيرًا ذكرتهم، وإذا رأيت من يأتي شرًّا لا ينهاه عنه أحد ذكرتهم.)

والأجم: مكان بقرب الفراديس، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار: يعني من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغتر ساكنها بأن دارك بعيدة عنه، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة.

(٢٩٧) ظنهم: معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله: بأن دارك؛ أي واغتروا بظنهم. وعادها: انتابها. يقول: واغتروا بظنهم أنك كالمصباح في حلب، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت؛ يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة.

(٢٩٨) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه. يقول: ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تعم كل مكان بضيائها وإن كانت بعيدة، إلا أنهم جهلوا الحقيقة، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا؛ إذ لم يعرفوا أنهم بتحريكهم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان.

(٢٩٩) سروج: بلد قرب حران. والناظر: العين؛ أي كانت غافلة عن قدومك فلم تنتبه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها. أو تقول: لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر.

(٣٠٠) النقع: الغبار. وحران: بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج. وبقعتها: ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء، وقال: هي مكان كالبطحاء يعرف ببقعة حران، قال: ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع؛ لأن النقع — وهو الغبار — إذا أخذ حران فقد أخذ بقعتها، فلا يحتاج إلى ذكره. أما ابن جني وجماعة معه فقد رووها بضم الباء، وقد فسروها بأنها المكان الواسع من الأرض. وتسفر: من سفور المرأة وهو أن تكشف عن وجهها. يقول: انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقعتها — وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش — وحتى حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانًا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسناء تسفر أحيانًا ثم تعود فتلتثم.

(٣٠١) سحب: خبر عن محذوف يرجع إلى الجيش. وحصن الران: موضع من عمل سيف الدولة. وممسكة: أي بخيلة بالمطر؛ شبه جيشه بالسحب لكثرته وانتشاره. يقول: تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه، وليس إمساكها هذا بخلًا وإنما هو إشفاق على دياره، وهذه السحب نقم، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء.

(٣٠٢) التاء — في تطاوله — للأرض، والهاء: للجيش؛ أي تطاول الأرض جيشك، أي تغالبه طولا. والأمم: القرب، يقال: أخذت ذلك من أَمم أي من قرب، وداري أمم داره: أي مقابلتها، وأصله القصد الذي هو الوسط. والأمم: اليسير، يقال: ما سألت إلا أممًا، وقال زهير:

كأن عيني وقد سال السليل بهم وجيـزةٌ مـا هُـمُ لـو أنـهـم أمـم

(قال ابن بري: ويروى:

وعبرة ما هم لو أنهم أمم

والسليل: وادٍ واسع غامض. قال ابن بري: قوله: سال السيل بهم؛ أي ساروا سيرًا سريعًا. يقول: انحدروا به، فقد سال بهم، وقوله: ما هم: «ما» زائدة، و«هم» مبتدأ، وعبرة: خبره؛ أي هم لي عبرة. ومن رواه: «وجيرة ما هم» فتكون «ما» استفهامية؛ أي أيُّ جيرة هم؟)

يريد: أي جيرة كانوا لو أنهم بالقرب مني؟ يقول: بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه، ثم بين هذا البيت التالي.

(٣٠٣) علم الأرض: هو الجبل. وعلم الجيش: الراية. يقول: كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر. وكذلك هذا الجيش، كلما مضت كتيبة منه برايتها جاءت كتيبة أخرى، فلا الأرض تفنى ولا الجيش يفرغ. هذا، وقد جاء في «أمالي ابن الشجري» ما يأتي: قال الخطيب التبريزي: لو قال — المتنبي: وإن مضى عالم، لكان أحسن؛ لأن تكرار العلم كثير في البيت. قال ابن الشجري: ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحًا في صناعة الشعر؛ لأنه أتى بذكر العلم — الذي هو الجبل — مرتين، فوجب أن يقابله بذكر العلم — الذي هو الراية — مرتين، وإذا قال: مضى عالم، دل على كثرة الجيش، فكذلك

ذكر العلم يدل على كثرة الجيش؛ لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة، وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما في التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعضه ببعض بحرف عطف أو شرط أو غيرهما من المعلقات، وقد جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾، وأيضًا فيه: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾ والتكرار في هذا النحو حسن مقبول، وإذا ورد التكرار في الكتاب العزيز علمت أن التكرار في بيت المتنبي غير معيب، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ في بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد.

(٣٠٤) شزب: عطف على جيش، أو على علم — الأخير — وهي جمع شازب: الفرس الضامر، وخيل شزب: ضوامر. والشعرى: يريد الشعرى اليمانية؛ نجم يطلع في فصل الصيف، فهي تعد من نجوم القيظ؛ لأن طلوعها حينئذٍ يكون من طلوع الشمس. والشكائم: جمع شكيمة؛ الحديدة المعترضة في فم الفرس. والحكم: جمع حكمة، ما أحاط من اللجم بالحنك. يقول: وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل. يعني لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صارت مكان الحكم مثل الوسم — الكي.

(٣٠٥) سمنين: موضع. والنشيش: صوت الماء وغيره إذا غلا، يقول: حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشداقها لشدة حرارة الحديد. يريد أنها كانت محماة، فلما أصابها الماء نشت، ويريد أنها — لسرعتها — وردت الماء وشربت بلجمها.

(٣٠٦) وأصبحت: أي الخيل. وهنزيط: موضع ببلاد الروم. والظبا: جمع ظبة؛ حد السيف، والظبا: فاعل ترعى، والجملة: حال من قرى. يريد في خصيب منها. واللمم: جمع لمة؛ ما ألم بالمنكب من الشعر. يقول: أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل، والسيوف ترعى منها في مكان خصيب نبته الشعور؛ يعني رءوسهم. وعبارة ابن جني والواحدي: إن السيوف ترعى في مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم، يعني أن السيوف تصل من الرءوس إلى مكان مثل ما يصل إليه المال الراعي — الماشية — في البلد الخصيب.

(٣٠٧) فما تركن: أي الظبا — السيوف. والخلد: ضرب من الفأر ليست له عيون. قال ابن جني — وكذلك الواحدي: يقول: إن أهل الروم كانوا فريقين؛ فريقًا دخلوا

المطامير والأسراب كالفأر إذا ريعت من شيء دخلت جحرها، وفريقًا توقلوا — صعدوا — في الجبال واعتصموا بها كالبازي يطير علوًّا، فجعل من دخل الأسراب خلدًا ذات أعين، ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام؛ لأنه يريد بالفريقين ناسًا. والمعنى: ما تركت السيوف إنسانًا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازي إلا أهلكته. وعبارة ابن القطاع: ما تركن من هو في ضعفه وخفاء مكانه كالخلد، إلا أنه ذو بصر — يعني إنسانًا — ولا تركن من هو كالبازي في ارتفاعه إلا أنه ذو قدم؛ يعني إنسانًا.

(٣٠٨) الهزبر: الأسد. واللبد: جمع لبدة، كقربة وقرب، وهي زبرة الأسد. أي ما على كتفيه من الشعر. والمهاة: البقرة الوحشية، توصف بحسن العيون. والحشم: الخدم، وهي حاشية الرجل العظيم. يقول: ولا تركت السيوف بطلًا كالهزبر له مكان اللبدة درع، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها؛ يعني نساء من الأمراء والأشراف.

(٣٠٩) الشفرات: جمع شفرة؛ حد السيف. والباترات: القاطعات. ومكامن الأرض: الخفيات منها. والغيطان: جمع غائط. المطمئن من الأرض. والأكم: جمع أكمة؛ التل. يقول: إنهم لوشك حينهم — هلاكهم — وحلول آجالهم لم يجدهم — ينفعهم — الهرب، ولم ينجهم من القتل، حتى كأن المواضع التي هربوا إليها من الغيطان والجبال كانت تقذف بهم وترميهم على حدود السيوف.

(٣١٠) أرسناس: نهر معروف ببلادهم. ومعصمين: أي ممتنعين، وأصله أن يتمسك الراكب بشيء خوفًا من أن يصرعه فرسه. يقول: قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانِّين أنه يعصمهم منك، وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم منك؟ لأنك تقطعه وتركبه بالسفن والجسور وراءهم.

(٣١١) الطود: الجبل. والشمم: العلو والارتفاع. والبيت توكيد للبيت السابق. يقول: إن سعة بحارهم لا تصدك عنها؛ لأنك تقطعها وإن كانت واسعة، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها؛ لأنك تعلوها وتصدعها.

(٣١٢) الضمير في ضربته: للنهر، وهو أرسناس. وقدمًا: أي إقدامًا؛ حال. يقول: ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهي تحمل قومًا يرون التلف في الإقدام سلامة؛ أي لا يهابون التلف، بل يتهافتون عليه. وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

يستعذبون مناياهم كأنهم   لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

(٣١٣) تجفل — في المصراعين بحذف إحدى التاءين — أي تتجفل، والتجفل: الإسراع في الذهاب. واللبات: جمع لبة؛ أعلى الصدر. والغارة: الخيل الغائرة على العدو. والنعم: المواشي، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. يقول: إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهي سابحة فتتتابع مسرعة كما تنهزم المواشي عند الغارة عليها فتنهزم وتجفل مسرعة.

(٣١٤) تقدمهم: أي تتقدمهم، والضمير من «فيه» للنهر. والرمم: العظام البالية. والحمم: بوزن صرد؛ الرماد والفحم، وكل ما احترق بالنار، الواحدة: حممة، وفي الأثر: إن رجلًا أوصى بنيه عند موته فقال: «إذا أنا مت فأحرقوني بالنار، ثم إذا صرت حممًا فاسحقوني، ثم ذروني في الريح لعلي أضل الله.» وقال طرفة:

أشجاك الربعُ أم قِدَمُه؟ أم رماد دارس حممهْ؟

يقول: عبرت النهر متقدمًا رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله فصاروا رممًا، وأحرقت مساكنهم فصاروا حممًا، وذلك البلد هو تل بطريق.

(٣١٥) وفي أكفهم: أي أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكرهم في قوله: حاملة قومًا. وأراد بالنار: السيوف؛ جعل السيوف نارًا، اضطرامًا وإهلاكًا. أو لما فيها من البريق واللمعان. يقول: إنها — السيوف — نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار، وهي نار تضطرم إلى هذا اليوم؛ أي تتوقد وتبرق. وقال ابن جني: يريد سيوفًا كالنار في الصفاء والجوهر. وقبل المجوس: يريد أنها قديمة، وعبارة الخطيب التبريزي: يريد بالنار: السيوف، شبهها بالنار اضطرامًا وإهلاكًا. وعبادتهم السيوف: اشتمالهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والمسيحيون بالصلب.

(٣١٦) هندية: أي هي سيوف منسوبة إلى الهند. وقال العكبري: جزم الشرط ولم يأتِ له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه، والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فعلين أن يكونا مستقبلين، ويجوز أن يكونا ماضيين، ويجوز أن يكون الشرط ماضيًا والجواب مضارعًا، وبالعكس — كهذا — وهو أضعفها؛ لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب. وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيًا والجواب مضارعًا جاز فيه الجزم والرفع، وأنشد بيت زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة   يقول لا غائب مالي ولا حَرِمُ

(الخليل: المحتاج المعدم والفقير المختل الحال. والمسغبة: المجاعة. وحرم: أي ممنوع.)

وهذا قول مردود؛ لأن سيبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر، والشرط معترض، ويقول: خبر «لا» جواب، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: يقول. ووجه التأخير: أن المعنى يقول: لا غائب مالي إن أتاه خليل.

(٣١٧) الهاء من «قاسمتها» و«لها»: للنار؛ أي السيوف. وتل بطريق: مفعول ثانٍ لقاسمتها. والضمير من أبطالها: لتل بطريق. يقول: قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة — تل بطريق — فجعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء.

(٣١٨) بهم: أي بالأطفال والحرم. والزبد: رغوة الموج. والتيار: الموج الذي ينضح — يرش. والمقربة في الأصل: الخيل المدناة من البيوت، لكرمها وإعدادها للغارة. والجحافل: جمع جحفلة، وهي لذي الحافر كالشفة للإنسان. والنضح: الرش. والرثم: بياض في شفة الفرس العليا، يريد بالمقربة: السفر؛ جعلها كالخيل المقربة. يعني: عبر بالسبي الماء وهم في زوارق تشق زبد الأمواج. ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل، وجعل ما لصق من زبد الماء بها كالرثم في جحافل الخيل.

(٣١٩) دهم: أي هي — المقربة — دهم. وفوارسها: مبتدأ، وركاب: خبره. ومكدودة: أي مجهودة بسرعة السير — خبر آخر عن ضمير «المقربة». والألم: مبتدأ، خبره: بقوم. يقول: هي سود؛ لأنها مطلية بالقار، وفوارسها تركب بطونها، لا ظهورها، على خلاف الخيل إذا ركبت، وهي متعبة في سيرها. إلا أن ألم هذا التعب ينال من الملاحين لا منها هي؛ لأنهم هم الذين يعملون دونها.

(٣٢٠) الجياد: الخيل، والجار والمجرور: خبر آخر عن ضمير «المقربة». والشيم: الأخلاق. يقول: إن هذه السفن تعد من الخيل التي جعلتها كيدًا لأعدائك؛ لأنها تحمل جيوشك إليهم، إلا أنه ليس لها خلقة الخيل ولا طباعها.

(٣٢١) في وقت: صلة نتاج. وعلى عجل: بدل من الظرف قبله، والمراد بالحرف هنا: الكلمة. يقول: إن هذه السفن مما أحدثه رأيك في وقت قريب المدة كمدة فهم السامع ذي الفهم كلمة ينطق بها ناطق؛ أي كانت المدة في اتخاذها كالمدة التي يستغرقها فهم

السامع الفطن حرفًا، أي كلمة. قال الواحدي: ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم مما له معنًى: كـ «عِ» من وعيت، و«دِ»: من وديت.

(٣٢٢) الدرب: موضع. وغداة الدرب: أي غداة اليوم الذي كانوا فيه على هذا الموضع. وفي لجب: حال من فاعل «تمنوا»، واللجب: الصياح واختلاط الأصوات. وبكسر الجيم: نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته. يقول: أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأي — أي تحيروا — أو تقول: تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سددت عليهم مذاهب الرأي فصاروا من شدة الحيرة كالعميان. وقال الواحدي: عموا؛ أي غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا.

(٣٢٣) الخميس: الجيش. «والغرة» في الأصل: البياض في جبهة الفرس، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم. والسمهرية: الرماح. والغمم: كثرة الشعر وإسباله على الوجه. جعل الجيش كأنه فرس، وسيف الدولة في مقدمته كالغرة، والرماح المشرعة في أيديهم كالغمم؛ لكثرتها وتلززها، وهذا ينظر إلى قول الآخر:

فَلَوْ أنَّا شَهِدْنَاكُمْ نُصِرْنَا بِذِي لَجَبٍ أزَبَّ مِن العَوَالِي

(الأزب في الأصل: الطويل الشعر الكثيره. والعوالي: الرماح. واللجب: اختلاط الأصوات. وذو اللجب: الجيش.)

(٣٢٤) يسقطن: أي الجسوم، والجملة حالية. يقول: ثبتت أجسامهم أمامك؛ لأنك لم تترك لهم سبيلًا إلى الهزيمة، فسقطت حولك وانهزمت أرواحهم.

(٣٢٥) الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أعوج — فرس كريم كان بني هلال — وملء — في المصراعين — حال من الضمير في الظرف. والمشرفية: السيوف، يقول: إن الخيل كانت خلفهم مالئة الطرق لكثرتها، وجعل السيوف ملء اليوم؛ لأنها تعلو في الجو وتنزل عند الضرب في الهواء، فأينما كان النهار كانت السيوف، وهذا — كما قال الواحدي — مبالغة في القول، وإغراق في الوصف.

(٣٢٦) الضربات — بسكون الراء — للضرورة. والقلل: جمع قلة؛ أعلى الرأس. يقول: إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة في الهواء — لأن اليد ترفع للضرب — توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة في الهواء؛ يعني أنهم لا يضربون ضربة إلا قطعوا بها رأسًا، فالرءوس المقطوعة على قدر تلك الضربات، لا تخطئ لهم ضربة عن قطع رأس.

(٣٢٧) أسلم: ترك. وابن شمشقيق: بطريق من بطارقة الروم؛ أي قوادهم. وأليته: يمينه. وألا: أي أن لا، و«أن» هنا: للتفسير. ولا انثنى: حكاية اليمين. وينأى: يبعد. يقول: ترك يمينه التي حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك، فانهزم وأبعد في الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك.

(٣٢٨) الأقصى: الأبعد، ضد الأدنى — وقد طابق بينهما — والمهجة: الروح، وقوله فيسرق: أراد فهو يسرق، فرفعه. يقول: ليأسه من نفسه لا يأمل أن يستتم النفس البعيد — أي الطويل — فهو يغتنم أنفاسه القريبة سرقة من أيدي الأجل.

(٣٢٩) عنه: أي عن ابن شمشقيق. والقنا: الرماح. والسابغة: الدرع التامة الطويلة. والصوب: الانصباب. والديم: جمع ديمة؛ المطر الدائم في سكون. وفي أثنائها: أي في تضاعيفها ومطاويها. يقول: تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابغة، وقد تلطخت بالدماء التي تسيل من الأسنة عليها. وقال ابن جني: وقع الأسنة في هذه الدرع كديمة المطر تتابعًا.

(٣٣٠) العوالي: صدور الرماح. وليس تنفذها: حال. يقول: إن الرماح تؤثر في درعه؛ أي تجرحها، ولا تنفذها إلى جسمه، حتى كأن أسنتها أقلام تخط في القرطاس ولا تؤثر فيه ولا تخرقه.

(٣٣١) الغيث: المطر. وواراه: ستره وأخفاه. ومن شجر: بيان لـ «ما». وزل عنه: أخطأه. والرخم: جمع رخمة؛ طائر من الجوارح الكبيرة، يشبه النسر في الخلقة. يقول: إنه لما هرب استتر في الشجر فلم يبصره الفرسان، ولولا ذلك لقتل وألقي للطير، فكانت تجتمع — الطير — عليه فتواري شخصه، ودعا على الشجر الذي أخفاه بأن لا يسقى الماء.

(٣٣٢) الممالك: أي أصحاب الممالك. وقفلت: رجعت. يقول: ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر — الذي كسبته في هذه الغزوة — لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء.

(٣٣٣) مقلدًا: حال، العامل فيها: قفلت. وذا شطب: أي سيفًا في متنه طرائق، والضمير في «منهما»: للشكر والسيف. يقول: جعلت الشكر شعارك، وتقلدت فوقه سيفًا تجاهد به أعداء الله، ولا شيء يستديم النعم مثلهما. فقوله: لا تستدام ... إلخ: استئناف، قال العكبري: هو استئناف وليس بوصف لشكر الله، وذا شطب: لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة، والمعرفة لا توصف بالجملة، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة، فجرى مجرى قولك: مررت بزيد وجاءني رجل عاقلان؛ أي هما عاقلان؛ لأنك استأنفت الجملة.

(٣٣٤) يقول: لكثرة ما قتلت منهم كأن دماءهم صارت تطيعك. لعلمها بأنها لا تمتنع منك كلما أردت سفكها، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسالت دماؤهم قبل الضرب إجابة لك.

(٣٣٥) يريد بالحادثة: ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرهما. يقول: إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا حتف أنوفهم أو يهرموا من كبر السن، فيهلكون شبانًا أصحاء الأبدان. وبعبارة أخرى: إنك تفنيهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم، فما تترك منهم أحدًا حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم.

(٣٣٦) علي: اسم سيف الدولة. والمحاجر: جمع محجر، وهو ما حول العين — يريد جفونه — والحلم: الرؤيا في النوم. يقول: نفى الرقاد على عينيه نفس كبيرة لا تسكن إلى الأحلام ولا ما تزينه من بلوغ الآمال؛ لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أن يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزيمته. وقال العكبري: نفى رقاده عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو. ويفرج: تروى: يفرح — بالحاء المهملة.

(٣٣٧) القائم: إما بالرفع — على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي هو القائم — وإما بالجر بدلًا من «علي». يقول: هو القائم بالأمور يدبرها ويمضيها على وجهها، الهادي إلى دين الله، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب، وهداه في الدين. ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم؛ أي المهتدي.

(٣٣٨) عفره: ألقاه على العفر؛ أي التراب. وكوفان: اسم للكوفة، وأراد بالحرم: مكة. يقول: هو ابن الذي قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون في التراب وملك الكوفة والحرم. قال الواحدي: يعني حرب أبيه أبي الهيجاء للقرامطة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريقة مكة. قال العكبري: وأنث ضمير نجد — بقوله فوارسها — على إرادة الجهة. قال: ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب، وهو أجود من أن يعود على نجد.

(٣٣٩) يدًا: تمييز. يقول: متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريمًا، فلا كريم بعده؛ لأنه خاتمة الكرام، إذ هو أسخاهم يدًا.

(٣٤٠) يريد بشاعره: نفسه، ثم قال: قد فسد قول الشعر، فخليق به ألا يسمع، فالصمم حينئذٍ يحمد حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر.

(٣٤١) كفي: دعي واتركي. وأراني: يريد عرفني وأعلمني، وويك: أصلها ويلك، فحذفت اللام لكثرة الاستعمال، وهي كلمة تقال في مقام التعجب والإنكار. وهم: فاعل

أراني. والياء — في أراني — مفعول أول، ولومك: مفعول ثانٍ. و«ألوما» مفعول ثالث. وأنجم أي أقلع وذهب. قال الواحدي: يقال أنجمت السماء: إذاً أقلعت عن المطر. وأنجم المطر: أي أمسك. ولا يقال أنجم الفؤاد، ولا فؤاد منجم، ولكنه — المتنبي — استعمله في مقابلة أقام. يقول للعاذلة: اتركي عذلي، فقد أراني الهم — المقيم على فؤادي الراحل الذاهب مع الحبيب — أن لومك إياي أحق بأن يلام مني، وعلى هذا يكون «ألوما» مبنيًّا من الملوم، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًّا، وقال قوم: «ألوما» من المليم، وهو الذي استحق اللوم. يقول لها: الهم أراني لومك أبلغ في الإلامة واستحقاق اللوم، وهذا أبلغ في الشذوذ. وقال الواحدي: المعنى أراني الهم المقيم على فؤادي الراحل الذاهب مع الحبيب — أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد علي، وذلك أن المحزون لا يطيق استماع اللوم، فهو يقول: لومك أوجع في هذه الحالة، فكفي عني، وفيه نظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة:

تقولُ وَتُظْهرُ وَجْدًا بِنَا وَوَجْدِيَ لو أظهرت أوجد

وقال التبريزي: يحتمل المصراع الأول أن يكون مستغنيًا بنفسه؛ أي كفي لومك فإني أراني ألوم منك، أي أكثر منك لومًا لنفسي، فيكون «هم» مرفوعًا بابتداء مضمر؛ أي هذا هم، أو بفعل: أي أصابني هم.

(٣٤٢) خيال: عطف على «هم»، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوله، فإن الخيال اسم لما يتخيل لك لا عن حقيقة. يقول: لم يترك الهوى بجسمي محلًا من لحم ودم فيعمل فيه السقام، ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء.

(٣٤٣) وخفوق: عطف آخر على «هم»، والخفوق: والخفقان؛ اضطراب القلب. واللهيب: ما التهب من النار، ويريد بلهيب قلبه: ما فيه من حرارة الشوق والوجد، وعنى بالجنة: الحبيبة، يقول: لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة، والقصة واحدة، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالًا، ولكن الحبيبة لا تعذل على الهوى؛ ألا ترى إلى قول أبي حية النميري:

عَذَلَتْنَا في عِشْقِهَا أُمُّ عَمْرٍو هَل سمعتمْ بالْعَاذلِ المعشوقِ؟

والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينة في وداع محبوبته:

غَدَتْ مُقْلتِي في جنَّةٍ من جمَالها وقلبي غَدَا منْ حُبها في جهنم

(٣٤٤) الْحِبُّ: المحبوب. وأبرقت السحابة: أظهرت برقها. والعلقم: شجر مر يقال: هو شجر الحنظل، ويقال لكل شيء مر: علقم. استعار للصدود سحابًا، ولما استعار له سحابًا استعار له برقًا. يقول: إذا ظهرت مخايل الصدود ولاحت لوائحه زالت حلاوة الحب واستحالت إلى مرارة.

(٣٤٥) قال ابن جني: داهية: اسم التي شبب بها، وقال ابن فورجه: ليست باسم علم لها، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر؛ لعظيم ما حل به من بلائها، أي إنها لم تكن إلا داهية علي. قال الواحدي: والوجه قول ابن جني لترك صرفها في البيت، ولو لم تكن علمًا لكان الوجه صرفها. أقول: الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها؛ فمنعها من الصرف لذلك. يقول لوجه الحبيبة: لولاك ما تسلط الهزال على جسدي وما دق عظمي. والرض: الدق والكسر، ورضاض كل شيء: دقاقه، فالمعنى: ضعفت حتى كأني قد كسرت عظامي.

(٣٤٦) المعدم: الفقير، ذكره في مقابلة قوله: «أغناها». وسلاه وسلا عنه سلوًّا: نسي ذكره وذهل عنه. يقول: إن كان السلو قد أغناها عني فليست تحتاج إلى وصلي، فقد عدمتها وعدمت كبدي؛ لأن هواها أحرق كبدي، فأنا معدم — فقير — منها ومن كبدي، أي أنها سالية عني وأنا فقير إليها. وعبارة بعض الشراح: يريد أنها قد سلبت كبده بمحبتها، فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كبده وحبيبته؛ لأنه قد حرمهما جميعًا. هذا، ومعدمًا رواها ابن جني: «مصرمًا»، والمصرم والمعدم واحد. ومثلهما: المحمق والمماق والمبلط والمعسر والمقتر والمفلس، كل أولئك: الذي لا مال له. ومن كلام العرب: كلأ تيجع له كبد المضرم، وهو الذي لا مال له، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعيها في هذا الكلأ فأوجعته كبده.

(٣٤٧) نقوى: تثنية «نقا»، وهو الكثيب من الرمل، يقال في التثنية: نقوان ونقيان، وسمي الكثيب من الرمل نقا؛ لأن المطر إذا أصابه نقاه وغسله كما ينقى الثوب بالغسل. والفلاة: المفازة، وتقل: تحمل. يصف الحبيبة يقول: هي غصن — يعني قامتها — نابت على كثيبي رمل «يعني ردفيها» ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلًا مظلمًا.

(٣٤٨) يريد بالأضداد: ما ذكره في البيت السابق من دقة قامتها، وثقل ردفيها، وبياض وجهها، وسواد شعرها، وهذه — على تضادها — مجموعة في شخص متشابه

الحسن. يقول: لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص تماثل حسنه إلا لتجعلني هذه الأضداد غنمًا لغرمي؛ أي لما لزمني من عشقها وهواها، يعني: إلا لتستعبدني وترتهن قلبي. فقوله: «في متشابه» أراد شخصها الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه. والغرم: الغرام، وهو ما لزمه من عشقها وهواها. والمغنم: الغنيمة، وهو ما يغتنمه الإنسان، وأصله من مال العدو، ثم صار في كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة، ويروى: «لم تجمع الأضداد» على إسناد الفعل للحبيبة.

(٣٤٩) بهر الشيء: ظهر وغلب بظهوره، كالشمس تبهر النجوم. شبه هذه الأضداد بصفات الممدوح من كونه مرًّا على الأعداء، حلوًا للأولياء، طلقًا لدى الندى، جهمًا عند اللقاء — في الحرب — وما أشبه ذلك، وقال: إن هذه الصفات غلبت واصفيها فلم يقدروا على وصفها فأنطق واصفيه؛ لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه، ثم أفحمهم لعجزهم عن إدراكها، والإفحام: ضد الإنطاق، والمفحم: الذي لا يقول الشعر، وهذا ضرب من التخلص.

(٣٥٠) يقول: إنه يبتدرك بالعطاء، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك، كأنه أتى بجرم — أي ذنب — وهو في الأصل الكسب، يقال: جرم يجرم واجترم؛ أي كسب، وهو يجرم لأهله ويجترم: أي يتكسب ويطلب ويحتال، وجريمة القوم: كاسبهم، يقال: فلان جارم أهله وجريمتهم؛ أي كاسبهم، قال أبو خراش الهذلي يصف عقابًا شبه فرسه بها:

كأني إذ غدوت ضمنْتُ بَزِّي — من العِقبان خائتةً طلوبَا
جريمة ناهض في رأس نِيقِ — ترى لعظام ما جمعَتْ صليبا

(غدوت: أي للحرب. وبزي: أي سلاحي. وخائتة: أي منقضة. يقال: خاتت العقاب: أي انقضت. وطلوبًا: صفة لخائتة. وجريمة: بمعنى كاسبة. والناهض: فرخها. والنيق: أرفع موضع في الجبل. والصليب: ودك العظام. يقول عن هذه العقاب التي شبه بها فرسه: إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته وبقي عظامه يسيل منها الودك.)

(٣٥١) التعظم: إظهار العظمة، وضده التواضع، وهو أن يظهر الضعة من نفسه، ووضع التواضع موضع الضعة والخساسة، كما وضع التعظم موضع العظمة. يقول:

يرى شرفه وارتفاع رتبته في تواضعه، واتضاعها في تكبره، والمعنى: يرى العظمة في أن يتواضع، ويرى الضعة في أن يتعظم؛ أي فليس يتعظم.

(٣٥٢) الفعال: اسم للفعل الجميل. والمطال: المماطلة، وهي المدافعة. قال الواحدي: ولو قال «المقال»: لكان أحسن؛ ليكون في مقابلة الفعال. يقول: نصر فعله على القول، وعطاءه على المطل؛ أي يعطي ولا يعد ولا يماطل، كأنه يظن أن السؤال حرام على العطاء، ولا يحوج إلى السؤال، بل يسبق بعطائه السؤال. قال الواحدي: وهذا على المجاز والتوسع؛ لأن العطاء لا يوصف بأنه يحرم عليه شيء، ولكنه أراد أن يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال.

(٣٥٣) أراد بالجوهر: الأصل والنفس. وذو الملكوت: هو الله سبحانه وتعالى. يقول: أيها الملك الذي خلُص جوهرًا «أي أصلًا ونفسًا» من عند الله؛ أي أن الله تعالى تولى تصفية جوهره لا غيره، فهو جوهر مصفًّى من عند الله تعالى. قال الواحدي: وهذا مدح يوجب الوهم، وألفاظ مستكرهة في مدح البشر، وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه، حتى إذا رضي بهذا علم أنه رديء المذهب بادعائه الألوهية، وإن أنكر علم أنه حسن الاعتقاد، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه. وأسمى من سما: صفة لذي الملكوت، أما ابن جني فإنه يجعله للممدوح؛ لأنه قال: هو منادى، كأنه قال: يا أعلى من علا. قال: ويجوز أن يكون موضعه رفعًا، كأنه قال: أنت أعلى من علا.

(٣٥٤) لاهوتية: هي رواية ابن جني، قال: ونصبها على المصدر، ويجوز أن تكون حالًا من الضمير في «تظاهر». قال الواحدي: وهذا خطأ في الرواية واللفظ؛ لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته، والرواية لاهوتية. وتظاهر وظهر: بمعنًى، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون؛ أي أعان بعضه بعضًا. ولاهوتية: إلهية، وهي لغة عبرانية، يقولون لله تعالى: لاهوت، وللإنسان: ناسوت. وقال ابن جني: لو كان عربيًّا لكان اشتقاقه من أله الذي أدخل عليه الألف واللام فصار مختصًّا باسم الله تعالى — في أحد قولي سيبويه — ويكون بوزن الطاغوت، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب، ولو كان عربيًّا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت. يقول: قد ظهر فيك نور إلهي تكاد تعلم به الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

(٣٥٥) يهم: أي النور، وفصاحة: مفعول به، وأن يتكلما: صلة «يهم». يقول: ويهم هذا النور الإلهي لظهوره أن يتكلم فيك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواهم، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقًا، والمعنى:

لفصاحتك يفعل النور ذلك فيك. وإليك نص كلام الواحدي، قال: قال ابن جني: أي يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك، وهذا عند من يجوز زيادة «من» في الإثبات، وفيك — في أول البيت — يتعلق بأن يتكلم في آخره، وفيك: أي في مدحك ووصفك. قال الواحدي: وليس المعنى على ما ذكره — أي ابن جني — من وجهين؛ أحدهما: أنه جعل ظهور النور في كل عضو منه نطقًا، واللفظ لا يشعر به، إلا أن يقال: هم به ولم يفعله، والآخر: أنه لا يكون لقوله: «إذا نطقت فصاحة» فائدة؛ لأن قوله:

ويهم فيك كل عضو منك أن يتكلما

أفاد المعنى المراد، فيبقى ذلك الباقي لغوًا، والمعنى: أنه جعل النطق عبارة عن الظهور، وكان ينبغي أن يقول: هم بأن يظهر ولكنه لم يظهر، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل. وقال قوم: لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي — أعني به القوة الناطقة — وكان هو الموجب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال: يهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقًا. والمعنى: لفصاحتك يفعل النور ذلك.

(٣٥٦) يقول: أنا مستقيظ، ولكن لعظم ما أرى منك وغرابته أظن أني في الحلم. ثم عدل عن ذلك وقال: من يحلم بالإله حتى أحلم بك؟! يريد أن يثبت له الألوهية امتحانًا. وعبارة الشراح: أنا أبصرك وأظن أني أراك في النوم، قال هذا استعظامًا لرؤيته؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئًا يعجبه وأنكر رؤيته قال: أرى هذا حلمًا، أي أن مثل هذا لا يرى في اليقظة. وهذا كما قال الآخر:

أبَطْحاء مكة هذا الذي أراه عِيانًا وهذا أنا؟!

قال الواحدي: استفهم متعجبًا مما رأى، ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائمًا يدل على هذا باقي البيت، والمعنى: لا يحلم أحد برؤية الله تعالى، ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا؛ أي كما لا يرى الله تعالى في النوم، كذلك لا ترى أنت. قال الواحدي: وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد، ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم، فإن

الأخبار قد تواترت بذلك، وقد ذكر المعبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم. ويروى أن ملكًا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات، فقص رؤياه على المعبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظامًا لما رأى، حتى قال من كان أعلمهم: تأويل رؤياك أن الحق قد مات في بلدك لظلمك وجورك، وذلك بأن الله هو الحق، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب.

(٣٥٧) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق. يقول: قد عظم علي ما أعاينه من الممدوح وحاله حتى شككت فيما رأيت؛ إذ لم أرَ مثله ولم أسمع به حتى صار المعاين كالمتوهم المظنون الذي لا يدرك بالعيان، أي لا يرى.

(٣٥٨) يقول: إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه، غير أن تلك النقم في أموالك نعم على الأيتام؛ لأنها مفرقة فيهم. قال الواحدي: ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل؛ لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس.

(٣٥٩) ما ذا— في المصراعين — مركبة من «ما» النافية العاملة عمل «ليس» و«ذا» الإشارية. يقول: هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون، وحتى يقول بيت المال: ليس هذا مسلمًا؛ لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئًا. ومثل هذا قول أبي نواس:

جُدْت بالأموال حتى قيل: ما هذا صحيح

يريد أبو نواس: ما هذا صحيح العقل. وقد صرح بذلك في موضع آخر فقال:

جاد بالأموال حتى حسبوه الناس حُمْقا

وتبعه أبو تمام فقال:

ما زال يهذِي بالمكارم والنَّدَى حتى ظننَّا أنه محمومُ

قال الواحدي: وهذا معنى بارد وقد زاده الطائي فسادًا، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبري:

حمراء تَامِكةُ السنام كأنها جملٌ بهَوْدج أهله مظعون
جادت بها عند الوَداع يمينُه كلتا يدَيْ عُمَرَ الغداةَ يمينُ
ما كان يُعطي مثلها في مثله إلا كريم الْخِيم أو مجنونُ

(تمك السنام: اكتنز وتزوى. وفي الصحاح: أي طال وارتفع فهو تامك، وناقة تامك: عظيمة السنام.)

(٣٦٠) أذكرته كذا: بمعنى ذكرته. والمترجم: المعبر عن الشيء مثل الترجمان. يقول: إن مثلك لا يحتاج إلى إذكار بحاجة؛ لأنك تعلمها من غير تذكير، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك، فيكون ترك الإذكار إذكارًا لك. وهذا المعنى من قول أبي تمام:

وإذا الجود كان عوْني على المر ءِ تقاضيتُه بترك التقاضي

(٣٦١) المحرم: من الإحرام بالحج والعمرة، وزيه العري؛ لأنه لا يلبس المخيط. يقول — لنفسه: إلى متى أنت عريان شقي بالفقر؟! ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب شيئًا ولا يقتل صيدًا، فهو يقول: إلى متى أكف عن قتل الأعداء؟ قال الواحدي: وهو الوجه. هذا، و«كم»: اسم مبني على السكون، وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن الاستفهام، وهو هنا استفهام. وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين. قال العكبري: فكأنه قال: إلى كم التواني؟

(٣٦٢) هذا حث منه على الحرب والقتال وطلب العز. يقول: إن لم تقتل في الحرب كريمًا مت غير كريم في الذل والهوان؛ أي فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن تبقى ثم لا تنجو من الموت في الذل.

(٣٦٣) الهيجا: من أسماء الحرب، وجنى النحل: ما يجتنى من خلاياها من العسل. يقول: بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلي الموت كما يستحلي العسل.

(٣٦٤) أراد بالضيف: الشيب. كما قال الآخر:

أهلًا وسهلًا بضيفٍ نزلْ وأستودع الله إلْفًا رحلْ

[يريد: الشيْب والشباب.] وألم: نزل. والمحتشم: المنقبض المستحي. واللمم: جمع لمة؛ الشعر الذي جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين. يقول: إن الشيب ظهر في رأسه شائعًا

دفعة واحدة من غير أن يظهر في تراخٍ ومهلة، هذا هو معنى قوله «محتشم»، ثم فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب. كما قال البحتري:

وِدِدتُ بياضَ السيف يوم لِقِينَني   مكان بياضِ الشيب حل بمَفرِقي

(لقينني: أي الغواني المذكورة في البيت قبله، وهو:

أَجِدكَ ما وصل الغوَاني بِمُطْمِعِ   ولا القلب مِن رق الغواني بمعتق)

«جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به.» وقال الواحدي: إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب؛ لأن الشيب يبيضه، وذلك أقبح ألوان الشعر، ولذلك حسن تغييره بالحمرة، والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم. على أن ظاهر قوله: «أحسن فعلًا منه باللمم»: يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من الشعر الأبيض؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه، وإنما يكسبه حمرة إذا قطع اللحم.

(٣٦٥) يقال: بعد يبعد بعدًا — من باب فرح — إذا ذل وهلك. قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. وقوله: بعدت؛ دعاء. وبياضًا: تمييز. وعنى بالبياض الأول: بياض الشيب. وبالثاني: المعاني الحميدة. يريد معنى قول أبي تمام:

له منظرٌ في العين أبيض ناصِعٌ   ولكنه في القلب أسْود أسفعُ

وقد قال المتنبي في بياض الثلج ما يشبه هذا، وهو قوله:

فكأنها ببياضها سوداء

والظلم: جمع ظلمة، بمعنى الظلام، ويكون اسمًا لثلاث ليالٍ من آخر الشهر. يقول: إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سوادًا من الظلم. لما يوري به من حلول الأجل وقطع الأمل. قال الواحدي: وقد ذهب جميع الشراح في قوله:

لأنت أسود في عيني من الظلم

إلى أن هذا من الشاذ الذي أجازه الكوفيون في نحو قول الراجز:

أبيضُ من أختِ بني إباض

(قيل: إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقبله:

لقد أتى في رمضان الماضي   جارية في دِرْعها الفضفاضِ
تقطعُ الحديث بالإيماض   أبيضُ من أخت بني إباض

وبعده:

مثلُ الغزَالِ زين بالْخَضاض   قبَّاءُ ذاتُ كفل رَضراض

جارية: فاعل أتى. والدرع: القميص. والفضفاض: الواسع. وأخت بني أباض: معروفة بالبياض، وبنو أباض قوم. والخضاض: نوع من الحلي. والقباء: الضامرة البطن فعلاء من القبب وهو دقة الخصر. والرضراض: الكثير اللحم. والإيماض: ما يبدو من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام، وشبهه بوميض البرق في لمعانه، وتقطع الحديث بالإيماض: أي إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن ثغرها، ويحتمل أن تكون هي المحدثة، وأنها تقطع حديثها بالتبسم، يصفها بطلاقة الوجه وسماحة الخلق. وقيل: المعنى: أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم — أي نظرت — شغلهم حسن عينيها فقطعوا حديثهم.)

إذا الرجالُ شَتَوا واشتد أكلهم   فأنت أبيضهم سِرْبال طبَّاخ

(من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند، وتروى هكذا:

أنت ابنُ هندٍ فأخبِرْ من أبوك إذا   لا يصلحُ الملكَ إلا كل بذاخ
إن قلت: نَصر فنصر كان شرفني   قِدمًا وأبيضَهم سربال طباخ
ما في المعالي لكم ظل ولا ورق   وفي المخازي لكم أسناخ أسناخ

مع أبيات أخر. قال ابن الكلبي: هذا الشعر منحول. وقوله: واشتد أكلهم أراد بالأكل: القوت، وهو مضموم الهمزة؛ أي غلت أسعارهم، ومن روى أكلهم — بفتح الهمزة —

جعل الأكل بمعنى المأكول، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالغوا في الأكل. والسربال: القميص.

يقول: إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغلت الأسعار واشتد القوت، فسربال طباخك نقي، للؤمك، ولو كنت كريمًا لاسود؛ لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين. ومثل هذا المعنى قول الآخر:

ثيَاب طهاتك عند الشتا ... ء بيض تلألأ لا تدنس

وقِدرك لم يعرها طارق ... وكلبك منجحر أخرس

والأسناخ: جمع سنخ: الأصل.)

وسمعت العروضي يقول: أسود ها هنا: واحد السود. والظلم: الليالي الثلاث في آخر الشهر التي يقال لها: ثلاث ظلم. يقول لبياض شيبه: أنت عندي واحد من تلك الليالي الظلم. على أن ابن جني قد قال ما يقارب هذا، فقال: وقد يمكن أن يكون لأنت أسود في عيني كلامًا تامًّا، ثم ابتدأ يصفه فقال من الظلم، كما تقول: هو كريم من أحرار، وهذا يقارب ما ذكره العروضي، غير أنه لم يجعل الظلم: الليالي.

(٣٦٦) يريد بقاتلته: حبيبته؛ لأن حبها قتله، وبحب قاتلتي: خبر مقدم، وتغذيتي: مبتدأ مؤخر. وهواي وشيبي: قال ابن الشجري: يحتملان الرفع والجر، فالرفع بأن يكونا مبتدأين، و«طفلًا»، و«بالغ» حالين سدًّا مسد الخبرين، كما تقول ضربي زيدًا جالسًا، وتقديره: هواي إذ كنت طفلًا، وشيبي إذ كنت بالغ الحلم، والجر على إبدالهما من الحب والشيب، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بمعناه، والعامل في الحالين على هذا القول: المصدران — هواي وشيبي — والتقدير: تغذيتي بحب قاتلتي والشيب بأن هويت طفلًا وشبت بالغ الحلم، وقد بين في المصراع الثاني وقت المحبة ووقت الشيب. يقول: إن تغذيتي بهذين — الحب والشيب — ثم بين ذلك بقوله. هويت وأنا طفل، وشبت حين احتلمت؛ لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي.

(٣٦٧) الرسم: أثر الديار مما كان لاصقًا بالأرض، والطلل: ما كان شاخصًا. والخمار: ما تغطي به المرأة رأسها. يقول: كل رسم يذكرني رسم دارها، فأسأله تسليًّا، وكل ذات خمار تذكرنيها، فتريق — تسيل — دمي أي تقتلني.

(٣٦٨) المنصدع: المنشق، والشعب: مصدر بمعنى الفراق، من قولهم: شعبته إذا فرقته. والملتئم: المجتمع. يقول: تنفستْ عند الوداع تحسرًا على فراقي عن وفاء؛ يعني

عما في قلبها من وفاء صحيح غير منشق، وفراق غير مجتمع، يريد وحزن فراق فحذف المضاف؛ أي أنها كانت منطوية على وفاء صحيح، وهم فراق لا يلتئم — لا يجتمع — وكان تنفسها عن هذين. والمعنى: إنا افترقنا بالأجساد «لا بالقلوب»؛ لأنها كانت معي على الوفاء. قال الواحدي: ويجوز أن يريد بالشعب: القبيلة، ويكون المعنى: عن فراق شعب غير مجتمع؛ لارتحالهم وتفرقهم في كل وجه.

(٣٦٩) يقول: بكينا جميعًا حتى امتزجت دموعي بدموعها في حال التقبيل؛ يعني أنهما تقاربا حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل. ونصب «فمًا» على: الحال، كقولك: كلمته فَاهُ إلى فِي؛ أي مشافهة. ومزج: قال الواحدي: مصدر بمعنى المزاج؛ ما يمزج بالشيء، سمى به الفاعل. يقول: دموعي مازجة دموعها؛ أي ممتزجة بها.

(٣٧٠) المقبَّل: موضع التقبيل؛ أي الفم. وصاب: أي نزل، من قولهم: «صاب المطر يصوب صوبًا»، ويجوز أن يكون بمعنى أصاب، يقال: صابه وأصابه. يقول: إن ريقها عذب طيب، فهو ماء الحياة، إذا ذاقه العاشق حيي به، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأمم السالفة. وأصل هذا المعنى للأعشى، إذ يقول:

لو أسندَت مَيْتًا إلى نَحْرها عاش ولَمْ يُنقلْ إلى قابِرِ

(٣٧١) ترنو: تنظر. ومجهشة: متهيأة للبكاء. ومراده بالطل: دموعها، وهو في الأصل: المطر الخفيف. والعنم، قيل: هو ضرب من الشجر، له نور أحمر، تشبه به الأصابع المخضوبة. قال النابغة:

بمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بنانهُ عنم على أغصانه لم يُعقد

(رخاصة الأنامل: لينها.)

قال الجوهري: هذا يدل على أنه نبت لا دود. قال ابن بري: وقيل: العنم؛ ثمر العوسج (العوسج: شجر من شجر الشوك، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد، ولهذا قال النابغة: لم يعقد يريد: لم يدرك بعد، وقيل: هو أطراف الخروب الشامي، قال:

فلم أسمعُ بِمرضِعَةٍ أمالتْ لهاةَ الطفلِ بالعنم المسوكِ

وعن الأعراب القدم: العنم: شجرة صغيرة خضراء لها زهرة شديدة الحمرة. جعل المتنبي عينها عين ظبي لسوادها، وأراد بالورد: خدها، وبالعنم: أطراف بنانها محمرة بالخضاب. ومعنى البيت من قول أبي نواس:

يا قمرًا أبصرْتُ في مَأتَمٍ ... ينـدَبُ شجـوًا بـين أتْـرَابِ
يبكي فيلقي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ... ويـلـطـم الـورْدَ بـعـنَّـابِ

ومثله لابن الرومي:

كأنَّ تِلكَ الدمُوع قطْرُ ندًى ... يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ على وَرْدِ

وأحسن فيه الوأواء الدمشقي بقوله:

فأمْطرَت لؤلوًا مِنْ نَرْجس وسقتْ ... وَرْدًا وَعَضت على العُنَّاب بالبَرَدِ

(٣٧٢) رويد: اسم فعل بمنزلة صه ومه، يقال: رويد زيدًا: أي دعه وأمهله، ونصب «حكمك» به، وغير منصفة: حال، والعامل فيه: حكمك؛ أي أن تحكمي غير منصفة، أي ظالمة. ويحتمل أن يكون نداء مضافًا يريد: «يا غير منصفة» فحذف حرف النداء. ومن حكم: في موضع الحال: أي أفديك حاكمة، أو تقول: إنه في موضع نصب على التمييز. و«من» زائدة. يقول: دعي أو أقلي حكمك علينا وأنت ظالمة لنا، ثم قال: أفديك بالناس كلهم من حاكم. يعني أنت حبيبة إلي وإن جرت علي في الحكم.

(٣٧٣) الجزع: نقيض الصبر، وأجن الشيء: ستره وكتمه. يقول: وافقتني في ظاهر الجزع للفراق ولم تضمري ما أضمرته من وجعه. وهذا كما يقول الناشئ:

لفظي ولفظُكِ بالشكوى قدِ ائتلفا ... يا ليتَ شِعري فقلبانَا لِمَ اخْتلَفَا؟!

(٣٧٤) إذن: قال الزجاج: تأويله: إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت، يقول القائل: زيد يصير إليك، فتقول: إذن أكرمه؛ أي إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه، وتأويلها ها هنا: أنه ذكر أنها لم تجنِ الألم، كأنه قال: لو أجننت من الألم ما أجننته إذن لبزك — أي سلبك — ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم؛ أي لأذهب حسنك،

وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم. وإنما ثنى الثوب؛ لأن العادة في اللباس ثوبان: إزار ورداء للعرب، ويسمونهما الحلة، فكأنه قال: وكساك حلة السقم كما كساني.

(٣٧٥) التعلل: تزجية الوقت (يقال: زجيت الشيء تزجية إذا دفعته برفق، ويقال: كيف تزجي الأيام؟ أي كيف تدافعها، وزجيت أيامي: دافعتها بقليل من القوت أجتزئ به وأكتفي، ويقال: تزجيت بكذا: اكتفيت به) بالشيء اليسير بعد الشيء. يقال: فلان يتعلل بكذا: أي يمضي به وقته ودهره. والإقلال: الفقر وقلة ذات اليد. يقول: ليس من عادتي أن أتزجى الآمال وأدافع الوقع بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير، يعني أنه يطلب الكثير، ويسافر في طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلي:

وَمَا طَلَبُ المَعِيشَةِ بالتمنِّي   ولكِنْ ألقِ دَلوكَ في الدِّلاء

(٣٧٦) بنات الدهر: صروفه ونوائبه التي تتولد منه وتحدث فيه. قال العكبري: والعرب تستعمل البنوة والأخوة فيمن فعل شيئًا يعرف به، فيقولون: هذا ابن سفر؛ إذا كان معتادًا للأسفار، وهو أخو معروف، وأبو الأضياف. يقول: لا أظن النوائب تدعني حتى أدفعها عن نفسي بسد طريقها إلي؛ وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار.

(٣٧٧) أخنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه، ومنه قول النابغة الذبياني:

أضْحت خلاءً وأضْحى أهلها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

(من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه عنه، وهي التي أولها:

يا دارَ ميَّةَ بالعلياء فالسند   أقوتْ وطال عليها سالفُ الأبَدِ

ولبد: هو آخر نسور لقمان بن عاد. وتزعم العرب أن لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر، فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبدًا.)

والجدة: الغنى. ورقة الحال: كناية عن الفقر. يقول — لمن لامه في الفقر: لا تلمني وَلُمِ الدهر الذي أتى على مالي وسلبني الغنى.

(٣٧٨) المحصول: مصدر بمعنى الحصول، وقد يكون المفعول مصدرًا، كقولهم ليس له معقول أي عقل. وقوله: «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام؛ أي وأسمع ذكر جود، فهو من باب:

عَلَفْتُهَا تِبنًا وماءً بارِدًا

(وماء باردًا: أي وسقيتها ماء باردًا، جعله العيني صدرًا، وأورد له عجزًا هكذا:

حتى شتت همالةً عيناها

وجعله غيره عجزًا، وصدره: لما حططتُ الرحل عنها واردًا

ولا يعرف قائله. وقيل: إنه لذي الرمة. وشتت: أقامت شتاء. وهمالة: من هملت العين إذا صبت دمعها.)

يقول: أرى قومًا على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم، وأسمع ذكر الجود، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال. وهذا من قول السيد الحميري:

قد ضيع الله ما جَمَّعتُ من أدبٍ بين الحمير وَبَين الشاء والبقرِ

قال العكبري: وهو من قول الحكيم: من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم؛ لأنا نعلم أنها متى خلي بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئًا غير ذلك.

(٣٧٩) رب مال: معطوف على «أناسًا» — في البيت السابق — والمروة: أصلها الهمز، يقال: امرؤ ذو مروءة، تخفف الهمزة فيبقى واوان، تدغم الأولى في الثانية، وهي النخوة وكمال الرجولية. والإثراء: الغنى. يقول: وأرى صاحب مالٍ ليس له مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر؛ أي لم يكثر المروءة عند كثرة المال. فقوله: «أثرى من العدم»، هو كما يقال: استغنى من الفقر. وهذا المعنى من قول أبي تمام:

لا يحسَبُ الإفْلالَ عُدْمًا بلْ يرى   أنَّ المُقلِّ من المروءَةِ مُعدِمُ

(٣٨٠) النصل: نصل السيف. ومضرب السيف: حده. والصمة: الشجاع. وبه سمي الصمة: أبو دريد بن الصمة. والصمم: جمع صمة. وينجلي: ينكشف. يقول: سيصحب السيف مني رجلًا مثل حده في المضاء، ويتبين للناس أني أشجع الشجعان. يعني أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع؛ أي أنه أشجع الشجعان.

(٣٨١) لات: بمعنى ليس، والأصل فيها «لا» فزيدت عليها التاء، كما في: ربت، وثمت. قال ابن جني: من العرب من يجر بها، وأنشد:

طلبُوا صُلحنا وَلَاتَ أوَانٍ   فأجبنا أن ليسَ حين بقاء

البيت لأبي زبيد الطائي النصراني الشاعر الإسلامي من قصيدة، راجعها في الجزء الرابع من «الخزانة» طبعة السلفية، وراجع الكلام على «لات» هناك.

والمصطبر: بمعنى الاصطبار. والمقتحم: كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلفت الصبر حتى لم يبقَ اصطبار، فالآن أقحم: أي أقحم نفسي، أي أوردها المهالك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادي فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فمفعول «أقحم» محذوف. ولك أن تقرأها: أقحم؛ أي أقتحم، وقد ورد قحم يقحم — من باب خضع — بمعنى اقتحم.

(٣٨٢) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدائد الحرب، يقال: سهم وجهه يسهم سهومًا: إذا تغير. وجملة: والحرب أقوم ... إلخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولأتركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم؛ أي شديدة.

(٣٨٣) يحرقها: يروى يخرقها. والضمير: للخيل، والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق. والزجر: الصياح. واللمم: الجنون. يقول: والطعن يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر — أي الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء — يمنعها عن التأخر، ويقلقها — أي يحركها — حتى كأن بها جنونًا. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكأنها مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣٨٤) كلمتها: من الكلم الذي هو الجرح. والعوالي: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزت منه نزية — أي قطرة — فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلي:

إني أرِقتُ فبِتُّ الليلَ مُشتجرًا   كأنَّ عيْنِيَ فيها الصابُ مذبوح

(يروى:

نام الخليُّ وبتُّ الليل مشتجِرًا

والمشتجر: الذي يضع يده تحت حنكه مذكرًا لشدة همه. ومذبوح: أي مشقوق معصور، وأصل الذبح: الشق.)

يقول: هي عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرماح، فكأن الصاب قد شد على لجمها فهي تجد مرارته. ومعصوب: يروى معصور، ويروى: مذرور.

(٣٨٥) بكل منصلت: متعلق بقوله: لأتركن، والمنصلت: الماضي في الأمور. وأدلت له من كذا: أي أعنته عليه حتى جعلت له الدولة. يقول: لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماضٍ في الأمور طالما انتظر خروجي على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة. يعني بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان.

(٣٨٦) شيخ: إما بالجر على التبعية لمنصلت، وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي هو شيخ. والنافلة: خلاف الفرض، وهي ما يحسن فعله ولا يحرم تركه. يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم. وقال ابن القطاع: كل من فسر الديوان قال: «الشيخ» هنا: واحد الشيوخ من الناس. يقول: أنتصر على أعدائي بكل شيخ ماضٍ في أموره، لا يبالي بالعواقب، مستحل للمحارم، سافك للدماء، وهذا بالهجاء أشبه. وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف، فإن الشيخ من أسمائه، وكذلك العجوز، قال أبو المقدام البصري — واسمه جساس بن قطيب:

رُبَّ شيخٍ رأيْتُ في كفِّ شيخٍ   يضْرِبُ المُعلمين والأبطالا
وعجُوزٍ رأيْتُ في فَمِ كلْبٍ   جُعِلَ الكلْبُ للأمير جمالا

سمي السيف شيخًا لقدمه؛ لأنهم يمدحون السيوف بالقدم، وقيل: سمي شيخًا لبياضه تشبيهًا بالشيب، وكذلك المعنى في العجوز. والكلب: مسمار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف، جاء في لسان العرب: قال ابن الأعرابي: الكلب مسمار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له: العجوز، وقيل: العجوز نصل السيف، والكلب ما فوق النصل من جانبيه، حديدًا كان أو فضة.

(٣٨٧) العجاج: الغبار. والكتائب: جمع كتيبة؛ الفرقة من الجيش. ورامته: يريد: رامت عنه؛ أي زالت عنه ولم يزل هو عنها، فحذف حر الجر وأوصل الفعل، والأصل استعماله بحرف الجر، كما قال الأعشى:

أبانا فلا رِمْتَ مِنْ عندِنا فإنا بخير إذا لم تَرِمْ

وقال الجوهري: يقال: رامه يريمه ريمًا؛ أي برحه. ويقال: لا ترمه؛ أي لا تبرحه. ثم قال: ويقال: رمت فلانًا ورمت من عند فلان، بمعنًى. وأنشد بيت الأعشى. يقول: إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو. قال ابن جني والواحدي: والنطح إنما هو للكباش، ولا يستعمل في الأسود، ولو قال: كلما صدمت أو رميت لكان أليق، ولكنه أراد بالنطح: القتال.

(٣٨٨) بارقتي: يريد سيوفه التي لها بريق ولمعان. والديم: جمع ديمة، وهي المطر الدائم. يقول: إذا برقت سيوفي لأعدائي في الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسي الناس البروق، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغني البلاد عن الأمطار بما أصبه من الدماء. قال العكبري: وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد بني بويه أو بني أرتق أو بني أيوب لنسب إلى ذلك، وهم ملوك الأرض وحماتها، وأرباب المغازي وولاتها.

(٣٨٩) ردي: أمر — من ورد الماء يرد ورودًا — والردى: الهلاك. ويا نفس: يروى: حوباء؛ أي يا حوباء. والحوباء: النفس. والشاء: جمع شاة. والنعم: الإبل خاصة. يقول — لنفسه: ردي المهالك والحروب واتركي خوف ورود الهلاك للنعم والشاء. أي إنها هي التي لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل. وقال ابن القطاع: قد صحف هذا البيت جماعة فرووا: حياض خوف الردى — بالحاء المهملة. قال لي شيخي: قال لي صالح بن رشدين: لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة، فقال لي: لم أقل كذلك. قلت: فكيف قلت؟ قال قلت: خياض — بالخاء المعجمة — لأني لو قلته بالمهملة كنت قد

نقضت قولي: ردي حياض الموت، فإنها هي حياض خوف الردى، وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما بيد، أو فم. والمعنى: ردي يا نفس حياض الموت، فإن الموت في العز حياة، واتركي خياض خوف الردى للحيوان الذي لا يعقل. ولو قال المتنبي: خياض غير الردى بالخاء أو قال: واتركي ورد خوف الردى ... إلخ. لم يحتج إلى هذا إلا أن مذهبه أنه يغمض معانيه حتى لا يفهمها إلا العلماء.

(٣٩٠) يقول — لنفسه: إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أي إن لم أحضر الحرب حتى ليسيل الدم مني على الرماح — فلا دعيت أخا المجد والكرم. قال العكبري: وهو من قول ابن أيوب:

إن تقتلُوني فَآجَالُ الكماة كما خُيِّرتُ قبلُ وما بالقتْل من عارِ
وإن نجوْتُ لوَقْتٍ غيره فعسى وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدار

(٣٩١) ظامئة: عطشى. ولحم: فاعل «يملك». والوضم: الخشبة يقطع الجزار عليها اللحم، ويضرب اللحم على الوضم مثلًا للضعيف الذي لا امتناع عنده، ويقال للمرأة: لحم على وضم، ومنه قول القائل:

أحاذر الفقر يومًا أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم

وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع، فإذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد، حتى الطيور والذباب. وقوله: أيملك الملك: استفهام معناه الإنكار. يقول: لا يملك الملك ضعيف ذليل لا يدفع عن نفسه كاللحم على الوضم، وأسيافنا عطاش إلى دمه والطير جائعة لم نشبعها من لحمه، يعني أنه يقتل ويلقى للطيور ولا يملك. قال ابن جني: يريد أن ملوك عصره ليس فيهم من يدفع عن نفسه.

(٣٩٢) من: بدل من قوله: لحم على وضم. والظمأ: العطش. ومثلت: انتصبت، ويروى: عرضت، بدل مثلت. يقول: من لو كنت ماء وكان عطشان لمنعه خوفه مني أن يشرب حتى يموت عطشًا، ولو رآني في النوم مائلًا له لَهجر النوم خوفًا من أن يراني في النوم. وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبي حفصة:

فإذا تنبَّهَ رُعْتَه وإذا غَفى سَلَّتْ عليه سيوفَك الأحلامُ

(٣٩٣) ميعاد: مبتدأ، خبره: غدًا. وكل رقيق الشفرتين: أي كل سيف رقيق الشفرتين، وهو الذي رقت شفرتاه «حداه» بكثرة الصقل. ومن عصى: أي من عصاني، عطف على كل. يتوعد من عصاه من الملوك بقرب إيقاد نار الحرب.

(٣٩٤) يقول: إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أدعوهم إليه فلست أقصدهم بسيوفي، وإنما أقصد بها غير المطيع فأقتله بها، وإن أدبروا عني ومضوا في عصيانهم فلا أقتصر على قتلهم وحدهم، وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم.

(٣٩٥) جاء في «الصبح المنير»: قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل: قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو فتًى، فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته، فلما تمكن الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتنامًا لمشاهدته واقتباسًا من أدبه، قلت: والله إنك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير. فقال: ويحك: أتدري ما تقول؟ أنا نبي مرسل، فظننت أنه يمزح، ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته، فقلت له: ما تقول؟ فقال: أنا نبي مرسل كما ذكرت. فقلت: مرسل إلى من؟ فقال: إلى هذه الأمة الضالة المضلة، قلت: ماذا تفعل؟ قال: أملأ الدنيا عدلًا كما ملئت جورًا. قلت: بماذا؟ قال: بإدرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى، وضرب الأعناق لمن عصى وأبى. فقلت له: إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر. وعذلته على ذلك، فأنشد يقول بديهًا، وذكر هذه الأبيات.

(٣٩٦) معاذ: مرفوع بالبدل من «أبا عبد الإله». قال العكبري: ولو كان عطف بيان لكان منصوبًا منونًا؛ لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة. والهيجاء: من أسماء الحرب. يقول: إنك تجهل منزلتي في الحرب، ومقدار ما طبعت عليه من الجرأة والبأس، ومن ثم تلومني على ما أنا مقدم عليه لظنك بي العجز عن بلوغه.

(٣٩٧) الجسيم: العظيم. و«ما»: زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾، وكقول الشاعر:

إِنْ أُمْسِ ما شيخًا كبيرًا فطالما　　　عُمِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفعُ

(البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في «حماسته» لمجمع بن هلال قال: غزا مجمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله، يزيد بن سعد بن زيد مناة، فلم يصب شيئًا فرجع من غزاته تلك فمر بماء لبني تميم عليه ناس من بني مجاشع فقتل فيهم وأسر، فقال في ذلك: إن أمس ما شيخا ... إلى آخر الأبيات. قال

المرزوقي في قوله: إن أمس ما شيخا: «ما» زائدة. يقول: إن صرت شيخًا طاعنًا في السن هدفًا لسهامه فذلك حق؛ لأن من يعش يكبر، ومن يكبر يهرم، وطول العمر لا يجدي إذ كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت.)

قالوا: ويحتمل أن تكون «ما» بمعنى الذي، أو نكرة، فيضمر هو بعدها، فإذا كانت نكرة فتقديره: جسيم شيء هو طلبي. والمهج: الأرواح. يقول: عاتبتني على محاولة الأمر العظيم ومخاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة.

(٣٩٨) النكبات: الشدائد تنكب الإنسان. والجزع: نقيض الصبر. والحمام: الموت. يقول: مثلي لا تنال منه النكبات ولا تصيبه؛ إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه، وإما لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه.

(٣٩٩) الفرق: وسط الرأس. والحسام: السيف القاطع. يقول: إن الزمان الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصًا ثم برز إلي محاربًا لخضب شعر رأسه سيفي.

(٤٠٠) يقول: إن الزمان لم يبلغ مراده مني، ومن تغيير حالي وتوهين أمري، وما انقدت له انقياد من يعطي زمامه فيقاد به. وهذا كما يقوله البحتري:

لعمرُ أبي الأيام ما جارَ صرْفها   عليَّ ولا أعطيتها ثِنيَ مِقْوَدِي

(٤٠١) عيون الخيل: يريد عيون أصحاب الخيل. وقوله. فويل: يريد فويل لهم. يقول: إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين؛ لأنهم يخافونني أشد الخوف، فلا يكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم.

(٤٠٢) صرفًا: أي خالصة غير ممزوجة. والذي من مثله شرب الكرم: هو الماء. يريد أن شرابه الماء، لا الخمر.

(٤٠٣) يقول: حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرماح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم؛ أي كأنها نداماهم، لأنهم لا يخلون من صحبتها، ويسقونها ما يرويها من الدماء، فهم سقاة رماحهم، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء. هذا، والندامى: جمع ندام، والندام: جمع النديم، وهو الشريب الذي ينادمه. ويقال له: الندمان أيضًا، قال النعمان بن نضلة العدوي، ويقال للنعمان بن عدي، وكان عمر استعمله على ميسان:

فإن كنت نَدْماني فبالأكبر اسقني   ولا تسقِني بالأصغرِ المُتَثَلِّمِ

لعلَ أمِيرَ المؤمنينَ يسوءُهُ   تنادُمنا في الْجَوْسقِ المتَهدِّمِ

ولمناسبة حبذا: فقولهم حبذا الأمر: أي هو حبيب، قال سيبويه: جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشيء الواحد، وهو عنده اسم، وما بعده مرفوع، ولزم ذا حب، وجرى كالمثل، والدليل على ذلك أنهم يقولون في المؤنث: «حبذا» ولا يقولون «حبذه». ومنه قولهم: حبذا زيد، فحب: فعل ماضٍ لا يتصرف، وأصله «حبب» على ما قاله الفراء، و«ذا»: فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جعلا شيئًا واحدًا، فصارا بمنزله اسم يرفع ما بعده، وموضعه رفع بالابتداء، و«زيد»: خبره، ولا يجوز أن يكون بدلًا من «ذا» لأنك تقول: حبذا امرأة، ولو كان بدلًا: لقلت حبذت امرأة. قال جرير:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ   وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ   تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرَّيَّانِ أَحْيَانَا

(من قصيدته التي مطلعها:

بان الخليط ولو طوَّعت ما بانا   وقطَّعوا من حبال الوصل أقرانا

وفيها يقول:

إن العيون التي في طرفها مرضٌ   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصْرَعن ذا اللبِّ حتى لا حراك به   وهن أضعفُ خلق الله أركانا

والريان: أطول جبال أجأ. واليمانية: رياح الجنوب.)

(٤٠٤) الألية: اليمين. والتعليل: التلهية بالشيء. وقال الشراح في قوله: لأعللن: إنه من العلل، وهو السقي مرة بعد أخرى. والخرطوم: من أسماء الخمر، قيل: لأنها إذا بزل الدن انصبت في صورة الخرطوم، وقيل: سميت بذلك لأخذها بخراطم شرابهم — أي أنوفهم — كما قيل:

ولقد شرِبتُ الخمر حتى خِلتُها   أفْعَى تَكِشُّ على طريق المُنخر

«كشيش الأفعى: صوت تخرجه من فيها، وقيل: صوتها من جلدها لا من فمها فإن ذلك من فحيحها.»

(٤٠٥) العرس: الزوجة. يقول: إن هذا الأخ حلف أن أشرب وإلَّا فامرأته طالق فجعلت ردي امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الخمر، وشربتها غير آثم؛ إذ كان قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما.

(٤٠٦) النوى: البعد وهي مؤنثة. يقول: إن لومي الفراق — في تفريقه بيننا وظلمه إيانا بالبعد — غاية الظلم منا فلعله يعشقها كعشقي إياها، فلذلك يختارها لنفسه ويحول بيني وبينها، وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي. وهذا كما قال محمد بن وهيب:

وحاربني فيهِ رَيبُ الزمانِ كأن الزمان لهُ عاشِقُ

وقال البحتري:

قد بَيَّنَ البينُ المُفرِّقُ بيننا عِشقَ النَّوَى لِربيبِ ذاك الربْرَب

(٤٠٧) زواه: نحاه وأبعده. يقول: لو كانت النوى لا تغار عليكم لما منعت عني لقاءكم وطوته عني، ولما خاصمني بسببكم. هذا، والخصم: المخاصم، يستوي فيه الجمع والواحد والمؤنث، يقول: هم خصم، وهو خصم، وهما خصم، وهي خصم.

(٤٠٨) الوسمي: أول مطر في السنة، وأراد به: أول ما بدأت به من الوصال. والولي: المطر الثاني. وأراد به ما بعد ذلك من الوصل. والنائل: العطاء، وأراد به وصالها، يقول: إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه، فليتها أنعمت علي برجوعها إلى الوصل مرة أخرى. وهذا منقول من قول ذي الرمة:

لِنِي وَليَة تُمرِعْ جنابي فإنَّنِي لِمَا نِلتُ من وَسْمِيٍّ نُعْماك شاكِر

(لني: أمر من الولي: أي أمطرني ولية منك: أي معروفًا بعد معروف.) والمعنى من قول بشار:

قد زُرْتِنِي زَوْرَةً في الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِّي ولا تجعليها بيضة الديك

(قال أبو عبيد في البخيل يعطي مرة ثم لا يعود: كانت بيضة الديك. فإن كان يعطي شيئًا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة: كانت بيضة العقر، وقيل: إن بيضة العقر هي بيضة الديك يبيضها في السنة مرة واحدة، وقيل: يبيضها في عمره مرة واحدة. فتضرب بيضة الديك مثلًا للعطية القليلة التي لا يربها معطيها ببر يتلوها، وقيل: إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم: بيض الأنوق والأبلق العقوق، مثل لما لا يكون.)

هذا، ولك أن تجعل «منعمة» خبرًا مقدمًا، والظبية مبتدأ مؤخرًا، أو تجعل «الظبية»: فاعلًا لمنعمة، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام.

(٤٠٩) الترشف: المص. والسحرة: السحر. والظلم: ماء الأسنان وبريقها. وإنما خص السحرة؛ لأن الأفواه تتغير عند ذلك، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح لها، ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

كأنَّ المُدَامَ وصوْبَ الغَمامِ وريحَ الْخُزَامى وَنشْرَ القُطُرْ
يُعلُّ بهِ بَرْدُ أنيابِهَا إذَا طَرَّبَ الطَّائِرَ المسْتَحِرْ

وقال الحارثي:

كأن بِفيهَا قهوة بابِليَّةً بماء سماء بعد وَهْنٍ مِزَاجُها

والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهبًا؛ لذلك قال:

تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ

ولله ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة:

أعانقها والنفسُ بعدُ مَشوقَةٌ إليها وهلْ بعدَ العناقِ تَدَان؟!
وأَلثَمُ فاها كيْ تَزُول حَرَارتِي فيَشْتَدُّ ما ألقَى من الهيَمَانِ

وما كان مقدارُ الذِي بي من الجوى لِيَشفِيَه ما تَرْشُفُ الشفتَانِ
كأنَّ فؤادي ليسَ يشفِي غليله سِوَى أن يُرَى الرُّوحان يمتزجان

(٤١٠) يقول: إن كلًّا من قلادتها ونطقها وثغرها الذي تبسم عنه سواء في الحسن والنظم، فهي درية العقد والكلام والثغر، وهذا معنى متداول، قال البحتري:

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِيه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحدِيث تساقِطه

فذكر شيئين، وقال المؤمل بن أميل:

وإن نقطتْ دُرٌّ فَدُرٌّ كلامُها ولَمْ أرَ دُرًّا قبلها ينظِمُ الدرا

فذكر شيئًا واحدًا، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال:

ومُفَارِقٍ نفسي الفِدَاءُ لِنَفْسِه وَدَّعْتُ صبْرِيَ عَنْه في تَوْدِيعِهِ
وَرَأيتُ منهُ مثلَ لؤلؤ عِقدِهِ من ثَغْرِهِ وَحديثِهِ ودموعِهِ

فزاد ذكر الدمع على المتنبي.

(٤١١) النكهة: رائحة الفم. والمندلي: العود الذي يتبخر به، نسبة إلى مندل: موضع بالهند يجلب منه العود، ومثله قمار، قال ياقوت: بفتح القاف ويروى بكسرها: موضع ينسب إليه العود، قال: هكذا تقوله العامة، والذي ذكره أهل المعرفة «قامرون» موضع ببلاد الهند، يجلب منه العود النهاية في الجودة، قال ابن هرمة:

أحِبُّ الليل إنَّ خيال سلمى إذا نمنا ألمَّ بنا فزارا
كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمندل أو بقارعَتيْ قَمَارا

هذا، وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال: تبخرت بالمندل، وهو يريد المندلي، ويدلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المندل قال عمر بن أبي ربيعة:

لِمن نارٌ قبَيْلَ الصُّبــ ـحِ عند البيتِ ما تخْبُو
إذا ما أُخْمِدَتْ يُلْقَى عليها المندلُ الرطبُ

ويروى: إذا ما أوقدت. وقال كثير:

بأطيبَ من أردان عزَّةَ مَوْهنًا وَقَدْ أوقدَتْ بالمنْدَل الرَّطْب نَارُها

«يقال: لقيته موهنًا، أي حين يدبر الليل، أو هو نحو من نصف الليل، أو هو ساعة تمضي من الليل.» ولمناسبة بيت كثير رووا أن إحدى المدنيات قالت لكثير: فض الله فاك، أنت القائل: بأطيب من أرادان عزة ... البيت؟ فقال: نعم، قالت: أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب؟ هلا قلت كما قال سيدكم امرؤ القيس:

ألم تريانِي كلما جئتُ طارقًا وَجَدْتُ بها طيبًا وإن لم تَطيَّب؟

والقرقف: من أسماء الخمر، وكذلك الصهباء، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل «تساوي» — في البيت السابق. يقول: استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة والذوق. قال الواحدي: وإنما يستوي في الذوق شيئان: النكهة والخمر؛ لأن العود مر المذاق، ولكنه جمع بينها في الريح، وأراد في الطعم شيئين. ثم النكهة أيضًا لا طعم لها؛ لأنها رائحة الفم، واستفهام الكلام إلى ذكر الريح، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد، لاختلاف ما ذكره في الطعم. قال العكبري: وليس كما ذكر — أي الواحدي — لأنه — المتنبي — قال: استوت نكهتها والمندلي وقرقف، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم، ولم يرد سوى الخمر في الطعم.

(٤١٢) الشهب من الخيل: التي في لونها بياض قد غلب على السواد. والدهم: السود. يقول: جفتني بهجرها كأني لست الأنصح الأشجع من عشيرتها، وإنما قال هذا لأن نساء العرب يملن إلى الشجاع الفصيح؛ ألا ترى إلى قول العنبري لما رأته امرأته يطحن فازدرته:

تقول وصكَّتْ وجهها بِيمينها: أبَعْلِيَ هذا بالرَّحَى المتقاعِسُ
فقلت لَهَا: لا تعجلي وتَبيَّني بلائي إذا التفَّتْ عليَّ الفوارس

(بعد البيتين:

ألست أردُّ القِرْن يركب ردْعَهُ   وفيه سنان ذو غرارَين يابسُ
إذا هاب أقوام تجشَّمْتُ هوْل ما   يَهَاب محيَّاه الألدُّ المداعسُ
لعمْرُ أبيكِ الخيرِ إني لخَادمٌ   لضيفي وإني إن ركبت لفَارسُ

أبعلي هذا — بإشارة التحقير — تعجب مما رأت. والمتقاعس: الذي يخرج صدره ويدخل ظهره، نقيض المتحادب. وبالرحى: تبيين، وبلائي: مصدر أبلى الرجل؛ إذا اجتهد في حرب أو كرم. ويركب ردعه: يريد يصرع منكوسًا رأسه أسفله. والغراران: الخدان. ويابس: يريد أنه صلب لا تأنيث فيه، ويروى: نائس من ناس ينوس؛ إذا تحرك واضطرب. وهاب: يروى: «خام» بمعنى نكص وجبن. والحميا: السورة والشدة. والألد: الشديد الخصومة. والمداعس: المطاعن.)

فذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها، بجفائه. وقوله: «والشهب في صورة الدهم» يريد إذا رؤيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها، كما قال النابغة الجعدي:

وتُنكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ ألْوانَ خَيْلِنَا   مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تحْسَبَ الجَوْنَ أشْقَرَا

(٤١٣) الحتف: الهلاك. ونكزته الحية: لسعته بأنفها، فإذا عضته بنابها قيل: نشطته. قال الواحدي: الحتف لا يتصور منه الحذر، وإنما يريد أن قرني الذي منه حتفي لو قاتلني لحذرني كأني حتفه؛ أي كأني أقتله يقينًا وأغلبه، فهو يحذرني حذر من تيقن هلاكه من جهة إنسان. ويحتمل أن يكون هذا مجازًا ومبالغة في وصف شجاعته. وقوله: وتنكزني الأفعى؛ أي يتعرض لي أعدى أعدائي فأهلكه، وقد جعل أعداءه قسمين: حاذرًا يحاذره، ومتعرضًا له يهلكه المتنبي. ولما سمى عدوه أفعى سمى قوة نفسه وشجاعته سمًّا؛ لشدة تأثيره في عدوه.

(٤١٤) الردينيات: الرماح، نسبة إلى ردينة: امرأة كانت تقوم الرماح. والسريجيات: السيوف، نسبة إلى «قين» اسمه سريج. يقول: إن الرماح تنقصف قبل الوصول إلى إراقة دمي، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي. فجعل دمه يقصفها لما كان السبب في قصفها، وكذلك لحمه. والفعل قد ينسب إلى من كان سببًا فيه. وعبارة التبريزي: أي أنا

من نفسي وعشيرتي في منعة، فإذا أصابني طعن كبر الطعن في طلب ثأري حتى تتقصف الرماح، وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأري.

(٤١٥) برتني: أي هزلتني، مأخوذ من بري السهم، وهو نحته حتى يدق. والسُّرَى: جمع سرية، ومن ثم أنثها وقال: برتني، وهي سير الليل. والمدى: جمع مدية، وهي السكين. وجرمي: أي جسدي، مبتدأ مؤخر، خبره: أخف. والجملة: حال من الضمير في «رددنني» أو مفعول ثانٍ لها، وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى منصوبة، فتكون حالًا، أو مفعولًا ثانيًا. وجرمي: بدل من الياء في: «رددنني»، وإنما أبدل «جرمي» من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية، وإلَّا فقد تم المعنى دونه، ولا يجوز جعله فاعلًا لـ «أخف»؛ لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسألة الكحل. يقول: أذهبت السرى لحمي فجعلتني في خفتي على المركوب كنفسي الذي يخرج من فمي.

(٤١٦) نصب «أبصر» عطفًا على موضع الجملة — في البيت السابق — في رواية من رفع، أو على لفظ «أخف» في رواية من نصب. وجو: قصبة اليمامة. وزرقاء: اسم امرأة من أهل «جو» حديدة البصر، تدرك ببصرها الشيء البعيد، فضربت العرب بها المثل، فقالوا: أبصر من زرقاء اليمامة، قالوا: إنها امرأة من جَدِيس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قتلت جديس طسمًا خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشًا، فلما صاروا من «جو» على مسيرة ثلاث ليالٍ صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها. فقالت: يا قوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير، فلم يصدقوها فقالت:

أقسمُ بالله لقد دَبَّ الشجرْ … أو حمْيرٌ قد أخذت شيئًا يُجر

فلم يصدقوها. فقالت: أحلف بالله لقد أرى رجلًا ينهش كتفًا أو يخصف النعل، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثمد، وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب. وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم: مثل النابغة في قصيدته الدالية، والأعشى في قصيدة عينية. فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال: إذا نظرت عيناي ساواهما علمي؛ أي أنهما لا يسبقان علمي فإذا رأيت الشيء ببصري علمته بقلبي. وروى ابن جني: شأواهما علمي، والشأو: الأمد والغاية. يقول: إذا نظرت عيناي فغايتاهما أن تعرف ما علمته

بقلبي. يعني أنه عارف بأعقاب الأمور، ويروى: شاءهما؛ أي سبقهما، مقلوب «شأى». ويروى أيضًا: سأواهما علمي. والسأو: الهمة؛ أي همة عيني أن تريا ما عرفت.

(٤١٧) الدحو: البسط. والإسكندر: هو ذو القرنين — الذي بنى السد بين يأجوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم، وليس هذا موضع تبيين حقيقة هذا السد، وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها، وحتى كأنه بسطها لعلمه بها، ويذكر قوة عزمه على الأمور، حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه. هذا، وقد فرق أهل اللغة بين السد بالضم وبينه بالفتح، فقال الزجاج: ما كان مسدودًا خلقة فهو سُد — بالضم — وما كان من عمل الناس فهو سَد — بالفتح.

(٤١٨) لألقى: متصلة بقوله: برتني السرى. وأبدع: أي جاء بالأمور البديعة المبتكرة التي لم يسبق لها مثال، يقول: تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى الممدوح المذكور الذي دق فهمه وأبدع في دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم، فيقال: إنه عالم بالغيب، أو تقول: حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة.

(٤١٩) يلذ بها: يروى: يلذ لها، ويقال: لذذت الشيء ولذذت به: أي استلذذته. وقوله: ولو ضمنت، يروى: «وإن ضمنت». يقول: إنه صحيح اللفظ، مستحلى الكلام، يلتذ السمع بكلامه ولو كان شتمًا، لصحته وعذوبته.

(٤٢٠) قحطان: أبو قبائل اليمن. وقضاعة: قبيل منه. وبنو فهم: حي من قضاعة، وهم رهط الممدوح. والعرنين — في الأصل — ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف. يقول إنه في هؤلاء كاليمين من الجسد، وفي هؤلاء كالرأس والعرنين؛ أي أنه رئيسهم وبه عزهم. والعرنين يجعل مثلا في العز، وكذلك الأنف، وجعله كالبدر في «بني فهم» الذين هم كالنجوم.

(٤٢١) بيَّت الأعداء: طرقهم ليلًا. والصرير والقعقعة: من مرادفات الصوت. والعوالي: الرماح. يقول: إذا وافى أعداءه ليلًا أخفى تدبيره ومكره وتحفظ من قبل أن يفطن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة في أحناك خيله، وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تدبيره. وقد زلت قدم ابن جني في تفسيره هذا البيت إذ قال: يبادر إلى أخذ الرمح، فإذا لحق إسراج فرسه فذاك، وإلَّا ركبه عريانًا.

(٤٢٢) يئن: مضارع آن يئين؛ أي يحين. وقوله: به، أي على يديه. والموتم: اسم فاعل من أيتم. يقول: هو مذل الأعراب، ومعز الأذلاء، يرفع قومًا ويضع آخرين. ثم قال:

وإن حان يتمهم — أي يتم الأعزاء — فهو الموتم وهو في الوقت عينه الجابر اليتم؛ يعني أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته.

(٤٢٣) القناة: الرمح، ويريد بممسكها: نفسه، ومن روى: فممسكها — بفتح السين — أراد موضع الإمساك؛ وهو الكف، مثل المدخل والمخرج. ومنه: للتجريد. والعدم: الفقر. يقول: إن أدوى (أدواه: أحدث به داء) قلوب المطعونين بقناته؛ فإن الذي أمسكها هو الذي يشفي من الفقر بعطائه، وقد قابل بين الداء والشفاء.

(٤٢٤) الطاغي: الجائر الذي يتجاوز الحد. وشفرتا السيف: حداه. والهام: الرءوس. يصف سيفه يقول: هو مقلد سيفًا جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل. محكمًا في رءوس الأعداء، جائرًا في حكمه، لأنه يحكم بقتلهم جميعًا ولا يبقي منهم أحدًا.

(٤٢٥) تحرج عن الشيء: كف عنه وأمسك تأثمًا. وحقن الدماء: حفظها وتركها في أبدانها. يقول: إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقي عليها، فكأنه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحلُّ له قتلها؛ أي يتحرج من هذا كما يتحرج من ذاك.

(٤٢٦) قال الواحدي: لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده — وكان غازيًا يقتل الكفار — فكان بريئًا من إثم القتل على كثرة ما له من القتلى. وروى ابن جني: كحده بالحاء وقال: أي كحد هذا السيف؛ أي أنه كثير القتل ولا إثم عليه، لأنه لا يضع الشيء في غير موضعه، كما أن حد السيف كثير القتل، وهو غير آثم كما قال أبو تمام:

إن أجرمَتْ لم تنصَّل من جرائِمها وَإنْ أَساءت إلى الأقوام لم تُلِمِ

(٤٢٧) مع الحزم: متعلق بقوله: «وجدنا». والحزم: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. يقول: وجدناه ملازمًا للحزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازمًا؛ لأن الحزم ملازم له، والمعنى: أنه لاستيلاء الحزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد ترك الحزم لم يمكنه. وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام:

تعوَّد بَسْط الكفِّ حتى لَوَ انَّه ثَنَاهَا لِقبضٍ لم تجبْه أنامِله

ولك أن تقول: إن المعنى أنه لو تعمد ترك ما هو حزم في بادئ الرأي لم يكن تركه إلا لأمر يقتضيه الحزم؛ لأنه يرى ما لا يراه غيره، ولا يضع الأشياء في غير مواضعها.

(٤٢٨) في الحرب: عطف على «مع الحزم». والقدم: التقدم. يقول: هو صاحب الحرب وفي الحرب أبدًا، حتى لو أراد تأخرًا لكان تأخره تقدمًا؛ إذ ليس عنده إلا التقدم. والمعنى: لأخَّره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم.

(٤٢٩) يقول: بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيي العظام وهي رميم. قال الواحدي: أي فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هي للجرم؛ يعني أنه يفني بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفني الجرم الذي اجترمه أيضًا، بمعنى أنه بعد تنكيله بالمجرم لا يجترئ أحد أن يأتي مثل جرمه خوفًا من غضبه فغضبه يفني المجرم وجرمه.

(٤٣٠) رقة الوجه: كناية عن الحياء وكرم الأخلاق. يقول: هو رقيق الوجه حياءً وكرمًا، فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم: ثم لا يذهب ذلك الأثر ولا ينمحي.

(٤٣١) الغواني: جمع غانية، وهي الشابة التي غنيت بجمالها عن الحلي، وقيل: التي غنيت بزوجها عن الرجال، وقيل: التي غنيت ببيت أبويها فلم يقع عليها سباء، وأسكن «الغواني» ضرورة؛ لأنها مفعول أذاق. والصرم: الهجر والمقاطعة — بفتح الصاد وضمها — وقيل: الصَّرم المصدر. والصُّرم: الاسم. يقول: إنه لحسنه تعشقه النساء ولكنه يعف عنهن ولا يواصلهن، فكان ذلك منه جزاء لهن على مصارمتهن إياي.

(٤٣٢) فدًى: خبر عن الموصول بعده. والغبراء: الأرض. والأبي: بمعنى الآبي، وهو الذي يأبى الدنايا. والجائد: الفاعل، من جاد يجود. والقرم: السيد، وأصله: الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه. يقول: يفدي هذا الممدوح كل من على الأرض وأولهم أنا؛ لأنه سيدهم.

(٤٣٣) حال: اعترض. يقول: لقد أخاف سيفه الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه، فما ظنك بالإنس بعد خوف الجن، والعرب والعرب واحد، وكذلك العجم والعجم.

(٤٣٤) أرهب: أخلف. والجزع: نفاد الصبر من شدة الخوف. يقول: أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعًا من خوفه وجرت مجرى الماء، وهذا من قول الآخر:

لو صالَ من غضب أبو دُلف على ... بيضِ السيوفِ لَذُبْنَ في الأغماد

هذا، ويقال: فَحْم وفَحَم مثل نهر ونهر، وفي المثل: لو كنت أنفخ في فحم؛ أي لو كنت أعمل في عائدة. قال الأغلب العجلي:

هل غيرُ غار هدَّ غارًا فانهدَم   قد قاتلوا لو ينفُخون في فحم
وصبروا لو صبروا على أَمَمْ

يقول: لو كان قتالهم يغني شيئًا، ولكنه لا يغني فكان كالذي ينفخ نارًا ولا فحم ولا حطب، فلا تتقد النار، يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمرًا لا يجدي عليه، والفحيم كالفحم. قال امرؤ القيس:

وإذ هي سوداءُ مثل الفحيم   تُغَشِّي المطانِبَ والمنكِبا

(وإذ هي سوداء: يعني اللمة، وذلك دليل الشباب والفتوة. والمطانب: جمع المطنب، وهو حبل العاتق الممتد إلى المنكب.)

(٤٣٥) غير شارب: حال. وابنة الكرم: الخمر. يقول: جاد بالأموال فأكثر وتخرق في الكرم، فلولا أننا رأيناه صاحيًا لقلنا: كريم هيجته الخمر فحركته إلى الجود وابتعثته عليه، وقد جانس بين الكريم والكرم. وهذا من قول البحتري:

صحَا واهتز للمعرو   ف حتى قيل: نشوانُ

(٤٣٦) طوع الدهر: لك أن تجعل المصدر مضافًا إلى الفاعل، فيكون المعنى: أطعناك كما أطاعك الدهر، ولك أن تجعله مضافًا إلى المفعول: فيكون المعنى أطعناك غاية الطاعة شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطاعك حاسدوك على الرغم منهم خوفًا منك. هذا وقوله: الحاسدو لك، أراد والحاسدون، فحذف النون، لأنه شبهه بالفعل، كأنه قال: والذين حسدوك ومثل هذا كثير، قال عبيد بن الأبرص:

ولقد يَغنَى به جيرانُكِ الـ   ـمُمسكو منكِ بأسباب الوِصالْ

أراد الممسكون، وأنشد جميع النحويين:

والحافظو عورةَ العشيرة لا يأتيهمِ من ورائنا وكَفُ

من قصيدة لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي، وقبله:

نحنُ المكيثون حيث نُحمد بالـ ـمكث ونحنُ المصالتُ الأنفُ

والمكيثون: جمع مكيث، فعيل من المكث، وهو اللبث — الانتظار — والمراد هنا الصبر والرزانة. والمصالت: جمع مصلت، وهو الماضي في الأمور لا يهاب شيئًا. والأنف: جمع آنف، من الأنفة، وهي الحمية. والحافظو: عطف على «المصالت». والعورة: المكان الذي يخاف منه العدو. والوكف: العيب والإثم. يقول: ونحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يعابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته. «راجع القصيدة وقصتها وشرحها في الجزء ٤ ص٢٠٥ من «الخزانة» طبعة السلفية».)

أراد: الحافظون، ولذلك نصب عورة، وقرأ بعض القراء: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ﴾ بنصب «الصلاة». وارتفع الحاسدو بالعطف على الضمير في «أطعناك» وحسن العطف على الضمير المرفوع، وإن لم يؤكد، لطول الكلام.

(٤٣٧) خلناك: حسبناك. والوهم: تخيل الشيء وتمثله كان في الوجود أو لم يكن. وقال الجوهري: وَهَمْتُ في الشيء — بالفتح — أهم وهمًا: إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره. وتوهمت: أي ظننت. ووهِم — بكسر الهاء: غلط وسها. يقول: وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك قد أعطيتنا.

(٤٣٨) التقريظ: المدح. وقوله: الذي يدعو، أراد يدعوني، فحذف المفعول. يقول: لكثرة مدحي إياك دعيت مادحك وشاعرك، والذي يدعوني يظن أن اسمي ثنائي عليك فيقول يا مثني فلان — يا مادح فلان — وبعبارة أخرى: لقد اشتهرت بمدحك بين الناس حتى سموني مادح فلان، وصار الذي يريد أن يدعوني، يناديني بهذا اللفظ، لظنه أني مسمًى به. وقال ابن جني: أنا أمدحك بالشعر، فيقول الناس هذا شاعر الأمير، فاشتق لي من مدحك اسم. وهذا المعنى من قول الناس: من أكثر من شيء عرف به، وقد قال جعفر بن كثير لجميل: قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك نسبًا وإني لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنبوب. وقد نقل المتنبي هذا من قول البحتري:

وما أنا إلا عبدُ نعمتكَ التي نُسِبْتُ إليها دون رهطي ومعشري

(٤٣٩) يقول: قد نلت بجودك كل ما أردت، ولما أدركت ذلك طمعت فيما لا ينال؛ لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه مما لا يناله، ولم يزل بي هذا الطمع حتى صرت أطمع في إدراك النجوم حتى أنالها، كما قال البحتري:

لِمَ لا أَمُدُّ يدي حتى أنال بها زُهْر النجوم إذا ما كنت لي عضدا

(٤٤٠) القرن: الكفء في الحرب. وأجزتني: أعطيتني جائزة، وهي العطاء. والكلم: الجرح. يقول: إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى، فاجعل عطائي ملء جرحه ذهبًا، فإن ذلك يكون كفيلًا لي بالغنى. يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته.

(٤٤١) يمنية: تروى عربية. والنخوة: الكبر. يريد بها ترفعه عن الدنايا وعما يورثه عيبًا. والمأزق: المضيق، والمراد به: ساحة الحرب، يقول: ترفعك عن النقائص ونفسك التي ترمي بها أبدًا في مآزق الحرب يأبيان ذمي لك؛ أي لا موضع للذم فيك، لأنك مترفع عن كل ما يزري بك؛ لأنك كريم شجاع.

(٤٤٢) القرا: الظهر. والمكمن: المخبأ. والدهم: الكثير. يقول: كم من قائل يقول: لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته، لاختفى وراء ظهره الجيش العظيم.

(٤٤٣) وقائلة: أي ورب قائلة، والأرض: منصوب بأعني، وتعجبًا: مفعول له، أو حال، ولك أن تجعله مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف: أي أتعجب تعجبًا. وعليَّ امرؤ: مبتدأ وخبر. وقوله: بوقري؛ أي بمثل وقري، أي ثقلي. يصف رزانته وثقل حلمه، يقول: إن الأرض تقول: تعجبت تعجبًا يمشي علي امرؤ ثقيل حلمه كثقلي.

(٤٤٤) الضمير من «وهو العظم»: يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله: تواضعت. والجملة: معترضة. وعظمًا: مصدر في موضع الحال من «التاء» في «تواضعت». وعن العظم: متعلق بعظمًا. يقول: أنت عظيم القدر والنفس والهمة، فلم يكلمك الناس مهابة لك، فلما هابوك تواضعت متعظمًا عن تلك العظمة، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة؛ لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف.

(٤٤٥) أحق — أي أولى وأجدر: خبر مقدم عن الهمم. والعافي: الدارس الذاهب، من عفت الديار؛ درست. والقدم: خلاف الحدوث. يقول: أحق عافٍ بأن يبكى عليه هو همم

الكرام التي قد درست وذهبت؛ أي أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال. ثم قال: إن القدم أحدث الأشياء عهدًا بها — أي بالهمم — أي أن دروسها قديم، وإذن لا عهد لأحد بها. قال الواحدي: لأن المحدثات تتأخر عن القدم، وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهدًا بها فلا عهد بها لأحد، وهذا كما تقول أحدث الناس عهدًا بها آدم، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس. وقال ابن جني: سألته — أي المتنبي — عن معنى هذا البيت، فقال: أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس؛ لأنها قد عفت ودرست فصار أحدثها عهدًا قديمًا. وعبارة التبريزي: أحق عافٍ بأن يبكى عليه همم الكرام؛ لأنها قد عفت كما تعفو الربوع، فهن أحق بدمعك من كل الدارسات، وجعل القدم أحدث الأشياء عهدًا بالهمم: أي أن دروسها قديم، فلا همم في الأرض.

(٤٤٦) يقول: إن الناس بالملوك يرتفعون، والعرب إذا ملكهم العجم لم يفلحوا؛ لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطبائع واللغة. ثم بين هذا في البيت التالي. هذا، وقد قال أبو عبيد: أصل الفلاح البقاء، وأنشد للأضبط بن قريع:

لـكلِّ هـم مـن الأمـور سـعَـهْ وَالْمُسْيُ والصبحُ لا فلاح معه

يعني ليس مع كر الليل والنهار بقاء، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يغتبط به، وفيه صلاح حال.

(٤٤٧) الحسب: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، وقيل: الحسب الفعال الصالح. والذمم: جمع ذمة، وهي الأمان والعهد.

(٤٤٨) قوله: ترعى بعبد: يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس.

(٤٤٩) الخز: ثياب تعمل من الأبريسم؛ أي الحرير الصرف لا يشوبها قطن ولا كتان. يقول: يرى من كبريائه الخز خشنًا، وكان قبلًا رثًّا حافيًا طويل الأظفار.

(٤٥٠) يقول: إني — وإن لمت حسادي — لا أنكر أنهم معذورون في حسدي؛ لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم، وظهور نقصانهم بزيادة فضلي.

(٤٥١) العلم: الجبل؛ أي شهير كالعلم. والهامة: الرأس، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد. يقول: لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل؛ أي اشتهر وصار كالمشار إليه، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات، يعني علت درجته درجاتهم. وقد نظر في هذا إلى قول البحتري:

واعذر حسودَك فيما قد خُصِصْتَ به   إن العُلَا حسَنٌ فِي مثلها الحسدُ

(٤٥٢) أبسأ الرجال به: أي آنسهم به وآلفهم له، يقال: بسأت بالشيء؛ إذا أذهبت هيبته من قلبك. وتتقي: تحذر. والبهم: جمع بهمة؛ البطل الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه. يقول: كيف لا يحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه أنيسه، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال؟!

(٤٥٣) كفاه الشيء: صرفه عنه. وأنني: فاعل كفى. والكرم: نقيض اللؤم. يقول: منع عني الذم أني رجل كريم أرى ما بي من الكرم أعز شيء أملُكه وأصونه ببذل المال دونه وأبخل به بخل غيري بالمال.

(٤٥٤) اللئيم: الدنيء الأصل، الشحيح النفس، نقيض الكريم. والعدم — بفتح العين والدال، وبضم العين وسكون الدال وبضمها: الفقر وقلة المال. ويجني لهم: يكسب لهم. يقول: إن غنى اللئيم لو علم يجني عليه ما لا يجنيه الفقر؛ لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه، لأنه لا يقصد في حاجة. أما الغنى فإنه يظهر لؤمه؛ لأن الأطماع تتصل به، ولؤمه يمنع من تحقيقها، فيتوجه عليه الذم.

(٤٥٥) الضمير في «لسن» للأموال، والتأم الجرح: التحم. يقول: إن اللئام مملوكون لأموالهم؛ لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها. وهم لا يملكونها؛ لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها، ولا أن يكسبوا بها محمدة في الدنيا أو أجرًا ومثوبة في العقبى، فضلًا عن أنها صائرة إلى الوارث. وإذن: فهم للأموال وليست لهم، وبهذا يوصف اللئيم المكثر، كما قال حاتم الطائي:

إذا كان بعضُ المال رَبًّا لِأهلِهِ   فإني بحَمدِ الله مالي معبَّدُ

وقال آخر:

ذريـنـي أكُنْ ربًّـا ولا يـكـنْ   لِيَ المال ربًّا تَحْمدي غِبَّه غدًا

وقال أبو نواس:

أنتَ للمالِ إذا أَمْسكْتَه فإذا أنْفَقْتَه فالمال لَكْ

وقال المخزومي:

إنَّ رَبَّ المالِ آكِلُه وهْوَ لِلْبُخَّال أَكَّالُ

ثم قال: إن العار أبقى من الجرح؛ لأن جرح السيف يبرأ ويلتم. أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه.

(٤٥٦) الكاف من «كعلي»: في موضع نصب خبر «يكن»؛ أي مثل علي. وجملة «وهو يبتسم»: في موضع الحال. وقوله: يهب الألف؛ أي من الدنانير.

(٤٥٧) ويطعن الخيل: أي فرسانها. وكل نافذة: أي كل طعنة نافذة؛ أي تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر. والوحاء: السرعة. يقول: إن مطعونه لا يحس بألم الطعنة؛ لأنها — لسرعتها — تقتله قبل أن يدرك ألمها. قال ابن جني: لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا. وقد قال غيره في السيف:

ترَى ضرَبَاتِهِ أبدًا خِطابًا إلى أن يستبين له قتيل

(٤٥٨) الموقع — ها هنا — مصدر بمعنى الوقوع. يريد أن يقول: إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه، فإنه لا يندم على فعله؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة، فلا يلم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم. وعبارة ابن جني: إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر:

الْأَلْمَعِيُّ الذي يظنُّ بِكَ الظَّنْـ ـنَ كأن قد رأى وقد سمعا

أي هذا الممدوح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة. وقد شرح هذا الغرض من قال:

إذا أنتَ لم تزْرعْ وأبصرت حاصِدًا نَدِمْتَ على التفريطِ في زمنِ الْبَذْرِ

(٤٥٩) السلاهب: الخيل الطوال، جمع سلهب وسلهبة، يقال: فرس سلهب وسلهبة للذكر: إذا عظم وطال وطالت عظامه. والبيض: السيوف. والحشم: أتباع الرجل الذين

يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه. يقول: له هذه الأشياء لأنه ملك. فقوله: والأمر: ابتداء، وما بعده عطف عليه، والخبر قوله: له.

(٤٦٠) السطوات: جمع سطوة، وهي القهر بالبطش، وسطا عليه وبه سطوًا وسطوة: صال. والقصم — بالقاف — أن ينكسر الشيء فيبين، وأما الفصم — بالفاء — فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين. قال ذو الرمة يصف ظبيًا قد انحنى في نومه فشبهه بدملج — ما يلبس في المعصم من الحلي — قد انفصم:

كـأَنَّـهُ دُمْـلـجٌ مِـن فِـضَّـةٍ نَـبَـهٌ   في ملعبٍ من عَذَارَى الْحَيِّ مفصومُ

(شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسي، وكل شيء سقط من إنسان لنسيه، ولم يهتد إليه: فهو نبه، وجعله مفصومًا لتثنيه وانحنائه إذا نام. ونبه هنا بدل من «دملج» ويقال أصله نبهًا: أي لم يدر متى ضل. قال الأصمعي: أضلوه نبهًا: لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له. وذهب ابن بري إلى أن النبه هنا الشيء المشهور. قال: شبه ولد الظبية حين انعطف لما سقته أمه فروى بدملج فضة نبه — أي بدملج أبيض نقي — كما كان ولد الظبية كذلك. وقال: في ملعب من عذارى الحي؛ لأن ملعب الحي قد عدل به عن الطريق المسلوك، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصياد. وقوله: مفصوم ولم يقل مقصوم؛ لأن الفصم الصدع والقصم الكسر والتبري، وإنما يريد أن الخشف — ولد الظبية — لما جمع رأسه إلى فخذه واستدار كدملج مفصوم: أي مصدوع من غير انفراج.)

يقول: وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس، وتتسامع أخبارها، والتي تكاد الجبال تتصدع وتنهد لها لشدتها.

(٤٦١) يقال: أرعني سمعك — أي اصغ به إليَّ واستمع مني. ومعناه اجعل سمعك لكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف، والضمير من فيه في الشطرين للسمع. والخنا: الفحش في الكلام. يقول: هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة، فهو عند ذلك سميع، ويعرض عن الفحش كأن به صممًا. هذا، والداعي: رواها ابن جني بدون ياء، وقال: أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وصلًا، وحذفاها وقفًا اتباعًا للمصحف، وأثبتها البزي وقفًا ووصلًا في قوله: ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ في سورة القمر. وأثبتها وصلًا أبو عمرو وورش،

وإلى الداعي أثبتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلًا ووقفًا اتباعًا للمصحف.

(٤٦٢) خلقه: مصدر؛ أي إبداعه. وغرائبه: منصوب به. والنسم: جمع نسمة، وهي نفس الروح وذو الروح. قال الشاعر:

ما صوَّرَ اللهُ حِين صوَّرها في سائرِ الناس مثلها نَسَمَه

يقول: إن خلقه غرائب المجد، وإبداعه من المكارم ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله — عز وجل — النسم؛ لأن المخلوق إذا كان قادرًا على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه. وقال ابن جني: أراك كيف يخلق الله النفوس، يعظم قدر ما يأتيه، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى.

(٤٦٣) يخاطب صاحبيه على عادة العرب. يقول: إني عدلت إلى زيارة رجل لو جئتما يا صاحبي تسألانه يكاد ينقسم بينكما، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتماه نفسه، وهذا مبالغة في الجود.

(٤٦٤) الشنوف: جمع شنف، وهو ما يعلق في أعلى الأذن. أما القرط: فهو ما يعلق في شحمة الأذن. والخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال. وقوله: من بعد: متعلق بـ «ملت» — في البيت السابق — يقول: ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حتى صغت لمن أحبه الشنوف والخلاخل من الذهب الذي أعطاني: يعني أن عطاءه وصل إليَّ قبل زيارته.

(٤٦٥) تهدى: اهتدى. يقول: لم تبذل يد ما يجود به، ولا اهتدى فم لأن يأتي بما يقول، يعني أنه أجود الناس بنانًا وأفصحهم لسانًا.

(٤٦٦) بنو العفرنى: مبتدأ، خبره: الأسد، والعفرنى: الأسد القوي، والنون زائدة وأصله من العفر، كأنه يعفر صيده لقوته. ومحطة: اسم جد الممدوح وهو في موضع خفض؛ لأنه بدل من «العفرنى»، إلا أنه لا ينصرف. والأسد: صفة لمحطة — وروى الخوارزمي: محطةِ — بالجر — جعله من الحط، وهو الوضع أي أنه يحط الأسد عن منزلته وشجاعته. والأجم: جمع أجمة؛ الغابة يأوي إليها الأسد. يقول: إن بني محطة الذي هو أسد، أسود مثله، لكن غاباتهم التي يستعصمون بها إنما هي الرماح بدل الآجام التي يمتنع بها الأسود، كما قال علي بن جبلة:

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ   أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ

وقال أبو تمام:

آسادُ موتٍ مُخْدِرَاتٌ مَالها   إلَّا الصَّوَارِمَ والقنا آجامُ

وقال أيضًا:

أُسدُ العرين إذا ما الموتُ صبَّحها   أو صبَّحَتْه ولكن غابها الأسلُ

ولنرتد إلى عفرنى فنقول: يقال: أسد عفرنى ولبوة عفرنى أيضًا، والنون للإلحاق بسفرجل، وناقة عفرناة: أي قوية، قال عمر بن لجأ التيمي يصف إبلًا:

حمَّلْتُ أثقالي مصمِّماتها   غُلْبَ الذفارى وعفَرْنياتها

(الذفارى: جمع الذفرى، والذفرى من القفا: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن. والغلب: جمع الأغلب، وهو الغليظ — يقال: عنق أغلب؛ أي غليظ.)

(٤٦٧) قوم: أي هم قوم. والنحور: جمع نحر، وهو موضع القلادة. والكماة: جمع كمي، وهو البطل المستتر في سلاحه. والحلم: البلوغ. يقول: هم قوم بلوغ الغلام عندهم أن يحمل على الأعداء في الحرب ويطعنهم في نحورهم، لا أن يبلغ سن الحلم، فذاك هو معنى الرجولية عندهم. قال أبو دلف:

علامة القوم في بُلوغِهِمِ   أن يُرْضِعُوا السيف مُهجةَ البطلِ

وقال يحيى بن زيد بن علي بن الحسين:

خرجنا نُقيمُ الدين بعد اعْوجاجه   سويًّا وَلم نخرُج لِجَمْعِ الدِّرهم
إذا أحْكم التنزِيلُ والحلمُ طِفلنَا   فإن بُلوغَ الطفْلِ ضَرْبُ الْجَمَاجِمِ

(٤٦٨) الندى: الجود، والهرم: الكبر والعجز عن التصرف. يقول: إنهم نشئوا مع الجود وفطروا عليه، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز، فهم أجواد على كل حال. وهذا من قول البحتري:

عريقونَ في الإفضال يُؤْتَنَفُ الندى　　لناشِئهمْ من حَيثُ يُؤْتنفُ العُمرُ

(٤٦٩) الصنيعة: المعروف. يقول: إذا عادوا أحدًا جاهروا بعداوته؛ لأنهم لا يخافون عدوًّا، وإذا اصطنعوا صنيعة أخفوها ولم يباهوا بها، حياء ونبلًا.

(٤٧٠) يقول: إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف، لتناسيهم وغفلتهم عنه، كأنهم لم يعلموا به. كما قال الخريمي:

زاد معْرُوفَكَ عِندِي عِظَمًا　　أَنهُ عِنْدَكَ مَسْتورٌ حقِيرْ
تَتنَاساهُ كَأَن لَمْ تأْتِهِ　　وَهْوَ عندَ الناسِ مَشهورٌ كَثيرْ

وقال الآخر:

وَمن تكرُّمِهمْ في الْمَحْل أَنهمُ　　لَا يَعلَمُ الجَارُ فِيهمْ أَنَّهُ جَارُ

«المحل: الجدب.»

(٤٧١) برقوا: خوفوا وهددوا. والحتوف: جمع حتف، وهو الهلاك. يقول: إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة.

(٤٧٢) الغموس: اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم. يقول: إذا أرادوا أن يحلفوا يمينًا يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالفهم: «خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا»؛ لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم. ومن أحسن ما سمع في القسم قول الأشتر النخعي الشاعر الصحابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه:

بَقَّيْتُ وَفْرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ العُلَا　　وَلَقِيتُ أَضيافي بِوجهِ عبوس
إن لم أَشُنَّ عَلَى ابن هِنْدٍ غارة　　لم تَخْلُ يَوْمًا مِن نِهَابِ نفوس

خَيْلًا كَأَمْثَال السَّعالِي شُزَّبًا تَعْدُو ببيضٍ في الكريهةِ شُوسِ
حَمِيَ الحديد عليهِم فَكَأَنَّه لَمَعَانُ بَرقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ

«السعالي: جمع سعلاة؛ سحرة الجن، أو الغول. والشزب: الضوامر. يصف الخيل بالنشاط والضمور. والبيض: يريد الفرسان، يصفهم بأنهم كرام نقية أعراضهم. وفي الكريهة: صلة شوس، وشوس: جمع أشوس، وهو الشديد الجريء على القتال. يقول: إنهم شجعان في الحرب.»

(٤٧٣) يقول: إذا ركبوا الخيل عريًا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلهم حتى يسرجوا خيلهم صارت أفخاذهم حزمًا لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب.

(٤٧٤) اللاقح: الحرب الشديدة، شبهت بالناقة إذا حملت. والمهج: جمع مهجة؛ دم القلب. والدارع: لابس الدرع. يقول: إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكموا في الأرواح فقتلوا من أرادوا.

(٤٧٥) الأعراض: جمع عرض؛ ما يمدح به الإنسان ويذم. والشيم: الخلائق. أي كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم؛ يصفهم بنقاء الأعراض والوجوه والشيم. وهذا ينظر إلى قول أبي الطمحان القيني:

أَضَاءتْ لُهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّم الْجِزْعَ ثاقِبهُ

وقول الآخر:

فإن كان خطب أو ألمت ملمة كفى خابِطَ الظلماء فقدَ المصابحِ

(٤٧٦) يريد بالبحيرة: بحيرة طبرية. والغور: منخفض بالشام، بجوار بلد الممدوح. والشبم: البارد. يقول: لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدفيء الحار. وقال بعضهم: المراد بالغور: المكان المجاور طبرية، فيكون المعنى: لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء.

(٤٧٧) الموج: جمع موجة، ومن ثم قال: مثل الفحول. ولك أن ترفع مثل وتنصب مزبدة، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول، ولك أن تعكس فتجعل «مثل» حالًا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر، والضمير من «تهدر بها» للموج، ومن «فيها» للبحيرة.

وهدر الفحل: إذا هاج وأخرج زبده. والقطم: شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك. شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتهت الضراب فرمت بالزبد من أفواهها. ومعنى تهدر فيها: تصيح في البحيرة هديرًا مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب.

(٤٧٨) الحباب: طرائق الماء عند اختلاف الأمواج. وقوله: فرسان بلق: أراد فرسان خيل بلق، والبلق: التي فيها سواد وبياض. جعل الأمواج بلقًا؛ لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة. وتخونها اللجم: الضمير للفرسان؛ أي تنقطع أعنتها، فتذهب الخيل حيث شاءت. يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه. وقال ابن جني: تخونها اللجم: فهي تكبو؛ يريد رفرفة الطير على الماء ثم انغماسها فيه. قال الواحدي: وليس هذا بشيء لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكبُ، وليست الرفرفة والانغماس مما ذكر في البيت، وإنما بناهما على الكبو الذي ذكره.

(٤٧٩) كأنها: أي الطير. والوغى: الحرب. شبه الطيور وهي يتبع بعضها بعضًا على وجه الماء تضربها الريح بجيشين: هازم ومنهزم فالهازم يتبع المهزوم، ولك أن تقول كأنها — أي الطير والموج — لأن الريح تضربهما معًا فتتتابع الطير على أثر الموج.

(٤٨٠) حف به: أحاط به، قال الواحدي: وكان حقه أن يقول حفه، كما روي في الحديث: «حفت الجنة بالمكاره.» والجنان: جمع جنة، وهي البستان، شبه ماء البحيرة في صفائه — وقد أحاطت به البساتين في خضرتها الضاربة إلى السواد — بقمر أحاطت به ظلمات، وخص النهار؛ لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل. قال العكبري: وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾؛ أي سوداوان. وقال: حف به ولم يقل: حفه؛ لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته على حد قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾؛ أي لطف بي وكقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾؛ أي يخرجون عن أمره.

(٤٨١) قال العكبري: لما وصف البحيرة ألغز فيها فقال: لا عظام لها وهي ناعمة الجسم وبناتها السمك؛ أي أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهن أمهن وما لها رحم.

(٤٨٢) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كنى عن استخراج سمكها وصيدها منها بالبقر، وهو شق البطن.

(٤٨٣) جادت: من الجَود — بفتح الجيم — وهو المطر. والديم: جمع ديمة، وهي المطر الدائم في سكون.

(٤٨٤) الماوية: المرآة، وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين. والأدم: الجلد، وهو بيان للغشاء. شبه البحيرة — مع ما يحدق بها من البساتين — بالمرآة وقد جردت مما تغلف به من الجلد.

(٤٨٥) يشينها: يعيبها. والأدعياء: الذين ينسبون إلى غير آبائهم. والقزم: رذال الناس وسفلتهم، يستعمل للواحد وغيره، يقال: هذا رجل قزم وناس قزم. يقول: إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهله لئام خساس.

(٤٨٦) يقول: إن فعلكم يمدحكم قبل أن ينظم في الشعر؛ أي إنه لحسنه يثني عليكم. ويروى في العقل: يعني أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به.

(٤٨٧) العهاد: جمع عهد، وهو المطر بعد المطر. وقيل: أمطار بعضها في أثر بعض، ومنه — أي من المدح: والمطرة التي تسم هي الوسمى، وهو مطر الربيع الأول، فهو الذي يسم الأرض بالنبات. شبه مدائحه فيهم بالأمطار المتتابعة؛ لأنها تنبت له أنعامهم عليه، وأراد بالتي تسم هذه القصيدة.

(٤٨٨) يقول: إن الدهر مولع بالكرام يأتي عليهم ويعصف بهم، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه. وفي هذا المعنى يقول البحتري:

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو   إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ المُعَلَّى   وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي   تميلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

«النوافل: جمع نافلة، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير. والفضول: الإفضال والتفضل.»

وأصل المعنى لأبي تمام:

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ   وَيَسْلَمِ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ أَعْذَبَهُ   يَفنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ

(الآجن: الماء المتغير الطعم واللون. والأسن: الآسن، وهو الآجن.)

(٤٨٩) فؤاد: لك أن تجعله مبتدأ، محذوف الخبر؛ أي لي فؤاد. أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي فؤادي فؤاد. والمدام: الخمر. واللئيم: هو الذي يتلاقى فيه الشح ومهانة

النفس والآباء، نقيض الكريم. قال ابن فورجه: يعني أن غرضي بعيد ومرامي متعذر؛ إذ لست كالناس أرضى بما يرضون به ويلهيني السكر. ثم قال المتنبي: وعمر مثل ما تهب اللئام، وهذا تأسف منه؛ يقول: لو كان العمر طويلًا لرجوت أن أدرك أغراضي بطول العمر، ولكن العمر قصير ومدته قليلة، فهو كهبة اللئام يسيرة حقيرة، فما أخوفني أن لا أدرك طلبتي بقدر ما أرجوه من العمر. قال الواحدي: وكأن هذا من قول أبي تمام:

وَكَأَنَّ الْأَنَامِلَ اعْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ البَخِيلِ

(٤٩٠) يقول: إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان، كما قال حسان بن ثابت:

لَا عَيْبَ بالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ جِسْمُ البِغَالِ وَأَحْلَامُ العَصَافير

وقال العباس بن مرداس:

فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ

هذا، وقال أهل اللغة: الجثة: شخص الإنسان قاعدًا أو نائمًا، وقيل: جثة الإنسان شخصه متكئًا أو مضطجعًا، وقيل لا يقال له جثة إلا أن يكون قاعدًا أو نائمًا، فأما القائم فلا يقال جثته إنما يقال: قمته، وقيل: لا يقال جثة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتمًا. حكاه ابن دريد عن الأخفش، قال: وهذا شيء لم يسمع من غيره.

(٤٩١) الرغام: التراب. يقول: لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلي في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه. هذا، والمعدن بكسر الدال: مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه. ومنه معدن الذهب والفضة؛ سمي كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن — أي ثبت — فيها.

(٤٩٢) المعهود في مثل هذا أن يقال: هم ملوك، إلا أنهم في طبع الأرانب، لكنه عكس الكلام مبالغة، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعارًا فيهم. قال ابن جني: وهذا عادة له — للمتنبي — يختص بها. يقول: هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين، كما قال:

وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمُ

وكما قال أبو تمام:

أَيْقَظْتَ هَاجِعَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهُمُ سَهُر النَّوَاظِرِ وَالقُلُوبُ نِيَامُ؟!

(٤٩٣) بأجسام: أي مع أجسام، ويحر: يشتد، من قولهم: حر يومنا يحر حرارة. والأقران: جمع قِرن — بكسر القاف — وهو الكفؤ في الحرب. يقول: إنهم لا يحفلون إلا بالمآكل، ومن ثم يموتون بالتخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب.

(٤٩٤) خيل: معطوف على أجسام. وخر: سقط. والقنا: الرماح. والثمام: نبات ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حشي به وسد به خصاص البيوت، قال الشاعر يصف ضعيف الثمام:

ولوْ أنَّ ما أبقيتَ مِنِّي معلَّق بعُود ثُمَامٍ مَا تأوَّد عُودُها

وقولهم: هو على طرف الثمام: أي أنه ممكن لا محال. يقول: إن طعنهم لا يؤثر في المطعون لضعفهم، فكأنهم يطعنون بالثمام.

(٤٩٥) يقول: لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه، وليس من تقول: هو خليلي، خليلًا لك وإن كثر تملقه، ولان لك قوله. هذا، وكما يطلق الخليل على الصديق، يقال للفقير المختل الحال: خليل، قال زهير:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يَوْمَ مسْغَبة يقول: لا غائبٌ مالي ولا حَرِم

«مسغبة: مجاعة. وحرم: ممنوع.»

(٤٩٦) حيز: مجهول حاز؛ بمعنى مُلِكَ. والحفاظ: المحافظة على الحقوق ورعي الذمام. والصيقل: الذي يعمل السيوف. والحسام: السيف القاطع. يقول: لو كان في الإمكان أن يحافظ على الوفاء ورعي الذمام ما لا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصيقل الذي صقله لا يقطعه، يعني أنهم لا عقول لهم، ولذلك ليس لهم حفاظ.

(٤٩٧) الطغام: رذال الناس وغوغاؤهم. قال الأزهري: وسمعت العرب تقول للرجل الأحمق: طغامة ودغامة، والجمع: طغام — كنعامة ونعام — وروى ابن السكيت أن

رجلًا كان يتردد إلى أبي مهدية الأعرابي، وأنه سافر، فلما قدم قال له أبو مهدية: كيف حال الناس؟ أو نحو ذلك — فقال له: وما الحال؟ فقال أبو مهدية: يا طغامة لقد أحفيتني في المسألة، وأنت لا تدري ما الحال! ولزمت ذلك الرجل الطغامة، فقال فيه بعض النحويين:

مَنْ كَانَ يُعْجبهُ الطَّغامةُ كُلُّها فَعَليْه مَيْمُونًا أَبَا الضَّحَّاكِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وحالَفَها: بَرَاكِ بَرَاكِ

«قال الجوهري: يقال في الحرب: براك براك — كقطام — أي ابركوا.»

يقول: إن الشيء يميل إلى شبهه، والدنيا خسيسة. فلذلك ألفت الخساس؛ لأنهم أشباهها في اللؤم والخسة، والشكل إلى الشكل أميل.

(٤٩٨) ذو محل: أي ذو منزلة رفيعة. والقتام: الغبار. يقول: إن علوهم في الدنيا لا يدل على محلهم واستحقاقهم، ولو كان كذلك لما ارتفع الغبار فوق الجيش.

(٤٩٩) يرع: أي يكون راعيًا. وسامت الماشية: إذا رعت وهي سائمة، وأسامها صاحبها، ويريد بالمسام ها هنا: الرعية، والضمير في «أسامهم» لقوله: ملوك — في أوائل القصيدة — يقول: لو كانت الإمارة بالاستحقاق لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية، ورعيتهم ملوكًا يسوسونهم؛ لأنهم أحق منهم بالملك. وقال ابن فورجه: المسام المال المرسل في مراعيه. يقول: هؤلاء شر من البهائم، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعي لهم البهائم؛ لأنها أشرف منهم وأعقل. قال ابن جني: المسيم الذي يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدبره وهو مهمل بلا ناظر في أمره، فلو لم يلِ الأمر إلا من يستحقه لخلا الناس من خليفة يلي أمرهم؛ لأنه لا يستحق أن يلي عليهم.

(٥٠٠) الغواني: جمع غانية، وهي التي غنيت بحسنها عن التجمل. يقول: من جرب الغواني فالغواني ضياء في الظاهر ظلام في الباطن. يريد أنهن يتعبن من يصبو إليهن ويعلق قلبه بحبهن.

(٥٠١) الحمام: الموت. يقول: إذا كان الإنسان في شبيبته كالسكران لهوًا وغفلة، وفي المشيب غارقًا في بحر من الهم لضعفه واهتمامه لما فات من عمره، فإن حياته هي الموت على الحقيقة؛ أي إن حاله وحال الميت سيان. يريد أن الحياة في الدنيا منغصة مكدرة، فالإنسان لدى المشيب يفكر فيما فات من عمره وهو في غفلة. أو تقول: إذا كان الإنسان

في شبيبته غائصًا في سكر من اللهو والصبا، وعند مشيبه غائصًا في بحر من الهم حتى لا يعي في عمره شيئًا، فحياته أشبه بالممات.

(٥٠٢) قال الواحدي: يقول: ليس كل أحد يعذر إذا بخل؛ لأن الواجد الغني لا عذر له في البخل والمنع. وليس كل أحد يلام على البخل؛ فإن المعسر المحتاج إلى ما في يده لا يلام في بخله. ووجه آخر: وهو أن الذي لا يعذر في بخله من ولدته الكرام، والذي لا يلام على بخله من كان آباؤه لئامًا بخلاء؛ لأنه لم يتعلم غير البخل، ولم يرَ في آبائه الكرم والجود، فيكون هذا من قول أبي تمام:

لِكُلٍّ مِنْ بَنِي حَوَّاءَ عُذْرٌ　　　وَلَا عُذْرٌ لِطَائِيٍّ لَئِيمِ

وقال ابن جني: هو من قول أبي نواس:

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الْجَوَادَ مُقَتَّرٌ　　　عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ

(٥٠٣) مقام: مصدر ميمي، بمعنى إقامة. يقول: لم أرَ مثل جيراني في سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلي في مصابرتهم مع فرط جفوتهم، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم. وقوله لمثلي: خبر مقدم عن مقام، والجملة: مفعول ثانٍ لقوله: «لم أرَ». ولك أن تقول: إن مراده: ألمثلي؟ على الاستفهام التعجبي.

(٥٠٤) يقول: كل ما تشتهي وتطلب تجده في هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها.

(٥٠٥) فيها: خبر «كان». ومنها: حال مقدمة عن «التمام». يقول هلا كان نقص أهل الأرض في الأرض، وتمام الأرض — أي كمالها — في أهلها؟ يعني أن هذه الأرض كاملة في أحوالها، وأهلها ناقصون في أخلاقهم، فهو يتمنى أن يكون كمالها في أهلها ونقصانهم فيها لها؛ إذ إن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس يجدي شيئًا.

(٥٠٦) أنافا: أشرفا وطالا. والمغيث: هو الممدوح. واللكام: جبل بالشام، يقال له: جبل الأبدال. يقول: بها جبلان. أحدهما من صخر — وهو جبل اللكام — والثاني من فخر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة. لما استعار للفخر جبلًا عطفه على الجبل الحقيقي.

(٥٠٧) الغمام: السحاب، وإنما قال هذا؛ لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول: ليست هذه البلدة موطنًا للممدوح، ولكنه يمر بها أحيانًا مرور السحاب فتصيب من نفعه، كما قال أبو تمام:

إنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَرْتَ فِيهِمْ مُرورَ العَارِضِ الهطِل

(٥٠٨) يقولون: سقى الله فلانًا، يريدون الدعاء له بالخصب والنماء. والمنجبة: التي تلد النجباء، وابنها: هو الممدوح؛ يريد أنه نجيب. والدر: اللبن، والمراد به عطاياه. والفطام: انفصال الولد عن ثدي أمه. يريد: أنه ليس يقطع عن بره.

(٥٠٩) من: عطف على ابن منجبة. والدوام: يروى الذمام؛ أي العهد. يقول: إن فوائد الممدوح لا تقتصر على العطايا، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة الجانب وما إليهما، وعطاياه لا تنحصر في الأموال، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز، ولكن يعامله معاملة خلصائه.

(٥١٠) السلك: الخيط الذي ينظم به العقد. والنظام: مصدر نظم. قال الواحدي: يعني أنه غطى بمحاسنه مساوئ الدهر، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر. ومن روى «بها»: عاد الضمير إلى العطايا، والمعنى: لبس الزمان من عطاياه ما لبس السلك من الدر. وقال ابن القطاع: هذا البيت على القلب، يقول: قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان، فلا يرانا ولا نراه، ويجوز أن يكون المعنى: استخفى الزمان عنا فلم نرَ أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفًا من هذا الممدوح. وقال آخرون: إن مآثر الممدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات، كما يتواصل الدر في السلك، فامتلأ الزمان من فضائله، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أو كرم، وحينئذٍ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان، وخفي الزمان الذي هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر.

(٥١١) المروءة: كمال الرجولية. والمراد بالغرام هنا: العذاب اللازب. قال أهل اللغة: الغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق وما لا يستطاع أن يتفصى منه. قال الزجاج: هو أشد العذاب في اللغة. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾. يقول: المروءة تؤذي صاحبها بما فيها من التكاليف، وهي مع هذا تلذ له كالعشق لذيذ مع ما فيه من النصب والعذاب. كما قال المتنبي:

وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ   لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ

(٥١٢) تعلقها: أي تعلق المروءة؛ أي هويها. وهوى: مفعول مطلق. يقول: عشق المروءة كما عشق قيس بن الملوح المجنون ليلى العامرية، غير أنه واصل المروءة فلم يورثه حبها سقمًا كما أورث عشق ليلى قيسًا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلًا.

(٥١٣) يروع: يفزع ويخيف. والركانة: الرزانة والوقار. والظرف: خفة الروح وذكاء القلب. يقول: إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان. هذا: وشيخ: خبر عن محذوف: أي أشيخ هو؟ والجملة في محل رفع سادة مسد معمولي ندري. ويروى: فما يُدْرَى.

(٥١٤) المسائل: المطالب. والندى: الجود. والجدال: معروف. يصفه بالجود وقوة العلم والفهم. يقول: إنه ينقاد لسؤال من سأله؛ أي أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالخيبة، أما المسائل التي ترد عليه في الجدل فإنه لا يطاق فيها.

(٥١٥) النوال: العطاء. والذام: المذمة والعيب. يقول: إن قبول عطائه شرف وعز لآخذه، أما قبول عطاء غيره من اللئام فهو عار، وهذا كقول بعضهم:

عطاؤك زين لامرئٍ إن أصبْتَهُ   بخيْر وما كلُّ العطاءِ يزينُ
وَليسَ بعار لامرئ بَذْلُ وجْهِهِ   إليْك كما بَعْضُ السؤال يشينُ

وكقول البحتري:

وَيُعجبُني فَقري إليْك وَلمْ يَكُنْ   ليعجبَني — لوْلا محبتُك — الفقرُ

(٥١٦) الأيادي: النعم. والحمام عند العرب: اسم جامع لذوات الأطواق من الطير كالقماري والفواخت وساق حر. يقول: إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام. وهذا كما قال السري الرفاء:

وَطَوَّقْتَ قوْمًا فِي الرِّقَابِ صنَائِعًا   كَأَنَّـهُمُ مِنْهَا الْحَمَامُ المطَوَّقُ

وقبلهما يقول أبو تمام:

أبْقَيْنَ في الأَعْنَاقِ فعْلكَ جَوْهرًا أَبْقَى مِنَ الأطْوَاقِ في الأعْنَاقِ

(٥١٧) عجل: قبيلة الممدوح. والأنواء: جمع نوء، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق. يقول: إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام، فكذلك عجل هم الكرام. يعني من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام. ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوءًا، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام، والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم.

(٥١٨) الذرا — بفتح الذال — كل ما استترت به، تقول: أنا في ذرا فلان، أي في كنفه وستره. والشفار: جمع شفرة، وهي حد النصل، والضمير في «شفارها»: للسيوف، وإن لم يجرِ لها ذكر، لدلالة الحال. واللطام: المصادمة بالسيوف. يقول: إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عمن استذرى بهم من الحرم والوفود، وهو من قول الحماسي «الجريش بن هلال القريعي»:

نُعرِّضُ لِلسيوفِ إذا الْتَقيْنَا خدُودًا لَا تُعرَّضَ لِلِّطَام

وروي:

تَقِي جَبَهاتهم ما في ذُراهم

فالذرى: جمع ذروة، وهي أعلى كل شيء، والمراد بما في ذراهم: السيوف؛ لأنها تقلَّد في أعالي البدن. يقول: إن سيوفهم تحمي وجوههم إذا اشتدت الملاطمة بشفار السيوف.

(٥١٩) يممتهم: قصدتهم. وتجدو: تطلب جدواهم. يقول: لجودهم وكرمهم لا يردون سائلًا حتى لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه صلاتهم وصيامهم. وفي هذا يقول أبو تمام:

وَلوْ قصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لقَاسمَ مَنْ يرْجُوهُ شطرَ حيَاتهِ
ولوْ لمْ يَجِدْ في قِسْمةِ الْعُمر حيلةً وَجَازَ لهُ الإعْطَاءُ من حسنَاتِهِ

لـجـادَ بـهَـا مـنْ غـيْـر كُـفْـرٍ بـربِّـهِ وَوَاسَـاهُـمُ مـنْ صـوْمِـهِ وَصـلاتِـهِ

ويقول أبو العتاهية:

فمنْ لي بهذَا؟ ليتَ أنِّي أصبْتُهُ فقاسَمْتُهُ مالي مِن الحسناتِ!

وأخذه بعضهم فقال:

وَلوْ جاءهُ يومَ القيامَةِ سائلٌ تعرَّى له عنْ صومِهِ وَصلاتِهِ

(٥٢٠) العرام: الشراسة. وبها: خبر مقدم عن عرام. يقول: إن كانوا حلماء ذوي وقار فإن خيلهم خفاف في العدو — الجري — ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء. هذا، والحلم: الأناة والعقل، يقال منه حلُم — يحلم حلمًا فهو حليم. أما الحلم — بمعنى الرؤيا في المنام — ففعله حلَم — بالفتح — يقال: حلم واحتلم إذا رآه في النوم، أما الحلم — بالتحريك — وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فيتثقب ففعله حلم — بالكسر — يقال: حلم الأديم. قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي — عليه السلام — ويقول له: أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فساده، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلِم — الذي وقعت فيه الحلمة فثقبته وأفسدته — فلا ينتفع به:

فإنك والكِتابَ إِلَى عليٍّ كدَابغةٍ وقدْ حَلِمَ الأَدِيمُ

وفيه تقدمت بقية الأبيات.

(٥٢١) الجفان: القصاع، جمع جفنة. ومكللات: حال؛ أي مغطاة باللحم فهو عليها كالأكاليل، كما قال زياد بن منقذ:

ترى الجفانَ مِن الشيزَى مكللةً

(الشيزى: خشب أسود تتخذ منه الجفان، قيل: إنه الآبنوس. وقيل: شجر الجوز.)

والشزر: ما كان عن يمين وشمال. والتؤام: جمع التوءم — على غير قياس — أي

مزدوج، والقياس: توائم. يقول: عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب المتدارك المتوالي. يعني: أنهم مطاعيم مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة.

(٥٢٢) صرعه: طرحه. والتشديد: للتكثير، ونبا السهم عن الهدف: لم يعمل فيه. يقول: إنهم رقاق الوجوه لفرط الحياء، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم — أي قدر عليهم — إذ يغلبهم الحياء احتشامًا وكرمًا. أما إذا نازلوا العدو في الحرب فإنهم شجعان يردون السهام بأوجههم، وفيه نظر إلى قول العطوي (محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية):

أهـابُ الـرِّيـمَ أرْمُـقـهُ وأَضْـرِبُ هـامَـةَ الأسـدِ
وَيـجْـرَحُـنـي بِـمُـقْـلَـتِـهِ وَينبُو السيفُ عنْ جَسِدي

(٥٢٣) قبيل: خبر عن محذوف يعود إلى الممدوحين. والقبيل: الجماعة. يقول: إن المعالي مشتملة عليهم اشتمال اللحم والجلد على العظام، يعني أنهم للمعالي كالعظام للأجسام.

(٥٢٤) قال الواحدي: أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت في علو قدرك، يعني إذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرًا، وقد أخر حرف العطف في قوله «وأنت» وهو قبيح جدًّا، وهذا كما تقول قامت زيد وهند، وأنت تريد قامت هند وزيد.

(٥٢٥) الرغائب: جمع رغيبة، وهي كل ما كان مرغوبًا فيه. والأنام: ما على وجه الأرض من الخلق، وقد يراد به الناس بخصوصهم. وقوله: لأن، فاسم «أن» محذوف ضمير الشأن. والذمام: الحرمة والعهد. يقول متعجبًا: لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطاياك ويشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص؟ ثم قال في البيت الثاني: إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك؛ لأنك متى كنت صاحبه وجب عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب. وعبارة الشراح: لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطاياك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رغائبه، وأنت لا ترضى أن نقول: هو لك وندعوك صاحبه؛ لأن الصحبة توجب ذمامه، وأنت لا ترعى له ذمامًا؛ أي فلمن هذا المال؟ قال الواحدي: هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى، فيكون معنى البيت الأول: لمن مال هذه حاله؟ يعني لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك، فحذف لدلالة المعنى، ثم ينفرد معنى البيت الثاني

بما ذكرناه، ويروى فيرضى — بالياء — أي إذا دعوناك صاحبه رضي المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحبة.

(٥٢٦) حاد عن الشيء: مال عنه، وحايده محايدة: جانبه. والسامري: واحد السوامرة، وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس، إليهم نسب السامري الذي عبد العجل الذي سمع له خوار. قال الزجاج: وهم إلى هذه الغاية بالشام. والجذام: داء معروف. يقول: أنت تحيد عن هذا المال وتتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامري من مصافحة رجل في يده جذام، فأنت تأمر بتوزيعه ولا تمسه. هذا، وقد قال الواحدي: كان حقه أن يقول: كأنك السامري معرفًا؛ لأن هذا نسب له ليس باسم علم، وهو في القرآن معروف بأل، إلا أن يكون أراد واحدًا من قبيلته. وقال العكبري: وهذا الذي قال هو الذي أراد أبو الطيب؛ أي كأنك رجل سامري كما تقول: هو محمدي وداودي وهاروني، فتتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام، كقولك: حنفي وشافعي.

(٥٢٧) عراه واعتراه: إذا أتاه وقصده طالبًا معروفه. ومنه قول النابغة الذبياني:

أتيْتك عاريًا خلقًا ثِيابي ... على خَوفٍ تُظَنُّ بيَ الظنُونُ

والحِبر — بالكسر، ويفتح: الرجل العالم، قال الجوهري: الحِبر والحَبر واحد أحبار اليهود، وبالكسر أفصح، وقال الفراء: إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح؛ لأنه يجمع على أفعال دون فعل، ويقال ذلك للعالم، كأنه من تحبير الكلام؛ أي تحسينه. يقول: إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون.

(٥٢٨) المُعْلِم بكسر اللام: الذي يشهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل، يقال: أعلم الرجل نفسه. ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة. واللهام: الكثير الذي يلتهم كل ما يستقبله. يقول: إذا رآك الأبطال المعلمون قالوا: هذا علامة الجيش العظيم؛ لأنه ليس في الجيش أشهر منه، فهو دليل على قوة الجيش الذي يكون فيه، أي كما أن علامة الفارس تكون دليلًا على شجاعته تكون أنت دليلًا على قوة الجيش الذي تكون فيه. قال الواحدي: يجوز أن يكون يعلَم — بفتح اللام — من العلم؛ أي بهذا يعرف الجيش أي أنه صاحب الجيش وفارس العسكر، ومن روى: يعلِم — بكسر اللام — فمعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم.

(٥٢٩) يقول: طابت بك أيام الدهر وبدت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك، يعني أنها كانت متجهمة عابسة فزال بك عبوسها، فكأنك ابتسام لها وطلاقة. كما قال أبو تمام:

وَيَضْحَكُ الدَّهرُ مِنهمْ عنْ غطارفةٍ كأنَّ أيامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمعُ

(٥٣٠) البين: البعد والفراق. والواشي: النمام. يقول: نستعظم البين والصدود أعظم منه؛ لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها، ونتهم الوشاة بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم؛ لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القلب من الوجد، فهو أولى بأن نتهمه بإذاعة أسرارنا. وروى ابن الشجري:

نرَى عِظمًا بالصَّدِّ وَالبينُ أعظمُ

يعني أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره، وإذا فارق، حال البعد دون النظر إليه، وهو معنًى حسن.

(٥٣١) اللب: العقل. ويكتم: يروى بالمعلوم والمجهول، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن. يقول: إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك؟ وإذا كان سرك في جفنك كيف تقدر على كتمانه؟ يريد أن قلبه أسير غيره، وهو دائم البكاء، فالدمع يظهر سره ويفتضحه.

(٥٣٢) النوى: البعد. والواو فيه: واو الحال. وظلت: ظللت. يقول: ولما التقينا، وكان البعد والرقيب في غفلة عنا، ظللت أبكي من الوجد، وهي تضحك تعجبًا من حالي ودلالًا عليَّ.

(٥٣٣) المتنان: الجانبان الأسفلان من الظهر. والخصر: ما فوقهما. وتظلم الرجل: اشتكى الظلم، جعل نفسه في الدقة كخصرها، وجعل ظلمها إياه بتكليفه ما لا يطيق حمله كظلم متنيها لخصرها، ثم وصف نفسه بضعف القوى. هذا، وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدي — أن يصفوا الردف بالعظم، والخصر بالهيف، ولم يسمع ذكر سمن المتن وكثرة لحمه، وإنما يصفون النصف الأعلى بالخفة والرشاقة، وهو يقول: متنها ممتلئ يظلم خصرها بتكليفه حمله، والصحيح في هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب:

صَبًّا كَئِيبًا يَتَشَكَّى الْهَوَى　　كما اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ ردفكا

(٥٣٤) بفرع: متعلق بمحذوف تقديره: تبدو، أو تسبي، أو تقبل بفرع، والفرع: شعر الرأس. يقول: تريك النهار ليلًا بشعرها، والليل نهارًا بوجهها، وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح:

بَيْضاءُ تَسْحبُ منْ قيامِ شعْرَها　　وتغيبُ فيه وهْوَ جثْلٌ أسْحَمُ
فكأنَّها فِيهِ نهَارٌ مُشْرقٌ　　وَكَأَنَّهُ ليْلٌ عليْها مُظْلِمُ

«جثل: كثيف، وأسحم: أسود.» وقول أبي تمام:

بَيْضاءُ تَبْدُو في الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي　　نُورًا وَتَسرُبُ في النهار فيُظلمُ

«تسرب: تتوارى.» وقوله أيضًا:

لَحِقْنَا بأُخْرَاهُم وَقَدْ حوَّم الْهَوَى　　قلُوبًا عَهدْنا طيْرَها وَهْيَ وُقَّعُ
فرُدَّتْ عليْنا الشَّمْسُ وَالليْلُ رَاغمٌ　　بشمْسٍ لَهُمْ منْ جانب الْخِدْر تطْلعُ
نضا ضوْءُها صبْغ الدُّجُنَّةِ وَانطوَى　　لِبَهْجتها ثوْبُ الظلام الْمجزَّعُ
فوَالله ما أدْري أَأَحْلَامُ نائم　　أَلمَّتْ بنا أمْ كانَ في الركْب يُوشعُ؟

«لحقنا بأخراهم ... إلخ: أي قصدنا المتأخرين منهم، وقد جعل الهوى قلوبنا تحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقربهم هادئة لعدم فراقهم، وقوله: ثوب الظلام المجزع: جعله مجزعًا لأجل النجوم، والتجزيع في الشيء: أن يكون فيه لونان مختلفان.»

(٥٣٥) العرمرم: العظيم الكثير. يقول: إنها رحلت وتركت دارها خالية، ولكن قلبي ليس خاليًا مثلها. إذ إنه ملآن بالشوق إليها، وفيه منه جيش عظيم، فحبها ملازم له لا يفارقه.

(٥٣٦) أثافٍ: مبتدأ، محذوف الخبر؛ أي فيها، أو هناك أثافٍ، والأثافي: جمع أثفية، وهي الحجر ينصب تحت القدر، وتقدير أثفية أفعولة من ثفيت، قال الأزهري: الأثفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أثافي — بالتشديد — قال: ويجوز التخفيف. والصلى:

الاصطلاء بالنار، وإذا فتحت الصاد قصرت، وإذا كسرت مددت. والرسم: ما بقي من آثار الديار. يقول: في ديارها أثافٍ بها من الصلاء ما بفؤادي، يعني أن النار حرقتها وأثرت فيها كما أحرق الشوق والحب قلبي، وكما أن رسم دارها بالٍ متهدم، كذلك جسمي لفراقها.

(٥٣٧) ردنا القميص: كماه. والغيم: السحاب. وأسعده: أعانه. والعبرة: الدمع، أو تحلب الدمع، وعبرت عينه واستعبرت: دمعت، وعبر الرجل يعبر عبرًا: إذا حزن، وامرأة عابر وعبرى وعبرة: حزينة. قال الحارث بن وعلة الجرمي:

يقولُ ليَ النهديُّ: هل أنْت مردفي؟ وكيف ردافُ الفَرِّ أمك عابر؟!
يُذكرني بالرُحم بيني وبينه وقد كان في نهدٍ وجَرم تدابر
نجوت نجاءً لم يرَ الناسُّ مثله كأني عُقاب عنْدَ تَيْمَنَ كاسر

(عابر: ثاكل. وتدابر: تقاطع. والنهدي: رجل من بني نهد يقال له: سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به. فأبى أن يردفه، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه.)

والصرف: الخالص. يقول: وقفت على دارها والسحاب يمطر كأنه يساعدني في البكاء، ولكن دمعه كان خالصًا، وكان دمعي ممزوجًا بالدم.

(٥٣٨) انهل: سال وجرى. يقول: لو لم يكن دمعي دمًا ما كان أحمر وما كنت هزلت وسقمت بعد انهماله.

(٥٣٩) الهجعة: الرقدة. وقوله: بعدنا؛ أي أبعدنا بهمزة الإنكار، فحذف لضيق المقام. وطعم الشيء: ذاقه. يقول: أفدي بنفسي الخيال الذي زارني بعدما نمت، وقال لي معاتبًا: أتنام بعد فراقنا؟ وهل من فارقه أحبته ينام؟!

(٥٤٠) سلام: من حكاية قول الخيال؛ أي قال لي الخيال معاتبًا: أتنام بعد مفارقتنا؟ سلام: أي عليك سلام. ويروى: سلامًا؛ أي اسلم سلامًا. وأبو حفص: كنية الممدوح. يقول: لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهرًا لحملني الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه الممدوح يسلم عليَّ. وقال ابن جني: لولا خوفي من مفارقته أو معاتبته على نومي، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته، لقلت: المسلم على الممدوح. قال الواحدي: أخطأ ابن جني في تفسيره؛ لأنه جعل الخوف للمتنبي، وأن لا حقيقة لزيارته، وما هو كذلك لا يوصف ببخل. والمرأة توصف بالبخل والجبن. ويقال: إن هذين من شر

أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء. قالوا: وقوله: بعدنا الغمض تطعم، هو من قول الصنوبري:

قال، والنومُ ممكنٌ: غُرَّ غيري   لا تُمَوِّه فلَسْتَ بالمستهامِ

(٥٤١) الصابي: المشتاق. وتيمه الحب: عبده وذللـه، والتيم: العبد، وتيم الله منه، كما تقول: عبد الله. وقيل: المتيم المضلل، ومنه قيل للفلاة: تيماء؛ لأنه يضل فيها، ويقول تيمه الحب وتامه، قال الأصمعي: تيمت فلانة فلانًا تتيمه وتامته تتيمه تيمًا فهو متيم بالنساء، ومتيم بهن، وأنشد للقيط بن زرارة:

تامتْ فُؤَادَكَ لوْ يَحْزُنْكَ ما صنعتْ   إحْدَى نساء بَنِي ذُهل بن شَيبانا

يقول: إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفاة كما يصبو المحب إلى محبوبه.

(٥٤٢) الضيغم: الأسد. يقول: إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه، ولولا ذلك لقلنا: إنه أسد. ثم أكد هذا بالبيت التالي.

(٥٤٣) يقول: إنه زاد على الأسد شجاعة، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه؛ لأنه يستحق أكثر من ذلك. هذا، ويقال: بخسه حقه يبخسه فهو باخس؛ أي نقصه.

(٥٤٤) اللجة: معظم الماء. والضرغام: الأسد. والمخذم: السيف القاطع. يقول: هو أجلُّ من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر، ورأيه أنفذ من السيف، وهو أشجع من الأسد.

(٥٤٥) يؤسى: يداوى — أسوت العليل آسوه أَسْوًا — والآسي: الطبيب. والغور: العمق. والضمير المضاف إليه للجرح: أي إن جرحه أوسع من أن يعالج، لا يبرأ بالعلاج، ولا يرى غور جرحه لعمقه، ويجوز أن يكون الضمير للممدوح، على معنى أنه بعيد الغور في الرأي والتدبير، فلا يدرك غوره. وحده — على المعنى الأول — يراد به حد سيفه، وعلى الثاني: حد عزيمته، على تشبيهها بالسيف. وينبو: أي يكل عن الضريبة. وفي إعراب البيت يقول ابن جني: عطف بـ «لا» في هذا البيت على مدخول «لا» في الذي قبله في ظاهر اللفظ، لا في المعنى، وذلك لأن قوله لا الكف لجة؛ أي فيها ما في البحر وزيادة عليه، ولا هو ضرغام؛ أي فيه ما في الضرغام من الشجاعة، وزاد عليه، ولا الرأي

مخذم؛ أي لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك، وأما قوله ولا جرحه يؤسى: فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه، وكذا ولا غوره ولا حده، وليس يريد أنه يتثلم ويزيد كما أراد في البيت فهو في البيت الأول مثبت في المعنى لما نفاه في اللفظ، وفي الثاني نافٍ في اللفظ والمعنى جميعًا. قال: ألا ترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة؟

(٥٤٦) يقول: ليس للأمر الذي يحكمه ناقض، ولا للذي نقضه مبرم؛ يعني أنه لا يخالف فيما أراد. هذا، وقد فك الإدغام من قوله: حالل ويحلل ضرورة وهو من التجوزات المكروهة. قالوا: وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات، كما قال قعنب بن أم صاحب — شاعر أموي:

مَهْلًا أَعَاذِلَ قَدْ جرَّبتِ مِنْ خُلقي   أنِّـي أَجُودُ لأَقْوَامٍ وإنْ ضَـنِـنـوا

(من قصيد له يقول فيها:

ما بَالُ قومٍ صَدِيقًا ثُمَّ ليسَ لهم   عَهْدٌ وليسَ لَهُمْ دِينٌ إذا ائْتُمِنوا؟!
إنْ يَسْمَعوا رِيبةً طارُوا بها فرحًا   عني وما سَمعُوا مِنْ صالحٍ دفنوا
صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيرًا ذُكرْتُ بِهِ   وإنْ ذُكرتُ بِسُوءٍ عِندهُم أذِنوا
جَهْلًا عَلَيَّ وجُبنًا عَنْ عَدُوِّهِم   لبئست الْخَلَّتَانِ: الجهل والجبنُ

ويقولون: أذنت له أي سمعت له.)

(٥٤٧) الرمح: الرفس بالرجل. ويقال للمختال: إنه ليرمح الأذيال؛ وذلك إذا كان يطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله، ومنه قول القحيف العقيلي:

يَقُولُ لِيَ الْمَغْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةً   بمَكَّةَ يَرْمَحْنَ الْمُهَدَّبَةَ السُّحْلَا

«المهدبة: الثياب التي لها أهداب. والسحل: البيض.» والجبرية: الكبر، والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقًّا. يقال: جبار بين الجَبَرِيَّة والجِبِرِيَّة — بكسر الجيم والباء — والجبرية والجَبْروه والجَبَروه، والجبروت والجُبورة والجَبورة مثل الفروجة، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر، وأنشد الأحمر قول مغلس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلًا كان واليًا على أضاح:

فإنَّكَ إنْ عادَيتني غضِبَ الْحَصَى　　عَلَيْكَ وذُو الْجَبُّورَةِ الْمُتغطْرِف

«يقول: إن عاديتني غضب عليك الخليقة، وما هو في العدد كالحصى. والمتغطرف: المتكبر.» يقول: هو على عظمته وفخامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب عجبًا واختيالًا، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون في طلب حطامها، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها، بما يحمل إليه من جبايات الملك.

(٥٤٨) ولا يشتهي يبقى: يريد: أن يبقى فحذف «أن» للضرورة. يقول: لا يحب أن يبقى ولا عطاء له؛ أي إنما يحب البقاء ليعطي، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه؛ أي إنه يحب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه.

(٥٤٩) الصهباء: الخمر. واليسر: الغنى. والمعدم: الفقير. يقول: إن ذكره على الألسنة ألذ من الخمر قد مزجت بالماء، وأحسن من اليسر لدى المعدم.

(٥٥٠) عنقاء مغرب: طائر، يقال: إنه ذهب ولم يبقَ إلا اسمه. وأعوز: قال ابن جني: كان الوجه أن يقول: أشد إعوازًا لأن ماضيه أعوز، ولكنه جاء على حذف الزيادة. والمسترفد: السائل. يقول: مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير، وأشد إعوازًا وأقل وجودًا من سائل منه شيئًا يحرمه ولا يعطيه، وهو لا يخرم أحدًا؛ أي فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله.

(٥٥١) الأيادي: النعم. وأياديًا: تمييز، ومن القطر: صلة أكثر، والقطر: المطر. والوبل: المطر الغزير، والواو قبله للحال. وأثجمت السماء: دام مطرها، أراد: هو أكثر أيادي بعد الأيادي من القطر بعد القطر، يعني أن نعمه ومواهبه أكثر تتابعًا من قطر المطر حين يكون كثيرًا دائم الهطلان.

(٥٥٢) السني: الرفيع الشريف. واللؤم: الخسة؛ نقيض الكرم. وآلى: أقسم. والتهويم: اختلاس أدنى النوم، وأصله النوم القليل، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان؛ لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد. يقول: لو كان النوم الذي لا بد منه للإنسان لؤمًا، لحلف أنه لا ينام.

(٥٥٣) يقول: إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه، حتى لو طلب درهمًا ليس من عطائه لأعيا على الناس — أعجزهم — وجوده.

(٥٥٤) يقول: هو يرتاح إلى بأسه وكرمه ويسر بهما، فلو كان ما يسر الإنسان يضره لضره الكرم والبأس. هذا، وقد قال الجوهري: المرء: الرجل، تقول: هذا مرء

صالح، ومررت بمرء صالح، ورأيت مرءًا صالحًا، قال: وضم الميم لغة، تقول: هذا مرء ورأيت مرءًا ومررت بمرء، وتقول: هذا مرء ورأيت مرءًا ومررت بمرء، معربًا من مكانين، قالوا: وإن صغرت أسقطت ألف الوصل، فقلت: مريء ومريئة، وبعد. فإذا أردت التوسع في هذه المادة فعليك ﺑ «لسان العرب».

(٥٥٥) بكالفرصاد: أي بدم مثل الفرصاد في حمرته، والفرصاد: ثمر التوت الأحمر. والغارة: اسم من أغار على القوم؛ إذا هجم عليهم في منازلهم. ويتامى: مفعول «يروي»، والظرف بعده: متعلق به، وأراد باليتامى: السيوف التي تفارق أغمادها؛ جعلها يتامى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالوالدين. وتُنضى: تُسلُّ. وتوتم: مضارع أيتم. يقول: إنه يروي بدم مثل الفرصاد سيوفًا قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى، وتلك السيوف تيتم أولاد من يقتله بها في كل غارة يغيرها على الأعداء.

(٥٥٦) قوله: مذ الغزو، قال ابن جني: من رفع «الغزو» رفعه بالابتداء وخبره محذوف، تقديره: مذ الغزو واقع أو كائن، ومن جره أراد مذ زمن الغزو، فحذف المضاف. وقال الإمام التبريزي: «الغزو» مجرور ﺑ «مذ»؛ لأنها بمعنى «في»، كقولك: أنت عندنا مذ اليوم أي في اليوم. وسارٍ: خبر مبتدأ محذوف. أي هو سارٍ؛ يعني الممدوح. ومسرج: يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها، وحكم «ملجم» كذلك. يقول — كما قال سائر الشراح: مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله في فداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحطَّ هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك. قال الواحدي: وليس في هذا مدح، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو، بل يغزو ولا يمنعه الفداء. قال: وما بعد هذا من الأبيات يدل على أن المعنى ما ذكرنا. وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ، وكان بودنا أن نتبسط في هذا الموضع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو، ولكنا لا نبغي أن نحيد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح المتنبي ليس غير، لا نعدوه، وحسبنا شرح الشواهد التي أوردوها، وهو كل ما يعنينا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للمتنبي وشروحه. قال العكبري: مذ ومنذ مركبان من «من وإذ» فغيرا عن حالهما في إفراد كل واحد منهما فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال، وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب. والدليل على أن كلًّا مركب من «من وإذ» قول بعض العرب مِذ ومِنذ — بكسر الميم — فدل «على أنهما مركبان، وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع

بعدهما بتقدير فعل؛ لأن الفعل يحسن بعد «إذ»، والتقدير: ما رأيته «مذ» مضى يومان، و«منذ» مضى شهران، ومن خفض بهما فقد اعتبر «من» ولهذا كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون «من» فيها تغليبًا لـ «من»، والرفع بـ «مذ» أجود، لحذف نون «من» منها تغليبًا لإذ، ويدل على أن أصل «مذ، منذ» أنك لو سميت بها قلت في تصغيره: «منيذ» وفي تكسيره «أمناذ»، فترد النون المحذوفة؛ لأن التصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها. هذا قول أصحابنا الكوفيين. وقال الفراء: يرتفع الاسم بعدهما بتقدير مبتدأ محذوف، وذلك أنهما مركبان من «من وذو» التي بمعنى «الذي» وهي لغة مشهورة، قال سنان بن الفحل:

فـإن الـماءَ مـاءُ أبـي وجَـدِّي وبِئرِي ذُو حَفرتُ وَذُو طوَيتُ

(أحد أبيات خمسة أوردها أبو تمام في «الحماسة» لسنان بن الفحل الطائي، قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيئ وبنو هرم بن العشراء من فزارة في ماء وهم مخلطون متجاورون، والأبيات:

وقالوا: قدْ جُننتَ! فقلْتُ: كلَّا وَربِّي ما جُننتُ وما انتشَيتُ
ولكني ظُلِمتُ فكِدْت أبْكي منَ الظلمِ المُبَيَّنِ أوْ بكيتُ
فـإن الـمـاء مـاء أبـي ... ... [الـبـيـت]
وَقَبْلَك رُبَّ خصمٍ قَدْ تَمالَوْا عليَّ فما هَلعْتُ ولا دَعَوْتُ
ولكنِّي نصبتُ لهمْ جبينِي وآلـةَ فـارِسٍ حـتـى قـرَيْـتُ

و«ذو» هنا: اسم موصول بمعنى التي؛ لأن البئر مؤنثة، ومن ثم تقع مكان جميع الموصولات ولا يتغير لفظها. وتمالوا: بمعنى اجتمعوا وتعصبوا عليَّ. وهلعت: جزعت. ولا دعوت: أي ما ناديت أحدًا ولا استصرخت، ولكني كنت أرد الخصم بقوتي وجلادي. وقوله: آلة فارس؛ يريد بها آلة الحرب. وقريت: أي جمعت، يعني أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فغلبهم، وجمع الماء في الحوض.)

وقال البصريون: هما اسمان فيرتفع ما بعدهما؛ لأنه خبر عنهما، ويكونان حرفي جر فيكون ما بعدهما مجرورًا بهما، وإنما بنيا لتضمنهما معنى «من، وإلى» في قولك: ما رأيته مذ يومان، معناه: ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره — وبنيت «مذ» على

السكون؛ لأنه الأصل في البناء، و«منذ» على الضم؛ لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم، لأن من عادتهم أن يتبعوا الضم الضم.

(٥٥٧) النقع: الغبار. والأبلق: ما فيه سواد وبياض. الأدهم: الأسود. يقول: يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه — يريد سواد الغبار ولمعان السيوف — والجو من فوقه أسود بالغبار؛ لأنه ليس فيه لمعان سيوف.

(٥٥٨) إلى الملك: متعلق بـ «يشق»، والمراد بالملك الطاغي: ملك الروم. والكتيبة: الفرقة من الجيش. ومنه: تجريد. والحتف: الهلاك. يقول: يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاغي، فكم من كتيبة للروم تعارض الممدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حتفها.

(٥٥٩) العاتق: الشابة البكر. ونصرانة أي نصرانية، تأنيث نصران. وخد أسيل: ناعم طويل. يقول: كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للممدوح عن سترها — لأنها سبيت — فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الخد!

(٥٦٠) صفوفًا: أي برزت صفوفًا؛ لأن عاتق — ها هنا — في معنى الجماعة. فصفوفًا: حال منها. والمتون: جمع متن؛ الظهر. والمذاكي: الخيل المسنة. والوشيج: شجر تتخذ منه الرماح. يقول: برزت هذه العواتق صفوفًا لهذا الممدوح الذي هو في شجاعته كالأسد، وقد قام في جمع كالأسود قد تحصنت بالخيل والرماح.

(٥٦١) يقول: إذا غاب فلم يغزهم غاب عنهم الموت؛ لأنه يكف عن قتلهم، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت.

(٥٦٢) نصب «أجدك» على المصدر، كأنه قال: أتجد جدك، ومعناه: أيجد هذا منك، هذا أصله، ثم صار افتتاحًا للكلام. وعانٍ: أي أسير؛ مبتدأ، خبره: تفكه، وجملة: «عانٍ تفكه» خبر «تنفك». وَعُمَ: ترخيم عمر، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين؛ لأن الاسم الثلاثي لا يجوز ترخيمه، لأنه على أقل الأصول عددًا، فترخيمه إجحاف به، قاله ابن جني. وقال العكبري: وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثي من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر. وقال البصريون والكسائي: لا يجوز. وحجة الكوفيين إذا كان وسطه متحركًا: ما جاء من نحو «يد، ودم» إذ الأصل في يد «يدي»، وفي دم «دمو» بدليل قول بعض العرب في تثنيته: «دموان». وقيل: أصله «دمي»، قال الشاعر:

فلو أنَّا على جُحْرٍ ذُبِحْنَا   جَرَى الدَّمَيانِ بالخبْرِ اليَقينِ

(قبله:

لـعـمـرك إنـنـي وأبـا ربـاحٍ على حالِ التكاشر منذ حين
ليُبغضني وأبغضه وأيضًا يـرانِـي دونـه وأراه دونِـي

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي، ونسبها لعلي بن بدال بن سليم. والتكاشر: يروى التجاور، والتكاشر: المباسطة. وعلى: بمعنى مع، والجحر بضم الجيم وسكون الحاء: الشق في الأرض. وأراد بالخبر اليقين: ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين؛ أي لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة. قال ابن الأعرابي: معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضي له وبغضه لي، بل يجري دمي يمنة ودمه يسرة. قال المتلمس:

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

«تساط» تخلط. وقال بعضهم: المعنى: لو ذبحنا على جحر لعلم من الشجاع منا من الجبان بجري دمي وجموده؛ لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجري، ودم الجبان لا يجري.)

فهو من ذوات الياء، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف، فوجب أن يكون جائزًا، ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كزيد؛ لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد، وذلك لا نظير له، بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط. وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفًا والثلاثي في غاية الخفة. قوله: ومال تقسم؛ أي تقسمه، فحذف لدلالة المقام. يقول: ما تنفك تفك أسيرًا وتقسم مالًا.

(٥٦٣) مكافيك: أصله الهمز، ولكنه لينه للضرورة، وهو خبر مقدم. ومن أوليت: مبتدأ مؤخر. وأوليت: أعطيت. ولا تؤدي شكرها اليد والفم: أي لا يؤدى شكرها فعل ولا قول. يقول: إن مكافأتك إنما هي عند الله الذي عززت دين رسوله بقوة لا يؤدي شكرها قول ولا فعل.

(٥٦٤) يقول: ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بَذْلِكَ إياها في الحرب، فإن الناس يرحمونك.

(٥٦٥) الشاني: المبغض، وأصله الهمز، ولكن لينه للضرورة. والمفحم: الساكن الذي لا يقدر على النطق، والنيل: العطاء، والخضرم: الكثير. يقول: محلك مقصود يقصده العفاة، وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعيب؛ لأنه لا يجد لك عيبًا يعيبك به، وأنت منقطع النظير؛ لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك، وعطاؤك كثير.

(٥٦٦) التحرج: تجنب الحرج، وهو الإثم. وعنَّ: ظَهَر. يقول: تحرجي من أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملني على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم، ثم ضرب له المثل بالبحر وللملوك بالتراب، وإذا حضر الماء بطل التيمم، كما قال أبو تمام:

لبِسْتُ سِواه أقوامًا فكانوا　　　كما أَغْنَى التَّيَمُّمُ بالصَّعِيدِ

هذا، والباء في قوله: «وزارك بي» للتعدية. تقول: زرتك بزيد، وزرتك زيدًا، وأزرت زيدًا إياك.

(٥٦٧) يقول: إن المسلمين جميعًا مملوكون لك، فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكه لم تمت ما دام في الأرض مسلم واحد؛ لأنهم يفدونك بأنفسهم.

(٥٦٨) يقول — مخاطبًا أسود هذا المكان: هل يكون من جاورك مكرمًا عزيزًا فتسكن نفسي إلى جوارك، أو يكون مهانًا مخذولًا؟ والفراديس موضع بالشام. وقوله: فتسكن؛ جواب الاستفهام، ومن ثم نصبه بالفاء.

(٥٦٩) يقول: إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم.

(٥٧٠) الحلف: اسم من المحالفة، وهي المعاهدة. يقول: هل لك رغبة في معاهدتي على ما أريده من جوارك؛ فإني أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف في كسب الرزق؟ وهذا كالترغيب لها في جواره.

(٥٧١) الوجهة: الجهة والناحية. وأثريت: أي كثر مالك. يقول: إن رغبت في جواري أقبل إليك الخير والرزق وكثر عندك المال، مما تغنمينه أنت من الصيد، وأكسبه أنا من المال والغنيمة.

(٥٧٢) يقول: إنها لا تنقل قدمًا في مشيئتها وإرادتها: يعني لا قصد لها ولا إرادة في تحركها، ولا يأخذها في دورانها دوار فتتألم به؛ لأنه لا شعور لها ولا حس. ويروى: «في مُشَيَّةٍ» تصغير مشية.

(٥٧٣) تواقعها: أي وقوعها وسقوطها. قال ابن جني: هذا البيت يناقض الأول؛ لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم، ثم جعلها تضطرب لابتسام الممدوح، وليس بعيب في صناعة الشعر؛ لأنه مبني على المحال.

(٥٧٤) يقول: لا فخر إلا لمن لا يظلم؛ لامتناعه وقوته على دفع الظلم، وهو إما مدرك ما طلب، أو محارب لا ينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه. هذا، وكان الوجه أن يقول: لا افتخارَ — بفتح الراء — كما يقال: لا رجلَ في الدار، وإنما يجوز الرفع مع النفي بـ «لا» إذا عطف عليه فيرفع وينون. فيقال: لا رجل في الدار ولا امرأة، ولكنه أجازه بغير عطف؛ لضرورة الشعر، أو لأنه جعل «لا» بمعنى «ليس» كبيت الكتاب:

من صدَّ عن نيرانِها فأنا ابنُ قيْسٍ لَا بَرَاحُ

(من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتًا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وشعرائها في الجاهلية، وأول القصيدة:

يـا بُـؤْسَ لِـلـحَـربِ الـتـي وَضَعتْ أَرَاهِطَ فاسْتَرَاحُوا

وبعد البيت:

وَالـحـربُ لا يـبـقـى لِـجَـا حِـمِـهـا الـتَّـخَـيُّـلُ وَالـمِـرَاحُ
إلا الفتى الصَّبَّارُ في النجـ ـــداتِ والـفـرس الـوقـاحُ

وقد اختارها أبو تمام في «الحماسة». وقوله: فأنا ابن قيس: أي أنا المشهور في النجدة كما سمعت، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به. وجملة: «لا براح» حال مؤكدة لقوله: أنا ابن قيس، كأنه قال: أنا ابن قيس ثابتًا في الحرب، والبراح: مصدر برح الشيء من باب تعب؛ إذا زال من مكانه.)

وجعل «من» نكرة، وجر «مدرك، أو محارب»؛ لأنهما وصف لها، كما يقال: مررت بمن عاقل؛ أي بإنسان عاقل.

(٥٧٥) مرَّض: قصَّر. والهم: ما هممت به في نفسك. يقول: لا يعد عزمًا ما قصر الإنسان فيه؛ إذ العازم على الشيء لا يقصر فيه، ولا يعد همة ما حال الظلام دون طلبه؛ لأن ذا الهمة لا يعوقه دون إدراك طلبته شيء.

(٥٧٦) تضوى: تهزل. يقول: إن الصبر على الأذى ورؤية من يجني عليك الأذى غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الخبيثة؛ يعني يشق على الإنسان ذلك حتى يفضي به إلى النحول والضوى.

(٥٧٧) غبط الرجل يغبطه: إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زوال نعمته، وإلَّا كان حسدًا. والحمام: الموت. وأخف: خبر مقدم، والحمام: مبتدأ مؤخر. يقول: من عاش في ذل فليس له عيش يغبط عليه، ومن غبطه على ذلك العيش الذليل فهو ذليل؛ لأن الموت في العز أخف من العيش في الذل. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: إذا لم تتصرف النفوس في شهواتها ومرادها، فحياتها موت، ووجودها عدم. ومن قول تأبط شرًّا:

هما خُطَّتَا إمَّا إسارٌ وَمِنَّةٌ وإمَّا دمٌ والقتلُ بالْحُرِّ أَجْدَرُ

(من أبيات في «الحماسة» يقول فيها تأبط شرًّا:

أقول لِلحيانٍ وقد صفرَت لهم وطَابِي ويومِي ضيقُ الجحر مُعْوِرُ:
هُما خطتا ... ... [البيت]

وبعده:

وأخرَى أُصادِي النفس عنها وإنها لموردُ حزم إن فعلت ومصدر
فرشتُ لها صدري فزل عن الصفا به جُؤجؤ عبْلٌ وموتٌ مُخَصَّرُ
فخالط سهلَ الأرْض لم يكدح الصفا به كدْحةً والموتُ خزيانُ ينظرُ
فأُبتُ إلى فهمٍ ولَمْ أَكُ آيبًا وكمْ مثلها فارقتها وهْيَ تَصْفِر!

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على تأبط شرًّا طريق جبل وجدوه فيه يجني عسلًا ولم يكن له طريق غيره، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو نقتلك، فكره أن يستأسر وصب ما معه من العسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم، فحكى الحكاية في هذه الأبيات، وتأمل قوله: «والموت خزيان ينظر» يتجلى لك شعر الشاعر.)

«أراد: خطتان، فحذف النون؛ طلبًا للخفة.»

(٥٧٨) اللئيم: الخسيس، ضد الكريم. يقول: إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزًا، وهو حجة يحتج بها اللئام، يسمون عجزهم من مكافأة العدو حلمًا. كما قال الآخر:

إنَّ مِنَ الْحِلمِ ذُلًّا أنْتَ عارِفهُ والْحِلمُ عنْ قُدْرَةٍ فضل مِن الكرمِ

(٥٧٩) يقول: إذا كان الإنسان هينًا في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذي لا يتألم بالجراحة. قال بعضهم: وهو من قول موسى بن جابر الحنفي — شاعر إسلامي أدرك بني أمية:

إذا ما علا المرءُ رَام العُلا ويقنع بالدونِ من كان دونا

وأين هذا من ذاك؟!

(٥٨٠) زماني: فاعل ضاق. والذرع: الطاقة. وضاق بالأمر ذرعه وذراعه؛ أي ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصًا ولم يطقه ولم يقوَ عليه، وأصل الذرع إنما هو بسط اليد، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله، وذرعًا — في قولهم — ضاق به ذرعًا — نصبوه؛ لأنه خرج مفسرًا محولًا، لأنه كان في الأصل: ضاق ذرعي به، فلما حول الفعل خرج قوله: «ذرعًا» مفسرًا. ومثله: طبت به نفسًا وقررت به عينًا. يقول: عجز الزمان عن أن يدخل عليَّ أمرًا لا أحتمله؛ أي لست أضيق بالزمان ذرعًا وإن كثرت ذنوبه وإساءاته إليَّ. ثم قال: واستكرمتني الكرام؛ أي وجدني الكرام كريمًا صبورًا على نوائب الدهر غير جزوع، ومن قولهم: استكرمت فاربط؛ أي وجدت كريمًا فتمسك به.

(٥٨١) الأخمص: باطن القدم، وواقفًا الأولى، حال عن ضمير المتكلم «في البيت السابق»، والثانية عن الضمير المستتر في «واقفًا» الأولى. يقول: إنه قد وقف تحت أخمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أخمصيه. يعني أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته؛ لأنها تقتضي ما هو أسمى من ذلك. وعبارة ابن جني: نفسي عالية وإن كان جسمي يرى بين الناس، فأنا واقف تحت قدر نفسي، والأنام وقوف تحت إخمصي.

(٥٨٢) الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والشرار: ما تطاير من النار. والمرام: المطلب. ويشرق: يغص. والعراقان: العراق العربي والعراق العجمي. والقنا: الرماح. والشآم:

الشام، وأصله الهمزة. والقمقام: السيد. يقول: لا أستلذ القرار فوق شرار النار؛ أي لا أصبر على مقاساة الذل، ولا أبغي مطلبًا ما دام ظلمي يرام ويطلب، كأنه يقول: لا أبغي مرامًا ما لم أدفع الظلم عن نفسي، وأترك هذه المواضع غاصة بالرماح كما يغص الجو بالغبار عند ركوب هذا الممدوح. قال العكبري: ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه — المتنبي — فاغتصبت منهم، فهو يحاول أن يستردها ... وهذا من حماقته المعروفة ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا.

(٥٨٣) الأصيد. الملك العظيم الذي لا يلتفت كبرًا. والضرب: الماضي في الأمور، وأصله: الخفيف اللحم. والجعد: الكريم، قالوا: وإذا ذكر الجعد مضافًا لليدين فقيل: فلان جعد اليدين كان بمعنى البخيل، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم — من الثرى الجعد، وهو الندى — والسري: الشريف من السرو. قال الجوهري: السرو: سخاء في مروءة، وسرا يسرو، وسري — بالكسر — يسري سروًا فيهما، وسرو يسرو سراوة: أي صار سريًّا، ورجل سري من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني، والسراة اسم للجمع، وليس بجمع عند سيبويه، قال: ودليل ذلك قولهم: سروات. قال الشاعر:

تلقى السري من الرجال بنفسه　　وابن السري إذا سرى أسراهما

أي أشرفهما. وقولهم: قوم سراة جمع سرى، جاء على غير قياس أن يجمع فعيل على فعلة. الهمام: الذي ينفذ ما يهم به.

(٥٨٤) ريب الدهر: صروفه ونوائبه. وأساراه: بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى، جمع أسير. يقول: إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء إلا ما يريده ولا يصيب أحدًا إلا بإذنه، وقد تخرق في الكرم، وأطلق يديه بالبذل حتى صار الغمام — السحاب — حاسدًا لهما لقصوره عنهما في البذل والسخاء.

(٥٨٥) الإقلال: قلة المال. وَجُودًا: مفعول له، عامله «الإقلال» أو الفعل قبله. يقول: كأن المال الكثير سقام، وكأن الإقلال برء ذلك السقام، فهو يتداوى من كثرة المال بالإقلال؛ أي يبذل المال حتى يصير مقلًّا، فيصير ذلك دواء له من الداء الذي هو الإكثار.

(٥٨٦) السوام: الماشية. وقوله: حسن، أي هو حسن، وتم الكلام، ثم قال: وهو في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعي؛ لأنه ينحر إبله للأضياف فهي تكرههم. كما قال الآخر يصف الضيف.

حَبيبٌ إلى كلْبِ الْكَرِيمِ مُناخُهُ　　　بغيضٌ إلى الكوماء والكلْبُ أَبصر

(الكوماء: الناقة الضخة السنام.)

فقوله: في عيون أعدائه، ظرف لأقبح لا «لحسن» قدمه عليه، كقولك: زيد في الدار أحسن منك. قال ابن جني: ويمكن أن يكون «في عيون أعدائه» ظرفًا لحسن؛ فالمعنى هو في عيون أعدائه حسن، إن قيل: كيف يكون حسنًا في عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رأته الإبل؛ لأنه يذبحها للأضياف فهي تكرههم؟ فجوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم، فهم يرونه حسنًا وقبيحًا، وفي الأول قبيحًا لا غير.

(٥٨٧) لحماك الإجلال والإعظام: أي لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يجسر عليك تهيبًا. وقال الواحدي: يقول: لو كان سيد محميًّا من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك، وإعظامهم؛ أي إنهم يفدونك بنفوسهم من الموت لو قبل الفداء فكنت لا تموت. قال: وقال ابن دوست: لأنهم يهابونك فلا يقدمون عليك، وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكر؛ لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره.

(٥٨٨) عوارٍ: عطف على «الإجلال»، في البيت السابق؛ أي ولحماك سيوف عوارٍ — مجردة — من الأغماد، ديتها استحلال قتل النفوس، فهي لا تتحرج من شيء، ولكن زيها الإحرام؛ أي العري كالمحرم في الحج، فإنه يكون عاريًا من الثياب.

(٥٨٩) يقول: كتب في صحائف المجد: بسم الله — وهو افتتاح الكلام — ثم قيس — وهي قبيلة الممدوح — ثم السلام الذي يكتب في أواخر الكتب، يعني أن بني قيس قد تفردوا بالمجد، فلا يقال لغيرهم: أهل مجد. هذا، ومن قال: بسم — بالرفع — أجرى «الباء» كبعض حروفها لطول صحبتها الاسم، كما أنشد الفراء:

فلا واللهِ لا يُلْفَى لِمَا بي　　　وَلَا لِلِما بِهِمْ أَبدًا شِفَاء

(لمسلم بن معبد الوالبي، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، من قصيدة أولها:

بكتْ إبلي وَحُق لها البكاءُ　　　وفرقها المظالمُ والعداء

وكان سبب هذه القصيدة أن مسلمًا كان غائبًا، فكتبت إبله للمصدق — أي عامل الزكاة — وكان رقيع الوالبي عريفًا فظن مسلم أن رقيعًا هو الذي أغرى المصدق، وكان

مسلم ابن أخت رقيع، ابن عمه فقال هذه الأبيات «انظر خزانة الأدب — ج٢ ص٢٦٧ سلفية».)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَّطَ أَقْلَامَا وَخَطَّ بِسْمًا أَلِفًا وَلَامَا

ومن قال: بسم — بالخفض — خفضه بالباء وأراد بسم الله، وهذا قبيح جدًّا — كما قال الواحدي — أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه. وقوله: وبعد قيس: من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين، ومن نصب «قيس» ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث.

(٥٩٠) الجمرة: كل قبيل انضموا فصاروا يدًا واحدة ولم يحالفوا غيرهم. قال أبو عبيدة: جمرات العرب ثلاثة: بنو ضبة بن أد، وبنو الحرث بن كعب، وبنو نمير بن عامر. طفئت منهم جمرتان: طفئت «ضبة»؛ لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحرث؛ لأنها حالفت مذحج، وبقيت نمير لم تطفأ؛ لأنها لم تحالف. وقال الجاحظ: يقال لعبس وضبة ونمير: الجمرات، وأنشد لأبي حية النميري:

لنا جمرَاتٌ ليْسَ في الأرض مثلُها كِرَامٌ وَقدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِب
نُمير وَعَبْسٌ يُتقى نَفياتُها وضَبَّةُ قَوْمٍ بأسُهُمْ غيرُ كَاذِبِ

وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وشدتهم. وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات؛ إذ جعلها لا تشتهيها النعام، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة، فهي جمرات حرب — لا جمرات لهب — والنعام تشتهي جمرة النار لفرط برودة في طبعها.

(٥٩١) الإصباح: مصدر، بمعنى الصبح. يقول: إنهم يوقدون نار القِرى ليلًا ونهارًا فليلهم صبح بضوء النار التي أوقدوها للأضياف، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس. ويجوز أن يريد أنهم يغيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنًى حسن، وقد أخذه الحيص بيص فقال:

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أو عجَاجَةُ قَسْطَلِ

وقوله: تِمام: بكسر التاء، فليل التمام أطول ليالي الشتاء، خصه لاشتداد ظلمته. وأكثر ما جاء ليل التمام بالألف واللام والإضافة، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن المعنى تم بدونه، وإنما أتى به لإتمام القافية.

(٥٩٢) الانبراء: التعرض للشيء. ونفد الشيء: فني. وقبل ينفد: أي قبل أن ينفد. يقول: إن نفوسهم لا تزال مقدمة في الحرب حتى تفنى وإقدامها باقٍ على حاله؛ لأنها لم تتأخر، فنفادها قبل نفاد إقدامها. ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باقٍ. ويجوز أيضًا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقي هو الإقدام.

(٥٩٣) توطين النفس على الشيء كالتمهيد، قال ابن سيده: وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت: حملها عليه فتحملت وذلت له، قال كثير:

فقلتُ لها: يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ   إذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

وأراد بالروع: الحرب. والاقتحام: الدخول في الحرب. والاستسلام: طلب السلم والصلح. يقول: كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانبساطهم.

(٥٩٤) الشطبة: الفرس الطويلة. وبراها: هزلها وأنحلها، وأراد: براهما؛ أي الشطبة والحصان، فاكتفى بضمير الأول، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾.

(٥٩٥) يتعثرن: أي الخيل. والتمتام: الذي يتردد لسانه بالتاء. يقول: إن خيلهم تعثر برءوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتام بالتاء، يريد: من كثرة القتلى لم يبقَ للخيل مجال إلا بين رءوس القتلى.

(٥٩٦) غشيانك: إتيانك. والكرائه: جمع الكريهة، والكريهة من أسماء الحرب — فعيلة في معنى مفعولة — والحسام: السيف القاطع، وهو فاعل «قال». يقول: طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة والإقدام. يريد بشهادة السيف ما به من الفلول الدالة على كثرة الضرب، وجعل ذلك الانفلال كالقول من السيف.

(٥٩٧) الصفائح: السيوف العريضة. يقول: هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم، ثم صرت إلى أن كفتك الأقلام السيوف لما استقر لك من الهيبة في القلوب. وقال ابن دوست: كفتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنيت عنهم

ولم تحتج إليهم. قال الواحدي: وهذا فيه ضعف؛ لأن السيوف تحتاج إلى من يحملها ليحصل له الهيبة وهي بمجردها لا تكفيه الناس. و«الناس»، يروى: الباس.

(٥٩٨) يقول: قد جربت الأمور وعرفتها حتى لا تحتاج إلى التفكر فيها، ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لا تلهم سواه، فكفاك إلهام الله التجارب. قال العكبري: وهذا وما قبله من قول البحتري:

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا ئِكَ جُنْدًا لَا يَأْخُذُونَ عَطَاءَ
وَيَوَدُّ الْأَعْدَاءُ لَوْ تُضْعِفُ الْجَيْـ ـشَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الآرَاءَ

(٥٩٩) البراز: المبارزة، وهي أن يبارز الرجل قرنه. يقول: إن الفارس الذي يجعل نفسه قرينًا لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك فخرًا عظيمًا، فإذا قتلته كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه.

(٦٠٠) يقول: الذي ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك — أي دعاه فقره إلى زيارتك — فإن للفقر منة عليه؛ لأنه كان سببًا لهذه النظرة.

(٦٠١) يقول: خير أعضاء الإنسان الرأس؛ لأنه مجمع الحواس، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرءوس؛ لأنها كانت آلة للسعي إليك، وهذا كما قال أيضًا:

وإن الفِئَامَ الَّتي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأرْؤُس

(٦٠٢) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. والوفد: القوم الوافدون. يقول: لم آتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطاياك، وتتمة المعنى في البيت التالي.

(٦٠٣) ذكر علة تأخره عنه، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هباته، وهذا إغراق في وصف كثرة عطاياه حتى يخاف شاعره وزائره أن يجعله من جملة تلك الهبات. وهذا كقول البحتري:

وَمَنْ لوْ تُرَى في مِلكِهِ عُدْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرجِّيهِ مُقْتِرِ

(٦٠٤) قوله: على القرب: تم الكلام عنده، ثم استأنف ما بعده. والإلمام: الزيارة. يقول: من إصابة الرشد أني لم أزرك وأنا قريب منك؛ لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا كانت من موضع بعيد.

(٦٠٥) البطء: اسم من الإبطاء، وهو التأخر. والسيب: العطاء. والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه. يقول: تأخُّر عطائك عني — أي تأخر وصوله إليَّ بسبب تأخُّر زيارتي إياك — يدل على كثرة ذلك العطاء، كالسحاب، إنما يسرع منه ما كان جهامًا — لا ماء فيه — أما ما يكون فيه الماء فإنه يكون ثقيل المشي.

(٦٠٦) النظام: خيط العقد. وودها: مبتدأ، خبره: المصدر المتصيد مما بعده. يقول — للممدوح: قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتمنى أن يكون كلامًا لك، لحسن نطقك وانتظام كلماتك.

(٦٠٧) لم تجز: لم تمر. يقول: إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك، فلو نهيته عن المرور بك لم يمر؛ أي لو أمرته أن يقف لوقف.

(٦٠٨) الأثام: كسلام؛ جزاء الإثم، قال تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾، وهو هنا الإثم. يقول: كافيك الله، أي هو الذي يكفيك كل شر وغائلة، فأنت مع الحق لا تضل عنه، ولا يجد الإثم سبيلًا إليك؛ لأنك لا تأتي ما تأثم به لعصمة الله إياك.

(٦٠٩) الدنايا: النقائص. و«أما عليك حرام» — وهي رواية ابن جني: يعني ما بالك لا تحذر عاقبة شيء سوى الدنايا؟ أما عليك شيء محرم تتقي عاقبته؟! وكأن هذا تأكيد لما ذكره في البيت السابق، يعني أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له، فلا يتهيأ له إتيانها، فلم يبقَ عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنايا. وروى غيره: وما عليك حرام، بالواو العاطفة وجعل «ما» موصولة معطوفة على «الدنايا»؛ أي ما هو حرام، قال الواحدي: يعني أنه يقدم على المهالك وكل شيء، لا يتفكر في عاقبة شيء إلا ما كان من دنيئة أو شيء حرام فإنه لا يقدم عليه. يريد لم تفعل ذلك؟ قال اليازجي: وهذا يصح لولا هذا الاستفهام، وإلَّا فهو تعجب في غير محله، وحاصله الإنكار لا المدح كما يظهر بالتأمل. وقال ابن القطاع: لمَ تُلقِ نفسك في المهالك؟ أو ما تظن أن ذلك حرام؟ يشير إلى شجاعته. وعبارة ابن جني — الذي روى: «أما عليك حرام؟» يعني لإفراطك في توقي الدنايا صار كأنه لا حرام عليك غيره؛ يعني أنه لا يفكر في عاقبة شيء سوى الدنايا، فكأنه لم يحرم عليه شيء.

(٦١٠) يصفه بتقوى الله وخشيته، يقول: كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لو واصلته، لكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لوامًا يلومونك فيما لا يوافق مقتضاها، وقد أكد هذا بالبيت التالي.

(٦١١) يقول: نزاهتك وتباعدك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التي تسعى فيها.

(٦١٢) القريض: الشعر، من قرض الشيء؛ إذا قطعه، كأن المرء يقطعه من فكره، والتقريض: صناعة القريض، وفي المثل: حال الجريض دون القريض. الجريض: الغصص. والقريض: الشعر، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص، قاله للمنذر حين أراد قتله في يوم بؤسه فقال له: أنشدني من قولك. فقال عند ذلك: حال الجريض دون القريض. وقال الجوهري: القريض قول الشعر خاصة، يقال: قرضت الشعر أقرضه إذا قلته، والشعر قريض، قال ابن بري: وقد فرق الأغلب العجلي بين الرجز والقريض بقوله.

أرجزًا تُرِيدُ أَمْ قريضَا؟ كِلَيْهِمَا أَجِيدُ مُسترِيضَا

«مستريضا: أي واسعًا ممكنًا، من استراض المكان؛ أي فسح واتسع.» وهذى يهذي هذاء وهذيانًا: إذا قال قولًا لا طائل له. والأحكام: جمع حكم بمعنى حكمة، والبيت من الحديث: «إن من الشعر لحكمًا»؛ أي حكمة.

(٦١٣) منه: أي من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراعة؛ أي ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق، ومنه ما يجلبه البرسام أي ما يكون عن مرض وهذيان. فقوله: ما يجلب: أي ما يجلبه. والبرسام: علة معروفة، يقال: برسم؛ إذا خلط في مرضه.

(٦١٤) الأحداث: نوب الدهر ومصائبه. والبطش: الأخذ بغلبة وقوة. يقول: لا أحمد الحوادث السارة ولا أذم الضارة؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذتنا لم يكن ذلك جهلًا منها، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حلمًا؛ يعني أن الفعل في جميع ذلك ليس لها، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازًا.

(٦١٥) أبدي: هي أبدئ: أي أبدأه الله — أي خلقه — فأصله الهمز، ولينه للضرورة. وأكرى الشيء: نقص. وأرمى: أربى وزاد. يقول: إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم، ويعود إلى حالته الأولى كما أبدئ، وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد. وإذن لا ذنب للحوادث حتى أذمها أو أحمدها. هذا، وأكرى — كما أنه بمعنى زاد — أتى

بمعنى نقص، فهو من الأضداد، يقال: أكرى الرجل: قل ماله أو نفد زاده، وقد أكرى زاده: أي نقص، قال لبيد:

كَذِي زادٍ متى ما يُكْرِ منهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادِ

وقال آخر يصف قدرًا:

يُقسِّم ما فيها فإنْ هِيَ قَسَّمت فذاكَ وَإنْ أَكْرت فَعَنْ أَهْلها تُكْري

«قسمت: همت في القسم. وإن أكرت: أراد وإن نقصت، فعن أهلها تنقص؛ أي القدر.»

(٦١٦) لك الله: دعاء لها. و«من» — من مفجوعة: زائدة، ومفجوعة، في موضع نصب على التمييز. والوصم: العيب، وعنى بحبيبها: نفسه. يدعو لها ويقول: هي مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه، وليس هذا الشوق مما يلحق بها عيبًا؛ لأنه شوق الأم إلى ولدها.

(٦١٧) يريد بالكأس التي شربت بها: كأس الموت. ومثواها: مقامها؛ يعني القبر. يقول: لا أحب البقاء بعدها وأحب — لأجل مقامها في التراب — التراب وما ضمه التراب؛ يعني شخصها أو كل مدفون في التراب، وحبه التراب: يجوز أن يكون حبًّا للدفن فيه، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه. هذا، والكأس مؤنثة، وجمعها: كئوس وأكؤس وكئاس، قال أهل اللغة: الكأس الزجاجة ما دام فيها خمر، فإذا لم يكن فيها خمر فهي قدح. قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾، وقال أمية بن أبي الصلت:

مَا رغبةُ النفسِ في الحياة وإن تحيا قليلًا فالموتُ لاحِقُها
يُوشكُ من فَرَّ من منيَّتِهِ في بعضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُها
من لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هرَمًا للموتِ كَأْسٌ وَالمَرْءُ ذَائِقُها

(قال ابن بري: عبطة: أي شابًّا في طراءته، وانتصب على المصدر؛ أي موت عبطة وموت هرم، فحذف المضاف، وإن شئت نصبتهما على الحال: أي ذا عبطة وذا هرم، فحذف المضاف أيضًا، وأقام المضاف إليه مقامه.)

(٦١٨) الثكل: الفقد. وقدمًا: قديمًا. يقول: كنت أبكي عليها في حياتها خوفًا من فقدها، وضرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت. قالوا: وفي المصراع الأول نظر إلى بيت الحماسة:

فيبكِي إن نأوا شوْقًا إليْهم ويبكي إن دَنَوْا خوف الفراق

(من أبيات جميلة منها:

وَمَا في الأرضِ أشقَى من محِبٍّ وَإنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ المَذَاق
تـراهُ بـاكِيًـا فِـي كُلِّ حِـيـن مـخـافَـةَ فُـرْقـةٍ أَو لاشـتـيَـاق
فــيــبــكـــي ... ... [الـــبـــيـــت]

وبعده:

فتسخُن عينُهُ عند التنائِي وَتَسْخُن عينهُ عند التلاقي)

(٦١٩) أجد: بمعنى جدد. والصرم: القطيعة. يقول: لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجري لقتل بلدها أيضًا؛ يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى أهله من الإفضال، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض. قال بعض الشراح: وقد نفى في هذا البيت ما أثبته في قوله:

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ أَوَّلَ حَـيٍّ فِـرَاقُـكُمْ قَـتَـلَـهْ

(٦٢٠) يقول: كنت عالمًا بالليالي وتفريقها بين الأحبة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتني هذه المصيبة لم تزدني بها علمًا. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها. ومن قول أبي تمام:

حلَّمَتْنِي — زَعَمْتُمُ — وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حليمَا

ومن قول بعض العرب، وقد مات ولده فلم يجزع، فقيل له في ذلك، فقال: أمر كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره.

(٦٢١) قال ابن فورجه: الضمير في «منافعها» للمرثية؛ يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها. ثم جعل المصراع الثاني تفسيرًا للمصراع الأول، فقال: غذاؤها وريها في أن تجوع وتظمأ؛ لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شعبها وريها. وعلى هذا فقوله: «ما ضر» تقديره: ما ضرها، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل «ضر». وقال الواحدي: الضمير في «منافعها» لليالي والأحداث؛ يعني أن منافع الليالي في مضرة غيرها من الناس، ثم فسر ذلك فقال: غذاؤها وريها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ريها وشعبها في جوعنا وظمئنا. قال: ويروى: نجوع ونظما، بالنون على ما ذكرنا من التفسير، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظما بالتاء خبرًا عن الليالي. والمعنى: غذاؤها وريها جوعها وعطشها؛ أي لا ري لها ولا شبع، لأنها لا تروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح. وتقدير «ما ضر في نفع غيرها»: ما أثر في نفع غيرها بالضرر، كأنه قال: منافعها في ضر غيرها.

(٦٢٢) الترحة: الاسم من الترح، وهو الحزن. يقول: اشتد حزني عليها فكأني مت بها غمًّا، وماتت هي من شدة سرورها بحياتي بعد إياسها مني.

(٦٢٣) يقول: السرور حرام عليَّ؛ فإنني بعد موتها بالسرور أعده سمًّا فأتجنبه وأحرمه على نفسي.

(٦٢٤) تعجب — بحذف إحدى التاءين — أي تتعجب. والباء من قوله: «بحروف» للتجريد. والأغربة: جمع غراب. والعصم: جمع أعصم، وهو الذي في جناحه بياض، والغراب الأعصم نادر الوجود. قال التبريزي: إنها كانت تتعجب من كتابي — عند رؤيته — حتى كأنها تنظر إلى ما لا يوجد، كالغراب الأعصم، ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه، فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفًا به لا عجبًا حقيقيًّا. قال ابن جني: شبه البياض الذي بين الأسطر بالبياض في الغراب الأعصم.

(٦٢٥) المحاجر: ما حول العينين. وسحما: سودًا. يقول: لم تزل تقبل كتابي وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودًا بمداده — حبره — هذا، ويقال: لثم فاها — بالكسر — إذا قبلها. وربما جاء بالفتح، قال عمر بن أبي ربيعة — وقيل لجميل بن معمر:

قالت: وعيشِ أبي وحُرْمةِ إخوتي   لَأُنَبِّهنَّ الحيَّ إنْ لم تخرُجِ

فخرجْتُ خِيفةَ أهلها فتبسَّمَت فعلمْتُ أن يَمينَهَا لم تُحْرِجِ
فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِها شرب النزيف ببرْدِ ماء الحشرج

(النزيف: المحموم الذي منع من الماء. ونصب «شرب» على المصدر المشبه به؛ لأنه لما قبلها امتص ريقها، فكأنه قال: شربت ريقها كشرب النزيف للماء البارد. والحشرج: الماء الذي يجري على الرضراض صافيًا رقيقًا، والحشرج: كوز صغير لطيف.)

(٦٢٦) رقأ الدمع والدم: انقطع، فأصله الهمز، ولكنه لينه هنا للضرورة. يقول: لما ماتت انقطع ما كان يجري من دمعها على فراقي، ويبست جفونها عن الدمع، وسليت عني بعدما أدمى حبي قلبها في حياتها.

(٦٢٧) يقول: لم يسلها عني إلا الموت، وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعًا علي، ولكن الذي أذهب ذلك السقم كان أشد عليها من السقم، كما قال أبو تمام:

أقولُ، وقد قالُوا: استراح بمَوْتها مِنَ الكَرب: رَوحُ الْمَوت شَرٌّ مِن الكَرْب

ومثله له:

أجارَك المكروهُ مِن مثله فاقِرةٌ نَجَّتك من فاقِرة

(الفاقرة: الداهية الكاسرة لفقار الظهر.)

(٦٢٨) يقول: إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظًّا من الدنيا، ففاتتني هي بموتها، وفاتني ذلك الحظ؛ لأني لم أدركه، وكانت قد رضيت بي حظًّا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظًّا لي.

(٦٢٩) استسقى: طلب السقيا. والغمام: السحاب. والوغى: الحرب. والقنا: الرماح. والصم: الصلاب. يقول: بعد أن كنت أستسقي الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقي السحاب قبرها، فأقول: سقى الله قبرها — على عادة العرب في الدعاء للقبور بسقيا السماء — يعني تركت الحرب وجدًا بها واشتغلت بالدعاء لها. قالوا: وفيه نظر إلى قول الآخر:

وبرَغْمِي أصبحت أمنحك الودَّ وَأُهْدِي إليكَ صوب الْغَمامِ

(٦٣٠) قبيل: تصغير قبل. والنوى: البعد. يقول: كنت قبل موتها أستعظم فراقها، فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة؛ يعني أن موتها أعظم من فراقها.

(٦٣١) يقول: اجعليني واحسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف آخذ ثأرك من العلة التي قتلتك، وهي العدو الذي لا سبيل إليه. قالوا: وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان:

ولم يُغنِ عنكَ الموتُ يا حَمْزَ إذْ أتى رجالٌ بِأيديهم سُيُوفٌ قَوَاضِبُ

(حمز: ترخيم حمزة. وقواضب: قواطع.)

وأحسن فيه أبو الحسن التهامي:

لو كُنْتَ تُمْنَعُ خاض نَحْوكَ فِتيةٌ مِنَّا بحارَ عواملٍ وشِفار

(عوامل: جمع عامل، وعامل الرمح: صدره، والمراد: الرماح نفسها. والشفار: جمع شفرة، والشفرة: ما عرض من الحديد وحدد، والمراد: السيوف.)

(٦٣٢) يقول: إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك؛ لا لأن الدنيا قد ضاقت.

(٦٣٣) الألف من قوله «فوا أسفا»: للندبة. وأكب على الشيء: مثل انكب؛ أي انحنى على وجهه. واللذي: أراد اللذين، فحذف النون لطول الاسم بالصلة، وقيل: بل هي لغة في تثنية «اللذ»، وأنشدوا على ذلك قول الأخطل:

أبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا كسرا القُيود وفكَّكَا الأغْلالَا

(يفتخر الأخطل على جرير — وجرير من بني كلب — بمن اشتهر من بني تغلب ومنهم الأخطل، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند، وأبي حنش عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب الأول.)

وقول الأشهب بن رميلة — شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام:

وإن الذي حانت بِفلْج دِماؤُهُم هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُم خالِدِ

(بعده:

همو ساعِدُ الدهر الذي يُتقى به وما ضر كف لا ينوء بساعد

وفلج: طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة.)

يقول: ما أشد حزني أن لا أكب عليك مقبلًا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامة وعقلًا؛ يتأسف لغيبته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها.

(٦٣٤) يقول: ووا أسفى أني لا ألقى روحك الطاهر الذي كأن جسمه أي — جسم ذلك الروح — من المسك الذكي الشديد الرائحة.

(٦٣٥) الضخم: العظيم. والجدة: تسمى أمًّا. يقول: لو لم يكن أبوك أكرم والد لكانت ولادتك إياي بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه؛ أي إذا قيل لك: أم أبي الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب.

(٦٣٦) لذ: طاب. والشامت: الفرِح بمصيبة عدوه. وبيومها: أي بيوم موتها: ومني: تجريد. يقول: إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت مني من يرغم أنوفهم؛ أي يلصقها بالرغام — التراب — أي يذلهم ويقهرهم.

(٦٣٧) يقول: ولدت مني رجلًا تغرب عن بلاده؛ أي خرج عن بلده إلى الغربة، لأنه لا يستعظم غير نفسه، فأراد أن يغادر الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذي خلقه.

(٦٣٨) العجاجة: الغبار. يقول: ولا أسلك طريقًا إلا قلب غبار الحرب، ولا أستلذ طعم شيء إلا طعم المكارم؛ يعني لا أجد لذتي إلا في الحرب والمكارم.

(٦٣٩) ما أنت: قال بعض الشراح: أي ما أنت صانع؟ على حذف الخبر، أو: ما تصنع؟ على حذف الفعل وإبراز الضمير. وقال العكبري: «ما» واقعة على صفات من يعقل، فإذا قال: ما أنت؟ فالمراد: أي شيء أنت؟ فتقول: كاتب أو شاعر أو فقيه. يقول: يقول الناس لي لما يرون من كثرة أسفاري: أي شيء أنت فإنا نراك في كل بلدة وما الذي تطلبه؟ فأقول لهم: إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه، يعني قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم.

(٦٤٠) اليتما: مفعول لجلوب، والضمير في «معادنه» لليتم. يقول: إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم؛ أي فهم لذلك يبغضونني.

(٦٤١) الجد: الحظ والبخت. يقول: إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم؛ أي فهما لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان، وهذا كالتفسير لقول الحمدوني:

إنَّ المُقَدَّم في حِذْقٍ بَصَنْعَتِهِ أَنَّى توجَّهَ فيها فهوَ محْرُومُ

وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح.

(٦٤٢) بذبابه: أي بذباب السيف، وإن لم يتقدم له ذكر، لدلالة المقام، وذباب السيف: حده. والغشم: الظلم. يقول: لكنني إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال. يعني أظلم أعدائي بسيفي.

(٦٤٣) القرم في الأصل: البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعد للفحلة، وهو هنا السيد. يقول: وأحيي أعدائي يوم الحرب بسيفي؛ أي أجعله لهم بدل التحية، كما قال عمرو بن معديكرب:

وخيلٍ قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجيعُ

(المراد بالخيل: الفرسان. ودلفت: دنوت وزحفت، من دلف الشيخ: إذا مشى مشيًا لينا. وتحية: مضاف، وبينهم: مضاف إليه مجرور بكسر النون؛ لأنه ظرف منصرف. ووجيع بمعنى موجع. والعرب تقول: تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا.)

(٦٤٤) فل: يروى بالفاء وبالقاف، فبالفاء يرتفع «خوف» لأنه فاعل، وبالقاف ينتصب على المفعول له. وفل السيف: ثلمه، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف. والمدى: الغاية. وأبعد شيء: مبتدأ، خبره: ممكن. يقول: إذا أَضعف عزمي عن غايةٍ خوفُ بُعْدِ تلك الغاية، فإن الممكن وجوده لا ينال أيضًا إذا لم يكن لدى طالبه عزم؛ يعني لا يُدرَك شيءٌ ألبتة إلا بالعزم عليه، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم، فاعزم أيضًا على البعيد لتناله ولا يمنعك منه خوفُ بُعده؛ فإنه يقرب بالعزم ويمكن.

(٦٤٥) الأنف: الاستنكاف من الشيء. يقول: إني من قوم ديدنهم التعرض أبدًا للحرب ليقتلوا، فكأن نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارًا تأنف منه، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها للتخلص من هذا العار؛ أي تختار القتل على الحياة. قال الواحدي: ولو قال: كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ الغيبة، لكنه قال: نفوسنا؛ لأنهم هم القوم الذين عناهم، ولأن هذا أمدح.

(٦٤٦) الكرائه: جمع كريهة، فعيلة بمعنى مفعولة. يقول — للدنيا: أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيمًا ولا أسف لدنية، فاذهبي عني إن شئت فلست أبالي بك. ويا نفس زيدي قدمًا — أي تقدمًا — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها. قال الواحدي: وإن شئت قلت: في كرائهها — أي في كرائه أهلها — يعني زيدي تقدمًا في الحروب، وهي — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا؛ ولذلك تسمى الحرب الكريهة، فيكون الكلام من باب حذف المضاف.

(٦٤٧) يقول: لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزًا، ولا صحبتني نفس تقبل أن يظلمها أحد.

(٦٤٨) أنا لائمي: أي أنا لائم نفسي إن كنت ... إلخ، وأثبت ألف «أنا»: ضرورة لأنها لا تثبت لفظًا إلا في الوقف. وقوله: وقت اللوائم: أي وقت لوم اللوائم. والمعالم: أي معالم ديار الأحبة، وهي حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والخيام. يذكر وقوفه على ديار الأحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم؛ مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء. يقول: إن كنتُ حين تلومني اللوائم على فرط جزعي علمت ما بي وما الذي دهاني هناك، فأنا لائمي: أي فأنا لائم نفسي في قصور محبتي؛ لأن ثبات علمي وعقلي معي في ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواي قاصر. وقال بعض الشراح. يعني: إن كنت حين لامتني اللوائم على فرط جزعي وبكائي علمت بما عراني من ذلك فأنا لائم نفسي على تهتكي واستسلامي للوجد والعبرة، يذكر وقوفه في ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انهتك ستره ولم يعلم.

(٦٤٩) شده الرجل — كدهش — فهو مشدوه: إذا تحير، ويروى: مما ذهلت. و«ما» قبله: مصدرية. والمتيم: الذي تيمه الحب؛ أي عبده وذللــه. يقول: ولكنني من فرط دهشتي ذهلت عن إدراك ما خامرني من الوجد، فصرت كالسالي، وباح قلبي بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باقٍ على الكتمان. وعبارة الواحدي: ولكنني من فرط دهشتي وذهولي حتى كأنني ذهلت عن الهوى صرت كالسالي مع أني متيم. وباح قلبي بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم؛ لأنه لم يقصد البوح ولا يدري ما فعل.

(٦٥٠) الأذواد: جمع ذود، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل. يقول: أطلنا الوقوف هناك، فكأن ما في قلوبنا من الوجد حل في قوائم إبلنا؛ لأنها وقفت ولم تبرح.

(٦٥١) المناسم: جمع المنسم، وهو للخف كالسنبك للحافر. يقول: لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم جعلت أطلب شفاء ما بي بلثم — تقبيل — أخفافها؛ لأنه علق بها ذلك التراب، وفيه نظر إلى قول الآخر:

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بخدِّي   أنْ مَشى فيهِ الخليلُ

(٦٥٢) القنا: الرماح. والتمائم: جمع تميمة؛ العوذة. يقول: ديارهن منيعة لا يتوصل إليها، وهن يحفظن بالرماح لا بالعوذ.

(٦٥٣) الوشي: النقش في الثوب، وهي الثياب المنقوشة. و«مسن»: تبخترن. يقول: لنعومة أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته، كما قال السري الرفاء:

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْيِ نَعْمَةً فَإِذَا   صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَّاهَا

وفي مثل هذا يقول الآخر:

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ به نَمْلَةٌ   مُنْعَلَةٌ أرْجُلُها بالحريرْ
لَأَثَّرَتْ فيه كما أثَّرَت   مُدَامَةٌ في عَارِضٍ مُسْتديرْ

«العارض: الخد.»

(٦٥٤) التراقي: جمع ترقوة، وهي العظام التي فوق الصدر. والمباسم: جمع المبسم؛ الثغر. يقول: إن ثغورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه، فكأن تراقيهن حليت بثغورهن. وفي مثل هذا يقول الآخر:

تلكَ الثَّنَايَا مِنْ عِقْدها نُظِمَتْ   أَمْ نُظِمَ العِقْدُ مِنْ ثَنَاياها

(٦٥٥) طلابي: أي مطلوبي، مبتدأ، خبره: نجومها. والأراقم: ذكور الحيات. يشكو الدنيا وأنها لا تسعفه ولا تحقق ما يطلبه. يقول: ما لي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نوائبها وخطوبها؟! يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر، هو يطلب المعالي، وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب، وكنى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر، وبشدوق الأراقم عن الخطوب المهلكة والنوائب المفظعة.

(٦٥٦) الحلم: الأناة والعقل. الجهل — هنا — نقيض الحلم، والمظالم: جمع المظلمة — بكسر اللام — وهي الظلم. يقول: إذا كان حلمك داعيًا إلى ظلمك، فإن من الحلم أن تجهل؛ لأن الحلم إنما يُلجأ إليه لتدارك الشر، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلمًا، كما قال النابغة الجعدي:

فَلَا خيرَ في حِلمٍ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحمِي صَفْوَه أَنْ يُكَدَّرَا

وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم. قال العكبري: وهو من كلام الحكيم: ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك: ولدك، وزوجتك، وعبدك؛ فسبب صلاحهم التعدي عليهم.

(٦٥٧) شطره: نصفه. يقول: ومن الحلم أن ترد الماء الذي كثر القتل عليه حتى امتزج بدماء المقتولين عليه؛ يعني أن تزاحم على الأمر المتنافس عليه. وبعبارة أخرى: من الحلم أن تزاحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار نصفه من دم القتلى، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا الهَجوم الذي يزاحم الناس. وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل:

لَا يَشْرَبُ الماءَ إلَّا من قَلِيبِ دَمٍ وَلَا يَبيتُ لَهُ جارٌ عَلَى وَجَلِ

(٦٥٨) يقول: من عرف الناس حق المعرفة — كمعرفتي أنا بهم — قتلهم غير راحم لهم، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه، فإذا قتلهم — والحالة هذه — فلا إثم عليه، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم، وهذا هو مغزى قوله: «الردى الجاري عليهم».

(٦٥٩) صال عليه: وثب واستطال، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم، فإذا صال أو قال أوفى على الغاية وكفى غيره، وكان المقدم الذي لا يجارى ولا يشق له غبار.

(٦٦٠) يقول: وإن كنت كاذبًا فيما قلت فلا وفت لي القوافي — أي الشعر — حتى أعجز عن نظمها، وضعفت عزيمتي في قصد الممدوح حتى يعوقني عنه ضعف عزمي؛ أي فلا أصل بقعودي عنه إلى المطلوب، ويكون حرماني من أفضاله كالعقوبة لي على ذلك.

(٦٦١) التلاد والتليد: المال القديم الموروث، نقيض الطارف والطريف. يقول: عن الذي يحرص على بذل ماله التالد كما يحرص غيره على حفظ تلاده. وعبارة الواحدي:

أي عن الذي يدخر البذل مالًا فيقوم بذلك ماله مقام ما يقتنيه؛ يعني أنه يلازم البذل ملازمة المال المقتنى؛ وعبارة الخطيب التبريزي: أي إلى الجاعل بذل التلاد تلادًا له يهب التلاد ويجعل بذله تلادًا له، هذا، وخص «التلاد»؛ لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم، فكيف بالحادث؟!

(٦٦٢) تمنى — بحذف إحدى التاءين — أي تتمنى. والعفاة: جمع عافٍ، وهو طالب المعروف. والغمائم: السحائب، وأراد بكونها ثقالًا: أن ماءها كثير. يقول: إن أعداءه يتمنون أن يكونوا في مكان عفاته منه؛ لأن عفاته منه في أمان من نوائب الدهر، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه. ويجوز أن يكون المعنى: إن عفاته يغيرون على أمواله ويترفهون في نعمائه، وهذا ما يتمناه أعاديه. ثم قال: إن السحاب المثقل بالماء يحسد كفيه؛ لأنهما أندى منه، فلهذا يحسدهما لعجزه عن إدراكهما.

(٦٦٣) المهجة: النفس. يقول: ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنايا لا تسف لأمر دنيء، وهي مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التي لا تكفى إلا بمثله.

(٦٦٤) وذي لجب: عطف على مهجة، أي ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذي لجب … إلخ. واللجب: اختلاط الأصوات. والمثار: الذي أثاره الخوف من مكمنه. قال ابن فورجه: المعنى عندي أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب، فلا الطائر يسلم منه ولا الوحش. قال: ونكت بقوله: «المثار»؛ فإن الجيش الكثير يثير ما كمن من الوحوش. لأجل ذلك قال مالك بن الريب:

بجَيْشٍ لُهَامٍ يَشْغَلُ الْأَرْضَ جَمْعُه   عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلَا

وقال التبريزي: إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناجٍ لكثرة الرماة في الجيش، وإن ثار وحش أخذ. وقال ابن جني: الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايره:

ثِقَةً بالشِبْع مِنْ جَزَره

فتخطف الطير أمامه. قال ابن فورجه — ناقدًا: صيد الطير بالنبل والسهام مستمر معتاد، فلم نسبه إلى العقبان ولا مدح في ذلك من فعلها، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب جيش الممدوح.

(٦٦٥) القشاعم: النسور. يقول: تمر الشمس على هذا الجيش وهي ضعيفة من شدة غباره أو من كثرة عقبانه التي تخيم عليه وتتبعه، ولا ينفذ ضوءُها إليه إلا من خلال ريش النسور، وهو ما ذكره في البيت التالي.

(٦٦٦) الفرجة — بالفاء — الخلل بين الشيئين: أي الانفراج، أما بفتح الفاء فهي التفصي من الهم ونحوه، قال أمية بن أبي الصلت:

لا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْـ ـشَفُ غَمَّاؤُها بغَيْرِ احْتِيالِ
رُبَّمَا تَكْرَه النُّفُوسُ مِنَ الْأَ مرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

والبيض: جمع بيضة، وهي الخوذة. شبه ما يتساقط من الضوء في فرج أجنحة الطير بالدراهم. وشبهه في موضع آخر بالدنانير، وهو قوله:

وَألقى الشَرْقُ مِنْها فِي ثِيابي دَنَانِيرًا تَفِرُّ من البَنَانِ

يريد هنا أنه لكثرة اشتباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من منافذ ضيقة فيقع مستديرًا.

(٦٦٧) حافاته: جوانبه. والهماهم: جمع همهمة، وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم. يقول: لكثرة ما في ذلك الجيش من بريق الأسلحة ولمعانها يختفي عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لغلبه ضوئها عليه، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدتها يخفى عليك الرعد.

(٦٦٨) الفرات: النهر المعروف. وبرقة: قرية في العراق. يقول: أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرءوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى.

(٦٦٩) طعن: عطف على «ضرابًا». والغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم. والردينيات: جمع رديني، وهو الرمح، نسبة إلى ردينة؛ امرأة من العرب كانت تقوم الرماح. والمعاصم: جمع معصم، وهو موضع السوار من الساعد. يصف قوم الممدوح يقول: لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم؛ أي في طفولتهم.

(٦٧٠) الضمير في «حمته»: عائد على «ما بين الفرات وبرقة». وطغج بن جف: جد الممدوح. قال ابن جني: والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وطغج

— في الأصل — بضم الغين، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمي اجترأت على تغييره كيف شاءت. والقماقم: جمع قمقام، وهو السيد العظيم، وأصله: البحر، وكان حق الجمع «قماقيم» ولكنه حذف الياء ضرورة. يقول: جعلت سيوفهم هذا المكان حمًى على الأعداء فلا يحومون حوله، ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بني طغج — من القوة والشجاعة.

(٦٧١) الكر: الرجوع على العدو بعد الفر، للجولان في الحرب. وحومة كل شيء معظمه. والوغى: الحرب. يقول: إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم، وكذلك يعودون في المكارم فيضاعفونها، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة، ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة.

(٦٧٢) الغرم: ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك، والرجل غارم: أي لزمه ما يغرم عنه.

(٦٧٣) الشفار: جمع شفرة، وهي حد السيف. والصوارم: السيوف القواطع. يقول: هم حييون إلا في وقت الحرب، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقرانهم. وهذا من قول بكر بن النطاح:

يتلقَّى النَّدَى بِوَجْهٍ حَييٍّ وصدور القنا بوَجْهٍ وَقَاحِ

(٦٧٤) قال العكبري: يقول: الأُسد — وهي جمع أسد — معدودة من البهائم، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم، فأقول: الأسد مثلهم، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام. قال: وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه: شبهتهم بها، وهو على الظاهر بين، وإنما أغرب أبو الطيب.

(٦٧٥) السرى: السير ليلًا. والصنائع: جمع صنيعة، وهي المعروف. يقول: ذهب النوم عني في مسيري إليه — الممدوح — وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده فضلًا عمن يقصده. هذا، ويقال: سريت سرًى ومسرًى وأسريت — بمعنى — إذا سرت ليلًا، بالألف لغة أهل الحجاز، وجاء القرآن العزيز بهما جميعًا، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾. وقال حسان بن ثابت:

حَيٍّ النضيرَة رَبَّةَ الْخِدْرِ　　أَسْرَتْ إِلَيْكَ ولم تكُن تَسْرِي

(٦٧٦) اخترمهم الدهر: أهلكهم واستأصلهم. ومشكي: من أشكيت الرجل؛ إذا أزلت شكواه، والهمزة فيه للسلب، مثلها في قولهم: أعتبت الرجل؛ أي أزلت عتبه — أي أرضيته — والرغم: القهر والإذلال. والمراغم: المغاضب، والمراغمة: المغاضبة، تقول: راغم أهله؛ أي نبذهم وتمرد عليهم وعاداهم. يقول: إنه يمن على الأسرى فيطلقهم من الإسار، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسنته، ويزيل شكوى ذوي الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم — يذل — المراغم؛ أي الذي يراغمه ويغاضبه.

(٦٧٧) يقول: نفضت الناس لما بلغته نفض القادم حثالة زاده لاستغنائه عنها بعد القدوم، وكذلك أنا استغنيت به عن غيره.

(٦٧٨) يقول: لما اتصلت به عظم سروري بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتي على حرماني من الاتصال به فيما مضى من عمري حتى كاد هذا السرور لا يفي بذلك الندم. قالوا: وهذا المعنى مثل قول أبي فراس:

أيـامُ عـزِّي ونـفـاذِ أمْـرِي　　هِيَ التي أَحْسَبُهَا مِن عُمرِي

(٦٧٩) شر الأرض: قال ابن جني: هي طبرية، وفيها أعداء أبي الطيب الذين قال فيهم:

أتاني وعيد الأدعياء ...　　... ... ... [الـبـيـت]

... «البيت». وتربة: عطف على «شر الأرض». وجملة «بها علوي»: نعت لتربة. يقول: لما اتصلت به فارقت أرضًا أهلها شر الأهل، وتربة رجل يدعي نسبه إلى علي وليس من ولده، فليس بشريف.

(٦٨٠) يقول: ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم، وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت؛ لأنهم يعيشون في ذلة وخوف. كما بين ذلك في البيت التالي.

(٦٨١) الغلاصم: جمع غلصمة، وهي الموضع النائي في الحلق، وقيل: اللحم الذي بين الرأس والعنق. يقول: سرعة الموت راحة لهم من حسدهم؛ لأن في عيشهم وبقائهم موتًا يتجدد على مر اللحظات.

(٦٨٢) جاودني: غالبني في الجود فجدته؛ أي كنت أجود منه. قال الواحدي: هذا تعريض بالذين يبارون الممدوح في الجود والشجاعة من حساده. يقول: أيها الإنسان الذي تباريه في الجود ويظهر عليك جوده، كأنك ما جاودته؛ لأن الفضل والغلبة له عليك، وكأنك لم تقاتل من لم تقاومه في الحرب؛ لأن من غلبك في الحرب لم تنفعك محاربتك إياه، والمعنى أن مفاخرتهم — أي حساده — إياه — الممدوح — لا تنفعهم؛ إذ كانت الغلبة له.

(٦٨٣) الخطاب في «حييت»: للقسم. ومن قسم: في محل نصب على التمييز و«من» زائدة. وقوله: أمسى الأنام له: في موضع الحال من المقسم. ولك أن تجعلها في موضع خفض على الصفة للقسم، فيكون الضمير في «له» عائدًا على القسم، لا المقسم.

(٦٨٤) يقول: إن شربها حرام، وعصيان الأمير حرام، لكن عصيانه أحرم من شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرم.

(٦٨٥) همه: ما يهم به.

(٦٨٦) المغامرة: الدخول في المهالك. والغمرات: الشدائد. وفي شرف: أي في طلب شرف. ومروم: مطلوب. يقول: إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تقنع بما دون أعلاه، ولا ترضَ باليسير منه.

(٦٨٧) يقول: إن طعم الموت في الأمر الهين كطعمه في الأمر الشديد الصعب، وإذن فلا سبيل للمغامر إلا أن يقصد أسمى الأمور.

(٦٨٨) صفائح: فاعل «تبكي»، وفرسي مفعول. والشجو: الحزن، وهو مصدر وضع موضع الحال، على تقدير مشجوة شجوها ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه على حد قوله تعالى: ﴿أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾. والضمير: للصفائح أيضًا. والصفائح: جمع صفيحة؛ السيف العريض. وماء الجسوم كناية عن الدم. يقول: ستبكي حزنًا على فرسي ومهري سيوف دمعها الدماء. يشير إلى أنه سيقتل من قتلهما فتكون دماء قتلاه التي تقطر من سيوفه دموعًا تبكي بها سيوفه، وكل هذا مجاز واستعارة — كما ترى — والمعنى: أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره.

(٦٨٩) قربن: من قولهم: قربت الإبل الماء؛ إذا وردته صبيحة ليلها. قال الواحدي: يريد أن السيوف وردت النار، وهذا قلب للمعهود؛ لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذي ترده الشاربة، والنار تهلك وتفني، وقد أنمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى، يريد أنها تخلصت من الخبث وحسنت صنعتها

بحسن تأثير النار في تخليصها، وإنما طبعت وصارت سيوفًا بعد أن كانت زبرًا — قطعًا — بالنار، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم. وقربن: هي رواية ابن جني، وتروى: قرين — من القرى — ما يقرى به الضيف؛ أي جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى. وتروى: قرين النار — بالبناء للمعلوم — جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الخبث قارية لها، وكان حكم النماء أن يكون للمقري — لا للقاري — فعكس موجب القرى بأن جعل النشاء — النشء — للقاري.

(٦٩٠) الصياقل: جمع صيقل، وهو القين الذي يصنع السيوف. ومخلصات: أي خالصات من الخبث. والكلوم: الجراح، جمع كلم. يقول: إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها، فبأيدي الصياقل جراح منها.

(٦٩١) الجبان: نقيض الشجاع. يقول: إن لؤم طبع الجبان يريه العجز عن اقتحام العظائم في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل، وليس الأمر كذلك، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته.

(٦٩٢) تغني: من الغناء. يقول: إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغني صاحبها وتكفيه مؤنة الخسف والعار، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره؛ لأنها تكون حينئذٍ مقرونة بالحزم، فتكون أبعد عن الفشل، يريد أن العقل لا يغني عن الشجاعة وهي تغني كيفما كانت فتستغني عن العقل، ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل. هذا، ومثل — من قوله ولا مثل — اسم لا، وإن كان مضافًا إلى معرفة؛ لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف، والخبر محذوف: أي ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة.

(٦٩٣) الآفة: العاهة. والضمير في آفته: للقول، وهذا المعنى من قول أبي تمام — وقد قال له أبو سعيد الضرير: يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم؟ فقال له: يا أبا سعيد لم لا تفهم ما يقال؟!

(٦٩٤) القريحة في الأصل: أول ما يخرج من البئر حين تحفر. وقريحة الإنسان: طبيعته التي جبل عليها؛ لأنها أول خلقته، ويقال لفلان قريحة جيدة، يراد استنباط العلم بجودة الطبع. يقول: إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قريحة صاحبها وعلمه: يعني أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئًا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه، فإذا عاب إنسان قولًا صحيحًا فذلك لأنه لم يفهمه، إنما أُتي من سقم قريحته. هذا معنًى رائع بديع، وهو كثير، قال جل شأنه: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، وقال أبو العلاء المعري:

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ صُورَتَهُ والذَّنْبُ للطَّرف لا للنجم في الصغر

(٦٩٥) لهوى النفوس: يروى لهوى القلوب. والسريرة: السر. وعرضًا: أي فجاءة واعتراضًا عن غير قصد، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق: أي نظرت نظرًا عرضًا، فيكون صفة مصدر محذوف. وخلت: حسبت. يقول: إن سر الهوى لا يعرف ولا يدرى من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق، كما قال:

إن المحبةَ أَمْرُهَا عجَبُ تُلقى عليك وما لها سببُ

ثم قال: إني نظرت إليها عن غير قصد — يعني إلى المحبوبة — فعشقتها وكنت أظن أني أسلم من هواها.

(٦٩٦) معتنق الفوارس: وصف للشجاع؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف. والوغى: الحرب. وثَم: هناك. ورنا إليه يرنو: أدام النظر. وقد اضطربت كلمة الشراح في هذين البيتين، قال ابن جني: يرميه بأخته وبالابنة، وثم إشارة إلى المكان الذي يخلو فيه للحال المكروهة، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب؛ يصفه بالجبن. وقال العروضي: شبب بامرأة أخوها مبارز فتاك، فقال لها: أخوك على قساوة قلبه وإراقته الدماء أرحم منك. وكيف يرميه بالابنة وبأخته، وهو يقول: يرنو إليك مع العفاف؟! وهذه العفة من جهة الإسلام، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا في حكمهم. قال: وقد روي أن بشارًا كان في جماعة من نساء يداعبهن، فقلن له: ليتنا بناتك، فقال: وأنا على دين كسرى ... وقال ابن فورجه: شبب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد، كما قال في أخرى:

متى تَزُرْ قَوْمَ منْ تَهْوَى زِيَارتَهَا لَا يُتْحِفُوك بغيْرِ الْبِيضِ والأَسَلِ

وكقوله أيضًا:

دِيَارُ اللَّوَاتِـي دارُهُـنَّ عزيـزةٌ بِطُولِ الْقَنا يُحْفَظْنَ لا بالتمائم

وكقوله:

تَحُولُ رِمَاحُ الخطِّ دونَ سِبائِهِ

ثم قال لحبيبته: أنت قاسية القلب، وأخوك — على بسالته — إذا لقي العدو كان أرحم منك لي وأرق منك علي، ثم أراد المبالغة في ذكر حسنها فقال: أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك. ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له؛ ولهذا قال أبو بكر الخوارزمي.

تَخشَى عَليْهَا أمُّها أَبَاهَا

وقال أبو تمام في مثل هذا:

بِأَبِي مَنْ إذَا رَآهَا أَبُوهَا قَالُ حُبًّا: يَا لَيْتَ أَنَّا مَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن المعذل في جارية كان يسميها بنته:

أُحِبُّ بُنَيَّتِي حُبًّا أَرَاهُ يَزِيدُ على محبَّاتِ البناتِ
أَرَاني مِنْكِ أَهْوَى قَرْصَ خَدٍّ وَرَشْفًا لِلثَّنَايَا وَاللِّثَاتِ
وَإِلْصَاقًا بِبَطْنٍ مِنْكِ بَطْنِي وَضَمًّا لِلْقُرُون الواردات
وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكُرُهُ مَليحًا بِهِ يَحْظَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ المجوسِ إذا الْتَقَيْنَا يكونُ أَحَلَّ من ماءِ الفراتِ

هذا، وقد قال أبو علي الفارسي: المجوس واليهود إنما عُرِّفا على حد يهودي ويهود ومجوسي ومجوس، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما؛ لأنهما معرفتان مؤنثتان فجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين في باب الصرف، وأنشد:

أصاح تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارا

(قال ابن بري: صدر البيت لامرئ القيس، وعجزه للتوءم اليشكري. رووا أن امرأ القيس وكان مُعنًا عريضًا، يتعرض الناس بالشر، ينازع كل من قال إنه شاعر. فأتى

قتادة بن التوءم اليشكري وأخويه الحارث وأبا شريح، فقال لابن التوءم: إن كنت شاعرًا فملط أنصاف ما أقول وأجزها، فقال: نعم. فقال امرؤ القيس:

أصاح تَرى بُريقا هب وهنا

فقال ابن التوءم:

كنار مَجُوسَ تستعر اسْتعارا؟

فقال امرؤ القيس:

أرقْتُ له وَنَامَ أبُو شُريح

فقال ابن التوءم:

إذا ما قُلتُ: قد هدأ، استطارا

فقال امرؤ القيس:

كأنَّ هزيزَهُ بوراء غيب

فقال ابن التوءم:

عِشارٌ وُلَّهٌ لاقت عِشارا

فقال امرؤ القيس:

فلما أنْ عَلا كَنفَي أُضاخ

فقال ابن التوءم:

وَهتْ أعْجازُ ريِّقهِ فحارا

فقال امرؤ القيس:

فلمْ يترُكْ بذات السِّرِّ ظبيا

فقال ابن التوءم:

ولم يتركْ بجلهتها حِمارا

«هب وهنا: فالوهن بعد هدء من الليل. وتصغير بريقًا تصغير التعظيم، كقولهم: دويهية. وخص نار المجوس؛ لأنهم يعبدونها، وقوله: أرقت له: أي سهرت من أجله مرتقبًا له لأعلم أين مصاب مائه. واستطار: انتشر. وهزيزه: صوت رعده، وقوله: بوراء غيب؛ أي بحيث أسمعه ولا أراه. وقوله: عشار ولَّه؛ أي فاقدة أولادها فهي تكثر الحنين، ولا سيما إذا رأت عشارًا مثلها، فإنه يزداد حنينها؛ شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق. وأضاخ: اسم موضع. وكنفاه: جانباه. وقوله: وهت أعجاز ريقه؛ أي استرخت أعجاز هذا السحاب، وهي مآخيره كما تسيل القربة الخلق إذا استرخت. وريق المطل: أوله. وذات السر: موضع كثير الظباء والحمر، فلم يبقَ هذا المطر ظبيًا به ولا حمارًا إلا وهو هارب أو غريق. والجلهة: ما استقبلك من الوادي إذا وافيته».)

(٦٩٧) رائعة البياض: الشعرة البيضاء التي تروع الناظر. ورواها ابن جني: راعية البياض، قال: والراعية من الشعر: أول شعرة تطلع من الشيب، وجمعها: رواع، وأنشد:

أَهْلًا بِرَاعِيَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ تَنْعَى الشبابَ وَتَنْهانَا عَنِ الْغَزَلِ

والأسحم: الأسود. والعارض: صفحة الخد، يقول: راعك — أفزعك — شيبي ولو كان أول لون الشعر بياضًا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر، فلا تراعي — إذن — بالبياض لأنه كالسواد.

(٦٩٨) سفرت: من سفور المرأة؛ أي كشفها عن وجهها. يقول: لو أمكنني أن أظهر صباي لكشفت عنه فإني حدث السن، ولكن الشيب جار علي عاجلًا فستر شبابي فكأنه

تلثم بستر ما تحته من السواد. يعني أن على شبابه لثامًا من الشيب الذي عجل إليه قبل وقته.

(٦٩٩) اليقق: الأبيض. ويعصم: يحفظ. يقول: ليس بياض الشعر موجبًا للموت فقد يعيش الشيخ، وليس سواده واقيًا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد.

(٧٠٠) يخترم: يقتطع ويستأصل. والجسيم: العظيم الجسم. والنحافة: الهزال، ونصبه على التمييز. والناصية: شعر مقدم الرأس. يقول: إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد وهزله حتى يأتي عليه من الهزال، ويشيب الصبي قبل الأوان حتى يصير كالهرم من الضعف والعجز. يشير إلى علة مشيبه، وأن الهم هو الذي أشابه، كما قال أبو نواس:

وَمَا إنْ شِبتُ مِنْ كِبَر ولكِنْ　　　لِقِيت منَ الحوادِثِ مَا أشابَا

(٧٠١) يقول: إن العاقل يشقى وإن كان في نعمة؛ لتفكيره في عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم وهو في الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره في العواقب. قال البحتري:

أَرَى الحلْمَ بُؤْسًا فِي المَعِيشَةِ لِلْفَتَى　　　وَلَا عَيْشَ إلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ

وقال أبو نصر بن نباتة:

مَنْ لِي بِعَيْشِ الأغبياء فإنَّهُ　　　لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقال ابن المعتز:

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا　　　وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا

وقال ابن ميكال:

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالبِ عُقْلَةٌ　　　عَجَبًا لأَمْر الْعَاقلِ الْمَعْقُولِ!
وَأَخُو الدِّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتْعَبٌ　　　والعيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ

(٧٠٢) نبذ الشيء: ألقاه وطرحه. والحفاظ: المحافظة على الحقوق والعهود. وأولاه كذا: أنعم به عليه. وعافٍ: من العفو عن الإساءة. يقول: إن الناس لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة — جمع ذمة؛ الحرمة والحق — ويتركون عرفان النعم. فمطلق من الإسار ينسى إحسان مطلقه، وعافٍ عن مسيء يندم لما يرى من كفران صنيعته وعدم شكرها. قال ابن جني: الندم على كل حالٍ غير مستحسن، قال الحطيئة:

مِنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ   لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ الله والناس

(قال ابن جني: ظاهره أن «جوازيه» جمع جازٍ؛ أي لا يعدم جزاء عليه. وجائز أن يكون جمع جزاء — لمشابهة اسم الفاعل للمصدر — فلما جمع «سيل» على سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء.)

(٧٠٣) يقول: لا تنخدع ببكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه، وارحم نفسك منه؛ فإنك إن رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبقِ عليك.

(٧٠٤) يقول: لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساده وأعداءه، فإذا أراق — سفك — دماءهم سلم شرفه؛ لأنه يصير مهيبًا فلا يتعرض له. قال ابن جني: أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن يتقدم عليهم. قال العكبري: وهو منقول من كلام الحكيم: الصبر على مضض الرياسة ينال به شرف النفاسة.

(٧٠٥) القليل — هنا — ليس قليل العدد وإنما هو الخسيس الحقير. واللئام: جمع لئيم، ضد الكريم، وضمير الفعلين الأخيرين للقليل. يقول: إن اللئيم مطبوع على أذى الكريم لعدم المشاكلة بينهما:

إن الكِرام مشاغِل السفهاء

شوقي

لَقَدْ زَادَني حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي   بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طائِلِ
وأنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى   شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشمائِلِ

الطرماح بن حكيم

(٧٠٦) الشيم: جمع شيمة، وهي الخليقة والطبيعة، ومن شيم النفوس: يروى: في خلق النفوس. يقول: إن الناس جبلوا على الظلم، فإذا رأيت عفيفًا لا يظلم فإنما تَرْكُه الظلم لعلة كالخوف والعجز ونحوهما. قال العكبري: وهو من كلام الحكيم: الظلم من طبع النفس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين: إما علة دينية، أو علة سياسية، كخوف الانتقام منها.

(٧٠٧) قال الواحدي: إنما قال هذا لأنه — ابن كيغلغ — كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرب منه. ومعنى البيت من قول الفرزدق:

وَأَنَخْتَ أُمَّكَ يا جريرُ كَأَنَّهَا   للنَّاس بَارِكةً طَرِيقٌ مُعْمَلُ

وقد أبدع ابن الرومي في مثل هذا؛ إذ يقول في امرأة ابن المعلم:

وَتَبِيتُ بَيْنَ مُقابلٍ وَمُدابرٍ   مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقبلٍ ولِمُدْبِرِ
كَأَجِيرَي المِنْشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ   مُتَنَازِعَيْهِ فِي فَلِيجِ صَنَوْبَرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمُلِمِّ بِسَاحَةٍ   إنْ شِئْتَ فِي اسْتِي فأتِني أَوْ فِي حِرِي
أَنَا كَعْبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خُلِقَتْ لَهُ   فَتَلَقَّ مِنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبِّرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَعْمَى المُبَاحِ حَرِيمُهُ   أَنَا عِرْسُ ذِي القَرْنَيْنِ لَا الإسْكَنْدَرِ
قَالَتْ إذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا   تَدْعُوا: عَدِمَتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الأعْوَرِ
فَإذَا أضَفْتُ إلى الْفَرِيدِ قرينَهُ   قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يوتِرِ
ما زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي   حَتَّى بَدَا عَلَمُ الصَّبَاحِ الْأزهرِ
أرْمِي مَشِيمَتها بِرَأْسِ مُلَمْلَمٍ   رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ أعْجَرِ
عَبْلٍ إذَا قَلِقَ النِسَاءُ بِحَدِّهِ   نِلْنَ الْأَمَانَ مِنَ الوِلَادِ الْأَعْسَرِ

(٧٠٨) المسالح: المواضع يعلق عليها السلاح. والشفر، والشافران: حرفا فرج المرأة، ويريد بحلقتيه: الفرج والرحم. والخضرم: البحر الكثير الماء. شبه المني — لكثرته في رحمها — بالبحر.

(٧٠٩) وارفق بنفسك: يريد لا تتحكك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص — لأنه أعور قصير — وأصلك دنيء لئيم.

(٧١٠) يقول: أنت مكد فيكون غناك في مسألة الناس، وليس وراء طيشك حقيقة، وإنما ذلك نفخة نفخت فيك، ورضاك أن ترى ذا فيشلة — ذكر — من عبد أو ممن ماثل العبد، وربك الذي تعبده درهم ... يعني أنه بخيل.

(٧١١) المناواة: المعاداة، وأصله المناوأة؛ لأنه من النوء وهو النهوض. والكمر: جمع كمرة، وهي رأس الذكر، يقول: لا تعادِ الرجال فإنك لا تقدر عليهم ولا لك بهم طاقة، وإنما قدرتك وإقدامك على «أيور العبيد» يصفه بالأبنة.

(٧١٢) العذل: اللوم. ويرعوي: يكف ويقلع. وعن غيه: فالغي نقيض الرشد، ويروى: عن جهله.

(٧١٣) العلوج: جمع علج، وهو في الأصل: حمار الوحش؛ لاستعلاج خلقه وغلظه، ويقال للرجل القوي الضخم من كفار العجم — غير العرب — علج وهو المراد هنا. يقول: يمشي القهقرى حبًّا للاستدخال. أي إن العلوج كانت تركبه فيمشي إلى خلفه على غير العادة، فإن من عادة المركوب أن يمشي إلى قدام، وهو بخلاف المركوب؛ لأنه يلجم من ورائه. هذا، وقوله: بأربعة، كان القياس أن يقول: بأربع؛ لأنه يريد اليدين والرجلين، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على المعنى، على حد قول الأعشى:

أرَى رَجُلًا مِنهم أسيفًا كأنما يَضُمُّ إلى كَشْحيهِ كفًّا مُخضَّبا

(الأسيف: الغضبان. يقول: كأن يده قطعت فاختضبت بدمها، وقال المبرد: أسيفًا: من التأسف لقطع يده، وقيل: هو أسير قد غلت يده، فجرح الغل — القيد — يده.)

وقد أنثوا المذكر على المعنى، قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت أعرابيًّا يمانيًّا يقول: فلان لغوب — أي أحمق — جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول كتابي؟ فقال: أليس بصحيفة؟ ومن تأنيث المذكر على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾؛ لأن الأمثال في المعنى حسنات. فالتقدير: عشر حسنات أمثالها. وإذا أنث المذكر فتذكير المؤنث أسهل؛ لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل على الفرع. وقوله: على أعقابه: قال العكبري: جمع في موضع التثنية، وحقه أن يقول على عقبيه، كما جاء في التنزيل: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، ولكنهم جمعوا في موضع الإفراد فقالوا: شابت مفارقه. وقال الشاعر:

والزعفرانُ على ترائِبِها   شَرِقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

(الترائب: موضع القلادة من الصدر، واحدتها تريبة.)

فجمع التربية واللبة بما حولهما، وإذا كان هذا جائزًا في موضع الواحد فالجمع في موضع التثنية أجوز. ثم قال العكبري في إعراب «من وراء»: حذف المضاف إليه، والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم، كقبل وبعد وفوق وتحت، وإنما بنيت؛ لأن المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفًا، فلما اقتصروا على المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب، فإن نكروا شيئًا منها أعربوه، فقالوا: جئت قبلًا ومن قبل، وبعدًا ومن بعدٍ، قال الشاعر:

فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وكُنْتُ قَبْلًا   أكادُ أُغَصُّ بِالْمَاء الْفُرَات

(ويروى هذا البيت:

أكاد أغص بالماء الحميم

وروي:

أغص بنقطة الماء الحميم

من أبيات ليزيد بن الصعق. انظر: «الخزانة» ج١ ص٣٨٤ «سلفية».)

وقرئ: من قبل ومن بعد، فأعرب لنية التنكير، فقوله: «من وراء»، على نية التنكير، كأنه قال: من جهة تخالف وجهه.

(٧١٤) طرفت عينه: إذا أصيبت بشيء فدمعت. والحصرم: العنب الأخضر، وهو معروف أنه حامض. قال الواحدي: يقول: إنه أبدًا يحرك جفونه يستدعي العلوج، ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذًى أو عصر فيها الحصرم؛ لأنها لا تفتر عن التحريك. هذا، وقال العكبري في إعراب فت: عطف «فت» على مطروفة، وليس من حق الفعل أن يعطف على الاسم ولا الاسم على الفعل، ولكن ساغ ذلك في اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق والمعنى ولذلك عملًا فيه، وقد عطف الفعل

على الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ﴾، وقال الراجز:

تَبيتُ لا تأوِي ولَا نُفَّاشا

(نفشت الإبل والغنم تنفش نفشًا ونفوشًا: انتشرت ليلًا فرعت بلا راعٍ، وخص بعضهم به دخول الغنم في الزرع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾.)

أي لا تأوي ولا تتنفش، وكذلك صافات وقابضات، والذين تصدقوا وأقرضوا.

(٧١٥) يريد قبح وجهه وكثرة تشنجه، وجعل حديثه كضحك القرد، حيث إنه ألكن عيي لا يفصح، ولهذا جعله مشيرًا؛ لأنه لا يقدر على الكلام فيشير، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت، قال الإمام ابن الشجري في «أماليه»: عيب على أبي الطيب قوله هذا، وقالوا: لا معنى لتشبيهه الحديث باللطم، وإنما كان حقه أن يضع في موضع تلطم تولول أو تبكي أو نحوهما، لكن لما شبه صوت حديثه بقهقهة القرد، وهي صوت، شبهه بلطم عجوز، ولطم النساء لا بد أن يصحبه صوت فلما اضطرته القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه و«أو» للإباحة؛ أي إن شئت شبهت حديثه بقهقهة قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم. وقول ثانٍ: وهو أنه شبه شيئين بشيئين، شبه حديثه بقهقهة القرد وشبه إشارته في أثناء حديثه بلطم العجوز؛ لأنه من عيه لا يفهم، وجعله مشيرًا بيديه؛ لأنه لا يقدر على الإفصاح، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجز عن الجواب. وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهمًا، وهو متأبطه، فقالوا له: بكم اشتريته؟ فمد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه؛ يريد بأصابعه عشرة وبلسانه درهمًا، فشرد الظبي. وفي هذا التشبيه معنًى آخر، وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه، فهو في القبح كوجه القرد، وفي التشنج كوجه العجوز. فإن قيل: كيف شبه شيئين بشيئين، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيئين، وحقه أن يعطف بالواو؟ قلنا: إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو ... أقول: ومن مجيئها بمعنى الواو قول حميد بن ثور:

قومٌ إذا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ

(الصريخ: أي للحرب. والسافع: أخذ الناصية بلا لجام.)

وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر:

وَاحْكُم كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلـى حَـمَـامٍ سِـرَاعٍ وَارِدِ الـثَّـمَـدِ
قالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هذا الحمامُ لنَا إِلـى حمامتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ!
فَحَسَّبُوهُ فَأَلفَوْهُ كمَا ذَكرَتْ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

(واحكم: يريد تبصر في الأمر وكن حكيمًا معي، ولا تقبل ممن سعى بي إليك، وكن كفتاة الحي إذ وصفت فأصابت، وفتاة الحي: هي زرقاء اليمامة، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام. فمر بها سرب من القطا، فقالت:

لَيْتَ الحمامَ لِيَهْ إلى حَمَامتِيَهْ أَوْ نِصْفهُ قدِ يَهْ تَمَّ الحمامُ مِيَهْ

فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعًا وتسعين فبحمامتها تكمل المائة. وسراع: سريع الطيران. والثمد — بفتحتين — الماء القليل لا مادة له. وحسبوه: عدوه.)

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي ويزيدون.

(٧١٦) قلاه يقليه قلًى وقلاء وقليه يقلاه: لغة طيئ، والقلى: البغض، وقال ابن سيده: قليته قلًى وقلاء ومقلية: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته. وحكى سيبويه: قلى يقلي وهو نادر، شبهوا الألف بالهمز. وحكى ابن جني: قلاه وقليه، قال: وأرى يقلي إنما هو على قلى. وحكى ابن الأعرابي: قليته في الهجر قِلًى، مكسور ومقصور، وحكى في البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس. والقذال: جماع مؤخر الرأس، وهو فاعل يقلي، ويجوز أن يكون مفعول المفارقة. وفاعل يقلي ضمير المهجو، أي أن قفاه يكره مفارقة الأكف؛ لأنه قد ألف صحبتها في الصفع فيكاد يتعمم على إحدى يديه، لئلا يخلو قفاه من كف. يريد أنه صفعان تعود أن يصفع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضًا.

(٧١٧) يقول: تراه أحقر ما يكون حين ينطق؛ لأنه عيي فلا يكاد يبين، أو لأنه ينطق بغير معقول، وأكذب ما يكون إذا حلف — أي حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر:

فَلَا تَحلِفْ فإنَّكَ غَيرُ بَرٍّ وأكذَبُ مَا تكُونُ إذَا حَلفْتَا

وقوله: ويقسم: يريد وهو يقسم. هذا، وقد قال ابن الشجري في «أماليه»: فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد، «وأصغر» نصب على المصدر؛ لأنه أضيف إلى «ما» المصدرية، و«ناطقًا» نصب على الحال، وأفعل المضاف إلى المفضل إليه إنما هو بعض ما يضاف إليه، فصار كقولك: سرت أشد السير، و«أكذب» حكمه في ذلك حكم «أصغر» ونصب «ناطقًا» ترى الأول من الرؤية، وانتصابه على الحال، وتقديره: وتراه ناطقًا أحقر رؤيتك إياه، فالتحقير تناول الرؤية في اللفظ، والمراد تحقير المرئي. والمعنى: تراه ناطقًا أحقر منه إذا رأيته ساكتًا. ويكون كلاهما بمعنى يوجد. وإن جعلت «يكون» الأول ناقصًا وخبره «أكذب» لم يجز؛ لما ذكرته من انتصاب «أكذب» على المصدر لإضافته إلى المصدر، والمضمر في «يكون» عائد على المهجو، وخبر «كان» إذا كان مفردًا فهو واسمها عبارة عن شيء واحد بطل أن يجعل «يكون» ناقصًا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث، والواو في قوله: «ويقسم» واو الحال. والجملة بعده حال عمل فيها «يكون» الأول، وهي جملة ابتداء، والمبتدأ محذوف، والتقدير: وهو يقسم فحذف هو. وقال اليازجي: الأظهر أن «أفعل» في الموضعين مرفوع على الابتداء، وسدت الحال بعده مسد الخبر، والجملة في محل نصب بالناسخ؛ لأنها في الأصل خبر ابتداء، كما في قولك: هند أحسن ما تراها أو أحسن ما تكون سافرة، فلما دخل الناسخ عمل في المبتدأ الأول لفظًا، وفي جملة الخبر محلًّا، كما تقول: رأيت هندًا، أو كانت هند أحسن ما تكون سافرة. فتأمل.

(٧١٨) أود: خبر مقدم عن الأرقم، والأرقم: ضرب من الحيات فيه سواد وبياض، وفاعل «يود» ضمير الذليل، والعائد محذوف أي لمن يوده: أي لمن يظهر له وده. يقول: إن الذليل يظهر المودة — المحبة — لمن أذله؛ إذ ليس يقدر على مكافأته، ولا امتناع عنده، فيتودد إليه، على أن الحية أقرب إلى المصافاة من الذليل إذا أظهر الود لمن يوده، وهذا من قول سديف:

ذُلُّهَا أَظهَر المَودَّة مِنْهَا وَبِهَا مِنْكمُ كَحَزِّ المَواسِي

(من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بني العباس على بني أمية.)

(٧١٩) قال ابن جني: يعني أن عداوة الساقط تدل على مباينه طبعه فتنفع — يريد لا تضر — وصداقته تدل على مناسبته فتضر. قال الواحدي: وهو من قول صالح بن عبد القدوس:

عَدُوُّكَ ذُو العقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّـ ـــدِيـق لَـكَ الْـوَامِـقِ الأحْـمَـقِ

«الوامق: المحب.» وعبارة بعض الشراح: أراد بالنفع — هنا — ما هو أعم منه يعني انتفاء الضرر، والبيت مبني على الذي قبله: أي أن عداوة الذليل الذي يطوي كشحه على البغض تظهر ما أضمر من الخبث فتنفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه، وبعكسها صداقته فإنها قد تكون سببًا يتوصل بها إلى أذاه؛ لأنه يساتره العداوة، ويتربص به نهزة للغدر.

(٧٢٠) صفراء: اسم أمه: يقول: هي — على سعتها — أضيق منك، فكيف يتجه لي مدحك؟

(٧٢١) أُعَيِّر: تصغير أعور. قال الواحدي: وكان أبوه — واسمه إبراهيم — أعور. يقول: إن القيادة في غيرك كسب وأنت تتكرم بها: أي تحسبها كرمًا.

(٧٢٢) لشد: بمعنى ما أشد، واللام قبلها: للتوكيد. و«ما»: مصدرية. يقول: ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب مني المديح. وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت في نيلها. وأرادت بالأنجم: أبيات شعره.

(٧٢٣) الإراغة: الطلب. تقول: أرغت الصيد وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه: أي يطلبه ويديره، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم:

يُدِيرُونَني عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالأنْفِ سَالِمُ

(قال الجوهري: يقال للجلدة التي بين العين والأنف: «سالم» وأورد هذا البيت، قال: وهذا المعنى الذي أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج: إنه عندي كسالم والسلام. قال ابن بري: هذا وهم قبيح — أي جعله سالمًا اسمًا للجلدة التي بين العين والأنف، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه.)

«يديرونني: كيريغونني، ويقال: فلان يريغني أو يديرني على أمر وعن أمر: أي يراودني ويطلبه مني.» يقول: طلبت من المديح ما هو خالص لأبي العشائر؛ لأنه الذي

ينعم على زواره وقصاده. فقوله: «خالصًا» حال، أي الذي ثبت لأبي العشائر خالصًا لا ينازع فيه.

(٧٢٤) ولمن: عطف على «لمن يزار». والأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا، ويقال: لأقيمن أخدعيك: أي لأذهبن كبرك، والوجء: اللكز والضرب، ومراده بوجء أخدعيه: صفعه. والنهم: الزجر الشديد. يقول: والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت ببابه ذليلًا تصفع هزوًا واستخفافًا، ثم تزجر مطرودًا. والبيت من قول جرير:

قَوْمٌ إذَا حَضَرَ الملوكَ وُفودُهُم نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ على الأَبْوَابِ

(٧٢٥) وهو مكرم: أي والمال مكرم يضن بمثله، فالضمير عائد على المال، ولك أن ترجعه للممدوح: أي يهين المال ويكرم عند الناس. والعرمرم: الكثير العظيم.

(٧٢٦) الكماة: جمع كمي، وهو البطل المشتمل بالسلاح، والمأزق: المضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقًا. والمعلم: الذي وسم نفسه بسيماء الحرب. وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام:

إنَّ الأسـودَ أُسُـودَ الـغـابِ هِـمَّـتُـهـا يَوْمَ الكَرِيهَةِ في المَسْلوب لا السَّلَبِ

(٧٢٧) أطره: عطفه وثناه ولواه. وتأطر الرمح: تثنى. يقول: إذا اعوجت قناته في مطعون طعن بها آخر فثقفها بذلك، يريد شَدَّة طعنه وتتابعه.

(٧٢٨) «ال» هنا نائبة عن ضمير الممدوح: أي ووجهه وفؤاده … وهلم جرا، والواو أول البيت: للحال. يقول: إذا التقى هو والكماة في مأزق: فوجهه أزهر — نير مشرق أبيض — وفؤاده مشيع — أي جريء — ورمحه يطعن به، وسيفه مصمم: أي يطبق المفصل ويصيب المحزَّ، فلا ينبو عن الضريبة.

(٧٢٩) الفعال هنا الفعل. يقول: إن الفعل يشابه النسب والأصل، فمن كرمت مناسبه كرمت أفعاله، ومن كان لئيم النسب كان لئيم الفعل، والأعاجم عند العرب لئام؛ ولذلك جعل الأعاجم في مقابلة الكرام، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميًّا، وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم من أي جيل كان، قال الراجز:

سَلُّومُ لَوْ أَصْبَحْتِ وَسْطَ الأَعْجَمِ فِي الرُّومِ أَوْ فارِسَ أَوْ في الدَّيْلَمِ

إذن لـزُرْنَـاكِ وَلَـوْ بِـسُـلَّـمِ

(يقال: رجل أعجم وقوم أعجم.)
وقال حميد بن ثور:

ولم أَرَ مِثْلي شاقَهُ صوْتُ مِثْلِهَا ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوْتُ أَعْجَم

فإنه عنى بالأعجم: حمامة سمع صوتها.

(٧٣٠) الهمام: العظيم الهمة والسيد الشجاع السخي. والهيام: أشد العطش. يقول: نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشًا، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا. هذا، وقد قلنا: إن «الهيام» هنا: أشد العطش، وأنشد ابن بري:

يَهيمُ وليس اللهُ شافٍ هُيامَهُ بِغرَّاءَ ما غنَّى الحمامُ وأنجدا

(شافٍ: في موضع نصب خبر «ليس». وإن شئت جعلته خبر «الله»، وفي «ليس» ضمير الشأن.)

والهيام أيضًا: كالجنون من العشق، وقد هيمه الحب. والهيام أيضًا: داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى، يقال: ناقة هيماء، قال كثير عزة:

فلا يَحْسَبُ الواشُون أنَّ صبابَتي بـعـزة كـانـتْ غـمـرةً فـتـجَـلَّـتِ
وأنّـِيَ قَد أبللتُ مِنْ دَنَفٍ بـهـا كما أدْنَفتْ هيماءُ ثُم استبلَّت

(أبل واستبل: برأ من مرضه.)

(٧٣١) القلى: البغض، ولغير قلًى: احتراس جميل. يقول: قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك ونسلم عليك.

(٧٣٢) الموالي — بفتح الميم — جمع مولى، وهو هنا العبد، ورواها العكبري: المُوالي — بضم الميم — أي الذي يلي بعضه بعضًا. والأيادي: النعم. والجسام: العظام. يقول: لسنا نرتحل عنك لأننا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولا لأنا ذممنا نعمك العظيمة.

(٧٣٣) توالت: تتابعت. والغمام: السحاب. وهذا تتمة لما ذكر في البيت السابق. يقول: إن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه — إقامته — واحتباسه لأجل المطر،

كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال، ولولا أني على سفر لم أملل نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر. وكره المقاما: رواها بعض الشراح: كره الغماما، وقال: المعنى إنما عفنا الزيادة من إحسانك؛ لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر، فهو كالمطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه، فيكرهه لذلك؛ [لا] لأنه مكروه من نفسه.

(٧٣٤) هذا استفهام معناه الإنكار. والرهو: السير السهل. يقول: الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذني، وكذا الغمام لا يسري بمشيئتي، ويريد بالريح والغمام: الممدوح على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته — يعني أن الذي يفعله ليس يفعله بإذني ومشيئتي إنما يفعله طبعًا طبع عليه — كما بين في البيت التالي.

(٧٣٥) تبجسه: مبتدأ، وبها: خبره. والتبجس: التفجر.

(٧٣٦) فراق: مبتدأ، محذوف الخبر؛ أي لي فراق. وقال العكبري: فراق خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز رفعه بإضمار فعل أي حدث فراق. وأَمَّ: أي قصد، ويممت: قصدت. يقول — عند ارتحاله: هذه الحالة التي أنا فيها فراق، والذي أفارقه — يعني سيف الدولة — غير مذموم. وهذا الفراق هو في الوقت عينه قصد لإنسان آخر — يعني كافورًا — وهو خير مقصود.

(٧٣٧) عنده: أي فيه، يقول: لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن مكرمًا معظمًا؛ لأنه مع الذل لا يطيب لي.

(٧٣٨) مليحة: مشفقة خائفة، يقال: ألاح من الأمر؛ إذا أشفق منه. والمخرم: الطريق في الجبل. يقول: هذا الفراق أو هذا الذي أذكره من أنفتي والاحتفاظ بكرامتي سجية — طبيعة — نفسي التي هي أبدًا خائفة من أن تظلم ويبخس حقها من الإكرام، وأنا أرمي بها كل طريق هاربًا عن الضيم والذل.

(٧٣٩) الشادن: ولد الغزال. والضيغم: الأسد. يقول: فكم من رجال ونساء بكوا على فراقي وجزعوا لارتحالي عنهم! فالباكي بجفن الشادن: المرأة المليحة الحسناء، والباكي بأجفان الضيغم: الرجل الشجاع الكريم: قال ابن جني: بأجفان ضيغم: يريد سيف الدولة، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله:

لِيَحْدُثَنَّ لِمَنْ فَارَقْتُهُ نَدَمُ

(٧٤٠) القرط: الذي يعلق في شحمة الأذن. ومكانه: فاعل المليح. والحسام: السيف القاطع. والمصمم: الذي يطبق المفاصل، ولك أن تجلعه صفة لرب. يقول: لم تكن المرأة بأجزع على فراقي من الرجل.

(٧٤١) يقول: لو كان الذي أشكوه من الغدر بي كان من امرأة عذرتها؛ لأن شيمة النساء الغدر، ولكنه من رجل فلا أعذره. فكنى بالحبيب المقنع عن المرأة، وبالحبيب المعمم عن الرجل.

(٧٤٢) قال الواحدي: هذا مثل يقول: لم يحسن إلي — أي سيف الدولة — ولم أهجه لحبي إياه، فضرب المثل لإساءته إليه بالرمي، ولأمنه من المكافأة — المجازاة — بالهجاء بالاتقاء، بحب يكسر كفه وقوسه وسهامه إن أراد أن يرميه. والمعنى: أن حبي إياه منعني عن مكافأته بالإساءة، فكان كرامٍ يرميني وهو وراء جنة — سترة — من حبي تمنعني من أن أرميه.

(٧٤٣) يعتاده: ينتابه. ومن توهم: بيان لـ «ما». يقول: إذا كان فعل المرء سيئًا قبيحًا ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه، وإذا توهم في أحد ريبة أسرع إلى تصديق ما توهمه؛ لما يجد من مثل ذلك في نفسه. وعبارة الواحدي: المسيء يسيء الظن؛ لأنه لا يأمن من أساء إليه، وما يخطر بقلبه من التوهم على إساءة غيره يصدق ذلك، فكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله، وهو كقول الآخر:

وما فَسَدتْ لي — يشهدُ اللهُ — نِيةٌ عَليكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي فاتَّهمْتَني

(٧٤٤) يقول: ولسوء ظنه يعادي الذين يحبونه بوشاية أعدائه، فلا يميز صديقه من عدوِّه؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حائرًا بسبب أنه يصدق ما يتوهمه.

(٧٤٥) يريد بالنفس: المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان يذكر لطف حسه ودقة علمه، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولًا، ويستدل عليها بكلامه وفعله. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام.

(٧٤٦) يقول: وأصفح عن خليلي علمًا بأني متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله، فاعتذر إليَّ وأعتبني — أرضاني — ورجع إلى مرادي. وهذا من قول سالم بن وابصة:

وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالي السُّوءِ ذِي حَسَد　　يَقْتاتُ لحمي وما يَشفِيهِ مِن قَرَمِ
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غِمْرُهُ حَقِدًا　　مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفارًا بِلَا جَلَمِ
بالْحَزْمِ والخَيْرِ أُسْدِيهِ وَأُلْحِمُهُ　　تَقْوَى الإلهِ وَما لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِ
فأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوتَّرةً　　تَرمي عَدُوِّي جِهارًا غَيْرَ مُكْتَتِمِ
إنْ في الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عارِفُهُ　　والْحِلْمُ عن قُدْرَةٍ فَضْلٌ من الكَرَم

(رجل نيرب، وذو نيرب: ذو شر ونميمة. والقرم: شدة الشهوة إلى اللحم.)
(الغمر: الحقد والغل. والجلم: أحد شقي المقراض، وإنما هما جلمان.)
ومن روى:

وأحلم عن خلي وأعلم أنني　　متى أجْزِهِ يومًا على الجهلِ أندم

يكون المعنى: متى جهلت عليه كما جهل علي ندمت على ذلك؛ لأن السفه والجهل ليسا من أخلاقي في شيء.

(٧٤٧) يقول: إني لا آخذ من الإنسان الصلة — العطية — حتى يكون معها بِشْر وبشاشة، وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راضٍ بتركها. وقال ابن القطاع: صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه: بجود التارك، ولا معنى للتارك، وإنما هو الباذل، ومعناه: وإن بذل الإنسان لي جوده وهو عباس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لي جوده وهو ضاحك ولم أكافئه.

(٧٤٨) السميدع، والسميذع: السيد الكريم الجميل الجسم الموطأ الأكناف، وقيل: هو الشجاع. والنجيب: الفاضل الكريم — ضد اللئيم — والسمهري: الرمح القوي الصلب. وصدره: مقدمه مما يلي السنان. يقول: أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم.

(٧٤٩) خطت: جابت وقطعت. والضمير من تحته للسميذع. والعيس: الإبل البيض. والكبة: الحملة في الحرب — من قولهم: كبه لوجهه؛ إذا ألقاه — قال بعض العرب: طعنته في الكبة طعنة في السبة، فأخرجتها من اللبة، فقيل له كيف طعنته في السبة — هي حلقة الدبر؟ فقال: إن رمحه كان قد سقط من يده فأكب ليأخذه فطعنته. والخميس: الجيش من خمس فرق. والعرمرم: الكثير. يقول: قد سافر كثيرًا وقطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها.

(٧٥٠) يقول: ليس بعفيف السيف والرمح، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران لم يتعفف عن دمائهم، وإنما عفته في كفه؛ لا يأخذ من مال أحد شيئًا، وفي فرجه لا يقرب الزنا، وفي فمه؛ فهو يمسك لسانه عن كل ما لا يحل ولا يأكل إلا من حل.

(٧٥١) يقول: ليس كل من أحب الأمر الجميل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه.

(٧٥٢) فدًى: خبر مقدم، والكرام: مبتدأ مؤخر. والأدهم: الأسود. جعل الكرام كخيل سوابق، وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يجرين على أثره. يعني أنه إمام الكرام وسابقهم.

(٧٥٣) أغر: أي بأدهم أغر، فهو نعت لأدهم. وبمجد: متعلق بأغر. وشخصن: رفعن أبصارهن. والرحب: الواسع. ومطهم: تام. يقول: إن هذا الأدهم أغر غير أن غرته المجد لا البياض، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال.

(٧٥٤) يقول: إذا لم تحسن السياسة فوقفة واحدة في مجلسه — وهو يتعاطى سياسة الأمور — تكفيك لأن تتعلم منه السياسة.

(٧٥٥) راءه: مقلوب «رآه». والعذر: فاعل يضيق. والمساعي: جمع مسعاة، وهي السعي في طلب المجد. يقول: من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذر في أن يكون ضعيف المساعي، قليل الكرم. يعني منه تتعلم هذه الأشياء، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور. وقد جعل ابن جني هذا داخلًا في الهجاء على معنى: لم أرَ مثله في خسته ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده في تركها كما قال الآخر:

لا تيْأَسَنَّ مِنَ الإمَارةِ بَعْدَما ... خَفَقَ اللِّواءُ على عِمَامَةِ جَرْولِ

(٧٥٦) يقول: من مثله إذا أحجمت الكتيبة — تأخرت — وقل من يحثها على ورود المعركة؟ أي إنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو. قال الواحدي: والرواية: اقدُمي بضم الدال؛ أي تقدمي، من قدم يقدم إذا تقدم. ومن روى اقدَمي بفتح الدال؛ فمعناه ردي الحرب — من الورود — من قدم يقدم قدومًا.

(٧٥٧) الطرف: الفرس. والنقع: الغبار. واللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمة المتدلية في أقصى الحلق، وكأنه جمعها على إرادة اللهاة واللوزتين من باب التغليب. يقول: إذا سطع الغبار وثار حتى وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار، فهو حينئذٍ ثابت في المعركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع. ومن روى: الطَّرف

بفتح الطاء: أي العين، فمعناه أن عينه لا تبرق (برق البصر يبرق، من باب طرب: إذا تحير فلم يطرف) ولا يتداخله الفزع.

(٧٥٨) أبا المسك: أي يا أبا المسك. والبيض: السيوف. يقول: أرجو منك أن تنصرني على أعدائي بحسن رأيك، وتؤتيني عزًّا أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٧٥٩) يقول: أرجو أن أدرك بعزك حالةً شقائي فيها عندي مثل التنعم؛ أي أشقى في حرب الأعداء فأتنعم بهذا الشقاء. ويجوز أن يكون المعنى: أني أبدل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجلب لهم من الحسد لنعمتي والغيظ لمكاني فيشقون بي.

(٧٦٠) يقول: أنت أهل لأن يرجى لديك ما رجوته، ولم أضع الرجاء منك في غير موضعه كمن يرجو مطرًا من غير سحاب فيقال له: ظلمت — أي وضعت الشيء في غير محله — حين رجوت المطر من غير موضعه.

(٧٦١) المستهام: الذي ذهب على وجهه من عشق ونحوه. والمتيم: الذي ملك عليه الحب أمره واستعبده.

(٧٦٢) الديلم: جيل من الترك، كانت بينهم وبين العرب عداوة. فصار اسمهم عبارة عن الأعداء، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء، قال عنترة:

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ

(قيل: إن الديلم في بيت عنترة، رجل من ضبة، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة، وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز، فقام بأمر أبيه وحوَّض الحياض، وحمى الأحماء. ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أوحشت داره وبقيت آثاره، فقال عنترة في ذلك ما قال. والدحرضان: هما دحرض ووسيع — ماءان فدحرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبني أنف الناقة. وقيل: أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال:

جاءوا يَجُرُّونَ البرُود جرًّا صُهبَ السِّبَالِ يَبْتَغُون شرا

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب، والروم صهب السبال، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلًا.)

وقال ابن جني: سأل أبا الطيب بعضُ من حضر فقال: أتريد بالديلم الأعداء أم هذا

الجيل من العجم؟ فقال: من العجم. وحملات جمع حملة، وأسكنه ضرورة. يقول: إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها.

(٧٦٣) القائف: الذي يقفو الآثار — يتبعها — والمنسم: خف البعير. يقول: إن الذي اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن المسير إليك لم يرَ إلا آثار الإبل والخيل؛ أي لم يدركنا لسرعة سيرنا، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويجنبوا الخيل، فلذلك قال: إلا حافرًا فوق منسم، أي إلا أثر حافر فوق أثر خف. ومن هذا قول مقاس العائذي (مسهر بن النعمان من بني عائذة، شاعر مقل مجيد، وهذا البيت من أبيات تجدها في «المفضليات»):

أولى فأولى يا امْرءَ القيسِ بعدما   خَصَفْنا بآثارِ المطِيِّ الحوافِرا

[يقال: خصفت الإبل الخيل: تبعتها.]

(٧٦٤) تغمرت: أي شربت قليلًا من الغمر، وهو القدح الصغير. واستذرت: نزلت في ذراه؛ أي في كنفه وناحيته. والمقطم: الجبل المعروف بمصر. يقول: وسمنا البيداء بآثار خيلنا وركابنا — يعني سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصارت آثار الخيل والإبل كالسمة لها — أي العلامة — حتى وردت النيل — نيل مصر — فشربت منه دون الري؛ وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقلَّ شربها، ومنه قول طفيل الغنوي:

أنخَنَا فُسْمَنَاهَا النِّطَافَ فَشَارِبٌ   قَلِيلًا وَآبٍ صَدَّ عَنْ كُلِّ مَشْرَب

«النطاف: جمع نطفة، وهي الماء الصافي قل أو كثر.» وسامه الأمر سومًا: كلفه إياه أو عرضه عليه.

(٧٦٥) الأبلخ: العظيم في نفسه، وهو من صفات الملوك، ويروى بالجيم، فهو الجميل الوجه، وهو عطف على «المقطم». وقوله: بقصديه: أي بقصدي إياه. يقول: واستذرت بظل أبلخ يعصي من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيري، كما أني عصيت من أشار علي بترك المسير إليه. قال الواحدي: يقال: إنه أراد بهذا ابن حنزابه — جعفر بن الفرات — وزير الأسود ولم يكن المتنبي مدحه. قال ابن جني: هو مما يجوز نقله إلى الهجاء. وابن جني يحاول دائمًا أن يوجه مدائح المتنبي في كافور إلى الهجاء، ولعل له عذرًا في ذلك، وهو أدرى بدهاء المتنبي ومكانة كافور لديه.

(٧٦٦) العرف: المعروف. والمجمجم: من قولهم: جمجم كلامه؛ إذا عمَّاه وستره ولم يأتِ به على الوجه الذي يُهتدى إليه. يقول: لم يكدر إحسانه إليَّ بالمن ولم ينغصه بالأذى، فكان شكريه صريحًا خالصًا غير مشوب. قال ابن جني: هذا النفي يشهد بما ذكرته من قلب المدح إلى الهجاء.

(٧٦٧) قوله: اخترتك الأملاك. يريد اخترتك من الأملاك — الملوك — فحذف «من» وأوصل الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾. يقول: اخترتك من بين ملوك الدنيا، وآثرتك بقصدي إياك دونهم، فاختر لهم بنا حديثًا من مدح أو هجاء، بمنع أو حرمان؛ أي أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا، فاختر ما تريد من ثناء وإطراء بالبر والإحسان، أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان، فأنت المحكم فيما تختار. يعني إن أحسنت مكافأتي صوبوا رأيي في قصدك ومدحك وإلا شمتوا بي وذموك.

(٧٦٨) أيمن: من اليمن، وهو البركة. قال الواحدي: هذا البيت يوري عن هجائه بقبح الصورة، وأنه لا منقبة له يمدح بها، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجود ويده أيمن الأيدي بالإنعام. وكذلك البيت الذي بعده.

(٧٦٩) معظم: أي أمر عظيم قال الواحدي: يريد أنه خالٍ عمًّا يمدح به الملوك من حسبٍ أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفًا بعلو همة وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها.

(٧٧٠) لمن: استفهام إنكار. يقول: إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض؟

(٧٧١) المعصم: موضع السوار من الزند، يريد أن «المهر» الذي أهداه إليه كان موسومًا باسمه ليعلم أنه من خيله، وأن ذلك غير خاص بالخيل، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك؛ يعني أنه يملك جميع الأحياء، فكأنهم موسومون باسمه، وإن لم يوسموا حقيقة — كما كشف عن ذلك في البيت التالي. هذا، والمهر: هو الصغير السن من الخيل، و«الأنثى» مهرة، وجمع المذكر: أمهار ومهار، ومهارة. وجمع المؤنث: مهر ومهرات. قال الربيع بن زياد العبسي يحرض قومه في طلب دم مالك بن زهير العبسي، وكانت فزارة قتلته لما قتل حذيفة بن بدر الفزاري:

أَفَبَعْدَ مَقْتَل مالِكِ بْن زُهَيْرٍ　　　ترجو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

ما إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوِي الْحِجَا إِلَّا الـمَـطِـيَّ تُـشَـدُّ بِـالْأَكْـوَارِ
وَمُـجَـنَّـبَـاتٍ مَـا يَـذُقْـنَ عَـذُوفَـةً يَـقْـذِفْـنَ بِـالْـمُـهَـرَاتِ والْأَمْـهـارِ

(المجنبات: الخيل تجنب إلى الإبل. ويقال: ما ذاق عذوفًا ولا عذوفة — بالذال والدال — أي ما ذاق شيئًا.)

(٧٧٢) أراد بالحيوان الراكب الخيل: الإنسان. والموسم: المعلم. يقول: لك الخيل ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلمة. ومراده بالخيل ما هو أهم منها من الحيوان، وإنما خصها بالذكر لمكان ذكر المهم.

(٧٧٣) هذا استبطاء لما يرجوه منه، يقول: لو كنت أعرف كم مقدار بقائي في الدنيا لجعلت ثلثي ذلك المقدار مدة انتظار عطائك. وهذا من قول مسلم بن الوليد:

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِيثَاقٌ يُخَلِّدُنَا إلى المَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الكِبَرِ

(٧٧٤) البادر: المسرع. والمتغنم: الذي يغتنم الشيء. يقول: ما فات من العمر لا يعود؛ أي أن ما بقي من الحياة غير طويل، فإن الماضي غير مستدرك، فجد لي بحظ من يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان.

(٧٧٥) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء. يقول: إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه فأنا أرضى به أيضًا؛ محبة لك، وانجذابًا إلى هواك وموافقة لرضاك؛ لأني قدت نفسي إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء.

(٧٧٦) يقول: مثلك في كرمك وسماحتك يكون فؤاده وسيطًا بينه وبيني فيكلمه عني ولا يحوجني إلى الكلام.

(٧٧٧) الفعال: بمعنى الفعل. يقول — لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الأسفار وإخطاره بنفسه في طلب المعالي: ملومكما — يعني نفسه — أجل من أن يلام؛ لأن فعله يجوز طوق القول، فلا يدرك فعله بالوصف والقول، ولأنه لا مطمع للائم فيه بأن يطيعه أو يخدعه هو بلومه. وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام بمعنى الجراحات، قال: المعنى ملومكما يجل عن لومكما ووقع فعال لومكما فوق الكلام؛ أي الجراحات، فالكلام بكسر الكاف — جمع كلم.

(٧٧٨) ذراني: دعاني واتركاني. والفلاة: الصحراء، ونصب الفلاة والهجير؛ لأنهما مفعولان معهما. ووجهي: عطف على «الياء» من ذراني. والهجير: حر نصف النهار.

يقول: دعاني مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائي فيها وخبرتي بمسالكها، ودعاني مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقي وجهي؛ لأني قد اعتدت ذلك.

(٧٧٩) الإناخة: النزول. والمقام: مصدر ميمي، بمعنى الإقامة. وقوله: بذي وهذا يعني بالفلاة والهجير. يقول: راحتي فيهما وتعبي في النزول والإقامة.

(٧٨٠) الرواحل: جمع راحلة وهي الناقة. وبغام الناقة: صوت لا تفصح به، وبغمت الناقة تبغم بغامًا: قطعت الحنين ولم تمده. ورزحت الناقة: سقطت من الإعياء. قال الواحدي: قال ابن جني: معناه إن حارت عيني، فأنا بهيمة مثل رواحلي، وعيني عينها وصوتي صوتها، كما تقول: إن فعلت كذا فأنت حمار، وأنت بلا حاسة. وزاد ابن فورجه هذا بيانًا فقال: يريد أنه بدوي عارف بدلالات النجوم في الليل، فيقول: إن تحيرت في المفازة فعيني البصيرة عين راحلتي، ومنطقي الفصيح بغامها. وقال التبريزي: عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهتدي بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحي يقوم مقام صوتي، وإنما قال: «بغامي» على الاستعارة.

(٧٨١) يقول: لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني سوى أن أعد برق الغمام، وأستدل بذلك على المطر فأتبع موقعه، على عادة العرب في عدها بروق الغمام؛ وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة، وقيل: مائة، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ماطر، فرحلوا يطلبون موضع الغيث. قال قائلهم:

سقَى اللهُ جِيرانًا حَمِدْتُ جِوارهم ... كرامًا إذَا عُدُّو وفَوقَ كِرام
يَعُدُّونَ برق المُزْنِ فِي كِلِّ مَهْمِهِ ... فَما رِزْقُهُمْ إلا بُروقُ غمامِ

(٧٨٢) يقال: أذم له؛ أي أعطاه الذمة، وهي العهد والخفارة. والمهجة: الروح. يقول: من احتاج في سفره إلى ذمة ليأمن بذلك، فإني أكون في ذمة الله وذمة سيفي؛ يعني: لا أستصحب أحدًا في سفري لآمن بصحبته.

(٧٨٣) وليس قِرًى: أي وليس لي قِرًى، فخبر «ليس» محذوف. والجملة: حال. يقول: لا أمسي ضيفًا للبخيل وإن لم يكن لي طعام ألبتة — لأنه لا مخ للنعام — ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لا قرى عنده. ويروى: مح — بالحاء المهملة — وهو صفرة البيض، وقيل: ما في جوف البيض من أصفر وأبيض كله مح، والمعنى على هذا: لو لم يكن لي قرًى سوى بيض النعام شربته ولم آتِ بخيلًا.

(٧٨٤) الخب: الخداع. يقول: لما فسد ود الناس وصار خداعًا يبشون بوجوههم وكشحهم منطوٍ على الخبث عاملتهم بمثل ما يعاملونني به، فهم يكاشرونني وأنا أكاشرهم؛ أي ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلي.

(٧٨٥) يقول: لعموم الفساد في الخلق كلهم صرت إذا اصطفيت — اخترت — أحدًا لمودتي لم أكن على ثقة من مودته لعلمي أنه من جملة الخلق. حكي عن المتنبي أنه قال: كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلي ويبش في وجهي حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا، فعجبت من فطنته وذكائه.

(٧٨٦) الوسام والوسامة: حسن الصورة. يقول: العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما. فمن أصفى له الود أحبه، أما الجاهلي الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة؛ وذلك حب الجهال — الحمقى — لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (أصل الدمن: ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها؛ أي تلبده في مرابضها، فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة، فذلك النبت هو خضراء الدمن، وفي الحديث: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء.» شبه المرأة بما ينبت في الدمن من الكلأ له غضارة وهو وبيء المرعى منتن الأصل) رائق اللون وبيء المذاق.

(٧٨٧) آنف: أي أستنكف. وقوله: لأبي وأمي: حال؛ أي مولودًا لهما — يعني الأخ الشقيق.

(٧٨٨) يقول: إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لئيمًا وإن كان من أصل كريم. كما قال آخر:

أبُوك أبٌ حُرٌّ وأمُّك حُرة وقدْ يلِدُ الحُرَّانِ غيرَ نجيبِ

وقال آخر:

لئن فخرْتَ بآبَاء لهُمْ شَرف لقدْ صَدَقْتَ ولكن بِئس ما ولدُوا

(٧٨٩) أعزى: أنسب. والهمام: السيد الشجاع السخي. يقول: لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل. يعني: إذا لم أكن فاضلًا بنفسي لم يغنِ عني فضل جدي.

(٧٩٠) القد: القامة. وحد: أي حد السيف. يريد بمن له قد وحد: الشاب الذي لم يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته. ونبا السيف: كلَّ عن الضريبة. والقضم:

السيف الذي فيه فلول. والكهام: الذي لا يقطع. يقول: عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه، ثم لا ينفذ في الأمور ولا يكون ماضيًا.

(٧٩١) المطي: الإبل. والسنام: ما شخص من ظهر البعير. يقول: وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالي الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها، ولا يتعب مطاياه في ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها.

(٧٩٢) يقول: ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملًا في الفضل فلم يكمل؛ أي لا عذر له في ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه، والعيب ألزم له من الناقص الذي لا يقدر على الكمال. يشير بهذه الأبيات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر.

(٧٩٣) الخبب: ضرب من السير. والركاب: الإبل. يقول: أقمت بمصر لا تسير بي الإبل إلى خلف ولا إلى قدام، يعني: أنه لزم الإقامة بها لا يريم.

(٧٩٤) يقول: إن مرضه قد طال حتى مله الفراش، وكان هو يمل الفراش، وإن لاقاه جنبه في العام مرة واحدة؛ لأنه أبدًا كان يكون على سفر.

(٧٩٥) يقول: إني بمصر غريب فليس يعودني بها إلا القليل من الناس، وفؤادي سقيم لتراكم الأحزان عليَّ، وحسَّادي كثير لوفور فضلي، ومرامي — مطلبي — صعب لأني أطلب الملك.

(٧٩٦) قوله: من غير المُدام: أي أني سكران من غير خمر، وإنما من الضعف والهموم.

(٧٩٧) وزائرتي: أي ورب زائرة لي — يريد الحمى وكانت تأتيه ليلًا — يقول: كأنها حيية؛ إذ كانت لا تزورني إلا في دجنات الظلام.

(٧٩٨) المطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز في جنبه علمان. والحشايا: جمع حشية، وهي ما حشي من الفراش مما يجلس عليه. وعافتها: كرهتها وأبتها. يقول: هذه الزائرة — يعني الحمى — لا تبيت في الفراش، وإنما تبيت في عظامي.

(٧٩٩) يقول: جلدي لا يسعها ولا يسع أنفاسي للصعداء، والحمى تُذْهب لحمي وتوسع جلدي بما توردہ علي من أنواع السقام.

(٨٠٠) قال الواحدي: يريد أنه يعرق عند فراقها، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب الغسل، وإنما خص الحرام للقافية، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الغسل. وقال ابن الشجري: وإنما خص الحرام؛ لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة.

(٨٠١) سجم الدمع: سال وانسكب: أي بأربعة أدمع. يقول: إنها تفارقه عند الصبح، فكأن الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة أدمع. يريد كثرة الرحضاء وهو عرق الحمى، والدمع يجري من الموقين، فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضًا. والموق: طرف العين مما يلي الأنف. واللحاظ: طرفها مما يلي الصدغ.

(٨٠٢) يقول: إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفًا لا شوقًا.

(٨٠٣) يقول: إنها صادقة الوعد في الورود — لأنها لا تتخلف عن ميقاتها — وذلك الصدق شر من الكذب؛ لأنه صدق يضر ولا ينفع، كمن أوعد ثم صدق في وعيده.

(٨٠٤) يريد ببنت الدهر: الحمى. وبنات الدهر: شدائده. يقول للحمى: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلي؟! وهذا من قول الآخر:

أتيتُ فؤادَهَا أشكُو إليهِ فَلم أخْلُصْ إليهِ منَ الزحامِ

(٨٠٥) يقول: لقد جرحت رجلًا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبقَ فيه مكان لضرب السيوف ولا السهام.

(٨٠٦) يقولون: ليت شعري ما حال فلان؟ أي ليتني أشعر. وخبر «ليت» محذوف: أي ليت شعري حاصل ونحوه. والعنان: سير اللجام. والزمام: المقود. يقول: ليت يدي علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان خيل أو زمام إبل؟ يعني ليتني علمت: هل أصح وأبرأ فأسافر على الخيل والإبل؟

(٨٠٧) هواي: يعني ما يهواه ويطلبه. وبراقصات: أي بإبل تسير الرقص، وهو ضرب من الخبب، يقال: رقص البعير رقصًا إذا خب. ومحلاة: من الحلية. واللغام: زبد يخرج من فم البعير. يقول: وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد بإبل تسير الرقص وقد جمد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلي الفضية؟ وهذا كما قال منصور النميري:

وَيَقْطَعُ البيدَ منْهَا كلُّ يَعْمَلةٍ خُرْطُومُها بِاللُّغامِ الْجَعْدِ مُلتفِعُ

(لغام جعد: متراكب مجتمع، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة، يقال: جعد اللغام، قال ذو الرمة:

تنجوُا إذ جعلتْ تَدْمَى أخشتُها واعْتمَّ بالزَّبَدِ الجَعْد الخراطيمُ

«تنجو: تسرع السير، والنجاء: السرعة، وأخشتها جمع خشاش، وهي حلقة تكون في أنف البعير».)

(٨٠٨) الغليل: العطش، ويراد به كل ما حز في الصدر. والقناة: الرمح. والحسام: السيف القاطع. يقول: إنه لما كان صحيحًا كان يسافر ويقاتل فيشفي غليله بالسير إلى ما يهواه، وبالسيف والرمح.

(٨٠٩) الخطة: الأمر والقصة. والفدام: ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصفى به ما فيه. يقول: ربما ضاق أمر علي فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذي تشد به أفواه الأباريق.

(٨١٠) يقول: وربما فارقت الحبيب بلا وداعٍ لعجلتي. يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذي هرب منه.

(٨١١) الجمام: الراحة. يقول: إن الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس في طبه أن الذي أضر بجسمي طول لبثي وقعودي عن الأسفار، كالفرس الجواد، يضر بجسمه طول قيامه في المرابط، فيفتر ويني.

(٨١٢) السرايا: جمع سرية، وهي القطعة من الجيش تسري إلى العدو. والقتام: الغبار، وأراد بدخول القتام: حضور الحرب. يقول: تعود هذا الجواد — يعني نفسه — أن يثير الغبار في الجيوش، ويخرج من حرب فيدخل في غيرها.

(٨١٣) فأمسك: أي الجواد. ولا يطال له: أي لا يرخى طِوَلُه، وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى. يقول: أمسك هذا الجواد لا يرخى له الطِّوَل فيرعى فيه ولا هو في السفر فيعتلف من المخلاة — التي تعلق على رأسه — وليس هو في اللجام، وهذا مثل ضربه لنفسه، وأنه حليف الفراش، ممنوع عن الحركة، وجائز أن يكون هذا المثل قد ضربه لحالته مع كافور.

(٨١٤) أحمم: من الحمَّى. يقول: إن كنت قد مرضت في بدني فإن صبري وعزمي باقيان على ما كانا عليه لم يمرضا بمرض جسمي.

(٨١٥) الحمام: الموت. يقول: وإن سلمت من الحمى لم أبقَ خالدًا، ولكني أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الموْتَ مَا أَخْطَأَ الفتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْياهُ بالْيَدِ

(الطِّوَل: الحبل الطويل جدًّا، أو حبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفة ويرسلها ترعى.)

ومن قول الآخر:

إذَا بَلَّ مِنْ دَاء به خَالَ أَنَّهُ نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلهْ

(بلَّ: برأ وصح. والداء الذي هو قاتله: الهرم.)

(٨١٦) السهاد: السهر. والكرى: يريد به النوم. والرجام: القبور — واحدها رجم، وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر، ومنه قول عبد الله بن مغفل: لا ترجموا قبري؛ أي لا تجعلوا عليه الرجم — أي لا تسنموه بل سووه بالأرض. يقول: ما دمت حيًّا فتمتع من حالتي السهر والنوم ولا ترج النوم في القبر. وفيه نظر إلى قول الآخر:

تَمَتَّعْ بالرُّقَاد عَلَى شِمَالٍ فَنوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمين

(٨١٧) يريد بثالث الحالين: الموت. يقول: إن الموت حال غير حالي السهر والنوم فلا يتمتع فيه بشيء.

(٨١٨) المحاجم: جمع المحجمة، وهي القاروورة يحجم بها الجلد، والجلم: أحد شقي المقراض وهما جلمان. يقول: لا طريق للكرم إليك، فإنك لست منه في شيء، إنما أنت أهل لأن تكون حجامًا — مزينًا — فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها؟ وفيه إشارة إلى أن الذي اشتراه قديمًا كان حجامًا.

(٨١٩) الألى: أي الذين. وقدرهم: مفعول «جاز». يقول: إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والطغيان؛ فملكك الله عليهم تحقيرًا لهم ووضعًا من قدرهم، حين ملكهم كلب.

(٨٢٠) قال الواحدي: يريد بالفحل ذي الذكر، رجال عسكره، وبالأمة التي لا رحم لها، الأسود — كافورًا — يوبخهم بانقيادهم له، يقول: لا شيء أقبح في الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ما تريد. وقال ابن فورجه: يريد أن ابن طغج فحل له ذكر وكافورًا خصي، فهو كالأمة من حيث إنه خصي لكنه قد خالفها بكونه لا رحم له، فكأنه

أنقص من أمة، فهذا إغرابه. يقول: لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة في العجز ودناءة القدر؟

(٨٢١) القزم: رذال الناس وسفلتهم، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع، وروى ابن جني: القُزُم — بضمتين — وهو جمع، مثل أسد وأسد، وهذا إغراء لأهل مملكته به. يقول: كل جيل وأُمَّة يملكهم من هو من جنسهم، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لئام؟

(٨٢٢) أحفى شاربه: استأصله. يقول — لأهل مصر: لا شيء عندكم من الدين إلا إحفاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره في المملكة.

(٨٢٣) الهندي: السيف، نسبة إلى الهند. والهامة: الرأس؛ يحرض على قتله، يقول: ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة؟ وذلك أن تمليك مثله يشكك العاقل في حكمة الباري — جل شأنه — حتى يفضي به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم.

(٨٢٤) يقول: إن الدهري يقول: لو كان للعالم مدبر وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم لما ملك هذا العبد.

(٨٢٥) ولا يصدق قومًا: أي لا يجعلهم صادقين. يقول — كما قال الواحدي: إن الله تعالى قادر على إخزاء الخليقة بأن يملك عليهم لئيمًا ساقطًا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر. يشير إلى أن تأمير مثله إخزاء للناس، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة. وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه — على كافور — من يقتله ويبطل حجتهم.

(٨٢٦) يشكو خلو الدنيا من الكرام. يقول: أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم؟

(٨٢٧) يقول: إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها اللؤم والأذى، أليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بجوارهم؟

(٨٢٨) العبدَّى: العبيد، جمع عبد، والمراد بهم هنا: العباد — أي الناس — والموالي: جمع مولًى؛ المملوك. والصميم: الصريح النسب الخالص. يقول: عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله، حتى التبسوا علينا بالبهائم؛ إذ أشبهوها في الجهل، وملك المملوكون

فالتبس الصميم — الأحرار — بالموالي — أي الذين كانوا عبيدًا أرقاء — وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر، والإمارة إذا صارت إلى اللئام التبسوا على هذا الأصل بالكرام. يعني أن التملك إنما يستحقه الكرام، فإذا صار إلى اللئام ظُنُّوا كرامًا.

(٨٢٩) يقول: لست أدري أهذا الذي أصاب الناس من تملك العبيد واللئام عليهم حدث الآن، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم؟

(٨٣٠) يعني: أن الحر بينهم مجفوٌّ مهان كاليتيم.

(٨٣١) اللابي: نسبة إلى اللاب؛ بلد بالنوبة، ويقال: أسود لوبي ونوبي: نسبة إلى اللوبة والنوبة، وهما في الأصل: الأرض التي قد ألبستها حجارة سود. والبوم: الطائر المعروف الذي يسكن الخراب، وبه يضرب المثل في الشؤم. والرخم: طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع. شبه الأسود بالغراب — وهو طير خسيس كثير العيوب — وشبه أصحابه أيضًا بخساس حول الغراب.

(٨٣٢) أخذت: رواها الواحدي بصيغة المجهول، قال: أي أكرهت. وتروى: أَخذت بصيغة المعلوم؛ أي شرعت. و«لهوًا» مفعول ثانٍ مقدم. ومقالي: مفعول أول. يقول: أكرهت على مدحه فرأيتني لاهيًا أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما ليس فيه.

(٨٣٣) ولما أن هجوت: أي ولما هجوت: ف «أن» زائدة، والعي: ضد الفصاحة، عي في منطقه عيًّا: إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه. وابن آوى: ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها. يقول: ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم كان نسبتي إياه إلى اللؤم عيًّا؛ لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان عي. ومن قال لابن آوى — وهو من ألأم السباع وأخسها — يا لئيم، كان متكلفًا.

(٨٣٤) يقول: فهل من عاذر لي يقوم بعذري في مدحه وهجائه — فإني كنت مضطرًّا لم يكن لي فيهما اختيار، كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره؟

(٨٣٥) يعتذر من تكلفه هجاءه، يقول: إذا أساء إلى وضيع لئيم ولم أوجه اللوم إليه فإلى من أوجه؟ وهذا من قول أبي تمام:

إذا أنا لمْ أَلُمْ عَثراتِ دَهْرٍ ... أُصِبْتُ بِهِ الغَداةَ فَمن ألومُ؟!

(٨٣٦) الند: عود يتبخر به. والضمير في «اسمه»: لفاتك.

(٨٣٧) الضمير في «ريحه»: لفاتك. وفي «شمه»: للند.

(٨٣٨) المنون: الموت، وأمه: تنازعه كل من «تدر» و«ولدت» أي لم تدر أمه ما ولدت.

(٨٣٩) هالها: أفزعها. يقول: لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فاتك قتال لفزعت منه ولهالها ضم ذلك الولد إلى صدرها.

(٨٤٠) قوله: بمصر ملوك: يعرض بكافور. وهمه: أي همته. يقول: إن لهم مالًا كثيرًا مثل ماله، ولكن ليس لهم مثل علو همته. وهذا من قول أشجع السلمي:

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الغِنَى وَلـكِـنَّ مَـعْـروفَـهُ أَوْسَـعُ

وقول الآخر:

ولم يكُ أكثرَ الفِتْيان مالًا ولكن كَانَ أوسعَهم ذِراعا

(٨٤١) يقول: إذا بخل كان أجود منهم، وإذا ذُمَّ كان أحمد منهم. وقال العكبري: المعنى أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه، فإذا لم يجد شيئًا يهبه كان يعده من نفسه بخلًا. قال: وقوله: أحمد من أحمدهم: أي لا يذم إلا بالإسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام، وهذا أحمد من حمدهم.

(٨٤٢) الوجد: الغنى. والعدم: الفقر. يقول: إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء؛ لأنه كان يجود بما يجد، وهم يبخلون مع الوجد والغنى.

(٨٤٣) المنية: الموت. والخمر: تذكر وتؤنث، فمن ذكرها ذهب بها إلى النبيذ. يقول: إن المنية كانت منه تنبث في الناس، ثم عادت عليه فأهلكته. وبعبارة أخرى: إنه كان يسقي المنية لأعدائه، فلما مات سقيها، فكانت في ذلك كالخمر التي أصلها الكرم ومنه خرجت، ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه.

(٨٤٤) عبه: جرعه وشربه. قال ابن جني: يعني أن الزمان أتى من موته بما فيه نقض العادة، وذلك أن الماء مشروب لا شارب، والطعم مذوق لا ذائق، فموته كانقلاب الأمر وهو أن يعب الماء مع كونه مشروبًا، ويذوق الطعم مع كونه مذوقًا. وقال ابن فورجه: عند ابن جني أن الضمير في «عبه» لفاتك، وكذلك الهاء في «ذاقه» — على ما ذكر في تفسيره — وليس كذلك؛ لأنه قد قال في البيت الذي قبله: إن الموت الذي أصابه

هو بمنزلة الخمر سقيها الكرم: أي كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شرابًا له، ثم قال: فذاك الذي عبه — يعني الخمر — هو ماء الكرم فعبه، وذاك الذي ذاقه هو الموت وهو طعم نفسه الذي كان يموت به الخلق. قال الواحدي: والمعنى على ما قاله ابن فورجه لكنه لم يبينه بيانًا شافيًا، والمعنى أن هذا مثل، وهو أن الكرم إذا سُقي الخمر فشربه فقد شرب ماء نفسه، والذي ذاقه من طعم الخمر هو طعم الكرم، كذلك موت «فاتك» لما أهلكه فشرب شراب الموت وذاق طعمه، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم نفسه.

(٨٤٥) حرًى: أي خليق وجدير. يقول: إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها، وإذا لم يسعها ولم يطق احتمالها هلك؛ لعظم ما يطلبه، كما قال الآخر:

عَلَى النفوسِ جِنايات مِنَ الهِمم

(٨٤٦) حتام: هي «حتى» و«ما»، حذفت ألف «ما» لامتزاجها بـ «حتى» وكثرة استعمالها، ويجوز إثباتها على الأصل. ونساري: نفاعل — من السرى، وهو السير ليلًا — والنجم: اسم جنس — أي النجوم — قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، والواو من «وما سراه»: حالية. والخف للبعير بمنزلة الحافر للدابة. يقول: إلى متى نسري مع النجوم في ظلم الليل وليست تسري هي على خف كالإبل ولا على قدم كالناس؛ أي إن النجوم لا يصيبها الكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا.

(٨٤٧) فاعل «يحس» الأولى. يعود على «النجم»، وفاعل «يحس» الثانية: غريب. يقول: إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر في رجل بعيد على أهله بات يسري ساهرًا، يعني نفسه.

(٨٤٨) العذر: جمع عذار، وأصلها: عُذُر «بضم الذال» ولكنه أسكنها هنا على لغة، والعذار: جانب اللحية؛ أي الشعر الذي يحاذي الأذن. واللمم: جمع لمة، وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن والذي يلم بالمنكب. يقول: إن الشمس تغير ألواننا فتسود وجوهنا البيض، ولكنها لا تؤثر ذلك التأثير في شعورنا البيض. وهذا من قول أبي تمام:

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُّ فيها وما أَخْلاقُنا فيها بسُود

«القسمات — بفتح السين وكسرها — الوجوه.»

(٨٤٩) الحكم: الحاكم. واحتكمنا: تحاكمنا. يقول: لو احتكمنا إلى حاكم من حكام الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود الوجه ولا تسود الشعر، ومن ثم لا تجري في شأنها على أحكام الناس.

(٨٥٠) الأدم — بفتحين وبضمتين — جمع أديم؛ وهو الجلد المدبوغ. يقول: ونجعل الماء لا يزال مسافرًا: إما في السحاب، وإما في قربنا؛ لأنا نغترفه من السحاب فنودعه روايانا.

(٨٥١) العيس: الإبل. يقول: ليست الإبل ببغيضة إليَّ، فليس إتعابي إياها في السفر بغضًا لها مني، ولكني أسافر عليها لأقي قلبي من الحزن أو جسمي من السقم؛ وذلك أن السقيم إذا غير الهواء والماء وسافر صح جسمه، وكذلك المحزون يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسر فيه بالإكرام.

(٨٥٢) أيديها وأرجلها: أي العيس، وأسكن الياء في «أيديها» ضرورة، كقول الرجز يصف إبلًا بالسرعة:

كَأَنَّ أَيْدِيهنَّ بالقَاعِ الْقَرِقْ أَيْدِي نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقْ

(قاع قرق: مستوٍ. وقد شرحنا هذا البيت في موضع آخر من هذا الشرح.)

ومرقن: أي خرجن، من مرق السهم من الرمية: إذا خرج من الجانب الآخر. وجوش والعلم: مكانان. يقول: حثثتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها، كما قال بعض العرب:

كَأَنَّ يَدَيْهَا حينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا طَرِيدَانِ وَالرِّجْلَانِ طَالِبَتَا وِتْرِ

(النجاء: السرعة.)

وذلك أن اليد أمام الرجل كالمطرود يكون أمام الطارد. شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها، ولذلك قال: «مرقن».

(٨٥٣) تبري: تعارض، يقال: برى له وانبرى له؛ إذا عارضه. قال أبو النجم:

يَبْرِي لَها مِنْ أَيْمُنٍ وأَشْملِ

(يبري: يروى: يأتي. يصف ظليمًا ونعامة، يقول: كلما أسرعت إلى أدحيها — وهو مبيضها — عرض لها يمينًا وشمالًا، مزعجًا لها.)

والدو: الفلاة. وأراد بنعام الدو: الخيل، جعلها كالنعام في سرعة عدوها، وظهر بقوله: مسرجة أنها الخيل. والجدل: جمع جديل، وهو حبل من أدم أو شعر في عنق البعير. يقول: تنبري الخيل للعيس وتعارض أزمتها بلجمها وأعنتها؛ أي تباريها في السير. وكأن هذا من قلب التشبيه، أراد أن هذه الإبل تباري الخيل وتعارض أعنتها بالزمام، فقلب الكلام تفننًا ومبالغة في وجه الشبه في المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به. وقال ابن جني: يقول — المتنبي: الخيل — لعلو أعناقها وإشرافها — تباري أعناق الإبل، فتكون اللجم في أعناقها كالجدل — الأزمة — في أعناق الإبل.

(٨٥٤) غلمة: جمع غلام. وأخطروا أرواحهم: أي خاطروا بها. ولقين: أي الأرواح والأيسار: جمع يسر، وهم الذين يتقامرون ويجتمعون على الميسر. والزلم: السهم من سهام الميسر. يقول: سرت من مصر في غلمة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة، كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالأزلام.

(٨٥٥) اللثم: جمع لثام؛ ما يلقى على الوجه من طرف العمامة. يقول: إن هؤلاء الغلمة كلما ألقوا عمائمهم التي على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمائم سود ليس لها لثم، وذلك أن العرب تجعل العمائم بعضها لثمًا على الوجه وبعضها على الرأس، فهو يقول: إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شيء على وجوههم. يعني أنهم مردٌ لم يتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس — كما بيَّن ذلك في البيت التالي.

(٨٥٦) العوارض: جمع عارض؛ صفحة الخد. وشلالون: طرَّادون. والنعم: الماشية، وغلب على الإبل. يقول: إنهم مرد صعاليك (لصوص: قطاع طريق، وصعاليك العرب: ذؤباتها ولصوصها) قتالون للفوارس طرادون للنعم، يغيرون عليها أينما وجدوها.

(٨٥٧) بلَّغوا بالتشديد: مبالغة في بلغوا بالتخفيف، ورواها بعض الشراح: بلَغوا — بالتخفيف — وقال في تعليقه: وجه الكلام أن يقال: بلغوا — بتخفيف اللام — والباء بعده للتعدية، فيكون الجزء مطويًّا. والقنا: يذكر ويؤنث، وفوق هنا اسم متمكن مفعول «بلغوا» يقول: قد استفرغوا وسع الرماح طعنًا، ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية هممهم.

(٨٥٨) الضمير في «به» للقنا. يقول: هم — أبدًا — في القتال والغارة، كفعل أهل الجاهلية، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه، فكأنهم في الأشهر الحرم أمنًا

وسكونًا، وكان أهل الجاهلية يأمنون في الأشهر الحرم؛ لأن القتال يترك فيها. وعبارة ابن القطاع: المعنى أنهم لتمرنهم في الحرب والقتل في مثل أحوال الجاهلية، إلا أن أنفسهم غير خائفةٍ من الحرب. لشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم، فكأنهم في الأشهر الحرم. هذا، والأشهر الحرم أربعة؛ ثلاثة سرد، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب.

(٨٥٩) ناشو: تناولوا. والبهم: جمع بهمة، وهو الشجاع الذي لا يُدرى من أين يُؤتى. يقول: تناولوا الرماح وكانت جمادًا لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح. وهذا من قول هلال المازني (شاعر إسلامي):

تَصِيح الرُّدَيْنيَّاتُ فينا وَفِيهِمُ ... صِياحَ بناتِ الماء أصبَحنَ جُوَّعا

ومثله قول بعض العرب:

زُرْقٌ تصايَحْنَ في المتون كما ... هَاج دَجاجَ المدِينةِ السَّحَرُ

(٨٦٠) خدت الناقة تخدي: أي أسرعت، مثل وخدت وخودت. قال الراعي:

حَتَّى غَدَتْ في بياضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً ... رِيحَ المَبَاءَةِ تَخْدِي وَالثَّرَى عَمِدُ

(ضمير «غدت» بقرة وحشية تقدم ذكرها. ومباءتها: مكنسها. وعمد: شديد الابتلال، وإنما نصب ريح المباءة لما نون طيبة، وكان حقها الإضافة، فضارع قولهم: هو ضاربٌ زيدًا.)

والركاب: الإبل. والمشافر: جمع المشفر، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان. والفراسن: جمع فرسن؛ لحم خف البعير. والرغل والينم: نبتان. يقول: تسير الإبل بنا وهي بيض المشافر باللغام — زبد أفواه الإبل — وقال ابن جني: لأنها لا تترك ترعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها خضر الفراسن لكثرة وطئها هذين النبتين.

(٨٦١) كعم البعير: شد فمه كيلا يعض أو يأكل، ومثله: عكم. يقول: إن السياط كانت تمنعها من المرعى، فكأنما قد شدت أفواهها. وهذا من قول ذي الرمة:

يَهْماءُ خابِطُها بالخوف مَكْعُومُ

[أي لا يتكلم فيها خوفًا، فكأن الخوف قد كعم فمه.] وكنا نضربها عن الرعي في منبت العشب؛ لأنا نبغي منبت الكرم، والبيت من قول الأسدي:

إِلَيك أَمِيرَ المؤمنينَ رَحَلْتُها   من الطَّلحِ تبْغِي منْبِتَ الزَّرَجُونِ

«الزرجون: الكرم، ويعني بمنبت الزرجون: الشأم؛ لأنها أكثر البلاد عنبًا.»

(٨٦٢) القريع: السيد، وأصله: الفحل المختار للفحلة، وسمي قريعًا لذلك؛ ولأنه يقرع الناقة، قال ذو الرمة:

وقدْ عارَضَ الشِّعْرَى سُهيْلٌ كأنَّه   قريعُ هِجان عارَض الشولَ جافِرُ

(يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع: قد جفر فهو جافر، وفي الأثر أن عليًّا — كرم الله وجهه — رأى رجلًا في الشمس فقال: قم عنها فإنها مجفرة: أي تذهب شهوة النكاح. وعارضها: أي جانبها وعدل عنها.)

يقول: أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذي كان منبت الكرم، وكان سيد العرب والعجم؟! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق.

(٨٦٣) يقول: ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده فنقصده، وليس له خلف مثله كرمًا وشجاعة، فقوله: لا فاتك: كأنه يقول: لا رجل آخر مثل «فاتك» ومن ثم نعته بنكرة.

(٨٦٤) الشيم: الخلائق، جمع شيمة. والرمم: العظام البالية. يقول: من لم يكن له شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية؛ أي مات فأشبه الأموات وأشبهوه.

(٨٦٥) يقول: لكثرة أسفاري وترددي في الدنيا كأني أطلب له نظيرًا، ولكني لا أحصل إلا على العدم؛ أي لا أجد مثله بعده.

(٨٦٦) إبلي بسكون الباء: تخفيف إبل بكسرها. يقول: ما زلت أسافر على إبلي إلى من لا يستحق القصد إليه، فلو أنها مما يضحك لضحكت إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافًا به، وفي الكلام محذوف به

يتم المعنى، تقديره: إلى من اختضبت أخفافها بدم في قصده أو في المسير إليه. قال العكبري: وفيه تعريض ببعض أهل بغداد.

(٨٦٧) أسار دابته: كسيرها، ويروى: أسيرها — مضارع سرت — أي أسير عليها. وعنى بالأصنام: قومًا يطاعون ويعظمون، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للجود، ثم فضل الصنم عليهم، فقال: ليست لهم عفة الصنم؛ لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح، وهؤلاء لا يعفون عن منكر ولا قبيح.

(٨٦٨) يقول: حتى عدت إلى وطني وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم؛ لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف، ولا يدرك من معاني المجد والشرف ما يدركه، وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ   فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِب

هذا، وقال العلامة العكبري: قطع — المتنبي — ألف الوصل في أول النصف الثاني، وقد ذكره سيبويه في الضرورات — أي الضرورات الشعرية — وأنشد للأعشى:

إِذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال لَهُ:   إِعْرِضْهُمَا هكذا أَسْمَعْهمَا حَار

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل. قال: ولقطع ألف الوصل أربع مراتب: الأولى: أن تكون في أول البيت، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامي:

أَلضَّاربُونَ عُمَيْرًا عَنْ بيوتهمِ   بالنَّبْل يَوْمَ عُمَيْرٌ ظَالمٌ عادِ

والثانية: هكذا لأبي الطيب. والثالثة: أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل:

أَلَا لا أَرَى إِثْنَيْنَ أَحْسَنَ شيمَةً   عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْر مِنِّي وَمَنْ جُمْلِ

(حدثان الدهر: ما يحدث فيه من النوائب والنوازل، وجمل — بضم الجيم وسكون الميم — اسم امرأة.)

وكقول قيس بن الخطيم:

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ　　　بِنَثٍّ وَتَكْثِير الحديث قَمَينُ

(نث الحديث ينثه نثًّا: أفشاه. وقمين: أي جدير، وبنث متعلق به، وتكثير عطف على «بنث»، وبعده.

وإنْ ضَيَّعَ الإخوانُ سِرًّا فإنني　　　كتوم لأسرار العَشير أمينُ)

والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك كقول الراجز:

وكلُّ إثنين إلى افتِرَاق

قال: ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال: الخلين؛ لتخلص من الضرورة وكذلك الراجز، وقد قيل: إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة.

(٨٦٩) الكتاب: مصدر كالكتابة، وهذا من حكاية قول الأقلام. يقول: قالت لي الأقلام: اخرج على الناس بالسيف واقتلهم، ثم اكتب بنا ما فعلت بالسيف وما تقول من الشعر في ذلك، فإن القلم كالخادم للسيف؛ جعل الضرب بالسيف كالكتابة به. وهذا من قول البحتري:

تَعْنُو لَهُ وُزَرَاءُ الْمُلْك خَاضِعَةً　　　وَعادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ القَلما

(٨٧٠) هذا جواب منه للأقلام، يقول لها: أسمعتني قولك، والذي أشرت به علي هو الدواء الذي يشفي ما بي، فإن تركت مشورتك ولم أفطن لها صار دائي هو قلة الفهم، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي.

(٨٧١) هذا تأكيد لما أشارت به الأقلام عليه من استعمال السيف، يقول: من طلب حاجته بغير الهندي — السيف — أجاب سائله عن قوله: هل أدركت حاجتك؟ بقوله: لم أدرك، أو لم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب «الوساطة بين المتنبي وخصومه»: كان الواجب أن يقول: عن هل بلا؛ لأن الطالب بغير السيف يقول: هل تتبرع لي بهذا المال؟ فيقول المسئول: لا، فأقام «لم» مقام «لا»؛ لأنهما حرفا نفي. قال الواحدي: وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتنبي، وقلة فهم من

القاضي، ولو أراد ذلك الذي ظنه لقال: أجيب عن كل سؤال بـ «هل» بـ «لا»؛ لأن المقتضى مجاب ليس هو المجيب، والذي أراد المتنبي أن الناس يسألونه: هل أدركت حاجتك؟ هل وصلت إلى بغيتك؟ فيجيب ويقول: لم أدرك، لم أبلغ لم أظفر، لم أصل إلى ما أطلب. هذا، وأعرب هل ولم وهما حرفان؛ لأنهما قد صارا علمين على لفظهما. وقال ابن جني: جعل «هل» و«لم» اسمين فجرهما و«هل» حرف استفهام و«لم» حرف نفي، قال: ويجوز أن تكون الكسرة في «لم» كسرة الساكن إذا احتيج إلى تحريكه للقافية. كقول النابغة: «وكأن قد»؛ (قطعة من بيت هو:

أَزِفَ التَّرحلُ غير أَنَّ ركابَنا لما تَزُلْ بِرحالنا وكأَنْ قدِ)

وحكى الخليل قال: قلت: لأبي الدقيش — الأعرابي — هل لك في ثريدة كأن ودكها عيون الضياون؟ فقال: أسد الجواب لهل أوحاه — أُسرعه. (قال الأزهري: أبو الدقيش كنية واسمه الدقش، قال يونس: سألت أبا الدقيش ما الدقش؟ فقال: لا أدري. قلت: ما الدقيش؟ فقال: ولا هذا. قلت: فاكتنيت بما لا تعرف ما هو؟ قال: إنما الكنى والأسماء علامات. وقال أبو زيد: دخلت على أبي الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له: كيف تجدك يا أبا الدقيش؟ قال أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان سوء؛ زمان من وجد لم يَجُد، ومن جاد لم يَجِد. والضياون جمع ضيون: السنور الذكر أو دويبة تشبهه.)

(٨٧٢) يقول: إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم. ثم قال: ولهم الحق في أن يتوهموا ذلك؛ لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزًا محتاجًا إليه.

(٨٧٣) الإنصاف: إعطاء الحق. قال ابن الأعرابي: أنصف إذا أخذ الحق وأعطى. قال: وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف، أي تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك. والرحم: القرابة. يقول: إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب، فما الظن بمن لا قرابة بينهم؟! يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم؛ لأنهم لم ينصفوه في قصده لهم، وهذا من قول الآخر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إن كانَ يَعْقِلُ

(٨٧٤) الخذم: جمع خذوم؛ أي القاطع، يعني السيوف. وأيد فاعل تزورهم. يقول: فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت في صحبة السيوف. يعني إذا لم ينصفوا فإني لا أزورهم إلا محاربًا.

(٨٧٥) من كل: بيان للمصقولة الخذم. وشفرته: أي حده فاعل قاضية. يقول: من كل سيف تقضي شفرته بالموت بين الفريقين، الظالم والمظلوم.

(٨٧٦) قوائمها: مقابضها. واللؤم: خسة الأصل، ضد الكرم. والكزم: قصر اليد، وناقة كزماء: قصر خطامها. يقول: صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا في أيدينا التي لا لؤم فيها ولا قصر: يعني أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا معها. والمعنى: إنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع في أيديهم التي هي مواقع اللؤم والقصر عن بلوغ الحاجة.

(٨٧٧) ما شق منظره: ما صعبت رؤيته. يقول: هون على العين ما شق عليها النظر إليه مما تراه من المكاره، وهبك تراه في الحلم؛ لأن ما تراه في اليقظة شبيه بما تراه في المنام، لأنهما يمكثان قليلًا ثم يزولان، فكأنهما لم يكونا. وروي: منظره — بفتح الراء فيكون المراد: الشيء الذي يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه. والضمير على هذا للبصر، وعلى الرواية الأولى لـ «ما». قال الواحدي: ولم يعرف ابن جني شيئًا من هذا، وقال: يقال: شق بصر الميت شقوقًا، الفعل للبصر، قال: ومعنى البيت: هون على بصرك شقوقه ومقاساة النزع ... وهذا كلام — كما تراه — في غاية الفساد والبعد عن الصواب. وقال ابن القطاع: قول ابن جني: هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة صحيح، فإن الحياة كالحلم. قال العكبري: وهو من قول الحكيم: كرور الأيام أحلام، وغذاؤها أسقام وآلام.

(٨٧٨) يقول: لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضر وشدة فتشمته بشكواك، فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله. وعبارة التبريزي: الناس بعضهم أعداء بعض، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير لتأكل لحمه. فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة؛ لأن الغربان — جمع غراب — والرخم — جمع رخمة؛ طائر من الجوارح الخسيسة — إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلا لحمه.

(٨٧٩) يقول: احذر الناس واستر حذرك منهم، ولا تغتر بابتسامهم إليك؛ فإنهم يضمرون في قلوبهم ما لا يبدون لك من الغدر والخداع. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: الحيوان كله متغلب، وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض.

(٨٨٠) غاض: قل ونقص. وأعوز الشيء: عز فلا يكاد يوجد. يقول: لا ترى الوفاء في عدة؛ أي إذا وعدك أحد بشيء لم يفِ به. ولا يوجد الصدق في إخبارٍ ولا قسم؛ أي إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه، وإذا حلف لم يصدق.

(٨٨١) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهالك واقتحامها وهو غاية ألم النفوس. قال العكبري: وهو من قول الحكيم: النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدركها أماكن البقاء، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها.

(٨٨٢) الحطم بالضم: جمع حطوم، وبفتح الطاء: جمع الحطمة؛ أي التي تحطم من ألمت به. وصبر جسمي، يروى: وصبر نفسي.

(٨٨٣) وقت: أي لي وقت، فهو مبتدأ محذوف الخبر. أو تقول: إن التقدير: هو وقت، فيكون «وقت» خبر مبتدأ محذوف. يقول: لي وقت أو هو وقت يضيع في مخالطة أهل هذا الدهر ومصاحبتهم؛ لأنهم سفلة أنذال يضيع الوقت بصحبتهم، وليت مدة عمري كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التي تقدر الرجل حق قدره. يشكو من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته في معاشرتهم.

(٨٨٤) يقول: إن بني الزمان من الأمم السالفة جاءوا في حدثان الدهر وجدته فسرهم وأتاهم بما يفرحون، ونحن أتيناه وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا. وقد أخذنا أبو الفتح البستي هذا المعنى وجنس اللفظ فقال:

لا غَرْوَ إنْ لم نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُخْتَرَفًا ... فَقد أتيناهُ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالخرَفِ

وقد نظر المتنبي في بيته إلى قول من قال:

وَنحنُ فِي عَدَمٍ إذْ دَهْرُنا جَذَعٌ ... فالآنَ أمسى وَقد أوْدَى بِهِ الخَرَفُ

(٨٨٥) نثره: أي منثوره — أي ما نثر منه — والديم: جمع الديمة، وهي المطر الدائم في سكون، يريد أن الورد لكثرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم: قد صيرني الأمير مطرًا. يقول: قد صدق الورد فيما قاله؛ لأنا نراه كذلك.

(٨٨٦) مائج: يروى: مازج. والعنم: شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب، قال النابغة:

بِمُخَضَّبٍ رَخْص الْبَنَانِ كَأَنَّهُ   عَنَمٌ عَلَى أغْصانِهِ لمْ يُعْقَدِ

(لم يعقد: يريد لم يدرك بعد.)

يقول: كأن الهواء — وهو مائج بهذا الورد عند نثره — بحر من العنم. يريد كثرة الورد في الهواء، حتى صار كأنه بحر قد حوى العنم مثل مائه كثرة.

(٨٨٧) يقول: إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف؛ أي يفرقها في أعدائه وهي دم — أي متلطخة بالدم فكأنها دم — وينثر كل قول يقوله وهو حكم؛ أي إذا قال قولًا قال حكمة. هذا، ومن نصب «كل» فعلى أنه معطوف على المعنى، كما تقول: هذا ضاربُ زيدٍ وعمرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ﴾ يريد في قراءة الحرميين وأبي عمرو وابن عامر على معنى: وجعل الشمس.

(٨٨٨) الخيل: عطف على ما قبله. قال الواحدي: والسابغات: التامات. ويقال: فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الخرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر، هذا هو الأصل في تفصيل العقود، ثم يسمى نظم العقد تفصيلًا، فيقال: عقد مفصل: إذا كان منظومًا. ومنه قول امرئ القيس:

تَعَرُّضَ أثناء الوِشَاحِ المفصَّلِ

(من معلقته، وصدره:

إذَا ما الثريا في السماء تعرَّضَتْ)

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل: أي تمكن من جمعها بالخيل، وجعل جمعها تفصيلًا؛ لأنها أنواع، فجعل ذلك كتفصيل العقد. يقول: إنه ينثر الخيل — أي يفرقها في الغارة — ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التي ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه. انتهى كلام الواحدي، ويؤخذ من كلامه أن «النعم» عنده عطف على «الخيل»، ولكن الأوجه جعلها عطفًا على «السيوف» أي والذي ينثر الخيل — أي يفرقها — في الضياع فينظمها بها، والذي ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه.

(٨٨٩) أحسن منه: مفعول ثانٍ لـ «يرنا»، والضمير في «منه» للورد. يقول: إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد — يريد الدنانير والدراهم — فإن كان الورد يشكو يده — لأنها نثرته — فليرنا شيئًا أحسن منه سلم من جود يده.

(٨٩٠) عوذه: رقاه رقية تدفع عنه السوء. يقول: قل للورد: لست أفضل ما نثرت يد هذا الملك، وإنما خشيت أن تصيبه أعين الناس حين يرون سعة بذله بذلك. فنثرك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له.

(٨٩١) خوفًا: مفعول له عامله عوذت. وبها يصاب: رواها ابن جني: «بها يعان» من قولهم: عين الرجل فهو معين ومعيون؛ إذا أصابته العين. وقوله: أصاب عينًا إلى آخره دعاء. وعمى: فاعل أصاب. يقول: أعمى الله عينًا يصاب بها. قال الواحدي: وهذه الأبيات في نثر الورد غير مليحة، وليس المتنبي من أهل الأوصاف. قال العكبري: إنما المتنبي ممن يحسن الأوصاف في كل فن، وإنما هذا الذي يأتي له في البديهة والارتجال — أو في وقت يكون على شراب أو غيره — فلا يعتد به، ولو كان أبو الفتح ابن جني عمل صوابًا لكان أسقطه من شعره.

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنَبُوس سنة أربعين وثلاثمائة، وبلغه أن العدو في أربعين ألفًا، فتهيبتهم أصحابه، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش:

تَـزُورُ دِيَـارًا مـا نُـحِـبُّ لَـهَـا مَـغْـنَـى   وَنَـسْـأَلُ فِـيـهَـا غَـيْـرَ سَـاكِـنِـهَـا الإِذْنَـا[١]
نَـقُـودُ إِلَـيْـهَـا الْآخِـذَاتِ لَـنَـا الْـمَـدَى   عَلَيْهَا الْكُمَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّا[٢]
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهَوَى   وَنُرْضِي الَّذِي يُسْمَى الْإِلَهَ وَلَا يُكْنَى[٣]
وَقَـدْ عَـلِـمَ الـرُّومُ الـشَّـقِـيُّـونَ أَنَّـنَـا   إِذَا مَـا تَـرَكْنَـا أَرْضَـهُـمْ خَـلْـفَـنَـا عُـدْنَـا[٤]
وَأَنَّـا إِذَا مَـا الْـمَـوْتُ صَـرَّحَ فِـي الْـوَغَـى   لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا[٥]
قَـصَـدْنَـا لَـهُ قَـصْـدَ الْـحَـبِـيـبِ لِـقَـاؤُهُ   إِلَـيْـنَـا وَقُـلْـنَـا لِـلـسُّـيُـوفِ: هَـلُـمَّـنَّـا[٦]
وَخَـيْـلٍ حَـشَـوْنَـاهَـا الْأَسِـنَّـةَ بَـعْـدَمَـا   تَـكَـدَّسْـنَ مِـنْ هَـنَّـا عَـلَـيْـنَـا وَمِـنْ هَـنَّـا[٧]
ضُـرِبْـنَ إِلَـيْـنَـا بِـالـسِّـيَـاطِ جَـهَـالَـةً   فَـلَـمَّـا تَـعَـارَفْـنَـا ضُـرِبْـنَ بِـهَـا عَـنَّـا[٨]
تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمُسْ بِنَا الْجَيشَ لَمْسَةً   نُبَارِ إِلَى مَا تَشْتَهِي يَدُكَ الْيُمْنَى[٩]
فَـقَـدْ بَـرَدَتْ فَـوْقَ الـلُّـقَـانِ دِمَـاؤُهُـمْ   وَنَـحْـنُ أُنَـاسٌ نُـتْـبِـعُ الْـبَـارِدَ الـسُّـخْـنَـا[١٠]
وَإِنْ كُنتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْعَضْبَ فِيهِمِ   فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا[١١]
فَـنَـحْـنُ الْأُلَـى لَا نَـأْتَـلِـي لَـكَ نُـصْـرَةً   وَأَنْـتَ الَّـذِي لَـوْ أَنَّـهُ وَحْـدَهُ أَغْـنَـى[١٢]
يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْعُلَا   وَمَنْ قَالَ: لَا أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَدْنَى[١٣]
فَـلَـوْلَاكَ لَـمْ تَـجْـرِ الـدِّمَـاءُ وَلَا الـلُّـهَـا   وَلَـمْ يَـكُ لِـلـدُّنْـيَـا وَلَا أَهْـلِـهَـا مَـعْـنَـى[١٤]
وَمَـا الْـخَـوْفُ إِلَّا مَـا تَـخَـوَّفَـهُ الْـفَـتَـى   وَمَـا الْأَمْـنُ إِلَّا مَـا رَآهُ الْـفَـتَـى أَمْـنَـا[١٥]

وقال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورمحًا وفرسًا معها مهرها، وكان المهر أحسن:

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الْهِبَاتُ صِوَانَهَا[16]
تُرِينَا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا وَتَجْلُو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا[17]
وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلَ وَحْدَهَا فَصَوَّرَتِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا[18]
وَمَا ادَّخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا[19]
وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الْفَوَارِسَ قَدُّهَا وَيُذْكِرُهَا كَرَّاتِهَا وَطِعَانَهَا[20]
رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وَكَادَ نَبَاتُهَا يُرَكِّبُ فِيهَا زُجَّهَا وَسِنَانَهَا[21]
وَأُمٌّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا[22]
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا[23]
فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّي وَلَا تُعْطِي سِوَايَ أَمَانَهَا؟[24]
وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَيَّ عِنَانَهَا[25]
وَمَا لِي ثَنَاءٌ لَا أَرَاكَ مَكَانَهُ فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا؟[26]

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلًا:

حَجَّبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارٌ دُونَهُ يَذُمُّهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهُ[27]
يَا مَاءُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِينَهُ؟ أَمِ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ؟[28]
أَمِ انْتَجَعْتَ لِلْغِنَى يَمِينَهُ؟ أَمْ زُرْتَهُ مُكَثِّرًا قَطِينَهُ؟[29]
أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقًا حُصُونَهُ إِنَّ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ[30]
يَا رُبَّ لُجٍّ جُعِلَتْ سَفِينَهُ وَعَازِبِ الرَّوْضِ تَوَفَّتْ عُونَهُ[31]
وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُنُونَهُ وَشَرْبِ كَأْسٍ أَكْثَرَتْ رَنِينَهُ[32]
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أَنِينَهُ وَضَيْغَمٍ أَوْلَجَهَا عَرِينَهُ[33]
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَهُ يَقُودُهَا مُسَهِّدًا جُفُونَهُ[34]
مُبَاشِرًا بِنَفْسِهِ شُئُونَهُ مُشَرِّفًا بِطَعْنِهِ طَعِينَهُ[35]
عَفِيفَ مَا فِي ثَوْبِهِ مَأْمُونَهُ[36]

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيْمُونَهُ[٣٧] بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ[٣٨]
شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمَسُ أَنْ تَكُونَهُ[٣٩]
إِنْ تَدْعُ: يَا سَيْفُ؛ لِتَسْتَعِينَهُ يُجِبْكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سِينَهُ[٤٠]
أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمْكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ[٤١]

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وأنشده إياها بآمد:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهْيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي[٤٢]
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ[٤٣]
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ[٤٤]
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ[٤٥]
لَوْلَا سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالْأَجْفَانِ[٤٦]
خَاضَ الْحِمَامَ بِهِنَّ حَتَّى مَا دُرَى أَمِنِ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ؟[٤٧]
وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعُلَا أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانِ[٤٨]
تَخِذُوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الْفِتْيَانِ[٤٩]
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنُ فِي الْـ ـهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي الْمَيْدَانِ[٥٠]
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ[٥١]
كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْأَحْزَانِ[٥٢]
إِنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدُعَاؤُهَا يُغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ[٥٣]
فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرْنَ بِالْآذَانِ[٥٤]
يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظَفَّرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانِ[٥٥]
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتُرْبَةِ مَنْبِجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ[٥٦]
حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسَ سَوَابِحًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ[٥٧]
يَقْمُصْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخِصْيَانِ[٥٨]
وَالْمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخَلِّصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ[٥٩]
رَكَضَ الْأَمِيرُ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابُهُ وَثَنَى الْأَعِنَّةَ وَهْوَ كَالْعِقْيَانِ[٦٠]

فَتَلَ الْحِبَالَ مِنَ الْغَدَائِرِ فَوْقَهُ ... وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ ٦١
وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ... عُقْمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ ٦٢
تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الْخُيُولُ كَأَنَّهَا ... تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَابِضُ الْغِزْلَانِ ٦٣
بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ ... مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحِدْثَانِ
فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى ... رَاعَاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِي حَمْدَانِ ٦٤
الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ ... ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِي التِّيجَانِ ٦٥
مُتَصَعْلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ ... مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ ٦٦
يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ ... أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ ٦٧
خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ الْمَنَاصِلُ عَنْوَةً ... وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدْيَانِ ٦٨
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ ... وَالسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ
وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا ... وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ
نَظَرُوا إِلَى زُبَرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا ... يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعِقْبَانِ ٦٩
وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الْحِمَامُ نُفُوسَهَا ... فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ ٧٠
مَا زِلْتَ تَضْرِبُهُم دِرَاكًا فِي الذُّرَا ... ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ ٧١
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا ... جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ ٧٢
فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا ... يَطَئُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ ٧٣
يَغْشَاهُمُ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلًا ... بِمُثَقَّفٍ ومُهَنَّدٍ وَسِنَانِ ٧٤
حُرِمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ ... آمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ ٧٥
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ ... شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الْإِخْوَانِ ٧٦
هَيْهَاتَ عَاقَ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبٌ ... كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَانِي ٧٧
وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ الْمَنَايَا فِيهِمِ ... فَأَطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ٧٨
قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ ... فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِفَّةَ الْغِرْبَانِ ٧٩
وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي ... فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ ٨٠
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ ٨١
تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ ٨٢
رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ ... قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النِّيرَانِ ٨٣
أَنْسَابُ فَخْرِهِمِ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ... أَنْسَابُ أَصْلِهِمِ إِلَى عَدْنَانِ ٨٤

يَـا مَـنْ يُـقَـتِّـلُ مَـنْ أَرَادَ بِـسَـيْـفِـهِ   أَصْـبَـحْـتُ مِـنْ قَـتْـلَاكَ بِـالْإِحْـسَـانِ[٨٥]
فَـإِذَا رَأَيْـتُـكَ حَـارَ دُونَـكَ نَـاظِـرِي   وَإِذَا مَـدَحـتُـكَ حَـارَ فِـيكَ لِـسَـانِـي

وقال في صباه في المكتب:

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي   وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ[٨٦]
رُوحٌ تَـرَدَّدُ فِـي مِـثْـلِ الْـخِـلَالِ إِذَا   أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ[٨٧]
كَفَى بِـجِـسْـمِـي نُـحُـولًا أَنَّـنِـي رَجُـلٌ   لَـوْلَا مُـخَـاطَـبَـتِـي إِيَّـاكَ لَـمْ تَـرَنِـي[٨٨]

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك:

قُـضَـاعَـةُ تَـعْـلَـمُ أَنِّـي الـفَـتَـى الَّـ ـْ   ـذِي ادَّخَـرَتْ لِـصُـرُوفِ الـزَّمَـانِ[٨٩]
وَمَـجْـدِي يَـدُلُّ بَـنِـي خِـنْـدِفٍ   عَـلَـى أَنَّ كُـلَّ كَـرِيـمٍ يَـمَـانِ[٩٠]
أَنَـا ابْـنُ الـلِّـقَـاءِ أَنَـا ابْـنُ الـسَّـخَـاءِ   أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ أَنَا ابْنُ الطِّعَانِ[٩١]
أَنَـا ابْـنُ الْـفَـيَافِي أَنَـا ابْـنُ الْـقَـوَافِـي   أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرِّعَانِ[٩٢]
طَـوِيـلُ الـنِّـجَـادِ طَـوِيـلُ الْـعِـمَـادِ   طَـوِيلُ الـقَـنَـاةِ طَـوِيـلُ الـسِّـنَـانِ[٩٣]
حَـدِيـدُ الـلِّـحَـاظِ حَـدِيـدُ الْـحِـفَـاظِ   حَـدِيـدُ الْـحُـسَـامِ حَـدِيـدُ الْـجَـنَـانِ[٩٤]
يُـسَـابِـقُ سَـيْـفِـي مَـنَـايَـا الْـعِـبَـادِ   إِلَـيْـهِـمْ كَـأَنَّـهُـمَـا فِـي رِهَـانِ[٩٥]
يُـرَى حَـدُّهُ غَـامِـضَـاتِ الْـقُـلُـوبِ   إِذَا كُـنْـتُ فِـي هَـبْـوَةٍ لَا أَرَانِـي[٩٦]
سَـأَجْـعَـلُـهُ حَـكَـمًـا فِـي الـنُّـفُـوسِ   وَلَـوْ نَـابَ عَـنْـهُ لِـسَـانِـي كَـفَـانِـي[٩٧]

وقال أيضًا في صباه:

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ تَكْرِمَةً   ثُمَّ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي[٩٨]
كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي   فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كِتْمَانِي[٩٩]

ودخل على عليٍّ بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأسًا فيها شراب أسود، فقال ارتجالًا:

إِذَا مَا الْكَأْسُ أَرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وبَيْنِي ١٠٠
هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى فَخَمْرِي مَاءُ مُزْنٍ كَاللُّجَيْنِ ١٠١
أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهْيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ ١٠٢
كَأَنَّ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدِقٌ بِسَوادِ عَيْنِ ١٠٣
أَتَيْنَاهُ نُطَالِبُهُ بِرِفْدٍ يُطَالِبَ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ ١٠٤

وقال يمدح بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل، ثم عاد إلى طبرية، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه، فقال يعتذر له:

أَلْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا ١٠٥
لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِي هَجْرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِي صِلَةَ الضَّنَى ١٠٦
بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتُقِعْنَ تَلَوُّنَا ١٠٧
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا ١٠٨
أَفْدِي الْمُوَدِّعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا ١٠٩
أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا ١١٠
وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَا وَرَكَائِبِي فِيهَا وَوَقْتَيَّ الضُّحَا وَالْمَوْهِنَا ١١١
وَوَقَفْتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ الْمُنَى ١١٢
لِأَبِي الْحُسَيْنِ جَدًا يَضِيقُ وِعَاؤُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الأَزْمُنَا ١١٣
وَشَجَاعَةٌ أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا ١١٤
نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِحْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى ١١٥
فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا ١١٦
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذِهْنِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الأُمُورِ تَيَقُّنَا ١١٧
يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ فَيَظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّنَا ١١٨
أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌ وَاسْتَقْرَبَ الأَقْصَى فَثَمَّ لَهُ هُنَا ١١٩
يَجِدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الْحَرِيرِ وَأَلْيَنَا ١٢٠

وَأَمَـرُّ مِـنْ فَـقْـدِ الْأَحِـبَّـةِ عِـنْـدَهُ فَقْدُ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا[١٢١]
لَا يَسْتَكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنَا[١٢٢]
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُوِّنَا[١٢٣]
تَتَقَاصَرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالدُّنَا[١٢٤]
مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طُلَقَائِهِ مَنْ لَيْسَ مِمَّنْ دَانَ مِمَّنْ حُيِّنَا[١٢٥]
لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاحِلِ نَحْوَنَا قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَحْشَةٌ مِنْ عِنْدِنَا[١٢٦]
أَرِجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّذَا مُسْتَوْطِنَا[١٢٧]
لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصُنَا[١٢٨]
سَلَكَتْ تَمَاثِيلَ الْقِبَابِ الْجِنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَدَرْنَ فِيكَ الْأَعْيُنَا[١٢٩]
طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءٌ عَاقَهَا رَقَصَتْ بِنَا[١٣٠]
أَقْبَلْتَ تَبْسِمُ وَالْجِيَادُ عَوَابِسٌ يَخْبُبْنَ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا[١٣١]
عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمْكَنَا[١٣٢]
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافِقٌ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمُنَى[١٣٣]
فَعَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَا وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا[١٣٤]
إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْمَعَالِي مَعْدِنَا[١٣٥]
فَطِنَ الْفُؤَادُ لِمَا أَتَيْتُ عَلَى النَّوَى وَلِمَا تَرَكْتُ مَخَافَةً أَنْ تَفْطُنَا[١٣٦]
أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةً لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّنَا[١٣٧]
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَاحْبُنِي مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا[١٣٨]
وَانْهَ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِيَّ بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزِّنَا[١٣٩]
وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا فِي مَجْلِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذْعَنَا[١٤٠]
وَمَكَايِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعَرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى[١٤١]
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ النَّدَامَةِ ضَيْفَنَا[١٤٢]
غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا رُزْءٌ أَخَفُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُوزَنَا[١٤٣]
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنَا[١٤٤]
خَلَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا[١٤٥]

وقال وقد سأله الجلوس:

يَا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكْوِينُ[١٤٦]
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً ... مَا كَانَ مُؤْتَمَنًا بِهَا جِبْرِينُ[١٤٧]
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا ... فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّ فَوْقٍ دُونُ[١٤٨]

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي، وهو يومئذٍ يتقلد القضاء بأنطاكية:

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ ... يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ[١٤٩]
وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ ... شَرٍّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ[١٥٠]
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ ... تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ؟[١٥١]
لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ ... وَلَا أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ[١٥٢]
وَلَا أُعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ أَحَدًا ... إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ[١٥٣]
إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أُعَنِّفُهُمْ ... حَتَّى أُعَنِّفُ نَفْسِي فِيهِمِ وَأَنِي[١٥٤]
فَقْرُ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلٍ إِلَى أَدَبٍ ... فَقْرُ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ[١٥٥]
وَمُدْقِعِينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ ... عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ[١٥٦]
خُرَّابِ بَادِيَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ ... مَكْنُ الضِّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا ثَمَنِ[١٥٧]
يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمُ خَبَرِي ... وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظِّنَنِ[١٥٨]
وَخَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا ... كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ[١٥٩]
وَكِلْمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا ... فَيُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ[١٦٠]
قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ ... وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْخَشِنِ[١٦١]
كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلًا فِي خَوْضِ مَهْلَكَةٍ ... وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبُنِ![١٦٢]
لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ ... وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفَنِ؟![١٦٣]
لِلَّهِ حَالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِي! ... وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمْطُلُنِي[١٦٤]
مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ ... قَصَائِدًا مِنْ إِنَاثِ الْخَيْلِ وَالْحُصُنِ[١٦٥]
تَحْتَ الْعَجَاجِ قَوَافِيهَا مُضَمَّرَةً ... إِذَا تُنُوشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ[١٦٦]
فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُدُرٍ ... وَلَا أُصَالِحُ مَغْرُورًا عَلَى دَخَنِ[١٦٧]

مُـخَـيِّـمُ الْـجَـمْـعِ بِـالْـبَـيْـدَاءِ يَـصْـهَـرُهُ   حَرُّ الْـهَـوَاجِـرِ فِـي صُـمٍّ مِـنَ الْـفِـتَـنِ١٦٨
أَلْـقَـى الْـكِـرَامُ الْأُلَـى بَـادُوا مَـكَـارِمَـهُـمْ   عَلَـى الْـخَـصِيـبِـيِّ عِنْدَ الفَرْضِ وَالسُّنَنِ١٦٩
فَـهُـنَّ فِـي الْـحَـجْـرِ مِـنْـهُ كُـلَّـمَـا عَـرَضَـتْ   لَـهُ الْـيَـتَـامَـى بَـدَا بِـالْـمَـجْـدِ وَالْـمِـنَـنِ١٧٠
قَـاضٍ إِذَا الْـتَـبَـسَ الْأَمْـرَانِ عَـنَّ لَـهُ   رَأْيٌ يُـخَـلِّـصُ بَـيْـنَ الْـمَـاءِ وَالـلَّـبَـنِ١٧١
غَـضُّ الـشَّـبَـابِ بَـعِـيـدٌ فَـجْـرُ لَـيْـلَـتِـهِ   مُـجَـانِـبُ الْـعَـيْـنِ لِـلْـفَـحْـشَـاءِ وَالْـوَسَـنِ١٧٢
شَـرَابُـهُ الـنَّـشْـحُ لَا لِـلـرِّيِّ يَـطْـلُـبُـهُ   وَطُـعْـمُـهُ لِـقَـوَامِ الْـجِـسْـمِ لَا الـسِّـمَـنِ١٧٣
أَلْـقَـائِـلُ الـصِّـدْقَ فِـيـهِ مَـا يُـضِـرُّ بِـهِ   وَالْـوَاحِـدُ الْـحَـالَـتَـيْـنِ: الـسِّـرِّ وَالْـعَـلَـنِ١٧٤
أَلْـفَـاصِـلُ الْـحُـكْـمَ عَـيَّ الْأَوَّلُـونَ بِـهِ   وَالْـمُـظْـهِـرُ الْـحَـقَّ لِـلسَّـاهِـي عَـلَـى الـذَّهِـنِ١٧٥
أَفْـعَـالُـهُ نَـسَـبٌ لَـوْ لَـمْ يَـقُـلْ مَـعَـهَـا   جَـدِّي الْـخَـصِـيـبُ عَـرَفْـنَـا الْـعِـرْقَ بِـالْـغُـصُـنِ١٧٦
الْـعَـارِضُ الْـهَـتِـنُ ابْـنُ الْـعَـارِضِ الْـهَـتِـنِ ابْـ   ـنِ الْـعَـارِضِ الْـهَـتِـنِ ابْـنِ الْـعَـارِضِ الْـهَـتِـنِ١٧٧
قَـدْ صَـيَّـرَتْ أَوَّلَ الـدُّنْـيَـا وَآخِـرَهَـا   آبَـاؤُهُ مِـنْ مُـغَـارِ الْـعِـلْـمِ فِـي قَـرَنِ١٧٨
كَـأَنَّـهُـمْ وُلِـدُوا مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ وُلِـدُوا   أَوْ كَـانَ فَـهْـمُـهُـمُ أَيَّـامَ لَـمْ يَـكُـنِ١٧٩
الْـخَـاطِـرِيـنَ عَـلَـى أَعْـدَائِـهِـمْ أَبَـدًا   مِـنَ الْـمَـحَـامِـدِ فِـي أَوْقَـى مِـنَ الْـجُـنَـنِ١٨٠
لِـلْـنَّـاظِـرِيـنَ إِلَـى إِقْـبَـالِـهِ فَـرَحٌ   يُـزِيـلُ مَـا بِـجِـبَـاهِ الْـقَـوْمِ مِـنْ غَـضَـنِ١٨١
كَـأَنَّ مَـالَ ابْـنِ عَـبْـدِ الـلـهِ مُـغْـتَـرَفٌ   مِـنْ رَاحَـتَـيْـهِ بِـأَرْضِ الـرُّومِ وَالْـيَـمَـنِ١٨٢
لَـمْ نَـفْـتَـقِـدْ بِـكَ مِـنْ مُـزْنٍ سِـوَى لَـثَـقٍ   وَلَا مِـنَ الْـبَـحْـرِ غَـيْـرَ الـرِّيـحِ وَالـسُّـفُـنِ١٨٣
وَلَا مِـنَ الـلَّـيْـثِ إِلَّا قُـبْـحَ مَـنْـظَـرِهِ   وَمِـنْ سِـوَاهُ سِـوَى مَـا لَـيْـسَ بِـالْـحَـسَـنِ١٨٤
مُـنْـذُ احْـتَـبَـيْـتَ بِـأَنْـطَـاكِـيَّـةَ اعْـتَـدَلَـتْ   حَـتَّـى كَـأَنَّ ذَوِي الْأَوْتَـارِ فِـي هُـدَنِ١٨٥
وَمُـذْ مَـرَرْتَ عَـلَـى أَطْـوَادِهَـا قُـرِعَـتْ   مِـنَ الـسُّـجُـودِ فَـلَا نَـبْـتٌ عَـلَـى الْـقُـنَـنِ١٨٦
أَخْـلَـتْ مَـوَاهِـبُـكَ الْأَسْـوَاقَ مِـنْ صَـنَـعٍ   أَغْـنَـى نَـدَاكَ عَـنِ الْأَعْـمَـالِ وَالْـمِـهَـنِ١٨٧
ذَا جُـودُ مَـنْ لَـيْـسَ مِـنْ دَهْـرٍ عَـلَـى ثِـقَـةٍ   وَزُهْـدُ مَـنْ لَـيْـسَ مِـنْ دُنْـيَـاهُ فِـي وَطَـنِ١٨٨
وَهَـذِهِ هَـيْـبَـةٌ لَـمْ يُـؤْتَـهَـا بَـشَـرٌ   وَذَا اقْـتِـدَارُ لِـسَـانٍ لَـيْـسَ فِـي الْـمُـنَـنِ١٨٩
فَـمُـرْ وَأَوْمِ تُـطَـعْ قُـدِّسْـتَ مِـنْ جَـبَـلٍ   تَـبَـارَكَ الـلـهُ مُـجْـرِي الـرُّوحِ فِـي حَـضَـنِ١٩٠

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن الأنطاكي:

قَـدْ عَـلَّـمَ الْـبَـيْـنُ مِـنَّـا الْـبَـيْـنَ أَجْـفَـانَـا   تَـدْمَـى وَأَلَّـفَ فِـي ذَا الْـقَـلْـبِ أَحْـزَانَـا١٩١
أَمَّـلْـتُ سَـاعَـةَ سَـارُوا كَـشْـفَ مِـعْـصَـمِـهَـا   لِـيَـلْـبَـثَ الْـحَـيُّ دُونَ الـسَّـيْـرِ حَـيْـرَانَـا١٩٢

وَلَـوْ بَـدَتْ لَأَتَـاهَـتْـهُـمْ فَـحَـجَّـبَـهَـا ... صَوْنٌ عُقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانَا ١٩٣

بِـالْـوَاخِـدَاتِ وَحَـادِيـهَـا وَبِـي قَـمَـرٌ ... يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِدْرِ حَشْيَانَا ١٩٤

أَمَّـا الـثِّـيَابُ فَتَـعْرَى مِنْ مَـحَاسِنِهِ ... إِذَا نَضَاهَا وَيَكْسَا الْحُسنَ عُرْيَانَا ١٩٥

يَضُمُّهُ الْمِسْكُ ضَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ ... حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانَا ١٩٦

قَدْ كُنْتُ أُشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي ... فَـالْـيَوْمَ كُلُّ عَزِيـزٍ بَعْدَكُمْ هَـانَـا ١٩٧

تُـهْـدِي الْـبَـوَارِقُ أَخْـلَافَ الْـمِـيَـاهِ لَـكُمْ ... وَلِـلْـمُـحِـبِّ مِـنَ الـتَّـذْكَـارِ نِـيـرَانَـا ١٩٨

إِذَا قَـدِمْـتُ عَـلَـى الْأَهْـوَالِ شَـيَّـعَـنِـي ... قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمُ خَانَا ١٩٩

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوْءِ يَذْكُرُنِي ... وَلَا أُعَـاتِـبُـهُ صَـفْـحًـا وَإِهْـوَانَـا ٢٠٠

وَهَـكَذَا كُنْتُ فِـي أَهْلِـي وَفِـي وَطَنِـي ... إِنَّ الـنَّـفِـيسَ غَـرِيبٌ حَـيْـثُـمَا كَـانَـا ٢٠١

مُـحَـسَّـدُ الْـفَـضْلِ مَـكْذُوبٌ عَـلَـى أَثَـرِي ... أَلْقَـى الْـكَمِيَّ وَيَلْقَانِـي إِذَا حَانَـا ٢٠٢

لَا أَشْـرَئِبُّ إِلَـى مَـا لَـمْ يَـفُتْ طَـمَـعًـا ... وَلَا أَبِيتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا ٢٠٣

وَلَا أُسَـرُّ بِـمَـا غَـيْرِي الْـحَـمِـيـدُ بِـهِ ... وَلَـوْ حَـمَـلْـتَ إِلَـيَّ الـدَّهْـرَ مَـلْآنَـا ٢٠٤

لَا يَـجْـذِبَـنَّ رِكَـابِـي نَـحْـوَهُ أَحَـدٌ ... مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلْقَلْنَ كِيرَانَا ٢٠٥

لَـوِ اسْـتَـطَـعْـتُ رَكِـبْـتُ الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ ... إِلَـى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بُعْرَانَا ٢٠٦

فَـالْـعِـيسُ أَعْـقَـلُ مِـنْ قَـوْمٍ رَأَيْـتُـهُـمُ ... عَمَّـا يَـرَاهُ مِـنَ الْإِحْسَانِ عُمْيَانَا ٢٠٧

ذَاكَ الْـجَـوادُ وَإِنْ قَـلَّ الْـجَـوَادُ لَـهُ ... ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانَا ٢٠٨

ذَاكَ الْـمُـعِـدُّ الَّـذِي تَـقْـنُـو يَـدَاهُ لَـنَـا ... فَـلَـوْ أُصِـيبَ بِـشَـيءٍ مِـنْـهُ عَـزَّانَـا ٢٠٩

خَـفَّ الـزَّمَـانُ عَـلَـى أَطْـرَافِ أَنْـمُـلِـهِ ... حَـتَّـى تُـوُهِّـمْـنَ لِـلْأَزْمَـانِ أَزْمَـانَـا ٢١٠

يَـلْـقَـى الْـوَغَـى وَالْـقَـنَـا وَالـنَّـازِلَاتِ بِـهِ ... وَالسَّيْفَ وَالضَّيْفَ رَحْبَ الْبَاعِ جَذْلَانَا ٢١١

تَـخَـالُـهُ مِـنْ ذَكَـاءِ الْـقَـلْـبِ مُـحْـتَـمِـيًـا ... وَمِـنْ تَـكَـرُّمِـهِ وَالْـبِـشْـرِ نَـشْـوَانَـا ٢١٢

وَتَـسْـحَـبُ الْـحِـبَـرَ الْـقَـيْـنَـاتُ رَافِـلَـةً ... فِـي جُودِهِ وتَجُرُّ الْخَيْلُ أَرْسَانَا ٢١٣

يُـعْـطِـي الْـمُـبَـشِّـرَ بِـالْـقُـصَّـادِ قَـبْـلَـهُـمُ ... كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِـالْـمَـاءِ عَـطْـشَـانَـا ٢١٤

جَـزَتْ بَـنِـي الْـحَـسَـنِ الْـحُـسْـنَـى فَـإِنَّـهُـمُ ... فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغُرِّ عَدْنَانَا ٢١٥

مَـا شَـيَّـدَ الـلـهُ مِـنْ مَـجْـدٍ لِـسَـالِـفِـهِـمْ ... إِلَّا وَنَـحْـنُ نَـرَاهُ فِـيـهِـمِ الْآنَـا ٢١٦

إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وُجِدُوا ... فِي الخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا ٢١٧

كَـأَنَّ أَلْـسُـنَـهُـمْ فِـي الـنُّـطْـقِ قَـدْ جُـعِـلَـتْ ... عَلَى رِمَاحِهِمِ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانَا ٢١٨

كَـأَنَّـهُـمْ يَـرِدُونَ الْـمَـوْتَ مِـنْ ظَـمَـأٍ ... أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِّيِّ رَيْحَانَا ٢١٩

الْـكَـائِـنِـيـنَ لِـمَـنْ أَبْـغِـي عَـدَاوَتَـهُ   أَعْدَى الْعِدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانَا[220]
خَلَائِقٌ لَوْ حَوَاهَا الزِّنْجُ لَانْقَلَبُوا   ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا[221]
وَأَنْـفُـسٌ يَـلْـمَـعِـيَّـاتٌ تُـحِـبُّـهُـمُ   لَهَا اضْطِرَارًا وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَنْآنَا[222]
الْـوَاضِـحِـيـنَ أُبُـوَّاتٍ وَأَجْـبِـنَـةً   وَوَالِـدَاتٍ وَأَلْـبَـابًـا وَأَذْهَـانَـا[223]
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ   إِنَّ اللُّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أُحْدَانَا[224]
وَوَاهِـبًـا كُـلَّ وَقْـتٍ وَقْـتُ نَـائِـلِـهِ   وَإِنَّـمَـا يَـهَـبُ الْـوُهَّـابُ أَحْـيَـانَـا[225]
أَنْـتَ الَّـذِي سَـبَـكَ الْأَمْـوَالَ مَـكْـرُمَـةً   ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَـهَـا السُّؤَّالَ خُزَّانَا[226]
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيتَ مُرْتَقِبٌ   لَمْ تَأْتِ فِي السِّرِّ مَا لَمْ تَأْتِ إِعْلَانَا[227]
لَا أَسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ   أَنَا الَّذِي نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا[228]
فَـإِنَّ مِـثْـلَـكَ بَـاهَـيْـتُ الْـكِـرَامَ بِـهِ   وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانَا[229]
وَأَنْـتَ أَبْـعَـدُهُـمْ ذِكْـرًا وَأَكْـبَـرُهُـمْ   قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا   وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا[230]

وقال في مجلس أبي محمد بن طغج وقد أقبل الليل وهما في بستان:

زَالَ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا   أَنْ لَمْ يَزُلْ وَلِجُنْحِ اللَّيْلِ إِجْنَانُ[231]
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمْسِكُنَا   فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانُ[232]

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر:[233]

مَـا أَنَـا وَالْـخَـمْـرُ وَبِـطِّـيـخَـةٌ   سَوْدَاءُ فِي قِشْرٍ مِنَ الْخَيْزُرَانْ[234]
يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا   تَوْطِينِيَ النَّفْسَ لِيَوْمِ الطِّعَانْ[235]
وَكُـلُّ نَـجْـلَاءَ لَـهَـا صَـائِـكٌ   يَخْضُبُ مَا بَيْنَ يَدِي وَالسِّنَانْ[236]

وقال، وقد بلغ أبا الطيب أن قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر:

بِـمَ الـتَّـعَـلُّـلُ لَا أَهْـلٌ وَلَا وَطَـنُ   وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ؟![237]
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي   مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ[238]

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيرَ مُكتَرِثٍ   مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ[٢٣٩]
فَمَا يَدُومُ سُرُور مَا سُرِرْتَ بِهِ   وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ[٢٤٠]
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ   هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا[٢٤١]
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ   فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ[٢٤٢]
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ   فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ[٢٤٣]
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ   إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ[٢٤٤]
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ   كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ[٢٤٥]
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمُ!   ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ[٢٤٦]
قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ   جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا[٢٤٧]
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ   تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ[٢٤٨]
رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ   وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ[٢٤٩]
جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ   وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ[٢٥٠]
وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ   حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ[٢٥١]
فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ   يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ[٢٥٢]
تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا   وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ[٢٥٣]
إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ   وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ[٢٥٤]
وَلَا أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ   وَلَا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ[٢٥٥]
سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ   ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الوَسَنُ[٢٥٦]
وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ   فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ[٢٥٧]
أَبْلَى الْأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ   وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ[٢٥٨]
عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ   فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَاليَمَنُ[٢٥٩]
وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ   فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ[٢٦٠]
هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ   مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ[٢٦١]

وقال بمصر ولم ينشدها كافورًا:

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا   وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا[٢٦٢]
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـ   ـهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا[٢٦٣]

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيـ ـهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَا ٢٦٤
وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدْ دَهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا ٢٦٥
كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا ٢٦٦
وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى ٢٦٧
غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا ٢٦٨
وَلَوَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا ٢٦٩
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا ٢٧٠
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْـ ـفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا ٢٧١

وقال يذكر خروج شبيب العُقَيلي على الأستاذ كافور، وقتله بدمشق سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ ٢٧٢
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ ٢٧٣
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ؟! ٢٧٤
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُبْتَلَى بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانِ ٢٧٥
بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ ٢٧٦
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ: رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِ ٢٧٧
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ ٢٧٨
وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُثِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانِ دُخَانِ ٢٧٩
فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشَهِّي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ ٢٨٠
نَفَى وَقْعَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِرُمْحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ ٢٨١
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحٍ مُحسِنِ الطَّيَرَانِ ٢٨٢
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانِ ٢٨٣
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ ٢٨٤
وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ ٢٨٥
تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ ٢٨٦
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ الْتِفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانِ؟! ٢٨٧

وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَبِيتِ بِنَفْسِهِ   وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْعَكَنَانِ[٢٨٨]
أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتُهُ يَدُ عَاقِلٍ   وَتُمْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ بِعِنَانِ؟![٢٨٩]
وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ   وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهْرَ حِصَانِ[٢٩٠]
ثَنَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَأَنَّهَا   وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ[٢٩١]
وَعِنْدَ مَنِ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ   شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ؟![٢٩٢]
قَضَى اللهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ   وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِ[٢٩٣]
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسِيَّ وَإِنَّمَا   عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ؟![٢٩٤]
وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا   وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ؟![٢٩٥]
وَلِمْ تَحْمِلُ السَّيفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ   وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ؟![٢٩٦]
أَرِدْ لِي جَمِيلًا جُدْتَ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ   فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي[٢٩٧]
لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ   لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ[٢٩٨]

ونظر يومًا إلى كافور فقال:

لَوْ كَانَ ذَا الْآكِلُ أَزْوَادَنَا   ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا[٢٩٩]
لَكِنَّنَا فِي الْعَيْنِ أَضْيَافُهُ   يُوسِعُنَا زُورًا وَبُهْتَانَا[٣٠٠]
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبْلَنَا   أَعَانَهُ اللهُ وَإِيَّانَا[٣٠١]

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعي في بُلْبِيس يطلب منه دليلًا فأنفذه إليه:

جَزَى عَرَبًا أَمْسَتْ بِبُلْبَيْسَ رَبُّهَا   بِمَسْعَاتِهَا تَقْرَرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا[٣٠٢]
كَرَاكِرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا   جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْعُلَا وَجُفُونُهَا[٣٠٣]
وَخَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ يُوسُفٍ   فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا[٣٠٤]
فَتًى زَانَ فِي عَيْنَيَّ أَقْصَى قَبِيلِهِ   وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا[٣٠٥]

وقال يمدح عضد الدولة وولديه: أبا الفوارس وأبا دلف، ويذكر طريقه بشعب بوَّان:

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيبًا فِي الْمَغَانِي   بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ[٣٠٦]

وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا ... غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ٣٠٧
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ٣٠٨
طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالْخَيْلَ حَتَّى ... خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرَانِ٣٠٩
غَدَوْنَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهَا ... عَلَى أَعْرافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ٣١٠
فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي ... وَجِبْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي٣١١
وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي ... دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبنَانِ٣١٢
لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ ... بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِي٣١٣
وَأَمْوَاهٌ تَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا ... صَلِيلَ الْحَلْيِ فِي أَيْدِي الْغَوَانِي٣١٤
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي ... لَبِيقُ الثُّرْدِ صِينِيُّ الْجِفَانِ٣١٥
يَلَنْجُوجِيُّ مَا رُفِعَتْ لِضَيْفٍ ... بِهِ النِّيرَانُ نَدِّيُّ الدُّخَانِ٣١٦
تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ ... وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبٍ جَبَانِ٣١٧
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ ... يُشَيِّعُنِي إِلَى النُّوْبَنْذَجَانِ٣١٨
إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ الْوُرْقُ فِيهَا ... أَجَابَتْهُ أَغَانِيُّ الْقِيَانِ٣١٩
وَمَنْ بِالشِّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ ... إِذَا غَنَّى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ٣٢٠
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ٣٢١
يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي: ... أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطِّعَانِ؟!٣٢٢
أَبُوكُمْ آدَمٌ سَنَّ الْمَعَاصِي ... وَعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ٣٢٣
فَقُلْتُ: إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ ... سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ٣٢٤
فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقٌ ... إِلَى مَنْ مَا لَهُ فِي النَّاسِ ثَانِ٣٢٥
لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ ... كَتَعْلِيمِ الطِّرَادِ بِلَا سِنَانِ٣٢٦
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ ... وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِي عَضُدٍ يَدَانِ٣٢٧
وَلَا قَبْضٌ عَلَى الْبِيضِ المَوَاضِي ... وَلَا حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللِّدَانِ٣٢٨
دَعَتْهُ بِمَفْزَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا ... لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانِ٣٢٩
فَمَا يُسْمِي كَفَنَّاخُسْرَ مُسْمٍ ... وَلَا يُكْنِي كَفَنَّاخُسْرَ كَانِي٣٣٠
وَلَا تُحْصَى فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ ... وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ٣٣١
أُرُوضُ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ ... وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ٣٣٢
تُذِمُّ عَلَى اللُّصُوصِ لِكُلِّ تَجْرٍ ... وَيَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلَّ جَانِي٣٣٣

إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِعُهُمْ ثِقَاتٍ دُفِعْنَ إِلَى الْمَحَانِي وَالرِّعَانِ ٣٣٤
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صِحَابٍ تَصِيحُ بِمَنْ يَمُرُّ: أَمَا تَرَانِي؟ ٣٣٥
رُقَاهُ كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ لِكُلِّ أَصَمَّ صِلٍّ أُفْعُوَانِ ٣٣٦
وَمَا تُرْقَى لُهَاهُ مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ ٣٣٧
حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمَّرِيٌّ يَحُضُّ عَلَى التَّبَاقِي بِالتَّفَانِي ٣٣٨
بِضَرْبٍ هَاجَ أَطْرَابَ الْمَنَايَا سِوَى ضَرْبِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي ٣٣٩
كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاجِمِ فِي الْعَنَاصِي كَسَا الْبُلْدَانَ رِيشَ الْحَيْقُطَانِ ٣٤٠
فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ ٣٤١
وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شِبْلَيْ هِزَبْرٍ كَشِبْلَيْهِ وَلَا مُهْرَيْ رِهَانِ ٣٤٢
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنْظَرًا بِأَبٍ هِجَانِ ٣٤٣
وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فُلَانٌ دَقَّ رُمْحًا فِي فُلَانِ ٣٤٤
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأَيَا الْمَعَالِي فَقَدْ عَلِقَا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ ٣٤٥
وَأَوَّلُ لَفْظَةٍ فَهِمَا وَقَالَا إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانِ ٣٤٦
وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ؟! ٣٤٧
فَعَاشَا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْئِهِمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ ٣٤٨
وَلَا مَلَكَا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرِثَا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ ٣٤٩
وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيْسِيَانِ ٣٥٠
دُعَاءٌ كَالثَّنَاءِ بِلَا رِئَاءٍ يُؤَدِّيهِ الْجَنَانُ إِلَى الْجَنَانِ ٣٥١
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْهُ فِي فِرِنْدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانِ ٣٥٢
وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءً كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي ٣٥٣

هوامش

(١) المغنى: المنزل الذي كان به أهلوه فغنى بهم. لما قال: تزور والزيارة تقتضي المحبة نفى أن يكون محبًّا لتلك الديار؛ لأنها ديار أعداء. يقول: تزور هذه الديار على غير محبة لمغنى من مغانيها؛ لأنها ديار عدو، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن في ذلك من غير ساكنها — أي استأذنا في الإسراع إليها والتشعب فيها للإغارة — سيف الدولة، لا أصحابها الروم.

(٢) المدى: الغاية. والكماة: جمع كمي، وهو البطل المستتر في السلاح. يقول: نقود إلى هذه الديار خيلًا تبلغ بنا الغاية التي نترامى إليها وتحرز لنا قصب السبق، عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها.

(٣) نصفي: نمحص. وأراد بالذي يكنى أبا الحسن: سيف الدولة، لأن اسمه علي، والذي: مفعول أول لنصفي. [والهوى] مفعول ثانٍ، وقوله: يسمى الإله ولا يكنى: أي أنه سبحانه لا كنية له، وتعالى عن الولد حتى يكنى به. يقول: ونصفي سيف الدولة مودتنا فنقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا، ونرضي الله بمجاهدة أهل الحرب. هذا، ويقال: كنيت فلانًا، إذا دعوته بكنيته تعظيمًا له أن تدعوه باسمه، والعرب — كما قال العكبري — كانت تكني أولادها وهم صغار تفاؤلًا أن يصيروا آباء، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يدخل بيت أبي طلحة الأنصاري وكان له ولد صغير من أم سليم — وهي أم أنس بن مالك — فكان يقول له — أي لولده: «يا أبا عمير: ما فعل النغير.» (النغير: تصغير النغر، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار العصافير تراه أبدًا صغيرًا ضاويًا، وكان لهذا الولد نغر.)

(٤) يقول: إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها؛ أي فلا نكف عن قتالهم.

(٥) صرح: برز وظفر. والوغى: الحرب. يقول: إذا صار الموت صريحًا في الحرب بارزًا ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرماح والضرب بالسيوف؛ أي اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه.

(٦) لقاؤه مرفوع بـ «الحبيب»؛ أي المحبوب لقاؤه. يقول: قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاؤه، وقلنا للسيوف: هلمي إلينا، أدخل على «هلمي» نون التوكيد، فحذف الياء لالتقاء الساكنين، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا، ومن ضم «الميم» خاطب السيوف مخاطبة من يعقل، كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾. ثم أسقط الواو من «هلموا» لاجتماع الساكنين، ثم أشبع الفتحة. ولأئمة النحو في هلم كلام كثير ولعل أوجهه ما قاله الخليل بن أحمد، قال: أصله من قولهم: لمَّ الله شعثه أي جمعه، كأنه قال: لم نفسك إلينا، أي اقرب، و«ها» للتنبيه، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلا اسمًا واحدًا يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة أهل الحجاز، قال الله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما، وللجمع: هلموا، وللمرأة: هلمي، وللنساء: هلممن، والأول أفصح. وقد توصل باللام فيقال: هلم لك، وهلم لكما، كقولهم: هيت لك. وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت: هلمَّن يا رجل، وللمرأة هلمِّن — بكسر

الميم — وفي التثنية: هلمان للمذكر والمؤنث جميعًا، وهلمن يا رجال، وهلممنان يا نسوة، وإذا قيل لك: هَلُمَّ إلى كذا: قلت: إلام أَهَلُمُّ — بفتح الألف والهاء — كأنك قلت: إلام «ألم» وتركت الهاء على ما كانت عليه، وإذا قال لك: هلم كذا وكذا: قلت: لا أهلمه، أي لا أعطيه.

(٧) يريد بالخيل: خيل العدو. وحشوناها الأسنة: أي جعلنا الأسنة حشوًا لها بأن طعناها بها. وتكدسن: أي الخيل — أي خيل العدو — أي اجتمعن علينا، وركب بعضهن بعضًا من كثرتها. و«هنا» بمعنى ها هنا، ومنه قول العجاج:

هُنَا وَهِنَّا وَعَلَى المسْجُوحِ

«يصفه بالعطاء: أي يعطي يمينًا وشمالًا. وعلى سجيحته: أي طبيعته.» وقد أخذ المتنبي قوله: حشوناها الأسنة من قول الوليد بن المغيرة:

وكَمْ مِنْ كرِيم الجدِّ يَركبُ رَدْعَه وآخرَ يَهْوِي قدْ حشوْناهُ ثعلبا

«يقال للقتيل ركب ردعه: إذا خر لوجهه على دمه، وأصل الردع: التلطخ بالزعفران. والثعلب: طرف الرمح الداخل في جبة السنان.»

(٨) قال ابن جني: كانت خيل الروم قد رأت عسكرًا لسيف الدولة فظنوهم رومًا، فأقبلوا نحوهم مسترسلين، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين، ولهذا قال: «جهالة»، ووصل ضربنا بـ «إلى» و«عن» فقال: ضربن إلينا، و«عنا» على تضمينه معنى «حثثن» ونحوه.

(٩) تعد: تجاوز. ونبار: نسابق، وروى نبادر: من المبادرة وهي الإسراع، يقول — لسيف الدولة: تجاوز القرى إلى الصحراء، وحارب بنا جيش الروم، وأدننا منهم دنو اللامس من الملموس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم؛ أي إن الظفر يكون أسرع إليك مما لو تناولته بيدك. هذا، وقد قال العكبري في تفسيره الغريب من هذا البيت: المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر، وباراه إذا جربه واختبره، وكذا الابتيار، وأنشد للكميت:

قبيح بِمثْليَ نعتُ الفتا ةِ إما ابتهارًا وإما ابتيارا

ولكن أهل اللغة يقولون: إن الذي بمعنى الاختبار هو البور. قال الأصمعي: بار يبور بورا إذا جرب، قالوا: ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه: إنه فجر بها، فإن كان

كاذبًا فقد ابتهرها، وإن كان صادقًا فهو الابتيار، افتعال — من برت الشيء أبوره: إذا خبرته — وأنشدوا بيت الكميت هذا، وقول الكميت: «إما ابتهارًا وإما ابتيارًا»: أي إما بهتانًا وإما اختبارًا بالصدق لاستخراج ما عندها.

(١٠) اللقان موضع بالروم. يقول: تقادم عهدنا بسفك دمائهم، وقد برد ما سفكناه، وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها، يعني لا ننفك من سفك دمائهم، فإذا برد ما سفكناه أتبعناه دمًا طريًّا حارًّا.

(١١) العضب: القاطع. والقنا: الرماح. واللدن: اللينة، ويقال: رمح لدن بفتح اللام، ورماح لُدن بضمها. يقول: إن كنت فيهم سيفًا قاطعًا فدعنا نتقدم إليهم تقدم الرماح، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف. قيل: إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة «سمندو» وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفًا، فتهيب جيشه المسير إليهم، فلما أنشد هذا البيت، قال له سيف الدولة: قل لهؤلاء — وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم — يقولوا كما تقول حتى لا ننثني عن الجيش، فما تجمل أحد منهم بكلمة.

(١٢) الألى: الذين. ولا نأتلي: لا نقصر، ونصرة: تمييز. يقول: نحن الذين لا نقصر في نصرتك، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغنيت عنا.

(١٣) الردى: الموت. والأدنى: الدون، يعني بهذا نفسه؛ لأنه يطلب بخدمته العلا ولا يرضى عنده بالعيش الدنيء، فكأنه يقول أقيك بنفسي.

(١٤) اللها: جمع لهية، وهي العطية. يقول: لولاك لم تكن شجاعة ولا وجود؛ لأن الدماء إنما تجري بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجري بجودك، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى.

(١٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة، وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم، فخافوا خوفًا منهم على أنفسهم. يقول: الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفًا، فإن خاف شيئًا غير مخوف فقد صار خوفًا، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن. وهذا من قول دعبل:

هِيَ النفسُ ما حَسَّنْتَهُ فَمُحَسَّن　　　لديها وَمَا قَبَّحْتَهُ فَمُقبَّحُ

(١٦) ثياب — بالرفع — على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أو فاعل لفعل محذوف: أي عندي ثياب كريم، أو أتتني ثياب كريم. والصوان: التخت، وهو ما يصون الثياب

ويحفظها. يقول: أتتني ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة، إنما يهبها، فليس لها صوان غير الهبات؛ أي أنه لا يصونها في الصوان وإنما يهبها، ويجوز أن يريد بقوله «كان الهبات صوانها»: أن ما يصونها من لفاف ومنديل كان هبة أيضًا، كما قال في موضع آخر:

أولُ مَحمُولِ سيبِهِ الحمَلَهْ

(١٧) الصناع: المرأة الحاذقة بالعمل. والقيان: جمع قينة، وهي الجارية. يقول: إن ناسجتها من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم، فهي ترينا إياهم فيها، وترينا كذلك صورة نفسها وجواريها.

(١٨) يقول: لم تكتفِ بتصوير الخيل وحدها، بل صورت الأجسام وما يمكن تصويره فلم تترك شيئًا إلا صورته ما عدا الزمان؛ لأنه لا صورة له، فلذلك لم تصوره.

(١٩) يقول: إن هذه الصناع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئًا هو في وسع المصور إلا بذلته، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان، فهذا فقط هو الذي لم تستطعه. هذا، وقوله: «ادخرتها» لا يتعدى إلى مفعولين لكنه أضمر فعلًا في معناه يتعدى إلى مفعولين، كأنه قال: وما حرمتها قدرة.

(٢٠) سمراء: عطف على قوله: ثياب كريم — في البيت الأول — وقد كانت في جملة الهبات؛ يريد قناة سمراء. واستغواء قدها الفوارس: إطماعه إياهم بطوله وملاسته وشرائط كماله في تصريفه واستعماله، وإظهار عجزهم عنه إذا باشروا ذلك، وتذكيرهم الكر والطعن.

(٢١) ردينية: أي أنها مما عملته ردينة؛ امرأة كانت تعمل الرماح. والزج: حديدة تجعل في أسفل الرمح. والسنان: الذي يجعل في أعلاه. يقول لحسن نباتها — الذي أنبته الله: كاد نباتها يجعلها ذات زج وسنان.

(٢٢) أم عتيق: عطف أيضًا على ثياب، والعتيق: الكريم من الخيل. وعانها: أصابها بعينه. يقول: وفرس أنثى لها مهر كريم خال ذلك المهر في الشرف دون عمه، يعني أن أباه كان أكرم من أمه؛ لأن العم والأب أخوان كما أن الخال والأم أخوان، فإذا كان العم أكرم من الخال فالأب أكرم من الأم، وقوله: رأى خلقها … إلخ، يقول: كأنها مصابة بالعين لقبح خلقتها. يريد أن الفرس كانت قبيحة، أما المهر فكان جميلًا.

(٢٣) شانته: عابته. وقوله: في عين البصير: لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره، ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم؛ لأن بصره قد كفاه. يقول: إذا سايرت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيته عليها؛ لأن المهر أكرم من الأم وأجمل فهي تشين المهر بقبحها، ولأنها أمه، والمهر يزينها بحسنه، ولأنه ابنها.

(٢٤) يقول: هلا أهديت إليَّ فرسًا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشري، ولا يحسن ركوبها غيري؟ أي لا تنقاد لغيري، يعني أين التي تصلح للحرب؟

(٢٥) العنان: سير اللجام. يقول: وأين الفرس التي تصلح للطعان فلا ترد الرمح في الحرب خائبًا إذا طاعنت عليها وقرطت عنانها (قرط الفارس عنان فرسه: مد يده بالعنان فجعله على قذال فرسه، وهي تحضر تجري، والمراد: أرخى العنان) بيدي اليسرى؛ يريد أن هذه لا تصلح لذلك. هذا، ويقال: رجعه يرجعه وأرجعه يرجعه في لغة هذيل.

(٢٦) يقول: ليس لي ثناء إلا وأنا أراك أهلًا له أثنى عليك به، فهل لك نعمى — نعمة — لا تعرفني أهلًا لها فتدخرها عني.

(٢٧) يريد بالبحر: سيف الدولة. وبالبحار: أمواه ذلك النهر، ثم قال: هي دونه في الشرف والنفع، وأنها قامت له مقام الحاجب فمنعت الناس من زيارته، فهي لذلك مذمومة وهو محمود، قال العكبري: يقال: إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره، فعظم ذلك عليه، ففسر ذلك أنه ماء، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار، وكان بحمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات، فدخل على سيف الدولة، فقال له كلامًا معناه: إن الروم تحتوي على دارك. فأمر به فأخرج بعنف، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب، واحتووا على دار سيف الدولة، فدخل عليه الضرير بعد ذلك، فقال: هذا ما كان من المنام، فأعطاه شيئًا.

(٢٨) المعين: الماء الذي يخرج من الأرض، من عين ونحوها. يقول: هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه، أم أردت أن تكون مثله في الندى فزخرت وزدت؟

(٢٩) أصل الانتجاع: طلب المرعى، ويقال انتجعه: أي قصده يطلب معروفه. والقطين: الجماعة يسكنون مكانًا، والمراد: حشمه وأتباعه وأهل منزله. قال:

نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النَّهْيَ عاقهُ بكتْ فبكى مِمَّا شجاهَا قِطَينُها

يقول: أم جئته تطلب معروفه لتصير غنيًّا، أم أتيته زائرًا لتكثير من عنده في مجلسه؟

(٣٠) الخندق: معروف، وهو الحفير حول المدينة. يقول: أم جئته لتحفر خندقًا لحصونه منعًا للعدو؟ لا حاجة به إلى الخندق؛ لأن جياده — خيله — ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون.

(٣١) اللج: جمع لجة، ولجة البحر: معظمه. والسفين: جمع سفينة. والعازب: البعيد. والعون: جمع عانة، وهي القطعة من حمر الوحش. وتوفتها: أخذتها وافية، وقيل: أهلكتها. يقول: رب ماء عظيم عبرته خيله فكن له كالسفين، ورب روض بعيد المراعي أهلكت خيله حمره، وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها بجملتها.

(٣٢) وذي جنون: أي ورب ذي جنون — يعني عاصيًا متمردًا مغرورًا بجهله — أذهبت الخيل جنونه: أي أذلته حتى انقاد وأطاع. ثم قال: ورب شرب — اسم جمع بمعنى الشاربين — أي رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل حتى كثر رنينهم — أي صياحهم وبكاؤهم — على قتلاهم. هذا، ويجمع «الشرب» على «شروب»، قال الأعشى:

هو الواهِبُ المُسْمعاتِ الشُّرُو   بَ بينَ الحرير وبين الكتنْ

(الكتن: الكتان، حذف الأعشى «الألف» من الكتان وسماه الكتن للضرورة. قال ابن سيده: لم أسمع الكتن في الكتان إلا في شعر الأعشى. والمسمعات: المغنيات، جمع مسمعة.)

(٣٣) الضمير في «غناءه، وأنينه» للشرب. والضيغم: الأسد. والعرين: مأوى الأسد. يقول: وأبدلت الخيل غناء الشرب وطربه أنينًا، لما ألم به من قتل ذويه. ثم قال: ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطئتها وأخذت بلاده.

(٣٤) يقول: ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطئت خيله جبينه، وهو يقودها إليه لا يعطي جفنه حظًّا من النوم لسرعة السير واتصاله.

(٣٥) طعينه: مطعونه. يقول: إذا طعن إنسانًا شرفه بطعنه إياه؛ لأنه رآه أهلًا للمبارزة والمحاربة.

(٣٦) يقول: إنه عفيف الفرج مأمونه لا يقرب الزنا.

(٣٧) يقول: إنه أبيض الوجه مباركه.

(٣٨) النون: الحوت. يقول: هو بحر — أي كثير العطاء — يصغر كل ملك بالإضافة إليه.

(٣٩) يقول: إن الشمس تتمنى أن تكونه؛ لأنه أشرف منها وأكثر مناقب، وذكر الضمير في «تكونه»؛ لأنه عنى بالشمس الأولى الممدوح.

(٤٠) يقول: إن تدعه أيها المخاطب فقلت: يا سيف — مستعينًا — أجابك قبل إتمام سين السيف. يريد سرعة إجابته للداعي.

(٤١) من صان: فاعل أدام، وهذا دعاء. يقول: أدام الله الذي صان هذا الممدوح وصان دينه من أعدائه تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في «نفسه» للممدوح، وفي «دينه» لله سبحانه وتعالى.

(٤٢) الرأي: مبتدأ، خبره: الظرف بعده. وقوله: هو أول ... إلخ: استئناف. يقول: إن العقل مقدم على الشجاعة، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة، وإنما هي خرق، والحاصل أن العقل — في ترتيب المناقب — هو الأول، والشجاعة ثانٍ له.

(٤٣) هما: فاعل لمحذوف يفسره المذكور، والأصل: إذا اجتمعا اجتمعا، فحذف الفعل الأول وانفصل ضميره، والمِرة — بكسر الميم — القوة والشدة، والمراد: الإباء وعزة النفس، وأصل المرة: إحكام القتل، يقال: أمرَّ الحبل إمرارًا، وتروى: حرة بدل مرة، وتروى: مُرة — بضم الميم — من المرارة: يقول: إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى الذل والضيم ولا تلين قناتها للأعداء بلغت أعلى المبالغ من العلا.

(٤٤) الأقران: جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب، يؤكد تفضيل العقل، يقول: قد يطعن الفتى أقرانه بالمكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل أن يصرح بالقتال.

(٤٥) الضيغم: الأسد، والمراد بأدنى ضيغم: أدون. فأدنى: أخس وأدون، وأدنى إلى شرف: أي أقرب. والكماة: جمع كمى، وهو البطل المشتمل بالسلاح. والعوالي: صدور الرماح. والمران: الرماح اللينة. يقول: إنما تتفاضل نفوس الحيوان بالعقل، فالآدمي أفضل من البهيمة بعقله، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضًا، كما قال المأمون: الأجسام أبضاع ولحوم، وإنما التفاضل بالعقول، فإنه لا لحم أطيب من لحم، وقوله: ودبرت: أي ولما دبرت؛ أي إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل، ولولا العقل ما عرفت الأيدي تدبير الطعان بالرماح. يريد أن الشجاعة إنما تستعمل بالعقل. قال الخطيب

التبريزي: غزت «تميم» حنيفة فاستاقت أموالًا ورجالًا، فباتت حنيفة ثلاثًا، ثم تبعوهم، فقيل لغلام منهم: كيف صنع قومك بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثلاث؟ قال: جعلوا المران أرشية الموت، فاستبقوا بها أرواحهم.

(٤٦) سمي سيوفه: يعني سيف الدولة. والأجفان: جمع جفن، وهو غمد السيف. يقول: لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئًا، ولكانت في قلة الغناء كالأجفان؛ لأن السيف إنما يعمل بالضارب، وهذا مثل قول عمرو بن معديكرب الزبيدي أحد فرسان العرب، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئًا، فقال: إنما يفعل الساعد لا السيف.

(٤٧) يقول: خاض الحمام — الموت — بسيوفه حتى لم يعلم أذلك الخوض من احتقار للموت أم نسيان للموت وغفلة عنه؟ ودرى: مجهول «درى» لغة طيئ، وثاني مفعولي «درى» محذوف سد مسده جملة الاستفهام.

(٤٨) المدى: الغاية. وأهل الزمان: أي أهل الزمان الحاضر، ف «أل» فيه للعهد الحضوري: أي قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره.

(٤٩) تخذوا واتخذوا: بمعنى. يقول: إن أهل الزمان مجالسهم في البيوت، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يليق به أن يتخذ البيوت مجالس، وإنما سروج الخيل يقضي أيامه عليها في الغارة على أعدائه.

(٥٠) الوغى والهيجاء: من أسماء الحرب. وقوله: والطعن … إلى آخره: كلام مستأنف. يقول: وظنوا أن الحرب لعب؛ أي إذا لعبوا في الميدان فتطاعنوا بالرماح ظنوا أن ذلك هو الحرب، والطعن في اللعب غير الطعن في الحرب؛ لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء في الحرب. يريد أن أهل زمانه لاهون، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلا.

(٥١) يقول: إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال في الحرب، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه؛ لأنه من المعركة في وطن.

(٥٢) كل: إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد. وابن سابقة: أي كل فرس ولدته سابقة من الخيل. يقول: كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه.

(٥٣) الوغى: من أسماء الحرب. والأرسان: جمع رسن؛ ما يكون في رأس الدابة تمنع به من التصرف. يقول: إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تبرح من مكانها

فكأنها مربوطة، وإذا دعوتها أتتك، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن. قال ابن جني: وهذا كقوله:

تُعَطَّفُ فِيهِ والأَعِنَّةُ شَعْرُهَا وتُضْرَبُ فيه والسِّياطُ كلامُ

(٥٤) الجحفل: الجيش العظيم، وفي جحفل: حال من الجياد. يقول: قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون، فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها، ولكنها إذا أحست شيئًا نصبت آذانها، فكأنها تبصر بآذانها، وهذا من بديع التخيل، وفيه نظر إلى قول البحتري:

ومُقدِّمِ الْأُذُنينِ تحسِبُ أنه بِهما رأى الشخْصَ الَّذِي لِأَمامِه

(٥٥) يريد بالمظفر: سيف الدولة. يقول: إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر. فلا يبعد عليه شيء، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره؛ لعزمه على الأمور.

(٥٦) منبج: بلد بالشام — على مرحلتين من حلب — وحصن الران: من بلاد الروم. يريد سعة خطوتها في العدو — الجري — يقول: كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها، أي كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة. قال ابن جني: وبين «منبج» و«حصن الران» مسيرة خمس ليالٍ.

(٥٧) أرسناس: نهر بالروم، بارد الماء جدًّا، يريد — لسرعتها في السباحة — تنتشر عمائم فرسانها.

(٥٨) يقمصن: يثبن. والمدى: جمع مدية؛ السكين. يقول: إن الخيل تثب في هذا النهر الذي هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصي لتقلص خصيتيه لشدة برده.

(٥٩) العجاجة: الغبرة. يقول: إن الجيش صار فريقين في عبور هذا النهر؛ فريق عبروا، وفريق لم يعبروا، ولكل واحد منهما عجاج — غبار — والماء بينهما، فالعجاجتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما. وقال ابن جني: يعني عجاجة المسلمين وعجاجة الروم. قال الواحدي: وليس كما ذكر؛ لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد، ولكن البيت التالي يؤيد ما ذهب إليه ابن جني. قال ابن جني: ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقتا، وقلما تثور العجاجة في الشتاء. قال: وسألته — أي

المتنبي — عند القراءة عن هذا، فذكر أنه شاهده، قال: وكان في حزيران، وقال: هو من أبرد المياه في كل وقت؛ لأنه يذوب من الثلج.

(٦٠) اللجين: الفضة. والحباب: الفقاقيع التي تعلو الماء. والأعنة: جمع عنان؛ ما يكون في رأس الفرس. والعقيان: الذهب. يقول: عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب.

(٦١) الغدائر: جمع غديرة، وهي الخصلة من الشعر. والسفين: جمع سفينة. يقول اتخذ حبال سفنه من ذوائب سباياه من نسائهم، واتخذ خشبها من الصلبان التي استولى عليها من معابدهم، وذلك لكثرة ما غنم وسبى.

(٦٢) حشاه: فعل ماض، والضمير للماء. وعادية: أي راكضة، من العدو — الركض — وعقم: جمع عقيم، وهو الذي لا يلد. والحوالك: الشديدة السواد: يقول: حشا ماء النهر سفنًا تعدو ولا قوائم لها، وهي عقم لا تلد، وألوانها سوداء لأنها مقيرة — مطلية بالقار — شبه السفن بالخيل العادية والخيل لها قوائم، ومن عادتها أن تنتج، فبيَّن أنه أراد السفن.

(٦٣) يقول: إن هذه السفن تحمل النساء التي سبتها الفوارس وكأنهن غزلان والسفن مرابض لها. هذا، والمرابض جمع مربض، وهو مأوى الغنم والوحش، ويجمع مربض على مرابض وأرباض، قال العجاج يصف الثور الوحشي:

واعْتادَ أرباضا لها آريُّ   مِنْ معْدِنِ الصِيرانِ عُدْمُلِيُّ

(اعتادها: أتاها ورجع إليها. وقوله: لها آري: أي لها آخية من مكانس البقر لا تزول، ولها أصل ثابت في سكون الوحش بها، قال ابن السكيت: وقد تسمى الآخية آريا، وهو حبل تشد به الدابة في محبسها، والعدملي: القديم.)

(٦٤) بحر أي هو — النهر — بحر … إلخ، وأذم له من فلان: أجاره منه. والحدثان: حوادث الدهر ونوائبه، وقوله: وإذا أذم: جملة حالية. والورى: الخلق. وبنو حمدان: عشيرة سيف الدولة. يقول: هذا النهر الذي عبره سيف الدولة بحر تعود أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم، ولكن لما عبرته أنت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بني حمدان، يعني أن غيرك لا يقدر على عبوره.

(٦٥) المخفرين: نعت بني حمدان، أو منصوب على المدح، ويقال: خفرت الرجل: إذا أجرته، وأخفرته: إذا نقضت عهده. والأبيض: السيف. والصارم: القاطع. والذمم: جمع

ذمة. يقول: إن بني حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التي على الملوك بسيوفهم لما جعل الملوك في ذمم الدروع؛ لأنهم تحصنوا بها وهي وقاء لهم، فكأنهم في خفارتها، جعل سيوف بني حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم.

(٦٦) التصعلك: التشبه بالصعاليك، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم. وعلى كثافة ملكهم: أي مع عظمة ملكهم وفخامته. يقول: هم على عظم ملكهم كالصعاليك؛ لتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار، وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرمًا ولينا.

(٦٧) التقيل: النوم في القائلة، وهي نصف النهار. والمطهم: الحسن التام الخلق من الخيل. والأجل: وقت الشيء الذي يحل فيه، ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم. والظليم: الذكر من النعام. والربقة: العروة من حبل يشد بها. والسرحان: الذئب. يقول: إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اشتداد الحرب بظل خيولهم، يعني أنهم مثل البدو لا ظل لهم، فإذا قالوا — من القيلولة — لجئوا إلى ظلال خيلهم.

ومعنى قوله:

أجل الظليم وربقة السرحان

أنها — الخيل — إذا طردت النعام والذئاب أدركتها فتقتلها ومنعتها من العدو، وهذا من قول امرئ القيس:

بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيكل

وامرؤ القيس هو أول من قال: «قيد الأوابد» ثم تبعه الشعراء. قال ابن الرومي في الغزل:

وحدَيثُهَا السِحْرُ الحلالُ لوَ انَّهُ ... لَمْ يَجنِ قتلَ المُسلمِ المتحرِّزِ
إن طَالَ لَمْ يُملْ وَإن هي أوجَزَتْ ... وَدَّ الْمحَدِّثُ أنها لَمْ تُوجِزِ
شركُ العقُولِ وَنُزْهَةٌ مَا مِثْلُها ... لِلْمُطمَئنِّ وَعُقلةُ المُستوْفِزِ

ورواية: يتقيلون، هي رواية ابن جني، وذهب في معناها مذهبًا غير الذي أسلفنا، قال: يتقيلون من قولهم: فلان يقيل أباه؛ إذا كان يتبعه، والمعنى: يتقيلون آباءهم السابقين في الشرف والسبق إليه كالفرس المطهم. وقال ابن فورجه وابن القطاع: إنما

الرواية: يتفيئون، يعني أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم، يصفهم بالتغرب والتبدي — أي التشبه بأهل البادية.

(٦٨) المنصل: السيف. وعنوة: أي قهرًا.

(٦٩) على الدروب: صلة نظروا في البيت الثالث — أو حال من ضميره. والدروب: المداخل إلى الروم. والغضاضة: الذلة والعار؛ أي ما يغض من الإنسان. والقنا: الرماح، والمراد بالكفر والإيمان: أصحابهما. والزبر: جمع زبرة، وهي القطعة من الحديد، والمراد: السيوف. والعقبان: جمع عقاب؛ الطائر المعروف. يقول: حين كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تعذر علينا الانصراف والرجوع، لما في ذلك من العار والغضاضة، وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أمامنا، وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها، وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم، في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء — عند رفع الأبطال إياها للضرب — كأنها تصعد إلى مناكب العقبان، فلا يرونها إلا فوق رءوسهم. أو تقول: في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد، حتى كأنهم قطع الحديد، لاشتماله عليهم، وهم فوق خيل كالعقبان في خفتها وسرعتها.

(٧٠) فوارس: عطف على «زبر الحديد». والحمام: الموت. يقول: ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيوا؛ أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب، وكأنهم ليسوا من الحيوان؛ لأن الحيوان لا يحيا بهلاكه، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حيًّا مرزوقًا عند الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:

يَسْتعذبُونَ مَنَايَاهُمْ كأنهمُ　　　لَا يَيأَسُونَ مِنَ الدَّنيا إِذَا قُتلوا

وقال ابن القطاع: هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلًا:

تَراهُ إِذَا مَا جِئتهُ مُتهلِّلًا　　　كأنكَ تعطيهِ الذِي أَنْتَ سائِلهْ

وهو من الأخذ الخفي؛ لأن زهيرًا جعل الممدوح يسر بما يعطي سائله حتى كأنه يأخذه، وجعل المتنبي هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة.

(٧١) الدراك: المتابعة. والذرا: جمع ذروة، وهي أعلى كل شيء. يقول: ما زلت تضربهم ضربًا متتابعًا في أعالي أبدانهم، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين من

السرعة، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضًا، فكأنه سيفان. وقال ابن جني: يريد أنك سيف ومعك سيف، فالضرب ضرب سيفين.

(٧٢) الضمير في «خص» يعود على الضرب، والجماجم: جمع جمجمة، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ. يقول: إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس؛ لأنه أوحى قتلًا، ولا يتعرض لسائر الجسد، فكأن أجسامهم أتت إليك بأمان، ومن ثم لا تتعرض لها.

(٧٣) الحنية: القوس. والمرنان: التي يسمع لها رنين. يقول: رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها، ثم انهزموا مدبرين يطئون في هزيمتهم تلك القسي التي رموك بها.

(٧٤) مفصلًا: من تفصيل القلادة، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة. والمثقف: المقوم، يعني الرمح. والمهند: السيف الهندي. والسنان: الزج الذي في أسفل الرمح. يقول: كان وقع السلاح كوقع المطر يأتي دفعة دفعة. وأراد بالسحاب: الجيش، وبالمطر: الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح، وهي تقع بهم مفصلة؛ لأنهم يضربون تارة بالرماح وتارة بالسيوف.

(٧٥) يقول: حرموا ما أملوا من الظفر بك، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان يعد نفسه مدركًا أمله؛ لأنه نجا بنفسه. و«عاد» يروى: عاذ — بالذال المعجمة — من عذت بالشيء: امتنعت به، وعلى هذه الرواية يكون المعنى: أدرك أمله منهم من لجأ إلى الرضا بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه. هذا، ويقال: أملت الشيء تأميلًا، وأملته آمله أملًا.

(٧٦) المهجة: الروح. والثائر: طالب الدم. يقول: إذا تناوشت الرماح صاحب ثأر شغلته صيانة روحه عن إدراك ثأر إخوانه. يعني: أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضًا، وشغلوا بأنفسهم عن إدراك ثأر قتلاهم. وهنا زلت قدم ابن القطاع، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء، قال: هذا البيت من معانيه الغامضة، وذلك أنه في مدح سيف الدولة، وظاهره هجاء محض؛ لأنه يقول: شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه، وهذا غاية الهجو، لأن العرب مدحت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم، وقد قال: إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان، فحذف الجار، وقد قيل فيه: إن معناه: إذا الرماح شغلن مهجة ثائر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة بالدفاع عن الإخوان. فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة، والثاني يكون «شغلته» صفة لثائر، وهذا إن سلم من الهجاء صح به المعنى،

فإن الكلام يحتمل في الحذف ما لا يحتمله. والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله: «عن» بمعنى الباء، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؛ أي بالهوى.

(٧٧) العواد: المعاودة، مصدر عاود، بمعنى عاد. والقواضب: السيوف. والعاني: الأسير. يقول: بعدما أملوا من العود إلى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتلى منهم وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر.

(٧٨) مهذب: عطف على «قواضب». يقول: يعوقهم عن العودة مهذب — يعني سيف الدولة — أطاعته المنايا في إهلاكهم — أي الروم — وهذه الطاعة: أي طاعة المنايا له هي طاعة لله سبحانه؛ لأنه جهاد في سبيل الله.

(٧٩) المسفة: من قولهم أسف الطائر: إذا دنا من الأرض في طيرانه، والضمير في قوله: «فيه» للشجر. يقول: كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها. شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود.

(٨٠) النجيع: الدم. والقاني: الشديد الحمرة، وأصله الهمز فلينه للتصريع. والنارنج: معروف. يقول: لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمرَّ، فصار لحمرته كأنه النارنج في الأغصان.

(٨١) يقول: إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفزعون في الحرب، كما لا تفزع هي، ولما ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوبًا. وهذا من قول البحتري:

وَما السيفُ إلَّا بَزَّغادٍ لِزِينة   إذا لَمْ يَكنْ أمْضَى من السَّيفِ حامِله

قال ابن جني: قوله: إن السيوف مع: يدل على معنى النصر والمعونة، كما تقول: الله معنا؛ أي معين وناصر، وليست في معنى الصحبة؛ لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها نفع، والمراد أن السيوف تنصر الذين قلوبهم كقلوبها، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية.

(٨٢) تلقى: أي أيها المخاطب. والحسام: السيف القاطع. وعلى جراءة حده: أي مع جراءة حده. يريد مع مضائه في الضريبة، فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان. يقول: إن السيف الماضي إذا كان في يد الجبان لم يغنِ في يده شيئًا، كما لا يغنى الجبان؛ لأن الفعل للضارب.

(٨٣) العماد: الأبنية الرفيعة، يذكر ويؤنث، الواحدة عمادة، ويقال: فلان رفيع العماد: إذا كان في قومه شريفًا، فهم يعنون عماد بيت الشرف، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب. والقمم: جمع قمة وهي أعلا الرأس. والمواقد: جمع موقد. يقول: ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رءوسهم نار الحرب، ولك أن تقول: قاتلوا الملوك فقطعوا رءوسهم وجعلوا جماجمهم أثافي؛ احتقارًا لهم.

(٨٤) يقول: هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك.

(٨٥) يقول: أنت تقتل من أردت بسيفك؛ أي لا يمتنع منك قتل من أردت، لكنك أحسنت إليَّ وغمرتني بإحسانك حتى قتلتني؛ أي استعبدتني بالمنة والإحسان.

(٨٦) يقال: بلي الثوب يبلى بِلًى وبلاء وأبلاه غيره يبليه إبلاء. والأسف: شدة الحزن. ونصب «أسفًا» على المصدر، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه؛ لأن «إبلاء الهوى بدنه» يدل على أسفه، كأنه قال: أسفت أسفًا. ويوم النوى: ظرف لـ «أبلى» ويجوز أن يكون معمول المصدر الذي هو قوله: «أسفًا». والنوى: البعد. والوسن: النوم. ومعنى إبلاء الهوى البدن: إذهابه لحمه وقوته بما يورد عليه من شدائده. وخص يوم النوى؛ لأن برح الهوى إنما يشتد عند الفراق، والهوى عذب مع الوصال، سم مع الفراق، كما قال السري الرفاء:

وأَرَى الصبابةَ أَرْيَةَ ما لمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلاوتَها الفِرَاقُ بِصَابِهِ

«أرية: فعلة من الأرى، وهو العسل.» يقول: أفضى الهوى ببدني إلى الأسف والهزال يوم الفراق، وأبعد هجر الحبيب بين جفني والنوم، أي لم أجد بعده نومًا.

(٨٧) روح: مبتدأ، محذوف الخبر؛ أي لي روح، والروح يذكر ويؤنث. ومن ثم لك أن تجعل «تردد» فعلًا ماضيًا على تذكير الروح، وأن تجعله مضارعًا على تأنيثها، وأصله تتردد — بتاءين — فحذفت إحداهما للتخفيف. والخلال: هو ذلك العود الدقيق الذي تخلل به الأسنان. يقول: لي روح تذهب وتجيء في بدن مثل الخلال في النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذي عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته؛ أي إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر. ويجوز أن يكون معنى «لم يبنِ» لم يفارق؛ أي أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لخفته. قال الواحدي: وأقرأني أبو الفضل العروضي: في مثل الخيال، قال — العروضي: أقرأني أبو بكر الشعراني خادم المتنبي: الخيال، قال:

ولم أسمع الخلال إلا بالري فما دونه. يدل على صحة هذا أن الوأواء الدمشقي سمع هذا البيت فأخذه فقال:

وَمَا أَبْقَى الهوَى والشوْقُ مِني سِوَى رُوحٍ ترَدَّدُ في خيال
خَفِيتُ على النوَائِبَ أنْ تَرَاني كأنَّ الرُّوحَ مِنِّي في محال

وهذا المعنى — كما قال الواحدي والعكبري — كثير قد ألمت به الشعراء القدامى والمحدثون، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم:

براني الْهَوَى بَرْيَ المُدى وأذابنِي صُدُودُكَ حتى صِرتُ أنحلَ مِنْ أَمْسِ
فلسْت أرَى حتى أُراك وإنما يَبينُ هباءُ الذرِّ في أَلَقِ الشمسِ

وقول الآخر:

لمْ يبقَ إلا نفَسٌ خافِتُ وَمُقْلةٌ إنْسانُها باهِتُ

(٨٨) الباء في «بجسمي»: زائدة. وجسمي: مفعول «كفى». ونحولًا: تمييز. وأنني رجل: في تأويل مصدر، فاعل «كفى». يقول لصاحبه: كفاني فعل النحول بي أنني رجل لو لم أتكلم لم يقع عليَّ البصر: أي إنما يستدل عليَّ بصوتي، كما قال أبو بكر الصنوبري:

ذُبْتُ حتى ما يُسْتَدَلُّ على أنَّـ ـيَ حَيٌّ إلَّا بِبَعْضِ كلامي

وأصل هذا المعنى قول الأخطل:

ضفادِعُ فِي ظَلماء ليل تجاوبَتْ فدلَّ عليها صَوْتُها حيَّةُ البَحْرِ

ونزولًا على حكم خطتنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تعليقاته النحوية على هذا البيت، قال: فيه سؤال في الإعراب بين «كفى بجسمي نحولًا» وبين «كفى بالله» و«أن» المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك: بلغني أنك ذاهب، أي ذهابك، فبأي مصدر تتقدر؟ وجملة «لولا مخاطبتي» وصف لرجل، و«رجل» من قبيل الغيبة، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم؟ وكان الوجه أن يقال: لولا مخاطبته

إياك لم تره؟ الجواب: إن «كفى» مما علمت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله، وتارة مع مفعوله، ودخولها على مفعوله قليل، فزيادتها مع الفاعل مثل: كفى بالله، والمعنى: كفى الله، والذي يدلك على أنها مزيدة في «كفى بالله» قول سحيم:

كَفى الشيْبُ والإسْلام لِلْمرْء نَاهِيًا

وأما زيادتها مع المفعول، ففي مثل قول حسان:

وَكَفَى بِنا فضْلا على مَنْ غيرنا

(تقدم أن «من» زائدة بين «على» ومجرورها وهو «غيرنا» وعجزه:

حبُ النبيِّ محمد إيَّانا)

وكفى بجسمي؛ لأن فاعل كفى: «أن» وما بعدها، وأسبك لك من ذلك فاعلًا بما دل الكلام عليه من النفي بـ «لم»، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ «لولا»، والتقدير: كفى بجسمي نحولًا انتفاء رؤيتي لولا وجود مخاطبتي، و«نحولًا» نصب على التفسير، والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول، وقوله: ﴿كَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا﴾ فوكيلًا تفسير لاسم الله، ونحولًا: تفسير لانتفاء الرؤية، كما أن «فضلًا» في بيت حسان تفسير لحب النبي ﷺ إياهم، فهذا فرق في الإعراب بين «كفى بالله» وبين «كفى بجسمي» من حيث كان بالله فاعلًا ووكيلًا، و«بجسمي» مفعولًا، وإنما زيدت الباء في نحو كفى على معناه؛ إذ كان معناه اكتفِ بالله، ونظيره: حسبك بزيد، وأما قوله: «أنني رجل» فخبر موطئ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل، والخبر الموطئ هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده، كالحال الموطئة في نحو: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ألا ترى أنك لو اقتصرت هنا على رجل، لم تحصل به فائدة؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته، فالخبر كالزيادة في الكلام، فلذلك عاد الضميران اللذان هما «الياءان» في «مخاطبتي» و«ترني» إلى الياء في «أنني» ولم يعودا على رجل؛ لأن الجملة في الحقيقة خبر عن «الياء» في «أنني» من حيث وقع خبرًا عنها عاد الضميران إليه على المعنى كان قولًا. ونظيره عود الياء إلى «الذي» في قول علي عليه السلام:

أَنَا الَّذي سمتنِي أُمِّي حَيدَرَهْ

(قال أبو العباس ثعلب: لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه:

أَنَا الَّذي سَمَّتْنِي أُمِّي الْحَيْدَرَهْ كَلَيْث غَاباتٍ غَليظ الْقَصَرَهْ
أكيلُكُمْ بالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَه

الحيدرة: الأسد. والقصرة: أصل العنق. والسندرة: مكيال كبير، وقيل: اسم امرأة كانت تكيل كيلًا وافيًا.)

لما كان في المعنى «أنا» وليس هذا مما يحمل على الضرورة؛ لأنه قد جاء مثله في القرآن: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم، وقوم من قبيل الغيبة، كما ترى، ولم يأتِ بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو «أنتم» في الخطاب، ولو قيل: «بل أنتم قوم» لم تحصل بهذا الخبر فائدة. ومما جاء في الشعر بغير ضرورة قوله:

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فتَبْتَغِي بِهِ الجاهَ أَمْ كُنْتُ امْرأً لَا أُطيعُها؟

أعاد من «أطيعها» ضمير متكلم، ولم يعد ضمير غائب وفاقًا لامرئ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل.

(٨٩) قضاعة: بطن من حمير، وهي قبيلة التنوخي، والفتى: أصله الكريم الشجاع القوي. يقول: قبيلتي تعلم أني فتاها الذي يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأي، وليلاحظ أن هذه الأبيات هي على لسان غيره وهو من أهل اليمن.

(٩٠) خندف: امرأة إلياس بن مضر، ينسب إليها أحد فخذي مضر. يقول: إن شرفي يدلهم على أن كل كريم يمني — أي من قبائل اليمن — لأني منهم. ولنعد إلى خندف، قال الأخباريون: خندف هي بنت عمران بن الحاف بن قضاعة، وهي امرأة إلياس بن مضر، ولدت له مدركة، وطابخة وقمعة، وكان اسم مدركة «عامرًا» واسم طابخة «عمرًا»، قيل: إنهم كانوا في إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيدًا. فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد؟ فقال: بل أطبخ، فلحق

عامر بالإبل، فجاء بها، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما، فقال لعامر: إنك مدركة، وقال لعمرو: أنت طابخة، فجاءت أمهما تمشي، فقال لها: أنت خندف (الخندفة: مشية كالهرولة، فسميت خندف لأنها خندفت في أثر ابنها: أي أسرعت، وأما «قمعة» فسمي كذلك لأنه انقمع في البيت) وأما قمعة فيقال: إن خزاعة من ولده، من ولد عمرو بن لحي الذي هو ابن قمعة بن إلياس، وهو عمرو الذي قال رسول الله ﷺ: «رأيته يجر قصبه في النار.» (القصب: الأمعاء.) وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب «المغازي» في أول كتابه: ولد معد بن عدنان أربعة: نزار بن معد وقضاعة بن معد — وكان قضاعة بكر معد، وكان به يكنى — وقنص بن معد، فأما قضاعة فيمت إلى حمير بن سبأ، وكان اسم سبأ «عبد شمس»، وإنما سمي سبأ؛ لأنه أول من سبى في العرب، واليمن تقول: قضاعة ابن مالك، وأنشد عمرو بن مرة الجهني:

نَحنُ بنُو الشيخ الهِجانِ الأزَهر قُضاعَةَ بنِ مالكِ بنِ حميرِ
النسَبِ المَعروفِ غَيرِ المُنكرِ

(الهجان: الكريم. والهجان من كل شيء: الخالص، مأخوذ من الهجان، وهو الأبيض.)

وأما «قنص» فهلكت، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر. وقوله: «كل كريم يمان» يريد: من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه كفاية، ويكفيهم فخرًا قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان يمانٍ، وأجد ريح الرحمن من قبل اليمن، والحكمة يمانية، وأهل اليمن ألين قلوبًا.»

(٩١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئًا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء: ابن الماء. واللقاء: ملاقاة الأقران في الحرب. والضراب: مصدر ضارب يضارب ضرابًا، وهو من ضرب السيف، والطعان: كذلك، مصدر طاعن يطاعن طعانًا، وهو من الطعن بالرمح. يقول: أنا صاحب هذه الأشياء لا أفارقها.

(٩٢) الفيافي: جمع فيفاء، وهي الفلاة. والقوافي: جمع قافية، وهي في الأصل آخر البيت، وقد يقولون للقصيدة: قافية. والرعان: جمع رعن، وهو أنف الجبل الشاخص منه. يقول: أنا صاحب الفلوات؛ لكثرة جوبي إياها، وصاحب القصائد أجيدها وأبدع فيها، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها.

(٩٣) النجاد: حمالة السيف، وطولها دليل على طول القامة، والطول مما تتمدح به العرب:

وَإنَّ أعِزَّاءَ الرِجَالِ طِيالُها

والعماد: عمود الخيمة الذي تقوم عليه، وذلك مما يمدح به؛ لأنه يدل على كثرة غاشيته وزواره، وطول القناة — الرمح — يدل على قوة حاملها؛ لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوي.

(٩٤) اللحاظ: طرف العين مما يلي الصدغ. يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب. والحفاظ: المحافظة على ما يجب حفظه. والحسام: السيف القاطع. والجنان: القلب. يقول: هذه الأشياء مني حديدة — قوية.

(٩٥) المنايا: جمع منية، وهي الموت. والرهان: السباق. يقول: سيفي يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم، قال عنترة:

وَأنَا المَنِيَّةُ في المواقِف كلها   وَالطعنُ مِنِّي سَابِقُ الآجال

ومثله قول أبي تمام:

يكادُ حِينَ يُلاقِي القِرنَ مِنْ حَنقٍ   قَبلَ السِّنانِ عَلَى حَوبَائِهِ يَرد

(الحوباء: النفس.)

هذا، والرهان من قولهم: راهنت فلانًا على كذا — أي خاطرته — وهو الرهن الذي كانوا يرهنون في سباق الخيل، وقد جاء: رهنته وأرهنته بمعنًى، وأنشدوا لهمام بن مرة وفي الصحاح لعبد الله بن همام السلولي:

فَلما خَشِيتُ أظافِيرهمْ   نجوتُ وأرْهَنتهمْ مالكا
غَريبًا مُقَيمًا بدارِ الهوا   ن أَهون عليَّ بِهِ هالكا
وأحْضرْتُ عُذْري عليهِ الشهو   دَ إنْ عاذِرًا لي وَإنْ تاركا
وقدْ شَهدَ الناسُ عندَ الإما   مِ أني عَدو لِأعْدَائكا

قال أبو العباس ثعلب: كل الرواة قالوا: وأرهنتهم، إلا الأصمعي فإنه رواه: وأرهنهم؛ عطفًا لفعل مستقبل على فعل ماضٍ، وشبهه بقولهم: قمت وأصك وجهه؛ لأن الواو واو الحال. فيجعل «أصك» حالًا للفعل، وقد عاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء: «فرهن مقبوضة» وقال: هي قبيحة؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا شاذًّا، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار، ورهان جمع رهن. وغاب عن الأخفش جمعهم سقفًا على سقف، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع بن عامر: «ولبيوتهم سُقُفًا من فضة» وهذا جمع سقف، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفًا على سقف «راجع: لسان العرب والعكبري».

(٩٦) الضمير في «حده» للسيف، والهبوة: الغبار، وغامضات القلوب: الغامضة في الأبدان، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة؛ لأنها مقاتل بلا شك. يقول: يرى حد سيفي قلوب الأعداء فيهتدي إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه. وهذا من قول زيد الخيل:

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعٍ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ   بَصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بالمَقاتل

[يريد إذا هيأته نحو العدو. وبالمقاتل: صلة بصير.] وقال أبو تمام:

مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ نَظَّارٍ بِلَا نَظَرٍ   إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا في مَتْنِهِ أَوَدُ

هذا، وقوله: لا أراني، قال الواحدي: لا يجوز أراني بمعنى أرى نفسي، وإنما يجوز ذلك في أفعال معدودة نحو ظننتني وحسبتني وبابهما. وقد جاء شاذًّا: فقدتني وعدمتني، ولا يقال: ضربتني ولا رأيتني ولا أكرمتني، وإنما يقال: ضربت نفسي وأكرمت نفسي، فكان الواجب أن يقول: لا أرى نفسي، وقد جاء رأيتني، فحمله على هذا.

(٩٧) الحكم: بمعنى الحاكم. يقول: سأقتل من أعدائي من شئت ولساني كسيفي في الحدة، فلو جعلت لساني مكان سيفي لاكتفيت به؛ لأني أبلغ من التأثير في أعدائي بلساني ما يبلغه السيف. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى: ولو ناب اللسان عن السيف — بأن يطيعوا أمري — لم أستعمل فيهم السيف.

(٩٨) يقول: تكرمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضًا. ويجوز أن يكون معنى تكرمة: إكرامًا للحب وإعظامًا له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء، يعني: لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان.

(٩٩) يقول: كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه. ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملء الإناء، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان؛ أي سقم كتماني وضعف، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان، وعبارة ابن الشجري في «أماليه»: شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفيض، ثم قال — المتنبي — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفائض — صار سقمي قويًّا به، وانتقل إلى جسم كتماني فأذابه وأضعفه. فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف مخفيه. قال: وقال أبو الفتح — ابن جني: دل الكتمان عليَّ، قال: وهذا في بدائعه، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان، فيصير التقدير: كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتماني. ففي هذا اختلال في الإعراب كما ترى، وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه، مع أن الحب هو المسقم له.

(١٠٠) أرعشت: من الرعشة، وهي الرعدة. أي حركت اليدين لسكر شاربها. وقوله بيني وبيني: أي بيني وبين عقلي. يقول: غيري يشرب الخمر حتى ترعش يداه سكرًا، أما أنا فإني أبقى على صحوي؛ أي لا أشربها حتى لا تحول الكأس بيني وبين عقلي. قال ابن جني: وجاء به من طرز كلام الصوفية، كقول قائلهم:

عجبْت مِنكَ ومِنِّي أَفْنيتَنِي بِكَ عَنِّي
أقمتني بمقَامٍ ظننْتُ أنك أنِّي

(١٠١) المزن: جمع مزنة؛ السحابة البيضاء. واللجين: الفضة. وقوله كالذهب المصفى: حال من «الخمر» وقد قابل بين الفضة وبين الذهب. يقول: لا أشرب الخمر وحسبي الماء.

(١٠٢) هذا من قول أبي تمام:

أغارُ مِنَ القَمِيصِ إذَا عَلَاهُ مَخَافَة أَنْ يُلَامِسَهُ القَمِيصُ

ومن قول الخبز أرزي:

مِنْ لُطْفِ إشْفاقي وَدِقَّةِ غَيْرَتي أنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكَيْكَا
ولَو اسْتَطَعتُ جَرَحْتُ لفظَك غَيْرَةً أنِّي أَرَاهُ مُقَبِّلًا شَفَتَيْكَا

وقال الواحدي: ولقد أساء أبو الطيب؛ لأن الأمراء لا يغار على شفاههم. ويقول من يعذره — المتنبي: إنما يغار؛ لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر؛ لأنهما — أي شفتيه — للأمر والنهي والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة، ويجوز أن الزجاجة نالت ما لم ينله أحد، فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجة ذلك.

(١٠٣) الضمير في «بياضها» للزجاجة. والراح: الخمر. وأحدق به: أحاط به. يقول: كأن الزجاجة البيضاء — وفيها هذه الخمر السوداء — بياض محدق بسواد عين.

(١٠٤) الرفد: العطاء. يقول: إن الرفد الذي سألناه إياه عَدَّه هو دينًا على نفسه واجب الأداء؛ لمكانه من الكرم والأريحية. كما قال أبو تمام:

غَريمٌ لِلْمُلمِّ بهِ وحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الْغَريمِ

وقال أيضًا:

إلَّا نَدًى كَالدَّينِ حَلَّ قَضَاؤُهُ إنَّ الكريمَ لِمُعْتَفِيه غَرِيمُ

(١٠٥) ما — في الشطرين موصولة بمعنى «الذي» خبر عن المرفوع قبلها. يقول: حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه، كما قال المجنون:

ولمَّا شَكَوْتُ الحُبَّ قَالَتْ: كَذَبْتَني فما لِي أَرَى الأعضَاء منْكَ كَوَاسِيَا
فما الْحُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ الْجِلْد بالْحَشَا وَتَخْرَسَ حَتَّى لا تُجيبَ الْمُنَادِيَا

وكما قال قيس بن ذريح:

وما هُوَ إلَّا أن أراها فُجاءَةً فأَبْهَتَ حَتى ما أَكَادُ أُجيبُ

قال الواحدي: والظاهر أن «ما» — في قوله: ما منع — نفي؛ لأن المصراع الثاني حث على إعلان العشق، وإنما يعلن من قدر على الكلام، وهذا كما يقول أبو نواس:

فَبُحْ باسْمِ مَنْ تَهْوَى ودعني مِنْ الكُنَى　　فلا خَيْرَ فـي اللَّذَّاتِ مِن دونِهَا سِتْرُ

ويقول علي بن الجهم:

تهتَّكْ وبُحْ بالعشقِ جهرًا فَقَلَّما　　يطيبُ الهوَى إلَّا لِمُنْهَتِكِ السترِ

ويقول السري الرفاء:

ظَهرَ الهوى وتهتَّكتْ أستَارُهُ　　والحُبُّ خَيْرُ سبيلِهِ إظهارُهُ
أَعصِي العواذِلَ في هواه جَهَارَةً　　فَأَلَذُّ عيْشِ الْمُسْتهام جِهارُهُ

ولعل ما دعا الواحدي إلى جواز أن تكون «ما» نفيًا. هو ما يظهر من التناقض في البيت إذا جعلت «ما» موصولة، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتفصي من هذا التناقض. فقد وقع المحب في بلاء بين هذين أي بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألذ الشكوى الإعلان. هذا، و«الألسنا» يروى بفتح السين — أي الذلق اللسان. وبضمها: جمع لسان. واللسان: الجارحة، واللغة أيضًا، وقد يؤنث ويذكر، قال أعشى باهلة:

إنِّي أَتتني لِسَانٌ لا أُسرُّ بِهَا　　مِنْ عَلْوَ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَر

(مطلع قصيدته التي يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي.)
وإذا ذكر: كان على معنى الكلام، قال الحطيئة:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي　　فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِكِمْ

(فليت بأنه: يروى: فليت بيانه، ويروى: وددت بأنه. والعكم: داخل الجنب، على المثل بالعكم الذي هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.)

ومن أنثه: قال في جمعه: ألسن، كذراع وأذرع. ومن ذكره: قال في جمعه ألسنة كحمار وأحمرة، وهذا قياس ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث، وقد تقدم ذلك في هذا الشرح مستوفى.

(١٠٦) هجر وصلة: مفعولان مطلقان. وواصلي: خبر «ليت». والكرى: النوم. والجرم: الذنب. والضنى: المرض والهزال. يقول: ليت الحبيب الذي هجرني من غير ذنب كهجر النوم لأجفاني يواصلني كمواصلة الضنى لجسمي من أجل صده وبعده عني: يعني أن الضنى ملازم له، فتمنى أن يكون وصل الحبيب ملازمًا له ملازمة الضنى جسده.

(١٠٧) بنا: افترقنا، ويروى: «بتنا ولو حليتنا» و«بتنا» تامة. والواو بعدها حالية، و«امتقعن» يروى: سفعن؛ وهو بمعنى امتقعن. وحليتنا: وصفت حليتنا، وهي هيئة الشخص وما يتميز به. وامتقع لونه: تغير حياء أو خيفة. وتلونًا: مفعول له. يقول: فارقنا أحبابنا ولعظم ما نالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير ألواننا، فكنت لا تدري بأي لون تصفنا.

(١٠٨) أشفقت: خفت. وقوله تحترق: أراد أن تحترق، فحذف «أن» وبقي الفعل مرفوعًا، وقد مرت له نظائر. والعواذل: جمع العاذلة — اللائمة — يقول: لشدة حرارة الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العواذل أن يحترقن فيما بيننا، قال الواحدي: وإنما خاف ذلك؛ لأنه كان ينم على ما في قلوبهم من حرارة الهوى، وقال الخطيب التبريزي: وجه الإشفاق أن ينم إحراقهن على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم. هذا، وقد قلنا: أشفقت؛ أي خفت، ونزيد هنا أن الشفقة الخيفة والمحبة، وهي الاسم من الإشفاق، وكذلك الشفق. قال الشاعر إسحاق بن خلف، وقيل: هو لابن المعلى:

تَهْوَى حَياتِي وأَهْوى مَوْتَها شفقًا والموْت أكرمُ نَزَّالٍ على الحرَم

وأشفقت عليه فأنا مشفق وشفيق، وإذا قلت: أشفقت منه فإنما تعني حذرته، وأصلهما واحد، ولا يقال: شفقت، وقال ابن دريد: شفقت وأشفقت بمعنى، وأنكره أهل اللغة.

(١٠٩) فرادى: اسم جمع لفرد. والزفرات: جمع زفرة، وهي النفس الحار، وسكن «فاءه» ضرورة. و«ثنا» — من قولهم: جاء القوم ثناء — أي اثنين، وإنما قصرها للقافية. يقول: أفدي بنفسي هذه المحبوبة التي قد ودعتني، فكلما نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين؛ لشدة ما في صدري من حرارة الوجد.

(١١٠) الديدن: العادة، تقول: ما زال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه وهجيره وهجيراه.

يقول: أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتني، وقلت: ليست تقصدني وإنما أخطأت في قصدي، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني، فصارت عادة لي لا تفارقني ولا أنفك منها، وهذا المعنى من قول الآخر:

رُوِّعْتُ بالبَيْن حتى ما أُرَاعُ لَهُ ... وَبِالْحَوَادِثِ في أهلي وَجيرانِي

(١١١) الفلا: جمع فلاة؛ المفازة البعيدة. والركائب: جمع ركاب، وهي الإبل. والموهن: نحو نصف الليل. يصف كثرة أسفاره وتردده في الدنيا حتى قطع الفلوات بالمسير، وقطع المركوب أيضًا بكثرة الإتعاب، وقطع الليل والنهار بقطع المسافات، يعني أنه قطع المكان والزمان والمركوب، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره. هذا، وقد قال صاحب «الصحاح»: الضحا مقصورة تؤنث وتذكر، فمن أنث ذهب إلى أنها جمع ضحوة، ومن ذكَّر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد ونغر (الصرد: طائر ضخم الرأس، أبيض البطن، أخضر الظهر، يصطاد صغار الطير، الجمع صردان. والنغر: طائر يشبه العصفور، تراه صغيرًا ضاويًا، وتصغيره نغير، وجمعه نغران). وهو ظرف غير متمكن، مثل سحر، يقول: لقيته ضحًا وضحَا، إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه. قال ابن بري: ضحا مصروف على كل حال. قال الجوهري: ثم بعد الضحا: الضحاء، ممدود مذكر، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، تقول منه: أقمت بالمكان حتى أضحيت، كما تقول من الصباح: أصبحت، ومنه قول عمر رضي الله عنه: أضحوا بصلاة الضحا؛ أي صلوها لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحا، ويقال: أضحيت بصلاة الضحا؛ أي صليتها في ذلك الوقت. وقد أسلفنا القول على «الضحا» في هذا الشرح بأوفى من ذلك.

(١١٢) منها: أي من الدنيا. ويروى: فيها. ويقال: وقفت ووقفني زيد ووقفت دابتي ووقفت وقفًا للمساكين، فقوله: أوقفني الندى: معناه عرضني للوقوف، قال أبو عمرو بن العلاء: لو قال رجل: فلان أوقفني — أي عرضني للوقوف — لم أرَ بذلك بأسًا. وأوقفته: لغة عند بعضهم: والمنى: جمع منية، وهي الشيء الذي تتمناه. يقول: وقفت من الدنيا حيث حبسني الجود — يريد عند الممدوح — أي لما انتهى إليه انقطع عن السفر؛ لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه، وهذا من المخالص الحسنة. هذا، وحذف التنوين من «عمار» — كما قال الشراح وكما أسلفنا في هذا الشرح على نظائر لذلك — لالتقاء الساكنين كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾، قال العكبري: قرأه القراء كلهم بغير تنوين، وكلهم صرف «ثمود» إلا حمزة وحفصًا ووافقهما أبو بكر في آخر سورة النجم، وصرف الكسائي في

موضع الجر في هود عند قوله تعالى: ﴿لِثَمُودَ﴾، قال: وقد يجوز عندنا — وهو كوفي — إسقاط التنوين في الشعر، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حنين للنبي ﷺ:

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حابسٌ   يفوقان مِرداسَ في مجمع

(تقدم القول على هذا البيت في غير موضع من هذا الشرح.)

فكلهم رووه مرداس — من غير تنوين.

(١١٣) الجدا: العطاء؛ أي ما تعطيه مجتديك. يقول: إن عطاءه لا يسعه وعاء، ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عظمًا.

(١١٤) شجاعة: عطف على «جدا» — في البيت السابق — يقول: إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته، وذلك أيضًا يشجع الجبان؛ لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذٍ الجبن.

(١١٥) نيطت: علقت. والحمائل: علائق السيف. والعاتق: ما بين المنكب والعنق. والمحرب: صاحب الحرب الممارس لها، ويعني به: الممدوح — على جهة التجريد — وكر عليه في الحرب: عطف. وانثنى: رجع. يقول: علقت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته، ما كر قط؛ لأن الكر يكون بعد الفر، وهو لم ينثنِ عن حرب ولم يولِّ العدو ظهره، فكيف يكر؟ وهذا منقول من قول الآخر:

أَللـهُ يَعْلَـمُ إنِّـي لَسْـتُ أَذْكُرُهُ   وكيفَ أَذكرُهُ إذ لست أَنساهُ؟!

قال ابن جني: الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قد يصفون الكر بعد الانحياز؛ لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرد — إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثني.

(١١٦) يقول: لشدة إقدامه في الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه، فهو أبدًا مقدم، فكأنه يخاف طعنًا من خلفه، فهو يتقدم خوفًا مما وراءه، كما قال بكر بن النطاح:

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّعْنِ في حَوْمَةِ الوغَى   تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَا

(١١٧) التوهم: خلاف التيقن. وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه، فقال: إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقينًا، لا وهمًا.

(١١٨) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبغتاته: جمع بغته، وهو ما يفعل فجأة. والمتكفن: لابس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بغتة ويهجم عليه من حيث لا يدري فيظل لابس كفنه توقعًا لبغتته وتأهبًا للموت. ومتكفنًا، قال الواحدي: يروى: متلفنًا، والتلفن: التندم على ما فات؛ يعني أنه يندم على معاداته.

(١١٩) سوف: للاستقبال. وقد: لما مضى ومقاربة الحال. والأقصى: الأبعد. وثمَّ: للمكان البعيد المتراخي. وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضي الإرادة، فما يقال فيه: سوف يكون، يقول عنه: قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه: ثم — هنالك — يقال: هو هنا، يعني أن ما يكون من العزائم مستقبلًا عند غيره يعده ماضيًا لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيدًا على غيره يعده حاصلًا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا، وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(١٢٠) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال: غض بض: أي طري لين، يقول: إنه تعود لبس الدروع في الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونعومته، وفي هذا نظر إلى قول البحتري:

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّمَاحَ مخَاصِرًا   إذا زعْزَعوها والدُّروعَ غَلَائِلَا

(المخاصر: جمع مخصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك. والغلائل: جمع غلالة؛ شعار يلبس تحت الثوب.)

(١٢١) أمر: خبر مقدم، وفقد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن؛ غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضًا. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا فقد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبدًا مستعملة في الحروب.

(١٢٢) استكنَّ: من الكن، أي توارى وخفي. والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حذقته وعلمته. والإحسان الثاني: ضد الإساءة. وألا يحسنا: في موضع نصب؛ لأنه مفعول المصدر — الذي هو الإحسان — ولو قال: ولا إحسان أن لا يحسنا كان أقرب

إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك: أعجبني ضرب زيد، أقرب إلى الفهم من قولك: أعجبني الضرب زيدًا. يقول: إن الرعب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبدًا؛ لأنه شجاع لا يخشى مخلوقًا. ثم قال: وهو لا يحسن أن لا يحسن؛ أي لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه، وهذا من قول الآخر:

يُحْسِن أَن يُحْسِنَ حَتَّى إذَا ... رَامَ سوى الإحْسانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه: الإحسان: ضد الإساءة. يقول: لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أي لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا، الإحسان: الهم به. يقول: إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله. وقال ابن الشجري: الإحسان: ضد الإساءة، يتعدى بحرف الجر — بالباء، إلى — قال كثير عزة:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسنِي لَا مَلُومَةٌ ... لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

(تقلي الشيء: تبغض. وقد خاطبها ثم غايب.)

والثاني: يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقًا في فعله، وفعله يتعدى بنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ وقال امرئ القيس:

وَقَدْ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْم أَنَّنِي ... كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهْوَ أَمْثَالِي

(١٢٣) الاستنباط: الاستخراج، وأصله من استنباط الماء. ونبط الماء: نبع. وأنبط الحفار: بلغ الماء، والضمير من «فيه» لعلمه، ودوَّن الشيء: جمعه في ديوان — أي في كتاب — يقول: هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل، فكأن ما سيكون قد كتب في علمه، والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات، ويروى: من يومه؛ يعني أنه يستدل بما في يومه على ما سيقع في غد فيعرفه.

(١٢٤) الدنا: جمع دنيا — مثل كبر وصغر، في جمع كبرى وصغرى — يقول: إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا الممدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرَضين، فإن أحدًا لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل. فقوله «مثل» بالنصب صفة لمصدر محذوف: أي تقاصرًا مثل تقاصرها

عن إدراك الذي … إلخ، ورواها بعضهم: مثلُ — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ محذوف: أي فهو مثل الذي … إلخ، وقال العكبري: قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان: الرواية الصحيحة: مثلُ — بالرفع — ويكون التقدير هو مثل؛ يعني أن الأفهام تتقاصر عن هذا الممدوح في معرفة حقيقته، فهو مثل علم الله تعالى. ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثير يخل حذفه بالمعنى، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى. هذا، وقد قال ابن جني: لقد أفرط — المتنبي — جدًّا؛ لأن الذي فيه الأفلاك والدنا هو علم الله تعالى وتقدس.

(١٢٥) الطليق: الذي أطلق من القتل. أو الأسير أطلق عنه إساره، الجمع: طلقاء، ودان: خضع وأطاع. وحُينا — بضم الحاء — أي أهلك. وروي بفتح الحاء على المعلوم: أي ممن أهلكه. يقول: من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه ومنَّ عليه بالعفو، ومن لم يطعه وليس من أهل طاعته فهو من الهالكين.

(١٢٦) قفل: رجع. والسواحل: بلاد الساحل. يقول: لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا لك وحشة، فلما رجعت ذهبت إلينا تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذي انصرفت منه إلينا.

(١٢٧) أرج الطيب يأرج أرجًا وأريجًا: إذا فاح. والأرج والأريج: توهج ريح الطيب: قال أبو ذؤيب الهذلي:

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالةً لَطَمِيَّة لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّأْيَتَيْنِ أَريج

(أراد بالبالة الرائحة والشمة، مأخوذ من بلوته؛ أي شممته، وأصلها بلوة فقدم الواو وصيرها ألفًا. واللطيمة واللطمية: العنبرة التي لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت رائحتها، والدأية: فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين.)

والشذا: شدة ذكاء الريح الطيبة، قال العجير السلولي، وقيل لعمرو بن الأطنابة:

إذا ما مَشَتْ نَادَى بما في ثِيابِها ذكيُّ الشَّذا والْمندِليُّ المطيَّرُ

(إذا ما مشت: يروى: إذا اتكأت. وقيل: الشذا في هذا البيت هو المسك. والمندلي: العود الهندي، منسوب إلى «مندل» بلد بالهند يجلب منه العود. والمطير، قال ابن جني: هو العود، وإذا كان كذلك كان بدلًا من المندلي، وقيل: ضرب من صنعته، وقيل: المطير؛

المشقق المكسر.)

يقول: طاب الطريق الذي سلكته ففاحت رائحته، فما مررت بطريق إلا صارت الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم.

(١٢٨) محيية: حال من فاعل «مدت». والأغصنا: مفعول مدت. وإليك: متعلق بـ «مدت»، وهذا المعنى كثير. قال الفرزدق:

يَكَادُ يُمسكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ　　　رُكْنُ الْحَطِيمِ إذَا مَا جَاءَ يَستلمُ

وقال البحتري:

فَلَوَ انَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا　　　فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ

(١٢٩) القباب: جمع قبة، وهي الخيمة، أو البيت المستدير من بيوت العرب، والمراد بالتماثيل: الصور المنقوشة على القباب. يقول: إن الصور التي فيها تكاد من صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخللتها — شوقًا إليك فأدارت — الصور — أعينها. قال ابن جني: كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب، ثم قال: ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا. وقال الواحدي: المعنى: اشتاقت الجن إليك فتوارت بتماثيل القباب للنظر إليك. وتماثيل القباب: هي القباب فيكون فاعل «أدرن» الجن. يعني أن الجن من الشوق الذي بها إلى رؤيتك دخلت في الصور المنقوشة على القباب التي فوقك لتراك.

(١٣٠) المراكب: جمع مركب، بمعنى مركوب، يعني الخيل. يقول: لسرورها بقدومك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا: يعني أن السرور بقدومك غلب حتى ظهر في البهيمة التي لا تعقل.

(١٣١) قوله: تبسم: في موضع الحال — أي باسمًا — والجياد: الخيل، جمع جواد — على غير قياس — والعوابس: جمع عابس، وهو المكلح الوجه. والخبب: ضرب من العدو. الحلق المضاعف: الدروع، والحلق: جمع حلقة. والمضاعف: الكثير. والقنا: الرماح. يقول: أقبلت ضاحكًا وجيادك عوابس لطول سيرها وإثقالها بالدروع والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب.

(١٣٢) السنابك: جمع سنبك، وهو طرف مقدم الحافر. والعثير: الغبار. والعنق: ضرب من السير عليه سريع. يقول: عقدت سنابك الخيل فوقها غبارًا كثيفًا لو تطلب السير عليه لأمكن من كثافته، وهذا المعنى من قول العتابي:

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مَنْ فَوْق أَرْؤُسِهمْ   سَقْفًا كَوَاكِبُهُ البِيضُ الْبَوَاتيرُ

وأخذه العتابي من قول الأول:

وأرْعَنَ فيهِ لِلسَّوَابِغِ لُجَّةٌ   وَسَقفُ سماءِ أَنْشَأَتْهُ الْحوافرُ

[الأرعن: الجيش. والسابغ: الدروع.]

(١٣٣) خوافق: مضطربة. والمنية: الموت. والمنى: جمع منية؛ ما يتمناه الإنسان من الخير. يقول: أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب، والناس بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو، ومقتول قد لقي منيته، وقاتل قد أدرك أمنيته: أي فإن كنت في هذه الحال مطاعًا فما ظنك بغيرها؟

(١٣٤) الظبا: جمع ظبة؛ حد السيف، والمراد: السيف نفسه. والسنا: الضوء. يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره، يقول: عجبت من كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعجزت عن العجب، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري، فرجع وهو حسير، فلم أتمكن من الرؤية. قالوا: وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّها   عَجَائبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١٣٥) يقول: إني أراك عسكرًا في عسكر المكارم؛ أي أنت في نفسك عسكر وحولك عسكر آخر من المكارم. وأراك معدنًا من المعالي: أي أصلًا لها، فهي تؤخذ منك.

(١٣٦) فطِن للشيء: بكسر الطاء وفتحها، يقول — كما قال الواحدي: إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفًا من أن تعلم فتعاتبني عليه؛ أي فلست في حاجة إلى وشاية الواشين، وكان قد وشي به إليه، وكأنه قد اعترف بتقصيره — كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال اليازجي: إن فؤادي لم يغفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير في خدمتك وما أهملته من المسير معك؛ لأني كنت خائفًا أن تفطن له

فتعاتبني عليه؛ يعني أني لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوشَ به إليك. فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبي، وليس بشيء.

(١٣٧) عليه: أي على ما فعلته، والضمير في «منه» يعود على الفراق. يقول: صار فراقك عقوبة لي على ما فعلته مما كرهته، أي فحسبي هذا عقوبة.

(١٣٨) فاغفر: أي فاغفر لي — أي ذنبي أو تقصيري — وفدًى: خبر عن محذوف أي أنا فدًى لك. وحباه: أعطاه، والحِباء — بكسر الحاء — العطاء. ومن بعدها: أي من بعد هذه المرة، أو من بعد المغفرة. ومنها: خبر مقدم عن الضمير بعده، والجملة: صفة لعطية. يقول: فاغفر لي هذا الذنب الذي فرط مني فدًى لك نفسي، وأعطني بعد المغفرة لأكون مخصوصًا بعطيه منها نفسي: يعني إذا عفوت عني وأعطيتني كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جملته؛ لأنه إذا عفا فقد وهبه نفسه.

(١٣٩) الضلة: الضلال. قال الواحدي: كان الأعور بن كروس قد وشى به إلى بدر بن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي. يقول: أشار عليك بهجراني وحرماني، وهذا ضلال؛ لأني لا أستحق ذلك. وقال ابن جني: ضلة: أي إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فيَّ ضللت، يهدده الهجاء، وعنى بالحر: نفسه، وبأولاد الزنا: الوشاة، وهذا تعريض بابن كروس. هذا، والأصل في هذا المعنى قول مروان بن أبي حفصة:

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَل ذُو الفضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

وقال أبو تمام:

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يُوسُفٍ وَذُو النَّقْصِ في الدُّنْيَا بِذِي الفضلِ مُولَعُ

(١٤٠) اللذعنا: يريد الذي عناه، يعني أنه عرض بذكر أولاد الزنا، وقد فهم هذا التعريض من عناه به، فهو يأخذه لنفسه.

(١٤١) السفيه: الذي لا عقل له ولا رأي، وأصله الذي لا يعرف أن يدبر أمره، والأصل فيه: الخفة، وتسفهت الريح الغصون: حركتها واستخفتها، قال ذو الرمة:

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّت رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرياحِ النوَاسِمِ

وتسفهت الريح الشجر: أي مالت به، وناقة سفيهة الزمام إذا كانت خفيفة السير، ومنه قول ذي الرمة يصف سيفًا:

وَأَبْيَضَ مَوْشِيِّ القَمِيصِ نَصَبْتَهُ عَلَى ظَهرِ مِقْلَاتٍ سَفيهٍ جديلُها

[يعني خفيف زمامها، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها، والمقلات: التي تلد واحدًا ثم تقلت رحمها فلا تحمل]، وتسفهت فلانًا عن ماله: إذا خدعته عنه. وعنى بالسفهاء: السعاة والوشاة الذين وشوا به. يقول: كيدهم يعود عليهم بالشر، ثم قال: وإذا عودي الشاعر ألحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقًا به بقاء الدهر، وهذا تهديد بالهجاء.

(١٤٢) الضيفن: الذي يتبع الضيف، ونونه زائدة، وهو فعلن، إذا أخذ من الضيافة، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير اللحم — فوزنه فيعل، قال الشاعر:

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيف ضَيْفَنٌ فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضيَافِنُ

الضيافن: فاعل أودى. وبما تقرى الضيوف: أي بما تقراه الضيوف». يقول: إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة. لما تجر وراءها من الندامة، فهي كضيف يليه ضيف من الندامة. والأصل في هذا ما جاء في بعض الآثار: «الجليس السوء كصاحب الكير — أي الحداد — إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه، والجليس الصالح كالداري — يعني العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه.»

(١٤٣) الرزء: المصيبة. يقول: إذا كنت راضيًا عني لم أكترث بعد ذلك لغضب الحسود؛ لأنه يكون في هذه الحالة من أهون الأرزاء عليَّ فهو رزء لو كان مما يوزن لم يستحق أن يوزن لخفته.

(١٤٤) من غيرنا: حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا: متعلق بمؤمنًا. ومؤمنًا: خبر أمسى — الأولى — يقول: من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنًا معنا بفضلك؛ أي أن من يخالفنا في الإيمان بالله يوافقنا في الإقرار بفضلك.

(١٤٥) الغزالة: اسم الشمس. يقول: جعلك الله عوضًا من الشمس للبلاد وأهلها عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا. هذا، وقد قال ابن جني: إن سيبويه لا يجيز تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر في مثل قولك: ما فعل الرجل الذي أعطاهك زيد — على معنى الذي أعطاه إياك — فتأتي بالضمير المنفصل وتدع المتصل، وأبو العباس

يجيزه، فالصواب عند سيبويه: فأعاضها إياك، ولكن الشعر موقف ضرورة، فيجوز فيه ما لا يجوز في غيره. قال العكبري: والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب والغائب فالواجب تقديم ضمير المخاطب، فكان الواجب: فأعاضكها الله. ويقال: عاضه وأعاضه وعوضه.

(١٤٦) قوله: والحديث شجون: جملة معترضة بين اسم «إن» وخبرها كقول القائل:

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلِ

(من أبيات لرجل من بني دارم أَسِرته بنو عجل فلما أنشدهم إياها أطلقوه، وقبله:

وقَـائِلَـةٍ مَـا بَـالُـهُ لَا يَـزُورُنَـا وقد كنْتُ عن تلْكَ الزِّيَارَة في شُغْلِ

وبعده:

لَـعَـلَّـهُـمُ أنْ يُـمـطـرونِـي بِـنِـعْـمَـةٍ كما صَاب ماء الْمُزْنِ فِي البلد الْمَحْلِ
فَقَد يُنْعِشُ اللهُ الْفَتَى بَعْدَ عَثْرَةٍ وَتَصْطَنِعُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَني عَجْلِ)

وقولهم: الحديث شجون: مثل، معناه الحديث ذو شجون؛ أي ذو فنون وطرائق مشتبكة مختلطة. يقول: إنك الرجل الذي لم يكوِّن الله مثله ولم يخلقه. قال الواحدي: وأشار بقوله «والحديث شجون» إلى أن تحت قوله: «من لم يكن لمثاله تكوين» معاني كثيرة لا تحصى.

(١٤٧) اللام في «لعظمت» رابطة لقسم مضمر، على تقدير «قد» بعدها: أي لقد عظمت. وجبرين: لغة في جبريل، كما يقال في إسماعيل: إسمعين، وفي إسرائيل: إسرائين. يقول: لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن بتأديتها جبريل الأمين على وحي الله وكتبه إلى أنبيائه. قال الواحدي: وهذا إفراط وتجاوز حد يدل على قلة دين وسخافة عقل.

(١٤٨) البرية: الخلق. وخاليًا: حال، وقد أجرى «فوق، ودون» مجرى الأسماء، فأعربهما إعرابها. يقول: إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها بعضًا، فإذا حضرت بينهم استووا كلهم في التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلاهم دونك.

(١٤٩) الأغراض: جمع غرض، وهو الهدف يرمى بالسهم. والضمير في «أخلاهم» للناس. يقول: إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالمحن، فلا يزالون محزونين لبعد هممهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بما دقَّ وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها، وإنما يخلو من الحزن من كان خاليًا من الفطنة، وحاصل المعنى: أن الزمان إنما يقصد بشره الأفضل، قال حكيم: على قدر الهمم تكون الهموم، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهمومًا، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا. وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبع العدواني:

أَطَافَ بِنَا رَيْبُ الزَّمَانِ فَدَاسنا   لَهُ طَائِفٌ بالصَّالِحِينَ بَصِيرُ

ويقول البحتري:

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوائِبِ كَيفَ تَسْمُو   إلى أَهْلِ النَوافِلِ وَالفُضُولِ

(١٥٠) الجيل: ضرب من الناس. وسواسية: يعني متساوين في الشر واللؤم، ولا يقال في الخير. وشر: تفضيل بمعنى أشر. والمراد بالحر هنا: الكريم — ضد اللئيم — يقول: نحن في جيل من الناس قد تساووا في الشر دون الخير، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه.

(١٥١) خلق: جمع خلقة، وهي الصورة التي يخلق عليها الشيء، أراد بها الأشباح والأشخاص، ويروى: حلق — بالحاء — جمع حلقة، وهي القوم يجتمعون مستديرين، وهو معلوم أن «من» يستفهم بها عمن يعقل، و«ما» عما لا يعقل، تقول للجماعة من الناس: من أنتم؟ وتقول: ما هذه القطعة أغنم هي أم إبل أم خيل؟ يقول: حولي من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل: ما أنتم؟ ولا تقل: من أنتم؟ وإلا عدوت الصواب. قالوا: وفي البيت نظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

(١٥٢) تقول: قروت البلاد واسقريتها: إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر: الاسم، من قولهم: غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة. ومضطغن: ذو ضغن وحقد. يقول: لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء، ولا أمر بأحد لا يكون له علي حقد. يعني أنهم جهال أعداء لذوي الفضل والعلم، فلجهلهم وفضلي يعادونني.

(١٥٣) الأملاك: جمع ملك. كجمل وأجمال. والوثن: الصنم. يقول: لا أخالط أحدًا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل، مثله مثل الصنم الذي لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان. ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال، يقول: هو أحق بالإذلال من الصنم. وإنما خص الصنم؛ لأنه أراد أنهم — أي الملوك — صور لا معنى وراءها كالأصنام التي يفتن بها أقوام يعبدونها وهي تماثيل لا معنى وراءها.

(١٥٤) التعنيف: التعيير واللوم، والعائد على الموصول: محذوف؛ أي مما أعنفهم عليه، و«حتى» ابتدائية، وأنِي: بمعنى أفتر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾، ومنه: الأناة من النساء، وهي التي فيها فتور عند القيام وتأنٍ، قال أبو حية النميري:

رَمَتْهُ أَنَاةٌ مِنْ رَبيعَةِ عَامِرٍ نَئُومُ الضُّحَى في مأْتمٍ أيِّ مأْتمِ

(قال الجوهري: المأتم عند العرب: النساء يجتمعن في الخير والشر، وأنشد هذا البيت، ثم قال: فهذا لا محالة مقام فرح.)

يقول: إني أجعل لهم عذرًا فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسي باللوم، وأني — أي أقصر — في لومهم، أما عذرهم فهو أنهم جهال، والجاهل لا يلام على ترك المكارم والرغبة عن المعالي، وقد بين هذا في البيت التالي.

(١٥٥) الجهول: الكثير الجهل، والجهل: ضد العقل. والرسن: الحبل الذي تقاد به الدابة، قال ابن مقبل:

هَرِيتٌ قَصيرُ عِذَار اللِّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنْ

(هريت واسع الشدقين، ومنه يقال للخطيب من الرجال: أهرت الشقشقة. وقصير عذار اللجام: يريد أن مشق شدقيه مستطيل، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام، ولم يصفه بقصر الخد وإنما وصفه بطوله، بدليل قوله: طويل عذار الرسن.)

يقول: إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له، وأول ما يحتاج إليه الإنسان العقل الذي به يعقل، ثم يتأدب بعد ذلك، فإذا لم يكن عاقلًا لم يحتج إلى أدب، كالحمار ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن.

(١٥٦) الواو: واو «رب». والمدقع: الذي لا شيء له، من دقع — بالكسر — إذا لصق بالتراب، والدقعاء: التراب، وفيه معنى الخضوع، والسبروت: الأرض لا نبات فيها، ومنها

سمي الرجل المعدم سبروت، ويقال للقبر: سبروت من ثم. والحلل: جمع حلة، وقالوا: الحلة رداء وقميص، وتمامها: العمامة. والدرن: الوسخ والقذر. يقول: رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ والقذر صحبتهم.

(١٥٧) خراب: جمع خارب وهو الذي يسرق الإبل خاصة، ثم سمي به كل لص. وغرثى: جمع غرثان، وهو الجوعان. وغرثى: خبر مقدم، وبطونهم: مبتدأ مؤخر. ومكن الضِّباب: بيضها، جمع مكنة، والضِّباب: جمع ضب؛ الدويبة المعروفة. يقول: هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب، يحصلون عليه بلا ثمن.

(١٥٨) طاش السهم: خرج عن صوب الرمية ولم يصب. والظنن: جمع ظنة، وهي ما تظنه بالإنسان من سوء. يقول: يسألونني عن خبري فلا أخبرهم وأكتمهم أمري وهم لا تخطئ ظنونهم بأني أنا المتنبي الذي سمعوا به، ولكني أكتم خبري عنهم خوفًا من غائلتهم.

(١٥٩) أتقيه: رواها بعضهم: «ألتقيه». والخلة: الخصلة المحمودة والمذمومة. ويرى: يُظن. والوهن: الضعف. يقول: رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسي — أي أتخلق بمثلها — حتى يظنني مثله في ضعف الرأي، كما قال الآخر:

أُحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ: سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

يريد المتنبي أنه يخفي نفسه وفضله خوفًا من الحسد.

(١٦٠) خفت أعربها: أي خفت أن أعربها، وقد تقدم لذلك نظائر، وأصل الإعراب: التبيين، ومنه الأثر: «والثيب تعرب عن نفسها.» وأصل معنى اللحن: العدول عن الظاهر إما خطأ وإما إلغازًا وفطنة، ويسمى الفطن لحنًا، ومنه الحديث: «ولعل بعضكم ألحن بحجته»؛ أي أفطن لها، والمراد هنا: الخطأ. يقول: رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى إلي ولا يطلع على أنني المتنبي فلم أقدر على ذلك. يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر أن يحيد عنها إلى اللحن.

(١٦١) النازلة: الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان، ومراده بالمركب الخشن ما يركبه من الأمور الشاقة، يقول: صبري جعل كل حادثة تلم بساحتي سهلة هينة، وعزمي ألان المركب الخشن. يريد لا أشتكي النوازل، بل أصبر عليها، ولا أستخشن الخطوب الصعبة لقوة عزمي إذا عزمت.

(١٦٢) العلا: جمع العليا، وهي في الأصل اسم للمكان العالي، ثم استعملت بمعنى الرفعة والشرف. والقتلة: المرة من القتل. يقول: كم من خلاص وعلو لمن خاض المهالك وكم من قتل مع الذم للجبان! يعني أنه كثيرًا ما يتخلص خائض المهالك المقدم عليها مع ما يكسب من الرفعة، وكثيرًا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار.

(١٦٣) المضيم: المظلوم. والبزة: اللباس. وراقه الشيء: أعجبه. والدفين: المدفون، وأراد بحسن البزة: اليسر وسعة الرزق. يقول: لا ينبغي للمظلوم أن يسر بسعة رزقه — التي من آثارها حسن البزة — مع ما هو فيه من الذل، فإنه مثل الميت الذي دفن، والميت لا يسر بحسن كفنه. شبه المظلوم الذي لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت، وجعل ثوبه الحسن كالكفن.

(١٦٤) يقال عند التعجب من شيء: لله هو. والإخلاف: ضد الإنجاز. وأقتضي: أطالب. وكونها: أي حصولها، مفعول ثانٍ لأقتضي، ودهري: مفعول أول؛ أي أطالب دهري بحصولها. ومطله حقه: سوفه ولم يقضه. يقول: إنه يرجي أن يصل إلى حالٍ ترضيه، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها، ويطالب دهره بحصولها فيماطله في تبليغه إياها. وعبارة الواحدي: المعنى ها هنا أن القادر على تمكيني من هذه الحال التي أرجو بلوغها وهي تخلفني؛ أي لا تصل إليَّ ولا تنجز وعدي وأسأل دهري حصولها وهو يمطلني — هو الله تعالى.

(١٦٥) الحصن: جمع حصان، وهو الذكر الفحل من الخيل. يقول: مدحت قومًا لا يستحقون المدح — لشحهم وجهلهم — ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور. جعل الخيل قصائد بدل القصائد التي مدحهم بها.

(١٦٦) تحت العجاج: خبر مقدم، وقوافيها: مبتدأ مؤخر. ومضمرة: حال. والعجاج: الغبار. والمضمرة من الخيل: المعدة للسباق. يقول: قوافي هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج، وليست من القوافي التي إذا أنشدت دخلت الآذان. قال العكبري: وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل، وكذلك القوافي في الشعر إذا جادت جاد الشعر، قال ابن الأعرابي: استجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر.

(١٦٧) مدفوعًا: حال، وكذلك مغرورًا. والجدر: جمع جدار، وهو الحائط. والدخن: الفساد والغش والعداوة في القلب، ومنه الحديث: «هدنة على دخن.» ومثله: الدخل. يقول: لست ممن يعتصم في الحرب بالأبنية والجدر، ولا أصالح أعدائي إذا أغروني ونافقوني؛ أي لا أصالحهم إلا على بذل الرضا. و«مدفوعًا»: رواه ابن جني: مرفوعًا؛ أي يرفع إلى الجدر فيحارب عليها.

(١٦٨) مخيم: خبر عن محذوف: أي أنا؟ والجمع: الجيش، وهو فاعل التخييم في المعنى. والبيداء: الصحراء. وصهرت الشمس دماغه: أذابته. والهواجر: جمع هاجرة وهي منتصف النهار. والصم: الشداد. وهذا البيت تأكيد لما ذكره في البيت السابق. يقول: إن عساكره قد نصبوا خيامهم في الصحراء يذيبهم حر الهواجر في فتن صم — شديدة — قال الواحدي: ويجوز أن تقول في فتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التي لا تجيب الراقي.

(١٦٩) الألى: الذين. وبادوا. هلكوا. والخصيبي: هو الممدوح، نسبة إلى جده. يقول: إن الكرام الذي بادوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدوح: أي ورثوه إياها وفوضوها إلى عهدته، فهي عنده بجانب فروض الدين وسننه، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه. وعبارة الواحدي: فهو يستعملها — أي المكارم — عندما يلزمه كالفريضة، وعندما لا يلزمه كالسنة، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه.

(١٧٠) الحجر — في الأصل — المنع، وحجر القاضي على فلان: منعه من التصرف، وفلان في حجر فلان: أي في كنفه. وبدا — ملين من المهموز — أي بدأ. والمنن: جمع منة وهي النعمة. يقول: لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها في حجره يربيها ويكفلهم في جملة اليتامى الذين يكفلهم، فكان كلما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التي هي من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم. قال الواحدي: وإنما ذكر اليتامى؛ لأنه يمدح قاضيًا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام. وذهب ابن فورجه في معنى هذا البيت والذي قبله مذهبًا غير الذي ذكرنا، قال: يعني أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء، فلما هلكوا كفلوها هذا الممدوح؛ لأنه قاض، والقضاة تكفل اليتامى، فجعلوه كفيلها، فهو يربيها مع سائر الأيتام، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام، وهذا معنى قوله: «كلما عرضت له اليتامى بدا بالمجد والمنن» أراد بدأ بالمكارم، فأقام «المجد والمنن» مقامها؛ لأنهما في معناها.

(١٧١) عنَّ: ظهر. يقول: هو قاضٍ ذكي فطن ألمعي إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا ممتزجين امتزاج الماء باللبن:

(١٧٢) شباب غض: أي ناعم ناضر. والوسن: النوم. قال الواحدي: قوله: «بعيد فجر ليلته» فيه وجهان؛ أحدهما: أن ليلته طويلة لسهره فيما يكسبه من الدين والعلم، وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات، والثاني: أنه أراد بالفجر: بياض الشيب، وبالليل: سواد الشباب، والمعنى: أن بياض الشيب بعيد عنه؛ لأنه شاب غض الشباب. وقوله:

«مجانب العين للفحشاء والوسن»: أي أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل، وعن النوم أيضًا لطول سهره.

(١٧٣) نشح الشارب نشحًا: إذا شرب شربًا قليلًا دون الري. (أول الشرب: النشح، ثم التغمير، ثم الري، ثم النقع والتحبيب، ثم اليغر؛ وهو عطش يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت.) قال ذو الرمة يصف الوحش:

فَانْصَاعَتِ الْحُقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَـدْ نَـشَـحْـنَ فـلا رِيٌّ وَلَا هِـيـمُ

(الحقب: الدهر، وقيل: السنة. وانصاعت: فرت. وقصع العطشان غلته بالماء: إذا سكنها. والصرائر: جمع صارة؛ أي العطش، وهذا الجمع نادر. والهيم: الإبل العطاش: أي ولا هي هيم.) والطعم: الطعام. يقول: لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذي يقيم به جسمه، وليس يشرب للري ولا يأكل للسمن، شأنه في ذلك شأن الحكماء الزهاد. قال حكيم: الناس يحبون الحياة ليأكلوا، وأنا آكل لأحيا.

(١٧٤) لك أن تنصب «الصدق» على المفعولية، وأن تجره على الإضافة تشبيهًا بالحسن الوجه. والضمير من «فيه» للصدق. والسر: ما يسره الإنسان، والعلن: ضده. يقول: هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه، ولا يضمر خلاف ما يظهر رئاء الناس وإنما سره وعلنه سواء.

(١٧٥) فصل الحكم: قضاه وقطع به. وعيي بالأمر: إذا عجز عنه. والساهي: الغافل. والذهن: الفطن الذكي. يقول: هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذي عجز عنه السابقون، ويظهر حق الخصم الغبي على الخصم الذكي.

(١٧٦) جدي الخصيب: مبتدأ وخبر، والجملة: مقول القول. و«عرفنا»: جواب «لو». يقول: إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب، حتى لو لم يقل: جدي فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه، كما يستدل بالغصن على الأصل. وهذا المعنى من قول بعضهم:

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنِ امْرِئٍ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إلى مَا يَصْنَعُ

ومثله قول أبي تمام:

فُـرُوعٌ لا تَـرِفُّ عَـلَـيْـكَ إِلَّا   شَهِدْتَ بها على طِيبِ الْأُرُومِ

(رف النبات: اهتز نضارة. والأروم — بفتح الهمزة — الأصل، وبضم الهمزة: جمع.)

(١٧٧) العارض: السحاب المعترض في الأفق. والهتن: الكثير الصب، مثل الهطل. يقول: هو جواد ابن آباء أجواد. هذا، وقد عيب لفظ «هتن» على المتنبي؛ لأنه يقال: سحاب هاتن ولا يقال هتن، ولكن جاء به قياسًا على «هطل» وهو من النوادر. وقال العكبري: وقد عاب قوم أيضًا هذا البيت على المتنبي وقالوا: من العي تكرار اللفظ، قال: فسمعت شيخي أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزري يقول: إن كان هذا عيبًا فحديث النبي ﷺ أصله فقد قال صلوات الله عليه: «يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.» وإنما تُكرر الألفاظ لشرف الآباء.

(١٧٨) المغار: الحبل المحكم الفتل. والقرن: الحبل يقرن به البعيران. ومن مغار: في موضع حال من قرن مقدمة، وفي قرن: في موضع المفعول الثاني لصيرت. يمدحهم بكثرة التجارب والعلم بالدنيا، يقول: إن آباءه قد أحاطوا علمًا بأحوال الدنيا — ماضيها وغابرها — حتى كأن وصلوا أولها بآخرها. وقال ابن جني: هذا مثل ضربه، يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع، فيكون تقدير أول الدنيا: أول أحكام الدنيا؛ أي الأحكام التي تكون في الدنيا وتجري فيها، والمعنى أن آباءه كانوا علماء. وقال ابن فورجه: مدحهم برواية الحديث، يعني أنها ضابطون للأيام عارفون بالأخبار. وما ذكرناه أولًا هو الأظهر، يدل عليه البيت التالي.

(١٧٩) هذا تأكيد لما في البيت السابق. و«كان» هنا تامة، بمعنى الحدوث والوقوع، ومن ثم تكتفي بالفاعل. يقول: إنهم — لعلمهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شئون الأزمنة المتقدمة، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه، أو كأن فهمهم كان موجودًا في الأيام التي لم يكن موجودًا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام.

(١٨٠) يقال: خطر الرجل يخطر: إذا مشى متبخترًا. والجنن: جمع جنة، وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه. يقول: يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من المحامد ما يقي أعراضهم من الذم أكثر مما يقي السلاح. هذا، ونصب «الخاطرين» بمضمر: أي أذكر، أو أمدح، ونحو ذلك.

(١٨١) الغضن: تكسر الجلد. يقول: إنه يقبل على الزائرين إقبالًا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبسط وجوههم، والمسرور يكون بشًّا طلقًا، والمحزون يكون منزوي جلدة الوجه.

(١٨٢) يقول: إن عطاياه عمَّت القريب والبعيد فهي تسافر وتصل إلى من نأى عنه، فكأنها تؤخذ من راحتيه في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره، والحاصل: أن ماله يقرب من القاصي قربه من الداني. قال الشراح: وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد، فإقليم الروم هو القريب منه، واليمن هو البعيد عنه؛ ليطابق بين القرب والبعد، وإن عطاءه يعم القريب والبعيد.

(١٨٣) المزن: جمع مزنة؛ السحابة البيضاء أو ذات الماء. اللثق: الوحل الذي يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب. يقول: لم نفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذي يكون من مائه، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لعواصف الرياح، يعني أن الممدوح سحاب وبحر، ولكن نفعه خالص لا يشوبه ما يكدره. قال العكبري: وقوله: بك. بمعنى «فيك». وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض.

(١٨٤) يقول: ولم نفقد بوجودك من الأسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره، ولا من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن؛ يعني أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك، وجميع المقابح منفية عنك.

(١٨٥) الاحتباء: أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بحمائل سيفه أو نحو ذلك، وقد يحتبي بيديه، والاسم: الحِبوة، والحُبوة. والحبوة: الثوب الذي يحتبى به، وجمعها حِبى — مكسور الأول — وحُبى، قال ابن السكيت في «إصلاحه»: ويروى بيت الفرزدق:

وما حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبَى حُلَمائنا ولا قائلُ المعروفِ فينا يُعَنَّفُ

بالوجهين جميعًا، فمن كَسَر كان مثل سِدْرة وسِدَرٍ، ومن ضم فمثل غُرْفَةٍ وغُرَف، وتحبى مثل احتبى، قال ساعدة بن جؤية:

أَرْيُ الْجَوَارِسِ في ذُؤَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النُّسُورُ كَمَا تَحبَّى الْمَوْكِبُ

(الأري: العسل. وجرست النحل الشجر للعسل: إذا أكلته، ومنه قيل للنحل: جوارس، وفيه النسور ... إلخ. يقول: استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون. وفي ذؤابة مشرف:

أي في أعلى الجبل.)

والأوتار: جمع وتر، وهو الثأر. والهدن: جمع هدنة، وهي السكون بين المتحاربين. يقول: مذ جلست محتبيًا للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حتى كأن أصحاب الأحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم، وذلك بعدلك وحسن سيرتك فيهم.

(١٨٦) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل. وقرعت: من قرع الرأس، وهو ذهاب شعره. و«لا» عاملة عمل «ليس». والقنن: جمع قنة، وهي أعلى موضع في الجبل. يقول: لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلمًا — مع بعدها من التمييز — فخضعت هيبة لك، وجعل الخضوع سجودًا لما بينهما من الملابسة. وبالغ في السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء.

(١٨٧) الصنع: الصانع الحاذق. والمهن: جمع مهنة، وهي الخدمة والتبذل في التصرف. يقول: خلت الأسواق من الصناع حتى عطلوها استغناء بعطائك عما كانوا يعملون، يعني أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل، واستغنى به الفقير عن خدمة الناس.

(١٨٨) يقول: هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها.

(١٨٩) هيبة: تروى: همة. والمنن: جمع منة — بضم الميم — وهي القوة. يقول: لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يؤتها أحد، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها.

(١٩٠) أوم: أصلها أومئ، حذفت الهمزة، وتروى: وأومئ، ويصح بها الوزن. و«قدست» دعاء. وجبل: تمييز، و«من» زائدة. وحضن: جبل بنجد. ومنه المثل: أتجد من رأى حضنًا، يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد نجد ولا قريبًا منها. يقول: مر من شئت وأومئ — أشر — فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزانته.

(١٩١) البين: البعد والفراق، ومنا: حال من «الأجفان» مقدمة عليها. والبين: مفعول ثانٍ «لعلم» مقدم. وأجفانًا: مفعول أول، وتدمى: صفة لـ «أجفانًا» كأنه قال: أجفانًا دامية، وقال التبريزي: أراد أن تدمى، «فحذف» أن. يقول: إن فراق الأحبة علم أجفاننا الدامية — من طول البكاء — أن يبتعد بعضها عن بعض؛ كنى به عن إدامة السهر، كما قال:

وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ والْوَسَنِ

وجعل الفراق يؤلف الحزن إغرابًا في الصنعة، مثله:

تَصَارَمَتِ الأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتِنِي فَمَا تَلْتَقِي إلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١٩٢) ضمير «ساروا» للأحبة، وإن لم يتقدم لهم ذكر، لدلالة المقام. والمعصم: موضع السوار. ويلبث: يقيم. والحي: القوم النازلون والظاعنون. يقول: رجوت وتمنيت عند رحيل الأحبة أن تكشف معصمها — أي تظهره — عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن المسير فأتزود من إقامتها.

(١٩٣) تاه يتيه ويتوه: ضل وتحير، وأتاهه غيره: أضله وحيره. والصون: الحفظ. وعقولهم: مفعول «صان». يقول: لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها، ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها، يعني أنها صانت نفسها عن البروز والظهور، وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها. ولحظ: مصدر يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول: أي لو لحظوها لطارت عقولهم، أو لحظتهم لأخذت عقولهم.

(١٩٤) الباء: للتعدية. والواخدات: المسرعات. يريد: الإبل، وأصل الوخد: للنعام واستعمل في سير الإبل، وخد البعير يخدو وخدًا ووخدانًا، وهو أن يرمي بقوائمه مثل مشي النعام. والحادي: الذي يسوق الإبل بالغناء. والخدر: خدر المرأة، ما يكنها ويسترها. وخشيانًا: خائفًا. يقول: يفدي بالإبل الواخدة — المسرعة — في السفر وبحاديها وبنفسي قمر يظل في خدره خائفًا مذعورًا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر. وخشيانًا: يروى «حشيانا» — من الحشى، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه، قال الشماخ:

تُلَاعِبُنِي إذَا ما شِئْتُ خَوْدٌ عَلَى الأنماطِ ذَاتُ حَشًى قَطيعِ

(خود: نعت لبهكنة في قوله:

ولوْ أنِّي أشاءُ كننتُ نفسي إلَى بيضاءَ بهكنة شموع

والبهكنة: التارة الغضة، والشموع: اللعوب الضحوك.)

(أي ذات نفس متقطع من سمنها. وقطيع: نعت لحشى، والأنماط: جمع نمط؛ ضرب من البسط له خمل رقيق.) وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ خرج من بيتها ومضى إلى البقيع، فتبعته — تظن أنه دخل بعض حجر نسائه — فلما أحس سوادها قصد قصدها، فعدت، فعدا على أثرها، فلم يدركها إلا وهي في جوف حجرتها، فدنا منها — وقد وقع عليها البهر والربو — فقال لها: ما لي أراك حشيا رابية»؛ أي ما لك قد وقع عليك الحشى؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذي يعرض للمسرع في مشيته والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره. يقول المتنبي: إن وخدها يزعجه لشدة ترفه فيتتابع نفسه. قال العكبري: وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبي الطيب لفظة «حشيان»، وقال: لم أسمعها، وكأنه لم يسمع قول الآخر — هو أبو جندب الهذلي:

فَنَهْنَهتُ أُولَى الْقَوْمِ عَنْهُم بِضَرْبَةٍ ... تَنَفَّسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانَ مُحْجَرِ

(١٩٥) نضا عنه الثوب: خلعه وألقاه. ويكسا: بمعنى يكتسي، يقال: كسوته ثوبًا أكسوه، وكسا يَكسا فهو كاسٍ: إذا اكتسى. يقول: إذا خلع الثياب عريت من محاسنه؛ لأنه يزين الثياب بحسنه، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوًّا بالحسن.

(١٩٦) الأعكان: الأطواء في بطن الجارية من السمن، وهي جمع عكن، جمع عكنة، وتعكن بطن الجارية. يقول: إن المسك يحبه كالمستهام به، ويلتف عليه حتى يصير المسك أعكانًا على أعكان بطنه.

(١٩٧) يقول: كنت أشفق — أخاف — على عيني من البكاء، أما وقد افترقنا فقد هان علي كل عزيز لبعدكم، يعني أن يهون عليه فقد البصر في البكاء على فراقهم، وهذا منقول من قول أبي نواس في الأمين:

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لي شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ

وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِري ... فَعَلَيْكَ يَبْكِي النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

(١٩٨) البوارق: السحاب ذوات البرق. والأخلاف: الضروع، واستعار للمياه أخلافًا؛ لأنها تغذو النبات كما تغذو الأم بالإرضاع ولدها. يقول: إذا برقت السحائب بشرتكم بالفطر — المطر — فهي تهدي إليكم الماء وتنبت لكم الكلأ، وتهدي للمحب نيرانًا، أي تذكي نيران شوقي؛ لأنها تلمع من جانبكم الذي ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوقي.

(١٩٩) قدمت — بفتح الدال — تقدمت، وبكسرها: وردت. وشيعني: تبعني. وأسلاكم مثل أسلوكم. يقول: قلبي يتبعني ويطيعني في كل هول إلا على السلو، فإنه لا يطيعني وإنما يخونني. وفيه نظر إلى قول البحتري:

أَحْنُو عَلَيْكِ وَفِي فُؤَادِي لَوْعَةٌ وَأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وُدِّي مُقْبِلُ
وَإِذَا طَلَبْتُ وِصَالَ غَيْرِكِ رَدَّني وَلَهٌ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَكِ أَوَّلُ

(٢٠٠) الصفح: الإعراض. والإهوان: الإهانة، أخرجه على الأصل للضرورة، كما قال الآخر:

صَدَدْتَ فَأَطْوَلْتَ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصدود يَدُوم

(يريد: فأطلت فجاء به على الأصل.) يقول: إذا ظهرت لمن يذكرني بالسوء في غيبتي عظمني وخضع لي، وأنا أعرض عن عتابه إعراضًا عنه واحتقارًا له؛ لأنه لا يقدر أن ينظر إليَّ في حضرتي.

(٢٠١) يقول: وكنت وأنا في وطني وبين أهلي غريبًا قليل المرافق والمساعد. ثم قال: وكذلك النفيس العزيز غريب حيث كان، ولو في وطنه وبين أهله؛ لأن هذه الغربة إنما هي لفقد النظير، لا لفقد النسيب. قال أبو تمام:

غَرَّبَتْهُ الْعُلَا عَلَى كَثْرَة الأهـْ لِ فَأَضْحَى فِي الأَقْرَبِينَ جَنِيبا
فَلْيَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرْ وَمُقيمًا بَهَا لمَاتَ غَرِيبَا

(٢٠٢) محسد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا محسد الفضل. والمحسد: من يحسد كثيرًا. والكمي: البطل المستتر بسلاحه. وحان حينه: قرب أجله. يقول: أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب علي إذا قمت وخرجت من مشهد ومجمع، والشجاع إذا حان حينه

لقيني في المعركة. فقوله: مكذوب على أثري: أي يكذب علي أعدائي على أثري وخلفي ووقت خروجي من محفل، وهو من قول البرج التغلبي:

يَغْتَابُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاقَيْنَا اقْشَعَرْ

وقال سويد بن أبي كاهل:

وَيُـحَـيِّـينِـي إِذَا لَاقَـيْـتُـهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ

(٢٠٣) اشرأب إلى الشيء: تطلع نحوه. ومن كلمة لعائشة رضي الله عنها: «اشرأب النفاق وارتدت العرب.» قال أبو عبيد: اشرأب: ارتفع وعلا وكل رافع رأسه مشرئب، وأنشد لذي الرمة يصف الظبية ورفعه رأسها:

ذَكَرْتُكِ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ

وحسران: فعلان من الحسرة، يقول: لا أتطلع إلى ما لم يفت من الدنيا، ولا أتحسر على ما فات؛ أي لا أبالي بالدنيا، فلا أتطلع إلى شيء، ولا أتحسر على شيء، وفيه نظر إلى قول الآخر:

إِنَّ الْغَنِيَّ الَّذِي يَرْضَى بِعِيشَتِهِ لَا مَنْ يَظَلُّ عَلَى مَا فَاتَ مُكْتَئِبَا

(٢٠٤) الحميد: المحمود. يقول: لا أسر بالشيء الذي آخذه من غيري؛ لأنه هو المحمود على إعطائه، ونفسي تأبى ذلك، ولو ملأت الدهر لي عطايا.

(٢٠٥) الركاب: الإبل. وقلقلن: حركن. والكيران: جمع كور، وهو رحل الجمل. يقول: لا أقصد أحدًا ما حييت وما حركت ركابي أكوارها، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأنتجع إليه. قال العكبري: هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة، بل يشهد له آخر الشعر.

(٢٠٦) بعرانا: جمع بعير، وهو حال من «الناس». يريد بالناس: جماعة بأعيانهم كما يدل على ذلك البيت التالي. قال الواحدي: يقول: لو قدرت لأظهرت ما وراء ظواهرهم من المعاني البهيمية، وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب، وإنما

كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم. قال الصاحب بن عباد ينقد المتنبي: أراد أن يزيد على الشعراء في ذكر المطايا، فأتى بأخزى الخزايا، قال: ومن الناس أمه، فهل ينشط لركوبها؟ وللممدوح أيضًا عصبة لا يحب أن يركبوا إليه. قال الواحدي: وليس الأمر على ما قال؛ لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يُخرج من جملتهم كثيرًا من الناس كما قال السري الرفاء:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا أَسِيرَ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ في السَّلَاسِلِ

لم يفضل السري أحدًا على رسول الله ﷺ وأصحابه بهذا البيت، وإن كان قد أكد بقوله حيًّا وميتًا، على أن المتنبي خصص في البيت التالي.

(٢٠٧) العيس: الإبل البيض. وعما: متعلق بعميانا، و«عميانًا» مفعول ثانٍ لرأيت، وفاعل يراه: ضمير الممدوح. يقول: الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه هذا الممدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتطي من الناس اللئام الذي عموا عن طريق الإحسان، فلم يروا منه ما رآه الممدوح.

(٢٠٨) الجواد: السخي الذي يجود بماله. والأقران: جمع قِرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب. يقول: لا يمكننا أن نصفه في جوده بصفة فوق الجواد وإن كان لفظ الجواد قليلًا عليه، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قرينًا ممن يقال لهم شجعان، يعني أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع، وإن قل أن يقال له: أنت الجواد وأنت الشجاع؛ إذ لا يكفي أن يوصف بما يوصف به غيره.

(٢٠٩) المعد: المهيئ الشيء لوقت الحاجة. وتقنو: أي تقتني — يقال: قنوت الشيء أقنوه قنوًا — وعزيت الرجل: سليته عن حزنه. يقول: إن ما يجمعه من المال ويقتنيه إنما يقتنيه للشعراء والوافدين، فلو أصيب بشيء من ذلك المال عزانا؛ لأن ذلك المال لنا وإن كان في يده.

(٢١٠) الأنمل: أطراف الأصابع. يقول: إن الزمان في يده وتحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إياها، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان، فكأنها زمان للزمان.

(٢١١) الوغى: الحرب. والقنا: الرماح. والنازلات: حوادث الدهر تنزل بالإنسان. ورحب الباع: واسع الصدر. وجذلانًا: فرحًا مستبشرًا. يقول: هو شجاع جلد يلقى الأمور الصعاب فرحًا مسرورًا.

(٢١٢) محتميًا: متوقدًا شديد الحرارة. والبشر: طلاقة الوجه وتهلله. والنشوان: السكران. يقول: لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران.

(٢١٣) الحبر: جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن. والقينات: جمع قينة وهي الجارية المغنية. ورفل في ثيابه يرفل: إذا أطالها وجرها متبخترًا. والأرسان: جمع رسن، وهو الحبل. يقول: إن جميع ما تنفقه هو من ماله، فما تلبسه الجواري وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده، وكذلك ما تجر خيلنا من الأرسان.

(٢١٤) عطشانًا: حال من «الهاء» في يبشره. يقول: من يبشره بالزوار والعفاة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطي من يبشره بالماء وهو عطشان، يعني: أنه يعطي القصاد، ويعطي الذي بشر بهم من قبلهم أيضًا؛ لشدة كرمه وارتياحه للبذل، ولعله ينظر إلى قول أبي تمام:

يُبَشِّرُهُ خُدَّامُهُ بِعُفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاء وَاشِلُهْ

«وشل الماء وشلًا فهو واشل: سال أو قطر. وجبل واشل: يقطر منه الماء. والوشل: الماء القليل والماء الكثير، فهو من الأضداد.»

(٢١٥) الضمير في «مثلهم» عائد على القوم. والغر: جمع الأغر، وهو السيد الشريف. وعدنانا: بدل من الغر. قال ابن جني: كان الممدوح من ولد الحسن بن علي عليهما السلام. والحسنى: ضد السوءى. وقالوا: المراد بها الجنة. يقول: كانت الحسنى جزاء لهم، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الغر. يعني أنهم خير قومهم، وقومهم خير عدنان، وهذا من قوله تعالى: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾.

(٢١٦) يقول: إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئًا منه فهو فيهم الآن كما كان قديمًا، وأصل التشييد والإشادة إحكام البناء ورفعه، فاستعير لرفع الصوت. يقال: أشاد بذكره؛ أي رفع من قدره وأشاعه، أفرد به الجوهري الخير، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال: أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعه. والسالف: واحد السلف، وهم الذين مضوا.

(٢١٧) قال الواحدي: هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذي قبله؛ يعني أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب، وليس يريد بقوله: لقوا، ملاقاة الأقران في القتال؛ لأنه ذكر الحرب بعده، إنما يريد ملاقاة الأقران في الخطابة والمكالمة.

(٢١٨) الخرصان: جمع خرص، وهو حلقة السنان، والمراد بها هنا: الأسنة نفسها. يقول: إن أسنتهم ماضية نافذة مضاء ألسنتهم في النطق، فكأن ألسنتهم قد جعلت خرصانًا على رماحهم. فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة، فعكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأسنة تشبه بها، هذا منقول من قول البحتري:

وَإِذَا تَأَلَّقَ في النَّدِيِّ كَلَامُهُ الـْ　　　مَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنَ عَضْبِهِ

(٢١٩) الظمأ: العطش. وينشقون: يشمون. والخطي: الرمح، نسبة إلى الخط، موضع باليمامة. يقول: لسهولة الحرب عليهم واستراوحهم إليها صار الموت عندهم لذيذًا كالماء للظمآن، وصارت الرماح شهية كالريحان الذي يشم، وهذا بسبيل من قول البحتري:

يَتَزَاحَمُونَ عَلَى الْقتَال لَدَى الْوَغَى　　　كَتَزاحُمِ الإبِلِ الْعِطَاشِ بمَوْرِدِ

(٢٢٠) نصب «الكائنين» على «المدح» كأنه قال: أمدح، أو أعني، وأعدى العدى خبر الكائنين، وهذا مثل قول البحتري:

أَخٌ لِـيَ لَا يُدْنِـي الَّذِي أَنَـا مُـبْعِدٌ　　　لِشَيء ولا يَرْضَى الذي أَنَا سَاخِطُهْ

(٢٢١) خلائق: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هذه خلائق. والخلائق: جمع خليقة، وهي السجية. والزنج: جيل من السودان. وظمي الشفاه: دقاق الشفاه مع سمرة كأنها لم ترتوِ فتغلظ. والزنجي يوصف بغلظ الشفاه حتى شبهوها بمشافر الإبل، قال الفرزدق:

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًّا عَرَفتَ قَرَابَتِي　　　وَلَكِنَّ زَنْجِيًّا عَظِيمَ المَشَافِرِ

(هجا الفرزدق رجلًا من ضبة فنفاه عنها ونسبه إلى الزنج، وأصل المشفر للبعير، واستعاره للإنسان لما قصد من تشنيع الخلق. والقرابة التي بين ضبة وبينه أنه من تميم بن مر بن أد بن طابخة، وضبة هو أبو أد بن طابخة.)

وغران: جمع أغر، وهو الأبيض المشرق. والجعد من الشعر: خلاف المسترسل. يقول:

إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبح صورهم لغطت هذا القبح، وصاروا عند الناس كمن خلقتهم خلقة حسنة، وصاروا مع سوادهم كأنهم بيض، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمي الشفاه. وعبارة بعض الشراح: هذه الخلائق الشريفة لا تُعرف إلا في كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من الخسة والهمجية لصيرتهم كرامًا بيض الجلود حسان الصور. قال ابن القطاع: قد أخذ عليه في هذا البيت قوله: «جعاد الشعر» إذ كأنه قال: لانقلبوا من الجعودة إلى الجعودة؛ لأن شعور الزنج جعاد، قال: والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال؛ لأن شعور الزنج زائدة الجعودة.

(٢٢٢) أنفس: معطوف على خلائق. واليلمعي: الألمعي الحاد الفطنة. وقوله لها: أي لأجلها. وأقصوك: أبعدوك. والشنآن: البغض، يحرك ويسكن. يقول: ولهم أنفس ذكية فطنة تحبهم — أيها المخاطب — لأجلها ضرورة، ولو أبعدوك بغضًا لك. يعني أن من عادوه يحبهم، لما فيهم من الفطانة، فحبهم ضرورة.

(٢٢٣) الواضحين: نصب على المدح: أي أذكر، أو أعني، ونحوهما. والأبوة: مصدر الأب، يريد الآباء. والأجبنة: جمع جبين. والألباب: جمع لب؛ العقل. يقول: هم معروفو الآباء، وأنسابهم طاهرة، ووجوههم حسنة جميلة — أو متهللة — كرمًا، مشرقو العقول والأذهان. يقال: فلان واضح الجبين؛ إذا كان حسن المنظر بهيًّا، كما قال ابن غنمة:

كأَنَّ جَبِينَهُ سَيفٌ صَقيلُ

(٢٢٤) الجحفل: الجيش العظيم. وأحدانا: جمع واحد، وأصله: وحدان. يقول: أنت تصيد الجيش كله والليث يصيد الناس واحدًا واحدًا، فأنت أشد بطشًا من الليث.

(٢٢٥) كل وقت: مبتدأ، خبره: وقت نائله، والجملة: صفة لواهبًا. والنائل: العطاء. الوُهَّاب: جمع واهب، وقد روي بفتح الواو، صيغة مبالغة. يقول: إن الأجواد يجودون الحين بعد الحين، وأنت جواد تجود كل الأوقات.

(٢٢٦) السبك: الإذابة والإفراغ. ومكرمة: مفعول ثانٍ لسبك — على تضمينه معنى حول — والمكرمة: فعل الكرم. يقول: إنه سبك أمواله وأحالها مكارم، ثم جعلها في أيدي العفاة فكأنه اتخذهم خزانًا لأمواله. وعبارة الواحدي: سبك الأموال؛ أي جمعها وصفاها واستخلصها، ثم اتخذ السؤال خزانًا مكرمة، أي سلمها إليهم كما يسلم المال إلى الخازن، وهذا من قول البحتري:

جُمَلٌ مِنْ لُهًا يُشَكِّكْنَ في الْقَوْمِ أهـمْ مُـجْـتَـدُوه أمْ خُـزَّانُـهْ؟

(اللها: جمع لهوة؛ العطية، وقيل: أفضل العطايا وأجزلها.)

(٢٢٧) أخليت: يروى بالبناء للمجهول — أي وجدت خاليًا — ويروى بفتح الهمزة: أي صادفت مكانًا خاليًا، كما يقال: أكذبته؛ أي صادفته كذابًا، وأجبنته: صادفته جبانًا. والمرتقب: الرقيب. يقول: لست تفعل في الخلا ما لا تفعله في الملا، وفي السر ما لا تفعله في العلن، فلك من نفسك رقيب عليك. وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينة:

وَإنِّي لَأَسْتَحْيِيك حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْك رَقَيبُ

(٢٢٨) يقول: لقد بلغت الغاية في الكرم، فلو أني استزدتك كرمًا كنت جاهلًا محلك من الكرم، وكنت كمن نبه يقظان واليقظان لا ينبه، كذلك أنت لا تستزاد كرمًا. قال العكبري: إنما قال: نام ولم يقل نمت؛ لأنه لما كان في الضمير ذم لم يرده إلى نفسه، وهذا من أدق ما في شعره وأدله على حكمه واستيلائه على قصب السبق في شعره، ولو تأملت شعره لوجدت فيه كثيرًا من هذا، وإذا كان في الضمير مدح أعاده إلى نفسه، ألا ترى إلى قوله:

وَإني لَمِنْ قَوْمٍ كأنَّ نفُوسَنَا

فأعاد الضمير إليه ولم يقل: «نفوسهم»، وهذا من البلاغة والحذق.

(٢٢٩) باهيت: فاخرت. والسخط: ضد الرضا. ورضوانًا مصدر، يقال بكسر الراء وضمها. يقول: مثلك من أفاخر الكرام به؛ لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيًا، بإحسانك وإنعامك.

(٢٣٠) قال ابن جني: لا يعجبني قوله: سوَّاك؛ لأنه لا يليق بشرف ألفاظه، ولو قال: أنشاك أو نحوه لكان أليق. قال العروضي: سبحان الله! أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن، ولا تليق بلفظ المتنبي؟ قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ وقال: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ وقال: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾. قال ابن فورجه: قرأت على أبي العلاء المعري ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب، فقلت له يومًا في كلمة: ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها،

ثم قال لي: لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها، فجرب إن كنت مرتابًا، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها. وليجرب من لم يصدق يجد الأمر على ما أقول.

(٢٣١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرها — طائفة منه. وجنوح الليل: إقباله. وجنه الليل وأجنه: ستره. يقول: إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باقٍ لم يزل، مع أن الليل قد أظلم.

(٢٣٢) يقول: إن كنا إنما نبقى في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه، فكل مكان كنت فيه فهو بستان بك.

(٢٣٣) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة.

(٢٣٤) من رفع «الخمر» عطفه على «أنا»، ومن نصب: جعل الواو بمعنى «مع»، وإعراب بطيخة: إعراب الخمر، وأنشدوا:

يَا زِبْرِقَانُ أَخَا بَنِي خَلَفٍ　　مَا أَنْتَ وَيْبَ أَبيكَ وَالْفَخْرُ

(للمخبل السعدي، وبعده:

هَلْ أَنْتَ إلَّا في بَنِي خَلَف　　كَالإِسْكَتَيْنِ عَلَاهُمَا البظْرُ

ومعنى ويب أبيك: التصغير له والتحقير. وبنو خلف: رهط الزبرقان بن بدر. يقول: من ساد مثل قومك فلا فخر له في سيادتهم، وشبههم إذا اجتمعوا حوله بالبظر بين الإسكتين والإسكتان — بكسر الهمزة — جانبا الفرج، والشاهد رفع الفخر.)

وقال الهذلي:

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرَ فِي مَتْلَفٍ　　يُبَرِّحُ بالذَّكَر الضَابِطِ

(المتلف: المفازة. والتبريح: المشقة، وأراد بالذكر جملًا؛ لأن الذكر أقوى من الناقة. والضابط: القوي. يقول: ما لي أتجشم المشاق بالسير في الفلوات الملتفة، والشاهد نصب السير «انظر: «شرح ابن يعيش للمفصل» باب المفعول معه».)

وقد جعل غلاف البطيخة قشرًا لها. والخيزران، قال ابن سيده: نبات لين القضبان، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب، إنما ينبت ببلاد الروم، ولذلك قال النابغة الجعدي:

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمُ بَعيدٌ ... بِلَادُهُمُ بِلَادُ الْخَيْزُرَانِ

وذلك أنه كان بالبادية، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر، وقيل: أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم، وقيل: هو شجر وهو عروق القناة، والخيزران: الرماح لتثنيها ولينها. قال العكبري: والعرب تجعل العرق خيزرانة، قال شاعرهم يصف حمامة:

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى عَلَى خَيْزُرانَةٍ ... يَكَادُ يُدَنِّيهَا من الأرْضِ لِينُها

هتفت الحمامة: ناحت. وحمامة هتوف: كثيرة الهتاف.

(٢٣٥) وطن نفسه للأمر: ذللها ومهدها. يقول: ما لي ولهذه البطيخة، إني مشغول عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والطعن يوم الطعن.

(٢٣٦) كل — بالرفع — عطف على توطيني، ومن خفضه عطفه على الطعان. والنجلاء: الواسعة، وصائك: لازق، صاك به الطيب يصيك: إذا لصق به، قال الأعشى:

وَمِثْلِكِ مُعجَبَةٌ بالشَّبَابِ ... وَصَاكَ العَبيرُ بأَجْلَادِها

«أجلاد الإنسان وتجاليده: جسمه وبدنه؛ لأن الجلد محيط بهما، وجمع الأجلاد: أجالد، وهي الأجسام والأشخاص.» يقول: ويشغلني كل طعنة واسعة يسيل منها دم يلصق بالمطعون، ويخضب القناة من يدي إلى السنان.

(٢٣٧) بم: أي بماذا، حذف [ألف] «ما» لدخول الجار عليها، وقد سبق أن بسطنا القول في مثل ذلك. وتعلل بالشيء تلهَّى به. والسكن: الصاحب، وكل ما تسكن إليه، أما السكْن — بسكون الكاف — فأهل الدار، اسم لجمع ساكن كشارب وشرْب، أنشد الجوهري لذي الرمة:

فَيَا كَرَمَ السَّكْنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا ... عَنِ الدَّار وَالمُسْتَخْلَفِ المُتَبَدَّل

(قوله: فيا كرم: يتعجب من كرمهم. والمستخلف: المتبدل. قال ابن بري: أي صار خلفًا وبدلًا للظباء والبقر.)

يشكو الزمان يقول: بأي شيء أعلل نفسي، وأنا بعيد عن أهلي ووطني، وليس لي شيء ألهو به ولا أحد أسكن إليه؟ قال العكبري: وكتب رجل إلى امرأته من مصر، وهي

ببغداد مستشهدًا بهذا البيت، فكتبت إليه: لست كما قلت، وإنما أنت كما قال صاحب هذه القصيدة:

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحيلي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ

(انظر هذا البيت في هذه القصيدة.)

(٢٣٨) يقول: إن همته أعلى من أن يكون في وسع الزمان البلوغ إليها، وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه همته. قالوا: ويجوز أن يكون المعنى: أطلب من الزمان استقامة الأحوال، والزمان لا يبلغ هذا من نفسه؛ لأنه لا يثبت على حال. ويجوز أن يريد أنه يطالب الزمان بأن يخليه من الأضداد، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه، فإن الليل والنهار كالمتضادين. ويجوز أن يريد: إني أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل في نفسه البقاء، فيكون قد ألم بقول البحتري:

تُنَابُ النَّائِبات إذَا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الزَّمَانُ

(٢٣٩) يقول: ما دمت حيًّا فلا تبالِ بالزمان وصروفه ونوائبه، فإنها تزول ولا تبقى، والذي لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط.

(٢٤٠) هذا توكيد للذي قبله. يقول: لا تبالِ بما يحدثه لك الدهر، فإن المفروح به لا يدوم فرحه؛ لأنه لا يدوم، والحزن على الغائب لا يرده إليك. هذه رواية الواحدي، وتبعه العكبري، وعلى هذا فسرور: مضاف إلى ما بعده، قال بعضهم: وهو من التجوزات المستقبحة في الوزن، ومن ثم قال ولعل الأظهر:

فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ

قال: وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت. يقول المتنبي: سرورك بالشيء لا يديمه عليك؛ لأن كل شيء زائل، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرده؛ لأن ما فات لا يعود.

(٢٤١) يقول: مما أضر بالمحبين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبعت وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاتاة، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم. قال

العكبري: وهو من قول الحكيم: العشق ضرورة داخلة على النفس، والعاشق جاهل بتلك الضرورة. وقول الواحدي: يعني بأهل العشق الذين يعشقون الدنيا: تخصيص لا معنى له، وتعميمه أنسب.

(٢٤٢) دمعًا مفعول لأجله، وأنفسهم: مبتدأ خبره ما بعده، والجملة حال. يقول: يبكون حتى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن في الظاهر قبيح عند الاختبار. قال الواحدي — وتبعه العكبري: يريد بذلك الدنيا ومتاعها. قال العكبري: وأحسن من هذا كله قول أبي نواس:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَاب صَدِيقِ

(٢٤٣) تحملوا: أي ارتحلوا. والناجية: الناقة المسرعة. والبين: البعد والفراق. وعليَّ: متعلق بمؤتمن. قال ابن جني: هذا تشبيب من يضمر في نفسه عتبًا وموجدة، يقول — لمن شبب بهم بعد الذي ذكره من حال العاشق والمعشوق: ارتحلوا عني فإن الفراق اليوم — أي بعد اختباري لأحوال الدنيا وأهلها — مؤتمن علي، أي أرضى بحكمه ولا تضرني غائلته، يعني لا أحزن لفراقكم. وقوله: حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد، وفي الكلام تعريض لا يخفى.

(٢٤٤) الهودج: مركب النساء. والمهجة: الروح. يقول: لستم أهلًا لأن تبذل فيكم الأرواح شوقًا إليكم ومحبة لكم. فلستم تعوضونني روحًا غيرها إذا أتلفتها.

(٢٤٥) الناعون: جمع ناعٍ، وهو الذي يأتي بخبر الميت، وأصله أن العرب كانت إذا مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسًا وجعل يسير ويقول: نعاء فلانًا أي انعه، أي أظهر خبر وفاته، قال الكميت:

نَعَاءِ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ وَلكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ والْأَصْلِ

(يقول الكميت هذا منكرًا على جذام انتسابها إلى عدي بن عمرو بن سبأ ومؤاخاتها للخم بن عدي بن عمرو، والكميت من أسد بن خزيمة بن مدركة، وكان متعصبًا لمضر وهاجيًا لليمن، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أسد بن خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم، فقال الكميت محققًا لذلك: انع جذامًا غير ميتين ولا مقتولين، ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنتسبين إلى غيرهم من اليمن.)

يقول: إني قد نعيت بمجلسكم على البعد، وكل أحد مرتهن بالموت لا بد له منه فلا يفرح أحد بنعي أحد.

(٢٤٦) يقول: كم قد أخبرتم بموتي وتحقق ذلك عندكم، ثم بان الأمر بخلاف ذلك فكأني كنت ميتًا ثم خرجت من القبر!

(٢٤٧) قوله: قبل قولهم: أي قبل قول الناعين. يريد أن قومًا نعوه قبل هؤلاء وأخبروا أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتنبي، أي فقد بان كذبهم فيما ادعوا.

(٢٤٨) يقول: إن أعدائي يتمنون موتي ولكنهم لا يدركون ما يتمنون. ثم ضرب لذلك مثل السفن، قال: إن السفن — يعني أهلها — تشتهي الرياح الموافقة لسيرها، ولكن الرياح كثيرًا ما تجري على غير ما تشتهي. هذا، ويجوز في كل — كما قال العكبري — الرفع والنصب؛ فالنصب بفعل مضمر، يريد ما يدرك المرء كل ما يتمنى، فلما أضمر الفعل فسره بقوله يدركه، كقولك: ما زيدًا ضربته فيختار النصب لأجل النفي ومضارعته، وهذا في لغة تميم؛ لأن «ما» عندهم غير عاملة، فتجري مجرى «لا» في نحو قول زهير:

لا الدَّارُ غَيَّرَهَا بَعْدِي الْأَنِيسُ وَلَا بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمَتْ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ

(وصف زهير دارًا خلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها، فيغيروا ما عهد من آثارها ورسومها. ويروى: بعد الأنيس: أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد من عهدت من الأنيس فيها. والأنيس: من يؤنس به من الناس، ثم قال: وقفت بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أسمعها لو أجابت، ولكنها لم تجب فكأن بها صممًا.)

أنشده سيبويه بنصب الدار لأجل حرف النفي، وأما أهل الحجاز فيرفعون «كل» بـ «ما»، لأنها عاملة عندهم كليس، ويكون الخبر «يدركه»، ومثله ما أنشده سيبويه لمزاحم العقيلي:

وقالوا: تَعَرَّفْهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِنَى وما كُلُّ مَنْ وَافَى مِنًى أنا عارف

(يقول: إنه اجتمع بمحبوبته في الحج فجعل يتفقدها، فقيل له: تعرفها بالمنازل من منًى — وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار — فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منًى حتى يسأله عنها؛ لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها.)

أنشده بالرفع على إرادة الهاء، وبنو تميم ينصبون «كل» على ما تقدم. والقرآن قد جاء بالحجازية في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ وفي قراءة السبعة: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ بكسر التاء.

(٢٤٩) العرض: ما يمدح به الرجل ويذم، وقيل: الحسب، وقيل: النفس. يقول: من جاوركم لا يقدر على صون عرضه؛ لأنه يشتم عندكم فلا تكترثون لشتمه ولا تحامون عنه، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدر لبنها على مرعاكم لوخامته. وهذا مثل، يريد أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنأ آخذها حتى تزكو عنده بالشكر، وكل هذا تعريض لسيف الدولة وهجاء مر له.

(٢٥٠) الضغن والضغن: الحقد. يقول: من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن أحبكم حقدتم عليه، أي لستم تجازون المحب ولا القريب بما يستحقانه.

(٢٥١) الرفد: العطاء. والمنن: جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدد له صنائعه. يقول: لا يخلو عطاؤكم من المن والأذى حتى يصير آخذه معاقبًا بتنغيص ما أخذه، وهذا كله تعريض — كما أسلفنا — بسيف الدولة.

(٢٥٢) اليهماء: الأرض التي لا يهتدى فيها، يقال: بر أيهم وفلاة يهماء، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها. يقول: ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له؛ لكثرة ما يخيل فيها من المخاوف. وقال سائر الشراح: يدعو بالبعد بينهم وبينه. يقول: ترك الهجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له، وهو معلوم أن سالك المفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات.

ومن هذا قول ذي الرمة:

إِذَا قَالَ حَادِينَا لِيَسْمَعَ نَبأَةً: صَهٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِعِ

«النبأة: الصوت ليس بالشديد.»

(٢٥٣) حبا يحبو: مشى على بطنه ويديه. والرواسم: الإبل التي سيرها الرسيم، وهو ضرب من السير سريع. والثفن: جمع ثفنة، مثل كلم وكلمة؛ وهي ما مس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة — الزور — وإنما سميت ثفنات؛ لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك، ومنه: ثفنت يده: إذا غلظت من العمل. يقول:

لطول السير في هذه اليهماء ومتابعته تبري الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفناتها بعد أن كانت تسير الرسيم، وتقول الثفنات للأرض: أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها — على الثفنات — بعد أن كان على الأخفاف؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته: أي لو قدرت على السؤال لسألت.

(٢٥٤) يقول: أحلم عمن يؤذيني ما دام حلمي يعد كرمًا، فإذا كان يعد جبنًا لا أحلم، قال الفند الزماني:

وبعضُ الحلمِ عِنْدَ الجهـْ ـــلِ لـلـذِّلـةِ إذعَـانُ

(٢٥٥) الدرن: الوسخ. يقول: لا آخذ المال بالذل، وكل مال يحصل لي بذل تركته، ولا أستطيب شيئًا يلطخ عرضي بأخذه.

(٢٥٦) أصل المرير: الحبل الشديد الفتل، ويقال: استمر مريره على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده. وارعوى: انزجر وارتدع. والوسن: النعاس. يقول: لما فارقتكم استوحشت لفراقكم حتى امتنع رقادي، أي لألفى إياكم على جفائكم، ثم قويت وتصبرت وعاد إلي النوم إذ سلوت.

(٢٥٧) بفراق مثله: أي بفراق مثل رحيلي عنكم. وقمن: خليق وجدير. يقول: إن كنت في قوم آخرين فعاملوني معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم، وهذا تعريض بكافور، يعني إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقته كما فارقتكم. قال الواحدي: ومثل هذه الأبيات ما نشده المبرد:

لا تطْلُبِ الرِّزْقَ بامْتِهانِ ولا تَرِدْ عُرْفَ ذِي امْتنانِ
واسْتَرزِقِ اللهَ واستعِنْهُ فـإنَّـهُ خـيـرُ مُـسْـتَـعـانِ
أشـدُّ مِـنْ فـاقَـةٍ وَجُـوعٍ إغْضاءُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ
فـإنْ نَـبَـا مَـنـزِلٌ بِـقَـوْمٍ فمِنْ مَكان إلى مَكانِ

(٢٥٨) الجل: واحد الجلال، وجمع الجمع: الأجلة، وهو ما يتجلل به الفرس. والعذر: جمع عذار، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام. والفسطاط: اسم لمصر. والرسن: الحبل. يقول: طال مقامي بمصر لإكرام مثواي هناك حتى بليت جلال فرسي وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها. عبر عن طول المقام ببلى هذه الأشياء.

(٢٥٩) الهمام: العظيم الهمة، ومضر الحمراء — بالإضافة — هو مضر بن نزار، وإنما قيل له ذلك؛ لأن نزارًا لما مات تحاكم أولاده — ربيعة ومضر وإياد وأنمار — إلى جرهم في قسم ميراثه، فأعطى ربيعة الخيل، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس، قال القائل:

قولُوا لِقَحْطَان مِنْ ذَوِي يَمَنٍ: كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَبيعَةَ الْفَرَسِ؟

وأعطى إياد الإبل والغنم، فسموا إياد النعم، وإياد الشمط، قالوا:

إذَا ما إيَادُ الشَّمْطِ يَوْمًا تَجَشَّمَتْ ظَنَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَال تَمِيدُ

وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك، قال قائلهم:

إذَا مُضَرُ الْحَمْرَاءِ عَبَّ عُبَابُهَا فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ؟!

وأعطى أنمار الحمار والأرض وما شاكلها، فسميت أنمار الحمار، وأنشدوا:

فلَو أنَّ أنمار الحمار تَناصرت لَكَانَ لها مِنْ بَيْنِ فَيدٍ إلَى هَجَرْ

«فيد: منزل بطريق مكة. وهجر: بلد بالبحرين.» واليمن ليسوا من أولاد مضر. يقول: إن كافورًا عم جوده العرب جميعًا.

(٢٦٠) تأخر — بحذف إحدى التاءين — أي تتأخر. وبعض موعده: يروى: بعض نائله. وتهن: تضعف؛ يريد أن عداته زائدة على آماله. يقول: هو ينفذ آمالي ولا يتأخر عني ما آمله، ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده، يشير إلى ما وعده به من خطة الولاية، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالي.

(٢٦١) الابتلاء، والامتحان: الاختبار. يقول: هو يفي بما وعد غير أنه يختبر ما ذكرت له من المودة والمحبة، فلهذا يتأخر عني ما وعدني به.

(٢٦٢) عناه الأمر: أهمه، ومنه الحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»؛ أي لا يهمه. يقول: كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن.

(٢٦٣) تولوا: ذهبوا. والغصة: ما غصصت به من هم وحزن ونحوهما، وأصلها الشجا يغص به في الحرقدة، تقول: غصصت باللقمة وبالماء. يقول: لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمله فمات بغصته وإن سر في بعض الأحايين.

(٢٦٤) يقول: ديدن الدهر أن يعطي ثم يرجع فيما يعطي، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينغصه، كما قال الآخر:

الدَّهْرُ آخِذُ ما أَعْطَى مُكَدِّرُ مَا   أَصْفَى وَمُفْسِدُ مَا أَهْدَى لَهُ بِيَدِ

(٢٦٥) قال ابن جني: في «يرضَ» ضمير هو فاعل يرض، يفسره «من أعانا» وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير، أو تقول: إن «من أعانا» فاعل «يرض» و«أعانه» على التنازع، ويروى: لم ترض — بالتاء — والضمير لليالي. يقول: هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرضَ بما يصيبني من محنه حتى أعانه علي، كما قال الآخر:

أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ   كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِي كَافِيًا

(البرك: كلكل البعير وصدره الذي يدوك به الشيء تحته. يقال: حكه ببركه. ومن المجاز: حكت الحرب بركها بهم، قال القائل يصف الحرب وشدتها:

فَأَقْعصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرْكها بِهِمِ   وأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بْنَ بَيَّانِ

وحك الدهر بركه بهم، ووضع عليهم بركه، قال الجعدي:

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ   فأَرَاهُ لم يُغَادِرْ غَيْرَ فَلَّ)

قال ابن جني: هذا البيت — والذي قبله — أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء، فالزمان لا يفعل شيئًا، وإنما يفعل فيه، وكذا قولهم: يوم سعيد. فاليوم لا يوصف بسعد، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم.

(٢٦٦) القناة: عود الرمح والسنان زجه الذي يطعن به. يقول: إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادي مددًا لقصده نحوك، فجعل «القناة» مثلًا لما في طبع الزمان، وجعل «السنان» مثلًا للعداوة، وعبارة ابن جني — ونقلها الخطيب

التبريزي: الزمان إذا أنبت قناة إنما ينبتها بالطبع ولا يشعر لأي شيء تصلح فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلًا إلى هلاك النفوس، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به.

(٢٦٧) هذا نهي عن المعاداة والتحاسد لأجل مراد النفوس، فإن ما تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أقل وأحقر من أن يعادي بعضنا بعضًا لأجله.

(٢٦٨) كالحات: عابسات. يقول: إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلًّا وهوانًا.

(٢٦٩) يقول: لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أضل الناس، يعني: أن الحياة لا تبقى، وإن جبن الإنسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء، ثم أكد هذا بالبيت التالي.

(٢٧٠) يقول: إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينجو منه شجاع ولا جبان، فإن الجبن إذن من ضعف الهمة وعجزها، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت: في جسدي مائة طعنة وضربة، وها أنا قد مت حتف أنفي، فلا أقر الله أعين الجبناء.

(٢٧١) كل: مبتدأ، ومن الصعب: خبرها، وسهل: خبر ثانٍ، ويكن: تامة، وكذا «كانا» — آخر البيت — يقول: إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه، فإذا وقع سهل وهان، كما قال البحتري:

لَعَمْرُكَ ما المكْرُوهُ إلَّا ارْتِقابُهُ وأبْرَحُ مِمَّا حَلَّ ما يُتَوَقَّعُ

والأصل في هذا قول أعشى باهلة:

لا يَصْعُبُ الأمْرُ إلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وكلَّ أمْرٍ سِوَى الفحْشاء يأْتَمرُ

وبعد: فقد وفق المتنبي في هذه القطعة كل التوفيق، ولعل شيطانه ممن كانوا يسترقون السمع، فتلقى هذه الآيات من ذات الرجع — السماء — فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت:

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلَيْلٍ رَزِينَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَها

فلله دره!

(٢٧٢) القمران: الشمس والقمر. يقول: من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه، ولو كان القمران من أعدائك لصارا مذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما. قال ابن جني: هذا المدح ينعكس هجاء، يقول: أنت رذل ساقط، والساقط لا يضاهيه إلا مثله، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران.

(٢٧٣) الهذيان: التكلم بغير معقول. قال ابن جني: هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في «مجمله». يقول: لله سبحانه سر فيما أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ما هو، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد. قال الواحدي: وهذا إلى الهجاء أقرب؛ لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران، وإن كان ساقطًا باتفاق من القضاء.

(٢٧٤) يقول: هل يطلب أعداؤك دليلًا على سيادتك، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد الذي رأوه؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالي:

(٢٧٥) يقول: رأى الأعداء كل من ينطوي لك على غدر أو يضمر لك خلافًا غدرت به حياته، فهلك قبل أن ينال منك مأربًا، أو غدر به الدهر فهلك بآفة تصيبه.

(٢٧٦) شبيب هذا، هو شبيب بن جرير العقيلي، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة، وولي شبيب معرة النعمان دهرًا طويلًا، واجتمع إليه جماعة من العرب فوق عشرة آلاف، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق فحاصرها، فيقال: إن امرأة ألقت عليه رحى فصرعته فانهزم من كان معه بعد أن هلك، ويقال: إنه حدث به صرع من شرب الخمر، فتركه أصحابه ومضوا، فأخذه أهل دمشق فقتلوه. يقول: إنه هلك ففارق سيفه كفه، وكانا لا يفترقان على العلات — أي على كل حال.

(٢٧٧) قيس: من عدنان، واليمن: من قحطان، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف. يقول: كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما، وقالت لسيفه: إن شبيبًا الذي يصاحبك «قيسي» وأنت «يمني» — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له في الأصل.

(٢٧٨) يقول: إن يك شبيب قد هلك ومات، فإن الموت غاية كل حيٍّ فلا عار عليه من ذلك.

(٢٧٩) النار: خبر كان، وتثير: حال من «النار»، أو نعت لها على أن «أل» الجنسية لا تفيد تعريفًا. يقول: كان شبيب في كل موطن يلم به كالنار في إيقاد الفتنة والشر، غير أنه يثير بدل الدخان غبار الحرب. قالوا: وهذا من قول الآخر:

مَاوِيَّ يَا رُبَّتَمَا غارَةٍ   شَعْوَاءَ كَاللَّذْعَةِ بِالمِيسَمِ

«غارة شعواء: فاشية متفرقة. والميسم: المكواة، أو الشيء الذي يوسم به الدواب.»

(٢٨٠) يقول: فنال حياة؛ حياة طيبة يشتهي عدوه مثلها، يعني أنه عاش في عز ومنعة، ثم مات موتًا يشهي الموت إلى الجبناء؛ لأنه كان موتًا في عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض. هذا، ويشهي لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر، وقد حذفه وهو يريده، فكأنه قال: يشهي الموت إلى كل جبان.

(٢٨١) أراد بالنجم: الثريا، وأراد: وقع قضاء النجم، فحذف. والدبران: قال الجوهري: خمسة كواكب من الثور — والثور: برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر، وسمي كذلك لأنه يدبر الثريا؛ أي يتبعه. يقول: نفى عن نفسه الرماح برمحه، يعني أنه كان شجاعًا يقي نفسه برمحه، ولكنه لم يجر في حسبانه مناحس النجوم — والدبران من النحوس في حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى: أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التي قضت بحلول أجله. قالوا: وهذا خلاف قول لبيد في أخيه أربد:

أَخْشَى عَلَى أَربَدَ الْحُتُوفَ وَلَا   أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالْأَسَدِ

(انظر الكلام على «الأنواء» في «لسان العرب، مادة: نوأ.» والسماك: نجم معروف، وهما سماكان: رامح وأعزل، والكلام على ذلك مبسوط في مواضعه.)

(٢٨٢) الشواة: جلدة الرأس. وفوق شواته: خبر «أن»، ومعار: خبر ثانٍ. وروي: معار ومحسن: على أنهما حالان. يقول: ولم يدرِ أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حتى لكأنه أعير جناحًا يحوم به فوقه يقع عليه. وعبارة الواحدي: ولم يدرِ أن الموت قد أعير جناحًا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو، وذلك فيما يقال: إن امرأة أدلت على رأسه رحًى من سور دمشق.

(٢٨٣) الأقران: جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب. قال الواحدي: ذكر في قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من

سقطته، فمشى خطوات، فلما سار سقط ميتًا ولم يصبه شيء، وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم: إنه كان مصروعًا وأصابه الصرع في تلك الساعة فانهزم أصحابه، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقًا مسمومًا فلما حمي عليه الحديد عمل فيه السم. فهو قوله: حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان، يعني في غير الحرب وميدان القتال. قال ابن جني: لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور: لا والله إلا بأشد قرن في أعز مكان، فرواه الناس كقول كافور.

(٢٨٤) يقول: إنه مات فجاءة من غير أن يستدل أحد على موته بمرئي أو مسموع، كما قال يزيد المهلبي:

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ هَلَا أَتَتْهُ المَنَايَا وَالْقنَا قِصَدُ

«قصد: أي قطع، جمع قصدة، وهي الكسرة. وتقصدت الرماح: تكسرت.»

(٢٨٥) سلكت: أي المنايا. والجنان: القلب. يقول: لو أتته المنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسعة صدره، يعني أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك؛ لأنه بطل لا يغالب.

(٢٨٦) تقصده: إما بمعنى قصده، وإما بمعنى أقصده: أي قتله. والمقدار: القدر، والمراد: القضاء، والطرفان بعده: حالان من الهاء. يقول: قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت.

(٢٨٧) التفافه: فاعل الكثير. وعلى غير: متعلق به، والالتفاف: الاجتماع، يقال: التف عليه الناس: إذا ازدحموا حوله. والاستفهام: للإنكار. يقول: إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصورًا من قبل الله سبحانه وتعالى معانًا بتأييده، كما لم ينفع شبيبًا كثرة أصحابه.

(٢٨٨) ودى: من الدية، أي أعطى الدية، وهي ثمن الدم. والمبيت: اسم زمان يعني الليل. والجامل: اسم لجماعة الجمال، كالباقر: اسم لجماعة البقر، والعكنان: الإبل الكثيرة العظيمة، ونعم عكنان وعكنان: أي كثيرة، قال أبو نخيلة السعدي:

هَلْ بِاللِّوَى مِنْ عَكَر عَكْنَانِ أَمْ هَلْ تَرَى بالْخَلِّ مِنْ أَظْعَانِ؟

(العكر: القطيع الضخم من الإبل. والخل: الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة.)

يقول: أدى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤدِ الدية بالإبل، يريد: أنه بهلاكه كأنه اقتص منه، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم.

(٢٨٩) أوليته: أعطيته، والضمير لشبيب، والعائد إلى «ما» محذوف: أي أوليته إياه. وقوله: وتمسك: لك أن تعطفه على أتمسك فترفعه، ولك أن تقول: إن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار «أن»، ومثله: ويركب — في عجز البيت التالي — والضمير من «كفرانه» للموصول — في صدر البيت — والعنان: سير اللجام. يقول: هل يمسك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها على شبيب ثم يمسك عنان فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه؟! والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ، أي لا يفعل ذلك عاقل؛ لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام. وعبارة الواحدي: إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان في الكفران؛ لأن من كان عاقلًا لم يكفر نعمة المنعم عليه، وهذا إشارة إلى أن «شبيبًا» كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك. وقال ابن جني: يقول: إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه تخاذلًا وحيرة.

(٢٩٠) البيت عطف على ما قبله، فهو في معناه. يقول: وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبتها شبيبًا، ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه؟ أي لا يجتمع لأحد إكرامك ومعصيتك.

(٢٩١) ثنى يده: ردها. والبنان: أطراف الأصابع. قال ابن جني: ملئت يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على الموهوب فأرسلته. وقال الواحدي: إحسانك إليه رد يده عما امتدت فيه حتى كأنها وهي مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان؛ لأن القبض يحصل بالبنان، فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط، ومن روى قبضت — بإسناد الفعل إلى اليد — كان المعنى أن يده، وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له، صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة.

(٢٩٢) عند من: استفهام معناه الإنكار، وهو خبر مقدم، والوفاء: مبتدأ مؤخر؛ أي ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب. وشبيب: مبتدأ، وأوفى عطف عليه، وإخوان: خبر. يقول: ليس من يفي لصاحبه اليوم؛ أي لا وفاء اليوم عند أحد، فإن أوفى من ترى من الناس غادر كشبيب، فهما في ذلك إخوان في الغدر.

(٢٩٣) قال الواحدي: هذا من أجود ما مدح به ملك، يقول: قضى الله أنك أول في المكارم والمعالي ولم يسبقك أحد إلى ما سبقت إليه، ولم يقضِ أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك.

(٢٩٤) القسي: جمع قوس. والثقلان: الإنس والجن، أنكر عليه اختيار القسي لرمي أعدائه بها، يقول: لا حاجة لك باستجادة القسي لترمي بها أعداءك فإن أعداءك — أكانوا من الإنس أم من الجن — يرمون عن قوس سعادتك؛ أي إن قسي سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح.

(٢٩٥) عني بالشيء — بصيغة المجهول — اهتم به. والأسنة: جمع سنان. والقنا: الرماح. والجَد: الحظ، والبيت في معنى البيت الأول، يقول: لِمَ تعتني بادخار الأسنة والرماح، وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان؟!

(٢٩٦) لِمْ: أي لماذا، وإسكان الميم خاص بالشعر. والنجاد: حمالة السيف، ونجاده: فاعل الطويل، وإذا وصف النجاد بالطول دل على طول حامله، والحدثان: حوادث الدهر ونوائبه، يقول: أنت مستغنٍ بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح.

(٢٩٧) يقول: إن المقدار جار بحكمك. فإذا أردت شيئًا كان، وإذا أردت أن تعطيني شيئًا وصل إلي وإن لم تجد به، يعني أن القدر موافق لإرادته، فإذا أراد به خيرًا أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه، وهذا من قول أبي تمام:

فالدهرُ يفعلُ صَاغِرًا مَا نأمُرُهْ

(٢٩٨) الفلك: يروى بالنصب والرفع، والنصب أجود، وهو منصوب بفعل محذوف بعد «لو» يؤخذ من لازم الفعل المذكور؛ أي لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه. يقول: لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران، يريد المبالغة في قوة سعده ومؤاتاة الأقدار لمراده، وهو المعنى الذي تحور إليه أكثر هذه الأبيات. قال الواحدي: هذه الأبيات ليس في معناها مثل لها. هذا، وطردًا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولًا على حكم خطتنا فيه — أن نورد كل ما أورده الشراح — نذكر هنا ما قاله العكبري النحوي الكوفي في إعراب الفلك وإن كان يغني عنه ما قلناه آنفًا، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهي مزية تفرد

بها شرحنا هذا. قال العكبري: يروى الفلك «بالرفع والنصب»، والنصب أجود؛ لأن «لو» تقتضي الفعل فيجب أن تضمر له فعلًا ينصبه، ويكون الفعل الذي نصب سعى المضاف إلى الضمير، وهو «أبغض» تفسيرًا للمضمر كقولك: لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه، وتقدير الفعل الناصب للفلك: لو كرهت الفلك؛ أي دورانه لأنك تقول: أنا أكره زيدًا وأنت تريد فعله، «وأبغضت» مفسر فلا موضع له من الإعراب، كقوله تعالى في قراءة الكوفيين وابن عامر «والقمرَ — بالنصب — قدَّرناه» فقدَّرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب، تقديره: قدرنا القمر، ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضمر له فعل يرفعه في معنى الظاهر، والظاهر تفسير له كأنه قال: لو خالفك الفلك لعوقه شيء، وصار «أبغضت» تفسيره ودليلًا عليه كقول ذي الرمة:

إِذَا ابنُ أَبي مُوسَى بِلَالٌ بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أُذْنَيْكِ جَازِرُ

(أذنيك يروى: عينيك، ويروى: وصليك مثنى وصل، وهو كل عظمين يلتقيان، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال هذا، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ: في عرابة الأوسي يخاطب ناقته:

إِذَا بَلَّغتنِي وَحَمَلْتِ رَحْلي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بدَمِ الوَتينِ

وجاء بعدهما أبو نواس، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين محمد بن الرشيد:

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجالِ حَرامُ

والأصل في هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقة لرسول الله ﷺ فلما وصلت إليه قالت له يا رسول الله: إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها، فقال ﷺ: «بئس ما جزيتها ...» ومعنى الأبيات الثلاثة: إني لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتني وأغنيتني إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح، وذو الرمة دعا أيضًا عليها بالذبح، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد في الأسفار، فهو أتم في المقصود؛ لكونه أحسن إليها في مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته

إلى الممدوح.)

أي إذا بلغ ابن أبي موسى، ثم فسره ببلغته، وهذا فيه خلاف بيننا وبين البصريين، فإن أصحابنا يقولون: في الاسم المرفوع بعد «إن وإذا» الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل، والفعل المظهر تفسير له، وحجتنا أن «إن» هي الأصل في باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم المرفوع معها فيرتفع بالعائد؛ لأن المكني المرفوع في الفعل: الاسم الأول، فينبغي أن يكون مرفوعًا به كما قالوا: جاءني الظريف زيد، وإذا كان مرفوعًا به لم يفتقر إلى تقدير فعل. وقال البصريون: إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملًا فيه؛ لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه، فلو لم يقدر ما يرفعه لبقي الاسم مرفوعًا بلا رافع، وذلك لا يجوز، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل. وقال الأخفش من البصريين: هو المرفوع بالابتداء.

(٢٩٩) الأزواد: جمع زاد، وهو طعام المسافر، وقوله: لأوسعناه إحسانًا، قال بعض الشراح: الأصل لأوسعنا له الإحسان: فعدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانًا على التمييز. يقول: هذا الذي يأكل زادي لو كان ضيفًا لي لأكثرت من الإحسان إليه؛ أي لو أتاني وقصدني ضيفًا لأحسنت إليه. وهذا كما قال أيضًا:

جَوْعَانُ يَأكلُ مِن زَادِي وَيُمسكني

قال الواحدي: ولأكل زاده وجهان؛ أحدهما: أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها، والآخر: أن المتنبي يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله، وهو يمنعه من الارتحال، فكأنه يأكل زاده، حين لم يبعث إليه شيئًا ومنعه من الطلب. وقال قوم: كان الأسْود قد جمع له شيئًا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئًا.

(٣٠٠) يقول: نحن في الظاهر أضيافه لأنا أتيناه، غير أنه لا يعطينا قرًى غير الزور والبهتان والمواعيد الكاذبة.

(٣٠١) يقول متمنيًا: ليته أطلقنا! ثم قال: أعانه الله على تخلية طرفنا وإطلاقنا، وأعاننا الله على الذهاب والرحيل من عنده. هذا، والسبل جمع سبيل. والسبيل: الطريق، يذكر ويؤنث. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ فذكر، وفيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فأنث.

(٣٠٢) بلبيس: هو ذلك البلد الذي بمصر. والمسعاة: المكرمة والمعلاة في أنواع المجد والجود، والعرب تسمي مآثر أهل الشرف والفضل: مساعي، لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم. وسعى: إذا عمل وكسب، وكل من ولي شيئًا فهو ساعٍ، ومنه السعاة، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء ويردونها في الفقراء. وسعى عليها: أي عمل عليها. قال عمرو بن العداء الكلبي في عمرو بن عتبة بن أبي سفيان — وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم:

سَعَى عِقالًا فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَدًا　　فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْن؟!
لَأَصْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِدُوا　　عِنْدَ التَّفَرُّق فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

(العقال: زكاة عام من الإبل والغنم، ونصب «عقالًا» على الظرف، أراد مدة عقال. والسبد: الوبر. وقيل: الشعر، العرب تقول: ما له سبد ولا لبد: أي ما له ذو وبر ولا صوف متلبد، يكنى بهما عن الإبل والغنم. والأوباد: جمع وبد، ورجل وبد فقير سيء الحال، وقوله: جمالين، يريد: قطيعين من الجمال، وأراد جمالًا ها هنا وجمالًا ها هنا، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور.)

وتقرر: جواب الدعاء، وقال العكبري: أراد لتقرر، على الأمر، فحذف اللام، كبيت الكتاب:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ　　إذَا ما خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالا

(التبال: سوء العاقبة، وهو بمعنى الوبال، فكأن التاء بدل من الواو: أي إذا خفت وبال أمر أعددت له، وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت، وقيل: لأبي طالب عم رسول الله ﷺ وقيل: للأعشى، وقيل: قائله مجهول. وعبارة سيبويه: واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة، وأنشد هذا البيت والذي بعده. قال الأعلم: وهذا من أقبح الضرورات؛ لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضمر.)

وكقول الآخر:

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبَعُوضَةِ فَاخْمُشِي　　لَكِ الْوِيْلُ حُرَّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى

(البيت لمتمم بن نويرة، والبعوضة هنا: موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحض على البكاء عليهم. ومعنى اخمشي: الطمي وقطعي، وبابه ضرب ونصر. وحر الوجه: مفعول اخمشي، وهو ما بدا من الوجه، أراد: ليبكِ، فحذف اللام.)

وقرت عينه تقر: هذه هي اللغة الأعلى، أعني فعلت تفعل وزان طربت تطرب، ومعناها: بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع، وذلك كناية عن السرور؛ لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة. يقول: جزى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء.

(٣٠٣) كراكر: بدل من عرب. والكراكر: الجماعات. الواحد: كركرة — بكسر الكاف — وهي الجماعة من الناس، وقيس بن عيلان: قبيلة، وساهرًا: نعت سببي لكراكر، وجفون ظباها: فاعل ساهر. والظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف، والمراد: السيوف أنفسها. وجفون: جمع جفن وهو الغمد. يقول: هؤلاء العرب جماعات من قيس لا تزال جفونهم ساهرة في طلب العلا وجفون سيوفهم خالية من نصالها؛ لأن سيوفهم لا تزال مسلولة. قال ابن جني: لما وصف جفونهم بالسهر في طلب العلا وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول، يريد أنها قد فقدت نصولها، فكأنها ساهرة مع جفون عيونه في طلب المعالي والفخار، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون العين. وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال:

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرَتِهَا وَجَفْنِ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسَنُ

(٣٠٤) الضمير في «به» يعود على الجزاء. والغيث: المطر. والمعين: الماء الجاري. يقول: وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم، فهو بينهم كالغيث وكالمعين، لا حياة لهم بدونه. وغيثها: رواها العكبري: «عينها»، قال: والعين من الشيء خيره وأفضله.

(٣٠٥) القبيل: الجماعة. والحلة: الجماعة يحلون بالمكان. يقول: هو زين عشيرته ورهطه وإن تباعدوا عنه في النسب؛ أي إنه زين عشيرته — القريب منها والبعيد — أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة.

(٣٠٦) المغاني: جمع مغنًى، والمغنى: المنزل الذي غنى — أقام — به أهله ثم ظعنوا عنه. والشعب: المنفرج بين جبلين، والمراد هنا: شعب بوان، وهو موضع عند شيراز، كثير الشجر والمياه، يعد من جنان الدنيا. قال أبو بكر الخوارزمي: متنزهات الدنيا أربعة

مواضع: غوطة دمشق، ونهر الأبلة، وشعب بوان، وصغد سمرقند. وطيبًا: تمييز. يقول: منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمنة، يعني أنها تفضل سائر الأمكنة طيبًا كما يفضل الربيع سائر الأزمنة. هذا، وقد قال ابن جني في إعراب «طيبًا»: الشاميون ينصبون طيبًا بإضمار فعل: أي تزيد طيبًا، أو تطيب طيبًا، كقولك: زيد سيرًا؛ أي يسير سيرًا، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه، أو من نصبه فعلى التمييز؛ لأنه ليس ثم فعل، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوبًا، كقول الآخر:

أتهجُرُ سَلْمَى بالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا   وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالفِرَاقِ تَطِيبُ

قال: ووجه الرفع أن المغاني: مبتدأ. وطيب: خبره.

(٣٠٧) يعني بالفتى العربي: نفسه. يقول: إني بها غريب الوجه في عيون أهلها؛ إذ لا يعرفني أحد هناك، أو لأنه أسمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل الشعب شقر الوجوه، وغريب اليد: أي لا ملك له في هذه البقعة، فيده أجنبية فيها؛ أو لأن سلاحه الرمح ويده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التي يستعملونها بأيديهم فهي الرايات والمزاريق، أو لأنه يكتب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لغتي العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٣٠٨) الجنة: الجن، وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدي: جعل الشعب — لطيبه وطرب أهله — ملاعب، وجعل أهله جنة — جنًّا — لشجاعتهم في الحرب. والعرب إذا بالغت في مدح شيء نسبته إلى الجن، كقول الشاعر:

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّة

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحكل (الحكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالذر والنمل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَو أَنَّ ذَرَّةً   تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادَهَا

وقيل الحكل: العجم من الطيور والبهائم، قال رؤبة بن العجاج — وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة، فقالت له المرأة: ما سنك ما مالك ما كذا؟ فأنشأ يقول:

لَمَّا ازْدرت نَقْدِي وَقَلَّتْ إبلي   تَسْأَلُنِي عن السِنينَ كَمْ لِي
فَقُلْتُ: لَوْ عُمِّرْتُ عُمْرَ الْحِسل   أَوْ عُمْرَ نُوح زَمَن الْفَطحْلِ
وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الْوَحْلِ   أَوْ أَنَّني أوتِيتُ عِلْمَ الحُكْل
عِلمَ سليمانَ كَلَامَ النَّمْلِ   كُنْتَ رَهِينَ هَرَم أَوْ قَتْلِ

[السواد: السرار، يقال منه: ساودته مساودة وسوادًا إذا ساررته: والحسل: ولد الضب، وسئل رؤبة عن قوله: زمن الفطحل، فقال: أيام كانت الحجارة فيه رطابًا، قال أهل اللغة: الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد).]

هذا، والترجمان — وهو الذي يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها. والجمع: تراجم، مثل: زعفران وزعافر، وصحصحان وصحاصح، قال نقاده الأسدي:

وَمنْهَلٍ وَرَدْتُهُ الْتقَاطَا   لَمْ أَلقَ إذْ وَرَدْتُهُ فُرَّاطَا
إلا الْحَمَامَ الْوُرْقَ وَالغَطَاطَا   فَهُنَّ يُلغِطْنَ بِهِ إلْغَاطَا
كالترْجُمَانِ لَقِيَ الأنباطَا

يقال: وردت الماء والشيء التقاطًا: إذا هجمت عليه بغتة ولم تحتسبه، وفراط القطا: متقدماتها إلى الوادي والماء، والغطاط: ضرب من القطا، ولغط القطا والحمام بصوته وألغط، وأصل اللغط: الصوت المبهم الذي لا يفهم، والأنباط: جيل ينزلون سواد العراق.

(٣٠٩) طباه يطبوه ويطبيه طبيًا وطبوًا: إذا دعاه. قال ذو الرمة:

لَيَالِي اللَّهْوُ يَطْبيني فأَتْبَعُهُ   إنني ضَاربٌ فِي غَمْرَة لَعِبُ

[أي يدعوني اللهو فأتبعه.] ويقال: أطباه، على افتعله فقلبت التاء طاء وأدغمت، وفي حديث ابن الزبير: أن مصعبًا أطبى القلوب حتى ما تعدل به: أي تحبب إلى قلوب الناس وقربها منه، وقال كثير:

لَهُ نَعَلٌ لَا يَطَّبي الْكَلْبَ رِيحُهَا ... وَإِنْ وُضِعَتْ وَسْطَ المَجَالِسِ شُمَّتِ

(حرك حرف الحلق من نعل لانفتاح ما قبله، ففتحها ليس بلغة، والنعل مؤنثة وهي الحذاء، وقد سبق شرح هذا البيت.)

والحران في الدواب: أن تقف ولا تبرح المكان. يقول: إن هذه المغاني استمالت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران وأن تقف بها فلا تبرح ميلًا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعروها هذا الداء؛ داء الحران.

(٣١٠) تنفض الأغصان ... إلى آخره: حال. وأعرافها: جمع عرف، وهو الشعر الذي على ناصية الفرس. والجمان: حب من فضة يشبه اللالئ. يقول: سرنا بين أشجار هذه المغاني صباحًا، وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان، فكأن الأغصان تنفضه على أعرافها، والذي يؤخذ من الواحدي — ويدل عليه البيت التالي — أن الذي يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى.

(٣١١) الضمير من حجبن: للأغصان. يقول: إنه كان يسير في ظل الأغصان، وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقي عليه من الضياء ما يكفيه. وقال ابن جني: يريد أن الجمان الذي يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس.

(٣١٢) الشرق: المشرق، وهو أيضًا الضوء والشمس، يقال: طلع الشرق ولا يقال: غرب الشرق، وهو المراد هنا. والبنان: أطراف الأصابع. يقول: كما قال التبريزي: إن هذا الشجر كثير الورق ملتف، فضوء الشمس يدخل من خلاله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه. وعبارة بعض الشراح: يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرًا، يقول: لما طلعت الشمس من المشرق ألقى الشرق بطلوعها دنانير لا تمسك باليد، فالشرق بمعنى المشرق.

(٣١٣) أواني: جمع آنية، جمع إناء. يقول: إن ثمار هذه الأغصان رقيقة القشر فهي تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء؛ لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء في الزجاج، يعني أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها، وهذا المعنى منقول من قول البحتري:

يُخفي الزُّجَاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّهَا ... فِي الكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْر إنَاء

(٣١٤) تصل: تصوت. وحصاها: فاعل تصل. وبها: أي بتلك الأمواه، يعني بجريها، وروى ابن جني: لها؛ أي لأجلها أي لأجل جريها. والحلي: ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر. والغواني: جمع غانية، المرأة التي غنيت بحسنها. شبه الأمواه، في اندماجها وصفاء لونها، بمعاصم الحسان، وما يصل بها من الحصى بالحلي الذي يلبس في المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار.

(٣١٥) يقال: ثنى عنانه: إذا رده عن عزمه. والعِنان — في الأصل — سير اللجام. واللبيق: الحاذق الرفيق بما يعمله كاللبق، والثرد: جمع ثريد، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق. وروى ابن جني بفتح الثاء على المصدر، قال: يريد به الثريد. والجفان: جمع جفنة، وهي القصعة. وصيني الجفان: أي أن جفانه صينية. يقول: لو كانت هذه المغاني الطيبة دمشق — أي لو كنت في غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عناني إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية؛ يعني لأضافني هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان؛ لأنها — دمشق — من بلاد العرب، وشعب بوان من بلاد العجم. وقال ابن جني: لو كانت هذه المغاني كغوطة دمشق في الطيب لرغبت عنها، وملت إلى هذا الممدوح الذي ثرده لبيق وجفانه صينية؛ لأنه ملك، وليس هو من أهل البادية. قال الواحدي: وليس الأمر على ما قال — أي ابن جني — لأن البيت ليس بمخلص، ولم يذكر الممدوح بعد، والمعنى: أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان، وخص دمشق من سائر البلدان؛ لأن شعب بوان مضاهٍ لغوطة دمشق في الطيب وكثرة المياه والأشجار.

(٣١٦) يلنجوجي: نسبة إلى اليلنجوج، وهو العود الذي يتبخر به. و«ما»: موصولة. ورفعت النار: شبت. وبه: متعلق برفعت، والضمير: لـ «ما»، وندى: نسبة إلى النَّدِّ، وهو ضرب من الطيب يدخن به، قال أبو عمرو بن العلاء: يقال للعنبر: الند، وقال غيره: هو ضرب من الدخنة. يقول: إن هذا الرجل يوقد النيران للأضياف بالعود اليلنجوجي، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند.

(٣١٧) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت، ولعل أحسنها ما ذهب إليه الواحدي، قال: تحل به أنت — أيها الرجل — أي تنزل بهذا الرجل الذي وصفه بما تقدم على قلب شجاع جريء على الإطعام والقِرى غير بخيل؛ لأن البخل جبن وهو خوف الفقر، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك. وقال ابن جني: المعنى: يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور، فإذا ارتحلوا عنه اغتم، فضعفت نفسه، فالقلبان — على هذا وعلى ما ذهب إليه الواحدي — قلبا المضيف. وقال ابن فورجه: كأنه — أي ابن جني — يظن

أنهما قلبا عضد الدولة. ولو أراد المتنبي ما قال لقال: تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم، فأما الشجاعة والجبن فلهما معنى غير ما ذهب إليه — أي ابن جني — وإنما يريد — المتنبي — أنك إذا حللت به كنت ضيفًا له وفي ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالي بأحد، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك، ومثله قوله:

وَإِنَّ نفُوسًا أَمَّمتْكَ منيعةٌ

فالقلبان في البيت: قلبا من يحل ويرحل — أي قلبا الضيف.

(٣١٨) نوبندجان: بلد بفارس. ويشيعني: يتبعني. قال الواحدي: يريد أنه يرى دمشق في النوم وهو بفارس، فخيال منازل دمشق يتبعه، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها، قال: ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه في منامه.

(٣١٩) الورق: جمع ورقاء، وهي التي في لونها بياض إلى سواد، ويقال للرماد: أورق. وللحمامة والذئبة: ورقاء: قال رؤبة:

فَلَا تَكُونِي يَا ابْنَة الأَشَمِّ وَرْقَاء دَمَّى ذِئْبَهَا الْمدمِّي

(الذئاب إذا رأت ذئبًا قد عقر وظهر دمه أكبت عليه فقطعته وأنثاه معها، وقيل: الذئب إذا دمي أكلته أنثاه، فيقول هذا الرجل لامرأته: لا تكوني إذا رأيت الناس قد ظلموني معهم عليَّ فتكوني كذئبة السوء.)

والقيان: جمع قينة، وهي الجارية المغنية. يريد لطيبها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضًا.

(٣٢٠) يقول: إن أهل الشعب — شعب بوان — وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه في غنائه ونوحه؛ لأنهم أعاجم لا بيان لهم ولا فصاحة، فلا يفهم العرب كلامهم. قال اليازجي: يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان. هذا، وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح؛ لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لأنه يطرب، ومرة بالنوح لأنه يشجي، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران في أشعارهم.

(٣٢١) يقول: إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب، والموصوف بها مختلف؛ لأن الإنسان غير الحمام، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام، ولكن وصفهما في الاستجمام وعدم الإفصاح متقارب.

(٣٢٢) يقول: إن فرسي يقول لي حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به — منكرًا علي السير منه إلى الحرب: أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال؟! والاستفهام معناه هنا الإنكار، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك.

(٣٢٣) يقول: إنما تفعلون ذلك اقتداء بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة، فهو الذي سن لكم ركوب المعاصي ومفارقة مواطن النعيم بسببها. قال الواحدي: وإنما ذكر هذا لكي يتخلص إلى ذكر الممدوح فيقول: هذا المكان وإن طاب فإني لم أعرج به عما كان سبيلي إليه.

(٣٢٤) أبو شجاع: كنية عضد الدولة. يقول — مجيبًا فرسه: إنما أغادر هذا المكان؛ لأني أقصد أبا شجاع الذي متى رأيته نسيت الناس طرًّا، ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه؛ لأني أجد عنده ما يسليني عن كل شيء.

(٣٢٥) يقول: إن الناس كلهم — والدنيا بأجمعها — طريق إليه لا يمسكني شيء منهم ومنها حتى أبلغه.

(٣٢٦) الطراد: أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب. والسنان: نصل الرمح. يقول: علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولًا بغير سنان ليصير المتعلم ماهرًا بالطعان بالسنان، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لأتدرج إلى مدحه وخدمته، وعبارة بعض الشراح: يريد أنه لم يكن يقصد الجد في مدح غيره، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه، وقوله: لقد علمت، يروى: له علمت — أي لأجله — وذلك أظهر في المعنى.

(٣٢٧) قال الواحدي: أي أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت، ولا يد لمن لا عضد له ولا يدفع عن نفسه من لا يد له، والمعنى أنه للدولة يد وعضد به تدفع عن نفسها. وعلى هذا يكون الضمير في قوله: «امتنعت» عائدًا على المضاف إليه من قوله: «بعضد الدولة»، فهو على حد قولك: بغلام هند مرت: أي مرت هند بغلامها، وهو كما تراه. قال ابن جني: يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها، وأودع كلامه رمزًا خفيًّا وتعريضًا بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنسانًا بقوله:

وليس لغير ذي عضد يدان

هذا، وعضد بسكون الضاد: تخفيف عضد بضمها.

(٣٢٨) البيض: السيوف. والمواضي: القواطع. والسمر: الرماح. واللدان: جمع لدن، وهو اللين المتثني. يقول: من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطعن بالرماح؛ لأنه لا يتأتى له ذلك. يعني أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة؛ لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن. هذا، وقوله: «ولا حظ»، يروى: ولا حط — بالطاء المهملة — وهو خفض الرماح بالطعن.

(٣٢٩) قوله: بكر. صفة لموصوف محذوف، كأنه قال: ليوم الحرب حرب بكر أو عوان، والحرب العوان: التي قوتل فيها [مرة بعد] مرة، كأنهم جعلوا الأولى بكرًا، وقوله: بمفزع الأعضاء، رواها ابن جني: بموضع الأعضاء، وقال: أي دعته السيوف بمقابضها، والرماح بأعقابها؛ لأنها مواضع الأعضاء منها، وحيث يمسك الطاعن والضارب. قال: ويحتمل أن يريد: دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح؛ أي اجتذبته واستمالته. قال ابن فورجه: هذا ما ذهب إليه ابن جني مسخ للشعر لا شرح له، وما قال الشاعر إلا بمفزع الأعضاء يعني دعته الدولة عضدًا. والعضد: مفزع — ملجأ — الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت. قال الواحدي: وهو على ما قال — ابن فورجه — يريد أن الدولة سمته عضدها وهي — العضد — مفزع الأعضاء؛ لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد، والعضد هي الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء. وحاصل المعنى: أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجؤها الذي تدخره لأيام الحروب.

(٣٣٠) أسماه وسماه: بمعنى. يقول: إنه لا نظير له، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله. أو تقول: إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثله أحد. فالمسمى: الداعي بالاسم. والكاني: الداعي بالكنية.

(٣٣١) يقول: إن فضائله لا يحيط بها الظن — على اتساعه — ولا تستوفيها الأخبار، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها، وقوله عنه: قال الواحدي: كان حقه أن يقول: «عنها» لكنه علقه به لإقامة الوزن. أراد: ولا الإخبار عنه بها.

(٣٣٢) أروض: جمع أرض، قالوا: وهذا الجمع قياس — لا سماع — فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير، قال: واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرَضين، وحكى أبو زيد في جمع أرض: أروض. والمراد بالناس ها هنا: الملوك. يقول: إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معًا؛ لأن الخوف ملازم لها

لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب، وهذا كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ لما كان في أكثر أحواله عَجِلًا صار كأنه مخلوق من عجلة. وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من الأمان، للزوم الأمن لها، والمعنى: أن أحدًا لا يعيش في نواحي مملكته؛ هيبة له وخوفًا منه.

(٣٣٣) تذم: أي الأرض، وفي رواية يذم: أي الممدوح، وأذم له أعطاه الذمام وهو العهد والجوار. والتجر: جماعة التجار كالشرْب، لكن المتنبي أجرى التجر مجرى الواحد ذهابًا إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر:

تُسائِلُ عَن أَبِيها كُلَّ ركب

يقول: إن أرض هذا الممدوح تجير كل تاجر من اللصوص فلا يخافون اللصوص؛ إذ لا يستطيعون العدوان على أحد، هيبة وخوفًا من الممدوح، وهي تضمن لسيوف الممدوح كل من يجني جناية أن يكون طعمة لها؛ إذ لا ينجو من يده.

(٣٣٤) الثقات: الذين يوثق بهم. والمحاني: جمع محنية، منعطف الوادي. والرعان: جمع رعن، أنف الجبل، والضمير في «ودائعهم»: للتجر. يقول: إن ودائع التجار إذا تركت في محاني الأودية ورعان الجبال فكأنها عند ثقات أمناء. يعني إذا تركوها في هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدًا؛ لأن هيبة الممدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد.

(٣٣٥) يقول: باتت بضائع التجار فوق المحاني والرعان ظاهرة للناظرين، وكأنها تقول لمن مر بها: أما تراني؟ لأنه يعرض عنها فلا يجسر أن يمد يده إليها يعني أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يجسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم يرَ عندها أحدًا. قال اليازجي: وكان الوجه أن يقول: «ألا ترانا»؛ لأنه حكاية قول الودائع، ولكنه لما استعمل لهن ضمير الواحدة في قوله: تصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل الغيبة.

(٣٣٦) الرقى: جمع الرقية. والأبيض: السيف. والمشرفي: نسبة إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف. والصل: ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهيًا نكرًا فيقال: إن فلانًا لَصِل أصلال، والأفعوان: ذكر الأفعى. جعل اللصوص كالأفاعي وجعل سيوفه رقى لتلك الأفاعي، فكما أن الحية يدفع أذاها بالرقية، كذلك هو يدفع عادية اللصوص بسيوفه.

(٣٣٧) اللها: جمع لهية، وهي العطية. يقول: مع أنه يرقي أموال التجار من أفاعي اللصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أي لا تحمى منه، ولا ماله الكريم يرقى من هوانه؛ لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل في أيدي الناس.

(٣٣٨) شمري: جاد مشيح في الأمور، كثير التشمير والانكماش فيها. وأراد بالتباقي: البقاء، وبالتفاني: الفناء. يقول: إن الممدوح رجل شمري حمى بلاد فارس بمضائه. يقول لأصحابه: أفنوا أنفسكم في الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه. وقال العروضي: إن المعنى: حمى فارس بقتل اللصوص فاعتبر غيرها فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل فبقوا، يعني أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان في ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثًّا لهم على اغتنام التباقي، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، ولكن يدل على المعنى الأول: البيت التالي.

(٣٣٩) بضرب: متعلق بحمى. والأطراب: جمع طرب. والمثالث والمثاني: من أوتار العود، جمع مثلث ومثنى، وهما الوتر الثالث والثاني. يقول: حمى أطراف فارس بضرب يطرب المنايا فيحركها؛ لكثرة من يقتله، وذلك الضرب غير ضرب العود الذي من شأنه أن يطرب ويهيج الشوق، يعني: أنه يضرب بالسيوف، ولا يميل إلى ضرب العود وما إليه.

(٣٤٠) العناصي: جمع عنصوة، وزان ترقوة، وهي الشعر المتفرق في الرأس، قال أبو النجم:

إنْ يُمسِ رأسي أشمَط العَناصِي   كـأنـمـا فَـرَّقـهُ مُـنـاصِ
عَنْ هَامَةٍ كالحجَرِ الرَّباصِ

[مناص: لعله من أناص الشيء عن موضعه: أي حركه وأداره عنه لينتزعه، والرباص: البراق.] والحيقطان: ذكر الدراج، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه أرقط بسواد وبياض قصير المنقار. يقول: إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه كانت تطير وشعورها المتلطخة بالدماء تنتثر على وجه البلدان، فكأن دماءهم قد كست البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان.

(٣٤١) قلوب العشق: أي قلوب أهل العشق. يقول: إن الأمن عم بلاد فارس حتى لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان، وهو معنى غريب.

(٣٤٢) الشبل: ولد الأسد. والهزبر: من أسماء الأسد. والمهر: الحدث من الخيل. والرهان: السباق. يقول: لم أرَ في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلي أسد في الشجاعة ومهري رهان في المسابقة إلى غاية الكرم.

(٣٤٣) أشد: صفة لمهري رهان. والهجان: الخالص الكريم. يقول: لم أرَ قبلهما ولدين أشد تنازعًا — أي تجاذبًا — لأصل كريم، يعني أن كل واحد منهما ينزع إلى أصله نزوعًا شديدًا حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه، بأن يكون حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم، ولم أرَ ولدين أشبه منهما بأبٍ كريم خالص النسب.

(٣٤٤) الضمير في «مجالسه» يعود إلى أب، وجملة «فلان دق رمحًا في فلان»: حكاية، وهي مفعول الاستماع. يقول: ولم أرَ ولدين أكثر منهما استماعًا في مجالس أبيهما لمثل هذه العبارة، وهي فلان دق — كسر — رمحًا في فلان: يعني أنه لا يجري في مجلس أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك.

(٣٤٥) رأية: فعلة من الرأي. ورأيا: صفة لرأية، والعائد محذوف: أي رأياها. والمعالي: خبر أول، وعلقا بها: عشقاها. يقول: أول شيء رأياه هو المعالي، فقد عشقاها قبل أوان العشق. وروى ابن جني: وأول داية، والداية: الظئر — التي ترضع المولود — فيكون المعنى: إن المعالي تولت تربيتهما فهما يميلان إليها ويحبانها حب الصبي مَن ربَّاه.

(٣٤٦) الصارخ: المستغيث، وإغاثته: نصرته. والعاني: الأسير. يقول: وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه، و«لفظة»: تروى: كلمة.

(٣٤٧) تبهر: أي الشمس، وبهره: غلبه. وقوله: فكيف ... إلخ: أي فكيف تصنع مثلًا. يقول: كنت شمسًا تبهر العيون ببهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولديك شمسان آخران؟

(٣٤٨) يدعو لهما بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر، يحيا الناس بضوئهما، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف.

(٣٤٩) هذا دعاء لأبيهما بالحياة يقول: لا ملكا ملكك بل ملك الأعادي، ولا ورثاك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء.

(٣٥٠) كاثراه: فاخراه بالكثرة. وياءَيْ: خبر «كان»، وأنيسيان: مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير. وإنسان: خمسة أحرف، وهو مكبر، فإذا صغرته وقلت «أنيسيان» زاد عدد حروفه وصغر معناه، والبيت دعاء أيضًا. يقول: عدوك الذي له ابنان وكاثرك

بهما كانا زائدين في عدده ناقصين من حسبه وفخره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياءي أنيسيان: يزيدان في عدد الحروف وينقصان من معناه، وقال بعض الشراح: أي إذا فاخرا — أي ابنا الممدوح — عدوًّا بتكثيرهما عدد رهطك، فليكن ابنا ذلك العدو؛ أي العدد الذي يقابلهما، عنده بمنزله الياءين في أنيسيان: أي آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا في عدده، وهذا المعنى الثاني أنسب وأقرب والسبق يدل عليه.

(٣٥١) دعاء: أي هذا دعاء. والرئاء: التظاهر بغير ما في الباطن، والجنان القلب. يقول، وهذا الذي ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رئاء فيه؛ لأنه إخلاص من القلب يخرج من قلبي فتفهمه بقلبك، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رئاء.

(٣٥٢) فرند السيف: جوهره ووشيه. والعضب: السيف القاطع. واليماني: نسبة إلى اليمن، شبه الممدوح بسيف يمان، وشبه شعره بفرند ذلك السيف: أي أن شعره زينة للممدوح كالفرند للسيف؛ لأنه نوه بمناقبه ومحامده، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليماني وهو أجود السيوف.

(٣٥٣) في الناس: خبر كونكم، والهراء: الساقط من الكلام، قال ذو الرمة:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحواشِي لَا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ

(ويحتمل أن يكون الهراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير، والنزر القليل التافه. قال ابن منظور: يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد الهذر والإكثار، وذاهب في التخفيف والاختصار، فإن قال قائل: وقد قال: ولا نزر فلسنا ندفع أن الخفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال؛ لأنه على كل حال لا يكون ما يجري منه وإن خف ونزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذي يشوق موقعه ويروق مسمعه.)

يقول: بكم صار للناس معنى، ولولاكم لكان الناس كاللغو من الكلام الذي لا معنى له، وهذا كقوله:

والدَّهر لفْظٌ وأنْتَ مَعْنَاه

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جَدَّ أبي العشائر وأباه فقال:

أَغْلَبُ الْحَيِّزَيْنِ مَا كُنْتَ فِيهِ   وَوَلِيُّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ[1]
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ   دِنْيَةً دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ[2]

وأجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال:

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ   تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ[3]
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا   أَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَبْغِي نَصْرَهُ[4]

وقال يمدح أبا العشائر ويودعه، وقد أراد سفرًا:

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ   وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ[5]
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاظِرُهَا   وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ[6]
أَفْدِي الَّذِي كُلُّ مَأْزِقٍ حَرِجٍ   أَغْبَرَ فُرْسَانُهُ تَحَامَاهُ[7]
أَعْلَى قَنَاةِ الْحُسَيْنِ أَوْسَطُهَا   فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلَاهُ[8]
تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ   بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْوَاهُ[9]
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا   أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ[10]
سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِالْـ   ـبُعْدِ وَلَوْ نِلْنَ كُنَّ جَدْوَاهُ[11]
لَوْ كَانَ ضَوْءُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ   لَضَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ[12]

يَـا رَاحِـلًا كُـلُّ مَـنْ يُـوَدِّعُـهُ مُـوَدِّعٌ دِيـنَــهُ وَدُنْــيَــاهُ[١٣]
إِنْ كَانَ فِـيمَـا نَـرَاهُ مِـنْ كَـرَمٍ فِـيكَ مَـزِيـدٌ فَـزَادَكَ الـلـهُ[١٤]

وقال قوم: لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشائر، وأنت تعرف بكنيتك، فقال:

قَالُوا: أَلَمْ تَكْنِهِ؟ فقُلتُ لَهُمْ: ذَلِـكَ عِـيٌّ إِذَا وَصَـفْـنَـاهُ[١٥]
لَا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ[١٦]
أَفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الْجِيَادُ بِهِ وَلَـيْسَ إِلَّا الْـحَدِيدَ أَمْوَاهُ[١٧]

وكان الأسود قد عمر دارًا، وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلامًا، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى، فقال وأنشده إياها في شهر المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَـقُّ دَارٍ بِـأَنْ تُـسْـمَـى مُـبَارَكَـةً دَارٌ مُبَارَكَةُ الْمَلْكِ الَّذِي فِـيهَـا[١٨]
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُسْقَى بِسَاكِنِهَا دَارٌ غَدَا النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ أَهْلِيهَا[١٩]
هَـذِي مَـنَـازِلُـكَ الْأُخْـرَى نُـهَـنِّـئُـهَـا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّيهَا؟[٢٠]
إِذَا حَـلَـلْـتَ مَـكَـانًـا بَـعْـدَ صَـاحِـبِـهِ جَعَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تِيهَا[٢١]
لَا يُنْكِرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَغَانِيهَا[٢٢]
أَتَـمَّ سَـعْـدَكَ مَـنْ لَـقَّـاكَ أَوَّلَـهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا[٢٣]

ونزل أبو الطيب في أرض حِسْمَى برجل يقال له: وردان بن ربيعة الطائي، فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب؛ فجعلوا يسرقون له من أمتعته، فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه، وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم — وقال يهجو وردان:

لَئِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ لِئَامًا فَـأَلْأَمُـهَـا رَبِـيـعَـةُ أَوْ بَـنُـوهُ
وَإِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ كِرَامًا فَـوَرْدَانٌ لِـغَـيْـرِهِـمِ أَبُـوهُ[٢٤]
مَرَرْنَا مِنْهُ فِي حِسْمَى بِعَبْدٍ يَمُجُّ اللُّؤْمَ مَنْخِرُهُ وَفُوهُ[٢٥]
أَشَـذَّ بِعِرْسِهِ عَنِّي عَبِيدِي فَـأَتْـلَـفَـهُـمْ وَمَـالِـي أَتْـلَـفُـوهُ[٢٦]

فَإِنْ شَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي ‌‌ ‌‌ لَقَدْ شَقِيَتْ بِمُنْصُلِيَ الْوُجُوهُ ٢٧

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّاخُسْرَوْ سنة أربع وخمسين وثلاثمائة:

أَوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي: وَاهَا ‌‌ ‌‌ لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا ٢٨
أَوْهِ لِمَنْ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا ‌‌ ‌‌ وَأَصْلُ وَاهًا وَأَوْهِ مَرْآهَا ٢٩
شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا ‌‌ ‌‌ تُبْصِرُ فِي نَاظِرِي مُحَيَّاهَا ٣٠
فَقَبَّلَتْ نَاظِرِي تُغَالِطُنِي ‌‌ ‌‌ وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا ٣١
فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً ‌‌ ‌‌ وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا ٣٢
كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلَامَتُهُ ‌‌ ‌‌ إِلَّا فُؤَادًا دَهَتْهُ عَيْنَاهَا ٣٣
تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ ‌‌ ‌‌ مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا ٣٤
مَا نَفَضَتْ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا ‌‌ ‌‌ جَعَلْتُهُ فِي الْمُدَامِ أَفْوَاهَا ٣٥
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ ‌‌ ‌‌ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنَ أَشْبَاهَا ٣٦
لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ سَائِرَةٌ ‌‌ ‌‌ وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا ٣٧
كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا ‌‌ ‌‌ تَقُولُ: إِيَّاكُمُ وَإِيَّاهَا! ٣٨
فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَمًا ‌‌ ‌‌ إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا ٣٩
أُحِبُّ حِمْصًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ ‌‌ ‌‌ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ مَحْيَاهَا ٤٠
حَيْثُ الْتَقَى خَدُّهَا وَتُفَّاحُ لُبْـ ‌‌ ‌‌ ـنَانَ وَثَغْرِي عَلَى حُمَيَّاهَا ٤١
وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ ‌‌ ‌‌ شَتَوْتُ بِالصَّحْصَحَانِ مَشْتَاهَا ٤٢
إِنْ أَعْشَبَتْ رَوْضَةٌ رَعَيْنَاهَا ‌‌ ‌‌ أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا ٤٣
أَوْ عَرَضَتْ عَانَةٌ مُقَزَّعَةٌ ‌‌ ‌‌ صِدْنَا بِأُخْرَى الْجِيَادِ أُوْلَاهَا ٤٤
أَوْ عَبَرَتْ هَجْمَةٌ بِنَا تُرِكَتْ ‌‌ ‌‌ تَكُوسُ بَيْنَ الشُّرُوبِ عَقْرَاهَا ٤٥
وَالْخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ ‌‌ ‌‌ تَجُرُّ طُولَى الْقَنَا وَقُصْرَاهَا ٤٦
يُعْجِبُهَا قَتْلُهَا الْكُمَاةَ وَلَا ‌‌ ‌‌ يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا ٤٧
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً ‌‌ ‌‌ وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلَاهَا ٤٨
وَمَنْ مَنَايَاهُمُ بِرَاحَتِهِ ‌‌ ‌‌ يَأْمُرُهَا فِيهِمِ وَيَنْهَاهَا ٤٩
أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الدَّ ‌‌ ‌‌ وْلَةِ فَنَّاخُسْرُوْ شَهَنْشَاهَا ٥٠
أَسَامِيًا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً ‌‌ ‌‌ وَإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا ٥١

تَقُودُ مُسْتَحْسَنَ الْكَلَامِ لَنَا   كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا[٥٢]
هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ   أَنْفَسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا[٥٣]
لَوْ فَطِنَتْ خَيْلُهُ لِنَائِلِهِ   لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا[٥٤]
لَا تَجِدُ الْخَمْرُ فِي مَكَارِمِهِ   إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلَافَاهَا[٥٥]
تُصَاحِبُ الرَّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ   فَتَسْقُطُ الرَّاحُ دُونَ أَدْنَاهَا[٥٦]
تَسُرُّ طَرْبَاتُهُ كَرَائِنَهُ   ثُمَّ تُزِيلُ السُّرُورَ عُقْبَاهَا[٥٧]
بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلْوِلَةٍ   قَاطِعَةٍ زِيرَهَا وَمَثْنَاهَا[٥٨]
تَعُومُ عَوْمَ الْقَذَاةِ فِي زَبَدٍ   مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَغْشَاهَا[٥٩]
تُشْرِقُ تِيجَانُهُ بِغُرَّتِهِ   إِشْرَاقَ أَلْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا[٦٠]
دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا   وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا[٦١]
تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ   مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا[٦٢]
فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ   أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا[٦٣]
وَصَارَتِ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً   تَعْثُرُ أَحْيَاؤهَا بِمَوْتَاهَا[٦٤]
وَدَارَتِ النَّيِّرَاتُ فِي فَلَكٍ   تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْهَاهَا[٦٥]
الْفَارِسُ الْمُتَّقَى السِّلَاحُ بِهِ الْـ   ـمُثْنِي عَلَيْهِ الْوَغَى وَخَيْلَاهَا[٦٦]
لَوْ أَنْكَرَتْ مِنْ حَيَائِهَا يَدُهُ   فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا[٦٧]
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا   وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سِيمَاهَا؟![٦٨]
أَلْوَاسِعُ الْعُذْرِ أَنْ يَتِيهَ عَلَى الدُّ   نْيَا وَأَبْنَائِهَا وَمَا تَاهَا[٦٩]
لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ   لَمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا[٧٠]
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ   مَنْفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهَا[٧١]
وَلِّ السَّلَاطِينَ مَنْ تَوَلَّاهَا   وَالْجَأْ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا[٧٢]
وَلَا تَغُرَّنَّكَ الْإِمَارَةُ فِي   غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ بِهَا بَاهَى[٧٣]
فَإِنَّمَا الْمَلْكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ   قَدْ فَغَمَ الْخَافِقَيْنِ سَرَيَّاهَا[٧٤]
مُبْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ   سِلْمُ الْعِدَا عِنْدَهُ كَهَيْجَاهَا[٧٥]
أَلنَّاسُ كَالْعَابِدِينَ آلِهَةً   وَعَبْدُهُ كَالْمُوَحِّدِ اللهَ[٧٦]

هوامش

(١) الحيز: المكان الذي يحوز الشيء، والمراد: حيز النسب. والولي هنا: الصاحب. وتنميه: ترفعه، وكل شيء رفعته فقد نميته، ومنه قول النابغة.

فَعَدَّ عَمَّ تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ   وَانْمِ الْقُتُودَ عَلى عَيْرَانَة أُجُد

(القتود: جمع قتد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل. العيرانة: الناقة الناجية في نشاط، أو هي التي شبهت بالعير — حمار الوحش — في سرعتها ونشاطها، وناقة أجد موثقة الخلق.)

يقول: الجانب الذي أنت فيه هو أغلب الجانبين، يعني أن عشيرة تنسب إليها وتكون منها يغلبون بك غيرهم لدى المساماة، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم في زيادة ورفعة. هذا، ولنعد إلى الحيز، فنقول: قال العكبري: الحيز فيعل من حاز يحوز وهو المكان، وسيبويه يجمعه: حياييز، والأخفش حياوز. قال: وتحيز تحيزًا، قال سيبويه: هو تفعل من حزت الشيء، يريد أن وزن تحيز تفعل، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم، قال القطامي:

تَحَيَّزُ مِنِّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا   كَمَا انْحَازَتِ الأفعى مَخَافَة ضَارِبِ

(يقول: تتنحى هذه العجوز وتتأخر خوفًا أن أنزل عليها ضيفًا.)

(٢) يقال: هو ابن عمي دنية ودنيًا بالتنوين؛ أي أدنى — أقرب — بني العم إليَّ. يقول: هذا الذي أنت جده وأبوه — يعني أبا العشائر — يعني أنه ربيب نعمتك وغذي دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه. يقول: اتصاله بك في القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب، فهو بك يفتخر لا بهما.

(٣) الوشاة: جمع واشٍ، وهو النمام. يقول: أنت تجود على الناس وتسخو وتحب طي ذلك، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل، فإذا ذكرتك بالجود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر.

(٤) العرض: ما يمدح ويذم من الإنسان. وعارضًا: أي معترضًا، حال لأن رؤية العين لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد. يقول: إذا رأيتك تدفع عن عرضي وتحمي دونه علمت يقينًا أن الله يريد نصر ذلك الذي تذود عنه — يعني المتنبي بهذا نفسه؛ لأن سيف الدولة أجمل ذكره، يريد أن الله سبحانه ينصرني على حسادي وأعدائي إذا جعلك

تمدحني وتحسن القول فيَّ. هذا، والروي في هذين البيتين هو الهاء لا الراء، وإن اتفقت القافيتان الأخيرتان في التزامها — أي الراء — وقول من قال: إن هاء الإضمار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلًا مقيد بما إذا تكررت؛ لئلا يكون من قبيل الإيطاء، فإن لم تتكرر كما في البيتين كانت كغيرها من الحروف.

(٥) يقول: الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم، كما قال:

بَعْضُ الْبَرِيَّة فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا   فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلٌّ فَوْقٍ دُونَا

ثم قال: وأنت معنى الدهر؛ لأنه بك يحسن ويسيء، وهذا منقول من قول ابن دريد:

واللهُ يَعْلَمُ وَالرَّاضِي وَشِيعَتُهُ   أَنَّ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أنتَ مَعْنَاه

(٦) ناظر العين: إنسانها. والبأس: الشجاعة. الباع: قدر مد اليدين. وباع الحبل يبوعه بوعًا: مد يديه معه حتى صار باعًا، كما تقول: شبرته — من الشبر — وربما عبر بالباع عن الشرف والكرم، قال العجاج:

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرْ   تَقَضِّيَ الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرْ

(كسر الطائر: ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع، وتقضى البازي: انقض، وأصله تقضض، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء.)

وقال حجر بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة:

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى   وَبَعْضُهُمُ تَغْلِي بذَمٍّ مَنَاقِعُهْ

«الدهدقة: دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل أخرى. والمناقع: القدور الصغار، واحدها منقع ومنقعة.» يقول المتنبي: أنت من الجود بمنزلة الناظر من العين، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع، وهذا من قول علي بن جبلة:

وَلو جَزَّأَ الله الْعُلَا فتجَزَّأَتْ   لكان لك العَيْنَانِ وَالأذنَانِ

(٧) المأزق: المضيق، يراد به ساحة الحرب. والحرج: الضيق. وكل: مبتدأ، خبره جملة: «فرسانه تحاماه»، والضمير في فرسانه يعود على المأزق، وفي تحاماه يعود على الذي. وأغبر: أي كثير الغبار، صفة لمأزق. وتحاماه — بحذف إحدى التاءين — أي تتحاماه. يقول: أفدي الذي تتحاماه الأبطال في الحرب؛ لأنها تكره ملاقاته لشجاعته.

(٨) فيه: أي في ذلك المأزق. والكمي: البطل المغطى بسلاحه. يقول: أفدي هذا الممدوح الذي يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه — تتثنى وتعوج — قناة رمحه للينها حين يحمل قرنه برمحه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمي منكسًا، كما قال امرؤ القيس:

أرجلهم كالخشب الشَّائِل

قال ابن جني: سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت، فقال: هو مثل البيت الآخر:

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفارِسٍ وَثَنَى فَقَوَّمَها بِآخَرَ مِنْهُمُ

(٩) هنا زلت قدم ابن جني وتبلد حماره ولج به عثاره، إذ قال: يخلع عليهم ثيابًا تنشد مدائحهم فيه بألسن ما لهن أفواه تقعقع لجدتها، والأصم يستغني برؤيتها عن صوتها. قال العروضي: هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يروِ الكثير منه، وكنت أربأ بأبي الفتح عن مثل هذا القول، ألم يسمع قول نصيب:

فَعاجُوا فَأَثْنَوْا بالَّذِي أنْتَ أَهْلُه وَلَوْ سَكَتُوا أثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ولم يكن للحقائب جعجعة، إنما أراد أنهم يرونها ممتلئة، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس خلعه وأثوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحه بألسن لا تتحرك في أفواه؛ لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده، فكأنها أخبرت ونطقت.

(١٠) المِسمَع: الأذن، والبيت تأكيد للذي قبله. يقول: إذا مررنا على الأصم — الذي لا يسمع — وهذه الأثواب علينا علم أن الممدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه.

(١١) خار الله له كذا وبكذا: إذا اختار له ذلك. ونِلن: أي كن مما ينال ويحرز. قال العُكْبَرِيُّ: وهي بالكسر — أي كسر النون — أفصح من الضم، وقال الواحدي: نِلن: وزنه فُعلن — بضم الفاء — مثل بِعن، يستوي فيه فَعَلْنَ وفُعِلْنَ، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر، مثل: قيل — لئلا يلتبس فَعَلْنَ وفُعِلْنَ — أي المعلوم بالمجهول. والجدوى: العطية. يقول: سبحان الله الذي اختار للكواكب البعد؛ لأنها لو نيلت وأحرزت لفرقها الممدوح في جملة عطاياه.

(١٢) صاعه: فرقه، يقال: صاع الشجاع أقرانه: أي حمل عليهم ففرق جمعهم، وصاع الراعي ماشيته: أي فرقها في المرعى، وجمع الشمس على تقدير أن لكل يوم شمسًا.

(١٣) قال الواحدي: يريد أنه لا دين إلا به؛ لأنه يحفظه على الناس، ولا دنيا إلا معه؛ لأنه ملك، فمن ودعه فقد ودعهما.

(١٤) فيك: متعلق بـ «نراه». ومزيد: اسم «كان». يقول: لا مزيد على كرمك؛ لأنه قد بلغ الغاية، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه.

(١٥) كناه: دعاه بكنيته، والعي: ضد الإفصاح. يقول: إنَّا إذا وصفناه كان ذكر كنيته عيًّا منا؛ لأن وصفه يغني عن كنيته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك، وإن لم يكن. هذا، ولابن جني والواحدي هنا نقد دقيق، قالا: إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي فيها مثوى لهم، وكقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أي أنتم خير من ركب المطايا ... إلخ. فعلى هذا يكون قوله: «ألم تكنه» معناه كنيته، والقوم — الذين لاحظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا، إنما أرادوا نفي الكنية، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا: ولم تكنه، ولا يأتي بحرف الاستفهام. وابن فورجه يقول في هذا: إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير، كأن واحدًا من القوم سأل أبا الطيب فقال: ألم تكنه؟ أي هل كنيته؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي؛ لأنك إذا استفهمت أحدًا: هل فعل شيئًا قلت: أفعلت كذا؟ ولم تقل: ألم تفعله؟

(١٦) اللبس: الالتباس. يقول: لا يحذر ولا يخشى أن تلتبس معاني الورى بمعناه أي أن تختلط صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه؛ لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره، وإذن لا يحتاج في مدحه إلى ذكر كنيته. ولا يتوقى، رواها الواحدي: لا يتوفى، قال: ومعناه: لا يستوفي هذه الكنية وهذا اللفظ رجلًا يزيد معناه على معاني الورى كلهم؛ لأن فيه من معنى الكرم والمدح ما ليس فيهم، وليست هذه الرواية بشيء.

(١٧) أفرس: أي هو أفرس. وأفرس من الفروسية. والجياد: الخيل. وسبحها: عدوها — جريها — حتى كأنها تسبح في بحر، ونصب «الحديد» على أنه استثناء مقدم، واسم «ليس» أمواه، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد. يقول: هو أفرس من تجري به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه، لما ذكر سبح الجياد جعل الحديد أمواهًا.

(١٨) الملك: تخفيف الملك. يقول: أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذي فيها مبارك، يعني إذا كان صاحب الدار مباركًا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة.

(١٩) استسقاه: سأله السقيا. يقول: أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس، يعني: إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلك الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشملها بركاتهم ومبراتهم.

(٢٠) يقول: هذه التي انتقلت إليها وعدت نهنئها بعودك إليها، فمن الذي يأتي الدار التي فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفراقك إياها؟

(٢١) تاه فلان تيهًا إذا تكبر وافتخر. يقول: إذا نزلت مكانًا بعد أن ارتحلت عن مكان آخر تاه الثاني — الذي حللته — على الأول — الذي فارقته — وافتخر عليه بنزولك إياه.

(٢٢) لا ينكر العقل يروى: «لا ينكر الحس». والمغاني جمع مغنى وهو المنزل والمسكن، يقول: لا ينكر على الدار التي تحلها أن تكون ذات شعور تفرح بسكناك وتحزن بمفارقتك فإن ريحك روح لها.

(٢٣) يدعو له. ولقاك، يروى: أعطاك.

(٢٤) لئن تك، يروى: أن تك، فيكون فيه خرم، وربيعة هو أبو وردان، و«أو» من قوله أو بنوه: لك أن تبقيها على معناها ولك أن تجعلها بمعنى الواو. يقول: إن كانوا

لئامًا فألأمهم أبوه وبنو أبيه، وإن كانوا كرامًا فأبو وردان ليس منهم، أي هو دعي فيهم. وقال العكبري. تعليقًا على «وردان»، وردان مشتق من الورد، ولو سميت رجلًا بوردان تثنية ورد: جاز لك فيه وجهان؛ أحدهما: أن تجريه مجرى مروان فتعربه كإعرابه ولا تصرفه. والثاني أن تلفظ التثنية، تقول في رفعه: جاءني وردان، وفي نصبه رأيت وردين، وفي جره مررت بوردين.

(٢٥) مررنا منه بعبد: تجريد. وحسمى موضع، وقد مر. ومج الشراب والشيء من فيه يمجه مجًّا ومج به: رماه ولفظه، وقد يستعمل في الأعراض، كما قال القائل:

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كل لَدٍّ فَمَجُّوا النُّصْحَ ثُمَّ ثَنَوْا فَقَاءُوا

(اللد: في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق.) يقول: مررنا في هذا المكان من وردان بعبد قد أفعم لؤمًا حتى إن أنفاسه لؤم، أي لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه.

(٢٦) شذ العبد: إذا هرب، وأشذه غيره: هربه وأقصاه. والعرس: امرأة الرجل. يقول: فرق عني عبيدي بسبب امرأته، يعني أغراهم بالفجور بها، ودعاهم إلى ذلك فأتلفهم؛ لأنه حملهم على الفجور، وهم أتلفوا مالي؛ لأنهم أتلفوه على امرأته.

(٢٧) الجياد: الخيل. والمنصل: السيف، وقوله: لقد شقيت أراد: فلقد شقيت. يقول: إن كانت خيلي قد شقيت بأخذهم إياها فقد شقي وجه الآخذ بسيفي، يشير إلى العبد الذي ضربه بسيفه فأصاب وجهه، وذلك أن عبدين له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفًا لأبي الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا. فأحس أبو الطيب بذلك، فلحق أحد العبدين فقتله ونجا الآخر، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء.

(٢٨) أوه: كلمة توجع، قال:

فَأَوْهِ لِذكْرَاهَا إذا مَا ذكَرْتُهَا ومِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وسماء

وواهًا: كلمة تعجب واستطابة، قال أبو النجم:

وَاهًا لريَّا ثُم وَاهًا واهَا

ونأت: فارقت وبعدت. يقول: كنت أتعجب من وصالها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها، فصار التأوه بديلًا من التعجب والاستطابة، وصار ذكري إياها بديلًا منها لي بعد أن فارقتني. ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكراها: أن هذا البديل الذي هو التوجع ذكرى لها أي كلما ذكرتها توجعت وقلت: أوه، فقوله لمن نأت: أي لأجل من نأت.

(٢٩) يقول: أتوجع لأني لا أرى محاسنها، ولو لم أرها لم أستطب قربها ولم أتوجع لفراقها، أي إنما أتاني هذان بسبب رؤيتها.

(٣٠) الناظر: العين أو إنسانها. والمحيا: الوجه. قال الواحدي: هذا يحتمل معنيين؛ أحدهما: أنه يريد فرط قربها منه، حتى إنها منه بحيث ترى وجهها في ناظره، وهذا عبارة عن غاية القرب، والآخر: أنه أراد حبها إياه فهي تنظر إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها في ناظره.

(٣١) قال ابن جني: معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابله شيء أدى صورته، فهو يقول: أوهمتني أنها قبلت عيني، وإنما قبلت فاها الذي رأته في ناظري، ألا تراه قال: تبصر في ناظري محياها؟

(٣٢) يقول: ليت ناظري مأواها أبدًا، وليتها لا تزال تأوي إلى ناظري، يريد أنه يتمنى دوام قربها الذي ذكره. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى: أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها. يقول: لو أوت إلى ناظري فاتخذته مأوى لها لكان ذلك مناي. هذا، وقوله: «آوية» رواها ابن جني: آويه، واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصًا آويه، كما قال الآخر:

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ على قَبرِهِ: مَن لي مِن بَعْدِكَ يَا عامر
تَرَكْتَنِي في الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

أي تركتني شخصًا ذا غربة.

(٣٣) دهته: أصابته، ويروى: رمته. يقول: من أصابته بعينيها فتيمته لم ترجَ سلامته.

(٣٤) الثنايا: جمع ثنية، وهي السن في مقدم الفم. وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها، قال: دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه. قال ابن فورجه: أيظنها وقفت عليه تبكي حتى سال دمعها عليه؟ ومعنى البيت: أن دموعي كالمطر تبل

خدي، كلما ابتسمت بكيت، فكأن دمعي مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائي في حال ابتسامها كقوله:

ظِلت أبْكِي وَتَبسم

وكقول غيره:

أبكِي وَيضحكُ مِن بكايَ وَلن ترَى　　　عجبًا كحاضِر ضِحكهِ وَبُكائِي

ونحو هذا قول أبي بكر الخوارزمي:

عذيرِيَ مِن ضِحْكٍ غَدَا سَبَبَ الْبُكَا　　　وَمِن جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ في جَهَنَّم

(٣٥) الغدائر: الضفائر، وهي الذوائب من الشعر. والمدام: الخمر. والأفواه: أخلاط الطيب، واحدها فوه بضم الفاء. يقول: إن غدائرها لكثرة ما ضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب، وإذا نفضت غدائرها الطيب في يدي طيبت به المدام.

(٣٦) في بلد: هذه المحبوبة في بلد ... إلخ. والحجال: جمع حجلة، بيت كالقبة يزين بالثياب والأسرة والستور، ويكون له أزرار كبار وهي حجلة العروس. يقول: هي في بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشبهنها في الجمال، أي أنها تفضلهن في الحسن والجمال. قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهن بعضًا.

(٣٧) الحمول: الإبل عليها الهوادج أكان فيها نساء أم لم يكن. وأمواهًا: حال. يقول: إن هؤلاء الحسان لقيننا، وقد سارت الركاب بهن وهن كالدر حسنًا ونقاء وصيانة فصرن سرابًا لما بعدن عنا، وقال ابن جني: معنى «فذبن أمواها»: أجرين دموعهن أسفًا علينا، وبعبارة: بكين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعًا. وقال الواحدي: يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد، والذوب يسيله. وقال غيرهما: إن المعنى: نزلن في الوادي سائرات فاستحيين منا فذبن أمواهًا.

(٣٨) المهاة: البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينيها. يقول: كل امرأة كأنها مهاة وكأن مقلتها تقول للناظرين إليها: احذروا أن تصيدكم وتسبيكم، يعني: أنها مهاة صائدة لا مصيدة.

(٣٩) فيهن: أي في كل مهاة. يقول: فيهن من هي منيعة لا يجرؤ العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دمًا؛ لكثرة من يمنعها ويغار عليها ويحفظها بسيفه، أي إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء.

(٤٠) حمص وخناصرة: بلدان بالشام. ومحياها: موطن حياتها. يقول: أحب حمص وما يليها إلى خناصرة؛ لأنها موضع نشأتي وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت.

(٤١) الثغر: مقدم الفم. والحميا: الخمر أو سورتها. يقول: أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لي هذه الطيبات: خد الحبيب وثغري وتفاح الشام — وهو أحمر — وشرب المدام.

(٤٢) صفت: أقمت الصيف، وشتوت: أقمت الشتاء. والصحصحان: الأرض المستوية الواسعة، أو موضع. يقول: وأقمت بها صيفًا كصيف أهل البادية، وأقمت بالصحصحان شتاء كشتاء أهل البادية؛ أي على رسم أهل البادية وعادتهم في الصيد والغزو ونحوهما مما ذكره في الأبيات التالية.

(٤٣) الروضة: الأرض فيها بقل وعشب. والحلة: اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان، وهذا البيت كالتفسير للذي قبله. يقول: إذا أعشب مكان رعينا ذلك المكان كعادة أهل البادية في تتبع مساقط الغيث، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم.

(٤٤) العانة: القطيع من حمر الوحش، ومقزعة: خفيفة مفرقة كالقزع، وهي قطع السحاب، ورواها ابن جني: مفزعة؛ يعني أنها قد فزعت، فهو أخف لها وأشد على قانصها. يقول: إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بآخر خيلنا أولاها، يعني أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجري.

(٤٥) الهجمة: القطعة من الإبل من أربعين فما فوق، وكاس البعير يكوس؛ إذا مشى على ثلاث قوائم. والشروب: جمع شرْب، جمع شارب، يريد الذين يشربون الخمر. وعقراها جمع عقير — أي معقور — أي البعير الذي قطعت إحدى قوائمه لينحر، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر، يقول: إذا مر بنا قطيع من الإبل سطونا عليه فعقرناه يمشي بين الشاربين معرقبًا.

(٤٦) يقول: والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح، فبعض خيلهم مطرود وبعضها طارد، وهي تجر الطويل من الرماح والقصير منها. هذا، والطولى: تأنيث

الأطول، والقصرى: تأنيث الأقصر، قالوا: وفعلى إذا كانت تأنيث أفعل، مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف، وإن كان قد قرئ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾ بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة: أي حسنى القول، وكذلك أتي في شعر أبي نواس:

كَأَنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِنْ فَقاقِعها حصبَاهُ دُرٍّ عَلَى أرض مِن الذَّهَبِ

أراد صغرى وكبرى فقاقعها، على إسقاط حرف الجر.

(٤٧) الكماة: جمع كمى، وهو البطل المغطى بسلاحه. وينظرها: يمهلها، أضاف القتل إلى الخيل، وهو يريد أصحابها، يقول: يعجب فرسان الخيل قتلهم الكماة: أي يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بعدهم؛ لكثرة المغاورة، وفشو الحرب، وطلب الثأر. وقال ابن جني: يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل — لا عن أصحابها — أي يعجب خيلنا قتل الكماة، ألا تراه يقول في موضع آخر:

تَحْمَى السُّيُوفُ على أَعدائِهِ مَعَهُ كَـأَنَّـهُـنَّ بَـنُـوهَ أَو عـشـائِـرهُ

فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى، فالحيوان الذي يعرف كثيرًا من أغراض صاحبه أحرى؛ لأنه معلم مؤدب، قال ابن جني: أما قوله: «ولا ينظرها الدهر بعد قتلاها» فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه، قال زياد الأعجم:

وإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فاعْقِرْ لَهُ كُوْمَ الْهِجَانِ وَكُلَّ طِرْف سَابِحِ

(بعير أكوم وناقة كوماء: عظيمة السنام عاليته. والهجان: الإبل البيض الكرام، يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع، يقال: بعير هجان وناقة هجان. والطرف: الفرس الكريم الأطراف، يعني الآباء والأمهات. والسابح: السريع في مشيه كأنه يسبح.)

ورد ابن فورجه على ابن جني قال: ليس هذا بشيء لأنه يريد بقتلاها من قتلته وقتله أصحابها، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين، والمعنى: أن أصحابها يهلكونها بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلوهم فلا بقاء لها بعدهم، وبعد: فالمعنى على هذا أن فرسانها يقتلون الكماة عليها، ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضًا؛ لأنهم يهلكونها بكثرة الركض في الغارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف.

(٤٨) قاطبة: أي جميعًا حال، قال المعري: إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما بلغ إلى هذا البيت قال: ترى هل نحن في الجملة؟

(٤٩) يقول: ومن مناياهم بكفه يصرفها فيهم كيف شاء، فهو يحيي من شاء منهم — من الملوك — أي يبقي عليه، ويميت من شاء.

(٥٠) أبا شجاع: بدلًا من قوله: مولاها. وشهنشاه: أي ملك الملوك، وهو لقب بني بويه. قال ابن جني: هذا البيت على أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته وسماه بملك الملوك، وهو من أحسن الجمع والمدح.

(٥١) الأسامي: جمع الأسماء، جمع الاسم، ونصب أساميًا بإضمار فعل كأنه قال: ذكرت أساميًا، دل عليه قوله: ذكرناها. يقول: هذه الأسماء التي ذكرتها لم تزده معرفة فوق شهرته فهو مستغنٍ عن التعريف، وإنما ذكرتها استلذاذًا بلفظها وسماعها. قال ابن جني: وهذا كلام النحويين في أحد ضربي الوصف تناوله منثورًا فنظمه، وذلك أنهم يقولون: إنما يذكر الوصف للاسم، إما للإيضاح كي يتميز عن غيره كقولك: مررت بأبي محمد الكاتب، وإما للإطناب والثناء كقولنا: بسم الله الرحمن الرحيم، فالوصف هنا لم يجئ للإيضاح؛ لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف، وإنما ذكر للإطناب في الثناء. وكذلك قوله: أساميًا؛ لأنه قال: وسرت حتى رأيت مولاها، فقد علم أنه لا يعني إلا أبا شجاع، فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لأنه مجهول، وإنما هو كما قال: ذكرته استلذاذًا للثناء عليه.

(٥٢) السحاب: اسم جمع، يذكر ويؤنث. وعظماها: أي معظمها. يقول: إذا ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام في مدح صاحبها، كما تقود السحابة العظمى سائر السحاب، يريد أنها مشتملة على جل المعاني التي يثني بها عليه، لما فيها من الدلالة على شجاعة مسماها وشرف منزلته. وعبارة الواحدي: هذه الأسامي محمولة على المعاني فهي ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها. ويجوز أن يريد بقودها مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكر فهي مقدمة معانٍ أذكرها بعد وأصفها به، كما يقود معظم السحاب سائره — باقيه.

(٥٣) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس: أي يتنافس فيه ويرغب. وأسناها: أرفعها وأشرفها. يقول: إنه يهب أفضل أمواله. قال ابن جني: قال بعض خزان عضد الدولة: إنه كان قد أمر له بألف دينار عددًا، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال.

(٥٤) يقول: لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها الممدوح وأن تعجبه؛ لأنه إذا رضيها وأعجبته وهبها لزائريه ما دام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه، وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره.

(٥٥) انتشى: سكر. الخلة: الخصلة والثلمة. وتلافاها — بحذف إحدى التاءين — أي تتلافاها؛ أي تتداركها. يقول: هو قبل الشرب جواد فلا تزيده الخمر جودًا. وليس في مكارمه خلة تتلافاها الخمر، وأول هذا المعنى لعنترة:

وَإذا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عَن نَدًى وَكما عَلِمْتِ شَمَائِلي وَتَكرُّمِي

وقريب من هذا قول زهير:

أَخُو ثِقةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مالَه وَلكِنَّه قد يُهلِكُ الْمَالَ نَائِلُهْ

وقول أبي نواس:

فتى لَا تلوكُ الْخَمْرُ شَحْمَةَ مالِهِ ولــكِــنْ أَيَــادٍ عُــوَّدٌ وَبَــوَادِي

(لا تلوك، تروى: «لا تذيب»، ولاكه يلوكه: مضغه.)

وقول البحتري:

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبلِ الكئوسِ عَلَيْهِم فما اسطَعْنَ أَن يُحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمَا

وألم الصابي ببيت المتنبي في بعض محاوراته فقال: ولقد آن الله في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال. فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة، وثلمة يسدها بمزايا الحنكة.

(٥٦) الراح: الخمر. والأريحية: الاهتزاز للكرم والنشاط للجود. يقول: إذا اجتمعت الراح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء ما لا تجلبه الرياح، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الراح، فلا تطيق الراح أن تسامي أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها.

(٥٧) طرباته: جمع طربة، وهي المرة من الطرب، وسكن راءها ضرورة. والكرائن: جمع كرينة، وهي الجارية المغنية. وقال ابن جني: الكرائن: الأعواد. يقول: إذا طرب

عند الشرب سر طربه جواريه المغنيات بما يفيض عليهن من الأموال والعطايا. ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن؛ لأن أريحية الجود لا تزال به حتى يهب الجواري أيضًا فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك، لأنهن لا يرضين فراقه.

(٥٨) بكل: متعلق بـ «تزيل». والمولولة: الداعية بالويل من ثكل أو غيره. والزير: الوتر الدقيق من أوتار العود. والمثنى: الوتر الثاني بعده. يقول: يزيل سرورهن بكل جارية منهن يهبها وهي تولول حزنًا على فراقه، وتقطع أوتار العود غضبًا وأسفًا لزوال ملكه عنها.

(٥٩) تعوم: تسبح. والقذاة: واحدة القذى؛ ما يقع في العين أو الشراب من تبنة ونحوها. والزبد: الرغوة تطفو على وجه الماء؛ ويغشاها: يعلوها. يقول: هذه الجارية التي وهبها تعد في جملة عطاياه، الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزبد يعلوها ويغلبها سائر مواهبه كما يعلو الزبد القذاة. وروى ابن جني: زبِد — بكسر الباء — وهو الكثير الزبد لكثرة مائه.

(٦٠) غرته: وجهه. يقول: إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما تشرق ألفاظه بمعانيها.

(٦١) دان له: خضع وأطاع، والضميران في شرقها ومغربها: يعودان على الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر، لدلالة القرينة. يقول: أطاعه أهل الشرق والغرب ودانوا له، ونفسه تستقل جميع الدنيا. قال الواحدي: وكذا كان يقول عضد الدولة: سيفان في غمد محال، يعني: أن الدنيا يكفي فيها ملك واحد، وكان يقصد أن يستولي على جميع الدنيا.

(٦٢) يقول: قد اجتمع في فؤاده همم لعظمها تملأ الزمان إحداها، وإذا كان الزمان — مع سعته — لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي هممه، إلا أن يقع اتفاق، كما ذكر في البيت التالي. هذا، والهمم: جمع همة، وأصل الهمة من الهميم، وهو الدبيب، وهمت الهوام على وجه الأرض: إذا دبت، فالهم يهم في القلب أي يدب، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفًا:

تَرى أَثرَهُ فِي صَفْحَتيهِ كأنه   مدارِجُ شبثان لهن هِميم

[الشبثان جمع شبث، وهو العنكبوت.]

(٦٣) يقول: فإن أتى حظ هممه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم، يعني أن هممه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذي نحن فيه

أبداها في تلك الأزمنة. وقال ابن جني: الضمير في «حظها» للدنيا؛ أي أن الدنيا إن كان لها حظ فأتاها زمان أوسع من زمانها الذي هو فيه أظهر هذا الممدوح همه.

(٦٤) الفيلق: الجيش، وأنثه باعتبار الكتيبة والجماعة، قال ابن جني: أي شن الغارة في جميع الأرض — عند إظهار تلك الهمم — فخلط الجيش، فصارا — لاختلاطهما — كالجيش الواحد، وتعثر الأحياء منهما بالموتى، قال ابن فورجه يرد على ابن جني: ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء، وإنما هو يقول قبل هذا البيت: في فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان، فهو لا يبديها؛ لأنه لا يجد زمانًا يسعها، فإن قضى لها وجاء حظها وبختها بأزمنة أوسع من هذا فحينئذٍ يظهر تلك الهمم، ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة، ويصيران شيئًا واحدًا، وتضيق الأرض بهم حتى يعثر حيهم بميتهم للزحمة وكثرة الناس، ومثل هذا في ذكر الزحمة وقوله أيضًا:

سُبِقْنَا إلى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَة وذُهُوبِ

(٦٥) قال الواحدي: أراد بالنيرات والأقمار ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان واحد، وأراد بأبهاها عضد الدولة، ومعنى سجود الأقمار: خضوع الملوك له، فحينئذٍ يبدي همه. وعبارة ابن جني: شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه نجومه، وشبه ملوك الجيوش بالأقمار، وشبه عضد الدولة بالشمس؛ لأنه أشرفهم وأشهرهم. وتسجد: تذل وتخضع، والضمير في أبهاها يعود على النيرات.

(٦٦) السلاح: نائب فاعل المتقى. والوغى: الحرب، وهي فاعل المثنى. وخيلاها: تثنية خيل. يقول: هو الفارس الذي يتقى به السلاح، أي يتوقى به جيشه سلاح الأعداء، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء، ويدفع السلاح عنهم، كما يروى عن علي قال: «كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ فكان أقربنا من العدو.» وتثني عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه، وأراد بقوله: خيلاها أي خيل الوغى: خيله وخيل العدو، يعني: أن العدو أيضًا يثني عليه؛ لأنه يرى من شجاعته وإقدامه ما لا يسعه إنكاره. وقال ابن فورجه: يتقى به السلاح أي لا يعمل معه شيئًا.

(٦٧) يقول — كما قال الواحدي: لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار يده؛ لأن غيره لا يقدر على مثلها؛ يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته. والمراد باليد صاحبها؛ لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالحياء.

(٦٨) قال الواحدي: المراد بالزيادة — ها هنا — السوط، وهو مأخوذ من قول المرار الفقعسي:

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرَ أيد   زيَادَتُهُنَّ سَوْطٌ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الموت: الكثير، والناقع: الثابت. يقال: سم ناقع: إذا كان ثابتًا في نفس شاربه حتى يقتله، وسيماها: علامتها. يقول: كيف تخفى اليد التي سوطها يقتل به فكيف سيفها. يعني كيف تخفى آثار يد سوطها والموت به من علاماتها؟ أي أن من ضربه بسوطه قتله.

(٦٩) أن يتيه: أي في أن يتيه، وتاه يتيه: تكبر وتعظم. يقول: لو أنه تاه على الدنيا وتكبر على أهلها لكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم، ولكنه لم يفعل ذلك، وفي مثل هذا يقول الآخر:

وَمَا تَزْدَهِينا الكِبْرِيَاءُ عَلَيْهِمِ   إذا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرًا

(٧٠) كفر: جحد. وعدت: جاوزت. والسجايا: الطبائع والأخلاق. يقول: لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجايا الكريمة؛ لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع العطاء، وإنما يجود بطبعه، كما قال بشار:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجاء وَلِلْخَوْ   فِ وَلكِن يَلذُّ طَعْمَ الْعَطَاء

(٧١) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تحور ومنها تحصل، ثم هي لا تبتغي — لا تطلب — بصنعها منفعة عند الناس ولا جاها، وذلك أنها مسخرة لتلك المنافع. كذلك هو — الممدوح — مطبوع على الجود والكرم.

(٧٢) حدياها: معارضًا لها، وهو في الأصل اسم من تحداه؛ إذا باراه ونازعه الغلبة، ويقال: أنا حدياك في هذا الأمر، أي ابرز لي فيه وحدك وجارني، قال عمرو بن كلثوم:

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعًا   مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا

يقول: كل أمر الملوك إلى من يتولاهم، أي لا تخدمهم ودعهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم، والجأ إلى الممدوح تكن مثل الملوك، وهذا من قول بعض الواعظين: يا عبد الله صانع وجهًا واحدًا تقبل عليك الوجوه كلها.

(٧٣) في غير أمير حال من الإمارة، و«إن» وصلية، والجملة حال من «غير». وباهى: فاخر. يقول: لا يغرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمير حقيقة وإن فاخر بها، أي فهو الأمير على الحقيقة، أما من عداه فهو أمير مجازًا.

(٧٤) الملك: بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها، ويقال: فغمته الرائحة إذا ملأت خياشيمه. والخافقان: أفقا المشرق والمغرب، والريا: الريح الطيبة. يقول: إن الملك على الحقيقة هو الذي ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقًا وغربًا، وشاع الثناء عليه فيها، مثل الممدوح. وفغم: يروى فعم أي ملأ، ويقال: أفعم المسك البيت أي ملأه بريحه، وفعمت المرأة فعامة وفعومة وهي فعمة: استوى خلقها وغلظ ساقها، وساعد فعم، ومخلخل فعم، قال:

فَعْمٌ مَخْلخلُهَا وَعْثٌ مُؤَزَّرُهَا عَذْبٌ مُقَبَّلُهَا طَعْمُ السَّدَا فُوهَا

(الوعث: اللين. والسدا ها هنا: البلح الأخضر، واحدته: سداة، وقيل: هو العسل، من قولهم: سدت النحل تسدو سدًا.)

وأفعمت الرجل: ملأته غضبًا.

(٧٥) كهيجاها: كحربها، يقول: لشجاعته وثقته بقوته يحتقر أعداءه، ولا يكترث لهول الحرب وشدتها، فإذا كانت الوجوه عابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسمًا ضاحكًا، وصلح الأعداء وحربهم عنده سواء.

(٧٦) يعني بعبده: نفسه. يقول: الناس في خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله؛ لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من الملوك زور، وأنا في اقتصاري على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به. وعبارة ابن جني: الناس الذين في طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم الموحدون لله لا يشركون به فلا يرجون سواه، ومن يخدم سواه لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة.

قافية الياء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة، ورحل إلى دمشق، وكاتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه، فلما ورد مصر أخلى له كافور دارًا وخلع عليه وحمل إليه آلافًا من الدراهم، فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا ... وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا١
تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى ... صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا٢
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ ... فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا٣
وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ ... وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا٤
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى ... وَلَا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا٥
حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى ... وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا٦
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ ... فَلَسْتَ فُؤَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيَا٧
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُدْرٌ بِرَبِّهَا ... إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا٨
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى ... فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا٩
وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى ... أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا؟١٠
أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا ... رَأَيْتُكَ تُصْفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا١١
خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصِّبَا ... لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا١٢
وَلَكِنَّ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ ... حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَافِيَا١٣
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا ... فَبِتْنَ خِفَافًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا١٤
تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا ... نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُزَاةِ حَوَافِيَا١٥

وَتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى ... يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا ١٦
وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا ... يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا ١٧
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً ... كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا ١٨
بِعَزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرْجِ رَاكِبًا ... بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِيَا ١٩
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا ٢٠
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ ... وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا ٢١
نَجُوزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي ... نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَا ٢٢
فَتًى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا ... إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا نُرَجِّي التَّلَاقِيَا ٢٣
تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ ... فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا ٢٤
يُبِيدُ عَدَاوَاتِ الْبُغَاةِ بِلُطْفِهِ ... فَإِنْ لَمْ تَبِدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا ٢٥
أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهُ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا ... إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا ٢٦
لَقِيتُ الْمَرَوْرَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ ... وَجُبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيَا ٢٧
أَبَا كُلِّ طِيبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحْدَهُ ... وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخُصُّ الْغَوَادِيَا ٢٨
يَدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ ... وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا ٢٩
إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى ... فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا ٣٠
وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ ... فَيَرْجِعَ مَلْكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا ٣١
فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيًا ... لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا ٣٢
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ ... يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا ٣٣
وَمَا كُنْتَ مِمَّن أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى ... وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا ٣٤
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيًا ... وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا ٣٥
لَبِسْتَ لَهَا كُدْرَ الْعَجَاجِ كَأَنَّمَا ... تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا ٣٦
وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ ... يُؤَدِّيكَ غَضْبَانًا وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا ٣٧
وَمُخْتَرَطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِرًا ... وَيَعْصِي إِذَا اسْتَثْنَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيَا ٣٨
وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا ... وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا ٣٩
كَتَائِبَ مَا انْفَكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِرًا ... مِنَ الْأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا ٤٠
غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرَتْ ... سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَغَانِيَا ٤١
وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا ... وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الْأَسِنَّةَ ثَانِيَا ٤٢

إِذَا الْهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَيْ كَرِيهَةٍ ... فَسَيْفُكَ فِي كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا[٤٣]
وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ: ... فِدَى ابْنَ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا[٤٤]
مَدًى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ ... وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا[٤٥]
دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا ... وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا[٤٦]
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ ... وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا[٤٧]

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة، وابتسم إليه الأسود، ونهض فلبس نعلًا فرأى أبو الطيب شقوقًا برجليه وقبحًا، فقال يهجوه:

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا ... وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا[٤٨]
أَمَيْنًا وَإِخْلَافًا وَغَدْرًا وَخِسَّةً ... وَجُبْنًا؟ أَشَخْصًا لُحتَ لِي أَمْ مَخَازِيَا؟![٤٩]
تَظُنُّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِبْطَةً ... وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا[٥٠]
وَتُعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي النَّعْلِ إِنَّنِي ... رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا[٥١]
وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَلَوْنُكَ أَسْوَدٌ ... مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا؟![٥٢]
وَيُذْكِرُنِي تَخْيِيطُ كَعْبِكَ شَقَّهُ ... وَمَشْيَكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا[٥٣]
وَلَوْلَا فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا ... بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا[٥٤]
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ ... وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيَا[٥٥]
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتَ فَإِنَّنِي ... أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرَيْكَ الْمَلَاهِيَا[٥٦]
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ... لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِيَا[٥٧]

تم الديوان والشرح بعون الله وتوفيقه

هوامش

(١) كفى بك: معناه كفاك. والباء زيدت ها هنا في المفعول كما تزاد في الفاعل نحو كفى بالله، وداء: تمييز، وأن ترى: فاعل كفى. والأماني: جمع أمنية، الشيء الذي تتمناه، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة، يقول — مخاطبًا نفسه: كفاك داء رؤيتك الموت شافيًا، أي إذا أفضت بك الحال إلى أن تتمنى المنية — الموت — فذلك غاية الشدة، وإن داء شفاؤه الموت أقسى الأدواء، والمنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية، وفاقرة الخطوب، والمعنى: كفاك من أذية الزمان ما تتمنى معه الموت.

(٢) تمنيتها: أي المنايا. وأعياه الأمر: أعجزه. والمداجي: المداري الساتر للعداوة، واشتقاقه من الدجى: أي الظلمة. يقول: تمنيت المنية — الموت — لما حاولت الظفر بصديق مصافٍ فأعجزك أو عدو مداجٍ فلم تظفر به، وعند عدم الصديق المصافي والعدو المداجي يتمنى المرء المنية؛ لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء. قال الواحدي: هذا تفسير الداء المذكور في البيت الأول.

(٣) استعده: حاول أن يتخذه عدة له. والحسام: السيف القاطع. واليماني: المنسوب إلى اليمن. يقول — مخاطبًا نفسه: إنما يتخذ السيف ليرفع به الذل. فإذا رضيت أن تعيش ذليلًا فما تصنع بالسيف اليماني تعده؟ قال ابن جني: استعمل النهي موضع الاستفهام الذي استعمله غيره في قوله:

فَلِمْ طَالَ حَمْلِي جَفْنَهُ وَنِجَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا؟!

(٤) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد. والعتاق: الخيل الكريمة. والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذيلًا؛ لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٥) الطوى: الجوع، وتتقي: تحذر، وضرى الكلب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكد يصبر عنه، وروي عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر. أراد أن له — للحم — عادة طلابة لأكله كعادة الخمر مع شاربها، وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف في النفقة حرصًا على شربها، وكذلك من اعتاد اللحم لم يكد يصبر عنه فدخل في باب المسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف، وهذا البيت حث على الوقاحة والتجليح (التجليح: الإقدام الشديد، والتصميم في الأمر والمضي) وقد ضرب المثل بالأسد، يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجدِ حياؤه وبقي جائعًا غير مهيب، وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريًا مفترسًا حريصًا على الصيد.

(٦) قلبي: منادى، ونأى: بعد. يقول لقلبه: أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا — يعرض بسيف الدولة — وقد كان غدارًا فلا تغدر به أنت، أي لا تكن مشتاقًا إليه ولا محبًّا له، أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي. وقال ابن جني: يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه. هذا، و«حببت» لغة في أحببت، يقال: حبه يحبه — بالكسر — فهو محبوب، قال الجوهري: وهذا شاذ؛ لأنه لا يأتي في المضاعف تفعل — بالكسر — إلا

ويشركه يفعل بالضم إذا كان متعديًا ما عدا هذا الحرف، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شجاع النهشلي:

أُحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ   وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ
فَأُقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ   وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ

(وكان عياض منه أدنى ومشرق: هي رواية أبي العباس المبرد وقد رواه غيره:

ولا كان أدنى من عبيد ومُشرِق

فيكون فيه إقواء.)

وبعد، فإن الأكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس، وقد قيل: محب على القياس، قال الأزهري: وقد جاء المحب شاذًّا في الشعر قال عنترة:

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ   مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

(٧) البين: البعد. وأشكيت فلانًا: إذا فعلت به فعلًا يحوجه إلى الشكوى، وأشكيته أيضًا: إذا أعتبته وأزلت شكواه، فهو من الأضداد، قال الراجز يصف إبلًا قد أتعبها السير فهي تلوي أعناقها تارة وتمدها أخرى، وتشكي إلينا فلا نشكيها، وشكواها ما غلبها من سوء الحال والهزال فيقوم ذلك مقام كلامها، قال:

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَثْنِيهَا   وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّنَا نُشْكِيهَا
مَسَّ حَوايا قلما تُجْفِيها

(الحوايا: جمع حوية، وهي كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب. وقلما تجفيها: أي قلما ترفع الحوية عن ظهرها، يقال: جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيته إذا رفعته عنه.)

والمراد هنا الأول. يقول لقلبه: اعلم أنك تشكو فراقه لإلفك إياه. ثم هدده، فقال: إن شكوت فراقه تبرأت منك.

(٨) غدر: جمع غدور. وأصله بضم الدال، وإسكانها لغة. وربها: صاحبها. وإثر: أي في إثر، نصبه على الظرفية. والغادرين، يروى: الظاعنين. يقول: إذا جرت الدموع على

فراق الغادرين كانت غادرة بربها — أي صاحبها — لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه، فإذا جرت الدموع في إثره وفاء له كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع. يريد لا ينبغي أن تفي لغادر.

(٩) يقول: إذا لم يتخلص الجود من المن به — وهو المراد بالأذى — لم يحصل الحمد ولم يبقَ المال؛ لأن المال يذهب به الجود، والأذى — أي المن — يبطل الحمد، فالمانُّ بما يعطي غير محمود ولا مأجور، وكأن هذا المعنى ينظر إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾. و«لا» في البيت عاملة عمل «ليس» ومن ثم نصب خبرها كما في بيت سعد بن مالك:

من صدَّ عن نيرانها فأنا ابْنُ قَيْسٍ لا بَراحُ

(سعد بن مالك شاعر جاهلي، والبيت من أبيات مذكورة في «الحماسة»، وقد تقدمت في هذا الشرح مع تفسيرها.)

(١٠) التساخي: تكلف السخاء: وقوله: أكان سخاء ... إلخ: بدل اشتمال من الفتى، وكان الوجه أن يقول: أسخاء كان، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة، فقدم وأخر لضرورة الوزن. والسخاء وكذا السخاوة: الجود، قال اللحياني: يقال: سخا يسخو سخاء وسخوًا وسخي سخاء وسخوة. قال الجوهري: وقول عمرو بن كلثوم:

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيها إِذَا مَا الْمَاءُ خالَطَها سَخِينًا

(وقيل: سخينًا من السخونة، نصب على الحال، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه.)

أي جدنا بأموالنا. يقول: إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع؟ قال ابن جني: جمجم عما في قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: تغير الأفعال التي تأتي غير مطبوعة أشد انقلابًا من الريح الهبوب.

(١١) تصفي: تخلص. يقول لقلبه: لا تشتقْ إلى من فارقته، فإنك تحب من ليس يجازيك بالحب، كما قال البحتري:

لَقَدْ حَبَوْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ عَنِّي وَأَقْرَضْتُهُ مَن لَا يُجَازِينِي

فقوله: أقل اشتياقًا وإن كان أمرًا من الإقلال إلا أنه أراد به النهي عن الاشتياق، لا تقليله. هذا، ويجوز في أقل فتح اللام وكسرها: فالفتح طلبًا للخفة مع التضعيف، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة.

(١٢) رحلت: رواها بعضهم رجعت. قال الواحدي: هذا البيت رأس في صحة الإلف، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول: لو فارقت شيبي إلى الصبا لبكيت عليه لإلفي إياه؛ إذ خلقت ألوفًا، قال ابن جني: هذا شرح لما قبله، ودليل على أنه فارق ذامًّا؛ لأنه جعله كالشيب: أي لو فارقت الشيب الذميم برحيلي إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعًا لقلبي مبكيًا لعيني.

(١٣) الفسطاط: اسم مدينة مصر قديمًا، وأصله البيت من الشعر، وفيه لغات: فسطاط وفستاط، وكسر الفاء لغة فيهن. وأزرته: تعدية زار والهاء مفعول ثانٍ مقدم وحياتي مفعول أول. ونصحي: إخلاصي. والقوافي: القصائد. يقول: ولكن في الفسطاط بحرًا — يعني كافورًا — قد هون عليَّ فراق إلفي، لما فيه من المحامد التي تنسيني من فارقته، فزرته بحياتي؛ أي لقضاء باقي أيامي عنده، وحملت إليه نصحي ومودتي وشعري. وعبارة الواحدي: ذكر في البيت الأول أنه ألوف لما يصحبه في أي حال وإن كانت مكروهة، ثم استثنى فقال: لكني على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواي والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر.

(١٤) جردًا: عطف على حياتي، يريد خيلًا قصار الشعر وهو مما يمدح في الخيل. والقنا: الرماح. والعوالي: جمع عالية وهي صدر الرمح مما يلي السنان. يقول: وأزرته خيلًا مددنا رماحنا بين آذانها فباتت تتبع عوالي الرماح في سيرها، كما قالت ليلى الأخيلية:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبارِي بِالْخُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي

(الأقبل: الذي كأنه ينظر إلى طرف أنفه، وهذا البيت قالته ليلى في فائض بن أبي عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل، وبعده:

نَسِيتَ وِصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَزَبُّ عَنِ الظِّلَالِ

الأزب الكثير شعر الذراعين والحاجبين والعينين، ولا يكون الأزب نفورًا؛ لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر.)

(١٥) تماشى — بحذف إحدى التاءين — أي تتماشى. والصفا: الصخر، والبزاة: جمع بازٍ. وحوافيا: حال، جمع حاف. يقول: إن هذه الجرد تمشي بأيدٍ إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البزاة، وجعلها حوافي مبالغة في وصف حوافرها بالشدة والصلابة، يعني: أنها بلا نعالٍ تؤثر في الصخور بحوافرها، وهذا منقول من قول الراجز:

يَرْفَعْنَ في الرَّكْضِ أَمَامَ السُّبَّقِ   حَـوَافِـرًا كَـالـعَـنْـبَـرِ الْـمُـفَـلَّـقِ
يَنْقُشْنَ في الصَّخْرِ صُدُورِ الزُّرَّقِ

[الزرق: البازي، وقيل: طائر بين البازي والباشق.]

(١٦) وتنظر، تروى: وينظرن. ومن سود: أي من عيون سود. وصوادق: تريها الأشياء على حقيقتها. والدجى: جمع دجية، وهي ظلمة الليل. يقول: إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هي — لصدق نظرها — في ظلمة الليل، والخيل توصف بحدة النظر، ولذلك قالوا: أبصر من فرس في غلس. وعبارة الشراح: وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تنظر في ظلمة الليل فترى الشخص البعيد كهيئته من القرب وذلك بخلاف العادة؛ لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئًا صغر في عينه.

(١٧) الجرس: الصوت الخفي. وسوامعًا: أي آذانًا، جمع سامعة. ويخلن: يحسبن. والمناجاة: السرار والحديث الخفي. والتنادي: أن ينادي بعض القوم بعضًا. يصفها بحدة السمع كما وصفها في البيت السابق بحدة النظر. يقول: ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفي فتنتصب له آذانًا — كعادتها إذا أحست بشيء — تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجي به الإنسان ضميره، فكأنه عندها كالمناداة، لحدة حس آذانها.

(١٨) يريد بفرسان الصباح: فرسان الغارة؛ وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أغفل ما يكون الناس، فصار الصباح اسمًا للغارة. والأعنة: جمع عنان؛ سير اللجام، وهي مفعول ثانٍ لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعنتها، ثم شبه أعنتها في طولها وامتدادها بالحيات، وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقة:

رَجِـيـعَـةُ أَسْـفَـارٍ كَـأَنَّ زِمَـامَـهَـا شُجَاعٌ لَدَى يُسْرَى الذِّرَاعَيْنِ مُطْرِقُ

(الرجيعة والرجيع من الإبل: ما رجعته من سفر إلى سفر وهو الكال. والشجاع: الأفعى.)

(١٩) بعزم متعلق بمحذوف: أي سرنا بعزم ونحو ذلك. وبه: أي بالعزم يقول: سرنا بعزم قوي كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج، وكأن القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير. وعبارة ابن جني: لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه، ولو تحرك في الحقيقة لما مات صاحبه، وفي معناه لأبي تمام:

مَشَتْ قُلُوبُ أُنَاسٍ في صُدُورِهِمِ لَمَّا رَأَوْكَ تُمَشِّي نَحْوَهُمْ قَدَمَا

وطريق أبي تمام أسلم؛ لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة. ألا تراهم يقولون: انخلع قلبه فمات. والمعنى: لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه؛ يعني ذكاءه وتيقظ فؤاده، فكأن قلبه ماشٍ في جسده.

(٢٠) قواصد: حال من الجرد. والسواقي: جمع ساقية، وهي النهير الصغير. يقول: قصدنا بها كافورًا وتركنا غيره من الملوك؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية، وهذا من قول البحتري:

وَلَمْ أَرَ في رَنْقِ الصَّرَى لِيَ مَوْرِدًا فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النيلِ عِنْدَ احْتِفَالِهِ

«الصرى: نهر.» روي أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال: له الويل! جعلني ساقية وجعل الأسود بحرًا. قال العكبري: وإذا كان المتنبي قصد هذا فلقد أبان عن نقض عهد وقلة مروءة؛ لأنه مدح خلقًا فلم يعطه أحد ما أعطاه علي بن حمدان — سيف الدولة — ولا كان فيهم من له شرفه وفضله؛ لأنه عربي من سادات تغلب عالم بالشعر، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسني.

(٢١) إنسان العين: ناظرها، وهو المثال الذي يرى في السواد. والمآقي: جمع مأق والمأق والموق: طرف العين مما يلي الأنف. واللحاظ: طرفها مما يلي الأذن. قال الواحدي: جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه، وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه، وأن من سواه فضول لا حاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لا معنى فيها. وعبارة التبريزي: شبه الناس ببياض العين؛ لأنه لا ينتفع به في

النظر، وجعل كافورًا إنسان العين؛ لأن الخاصية فيه. قال ابن جني: وهذا البيت في معناه قول ابن الرومي:

أَكْسَبَهَا الحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ

(من أبيات جيدة لابن الرومي في وصف سوداء حسناء، يقول فيها:

سَوداء لم تنتسب إلى برص الشقـ ـر ولا كلفة ولا بَهَق
ليست من العبَّس الأكف ولا القلـ ـح الشفاه الخبائث العرق
بل من بنات الملوك ناعمة تنشر بالدل ميت الشبق

إلى آخر الأبيات.)

ولأن الشيء يذكر بالشيء، فمن بديع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس:

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهْيَ بَيْضَاءُ مَعْنًى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُيُونِ يَحْسَبُهُ النَّا ظِرُ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ

هذا، وإذا أردت التوسع في الكلام على الموق وما فيه من اللغات وتصريفه فارجع إلى «لسان العرب».

(٢٢) نجوز: نتخطى. وعليها: أي الخيل. والأيادي: النعم. ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته. يقول: هذه الخيل نتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذي يحسن إليهم وينعم عليهم، يعني كافورًا، يريد أنه فوقهم. ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبي؛ إذ يدل على عدم وفائه فضلًا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان. وقال بعضهم: إنما أراد: نتخطى عليها أناسًا في ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه — خلعه وعطاياه — ولو أنه قال:

نرى عنده إحسانهم والأياديا

على معنى نتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذي نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم، أي نرى عنده إحسان الجميع: أي أن إحسانه هو وحده يغني غناء إحسانهم مجتمعين — لكان عسى أن يكون مقبولًا ولكان في باب الشعر معسولًا.

(٢٣) السرى هنا: السير مطلقًا. ونرجي. في موضع الحال: تقديره مرجين، فصرفه إلى الاستقبال. قال الواحدي: يريد أنه كان يرجو لقاءه مذ قديم، حين كان ينتقل في أصلاب آبائه، وقال بعضهم: مراده بالجدود: الحظوظ واستعار لها ظهورًا؛ لأنه جعلها مكانًا يسري فيه كما يسري على ظهر الأرض، أو أخذًا من ظهر الدابة كأنه يقول: ما قطعنا مسافات حظوظنا الماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقًا إليه. هذا، و«فتى» قال العكبري: يجوز أن يكون في موضع جر بدل من قوله: إلى الذي، ويجوز أن يكون في موضع رفع بتقدير «هو الذي»، ويجوز أن يكون في موضع نصب بدل من قوله: إنسان عين زمانه، أو نقصد فتًى.

(٢٤) العون: جمع عوان، وهي خلاف البكر، وهي التي بين السنين فوق البكر ودون الفارض. والفعلات: جمع فعلة، المرة من الفعل وسكن عينها للضرورة. والعذارى: جمع عذراء؛ البكر التي لم يمسها بعل. يقول: هو أجل قدرًا من أن يفعل في المكرمات فعلًا قد سبق إليه، وإنما أتى بالمكارم ابتداعًا واختراعًا، كما قال أيضًا:

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمِ   وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ

(٢٥) البغاة: جمع باغٍ، وهو المعتدي. يقول: يسل سخائم الأعداء برفقه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحقادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم.

(٢٦) أبو المسك: كنية كافور لسواده، وذا — في الشطرين — إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده، وتاق إليه: نزع واشتاق. يقول: وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه، وهذا الوقت الذي أنا فيه هو الوقت الذي كنت أرجو إدراكه؛ يعني وقت لقائه.

(٢٧) المرورى: جمع المراورة، وهي الفلاة الواسعة. والشناخيب: جمع شنخوب وشنخاب، وهي ناحية الجبل المشرفة، وفيها حجارة ناتئة، وقال الجوهري: شناخيب الجبل: رءوسه. وجبت: قطعت. والهجير: حر نصف النهار. والصادي: العطشان، يذكر ما لقي من التعب في الطريق إليه، وما قاسى من حر الهواجر التي تيبس الماء، والماء لا يكون صاديًا لكنه مبالغة، وإذا عطش الماء فحسبك به. قال ابن جني: هذا مما ينقلب

هجاء؛ لأن دونه ودون هذا الوجه ما ذكر من الشدة، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها، ووجهه وقبحه، كقولك: لئن لقيت فلانا لتلقين دونه الأسد؛ أي مثل الأسد، ويؤكده قوله لما هجاه: «وأسود مشفره ... البيت»، وقلما يسلم له شعر من هذا.

(٢٨) كل سحاب: عطف على «أبا» أي ويا كل سحاب. ولك أن تجره عطفًا على كل الأول: أي ويا أبا كل سحاب. والغوادي: جمع غادية وهي السحابة التي تنتشر صباحًا.

(٢٩) أدل عليه: وثق بمحبته فأفرط عليه، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالًا ودلالًا ودالة؛ أي يجترئ عليك، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجمالها. يقول: كل ذي فخر إنما يفخر بمنقبة واحدة، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر. كما قال أبو نواس:

كَـأَنَّـمَـا أَنْـتَ شَـيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جني: لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت وضحك المتنبي وعرف غرضي.

(٣٠) يقول: إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود، وأنت تعلي من تعطيه وتشرفه بعطائك، فالأخذ منك يكسب الآخذ شرفًا ويعلى محله. كما قال أبو تمام:

مَا زِلتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالًا يَجْتَنِي شَرَفًا

قال الواحدي: ويجوز أن يريد بقوله: «تعطي المعالي» أنه يهب الولايات والأمور التي يشرف بها الناس، فالمعالي من عطاياه، كما قال البحتري:

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَا فِي نَيْلِهِ الْمَوْهُوبِ

وقال ابن جني — وكان يسيء الظن بمدائح المتنبي في كافور، ويحاول أن يحيلها هجاءً: المعنى: عطاؤك يعلي محل آخذه، وهذا مما يمكن قلبه، يريد: إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها؛ لأنك لا تحسن تدبيرها، فكأنك قد سلمتها إلى من يحسن تدبيرها، فهي تقيم عنده.

(٣١) غير كثير: خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده. والراجل: الماشي على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها، والعراقان: الكوفة والبصرة، وقيل: المراد عراق العرب وعراق العجم. قال ابن جني: هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالي

وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص — وقد صرت إلى هذا العلو — ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغته، وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب المكارم، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليًا على العراقين؛ لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا، وهكذا يأبى ابن جني إلا أن يجعل لظاهر شعر المتنبي، الذي يمدح به كافورًا باطنًا وأن يحيل المدح هجاء، وليس ببعيد على مثل أبي الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده، وابن جني أدرى الناس به وبمراميه.

(٣٢) العافي: السائل، واحد العفاة. يقول: إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أتاك يسألك، يصفه بالشجاعة والجود.

(٣٣) المجرب بالكسر: الذي قد جرب الأمور وعرفها، وبالفتح الذي جربته الأمور وأحكمته، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. وفانيًا: مفعول ثانٍ ليرى. يقول: أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها، وعلم أن جميع ما فيها يفنى ولا يبقى، ولذلك تهبها ولا تدخرها. وقوله: وحاشاك: استثناء مما يفنى، ذكر هذا الاستثناء تحسينًا للكلام واستعمالًا للأدب في مخاطبة الملوك. قال العكبري: «وحاشاك» من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع، والأدباء يقولون: هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر، ومثلها في الحشوات قول عوف بن محلم:

إِنَّ الـثَّـمَـانِـيـنَ وَبُـلِّـغْـتَـهَـا   قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَان

(من أبياته التي يقال: إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع، وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات:

يا ابْنَ الذي دانَ له المَشْرَقَانْ   طرًّا وقدْ دانَ لـه المـغْـرِبـانْ

وبعده: البيت، وبعده:

وبدَّلـتْنِـي بـالـشـطـاطِ انحنًـا   وكنْتُ كالصَّعْدَةِ تحت السنانْ
وبدَّلـتنِـي من زمَـاعِ الـفتـى   وهِمتِي همُّ الجبانِ الهِدَانْ
وقـاربَتْ مِنِّي خُطًا لم تكنْ   مُـقـارَبَات وَثَنَتْ مِن عنـانْ
وأنـشأت بينِـي وبين الـوَرَى   عنَانَةً مِنْ غير نسْج العَنانْ

ولـمْ تَـدَعْ فِـيَّ لِـمُـسْـتَـمـعٍ إلَّا لِسانِي وبِحسبِي لسانْ
أدْعُـو بـه الـلـهَ وأثـنِـي بـهِ على الأمِيرِ المصْعَبِيِّ الهِجانْ
فـقـرِّبَـانِـي بِـأَبِـي أنـتـمـا مِنْ وَطَنِي قبل اصْفرَار البنانْ
وقـبْـلَ مَـنـعـاي إلـى نِـسـوَة أَوَطَـانُـهـا حـرَّانُ والـرَّقَّـتـانْ

«الشطاط: حسن القوام. والصعدة: القناة المستوية. والزماع: المضاء في الأمر. والهدان: الوخم الثقيل في الحرب. والعنان: السحاب واحدته عنانة، يشير إلى ضعف بصره فكأنه يرى من وراء سحابة. والهجان: الكريم. واصفرار البنان: كناية عن الموت».)

(٣٤) المنى: جمع منية، وهي ما يتمنى. والنواصي: جمع ناصية؛ شعر مقدم الرأس. والمراد بالأيام: الوقائع، ومنه قول تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ﴾ قال المفسرون: يريد وقائع الله في الأمم الخالية. يقول: لم تدرك الملك بالتمني والاتفاق، ولكن بالسعي والجهد والوقائع الشديدة التي تشيب نواصي الأعداء. وهذا من قول البحتري:

فَتًى هَزَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءً بِهَا لَا بالْأَحَاظِي وَالْجُدُودِ

ومثله قول يزيد المهلبي:

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ

وله أيضًا:

إذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْمًا على الْهَوَى فَـإِنَّـكُـمُ قُـدِّمْـتُـمُ بِـالـمَـنَـاقِـب

(٣٥) الضمير في «تراها» للأيام، والمراقي: جمع مرقاة وهي الدرج التي تكون في السلم. قال ابن جني: أي تعتقد في المعالي أضعاف اعتقاد الناس، فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها. قال الواحدي: والمعنى — على ما قال ابن جني — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعي في الأرض؛ لأنك تستفتح بها البلاد، وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي في السماء؛ لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد.

(٣٦) العجاج جمع عجاجة: وهي الغبرة. وكدر: جمع أكدر، وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف. يقول: لبست للحروب والوقائع عجاجًا — غبارًا — مظلمًا كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار، أي أنت أبدًا تثير غبار الحرب، وكأنك إذا رأيت الجو صافيًا رأيته غير صافٍ لكراهيتك لصفائه من الغبار.

(٣٧) كل أجرد: أي كل فرس أجرد — أي قصير الشعر — والسابح: السريع العدو كأنه يسبح في جريه. ويثنيك: يصرفك ويردك. يقول: وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يوردك الحرب وأنت مغيظ محنق على العدو غضبان، ويصدرك راضيًا بما أدركت من المطلوب وظفرك بأعدائك.

(٣٨) مخترط: عطف على أجرد، وأراد بالمخترط: السيف المنتضى المسلول. وآمرًا: حال من المخاطب. يقول: وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى في الضريبة، وإن نهيته واستثنيت أحدًا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثنِ ولم يكف حتى يأتي عليهم لسرعة نفاذه في الضريبة.

(٣٩) وأسمر: يريد رمحًا أسمر ذا عشرين كعبًا أو ذراعًا. وواردًا: حال من الهاء في ترضاه، وقوله: في إيراده الخيل: أي في إيرادك إياه الخيل. يقول: وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه واردًا لدمائهم ويرضاك ساقيًا له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها، فكل منكما راضٍ عن صاحبه، والمراد بالخيل فرسانها، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف:

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاه فِي الرَّوْعِ صَاحبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنَّنِي أَنَا صَاحِبُهْ

أي هو يرضى بي أيضًا صاحبًا فوق الرضا.

(٤٠) كتائب: إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتائب، أو ما انفكت لك كتائب، وإما بالنصب على أنها بدل من قوله: كل أجرد وما يليه؛ لأن الكتائب تكون فيها هذه الأشياء، والكتائب: جمع كتيبة؛ القطعة من الجيش. وتجوس: تتخلل وتدوس. والعمائر: جمع عمارة، والعمارة أصغر من القبيلة، وقيل: الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ينفرد بظعنها وإقامتها ونجعتها، وهي من الإنسان الصدر، سمي الحي العظيم عمارة بعمارة الصدر، قال الأخنس بن شهاب التغلبي:

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عمَارَةٍ عَروضٌ إليْهَا يَلْجَئُونَ وَجَانِبُ

(عمارة: بدل من أناس. والعروض: الناحية، يقال: أخذ فلان في عروض ما يعجبني أي في طريق وناحية. يقول: لكل حي حرز إلا بني تغلب فإن حرزهم السيوف، ومن رواه: عروض — بضم العين — جعله جمع عرض وهو الجبل.)

ومن الأرض: لك أن تجعلها حالًا مقدمة عن فيافيا، والفيافي: المفاوز والفلوات. يقول: إن لك كتائب — أو قدت كتائب — لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن قطعت إليها الفلوات البعيدة، يعني: أن كتائبه لا تزال تأتي الأعداء للغارة عليهم.

(٤١) بها: أي بالكتائب. والسنابك: أطراف الحوافر. والهامات: الرءوس. والمغاني: جمع مغنى وهو المنزل يغنى — يقيم — به أهله. يقول: غزوت بهذه الكتائب ديار الملوك حتى قتلتهم، فوطئت خيلك رءوسهم وديارهم. ودور الملوك يروى: دون الملوك، فيكون الضمير في هاماتهم للعمائر، ويكون المعنى: غزوت العمائر دون الملوك؛ لأن الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك.

(٤٢) تغشى: تأتي. والأسنة: نصال الرماح. وأنف من الشيء: استنكف واستكبر. يقول: إنه أول من يأتي الحرب وأول من يبارز فيأتي الطعان سابقًا، ويأنف أن يأتيه ثانيًا لأول سبقه.

(٤٣) الكريهة: الشدة في الحرب. يقول: إذا طبعت — صنعت — الهند سيفين فجعلتهما سواء في الحدة والمضاء، فالسيف الذي يصاحبك، ويكون في كفك يكون أمضى؛ لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب.

(٤٤) سام: هو ابن نوح، ويقال: إن البيض من ولده، وأن السود من ولد أخيه حام. ومن قول خبر مقدم، وفدى ابن أخي ... إلخ: مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول. ولنسله: صلة القول. يقول: لو رآك سام بن نوح لكان قوله لنسله: فدى ابن أخي ولدي ونفسي ومالي، أي أنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم فدًى له.

(٤٥) المدى: الغاية، وهو خبر محذوف. يريد ما ذكره من محامد. والأستاذ: الرئيس. قال الجواليقي: واصطلحت العامة إذا عظموا الخصي أن يخاطبوه بالأستاذ، وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذي هو الصانع — وقد حرفت في مصر إلى الأسطى — لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب. وأقصاه: أبعده. ونفس: عطف على

ربه. يقول: إن الذي ذكرته من مناقبه مدًى بلغه الله غايته ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته.

(٤٦) دعته: أي النفس، و«إلى» متعلق بدعته أو لباها على طريق التنازع. يقول: دعته نفسه إلى المجد فلباها وأجابها، أما غيره فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها؛ لأنه لم يأتِ ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها هو، فغيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه.

(٤٧) نائيًا: أي بعيدًا مفعول ثانٍ ليرونه. يقول: إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه بعيدًا عنهم رتبة وإن كان تكرمه يقربه منهم، كالشمس بعيدة أما ضوءها فقريب.

(٤٨) الخافي: ضد الظاهر. يقول: لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك الرضا، أي لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من البغض لك والكراهة لقصدك لكنت أريك الرضا، ولكني لست براضٍ عن نفسي في قصدي إليك، ولا عنك أيضًا لتقصيرك في حقي.

(٤٩) المين: الكذب. والإخلاف: خلف الوعد، وهذه المصادر كلها منصوبة بعوامل من لفظها محذوفة وجوبًا، أي أتمين مينًا وتخلف إخلافًا وتغدر غدرًا ... وهلم جرًّا. والمخازي: جمع مخزية، وهي الفعلة القبيحة يخزى صاحبها؛ أي يذل، يقال: خزي الرجل يخزى خزيًا: إذا وقع في بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان، ويقال في الحياء: خزي يخزى خزاية وخزيت فلانًا إذا استحييت منه، ورجل خزيان وامرأة خزيا، وهو الذي عمل قبيحًا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته، قال تأبط شرًّا:

فَخالطَ سَهْلَ الأرْضِ لم يَكْدَح الصفا   به كَدْحَةً والموتُ خَزيان ينظرُ

(من أبيات، انظرها في حماسة أبي تمام.)

يقول: أتجمع بين هذه المخازي؟ كما تقول العرب: أحشفًا وسوء كيلة: أي أتجمع بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف؟ ثم قال: أأنت شخص ظهرت لي أم مخازٍ؟ أي كأنك مخازٍ ومقابح لاجتماعها فيك وحصولها منك.

(٥٠) الغبطة: المسرة وحسن الحال. يقول: إذا ابتسمت ظننت ابتسامتي رجاء لك وغبطة بقربك، وإنما أنا أضحك من رجائي لمثلك ومثلك لا يرجى.

(٥١) يقول: إني أتعجب منك إذا كنت ناعلًا؛ لأني أراك إذا كنت حافيًا ذا نعل لغلظ جلد رجليك، وقوله: تعجبني: استحسان تهكم، فهو من التعجب يريد أنك تلبس النعال

تشبيهًا بالمترفين كأنك تتأذى من المشي بدونها مع أن لك من جلد رجليك نعالًا، وإنني: إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأنني.

(٥٢) يقول: بعد أن أحرزت الملك لا تدري لجهلك: هل لونك أسود كما كنت تعرف أو صار أبيض؟ أي ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض في اللون كما توهمت أنك أشبهتهم في الترف.

(٥٣) يقول: كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرني الشقوق التي كانت به وقت ما كنت مجلوبًا، وذكرني الأيام التي كنت فيها تمشي عاريًا، وقوله: في ثوب من الزيت: فقد ذكروا أن مولاه كان زياتًا، وأن الأسود كان يحمل الزيت عاريًا، ويمشي متلطخًا به فكأنه في ثوب من الزيت. وقال ابن فورجه: يعني أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون الزيت، وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع السواد زيتيًا، أي أنت في حال كونك عاريًا في ثوب من الزيت؛ لأنك حبشي. هذا، وقد اعتسف الشراح في إعراب هذا البيت اعتسافًا أشفقنا عليهم منه، وهو من الوضوح بحيث ترى، ففاعل يذكر تخييط، وشقه: مفعول ثانٍ ليذكر، ومشيك عطف عليه.

(٥٤) الفضول: تعرض الإنسان لما لا يعنيه. يقول: أنا أهجوك في سري وإن مدحتك ظاهرًا، فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك، وقلت إني أمدحك به فكنت لا تفطن لذلك، ولا تفرق بين المديح والهجاء، ولكن الناس فيهم فضول؛ فهم كانوا يقولون: هذا الذي أتاك به هجاء لا مديح.

(٥٥) هذا تفريع على البيت الذي قبله. يقول: كنت تسر بإنشادي هجاءك؛ إذ تظنه مديحًا وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد، أي أن الإنشاد كثير عليك؛ لأنك أقل قدرًا من أن تهجى وينشد هجاؤك.

(٥٦) مشفريك: أي شفتيك الشبيهتين بمشفري البعير في الغلظ. وأفدت في المصراع الثاني: إما بمعنى استفدت، وإما على معنى أفدت نفسي فيكون المفعول الأول مقدرًا. ولحظي: أي رؤيتي. يقول: إن كنت لم تفدني خيرًا في مقامي عندك ولم تحسن إليَّ فإنني استفدت الملاهي برؤيتي شفتيك أو أفدت نفسي الملاهي بلحظي مشفريك. وقوله: لا خيرًا أفدت: أي لا أفدت خيرًا، أدخل «لا» على الماضي من غير تكرار وهو مسموع في الشذوذ.

(٥٧) ربات الحداد: أي الثاكلات اللابسات الحداد — وهي ثياب سود يلبسها النساء الثاكلات — حزنًا. وروى الواحدي: ربات الحجال، والحجال: الستور. يقول: إنك عجب

من رآه ضحك، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره، وتسلى به النساء الثاكلات؛ لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلهون بذلك عن الحزن والأسى، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره في الأبيات قبله. قال ابن جني: وقد صرح في هذا البيت بجميع ما كان أخفاه في مدحه بقوله في إحدى مدائحه الكافورية:

وَمَا طرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً   لقد كُنتُ أرجو أن أراك فأطْرَبُ